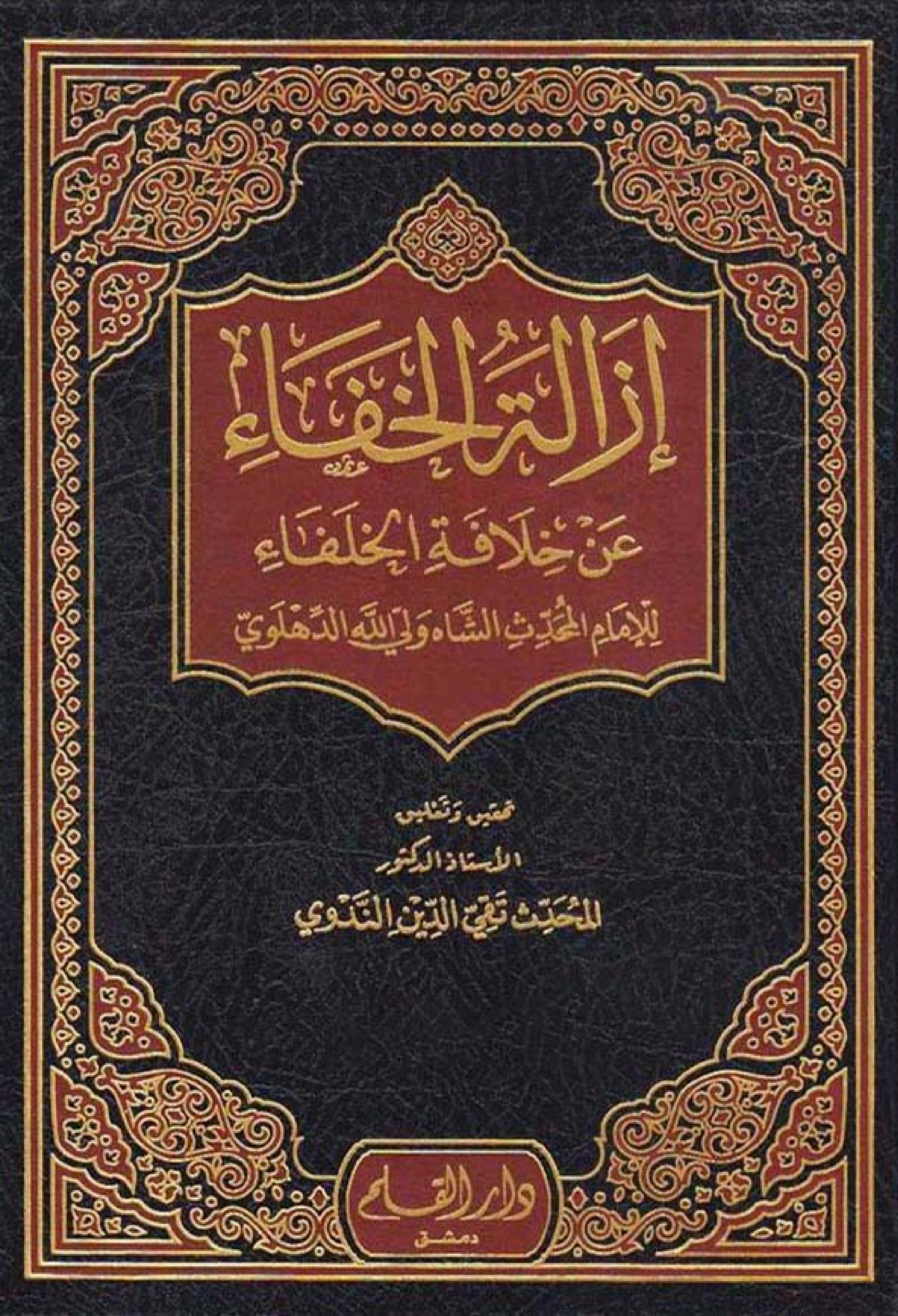

إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء
للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور
المحدث تقي الدين الندوي
دار القلم
دمشق

إزالة الخفاء

عن خلافة الخلفاء

للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي

ت ١١٧٦هـ

تحقيق وتعليق

الأستاذ الدكتور

المحدث تقي الدين الندوي

تعريب

جاويد أحمد الندوي

دار القلم

دمشق




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي

حفظه الله ورعاه

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمّد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين.

أما بعد: فيسرّ كاتبُ هذه السطور أن يقدِّمَ باسم مركز الشيخ أبي الحسن الندوي (بالهند) للقرّاء العرب كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» للإمام أحمد بن عبد الرحيم، المعروف بولي الله الدهلوي (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ).

لا شك أن هذا الكتابَ فريدٌ في موضوعه، ويدلّ على دقّة نظر المؤلّف، ومعرفته بأسرار الشريعة ومقاصدها.

قال العلّامة فخر المتأخرين الإمام عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) في كتاب «التعليق الممجّد على موطأ الإمام محمد»: «كتابُ **إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**، كتابٌ عديمُ النظير في بابه، لم يؤلَّف مثلُه قبلَه ولا بعدَه، ويدلّ على أنّ صاحبه بحرٌ زخّار لا ساحل له، والكتابُ يشتملُ

على شرح المباحثِ الخاصّة بالخلافة الإسلامية والسياسة الشرعية، ومكانةِ الخلفاء الراشدين الأربعة، وذكرِ مناقبهم ومآثرهم وإنجازاتهم وتوجيهاتهم على نكات غالية وفوائدَ نادرة، لا يستغني عنها عالم ولا باحث».

والكتاب يشتمل أيضاً على دراسة تحليلية للتاريخ الإسلامي من النواحي الدينية والسياسية بَدْءاً بالخلافة الراشدة إلى ما بعدها، فصار الكتابُ بمزاياه هذه مصدراً مهمّاً جدّاً للعلماء والباحثين.

قد كنتُ من أيام طلب العلم مولعاً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قَيِّم الجوزية ومؤلفات الإمام الدهلوي؛ لأنّ بعض شيوخنا الذين أخذنا منهم علمَ التفسير وعلمَ الحديث كانت لهم عنايةٌ خاصّةٌ بأفكارهم ومؤلّفاتهم، منهم شيخُ التفسير في ندوة العلماء الشيخ محمد أويس النگرامي تلميذ العلّامة المحقق السيد سليمان الندوي رحمه الله، قد قرأت عليه كتابَ «حجّة الله البالغة» وهو ينقلُ آراءَ الشيخين؛ أي: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيّم الجوزية وآراء الإمام الدهلوي، كذلك كان أستاذُنا المحدّث الكبير الشيخ حليم عطا السلوني يذكر في أثناء محاضراته أفكارهم ومؤلفاتهم.

والواقع أنّ هذا الكتابَ يلي كتاب «حجة الله البالغة» للمؤلف من حيث القيمة والأهمية، وكتاب «حجة الله البالغة» قد ألَّفه المؤلف **باللغة العربية**، واختار لكتاب «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» **اللغةَ الفارسية**، ولذلك لم يشتهر في العالم العربي كاشتهاره في شبه القارة الهندية.

وقد حاول بعضُ الدّارسين نقل الكتاب إلى اللغة العربية، كما كان كبارُ العلماء والمشايخ، منهم العلّامة المحقق السيد سليمان الندوي رحمه الله (ت١٣٧٣هـ = ١٩٥٣م) حريصين على أن يترجَمَ الكتابُ إلى اللغة العربية

لمكانته العلمية، وقد كتب العلّامة الندوي في شذرات مجلة «المعارف» (عدد أكتوبر ١٩٣٣م) التي كانت تصدر تحت إشرافه من دار المصنفين أعظم كره، (١ تشرين الأول الهند): «إنّ كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، للإمام الدهلوي نصفُه بالعربيةِ ونصفُه بالفارسية، فلو تُرجِمَ الكتابُ إلى العربية كاملاً ـ ولا شك أنّه يكون في عِدّة مجلدات ـ، لعاد بالخير الكثير، والفضل العميم على الأمة الإسلامية»، فكان من أمانيه وغاياته النبيلة أن يُتَرْجَمَ هذا الكتابُ إلى اللغة العربية.

فلمّا قرأتُ هذه الكلمات لأستاذ أساتذتنا المحقق العلّامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تشجَّعتُ أن أقومَ بهذا العمل الجليل، لكنَّ كثرة أشغالي وانشغالي بدراسة وتحقيق «**التعليق الممجّد على موطأ الإمام محمد**»، و«**ظفر الأماني في شرح مختصر الجرجاني**»، و«**أوجز المسالك شرح موطأ مالك**»، و«**بذل المجهود شرح سنن أبي داود**»، و«**الجامع الصحيح**» للإمام البخاري وغيرها من كتب السُّنَّة، حالت دون ذلك، وكَلَّفتُ بهذه المهمة الأخوين العزيزين من أساتذة الجامعة الإسلامية بمظفرفور أعظم كره، الهند، وهما: السيد فيروز أختر الندوي، والسيد جاويد أحمد الندوي، بترجمة الكتاب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، وقد اشتغلا سنتين أو أكثر حسب توجيهاتي بهذه المهمة، وأَسْهَمَتْ معهما لجنةٌ من الباحثين من مركز الشيخ أبي الحسن الندوي بالهند للمراجعة والمشاركة في التحقيق والتخريج، ونخصّ بالذكر الأخوين العزيزين العالمين: شمس الرحمٰن القاسمي المُظاهري، ورضي الرحمٰن القاسمي.

ثم إنّي تفرّغت عدّةَ شهورٍ لقراءة هذا الكتاب، ومراجعة ما جاء من التحقيقات والتعليقات في الهوامش، فعدَّلت بعضَ العبارات، وحذفتُ

بعضَها، وزدت بعضَ التعليقات حسب الحاجة، وكان الاهتمامُ في التعليقاتِ بتخريج الأحاديث والآثار، وبيانِ درجة بعض الأحاديث حسبَ الحاجة، أمّا مراجع التاريخ فاكتفينا بالإحالة على رقم المجلد والصفحة. وقد جاءت في الكتابِ بعضُ المصطلحات الصوفية فشرحناها حسبما شرح الإمام الدهلوي وشيوخه في مؤلفاتهم، ليتبيّنَ للقارئ أنّ هذه المصطلحات التي ذكرها الإمام الدهلوي في هذا الكتاب توافقُ الكتابَ والسُّنَّة، ولم تخرْج عن منهج السلف الصالح.

بعد المراجعةِ والتحقيق يبدو أنّ المؤلف لم يجد فراغاً لإعادةِ النظر في الكتاب، فقد أشار إلى ذلك الشيخ محمد أحسن الصديقي النانوتوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (المتوفى ١٣١٢هـ = ١٨٩٤م)؛ لأنّ الكتابَ قد طُبع لأول مرة بعنايته عام (١٢٨٦هـ) بالمطبعة الصديقية الواقعة بمدينة «بريلي»، وكان عنده ثلاث نسخ من الكتاب، وهو الذي قام بالمقابلة بينها وتصحيحها، وعلَّق على الكتاب بعض التعليقات النافعة.

وقد نَقَلَ هذا الكتابَ إلى اللغة الأردية إمامُ أهل السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي، لكنّ ترجمته تنتهي إلى الفصل الخامس، ثم كمَّله الشيخ اشتياق أحمد المجدّدي رحمهما الله.

وهناك من القرائن ما يدلُّ على أنَّ المؤلف الإمام الدهلوي لم يُعِدِ النظرَ في الكتاب، لوقوع التكرار في إيرادِ بعض الروايات، حتّى دخلت بعضُ الروايات الضعيفة والموضوعة في الكتاب، ولو أعادَ النظر لحذفَها.

قد استفدنا من الترجمة الأردية أيضاً، ولم يَضَعِ المؤلِّفُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عناوين لفقرات الكتاب، ولكّن المترجِمَيْن ـ الشيخ عبد الشكور والشيخ اشتياق أحمد ـ قد وضعا تلك العناوين فأثبتناها، لكن أحياناً عدّلنا بعضَ صيغها، وأضفنا بعضَ العبارات المعتبرة.

فالحمد لله تعالى على أنْ أصبحَ هذا الكتابُ صالحاً للنشر، وعرضنا الكتابَ على العالمين الجليلين: معالي الأستاذ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، وسماحة الشيخ الجليل محمد رابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء بالهند ـ حفظهما الله ـ لتقديم هذا الكتاب الجليل فقبلا مشكورين مأجورين، ولم يدّخرا وسعاً في تحرير مقدّمتين مهمتين كانتا زينةً للكتاب، فجزاهما الله خيراً.

ولا أريد أن أطيلَ في بيان خصائص الكتاب؛ لأني قرّرتُ أن ينشر في بداية الكتاب ما كتبه أستاذُنا الكبير السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتاب «**رجال الفكر والدعوة في الإسلام**» كالتقدمة، وفي ذلك كفايةٌ، وكذلك أخذنا ترجمة الإمام ولي الله الدهلوي رحمه الله من كتاب «**نزهة الخواطر**» للعلّامة عبد الحيّ الحسني وزدنا عليها بعضَ الزيادات ليكونَ القارئُ على بصيرةٍ من شخصيته ومآثره.

ندعو الله سبحانه أن يتقبَّل هذا الكتابَ، ويوفّق العلماء والدارسين والباحثين في البلاد العربية والإسلامية للاستفادة من هذا الكتاب، واللهُ وليُّ التوفيق.

مدينة العين: يوم عرفة ١٤٣٠هـ
الموافق ٢٠٠٩/١١/٢٦م

✍ **أ.د. تقي الدين الندوي**




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

بقلم: أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي
الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنّ الحديثَ عن كتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» للشاه ولي الله الدهلوي، يستدعي التمهيدَ لذلك بالتعريف بالمؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ وتلخيص ترجمته. **فأقول**:

• هو العلّامة الشيخ أحمد بن عبد الرحيم، أبو عبد العزيز، الملقّب بشاه ولي الله، الفاروقي الهندي الدهلوي، ولد في مدينة دهلي عام (١١١٤هـ)، ونشأ فيها في أسرة علم وفضل، تسلسلتْ ولايةُ القضاء والإفتاءِ في عقب جَدِّها الأعلى المفتي شمس الدين، الذي هاجر إلى الهند في القرن السادس، واستمّرت إلى والد المترجم الشيخ عبد الرحيم في القرن الثاني عشر، الذي كان من وجوه مشايخ دهلي وأعيانهم، ذا حظ وافر من العلوم. وكان من معاصري السلطان المغولي المشهور أُورَنك زيب عالَمْكِير، الذي دعا إلى مشروع تنظيم الفقه الإسلامي، وشارك فيه الشيخ عبد الرحيم، ثم ظهر المشروع فيما بعدُ في صورة

(الفتاوى العالمكيرية) المعروفة أيضاً بالفتاوى الهندية.

• قرأ العلوم المقررة في الهند الإسلامية في ذلك العهد؛ كالتوحيد، والنحو، والفقه، والأصول، والتفسير، والحديث، والمنطق، والطب، والحكمة، والهيئة، والحساب، وآداب السلوك، وعلم الحقائق، بالفارسية والعربية، قرأ ذلك على والده، فكان هو شيخَه الذي تخرّجَ على يديه.

• وفي أواخر عام (١١٤٣هـ)، حجَّ بيتَ الله الحرام، واغتنمها نُهزةً ثمينةً للقاء علماء الحرمين[١]، وحمل الحديثَ عنهم بالقراءة والسماع والإجازة. فقرأ عليهم «الصحيحين» و«السنن» عدا النسائي، و«الموطأ» و«مسند أحمد»، و«الأدب المفرد» للبخاري، و«الشفا» للقاضي عياض، و«رسالة الشافعي» في الأصول.

• وكانت الإجازاتُ التي حصل عليها الدهلوي من شيوخ الحرمين في كتب الحديث وغيرها من الكتب حلقةً تتّصلُ منها سلسلةُ الإسنادِ في الهند من بعده، إلى أصحابها المصنفين.

• ثم عاد المترجم إلى الهند، وقد ملأ العَيْبَةَ ممّا جمع من علم مكة وطيبة، ونبُلَ وبرعَ في علم الحديث والأثر، مع حفظ المتون، وضبط الأسانيد، والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد. ولم يتفق لأحدٍ قبلَه ـ ممّن كان يعتني بهذا العلم الشريف، من أهل تلك البلاد الشاسعة ـ ما اتفق له من روايةِ الأثرِ وإشاعته في الأكناف البعيدة.

• وعلَتْ همّتُه، وتوسّعَ نظرُه، فاشتغل بدراسة التفسير وعلومه، والفقه في مذاهبه الأربعة المشهورة، ودرس أصولَ هذه العلوم، ومبادئها

---

(١) ذكرهم في كتابه «إنسان العين في مشايخ الحرمين».

التي هذَّبها تهذيباً بليغاً، وأكثرَ من التصرُّفِ فيها، حتى يكادَ يصحُّ أَنْ يقالَ فيه: إنّه باني أُسها، وباري قوسها[١].

• وزاده الله في الإكرام والإنعام، إذ وهبه بصيرةً نافذةً ناقدةً، وذكاءً وقّاداً، مع جَوْدةِ الذاكرةِ، قال عنه ابنُه الشاه عبد العزيز: «ما رأيتُ أحداً أقوى ذاكرةً من والدي».

• وأثمرت تلك المواهبُ الربانيةُ لديه درايةً عميقةً، ومعرفةً واسعةً بالكتاب والسُّنَّة، وأصول الدين وفروعه، وبصراً بأسرار الشريعة ومقاصدِها، واطلاعاً جيداً على السيرة والتاريخ.

• وتجلَّت هذه المعرفةُ في تصانيفه وتواليفه، فقد جاءت صالحةً نافعةً غزيرةَ الفوائدِ، نفيسةَ المعلوماتِ والنكتِ والشواردِ، ولا سيّما كتاباه العُجابان البديعان: **«حجة الله البالغة»**، **«وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء»**.

• أقبل الدهلويُّ على نشر ما تعلَّم من العلوم، وبثّها في الناس، وكان جُلُّ اهتمامه مُركّزاً على نشر الحديث وعلومه، إلى أنْ لقيَ اللهَ تعالى في العام (١١٧٦هـ)، وورث علمَه ودعوتَه من بعده ذريتُه الأماجدُ، فبرزت بجهودِهم نهضةٌ علميةٌ في شبه القارة الهندية، امتدت آثارُها وما زالت تؤتي ثمارَها إلى اليوم[٢].

۞ كتاب «إزالة الخفاء» وأهميةُ موضوعه:

• يدلُّ عنوانُ الكتابِ دلالةً أوليةً عامّةً على موضوعه والمقصود من تأليفه، وهو الذبُّ عن الخلفاء الراشدين المهديين الذين خلفوا النبيَّ ﷺ،

---

(١) «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر» (٦/٨٥٨) ط: دار ابن حزم.

(٢) «الحطة في ذكر الصحاح الستة»، لصديق حسن خان القنوجي (ص٢٥٧).

على أمته من بعده، وإقامة دين الله فيها، واجتهدوا ـ رضوان الله عليهم ـ بغاية وسعهم، ونهاية طاقتهم، أن يسيروا في الأَمْرَيْنِ جميعاً على هديه عليه الصلاة والسلام ومنهاجه القويم.

• وقد سلك المؤلِّفُ إلى بلوغ هذا المقصد المنيف، مسلكَ التقصِّي والتفصيل للدلائل، من شهادات الكتاب العزيز، والسُّنَّة النبوية الشريفة، ووقائع السيرة النبوية، وسير الصحابة، الدالة تصريحاً أو تلميحاً، على الفضائل التي ثبتت وتقرّرت للصحابة بعامة، وأنّ الخلفاء الراشدين فَضَلُوا غيرَهم من ذلك الجيل الفريد، بمزايا أُخرى سمت بهم ليكونوا أحقَّ بالخلافة وأهلَها، وأنّ ترتيبَهم الزمني في الاستخلاف وقعَ على وِفْق الترتيب بينهم في الأفضلية وقوّةِ التحقّق بتلك المزايا.

وقسَّم المؤلِّفُ ـ في كتابه هذا ـ الخلافة قسمين؛ عامةً وخاصةً:

• فأمّا **الخلافةُ العامةُ** ـ التي جعل الكلامَ عليها كالمدخل والتمهيد في مباحث الكتاب ـ فيعني بها: الإمامةَ العُظمى التي أوجب الشرعُ القيام بها في المسلمين في كلِّ عصر من الأعصار، لحفظ جماعتهم، وإقامة دينهم، وسياسة دنياهم، بالشرع الذي أنزله الله في كتابه مُجْمَلاً، وبيَّنه للناس على لسان رسوله ﷺ بأقواله وأفعاله.

• وأمّا **الخلافةُ الخاصةُ** ـ التي هي أُمُّ مقصودِ هذا الكتاب وغرضُه المنشود ـ فعنى بها تلك الخلافةَ العامة أو الإمامةَ العظمى، في واقعها التطبيقي في الأُمة في الفترة التي تلت وفاةَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى ثلاثين سنة، وهي الفترة المصطلح عليها بزمن الخلافة الراشدة.

• فتكلَّم وليُّ الله الدهلوي على الخلافة بمفهومها الأول العام، مثبتاً وجوبَها في الشرع، ومبيناً شروطَها التي لا تصحُّ إلا باستيفائها، والطرق التي تنعقدُ بها، والواجبات التي تلزم مَنِ انعقدت له نحو

عامة المسلمين، والواجبات التي تلزمُ عامة المسلمين نحوه.

وغير خافٍ على ذي اهتمام بالفقه السياسي الإسلامي، أنَّ عدداً من العلماء جرّدوا كتباً لتحرير فصول هذا الموضوع ومباحثه ومطالبه؛ كأبي الحسن الماوردي والقاضي أبي يعلى الفراء، والجويني، وغيرهم.

• ثم أردف بالكلام على الخلافة **بمفهومها الخاص**، فذكر جملةً من المناقبِ والصفاتِ التي سمَّاها اللوازم؛ تؤهل مَن استوفاها من الصحابة لهذا المنصب المنيف؛ ككونه من المهاجرين الأولين، الشاهدين الحديبيةَ، المبشَّرين بالجنة، منوِّهاً في أعقاب ذلك بتحقّق تلك الخصائص الحميدة الفريدة في عدد كبير من الصحابة، وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون، على تفاوت بينهم في درجة التحقق بها، بحسب تفاوتهم في الرتبة الزمنية في تولي الخلافة.

• بعد ذلك استعرضَ إحدى عشرة آية من كتاب الله، أتى عليها بالبيان والتفصيل منتزعاً منها ما يشهد بطريق الإشارة أو الاقتضاء، للخلفاء الراشدين بكونهم كانوا على الهدى المستقيم في زمن النبي ﷺ، وبعده في استخلافهم على أمته.

• أما في **زمنه عليه الصلاة والسلام**، فبدخولهم دخولاً أولياً في جملة من أثنى الله عليهم، وبشَّرهم بجنته ورضوانه، إذ بذلوا الأموال والمُهَج في نصرة رسول الله ﷺ، والاستجابة لأمره في السرَّاء والضرَّاء، في الشدة والرخاء.

• وأما في **أثناء استخلافهم**، فبما يقتضيه الوعد للمؤمنين باستخلافهم في الأرض، وتمكين دينهم لهم، وتبديلهم من بعد خوفهم أمناً، من أن ذلك لا يكون إلا في ظلِّ إمامةٍ صحيحةٍ، وسياسةٍ رشيدةٍ تجمع أمرهم وتقيم لهم دينهم الذي ارتضى الله لهم.

• ثم استعرض المؤلف جملةً وافرةً من الأحاديث والآثار، رتَّبها على طريقة المسانيد بجمع مرويات كلِّ صحابي، وترتيبها في العرضِ بحسب الترتيب المتبع في «**مسند أحمد**» وغيره[١]. وقصد بذكرها إبراز مناقب الخلفاء الراشدين، وفضائلهم المستلزمة لصحّةِ خلافتهم، وكونها كانت خيراً ونعمةً على الأمة.

بعد ذلك تطرَّق لذكر الفتن التي أنبأت السُّنَّةُ بوقوعها في الأمة، مبيِّناً الآثار السلبية التي أحدثتها تلك الفتن في الاعتقاد والأخلاق والوحدة السياسية للأمة، وأردف بذكر ما أرشد إليه النبي ﷺ من الأقوال والأفعال والمواقف عند وقوع الفتنة.

• وفي **الجزء الثاني** من الكتاب: استقرأ الشاه ولي الله الدهلوي، ما في كتاب الله من الآيات التي لها صلةٌ بفضل أحد الخلفاء الأربعة، بكونها نزلت فيه، أو موافقةً لرأيه، أو لأنّه أعلم الناس بتأويلها وموقع تنزيلها، أو تفرّدَ بِحُسن الاستنباط منها، مما يدلّ على وفرة العقل والفهم عندهم رضوان الله عليهم وعلى سائر الصحابة.

• تطرق إثر ذلك إلى **ذكر الدلائل العقلية** على خلافة الخلفاء الأربعة.

• ثم أتبعها **بذكر الدلائل النقلية والعقلية** على تفضيل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على غيرهما من الخلفاء، فضلاً عن سائر الأصحاب والأمة جمعاء.

• وخصَّص **الجزءين الثالث والرابع** لسرد مآثر الخلفاء الأربعة، واحداً واحداً، على مراتبهم في الاستخلاف، فاستعرض مناقب أبي بكر

(١) تقدمة تحقيق «مسند أحمد» (ص٥١) ط: مؤسسة الرسالة.

الصديق ﷺ على التفصيل، ومنها صفاته ومواقفه وبلاؤه في زمن النبي ﷺ، ومنجزاته في زمن خلافته وبعض آرائه الفقهية. ثم ذكر مناقب عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، على هذا النحو.

هذه مشمولاتُ الكتابِ في أجزائه الأربعة على الإجمال والعموم، وقد انطوى في جزئياته واستطراداته على علمٍ جمٍّ، وفوائدَ نفيسة تُنمُّ عن سَعةِ اطلاع المؤلف على وقائع السيرة، وتاريخ الخلافة الراشدة، وحُسن فهمه للنصوص، واستنباطه منها، وإحاطته بمرامي الشريعة ومقاصدها الكليّة والجزئية.

• ويذكر مترجمو المؤلف أن نسخة من كتابه هذا وقعت بيد العلّامة الشيخ فضْلِ حقٍّ بن فضْل إمام الخير آبادي ـ وكان من مخالفي المؤلف ـ فأولعَ بها، وكان يكثِرُ النظرَ فيها في آناء فراغه من دروسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا استطلع عامّةَ ما في الكتاب، قال بمحضر من الناس: «إنّ الذي صنَّف هذا الكتابَ لبحرٌ زخّارٌ لا يُرى له ساحِلٌ»[(١)].

• ولو لم يكن لهذا الكتاب من فضل وقيمة، إلا تنقية سير الخلفاء الراشدين من الشبهات والأكاذيب التي ألقاها فيها بعض المبطلين، وإبرازُ فضلهم على الأمة الإسلامية قاطبة، فضلاً مسترسلاً على القرون إلى اليوم، لكان جديراً بكلِّ تنويهٍ وتقديرٍ، وخليقاً بأن يهتبل به فقهاء الأمة ومؤرّخوها وسائر أولي العلم فيها، اهتبالهم بسلفه وصنوه الذي يشترك معه اشتراكاً موضوعياً؛ أعني: «منهاج السُّنَّة النبوية» لشيخ الإسلام وفخره

---

(١) يُنظر: «نزهة الخواطر» (٦/ ٨٦١)، و«اليانع الجني من أسانيد الشيخ عبد الغني»، للترهتي (ص٩٣).

أبي العباس ابن تيمية، الداحض لأباطيل «منهاج الكرامة» لابن المطهر الحلّي[١].

۞ الخلافة وموقعها في الفقه الإسلامي السُّنِّي:

• ممّا هو بيِّنٌ عند أهل السُّنَّة والجماعة، أن الخلافَة مسألةٌ فقهيةٌ في أصولها وفصولها، ولا مدخلَ لها في الأصول الاعتقادية، إلا في بعض قضاياها الجزئية المتعلقة بضرورة حفظ الجماعة، وطاعة أولي الأمر في المسلمين بقدر الإمكان.

• فلم يثبت عند أهل السُّنَّة وهم جمهور الأمة وسوادها الأعظم، ـ على شدة حرصهم في تتبع السنن ووقائع السيرة النبوية ـ ما يدلُّ على اختصاص هذا المنصب برجالٍ بأعيانهم، فضلاً عن أن يكون الذين ادعي فيهم ذلك الاختصاصُ، متميّزين عن سائر المسلمين بـ«الإمامة» التي تعني عند معتقديها وراثةَ النبوة في العلم والعصمة في الاعتقاد والأقوال والأفعال، وتوجِبُ على كلِّ مسلم عاصرَ واحداً من أولئك الذين ادّعيت فيهم تلك الإمامةُ، أن يتولّاه، ويتبع تعاليمه وينصره، ويتبرَّأ ممّن أنكر تلك الإمامة المزعومة في أصلها، أو في ثبوتها لأحدٍ ممّن نُصَّ عليهم على مراتبهم في ذلك الزعم، ويعتقدُ أنّه لا حَظَّ له في الدين ما دام على ذلك.

• ليس عند أهل السُّنَّة، بل ولا عند المنصفين من الباحثين من أي طائفة كانوا، أثَارَةٌ من علم تثبِتُ شيئاً من دعاوى الإمامة، وما فُرِّعَ عليها من فروعٍ خاطئةٍ حائدةٍ عن سواء السبيل، أدّت إلى الطعن في خلافة الصدّيق والفاروق ﭭ، وإساءةِ الاعتقاد في عامّةِ الصحابة من المهاجرين والأنصار والتابعينَ لهم بإحسان، الذين عدّلهم الله، وأثنى عليهم في أكثر

(١) «الشيعة والتشيع»، لإحسان إلهي ظهير (ص١٠٧).

من موضع من كتابه العزيز، وأرهقت الأمةَ جدلاً وشقاقاً في غير طائل، بل أضعفت طاقتَها في خدمة الرسالة الخاتمة، التي ائتمنها الله عليها، ومواجهة أعدائها، ومزَّق وحدتَها السياسية.

۞ عصر الخلافة الراشدة امتداد لعصر النبوة في نشر الإسلام وبناء الأمة:

• ينظرُ جماهيرُ المسلمين إلى عصر الخلافة الراشدة وفقاً لما شهدت به نصوص السُّنَّة، على أنّه أزكى العصور في تاريخهم بعد عصر النبوة، حيث تولى أمرَ المسلمين خِيرةُ الصحابة من أولي النبل والعقل والسابقة إلى الإسلام، والهجرة، وشهود المشاهد مع رسول الله ﷺ، حتى توفي وهو عنهم راضٍ، وبشرهم بالجنة؛ يؤازرهم سائرُ الصحابة، الذين رفعَ اللهُ على كاهلهم عمودَ الإسلام، فجمعوا القرآن، وحفظوا السُّنَّة في صدورهم، وروّوها التابعين، وقاتلوا المرتدين حتى فاؤوا إلى حظيرة الإسلام، وأبصروا الحقَّ بعد انكشاف ما كان يغشاه لديهم من غشاوة الظلام، وفتحوا البلدان، ومصّروا الأمصار، ودوّنوا الدواوين، وأنفذوا الأحكام، وأقاموا العدلَ بين الأنام، وساسوا الأمة بغاية وسعهم في النصح لها، وحملها على منهاج نبيِّها. وكانوا فوقَ ذلك أئمةً في التقوى والعبادة، والزهد في الدنيا، والرغبة في ما عند الله.

• فحقٌّ على الأمةِ قاطبة أن تعرفَ للخلفاء الراشدين المهديين بخاصة، وللصحابة بعامة، فضلَهم في إقامة الدين، ونشر رسالة الإسلام في الخافقين، في ظلِّ السياسة النبوية ثم الراشدية، وأن تتخذ مِنْ سيرهم الزكية الجميلة، ومآثرهم الطيبة الجليلة، قدوةً صالحةً ومثالاً يحتذى.

• قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي، في ترجمة اعتقاد أهل السُّنَّة الذي صَدَّرَ به رسالته الفقهية:

«وأفضلُ الصحابةِ الخلفاءُ الراشدون المهديون؛ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين. وأنْ لا يذكرَ أحدٌ من صحابة الرسول ﷺ إلّا بأحسن ذكرٍ، والإمساكُ عمّا شجرَ بينهم، وأنّهم أحقُّ الناس أن تُلتمَسَ لهم المخارجُ، ويُظَنُّ بهم أحسنَ المذاهب».

• وقال الإمام أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي:

«ونحبُّ أصحابَ رسول الله ﷺ، ولا نُفرِط في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحد منهم، ونبغض مَنْ يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبُّهم دينٌ وإيمانٌ وإحسانٌ، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيانٌ».

❁ مزايا كتاب إزالة الخفاء:

• لهذا الكتاب مزايا كثيرةٌ، بسط الكلام عليها سماحةُ الشيخ أبو الحسن الندوي في الكتاب الذي أفرده لترجمة المؤلف، ضمن سلسلة رجال الفكر والدعوة، وأثبته المحقّقُ حفظه الله في مقدمة هذه الطبعة، فأفاد وأجاد وأوفى على الغاية في بيان موضوعه وأهميته.

• ومن مزايا كتاب «**إزالة الخفاء**»: أنّه كشفَ عن أنّ التعرّض لخلافة الخلفاء الراشدين، بالتشكيك أو الطعن في إثباتها، ينطوي على مؤامرة خبيثة بعيدةِ المرمى في خطورتها، مثل إظهار خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنّ صحبةَ النبيِّ ﷺ لم تثمرْ شيئاً من الخير، ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمعٍ صالحٍ فاضلٍ يُوثَقُ به.

• وكان من نتائج هذا الاعتقاد الخطير المبير، الذي ابتُني على التعلّق بأخبار مختلقة مكذوبة وُضعت في مناقب قوم ومثالب آخرين، أنه أورثَ لدى معتقديه الشكَّ والتشكيكَ في سلامة القرآن الكريم من التحريف، وادعاء النقصِ فيه، والتصرّف في ترتيب آياته في المصحف،

والطعنِ بذلك في أمانة جامعيه وناقليه، مع أنّ جمعه تمَّ بطريقة مشتهرة، ثبت بها علم عامة الصحابة بذلك، ومنهم الذين شهدوا نزوله، وتلقوه تلقيناً عن النبي ﷺ، فأقرّوا ما صنع الصدّيق رضي الله عنه ورضوه، وكذلك نقله تمَّ بطريقة ظاهرة وعلم مشتهر من الصحابة، بل بتعاونٍ منهم على نقله إلى الذين جاؤوا من بعدهم[1].

• وكذلك أورثَ هذا الاعتقادُ الخطيرُ المبيرُ، طعناً في السُّنَّةِ النبويةِ بالطعن في ناقليها من الصحابة، وطعناً في جميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون. وفي هذا يقول المؤلف في المقدمة: «**كلُّ مَنْ يحاوِلُ هدمَ هذا الأصل (ثبوت الخلافة الراشدة) وينكِرُ هذا الأصلَ الأصيل من الدين، إنّما يحاوِلُ هدم جميع الشُّعَبِ الدينية**». وصدق فيما قال، فإنَّ الخلفاء الراشدين ومَنْ معهم من الصحابة الملازمين لرسول الله ﷺ هم الواسطةُ بينه وبين أمته في أخذ القرآن الكريم وتلقّيه، بل وفي تلقي جميع ما اشتمل عليه الدينُ من أصولٍ وفروعٍ، ممّا علّمه النبيُّ ﷺ بأقواله وأفعاله وسائر تصرفاته وأحواله.

• وعلاوة على ما اشتمل عليه الكتابُ من حشد البراهين المثبتة لخلافة الخلفاء الراشدين، والتعريف بمناقبهم، وإنجازات عهودهم، وإيراد مجموعة صالحة قيّمة من كلماتهم وتوجيهاتهم، فقد وشّىٰ الكتابَ وزادَ في قيمته، ما احتواه من نُكَتٍ لطيفةٍ، وفوائدَ وفرائدَ بارعةٍ وتحقيقاتٍ نادرةٍ رائعةٍ.

• ومن الفوائد التي نثرها المؤلف في كتابه، تعرّضه لتاريخ الإسلام

---

(١) لمزيد من الكلام على شبهة تحريف القرآن الكريم، إيراداً وجواباً، وبيان شدة اهتمام السلف بخدمة كتاب الله. يُنظر: «الانتصار للقرآن الكريم»، للقاضي أبي بكر الباقلاني (ص٩٤ ـ ١٥٦).

الثقافي والديني، بشيء من العرض والتحليل، مجلِّياً بذلك التغيرات الدينية والعقلية والفكرية التي طرأت بعد وفاة النبي ﷺ، ممّا يجعل العاقلَ الحصيفَ يدرِكُ بثاقب بصيرته من خلال ما عرضه، الصلةَ السببيةَ بين تلك التغيرات، وبينَ الفتن التي أصابتِ الصفَّ الإسلامي، أو بعبارة أخرى: **تأثير البدع في الفكر السياسي وأثره السلبي على وحدة الأمة.**

۞ طباعة الكتاب وترجمته:

• أَلَّف الشاه وليُّ الله الدهلوي كتابَ «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» باللغة الفارسية، التي كانت منتشرةً بين مسلمي الهند. فطُبِعَ الكتابُ في الهند طبعةً أولى في أصله الفارسي، ثم نُقِلَ إلى الأردية، ونقل منها ومن أصله الفارسي إلى العربية، لكنّه لم ينشر في البلاد العربية ـ فيما نعلم ـ إلى اليوم.

• فهذه النشرةُ التي يشرِفُ عليها ترجمة وإعداداً وطباعة أخونا وصديقنا المستشار **الدكتور تقي الدين الندوي**، يُعدّ عملاً جليلاً ثميناً، وبالشكر والتقدير حقيقاً وقميناً، باعتبار الأهمية العلمية التي يتميز بها الكتاب، وباعتبار إيصاله أوّل مرة إلى القارئين باللغة العربية، وباعتبار الجهد القيّم الذي بذلته لجنةٌ من الباحثين من مركز الشيخ أبي الحسن الندوي ـ أثابهم الله من واسع نَوْله وفضله ـ في ترجمة الكتاب من اللغة الفارسية إلى العربية، وتخريج نصوصه، ورفده بتعليقات مفيدة.

• والأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، أحدُ علماء الحديث المبرّزين في الهند، تخرّج في دار العلوم بندوة العلماء في لكنو، وقرأ على فضلاء مشايخها، واشتغلَ بتدريس الحديث وعلومه، في دار العلوم المذكورة، وفي جامعة فلاح دارين كجرات، ثم استقرّ به النوى في جامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين.

• وصرف عنايته للبحث والتأليف والتحقيق في هذا الميدان، حتّى صار أحدَ فرسانه؛ ورزقه الله تعالى همّةً عاليةً، وجلَداً ماضياً على البحث ومكابدة مشاقّه، في دأب لا كللَ فيه ولا مللَ.

ومن قرأ تعليقاته على كتاب «**التعليق الممجد**»، أو «**ظفر الأماني**»، لعلّامة زمانه في الهند عبد الحي اللكنوي، عرفَ الشأوَ الذي بلغه في الاطلاع والمعرفة بالحديث وفنونه، أجزلَ الله له المثوبةَ فيما قدَّم، وبارك في أعماله وأوقاته، ومتّعه بدوام العون والتوفيق لخير المقاصد.

• وكان آخرَ ما صدر له في خدمة السُّنَّة النبوية الشريفة، إخراجَ «**الجامع الصحيح**» للإمام البخاري، في طبعة جديدة ذات حلة قشيبة، مع حاشية نفيسة علَّقها الشيخُ المحدّث أحمد علي السهارنفوري (ت١٢٩٧هـ)، واعتمد في أصله الذي علَّق عليه هذه الحاشية، على نسختين تتّصل إحداهما بأصل شرف الدين أبي الحسن علي اليونيني (ت٧٠١هـ)، والثانية بأصل رضي الدين أبي الفضل الحسن بن محمد العدوي الصغاني (ت٦٥٠هـ)، وهما أصحُّ الأصول للجامع الصحيح في العالم، عليهما عوّلَ الشّراحُ المتأخرون؛ كالعسقلاني، والعيني والقسطلاني.

والحمد لله في البدء والختام.

٢٣ ذو القعدة سنة ١٤٣٢هـ

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي




بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: سماحة الأستاذ الجليل محمد الرابع الحسني الندوي

رئيس ندوة العلماء لكنو (الهند)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصّلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

• **أما بعد**: فهذا كتابٌ قيّمٌ مفيدٌ، في موضوعٍ مهِمٍّ جداً، هو موضوعُ الثقة بعظمة صحابة الرسول ﷺ، وبمكانتهم الدِّينية العالية، بناءً على الصحبة المخلصة الحاصلة لهم من سيدنا خاتم النبيين ﷺ، الذي أكملَ اللهُ له دينَه، وأتمَّ عليه نعمتَه، وجعلَ في صحبته تأثيراً لا نظيرَ له.

• ذكر الله في كلامه المجيد رضاه عن صحابة رسوله الكريم ﷺ وقبوله عملهم.

• قام الإمامُ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي بتأليفِ هذا الكتاب في التعريف بهؤلاء ومدحهم.

• والإمام الدهلوي من أجلِّ علماء عصره، ومجدّد المنهج الإسلامي الصحيح في شبه القارة الهندية في القرن الحادي عشر، أدّى بجهده العلمي والفكري الديني دوراً عظيماً في إحياء الفهم الصحيح للدين، وتجديد الفكر الإسلامي على المنهج الراشد، وعرضَ الشريعةَ

الإسلامية في صورةٍ متناسقةٍ شاملةٍ، وكشفَ عن أسرارِ الأحكام الشرعية ومقاصدها وحِكَمِها، ومازجَ بين العقل والنقل، وبين الفقه والحديث، ووَفَّق بين المذاهب الفقهية الرئيسة، وأصلحَ العقائد، ونشرَ الكتابَ والسُّنَّة، وردَّ على المذاهب الضالة الدخيلة على الإسلام، وقصّرَ الفجوة بين المذاهب الفقهية المستقيمة السائدة، ورفعَ الفجوةَ بين المنتمين إليها، وعرضَ الشريعةَ الإسلامية وشُعَبَها وأبوابَها في ترابط ونظام وتناسق واتّزان.

• وبهذا الشمول العجيب والتنوّع النادر للفكر الإسلامي الأصيل، والعلم الديني الراسخ والفهم لروح العصر، والتنبّه للأخطار والتحديات التي كان يحمِلُها المستقبل، وإعداد العدة لمواجهتها: أصبحَ نموذجاً كاملاً للمصلح الديني والمجدد الإسلامي، إنّه بذل جهدَه في المجالات الثلاثة الكبرى؛ المجال العلمي، والمجال الديني، والمجال الاجتماعي.

• أما في المجال العلمي: فإنّه رأى أنَّ المناهجَ التعليمية الإسلامية تعتني بالفنون العقلية أكثر من اعتنائها بالمصدرين الأصلين الإسلاميين: الكتاب والسُّنَّة، فدعا إلى تغليب المصدرين الجليلين في التعليم الإسلامي، وقد أثّرت جهودُه في ذلك تأثيراً كبيراً واسعاً.

• وبدأت المدارسُ الإسلامية بهذا التأثير المفيد تعتني اعتناءً لائقاً بالمصدرين الأصلين للعلوم الإسلامية، إلى أنِ اعترفَ بعضُ كبار علماء العرب بتقدّم النظام التعليمي في الهند متمثلاً في الاعتناء بكتب الحديث النبوي الشريف.

• كما أنَّه بحث في أسرار الشريعة الإسلامية للدين، فأوجدَ الاقتناع العلمي بأحكام الشريعة الإسلامية بتأليفه كتاباً مهمّاً جليلاً باسم

«**حجة الله البالغة**» قدّم فيه أسراراً وحكماً للشريعة الإسلامية، يتعرّف القارئ من خلالها الميزة الفائقة لهذه الشريعة الغراء التي أكملها الله تعالى على خاتم أنبيائه، وأتمَّ بذلك نعمتَه على أتباعِ هذا الدين المبين.

• وألّف كتاباً مهمّاً آخر باسم «**عِقْدُ الجيد في الاجتهاد والتقليد**» عرضَ فيه ضرورةَ التقريب بين المذاهب الفقهية المختلفة، وبحثَ ما ساد بين العلماء من التفرُّق والخصومة في شأن التقليد والاجتهاد، التي جرَّت إلى مشاجرات بين علمائها، وقد تحوّلت هذه المشاجراتُ في بعض الأحيان إلى خصوماتٍ شديدةٍ، وتعصبٍ عنيفٍ.

• إنّه لفتَ نظر العلماء إلى أنَّ الشريعة الإسلامية تتّسعُ لآراء مختلف المجتهدين في المذاهب المختلفة.

• ولفتَ النظرَ كذلك إلى أنَّ التقليد الذي يتبعه أبناء المذاهب الفقهية الجليلة والاجتهاد البحت الذي يدعو إليه المخالفون لأئمة المذاهب الفقهية ليس ممّا يبعثُ على الخصومة، بل يجوزُ لكلٍّ واحدٍ العمل منهما في مجاله.

• والكتاب المهم الثالث الذي ألَّفه هو هذا الكتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، وذلك عندما رأى أنَّ طائفةً من الناس ينتقدون صحابة رسول الله ﷺ الذين صحبوه بمحبة خالصة، وبذلوا النفسَ والنفيسَ في سبيل حمايته وطاعته، فأحبّهم الرسول ﷺ ورضيَ عنهم.

لقد رأى الإمام الدهلوي أنَّ طائفة من الناس ينكرون تفضيل الصحابة رضوان الله عليهم، واتّخذوا هذه الأفكار ديناً لهم فيذمّونهم، ويُنكرون استحقاقهم خلافة رسولهم الكريم ﷺ بعد وفاته، ورغم ذلك فإنّهم يدّعون أنّ الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعليّ وأولاده من فاطمة، ومَنْ جاء بعدهم من الأحفاد، وزعموا لهم العصمةَ والقداسةَ أيضاً.

• فبناءً على ما وجد الإمام ولي الله الدهلوي في ذلك من خطر ديني، وانحراف، أوجب على نفسِهِ إبطالَ هذه الفكرة الضالة، وإثبات عظمة الصحابة ﷺ، وهم الذين تربَوْا على يدِ خاتم النبيين محمد بن عبد الله الصادق الأمين ﷺ تربيةً كاملةً، ورافقوه في أحوال الشدّة والقسوة واحتمال الأذى في طاعة الله ورسوله ﷺ، وبخاصة الخلفاء الراشدون الأربعة الذين قاموا بخلافته ﷺ من بعده، والذين وفّق اللهُ عامّةَ الصحابة بانتخابهم، وذلك لتقدّمهم وامتيازهم في صحبة الرسول ﷺ، فقد سبقوا عامة الصحابة في الحب والطاعة، وثبتوا ثباتاً كاملاً على الإيمان واتباع الرسول ﷺ.

• لقد لقي الصحابة ﷺ كلهم في طاعة الله ورسوله ﷺ أذىً شديداً، وإهانة من المشركين، ورغم ما كانوا عليه في جاهليتهم من شِدّةٍ وأنفةٍ إلا أنهم احتملوا الأذى في سبيل الإسلام، فقد آمنوا بالإسلام، ورافقوا الرسول ﷺ، وصاروا أتباعاً له مخلصين ملتزمين بضبط النفس وكظم الغيظ مهما بلغ بهم الأذى والإهانة، وذلك طاعةً لأمر الله تعالى؛ خاصّةً في عهدهم المكي، الذي امتدّ ثلاثةَ عشرَ عاماً، وعملاً بقول الله تعالى: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

• وفي العهد المدني أذن الله تعالى لهم بالجهادِ عند الضرورة، وكانوا في هذا العهد ملتزمين بما يأمرهم به رسولهم الكريم ﷺ، فقد قضوا في غزوة الأحزاب مدةَ ثلاثة أسابيع في الشتاء وتحتَ السماء ليلاً ونهاراً صابرينَ على المشقة والبرد والجوع، ليمنعوا عدوَّهم من اجتياز الخندق، ولم يبدوا لرسول الله ﷺ ضجراً ولا استسلاماً، وكان امتحاناً قاسياً شديداً، ونجحوا فيه نجاحاً باهراً.

• وكذلك في شأن صلح الحديبية الذي كان في نظرهم إهانةً

شديدةً لكرامتهم، وكانوا أقوياء في ذلك الوقت لدفع هذه الإهانة، ولكنّهم صبروا على طاعة رسولهم ﷺ بفضل إيمانهم وتقواهم.

• وتوفي الرسول الكريم ﷺ الذي كان داعياً إلى دين الحق، وقائداً وأميراً للأمة التي تكونت بدعوته، وأصبحت أمةً هاديةً مسؤولةً عن تنفيذ أوامر الله تعالى في السرِّ والعلن، وعن تبليغ دعوة الحق، وتحقيق إرادة الله في الأرض، يقومُ على كلِّ ذلك نخبةٌ من الرجال الأوفياء لمنهج رسول الله ﷺ، متأسّين به في كلِّ ما يأتي وما يدعُ.

• يذكر الإمام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي أهميةَ ذلك، ويشرحُ أمرَ خلافةِ النبيِّ ﷺ بعد وفاته ﷺ، وضرورتها لتنظيم المسلمين إجماعياً، وإقامة الحدود فيقول: «**الخلافة هي الرئاسةُ العامّةُ في التصدّي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلّقُ به من ترتيب الجيوش والفرض للمقاتلة وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نيابة عن النبي ﷺ**».

• ثم يقول مبيِّناً معنى «**إقامة الدين**» وزيادة إيضاحٍ له: «**عندما ننظر إلى الأمور نظرةَ استقراءٍ، وننتقل من الجزئيات إلى الكليات، ومن الكليات إلى الكلية الواحدة الشاملة للجميع، نصلُ إلى نتيجةٍ أنّ الجنس الأعلى لهذه الأمور من الجزئيات المتشتتة والكليات المنتشرة، (وكأنها كلية الكليات) هي تلك الحقيقة (الكلية الجامعة) التي عنوانها إقامةُ الدين، والتي تندرجُ تحتها أنواعٌ وأجناسٌ أخرى، منها إحياء العلوم الدينية التي تشتمل على تعليم الكتاب والسُّنَّة، والتذكير، والموعظة، يقول الله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة]»[1].

● وبناء على ذلك قام الإمام ولي الله الدهلوي بتأليف هذا الكتاب المهم «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**» شرحاً وإثباتاً لما رآه من ضرورة الذبِّ عن الخلفاء الراشدين المهديين، الذين كان لهم دورٌ مهمٌ في نشر الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ، وردّاً شديداً على الطائفة المنحرفة عن الحق، التي تقومُ برفض الخلافة، وتتّخذ فكرةَ الوراثةِ والإمامةِ القدسيةِ بدلاً منها، وحصرها في فرعٍ من فروع ابنة واحدة من بنات النبي ﷺ. وهي لا تكتفي برفض خلافة الخلفاء، بل تجاوزت إلى ذمِّهم وشتمهم أيضاً، وهم الذين أحبّهم الرسول ﷺ وأحبوه كما جاء في كتاب الله تعالى لقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ۝٢٩﴾ [الفتح].

● وكان انتخابُ الخلفاء الراشدين من صحابةِ الرسول ﷺ قد تمّ باختيار الصحابة ورضاهم، وتمّتْ بيعةُ كلٍّ واحدٍ من الخلفاء الأربعة بصورة إجماعية، وكان عملُهم بعدَ تقلدهم الخلافةَ على أحسن مستوى في التأسّي بالرسول الكريم ﷺ في شوؤن الحياة الإيمانية والعملية والقيادية كلها، وهم الذين تربوا تربية كاملة على يد خاتم النبيين محمد ﷺ في الجوانب المختلفة من الحياة الإسلامية، واستفادوا من هذه التربية النبوية الكريمة في أداء واجبهم القيادي والتوجيهي، واستحقّوا بذلك خلافةَ رسولهم الكريم محمّد ﷺ في إدارة نظام الحياة للأمة الإسلامية.

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٨٣).

• وقد أشاد القرآن بصبرهم ومصابرتهم طوال **العهد المكي**، وسجّل ثباتهم وأثنى عليهم ثناءً بالغاً فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

• وفي **العهد المدني** قَضَوا عشرةَ أعوامٍ في الكفاح والجهاد بالأنفس والأموال، وظهر جليّاً ثباتُهم على الإيمان، واتباعُهم رسولهم ﷺ مهما وقعت لهم من الأحوال القاسية، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب].

• ثم جاءت مرحلةُ ما بعدَ الرسول ﷺ، مرحلةُ نيابتهم عنه بتطبيق منهجِه، الذي تلقوه عنه، وتربوا عليه في حياته ﷺ، وتشاوروا في انتخاب مسوؤل يقوم بهذا الواجب.

• وأجمعوا على انتخاب أقرب أصحاب الرسول ﷺ إليه وأوفقهم لرأيه ﷺ في مناسبات عديدة، واختاره الرسول ﷺ في آخر حياته لإمامة الصلاة نيابةً عنه عند مرضه.

• فبناءً على كلِّ ذلك اتفقوا على اختيار **سيدنا أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه لنيابةِ الرسولِ ﷺ إثرَ وفاته. وقام سيدنا أبو بكر رضي الله عنه بخلافة رسوله الكريم ﷺ في أداء المهمات التي جدّتْ بعد وفاة الرسول ﷺ بكلِّ دقةٍ وأمانةٍ وعزيمةٍ وهمةٍ، وقضى في هذا العمل سنتين، فكان في قمّةِ الوفاء لمنهج رسول الله ﷺ، وجعلَ الإسلامَ قائماً وثابتاً ثبوتاً قوياً على الخط الذي قام به رسول الله ﷺ وذلك في حال محنةٍ وخطرٍ، وذلك لأنّ طائفة من الناس ارتدت عن الطاعةِ والإيمانِ إثر وفاة

الرسول الكريم ﷺ ممّن كانوا في أقاصي الجزيرة العربية؛ لأنّهم لما رأوا وفاة الرسول ﷺ لجؤوا إلى انتهاز الفرصة للخروج عن اتباع الإسلام، فارتدوا عنه ارتداداً، فوقف سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه وِقفةَ صمودٍ وعزيمةٍ، وقاتلهم حتّى رجعَ الناسُ إلى اتباع الحق، وعاد الإسلام إلى شوكته وقوته، وسيره على الخط الذي كان رسمَه خاتمُ النبيين محمد ﷺ، ووصلت دعوةُ الحقِّ إلى أقاصي البلاد، وزالت شبهةُ بعض الناس في استمرار الإسلام بعد رسول الله ﷺ.

• ولما توفي سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه احتاجَ الأمرُ إلى مَنْ يقومُ مقامه، ويكون قوياً مثله لمواجهة الأوضاع المتجددة، بسبب توسع البلاد الإسلامية، ودخول جنسيات مختلفة إلى الإسلام.

• وخوفاً من وقوع الاضطراب بعدَ وفاته رَشّحَ للخلافة رجلاً شديداً في دين الله، أميناً صادقاً، هو **سيدنا عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، وهو الذي كان يثقُ به رسولُ اللهِ ﷺ، وكان قريباً منه ﷺ، وكان شديداً في نُصرةِ الحقِّ والذبِّ عن الدين المتين، وأثنى عليه الرسولُ ﷺ لموافقة بعضِ آرائه الوحيَ الإلٰهيَّ. وكان سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يعرفُ ذلك، فرشّحه لخلافة المسلمين.

• وقامَ سيدنا عمر رضي الله عنه بأمور الخلافة أحسنَ قيامٍ بأقوى طريق، وبعزيمة صلبة لمدة عشرة أعوام.

• وتوفي سيدنا عمر رضي الله عنه وجاءت مرحلةُ نيابته، فرأى أصحابُ الشورى اختيارَ رجلٍ يميل إلى اختيار الرخصة أيضاً، كلّما اقتضى الأمرُ ذلك، لئلا يتعبَ الناسُ لطول قيامهم بالعزيمة، فاختاروا لذلك **سيدنا عثمان بن عفّان** رضي الله عنه، وهو ذو النورين، لكونه زوجاً لابنتين لرسول الله ﷺ.

• وجاء سيدنا عثمان ﷺ واختارَ تسهيل العمل والرخصة في أمور تقتضيها؛ لأنَّ أحوالَ الناس اختلفت، وضعف فيهم اختيارُ العزيمة بسبب دخول أبناء بلدان مختلفة في الإسلام، وكانوا جديدين في الإسلام، لم يتربوا على العزيمة، فكان اجتهادُ سيدنا عثمان ذي النورين ﷺ في ذلك في محلّه المناسب اللائق بالظروف والأحوال، وبقيَ هذا المنهجُ طوال خلافة سيدنا عثمان ﷺ.

• وولي الخلافةَ بعده الصحابي الجليل **سيدنا عليٌّ المرتضى** ﷺ، وكان يؤثِرُ طريقةَ سيدنا عمر الفاروق ﷺ في الشدة، وبذلك حصلت تجارب مختلفة في إدارة شؤون المسلمين في أثناء الخلافة الراشدة، وكلُّ ذلك كان مأخوذاً من عمل الرسول ﷺ وِفْقَ الأسوة النبوية الشريفة للمجتمع الإسلامي الفاضل للعمل في كل جانب من جوانب الحياة.

• ولا شكَّ أنَّ كلّ ما وقع منذ العهد المكي للنبوة إلى خلافة سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ كان تحت حكمة إلٰهية وتدبير إلٰهي حكيم؛ لأنّ الله تعالى أكملَ الدين، وأتمَّ نعمةَ الإسلام. وإكمالُ الدين يتحقّقُ حين تظهَرُ جوانبه المختلفة، فكانت خلافةُ هؤلاء الخلفاء الأربعة مثالاً لذلك، ليكونَ ذلك نبراساً للمؤمنين إلى ما شاء الله في اختيار الأسوة المثالية بجوانبها المختلفة، وفق المنهج النبوي الشريف.

• وبناءً على ذلك كان أخطرَ شيء هو ظهورُ فرقةٍ تنكِرُ صلاحَ الخلفاء الراشدين وجدارتهم بخلافة المسلمين.

ويكتب عن ذلك الإمام ولي الله الدهلوي: «إنّ شأن هذه الفرقة (في نظر أولئك الذين يعرفون تاريخ مذهبها ومعتقداتها الأساسية وفهمها وتصورها للدين، الذين درسوا كتبَها المعتبرة، ومصادرَها المعتمدة لدى أهلِها دراسةً مباشرةً) ليس شأنُ خلافٍ في الاجتهاد والقياس أو فُرقة

جانبية لا تخرجُ عن نطاق الشريعة الإسلامية، بل إنَّها تحملُ إزاء التصور الصحيح للدين الذي يُبنى أساسُه على الكتاب والسُّنَّة وعظمة مكانة النبوة، وعقيدة ختم النبوة: تفكيراً مستقلاً، وتصوراً دينياً مقابلاً، ويمكِنُ أن يُقدّرَ ذلك إلى حدٍّ ما مِنْ عقيدة «الإمامة» لدى الفرقة الاثني عشرية التي تعتقدُ أنَّ الإمامةَ نظيرُ النبوة، بل تفضلها وتفوقها في جوانب كثيرة».

• ويذكر الإمام الدهلوي: «يقول الفقير ولي الله عُفِيَ عنه: إنَّ بدعة التشيّع راجت في هذا العهد وانتشرت، وتأثّرت طبائعُ العامة بشبهاتهم التي أوردوها تأثراً عميقاً، ونشأت في قلوبِ معظمِ أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهاتٌ كثيرةٌ في موضوع ثبوتِ خلافة الخلفاء الراشدين»[(١)].

• وشعوراً بخطورة هذه الفرقة التي تريد أن تهدمَ أساسَ بناء نظام الخلافة الإسلامية بمخالفة الأولين من حملة هذا الدين المتين وذمهم، فقام الإمام ولي الله الدهلوي بتأليف كتاب مهم في هذا الموضوع هو هذا الكتاب «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**».

• يقول سماحة الشيخ الندوي عن أهمية هذا الكتاب: «لم يكن نظرُ الإمام الدهلوي إلى السطح الظاهري من هذه الفتنة التشكيكية المدبَّرة، بل كان ينظرُ ببصيرته الثاقبة إلى أعماق تلك المؤامرة الخطيرة، التي كانت ترسُبُ في داخله، والتي كانت تظهرُ نتائجُها البعيدة الخطيرة مثل خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنّ صحبة النبي ﷺ لم تثمر ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمع صالح فاضل يوثق به.

• ومن نتائج هذا النوع من التفكير والاعتقاد الطبعيّة وجودُ عدم

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٧).

الثقة بصيانة القرآن الكريم، وبقائه على أصالته وصحّته عن طريق الصحابة الذين شهدوا نزوله وتلقوه عن النبي المعصوم ﷺ مباشرة، وذلك في خير القرون، وكذلك الاضطراب في صحّة الأحاديث ونقل السُّنَّة النبوية، وجميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون»[١].

• ويقول الإمام ولي الله الدهلوي عن تأليفه لهذا الكتاب: «والواقع أنّ نور التوفيق الإلٰهي ألقى في رُوْعِ هذا العبد الضعيف عِلماً مستقلّاً بكل وضوح وتفصيل، حتّى عَلِمَ عِلْمَ اليقين أنَّ إثبات خلافة الخلفاء الراشدين أصلٌ من أصول الدين عظيم، وما لم يتمسك الإنسان بهذا الأصل تمسكاً قوياً، ولم يَعُضَّ عليه بالنواجذ، بقيتْ كلُّ مسألةٍ من مسائل الشريعة معرَّضة للشك والضعف»[٢].

• ويقول سماحة الشيخ العلّامة أبو الحسن علي الحسني الندوي[٣]: ويشتمل هذا الكتاب ـ علاوةً على الأدلة والبراهين على إثبات خلافة الخلفاء الراشدين وذكر مناقبهم ومآثرهم وإنجازات عهودهم، ومجموعةٍ قيِّمةٍ صالحةٍ من كلماتهم وتوجيهاتهم ـ على فوائدَ غالية، وتحقيقات نادرة، ونُكات لطيفة، وموادَّ قيمة، لا تتوفّر في كتب العقائد وعلم الكلام بصفة عامة، ولا في كتب التاريخ والسير.

• منها تحديد القرون الثلاثة، وبيان الفرق بين الخلافة والملك وتفاصيلهما، وشرح الملك العضوض، والتصريح بأنّ دولة بني أمية وسلطنتهم المطلقة لم تكن خلافةً.

• وهو وإن كان يرى أنَّ الخلافة الراشدة انقضت مع سيدنا علي رضي الله عنه، لكنه يتجنّب الطعنَ والوقيعة وإساءة الظن بسيدنا معاوية رضي الله عنه

(١) «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٦٠١).
(٢) «إزالة الخفاء» (١/ ١).
(٣) «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٦١٤).

وينصح به، بناءً على ما وردَ في فضله ومناقبه من أحاديث وآثار[١].

• هذا هو الموضوعُ المهمُّ الخطيرُ الذي أضرَّ إضراراً شديداً بالمنهج النبوي الشريف لإمارة المسلمين، وكان سبباً لتفريق المسلمين وإهانة صحابة خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله الأمين ﷺ.

• فرأى الإمام أحمد بن عبد الرحيم الشاه ولي الله الدهلوي من الضرورة الشديدة تأليفَ كتابٍ في بيانِ انحرافٍ شديدٍ أصبحَ سديداً على طائفة من الناس يختارونه.

«فقام الإمام الدهلوي بتأليف هذا الكتاب، وكان نصفُه باللغة الفارسية، ونصفُه باللغة العربية».

• وطبع هذا الكتاب ـ **لأوّل مرة** ـ بإشارة من الشيخ جمال الدين خان وزير بهوفال، وبعناية الشيخ محمد أحسن الصديقي عام (١٢٨٤هـ) بالمطبع الصديقي ببريلي، وكان عنده ثلاث نسخ من الكتاب، قامَ بالمقابلة بينها وتصحيحها، منها نسخة الشيخ جمال الدين ببهوفال، ونسخة ثانية للشيخ أحمد حسن الأمروهي، ونسخة ثالثة للشيخ نور الحُسن، وهناك من القرائن ما يدلُّ على أنَّ المؤلف الإمام لم يُعِدْ النظرَ في الكتاب.

• وصدرت **الطبعةُ الثانية** للكتاب من أكاديمية سهيل لاهور باكستان عام (١٣٩٦هـ)، الموافق (١٩٧٦م)، وهي صورةٌ عن الطبعة الأولى، ونُقِلَ الكتابُ إلى العربية بعناية المجلس العلمي بدابيل، ولكنّه لم ينتشر في العالم العربي كما ينبغي.

• ونقل إمامُ أهل السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي هذا

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/١٤٦).

الكتاب إلى اللغة الأردية، ولكنّ هذه الترجمة تنتهي إلى الفصل الخامس، وأسماها «كشف الغطاء عن السُّنَّة البيضاء»، ويشتمِلُ ما طبع منها على ست وثلاثين وثلاث مئة صفحة، وتمَّ طبعها في عمدة المطابع بلكنو عام ألف وثلاث مائة وتسع وعشرين من الهجرة النبوية.

• والآن يقومُ بنشره بعد تحقيق وتعليق مفيدينِ المحقّقُ البارعُ لكتب الحديث فضيلة **الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي**، الذي شغل منصب أستاذ الحديث النبوي الشريف سابقاً في جامعة العين بالإمارات المتحدة العربية، وقبل ذلك شغل هذا المنصب الجليل في جامعات إسلامية كبرى في الهند، ويخدمُ كتبَ الحديث بالتحقيق والتعليق.

• ومن أهمِّ أعماله في هذا الصدد إصداره لأصحِّ نسخةٍ للجامع الصحيح لإمام المحدِّثين أمير المؤمنين في الحديث الحافظ الحجة أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ بعد مقابلةٍ شاملةٍ لنسخ عديدة صدرت في القرون المختلفة، ونالت ثقةً وأهميةً لدى المهتمين بالحديث النبوي الشريف.

• ولا زال فضيلةُ الشيخ تقي الدين الندوي يخدمُ علوم السُّنَّة بشرح كتب مهمة قيِّمة في الحديث النبوي الشريف وعلوم متصلة به، وتنال جهودُه العلمية هذه تقديراً وثناءً من رجالات العلوم الإسلامية في العالم الإسلامي.

• كما أنّه اعتنى اعتناءً كبيراً بما أفاد مجدد القرن الثاني عشر الإمام أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي رحمه الله تعالى، ومنه هذا الكتاب المهم الجليل الذي يصدره فضيلة الدكتور الشيخ تقي الدين الندوي بعد بذل جهد كبير في تحقيق مشكلاته، ومقابلة نصوص الكتاب بنسخ مختلفة له، وكتابة التعليق على ما يقتضي التعليق، وشرح ما يحتاج

من الشرح، فعملُه هذا عملٌ مفيدٌ يستحقُّ كلَّ التقدير، ويكون فيه نفع للدارسين لهذا الموضوع، وإنّه طلب منّي كتابة تعريف لهذا العمل الجليل، وكنتُ أراه فوق درجتي، ولكن استجابةً لطلبه قمتُ بكتابة هذا التقديم، وأدعو الله تعالى القبول لهذه الخدمة العلمية الدينية المهمة، والله ولي التوفيق.

✍ كتبه
محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء لكنو (الهند)




تقديم الكتاب

بقلم: العلامة الداعية الإسلامي الكبير
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
رحمه الله تعالى(١)

۞ أهمِّيَّة كتاب «إزالة الخفاء» وامتيازُه وتفرُّده:

• إنَّ الكتابَ الذي يلي كتابَ «حجة الله البالغة» في القيمة والأهميَّة، والذي هو مأثرةُ الإمام الدِّهلوي الفريدةُ هو كتاب **«إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء»**.

• وإنَّه لِكثيرٍ من خصائصه ومزاياه كتابٌ فريدٌ في موضوعه، ويزخر هذا الكتاب كُلّه بالنُّكات العلميَّة المُثيرة، والإشارات النَّادرة اللَّطيفة، وتتوفَّر فيه نماذجُ كثيرةٌ، تدلُّ على تدبُّر الإمامِ الدهلوي الطَّويل، وتفكيرِه العميق في كتاب الله تعالى، وتجاوبِه الموهوب معه، وفَهمه الغائص الدَّقيق، وسُرعة البديهة، والتَّفطُّن لمكنونات الآيات، وإشاراتها الدَّقيقة، وعُمقِ الاستنباط ودِقَّته، ووفرةِ الذَّكاء، وتوقّد الذهن؛ بحيث يتوصَّل به كل مُنْصِف سليمِ الفكر إلى أنَّ هذا العلمَ ليس كسبياً وكتابياً صِرْفاً، وأنَّ مؤلِّفَ هذا الكتاب ليس صَنيعَ المناهج الدِّراسيَّة المُتداولة وكُتبِ التَّفسير وأصول

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٢٢٩).

الفقه وعِلم الكلام الشَّائعة في عصره، يقتطِفُ منها ويجمعُ فُتات مائدتها فحسب، بل إنَّ علمه نابعٌ من الموهبة الرَّبانيَّة والفُيوض الإلـٰهيَّة الخاصَّة.

• وقد صَدرتْ من قلم الإمام الدهلوي نفسِه عفواً، هذه الكلماتُ التاليةُ في مبدأ الكتاب:

«والواقعُ أنَّ نور التَّوفيق الإلـٰهي ألقى في رُوعِ هذا العبد الضعيف علماً مستقلاً بكلِّ وضوح وتفصيل، حتّى علمَ علْم اليقين أنَّ إثبات خلافة (الخلفاء الراشدين) أصلٌ من أصول الدين عظيمٌ، وما لم يتمسّك الإنسانُ بهذا الأصل تمسُّكاً قوياً، ولم يعضّ عليه بالنواجذ، بقيت كلُّ مسألةٍ من مسائل الشريعة معرّضةٌ للشّك والضعف»[(١)].

• حتّى إنّ العلماء الكبار الذين كانت لهم خلافاتٌ مع الإمام الدهلوي، وكانوا موغلين في العلوم العقلية، ومنهمكين فيها، بل كانوا يحتلّون مكانَة الإمامة فيها، لمّا وقع بصرُهم على هذا الكتاب لم يتمالكوا أَنْ أثنوا على مؤلّفه، واعترفوا بتبحُّر علمه، وسعة معرفته، ودقة نظره، يقول الشيخ محسن بن يحيى الترهتي، صاحب «اليانع الجني»:

«إنّ العلّامةَ فضلَ حقٍّ بن فضل إمام الخير آبادي[(٢)] وقعتْ في يده نسخةٌ من كتاب «**إزالة الخفاء**»، فكان أولع بها، ويكثِرُ النظرَ فيها أوان فراغه من دروسه، وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا وقفَ على كثيرٍ منها قال لِمَحضرٍ من الناسِ: «إنَّ الذي صنّفَ هذا الكتابَ لبحرٌ زخّارٌ لا يُرى له ساحِلٌ»[(٣)].

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/٧٧)، طبع أكاديمية سهيل، لاهور.س.

(٢) اقرأ ترجمته في: «نزهة الخواطر» (ج٧)، وقد وقعت بينه وبين أبناء الإمام الدهلوي والذين كانوا على طريقته مطارحات علمية، ومناقشات دينية، لذلك كانت لشهادته قيمة كبيرة.

(٣) انظر: «اليانع الجني» (ص٩٣)، المطبوع مع رجال الطحاوي، و«نزهة الخواطر» (٦/ ٤٠٦) ترجمة الإمام الدهلوي.

• وقد وصف العلّامة فخر المتأخرين أبو الحسنات عبد الحي اللكنوي (ت١٣٠٤هـ) ـ الذي يعترِفُ بتبحُّر علمه، ونبوغه وسعة نظره القاصي والداني ـ في كتابه «**التعليق الممجد على موطأ الإمام محمد**» كتابَ «**إزالة الخفاء**» بأنّه «**كتابٌ عديمُ النظيرِ في بابه**»[(١)].

❁ الصلة بين «حجة الله البالغة» و«إزالة الخفاء»:

• لقد كانت الحاجةُ بعد تأليف كتاب «حجة الله البالغة» الذي عُرِضَ فيه نظامُ الإسلام الجامع الشامل المتناسق بطريق يثبت علاقته بالحياة والمجتمع والمدنية، ويوضّحُ أنّه بدون تنفيذ الأحكام الإسلامية المتعلّقة بالعقائد والعبادات والحياة الاجتماعية لا يبقى أيُّ أملٍ في قيام مجتمع صالح رشيد، ومدنية صالحة، وحياة اجتماعيّة متَّزنة عادلة.

• كانت الحاجةُ لبيانِ هذه المقاصد والأهداف وتكميلها والقيام بهذه المرحلة بطريقة علمية تحقيقية (تروي غليل الأذهان والطبائع العقلانية لعهد الثورة العقلية التي كان قد أظلّ زمانها) وإلى الكتابةِ في خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام وطبيعته، وأهدافه وغاياته ونطاق عمله، وعن «الخلافة» (الهيئة الإدارية العالمية الدائمة، الصريحة المنصوصة لهذا النظام) بهذا البسط والتفصيل، والأدلة من العقل والنقل، وشواهد التاريخ، وفوق كل ذلك في ضوء الكتاب والسُّنَّة النبوية الواضحة، وتفضحُ الضلالات والظنون الخاطئة التي ظهرت في هذا الصدد منذُ زمنٍ قديمٍ، والتي نشأت بناءً عليها فرقة جديدة[(٢)]، كانت قد أحدثت لسيطرة العناصر الإيرانية في عهد الإمام الدهلوي نفسه ـ بصفة خاصة ـ من

---

(١) التعليق الممجّد: (ص٢٥)، طبع المطبع اليوسفي.
(٢) المراد بها: الفرقة الإمامية الشيعية.

الاضطراب الفكري والبلبلة العقلية ما تخطّى حدودَ المعتقدات والأعمال، إلى نظام الحكومة وسُلطة المسلمين العليا في الهند، وجعلت مستقبل المسلمين في الهند في خطر تحوم حوله الشكوك والشبهات.

• إنّ شأنَ هذه الفِرقة (في نظر أولئك الذين يعرفون تاريخ مذهبها ومعتقداتها الأساسية وفهمها وتصوّرها للدين، والذين درسوا كتبها المعتبرة ومصادرها المعتمدة لدى أهلها دراسة مباشرة) ليس شأن خلافٍ في الاجتهاد والقياس، أو فرقة جانبية لا تخرجُ عن نطاق الشريعة الإسلامية، بل إنَّها تحمِلُ إزاء التصوّر الصحيح للدين الذي ينبني أساسه على الكتاب والسُّنَّة، وعظمة مكانة النبوة، وعقيدة ختم النبوة، تفكيراً مستقلّاً، وتصوُّراً دينياً مقابلاً، ويمكِنُ أن يقدّر ذلك ـ إلى حدٍّ ما ـ من عقيدة «الإمامة» لدى الفرقة الاثني عشريّة، التي تعتقدُ أنَّ الإمامةَ نظير النبوة، بل تفضلُها وتفوقُها في جوانب كثيرة[(١)].

• يقول الإمام الدهلوي وهو يبيّن الغرض الأساس من هذا الكتاب وغايته الأولى:

«يقول الفقيرُ ولي الله ـ عفا الله عنه ـ إنَّ بدعة التشيع راجت في هذا العهد وانتشرت، وتأثَّرت طبائعُ العامة بشبهاتهم التي أوردوها،

---

(١) وقع لدينا أخيراً كتاب «الحكومة الإسلامية» لقائد الثورة الإيرانية روح الله الخميني، الذي يعرف بآية الله العظمى الإمام الخميني، فقد جاء فيه في (ص٥٢) بعنوان «الولاية التكوينية» بعد التصريح بأنّ الأئمة يملكون الخلافة التكوينية، وتخضع لحكمهم وسلطتهم جميعُ ذرّات هذا الكون، ما يلي:
«وإنّ من ضرورياتِ مذهبنا أنَّ لأئمتنا مقاماً لا يقربه مَلَكٌ مقرّبٌ، ولا نبيٌّ مرسَلٌ، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث، فإنَّ الرسول الأعظم ﷺ والأئمة (ع) كانوا قبل هذا العالم أنواراً، فجعلهم الله بعرشه محدقين، وجعلَ لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا الله». («الحكومة الإسلامية» طبع كتبخانه بزرك إسلامي ـ إيران).

ونشأت في قلوبِ معظم أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهاتٌ كثيرةٌ في موضوع ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين»[١].

• لم يكن نظرُ الإمام الدهلوي إلى السطح الظاهر من هذه الفتنة التشكيكية المدبّرة، بل كان ينظرُ ـ ببصيرته الثاقبة ـ إلى أعماق تلك المؤامرة الخطيرة التي كانت ترسب في داخله، والتي كانت تظهر نتائجُها البعيدة الخطيرة (مثل خيبة الإسلام وإخفاقه في عهده الأول الزاهر، وأنَّ صحبة النبي ﷺ لم تثمر ولم تفعل فعلها في تكوين مجتمع صالح فاضل يوثق به.

• ومن نتائج هذا النوع من التفكير والاعتقاد الطبيعية وجودُ عدم الثقة بصيانة القرآن الكريم، وبقائه على أصالته وصحّته، عن طريق الصحابة الذين شهدوا نزوله، وتلقَّوه عن النبي المعصوم ﷺ مباشرةً، وذلك في خير القرون، وكذلك الاضطراب في صحة الأحاديث ونقل السُّنَّة النبويّة، وجميع الأمور التي اتفق عليها المسلمون).

• ولذلك يقول الإمام الدهلوي: «كلُّ مَنْ يحاوِلُ هدم هذا الأصل (ثبوت الخلافة الراشدة وصحّتها) وينكِرُ هذا الأصل الأصيل من الدين إنّما يحاول هدمَ جميعِ الشُّعَبِ الدينية»[٢].

ويزيد قائلاً: «إنّ الخلفاء الراشدين هم الواسطةُ بين رسول الله ﷺ وبين أمته في أخذِ القرآن الكريم وتلقِّيه»[٣].

• ثم يدرِجُ الإمام الدهلوي في هذه الدائرة تلكَ الشُّعب والعلوم التي حصلت ثروتها للأمَّة عن طريق الخلفاء الراشدين؛ كعلم الحديث،

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٧).
(٢) «إزالة الخفاء» (١/ ٧٨).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤).

وعلم الفقه، والإجماع على المسائل المجتهد فيها، والقضاء على اختلاف الأمة، وعلم الإحسان (الذي سمِّيَ ـ أخيراً ـ بعلم السلوك)، وتوضيح الفرق بين مراتب علوم الحكمة والأخلاق الفاضلة والأخلاق المذمومة، وتدبير المنزل، وسياسة المدنية، كلُّ هذه العلوم والفنون والشعب الدينية انتقلت إلى الأمة عن طريق الخلفاء الراشدين، وبتعليمهم ومنهج عملهم، وتدينُ لها الأممُ كلُّها في ذلك»[١].

• ولذلك كان من المناسب ـ جداً ـ أن يشرحَ ـ بعد تأليف «حجة الله البالغة» الذي هو تفسير علمي ونظري للإسلام ـ كيف طبِّقت هذه الأصول والتعاليمُ الإسلامية بعد عهد النبوة ـ مباشرة ـ في عالم الواقع بنجاح منقطع النظير، وكيف ظهرت في صورة عملية، وطبِّقت على الحياة بطريقة رائعة، وما هي الآثار التي عادت بها على المجتمع البشري، وكيف قضت على مدنيَّتين عتيقتين جبَّارتين تملِكان أزمّة السُّلطة والسَّيطرة حتى اقتسَمتا العالم الْمُتمدِّن كُلَّه، ويرجع تاريخُها إلى قرون عريقة في القِدم، وكانتا تزدهران وتتقدَّمان تحت ظلّ الحكومات (الساسانية والرومية) وفي قيادتها، وتؤثِّران على الحياة الإنسانية وتطبعانها بطابعها، كيف انتهى دورُهما، وذهبتا أدراج الرياح؟![٢].

❁ مؤلَّفات قديمة أخرى في الموضوع:

• لم نعثر في مجموعة الكتب القديمة في موضوع النظام الاجتماعي والسلطة الحاكمة ودائرة نفوذها وعملها إلا على كتب معدودة (بغضِّ النظر عن درجتها وكيفيتها، بل في عددها وكمِّيتها كذلك)، ويحتلُّ

---

(١) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (٢/ ٦).

(٢) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (٢/ ٥٤) عنوان «تحطيم الدولة الساسانية» (٢/ ٥٩ ـ ٦٣) عنوان «تحطيم الدولة الرومية».

كتابُ الإمام أبي يوسف (١١٣ ـ ١٨٢هـ) تلميذ الإمام الأعظم أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) وقاضي القضاة في الخلافة العباسية المعروف بـ«كتاب الخراج»[١] مكانةً أوَّليَّة وأساسيَّة في هذا الموضوع، إلّا أنّ نطاق البحث فيه لا يخرجُ عن وسائل الدخل للدولة الإسلامية وماليتها ونظام المحاصيل والخراج فيها.

• وأول كتاب بسيط يجدرُ بالذكر في هذا الموضوع هو كتاب «الأحكام السلطانية والولايات الدينية» لقاضي القضاة العلّامة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ)، وقد جاء في ٢٥٩ صفحة من القطع المتوسِّط، ويدورُ الكتابُ حول موضوع الإمامة، وحكمها الشرعي وشروطها وكيفية انعقادها، والمناصب التي تولّى تفويضها، وتعيين المسؤولين عليها، وواجبات الإمام ومسؤولياته، وأحكام تعيين القضاة والأئمة، وولاية الصدقات، والجزية والخراج، وغير ذلك من الأحكام، وكذلك إقامة الحدود، والحسبة وغيرها، ولم يرد فيه أيُّ بحثٍ في ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين وصحتها ومآثرهم ومناقبهم ومكانتهم في الدين.

• ومن أضخم الكتب في هذا الموضوع «الغياثي» واسمه الكامل «غياثُ الأمم في التياثِ الظلم»[٢]، وهو تأليف شيخ الإمام الغزالي المعروف، وأستاذ الأساتذة في عصره إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ)، وقد ألّف هذا الكتاب بإشارة من

---

(١) وقد طبع مؤخراً بتحقيق الدكتور إحسان عباس، وصدر عن دار الشروق بمصر.

(٢) طُبع هذا الكتاب بتحقيق: الدكتور عبد العظيم الديب، وبعناية: الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري على نفقة الشؤون الدينية لحكومة قطر عام ١٤٠٠هـ، ويشتمل الكتاب على ٦١١ صفحة من القطع الكبير.

وزير الدولة السلجوقية الفاضل المعروف نظام الملك الطوسي (٤٠٨ ـ ٤٨٥هـ) (مؤسس المدرسة النظامية ببغداد ونيسابور) لمطالعته ومراجعته، وقد كان هو في الحقيقة وزيرَ الملك ألب أرسلان، وملك شاه السلجوقي ومعتمده، ولكنّه كان في الوقت نفسه رجلَ هذه الدولة العظيمة بل الإمبراطورية الكبيرة الوحيد، وشخصيتها المركزية[1].

وهذا الكتاب يدورُ حول الأحكام الشرعية للإمامة وصفاتها وواجباتها، فقد ذكر في القسم الأول منه صفات الأئمة والولاة والقضاة، كما جاء فيه البحث في أنه إذا لم يوجد للمسلمين إمامٌ فماذا يجب عليهم عند ذاك؟

كما ذكر فيه صفات المفتين والأمراء وفضلهم، وما هي الواجبات العائدة على الأمة عند غيبتهم؟ وماذا يجب على المسلمين إذا تسلّط عليهم حاكمٌ فاقد الأهلية بالسيف والقوة؟ وإذا خلا عصرٌ من العصور من أصحاب الإفتاء فكيف تعمل الأمة وما هي مسؤوليتها؟ وما هي الأسباب التي توجب خلع الإمام وعزله؟

ثم جاء في تفصيل ذكر الأحكام الفقهية التي يفرض على الأمة معرفتها والعمل بها عند فقدان المفتين.

ومن هنا يتحوّل الكتابُ إلى كتاب في الفقه الشافعي، وليس في الكتاب أيُّ مبحث في موضوع ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين وأهميتها، إذ إنّ الكتاب يعالِجُ ـ في الحقيقة ـ موضوعَ الأحكام الشرعية للإمامة وصفاتها وواجباتها، وتردُ في الكتاب في مواضع كثيرة تعريضات بكتاب «الأحكام السلطانية» للماوردي وانتقاداتٌ على مؤلفه.

● والكتاب الثالث الجدير بالذكر في هذا الموضوع هو «**السياسة**

---

(١) انظر لترجمته: «وفيات الأعيان»، لابن خلكان، و«طبقات الشافعية».

الشرعية في إصلاح الراعي والرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ)، وقد صرَّح المؤلف العلَّامة في مقدّمة كتابه هذا بأنّه رسالةٌ مختصرةٌ اشتملت على أصول السياسة الإلـٰهية والنيابة وأحكامها التي لا يستغني عنها الراعي ولا الرعية.

والكتابُ ـ في الأصل ـ تفسيرٌ وتفصيلٌ للآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ ـ إلى قوله تعالى: ـ ﴿...ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٨، ٥٩].

فعنوان **الباب الأول** من **القسم الأول**: «الولايات»، وعنوان **الباب الثاني** «الأموال»، وجاء البحث في **القسم الثاني** أولاً عن حدود الله تعالى وحقوقه، ثم حقوق العباد، واشتمل الكتاب على ١٦٨ صفحة من القطع المتوسط[(١)].

ولم يتعرَّض المؤلِّف في هذا الكتاب للمباحث التاريخية والأصولية والكلامية المتعلّقة بالخلافة الراشدة، والخلفاء الراشدين، التي يحتلّ فيها مؤلِّف الكتاب الجليل مكانة الثقة والإمامة والاجتهاد، ولو اعتنى بهذه الناحية لكانت زيادةً قيّمةً في المكتبة الإسلامية العلمية والبحوث الموضوعية، ولكنّه كتب بقلمه السيَّال وعلمه الزاخر في هذا الموضوع على صفات «منهاج السُّنَّة» الذي يتجلَّى فيه نموذجُ بحره العلمي الزاخر، وجولان قلمه القوي السلسال[(٢)].

❁ مكانة الخلافة ومنزلتها في الإسلام:

• يتجلَّى في القرآن الكريم والسُّنَّة النبوية المشرفة تصوّر اعتناق

---

(١) بين أيدينا طبعة رابعة للكتاب صدرت من دار الكتاب العربي بمصر عام ١٩٦٩م.

(٢) راجع: «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (ج٢).

الدعوة الإسلامية والدين الحنيف والمؤمنين به في صورة جماعة منظَّمة متضامنة متراصَّة. وكلمات «الأمة» و«الملّة» و«الجماعة» التي استخدمت لهم كلّها تدلّ على هذه الحقيقة دلالةً واضحةً، ويعرف أصحاب العلم والبصيرة أنّ هذه الكلمات المستخدمة في لغة الكتاب والسُّنَّة، واصطلاحهما، لم تستخدم ـ إطلاقاً ـ لمحض التصوّر السطحي للكثرة العددية والتجمّع البشري العام الذي لا يملك أي وزن أو تأثير في تاريخ الأديان والملل ولا في مقادير الشعوب والحضارات.

• بل لقد زخر القرآن الكريم كلُّه في صدد بيان وقائع الأمم السابقة حيناً، وفي التعرّض لبيان أسباب القوة والضعف والهزيمة والغلبة حيناً آخر بعدم تأثير الكثرة العددية، وخفّة الجموع البشرية، وفقدانها لأيِّ وزن واعتبار، وغلبة الشر والفساد رغم وجود الأفراد الصالحين الأخيار، وشقاء الإنسانية وبؤسها وضعف الحق وخذلانه، كلُّ ذلك ممّا يؤكِّد على أنّ الأفراد المتفرِّقين ـ مهما كان عددهم ـ لا يحملون في ميزان العقل والعدالة أهمية كبيرة وفائدة مرجوّة عامة.

• إنّ الأهداف التي يرمي إليها الإسلام تشتمل على إصلاح العلاقة بين العبد والمعبود وتنظيمها وتقويتها، ثم توسيع نطاقها وتعميمها، ومحاولة سبك الحياة الإنسانية في قالبها، وتصحيح العلاقات وتطبيقها بين أفراد الجماعة وأعضائها، وتهيئة الجوّ والمناخ الصالح لحياة آمنة وادعة مطمئنة، مهذّبة جميلة زاهية، تتوفّر فيها الفرص الكاملة لأداء حقوق العباد وربّ العباد، والبلوغ إلى غايات الكمال ومدارج الرقي والفضل التي أودعت صلاحيتها في فطرة الإنسان.

• لقد حاول الإسلام ألا تضيع العبقرية البشرية وقوتها العلمية في مقاومة تلك الأخطار، والتوقِّي من تلك الخسائر والأضرار، وإزالة تلك

المفاسد والأمراض التي تنجم ـ تارةً ـ نتيجة الحياة الممزَّقة غير المنظمة ومن القوانين الوضعية تارةً أخرى، ولا بدّ لذلك من خلافة وإمارة تنبني على الاعتقاد بقانون نازل من السماء وشريعة ربانية، وحاكمية الإلـٰه الواحد وألوهيته وربوبيته.

• أمّا **الشريعة الإلـٰهية** فإنّه يلزمُ الاعتقادُ فيها بأنها منزلةٌ من الله العليم الحكيم، وأنّها بريئةٌ من الأخطار والمصالح الشخصية والأغراض، وأنها فوق العصبيات، والمحسوبيات، والعلاقات.

وأمّا **الخلافة والإمارة**، فإنّه يجب عليها أن تكون ترجماناً صالحاً، وممثلةً صادقةً للشريعة الربانية، بعيدة ـ إلى حدِّ المستطاع البشري والإرادة الإنسانية ـ عن التمييز والعصبية بغير حق، بريئة عن عدم المساواة بين الناس، والمحاباة والمداهنة في الدين.

• وقد أصدر الشارع عليه الصلاة والسلام لتكميل هذه الأهداف وتحقيقها وظهور نتائجها وثمارها ـ من أول الأمر ـ تعاليمَ وإرشاداتٍ يضطرّ المسلمون ـ بناءً عليها ـ أن يكوّنوا جماعةً منظمةً مترابطةً تخضع لأحكام ولي الأمر وإدارته، الذي يمتاز عنهم ـ بصفة عامة ـ بكثير من الخصائص، ويحافظ على مصالحهم ومنافعهم وحاجاتهم، وقد اختارُوه في ضوء أصول الشريعة السَّمْحةِ الْمَرِنَة العادلة، فإذا كان ذلك الإنسان يتولّى «الإمامة الكبرى»، فإنّه يدعى بـ: «خليفة المسلمين»، و«أمير المؤمنين»، أو «الإمام». أمّا إذا كان نائباً عنه، أو مرشَّحاً منه، أو اختاره المسلمون لتنفيذ أحكام الشريعة وفصلِ الخصومات وتنظيمِ الحياة الدينية الاجتماعية ـ بشكل جزئي محلي ـ فهو «الأمير».

لقد كان اختيار الخليفة وترشيحه من تلك الواجبات الأساسية على المسلمين، أن قُدِّمَ أكبرُ المحبين للرسول ﷺ وصاحبُه الصادقُ الوفيُّ

المستميتُ دونه، سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ، وتولى الصحابة الكرام الذين كانوا يفدونه ﷺ بالمُهَجِ والأرواح، ويفضِّلونه على الأنفس والأبناء والآباء ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ مع أهل البيت الطيِّبين الأطهار ـ فَصْلَ هذه القضية، وترشيحَ خليفة المسلمين، وتعيينَهُ على دفن الجسد الطاهر ﷺ، ولا يزال هذا ـ تقريباً ـ دينَ المسلمين وطريقَهم عند وفاة أي خليفةٍ، واختيارِ خليفة آخر.

• وبقي العالم الإسلامي بدون خليفةٍ أيّام غيابِ الخليفة المسترشد بالله، ووقوعه في الأسر، حيث اعتقله السلطان مسعود السلجوقي في العاشر من رمضان عام (٥٢٩هـ) وذلك لمدة قليلة لا تتجاوز ثلاثة أشهر وسبع ليال، وقد كان هذا حادثاً أليماً، وتجربةً جديدةً قاسيةً، غَشّى بسببها على العالم الإسلامي السوادُ، وعلاه الحزنُ والكآبةُ، وقامت لها بغدادُ وقعدت، وفي تعبير المؤرِّخ ابن كثير:

«انزعج الناسُ لذلك، وزُلزلوا زلزالاً شديداً صورةً ومعنًى، وجاءت العامةُ إلى المنابر فكسروها، وامتنعوا من حضور الجماعات، وخرج النساءُ في البلد حاسرات، ينُحْنَ على الخليفة، وما جرى عليه من الأسر، وتأسّى بأهلِ بغداد في ذلك خلقٌ كثيرٌ من أهل البلاد، وتمَّت فتنةٌ كبيرةٌ، وانتشرت في الأقاليم، واستمرّ الحال على ذلك شهر ذي القعدة، والشناعةُ في الأقاليم منتشرةٌ، فكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يُحذِّره غِبّ ذلك وعاقبة ما وقع فيه من الأمر العظيم، ويأمره أن يُعيدَ الخليفة إلى مكانه ودار خلافته، فامتثلَ الملك مسعود ذلك»[١].

• ولم يحرم العالم الإسلامي من يوم اختيار سيِّدنا أبي بكر

---

(١) «البداية والنهاية»، لابن كثير (١٢/٢٠٨).

الصديق ﵁ خليفةً للمسلمين عام (١١هـ) إلى عهد الخليفة المستعصم بالله العباسي (ت٦٥٦هـ) من الخليفة المسلم.

• وإنَّ القصيدة المأساوية الحزينة المفطِّرة للقلوب والأكباد التي قالها الشيخ سعدي ـ الذي كان بعيداً عن مركز الخلافة في شيراز ـ على حادثِ شهادةِ الخليفة المستعصم بالله، التي يقول في مطلعها ما ترجمته بالعربية:

«لقد حُقَّ للسّماءِ أن تُمْطِرَ على الأرضِ الدماءَ على سُقوط المستعصم أميرِ المؤمنين».

تُصرِّح بنظرة المسلمين إلى الخليفة والخلافة، ما هو تصوُّرهم لها، وما هي عواطفُهم التي لا يملكون حبسها وكَبْتَها على حرمان العالم الإسلامي منها؟.

❁ التعريف الجامع المانع للخلافة:

• لقد عرَّف **الإمام الدِّهلوي** ـ الذي كان يملك بصيرةً نافذةً، ودراسةً عميقة واسعةً للكتاب، والسُّنَّة، والفقه، والعقائد، والكلام، والسيرة، والتاريخ، وكان عارفاً بأسرار الشريعة وحقائقها ـ **الخلافة تعريفاً جامعاً مانعاً** يصعب أن يعرَّف بأفضل وأدقّ منه، وإنّ كلَّ لفظة من ألفاظ هذا التعريف تحمِلُ في طيّاتها سِجِلّاً من المعاني والحقائق والأمثلة، يقول:

«الخلافة هي الرئاسة العامّة في التصدّي لإقامة الدين بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلّق به من ترتيب الجيوش، والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفعِ المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نيابةً عن النبي ﷺ»[1].

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ٨٣).

• ثم يقول مبيِّناً معنى «إقامة الدين» وزيادةَ إيضاحٍ له:

«عندما ننظرُ إلى الأمورِ نظرةَ استقراءٍ، وننتقلُ من الجزئياتِ إلى الكليات، ومن الكليات إلى الكلية الواحدة الشاملة للجميع، نصل إلى نتيجةٍ أنَّ الجنس الأعلى لهذه الأمور من الجزئيات المتشتِّتة والكليات المنتشرة الكثيرة (وكأنها كلِّيةُ الكليات) هي تلك الحقيقة (الكلية الجامعة) التي عنوانها «إقامة الدين»، والتي تندرج تحتها أنواعٌ أخرى، منها: إحياء العلوم الدينية التي تشتمل على تعليم الكتاب والسُّنَّة، والتذكير، والموعظة، يقول الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة][1].

الاستدلال بالقرآن الكريم على خلافة الخلفاء الراشدين:

• إنَّ أروعَ ما يحتوي عليه هذا الكتاب، وأشوقَهُ لمتذوِّقين مَعانِيَ القرآن الكريم، هو ما استدلَّ له الإمام الدهلوي على انعقاد خلافة الخلفاء الراشدين، وأنّهم أصحابُ الخلافة الراشدة الحقَّة، وأنّه تحقَّق بهم الأمرُ التكويني الرباني والمشيئة الإلٰهية، بآياتٍ كريمات من القرآن الحكيم، ولفت الأنظارَ إلى تلك الإشارات، بل التصريحات في الآيات البيِّنات، التي تثبت بداهة ـ بل في صورة نتائج رياضية قطعية في بعض المواضع ـ أنّ هذه الآيات لا تَصْدُقُ ولا تَنْطَبِقُ إلا عليهم، ولا يمكن أن يراد بها غيرهم، وأنَّ هذه النبوءات الواردة في الآيات لا ترجِعُ إلى غير أشخاصهم، وأنَّ الوعودَ التي انطوت عليها تلك الآيات لم تتحقّق في عهدٍ غيرِ عهد خلافتهم، فلو سحبنا ـ من الوسط ـ شخصياتهم وعهودَهم

(١) المصدر السابق (١/ ٨٣ و ٨٤).

لظلَّت هذه الأوصاف بدون ما تصدق عليه، ولباتت هذه الوعودُ تنتظِرُ التحقُّقَ والوقوع.

• نختارَ من بين الآيات التي أوردها الإمام الدهلوي آيتين اثنتين كنموذج، منها آية من سورة النور، يقول الربّ ﷻ:

• ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول الإمام الدهلوي: إنّ هذا الوعدَ (بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والأمن بعد الخوف) إنّما كان مع أولئك الذين كانوا موجودين وقتَ نزول سورة النور، وقد تشرَّفوا بالإسلام، وبصحبة النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وشاركوا في تأييد الدين الحنيف ونصره.

يقول الإمام الدهلوي ـ بصراحة ووضوح ـ: إنّ هذا الوعدَ لم يكن مع سيدنا معاوية رضي الله عنه، ولا مع بني أمية وبني العباس الذين لم يكونوا ـ حين ذاك ـ قد دخلوا في الإسلام، ولا كانوا موجودين في المدينة المنورة.

ثم يقول: إنّه ليس من الممكن، ولا من المعقول أن تُولَّى جماعةُ المسلمين كلُّها الخلافةَ في الأرض، ويتبوّؤون كلُّهم في وقت واحد منصب الخلافة، فلا يمكن أن يراد بذلك إلا بعض الأفراد المعدودين.

يقول:

﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾؛ أي: ليستخلفنَّ جمعاً منهم، والطاعةُ والانقيادُ من لوازم ذلك، ثم عند ما يتحقّقُ هذا الوعد يظهر الدين كله، وتحصل له السلطة والسيطرة الكاملة، وليس كما يقول الاثنا عشريون: إنّ الدين المرضيَّ عند الله يبقى ـ دوماً ـ مستتراً مخفياً، ولذلك اتخذ أئمةُ أهل

البيت التقيةَ شعارَهم، ولم يقدَّرْ لهم أن يعلنوا دينَهم ويظهروه جهاراً وعلانية.

﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أفادت هذه الآية: أن ذلك الدين الذي لا يُقْدَرُ على إظهاره في زمن هذه الخلافة الموعودة؛ ليس ديناً مرضياً مختاراً عند الله تعالى[(١)]، كذلك يقول الله تعالى:

﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾؛ أي: إنّ الله تعالى يخلق في عهد هذه الخلافة (الموعودة) جوّاً من الأمن والطمأنينة والسلام بدلاً من جَوٍّ الخوف والفزع، ويثبت ذلك أنّ هؤلاء المستخلفين وسائر المسلمين يعيشون وقت تحقق هذا الوعد في أمن وسلام، لا يرهبهم الكفار ذوو الدياناتِ المختلفة، ولا تُخيفهم جماعةٌ أو قوة.

وبالعكس من ذلك يقول الإماميون: إن أئمة أهل البيت ما زالوا في خوف ومطاردة وفزع، وأنهم استخدموا «التقية» وأنهم واجهتهم ـ دائماً ـ من قبل المسلمين أنفسهم محنٌ وبلايا، وعانوا من الذلة والإهانة، ولم يعيشوا يوماً مؤيدين منصورين[(٢)].

وقد تحقق وعد الاستخلاف والتمكين في الأرض على أيدي هؤلاء المهاجرين الأولين والحاضرين وقت نزول آية الاستخلاف، فإذا لم يكن هؤلاء خلفاء، فقد بقي هذا الوعد غير محقق، ولن يتحقق إلى قيام الساعة ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ[(٣)].

• والآية الثانية هي آية سورة [الفتح: ١٦]، يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟

(١) «إزالة الخفاء» (١/١٣٧).
(٢) المصدر السابق (١/١٣٨).
(٣) «إزالة الخفاء» (١/١٤٨).

يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

وقد بحث الإمام الدهلوي في هذه الآية بحثاً مفصَّلاً، وخلاصتُه: أنّ نبيَّ الله ﷺ خرج عام (٦هـ) مع جماعة كبيرة من أصحابه ـ بناءً على رؤيا رآها ـ إلى مكة المكرمة، قاصدين أداء العمرة، وقد خرج معه ﷺ عددٌ كبيرٌ من أصحابه لخُطورة الحادث، وظروف مكة المكرمة، وخطر قيام قريش بالمعارضة والمعاداة، ولكن لم يخرج معه الأعراب (سكان البوادي) لخوفهم ونفاقهم، وقد وقع في الحديبية ذلك الحادث التاريخي لفسخ الإحرام، ومعاهدة الصلح مع قريش الذي ذكر في كتب السيرة والحديثِ بتفصيلٍ، ووقعت هناكُ بيعة الرضوان التي أعلن الله تعالى للمشاركين فيها بنعمة رضاه، وبشَّرهم بالفتح القريب.

ثم أعلن في سورة الفتح هذه أنّ الأعراب ـ الذين لم يكونوا حاضرين وقت صلح الحديبية، والذين انصرفوا عن الزمالة والمشاركة في هذه المهمة العسيرة الخطيرة ـ لا يصحبون ولا يشاركون في هذا الفتح القريب (فتح خيبر) (الذي وقع في شهر محرم الحرام عام ٧هـ)، يقول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَاۚ بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [الفتح].

ثم قيل بعد ذلك لهؤلاء المخلّفين: إنّه لا يؤذن لكم بالمشاركة في الفتح القريب (فتح خيبر) والاستمتاع بمغانمه، ولكنّكم ستدعون إلى حرب مع أناس أولي بأس شديد، من صفاتهم أنّهم أصحاب قوة وشجاعة وبأس، ومن خصائصهم أنّهم إمّا أن يقاتلوا أو يدخلوا في الإسلام، وليس هناك حلٌّ وسط (كالجزية مثلاً)، وأنّ هذه الدعوة والنداء إلى هذه الحرب والقتال يكونُ لها من الحب والقبول عند الله تعالى، وأن

الداعي إليها يكون له من الوزن والاعتبار، ويكون له من وجوب طاعته على الناس أنّكم إذا قبلتم دعوته وأطعتموه يؤتكم الله أجراً حسناً، وإن تولَّيتم وانصرفتم كما تولَّيتم من قبل، يعذِّبكم الله عذاباً أليماً، يقول الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح].

يقول الإمام الدهلوي: «يثبتُ من قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ﴾ بالاقتضاء أنّه يكون في المستقبل داعٍ يوجّه الدعوة للأعراب (سكان البادية، الذين لم يخرجوا مع الجيوش الإسلامية بمناسبة صلح الحديبية) إلى حربٍ مع قوم ليس لها إلا صورتان اثنتان: إمّا القتال أو الإسلام، «ولا يصدقُ ذلك إلّا على المرتدين من قبائل العرب، الذين لم يكن يحل أخذ الجزية منهم، فهم إمّا أن يقاتلوا فيقتلوا في الحرب، أو يسلموا ويعودوا إلى حظيرة الدين».

ولم يتحقق هذا إلا في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قاتل المرتدين من العرب، وكان حكمُهم الشرعي ذلك لا غير، وليس من الممكن أن يراد به الروم ولا الفرس الذين كانت لهم ثلاث صور، إما القتال أو الجزية أو الإسلام، وتثبت بذلك ـ بداهةً ـ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ الذي بعث جيوشَه تحت قيادة سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه، لمقاتلة هؤلاء المرتدين، ووجَّه الدعوةَ إلى الأعراب.

ثم إنَّ الوعدَ بالأجر الحسن على قبول هذه الدعوة، والوعيدَ بالعذاب الأليم على الإعراض عنها، ليس إلّا حقّ الخليفة الراشد، ومنصبه ومكانته[1].

---

(١) انظر للتفصيل: «إزالة الخفاء» (١/ ١٩٥)، وقد جاء تأييدُ هذا الاستدلال في تفسير =

❁ محتوياتٌ قيِّمةٌ أخرى في الكتاب:

• ويشتمل هذا الكتابُ ـ علاوةً على الأدلة والبراهين وعلى إثبات خلافة الخلفاء الراشدين، وذكر مناقبهم ومآثرهم، وإنجازات عهودهم، ومجموعة قيِّمة صالحة من كلماتهم وتوجيهاتهم ـ على فوائدَ غاليةٍ وتحقيقاتٍ نادرةٍ، ونكاتٍ لطيفةٍ، ومواد قيمة، لا تتوفّر في كتب العقائد وعلم الكلام بصفة عامّة، ولا في كتب التاريخ والسير، منها تحديد القرون الثلاثة[١]، وبيانُ الفَرْقِ بين الخلافة والملك، وتفاصيلها[٢]، وشرح الملك العضوض، والتصريح بأنّ دولة بني أمية وسلطتهم المطلقة لم تكن خلافةً، وهو وإنْ كان يرى أنَّ الخلافةَ الراشدةَ انقضت مع سيدنا عليٍّ رضي الله عنه، لكنّه يتجنّب الطّعن والوقيعة وإساءة الظن بسيدنا معاوية رضي الله عنه وينصح به، بناء على ما ورد في فضله ومناقبه من أحاديث وآثار[٣].

أما خلفاء بني أمية بعده فيقول في حقهم ـ بكل صراحة ـ: «لَمَّا تسلَّط عبدُ الملك (بن مروان) على الحكومة زالتِ الفوضى والاضطراب، وظهرت أمورُ الخلافة الجائرة ـ التي بيّنها الرسول ﷺ في أحاديث متعددة ـ على مسرحِ الوجود[٤]».

= العلّامة شهاب الدين محمود الآلوسي (.... م = ١٢٧٠هـ) المعروف بـ«روح المعاني»، يقول الآلوسي: «المراد بالمغانم: مغانم خيبر، كما عليه عامة المفسّرين ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، وهم على ما أخرجَ ابنُ المنذر والطبراني عن الزهري: بنو حنيفة، ومسيلمة، وقومه أهل اليمامة، وعن رافع بن خديج: إنّا كنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم مَنْ هم، حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم أريدوا بها، وشاع الاستدلال بالآية على صحّةِ إمامةِ أبي بكر رضي الله عنه: «روح المعاني» (ص١٠١ ـ ١٠٤).

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢). (٢) المصدر السابق (١/ ١٢٦).

(٣) المصدر السابق (١/ ١٤٦).

(٤) «إزالة الخفاء» (١/ ١٤٣)، ويقول المؤلف عن يزيد بكل صراحة: «دعاة الضلال يزيد =

• ومن خصائص هذا الكتاب احتواؤه على مادّة زاخرة في المنهج الفقهي لسيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه، ولفتاواه وأحكامه وأقضيته، وقد تكوَّن منها ظهورُ «فقه الفاروق رضي الله عنه»(١).

• ولعلّ هذه الخطوة نحو عرض «فقه الفاروق رضي الله عنه» بصورة متميّزة فريدة، وجمع اجتهاداته وأَقيِسَته وفتاواه؛ كانت الخطوةَ المباركةُ الأولى التي أنجزها الإمام الدهلوي مع أولياته وسوابقه العديدة، ولم يُؤلَّف ـ إلى الآن ـ في هذا الموضوع أيُّ كتاب مستقلٍّ جامع، إلا أنّ الدكتور محمد روَّاس قلعه جي رتّب كتاباً ضخماً كبيراً باسم «موسوعة [فقه] عمر بن الخطاب [عصره وحياته] رضي الله عنه»، قامت بنشرها مكتبة الفلاح بالكويت ويشتمل الكتاب على ٦٨٧ صفحة من القطع الكبير(٢).

• ومع إثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وذكر فضلهم ومناقبهم ومآثرهم وخدماتهم العظيمة بإسهاب وتفصيل يتجلّى فيه تذوُّق الإمام الدهلوي للموضوع، وحماسه واندفاعه نحو الإشادة بجليل أثرهم، والذي كان تلبيةً لحاجة ماسَّة كانت من مقتضيات عصره، ومن العوامل والدوافع القوية إلى تأليف هذا الكتاب.

• لم يتحفَّظ الإمام الدهلوي في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وجلائل أعماله ومآثره، ولم يضنَّ في ذلك بشيء، بل ذكر سيدنا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه بكلِّ حبٍّ وإجلالٍ، واعترافٍ بحقوقه ومكانته

= بالشام، والمختار الثقفي بالعراق». «حجة الله البالغة» (٢/ ٢١٣)، وكذلك وصفه في بحث المناقب بقوله: «كان منافقاً أو فاسقاً» (ص٢١٥).

(١) راجع: «إزالة الخفاء» (٢/ ٨٥ ـ ١٤٢).

(٢) وقد طبع أخيراً في دار النفائس ببيروت في سلسلة الموسوعة الفقهية عام ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.

الجليلة، وعواطف الحبِّ والشوق نحو أهل البيت الكرام، بتفصيلٍ وإفاضةٍ، وقد بدأ مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ﵁ ومآثرَه بقوله: «مآثرَ أمير المؤمنين وإمام الشجعان أسدِ الله الغالب عليِّ بن أبي طالب ﵁»، كذلك يذكر السيدين الحسن والحسين ﵄ بحبّ وإجلال وإكبار.

• ويعُدُّ في الوقائع الهائلة العظيمة بعد وفاة النبي ﷺ شهادةَ سيدنا عثمان ﵁ في الفتنةَ الأولى التي وقعت في الإسلام[١]، وشهادةَ بضعة الرسول ـ سيدنا الحسين ﵁ ـ في الفتنة الثانية، وأورد حديثاً من «مشكاة المصابيح» برواية البيهقي، يفيد أنّ نسبة سيدنا الحسين ﵁ إلى الرسول ﷺ كنسبة مضغة اللحم إلى الجسم، وأنَّ نبيَّ الله ﷺ قد تنبَّأ باستشهادِ سيدنا الحسين ﵁ على أيدي أفرادٍ من أمته[٢].

• وقد عدَّ من هذه الفتن واقعة الحرَّة العظيمة، التي انتُهكت فيها حرمةُ المدينة المنورة في عهد يزيد، ووقع من القتل والنهب والسلب ما يَندى له الجبينُ، وتعرّضت المدينةُ وأهلُها للامتهان والذّلة وانتهاك الحُرُمات[٣]، وقد انتقد الإمامُ الدهلوي بني أمية في مواضع كثيرة من الكتاب[٤]، وهكذا جاء الكتابُ ميزاناً عادلاً وسَطاً، لا يميل نحو الإفراط ولا التفريط، وهذا هو شعارُ أهل السُّنَّة والجماعة، وموقفهم المتَّزِنُ الصحيح.

۞ الدَّلالة على الفتن والتَّغيُّرات الحادثة بعد وفاة النبي ﷺ:

• إنَّ من أكبر خصائص هذا الكتاب أنّه تتجلَّى فيه صورةٌ بارزةٌ مجسَّدةٌ لتاريخ الإسلام الديني، والتغيُّرات الدينية والعقلية والفكرية التي

(١) انظر: «إزالة الخفاء» (١/ ١٥٤).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٥٤).
(٣) المصدر السابق (١/ ١٥٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

طرأتْ عليه، إنّ كتب التاريخ العلمي والسياسي للإسلام كثيرةٌ لا تُحصى، ولكننا لا نعثرُ على كتابٍ يشيرُ إلى معالم التغيرات الخُلقية والعلمية والعقلية في أثناء تسلسل التاريخ المدني والسياسي للإسلام (مهما كانت هذه التغيّراتُ الحادثةُ خفيفةً قليلةً باهتة اللون لا تكشف إلا بمجهر المعرفة الدقيقة للطبيعة الإسلامية)، وكل ما يوجد في عامّة الكتب بهذا الصدد لا يعدو مادة متفرقة منتشرة.

ولم يخترْ أحدٌ من المؤلِّفين هذا الموضوع عنواناً لبحثه المستقل، أما الإمام الدهلوي فإنه يذكر الفتن الحادثة في القرون المشهود لها بالخير، والفتن التي حدثتْ بعده[١]، واختلافَ الأحكام بين خير القرون وشرِّ القرون[٢]، والتَّغيرات الفكرية والمعنوية التي طرأتْ ضمن التغيرات الكلية، والتي وقعت في عهد الرسالة، وبعدَ خير القرون.

• وقد جاءت عناوينُ هذه المباحث **كما يلي**:

ظهورُ الكذب، التقعُّر والمغالاة فيما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتجويده، والاكتفاءُ بقراءة القرآن الكريم وتلاوته، وقلةُ التدبر والتفقُّهِ فيه، والتقعير وشقّ الشعرة في المسائل الفقهية، البحثُ والجدال في المسائل الفرضيّة التي لم تقع أصلاً، تأويلُ متشابهاتِ القرآن وإبعادُ النجعة فيه، توليدُ الأسئلة الطريفة في العقائد والإلٰهيات، إحداث الأوراد والأحزاب بنيّة التقرب إلى الله تعالى التي لا توجد في السُّنَّة المأثورة، الالتزامُ بالمستحبَّات كالالتزام بالواجبات، انقراضُ الشورى الاجتماعية ومراجعةُ العلماء الصالحين في الإفتاء، نشوء فرق جديدة كالقدرية والمرجئة وغيرهما، رفع الثقة المتبادلة بين المسلمين، وعدم أمن بعضهم بعضاً، سيطرةُ أولئك على الدولة الذين لا يتأهلون لها أصلاً، أو هم من

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٢٢).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٣٦).

رجال الدرجة الثانية أو الثالثة، الكسلُ والتواني في إقامة أركان الإسلام[١].

۞ ظهور الكتاب ونشره:

• طُبع هذا الكتاب ـ لأوّل مرة ـ بإشارةٍ من الشيخ جمال الدين خان وزير بوفال، وبعِناية الشيخ محمد أحسن الصديقي عام (١٢٨٦هـ) بالمطبعة الصديقية ببريلي، وكانت عنده ثلاث نسخ من الكتاب، قام بالمقابلة بينها وتصحيحها، نسخة الشيخ جمال الدين ببوفال، ونسخة ثانية للشيخ أحمد حسن الأمروهي، ونسخة ثالثة للشيخ نور الحُسْن، وهناك من القرائن ما يدلّ على أن المؤلّف الإمام لم يُعِدِ النظرَ في الكتاب.

وصدرت الطبعة الثانية للكتاب من أكاديمية سهيل، لاهور، باكستان، عام (١٣٩٦هـ الموافق ١٩٧٦م)، وهي صورةٌ عن الطبعة الأولى[٢].

• ونقل إمام السُّنَّة الشيخ عبد الشكور الفاروقي اللكنوي هذا الكتاب إلى الأردية، ولكنّ هذه الترجمة تنتهي إلى الفصل الخامس، وأسماها بـ«كشف الغطاء عن السُّنَّة البيضاء» ويشتمل ما طبع منها على ٣٣٦ صفحة، وتمّ طبعها في عمدة المطابع بلكنو عام (١٣٢٩هـ).

۞ ۞ ۞

---

(١) «إزالة الخفاء» (١/ ١٣٣).

(٢) وكانت هذه الطبعة بين أيدينا عند كتابة هذا الباب، وقد أحلنا فيه إلى صفحاتها.




ترجمة المؤلف

بقلم: الأستاذ الدكتور فضيلة الشيخ تقي الدين الندوي
حفظه الله ورعاه

الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي
(١١١٤ ـ ١١٧٦هـ = ١٦٩٩ ـ ١٧٦٢م)

• هو الشيخ الإمام الهمام، حجة الله بين الأنام، إمام الأئمة، قدوة الأمة، علّامة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، زعيم المتضلعين بحمل أعباء الشرع المتين، محيي السُّنَّة، وعَظُمَتْ به للهِ علينا المنة، شيخ الإسلام، قطب الدين، أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، واسمه التاريخي عظيم الدين، وكان يكنّى بأبي عبد العزيز.

وينتهي نسبه من قبل **والده** إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن قبل **أمه** إلى موسى الكاظم رحمه الله.

وكان أبوه الشيخ عبد الرحيم[1] من وجوه مشايخ دهلي ومن أعيانهم، له حظ وافر من العلوم الظاهرة والباطنة، مع علوٍّ كعبه في طريقة الصوفية.

---

(١) انظر ترجمته في: كتاب «أنفاس العارفين» (ص٨٣ ـ ٨٥).

• **ولادته**: ولد يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة أربع عشرة ومئة وألف في أيام عالمگير، في بيت أخواله بقرية «پُهلت» في مديرية «مظفر نگر» بولاية أُترابراديش.

نشأته:

لمّا بلغَ الإمامُ الدهلوي الخامسةَ من عمره أُدخلَ الكُتّاب، وفرغ في أواخر السنة السابعة من حفظ القرآن الكريم، وكذلك فرغ من العلوم المتداولة في هذه البلاد، وهو في الخامسة عشر من عمره، وأُجيزَ بالدرس.

• وكان قد قرأ طرفاً من «المشكاة» و«الجامع الصحيح» للبخاري و«الشمائل» للترمذي، و«المدارك»، والفقه وأصوله والمنطق والكلام وغيرها من العلوم على أبيه.

• وكان استفاد من إمام الحديث في زمانه الشيخ محمد أفضل السيالكوتي (المتوفى ١١٤٦هـ) وانتفع به.

• وبايع والدَه، واشتغل بأشغال المشايخ النقشبندية، وحصلتْ له إجازة البيعة والتلقين وهو ابن سبعة عشر سنة.

• ثم اشتغل بالتدريس نحواً من اثنتي عشرة سنة منذ (١١٣١هـ = ١٧١٩م)، وحصل له الفتح العظيم في التوحيد، والجانب الواسع في السلوك، ونزل على قلبه العلوم الوجدانية فوجاً فوجاً، وخاض في بحار المذاهب الأربعة وأصول فقههم خوضاً بليغاً، ونظر في الأحاديث التي هي متمسكاتهم في الأحكام، وارتضى من بينها ـ بإمداد النور الغيبي ـ طريقَ الفقهاء المحدثين.

رحلته إلى الحرمين الشريفين:

• رحلة الإمام الدهلوي إلى الحجاز؛ وإقامتُه به تحتل في حياته

العلمية والفكرية والدعوية والتجديدية مكانةً تاريخيةً كبيرةً، وتعتبر باباً جديداً وخطّاً فاصلاً بين عهدين، إنّه اشتاق إلى زيارة الحرمين الشريفين، فرحل إليهما في سنة (١١٤٣هـ)، ومعه خاله الشيخ عُبيد الله البارهوي الفلتي، وابن خاله الشيخ محمد عاشق ابن الشيخ عبيد الله الفلتي، والشيخ نور الله الصديقي البرهانوي وغيرهم من أصحابه، فأقام بالحرمين عامين كاملين، وصحب علماء الحرمين صحبة شريفة، وحج في أثناء قيامه مرتين، وزار المدينة المنورة، وتتلمذ على كبار شيوخ المحدثين منهم:

١ ـ الشيخ المحدث **أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني** في المدينة المنورة، وتلقّى منه جميع «صحيح البخاري» ما بين قراءة وسماع، وشيئاً من «صحيح مسلم»، و«جامع الترمذي»، و«سنن أبي داود»، و«سنن ابن ماجه»، و«موطأ الإمام مالك»، و«مسند الإمام أحمد»، و«الرسالة» للشافعي، و«الجامع الكبير»، وسمع منه «مسند الحافظ الدارمي»، وشيئاً من «الأدب المفرد» للبخاري، وشيئاً من أول «الشفا» للقاضي عياض، وسمع عليه «الأمم لإيقاظ الهمم» بتمامه، وأطراف باقي الكتب الستة، و«كتاب الأم» للشافعي، فأجازه الشيخ أبو طاهر إجازةً عامةً بما تجوز له.

• وذكر العلّامة محسن بن يحيى الترهتي في «اليانع الجني»[1]: أنّ الشيخ أبا طاهر كان يقول: كان الشيخ ولي الله يسند عني اللفظ، وكنت أصحح عنه المعنى، وكتب ذلك في إجازته له أيضاً.

• وقد كان الشيخ أبو طاهر ـ رغم كونه محدِّثاً جليلاً ـ حسن الظن

(١) (ص٨١).

بالصوفية، محترزاً عن انتقادهم، يقول الإمام الدهلوي: إنّي لما ذهبتُ إلى الشيخ أبي طاهر للتوديع والمغادرة إلى الوطن أنشدني هذا البيت:

نَسِيْتُ كلَّ طريقٍ كنتُ أَعْرِفُهُ   إلّا طَرِيْقاً يؤدّيني لِرَبْعِكُمُ

وكان ردُّ الإمام الدهلوي كذلك، ويقول الشيخ عبد العزيز الدهلوي: لمّا أراد والدي العودة من المدينة المنورة قال لشيخه أبي طاهر، وقد سُرَّ الشيخ بهذا القول: إنّني قد نسيتُ كل ما قرأته سابقاً إلّا علوم الدين وعلم الحديث النبوي الشريف بصفة خاصة، وقد صدّقت ذلك حياةُ الإمام الدهلوي وأشغالِه وأعمالِه فيما بعد، وقد حقّق ما نطق به لسانه، وأثبت القول بالعمل، ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣][1].

يقول الإمام الدهلوي في شأن الشيخ أبي طاهر الكردي: وهو في هذا العصر أحفظُ أهل المدينة وأشبهُهم بالسلف الصالح في سيرته وطريقته، وإسنادُه أقوى، ومشايخُه أكثر[2].

٢ ـ ومنهم السيد **عمر بن أحمد بن عقيل**، وهو ابن بنت الشيخ عبد الله بن سالم البصري المكي، سمع منه أطراف الكتب الستة وغيرها، وأجاز له بجميع مرويّاته، وهو أخذها عن جدّه لأمه عبد الله المذكور الذي كان في ذلك العصر حافظَ الحديث[3].

٣ ـ ومنهم الشيخ **تاج الدين القلعي**[4] (المتوفى ١١٤٤هـ) مفتي الحنفية بمكة المكرمة، سمع منه أطراف الكتب الستة، و«موطأ مالك»،

---

(١) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٤٨٤).

(٢) انظر: «إتحاف النبيه» (ص٧٦).

(٣) انظر: «إتحاف النبيه» (ص٧٦)، و«فهرس الفهارس» (٢/ ١٨٩).

(٤) انظر ترجمته في: «إنسان العين» (ص٢٠)، و«أبجد العلوم» (ص٨٤٨).

و«مسند الدارمي»، و«كتاب الآثار» لمحمد، وأجازه بجميع مرويّاته عن الحسن العُجيمي وأحمد النخلي، وعبد الله بن سالم البصري وغيرهم.

٤ ـ ومنهم الشيخ المحدِّث **وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي**، أخذ عنه الإجازة لجميع مروياته عن والده حافظ الحديث ومجمع الفضائل الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي ـ الذي يملك النسخة اليونينية، وجاء بها من «إستنبول» إلى الحرمين الشريفين ـ وقرأ عليه ـ زيادةً على ما تقدم ـ جميعَ «الموطأ» برواية يحيى بن يحيى المصمودي، وأجازه الشيخ بروايته[1].

وعاد إلى الهند سنة خمس وأربعين ومئة وألف.

وأعظمُ الفوائد التي حصلت للإمام الدهلوي في الحرمين الشريفين هو تذوّقُ الحديث النبوي الشريف، والتوسع فيه، ومعرفةُ مناهج علماء الحرمين الشريفين في التدريس والتربية، والاطلاع على مؤلفات علماء الحديث والتفسير وغيرهما من العلوم في قيامه في الحرمين الشريفين، وكانت مجاورةُ بيت الله الحرام وبركاتُ جوار النبي ﷺ، والأوضاعُ المضطربة في الهند، واضطراب الدولة الإسلامية فيها، والاطلاع على سيطرة القوى الأجنبية، وإحكام الاستيلاء عليها يوماً فيوماً، كلّ ذلك كان من الأسباب والدوافع القوية إلى نيَّة الهجرة والإقامة في الحجاز، لكنّه عزم على العودة إلى الهند، وكان فيها تحقيق تلك البشارة النبوية التي تلقّاها في المدينة المنورة وهي: **إنّ مرادّ الحقّ فيك أنْ يجمعَ شملاً من شَمْلِ الأمةِ المرحومةِ بك**[2].

يمكن أن يفهم سبب رجوعه إلى الهند أيضاً بالرؤيا المعروفة التي

---

(١) «إنسان العين» (ص١٥ ـ ١٦).

(٢) انظر: «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٤٨٦).

ذكرها في مقدمة «حجة الله البالغة»، و«الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» ﷺ قال: رأيتُ كأنّ الحسن والحسين رضي الله عنهما نزلا في بيتي، وبيد الحسن رضي الله عنه قلمٌ قد انكسر لسانه، وبسط إليَّ يده ليعطيني وقال: هذا قلمُ جدّي رسول الله ﷺ، ثم أمسك يده وقال: حتّى يصلحه الحسين، فليس ما يصلحه الحسين كما لم يصلحه غيره، فأخذه الحسين رضي الله عنه فأصلحه ثم ناولنيه فسُررت به، ثم جِيْءَ برداءٍ مخطّط، فيه خط أخضر، وخط أبيض، فوضع بين يديهما، فرفعه الحسين رضي الله عنه وقال: هذا رداءُ جدي رسول الله ﷺ، ثم ألبسنيه، فوضعته على رأسي تعظيماً، وحمدتُ الله تعالى، فمن يومئذٍ انشرحَ صدري للتصنيف في العلوم الشرعية(١).

❁ أعماله بعد العودة من الحجاز:

لمّا عاد إلى الهند طار صيتُه في البلاد، وأقبل الطلّاب والعلماء إليه من أطراف البلاد للاستفادة من علومه وفيوضه، وقال الشيخ عبد العزيز ولده الأكبر: كان والدي قد هيّأ في كلّ فنٍّ وعلم رجلاً من أصحابه، وكان يعهد بطالب ذلك الفنّ إليه، ويسند إليه التدريس في المدرسة الرحيمية، وتفرغ للأعمال المهمة، وخصص أوقاتها لإنجازها وهي:

١ ـ بيان المعارف والحقائق.

٢ ـ الاشتغال بتحرير المعارف والأسرار وتدوينها.

٣ ـ تدريس الحديث النبوي الشريف.

قال الشيخ عبد العزيز: وكان إذا انكشف عليه شيءٌ في أثناء تدريسه سجّله، وكان قليلاً ما يمرض، ويقول: لم أرَ مثل السيد الوالد

(١) انظر: «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» (ص١٥٣).

في قوة ذاكرته، ولا أقولُ: إنني لم أسمع بمثله، ولكنني لم أشاهد، وكان ـ علاوة على علومه وفضائله ـ عديمَ النظير في ضبط أوقاته، وكان إذا جلس مجلسه بعد الشروق لم يغير جلسته، ولا يَحُكُّ جسده، ولا يبصق إلى الظُّهر[1].

❁ مآثره وفضائله:

١ ـ **منها**: ما أكرمه الله تعالى به من **الفصاحة في اللغة العربية**، وربط الخاص بالفنون الأدبية في النظم والنثر، كأنه نشأ ببادية من بوادي هوازن أو تميم.

٢ ـ **ومنها**: علوم **الفقه على المذاهب الأربعة** وأصحابهم، واطلاعه على مآخذ المسائل، ومنازع الحجج والدلائل.

٣ ـ **ومنها**: علم **الحديث والأثر**، مع ضبط المتون، وضبط الأسانيد، والنظر في دواوين المجاميع والمسانيد، ولم يتفق لأحدٍ قبله ممن كان يعتني بهذا العلم من أهل قطره ما اتفق له من رواية الأثر وإشاعته، والجهود الموفقة للتطبيق بين الفقه والحديث والدعوة إليه.

٤ ـ **ومنها**: علوم **القرآن والتفسير**، وتأويل كتاب الله العزيز، ومن نظر في كتبه شهد بتوفر حظه منه، إنه لنعم الترجمان لكتاب الله وتأويله، وكاشف حقائقه.

٥ ـ **ومنها**: أصول هذه العلوم ومبادئها التي هذّبها الشيخ رحمه الله تعالى تهذيباً بليغاً، ولخّص أمهاتها تلخيصاً عجيباً، حتى يكادَ أن يصحَّ أن يقال: إنّه باني أُسّها، وباري قوسها.

وأما **أصول التفسير**، فكتابه «الفوز الكبير» فيها شاهد صدق على

(١) انظر: «ملفوظات الشيخ عبد العزيز» (ص١١).

براعته على كثير من أصلها، والحق أنه متفرد بتحقيق هذا الفن وتحقيقه، وأما **أصول الحديث** فله فيها باع رحيب، وقد أشار ابنه الشيخ عبد العزيز إلى أنّ له فيها تدقيقات مستظرفة لم يُسبق إليها، وأما **أصول الفقه**، فإنه شرح أصول المذاهب المختلفة وجمعها، وبين الفرق بين الأمور الجدلية والأصول الفقهية، وردّ وجوه الاستنباط على كثرتها إلى عشرة، وأسس قواعد الجمع بين مختلف الأدلة وبين قوانين الترجيح.

٦ ـ **ومنها**: علم **العقائد وأصول الدين**، فإنه أتى بأسرار غامضة في التطبيق بالمأثور مما لا يهتدي إليها في الأعصار إلّا واحدٌ بعد واحدٍ ممن يجتبيه الله تعالى، وقد جمع الله في صدره ما شتّته بين المحدِّثين والمتكلمين والفقهاء.

٧ ـ **ومنها**: آداب **السلوك وعلوم الحقائق**، فإنّه أفاض من المعارف والأسرار على أهلها ما شهد بصدقه شاهدا صدق من المعقول والمنقول.

٨ ـ **ومنها**: فنون من **علم التفسير**؛ كبيان العلوم الخمسة، وتأويل الحروف المقطعات في أوائل السور، وتوجيه قصص الأنبياء.

٩ ـ **ومنها**: **ترجمة القرآن باللغة الفارسية**، سمَّاها: «فتح الرحمٰن في ترجمة القرآن».

١٠ ـ **ومنها**: ما ألقى الله في قلبه وقتاً من الأوقات **ميزاناً يعرف به سبب كل اختلاف** وقع في الملة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، ويعرف به ما هو الحق عند الله وعند رسوله ﷺ، قد ذكر نموذجاً من ذلك في «الإنصاف»، و«عقد الجيد»، و«الهمعات»، وغير ذلك من مصنفاته.

١١ ـ **ومنها**: ما صبَّ الله في صدره من نور كشف له **وجوه أسرار الشريعة**، ثم شرح صدره لبيانها، فعرض الشريعة الإسلامية في صورة متناسقة مُدَعَّمة بالأدلة والبراهين.

١٢ ـ ومنها: بيان **مكانة الخلافة ووظيفتها في الإسلام**، وشرح خصائص الخلافة الراشدة ومميزاتها وإثباتها بالأدلة، والرد على الروافض.

١٣ ـ ومنها: **عمله التجديدي القيادي** في أهل الاضطراب السياسي واحتضار الدولة المغولية، والحسبة على مختلف طبقات الأمة، والدعوة إلى الإصلاح والتغيير.

١٤ ـ ومنها: **تمييز السُّنَّة السنية من البدع** غير المرضية.

١٥ ـ ومنها: القيام **بتربية العلماء الراسخين**، وتخريجهم، حتى يقوموا بعده بهذا العمل التجديدي من الإصلاح ونشر الدين الصحيح، وينقلوه إلى الأجيال القادمة[١].

❁ ثناء الأئمة عليه:

• قال شيخه أبو طاهر **محمد بن إبراهيم المدني**: إنه يسند عني اللفظ، وكنتُ أصحِّحُ منه المعنى، أو كلمة تشبه ذلك، كتبها في وثيقة إجازته له، هذا يقرُب من قول البخاري في أبي عيسى الترمذي حين قال له: ما انتفعتُ بك أكثرُ ممّا انتفعت بي، وليس وراءه مفخرة ترام، ولا فوقها منقبة تتمنى.

• وقال الشيخ الشرف **محمد الحسيني** في كتابه «الوسيلة إلى الله»: كاد الزمان أن يكون شبيهاً بزمان الجاهلية، فاقتضى التدبير الكلي والحكمة الأزلية أن تظهر حقيقة الحقائق بالقدر المشترك الجامع بين علوم النبوة والولاية، بل الجامع بين العلوم المعتدة كلها من التفسير

(١) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/ ٤١٤ ـ ٤١٤)، و«اليانع الجني» (ص٨٥)، و«رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٥٠٤).

والحديث والفقه والكلام والتصوف والسلوك، فيُنزِلُ كلَّ علمٍ منزلته، ويبلغُ كلَّ عبارة وإشارة مبلغها، وهو الكامل المكمّل، زبدة المتقدمين، قدوة المتأخرين، قطب المدققين، غوث المحققين، الشيخ ولي الله الدهلوي ـ سلَّمه الله سبحانه ـ.

• وذكر الشيخ غلام علي العلوي الدهلوي في «المقامات» أنّ شيخه الميرزا جانجانان العلوي الدهلوي (المتوفى ١١٩٠هـ = ١٧٨١م) كان يقول: إنّ الشيخ ولي الله له أسلوبٌ خاص في تحقيق أسرار المعارف وغوامض العلوم، وإنّه ربانيٌّ من العلماء، ولعلَّه لم يوجد مثله في الصوفية المحققين، الذين جمعوا بين علمي الظاهر والباطن إلا رجال معدودون.

• يقول الشيخ **محسن يحيى الترهتي** صاحب «اليانع الجني»: إنّ العلّامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي[1] (المتوفى ١٢٧٨هـ = ١٨٦١م)، وقعت في يده نسخةٌ من كتاب «إزالة الخفاء»، فأولع بها وكان يكثر النظر فيها أوان فراغه من درسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلمّا وقف على كثير منها قال في محضر من الناس: إنّ الذي صنَّف هذا الكتاب لبحر زخّار لا يُرى له ساحلٌ[2].

• وقد حكي عن المفتي **عناية أحمد الكاكوري** (المتوفى ١٢٧٩هـ = ١٨٦٣م) أنه كان يقول: إنّ الشيخ ولي الله مَثَلُه كمثل شجرة طوبى، أصلها في بيته، وفرعها في كلّ بيت من بيوت المسلمين، فما من بيتٍ ولا مكانٍ من بيوت المسلمين إلا وفيه فرعٌ من تلك الشجرة، ولا يعرف غالبُ الناس أين أصلها.

---

(١) وقد وقعت بينه وبين أبناء الإمام الدهلوي والذين كانوا على طريقته مطارحات علمية، ومناقشات علمية، لذلك كانت لشهادته قيمة كبيرة.

(٢) انظر: «اليانع الجني» (ص٣٩).

• وذكر شيخنا الإمام **محمد زكريا الكاندهلوي** المدني: أنِّي كتبتُ إلى جميع من يشتغل في الهند بالحديث أن يكتب إليَّ سنده إلى أصحاب كتب الحديث، فتحقق لي من أجوبتهم أنّه لا سندَ لأهل الهند إلا والشاه ولي الله قدَّس سره واقع في أثناء سنده.

• قال السيد **صديق خان القنوجي** في «الحطة بذكر الصحاح الستة» (ص١٦١) في ذكر مَنْ جاء بعلم الحديث في الهند: ثم جاء الله ﷻ من بعدهم بالشيخ الأجل، والمحدّث الأكمل، ناطقُ هذه الدورة وحكيمُها، وفائقُ تلك الطبقة وزعيمُها: الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، المتوفى سنة ست وسبعين ومئة وألف، وكذا بأولاده الأمجاد، وأولاد أولاده أولي الإرشاد، المشمِّرين لنشر هذا العلم عن ساعد الجد والاجتهاد، فعاد بهم علمُ الحديث غضّاً طرياً، بعد ما كان شيئاً فريّاً، وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين، ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومُحْدَثاتِ الأمور في الدين ما ليس بخافٍ على أحد من العالمين، فهؤلاء الكرام قد رجّحوا علم السُّنَّة على غيرها من العلوم، وجعلوا الفقه كالتابع له والمحكوم، وجاء تحديثهم حيث يرتضيه أهل الرواية، ويبغيه أصحاب الدراية، شهدت بذلك كتبهم وفتاواهم، ونطقت به زُبرهم(١) ووصاياهم، ومن كان يرتاب في ذلك فليرجع إلى ما هنالك، فعلى الهند وأهلِها شكرُهم ما دامت الهند وأهلها:

من زَارَ بابَكَ لَمْ تَبْرَحْ جَوارِحُه ... تَروِي أحادِيْثَ ما أوليْتَ مِنْ مِنَنِ
فالعَيْنُ عن (قُرَّةٍ) والكَفُّ عن (صلةٍ) ... والقلبُ عن (جابرٍ) والسمعُ عن (حَسنٍ)(٢)

---

(١) أي: كتبهم.
(٢) ومن الطريف أن المنن التي ذكرتها هذه الجوارح وأشادت بها، والأسماء التي =

وقال القنوجي في «أبجد العلوم» (٣/ ٢٤٣): كان بيته في الهند بيتَ علم الدين، وهم كانوا مشايخ الهند في العلوم النقلية بل والعقلية، أصحاب الأعمال الصالحات، وأرباب الفضائل الباقيات، لم يعهد مثل علمهم بالدين علم بيت واحد من بيوت المسلمين في قطر من أقطار الهند، وإن كان بعضُهم قد عرف بعضَ علم المعقول، وعُدّ على غير بصيرة من الفحول، ولكن لم يكن علم الحديث والتفسير والفقه والأصول وما يليها إلا في هذا البيت، لا يختلف في ذلك مختلف من موافق ولا من مخالف؛ إلا من أعماه الله عن الإنصاف، ومسَّته العصبية والاعتساف، وأين الثرى من الثريا؟ والنبيذ من الحُمَيَّا؟ والله يختصُّ برحمته من يشاء.

مؤلفاته:

للإمام الدهلوي مؤلفات كثيرة في اللغتين العربية والفارسية نذكر أسماء بعضها حسب حروف المعجم:

(أ)

١ ـ «الأربعين» (بالعربية).

٢ ـ «الإرشاد إلى مهمّات الإسناد» (بالعربية) ط.

٣ ـ «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» (بالفارسية) ط.

٤ ـ «أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم» (بالعربية) ط.

٥ ـ «ألطاف القدس في لطائف القدس» (بالفارسية) ط.

= أشارت إليها في هذا الصدد، كلها أسماء رواة الحديث والشيوخ المحدثين، مثل قرة بن خالد السدوسي، وصلة بن أشيم العدوي، وسيدنا جابر بن عبد الله ، والحسن البصري رحمهم الله أجمعين، «رجال الفكر والدعوة» (٤/ ٥٥١).

٦ ـ «الإمداد في مآثر الأجداد» (بالفارسية) ط.

٧ ـ «الانتباه في سلاسل أولياء الله» (بالفارسية) ط.

٨ ـ «إنسان العين في مشايخ الحرمين» (بالفارسية) ط.

٩ ـ «الإنصاف في أسباب الخلاف» (بالعربية) ط.

١٠ ـ «أنفاس العارفين» (بالفارسية) ط.

(ب)

١١ ـ «البدور البازغة» (بالعربية) ط.

١٢ ـ «بوارق الولاية» (بالفارسية).

(ت)

١٣ ـ «تأويل الأحاديث» (بالعربية) ط.

١٤ ـ «تحفة الموحِّدين» (بالفارسية).

١٥ ـ «التفهيمات الإلٰهية» (بالعربية والفارسية) ط.

(ج)

١٦ ـ «الجزء اللطيف في ترجمة العبد الضعيف» (بالفارسية) ط.

(ح)

١٧ ـ «حجة الله البالغة» (بالعربية) ط.

١٨ ـ «حسن العقيدة» (بالعربية) ط.

(خ)

١٩ ـ «الخير الكثير» (بالعربية) ط.

(د)

٢٠ ـ «الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين» (بالعربية) ط.

٢١ ـ «ديوان الشعر العربي» جمعه ولده الشيخ عبد العزيز، ورتبه الشيخ رفيع الدين.

(ر)

٢٢ ـ «الرسائل الثلاث» (بالعربية) ط.

٢٣ ـ رسالة في الرد على رسالة الشيخ خواجه خورد عبد الله بن عبد الباقي.

٢٤ ـ «رسالة الحكمة» (بالفارسية).

(ز)

٢٥ ـ «الزهراوين» في تفسير سورة البقرة وآل عمران.

(س)

٢٦ ـ «السطعات» (بالفارسية) ط.

٢٧ ـ «سرور المحزون» (بالفارسية) ط.

(ش)

٢٨ ـ «شرح تراجم أبواب البخاري» (بالعربية) ط.

٢٩ ـ «شفاء القلوب» (بالفارسية).

٣٠ ـ «شوارق المعرفة» (بالفارسية).

(ع)

٣١ ـ «العطية الصمدية في الأنفاس المحمدية» (بالفارسية).

٣٢ ـ «عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد» (بالعربية) ط.

(ف)

٣٣ ـ «فتح الرحمٰن في ترجمة القرآن» (بالفارسية).

٣٤ ـ «فتح الخبير بما لا بد من حفظه في علم التفسير» (بالعربية) ط.

٣٥ ـ «فتح الودود لمعرفة الجنود» (بالعربية).

٣٦ ـ «الفضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين» (بالعربية) ط.

٣٧ ـ «الفوز الكبير في أصول التفسير» (بالفارسية) ط.

٣٨ ـ «فيوض الحرمين» (بالعربية) ط.

(ق)

٣٩ ـ «قرة العينين في تفضيل الشيخين» (بالفارسية) ط.

٤٠ ـ «القول الجميل في بيان سواء السبيل» (بالفارسية) ط.

(ك)

٤١ ـ «كشف الغين عن شرح الرباعيتين» (بالفارسية).

(ل)

٤٢ ـ «لمعات» (بالفارسية) ط.

(م)

٤٣ ـ «المقالة الوضيئة في الوصية والنصيحة» (بالفارسية) ط.

٤٤ ـ «المقدمة السنية في الانتصار للفرق السنِّية» (بالعربية).

٤٥ ـ «المقدمة في قوانين الترجمة» (بالفارسية) ط.

٤٦ ـ «المسوى من أحاديث الموطأ» (بالعربية) ط.

٤٧ ـ «المصفى» (بالفارسية) ط.

٤٨ ـ «المكتوب المدني» (بالعربية).

٤٩ ـ «مجموعة رسائل في مناقب الإمام البخاري وفضل ابن تيمية» (بالفارسية والعربية).

(ن)

٥٠ ـ «النبذة الإبريزية في اللطيفة العزيزية» (بالفارسية).

٥١ ـ «النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر» (بالعربية).

(هـ)

٥٢ ـ «الهمعات» (بالفارسية) ط.

٥٣ ـ «هوامع شرح حزب البحر» (بالفارسية).

❁ وفاته:

قال عبد الحي الحسني: توفي إلى رحمة الله سبحانه ظهيرة يوم السبت سلخ شهر الله المحرم سنة ست وسبعين ومئة وألف بمدينة دهلي، ودفن في جانب اليسار من «دلّي دروازه» (باب دهلي) بالحي الذي يسمَّى: «مِهْديان»، وله اثنان وستون سنة[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/٤٢٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثاني

في بيان لوازم الخلافة الخاصة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثالث

في تفسير الآيات الدالّة على خلافة الخلفاء ولوازم الخلافة الخاصة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الفصل الرابع

[في رواية الأحاديث والآثار الدالّة على خلافة الخلفاء
وعلى إثبات لوازم الخلافة الخاصة بهم، سواء كان بالتصريح أو بالتلويح]

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

مسانيد المكثرين من أصحاب النبي ﷺ

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

مسانيد سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

فذلكة الفصل (خلاصة)

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع الصفحة

فهرس الموضوعات

الجزء الثاني

الموضوع | الصفحة

الفصل السادس
في عمومات القرآن وتعريضاته

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الفصل السابع
في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الثامن

في تفضيل الشيخين وهو يشتمل على قسمين:

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

فهرس الموضوعات

الجزء الثالث

الموضوع | الصفحة

• المقصد الثاني •

في ذكر مآثر الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم

التي ثبتت بنقل مستفيض وتواتر معنوي

الفصل الأول

في بيان صفات النبوّة وتشبّه الخلفاء بالأنبياء

الفصل الثاني

الخليفة الأول أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الموضوعات

الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الفصل الرابع

في مناقب عثمان ذي النورين رضي الله عنه

الموضوع	الصفحة

الفصل الخامس

في مناقب علي المرتضى رضي الله عنه

الموضوع الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة المؤلف

الحمد لله الذي بعث إلينا أشرف الرسل، داعياً إلى أقوم السبل، وجعل أصحابه وزراء له في عهده، وخلفاء له من بعده، لتتمّ النعمة، وتعمّ الرحمة، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده، وأشهد أنّ محمداً عبده ونبيَّه، الذي لا نبيَّ بعده، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فيقول الفقير ولي الله ـ عُفي عنه ـ: إنَّ بدعة التشيّع راجت في هذا الزمان وسادت، وانصبغت نفوس عامة الناس بشبهاتهم التي أثاروها، ونشأت في قلوب معظم أهل هذه المنطقة شكوكٌ وشبهات حول إثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين[١].

والواقع أنّ نور التوفيق الإلـٰهي ألقى في رُوع هذا العبد الضعيف علماً فيه كلُّ بسط وتفصيل، عَلِمَ به علمَ اليقينِ أنّ إثبات خلافة هؤلاء الخلفاء أصل من أصول الدين، فلا تستقيم مسألةٌ من مسائل الشريعة الغرَّاء ما لم يتمسّك الناسُ بهذا الأصل تمسّكاً قوياً، ويعضّوا عليه بالنواجذ؛ لأنَّ معظم الأحكام الواردة في القرآن مجملةٌ، ولا يمكن حلُّها وتفصيلُها بدون تفسير السلف الصالح، وأكثر الأحاديث من قبيل خبر الآحاد تحتاج إلى الشرح والبيان، ولا يصلح التمسّك بها إلا أن ترويها

(١) ما أشبه اليوم بالبارحة.

جماعة من السلف، ويقوم باستخراج المسائل منها رهط من المجتهدين، ولا يمكن التوفيق بين الأحاديث المتعارضة بدون سعي هؤلاء السعداء، وكذلك جميع الفنون الدينية من القراءة، والتفسير، والعقائد، وعلم السلوك، فإنّها لا تتأصّل بأي صورة بدون اتباع آثارهم، وتتبّع مآثرهم.

وقد اتبع السلف في هذه الأمور آثارَ الخلفاء الراشدين، وتمسّكوا بأذيالهم، ولم يُجمَع القرآن، ولم تتبيّن القراءة المتواترة من الشاذة إلا بجهود الخلفاء، ولم تترتّب كذلك القضايا والحدود والأحكام الفقهية إلا بسعيهم؛ فكل مَنْ سعى إلى هدم هذا الأصل فإنه أراد هدم جميع الفنون الدينية.

وقد عُلِمَ أنّ مدبِّر السماوات والأرض تبارك وتعالى قدّر جميع الشرائع في الأزل في اللوح المحفوظ، وقد وردت الإشارة إلى ذلك في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦].

ثم نزّل على قلب النبي ﷺ بالإجمال تارةً وبالتفصيل أخرى، ثم بيّنه النبي ﷺ بطريق النصّ تارةً وبطريق الإشارة أخرى، حتى ظهر أمر الله، وقامت حجّته تبارك وتعالى، وثبت تكليفُ العباد بذلك اعتقاداً وعملاً.

فكذلك قرر الله تعالى خلافة الخلفاء الراشدين أولاً في اللوح المحفوظ، ونزلت في القرآن بالإجمال؛ ثم فصّلت في قلب النبي ﷺ بالرؤيا تارةً، وبطريق الفراسة في تعبير رؤيا الصحابة ﵃ تارةً أخرى، ثم أخبر النبي ﷺ بهذا العلم الشريف (أي: حقيقة الخلافة الراشدة) نصّاً وإشارةً، حتّى تحققَ تكليفُ العباد باستخلاف هؤلاء الخلفاء اعتقاداً وعملاً، وانكشف القناعُ عن أمر الخلافة تماماً، وعمل بذلك أهل القرن الأول بقلوبهم وقوالبهم بمقتضى ذلك.

وكل ما قاله المتأخّرون من الأشاعرة على خلاف ذلك من أن

خلافة هؤلاء لم تثبت بالنصّ مطلقاً أو لم تثبت بالنص الجلي[١]، بل هي أمر اجتهادي، إذ إن الناس قد اتفقوا على خلافتهم في ذلك العصر، خلافاً لما ذهب إليه الشيعة من أنه وقع ظلم عظيم في القرن الأول، وهو سلب الناس حقّ الخلافة من مستحقّها من أجل طلب الدنيا واتفقوا على غير مستحقِّها، (فأستغفر الله من جميع ما كره الله).

وعلمَ به أيضاً أنّ التوفيقَ بين اختلاف العلماء في أمر استخلاف النبي ﷺ: هل استخلف أحداً أم لا؟ يمكن بطريقين:

أحدهما: أنّ كلمة «الاستخلاف» تُطْلَقُ ـ تارةً ـ على مجرّد تنبيه الشارع العبادَ على الانقياد للخليفة.

والثاني: أنها تُطْلَقُ ـ تارةً أخرى ـ على توصية جميع ولاة الأمور من أرباب الحلّ والعقد ـ على الهيئة المعتادة ـ بخلافته، إما بِالتّنصيص على كلمة «الاستخلاف»، أو ما يساويه في المعنى.

فصار بين العلماء فريقان، وذهب كل فريق إلى أحد هذين المعنيين[٢]، وحاول تأييدَ ما ذَهَبَ إليه وتكلّم حوله.

أما مشاورة الصحابة في أمر الخلافة فلا تدلّ على أنّ الخلافة لم يكن منصوصاً عليها عندهم، بل إنما شاوروا لحفظ الأحاديث[٣] (أي: أحاديث الخلافة)، والاستنباط من النصوص، ولتذكّر المعاني المستخرجة من المآخذ المتعددة، وما إلى ذلك.

والتوفيق بين اختلاف العلماء في أمر الخلافة: هل هي بنصّ جليٍّ

---

(١) انظر: «شرح الطحاوية في العقيدة السلفية» (٣/ ١٣٩).

(٢) يعني: الطائفة الذين نفوا استخلاف النبي ﷺ أحداً من أصحابه ذهبوا إلى المعنى الأول، والطائفة الذين قالوا باستخلافه ﷺ اختاروا المعنى الثاني.

(٣) أي: لذكر أحاديث الخلافة وبيانها في مجلس الصحابة لكي يعرفها الجميع، ويستخرجوا منها ما يرشدهم في أمر الخلافة، ويهديهم سواء السبيل.

أم خفيٌّ؟ يمكن بأنَّ من عرفوا الربط بين آيات الإجمال والحديث الذي يفسِّرها ذهبوا إلى كون النصِّ جلياً، ومن ظنّوا أنَّ الآية لا علاقة لها بالحديث، ولم يكشفوا القناع عن إجمالها، ولم يربطوا بين الآية والأحاديث، ولم يتبيّن لهم الأمر، قالوا بالنص الخفيّ.

ثم إنّ الأحاديث هي أخبار آحاد تتفق على معنى إثبات الخلافة كقدر مشترك، فمن وقع بصره على حديث دون حديث، ظنَّ الحديثَ خبرَ آحاد، ومن وقع بصره على الأحاديث الواردة في هذا الباب جملةً ظنّه متواتراً بالمعنى.

وكما أن توفيق المولى ﷻ بَسَطَ هذا العلمَ (أي: علم الخلافة) في صدري، وألقى في خاطري شوقاً لنشره تحريراً وتقريراً، طبقاً للحديث الذي أخرجه **ابن ماجه** عن **جابر** ﷺ قال: «**إذا لَعَنَ آخِرُ هذه الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا فَمَنْ كَتَمَ حَدِيْثاً فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ الله**»[1]، فبناءً على ذلك كتبتُ بعضَ الأوراق في هذه المسألة، وسمّيتها «**إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء**»، وجعلتُ له مقصدين:

* **المقصد الأول**: في بيان معنى الخلافة العامة والخاصة وشرطها وشرط ما يتعلّق بها، وسرد الأدلة على خلافة هؤلاء، وحلّ الخلاف: هل كانت الخلافة بنصّ أو باجتهاد؟

* **والمقصد الثاني**: في مآثر الخلفاء الأربعة.

وهذا أوان الشروع في المقصود، وبنور توفيقه أتمسَّك، وعلى فضله أتوكَّل، وإلى كَلاءته وحفظه أفوّض أمري كله، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٦٣). الحديث ضعيف جداً. وفي الزوائد: في سنده حسين بن أبي السري كذاب، وعبد الله بن السري ضعيف...

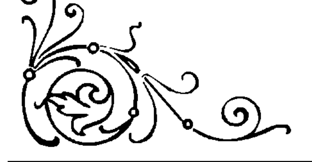


المقصد الأول

في بيان الخلافة العامة والخاصة وشرطها، وشرط ما يتعلّق بها، وسرد الأدلّة على خلافة هؤلاء وحل الخلاف: هل كانت الخلافة بنصٍّ أو باجتهاد

يتضمّن عدّة فصولٍ، وهي ثمانية:

- الفصل الأول: في بيان الخلافة العامة.
- الفصل الثاني: في بيان لوازم الخلافة الخاصة.
- الفصل الثالث: في تفسير الآيات الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين.
- الفصل الرابع: في تفسير الأحاديث والآثار والآيات الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين.
- الفصل الخامس: في بيان الفتن التي أخبر النبي ﷺ بظهورها بعد عصر الخلفاء الراشدين.
- الفصل السادس: في بيان تصريحات القرآن الكريم وإشاراته إلى مكانة الخلفاء الراشدين.
- الفصل السابع: في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء الراشدين.
- الفصل الثامن: في تفضيل الشيخين رضي الله عنهما.







الفصل الأول

[في بيان الخلافة العامة]



المسألة الأولى

في تعريف الخلافة العامة

هي الرئاسة العامّة في التصدِّي لإقامة الدين، بإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالجهاد، وما يتعلَّق به من تنظيم الجيوش والفرض للمقاتلة، وإعطائهم من الفيء، والقيام بالقضاء، وإقامة الحدود، ورفع المظالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، نيابةً عن النبي ﷺ.

وتفصيل هذا التعريف بعد التدبر في الملَّة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ أنّه معلوم قطعاً أنّ النبي ﷺ بُعث لكافة خلق الله، وعاملهم معاملات شتى، واشترك معهم في بعض التصرفات، وعيّن لكل معاملة خليفةً ونائباً عن ذاته الشريفة، واهتمّ بالأمور اهتماماً عظيماً، وإذا تأمَّلنا في هذه المعاملات والتصرفات، وانتقلنا من الجزئيات إلى الكليات[1]، ومن الكليات إلى الكلي الواحد، الذي يشمل الجميع،

(١) الجزئيات والكليات من مصطلحات المنطق، ولكن المراد هنا من «الجزئيات»: هو الوقائع الخاصة المنفردة، والمراد من «الكليات»: هو الوقائع العامّة من أمور الدين وأحوال وتصرفات النبي ﷺ.

وجدنا أنّ إقامة الدين هو الجنس الأعلى[١] الذي يشمل جميع الكليات وأجناس أخرى تحته **كالآتي**:

أولها: إحياء علوم الدين ونشرها؛ كتعليم القرآن والسُّنَّة، والتذكير والموعظة، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، ومن المشهور أنَّ النبي ﷺ كان يخاطِبُ الصحابة بالموعظة والتذكير في أغلب الأحيان.

وثانيها: إقامة أركان الإسلام؛ إذ إنّه من المعلوم أنَّ النبيَّ ﷺ أمّ بالناس صلاةَ الجمعة والعيدين والصلوات الخمس، وعيّن الأئمة في كل مكان، وعَني بأخذ الزكاة وصرفها في مصارفها، واختار العُمّال لهذه الأعمال، وكذلك كان يسمع الشهادة لثبوت رؤية هلال رمضان والعيد، ويأمر بالصيام والفطر، إن ثبتت الرؤية بالشهادة، وأقام الحج بنفسه، ولمّا لم يبلغ النبيُّ ﷺ مكة في السنة التاسعة للهجرة أرسل إليها أبا بكر رضي الله عنه ليقيم الحجَّ نيابةً عنه ﷺ، وأمّا قيامه ﷺ بالجهاد، ونصب الأمراء، وبعث الجيوش[٢]، والسرايا[٣]، وقيامُه بالقضاء في

---

(١) تنقسم الكليات إلى خمسة أقسام: ١ ـ الجنس، ٢ ـ النوع، ٣ ـ الفصل، ٤ ـ الخاصة، ٥ ـ العرض العام، أما الجنس: فهو الكلي الذي يكون جزءاً مشتركاً لحقيقة أفراده كالحيوان، فإنه جزء مشترك لأفراده من الإنسان والبقرة والفرس وما إلى ذلك، وللجنس مراتب، فمن الجنس ما يكون تحت جنس آخر، ويندرج فيه جنس آخر أيضاً، يقال له: جنس متوسط، ومنه ما يكون تحت جنس آخر ولا يندرج فيه جنس آخر، يقال له: جنس سافل، ومنه ما لا يكون تحت جنس، ولكن تندرج فيه أجناس أخرى، يقال له: جنس أعلى.

(٢) هي جمع «جيش»، وهو طائفةٌ من جندٍ يزيدُ عدد أفرادها على ثمان مئة. انظر: «بذل المجهود» (٩/ ٤٤٩).

(٣) هي جمع «سرية»، وهي طائفة من جيش أقصاها أربع مئة تبعث إلى العدو. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٦٧).

الخصومات، ونصب القضاة في بلاد الإسلام، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فإنّها لا تحتاجُ إلى بيان ودليل البتةَ، ولمّا انتقل النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى لم تزل إقامة الدين بكل تفاصيله وجزئياته واجبةٌ، وإقامة الدين يتوقّف على نصب شخص يهتمّ بهذا الأمر اهتماماً بالغاً، ويرسل النواب إلى الآفاق، ويطّلع على أحوالهم، وألَّا ينحرفوا عن أمره شيئاً بل يتحرّكوا حسب إشارته، ويكون هذا الشخص خليفة رسول الله، ونائباً عنه بكلِّ معناه.

وأمّا كلمة (**الرئاسة العامة**) في التعريف، فقد خرج منها العلماء المسلمون المشتغلون بنشر العلوم الدينية؛ (لأن الرئاسة العامة لا تحصل لهم) وقضاة الأمصار وأمراء الجيوش الذين ينفذون ـ بأمر الخليفة ـ أمور الدين.

وكانت الموعظة والتزكية في العصر الأول من لوازم الخلافة، وأن الوعظ خاص بالحاكم أو الرجل الذي يقرره، وأن الذي يعظ من دونها مُراءٍ، فقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَقُصُّ إلا أَمِيْرٌ، أَوْ مَأْمُوْرٌ، أَوْ مُخْتَالٌ**»[١].

وقد خرج من كلمة (**في التصدّي لإقامة الدين**) في التعريف: الرجل الذي حصلت له الغلبة والرئاسة على أهل الآفاق، ويأخذ الخراجَ من الشعب من غير وجه شرعي، مثل الملوك الجبابرة الطغاة المتغلّبين.

وخرج كذلك من كلمة (**التصدّي**): الرجلَ الذي فيه أهليةٌ لإقامة الدين على أكمل وجه، وهو أفضل أهل زمانه في صلاحياته، لكن لم يحصل له من هذه الأمور شيء، فلا تطلق الخلافة على مَنْ هو مستور عن أعين الناس (كما يقول الشيعة: إنّ المهديَّ مستورٌ)، أو لم يحصّل النصرَ والغلبةَ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٣٦٦٥)، وابن ماجه في «سننه» رقم: (٣٧٥٣).

ويخرج الأنبياء عليهم السلام بقيد (**نيابة عن النبي ﷺ**) عن معنى الخلافة، ولو أنَّ داود عليه السلام لقّب بالخليفة في القرآن الكريم، لكنّ الكلام يدور هنا حول خلافة النبي ﷺ، وسيدنا داود عليه السلام كان خليفة الله تعالى[1]، ولذلك ما رضي أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أن يُدعى بخليفة الله، ولكنّه أمر أن يدعوه بخليفة رسول الله[2].

المسألة الثانية

في وجوب نصب الخليفة

ويجب على المسلمين ـ وجوبَ كفايةٍ ـ إلى يوم القيامة نصبُ خليفةٍ يستوفي شروط الخلافة، **ولذلك عدة أدلة:**

أولها: أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم قد عُنوا بأمر تعيين الخليفة قبل دفنه ﷺ، فلولا أنّهم أدركوا وجوب نصب الخليفة لما قدّموه على هذا الأمر الخطير، وفي هذا دليل شرعي قد ثبت من النبي ﷺ بطريق الإجمال[3].

وثانيها: قد ورد عن النبي ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»[4]، وهذا نصٌّ شرعي على وجه التفصيل.

وثالثها: لقد فرض الله تعالى الجهاد، والقضاء، وإحياء علوم

---

(١) انظر: قول الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: ٢٦].

(٢) قد أخرج ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٣٣) رقم: (٣٧٠٤٨) عن نافع مولى ابن عمر عن ابن أبي مُليكة قال: قال رجل لأبي بكر: يا خليفة الله! قال: لست بخليفة الله، ولكنّي خليفة رسول الله، أنا راضٍ بذلك، وكذا أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٨٣).

(٣) إذ إن كل ما صدر من صحابي من قول أو عمل ولا دخل فيه للعقل والتجربة فهو في حكم الحديث المرفوع، كما هو مذهب جمهور أهل العلم.

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٣٣٤).

الدين، وإقامة أركان الإسلام، ودفع الكفار عن بلاد الإسلام فرض الكفاية، وكل ذلك لا يتحقّق بدون الخليفة والإمام، ومعلوم أنَّ مقدمة الواجب واجبة، وقد نبَّه على ذلك كبار الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

المسألة الثالثة

في شروط استحقاق الخلافة

والأصل في هذه المسألة أنَّ معنى الخلافة ـ كما تقدَّم ـ يتضمَّن إحياء علوم الدين، وإقامة أركان الإسلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والقيام بأمر الجهاد، والقضاء، وإقامة الحدود، فكلُّ ما يشترط في شيء من هذه الأمور يُشترط في الخلافة أيضاً، وبالإضافة إلى ذلك يُشترط شيءٌ آخر بمقتضى حديث مستفيض[١]، وهو قرشية الإمام كما أُثر عن النبي ﷺ: «**الأئمةُ مِنْ قريشٍ**»[٢].

ونأتي إلى تفصيل هذه الشروط بعد ما عُلم هذا الأصل:

من شروط الخلافة **أن يكون الخليفة مسلماً**، إذ إن رئاسة المسلمين لا يجدر بها إلا مسلم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء]، والظاهر أنّ هذه الأمور لا تتمّ على يد غير المسلمين، وإن ارتدّ الخليفة عن الدين ـ والعياذ بالله ـ يجب الخروج عليه، فنصبُ كافر أصلاً لا يستحقُّ الخلافة أولى، (وهذا دليل على أنّ الإسلام شرطٌ للخليفة).

---

(١) هو الحديث الذي يرويه ثلاثة عن ثلاثة في كلٍّ طبقة على الأقلّ، ولا بأس بالزيادة الواقعة في طبقة ما.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥)، برقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٧)، برقم: (٥٩٤٢).

ومنها: أن يكون الخليفة عاقلاً بالغاً؛ إذ إن المجنون والسفيه والصبي محجورون عن تصرفاتهم الذاتية، (ويعيَّنُ لإنجاز معاملاتهم وليٌّ)، حيث قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، وإذا لم يملكوا أموالهم فلا يصحّ تسلُّطهم على رقاب المسلمين وأموالهم بالطريق الأولى، ولا يتحقّق المطلوب من استخلاف هؤلاء بالقطع.

ومنها: أن يكون الخليفة ذكراً دون أنثى، كما ورد في «صحيح البخاري»: «**لَنْ يُفْلِحَ**[١] **قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً**»[٢]، قال النبيُّ ﷺ ذلك القول حين بلغه ﷺ أنَّ أهل فارس ملَّكوا بنت كسرى عليهم، إذ إنّ المرأة ناقصة العقل والدين، وهي لا تصلح لساحة الحرب والقتال وحضور المحافل والنوادي، فلا تتم أمور الخلافة على يديها.

ومنها: أن الخليفة يكون حرّاً؛ لأنَّ العبدَ لا تُقبلَ شهادته في الخصومات؛ لأنّه حقيرٌ، مُهانٌ في أعين الناس، والواجب عليه الاشتغال والعناية بأمور مولاه.

ومنها: أن يكون الخليفة متكلّماً سميعاً بصيراً؛ ذلك لأنّ الخليفة يجب عليه أن يأمر بالحكم الذي يحكم به بوجه لا يشتبه مفهومه على الناس، ويعرفه المدَّعي والمدَّعى عليه، والمقِرّ والمقَرّ له، والشاهد والمشهود عليه، ويستمع إلى كلامهم، ويجب عليه كذلك أن يولِّي قضاة في الأمصار، وينصّب العمّال في بلاده المحروسة، ويجهز الجيوش، ويُعْلِمهم بما يعرض لهم في ساحة القتال من التدابير، وكلُّ ذلك لا يمكن إلا بسلامة الأعضاء، وكل ما لا يتم فرض الكفاية إلا به فهو فرض كفاية.

---

(١) كذا في «صحيح البخاري»، وفي الأصل الفارسي للكتاب: «مَا أَفْلَحَ» وهو تحريف.
(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٩٩).

ومنها: **أن يكون الخليفة شجاعاً** وصاحبَ رأي في الحرب والسلم وإعطاء الأمان، وفرض الرواتب للمقاتلين وتعيين الأمراء والعمّال وصاحب كفاية؛ أي: لا يكون صاحب دعة وغير محنك حتّى لا يخبط في الأمور خبط عشواء، ولا يتمكَّن من إنجاز المهمّات؛ لأن الجهاد لا يتصور إلا من الشجاع وصاحب الرأي والكافي في الأمور، وذلك أنَّ الجهاد من أعظم مطالب الخلافة.

ومنها: **أن يكون الخليفة عدلاً**، يجتنب الكبائر غير مصرٍّ على الصغائر، وصاحب مروءة، وأن لا يكون وَقِحاً، خليع العذار، قليل الحياء؛ لأن هذه الأمور تُشترط في الشاهد والقاضي وراوي الحديث، ففي الرئاسة العامّة التي تقع رقاب الناس بيد صاحبها لا بدّ أن تكون شرطاً فيها بالطريق الأولى، قال الله تعالى: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ومعنى كون الشاهد مرضيّاً أن يكون صاحب عدل وصاحب مروءة.

ومنها: **أن يكون الخليفة مجتهداً**؛ لأنّ الخلافة تتضمَّن القضاء وإحياء العلوم الدينية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل ذلك لا يتمُّ إلا على يد المجتهد، قال رسولُ الله ﷺ: «**القضاةُ ثلاثةٌ، واحدٌ في الجنّةِ واثنان في النّارِ، فأمّا الذي في الجنَّةِ فرجلٌ عرفَ الحقَّ فقضَىٰ به، ورجلٌ عرفَ الحقَّ فجارَ في الحكمِ فهو في النار، ورجلٌ قضى للناسِ على جهلٍ فهو في النّارِ**»، رواه أبو داود[١].

۞ الاجتهاد المطلوب في الخليفة:

ومعنى الاجتهاد في الحقيقة أن يعرف الخليفة جملة عظيمة من

---

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٣٥٧٥).

أحكام الفقه بأدلَّتها التفصيلية من الكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس، ويعرف كل حكم منوطاً بدليله، وأن يكون لديه كذلك ظنٌّ قويٌّ بدليله، ولا يكون في هذا العصر مجتهدٌ إلا مَنْ جمع بين العلوم الخمسة من:

١ ـ علم الكتاب قراءةً وتفسيراً.

٢ ـ وعلم السُّنَّة بأسانيدها، ومعرفة الصحيح والضعيف منها.

٣ ـ وعلم أقاويل السلف في المسائل الدينية، لئلَّا يخرجَ من الإجماع، فيُحدِثَ قولاً ثالثاً ـ عند الخلاف ـ على القولين.

٤ ـ وعلم العربية من اللغة والنحو وغيرهما.

٥ ـ وعلم طرق الاستنباط ووجوه التطبيق بين النصَّين المختلِفَين.

ويعرِفَ كلَّ حكم منوطاً بعلّته بعد الخوض في المسائل الجزئية، ولا يجب أن يكون مجتهداً مستقلاً؛ كأبي حنيفة والشافعي، بل يكفيه أن يكون مجتهداً منتسباً يعرف تحقيق السلف ويفهم استدلالاتهم، ولديه ظنّ قوي في كل مسألة من المسائل.

والتحقيق أن إحياء تفسير القرآن الكريم لا يمكن بدون هذه العلوم الخمسة، ولكن تتأكّد الحاجة في علم التفسير إلى أحاديث أسباب النزول ومواقعه، وآثار السلف، وسعة الذاكرة، وقوة الفهم للسياق والتوجيه، وما إلى ذلك، وقس على علم التفسير جميع الفنون الدينية، والله أعلم.

ولم تكن هذه الشروط لازمةً في عهد الصحابة ﷺ، بل مجرّد علم القرآن وحفظ السُّنَّة كان مطلوباً؛ لأن العربية كانت لغتهم الأمّ، ولم يكونوا في حاجة إلى تعلّم النحو وقواعد اللغة العربية لفهم الكلام، ولم تظهر الأحاديث المتعارضة، ولم يظهر خلافُ السلف في أمور الدين بعدُ.

ومنها: **أن يكون الخليفة قرشياً** من ناحية نسب الآباء؛ لأنَّ سيدنا

أبا بكر الصدِّيق صرف الأنصار عن الخلافة قائلاً: **«الأئمةُ مِنْ قريشٍ»**[(١)]، وهذا قول النبي ﷺ، وروى أبو هريرة وجابر: **«الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأنِ»**[(٢)]، وروى ابن عمر: **«لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ مِن الناسِ اثنان»**[(٣)]، وروى معاوية بن أبي سفيان: **«إنّ هذا الأمرَ في قريشٍ لا يُعاديهم أحدٌ إلا كَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّينَ»**[(٤)]، ولهذا الحديث طرق عديدة مختلفة سوى هذه الطرق، لكنّا نكتفي بهذا القدر روماً للاختصار والإيجاز.

هل تشترط معرفة الخطّ والكتابة للخليفة؟

وقد اختلفوا في اشتراط معرفة الخطّ والكتابة في الخليفة، فذهبت جماعة إلى إثباتها، نظراً إلى أنّ كثيراً من أمور الدين يتوقّف على معرفة الخطّ والكتابة، مثل علم الكتاب والسُّنَّة، ومثل كتابة المراسيم والرسائل، وقد أنكر ذلك البعضُ الآخرُ استدلالاً بأنَّ النبيَّ ﷺ كان أميّاً، والواقع أنَّ النبيَّ ﷺ لا يُقاس عليه أحدٌ، وتتوقّف اليومَ معرفةُ الدين على علم الخطّ، وكثير من مصالح الدين منوطة بالكتابة.

وبالجملة: فإذا اجتمعت هذه الشروط في شخص استحقّ الخلافة، فإذا جعلوه خليفة، وعقدوا له الإمامة، كان خليفة راشداً، وإذا جعلوا الخليفة مَنْ لا تجتمع فيه هذه الشروط، كان السُّعاة لخلافته عصاةً

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥) رقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٧) رقم: (٥٩٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٤٩٥)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٨١٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٥٠١)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (١٨١٨).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٥٠٠).

مذنبين، ولكن إذا تحقّقت سلطته على البلاد يُنفَّذ حكمه فيما يوافق الشرع ضرورةً؛ لأنَّ محاولة صرفه عن الخلافة يُسبِّبُ خلافاً وفتنةً في الأمة.

المسألة الرابعة

في طرق انعقاد الخلافة

تنعقد الخلافة بأربعة طرق:

أولها: بيعة أولي الأمر من العلماء والقضاة والأمراء وأعيان الناس ممن تيسَّر وجودهم في البلاد، ولا يشترط اتفاق أعيان جميع بلاد الإسلام، إذ إنّ ذلك ممتنعٌ الوجود، ولا ينفع بيعة رجل ورجلين في ذلك؛ لأنَّ سيدنا عمر قال في آخر خطبته: «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابَعُ هو ولا الذي بايعه، تغرَّةً أن يُقتلا»[١]، وكانت خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بطريق البيعة (أي: بيعة أولي الأمر).

وثانيها: استخلاف الخليفة؛ يعني: يختار الخليفة العادل من بين المسلمين شخصاً ممن يستوفي شروط الخلافة، وذلك نصحاً للمسلمين، ويجمع الناس وينصّ على استخلافه إياه، ويوصي بالانقياد له، فيختصّ بالخلافة ذلك الرجل من بين المستوفين لشروطها، ويلزم على القوم أن يبايعوه على الخلافة، ويجعلوه إماماً لهم، وكانت خلافة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه بهذا الطريق.

وثالثها: الشورى، وهو أن يحصرَ الخليفةُ الخلافةَ في طائفة ممن يستوفون الشروط، ويقول: يتولّى الخلافة من يختارونه بعد التشاور من

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٦٨٣٠).

بينهم بالاتفاق، فيتشاورون فيما بينهم من بعد وفاة الخليفة، ويختارون أحداً ممن يرضون به منهم، وأما إذا كان الخليفة السابق قد قرّر شخصاً أو جماعة معينة على ذلك، فلا يُعتبر باختيار غيرهم البتة، وكانت خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بهذا الطريق، إذ إنَّ سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه جعل الخلافة مشاعة بين ستة[١]، ثم اتفقت كلمتُهم على عبد الرحمٰن بن عوف لانتخاب الخليفة من بينهم، فاختار عثمان رضي الله عنه.

ورابعها: الاستيلاء، وهو أن يتصدّى أحدٌ للخلافة بعد وفاة الخليفة بدون البيعة والاستخلاف، ويجمع الناس حوله بتأليف القلوب أو بالقهر ونصب القتال فيكون خليفة، ويجب على الناس طاعته فيما يوافق الشرع، وذلك على نوعين:

النوع الأول: أن يكون المستولي **يستوفي الشروط**، ويصرف المعارضين والمنازعين في الخلافة بالصلح والتدبير من غير أن يرتكبَ المحرَّمات والمنهيات، وذلك يجوز عند الضرورة، وكانت خلافة معاوية بن أبي سفيان بعد علي المرتضى وبعد الهدنة القائمة بينه وبين الحسن بن علي من هذا النوع.

والنوع الآخر: أن يكون المستولي **لا يستوفي الشروط**، ويصرف المعارضين والمنازعين في الخلافة بالقتال والحرب مع ارتكاب المحرَّمات والمعاصي، وذلك لا يجوز، وفاعله عاصٍ لا محالة، لكن يجب على الناس طاعته فيما يوافق الشرع، وإذا أخذ عمّاله الزكاة تسقط عن ذمَّتهم، وإذا حكم قضاته في الخصومات يُنفَّذ حكمهم، ويُشرع الجهاد والقتال معه، وذلك بالنظر إلى الضرورة، إذ إنَّ في عزله ونزع

---

(١) وهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم.

الخلافة من يده تلفاً لنفوس المسلمين وظهوراً للفتنة وفساداً في الأرض، ولا يُعلم باليقين أنَّ هذه الشدائد تؤدِّي إلى الصلاح أم لا؟ بل يحتمل أن يتغلَّب مَنْ هو أضلُّ منه سبيلاً، فلا يجوز إثارة الفتنة المؤدِّية إلى الشرّ على وجه اليقين لأجل مصلحة موهومة غير يقينية، وكانت خلافةُ عبد الملك بن مروان وأول خلفاء بني العباس من هذا النوع.

وبالجملة: فإنَّ الخلافةَ محصورةٌ في هذه الطرق الأربع، فإن كان رجل واحد متصفاً بشروط الخلافة في عصره، أو كانت جماعة تتصف بها، ولكنه هو أفضل من جميعهم، لا تنعقد خلافته بدون وجه من الوجوه المذكورة، ذلك لأنَّ الصفات التي يتَّصف بها ليست كافيةً لإنهاء اختلاف الناس لمجرَّد وجودها، ولا يقضىٰ على الفتن إلا أن تكون لديه سلطة، وكانت له بيعة برقاب الناس، ولذلك بادرت جماعة من الصحابة ﷺ إلى بيعة أبي بكر ﷺ بعد وفاة النبي ﷺ ولم يكتفوا بأفضليته.

وقد تكلَّم أهل العلم حول خلافة علي المرتضى ﷺ: بأي وجه من الوجوه المذكورة انعقدت خلافته؟ فذهب أكثرهم إلى أنه تولَّى الخلافة ببيعة من المهاجرين والأنصار من الصحابة الذين كانوا بالمدينة المنوَّرة، ومعظم الرسائل والمكتوبات التي أرسلها سيدنا علي المرتضى ﷺ إلى أهل الشام تشهد بهذا المعنى[١].

وقال جماعة منهم: إن خلافته تحقّقت بالشورى، إذ إنَّ الشورى قد

---

(١) انظر مثلاً: كتاب سيدنا علي المرتضى إلى سيدنا معاوية بن أبي سفيان في «شرح نهج البلاغة» (٣/ ٤٧)، وها هو نصه: «**أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام؛ لأنّه بايعني القومُ الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، إذا اجتمعوا على رجل فسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضاً؛ فإن خرج من أمرهم خارجٌ بطعنٍ أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباع غير سبيل المؤمنين**».

استقرّت على أنّ الخلافة لا يستحقّها إلا عثمان أو علي، فلمّا لم يبق عثمان تعيّن علي، ولكن فيه نظر.

وينبغي هنا فهم بعض النكات ضمن هذه المسألة، إذ قد يرد هنا سؤال، وهو أنك قلت: إنَّ خلافة الشيخين كانت بنصِّ النبي ﷺ، فكيف يصحُّ القول بأنّ خلافة سيدنا أبي بكر الصدِّيق انعقدت ببيعة أولي الأمر من الصحابة، وإنّ خلافة سيدنا عمر الفاروق انعقدت باستخلاف الصدّيق إياه؟

فنحن نجيب عن هذا السؤال فنقول: إنّ مرادنا أنّه قد ثبت بنصِّ النبي ﷺ وجود خلافتهما في زمن مخصوص، ويرجع الناس إليهما، وتنعقد الخلافة لهما، وانقياد الناس وامتثالهم لهما من حيث اتصافهما بالخلافة، لكنّ الخلافة بالفعل تحقّقت ببيعة من أولي الأمر من الناس، وباستخلاف الصدّيق ﷺ، مثال ذلك: أنَّ الصلاة وجبت على زيد في الكلام الأزلي وبنصّ الشارع، ولكنّ تعلّقَ حكم الوجوب به بالفعل منوط بدخول الوقت، ولكنْ لحكمة الأسباب والعلل تُنْسَبُ الخلافة إلى أهل الحل والعقد، أو إلى الاستخلاف، فإن نسبة تحقق الخلافة إلى بيعة أولي الأمر أو الاستخلاف فباعتبار حكمة الأسباب والعلل.

كذلك تَعْلَمُ باليقين بنصِّ النبي ﷺ أن الإمام المهدي يظهر عند قرب القيامة، ويكون إماماً حقّاً عند الله ورسوله ﷺ، وهو الذي يملأ الأرض عدلاً، بعد أن كانت قد امتلأت ظلماً وعدواناً، فقد بيّن النبيُّ ﷺ استخلاف الإمام المهدي ووجوب اتباعه فيما يتعلّقُ بالخلافة، وذلك عند تحقُّقها، ولكن لا يتحقّق ذلك بالفعل إلا عند ظهوره وبيعة الناس له بين الركن(١) والمقام(٢).

---

(١) هو الحجر الأسود. «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٣٨٧).

(٢) هو الحجر الذي فيه أثر قدم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٣٤٨).

فتشاورُ الناس فيما بينهم لأبي بكر الصدِّيق، أو استخلافُ الصدّيق عمر الفاروق برأيه، واختيارُ عبد الرحمٰن بن عوف لعثمان بن عفان للخلافة لا يستلزم عدم وجود نصّ من الشارع ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بل الظاهر أنّ هؤلاء جعلوا نصّاً أو إشارةً من الشارع ﷺ عمدةً ومرجعاً لهم.

وأما ذيوع شهرتهم بالنسبة إلى خلافتهم فهو كما يقال: هذا واجب عند أبي حنيفة، وليس بواجب عند الشافعي، أو كما يقولون: هذا ما أحلّه عمر الفاروق وما إلى ذلك، مع أنهم لم يوجبوه ولم يحرموه إلا بدليل شرعي، وموعد تفصيل الكلام في ذلك في الفصل الثالث[1] من هذه الرسالة.

المسألة الخامسة

في بيان ما يجب على الخليفة من إمضاء مصالح المسلمين

والأصل في هذه المسألة الخوض والتأمل في معنى الخلافة، ومعرفة المقدِّمات التي لا يُتصور إقامة الدين بدونها، والمكمِّلات التي لا تتحقق معرفة الدين بدونها على أكمل وجه.

فعلم أنّه يجب على الخليفة المحافظة على دين محمد ﷺ على الهيئة المعروفة التي ثبتت من الأحاديث المستفيضة من إجماع السلف الصالح، مع الإنكار على مَنْ يخالف الشرع، بأن يقتل المرتدّين والزنادقة

(١) قد وقع في الأصل الفارسي في هذا الموضع «الباب الثالث»، ولعل ذلك تصحيف، إذ إن المؤلف الدهلوي رحمه الله لم يقسم الكتاب إلى أبواب، بل الكتاب موزّع بين مقصدين، وكل من المقصدين يحتوي على عدة فصول، لذلك غيّرناه بـ«الفصل الثالث».

ويعاقب المبتدعين، ويجب عليه أيضاً الاهتمام بإقامة أركان الإسلام من الجمعة، والجماعات، والزكاة، والحج، والصوم، بحيث يقيم كل ذلك بذاته في مقرّه ومدينته، ويقوم بنصب أئمة المساجد والعاملين للصدقات في المناطق البعيدة، ويقرر أمراء الحج في الموسم، ويُعنى بإحياء علوم الدين بنفسه حسب الاستطاعة، ويعين المعلِّمين في كلِّ المدن، كما أرسل عمر رضي الله عنه عبد الله بن مسعود مع جماعة إلى الكوفة، وبعث معقل بن يسار، وعبد الله بن معقل إلى البصرة، ويحكم بين أهل الخصومة؛ أي: يقضي في الدعاوى والمشاجرات، ويقرر القضاة لأجل ذلك، ويحافظ على بلاد الإسلام من شرّ الكفار وقطّاع الطريق والمحتلِّين المتغلِّبين، ويملأ ثغور دار الإسلام بالأفواج وآلات الحرب، ويقاتل أعداء الله ورسوله ابتداءً[1] ورفعاً[2]، ويقوم بترتيب الجيوش، وفرض الأرزاق للمجاهدين، وأخذ الجزية والخراج وقسمتهما بين الغزاة، وأيضاً يقوم بتقدير الأعطيات والأرزاق للقضاة وأهل الفتوى والمعلِّمين والواعظين وأئمة المساجد برأيه من غير إسرافٍ وتقتير، ويختار النوّاب في المعاملات من الأمناء العدول وأهل النصح، وأن يكون دائم التفقّد والملاحظة لأحوال الشعب والأفواج وأمراء الأمصار وجيوش الغزاة والقضاة وغيرهم، لكي لا تظهر الخيانة والظلم، ولا يجوز إسناد أمور المسلمين إلى الكفار أصلاً، ونهى عمر رضي الله عنه عن ذلك بشدّة.

أخرج شيخ الشيوخ العارف السهروردي[3] ـ قُدِّس سرَّه ـ في

---

(١) أي: هجومياً. (٢) أي: دفاعياً.

(٣) هو: شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله البكري البغدادي السهروردي، شيخ الصوفية ببغداد، كان من كبار الصالحين وسادات المسلمين، وكانت فيه مروءة وإغاثة للملهوفين، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وكان يعظ الناس، توفي في مستهلّ المحرم ٦٣٢هـ ببغداد، ودفن من الغد بالوردية. انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ١٣٨).

«العوارف»[١] عن وثيق الرومي قال: كنت مملوكاً لعمر، فكان يقول لي: أسلم فإن أسلمتَ استعنتُ بك على أمانةِ المسلمين، فإنّه لا ينبغي أن أستعين على أمانتهم بمن ليس منهم، قال: فأبيتُ، فقال عمر: لا إكراه في الدين، فلما حضرته الوفاة أعتقني، فقال: اذهب حيث شئت[٢]، هذا بيان ما يجب على الخليفة بإيجاز واختصار.

المسألة السادسة

في بيان ما يجب على الرعية من طاعة الخليفة

يجب على المسلمين الامتثالُ لما يأمر به الخليفة من مصالح الإسلام، ولم يخالف الشرع، سواء كان الخليفة عادلاً أو جائراً، وإذا كان الناسُ مختلفين في فروع المذاهب، وأمر الخليفة بأمر اجتهادي لم يخالف القرآن والسُّنَّة المشهورة وإجماع السلف والقياس الجلي[٣] المبني على أصل واضح الثبوت، فالواجبُ الاستماع إلى قوله، والعمل بمقتضى قضائه، وإن كان حكم الخليفة لم يكن موافقاً لمذهبه.

---

(١) يعني: «عوارف المعارف». (٢) «عوارف المعارف» (ص٦٩).

(٣) القياس الجلي، وهو ما يعرف من ظاهر النص بغير استدلال، ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ يدلّ على تحريم الضرب قياساً على الأصح. انظر: «البحر المحيط» (٤/ ٢٢٣)، وهو على ثلاثة أقسام: **أحدها**: ما عرف معناه من ظاهر النص بغير الاستدلال؛ كقوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ فإنه يدل على تحريم الضرب قياساً لا لفظاً على الأصح، وفي جواز النسخ به وجهان، والأكثرون على المنع. **الثاني**: ما عرف؛ كَنَهْيه عن الضحية بالعوراء والعرجاء، فكانت العمياء قياساً على العوراء، والعرجاء على القطع؛ لأن نقصها أكثر، فهذا لا يجوز التعبد به بخلاف أصله، ويجوز التخصيص به، ولا يجوز النسخ بالاتفاق، لجواز ورود التعبد في الفرع بخلاف أصله. **الثالث**: ما عرف معناه باستدلال ظاهر بتأدي النظر؛ كقياس الأمة على العبد في السراية، وقياس العبد عليها في تنصيف الحد، فلا يجوز النسخ به. انظر: «البحر المحيط» (٥/ ٩٨).

۞ وجوه البغي على الخليفة:

ويحرم الخروجُ على السلطان الذي اتفق المسلمون على خلافته إلا أن يروا منه كفراً بواحاً، ولو أنه لم يستوفِ شروط الخلافة. والخروج على الخليفة يكون على **ثلاثة أوجه**:

أحدها: أن **يصير الخليفة كافراً بإنكار ضروريات الدين** ـ العياذ بالله ـ ويجب الخروجُ عليه بهذه الحال وقتاله، وهذا القتالُ مِنْ أعظم أنواع الجهاد، لئلا يتلاشى الإسلامُ ويغلب الكفر.

وثانيها: أن **يكون الخروج لنهب الأموال وقتل النفوس وتحليل الفروج من غير تأويل شرعي**، يحكِّمون السيف دون قانون الشرع، فحكم هذه العصابة كحكم قطّاع الطريق، ويجب دفعهم وتفريق جمعهم، وتشتيت شملهم.

وثالثها: **أن يكون الخروج من أجل إقامة الدين**، وذلك بإثارة الشكوك والشبهات حول الخليفة والطاعة له، فإذا كان التعليل باطلاً لا يُعبأ به قطعاً مثل تعليل أهل الردة والمانعين للزكاة في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومعنى بطلان التعليل بالقطع، أن يكون مخالفاً لنصّ الكتاب والسُّنَّة المشهورة والإجماع والقياس الجلي، فإذا كان التعليل اجتهَاديّاً قطعيَّ البطلان فهم بغاةٌ، وكان حكم هؤلاء في القرن الأول حكم المجتهد المخطئ، إن أخطأ فله أجر، فلمّا اشتهرت أحاديث منع البغي الواردة على الخليفة في «صحيح مسلم»[1]، وغيره من الكتب،

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» رقم: (١٨٥٢) عن طريق شعبة عن زياد بن علاقة قال: سمعت عرفجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّه ستكونُ هناتٌ وهناتٌ، فمن أرادَ أن يفرِّقَ أمرَ هذه الأمة، وهي جميعٌ، فاضربوه بالسيفِ، كائناً مَنْ كان**». وأخرج مسلم أيضاً في «صحيحه» رقم: (١٨٥٢) عن طريق يونس بن أبي يعفور عن أبيه عن =

وانعقد إجماع الأمة عليه، يُحكم اليوم بعصيان البغاة لا محالة.

وإذا ظهر من الخليفة جَور صريح أو أمر بما يخالف الشرع، ويكون برهان من الشارع في هذه المسألة، ومعنى البرهان هنا ما تقدَّم ذكره(١)، يجوز القيام بدفع ظلم الخليفة عن نفسه، وترك طاعته، والذين يساعدون السلطان ويتعاونون معه على إيذائهم وكبتهم يكونون عصاةً مجرمين، وإذا لم يكن برهان من الشارع في هذه المسألة فليصبروا، وما يلمّ بهم من آفة ومصيبة فليعدّوه من الله، وليمتنعوا عن القتال.

ومن أعظم أنواع الجهاد القيام بأمر الخليفة بالمعروف، ونهيه عن المنكر **بغير الخروج عليه بالسيف**، وينبغي أن يكون ذلك بلطف ونصح دون عنف وشدّة، **وأن يكون ذلك في الخلوة، دون الجلوة**، حتّى لا تثورَ فتنةٌ.

❁ ثبوت الخلافة العامة للخلفاء الأربعة:

بعدما عُلم معنى الخلافة وشروط الخليفة وما يتعلَّق بها، حان أن نرجع إلى أصل الغاية، وهي أنَّ ثبوت الخلافة العامة للخلفاء الأربعة من أجلى البديهات، إذ إننا عندما ننظر إلى معنى الخليفة وشروطه، ونحاول الإحاطة بما استفاض من أحوال الخلفاء الأربعة، ينكشف لنا بالبداهة والجلاء ثبوت شروط الخلافة فيهم، وظهور مقاصد الخلافة منهم بأكمل

= عرفجة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ أتاكم، وأمرُكم جميعٌ على رجُلٍ واحدٍ، يريدُ أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّقَ جماعتكم فاقتلوه**»، ورواه أحمد في «مسنده» رقم: (١٨٢٩٥ و١٩٠٠٠)، ورواه أبو بكر في «مصنفه» (١١/ ٣٤٤) رقم: (٢٠٧١٤)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٧٧) رقم: (١٣٨٠٠ ـ ١٣٨١٣).

(١) لم يتقدم ذكره، بل سيأتي الكلام فيه مفصَّلاً في المجلد الثاني لهذا الكتاب.

وجه، وإذا كان هناك خفاء وغموض في ثبوت خلافتهم، فذلك بإدخال معاني غير مطلوبة في معنى الخلافة كما فعل الشيعة؛ إذ يشترطون العصمة والوحي الخفي في الإمام، وإلا فلا يَشُكُّ عاقلٌ في ثبوت الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والذكورة وسلامة الأعضاء والقرشية للخلفاء الأربعة، ولا ينكر من له عقل سليم أنّ القتال لأهل الردة، وفتح بلاد الروم والفرس، ومدافعة جيوش كسرى وقيصر، قد تحقّق بتدبيرهم وأمرهم، وفي هذا كفاية لمن اكتفى.

والشيعة أنفسهم يدّعون أنّ الشيخين انتزعا الخلافة من علي المرتضى ﷺ غصباً، ولا يتمُّ ذلك بدون كمال الجرأة والتدبير وتأليف القلوب، فأقرّوا لهم بالشجاعة والرأي والكفاية من حيث لم يقصدوه.

وأمّا شرط الاجتهاد والعدالة فينبغي التأمل في أقاويل الخلفاء، والخوض في قضاياهم ومناظراتهم، حتّى يظهرَ اجتهادهم ظهور الشمس في رابعة النهار، ولم يتمكّن أحد من المعارضين من اتهامهم بظاهر الفسق[1] حتى الآن، وكل ما تفوَّهوا به من ترّهات فمردّه إلى أمر مختلَفٍ فيه، لا يعرفه من جمهور المسلمين، إلا هذه الفرقة ـ عاملهم الله بعدله ـ.

والخلاصة: أن ثبوت الخلافة للخلفاء الأربعة بالمعنى المذكور

---

(١) وقد اعترف الكُتّاب الكبار من غلاة الشيعة خضوعاً للوقائع التاريخية الثابتة والروايات المستفيضة باتباع الخلفاء الثلاثة لظاهر الشريعة المطهرة، فكتب علم الهدى في كتاب «الشافي» في شأن الخلفاء الثلاثة: «. . . يرى أكثر الأمة أن الإمامة دونه»، وكتب المحقّق الجيلاني في «فتح السبل»: «إنهم قد اجتنبوا أموال المسلمين، واختاروا الزهد في الدنيا، وهجروا الدنيا وزخرفها، وقنعوا بقليل، وأكلوا ما خشن، ولبسوا الكرباس، على الرغم من أن الدنيا كانت تأتيهم بأحمرها وأسودها، وقد قسموا كل ذلك بين المسلمين، وما غمسوا أيديهم فيها»، وكتب العلّامة البحراني في «شرح نهج البلاغة»، طبع: طهران، المجلد الثاني عشر: «إن الفرق بين الخلفاء الثلاثة ومعاوية في إقامة حدود الله والعمل بمقتضى أوامره ونواهيه ظاهر».

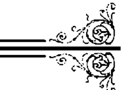
يستغني عن البرهان والدليل، والمطلوب في هذا الباب هو تجريد معنى الخلافة عن المعاني الملحقة غير المرضية، وتحرير شروط الخلافة وبيان مقاصد تولِّي الخلافة لا غير، وقد بيَّنَّا هذه الأمور بتوفيق الله في هذه العجالة، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁



الفصل الثاني

[في بيان لوازم الخلافة الخاصّة]

 **أوصاف الخلافة الخاصة:**

وقد ورد في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمة، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ ملكاً عضوضاً، ثم كائنٌ عتواً وجبرية وفساداً في الأمة**»[(١)]، وقد ورد في بعض الروايات: «**خلافة على منهاج النبوة**»[(٢)].

وأيضاً روي عنه ﷺ أنه قال: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[(٣)]، وقد بيَّن الله تبارك وتعالى في عديد من الآيات في القرآن الكريم أوصاف الخلافة وعلاماتها، فمنها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١]، ومنها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، ومنها: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]،

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٤٧٦) رقم: (١٦٤٠٧ و٨٧٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٣٥٥) برقم: (١٨٤٠٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٥٧) رقم: (٣٦٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٤١٣) رقم: (٢٨٤٣).

(٣) أخرجه مسلم رقم: (١٨٢٠)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٩٢) رقم: (٦٩٤٣).

ومـــنـــهـــا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى غير ذلك من الآيات.

وبيَّن الصحابة عند مشاورتهم في تعيين الخليفة بعض الأوصاف، كما قالوا: «أحقّ بهذا الأمر»، وقالوا: «وتوفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ»، وباستقراء هذه الأدلّة ظهرت أمامنا بعضُ الأوصاف للخلافة الخاصة علاوةً على الأوصاف والخلال التي ذكرت في الخلافة العامّة فيما تقدّم، ونريد الآن أن نقومَ باستيعاب هذه الأوصاف والإحاطة بها في هذا الفصل، ونبيِّن كيف أنها توجد في الخلفاء الأربعة ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ بتمامها وكمالها.

وفسَّر قتادة التابعي شيخ أهل البصرة لفظ الحوارية (التي وردت في شأن كبار الصحابة) بوجوده مع أوصاف الخلافة الخاصة المقرونة بالقرشية، قال معمر: قال قتادة: الحواريون كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة، والزبير[1]، وفسَّر قتادة فيما روى عنه روح بن القاسم «الحواريين»[2] الذين تصلح لهم الخلافة، كذا في «الاستيعاب» لابن عبد البر[3].

وفي اعتبار هذه الأوصاف ـ في الخلافة الخاصة ـ **ثلاثُ نكاتٍ**:

النكتة الأولى: أنَّ نفوس الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ خُلِقت على غاية النزاهة وعلو الفطرة.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨).

(٢) **الحواريون**: أصحاب المسيح عليه السلام؛ أي: خلصاؤه وأنصاره، وأصله من التحوير: التبييض، قيل: إنهم كانوا قصّارين يحوّرون الثياب؛ أي: يبيّضونها، «النهاية» (ص٢٤٠).

(٣) (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨).

ولأجل هذه النزاهة وعلوِّ الفطرة صلحوا للوحي الرباني في حكمة الله تعالى، وفُوّضت إليهم رئاسة العالم، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وهناك طائفة من الأمة، نفوسهم أشدّ قرباً إلى نفوس الأنبياء في الصفاء وعلوّ الفطرة، وهم في أصل فطرتهم خلفاء الأنبياء، ومثلهم في الأمة كمثل المرآة التي تكتسب من الشمس أثراً ما لا يتيسَّر للطين والخشب والحجر، فهذه الطائفة المصطفاة من الأمة تتأثَّر بنفس النبي ﷺ بوجهٍ لا يتيسَّر لغيرهم، وكل ما اكتسبوا من النبي ﷺ اكتسبوه بشهادة قلوبهم، فكأنما أدركت قلوبهم هذه الأشياء إجمالاً، ووجدوا في كلام النبي ﷺ شرحاً وتفصيلاً لإجمال هذه المعاني.

وتحتهم طوائفُ أخرى ينزلون من بعدهم إلى درجة بعد درجة حتى تصل النوبةُ إلى عامة المسلمين.

فالخلافة الخاصّة عبارة عن أن يكون هذا الشخص رئيس المسلمين بأصل فطرته ووضعه الطبيعي من النزاهة وعلوِّ الفطرة؛ إذ إنّ مراتب استعدادات بني آدم في هذه الصفة تتفاوت، ولا تكون على منزلة واحدة، فيكون الخليفةُ الأمثلَ فالأمثلَ في هذه الصفة، فيكون هو رئيس الأمة حتى تحاذي الرئاسة الظاهرة الرئاسة الباطنة، والذين هم خلفاء الأنبياء باعتبار وضعهم الطبيعي قد لقِّبوا في الشريعة بالصِّديقين والشهداء والصالحين، ويُستفاد هذا المعنى من هاتين الآيتين:

الآية الأولى: قال الله تعالى بلسان عباده: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

والآية الثانية: قال تبارك وتعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء].

وقد بيَّن الله تبارك وتعالى في هاتين الآيتين أنّ مطلوب المسلمين في الدعاء في صلواتهم، وغاية أمانيّهم في سلوك مراتب القرب هو نيل موافقتهم للطائفة الذين أنعم الله عليهم، والمراد بالمُنْعَمِ عليهم هذه الفرق الأربع[١].

وفي الموضع الآخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، إلى أن قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٥٤، ٥٥]، إشارة إلى هذا المعنى نفسه؛ أي: إنما ولي أمر جمهور المسلمين أفاضلُ رجالهم، ممن يقيمون الصلاة، ويحبّون الله، وهو يحبّهم وما إلى ذلك، وقد بيَّن هذا المعنى عبد الله بن مسعود، أورده أبو عمر في خطبة «الاستيعاب» عن ابن مسعود قال: «إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه، وبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد، بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه ﷺ يقاتلون عن دينه»[٢].

وذكر البيهقي مثل ذلك إلا أنه قال: «فجعلهم أنصارَ دينه، ووزراء نبيّه، فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن، وما رَأَوْهُ قبيحاً فهو عند الله قبيح»[٣].

كما ثبت أنّ هؤلاء أولى بالخلافة؛ واجتهادهم أولى وأحقّ من اجتهاد غيرهم، ولكلِّ وصفٍ من الأوصاف المذكورة علامات وخواصّ، وقد صرَّح النبي ﷺ بوجودها في مناقب الصحابة تارةً، واكتفى بالإشارة إليها تارةً أخرى، والكناية أبلغ من التصريح.

---

(١) يعني: النبيين، والصدِّيقين، والشهداء، والصالحين.

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٥)، و«كشف الخفاء ومزيل الإلباس» للعجلوني رقم الحديث: (٢٢١٤)، فيه: الأصح وقفه على ابن مسعود.

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١/ ٧٣).

والنكتة الثانية: أنّ الخليفةَ الحقيقيَّ للنبيِّ ﷺ مثله كمثل الناي[١] الذي يضعه العازف في فمه للنفخ فيه ورفع الصوت منه وما يشبه ذلك، وإنشاء النغمة وكيفيتها المطربة يرجعان إليه لا إلى الناي، فكذلك تقاسيم رحمة الله تعالى التي كانت في نصيب رسول الله ﷺ.

وانتقل الرسول ﷺ إلى الملأ الأعلى قبل تكميله، فكمل هذا على أيدي الخلفاء نيابة عن النبي ﷺ، وهذا العمل في الواقع ينسب إلى النبي ﷺ، ويكون الخلفاء كالجوارح له لا غير.

فالخلافة الخاصّة هي أنّ الأعمال والأشياء التي نُسِبَتْ إلى النبي ﷺ في القرآن والحديث القدسي تمَّت وتحقَّقت على يد الخليفة، وقد بيّن النبيُّ ﷺ خلافته ونيابته عنه تصريحاً وتلويحاً مرَّات كثيرة، حتّى تُسجّل جميع الأعمال التي تمّت على يد الخليفة في سجلِّ النبي ﷺ، وحصل للخلفاء شرف الوسيلة لا غير، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، ما يدلّ على هذا المعنى، ويشهد على ذلك هذا الحديث القدسي: «**وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا[٢] مِنْ أهلِ الْكِتَابِ وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**»[٣].

ومثل هذا الأمر قصّة سيّدنا داود عليه السلام، وهي أنّه أقبل على بناء المسجد الأقصى بعلوِّ همَّة وعزيمة، فلمَّا رأى أنّ البناء لا يتمّ على يده

(١) فارسية، جمعه نايات: آلة من آلات الطرب يُنفخ فيها.

(٢) كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى قد انحرفوا عن دينهم الذي جاء به أنبياؤهم، وسلكوا طرق البدعة والضلال إلّا شرذمة قليلة منهم عُبِّرَ عنها في الحديث ببقايا من أهل الكتاب.

(٣) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥).

سأل الله أن يرزقه ولداً صالحاً حتّى يُتِمَّ إنجازه ويُكمِّل خطّته، وَلَمَّا كان ولدُه حسنةً من حسناته نسب بناء المسجد الأقصى إليه، واشتهر ﷺ أنّه هو باني المسجد الأقصى ومؤسسه.

والنكتة الثالثة: أنّ الخلافة أمرٌ عظيم، ونفوس بني آدم مجبولة على الشهوات، والشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فإذا استقرَّت الخلافة بالرأي فيحتمَلُ أنْ يكونَ الخليفةُ يسلك طريق الظلم والجور، ويتكاسل عن أداء مهمَّات الخلافة، وإذا كان الأمرُ كذلك، فالضررُ أكبرُ وأشدُّ من عدم استخلافه، وهذا الاحتمال كثير الوقوع، ألا ترى أنَّ جميعَ الملوك إلّا مَنْ عصمه الله وقعوا في هذه المهلكة والضلال ولا يزالون، ولا يصحُّ استخلافه، ولا تطمئنُّ قلوب الناس حتّى يزولَ هذا الاحتمالُ بوعد الله، أو بالأوصاف والخصال التي إذا حصلت يمتنع الظلم والإهمال عادةً، ويغلب على الظنّ وقوعُ العدل والقيامُ بمهمات الخلافة.

وتأمّل من ناحية أخرى أنّ من صار مرشداً للخلائق ومربِّياً لهم في العلم الظاهر والباطن، يحتمل أن يكون مخطئاً غير مصيب في علمه وحاله، واعتقده الآخرون مصيباً متمسِّكين ببعض القرائن والبراهين وروّجوا ذلك الخطأ، وما أحسن ما قاله الشاعر الفارسي:

اي بسا ابليس آدم روئ هست　　بس بهر دستے نبايد داد دست

ومعناه: ربّما يَتمثَّلُ إبليس بصورة إنسانٍ، فلا ينبغي المبايعةُ لكلِّ من يمدَّ يده إليك.

فلا يخلو الأمر من الشبهة، ما لم يحصل الوثوق بعلمه وحاله في ضوء الأحاديث المستفيضة من الصادق المصدوق ﷺ وإشاراته.

فالخلافة الكاملة (الخاصة) هي التي حصل لنا الوثوق بصاحبها بنصٍّ من الشارع أو إشاراته ﷺ.

والخلافة العامة هي خلافة رجل يُكتفى بمعرفة عدالته وعلمه بمجرد الرأي.

وبعد ما انتهينا من بيان هذه النكات الثلاث نقوم ببيان تفصيل لوازم الخلافة الخاصة:

❁ تفصيل الصفات اللازمة للخلافة الخاصة:

١ ـ إنّ مِنْ لوازم الخلافة الخاصة أن يكونَ الخليفةُ من المهاجرين الأولين، ومن الذين شهدوا الحديبيةَ، والحاضرين عند نزول سورة النور، وشهدوا بدراً وتبوك، وغيرها من المشاهد العظيمة؛ فإنَّ الأحاديث استفاضت في بيان عظمة شأنهم ووعدهم بالجنة.

فأما كونه من **المهاجرين الأولين**، فذلك لأنّ الله تبارك وتعالى قال فيهم: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ [الحج: ٣٩]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١].

وحاصل المعنى في هذه الآيات الكريمة أنَّ المهاجرين الأولين الذين أُذِن لهم بالقتال، قال الله تعالى فيهم تعليقاً: ﴿إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾؛ أي: إن جعلناهم رؤساء أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

و«**النهي عن المنكر**» يتناول إقامةَ الجهاد؛ إذ إنَّ أشدَّ المنكرات هو الكفر، وأشدّ الطرق للنهي عن المنكر الجهاد، وهو يتناول إقامة الحدود ورفع المظالم كذلك.

و«**الأمر بالمعروف**» يتناول إحياء العلوم الدينية، فقد لزم بمقتضى

هذا القول الربّاني أنَّ أيَّ شخص من المهاجرين الأولين إن مُكِّن في الأرض، فلا بدّ أن تتحقّق على يديه غاياتُ الخلافة ومطالبها، وليس في وعد الله خُلْفٌ، فإذا كان الخليفةُ من المهاجرين الأولين قام الأمنُ، واطمئنّتِ القلوب بخلافة هذا الرجل، وهذه الصفة المذكورة في شأن المهاجرين الأولين هي في مقام العصمة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١).

وأيضاً قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأيضاً قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤﴾ [الأنفال]، وأيضاً قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٢٠].

إذن يجب أن يكون الخليفة من المهاجرين الأولين؛ لأنّه من لوازم الخلافة الخاصة.

وكذلك يجب أن يكون الخليفة ممّن شهد صلح **الحديبية لعدة وجوه:**

الأول: قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ثم يقول بعد ذلك: ﴿مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩].

وحاصل هذه الآيات: أنّ الذين شهدوا مع رسول الله ﷺ صلح الحديبية يقع على أيديهم إظهارُ الدين، وإعلاء كلمة الله، فإذا وُجدت

---

(١) قال المحشّي: جزى الله المؤلف على هذا التحقيق العجيب.

هذه الصفةُ في الخليفة توثق الاعتماد على أن مطالب الخلافة تتحقَّق به.

الثاني: قد ثبت في القرآن العظيم أن الله تعالى رضي عنهم، فقد قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقد ورد في الحديث عن جابر قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يلجَ النارَ أحدٌ شهدَ بدراً والحديبيةَ**»[١]، وروي عنه أيضاً أنه قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**»[٢].

الثالث: ينبغي أن يكون الخليفة ممن **حضر عند نزول سورة النور**؛ لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، ولفظة «**منكم**» راجعة إلى الحاضرين دون المسلمين قاطبةً، إذ إنّه لو كان المرادُ بها جميعَ المسلمين للزم التكرار[٣] بذكر لفظة «منكم» مع كلمة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فالمعنى المراد: هو أنّ الله وعدَ تلك الطائفة الموجودة عند نزول الآية بأنَّ تمكينَ الدينِ وغلبتَه يظهر وفق سعيهم واجتهادهم وجهدهم.

ويجب أيضاً: أن يكون ممن شهد **مشاهد الخير**؛ لأن أصحاب بدر هم أفضل الصحابة ﷺ، كما أخرج البخاري عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٠٠٧ و٤٢٧٤)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٤٩٤)، وأبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ١٥٢) رقم الترجمة: (٨٠٨)، واللفظ له.

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» رقم: (٤٦٥٣).

(٣) التكرار هنا بمعنى اللغو الزائد؛ إذ إن مراد الله تعالى بـ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لو كان جميع المسلمين إلى يوم القيامة، لكانت لفظة: ﴿مِنكُمْ﴾ في الآية لغواً زائداً؛ إذ إن هذا المعنى ينشأ في الآية بدون «منكم» بطريق أحسن، وذلك بحيث يكون الكلام حسبما يلي: (وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)...، وتعالى كلام الله تعالى عن أن تكون فيه كلمة لغو بدون معنى.

الزُّرَقِيِّ عَنْ أَبِيهِ ـ وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بدرٍ ـ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً مِنَ الْمَلَائِكَةِ[(١)].

وقد ورد في شأنهم في حديث صحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ على أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[(٢)].

ونزلت في الذين **شهدوا تبوك** هذه الآية: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧].

ومبنى هذا الأصل (يعني: المشاركة في مشاهد الخير من لوازم الخلافة الخاصة) كلام **ابن عمر** الذي أراد أن يقوله لمعاوية بن أبي سفيان: «أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ»، أخرجه **البخاري**[(٣)].

وكذلك قول عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري فقيه الشام مبنيٌّ على هذا الأصل، وهو في قصة طويلة، وهو الذي عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ انصرفا من عند علي ﷺ رسولين لمعاوية، وقد أرسلهما معاوية إلى علي ﷺ ليطلبا منه أن يجعل الأمر شورى بينهم، وكان مما قال لهما: «عجباً منكما كيف جاز عليكما ما جئتما به، تدعوان عليّاً أن يجعلها شورى، وقد علمتما أنه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأنَّ مَنْ رضيه خيرٌ ممن كرهه، ومن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٩٩٢).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٩٨٣)، وفي الأصل: «فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة» فالعبارة مقلوبة، والصواب ما أثبتناها.
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٤١٠٨).

بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه، وأيّ مدخل لمعاوية في الشورى وهو من الطلقاء الذين لا تجوز لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأحزاب، فندما على مسيرهما، وتابا منه بين يديه رضي الله تعالى عنهم»، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[1].

٢ ـ ومن لوازم الخلافة الخاصة: أن يكون الخليفة مبشّراً بالجنّة؛ أي: قال النبي ﷺ فيه بلسانه المبارك: إنّ فلاناً من أهل الجنّة، وعاقبته النجاة والسعادة، وذلك بخصوص اسمه بدون أي تعليق وشرط؛ إذ إن هذا التبشيرَ يُفيد القطعَ أن يكونَ هذا الشخصُ صاحبَ سعادة وإيمان وتقوى في آخر أحواله.

وكان الخلفاء في آخر أحوالهم قائمين بأمر الخلافة، وانتقلوا من الدنيا إلى الآخرة في هذه الحال، ويُفيد ظنّاً قريباً من اليقين أن يكون هذا الرجل صالحاً، ومجتنباً للمعاصي، ومطيعاً اللهَ تعالى، وإن كان اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ توبة أهل الكبائر مقبولةٌ ولو كانت قليلة الوجود، فلو جاز أن يصدرَ من المبشرين بالجنة الكبائر لزم منه تلبيس عظيم، وتدليس شديد؛ (لأنَّ البشارة بالجنة لهم تنفي أن يتصور عنهم صدور الكبائر) مع أنَّ كلامَ النبيِّ ﷺ منزَّهٌ عن التلبيس والتدليس، وبلغت بشارة الخلفاء الراشدين بالجنة حدَّ التواتر، لا يحتمل خلافه[2].

وأما تبشير النبي ﷺ الخلفاءَ الأربعة بالجنَّة فقد بلغ حدَّ التواتر بحيث لا يدع مجال الاحتمال لخلافه.

أوَّلاً: ورد ذلك إجمالاً في آيات مناقب المهاجرين الأولين،

---

(١) (١/ ٢٥٧) رقم الترجمة: (١٤٤٩).

(٢) وذلك بشهادة الله تعالى الواردة في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

وحضَّار الحديبية، وجيش العُسرة وغيرها، وفي ضمن أحاديث نبوية وردت في مناقب الصحابة مطلقاً أو في مناقب الذين شهدوا الغزوات مما يطول ذكره.

ثانياً: والبشارة لهم بالجنة في الحديث الذي روي عن سعيد بن زيد في شأن العشرة المبشرة[١].

ثالثاً: والبشارة لهم بالجنة في الحديث الذي روي عن أبي موسى وجابر رضي الله عنهما وغيرهما.

رابعاً: والحديث الذي روي عن أبي سعيد الخدري وابن مسعود رضي الله عنهما في شأن الشيخين.

خامساً: وفي الأحاديث النبوية التي رويت عن كثير من الرواة في شأن كل خليفة، منها حديث: «**عثمانُ رفيقي ومعي في الجنَّةِ**»[٢]، وحديث: «**ولعليٍّ بستانٌ في الجنَّة**»[٣].

٣ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكونَ الخليفةُ رجلاً نصّ النبيُّ ﷺ على أنّه من الطبقة العليا من الأمة؛ يعني: من الصدّيقين والشهداء والصالحين.

والمحدَّث[٤] يساوي الصديق رتبةً، وإنّه يدخل في تعريف الصديق

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧٤٨)، وابن ماجه رقم: (١٣٣ و١٣٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

(٣) كذا في النسخة الفارسية الأصلية، وأخرج أبو يعلى في «مسنده»: عن علي بن أبي طالب، قال: بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة؛ إذ أتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقةٍ، قال: «**لكَ في الجنّةِ أحسنُ منها**»، ثمّ مررنا بأخرى، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقةٍ، قال: «**لك في الجنَّة أحسنُ منها...**». (١/ ٢٦٥).

(٤) **الملهم**: من يُلْقى في نفسه شيئاً فيخبر به حدساً وفراسةً، يخصّ به الله من يشاء، =

باعتبار آخر (لهذا لو ورد في شأن أحدٍ لفظُ مُحَدَّث فيكفي له)، أو بيَّن ﷺ أنّه في أعلى درجات الجنّة، فيلزم من هذا أن هذا الشخص يكون في الطبقة العليا من الأمة، أو يكون رأيه موافقاً للوحي، ونزلت آيات كثيرة وفق رأيه، ويلزم منه أيضاً أنه من الطبقة العليا، أو ثبت بالتواتر أن سيرته في العبادات والتقرب إلى الله أكمل من سير سائر المسلمين، ويتحلَّى بالخصال الحميدة والمقامات العليّة والأحوال السنيّة والكرامات القويّة، وسائر الأوصاف التي يلزم وجودها عند الصوفية في هذه الأيام، وكما بيّنها صاحب «قوت القلوب»[(١)] وغيره في مؤلفاتهم، مستدلّين عليها بالأحاديث والآثار.

ويلزم من هذه الأمور كونه من الصديقين والشهداء، ولزوم هذا المعنى في الخليفة من جهة أن تكون الرئاسة الظاهرة مقرونةً بالرئاسة الباطنة، ويحصل له تشبه كامل بالنبيّ ﷺ، ويدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وتحت قوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، حيث وردت أحاديث نبوية كثيرة في هذا المعنى.

منها: حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى أُحُد هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ فَتَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اهْدَأْ إِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» أخرجه **مسلم**[(٢)] **والترمذي**.

= وقيل: مصيبون إذا ظنوا فكأنهم حُدِّثوا به. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٥١).

(١) انظر: الفصل الرابع إلى الفصل الثاني عشر من كتاب: «قوت القلوب» على سبيل المثال.

(٢) «صحيح مسلم» (ح: ٢٤١٧)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٩٦).

ومنها: **حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ! فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**» أخرجه **البخاري**[(١)]، **وأبو داود والترمذي**.

ومنها: **حديث عثمان** مثل حديث أنس، وفي آخره: «**شهدَ مَعَهُ رجالٌ**» أخرجه **النسائي**[(٢)].

ومنها **حديث أبي هريرة** ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي**» أخرجه **أبو داود**[(٣)].

• وحديث **جابر**: «**يا أبا بكر أعطاك الله الرضوان الأكبر**» فقال بعض القوم: ما الرضوانُ الأكبرُ يا رسول الله؟ قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةً، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصّةً...**» أخرجه **الحاكم**[(٤)] ونُوْزِع في صحته، والحق مع الحاكم.

• وحديث **ابْنِ عُمَرَ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «**أَنْتَ صَاحِبِي عَلَى الْحَوْضِ، وَصَاحِبِي فِي الْغَارِ**»[(٥)].

ومنها: حديث: «**جَعَلَ اللهُ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[(٦)]، رُوي ذلك الحديث عن ابن عمر، وأبي ذرّ، وعلي بن أبي طالب.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٥)، «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٥١)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٩٧).

(٢) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٥) رقم: (٣٦٠٨ ـ ٣٦٠٩)، ليس هكذا في «النسائي»، بل فيه: «فانتشد له رجال».

(٣) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٢).

(٤) «المستدرك» (٣/ ٨٣) رقم: (٤٤٦٣)، وقال الذهبي: وأحسب أن محمد بن خالد البجلي وضعه.

(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٧٠).

(٦) أخرجه أبو داود رقم: (٢٩٦١)، والترمذي رقم: (٣٦٨٢).

ومنها: حديث: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»(١)، وهو يُروى عن **أبي هريرة، وعائشة**.

• ومثله حديث **عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»(٢).

• ومثله حديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكاً فَجّاً إِلَّا سَلَكَ فَجّاً غَيْرَ فَجِّكَ**»(٣)، رُوي هذا الحديث عن **سعد بن أبي وقّاص، وأبي هريرة، وعائشة، وبُريدَة الأسلمي**.

• وحديث موافقةُ رأي عمر الفاروق الوحيَ، المرويُّ عن **عمر، وابن عمر، وابن مسعود**.

• ومنها حديث: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**»(٤)، رُوي هذا الحديث عن **علي بن أبي طالب، وأنس وأبي جُحيفة**.

• وحديث: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا**» أخرجه **الترمذي**(٥) **وابن ماجه**.

• وحديث: «**أَلا أَسْتَحِيي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِيي مِنْهُ الْمَلائِكَةُ**»؛ يعني: عثمان أخرجه **مسلم**(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٨٦). (٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٨٦).
(٣) أخرجه البخاري رقم: (٣٢٩٤)، ومسلم رقم: (٢٣٩٦).
(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٥).
(٥) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٨)، و«سنن ابن ماجه» رقم: (٩٦).
(٦) «صحيح مسلم» رقم: (٢٤٠١).

• وحديث: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ، وَرَفِيقِي ـ (يَعْنِي: فِي الْجَنَّة) ـ عُثْمَانُ**» أخرجه **الترمذي**[١].

• وحديث: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى**»[٢]، رُوي هذا الحديث عن **سعد بن أبي وقاص، وجابر** وغيرهما.

• وحديث: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»[٣] رواه جماعة من الصحابة.

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: قال النبي ﷺ: «**إنَّ كلَّ نبيٍّ أُعطيَ سبعةَ نُجباءَ أو نُقباءَ**[٤]**، وأُعطيتُ أنا أربعةَ عشرَ**»، قلنا: مَنْ هم؟ قال: «**أنا، وابناي، وحمزة، وأبو بكر، وعمر، ومصعب بن عمير، وبلال، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وعبد الله بن مسعود**»[٥].

وسننقل في الفصل الآتي مزيداً من أحوال الخلفاء الأربعة كما ثبت في الأحاديث المستفيضة.

٤ ـ من لوازم الخلافة الخاصة: أن يكونَ النبيُّ ﷺ قد عامله مرَّات وكرَّات معاملة الملك لولي عهده قولاً وفعلاً، **ولهذه المعاملة صور شتى:**

الأول: أن يُبيِّن النبيُّ ﷺ استحقاقُه الخلافةَ، ويذكر فضائله باعتبار حسن معاملته الأمةَ.

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٨). (٢) أخرجه البخاري رقم: (٣٧٠٦).

(٣) أخرج البخاري رقم: (٣٠٠٩) واللفظ له، ومسلم رقم: (٢٤٠٤)، والترمذي رقم: (٣٧٢٤).

(٤) ورد في الأصل الفارسي «نجباء رفقاء»، وفي متن «تحفة الأحوذي» (١٠/١٩٨): «نجباء رفقاء أو قال: رقباء»، «نجباء» جمع نجيب، وهو الفاضل من كل حيوان، «رفقاء» جمع رفيق، وهو المرافق، «رقباء»؛ أي: حفظة يكونون معه وهو جمع رقيب. انظر: «تحفة الأحوذي».

(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧٨٥).

والثاني: أن يقيم النبيُّ ﷺ بعضَ القرائن، يَفْهَمُ منها فقهاءُ الصحابة أنه لو كان مستخلِفاً لاستخلَفَ فلاناً.

ويعرفون منها أنّ: «أحبَّ الناسِ إلى رسول الله ﷺ فلان».

ويقولون: توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ.

مثل هذا الكلام وما أشبه ذلك يصدر منهم.

والثالث: أن يكون ﷺ قد أسند إليه في حياته مسؤوليةَ القيامِ بالأعمال التي تتعلّق بذاته الشريفة ﷺ من حيث النبوّة، ولزوم هذا المعنى في الخلافة الخاصة من جهة أن يحصلَ للناسِ الوثوقُ بخلافة الخليفة من قبل الشرع.

لذلك فإنّ الشيخين (أبا بكر وعمر) إذا أرادا أن يوكِّلا أحداً على أيّ أمر نظرا هل وكّله النبي ﷺ على أمر من أمور المسلمين أم لا؟ فإن كان كذلك وكّلاه وإلا توقّفا.

وبلغ مثل هذه الوقائع حَدَّ التواتر، وسنفصّل هذا في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

فعلى هذا واجبٌ أن يُنسَبَ قيامُ الخليفة في الأمور الدينية إلى النبي ﷺ كمثل: بنى الأمير المدينة، نسب فيه عمل المحكوم إلى الحاكم.

وأما ذكر النبي ﷺ أحوال الخلفاء الراشدين بصفات تدل على أنّهم يستحقون الخلافةَ في أحاديث مناقب الصحابة، وفي ذكر مناقبهم فرداً فرداً.

وهذا البيان النبوي وثيقةٌ للخلافة، كما يكون لرواية الحديث والتدريس والإفتاء وثيقة الإجازة.

كما في زماننا اختار العلماء جماعة من تلاميذهم يقومون مقامهم فيما بعدُ، ويصرّحون بذلك، كذلك النبي ﷺ بيّن أمر الخلافة لكبار الصحابة وفضلائهم.

• ومن تلك الأحاديث حديث **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرحمُ أُمّتي بها أبو بكر، وأقواهم في دينِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأقضاهم عليُّ بنُ أبي طالبٍ...**» إلخ، أخرجه **أبو عمر** في أول «الاستيعاب»[1].

• وحديث شيخ من الصحابة يقال له: **أبو محجن** ـ أو محجن بن فلان ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْأَفُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي**»[2] فذكر الحديث.

• وحديث **أنس بن مالك** رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أرحمُ أُمّتي بأُمّتي أبو بكر**»، فذكر مثله[3].

• ومنها: حديث **ابن مسعود** وحديث **حذيفة**: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي**»[4].

• ومنها حديث **علي وحذيفة**: «**إِنْ تُؤَمِّرُوا أَبَا بَكْرٍ** رضي الله عنه **تَجِدُوهُ أَمِيناً زَاهِداً فِي الدُّنْيَا، رَاغِباً فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عُمَرَ** رضي الله عنه **تَجِدُوهُ قَوِيّاً أَمِيناً، لَا يَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيّاً** رضي الله عنه **ـ وَلَا أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ ـ تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً، يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ**»[5].

ومنها: سُئِلَتْ **عائشة** رضي الله عنها: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْلِفاً لَوِ

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٦ و٢٢)، رقم الترجمة: (٦).
(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٢٦).
(٣) أخرجهما أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٦).
(٤) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٣).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٨٥٩).

اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ[١].

ومنها قول عمر رضي الله عنه: ما أَحَدٌ أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ الَّذِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عُثْمَانَ، وَعَلِيّاً، وَطَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ[٢].

• ومنها حديث **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ، وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**» أخرجه **الترمذي**[٣].

وللحديث طرق عند الحاكم[٤] وغيره، وقال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ**»[٥] أخرجه جماعة.

إلى هنا الأحاديث المذكورة تدل على معاملته ﷺ الخلفاءَ الأربعةَ قولاً كمعاملة الملك لولي عهده.

• وأما معاملته ﷺ الخلفاءَ الأربعةَ فعلاً، فوردت فيها أيضاً أحاديثُ كثيرةٌ، بلغت حدَّ التواتر بالمعنى.

منها: تفويض الإمامةِ الصدّيقَ على الصلاة عند ما ذهب إلى قبيلة عمرو بن عوف.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٣٨٥). (٢) أخرجه البخاري رقم: (١٣٩٢).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٠).

(٤) ذكر الحاكم لهذا الحديث طريقين في «مستدركه» (٢/ ٢٩٠)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٤/ ٦٣) عن ابن عباس رضي الله عنه، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١/ ٤٠٨) عنه أيضاً.

(٥) أخرجه الترمذي رقم: (٣٧١٣).

ولمّا خرجت جنود المسلمين من المدينة في غزوة تبوك أسند إليه النبيُّ ﷺ مسؤوليةَ تفقّد العسكر، وإقامة الصلاة.

وتفويضُ إمامة الصلاة إليه في آخر مرضه متواتر بالمعنى.

وكذلك جَعْلُه أمير الحج في السنة التاسعة من الهجرة.

وإرساله في الغزوات عدة مرّات.

ودوام مشاورته ﷺ الشيخين في أمور المسلمين.

• ومعاملته ﷺ عُمَرَ رضي الله عنه تشهد على ذلك، بأن جعله أميراً في بعض الغزوات، وقرره عاملاً على أخذ الصدقات في المدينة المنورة.

• ومعاملته ﷺ عثمانَ رضي الله عنه تشهد على ذلك بأن جعله رسولاً إلى أهل مكة في صلح الحديبية.

• ومعاملته ﷺ عليّاً رضي الله عنه تشهد على ذلك بأن جعله أميراً على اليمن، ودعا له بأن يجعل اللهُ عملَ القضاء سهلاً وهيِّناً عليه. وهذه الأحاديث من حيث المجموع متواترة بالمعنى.

٥ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يتمَّ بعضُ الأمور التي وعد بها اللهُ النبيَّ ﷺ على يد الخليفة، وهذه العلامات تعرف بعد انعقاد الخلافة لا قبلها، بخلاف الأمارات الأخرى؛ لأنها تُعرَفُ قبلها.

ووجود هذا المعنى في الخلفاء الأربعة ثابت متحقِّق، حيث إن آية: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، تشتمل على ذكر إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ [النور: ٥٥]، ذكر فيها أن التمكين للدين والتقوية له تمّ على أيديهم حسب سعيهم، ويحصل الأمن من الكفار، وفي آية: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ﴾ [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى فتح البلدان، وشيوع الإسلام في الأقاليم المعمورة، وفي آية:

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، إشارة إلى غلبة الإسلام على اليهودية والنصرانية والمجوسية، وكان ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة، وفي آية: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ...﴾ [المائدة: ٥٤]، مذكور فيها قتال المرتدّين، وهذا أيضاً علامة الخلافة الخاصة، وقع ذلك في عصر أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وفي آية: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ [الفتح: ١٦]، إشارة إلى جمع العساكر للنفير العام لقتال أهل فارس والروم، وتحقق ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة، وفي آية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة]، إشارة إلى جمع القرآن في المصاحف، وقع ذلك في عصور الخلفاء الثلاثة.

• وقد جاء في الحديث القدسي: «**إنّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم...**»[١]، وفيه إشارة إلى قتال العجم، وقد وقع ذلك في عصر الخلفاء الثلاثة.

• وفي حديث: «**إذا هلكَ كسرى فلا كسرى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرَ فلا قيصرَ بعده**»[٢]، وفي حديث: «**لَتُفْتَحَنَّ كنوزُ كسرى...**»[٣]، فيهما إشارة إلى فتح فارس والروم، وحصل ذلك في عهد الخلفاء الثلاثة.

• وفي حديث قتال الخوارج: «**لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عادٍ...**»[٤]، وورد في حديث آخر لفظ: «**يلي قتلهم أولى الفرقتين**»[٥]، وقع ذلك في عهد علي المرتضى.

---

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» رقم: (٨٠٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٤٢٢) رقم: (٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣١٢٠)، ومسلم رقم: (٢٩١٨)، والترمذي رقم: (٢٢١٦)، واللفظ للبخاري والترمذي.

(٣) أخرجه البخاري رقم: (٣٥٩٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (٢٠٩٨٧).

(٤) أخرجه البخاري رقم: (٣٣٤٤)، ومسلم رقم: (١٠٦٤)، وأبو داود رقم: (٤٧٦٤).

(٥) أخرجه مسلم رقم: (١٠٦٤)، ولفظه: «**يلي قتلهم أولاهم بالحق**»، والنسائي في =

٦ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكونَ قولُ الخليفةِ حجّةً في الدِّين، ليس معنى ذلك أنَّ تقليدَ عامَّة المسلمين له واجباً؛ فإنَّ هذا المعنى من لوازم الاجتهاد، وتقدَّم ذكره في مبحث الخلافة العامَّة[(١)]، ولا على معنى أنَّ الخليفةَ واجبُ الطاعةِ في نفسه من غير استنادٍ إلى تنبيه من النبي ﷺ؛ لأنّ واجبَ الإطاعة في نفسه لم يتيسَّر إلا للنبيِّ ﷺ، بل المراد بذلك هنا أنّ قول الخليفةِ منزلةٌ بين المنزلتين[(٢)].

وتفصيل هذ الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ إذا فوّض بعضَ الأمور إلى شخصٍ بذكر اسمه، فيجب على المسلمين اتباعه، كما يجب طاعة أمراء الجيوش بأمر النبيِّ ﷺ، ووجود هذه الصفة في الخلفاء الراشدين كتقديم قول زيد بن ثابت في علم الفرائض على أقوال المجتهدين الآخرين، وقول عبد الله بن مسعود في القراءة والفقه، وقول أُبيّ بن كعب في القراءة على أقوال الآخرين، وقول أهل المدينة[(٣)] ـ عند اختلاف الأمة ـ على أقوال غيرهم، وقد علم رسول الله ﷺ بتعليم أنّه سيكون في الأمة اختلافٌ كثيرٌ بعده، وتكون الأمّةُ في بعض المسائل في حَيْرةٍ، فاقتضت رحمته الكاملة الكائنة على الأمة أن يقومَ بتعيين المخرج من هذا المأزق، وأن يقيمَ الحجّة في هذا الباب على الأمة، فإنه ﷺ قد قام بذلك، وهذه الصفة ثابتةٌ للخلفاء الأربعة؛ إذ إنّ الله تبارك وتعالى قال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

= «خصائص علي» (١/ ١٣٥)، ولفظه: «**يلي قتلهم أولى الطائفتين**».

(١) انظر هذا المبحث في: (ص٩١).

(٢) يعني: ألّا يكون الخليفة من عامة المجتهدين، بل يكون مجتهداً من نوع آخر، لوجود تنبيه النبيِّ ﷺ إلى وجوب طاعته، فتلك هي منزلة بين المنزلتين؛ أي: النبوَّة والاجتهاد المجرّد عن تنبيه النبي ﷺ إلى وجوب الطاعة.

(٣) كما هو مذهب الإمام مالك من بين أئمة الفقه.

فالمستفاد من هذه الآية: أنَّ كلَّ ما يمكن ويشيع ويشتهر من دين مرضيٌّ، وكل ما اشتهر من الخلفاء من الدين يُنْسَبُ إلى الشرع، قال تعالى: ﴿إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، أفاد فيها أن الطريق الذي ظهر منهم الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر هو الطريق المرضي عند الله.

• وفي حديث **العرباض بن سارية**: **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي»**[١]، وفي حديث **ابن مسعود وحذيفة**: **«اقتدوا باللَّذين مِنْ بعدي أبي بكر وعمر»**[٢]، ورُوي هذا المعنى عن أكابر الصحابة.

• أخرج الدارمي عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ فَكَانَ فِي الْقُرْآنِ أَخْبَرَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَعَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَالَ فِيهِ بِرَأْيِهِ[٣].

والمجتهدون من التابعين وأتباع التابعين أخذوا بهذا الأصل، وإلى هذا ذهب أهلُ المذاهب الأربعة، ومن أمعن النظر في «الموطأ»، وفي «كتاب الآثار» لمحمد بن الحسن الشيباني يعرف علم اليقين أنّه حق، وإن تردد فيه بعض الأصوليين من الشافعية في هذا الباب، ومنشأ تردّدهم غالباً أنَّ بعض السلف لم يأخذوا ببعض آثار الخلفاء.

والتحقيق في هذا الباب: أنّ تقديم بعض الأدلّة الشرعية على بعض عند التعارض لا ينفي حجّية دليل آخر، كما يترك خبر الواحد عند

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣/ ١٦٣) رقم: (١٥٠٢٢).
(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠) رقم: (٣٨١٦).
(٣) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٧١) رقم: (١٦٦).

التعارض بالحديث المشهور والإجماع، (ولا يلزم من هذا أن خبر الواحد ليس بحجة)، ولمآخذ الفقه طبقات، ولكل طبقة حكم خاص بها، وفي هذا المقام ننقل هنا كلام الشافعي بلفظه ومعناه:

قال البيهقي في «السنن الصغرى»: أخبرنا أبو سعيد بن أبي عمرو، قال: حدثنا أبو العباس، قال: أخبرنا الربيع قال: قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما كان الكتاب أو السُّنَّة موجودين فالعذر على مَنْ سمعهما مقطوعٌ إلا باتباعهما، فإذا لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب النبيِّ ﷺ أو واحدهم، ثم كان قول الأئمة: أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، [قال في القديم: وعلي رضي الله عنه[1]] إذا صرنا إلى التقليد أحبّ إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالةً في الاختلاف تدلّ على أقرب الاختلاف من الكتاب والسُّنَّة، فنتبع القول الذي معه الدلالة»[2].

ثم بسط الكلام في ترجيح قول الأئمة إلى أن قال: «فإذا لم يوجد عن الأئمة (أبي بكر وعمر وعثمان) فأصحاب رسول الله ﷺ في الدين في موضع الأمانة أخذنا بقولهم، وكان اتباعهم أولى بنا من اتباع مَنْ بعدهم».

قال: «والعلم طبقات:

الأولى: الكتاب والسُّنَّة إذا ثبتت السُّنَّة.

ثم **الثانية**: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سُنَّة.

والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ، ولا نعلم له مخالفاً منهم.

والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ.

---

(١) زاد في الأصل الفارسي.

(٢) انظر: «المدخل إلى السنن الكبرى» (١/ ٢٣)، و«معرفة السنن والآثار» (١/ ٧٣) واللفظ له.

والخامسة: القياس على بعض هذه الطبقات، ولا يصارُ إلى شيء غير الكتاب والسُّنَّة وهما موجودان، وإنَّما يؤخذ العلم من أعلى[١].

٧ ـ **ومن لوازم الخلافة الخاصة**: أن يكون الخليفةُ أفضلَ الأمة في زمن خلافته نقلاً وعقلاً، ولذلك ذكرتُ في النكتة الأولى أنَّ الخلافة الظاهرة إذا وافقت الخلافة الباطنة حصل وضع الشيء في محله.

ثم ها هنا نكتة وهي: «أنّ غير أخصّ الخواصّ لا يجدر برئاسة الخواصّ»، فخلافة غير الأخص لا تعمّ الجمع، (ولهذا أصحابُ النبيِّ ﷺ هم خواص الأمة، يليق أَنْ يحكمَ عليهم مَنْ هو أخصُّ الخواص؛ يعني: يكون أفضلهم).

واستخلاف غير الأخص حكمه حكم الرخصة بالنسبة إلى العزيمة، والرخصة لا تخلو عن الضعف، ولا يستحقُّ المدحَ على الإطلاق؛ لأنَّ المطلوب في الخلافة الخاصة تمكين الدين من كل وجه، وهذا لا يمكن إلا أن يكون الخليفة أفضل الأمة، كما قال علي رضي الله عنه حين استخلف الحسن: «إن يردِ اللهُ بالناسِ خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرِهم...»[٢]، خلافاً للخلافة العامّة؛ لأن تمكينِ الدين فيها مطلوب من وجه دون وجه، لا من كل الوجوه.

إنما قلنا: إنّ الخليفة يجبُ أن يكون أفضل الأمة لأسباب:

الأول: أنّ الخلافة الخاصة لها شَبَهٌ بالنبوّة، كما ورد في حديث خلافة على منهاج النبوة، وورد في حديث آخر: «**إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمةً، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً**»[٣]، فالخلافة كالنبوة تشمل الرئاسة

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٤).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٤).
(٣) «مجمع الزوائد» (٥/ ١٨٩).

الظاهرة والباطنة للدين والدنيا، فكما أنَّ كون الشخص نبيّاً يدل على أنه أفضلُ الأمة؛ لأنّ الله جلَّ ذكره هو الذي اختاره نبيّاً، كذلك كون الشخص خليفة يدل على أنه أفضل من غيره.

الثاني: استعمالُ غيرِ الأفضل خيانةٌ، كما رُوي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنِ استعملَ رَجُلاً مِنْ عصابةٍ وفي هذه العصابةِ مَنْ هُوَ أرضى للهِ مِنْهُ، فقد خانَ اللهَ، وخانَ رسولَهُ، وخان المؤمنينَ**»[1].

وعن **أبي بكر الصديق** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَلِيَ من أمرِ المسلمينَ شيئاً، فأمّر عليهم أحداً محاباةً، فعليه لعنةُ اللهِ، لا يَقْبَلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً حتَّى يُدخِلَه جهنَّم**»[2].

ومن هنالك تظهر خُطورةُ مكانةِ الخلافة الكبرى، نعم، لا حرج في سلوك الرخصة عند تزاحم المشكلات والفتن، واختلاط الخير بالشرِّ، وعدم قيام الأمر على ما يُرام.

الثالث: أن الصحابة رضي الله عنهم **جعلوا** ـ عند وقت المشاورة ـ **مدار الاستخلاف «الأفضلية»**، وقالوا: (أحقّ بهذا الأمر).

وأما الذين ناقشوا استخلافَ أبي بكر لمّا تبيَّن لهم خطؤهم اعترفوا بأنَّ أبا بكر أفضل الأمة، وهذا مبني على أنَّ الخلافة على حسب الأفضلية، كذلك **ثبتت أفضليةُ الخلفاء الأربعة على حسب ترتيب خلافتهم لأدلة**، وهنا أكتفي بذكر **ثلاثة مسالك**:

المسلك الأول: أنّ استخلافَ هؤلاء ثابتٌ بالنصّ والإجماع، وهذا يستلزِمُ الأفضلية لهم كما مرّ تقريره.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٠٤).

المسلك الثاني: هناك أحاديث كثيرة دالّة على أفضليتهم نصّاً.

منها: حديث **ابن عمر**: «كنا نخيّرُ في زمانِ رسولِ اللهِ ﷺ فنقول: أبو بكرٍ خيرُ هذه الأمة، ثم عمرُ، ثم عثمانُ»[١].

ومنها الحديث: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[٢].

وبعضها يدلّ على أفضليتهما تلويحاً مثل حديث: «**مَنْ رأىٰ مِنْكُم رؤيا؟**»، فقال رجل: «أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزلَ من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر، فرجحتَ أنتَ بأبي بكر، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكر فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمان فرجحَ عمُر»[٣]، المروي عن **أبي بكرة**، **وعرفجة**.

وحديث **أبي هريرة**: «**أما إنّكَ يا أبا بكر أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ**»[٤].

وحديث **جابر**: «**يتجلّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةً، ويتجلّى لأبي بكرٍ خاصّةً**»[٥].

وحديث: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَون أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «**بَلَى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِين...**»[٦].

المسلك الثالث: أجمع الصحابة ﷺ على أنّ الخلفاء أفضل إجمالاً وتفصيلاً، وهذه قصّة يطول ذكرها.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» رقم: (٣٦٥٥)، وفيه: «كنّا نخيّرُ بينَ الناسِ في زمنِ النبيِّ ﷺ، فنخيّر أبا بكر، ثم عمرَ بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان ﷺ».
(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٥٦). (٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٤).
(٤) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٥٢).
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٣).
(٦) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٣١).

بالجملة: فإنّ لفظ: «**خير هذه الأمة**» و«**أحقّ بهذا الأمر**»، ومثلهما في شأن الخلفاء مرويةٌ عن كل صحابي فقيه، كما قال سيدنا عمر الفاروق عند مبايعته لأبي بكر الصدِّيق: «أنتَ أفضلُ منّي»[١]، وقال أبو عبيدة: «أتأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثةٍ»[٢]، أشار فيه إلى آية: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾.

وكما أنّ أبا بكر الصدِّيق قال عند استخلافه عمر واشتكاء الناس إليه بقولهم: «لو قد وَلِيَنا كان أفظَّ وأغلظ»، قال: «أبربّي تخوّفوني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ»، أخرج أبو بكر بن أبي شيبة كل ذلك[٣].

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢١١).

(٢) انظر: «مصنَّف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣) رقم: (٣٨٢٠٦)، والرواية بكاملها هكذا: «عن محمد، عن رجل من بني زريق قال: لمّا كان ذلك اليوم، خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصارَ، فقال أبو بكر: يا معشرَ الأنصارِ! إنّا لا ننكرُ حقَّكم، ولا ينكِرُ حقَّكم مؤمنٌ، وإنّا واللهِ ما أصبنا خيراً إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العربُ ولا تقرّ إلّا على رجلٍ من قريشٍ؛ لأنّهم أفصحُ الناسِ ألسنةً، وأحسنُ الناسِ وجوهاً، وأوسطُ العربِ داراً، وأكثرُ الناسِ شُجْنةً في العرب، فهلمُّوا إلى عمرَ فبايعوه، قال: فقالوا: لا، فقال عمرُ: لِمَ؟ فقالوا: نخافُ الأثرةَ، قال عمر: أمّا ما عشتُ فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى منّي، فقال عمر: أنتَ أفضلُ منّي، فقالاها الثانية، فلما كانتِ الثالثةُ، قال له عمر: إنَّ قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال محمد: وأتى الناسُ عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؛ يعني: أبا بكر، قال ابن عون: فقلت لمحمد: مَنْ ثالثُ ثلاثةٍ؟ قال: قول الله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾.

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤)، والرواية بكاملها هكذا: عن زبيد بن الحارث أنّ أبا بكرٍ حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناسُ: تستخلف علينا فظّاً غليظاً، ولو قد وَلِينا كانَ أفظَّ وأغلظَ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيته، وقد استخلفتَ علينا عمر، قال أبو بكر: أبربِّي تخوّفونني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خير خلقك، ثم أرسل إلى عمر فقال: إني موصيك بوصيةٍ إنْ أنتَ حفظتها: إنّ لِلّهِ حقّاً بالنهارِ لا يقبلُه بالليل، وإنّ للهِ حقّاً بالليلِ لا يقبله بالنهارِ، وإنّه لا يقبلُ نافلةً حتى تُؤدّىٰ الفريضةُ، وإنّما ثقلت موازينُ. . .».

ولكنّ أكثر هذه الشهادات صراحةً هي شهادةُ عليٍّ كرَّم الله وجهه، ذاك أنّه قد ثبت عنه بسندٍ صحيح أنّه كان يقولُ وهو على منبرِ الكوفةِ: «خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر، ثم عمر»[١].

وقد روى ذلك عنه محمد ابن الحنفية، وأبو جُحَيْفة، وعلقمة، ونزَّال بن سَبُرَة، وعبد الخير، وحكم بن حَجَل وغيرهم، وروي من طرق متعددة[٢] عن كلٍّ منهم.

وقد روي ذلك عن علي بسندٍ مستفيض أنّه كان يقول: سَبَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، وَثَلَّثَ عُمَرُ، ثُمَّ خَبَطَتْنَا فِتْنَةٌ، رواه **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند»[٣] **والحاكم** وغيرهما.

وأيضاً رُوي بسندٍ مستفيض أنّ عليّاً شهد جنازة عمر وقال: ما مِنَ النّاسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أَنْ ألقى اللهَ بما في صحيفته مِنْ هذا المسجَّى، أخرجه **الحاكم**[٤] من طريق سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، وأخرجه **محمد بن الحسن**، عن أبي حنيفة، عن أبي جعفر الباقر، عن عليّ مرسلاً[٥]. وأيضاً رُوي من طريق **أبي جحيفة، وعبد الله بن عمر**، وغيرهما.

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ٤٤٧)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢١٢).

(٢) لقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السُّنَّة» بصدد هذا الحديث: وقد روى بضعة وثمانون نفساً عن علي أنّه قال: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، رواها البخاري في «الصحيح» عن علي ﷺ، وهذا هو الذي يليقُ بعليٍّ ﷺ، فإنَّه من أعلم الصحابة بحقّ أبي بكر وعمر، وأعرفهم بمكانهما من الإسلام، وحسن تأثيرهما في الدين، حتّى إنّه تمنّى أن يلقى الله بمثل عمل عمر رضي الله عنهم أجمعين. انظر: «منهاج السُّنَّة»، لابن تيمية (٧/ ٢٨٤) ط: دار النشر، مؤسسة قرطبة ط١: ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١٣٢) برقم: (١١٠٧) واللفظ له، و«المستدرك» للحاكم (٣/ ٧١).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٠).

(٥) انظر: «كتاب الآثار»، لمحمد (ص١٩١) رقم: (٨٦٩).

وثبت عنه بطريق مستفيض أنه كان يروي مرفوعاً: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[(١)].

كما رواه أولاد الحسن والحسين:

قال أبو داود: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِسْكِينٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ يَعْنِي: الْفِرْيَابِيّ ـ قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ يَقُولُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ عَلِيّاً رضي الله عنه كَانَ أَحَقَّ بِالْوِلَايَةِ مِنْهُمَا، فَقَدْ خَطَّأَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارَ، وَمَا أُرَاهُ يَرْتَفِعُ لَهُ مَعَ هَذَا عَمَلٌ إِلَى السَّمَاءِ[(٢)].

وأخرج البيهقي، عن الشافعي بطرق متعدّدة أنه اضطرّ الناس بعد رسولِ اللهِ ﷺ فلم يجدوا تحت أديمِ السماءِ خيراً من أبي بكر الصدِّيق، فولَّوه رقابهم[(٣)].

وليُعلم ضمن هذه المسألة أنَّ الفضائلَ التي هي مدارُ أفضلية الخلفاء في الشرائع ليست من الأمورَ العرفيةَ التي يتطاول بها الشعراء ومَنْ هم على شاكلتهم، مثل علوِّ النسب، وقوة الفصاحة، وزيادة الشجاعة، وكمال الصباحة، والسخاوة وما إلى ذلك ـ ولو أنَّ الشرع قد استحسن هذه الأخلاق النبيلة في الجملة ـ ولا العلومَ الغريبةَ من الرمل، والجفر، والقيافة، ولا تلك الأمورَ التي لم يصرَّح بها في الشرع، مثل معرفة وحدة الوجود ومراتب التنزّلات الستة.

ولمَّا كانت هذه الأمور مما لم يهتمّ بها الشرعُ فكيف يصحُّ بناء الأفضلية عليها، وفي المثل السائر: «ثبِّتِ العَرْشَ أولاً ثم انقُشْ»، بل المراد في هذا الموضع تلك الصفات والخصال التي ذُكِرَتْ في القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٥).
(٢) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٠).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٩٢) رقم: (٧٢).

العظيم والأحاديث النبوية الصحيحة بكونها «أعظمَ درجةً» و«أكثرَ ثواباً» أو مثلهما، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء]، وقال رسول الله ﷺ: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»[1]، وقال ﷺ: «**من أفضلِ المسلمين أهل بدر**»[2]، أو كما قال.

فينبغي لك التأمّل في جميع ما سبقَ من الأمور، ثم وجِّه نظرك من الصفات الجزئية إلى الكليات، ومن المقدِّمات إلى مقاصدها[3] حتّى يتضح لك أنّ أفضلية الخلفاءِ بعضهم على بعض إنّما هو من ناحية زيادة الشبّه بالأنبياء عليهم السلام فيما للأنبياء من صفات وفضائل بحكم نبوَّتهم، أو باعتبار زيادة الصفات التي شرحناها في مبحث الخلافة الخاصّة، أيّاً ما شئت فقل.

ثم اعلم أنَّ المكمِّلات والمقدِّمات للقيام بأمور الخلافة الخاصّة كثيرةٌ جداً، والمقصود الحقيقي هو مطالبُ الخلافة، لا الطرق الموصلة

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٨٥).

(٢) أخرجه البخاري رقم: (٣٩٩٢)، والرواية بكاملها هكذا: عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزُّرقيّ، عن أبيه، وكان أبوه من أهل بدر، قال: جاء جبريلُ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمين**» أو كلمةً نحوها، قال: وكذلك مَنْ شهدَ بدراً من الملائكةِ.

(٣) وقد وردت ـ مثلاً ـ في الآيات القرآنية المذكورة سابقاً فضيلةُ الإنفاق والجهاد قبل الفتح، وهذه فضيلة جزئية، فما هي كليتها؟ هي نصرةُ الدّين عند الغربةِ، ثم المرادُ من الانتقالِ من المقدّمات إلى مقاصدِها إنّما هو ملاحظة: مَنِ الذينَ وقع منهم نصرةُ الدِّينِ عند الغربة أكثر.

إليها، فإذا تحقّقت مطالبُ الخلافة فلا ينبغي النقاشُ حول المقدِّمات والمكمِّلات.

وأضرب لكم مثالاً لذلك، وهو أنّه إذا مسّت الحاجةُ وتأكّدت إلى قتلِ عدوٍّ لرفع المظالم والشرور عن الدنيا، فقام فتًى موفورُ الشبابِ وقضى عليه بحيلةٍ ما، فقام سفيهٌ يقول: لو كان قتله بالسيف لكان أدلّ على الشجاعة من قتله بالسهم، أو يقول: لو كان خشبُ الرمحِ من شجرة كذا لكان أفضل.

• فليعلم **أنّ أقوى وجوه الفضيلة هو: كمالُ التمكين في الأرض، وظهور الدين المرضي المختار على يد الخليفة، إذ إنَّ ذلك هو أصل الأصول في ثبوت الخلافة العامة والخاصّة، وهو المدار والمرجع في مسائل الخلافة، وهذه الفضيلة في الخلفاء الثلاثة أظهر وأشرق.**

• وأيضاً من **أقوى وجوه الفضيلة في الخلفاء هو: نصُّ الشريعة على استخلافهم**، وهذه الصفةُ في الخلفاء الثلاثة أجلى وأوضح، ذلك لأن في معظم أحاديث الخلافة جاء ذِكْرُ الخلفاء الثلاثة فقط.

• وأيضاً **من أقوى وجوه الفضيلة: قيامُهم بأمور موعودةٍ للنبيِّ ﷺ نفسِه.**

ومثال ذلك: أنّ الإعصارَ يُثير الغبارَ، ويطيّره، ثم يجعل منه دوامة كالقبّة الخياليّة لا تكاد تُبقي ولا تذر، (هذا هو حال الإسلام في عهد النبي ﷺ) فحرّكت إرادةُ الله تعالى نفسَ النبيِّ ﷺ كذلك، فصنع بعض الأعمال، وأحدثَ بعض الأمور، حتى توفّاه الله عن بعضها، وبقي الكثيرُ المنتظَرُ للإكمال والإنجاز حتّى تُحْكَمَ بجهود وتدبير الخلفاء مِنْ بعده.

ومن حيث إنّه ﷺ هو تسبّب في تلك الأمور فقد نُسِبَتْ إليه، وإن كانت في الظاهر منسوبةً إلى الخلفاء.

وفي الحقيقة **إنّ عهد الخلافة الراشدة كان تتمّةَ عهد النبوة**، والفرق بينهما أنّ الوحيَ بعدَ النبوّةِ قد انقطعَ، وهذه الفضيلةُ أيضاً ظاهرةٌ في الخلفاء الثلاثة.

• ومن أقوى وجوه الفضيلة: **مؤازرتهم النبيَّ ﷺ، وإعانتهم له في تحمّل أعباء النبوة**، وذلك عن طريق المخاصمة والجهاد والإنفاق في سبيل الله، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ...﴾ [الحديد: ١٠]، ولا يخفى أنّ النبيَّ ﷺ كان وحيداً فريداً في بداية أمره، فلمَّا أرادَ الله ظهورَ أمره ألقى في خواطر أذكياء عصره أن ينصروه، ويؤازروه، حتّى يستحقّوا تلك الرحمة الربانية التي نزلت بالنبيِّ ﷺ، وهذه الصفة في الشيخين ـ خصوصاً ـ قبل الهجرة أظهر.

• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية: **وجود التشبّه في الشيخين بالنبيِّ ﷺ في تأليف قلوب الناس على الإسلام**، واتّصافُ الشيخين بهذه الصفة أوضح.

• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية **أنّهم واسطة بين النبيِّ ﷺ وأمته في نشر علوم القرآن والسُّنَّة**، وهذه الصفة في الشيخين أكثر وضوحاً.

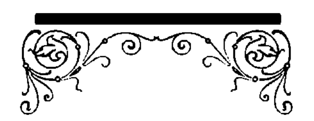
• وأيضاً من أقوى وجوه الأفضلية هو: **جهاد العرب والعجم**، وهذا المعنى في الخلفاء الثلاثة أظهر.

وانتهينا الآن من بيان صفات الخلافة الخاصّة، فاعلم أنّ جمعاً كبيراً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ اكتسبوا من هذه الصفات والخصال ما تيسّر لهم بفضل صحبة النبي ﷺ، وتبوّؤوا منصب الخلافة في بعض هذه الأمور المختصة، مثل: **عبد الله بن مسعود في القراءة والفقه، ومعاذ بن جبل في القضاء، وزيد بن ثابت في علم الفرائض.**

ومنهم من استحقّ الخلافة المطلقة، حيث اجتمعت فيهم شروط الخلافة فكانوا مهيئين بفضل إلٰهي لمن يعطى هذا المنصب، فاختار فضلُ اللهِ هؤلاء الخلفاء الأربعة للخلافةِ المطلقةِ، وجعل غيرَهم من المستحقين تابعينَ لهم، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

واعلم أنّ هذا الفصل مأخوذٌ من القرآن والحديث النبوي وأقوال كبراء الأمة وعظماء أهل السُّنَّة، لكنّ تنقية هذا الموضوع من الزوائد والحشو والاستنباط من الجزئيات إلى الكليات كلُّ ذلك دراسة لهذا العبد الضعيف، وهذا من أثر نور التوفيق الذي أشرتُ إليه في بداية الكتاب، والحمد لله رب العالمين.





الفصل الثالث

[في تفسير الآيات الدالّة على خلافة الخلفاء الراشدين وعلى لوازم الخلافة الخاصّة]

۞ الآية الأولى:

قال الله تعالى بأسلوب بديع في سورة النور، التي جعل فاتحةَ أمرها: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ [النور: ١]، قال فيها: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور]؛ يعني: وعد الله الذين آمنوا ـ ممّن كانوا وقت نزول هذه الآية من أصحاب رسول الله ﷺ ـ وعملوا الصالحات أن يستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم من قوم سيدنا موسى عليه السلام؛ يعني: استخلف سبحانه وتعالى يوشع بن نون من بعد موسى عليه السلام، واستخلف داود وسليمان بعد انقضاء مدة طويلة من عهد موسى عليه السلام.

كذلك وعدهم بتقوية دينهم الذي اختاره لهم، وترسيخ أساسه وأركانه، وتمكين سطوتهم وسلطتهم، وإخراجهم من جوّ الخوف من الكفار والمشركين إلى جوّ الأمن والسلام.

تحقيق كلمة الاستخلاف:

وحقيقة «الاستخلاف» في العرف القديم والجديد أن يُجعل أحد خليفةً أو مَلِكاً، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا خَلِيفَةٍ**...»[١]، وقال: «**يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ يَحْثُو الْمَالَ**...»[٢].

ومعنى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾: ليستخلفنَّ جمعاً منهم، كما تقول العرب: استُخْلِف بنو العباس، وأثرى بنو تميم، مع أنَّ بني العباس كلَّهم لم يُسْتَخْلَفُوا، وبني تميم كلّهم لم يُثْروا، بل المراد أنَّ واحداً منهم صار خليفة وذا ثروة في كل زمان.

إن هاتين النكتتين اللتين بيَّنتُهما ليستا تأويلاً، بل هما غالب الاستعمال في اللغة العربية، وإن قمتَ باستقراء أمثال هذه الكلمات في كلام العرب وجدتها مطابقةً لذلك المعنى في مئة موضع[٣]، ومخالفةً له في عشرة مواضع، وهذا هو الميزان لمعرفة التأويل والمعنى الظاهر.

وجوب طاعة الخلفاء الراشدين:

ثم مفاد قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ أنّه أوجبَ طاعة الخلفاء في

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٨٩)، والحديث بكامله هكذا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**ما من نبيّ ولا خليفة**»، أو قال: «**ما من نبيّ إلا وله بطانتان: بطانةٌ تأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، وبطانةٌ لا تألوه خبالاً، ومن وُقِي شرَّ بطانةِ السّوء فقد وُقِي** ـ يقولها ثلاثاً ـ **وهو مع الغالبة عليه منهما**».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣١٧)، وفي النسخة الفارسية الأصلية: «**في آخر الزمان**»، مكان: «**في آخر أمتي**».

(٣) كذا في الأصل الفارسي، ولعلَّ الصواب هو: «في تسعين موضعاً»؛ إذ إن الفقرة التالية إنما هي: «ومخالفةً له في عشرة مواضع»، فالمعقول أنه إذا خالف الاستعمالُ المعنى المرادَ في عشرة مواضع فلم يبق للموافقة إلا تسعون موضعاً، لا مئة موضع.

الأمور التي تجبُ فيها طاعتهم، كما أنَّ النبيَّ ﷺ إذا قال في حقٍّ أحد: «**أمّرته عليكم**»، كذلك لو قال الخليفةُ مثلاً: «جعلتُ فلاناً قاضياً عليكم، أو ولّيته القضاء عليكم» فهذا القولُ يدلُّ على أنّ له حقّاً، كما يكون للأمير على السرية، أو يكون له حق كما يكون للقاضي على الرعية، فكأنَّ هذه الكلمة تدلُّ على إيجاب جميع الحقوق التفصيلية للخلافة بالإجماع، ولا فرق بين أن تقولَ: استخلفتُ فلاناً عليكم، وبين أن تقول: وعدتُ فلاناً أن أستخلفه عليكم غداً، فإذا جاء الغد أنجز الموعود.

سُنَّة الله في نصب الخليفة:

ثم معنى ﴿لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾: أنّ الله هو مستخلفهم، وهذا الاستخلافُ منسوبٌ إليه، وحقيقة ذلك أنّ الله تعالى هو مدبِّر السماوات والأرض ولطيف لما يشاء، وفي الوقت الذي يرى للعالم خيراً بتعيين الخليفة يُلقي في قلوب الأمة أن يستخلفوا الرجل الذي اقتضت حكمةُ اللهِ أن تجعله خليفة، والحقُّ أنّ جميعَ الحوادث والأمور التي تجري في العالم منسوبة إلى الحق تبارك وتعالى، ولا تنسب إليه عادة بل إلى الأسباب، وإنّما تنسب إليه الأمور التي وقعت بالإلهام الرباني لتحقق الخير بها أو يكون فيها تأييد من الله ﷻ خرقاً للعادة، أو يكون فيها مزيد خصوصية لله تعالى، وعلى هذا القياس المعاني التي خصِّصت نسبتها إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ﴾ [الأنفال: ١٧]، فنسبته تعالى للاستخلاف إلى نفسه لإظهار غاية تكريمهم وتشريفهم، وبيان أنَّ هذا الاستخلافَ نعمةٌ عظيمة، وأمرٌ راسخُ البنيان والحقيقة، كما أنّ لفظ: «عبادي» و«بيت الله»، و«نفخت فيه من روحي» تدلّ على غاية التكريم والرضا.

ذكر الخلفاء الراشدين في آية الاستخلاف لا خلفاء بني أمية وبني العباس:

وقوله: ﴿مِنكُمْ﴾ تحتمل معنيين:

أحدهما: من الأمة المحمدية.

وثانيهما: من الحاضرين عند نزول الآية.

والمعنى الثاني أقوى وأقرب عند التحقيق، فإن في أخذ المعنى الأول يلزم التكرار بدون فائدة، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾، يغني عن ذلك.

فلمّا عُلِمَ أنَّ المراد هم الحاضرون عند نزول سورة النور خرج من عموم الآية معاوية وبنو أمية وبنو العباس.

وقوله: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، يدلّ على معنيين:

أحدهما: أنَّ هؤلاء الخلفاء الموعود لهم بالخلافة، متى ينجِزُ اللهُ لهم وعدَه يظهِرُ الدينُ على أكملِ وجهٍ.

وثانيهما: أنّ كلَّ ما يظهر في عصورهم من العقائد والعبادات والمعاملات والمناكحات وأحكام الخراج وما يسعون إليه في إقامتها وتنفيذها هو غاية اهتمامهم وعنايتهم(١) كان ديناً مرضيّاً، فإذا قضوا في مسألة أو أفتوا في حادثة كان دليلاً شرعيّاً يتمسّك به المجتهد، فإنّ ذلك دين مرضي مختار وقع تمكينه، وأنَّ اجتهاد كل مجتهد ـ ولو كان صحابياً ـ يحتمل الخطأ، والذين قالوا: (إنّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ) يمكن أن تكون عندهم أجوبة مختلفة في كلِّ مسألة، والذين قالوا: (إنَّ المصيبَ واحدٌ والآخر على خطأ وهو معذور)؛ لأنّه يجعلُ احتمال الخطأ في كلِّ

(١) كعناية عمر بن الخطاب ﷺ بإقامة صلاة التراويح، واهتمام عثمان بن عفان ﷺ بإقامة الأذان الثاني للجمعة.

جانب، ولكنّ الخلفاء هم المجتهدون، فيحتمل الخطأ فيما تصدر عنهم من القضايا والفتاوى، لكن هذه الظنون لا تقضي على أحقِّية الأحكام التي صدرت وشاعت في عهد الخلفاء بسعيهم وجهودهم.

المختصر: يتضح أنَّ الدّينَ يظهر في عهد الخلفاء الراشدين على أكمل وجه.

على كل، فإنّ أقوالهم أقوى من قياس الآخرين واستنباطهم، خلافاً للشيعة الإمامية الذين قالوا: إنَّ الدين المرضي لا يزال مستوراً وخافياً، وما زال أئمة أهل البيت مضطرِّين إلى التقية، ولم يتمكّنوا من إظهار دينهم، بل تبيّن من هذه الآية أنَّ الدين المستتر غير مرضيّ وباطل؛ إذ لو كان مرضيّاً لظهر على أكمل وجه، ومكنه الله كما وعد.

۞ قيام الأمن في الخلافة الموعودة:

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥] يدلّ على أنّ المستخلفين وسائر المسلمين يكونون مطمئنين وآمنين في وقت إنجاز الموعود، لا يخافون من الكفَّار من مختلف الديانات ولا فيما بينهم، خلافاً للإمامية الذين يظنون أنّ أئمة أهل البيت ما زالوا خائفين من المسلمين، مضطرّين إلى التقية، وما زالوا يظنون أنهم يلقون من المسلمين الأذى والمهانة، ولم يحصل لهم نصر من الله.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يدلّ على أنَّ الطائفة التي وعدهم الله تعالى بنعمة الاستخلاف يكونون متصفين بالإيمان الكامل والعمل الصالح.

وقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا يستعمل عرفاً في شأن الرجل إلا إذا فاق عامة المسلمين بالعمل الصالح.

والمراد بقوله تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]: أن باباً من التوراة يشتمل على وعدٍ بفتوح بلاد الشام، وأحكام البلاد المفتوحة، ولحكمة من الله تبارك وتعالى لم يتحقّق هذا الوعد في زمن موسى عليه السلام، واستخلف سيدنا موسى عليه السلام يوشع بن نون لإنجاز هذا الوعد ففتح يوشع بن نون ثمانين مدينة من بعد وفاة موسى عليه السلام، وجعلهم مطمئنين، وقسّم هذه المدن بين بني إسرائيل طبقاً لوصية موسى عليه السلام.

وهكذا وعد الله نبيَّنا محمداً ﷺ بفتح بلاد الشام والعجم، قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٢٨]، وهذا الوعد لم يتحقّق أيضاً في زمن النبيِّ ﷺ لحكمة من الله تعالى، فاستخلف اللهُ الخلفاء الراشدين الأربعة لإتمام هذه الأمور، كما استخلف الله داود وسليمان عليهما السلام بعد غلبة العمالقة، وتفرُّق قبائل بني إسرائيل، قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [صٓ: ٢٦]، وأقنعا بني إسرائيل وطمأناهم، كذلك خلفاء نبيّنا النبي ﷺ بعد وفاته وبعد ارتداد أهل العرب جعلوا المسلمين مطمئنين.

وبالجملة: فإن هذا التشبيه عبارة عن بيان أن خلافتهم تكون خلافةً راشدةً ومرضيةً عند الله تعالى، وتظهر منها آثار خير وصلاح.

استقرار الإسلام في عهد الخلافة الراشدة:

وقوله: ﴿لَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ﴾ يدلّ على أحد المعنيين:

أحدهما: أن يكون تمكين دين الله على أيدي هؤلاء الخلفاء، وهم بتوفيق الله تعالى يبذلون قُصارى جهودهم في هذا الباب، ويكون نصر الله حليفهم، وقد تحقّق كل ما أرادوه واهتمّوا به بفضل الله تعالى حسب

أمنيتهم وإرادتهم في حياتهم، وذلك بوضوح ووفور موافقاً لقوله تعالى: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١].

ثانيهما: أن تكون عنايتُهم مركَّزةً على تمكين دين الله في الأرض وهم يدعون الله تعالى ذلك دائماً، حتَّى إذا مكّن الله الدين ينتفعون به، ويستفيدون منه، ويفرحون به، وهذه النعمة العظيمة تمَّت على يد هؤلاء الخلفاء وسعدوا بها، والحقّ أن كلا المعنيين تحقّق، والله أعلم.

ثم إنّ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥] يدلّ على أنّ هذا الوعدَ يُنْجَز بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ويبقى ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾[١] على معناه الحقيقي.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ فيه تأكيد وتحقيق لاستخلافهم، وتفيد أنّ استخلافَ هؤلاء الخلفاء نعمة عظيمة تستوجب الشكر لله، وأول من كفر هذه النعمة العظيمة وأعرض عن الشكر عليها هم قتلة أمير المؤمنين سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم الفرقة الإمامية من بعدهم، الذين يتّهمون بأنهم اغتصبوا الخلافة من أهلها، ويظنون أنّ بلاء عظيماً نزل من السماء وهو أنَّ الصحابة كلّهم خالفوا وصية النبي ﷺ، وعصوا مَنْ نصَّ على خلافته، سبحانك هذا بهتان عظيم.

قول علي رضي الله عنه في هذه الآية:

وأوّلُ مَنْ فهم من مفسِّري الصحابة هذه الآية على هذا المعنى وعدّ

(١) لو كان إنجاز الوعد في حياته ﷺ فيكون هذا الوعد له، أو لو كان هذا الوعد يتم في حياته ﷺ لكان فيه إشارة إلى ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥] إحدى الطائفتين و﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: ٢٠]، ولا يمكن أن يقال: أن يتم بعد وفاته ﷺ، بل لفظ ﴿وَعَدَكُمُ﴾ يدل صراحة على أن النبي ﷺ يراد مع المسلمين في هذا اللفظ، والوعد الذي جاء في آية الاستخلاف لم يتم في حياة النبي ﷺ، هذه حقيقة تاريخية، وهذا الاستدلال يدل على دقة المؤلف، جزاه الله خيراً.

هذا الوعد مُنْجَزاً في زمن سيدنا عمر الفاروق ﷺ هو علي المرتضى كرَّم الله وجهه، إذ إنّ عمر الفاروق ﷺ لما استشار من الصحابة في ذهابه إلى العراق تمسّك علي ﷺ بهذه الآية، ومنعه عن ذلك، فعُلم من هنالك بداهةً أنّ خلافة سيدنا عمر الفاروق هي من جملة الاستخلاف الموعود من الله تبارك وتعالى.

وقول علي ﷺ قد روي بأسانيد متعددة في كتب أهل السُّنَّة والشيعة، وذكر في «نهج البلاغة»: «أنّ هذا الأمرَ لم يكن نصرته، ولا خذلانه لا بكثرة ولا قلّة، وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعزّه وأيّده، حتّى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، نحن على موعود من الله[1] حيث قال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ...﴾ [النور: ٥٥]، فاللهُ منجِزُ وعدِه وناصرُ جندِه»[2]، إلى آخر ما قال، لا كما يقول الشيعة: إن هذا الوعد يتحقّق في زمن الإمام المهدي، أو تحقَّق في زمن النبي ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]، فيهما بيان علّة غاية الاستخلاف، كما قال عزَّ من قائل: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، كأنه يقول: غاية استخلافهم تمكين

(١) هذه الجملةُ أدرجَها بعضُ شرّاح «نهج البلاغة»، ولكن المُلّا فتح الكاشاني نقل هذه الجملة في شرحه وقال: إنَّ عليَّ بن أبي طالب قد أشار إلى هذه الآية.

(٢) انظر: «شرح نهج البلاغة» (٩/ ٥٧)، و«البداية والنهاية» (٧/ ١٠٧)، و«التذكرة الحمدونية» (١/ ٤١٠)، قد نقل هذا الكلام عن علي المرتضى عند غزوة الروم لما أراد عمر ﷺ أن يشارك في هذه المعركة بنفسه وشاور الصحابة، وقال علي بن أبي طالب مخاطباً له: قد توكل الله لأهل هذا الدين بإعزاز الحوزة وستر العورة... إلخ، «نهج البلاغة»، وقال الميثم البحراني (ت٦٩٩هـ): استنبط عليٌّ ﷺ هذا الحكم من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ...﴾ (ش).

دين الله في الأرض، وإعلاء كلمة الله، وإظهار الدين على سائر الأديان كلها.

❁ الآية الثانية (وهي آية التمكين):

وقال الله تعالى في سورة الحج: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج]؛ يعني: ـ من سُنَّة الله تعالى ـ أنه يدفع عن المؤمنين ضرر أعدائهم وكيدهم، وقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

حكمة الإذن بالجهاد:

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨] المقصود منه إذن الجهاد، ولكن فيه أعلى نوع من البلاغة والفصاحة؛ يعني: أن سُنَّة الله المستمرّة هي دفع شر الكفار عن المسلمين، وهذا المعنى يوجد في الجهاد، ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج] فيه إشارة إلى معنى آخر، وهو أن سُنَّة الله المستمرّة هي دفع شرّ الكفار عن المسلمين؛ لأنه تعالى لا يحبّ الخوّان الكفور، ويحبّ المتديِّن الشاكر الخاضع له، ولما أن الكفار متصفون بالخيانة وكفران النعمة، وأن الموحِّدين المؤمنين هم متصفون بالتديُّن والشكر، فاقتضت سُنَّته المستمرّة أن ينصر، الموحِّدين، ويكبتَ دابر الكافرين، ويُبطِلَ كيدَ الكائدين.

أسباب الإذن بالجهاد:

وقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩] فيه بيان لسبب إذن الجهاد؛ يعني: أنهم ـ المسلمين المهاجرين ـ مظلومون، ومن سُنَّة الله تعالى أنه ينصر المظلومين ويرحمهم، ويبطش بالظالمين ويكبتهم، وشُرِع للمظلوم دفع الظلم عن الظالم في جميع الملل والنحل، ثم توصيف المسلمين بالموصول الذي صلته ﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ يُشير إلى أن هؤلاء الكفار هم أشدّ ظلماً، وأكبر عدواناً، لأجل قتالهم لهؤلاء الضعفاء والمساكين من المسلمين، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، بدلاً من «والله لأنصرنّهم على الظالمين»، إذ إنَّ في تسهيل الوعيد تهديداً عظيماً، وفي تسهيل الوعد بشارةً عظيمةً؛ لأن الكناية أبلغ من التصريح، ومن أقوال الملوك والسلاطين أنهم يقولون عند شدَّة الغضب والغيظ: ألسنا بقادرين على إهلاكك، ويقولون عند غاية العطف والشفقة: ألسنا بقادرين على تكريمك وإنعامك، ذلك لأنَّ كلامَهم الموجزَ أنفعُ من كلام طويل لغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم...﴾ [الحج: ٤٠] بدل من ﴿لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ﴾ [الحج: ٣٩]، يُشير إلى بيان نوع آخر من ظلم الكفار؛ يعني: هو أنّهم يقاتلونهم ويقهرونهم تارةً، ثم يخرجونهم من ديارهم من غير جرم ومعصية تارةً أخرى، و﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠] تهكّم عجيب؛ يعني: عجباً من هؤلاء الجهلة التائهين أنهم يعتقدون التوحيد الذي يستحقّ التعظيم والتكريم جرماً ومعصية ويعاملون الموحِّدين معاملة العصاة المجرمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾ [الحج: ٤٠]، فيه بيان سببٍ آخرَ للإذن بالجهاد، كما أن على المظلوم أن يدفع شر الظالم عن عرضه

وماله ونفسه، وذلك أمر مهم ومحمود، كما قال تعالى: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء] توجد في الجهاد مصلحة دينية كذلك، وهي أن حكمة الله تقتضي أن يظهر الدين الحقّ في كلِّ زمان بجهود الأنبياء وخلفائهم، والكفار يعضّون الأنامل من الغيظ على غلبة الإسلام دائماً، يمتلئون غيظاً عند سلطة المؤمنين، فلولا أنَّنا جعلنا الموحِّدين بمنزلة أعضائنا، ودفعنا بهم شرّ الكفار لخربت معابد جميع الأديان، وانعدمت بيئة ذكر الله تعالى والتقرُّب إلى جنابه.

وقوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] فيه إشارة إلى شرط الخليفة الذي يجعله الله مثل الجارحة، وينصر الله الدين على يده؛ يعني: لا يستحقّ المرء أن يُحقِّق الله نصرتَه على يده ويجعله كالجارحة، ويجعله خليفة النبي ﷺ في تحمُّل مسؤولية الجهاد، وإعلاء دين الحق، ورفع كلمة الإسلام حتى يقومَ هو نفسُه ـ بقلبه وقالبه ـ بإعلاء كلمة الله، ويشمِّر عن ساعد الجدّ والعمل لهذه المهمة.

هزار نكته باريك تر از مو اينجاست نه هر كه سر بتراشد قلندري داند

الترجمة: هاهنا ألفُ نكتةٍ أدقُّ من الشَّعْرِ، ليس كلُّ مَنْ حلَق الرأسَ قلندرياً[1].

وعد التمكين في الأرض:

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ...﴾ [الحج: ٤١]، بدلاً من قوله: ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠].

والمراد بقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾؛ أي: إن مكَّنَّا بعضهم، مثل ما

(١) **القلندرية**: جماعة من الصوفية، والمراد: أن المؤلف ما ذكر من الأسرار لا يمكن معرفته بمطالعة الكتب فحسب.

يقال: واستخلف بنو العباس وأثرى بنو تميم؛ إذ إن تمكين جميع المهاجرين أو تمكين جماعة كبيرة منهم مستحيل عادةً، ولا يتبادر الذهن إلى ذلك، ولعلَّك قرأت في مئة موضع في الحديث: «قالت الأنصار كذا، وفعل بنو تميم كذا»، ويكون المراد به: زعماؤهم ورؤساؤهم، ليس كل فرد فرداً منهم.

وقوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ [الحج: ٤١] علَّق الله تعالى جزءاً من الخلافة بجزء آخر منها؛ لأن الخلافة الشرعية عبارة عن التمكين في الأرض مع إقامة الدين؛ يعني: إن حصل لهم التمكين في الأرض، وصاروا خلفاء، لا شك أنّ ذلك التمكينَ يكونُ مع إقامة الدين، وهذه هي الخلافة الراشدة.

تمكين الدين في عهد الخلفاء:

فالخلفاء الراشدون من المهاجرين الأولين الذين قال الله في شأنهم: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾، وقال: ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾، وفي هذا إذن الجهاد لهم قطعاً، وثبت لهم التمكين أنهم يقيمون الدين بمقتضى هذا التعليق بالقطع.

والخلاصة: أنهم هم الخلفاء الراشدون بلا شك؛ فإن معنى الخلافة الراشدة عبارة عن التمكين، وإقامة الدين.

وقوله: ﴿أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١] فيهما إشارةٌ إلى إقامة أركان الإسلام، و﴿وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ يتضمّنُ إحياءَ علوم الدين، و﴿وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ يشمَلُ القتالَ مع الكفّار، وأخذ الجزية منهم؛ لأنَّ الكفرَ أقبحُ المنكرات، وأشدّ النهي عن المنكر القتال، ويشمل كذلك إقامة الحدود والتعزيرات على عصاة المسلمين.

ثم المفهوم من ﴿أَقَامُوا۟﴾ و﴿وَءَاتَوُا۟﴾ و﴿وَأَمَرُوا۟﴾ و﴿وَنَهَوْا۟﴾: أن كل

ما يظهر من قِبَل الممكَّنين من الخلفاء في أيام تمكينهم في هذه الأبواب (أي: من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)[١] له اعتبار في الشرع.

ثم إنّ كلمة ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمْ﴾ بمعنى «إذا مكنَّاهم»؛ لأنّ فيها إخباراً بتمكين هؤلاء في المستقبل، لا مجرَّد تعليق التالي بالمقدَّم بدون ضمان تحقّق المقدَّم في المستقبل، والقرينةُ على ذلك ما سبق من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ...﴾ [الحج: ٣٨]، و﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾ [البقرة: ٢٥١].

وكلمة ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]؛ معناها: أننا نعلم عواقبَ الأمور، ونعلمُ ما يقعُ في المستقبل من حوادث ووقائع، ولذلك أذِنَّاهم بالجهاد، وهذا الجهاد يفضي إلى مدافعة شرّ الكفار.

۞ المقارنة بين مدلول آية الاستخلاف وآية التمكين:

فإذا فهمتَ معنى الآيتين لغةً وشرعاً فحان الوقت أن تفهمَ نكتةً أخرى، وهي: أنّ كلتا الآيتين؛ أي: آية الاستخلاف وآية التمكين[٢] تدلّان على شيء واحد، فالمقصود واحد والتعبير مختلف، وينبغي أن تفهمَ أنّ هذه النكتة من فروع الآية الكريمة: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، ألا ترى أنه تعالى قال في موضع: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا

---

(١) كما كان إقامة صلاة التراويح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذها المسلمون أنها من الشرع.

(٢) المراد من آية الاستخلاف هو قول الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿ءَامِنًا﴾ [النور: ٥٥]، والمراد من آية التمكين هو قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، وآية الاستخلاف أيضاً تحتوي على وعد التمكين، كما قال تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥].

ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ﴾ [النور: ٥٥]، وبيَّن «التمكين في الأرض» مع إقامة الدين في موضع آخر[١].

والحاصل أنّ الاستخلاف والتمكين بمعنًى واحد، ورد هنا لفظ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ...﴾ [النور: ٥٥]، وفي مكان آخر: ﴿إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ...﴾ [الحج: ٤١]، بعد قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ...﴾ [الحج: ٣٨]، وقوله: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، (وكلاهما بمعنى واحد).

وورد هنا لفظ: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ...﴾ [النور: ٥٥]، وهناك: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، ورد هنا ما يتعلَّق بالاستخلاف، وهناك ما يتعلّق بالتمكين في الأرض.

ورد هنا: ﴿يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وفي مكان آخر: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، وذكر الله هنا تحسين أعمالهم، والاعتداد بإقامتهم للحدود والتعزيرات شرعاً من لفظ: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، وهناك يفهم هذا المعنى من لفظ: ﴿أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ...﴾ [الحج: ٤١]، قيل هنا: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥]، وهناك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ﴾ [الحج: ٣٨] و﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، وجاء في موضع ﴿مِنكُمۡ﴾؛ أي: من الحاضرين عند نزول الآية، وفي موضع آخر: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الحج: ٣٨]، وفي معنى كلتا الكلمتين عموم وخصوص من وجه؛ إذ إن بعض المهاجرين من الصحابة استشهدوا في بدر وأُحد، وأنّهم لم يدركوا زمان نزول آية الاستخلاف، وهناك طائفة من الصحابة لم يكونوا من المهاجرين الأوَّلين، ولكنّهم أدركوا زمان نزول آية الاستخلاف، علم من الجمع بين هاتين الآيتين أنّ

---

(١) هو: قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ...﴾ [الحج: ٤١].

الخلافةَ تكون في الذين يتّصفون بصفتين؛ يعني: أنهم يكونون من المهاجرين الأولين، ويدركون نزول آية الاستخلاف.

وها هنا قاعدة كلية في الأصول، إذا عبِّر عن معنيين في عبارتين مختلفتين فيكون ظاهر إحدى العبارتين يحكم من نصِّ العبارة الأخرى، وما يفهم من النصّ في الظاهر هو الذي ينبغي أن يراد بها، كذلك إذا كان هناك عام وخاص يخصص العام، وإذا كان مطلقاً في آية يقيد من آية أخرى بما يفهم من المقيد هو الذي يراد به من المطلق.

❁ دلالة الآيتين على خلافة الخلفاء:

بعد أن تمّ بيانُ ذلك نتوجَّه إلى أصل غرضنا، وهو أنّ هاتين الآيتين اللتين هما متحدتان في المعنى، ومختلفتان في العبارة، تدلّان على خلافة الخلفاء؛ لأنّ وعد الله حقٌّ، ولا بدّ أن يتحقّق في الخارج، فثبت ـ باليقين ـ أنّ الاستخلاف والتمكين في الأرض للمهاجرين الأولين وللحاضرين عند نزول آية الاستخلاف، ولو لم يكن هؤلاء الخلفاء مصداق هذه الخلافة، فكأَنَّ وعد الله لم يتمَّ بعدُ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً؛ ذلك لأن الصحابة لم يَعِشْ أحدٌ منهم بعد مئة سنة من وفاة النبي ﷺ، فضلاً عن المهاجرين الأولين والحاضرين عند نزول آية الاستخلاف، فإن لم يحقّق الاستخلافُ الوعدَ المذكور خلال هذه المدة لم يتم إلى يوم القيامة؛ لأننا أثبتنا أن الوعد للمهاجرين والحاضرين عند نزول آية الاستخلاف فلا بدّ أن يتم في حياتهم، وفي هذه المدة لم يحصل الاستخلاف والتمكين إلا لهؤلاء السعداء، فظهر أنّهم مستخلفون وممكنون في الأرض قطعاً.

بطلان نسبة الغصب إلى الخلفاء الراشدين:

وأما ما يقوله الجهال: إنّ الخلافةَ اغْتُصِبَتْ من أهلها، وسُلِّمت

إلى غيرِهم، فإنّهم يكذّبون الله ورسوله ﷺ، فإنّ مخالفة الأمر التشريعي قد يحصل، ومثال ذلك أنّ زيداً أمرَ بإقامة الصلاة ولم يُصلِّ، فهو مخالِفٌ الأمر، ولا يخالف الوعدَ الإلـٰهي، فالأصل في هاتين الآيتين وعد وإخبار وبيان تشريع استخلافهم في ضمن هذا الوعد، وبعد هذا التكريم والتصويب لا تكونُ خلافتهم غير ماضية، فإذا تمّ ذلك الوعد صار ذلك الاستخلاف في حكم الصريح، كما يقال: استخلفت عليكم فلاناً ثم فلاناً، ويجب علينا الانقياد لهؤلاء الخلفاء، فالظاهر وعد، والباطن إيجاب الانقياد، نستطيع أن نقول على سبيل الافتراض والمثال ـ مع أن هؤلاء الخلفاء يتعالون عمّا نقول عنهم علوّاً كبيراً ـ: لو أن الله تعالى قال في شأن شخص: إنِّي وعدتُ خطيبَ هذه الجمعة بأن نمنحه كذا وكذا من النعم، أو يقول: خطيبُ هذه الجمعةِ يكونُ عالماً قارئاً صالحاً، ثم وقع تنافسٌ وتنازعٌ بين خطيبين، حتى آل الأمر إلى المصارعة والمصادمة بينهما، فغلب أحدُهما على الآخر، وربط رجله ويده، وصعد على المنبر وخطب، فهو الذي يستحقّ الكرامة والإنعام ليس المصروع والمدفوع.

فكذلك لو سُلِّم قولُ أولئك الجهلة: أنّ الخلفاء تولّوا منصب الخلافة بالجبر والقهر لا يلزم منه عدم كونهم خلفاء[١]، وليست خلافة النبيِّ ﷺ أمراً كُلِّف بها الناس، فإن عملوا بحسب الأمر كانوا مطيعين، وإن عصوا استحقّوا العقوبة، بل كان هذا الوعدُ منزَّلاً من فوق العرش، مستحيلاً تخلُّفُه؛ فإنّ الله لا يخلِفُ الميعاد، ولا علاقة في هذا الوعد لإجبار واختيار من أحد، نعم كانت أذهان المسلمين تذهب إلى مذاهب شتى ما لم يتمكن الأشخاص المعينون على الخلافة مثل ما وقع في

(١) هذا على سبيل المثال.

خيبر، لما قال النبيُّ ﷺ: «**لأُعْطِينَّ هذه الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْه، يُحبُّ اللهَ ورسولَه، وَيُحِبُّه الله ورسولُه**»[١]، تيقّن المسلمون أن الذي يُعطى الرايةَ هو محبّ لله، ومحبوب إليه، ولكنّهم لم يكونوا يعرفوا بالتعيين أيُّهم يسعد بهذه النعمة الجليلة، فلمّا أعطاها النبي ﷺ عليّاً كرّم الله وجهه في اليوم التالي تحقَّق أنّ هذا الرجل الموصوف إنّما هو علي المرتضى رضي الله عنه.

فكذلك عُلم بالقطع بمقتضى هذه الآيات أنّ طائفةً من المسلمين سوف يُسْتَخْلَفون ويُمَكَّنون، ولكن بقي غموض وصعوبة في تعيين هؤلاء الأشخاص، فلمّا انكشفَ الأمرُ، وتجلّت الحقيقة، وتحقّقت خلافة أشخاص معيَّنين بعناية جماعة من المسلمين، وتحقَّقت كذلك فتوح البلاد، وتمكين دين الله، وإعلاء كلمة الله على أيدي الخلفاء، علمنا باليقين أنّ الوعدَ كان لهؤلاء الخلفاء أنفسهم، وأصابت قرعةُ الاستخلاف والتمكين في الأرض بأسمائهم.

فإذا حاك ذلك في صدرك لأجل قول الإمام البغوي في تفسير ﴿كَمَا ٱسْتَخْلَفَ﴾، قال: قال قتادة: «كما استُخْلِفَ داودُ وسليمان وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام، وقيل: كما استخلف الذين من قبلهم؛ يعني: بني إسرائيل حيث أهلك الجبابرة بمصر والشام، وأورثهم أرضهم وديارهم»[٢].

الاستخلاف على قول قتادة بمعنى: جعل الرجل خليفة، ولكن على القول الآخر هو بمعنى: إقامة قوم مقام قوم آخرين، وهكذا يحتمل أن يكون المراد من الآية تمكين كافّة المهاجرين الأولين وحينئذٍ لا يصحّ الاستدلال على خلافة الخلفاء بهذه الآية.

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٣٧٠١ و٤٢١٠).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/٥٨).

نقول لرفع التردد: التعليل الأول يوافق استعمال العرب وتفسير النبي ﷺ، فحينئذٍ لا يُلتفَتُ إلى القول الثاني، وعلى تقدير التسليم، فإنّه لا يُتصوَّر استخلاف جماعة عظيمة وتمكينها بدون خليفة فإنّها محالٌ عادةً، بل استقرار المسلمين وتمكُّن المهاجرين عبارة عن نصب الخليفة وتمكين رئيسهم في الحقيقة، فَوَعْدُ الاستخلاف وتمكين كافّة المسلمين يرادف ـ في الحقيقة ـ وَعْدَ خليفة ممكّن في الأرض.

وعد الحفظ للقرآن الكريم:

نذكر هنا مقدمةً كثيرةَ الفوائدِ، لقد وعد الله بحفظ القرآن على مرّ الدهور، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، ثم بيّن في الآية الأخرى صورة حفظه فقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة]، فَوَعْدُ الله حقّ، وحفظه لا بدّ أن يتحقق، ولكنّ حفظ الله تعالى ليس كحفظ بني آدم أشياءهم، ولا كالنقش على الحجر مثلاً بأن يظهر، بل صفة ظهور حفظه ﷻ في الخارج أنّه ألهم في قلوب الصالحين من الأمة المرحومة أن يسعوا في جمعه بين الدفّتين، وأن يجتمع المسلمون بجميع فئاتهم وطبقاتهم على هذه النسخة الوحيدة، وأن تشتغِلُ جماعاتٌ عظيمةٌ من القراء خصوصاً، ومن سائر المسلمين عموماً بقراءته ومدارسته؛ لكي لا ينقطع التواتر والتواصل، بل يزداد ويتضاعف يوماً فيوماً، وأن تقوم جماعات أخرى بتفسير معانيه وشرح غريبه وبيان أسباب نزوله، وذلك ببذل أقصى السعي، حتى لا تزال جماعةٌ قائمةٌ بأمر التفسير والتوجيه في كل عصر، هذه صورة الحفظ التي رضي الله بها، لا كمثل النقش على الحجر، فلما تمّ ذلك الوعد علمنا أن ما فاته الحفظ من أجزاء القرآن ليست تلاوته[1] فرضية، فلذلك ذهب العلماء المحققون إلى أنه لا يجوز

---

(١) نسخ جزء من القرآن، فالنسخ وقع على ثلاثة أقسام: **الأول**: منسوخ التلاوة ومنسوخ =

في الصلاة وغيرها إلا القراءات المتواترة، والقراءة المتواترة ما وجد فيها شرطان:

الأول: أن يكون إسنادها عن الثقات إلى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً، لا أن يكون مجرد احتمال رسم الخطّ.

الثاني: أنْ توافقه رسم المصحف العثماني؛ وذلك لأنه قد تبيّن أنّ من صور الحفظ، التدوين بين اللوحين، واجتماع الأمة عليه، فعلم أنّ ما كان غير ذلك لم يحفظ، والذي لم يحفظ ليس بقرآن؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وقال: ﴿إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧﴾، علم من هذا أنّ قراءة «والذكر والأنثى» بدلاً من ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل] شاذّة، لا تصحُّ تلاوتها في الصلاة، وإن وجدت في رواية ابن مسعود وأبي الدرداء رضي الله عنهما صحيحتين، وكان يناقش ابن عباس رضي الله عنهما بعض الصحابة في تلفظ بعض الآيات عند انتساخ المصحف العثماني من أصل الشيخين، فمثلاً: «وصّى ربّك» مكان ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]، و«أولم يتبيّن» مكان ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾ [الرعد: ٣١].

وبالجملة: فإنّ الجماعة لم تلتفت إلى قوله وتلفظه، بل كتبوا ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ و﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ﴾، وانتشرت هذه النُّسَخُ في الآفاق، وبذلك عرفنا أنّ قول الجماعةِ صحيحٌ، وتحرِّي ابن عباس كان من باب خطأ المعذور.

وطائفة من الصحابة ممن تنافسوا في جمع القرآن رتّبَ كل منهم مصحفاً بمفرده، وكل واحد في ذلك العصر كتب السور القرآنية بلغته

= الحكم، **الثاني**: أن يكون منسوخ التلاوة، **الثالث**: منسوخ الحكم، لم يكتب في القرآن الكريم القسم الأول والثاني، وهذا هو الجزء الذي لم يحفظ في القرآن؛ لأنهما منسوخان.

على غير لغة قريش، فقام سيدنا عثمان ﷺ بمحو هذه المصاحف بالإلهام الربّاني، وجمع كل واحد منهم مصحفاً على لغة قريش، فانفتح باب المنازعات و«قيل وقال»، وظهرت بعضُ الظنون والأوهام في الجانبين، فلمّا اتفق العالم الإسلامي والأقاليم الإسلامية على المصاحف العثمانية، تيقّنّا أنَّ المحفوظَ هو ما في هذه المصاحف العثمانية لا غير، وأمّا غيرها من المصاحف فما أريد حفظها ـ من الله ـ البتة، ولو كان مطلوبَ الحفظ لما مُحِيَ قطّ.

ولا يعتبر عاقلٌ من الحِفَاظ أن يكون القرآن محفوظاً عند إمام موهوم الوجود ومستور الحال، سبحانك هذا بهتان عظيم، أو المراد: أن يكتب أحدٌ في كتاب نادر على وجه التعجب أنّ فلاناً قال: كذا، وكتب فلان كذا، وعند المقارنة يكون الصواب في جانب، وخطأ المعذور جانب آخر، فارتفع اللثامُ عن وجه الحقيقة، وظهر الحقُّ كفلق الصبح، ولم يعدْ هناك مجال للخلاف، فمن خالف فهو زنديق يجب قتله.

نكتة لطيفة حول الإلهام:

فإذا كان لديك أذن صاغية وقلب واعٍ فاستمع إلى نكتة لطيفة، وهي أنّ الله يُدبِّرُ العالَمَ بإلهامِ أمورِ الحقِّ في قلوب عباده الصالحين لأجل إمضاءِ مراده، وتحقيق موعودِه، كما بيّنه الله في قصّة موسى والخضر ﷺ (إنَّ اللهَ أرادَ أن يقتلَ غلاماً، فألهمَ الخَضِرَ فقتله)، وكان في أيّامِ النبوة ينزلُ الوحي على قلبِ النبيِّ ﷺ، ولم يكن مجال للشك والشبهة إطلاقاً، ولكن حين اختُتِمَتِ النبوة، وانقطع الوحي، كان دخول عباد الله الصالحين في مقاصد الله إمّا بالفكر أو الاجتهاد، أو بنوع من الرؤيا والإلهام والفراسة، والحكمُ الثابت كان مشروعاً، وكان الناس مكلّفين به، وأمّا الإلهام والرؤيا فلم يكونوا مكلّفين بالحكم الثابت به،

ولمَّا تمَّ الأمرُ، وتبيَّن للناس أحقيَّة ذلك الحكم، وتقرر عند أهل التحقيق، وجب أن يكون معتبراً، هذا كما وقع بين عمر وأبي بكر ﵄ في قتال المرتدّين: «فعرفتُ أنّه الحقّ»[١]، والأسبابُ والدواعي التي كانت تنشأ في قلوب الخلفاء كانت من هذا القبيل.

عهد الخلافة من بقايا عهد النبوّة:

كانت أيّامُ الخلافة من بقية عهد النبوة، فكأنَّ النبيَّ ﷺ كان ينطق بلسانه في أيام نبوته صراحةً، أمّا في عهد الخلافة فكان ساكتاً، ولكن بيَّن الأمور بالإشارات والكنايات، وفَهِمَ ذلك مَنْ فَهِمَ، وأخطأ مَنْ أخطأ.

❁ التعريف الصحيح للإجماع:

و«الإجماع» الذي سمعته على لسان العلماء، ليس معناه: أن يتّفقَ جميعُ المجتهدين في عصر واحد على مسألة من غير أن يظهرَ شذوذٌ من أحد منهم؛ إذ إنّ مثل هذه الصورة لم تقع، بل وقوعها لم يكن عادةً، إنّما العادةُ أن يأمِرَ الخليفةُ بشيء بعد مشاورته لذوي الرأي أو غير ذلك وإنفاذه حتى يشيعَ وينتشرَ ويتمكَّنَ في العالم، وإلى هذه النكتة أشار النبيُّ ﷺ بقوله: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ بعدي...**»[٢] الحديث.

وبعد أن عُلِمَتْ هذه المقدمةُ ينبغي أن يُعْلَمَ أنّ الله تعالى وعد ـ والله لا يخلف الميعاد ـ أنْ يستخلفَ المهاجرين الأولين، وهم السابقون الأولون في ميدان الإيمان والعبادة، وتظهر على أيديهم بعض الأمور

---

(١) «مسند أحمد» (١٦/ ٤٨٩) رقم: (١٠٨٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم: (٤٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٦) واللفظ له.

المعلومة، والسبيل إلى ظهور هذا الوعد الإلـٰهي أن يتولّى الخلافة واحد بعد واحدٍ من هذه الطائفة بالتوالي، فإنَّ غلبة قوم بدون نصب الخليفة فيهم مستحيلٌ عادةً، قال رسول الله ﷺ: «**وَإِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ**»[1]، وقال قائلهم:

لا يَصْلُحُ الناسُ فوضًى لا سُراةَ لَهُمْ ولا سُـرَاةَ إذا جُـهّـالُـهـم سَـادُوْا

وعد الخلافة في حق المهاجرين الأولين:

هذا القدر معلومٌ بالقطع، ولكن كان في ذلك الوقت نوعٌ من الغموض والإشكال في تعيين الخليفة، ومن الذي يستحق الخلافة؟ وكم مدتها؟ وكيف يكون ترتيب خلافتهم؟ إذ إنَّ ذلك الوقت كان وقت المشاورة فيمن تخرج له قرعة الاختيار، وفي انتظار نزول قضاء الله لمن تسلّمَ هذه السعادة العظمى من المهاجرين الأولين، فلمّا ألهم الله تعيين الخلفاء واحداً بعد واحدٍ تقبّلَ بعضُ الناس ذلك الإلهام على الفور، واهتموا بإتمامه، وكذلك بعض الذين أطاعوا بعد القيل والقال والبحث والنقاش، ثم لمّا انكشفَ لهم أنَّ الأوصاف المذكورة للخلفاء تنطبق عليهم تيقّن جميعُ الناسِ أنّ ما وقع هو الحقُّ، وتبيَّن لهم أنَّ هذا الأمر لم يكن من فعل الصحابة، بل وعدٌ مِنَ اللهِ الذي تجلّى من خلال الحجاب، وألهمهم هذه الأفكار والأقيسة:

كارِ زلفِ تست مشك أفشاني أما عاشقان مصلحت را تهمتــے بر آهو چين بسته اند

وعد الخلافة في حق الخلفاء الراشدين:

فإن كان في قلبك تردّدٌ حتّى الآن من أنّ وعد الله حقٌّ فكيف نعلم باليقين أنّ إنجازَ وعده تبارك وتعالى ينطبق على هؤلاء الأشخاص

---

(١) أخرجه البخاري رقم: (٢٩٥٧)، ومسلم رقم: (١٨٤١).

المعيَّنين، ولفظ «منكم» يحتمل التأكيد لا التأسيس[١]، ولإزالة هذا التردد أذكر حكاية[٢] فاستمع إليها:

وهي أنَّ من أدلّة نبوة النبيِّ ﷺ إخبار الأنبياء السابقين ونصوص التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية، وهذا بابٌ واسعٌ، وروى الصحابة والمؤمنون من أهل الكتاب في هذا الباب شيئاً كثيراً، والمتأخِّرون من المتكلِّمين أوردوا إشكالاتهم على هذا الدليل، ولمّا عجزوا عن الجواب ذهبوا إلى ضعفه.

وحاصل الإيراد: أنها إذا كانت صفة من صفات النبي ﷺ وذكرت في الكتب السماوية فينتقل ذهن السامع إلى شخص غير معين؛ إذ إنَّ «فرداً ما من الكلّي المنتزع من هذه الأوصاف الكلية» سيكون نبيّاً؛ لأن الأوصاف الكلية لا تصل بالمرء إلى فرد خاص بدون الإشارة الحسّية أبداً، فإن جمعت هذه الأوصاف الكلية تكون نتيجة أيضاً كلّيةً، بل لا يلزم انتقال الذهن إلى نبوّة شخص غير معيّن بعنوان النبوّة أيضاً؛ لأن الكتب السماوية ذكرت فيها الإشارات فقط، ليس فيها ذكر النبوة، ولا بيان لجميع المشخَّصات، فلا يلزم من الإشارات إلى أوصافه في نصوص

---

(١) التأكيد عبارة عن تقرير وإثبات المضمون بتكرار اللفظ أو بطريق آخر، والتأسيس عبارة عن مضمون جديد أو نكتة جديدة، فإذا كانت لفظة: «منكم» للتأكيد، كان معنى الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾ سواء كانوا من الصحابة الذين كانوا عند نزول هذه الآية أو من غيرهم من المسلمين المتولِّدين إلى يوم القيامة، وإذا كانت للتأسيس يكون المراد منها الصحابة الذين أدركوا زمن نزول هذه الآية حصراً.

(٢) وتشتمل هذه القصةُ على تحقيقٍ مفيدٍ جدّاً، تتفرّع عنه نتائج غالية، منها أنَّ بعض الناس يقولون: إنَّ أسماءَ الخلفاء ما وردت في القرآن، فكيف يلزم قبول خلافتهم في ضوء القرآن، ولو سلَّمنا ذلك على سبيل الافتراض للزم هؤلاء أن يصدِّقوا من يقولون: لا يجب الإيمان بمحمد ﷺ في ضوء الكلام الوارد في التوراة والإنجيل في شأنه ﷺ بدون صريح اسمه ﷺ، وذلك إنكار صريح القرآن.

الكتب السماوية التكليف بإقرار نبوة شخص معين، هذا هو خلاصة إيراد المتكلمين المتأخرين.

ذكر هذا الإيراد القاضي العضد[1] في «المواقف»:

«**فإن قيل**: إنْ زعمتم مجيء صفته مفصّلاً أنّه يجيء في السَّنَةِ الفلانية في البلدة الفلانية وصفته كيت وكيت، فاعلموا أنّه نبيٌّ، فباطل؛ لأنا نجد التوراة والإنجيل خاليين عن ذلك، وأمّا ذكره مجملاً فإن سُلِّمَ فلا يدلّ على النبوة، بل على ظهورِ إنسانٍ كاملٍ، أو نقول: لعلَّه شخصٌ آخر لم يظهر بعدُ

قلنا: المعتمد ظهورُ المعجزةِ على يده، وهذه الوجوه[2] الأخرى للتكملةِ وزيادةِ التقرير»[3]. انتهى.

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عفا الله عنه ـ: إنّ هذه زلّةُ قدمٍ وقعت من المتكلِّمين المتأخِّرين عفا الله عنَّا وعنهم، وعلى جمهور المسلمين أنْ لا يلتفتوا إليها، وعلى العلماء أن يُنكروا عليهما أشدَّ إنكار، واتفق العلماءُ على أنَّ اجتهاد مجتهد أو قضاء قاض إذا كان مخالفاً لصريح القرآن أو صريح السُّنَّة أو السُّنَّة المشهورة، أو صريح الإجماع أو صريح القياس الجلي أنه لا ينفذ ولا يجوز تقليده، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء]، ويقول: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة].

---

(١) هو: عضد الدين عبد الرحمٰن بن أحمد الإيجي المطرزي، المعروف بالعضد الشيرازي الشافعي، كبير القضاة المالكية ببلاد الشرق، ولد سنة ٦٨٠هـ، وتوفي مسجوناً في سخط صاحب كرمان ٧٥٥هـ. انظر ترجمته في: «السلوك لمعرفة دول الملوك» (٢/ ٢٢٢).

(٢) يعني: البيان الإجمالي لصفات النبيِّ ﷺ في التوراة والإنجيل.

(٣) «المواقف» (٣/ ٣٨٧).

وعلم من هذه الآيات بالقطع أنَّ علماء أهل الكتاب كانوا مكلَّفين بالإيمان بالنبيِّ ﷺ لأجل معرفة أوصافه المذكورة في التوراة والإنجيل، وقامت عليهم حجّةٌ شرعيةٌ، فالقول بأنّ أخبار الكتب السماوية ليست حجّةً على نبوته ﷺ مخالفاً للقرآن، والتحقيق في ذلك أنَّ ما جاء في الكتب السماوية من أوصافه ﷺ قامت به الحجَّة وثبت به التكليف بنبوته ﷺ.

ثبوت نبوة محمد ﷺ بالحدس:

وليعلم أنَّ اليقينَ يحصلُ بأمرين:

أحدهما: القياسُ، سواء كان اقترانياً أو استثنائياً[١]، بشرط أن تكون مقدِّماته من اليقينيات، وشكله منتجاً.

والآخر: الحدس، الذي لا يُذكر فيه جميع المقدِّمات، بل يمكن فيه حصولُ اليقينِ ببعض المقدِّمات إلى النتيجة على طريق الطفرة[٢]، كما نعرِفُ أنَّ نورَ القمرِ مستفادٌ من نور الشمس، وذلك برؤية اختلاف أحوال

---

(١) القياس الاقتراني والقياس الاستثنائي هما نوعا القياس المنطقي، وهو قولٌ مؤلَّفٌ من قضايا متى سُلِّمت لزم عنه لذاته قولٌ آخر، وهو النتيجة؛ فإن كان اللازمُ أو نقيضُه مذكوراً فيه بالفعل فهو الاستثنائي، وإلا فالاقتراني، فالاستثنائي نحو: إن كان النبيذ مسكراً فهو حرام، لكنّه مسكرٌ ينتج فهو حرام، أو إن كان النبيذ مباحاً فهو ليس بمسكر، لكنّه مسكرٌ، ينتج فهو ليس بمباح، والاقتراني نحو: كلُّ نبيذٍ مُسْكِرٌ، وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ، ينتجُ كلُّ نبيذٍ حرامٌ، وهو مذكورٌ فيه بالقوة لا بالفعل، وسُمِّي القياسُ استثنائياً: لاشتماله على حرف الاستثناء لغة، وهو لكن، واقترانياً: لاقتران أجزائه. انظر: «غاية الوصول في شرح لب الأصول» (١/ ١٤٨)، و«حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (٥/ ٣٣٩).

(٢) **الطَّفْرَةُ**: الوثب في ارتفاع كما يطفر الإنسان حائطاً؛ أي: يثبه كالطُّفُورِ بالضّمّ، طَفَرَ يَطْفِرُ طَفْراً وطُفُوراً، وطفر الحائط: وثبه إلى ما وراءَه. انظر: «تاج العروس» (١/ ٣١٠٩).

القمر باختلافِ القُرْبِ والبُعْدِ من الشمس، **والحدس على قسمين**:

الأول: ما لا يحسّه إلا قليل من الناس لغموض مآخذه، والله ﷻ لا يكلِّف العبادَ بهذا القسم.

وثانيهما: ما يحسّه أكثر الناس، بسبب إدراك مأخذه، مثل أنَّ وجود الليل والنهار على طلوع الشمس وغروبها، على هذا النوع الذي يقع به التكليفُ الشرعيُّ، وتقوم به الحجَّةُ، وكلٌّ ما ورد من النصوص في الكتب السماوية في شأن الرسول ﷺ آخر الزمان أنها لا تَعْيِيْنَ من القياس الاقتراني ولا الاستثنائي على فرد خاص أنّه أفضل البشر، ولكن الحدس قريبٌ المأخذ يوصلُ الذهنَ إلى تعيين شخص، بهذا يكلف كل من يعرف هذه النصوص أن يؤمن بنبوته، ولا شك أنّ جامع هذه الأوصاف الموعودةِ بعد مدّةٍ طويلةٍ يكون شخصاً واحداً، فإذا وجدت هذه الأوصافُ في شخصٍ واحدٍ فيرتكز الحدسُ على أنَّ هذا هو الشخص الموعود، ويكون اليقينُ بنبوته.

ثبوت خلافة الخلفاء الراشدين بالحدس:

ثم ليعلمَ بعد انتهاء هذه الحكاية أنّ الآيات الواردة في شأن خلافة الخلفاء، وإن وجد فيه شيء من الغموض في البداية، لكن لمَّا ظهر فتحُ بلاد العجم والشام من عهد آدم عليه السلام إلى أيامنا هذه، وتمّت هذه الفتوحاتُ على أيديهم، ووجد تأليفُ قلوب المسلمين والاطمئنان، وتمكين الدين، لم يوجد عُشْرُ معشارِها في زمنٍ من الأزمنةِ، وملّةٍ من المللِ، حتّى غلبَ على ظننا أيّ عهد يكون مصداق الاستخلاف من عهد الخلافة الراشدة، واقترنت به بعض القرائن أيضاً حتى ظهر حدس قريب المأخذ أنَّ في هذه الآيات بشارةٌ لهؤلاء الخلفاء لا لغيرهم، وقام التكليف الشرعي على الناس، ووجب عليهم الاعتراف بهؤلاء الخلفاء،

وهذا الكلام في تفسير هذه الآيات خاصٌّ بالذين لم يتتبعوا كتبَ الحديث، وإلا فإن النبي ﷺ هو المفسِّر للقرآن العظيم، لهذا لو وقع تردّدٌ في فهم مراد القرآن الكريم لوجب الرجوعُ إلى أحاديث الرسول ﷺ، قال الله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

بعدما شرحنا هذه الأمور نريدُ أن نرجعَ إلى جانبٍ آخرَ من هذا الموضوع.

تعيين الخلفاء، وترتيب الخلافة ومدتها:

لمّا نزلت الآياتُ التي فيها ذكر الخلافة، ولم يكن هاهنا غموض، ولكن كان هناك شيءٌ من الغموض في تعيين الخلفاء الموعود بهم، وترتيب خلافتهم ومدتهم، نظر النبي ﷺ إلى عالم الغيب لنزول الوحي عليه، فأراه الله ﷻ رؤيا لحلِّ هذه المشكلة، فرأى هو نفسه ﷺ بعضَ الرؤيا، ورأى بعضَها أصحابُه ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ، فعبرها النبيُّ ﷺ بالتأويل؛ كقصّة «رؤيا الأذان»، و«رؤيا ليلة القدر».

• قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ[1]، وَاللهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ[2]، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ**

(١) هذه إشارةٌ إلى قِصَرِ مدّةِ خلافة أبي بكر ﷺ، وإلى أنَّه يباشِرُ بعضَ الأعمال والأمور الجليلة المهمة من غير أن يكمِلَها وينجِزَها؛ إذ إنَّ وفاتَه ﷺ تحول دونه ودونها، وكأنَّ هذا نوعٌ من الاستعارة عن كلِّ ذلك.

(٢) هذه كلمةُ خيرٍ ودعاءٍ لا غيرَ، ومثل ذلك عامٌّ مطردٌ في كلام العرب؛ يعني: الله يتدارك نقصان مدة خلافته، والخسارة الناشئة من أجل وفاته بإقامة رجل مقامه يكمِلُ كلَّ ما بدأه، وينجز جميعَ ما توفِّي عنه من إقامة دين وإحياء علوم وجهاد في سبيل الله وتوسيع نطاق الحكومة الإسلامية، وكذلك وقع في الخارج، وخلفه سيدنا عمر الفاروق ﷺ خيرَ خلافةٍ.

غَرْباً، فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيّاً مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ». أخرجه **الشيخان**[١] من حديث **أبي هريرة**، **والترمذي** من حديث **ابن عمر**.

• وأخرج **ابن مردويه**[٢] عن **ابن عمر** قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعدَ طلوع الشمس، فقال: «**رأيتُ قُبيلَ الفجرِ كأنّي أُعطيتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمَّا المقاليدُ فهذه المفاتيحُ، وأمَّا الموازينُ فهي التي تَزِنُون بها، فوضعتُ في كفّةٍ، ووضعتْ أُمّتي في كفّةٍ، فوزنت بهم فرجحتُ، ثم جِيْءَ بأبي بكرٍ، فَوُزِنَ بهم فَوَزَنَ، ثم جِيْءَ بعمرَ، فَوُزِنَ فَوَزَنَ، ثم جِيْءَ بعثمانَ، فَوُزِنَ بهم، ثم رُفِعتْ**»[٣].

وأخرج **أبو داود** عن **أبي بكرة** أنّ رجلاً قال لرسولِ اللهِ ﷺ: رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزل من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنت بأبي بكرٍ، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكر، فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمان فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، قال: فاستاءَ لها رسولُ اللهِ ﷺ؛ يعني: فساءه ذلك، فقال: «**خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتي اللهُ المُلْكَ مَنْ يشاءُ**»[٤]، وأخرج **أبو عمر** عن **عرفجة** نحوه[٥].

وأخرج **أبو داود** عن **جابر بن عبد الله** أنّه كان يحدّث: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيْطَ** ـ معناه علق ـ **برسولِ اللهِ** ﷺ، **ونِيْطَ عمرُ بأبي بكر، ونِيْطَ عثمانُ بِعُمَرَ**»، قال جابر:

(١) أخرجه البخاري رقم: (٣٦٦٤)، ومسلم رقم: (٣٢٩٢)، والترمذي رقم: (٢٢٨٩).
(٢) ما وقفنا على كتب ابن مردويه إلا على «أماليه» ولا توجد فيها هذه الرواية.
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٧٦) رقم: (٥٤٦٩)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ٤٦٥).
(٤) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٣٤).
(٥) في «الاستيعاب» (١/ ٣٢٧) رقم الترجمة: (١٧٩٧).

فلمّا قمنا من عند رسولِ اللهِ ﷺ قلنا: أمّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا تنوّطُ[١] بعضهم ببعضٍ فهم ولاةُ هذا الأمر الذي بعثَ الله به نبيَّه ﷺ[٢].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْواً دُلِّي مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً[٣]، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ[٤].

العَراقي: جمع عرقوة، وعرقوة الدلو: هي الخشبةُ المعترضةُ على فم الدلو. انتشطت: انحلّت.

• وعن **ابن عباس** قال: كان **أبو هريرة** يحدّث أنَّ رجلاً أتى إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي أرى الليلة ظلةً ـ الظلة كل ما أظلك من فوقك وعلاك، وهنا المراد بها السحابة ـ ينطفُ؛ أي: يقطر منها السمن والعسل، فأرى الناس يتكفّفون بأيديهم فالمستكثِرُ والمستقلِّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراكَ يا رسول الله أخذتَ به، فعلوتَ به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر، فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر، فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فانقطعَ، ثم وصل، فعلا به.

قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فَلأَعْبُرَنَّهَا فقال: «**اعبرها**».

قال: أمّا الظلةُ فظلة الإسلام، وأمّا ما ينطِفُ من السمن والعسل،

---

(١) في الأصل الفارسي: «نوط بعضهم ببعض».
(٢) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٦).
(٣) قد مرَّ تأويله في (ص١٦٥)، إشارة إلى قصر مدة خلافته.
(٤) أخرجه أبو داود رقم: (٤٦٣٧).

فهو القرآنُ لينه وحلاوته، وأمّا المستكثر والمستقل فهو المستكثر من القرآنِ والمستقلّ منه، وأمّا السببُ الواصلُ من السماء إلى الأرض، فهو الحقُّ الذي أنتَ عليه تأخذُ به، فيعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به بعدكَ رجلٌ، فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرٌ، فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطعُ، ثم يوصَلُ له، فيعلو به؛ أي رسول الله! لتحدّثني أصبتُ أم أخطأتُ، فقال: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، فقال: أقسمتُ يا رسولَ اللهِ! لتحدثنّي ما الذي أخطأتُ؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**لا تُقْسِمْ**»، أخرجه **البخاري**[1]، **ومسلم والدارمي، وأبو داود، والترمذي**.

قوله: «**أخطأتَ بعضاً**» اختلف العلماء في بيان وجه الخطأ، والذي جاء في قلب هذا **الفقير** هو عدمُ ذكر أسماء الخلفاء، فعبر عنه بلفظ الخطأ استعارة.

• وعن **الحسن** قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس، قال: «**لتكوننَّ مِنَ الناس بسبيلٍ**»، قال: ورأيتُ في صدري كالرقمتين، قال: «**سَنَتَيْنِ**»، معزواً إلى **ابن سعد**[2].

تعيين الخلفاء الراشدين بطريق الفراسة:

إنَّ النبيَّ ﷺ فهمَ مِنَ الفراسةِ أنّ الخلفاء الموعود لهم هم الخلفاء الراشدون.

• أخرج **الحاكم** عن **سفينة** قال: لمّا بنى النبيُّ ﷺ المسجدَ وضع حجراً، ثم قال: «**ليضعَ أبو بكرٍ حجرَه إلى جنبِ حجري، ثم ليضعَ عمرُ**

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٢٦٩)، و«سنن الدارمي» (٢/ ١٧٢) رقم: (٢١٥٦)، «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٣٢) واللفظ له، «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٩٣).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٧٦).

حجرَه إلى جنبِ حجرِ أبي بكر»، ثم قال: «ليضعَ عثمانُ حجرَهُ إلى جَنْبِ حَجَرِ عمر»، فقال رسول الله ﷺ: «هؤلاءِ الخلفاءُ مِنْ بعدي»[١].

• أخرج أبو يعلى والحاكم عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لما أَسَّسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ، جَاءَ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ عُمَرُ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، وَجَاءَ عُثْمَانُ بِحَجَرٍ فَوَضَعَهُ، قَالَتْ: فَسُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «هَذَا أَمْرُ الْخِلافَةِ مِنْ بَعْدِي»[٢].

• وأخرج البزَّار والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي عن أبي ذر يقول: لا أذكر عثمانَ إلّا بخيرٍ بعد شيءٍ رأيتُه، كنتُ رجلاً أتتبَّع خلوات رسولِ اللهِ ﷺ، فرأيتُه يوماً جالساً وحدَه، فاغتنمتُ خلوته، فجئتُ حتّى جلستُ إليه، فجاء أبو بكر فسلَّمَ، ثم جلسَ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم جاء عمرُ فسلَّمَ فجلسَ عن يمين أبي بكر، ثم جاء عثمانُ فسلَّم، ثم جلس عن يمينِ عمرَ، وبين يدي رسولِ اللهِ ﷺ سبعَ حصياتٍ ـ أو قال: تسع حصيات ـ فأخذهنَّ، فوضعهنَّ في كفِّه، فسبَّحنَ، حتى سمعتُ لهنّ حنيناً كحنينِ النحلِ، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم أخذهنَّ فوضعهنَّ في يد أبي بكر، فسبَّحنَ حتّى سمعتُ لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يدِ عمرَ، فسبَّحنَ حتّى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحلِ، ثم وضعهنَّ فخرسنَ، ثم تناولهنَّ فوضعهنَّ في يد عثمانَ، فسبَّحنَ، حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهن فخرسنَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «هذه خلافةُ النبوّةِ»[٣].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٣)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ٤٣٦) واللفظ له.

(٢) «مسند أبي يعلى» (٨/ ٢٩٥) رقم: (٤٨٨٤) واللفظ له، «المستدرك» (٣/ ١٤).

(٣) «البحر الزخار ـ مسند البزَّار» (٩/ ٤٠٥)، «المعجم الأوسط» للطبراني (٩/ ٣٠٠) رقم: (٤٢٤٧)، «دلائل النبوة» للبيهقي (٦/ ٢٠٧) رقم: (٢٣١٤) واللفظ له.

• وأخرج **ابن عساكر** عن **أنس بن مالك** أنَّ النبيَّ ﷺ أخذَ حَصياتٍ في يده، فسبَّحن حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهنّ في يد أبي بكر، فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهنّ في يدِ عمرَ فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهن في يدِ عثمانَ، فسبَّحنَ حتّى سمعنا التسبيحَ، ثم صيَّرهن في أيدينا رجلاً رجلاً رجلاً فما سبَّحتْ حصاةٌ منهنَّ[١].

تعيين النبي ﷺ لمدة الخلافة ومكانها:

ولمّا امتلأ قلبُ النبي ﷺ بهذه الإفاضات الغيبية ظهر بعضُها على لسانه المبارك أمام الناس منها: **١** ـ تعيين مدة الخلافة، **٢** ـ ومكانها، **٣** ـ وأخبر بأنّهم سيقومون بأمر الملة من بعده.

• وفي حديث **سفينة**: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[٢]، وفي حديث **ابن مسعود**: «**تَدُورُ رَحَى الإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ...**»[٣]، ولا تعارض بين الحديثين، إذ إنّ عليّاً المرتضى ﷺ إذا عددناه من الخلفاء بالنظر إلى قوة سوابقه الإسلامية، وأفضليته بين الناس في زمن خلافته كانت مُدّةُ الخلافةِ ثلاثين سنة، وإذا لم نعدّه[٤] منهم بالنظر إلى عدم استقرار خلافته بالأمن والنظام، تنقطع الخلافةُ الخاصّةُ بموت عثمان ﷺ، وردت أحاديث كثيرة في هذا المعنى.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٢٠).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥/ ٣٩٢) رقم: (٦٩٤٣).

(٣) أخرجه أبو داود رقم: (٤٢٥٤).

(٤) حديث ابن مسعود ليس يدلّ ـ بصراحة ـ على بقاء الخلافة ووجودها إلى المدة المذكورة فيه، بل المرادُ فيه: إنّما هو تقدّم الإسلام، وسعة دائرة مملكته، وازدهاره، وعدم تفرّق جماعة المسلمين لتلك المدة فحسب، ولا عَلاقة له بوجودِ الخلافة الخاصة، حتّى نضطرّ إلى عدم اعتقاد وجود خلافة سيدنا علي المرتضى، وهو من أجلّ فقهاء الصحابة، وهو جازمٌ بانعقادِ خلافته لبيعة المهاجرين والأنصار، وحديث سفينة صريحٌ في بيان مدة بقاء الخلافة، والله أعلم.

وفي حديث أبي هريرة وغيره: «**الخلافةُ بالمدينةِ**[١]**، والمُلْكُ بالشام**»[٢].

وإيراد لفظ: «الخلافة» في هذه الأحاديث والأحاديث التي تأتي، يدلُّ على أنّ المراد به: تفسير لفظ: «الاستخلاف» في الآية الكريمة، كما جاء في الحديث: «**خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً**»[٣]، يدلّ على أنَّ الآيةَ الكريمةَ: ﴿أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ۝١٥﴾ [النساء] بيانٌ لإنجاز وعده.

ترتيب الخلفاء الراشدين بعد النبيِّ ﷺ:

وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ [فقالوا: سَلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ[٤]] إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا[٥] إذا حَدَثَ لك حَدَثٌ؟ فقال: «**ادفعوها إلى أبي بكرٍ**»، فقلتُ ذلك لهم، قال: قالوا: سله إنْ حدثَ بأبي بكر حدثُ الموتِ فإلى مَنْ ندفعُ زكاتنا؟ فقلتُ له ذلك، فقال: «**تدفعونَها إلى عمرَ**»، قالوا: فإلى مَنْ ندفعُها بعدَ عمرَ؟ فقلتُ له، قال: «**ادفعوها إلى عثمانَ**»[٦].

• عن **سهل بن أبي حثمة**، قال: بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ، فقال عليٌّ للأعرابي: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إنْ أتىٰ عليه أجلُه مَنْ يقضيه، فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيكَ أبو بكر**»، فرجع إلى عليٍّ فأخبره، فقال: ارجع إلى النبيِّ ﷺ فسله إنْ أتى على أبي بكرٍ أجلُه من

---

(١) فيه إشارة إلى تعيينِ الخلافةِ بالمدينة كما وقعت.
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٥).
(٣) أخرجه مسلم رقم: (١٦٩٠).
(٤) سقط ذلك من الأصل الفارسي.
(٥) وفي النسخة الفارسية الأصلية للكتاب: «زكاتنا».
(٦) «المستدرك» (٣/ ٨٢).

يقضيه، فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيكَ عمرُ**»، فقال عليٌّ للأعرابي: سله: مَنْ بعدَ عمرَ؟ فقال: «**يقضيكَ عثمانُ**»، فقال علي للأعرابيِّ: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إنْ أتى على عثمانَ أجلُه، فمن يقضيه، فسأله، فقال النبيُّ ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه وعمر وعثمان، فإنِ استطعتَ أن تموتَ فمُتْ**» أخرجه **الإسماعيلي** في «معجمه»(١).

• وأخرجه أيضاً من حديث **أبي هريرة** ﷺ وفيه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بايعَ أعرابياً بقلائص إلى أجل، فقال: يا رسول الله! إن عجلت لك منيتُك، فمن يقضيني؟ قال: «**أبو بكر**»، قال: فإن عجلت بأبي بكر منيتُه، فمن يقضيني؟ قال: «**عمر**»، قال: فإن عجلتْ لعمرَ منيتُه، فمن يقضيني؟ قال: «**عثمان**»، قال: فإن عجلتْ بعثمانَ منيتُه فمن يقضيني؟ قال: «**إن استطعتَ أن تموتَ فمُتْ**»(٢).

• وعن محمد بن جبير أن أباه **جبير بن مطعم** أخبره: أنَّ امرأةً أتت رسولَ اللهِ ﷺ فكلّمته في شيءٍ، فأمرها بأمرٍ، فقالت: أرأيتَ يا رسولَ اللهِ! إن لم أجدك؟ قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**»، أخرجه **البخاري**(٣)، **ومسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه**.

• وعن **أبي هريرة** ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ استسلفَ من يهوديٍّ شيئاً إلى الحولِ، فقال: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك فإلى مَنْ أذهب؟ قال: «**إلى أبي بكر**»، قال: فإنْ لم أجِدْهُ، قال: «**إلى عمر**»، قال: فإن لم أجدْهُ، قال: «**إن استطعتَ أن تموتَ إذا ماتَ عمرُ فمُتْ**»، ذكره **المحب الطبري**

(١) «معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي» (٢/ ١).
(٢) «معجم أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي» (١/ ٢٧٤).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٩)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٦)، «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٦) واللفظ له، ولم أجد هذه الرواية في «سنن أبي داود»، و«سنن ابن ماجه».

في «الرياض» عن القلعي[١].

• أخرج **ابن سعد** عن **ابن شهاب** قال: رأى النبيُّ ﷺ رؤيا، فقصّها على أبي بكرٍ، فقال: «**يا أبا بكر! رأيتُ كأنّي استبقتُ أنا وأنتَ درجةً، فسبقتُكَ بمرقاتينِ ونصف...**» قال: يا رسول الله! يقبِضُكَ الله على رحمته ومغفرته، وأعيشُ بعدك سنتينِ ونصفاً[٢].

• وأخرج **البيهقي وأبو نُعيم** عن **عبد الله بن عمرو** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**سيكونُ فيكم اثنا عشر خليفةً: أبو بكر الصدِّيق، لا يلبثُ خلفي إلّا قليلاً، وصاحبُ رحى دارِ العربِ**[٣] **يعيشُ حَمِيْداً، ويموتُ شهيداً**»، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، ومَنْ هو؟ قال: «**عمرُ بنُ الخطّاب**»، ثم التفتَ إلى عثمان، فقال: «**وأنتَ يَسْأَلُكَ الناسُ أن تخلعَ قَمِيْصاً**[٤] **كساكَهُ اللهُ ﷻ، والذي بعثَنِي بالحقِّ لئن خلعتَه لا تدخلُ الجنَّةَ حتّى يدخلَ الجملُ في سَمِّ الخياطِ**»[٥].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل** عن النبي ﷺ: «**إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضوضاً**[٦]**، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخُمُورَ وَالْفُرُوجَ وَالْفَسَادَ فِي الأُمَّةِ، يُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُرْزَقُونَ أَبَداً حَتَّى يَلْقَوا اللهَ**»[٧].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٣٤٨). (٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ١٧٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «دار الحرب» ولعلّه تصحيف.
(٤) المراد به: «الخلافة».
(٥) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٢٢٣).
(٦) أي: يصيب الرعية فيه عسف وظلم، «النهاية» (ص٦٢٢).
(٧) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٧٧) رقم: (٨٧٣).

• وعن **عليٍّ** ما خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من الدنيا حتّى عهد إليَّ أنَّ أبا بكر يلي الأمرَ بعده، ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثم إليَّ، فلا يُجْتَمَعُ عليّ[١].

وقد ذُكرت بعض طرق هذا الحديث في «الرياض النضرة»[٢] وبعضها في «غنية الطالبين»[٣].

ويورد بعض الناس على هذا الحديث أنّ علياً رضي الله عنه لو كان يعلمُ أنّ أبا بكر أحقَّ بالخلافة، فلماذا توقّفَ عن بيعته إلى مدّة؟ ولماذا تأخّرَ في مبايعة عثمان إلى تحكيم عبد الرحمٰن حكماً؟ واحتمال النسيانِ بعيدٌ جداً.

فتقرَّر عند **هذا الفقير** أنّ معنى هذا الحديث صحيحٌ، ولا شك أنَّ النبيَّ ﷺ أخبرَ بذلك عليّاً، ولكن فيه إشارات وكنايات، وكان في أول الأمر دقة وغموض، ولم يتّضح مراده عند عليٍّ إلّا بعدَ وقوع الخلافة، وتبيّن بعد ذلك مثل فلق الصبح، ومن البعيد جداً أن لا يبلغَ عليّاً المرتضى حديثٌ من أحاديث الرؤيا التي رويت بأسانيد مستفيضة، ومن مرويات عليٍّ رضي الله عنه: «**إنْ تستخلِفوا أبا بكرٍ تجدوه...**» إلخ[٤]، وهذا الحديث يُشيرُ إلى خلافة الشيخين.

• وعن **ابن عباس** قال: واللهِ إنّ إمارةَ أبي بكر وعمر لفي كتاب الله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، وقال لحفصةَ[٥]: «**أبوكِ وأبو عائشة أولياءُ الناسِ بعدي، فإيّاكِ أن تخبري به**

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢١). (٢) (١/ ٢١).

(٣) أي: «الغنية لطالبي طريق الحق»، للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص١١١).

(٤) «طبقات الحنابلة» (١/ ٩٩).

(٥) توجد هذه الرواية في كتب الشيعة أيضاً كما جاء في «التفسير الصافي» ضمن تفسير سورة التحريم بواسطة «التفسير القمي» أنَّ النبيَّ ﷺ قال لحفصة: «**إنَّ أبا بكرٍ يلي الخلافة بعدي، ثم بعده أبوك**»، وقال المولوي احتشام الدين بهذه المناسبة فأجاد: =

أحداً»[١]، أخرجه **الواحدي**[٢]، وله طرق ذكر بعضها في «الرياض النضرة»[٣].

• وفي «غنية الطالبين»: روي عن **أبي هريرة** ﵁ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لمّا عُرِجَ بي سألتُ ربِّي أن يجعلَ الخليفةَ مِنْ بعدي عليَّ بن أبي طالب، فقالت الملائكةُ: يا محمّدُ إنّ الله يفعلُ ما يشاءُ، الخليفةُ مِنْ بعدك أبو بكر**»[٤].

• وفي **حديث البخاري**: أنّ عمرَ سأل حذيفةَ عن الفتنة «**الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ**» ماذا حفظ عن النبيِّ ﷺ فيها؟ فقال: ما لك ولها يا أمير المؤمنين، «إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً، قَالَ: يُفْتَحُ الْبَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لَا بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لَا يُغْلَق أبداً»[٥]، ثم فسَّر حذيفة الباب بعُمَرَ.

• ثم أمر ﷺ بعد ذلك باقتدائهم تصريحاً وتلويحاً كما في حديث **ابن مسعود**: «**اقتدوا باللّذينِ مِنْ بعدِي، أبي بكرٍ وعُمَرَ**».

• وفي حديث **حُذَيْفَةَ** ﵁، قَالَ: كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ، فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**»[٦].

= لمَا ثبتَ في تقدير الله تعالى أنَّ أبا بكرٍ يلي الخلافةَ بعد النبيِّ ﷺ ويليها بعده عمر، فإنَّ أمرَ الصحابة بعد ذلك باستخلاف علي بلا فصل، فمعنى ذلك أنهم أمروا بتغيير قدر الله وقضائه.

(١) «الدر المنثور» (١٠/ ٥٢)، «فتح القدير» (٧/ ٢٥٥)، «تفسير الآلوسي» (٢١/ ٩٣).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٥١). (٣) «الرياض النضرة» (١/ ٣٥٢).

(٤) «الغنية لطالبي طريق الحق» للجيلاني (ص١١١).

(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٣٥٨٦).

(٦) أخرجه الترمذي رقم: (٣٦٦٣).

واستعمال اسم الموصول «الذين» يدلُّ على أنَّ الصحابةَ كانوا عارفين بولاية الشيخين بعد وفاة النبيِّ ﷺ، وكيف لا يعرفون؟ وقد سمعوا أحاديثَ كثيرة في تشخيص الخلفاء وتعيين الخلافة.

• وفي حديث **ابن ماجه** عن **العرباض بن سارية**: «**فمن أدركَ ذلكَ منكم، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ [الْمَهْدِيِّينَ**(١)**] [من بعدي**(٢)**] عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٣).

وقد أشار إلى خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مرض وفاته ﷺ قولاً وفعلاً.

• عن **عائشةَ** أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال قُبيلَ مرضه: «**بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهْ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَوْ أَرَدْتُ أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، وَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنَّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللهُ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ**»، أخرجه **البخاري**(٤)، **ومسلم** معناه، وفيه: «**ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**»(٥).

وهذا حديث صحيح وصريح في أن استخلاف أبي بكر كان هو المراد عند النبي ﷺ، وتَرَكَ الاستخلاف المعتادَ ثقةً بوعد الله، وفوّض الإمامة إلى أبي بكر رضي الله عنه بأمرٍ، وهذه القصةُ معروفةٌ.

وبالجملة: إنّ النبيَّ ﷺ فسّر هذه الآيات، ولا بيان بعد بيانه، وسوف نذكر أكثرَ من هذه الأحاديث في مواضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سقط في الأصل الفارسي. (٢) زاد في الأصل الفارسي.

(٣) أخرجه الترمذي رقم: (٢٦٧٦)، وابن ماجه رقم: (٤٢) إلا أنه لم يوجد فيه: «فمن أدرك ذلك منكم».

(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٥٦٦٦). (٥) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٧).

المختصر: هذه الأحاديثُ ارتبطت بأصلِ آيةِ الاستخلاف[(١)]، كما أنَّ حديثَ قدر مسح الرأس في الوضوء[(٢)] يُلْحَقُ بآية المسح والوضوء[(٣)] كذلك الأحاديثُ الواردةُ في الاستخلاف ترتبِطُ بآية الاستخلاف، كأنَّ أسماء الخلفاء الراشدين مذكورةٌ في الآية، ولو كان الاستخلافُ بمعنى جعل الخليفة، فهؤلاء هم الخلفاء (الموعود بهم للخلافة)، وإن كان المرادُ بالاستخلاف استبدالُ قوم بعد قوم، فصورته تعيينُ هؤلاء الخلفاء تكميلاً للوعد، والله أعلم بالصواب.

❁ الآية الثالثة:

قال الله تبارك وتعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء] إما يراد بـ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ كتب الأنبياء كلها، أو عنى به المعنى الخاص، وهو زبور داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ومعنى ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ **لغة**: الكتاب، ومن

---

(١) وهي: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

(٢) رواه **مسلم** رقم: (٢٧٤) عن **المغيرة بن شعبة** قال: «تخلّفَ رسولُ اللهِ ﷺ وتخلّفت معه، فلمّا قضى حاجتَه، قال: «**أَمَعَكَ ماءٌ؟**» فأتيتُه بمطهرةٍ، فغسلَ كفَّيه ووجهه، ثم ذهبَ يحسِرُ عن ذراعيه، فضاق كُمُّ الجبةِ، فأخرجَ يده من تحتِ الجُبّةِ، وألقى الجبّةَ على منكبيه، وغسل ذراعيه، ومسحَ بناصيته، وعلى العمامةِ، وعلى خُفّيه، ثم ركبَ وركبتُ، فانتهينا إلى القوم، وقد قاموا في الصلاة، يصلّي بهم عبدُ الرحمٰن بن عوف، وقد ركع بهم ركعة، فلمّا أحسَّ بالنبيِّ ﷺ ذهبَ يتأخّر، فأومأ إليه، فصلّى بهم، فلمّا سلّم قام النبيُّ ﷺ وقمتُ، فركعنا الركعةَ التي سبقتنا»، وأخرجه **أبو داود** رقم: (١٤٧)، **والترمذي** رقم: (١٠٠)، **والنسائي** رقم: (١٠٨).

(٣) هي هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

شأن كلام الله تعالى أن يصدِّق بعضُه بعضاً، فإنه تعالى يقول: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، القصة واحدة في الآيتين، والعبارة مختلفة، ذكر في هذه الآية: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾ و﴿ٱلذِّكْرِ﴾ وفي تلك: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ و﴿ٱلْإِنجِيلِ﴾، وذكر في هذه الآية: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا﴾ وفي تلك: ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، وحاصلُهما واحدٌ، وهو غلبةُ دولةِ الإسلامِ، وذكر في هذه الآية: ﴿عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ وفي تلك أرجع ضمير: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ﴾ إلى: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾، ومرادُهما واحدٌ.

روايات من «الخصائص الكبرى» في تفسير هذه الآية:

نَنقل في هذا الفصل عِدَّةَ رواياتٍ من «كتاب الخصائص» للإمام جلال الدين السيوطي.

١ ـ أخرج **ابن أبي حاتم** في «تفسيره»: عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** في آية: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ...﴾ الآية، قال: أخبرَ اللهُ سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبلَ أن تكونَ السماواتُ والأرضُ، أن يورثَ أمةَ محمّدٍ الأرضَ[١].

٢ ـ وأخرج **ابن أبي حاتم** عَنِ **أَبِي الدرداء**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«قَالَ الله تَعَالَى: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾، فنحن الصالحون»**[٢].

٣ ـ قال السيوطي: وقد وقفتُ على نسخةٍ من الزبور، وهو مئة وخمسون سورةً، ورأيتُ في السورة الرابعة منه ما نصَّه:

«يا داودُ اسمعْ ما أقولُ، ومُرْ سليمانَ فليقله للناسِ مِنْ بعدِكَ: إنَّ

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٥٠).
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٥١).

الأرضَ أُوْرِثُها محمّداً ﷺ وأمته»[١].

٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: قال أبو بكر الصدِّيق: إنّه خرجَ إلى اليمن قبل أن يُبْعَثَ النبيُّ ﷺ قال: فنزلتُ على شيخ من الأزدِ عالم، قد قرأ الكتبَ، وعَلِمَ من عِلْم الناس علماً كبيراً، وأتت عليه أربعمئةُ سنة إلّا عشرَ سنين، فلمّا رآني قال لي: أحسبُك حرمياً، قال أبو بكر: قلتُ: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبُكَ قرشياً، قال: قلتُ: نعم، أنا من قريشٍ، قال: وأحسبُكَ تيميّاً، قال: قلتُ: نعم، أنا من تيم بن مُرّة، أنا عبد الله، بن عثمان، بن كعب، بن ضمضم، بن مرة، قال: بقيت لي منك واحدة، قلت: ما هي؟ قال: تكشف لي عن بطنِكَ، قلتُ: لا أفعلُ إذ تخبرني لم ذاك؟ قال: أجدُ في العلم الصحيح الزكي الصادق أنَّ نبياً يُبعثُ في الحرم، تعاونَ على أمره فتًى[٢] وكهل[٣].

فأمّا الفتى فخوَّاضُ غمراتٍ، ودفّاعُ معضلاتٍ.

وأما الكهلُ فأبيضُ نحيفٌ، على بطنه شامةٌ، وعلى فخذِهِ اليسرى علامةٌ، وما عليكَ أن ترِيَني ما سألتُكَ، فقد تكاملت لي فيك الصفةُ إلا ما خَفِيَ عليَّ.

قال أبو بكر: فكشفتُ له عن بطني فرأى شامةً سوداءَ فوق سُرّتي.

فقال: أنتَ هو وربِّ الكعبة[٤].

٥ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **الربيع بن أنس** قال: مكتوبٌ في

---

(١) «البدء والتاريخ» و«الإعلام بما في دين النصارى» (١/ ٢٦٨)، «الخصائص الكبرى» (١/ ٥١).

(٢) المراد به: «سيدنا عمر بن الخطاب». (٣) المراد به: «سيدنا أبو بكر الصدّيق».

(٤) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١).

الكتابِ الأوّل: «مَثَلُ أبي بكر الصديق مثل القَطْرِ أينما وقعَ نفعَ»[١].

٦ ـ وأخرج **ابن عساكر**[٢] عن **أبي نضرة**[٣] قال: [قال أبو بكر]: أتيتُ عمرَ وبين يديه قومٌ يأكلون، فرمى ببصره في مؤخّر القومِ إلى رجلٍ، فقال: ما تجدُ فيما تقرأُ قبلك من الكتب، قال: خليفةُ النبيِّ ﷺ صدّيقه.

٧ ـ وأخرج **الدينوري** في «المجالسة»، **وابن عساكر** من طريق زيد بن أسلم، عن أبيه **أسلم** قال: أخبرنا عمرُ بنُ الخطاب قال: خرجتُ مع ناسٍ من قريشٍ في تجارةٍ إلى الشام في الجاهلية، فلمّا خرجنا من مكةَ نسيتُ قضاء حاجةٍ، فرجعتُ فقلتُ لأصحابي: ألحقكم، فواللهِ إنِّي لفي سوقٍ من أسواقها إذا أنا ببطريق قد جاء، فأخذَ بعُنقي، فذهبتُ أنازعُه فأدخلني كنيسةً، فإذا ترابٌ متراكمٌ بعضُه على بعضٍ، فدفَع إليَّ مجرفةً وفأساً وزنبيلاً، وقال: انقل هذا الترابَ، فجلستُ أتفكَّرُ في أمري كيف أصنعُ؟ فأتاني في الهاجرة... ثم قال لي: لم أرك أخرجتَ شيئاً، ثم ضمَّ أصابعَه فضربَ بها وسطَ رأسي، فقلتُ: ثكلتْكَ أمُّكَ يا عمرُ! وبلغتَ ما أرى، فقمتُ بالمجرفة، فضربتُ بها هامته، فإذا دماغه قد انتثر، فأخذته، ثم واريتُه تحتَ التراب، ثم خرجتُ على وجهي، ما أدري أينَ أسلكُ؟

فمشيت بقيةَ يومي وليلتي ومن الغد حتّى أصبحتُ، ثم انتهيتُ إلى دير، فاستظللتُ في ظلّه، فخرجَ إليَّ رجلٌ من أهل الدير، فقال: يا عبدَ اللهِ! ما يجلِسُكَ هاهنا، قلت: أُضللتُ عن أصحابي... فجاءني بطعام وشراب، ولطف وصعّد فيَّ البصر وخفّضه، ثم قال: يا هذا! قد عَلِمَ أهلُ الكتابِ أنّه لم يبقَ على وجه الأرض أحدٌ أعلم مني بالكتاب،

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٠/٣٣٨).
(٢) «تاريخ دمشق» (٣٠/٢٩٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «عن أبي بكرة».

وإنِّي أجدُ صفتَك الذي يخرجنا من هذا الدير، ويغلبُ على هذه البلدةِ، فقلتُ له: أيها الرجل! قد ذهبتَ في غيرِ مذهبٍ، قال: ما اسمك؟ قلت: عمر بن الخطاب، قال: أنتَ واللهِ صاحبُنا غيرَ شكٍّ، فاكتبْ لي على ديري وما فيه، قلتُ: أيُّها الرجلُ! قد صنعتَ معروفاً فلا تكدِّرُه، فقال: اكتب لي كتاباً في رقٍّ ليس عليكَ فيه شيءٌ، فإن تكُ صاحبنا فهو ما نريدُ، وإن تكن الأخرى فليس يضرُّكَ، قلتُ: هاتِ، فكتبتُ له، ثم ختمت عليه... فلمّا قدم عمرُ الشام في خلافته، أتاه ذلك الراهبُ - وهو صاحب دير العَدَس[١] - بذلك الكتاب، فلمّا رآه عمرُ تعجَّبَ منه، فقال: أوفِ لي بشرطي، فقال عمر: ليس لعمرَ ولا لابنِ عمرَ منه شيءٌ[٢].

٨ - وأخرج **ابن سعد** عن **عبد الله بن مسعود** قال: ركب[٣] عمرُ فرساً، فانكشف ثوبُه عن فخذِه، فرأى أهلُ نجران بفخذِهِ شامةً سوداءَ، فقالوا: هذا الذي نجدُ في كتابنا أنّه يخرجنا من أرضنا[٤].

٩ - وأخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد الزهد» من طريق أبي إسحاق عن **أبي عبيدة** قال: ركضَ عمرُ فرساً على عهد النبيِّ ﷺ، فانكشفَ فخذه من تحت القباء، فأبصرَ رجلٌ من أهل نجران شامةً في فخذِه، فقال: هذا الذي نجده في كتابنا يخرِجُنا من ديارنا[٥].

١٠ - وأخرج **أبو نُعيم**[٦] من طريق شهر بن حَوْشب، عن **كعب**

---

(١) قد ورد في النسخة الفارسية الأصلية: «دير القدس».
(٢) «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٦)، «المجالسة وجواهر العلم» (١/ ٤٢٨).
(٣) وفي الأصل الفارسي: «ركض».
(٤) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٢٦).
(٥) «الزهد»، للإمام أحمد بن حنبل (٢/ ١٧٦)، «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٧٥).
(٦) لم يخرجه أبو نُعيم في أيِّ كتابٍ من كتبه، ولكن أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة».

الأحبار أنّه لقيَ عمرَ بالشام فقال له: إنّه مكتوبٌ في هذه الكتب أنَّ هذه البلاد ـ التي كانت بنو إسرائيل أهلها ـ مفتوحة على يد رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، سِرُّه مثل علانيته، قوله لا يخالِفُ فعلَه، القريبُ والبعيدُ سواءٌ عنده في الحكم، أتباعُه رهبانٌ بالليلِ، وأُسْدٌ بالنهار، متراحمون، متواصلون، قال عمر: أحقّ ما تقول؟ فقلتُ: إيْ والذي يسمعُ ما أقولُ، فقال: الحمدُ للهِ الذي أعزَّنا، وكرَّمنا، وشرَّفنا، ورحمنا بنبيِّنا محمد، ورحمته التي وسعتْ كلَّ شيءٍ[١].

١١ ـ وأخرج **ابن عساكر**، عن عبيد بن آدم، وأبي مريم، وأبي شعيب أنّ عمر بن الخطاب كان بالجابيةِ، فقدم خالدُ بنُ الوليد إلى بيت المقدس، فقالوا له: ما اسمُك؟ قال: أنا خالد بن الوليد، قالوا: وما اسمُ صاحبك؟ قال: عمر بن الخطاب، قالوا: انعته لنا، فنعته، قالوا: أمّا أنتَ فلست تفتحُها، ولكن عمر، فإنّا نجدُ في الكتب: كلُّ مدينة تفتح قبل الأخرى، وكلُّ رجل يفتحها بنعته، وإنّا نجدُ في الكتاب أنَّ «قيسارية» تفتح قبل بيت المقدس، فاذهبوا فافتحوها، ثم تعالوا بصاحبكم[٢].

١٢ ـ وأخرج **الطبراني وأبو نُعيم** في «الحلية» عن **مغيث الأوزاعي** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أرسل إلى كعب، فقال له: يا كعبُ كيفَ تجدُ نعتي في التوراة؟ قال: خليفة قِرْنٌ من حديد، أميرٌ شديدٌ، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، ثم خليفةٌ تقتله أمته ظالمينَ له، ثم يقعُ البلاءُ بعده[٣].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٥٢).
(٢) «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٢٨٦).
(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٤٦٥).

١٣ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **الأقرع** مؤذّن عمر أنَّ عمر دعا الأسقُفَ فقال: هل تجدونا في شيء من كتبكم؟ قال: نجدُ صفتكم وأعمالكم، ولا نجد أسماءكم، قال: كيف تجدوني؟ قال: قِرناً من حديدٍ، قال: ما قِرْنٌ من حديدٍ؟ قال: أميرٌ شديدٌ، قال عمرُ: الله أكبر! فالذي مِنْ بعدي؟ قال: رجلٌ صالحٌ يؤثِرُ أقرباءه[1]، قال: يرحمُ الله ابنَ عفّان، فالذي مِنْ بعده؟ قال: صدعٌ مِنْ حديدٍ، قال: فقال عمرُ وألقى شيئاً في يده، وجعل يقول: وادفراه! وادفراه![2] قال: فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين! فإنّه رجلٌ صالحٌ، ولكن تكونُ خلافته في هراقة من الدماء والسيفُ مسلولٌ[3].

١٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن ابن سيرين قال: قال **كعب [الأحبار]**[4] لعمر [بن الخطاب[5]]: يا أميرَ المؤمنين! هل ترى في منامك شيئاً؟ قال: فانتهره، فقال: إنّا نجدُ رجلاً يرى أمرَ الأمةِ في منامه[6].

١٥ ـ وأخرج **ابن راهويه** في «مسنده» بسندٍ حسن عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري عن **أبيه**، قال: كان عبدُ اللهِ بنُ سلام قبل أن يأتيَ أهل مصر يدخل على رؤوس قريش، فيقول لهم: لا تقتلوا هذا الرجل؛ يعني: عثمان، فيقولون: واللهِ ما نريدُ قتله فيخرج وهو متكىء على يديه،

---

(١) ليس معنى ذلك أنه يؤثر أقرباءه ظلماً وغصباً لحقوق الآخرين، هذا ينافي كلَّ ما ورد في مناقبه وفضائله عن النبي ﷺ، بل المعنى الأوجه في ذلك أنه **يفضِّل أحد المتساويين في الاستحقاق** لأيِّ منصب من مناصب الحكومة والخلافة الذي **هو أقرب إليه نسباً**.

(٢) **وادفراه**: أي: وانتناه من هذا الأمر، وقيل: أراد: واذُلّاه، «النهاية» (ص٣٠٨).

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٨٩).

(٤) سقط في الأصل الفارسي.

(٥) زاد في الأصل الفارسي.

(٦) «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥).

يقول: واللهِ لتقتلنّه، ثم قال لهم: لا تقتلوه، فواللهِ ليموتنَّ إلى أربعين يوماً، فأبوا، فخرجَ عليهم بعد أيام، فقال لهم: لا تقتلوه، فوالله ليموتنَّ إلى خمسَ عشرةَ ليلةً[١].

١٦ ـ وأخرج **ابن سعد وابن عساكر** عن **طاوسٍ** قال: سئل عبد الله بن سلام حين قُتل عثمان: «كيف يجدون صفة عثمان في كتبهم؟» قال: نجده أميراً يومَ القيامةِ على القاتل والخاذل[٢].

١٧ ـ وأخرج **ابن عساكر** من طريق محمد بن يوسف [بن عبد الله بن سلام[٣]] [عن جده **عبد الله بن سلام**[٤]] قال: [جاء عبدُ اللهِ حتّى[٥]] [إنه[٦]] دخل على عثمان في آخر ما دخل عليه الناسُ، فقال: ما ترى في القتالِ والكفِّ؟ قال: الكفُّ أبلغُ للحجةِ، وإنّا لنجدُ في كتابِ اللهِ: أنّكَ يومَ القيامةِ أميرٌ على القاتل والآمر[٧].

١٨ ـ وأخرجَ من هذا الطريق أنّ **عبد الله بن سلام** قال للمصريين: لا تقتلوا عثمان، إنّه لا يستكمِلُ ذا الحجة حتّى يأتي على أجله[٨].

١٩ ـ وأخرج **الحاكم** عن أبي الأسود الديلي عن أبيه عن **علي** رضي الله عنه قال: أتاني عبدُ الله بن سلام، وقد وضعتُ رجلي في الغرز، وأنا أريد العراقَ، فقال: لا تأتِ العراقَ، فإنّكَ إن أتيته أصابك به ذبابُ السيفِ، قال علي: وايمُ اللهِ لقد قالها لي رسولُ اللهِ ﷺ قبلك، قال أبو الأسود: فقلتُ في نفسي: يا الله! ما رأيتُ كاليوم، رجلٌ محارِبٌ يحدِّث الناسَ

(١) «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٨/ ٤).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٨١)، «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٩).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) زاد في الأصل الفارسي.
(٥) سقط في الأصل الفارسي.
(٦) زاد في الأصل الفارسي.
(٧) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٩).
(٨) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٣٥٤).

بمثل هذا[١].

٢٠ ـ وأخرج **أبو القاسم البغوي** عن **سعيد بن عبد العزيز** قال: لمّا توفِّي رسول الله ﷺ قيل لذي قربات الحميري ـ وكان من أعلم يهود ـ: يا ذا قربات! مَنْ بعده؟ قال: الأمينُ؛ يعني: أبا بكر، قيل: فمَنْ بعدَه؟ قال: قِرْنٌ من حديدٍ؛ يعني: عمر، قيل: فمن بعده؟ قال: الأزهرُ؛ يعني: عثمان، قيل: فمن بعده؟ قال: الوضاحُ المنصورُ؛ يعني: معاوية[٢].

٢١ ـ وأخرج **ابن راهويه والطبراني** عن **عبد الله بن مغفل** قال: قال لي ابن سلام لمّا قُتِلَ عليٌّ: «هذا رأسُ أربعينَ سنةً، وسيكون عندها صلحٌ»[٣].

٢٢ ـ وأخرج **ابن سعد** عن **أبي صالح** قال: كان الحادي يحدو[٤] بعثمانَ وهو يقول:

إنَّ الأميرَ بَعْدَهُ عليُّ وفي الزُّبَيْرِ خَلَفُ مَرْضِيُّ

قال: فقال كعب: لا، [بل هو صاحبُ البغلةِ الشهباءِ، قال: يعني[٥]:] معاوية، [قال: فأتي معاويةُ فقيل له: إنَّ كعباً يقول كذا وكذا، فأتى كعباً[٦]]، فقال: يا أبا إسحاق! وأنّى يكون هذا؟ وها هنا أصحابُ محمّد: علي والزبير، قال: أنت صاحبُها[٧].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٥١).
(٢) «الخصائص الكبرى» (١/ ٥٥)، «الإصابة» (١/ ٣٣٨).
(٣) «إتحاف الخيرة المهرة» (٨/ ٤).
(٤) «حدا»: أنشد شعراً تطربُ له الأسماعُ، وتخفُّ له الإبل في سيرها.
(٥) لا يوجد ذلك في الأصل الفارسي.
(٦) قد ورد في الأصل الفارسي بدلاً من ذلك: «فأخبر معاوية بذلك».
(٧) «الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١/ ٤١).

معرفة الشيء بطريق الكهانة والرؤيا:

ليُعلمَ أنّ سُنَّةَ اللهِ جرت على أنّه إذا قُدِّرَ أمرٌ عظيمٌ في عالم الغيب ترتسم صورته في الملأ الأعلى، ويتلقَّى ذلك الأمرَ الملأ الأدنى، فإذا بلغ الأمر هذا المبلغ يعرفه الكهنة بكهانتهم، وأهلُ الأذهان الصافية بالرؤيا، بل ترتسم صورته في بعض الأجسام والجسمانيات أيضاً.

إخبار الكهان عن خلافة الخلفاء:

وننقل عِدّةَ روايات من كتاب «الخصائص الكبرى» في هذا الباب أيضاً:

٢٣ ـ من قول سطيح[١] بعد ذكر النبيِّ ﷺ: ثم يلي أمره الصدّيق إذا قضى صَدَقَ، وفي رَدِّ الحقوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقٌ، ثم يلي أمره الحنيفُ، مجرّبٌ غطريفٌ، قد أضافَ المضيفَ، وأحكَمَ التحنيفَ، ثم يلي أمره دارّع لأمره مجرب، فيجتمع له جموع وعصب، فيقتلونه نقمةً عليه وغضب، فيؤخذ الشيخُ فيذبَحُ إرْباً، فيقومُ له رجال خطباً، ثم يلي أمره الناصِرُ، يخلِطُ الرأي برأي ماكرٍ، يظهِرُ في الأرض العساكرَ[٢]، «والمراد من الناصر ههنا: معاوية بن أبي سفيان».

٢٤ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن أبي الطيب عبد المنعم بن غلبون المقرئ بمصر، قال: لمّا فُتِحَتْ عمورية وجدوا على كنيسة من كنائسها مكتوبٌ بالذهب: شرُّ الخلفِ خلفٌ يشتمُ السلفَ، واحدٌ من السلف خيرٌ من ألفٍ من الخلف، يا صاحبَ الغارِ، نلتَ كرامةَ الافتخارِ، إذ أثنى عليكَ الملكُ الجبّار؛ إذ يقول في كتابه المنزل، على نبيِّه المرسل ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، يا عمرُ! ما كنتَ والياً

---

(١) **سطيح**: كاهن معروف في بلاد الشام. (٢) «الخصائص الكبرى» (١/٥٨).

بل كنتَ والداً، يا عثمانُ! قتلوكَ مقهوراً، ولم يزوروك مقبوراً، وأنتَ يا عليُّ! إمامُ الأبرار، والذّابُ عن وجه رسول الله ﷺ الكفّار، فهذا صاحِبُ الغار، وهذا أَحدُ الأخيار، وهذا غياثُ الأمصار، وهذا إمامُ الأبرار، فعلى من ينتقصهم لعنةُ الجبّار.

قال: فقلت لصاحب له ـ قد سقطت حاجباه على عينيه من الكبر ـ: منذ كم هذا على باب كنيستكم مكتوبٌ؟ فقال: من قبل أن يُبْعَثَ نبيّكم بألفي عام[١].

٢٥ ـ وأخرج **ابن عساكر** في «تاريخ دمشق» عن **كعب** قال: كان إسلامُ أبي بكر الصدِّيق شبيهاً[٢] بوحي من السماء، وذلك أنّه كان تاجراً بالشام، فرأى رؤيا، فقصَّها على بحيرا[٣] الراهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيّها؟ قال: من قريشٍ، قال: فأيش أنت؟ قال: تاجرٌ، قال: صدق الله رؤياك، فإنّه سيبعثُ نبيٌّ من قومك، تكونُ وزيرَه في حياته، وخليفتَه بعد موتِهِ، فأسرَّ أبو بكر حتّى بُعِثَ النبيُّ ﷺ، فجاءه، فقال: يا محمّدُ، ما الدليلُ على ما تدعي؟ قال: الرؤيا التي رأيتَ بالشام، فعانقه، وقبّلَ عينيه، وقال: [أشهد أن لا إلـه إلا الله[٤]] وأشهد أنّكَ رسولُ اللهِ[٥].

٢٦ ـ وأخرج **ابن عساكر** عن **عليٍّ** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليلة أسري بي رأيتُ على العرش مكتوباً: «لا إلـه إلّا الله، محمّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدّيق، عمرُ الفاروق، عثمانُ ذو النورين»**[٦]».

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٧/ ١٨٩).
(٢) وفي الأصل الفارسي: «سببه» مكان «شبيهاً».
(٣) كذا في «مختصر ابن المنظور» (٤/ ٢٦٥)، وفي الأصل الفارسي: «بحير».
(٤) سقط في الأصل الفارسي.
(٥) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٠).
(٦) «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٥١).

٢٧ ـ وأخرج **أبو يعلى، والطبراني** في «الأوسط» **وابن عساكر والحسن بن عرفة** في جزئه المشهور عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لمّا عُرِجَ بي إلى السَّماءِ، ما مررتُ بسماءٍ إلا وجدتُ فيها اسمي: محمّدٌ رسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكر الصديق من خلفي»**[(١)].

٢٨ ـ وأخرج **الدارقطني** في «الأفراد»، **والخطيب، وابن عساكر**، عن **أبي الدرداء**، عن النبيِّ ﷺ، قال: **«رأيتُ ليلةَ أسري بي في العرشِ فريدةً**[(٢)] **خضراءَ، فيها مكتوبٌ بنورٍ أبيضَ: لا إلـهَ إلّا اللهُ، محمّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصديق»**، زاد الطبري[(٣)]: **«عمر الفاروق»**[(٤)].

٢٩ ـ وأخرج **ابن عساكر، وابن النجار** في «تاريخيهما» عن أبي الحسن علي بن عبد الله الهاشمي الرقي بالرملة، قال: دخلتُ في بلاد الهندِ إلى بعضِ قراها، فرأيتُ شجرَ[(٥)] وردٍ أسودَ، ينفتحُ عن وردة كبيرة، طيبة الرائحة، سوداء، عليها مكتوبٌ [كما تدور[(٦)]] بخط أبيض: «لا إلـه إلا الله، محمّد رسول الله، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق»

---

(١) انظر: «المعجم الأوسط» (٥/ ١٣٢)، و«مسند أبي يعلى» (١١/ ٤٨٨) رقم: (٦٦٠٧)، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٠٤)، و«تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصدِّيق» (١/ ٩) واللفظ له، و«الرياض النضرة» (١/ ٣٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «فرندة» مكان «فريدة»، وكذا وقع في «الرياض النضرة» (٢/ ٧٨)، ووقع في «مختصر تاريخ دمشق»: «إفرندة».

(٣) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمُلِيّ، أبو جعفر الطبري، المؤرّخ المفسّر، الإمام، صاحب التصانيف المشهورة، من مواليد سنة ٢٢٤هـ، توفي سنة٣١٠هـ. انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٤)، و«طبقات الشافعية» (١/ ٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٢/ ١٨٨).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٠٤)، و«تاريخ بغداد» (٥/ ١١٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤٢).

(٥) في الأصل الفارسي: «شجرة».

(٦) لا يوجد في الأصل الفارسي.

فشككتُ في ذلك، وقلتُ: إنّه عملٌ معمولٌ، فعمدتُ إلى جُنْبُذة[1] لم تفتّح ففتحتُها، فكان فيها وردةٌ سوداءُ فيها مكتوب بخط أبيض كما رأيتُ في سائرِ الوردِ وفي البلد منه شيءٌ عظيم[2][3].

الآية الرابعة:

قال الله تعالى في سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥)﴾ [المائدة].

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)﴾ [المائدة]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٧].

فتنة الردة وتدبير دفعها:

والغرض من هذا الكلام أيضاً إنّما هو إخبارٌ عن الحادثة التي ستحدث عند وفاة النبي ﷺ، وتتفاقم وتشتدّ بعد وفاته ﷺ، وأيضاً فيه إعلامٌ عمّا أراده الله تعالى من التدبير ليكونوا على بصيرةٍ منها عند وقوعها، وأنْ لا يغلبهم الخوفُ ويستولي على قلوبهم اضطراب.

---

(١) في الأصل الفارسي: «حبّة»، والجُنْبُذة جمعها: جنابذ، وهي القبة، أو مثلها شيء ارتفع واستدار، «النهاية» (ص١٦٨)، «لسان العرب» (٣/ ٤٨٢).

(٢) في الأصل الفارسي: «كثير».

(٣) «تاريخ دمشق» (١٣/ ٩)، وقد أخرج السيوطي هذه الروايات كلها في مواضع مختلفة في المجلد الأول من «الخصائص الكبرى».

ظهور المدعين للنبوة:

وإذا ظهر التدبيرُ اهتمُّوا به، وبذلوا الجهد في إتمامه، واعتبروا ذلك سعادة لهم، وشرح هذه الحادثة أنَّ ثلاث فرق من العرب ارتدُّوا عن الإسلام في آخر حياة النبي ﷺ، وكان رجلٌ في كلِّ فرقة منها يدّعي النبوةَ، فآمن به قومٌ، وثارت فتنة عظيمة.

الأول: ذو الخمار العَنْسِي، كان له باع طويل في الكهانة والشعبذة، ادَّعى النبوة في قبيلة مَذْحِجَ باليمن، فكتب النبيُّ ﷺ إلى معاذ بن جبل (لأنّه كان قاضياً في اليمن)، ومَنْ كانوا معه من المسلمين أن يتجهَّزوا لقتاله، فتصدّى لقتله فيروز الديلمي منهم فقتله، واطلع النبي ﷺ على ذلك بالوحي، وقال: فاز فيروزُ، وبلغ ذلك أبا بكر الصدِّيق في أواخر ربيع الأول فيما يظهر، وذلك أول بشارة الفتح التي استبشر بها الصدّيق رضي الله عنه.

الثاني: مسيلمة الكذّاب، يدّعي النبوة في بني حنيفة في اليمامة[(١)]، وكتب إلى النبيِّ ﷺ:

«من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، أمّا بعدُ! فإنَّ الأرض نصفُها لي ونصفُها لك»[(٢)]، أرسل هذه الرسالة إلى النبيِّ ﷺ مع رجلين،

(١) هي في الإقليم الثاني طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة، وفي كتاب العزيزي أنها في الإقليم الثالث، وعرضها خمس وثلاثون درجة، وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه سنة ١٢ للهجرة، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوةً، ثم صولحوا، وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودةٌ من نجدٍ وقاعدتُها حجر...، وكان اسمها قديماً «جَوّا»، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم، «معجم البلدان» (٤/ ٣٤٥).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٧٠)، و«تفسير الرازي» (٦/ ٨٠)، و«تفسير البيضاوي» (٢/ ٨٦)، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٢٠)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٩٩) بتعديل يسير في اللفظ.

فقال لهما رسولُ اللهِ ﷺ للرجلين: «**أتشهدانِ أنّ مسيلمةَ رسولُ اللهِ؟**» قالا: نعم، فقال النبيُّ ﷺ: «**لولا أنَّ الرسلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ أعناقكما**»، ثم كتب إلى مسيلمة رسالةً جواباً عن رسالته: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم، من محمّدٍ رسولِ اللهِ إلى مسيلمةَ الكذَّاب، أمّا بعدُ! فإنَّ الأرضَ للهِ يورثُها مَنْ يشاءُ والعاقبةُ للمتقين**»[1].

ثم مرض النبيُّ ﷺ بعد ذلك، وانتقل إلى الرفيق الأعلى قبل التدبير لقتله، فأرسل أبو بكر رضي الله عنه خالدَ بنَ الوليد رضي الله عنه بجيشٍ كثيرٍ إلى مسيلمة، فقتله وحشيٌّ، وتفرَّقت جماعةُ مسيلمة، وتاب بعضُهم.

الثالث: طليحة الأسدي، ادّعى النبوّة في بني أسد في حياة النبي ﷺ، فأرسل أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من بعدِ وفاته ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى جماعته، فهزمهم خالدٌ هزيمةً منكرةً، وفرَّ طليحةُ هارباً، ثم أسلم، وأبلى في حرب القادسية[2] بلاءً حسناً.

فتنة الردّة وإنكار الزكاة: ثم ظهرت فتنةُ الردَّةِ في جزيرة العرب في غير الحرمين وقرية جُوَاثَىٰ[3]، وأنكرت فرقةٌ من المسلمين أداء الزكاة إلى الخليفة، فاختلف فيها فقهاءُ الصحابة، كيف نقاتِلُ أهلَ القِبْلَةِ؟ وفي شأنهم قال عمرُ رضي الله عنه: «كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) «المنتظم» (١/ ٤١٨)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٠٠).

(٢) وقال المدائني: كانت القادسيةُ تسمّى قُدَيْساً، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد بن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة ١٦ من الهجرة، «معجم البلدان» (٣/ ٣٥٣)، وكتب ابن بطوطة في «رحلته» (١/ ٨٠): «وكانت القادسيةُ مدينةً عظيمةً، افتتحها سعد رضي الله عنه، وخربت، فلم يبق منها إلى الآن إلا مقدار قرية كبيرة، وفيها حدائقُ النخلِ، وبها مشارعُ من ماءِ الفراتِ، «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٥٣).

(٣) بضم أوله، وبالثاء المثلثة، على وزن فُعَالَى: مدينة بالبحرين لعبد القيس، «معجم ما استعجم» (١/ ١١٥)، «لسان العرب» (٢/ ١٢٦).

«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقاً كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا» أخرجه **الشيخان**[١] وغيرهما[٢].

موقف أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وشَرْحُ التدبيرِ الذي قدَّره الله تعالى لهذه الحادثة هو أنّه تعالى قد ألقى داعيةَ الجهادِ في قلب أبي بكر الصدِّيق باهتمامٍ بالغٍ، وهذا هو معنى قوله ﷺ في هذه الفتنة: **«العصمةُ فيها السيفُ»**[٣] رواه **حذيفة**، وأكثر الصحابة كانوا في قتال مانعي الزكاة[٤]، حتى طلبَ منه عمر الفاروق رضي الله عنه الرفقَ واللين، فردَّ عليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «أجبَّارٌ أنتَ في الجاهليةِ وخوّارٌ في الإسلامِ؟»[٥]، ودار السؤال والجواب بينهما في هذا الموضوع.

وقال **أنس بن مالك**: كره الصحابةُ قتالَ مانعي الزكاة، وقالوا: أهلُ القبلةِ، فتقلَّد أبو بكر سيفَهُ، وخرجَ وحده، فلم يجدوا بدّاً من الخروج[٦].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (١٣٩٩ و١٤٠٠)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٠).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ٥) رقم: (٣٠٩١)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٤١٧) رقم: (٣٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٠٤) رقم: (٧١١٦).

(٣) كذا في الأصل الفارسي، وأخرج البغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ١٠١٠)، من حديث **حذيفة** قال: قلتُ: يا رسول الله! أيكونُ بعدَ هذا الخيرِ شرٌّ كما كان قبله شرٌّ؟ قال: «**نعم**»، قلتُ: فما العصمة يا رسول الله؟ قال: «**السيف**».

(٤) «لامع الدراري» (٥/ ١٢ و١٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وابن بلبان في «تحفة الصديق» (١/ ١٢).

(٦) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩).

وقال **ابن مسعود**: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه في الانتهاء، أخرجهما **البغوي**[١] وغيره[٢].

آراء الصحابة حول إقدام أبي بكر رضي الله عنه:

إنّ داعية الجهادِ التي ألقاها الله في قلب أبي بكر كانت كالمصباح، مَنْ ظهرَ أمامه يتنوَّرُ حتّى استعدَّ جماعةٌ كبيرة من المسلمين للقتال، وبذَلوا ما في وسعهم من الاستعداد للجهاد.

قال أبو بكر ابن عياش: سمعتُ أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين أفضلُ من أبي بكر، قام مقام نبيٍّ من الأنبياء في قتال أهل الردَّة، أخرجه البغوي[٣].

وذلك إشارةٌ إلى تحمُّل الداعية الإلـٰهية التي ارتسمت في قلب الصدّيقِ وحدَه أولاً، ثم ارتسم أمرُ الجهاد منه في قلوب المسلمين.

● أخرج **أبو بكر**: عن القاسم بن محمد، عن **عائشة** أنها كانت تقول: توفي رسول الله ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضّها، اشرأبَّ النفاقُ بالمدينةِ، وارتدَّتِ العربُ، فواللهِ ما اختلفوا في نقطةٍ إلّا طار أبي بحظِّها وعَنَائِها[٤] في الإسلام.

● وكانت تقولُ مع هذا: ومن رأى عمر بن الخطاب عرفَ أنّه خُلِقَ غناءً للإسلام، كان واللهِ أحوذيّاً نسيجَ وحده، قد أعدّ للأمور أقرانها[٥].

---

(١) «تفسير البغوي» (٣/ ٦٩).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٦٨).
(٣) في «تفسيره» (٣/ ٧٠) ضمن تفسير آيات قتال المرتدين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ...﴾ [المائدة: ٥٤].
(٤) في الأصل الفارسي: «بحطها غنائها».
(٥) «المصنف» (٣٨٢١٠)، وفي «سنن البيهقي» (٨/ ٢٠٠) رقم: (١٧٣٠٠): «بحظها وغنائها».

أبو بكر هو المراد في الآية:

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ...﴾ [المائدة: ٥٤]، ليس معنى ذلك أنْ يأتيَ بهم من العدم إلى الوجود، أو من الكفر إلى الإسلام، بل المراد: إمالةُ قلوب جماعة من المسلمين للجهاد بسبب الداعية التي ألقاها في قلب أبي بكر رضي الله عنه، وربط قلوب بعضهم إلى بعض في سلك واحد على الجِهاد، فصارت صورتُهم الاجتماعيةُ مأتياً بها من الله، وإلّا لا يمكن أن تكونَ شرارةُ الجهادِ في كلِّ فرد منهم على السواء، وبالتالي تظهر تلك الهيئة الاجتماعية بتدبيرٍ من الله، وإلهامٍ منه، وإلقاء الهمَّة في قلوبهم.

• وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

ستّ صفات في الآية:

قد بيَّن الله تعالى ستَّ صفاتٍ:

صفتان منها لبيانِ علاقة بين الله وعباده، (أي: الله يحبّهم، وهم يحبّون الله).

وصفتان منها بين المؤمنين وغيرهم، فيعامِلُ الله المؤمن معاملة الأب ولده، ويعامل الكافر؛ معاملة جبرئيل لثمود عند الصيحة حتّى صارت سبباً لإتلافهم وإهلاكهم.

وصفتان منها في نصرة الملَّة والدين، **الصفة الأولى**: الجهاد، ويدخل في معناه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر أيضاً، كما تقدّمَ في آية التمكين. **والصفة الأخرى**: القوّة الإلهامية التي لا تزولُ بكلام الناس أو القرابة وما يشاكلهما.

أكبر الغزوات بعد بدر والحديبية:

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

[المائدة] هذه خلاصةٌ لإثبات الصفات المذكورة عظيمة القدر في تحقيق وإثباتِ هذه الخصال المذكورة وبيان منزلتها عند الله، وقد عُلِمَ من هذا رتبةُ قتالِ المرتدين بعد غزوة بدر والحديبية، وكان هذا القتال من المشاهد العظيمة القدر.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] لفظة «إنما» تستعمل في كلام العرب لبيان دليل الجملة السابقة وتحقيقها وتثبيتها، فالمعنى: أيُّها المسلمون! لماذا تخافون من ارتدادِ بعض العرب والجموع الكثيرة لهم؛ فإنّ وليّكم وناصركم هو الله، الذي يلهِمُ الخيرَ والتدبيرَ لإتمام الأمور، ورسولُه أيضاً وليكم، وهو يرغِّبُ المؤمنين بالجهاد، وينصر عباده بالدعاء والتضرع إلى الله، والظاهِرُ أنّ الله تعالى جعل أهل الإيمان متّصفين بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة بخشوع وخضوع (وهم أولياؤكم)، وهم يتقبلّون الإلهام الرباني، والله ﷻ يجري بهم أعمال الخير في هذا العالم.

نزول الآية في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وسببُ نزول هذه الآية ومصداقها[١] هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه رغم عموم اللفظ الذي يشمل جميعَ المؤمنين إلى يوم القيامة، ودخول الرجل الذي كان سبباً لنزول الآية في مصداقها قطعي، ولأجل الآية قال جابر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن سلام لمَّا هجره قومه اليهود.

---

(١) يكون سبب النزول والمصداق مختلفين تارةً، ومتحدين تارةً أخرى، فسبب النزول عبارة عن الشخص أو الحادث الذي نزلت الآية لأجله، فإذا انطبقت ألفاظُ الآيةِ على ذلك الشخص أو الحادث كان هو المصداقُ وإلّا فلا، أمّا قول المفسِّرين: «نزلت الآية في فلان» فيكون المراد منه تارةً: أنّه سببُ نزولِ الآية، وتارةً أخرى: أنّه مصداقُ الآية، وثالثةً: يكون المرادُ منه كلا المعنيين.

• وأخرج **البغوي** عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [المائدة: ٥٥] نزلت في المؤمنين، فقيل له: [إنَّ أناساً يقولون[1]] إنَّها نزلت في عليٍّ، فقال: هو من المؤمنين[2]، ولكن ليس كما يزعمه الشيعة، ويروون قصّةً موضوعةً[3]، ويجعلون قوله: ﴿رَاكِعُونَ﴾ حالاً من قوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾[4]، وقد تصدّقَ بخاتمه، ورماه إلى جانب الفقير وهو راكعٌ، وإنَّهم لم ينظروا إلى سياق الآية وسباقها، بل فرقوا بين آيات مرتبطة، فرَّق الله أعضاءهم كما فرّقوا الآيات بعضها عن بعض.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، معنى هذا الكلام: أنَّ ولايةَ المسلمين ونصرتَهم لا تليقُ إلَّا بالذين يتّصفون بصفات الكمال، ولا سيَّما في مثل هذه الحوادث العظام (كمثل فتنة الردة) لا بغيرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ...﴾ [المائدة: ٥٦]، فيه أمرٌ بطاعة الله والرسول ﷺ، وفيه ترغيبٌ إليه، وبيانُ أنّ غلبةَ الإسلامِ متوقفةٌ عليها، وسعادة الدارين محصورةٌ فيها.

إنجاز الوعد الإلـهي في فتنة الردّة في عهد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وبعدما ذكرنا هذه الأمور، فليعلم أنّ وعد الله حقٌّ، ولم يتمّ إنجاز

---

(١) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٢) «تفسير البغوي» (٣/ ٧٣).

(٣) وهي أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرَّ به سائلٌ وهو راكعٌ في المسجدِ، فأعطاه خاتمه، «تفسير البغوي» (٣/ ٧٣). وقال ابن كثير: لا يصحُّ شيءٌ منها بضعف أسانيدها وبضعف رجالها (١١/ ٩٤)، قال ابنُ تيمية: هذا وضعه بعض الكذّابين، «منهاج السُّنَّة» (ص٣٠ ـ ٣٢).

(٤) والآية بكاملها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة].

هذا الوعد في حياة النبي ﷺ؛ إذ لم يخرج جيشٌ لقتال المرتدّين في ذلك العصر، ولم يقع قتالُ المرتدّين بعد الشيخين أيضاً خلال هذه المدة الطويلة بجمع الجيش ونصب آلات الحرب، فلا بدَّ أن يكون مصداق هذا الوعد جنود أبي بكر الصديق رضي الله عنه التي جنَّدها وجهّزها لقتال المرتدّين، ونجحت في إنجاز هذا الأمر العظيم بعون الله تعالى في أسرع وقتٍ، وأحسنِ وجهٍ، وجمعُ الرجال ونصبُ القتال مع فِرَقِ المرتدّين من لوازم الخلافة الخاصة، فإن الخلافة الراشدة عبارةٌ عن رئاسة الخلق في إقامة الدين، والقيام بالجهاد لأعداء الله، وإعلاء كلمة الله، من حيث يكون هو ومن عاونوه في إقامة الدين ممدوحين عند الله، يشملهم ثناؤه ورضاه سبحانه وتعالى، والظاهر أنَّ قتالَ المرتدين من أعلى الأعمال لإقامة الدين، وشمول رضا الله ومدحه المجاهدين ضد المرتدين ظاهر، بل أظهر من الشمس في رابعة النهار، لهذا ثبت أنَّ الخلافة الخاصة لها شرفٌ وزينةٌ بوجودِ الصدّيق رضي الله عنه.

واعلم أيضاً: أنَّ في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾، ترغيباً في تولّي الخليفة الراشد، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه هو مورد النصّ ومصداق الآية، وأنَّه داخل فيه بالقطع، وفيه إشارة إلى وجوب الانقياد للخليفة الراشد، ودلالة على تحقّق خلافة الصديق رضي الله عنه.

إعادة النظر في الخصال الستّ:

وليُعلم أيضاً: أنَّ الله سبحانه وتعالى يشهدُ بالتأكيد أنَّ هذه الجماعة تكون عند القيام بقتال المرتدِّين محبوبةٌ ومُحِبّةٌ وكذا وكذا من الصفات، وهذه الأمور الستة معدودةٌ من صفات الكمال، وأنَّ الصدّيق لو لم يكن في خلافته على الحقِّ فالجمع الذين جاهدوا بأمره أو بايعوه أو كانوا راضين باستخلافه، لم يكونوا من المحبين والمحبوبين والمتصفين بأوصاف

الكمال، فيلزم من هذا أنَّ خلافته لم تكن على الحق، واللازم (أي: عدم كونهم متصفين بها) باطلٌ بشهادة الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ فيه: أن الإتيان بقوم سيصدر من الله ﷻ حقيقة، وفي الظاهر أنَّ جمعُ المسلمين لقتال المرتدين تم على يد أبي بكر الصديق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾، فالرمي صدر منك كالجارحةِ، ولكنَّ الفعلَ صدر من الله حقيقة.

كذلك في هذه الآية جمعُ الناس بهذه الصفات للقتال في الواقع من الله ﷻ، لكن نُسِبَ إلى أبي بكر كالجارحة له.

أخبرني! أيّ منزلة تكون أعلى من هذه المنزلة بعد مرتبة الأنبياء عليهم السلام؟ ومن يكون كاملاً ومكمِّلاً مثل الصديق رضي الله عنه؟ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة].

وجود الخصال المذكورة في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وليُعلم أيضاً أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [المائدة: ٥٥]، على الرغم من أنَّ لفظه عام، لكنَّ الصديق رضي الله عنه هو مورد النصّ ومصداقه قطعاً، فلذا صار الصدّيقُ الأكبر من أولياء المسلمين وأميرهم، هذا هو معنى الخلافة الراشدة، وكان الصدّيق متّصفاً بإقامة الصلاة مع الخشوع والخضوع والزكاة وكثرة النوافل، وهذه من لوازم الخلافة الخاصة.

وليُعلمْ أيضاً: أنّ أمرَ الجهادِ والقتالِ ينسب إلى الآمر في العرف العام، بل ينبغي أن يكونَ الآمرُ أوفرَ حظّاً بهذه الصفات في جيشه حتَّى تنعكِسَ صفاتُه على قلوب الجيش، فهذه الصفاتُ كانت متحققةً[1] في

(١) انظر شرحه في: (ص١٣٢).

الصدّيق الأكبر ﷺ على أكملِ الوجوه، وذلك من لوازم الخلافة الخاصّة، بل يمكن أن تكون هذه الصفات الستّة من صفات الصدّيق فقط، ولقد أتت بصيغة الجمع تعريضاً، كما وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ...﴾ [النور: ٢٢]، والمراد هنا هو أبو بكر الصدّيق وحده ﷺ، لكن أورده بصيغة الجمع كما في أساليب التعريض.

ومن القرائن الدالَّة على هذا المعنى: أنّه لم تقعْ على أحد من المسلمين لومةُ لائم إلّا على الصدّيق عند قتال المرتدين، أمّا لوم الكفار فلا التفاتَ إليه، فلا بدَّ أن يكونَ مصداقُ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ خاصاً به.

ولما خالفه الصحابة في قتال مانعي الزكاة ولاموه ـ وقد تحقّقَ عند أبي بكر كفرَ هؤلاء وارتدادَهم ـ فلم يلتفت إلى خلافهم ولومهم، وبعد هذا النقاش لم يتأثّر قلبُه بخوفٍ وضعفٍ في تنفيذ رأيه، فهو مصداق قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾.

❁ الآية الخامسة:

وقال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾.

سبب نزول هذه الآية:

من أسباب نزول هذه الآية بإجماع المفسِّرين ودلالة سياق الآيات وسباقها وحسب معاني الأحاديث الصحيحة، أنَّ النبيَّ ﷺ أرادَ عام الحديبيةِ أن يعتمرَ، فوجّه الدعوةَ العامة إلى الأعراب وأهل البوادي أيضاً لكي يرافقوه ﷺ في هذا السَّفر لنيل السعادة؛ لأنَّه كان هناك احتمالٌ

قويٌّ أن تمنعهم قريشٌ من أن يدخلوا مكة؛ لأنّ قلوبهم مليئةٌ بالحقد، ويريدون الانتقام لقتلى بدر وأُحُد والأحزاب؛ (لأنّ أقرباءهم قتلوا بأيدي المسلمين في هذه المعارك)، فكان مقتضى العقل والسياسة في ذلك الوقت أن يستصحبَ معه جمعٌ كبيرٌ للوقاية من شرِّ قريش، ولم يلتفت كثيرٌ من الأعراب إلى دعوة النبي ﷺ، وتخلَّفوا عن هذا السفر الميمون، وتعلَّلوا بالأشغال الضرورية في الأهل والمال، ولكنّ المخلصين من المسلمين الذين ذاقوا حلاوةَ الإيمان، وامتلأت قلوبهم بالإيمان، رافقوا النبيَّ ﷺ، وصحبوه في السفر، وعدُّوا ذلك سعادةً، فلمَّا وصلوا الحديبية عارضتهم قريشٌ بحميَّة جاهلية، واستعدَّوا للقتال، حتَّى إنَّ النبيَّ ﷺ صالحهم، وتنازل بقَبول كلِّ ما ألحّت عليه قريش[1]، فرجع إلى المدينة بعد أداء دمِ الإحصارِ خارجَ مكة، ولمّا ظهرت قوةُ إخلاص المخلصين في هذا السفر، واستولى على قلوبهم الحزن والهمّ من أجل فوات العمرة[2] وبهذا الصلح، اقتضت حكمةُ اللهِ تعالى تعزيةَ قلوبهم، وإزالةَ همِّهم بمغانم خيبر التي تصيبها أيديهم عن قريب، وتخصيص غنائمها بأصحاب الحديبية، فلم يأذن لغيرهم بالخروج، ولم يشرك أحداً في مغانمها، قال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]، وقال تعالى إخباراً برضاه عن الذين بايعوا في الحديبية: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ...﴾

---

(١) «السيرة النبوية» للندوي (ص٢٧٥).

(٢) **هي لغةً**: الزيارة، وقيل: القصد، وفي «الفتح» (٣/ ٥٩٧): قيل: إنها مشتقة من عمارة المسجد الحرام، **وفي الشرع**: زيارة البيت الحرام بكيفية خاصة وشروط مخصوصة، وفي «الدر المختار» (٢/ ٥٢٠): أي: إحرامٌ، وطوافٌ، وسعيٌ، وحَلْقٌ، أو تقصيرٌ، فالإحرامُ شرطٌ، ومعظم الطوافِ ركنٌ، وغيرُهما واجبٌ.

[الفتح: ١٨]، ولم يتخلّف أحدٌ من أهل الحديبية عن هذه البيعة غير الجدّ بن قيس المنافق فقط.

• وأخرج **البغوي**[1] وغيره عن **جابر** عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»، وهذا المشهد (أي: وقعة الحديبية) مشهدٌ عظيمٌ من مشاهد الخير، نال فيها الصحابةُ ﷺ مراتبَ عالية.

واقتضت حكمته سبحانه تسليةَ قلوبهم بمغانم تقع بأيديهم بعد مدَّة، مثل غنائم «حنين»، وبمغانم أخرى لم يكن العربُ قادرين عليها قطّ، وهي مغانم فارس والروم، ولم يحلمِ العربُ قط أن ينالوا غنائمهم بسبب قوتهم وشوكتهم وكثرة عددهم وعُددهم، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ [الفتح: ٢٠]، فالمراد منها: هو مغانم العرب مثل حنين وغير ذلك، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]، والمراد هنا: هو مغانم خيبر التي نالوها بعدَ الحديبيةِ على الفورِ، و﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١]، هنا المراد منها مغانم فارس والروم، وأيضاً اقتضت حكمة الله تعالى تهديد المتخلِّفين وفضح حالهم، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ...﴾ [الفتح: ١٦]، ثم أُخْبِروا ـ في الآيات الآتية ـ بدعوتهم إلى قتال أولي بأس شديد، حتَّى يتأمَّلوا عواقبَ القبول ورفضه، ويكونوا على بصيرة من الأمر عند ظهورها، وألَّا تشوِّش أذهانهم الاحتمالاتُ العقليةُ، فذلك قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ...﴾ الآية.

الدعوةُ إلى الجهاد من أعظم صفات الخليفة:

قد عُلِمَ من هذه الكلمة بطريق اقتضاء النصّ أنَّ «داعياً» سيدعو

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/٣٠٦)، وانظر: «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٣)، و«سنن الترمذي» رقم: (٣٨٦٠).

الأعراب في المستقبل إلى قتال الكفّار، ويتحقَّق بهذه الدعوة التكليفُ الشرعي لا محالةَ، فإذا أجابوا لها أثيبوا، وإذا رفضوها وأعرضوا عنها استحقُّوا العقابَ والعذابَ، وهذا وصفٌ بيِّنٌ للخليفة الراشد؛ لأنَّ الدعوة إلى الجهاد من أعظم صفات الخليفة، ويفهم ثبوت الخلافة للداعي إلى الجهاد وإثبات خلافته.

الصفات الأربع في الآية:

نريدُ الآن التفتيش: مَن الداعي؟ وفيمن توجد هذه الصفات المذكورة؟.

فالأُولى من هذه الصفات: أن تكونَ الدعوةُ للأعراب إلى الجهاد من أهل البوادي، ولو دعوا إليه أهلَ الحواضرِ فلا بأسَ.

والثانية: أن تكون الدعوة إلى قتال كفّارٍ أولي بأسٍ شديدٍ، ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن تكون تلك الجماعةُ التي يتصدّون للقتال والجهاد لها أكثرَ قوّةً وأشدَّ بأساً من جميع الجماعات التي قاتلوها من قبل؛ فإنَّ الشدّةَ والضعفَ أمرٌ نسبي، إذ إنَّ كل ضعيفٍ أقوى ممن هو أضعف منه، فلا بدّ لهما من حدٍّ، لكنّ العرفَ يقتضي أنّهم إذا كانوا أكثرَ قوةً وأوفرَ أسباباً من جميع الفئات والجماعات التي قاتلها المسلمون من قبلُ، دخلوا في مصداق قوله تعالى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، وإلَّا فلا، ومعنى ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾: أن يكونوا بمقتضى القياس وبحكم العقول المفطورة في بني آدم أوفر أسباباً للغلبة وأقدر على الفتح، ولو أنَّ الله تعالى قادرٌ على أن يهزمهم بهؤلاء الضعفاء خرقاً للعادة، [وقد هزمهم].

والثالثة: أن يدعو الخليفةُ إلى قتال الكفار الذين لم يكونوا من

قريش؛ إذ إنَّ تنكير[١] ﴿قَوۡمٍ﴾ يدلّ على أنَّهم غير الأوَّلين الذين دعا إليهم رسولُ اللهِ ﷺ في الحديبية، ولو كان المرادُ بهم قريشاً لكان نظم الكلام على هذا المنوال: «ستُدعون إليهم مرةً أخرى»، وما كان ينبغي أن يقال: ﴿سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ﴾.

والرابعة: أن تكون هذه الدعوة لقتال لا ينتهي إلا بإسلام أو بقتال قوم أولي بأس شديد، وأنْ لا تكونَ الدعوةُ إلى القتال لمجرد إحكام الخلافة، وكبت البغاة من المسلمين، كما دعا سيِّدنا علي المرتضى رضي الله عنه أهلِ المدينة لإحكام الخلافة، وهزيمة أهل الجمل، وأهل الصفين، ولا أن تكون هذه الدعوةُ لإرهاب العدو، فإذا ملكتهم الهيبة والخوف امتنعوا عن القتال، كما دعا النبيُّ ﷺ أصحابه للخروج إلى الروم في تبوك، ولمّا لم يتحرَّك قيصر من مكانه انصرفوا إلى بلادهم، ولم يقع قتال هناك.

الدعاة إلى هذا الجهاد هم الخلفاء الثلاثة:

وإذا علمتَ الأمورَ المذكورة فليعلم أنّ مصداق هذا الداعي تنطبق على الخلفاء الثلاثة لا غير، ذلك أنَّ هذا الداعي لا يكونُ وفق الاحتمالات العقلية: ١ ـ إلا النبيّ ﷺ، ٢ ـ أو الخلفاء الثلاثة، ٣ ـ أو عليّاً المرتضى رضوان الله عليهم جميعاً، ٤ ـ أو بني أمية، ٥ ـ أو بني العباس، ٦ ـ أو الأتراك الذين تغلّبوا من بعد زوال سلطنة العرب، ولا يتجاوز الأمر ذلك، (يعني: أن المراد ها هنا الخلفاء الثلاثة، وهم مصداق الداعي إليه، أمّا غير ذلك من الاحتمالات فباطلة).

ولم يظهر من النبيِّ ﷺ مثل هذه الدعوة؛ إذ إنَّ هذه الآية نزلت في

---

(١) أي: استعمال كلمة نكرةً دون معرفة.

صلح الحديبية، وغزوات النبي ﷺ بعد الحديبية معدودةٌ معلومةٌ، لم تثبت مثل هذه الدعوة من النبي ﷺ في أيِّ غزوة منها.

فوقعت **غزوة خيبر** بعد الحديبية بزمن قريب، ولم يدعُ النبي ﷺ أحداً من الأعراب فيها، بل قد مُنع غير أصحاب الحديبية من الحضور في هذه الغزوة، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

ووقعت بعد ذلك **غزوة الفتح**، وقد وُجِّهت فيها الدعوة إلى بعض الأعراب ولم يكن أهل مكة قوماً أولي بأس شديد، إذ إنَّهم هم الذين قد دعوا إليهم في الحديبية، ونَظْمُ الكلامِ يدلُّ على تغاير هذين القومين؛ يعني: أنّ المراد بـ﴿قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ غير أهل مكة.

ولا يُراد بذلك **غزوة حنين** أيضاً؛ إذ إنّ هوازن كانوا أقلّ وأذلّ من أن يُذكروا بـ﴿أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾؛ لأنّه كان مع النبي ﷺ اثنا عشر ألف مقاتل من الأنصار والمهاجرين والأعراب ومسلمي الفتح[١]. أما ما وقع فيها من الهزيمة أولاً، فهو بسبب إعجاب المسلمين بكثرتهم، وما وقع بهم هو تأديبٌ لهم من الله.

ولا يُراد به **غزوة تبوك** أيضاً، إذ إنّ هنالك لم يتحقّق مصداق ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]؛ إذ إنّ الغاية كانت إلقاءَ الرعب والوهن في قلوب الروم في الشام، فلمّا لم يتحرّك هِرَقْلُ من مكانه، ولم يرسل جيشاً للقتال، رجع المسلمون بلا قتال.

وثبت في التاريخ أن (عليّاً رضي الله عنه أو) أحداً من بني أمية أو بني العباس أو الترك أو مَنْ بعدهم لم يدعُ أعرابَ الحجاز واليمن إلى جهاد

(١) ويدلّ على هذا المعنى قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]؛ إذ إن إعجاب المسلمين بكثرة عددهم يدلّ على أن هوازن كانوا في قلّة وذلّة.

الكفار، وعلم علم اليقين أنّ هذه الدعوةَ المخصوصةَ المهمةَ لم تظهر خلال هذه المدّة المديدة من غير عهد الخلفاء الثلاثة.

قال الواقدي: لمّا توفيّ[١] رسولُ اللهِ ﷺ واستُخْلِفَ بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قُتِل في خلافته مسيلمةُ الكذَّاب [ابن القيس[٢]] الذي ادّعى النبوة، وقاتل بني حنيفة، وقاتل أيضاً سِجَاحَ، والأسود العنسيَّ، وهَرَب طُلَيْحةُ إلى الشام، وفَتَحَ اليمامة، وأطاعت العربُ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فعزم[٣] أن يبعث جيشَه[٤] إلى الشام، وصرف وجهه لقتال الروم[٥]، فجمع أصحاب[٦] رسول الله ﷺ في المسجد، وقام فيهم [خطيباً[٧]] فحمد الله عز وجل، [وأثنى عليه، وذكر النبيَّ ﷺ[٨]]، وقال: [يا] أيها الناس، [رحمكم الله تعالى] اعلموا أنَّ الله فضّلكم بالإسلام، وجعلكم من أمةِ محمّدٍ عليه الصلاة والسلام، وزادكم إيماناً ويقيناً، ونصركم نصراً مبيناً، وقال فيكم: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

واعلموا أنّ رسول الله ﷺ [كان عَوَّلَ أن يصرفَ هِمّته إلى الشام[٩]]، فقبضه الله إليه، واختار له ما لديه ﷺ، ألا وإنِّي عازمٌ أن أوجِّه [أبطال] المسلمين إلى الشام بأهليهم ومالهم، فإنَّ رسول الله ﷺ أنبأني[١٠] بذلك

---

(١) في الأصل الفارسي: «قبض».
(٢) لا توجد هذه العبارة في «فتوح الشام»، للواقدي، مع أنها توجد في الأصل الفارسي.
(٣) في الأصل الفارسي: «فعوَّل عند ذلك». (٤) في الأصل الفارسي: «جيوشه».
(٥) في الأصل الفارسي: «إلى قتال الروم».
(٦) في الأصل الفارسي: «الصحابة رضي الله عنهم». (٧) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٨) زيادة على الأصل الفارسي.
(٩) في الأصل الفارسي مكان ذلك: «كان بوجهه وهمته إلى الشام».
(١٠) في الأصل الفارسي: «أمرني».

قبل موته، وقال: «**زويتْ ليَ الأرضُ [فرأيتُ] مشارِقَها ومغارِبَها، وسيبلغُ مُلْكُ أُمّتي ما زُوِيَ لي منها**»، فما قولكم في ذلك ـ رحمكم الله ـ.

فقالوا: يا خليفة رسول الله! مُرْنا بأمرك، ووجِّهنا حيث شئتَ، فإنّ الله تعالى فرضَ طاعتك علينا، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، ففرحِ أبو بكر ﷺ بقولهم، وسُرَّ سروراً عظيماً، ونزل عن المنبر، وكتب الكتبِ إلى ملوك اليمن، وأمراء العرب، وأهل مكة، وكانت الكتب [فيها[1]] نسخةً واحدةً، وهي: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عبد الله عتيق ابن أبي قحافة إلى سائر المسلمين: سلامٌ عليكم [أمّا بعدُ]: فإنّي أحمدُ اللهَ الذي لا إلـٰه إلا هو، وأصلّي[2] على نبيِّه محمّد ﷺ، وإنِّي قد عزمتُ أن أوجِّهكم إلى بلاد الشام لتأخذوها من أيدي الكفار والطغاة، فَمَنْ عوّلَ منكم على الجهاد والصدام، فليبادِرْ إلى طاعةِ الملكِ العلّام[3]».

ثم كتب: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [التوبة: ٤١].

ثم بعث الكتاب[4] إليهم، وأقام ينتظر جوابهم وقدومهم، وكان الذي بعثه بالكتب إلى اليمن[5] أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ[6]. انتهى كلامه.

والبرهانُ على كون أبي بكر الصدِّيق ﷺ كالجارحة في هذه

(١) وفي الأصل الفارسي مكان ذلك: «كلها يومئذ».
(٢) في الأصل الفارسي بصيغة الجمع «نصلي».
(٣) وفي الأصل الفارسي: «على طاعة الله وطاعة رسوله».
(٤) وفي الأصل الفارسي: «الكتاب».
(٥) وفي الأصل الفارسي: «فكان أول من بُعث إلى اليمن».
(٦) انظر: «فتوح الشام»، للواقدي (١/ ٥).

الدعوة، وظهور سرّ الحديث القدسي الذي خاطبَ الله تعالى فيه النبيَّ ﷺ بـ: «**ابعث جيشاً نبعثْ خمسةً مثله**»[1] في هذه الوقعة هو انكشافها انكشافاً عظيماً.

وأثَّرَ هذا الكتابُ في قلوب المسلمين تأثيراً بالغاً ما يُستغرب في ميزان العقل المعاش، حتَّى اجتمع في معركة اليرموك أربعون ألف نفسٍ، وظهرت منهم محاولات عجيبة، وظهر فتحٌ عظيمٌ لم يظهر من عهد آدم إلى عصرنا هذا قطّ في طول التاريخ، وأربت النتيجةُ على مجهوداتهم أضعافاً مضاعفةً.

وصار عمل أبي بكر الصدِّيق هذا دستوراً لعمر الفاروق رضي الله عنه، إذ إنّه وجّه الدعوةَ إلى الأعراب في معركة القادسية على منواله، وورد في كتاب «روضة الأحباب» عند ذكر غزوة القادسية: «لمّا بلغَ المسلمينَ أنَّ العجمَ قد ملَّكوا عليهم (يزدجرد) وأجمعوا عليه، وتجهَّزوا تحت رايته، كتب أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عمَّاله أن ينتخبوا كلَّ مَنْ هو أهلُ الخيلِ والسلاحِ من ذوي الرأي والنجدةِ والشجاعةِ والمقاتلةِ بكلِّ عددٍ وعتاد، وأن يبعثوه نحو المدينة بدون أيِّ تراخٍ.

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٦٦٥)، والحديث بكامله: عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمَكم ما جهلتُم ممّا علّمني يومي هذا: كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهُم أن يشركوا بي ما لم أنزِّلْ به سلطاناً، وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ، فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلَّا بقايا مِنْ أهل الكتابِ، وقال: إنّما بعثتُك لأبتليَك، وأبتليَ بك، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ، وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أحرقَ قُريشاً فقلتُ: ربِّ، إذاً يثلَغُوا رأسي، فيَدَعوه خبزةً، قال: استخرجْهُم كما استخرجوك، واغزُهم نُغْزِكَ، وأنفقْ فسنُنْفِق عليكَ، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله، وقاتلْ بمنْ أطاعكَ مَنْ عصاكَ...**».

وهكذا وجّه الدعوةَ أميرُ المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ إلى الأعرابِ عوناً ومدداً لعبد الله بن أبي سرح حين كان قد تصدّى لمقاتلة ملك في إفريقية، وذلك معروف.

فلمّا ثبت أنّ هؤلاء الخلفاء قاموا بالدعوةِ على نحو ما ورد في القرآن الكريم، تقرَّرَ أنَّهم كانوا خلفاء راشدين، وكانت دعوتُهم سببَ التكليف الشرعي، وتعلَّق الثوابُ بقبولها والعصيانُ برفضها.

۞ الآية السادسة وتفسيرها:

وقال الله تعالى في سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح].

سيق الكلامُ في هذه الآية لإظهار فضائل الذين كانوا في الحديبية مع النبي ﷺ، ولبيان بشارة غلبتهم على جميع الأمم.

قوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ لمَّا سيق الكلام لمدح هذه الجماعة لزم ذكر مدح إمامهم وقدوتهم أوّلاً، واختار الله في مدحه ﷺ على ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾؛ لأنّ في هذه الكلمة فضيلةٌ جامعةٌ تشمل جميع الفضائل والمناقب، كما قيل في المثل المشهور: «كل الصيد في جوف الفرأ»[1].

(١) **الفرأ**: الحمار الوحشي، وهو مهموز، وجمعه فِراء، ومعناه: أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش، انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ١٨٣)، يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه، وقد تمثل به رسول الله ﷺ، انظر: «نهاية الأرب في فنون الأدب»، للنويري (١/ ٢٦٣).

وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ المراد منه: جماعةُ الذين رافقوا النبيّ ﷺ في الحديبية؛ إذ إنّ الكلام سيق لأجل بيان فضائلهم، وحقيقة «المعيّة» إنَّما هي الصحبةُ في مقام أو في سفر، وإذا كان المراد بالمعية: الصحبة الدينية يراد به: المعنى المجازي، ولا يُلتفتُ إليه ما دام للحقيقة مساغٌ، وقد وردت في الأحاديث المستفيضة فضائلُ أهل الحديبية.

وقوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ قد بدأ ببيان فضائلهم، والفضيلة على نوعين:

أحدهما: حسنُ معاملة بعضهم بعضاً.

وثانيهما: حسن المعاملة الكائن في تهذيب النفس.

وقد جمع الله في الآية كلا النوعين من الفضائل في هؤلاء، ففي قوله: ﴿أَشِدَّآءُ﴾ و﴿رُحَمَآءُ﴾ إشارة إلى النوع الأول من الفضائل؛ يعني: أنَّهم جعلوا قوتهم الغضبية تابعة لغضب الله تعالى، وجعلوا رحمتهم ورأفتهم تابعةً لرحمة الله تبارك وتعالى، فمن كان مطروداً من الله كانوا يغضبون عليه، ومن كان مقبولاً عند الله يرحمونه، وهذه درجةٌ من كمالِ التخلُّق بأخلاق الله تعالى.

و﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ فيه إشارةٌ إلى النوع الثاني من الفضائل، وأنّهم يشتغلون بإكثار الصلوات، وتهذيب الصلة فيما بينهم وبين الله تعالى؛ فإنَّ الصلاة معراجُ المؤمنين.

وقوله: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ فيه بيانٌ لكمالِ إخلاصهم، وأنّ باطنهم وظاهرَهم سواءٌ.

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾؛ يعني: أنَّ خشوعَهم (أي: أصحاب الحديبية) وخضوعَهم ليس أمراً طارئاً يأتي من بابٍ ويخرج من بابٍ آخر، بل هو ملكةٌ راسخةٌ قضوا في تحصيلها أعمارهم، وخالط قلوبهم حظٌّ وافرٌ من أنوار صلواتهم، وسُبِغَتْ بواطنُهم بالمناجاة، بحيث

تحيط بها حتَّى ظهرت آثارُها على وجوههم، بعد ما امتلأت قلوبُهم بها، كتموّج البحر، وتنعكس أنوارُ بواطنهم على ظواهرهم، والظاهرُ مرآةُ المؤمنِ، و«كلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ».

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ [الفتح: ٢٩]، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة، و﴿كَزَرْعٍ﴾ مشار إليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر].

ذكر أربع مراحل للإسلام:

وقوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩] ذُكِرَتْ في هذه الآية أربعةُ أمورٍ، أوَّلها: يدلّ على بداية الأمر، والآخر: يدلُّ على كمال نموِّه، بحيث لا يُتصور نموٌّ فوقه، ولا شكّ أنَّ انتقال حاله ﷺ من حالٍ إلى حالٍ تحقَّق تدريجياً، بحيث لا يمكن حصر نموّه الهائل في أربع مراحل.

فالمرادُ هنا ـ لا محالة ـ الانتقالاتُ الكلية التي تنحصِرُ في أربعة مراحل، وهذه دلالة لفظية، وإذا تأمّلنا مصداقَ هذا الكلام نجد أنَّ الانتقالات الكلية تنحصر **في أربعة مراحل**:

الأولى: أنّ النبيَّ ﷺ بُعِثَ في مكة، وأهلُ مكة مشركون، متَّبعون لتحريفات آبائهم، وهم تصدُّوا للنبي ﷺ لمخالفته وإيذائه، وكان الإسلامُ جديداً (أي: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾)، ولم يكن النبيُّ ﷺ قادراً على إظهاره.

الثانية: أنه ﷺ خرج من أيدي المشركين، وهاجر إلى المدينة المنورة، وقام بجهادِ أعداءِ الله، فقاتل قريشاً أصالةً وقصداً، وغيرهم تبعاً، حتَّى فتحَ مكة، ووقعت أرضُ الحجازِ تحت طاعته ﷺ وحكمه، حتَّى صارت له ﷺ صورةُ رئاسةٍ في ناحيةٍ من نواحي الأرض، [وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾.

وبعد ذلك انتقل النبي ﷺ من الدنيا إلى الرفيق الأعلى.

الثالثة: أنّ الشيخين رضي الله عنهما قاتلا كسرى وقيصر اللذَين لهما قوة وشوكة على العالم، حتَّى قوِّضت هاتان الإمبراطوريتان بقوّة الإسلام، ولم يبقَ لهما عينٌ ولا أثرٌ (فاستغلظَ الإسلامُ).

الرابعة: أن ملوك النواحي والأطراف ممّن كانوا تحت سيطرة «كسرى» و«قيصر» وكانوا قد حصّلوا القوة في حدّ ذاتهم، فكُسِّرت شوكتهم، ومُزِّقت دولتهم وطاقتهم، وانتشرت شرائعُ الإسلام في البلاد المفتوحة، وبنيت المساجدُ في كل مدينة، ونُصِبَ فيها القضاةُ، وسكن فيها رواةُ الحديث وأهل الفتيا، واستقرّوا ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾، فلمّا وجدنا الخبرَ موافقاً للمخبَرِ عنه في الانتقالات الكلية، علمنا أنّ المراد بالإشاراتِ في القرآن إلى هذه الانتقالات نفسها.

فليُعلم بعدَ وضوحِ هذه المقدمة أنّ الخلفاء الراشدين كانوا من جملة ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ بالقطع (أي: من أهل الحديبية)، وهذا يدل قطعاً على أنّهم متصفون بصفة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾، وهذا الوصفُ من لوازم الخلافة الخاصة.

والمراد بالإشارة في قوله: ﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾: خلافة الشيخين رضي الله عنهما.

والمراد بقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ الحروبُ الصغيرةُ التي وقعت في زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه، والفتوحاتُ التي حصلت بذهاب المسلمين إلى كلّ مكان، أو وقعت بسبب الصلح، إما بقصد الخليفة، أو بغير قصده، أو من تدبير إلٰهي.

وعُلم من هذه الآية عظمةُ شأنِ الخلفاء الراشدين، ورسوخ أقدامهم في تأييد الإسلام، بحيث وقع بأيديهم الجهادُ ضد أعداء الله، وكذلك إعلاء كلمة الله فتقبّلَ الله سعيهم، واستحقوا رضاه، وثناءه الجميل.

وفي قوله تعالى: ﴿يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ إشارة إلى كمال رضاه ﷻ؛ إذ إنَّ «الزارع» لزرع الإسلام إنَّما هو الله تبارك وتعالى.

وضمير ﴿مِنۡهُم﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم﴾ راجع إلى ما يفهم من ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ و﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾ و﴿فَٱسۡتَوَىٰ﴾؛ يعني: إذا غلبَ الإسلامُ، ودخل الناسُ فيه أفواجاً، فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم أجراً عظيماً ونعمةً دائمةً.

❁ الآية السابعة:

قال الله تعالى في سورة التوبة بعد أن أمر بمقاتلة أهل الكتاب حتَّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وبعد أن ذكر من كفرهم واتخاذهم أرباباً من دون الله ما يقتضي غضبَ اللهِ عليهم، والأمر بقتلهم، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

ثم قال في سورة «الصف» بعد أن ذكر المفترين على الله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

سيق الكلامُ لأجل بيان أنَّ النصارى خصوصاً، وجميعَ أهل الأديان المنسوخة عموماً اعتقدوا أسوأ اعتقاد في الله ﷻ، وهم الذين تصدّوا لمعاداة دين الحق، الذي هو الملَّة الإبراهيمية الحنيفية، وبذلك استحقوا غضب الله عليهم، وتعلَّقت إرادة الله باستئصالهم، وكسر شوكتهم، وتقرّرت صورة كبتهم، وتشتيت شملهم في عالم الغيب من حيث إرسال الرسول بالهدى ودين الحق ليظهرَه على الدين كله.

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ يُفسّر على وجهين:

الأول: أنهم ظنُّوا أنَّ نورَ اللهِ مثل سراج ضئيلٍ أو نارٍ خفيفةٍ يطفئونها بالنفخ من أفواههم، حاشا لله! هذا نورُ الله ليس لنفخ أفواههم مجال فيه.

الثاني: أنّهم يوردون شبهات باطلة، ويلبِّسون الأمر على مَنْ هو ضعيفُ العقل والفكر، ويظنون أنّ فعلهم هذا يضرُّ بدين الحق، حاشا أن يكون ذلك؛ لأنّ هذا الدينَ هو المقبولُ عند الله، لا يستطيعُ أحدٌ إلحاق الضرر به.

اختلاف المفسِّرين في تفسير قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾:

قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصف: ٩]، لم يظهر الدين الحق على سائر الأديان في عهد النبي ﷺ؛ إذ إنَّ النصارى والمجوس كانوا حينئذٍ على شوكتهم وسطوتهم، فلذا عجز أكثرُ المفسِّرين في تفسير هذه الآية.

قال الضحاك: «ذلك عند نزول عيسى عليه السلام»(١)، وقال الحسين(٢) بن الفضل: معنى الآية «ليظهره على الدين كله بالحُجَجِ الواضحة»(٣)، وللإمام الشافعي فيها قول أعدل من جميع هذه الأقوال، قال: فَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دِينَهُ الَّذِي بَعَثَ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى الأَدْيَانِ بِأَنْ أَبَانَ لِكُلِّ مَنْ سَمِعَهُ أَنَّهُ الْحَقُّ، وَمَا خَالَفَهُ مِنَ الأَدْيَانِ بَاطِلٌ، وَأَظْهَرَهُ بِأَنَّ جِمَاعَ الشِّرْكِ دِينَانِ: دِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ وَدِينُ الأُمِّيِّينَ، فَقَهَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

---

(١) «تفسير الخازن» (٣/ ٢٥٧).

(٢) في الأصل الفارسي: «الحسن بن الفضل» ولعلَّ هذا تصحيف، والصحيح ما أثبتناه في صلب الكتاب.

(٣) «تفسير البغوي» (٤/ ٤٠).

الأُمِّيِّينَ حَتَّى دَانُوا بِالإِسْلَامِ طَوْعاً وَكَرْهاً، وَقَتَلَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَسَبَى، حَتَّى دَانَ بَعْضُهُمْ بِالإِسْلَامِ، وَأَعْطَى بَعْضٌ الْجِزْيَةَ صَاغِرِينَ، وَجَرَى عَلَيْهِمْ حُكْمُهُ ﷺ وَهَذَا ظُهُورُ الدِّينِ كُلِّهِ[١].

• **يقول الفقير ـ عفا الله عنه ـ:** حينما يقع إشكال في تفسير آية من الآيات، فلا بدّ من أمرين:

أحدهما: أن نضعَ كتابَ الله بالمعنى الذي يفسِّرون به في ميزان العقل المجرّد من الأوهام، فإذا توافقا فبها، وإلا نترك ذلك المعنى.

والآخر: أن نجعلَ حديثَ النبيِّ ﷺ إماماً، إذ إنَّه ﷺ هو المبيِّنُ للقرآن الكريم والمفسّر له.

فعلى هذه القاعدة التي ذكرتها نرجع إلى تفسير هذه الآية:

إذا وضعنا غلبةَ رسول الله ﷺ على نصارى «نجران» ومجوسَ «هجر» ويهود «خيبر» وأَخْذَ الجزية والخراج منهم في كفة، ووضعنا قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ في كفةٍ أخرى، فلا يوجد هنا توافق بينهما البتةَ؛ لأنَّ الغلبة على طائفة قليلة من أهل دين لا يرادِفُ الغلبةَ على سائر الأديان، بل الغلبة على سائرها؛ يعني: استئصال أصولهم، وتشتيت شمل أعوانها وأنصارها حتَّى لا يبقى داعٍ لها، ويزول عزّها وشرفها تماماً، (لهذا نحن تركنا هذه المعاني كلها).

تفسير هذه الآية في ضوء الأحاديث النبوية الشريفة

إخبار النبي ﷺ بغلبة الإسلام:

• أمّا حديثُ النبيِّ ﷺ فقد أخرج **مسلم** عن **عياض بن حمارٍ المجاشعي**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذاتَ يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي**

---

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٩/ ١٧٧) رقم: (١٨٣٨٨).

أمرني أنْ أعلِّمَكم ما جهلتُم، ممّا علّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإني خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتْهم الشياطينُ فاجتالتْهُم عن دينِهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أُنَزِّلْ به سلطاناً.

وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ، وقال: إنَّما بعثتُكَ لأبتليَكَ وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يغسِلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظان، وإنَّ اللهَ أمرني أنْ أحرقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما استخرجوك، واغزُهم نغزِك، وأنفقْ فسننفقْ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله...»[١].

• وأخرج **مسلم** عن **ثوبان** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ اللهَ زَوَىٰ ليَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ أُمتي سيبلغُ ملكُها ما زُوِيَ لي منها، وأعطيتُ الكنزينِ الأحمرَ والأبيضَ»**[٢].

• وأخرج **مسلمٌ** عن **أبي هريرة**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«هَلَكَ كسرى ثم لا يكونُ كِسْرَى بعدَه، وقيصرُ لَيُهْلَكَنَّ، ثم لا يكونُ قَيْصَرَ بعدَه، ولَتُقْسَمَنَّ كنوزُهما في سبيلِ اللهِ»**[٣].

• وأخرج **مسلم** عن **جابر بن سَمُرة** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«لَتَفْتَحَنَّ عصابةٌ من المسلمين ـ أو من المؤمنين ـ كنزَ آلِ كسرى الذي في الأبيضِ»**[٤].

• وأخرج **الترمذي** في حديث طويل عن **عدي بن حاتم** قال: قال رسول الله ﷺ: **«فإنِّي لا أخافُ عليكم الفاقةَ، فإنَّ الله ناصرُكم ومعطيكم**

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٦٥).
(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٨٩).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٨).
(٤) «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٩).

حتَّى تسيرَ الظعينةُ فيما بين «يثربَ» و«الحيرةَ» [أو[١]] أكثر، ما تخافُ على مطيتِها السرق»، قال: فجعلتُ أقول في نفسي: فأينَ لصوص طيء[٢].

وأخرج **أحمد** عن **المقداد** أنّه سمع رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهرِ الأرضِ بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلّا أدخله اللهُ كلمةَ الإسلامِ بعزِّ عزيزٍ، أو ذلِّ ذليلٍ، إمَّا يعزّهم الله ﷻ فيجعلَهم من أهلِها، أو يذلّهم فيدينون لها**»[٣]، قلت: فيكون الدين كله لله.

إن مقتضى هذه الأحاديث الصحيحة أن يظهر هذا الدينُ بتمامه وكماله بعد النبيِّ ﷺ، فإذا أرجعت ضمير آية ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ المنصوب المتصل إلى ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾ و﴿دِينِ ٱلْحَقِّ﴾ يكون معناه: إنَّ إرسال الله رسوله بالهدى ودين الحق سببٌ لظهوره وغلبته على سائر الأديان، ولا يلزمُ أن يكونَ ظهورُه في حياة النبي ﷺ، بل مجرد بعثته أفضت إلى الظهور والغلبة، وإن كان تكميله قد حصل على أيدي خلفائه ﷺ.

وإذا أرجعت الضمير إلى «الرسول» فليس بعيداً أيضاً؛ لأنّ ظهورَ الدين على أيدي الخلفاء الراشدين إنَّما هو ظهور على يديه ﷺ في الحقيقة.

نكتة دقيقة:

وإذا استطعت فاستمع إلى نكتة دقيقة هاهنا، وهي أنَّ الله تبارك وتعالى، حين يبعثُ رسولاً لإصلاح العالم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويريد صورة مخصوصة في عالم الغيب للإصلاح حتَّى تظهرَ

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٢٩٥٣).
(٣) «مسند أحمد» (٦/ ٤) رقم: (٢٣٨٦٥).

هذه الصورةُ، وأنّ هذه الصورة تكونُ مضمرةً في بعثة الرسول، ثم إذا اقتضت حكمةُ الله انتقال الرسول من العالم الأدنى إلى الرفيق الأعلى قبل إتمام هذه الصورة، فيختارُ النبيُّ لتكميل مقاصد بعثته رجلاً من أمته جارحةً له، ويقوم بتربيته، ليصلحَ قلبه، تأهيلاً لنزول الإلهام الربّاني إليه، ثم يوصيه بتكميل تلك المقاصد، ويحثّه عليها، ويدعو الله له لإتمامها، كما ينيب رجلٌ عاجزٌ عن الحج ـ لعدم قوته البدنية مع أنه غنيٌّ ـ رجلاً آخر لأداء تلك الفريضة، فيكتب ذلك في الأعمال، ويثابُ عليه ثوابَ الحجِّ الكامل.

طريقة استخلاف عيسى عليه السلام:

وهذا القسم من الاستخلاف وقع في كل ملّة، كما استخلف موسى عليه السلام يوشع بن نون، وعيسى عليه السلام استخلف الحواريين، قد جاء في «الإنجيل» أنّ عيسى عليه السلام أخذ رغيفاً بيده، وقال: هذا لحمه وجلده، ثم قسمه بين الحواريين، فلمَّا أكلوا هذا الرغيف ناجى عيسى ربه وقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسألك أن يحلَّ عيسى في أبدانهم، كما حلّ الخبزَ في أبدانهم، ربِّ انظرْ إليهم بنظرِ الرحمةِ، كما تنظر بها إليَّ حتَّى يدعوا عبادك إليك».

سُنَّة الله في إعلاء كلمة الله:

وفقاً لهذه القاعدة، لمّا امتلأَ العالمُ بسوء الاعتقاد في ذات الله تبارك وتعالى، وبعقيدة الإرجاء؛ أي: إسقاط الأعمال عن مرتبة الاعتبار، وعدم خوفهم من عواقب هذه الأمور، ممّا يخالِفُ دين الأنبياء جميعاً عليهم السلام، حقَّ غضب الله تعالى ونشأتْ إرادةُ الانتقام في عالم الملكوت، ثم قُضي أجلٌ معيّنُ المدةِ لإهلاكهم وإتلافهم كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف]، فلمّا جاء هذا الوقتُ بعث الله أفضل أفراد البشر محمداً صلى الله عليه وسلم،

وأنزل عليه وحيه، فدعا الناسَ بأقصى الهمَّة إلى سبيل الهدى ودين الحق، فمَنْ كان فيه استعدادٌ للصلاح سعد، وأما الأشقياء فلعنوا.

وقد تضمَّنت هذه البعثة معنى إرادة الانتقام ممن اعتقدوا في ذات الله سوء الاعتقاد، فصار النبيُّ ﷺ وأصحابه في هذا الانتقام بمنزلة الجارحة مثل جبريل عليه السلام في إرسال الصيحة على ثمود، لذلك فإن الحروب التي وقعت بأمر النبي ﷺ إنَّما صارت مظنّةً لنزول البركات العظيمة على الشاهدين في هذه المشاهد، والحضورُ في هذه المشاهد ساعةً خيرٌ من عبادة مئة سنةٍ في تهذيب الباطن؛ لذلك فإنَّ ثواب الجهاد في شريعتنا أفضلُ من ثوابِ سائر القربات، وفضل أهل بدر وأُحد والحديبية على غيرهم محقَّقٌ كما لا يخفى.

خلاصة الكلام: إنَّ إصلاح العالم، والانتقام من أعداء الله، قد تقررت صورته الخاصة عند الله تعالى، ولم تكن هذه الصورة خسفهم في الأرض (مثل قوم قارون)، ولا إنزال حجارةٍ من السَّماء (كما وقع على قوم هود وغيره)، أو إرسال صيحةٍ (كما وقع على قوم ثمود)، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه.

وهذه الصورة الخاصة إنَّما هي ظهور دينه على سائر الأديان، وذلك عن طريق كبت حماة هذه الأديان والدعاة إليها بالدعوة والجهاد، وأخذ الخراج والجزية، وإزالة هيمنتهم، وإذلال شأنهم، وبعثةُ النبيِّ ﷺ كانت مقرونةً بهذه الصورة الخاصة ومتضمنة لها، فذلك لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة]، وقوله ﷺ: «**إنَّما بعثتُكَ لأبتليَك وأبتليَ بك**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم رقم: (٢٨٦٥).

العالم عند بعثة النبي ﷺ:

ويعلم من تاريخ العجم والروم بداهةً أن هؤلاء كانوا على يقين على أنَّ دولتهم ستنقرِضُ قريباً، وتقوم دولةُ العرب في العالم، وقد عرف المنجِّمون هذا الأمرَ من الأوضاع الفلكية في شؤم سلطنتهم، ونشوء العداوة والبغضاء بين كواكبها، وقوة كوكب العرب وما إلى ذلك، وعرف الكهنة هذا بكهانتهم، وعامّة الناس عرفوا ذلك بالرؤيا والهواتف ـ بأصوات الغيب ـ وما أشبه ذلك، ولكنَّهم لم يدركوا أنّ إرادة الانتقام قد نزلت من فوق السماوات السبع، وقد انصبغ الملأ الأعلى والملأ الأسفل بهذه الصبغة، وهذه الأوضاع الفلكية علامة ورمز لدنوّ وقت الانتقام من هذه الجماعات، وليست مؤثِّرةً حقيقيةً بأي معنى، ولو أنهم عرفوا الداعية النازلة من عالم الغيب لتبيّن لهم الحق من الباطل.

بالجملة: فإنّ جميع أقطار الأرض كانت تحت حكم إمبراطورين عظيمين «قيصر» و«كسرى»، وكانا هما الغالبين على سائر الأديان الأخرى، ومائلين إلى الإباحية[١]، وغلبت عليهما عقيدةُ الإرجاء، وهما من حماة هذين الدينين والدعاة إليهما، قولاً وفعلاً وتسبّباً، فإنّ الناس على دين ملوكهم، فكانت بلاد «الروم» و«روسية»[٢] و«الإفرنج» و«ألمانية» و«إفريقية» و«الشام» و«مصر» وبعض «بلاد المغرب» و«الحبشة» على دين النصرانية موافقةً لقيصر، وكانت بلاد «خراسان» و«توران» و«تركستان» و«زاوستان» و«باختر» وغيرها على دين المجوسية متابعةً لكسرى، وسائر الأديان من مثل دين اليهودية، ودين المشركين، ودين الهنود، ودين

(١) هم كمذهب مزدك عند الفرس، ومذهب أبيقور عند الروم، وكلاهما يدعوان إلى اتباع الشهوات والانغماس في الملذات.

(٢) دخل الروس في النصرانية بعد بعثة النبي ﷺ.

الصابئين، رزحت تحت سطوة هذين الملكين، وتشتّت شملُ أتباعها، وتمزّق جمعُهم.

اقتضت حكمةُ الله تعالى تدميرَ دولة «كسرى» و«قيصر»، وإظهار دين الحق، والانتقام من الكفرة الفجرة، ذلك لأنّ اختلال نظام هاتين الإمبراطوريتين وتزعزع بنيانهما عبارةٌ عن انهيار وتدمير لسائر الأديان الموجودة، وأشهرها في العالم، وإذا حلّت سلطة الإسلام محل سلطتهما ذلّت سائر الأديان بسلطة الإسلام مثلما ذلّت تحت سلطة هاتين الإمبراطوريتين من قبل.

وبعد استقرارِ دينِ الحقِّ في أرض الحجاز، التي لم تكن تحت حكم «قيصر» ولا «كسرى» لغفلتهما عنها، والغلبة مثل غلبة الملوك لم تكن متصوَّرة في غيرها من الأقطار.

استخلاف النبي ﷺ أحداً من أصحابه من مقتضيات نبوته:

ولما أراد الله أن يختار لنبيِّه ﷺ نعماً روحانية، وهذا لا يمكن إلا بلحوق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى، لهذا كان من الضروري أن يستخلف النبيُّ ﷺ خليفة لإكمال غلبة دينه، وإتمام كبتِ أعداء الله، كي تُكتبَ هذه الأعمالُ كلَّها في صحيفته ﷺ، وتُعْمِلَ إرادةُ الله الانتقامَ من الكفار التي كانت مضمرةً ببعثة النبي ﷺ.

ومَثَلُ ذلك أنَّ أحد المقربين من الملك يصيرُ في مجالس الأنس والمجالس القدسية رفيقاً للملك، ويوكِلُ إليه فتحَ بعض الحصون الذي أكّد عليه الملك فتحها فيكون من أحسن أعماله، ويزداد إكرام هذا المقرّب بعد فتح الحصن عزاً وكرامة، ويُكرمه الملك بالعطايا والجوائز.

وليُعلم بعد ذكر هذه الأمور كلِّها أنّ التوجيه الصحيح لهذه الآية الكريمة أنّ كلَّ نوع من الظهور والغلبة يتحقّق للدين إنّما يدخل ضمن

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، وأعظم أنواع هذه الغلبة إنَّما هو تمزيقُ دولتي «قيصر» و«كسرى» فيدخلُ ذلك ضمن هذه الآية بالأَوْلَىٰ، وحملة لواء هذه المرتبة العليا إنَّما هم الخلفاء الراشدون ﷺ، ومساعي هؤلاء السعداء إنَّما هي من مقتضيات بعثة النبي ﷺ، ومندرجة فيها، وهم بمنزلة الأعضاء والجوارح لتدبير الله في ظهورها، وهذا هو معنى **الخلافة الخاصة**.

الفارق بين أهل السُّنَّة والبدعة:

المراد من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣] إنَّما هو أنَّ الهُدى ودين الحق الذي أُرْسِلَ به النبيُّ ﷺ يكونُ ظاهراً وغالباً، وجلياً ومشهوراً، لا مخفياً ومستوراً، وهذه الآيةُ حَكَمٌ بين أهل السُّنَّة والبدعة، ذاك أنَّ الله تبارك وتعالى أنزل الهدى ودين الحق إلى النبيِّ ﷺ وبلَّغه النبيُّ ﷺ إلى الصحابة، وفهمَ الصحابةُ مرادَ رسول الله ﷺ وبلَّغوه إلى التابعين، وهلمّ جراً. . . ولم تكن إرادةُ اللهِ مجرَّدَ تعليمِ النبيِّ ﷺ ولا خروجه ﷺ عن فرض التبليغ فحسب، لو لم يفهم السامعون مراده ﷺ، بل المقصود ظهور دين الله وغلبته على سائر الأديان قرناً بعد قرن، فأما من قال: إنَّ النبيَّ ﷺ بلَّغَ هذا الدين إلى الصحابة، لكنَّهم لم يفهموا مراد كلامه، أو فهموه، لكن حثَّتهم الأغراض النفسانية على كتمان الدين فهو مبتدع.

وأما المعتزلة والشيعة الذين يقولون في حديث: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**....» الحديث[١]: معنى ذلك أنكم ستعلمون علم اليقين بوجود الله، ولكنَّ الصحابة لم يفهموا معناه لغموضه.

والشيعة الذين يقولون: إنَّ النبيَّ ﷺ نصّ على خلافة سيدنا عليّ

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٤٨٥١).

المرتضى، ولكنَّ الصحابة كتموه للأغراض النفسانية، وعصوا أمرَ النبيِّ ﷺ، فهم مبتدعون، ولما كان مراد الله إنَّما هو ظهور الدين وغلبته فلا رادَّ له ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

۞ الآية الثامنة:

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران].

شرح ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾:

قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يُفسَّر بوجهين:

أحدهما: أنكم متَّصفون بهذه الصفة في هذا الوقت.

والثاني: أنَّكم كنتم متصفين بهذه الصفة في علم الله تعالى.

وقوله: ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ليس هذا عبارةً عن الإخراجِ من العدم إلى الوجود، أو من مكان ضيّق إلى مكان واسع، بل المراد بذلك أنَّ قلبَ النبيِّ ﷺ قد امتلأ بداعية إصلاح الناس وتهذيب نفوسهم، وانبثق من قلبه الشريف ﷺ شعاعٌ من نور ذلك الحرص، فتنوّر به مَنْ كان أهلاً لقبوله، ونفسُ هذه الداعية قد جاشت في قلوبهم، واختصّوا بهذه النعمة حتَّى صاروا قوماً أخرجهم الله للناس.

وقوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ يدل على أنَّ من التدبير الإلـٰهي لإصلاح العباد تنوّرُ جماعةٍ كبيرة بواسطتهم وتتأدب بهم.

• وأخرج **البغوي**[1] وغيره[2] عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه عن

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٩٠).

(٢) «تفسير الخازن» (١/ ١٠٨).

النبيّ ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُوفِي سَبْعِينَ أُمَّةً هِيَ أخيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ ﷻ**».

• وأخرج **البغوي** عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول في قوله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**إِنَّكُمْ تُتِمُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خيرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**»[١].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود** قال: إنَّ الله نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه، وبعثه برسالته، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعد قلبِ محمّدٍ ﷺ فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتلون عن دينه[٢].

• وأخرج **أبو عمر** عن **أبي هريرة** في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [بمعنى: أنتم خير أمة أخرجت للناس[٣]]، قال: خيرُ الناسِ للناسِ، يجيئون بهم في السلاسل، يدخلونهم في الإسلام[٤].

قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ استئنافٌ لبيان وجه الخيريّة، قال مجاهد: كانوا خيرَ الناسِ على الشرط الذي ذكره الله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ الآية.

وقد ذُكر هنا وصفان:

أحدهما: فيما بينهم وبين الناس، وهو الأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر.

والثاني: فيما بينهم وبين الله، وهو الإيمان الذي يتضمّنُ بضعةً وسبعين شعبةً.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٩٠).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٥).
(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٤).

وقوله: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، يبيِّن سببَ بعثة هذه الأمة، وأنَّ أهلَ الكتاب كانوا في وقتٍ ما مصداقاً لقوله تعالى: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ولمّا تغيّرت أحوالُهم، اقتضت حكمةُ الله إخراجَ أمةٍ من دونهم في أرض العرب.

قال البغوي: روي عن عمر رضي الله عنه، قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، تكون لأوَّلنا، ولا تكون لآخرنا[١].

وقال أبو عمر: جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّه قال: مَنْ سرّه أن يكونَ من تلك الأمةِ فليؤدِّ شرطَ الله فيها[٢].

ولا تعارض بين هذين القولين، إذ إنَّ مفهوم الآية عامٌّ شامل لكلِّ من نُفخت في قلبه روحٌ داعيةٌ إصلاح العالم، سواء كان من أول هذه الأمة أو آخرها، لكنَّ مصداقَ هذه الصفات في الواقع هو أوائل هذه الأمة فقط، ذلك لأنَّ سُنَّة الجهاد والأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر قد اندرست فيما بعد ـ أي: بعد القرن الأول ـ.

دخول الخلفاء الراشدين في مصداق هذه الآية:

وليُعلم بعد بيان هذه الأمور كلّها أنَّ الخلفاء الراشدين كانوا داخلين في تلك الأمة التي وصفها الله تعالى في شأنها ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...﴾، وذلك من جهة ما ثبتَ من أحوالهم بالتواتر أنَّهم متَّصفين بهذه الأوصاف المذكورة في الآية، وأيُّ فضلٍ أعلى من هذا أنَّ جماعاتٍ عظيمةً من المسلمين قد اتَّحدت بقوة همتهم، وفتحوا الأقاليم الواسعة، ودخل الناسُ في دين الله أفواجاً بسعيهم، فثبت أنَّهم خيرَ أمة أخرجت للناس، وهو المرادُ من الآية هنا.

---

(١) «تفسير البغوي» (٢/ ٨٩).

(٢) «الاستيعاب» (١/ ٤).

۞ الآية التاسعة:

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

التفاوت بين مراتب الصحابة:

تدل هذه الآية على أنَّ جميع الصحابة ليسوا في مرتبةٍ واحدةٍ، فبعضهم أفضل من بعض من جهة التقدّم والتأخّر في الإنفاق والقتال.

أخرج الحفّاظ من حديث **أبي سعيد الخدري** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيدِهِ لو أنَّ أحدَكُم أنفقَ مثل أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**»[١].

ما المراد بالفتح؟

﴿مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ يُفَسَّر بمعنيين:

المعنى الأول: فتح مكة، وهو قول أكثر المفسِّرين.

والمعنى الثاني: صلح الحديبية وهذا المعنى هو الموافق لفضائل الحديبية، وهذا الخلافُ مبنيٌّ على تفسير ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ [الفتح]، وتفسير هذه الآية على وجهين أيضاً، وهذه الآيةُ تدلُّ بمنطوقها على تفضيل الجماعة الذين آمنوا وأنفقوا وقاتلوا قبل الفتح على الذين أنفقوا وجاهدوا بعد الفتح، يفهم بطريق المفهوم الموافق أن الذين أنفقوا وقاتلوا كثيراً هم أفضل وأقدم.

والقتال الذي وقع بمكة كان باليد والعصا، والقتال الذي حدث من بعد الهجرة كان بالسيف والرمح، وكلاهما يعبَّر عنهما بالقتال لغة.

---

(١) أخرجه الترمذي رقم: (٣٨٦١).

نزول هذه الآية في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• قال العلماء: إنَّ هذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

• قال البغوي: وروى محمد بن فضيل، عن **الكلبي** أنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فإنَّه أوّلُ من أسلمَ، وأوّلُ مَنْ أنفقَ في سبيل الله عز وجل[١].

• قال **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه: أوّلُ من أظهرَ إسلامَه بسيفِه النبيُّ ﷺ وأبو بكر[٢].

• وروي عن **ابن عمر** رضي الله عنه، قال: كنتُ عند رسول الله ﷺ، وعنده أبو بكر الصدِّيق، وعليه عباءةٌ، قد خلَّها في صدره بخلالٍ، فنزل عليه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمّدُ! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها في صدره بخلال؟ فقال: «**يا جبريل! أنفقَ مالَه عليَّ قبل الفتح**»، قال: فإنَّ الله يقرأ عليكَ السلام، ويقول لك: قل له: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! إنَّ اللهَ يَقْرَأُ عليكَ السلامَ، ويقولُ لكَ: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟**» فقال أبو بكر: أسخطُ على ربي؟! أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ، أنا عن ربِّي راضٍ، ثلاثاً[٣].

• أخرج **الحاكم** وأبو عمر عن هشام بن عروة عن **أبيه** قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً أنفقها كلَّها على رسول الله ﷺ في سبيل الله[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣). (٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٦).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٦٠)، و«شرح مذاهب أهل السُّنَّة»، لابن شاهين (١/ ١٧٩).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥)، رقم الترجمة: (١٦٣٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٢).

۞ جهاد أبي بكر رضي الله عنه في أوائل الإسلام:

• وفي «الرياض النضرة» عن **عائشة** قالت: لمّا اجتمعَ أصحابُ رسول الله ﷺ وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً أَلَحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ في الظهور، فقال: «**يا أبا بكر! إنّا قليلٌ**»، فلم يزل يلحُّ على رسول الله ﷺ حتَّى ظهرَ رسولُ اللهِ ﷺ، وتفرّق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكرٍ في الناس خطيباً، ورسولُ اللهِ ﷺ جالسٌ، وكان أوَّلَ خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ.

وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ووُطِئ أبو بكر، وضُرِبَ ضرباً شديداً، ودنا منه الفاسِقُ عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بنعلين مخصوفين، ويحرفهما لوجهه، وأثّرَ ذلك حتَّى ما يُعْرَفُ أنفُه من وجهه.

وجاءت بنو تيم تتعادى، فأجلوا المشركينَ عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثوبٍ حتَّى أدخلوه بيته ولا يشكّون في موته، ورجع بنو تيم، فدخلوا المسجد وقالوا: واللهِ لئنْ ماتَ أبو بكر لنقتلنَّ عتبةَ، ورجعوا إلى أبي بكر، فجعل أبو قحافة وبنو تيم يكلِّمون أبا بكر حتَّى أجابهم، فتكلّم آخر النهار: «ما فعل رسولُ اللهِ ﷺ؟» فنالوه بألسنتهم، وعذلوه، ثم قاموا، وقالوا لأم الخير بنت صخر: انظري أن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه، فلمَّا خلَتْ به، وألَحَّت، جعل يقول: «ما فَعَلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟» قالت: واللهِ ما أعلمُ بصاحبك، قال: فاذهبي إلى أُمِّ جميلٍ بنت الخطاب، فاسأليها عنه.

فخرجت حتَّى جاءت إلى أمِّ جميل فقالت: إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله، قالت: ما أعرفُ أبا بكرٍ ولا محمّدَ بنَ عبد الله، وإن تحبِّي أَنْ أمضيَ معك إلى ابنكِ فعلتُ، قالت: نعم.

فمضت معها حتَّى وجدت أبا بكر صريعاً دنفاً، فدنت منه أُمُّ جميلٍ، وأعلنت بالصياح، وقالت: إنَّ قوماً نالوا منك هذا لأهلُ فسقٍ، وإنِّي لأرجو أن ينتقمَ الله لك، قال: «ما فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟» قالت: هذه أمَّكَ تسمعُ، قال: فلا عينَ عليك منها، قالت: سالمٌ صالح، قال: فأينَ هُوَ؟ قالت: في دار الأرقم، قال: فإن للهِ عليّ أليةً أنْ لا أذوقَ طعاماً ولا شراباً أو آتي رسول الله ﷺ.

فأمهلتا حتَّى إذا هدأت الرجلُ، وسكن الناسُ، خرجتا به يتكئُ عليهما، حتَّى دخلتا على النبي ﷺ، قال: فانكبَّ عليه، فقبّله، وانكبّ عليه المسلمون، ورقّ له رسول الله ﷺ رقةً شديدةً، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسِقُ من وجهي، هذه أُمِّي برةٌ بوالديها وأنتَ مباركٌ، فادعها إلى الله، وادع الله ﷻ لها، عسى أن يستنقذها بك من النار، فدعاها رسول الله ﷺ، فأسلمت، فأقاموا مع رسول الله ﷺ شهراً وهم تسعة وثلاثون رجلاً، وكان إسلام حمزةَ يوم ضُرِبَ أبو بكر[1].

• وأخرج **البخاري** عن عروة بن الزبير قال: سألت **عبد الله بن عمرو** عن أشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيتُ عقبةَ بن أبي معيط جاء إلى النبيِّ ﷺ وهو يصلّي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتَّى دفعه عنه، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][2].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس** رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسولَ اللهِ ﷺ حتَّى غُشِيَ عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل ينادي ويقول: ويلكم!

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٣٠)، و«البداية والنهاية» (٣/ ٣٦).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٨ و٤٨١٥)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٩).

أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربِّيَ الله؟ قالوا: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا ابن أبي قحافة المجنون[١].

• وقال ابن إسحاق: حدَّثني نافع عن **عبد الله بن عمر** قال: لمّا أسلم عمرُ بن الخطاب قال: أيُّ قريشٍ أنقل للحديث؟ قيل له: جميل بن معمر الجُمَحِي، قال: فغدا عليه، قال عبد الله: وغدوتُ أتبع أثره، أنظر ما يفعل، وأنا غلامٌ، ـ وجميل بن معمر هو جدّ نافع بن عمر بن جميل بن معمر الجمحي ـ أعقلُ كلَّ ما رأيتُ، حتَّى جاءه فقال: أما علمتَ يا جميلُ! أنِّي قد أسلمتُ ودخلتُ في دين محمد ﷺ؟ قال: فوالله، ما راجعه حتَّى قامَ يجرُّ رجليه، واتبعه عمر، واتبعت أبي، حتَّى إذا قام على باب المسجد صرخَ بأعلى صوته: يا معشرَ قريش! وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا إنَّ عمرَ قد صبأ.

قال: يقول عمر من خلفه: كذبَ، ولكن قد أسلمتُ وشهدتُ أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه.

قال: وثاروا إليه، قال: فما برحَ يقاتلهم ويقاتلونه حتَّى قامت الشمسُ على رؤوسهم، قال: وطلع[٢] فقعد، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلفُ باللهِ لو كنّا ثلاثمئة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا.

قال: فبينا هم على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش، عليه جبةٌ حَبْرَةٌ، وقميص قومس، حتَّى وقفَ عليهم فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمرُ بنُ الخطاب، قال: فمه، رجلٌ اختارَ لنفسِهِ أمراً، فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمونَ لكم صاحبَهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجلِ، قال:

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٠) رقم: (٤٤٢٤).
(٢) في الأصل الفارسي: «بلح».

فواللهِ لكأنّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه، قال عبدُ اللهِ: فقلتُ لأبي بعدَ أنْ هاجرَ إلى المدينةِ: يا أبتِ، مَنِ الرجلُ الذي زجرَ القومَ عنك[1] بمكةَ يوم أسلمتَ وهم يقاتلونَكَ؟ قال: ذاك العاص بن وائلٍ السهمي[2].

فضيلة أبي بكر رضي الله عنه على جميع المسلمين:

نقول بعد ذكر هذه الأمور: إنَّ أفضلية الشيخين على الذين أسلموا بعدَ الفتح ثبتت من منطوقِ الآية، وأفضليتهما على الذين أسلموا قبل الفتح من مفهومها الموافق، فلا شكَّ أنّ خلافتهم خلافةٌ راشدة، ومن أحد لوازم الخلافة الخاصة ـ كما مرَّ ـ أن تكون أفضليةُ الخليفةِ ثابتةٌ على عامة المسلمين كليّاً، وعلى خواصِّهم الذين يستحقّون الخلافة أو عاملهم النبي ﷺ معاملة الملك لولي عهده جزئياً قريباً من الكلي، ولا سيّما في أمور تناسب بالرئاسة والخلافة، والله أعلم.

۞ الآية العاشرة:

قال الله تعالى في سورة الحجر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾.

۞ الآية الحادية عشرة:

وقال في سورة القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾.

• أخرج **مسلم** في حديث **عياض بن حمار** عن النبيِّ ﷺ عن ربه

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيك».

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٨)، و«البداية والنهاية» (٣/ ١٠٢)، و«تاريخ الإسلام»، للذهبي (١/ ٤٣)، و«فضائل الصحابة»، لأحمد بن حنبل (١/ ٣٦٢) إلا أن فيه: «كشف عنه» مكان «كشط عنه».

تبارك وتعالى: «**وأنزلتُ عليكَ كتاباً لا يَغْسِلُه الماءُ**»(١).

وهذا كنايةٌ عن أنَّ مساعي بني آدم في محو القرآنِ لا تنجحُ، بل اللهُ يحفظه، وذلك هو التفسيرُ لحفظ القرآن الكريم، ثم بيَّن الله في الآية الأخرى طريق حفظه ـ وهو جمعه في المصاحف، وانجذابُ قلوب الناس إلى تلاوته وتفسيره ـ.

• أخرج **البخاري** عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾، قَالَ: جَمْعُهُ له فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾، قَالَ: فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام اسْتَمَعَ، فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ عليه السلام قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا قَرَأَهُ(٢).

هذا القدر من الحديث مرفوعٌ في هذا الحديث هو قصة النبي ﷺ وحده، وتفسير «جمعه» بـ«جمعه له في صدرك» هو تفسير ابن عباس.

ويقول الفقير عفا الله عنه: في هذا التفسير نظر، إذ إنَّ حمل الكلم الثلاث(٣) على المعاني المتقاربة بعيدٌ من حيث البلاغة، إلَّا أنْ يصحَّ ذلك التقرير في تفسير ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾ [الأعلى]، ثم حمل قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ على معنى «قد حصل بدون تراخٍ» بعيد من شأن البلاغة ـ لأنَّ لفظة (ثم) تستعمل في كلام العرب للتأخير ـ.

---

(١) «صحيح مسلم» (ح: ٢٨٦٥). (٢) «صحيح البخاري» (ح: ٥).

(٣) المراد بها: الجمع والقرآن والبيان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة].

الفرق بين معاني الجمع والقرآن والبيان:

والأَوْجَهُ في تفسير هذه الآية أنَّ معنى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ عليَّ الوفاء بوعد جمع القرآن في المصاحف، و﴿وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ ونوفِّق قرّاء أمة محمد ﷺ وعوامَّهم لتلاوته لئلّا تنقطع سلسلة التواتر، كأنَّ الله تعالى قال للنبيِّ ﷺ: لا تخفْ أن يغيبَ القرآنُ عن قلبك، ولا تتحمّل مشقة لحفظه ـ فإنَّ علينا جمعه في المصاحف، وكان من معجزاته ﷺ أنه يحفظه بدون المشقة التي يعانيها عامة المسلمين في حفظ القرآن الكريم، وكان يتمكّن في قلبه المبارك بمجرَّدِ تبليغ جبريل عليه السلام القرآنَ إلى النبيِّ ﷺ ـ لا تفكّر يا محمّدُ؛ لأنني قد ألزمتُ نفسي أنَّ القرآن يجمع في المصاحف بعد أداء ما عليك من الفريضة لتبليغ القرآن، وهو جمعُ القرآن في المصاحف، وتلاوة القرآن من خواصّ الأمة وعوامّها، فلا تشغل قلبك بمشقة حفظه، بل إذا تلا عليك جبريل فاستمع له.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾؛ يعني: عليَّ توضيحُ معاني القرآن في كلِّ عصر، بأن نوفِّق طائفةً من العلماء لشرح غريب القرآن وبيان أسباب نزوله، حتَّى يُبيِّنوا مصداقَ أحكامه، وذلك بعد أيامٍ كثيرةٍ من حفظك وتبليغك له بمراتب.

وبما أنَّ الآيات القرآنية متشابهةٌ، يصدِّقُ بعضها بعضاً، ومع ذلك فالنبيُّ ﷺ إنَّما هو مبيِّنٌ القرآن العظيم ومفسّره، وحفظ القرآن موعود من الله بحيث إنَّ الناس يجمعونه في المصاحف، ويوفق المسلمين لتلاوته شرقاً وغرباً، ليلاً ونهاراً، وذلك هو المراد من: «**لا يَغْسِلُه الماءُ**».

ثم اعلموا أنَّ استعمال الواو في قوله: ﴿جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، واستعمال «ثُمَّ» في قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]، يشير إلى أنَّ تلاوة

القرآن تجري مع جمعه في المصاحف، وأمَّا علم التفسير فيظهر فيما بعد، ووقع في الخارج هكذا.

فإنَّ حفظ القرآن وإقراءَه شُرِعَ منذ خلافة عمر على يدي أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود، وظهر علمُ التفسير على يدي ابن عباس رضي الله عنه بعد انقضاء أيام الخلافة الراشدة.

تحقُّق الوعد بجمع القرآن وحفظه في خلافة الشيخين:

فبعد أن أوردنا كلَّ ذلك ينبغي أن يُعلم أنَّ جمع الشيخين للقرآن الكريم في المصاحف هو تحقُّق للحفظ الذي تكفّل الله نفسه به، ووعد به في الحقيقة، فصار هذا الجمعُ في الواقع فعلَ الله تبارك وتعالى وإنجازَه لوعده، الذي ظهر على أيدي الشيخين، وذلك من لوازم الخلافة الخاصة.

❁ ❁ ❁




خاتمةُ الفصل ببيانِ نكتةٍ دقيقةٍ

والآن نختم هذا الفصلَ بنكتة دقيقة، وهي أنَّ النبوةَ ليست أمراً كسبيّاً يحصل بالرياضة النفسانية والبدنية، وليس هو أمرٌ جِبِلّي من حيث جُبِلت نفسُ النبيِّ على القدسية، فتصدر منها بالضرورة الجبلية أقوالٌ وأعمال مناسبة للقدسية، بل الواقع أنَّ أحوالَ العالم إذا كانت على وجه تقتضي حكمةُ الله فيه من فوق سبع سماوات إصلاحَ بني آدم وتقويمَ عوجهم، وذلك بإلقاء داعيته في قلب أزكى بني آدم وأسمحهم وأعدلهم، ليرشدهم إلى التمسك بالعلوم والأعمال التي فيها صلاحُهم، ويلزم عليهم بالحجة والبرهان، فإذا قبلوا منه فبها ونعمت، وإن لم يفعلوا يخاصمهم ويقاتلهم حتَّى يتبيَّنَ السعداءُ من الأشقياءِ ويتنوَّر العالَمُ بنور الهداية.

واقتضاءُ العالم لهذه الكيفية المخصوصة كمثل اجتماع الصغرى والكبرى في قلب إنسان، الذي يقتضي إفاضةَ النتيجةِ في قلب صاحبه، أو كتسخين الماء، الذي يقتضي تحوّله إلى بخار، فإذا اقتضت أحوال العالم ذلك يتوجّه قضاء الله تعالى من فوق سبع سماوات إلى الملأ الأعلى، والملأ الأعلى كلّه ينصبغ بهذه الصبغة، وتفيض بركاتٌ من الملأ الأعلى على هذا القلب القدسي، ويتمثّل له الملأ الأعلى بصور مناسبة، ويُلقوُن من العلوم الشرعية والإحسانية وغيرها في قلبه، ويطّلع هذا النفس القدسي على تدبير الله المجرَّد، الذي ينزل من فوق سبع سماوات إلى سدرة المنتهى بصورة الأحكام المثالية المعهودة في الملأ الأعلى النازلة إلى الأرض، ثم ينزل مرةً ثانيةً في قالب الألفاظ

والحروف على قلب هذا النبي، بواسطة الوحي المتلوّ أو غير المتلوّ من العالم المجرّد بمعيّة هذه الإرادة الإلٰهية بصورة مناسبة للملأ الأعلى، وفي هذا الوقت يقال بلسان الشرع: «بعثَ اللهُ فلاناً نبيَّاً، وأمره بتبليغِ الأحكامِ وأوحى إليه».

۞ حقيقة النبوة:

بالجملة: فإنّ النبوةَ أمرٌ يحدث بسبب تعلُّق إرادة الله لبعثة هذا النبي لإصلاح العالم، وليس أمراً جبلِّياً، ولا شيئاً مكتسباً بالرياضة والجهد، غير أنَّه ﷻ لا يمنح هذه النعمة إلّا مَنْ كان قدسياً في أصل جبلّته، معدوداً في الملأ الأعلى، وأن تكون قواه الملكية التي تندمجُ فيه في غاية الظهور والغلبة، وأن تكون طهارته وصلاحه وسعادته ومزاجُ بدنه في غاية الاعتدال، وأن تكون طبيعته في غايةِ القوّةِ، ولكنها منقادةٌ للقلب، وأن يكون قلبه في منتهى المتانة والشهامة، ولكنّه منقادٌ للعقل، وأن يكون عقله في كمال الجودة والاستقامة ولكنّه منقادٌ للملأ الأعلى، بل هو فرد منهم ومرآة لهم بأن تكون قوته العاقلة شبيهة بإدراك الملأ الأعلى، لذلك يصلح لقبول الوحي، وقوته العاملة في غاية الصلاح، لذلك فإنَّه يتّصف بالعصمة، وهذه الأمور إنَّما هي من أعظم لوازم النبوّة.

وجرت سُنَّة الله على أن لا يعطي النبوّةَ إلَّا مَنْ خلقه بهذه الصفات والخلال، ورُبَّ رجلٍ يملك نفساً قدسياً يتوافر فيه بعض هذه الصفات أو أكثرها، ولكن لا يكونُ له نصيبٌ من النبوة، كما قال الشاعر العربي:

ولا كُلُّ مَنْ يَسْعَىٰ يَصِيْدُ غَزَالَةً ... لكنّ مَنْ صادَ الغَزَالَةَ قد سَعَىٰ

وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

۞ حقيقة الخلافة الخاصة:

وكما أنَّ النبوّة ليست أمراً مكتسباً ولا جبلِّيّاً، كذلك الخلافة الخاصة للنبي ليست أمراً مكتسباً ولا خلقياً، نزلت إرادةُ الله من فوق سبع سماوات لتمشية إرشاد النبي في الناس، وإتمام نوره، وإظهار دينه على سائر الأديان، إنجاز موعوده له، فيُحدِث داعيةً في قلب الخليفة، وليست هذه الداعيةُ كسبيةً ولا خلقيةً، وربّما كان حواريو النبيّ على كثرة عددهم الذين ألقيت في قلوبهم داعية نصرة دينه من قبل الإفاضات الغيبية، لكن الخليفة يكون منهم بمنزلة القلب من الجسد، وتلك الجماعة تكون بمنزلة الأعضاء والجوارح كاليد والرجل، وأوّل محل لنزول الداعية الإلـٰهية هو قلب الخليفة، ثم ينبثق منه إلى قلوب الآخرين، كنور المصباح الذي ينعكس في المرآة المنصوبة في الجدران، وكل ذلك يدرك بحدس قريب المأخذ، كأنه أمر بديهي يدرك بحاسَّة البصر.

۞ تعريف النبي وخليفته:

النبي: «هو مَنْ أُمِرَ بتبليغِ شريعةِ اللهِ» هذه الألفاظُ لها ظهر وبطن، أمَّا ظهرها فهو تبليغ شريعة الله إلى الناس، وأمَّا بطنُها فهو الداعية القوية الجيَّاشة في داخل فؤاده.

الخليفة: «هو مَنْ ينشر شريعةَ النبيِّ في الناس، ويظهر على يده موعودُ الله لنبيِّه» هذه الكلمات لها ظهر وبطن أيضاً، أما ظهرها فهو صورة نشر شريعة النبي في الناس، وأما بطنها فهو الداعية القوية التي تمكّنت في قلبه بواسطة النبي ﷺ، بل لا تزال تجيشُ في جذر قلبه بفضل صحبة النبي ﷺ، وإذا كانت هذه الداعية لم تجش في قلبه فلا يسمّى خليفةً خاصة ـ وإن ظهرت منه خدمات جليلة ـ.

وإذا كان فاجراً فهو مصداق قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ**

بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ»[١]، وإذا لم يكن فاجراً فهو كالحجر والخشب يحرِّكه قضاء الله تعالى في تحقيق مطالبه، وليست له فضيلة فيه، ووجود هذه الداعية في الخليفة الخاص يثبت بحدسٍ قريبِ المأخذ، هو بمنزلة الأشياء البديهية أو المحسوسة، وربّما يحتمل ـ عقلاً ـ أن يكون شخصٌ قد أسلم في أواخر أيام حياة النبي ﷺ وتجيشُ هذه الداعية من قلبه، لكنّ هذا الاحتمال لم يَقع في الخارج، وهذه من سُنَّة الله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

ولا يلهم الله سبحانه هذه الداعية القوية النازلة من فوق سبع سماوات المُشْرَفَةَ بعناية الملأ الأعلى إلا في قلب مَنْ كان جوهرُ نفسِه شبيهاً بجوهر نفس الأنبياء، وأودعَ الله في قوته العاقلةِ شبيهاً بالوحي، وذلك هو **المحدَّثية**، وفي قوته العاملة شيئاً شبيهاً بالعصمة، وهذا هو **الصدِّيقية**، ومن آثارها: «**فرارُ الشيطانِ مِنْ ظلِّه**»[٢]، إلا أن استعداد نفسه كالنائم لا يستيقظ من نومه إلا بإيقاظ النبي، وكذلك قابليةُ نفسه بالقوة، ولا تدخل بالفعل، ولا تكون بالفعل إلا بتأييد النبيِّ ـ فللخليفة قابليةٌ لكن بالقوة، وللنبيِّ قابلية بالفعل أيضاً ـ، وهذا بحث بيَّنته بالإجمال، وأما شرحُه فيتطلّبُ بسطاً وتفصيلاً لا مجال له في هذا المقام.

عمرے باید که یار آید بکنار　　　این دولت سرمد که هم کس را ندهند[٣]

❁ صفات الخليفة الخاصَّة:

من صفاته أن يكون قد قضى مدةً طويلةً في صحبة وتربية النبي ﷺ،

---

(١) «سنن الدارمي» (٢/ ٣١٤) رقم: (٢٥١٧).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١).

(٣) معناه: لا بد من عمر طويل لوصول المحبوب إلي، لا تعطى هذه الثروة السرمدية لكل شخص؛ يعني: هذه الأسرار التي ذكرتها لم يمكن لكل شخص من الوصول إليها، ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء.

وغيَّرت أنانيته مرآة نفس النبي القدسي مرَّات وكرَّات وأخرجتها من قلبه، ويحصل مع الرسول ﷺ حُبٌّ عظيم، كما جاء في الحديث النبوي: «**لا يؤمِنُ أحدُكم حتَّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسِهِ، ومالِهِ، وولدِهِ، والماءِ الزُّلالِ للعطشانِ**»[1].

ومنها أن يكون سبق في مساعدة النبيِّ بالمال والنفس، وبلغ تقليده للنبيِّ ﷺ في تنفيذ أعباء الجهاد رتبةَ التحقيق، ويكون شريكه في الشدائد والمكاره، فكأنَّه تحمّل تلك المصائب أصالةً عن نفسه، ويتحقق للنبي ﷺ على سبيل التجربة مرات عديدة أنَّ النفسَ لا تصدر منها إلا أعمال منجية، وتكون نفسه مجتنبة ألواناً من أعمال الخسيسة والمهلكة والأخلاق غير المرضية، وبشَّره النبي ﷺ مراراً بالجنة وبالدرجات العالية، وبيَّن أوصافه الحسنة، ودرجاته العالية، وظهر شرف عظمته وصلاحيته للخلافة من قول النبيِّ ﷺ وعمله، فالرجل المتّصفُ بهذه الصفات كلِّها يكون أهلاً ومستعداً لقبول الداعية النازلة من فوق سبع سماوات بعد انصباغه بشكل الملأ الأعلى، ويقوم لأجل هذه الداعية بنشر دين النبي، وإنجاز موعوده، ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

وهذه الخلافة الخاصة من بقية أيام النبوّة، وهذه الخلافة الخاصة إنَّما هي نوع من أنواع الولاية أشبه بكمالات الأنبياء، ويصدق عليها بالأصالة «التشبُّه بالنبيِّ من حيث هو نبي» على هذا النوع.

وهذه الأوصافُ كلُّها التي ذكرناها من أعمِّ لوازم الخلافة الخاصة، ويمكن أن يكون هناك رجل عظيم القدر، يتّصف بتلك الصفات كلها، مما أشير إليه فيما تقدّم، لكن لم تتعلق الإرادة الإلـٰهية باستخلافه، ولن

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ١٤)، «صحيح مسلم» (ح: ٤٤) إلى «ولده».

يتعلق التدبير الغيبي بتمكينه في سدة الحكم، والسبب في تخصيص إرادة الله لبعض الكاملين ليس مما يحيط به علوم البشر، مثل تخصيص بعض المفهمين[١] بالنبوة دون بعض، إذ إنَّه ليس مما يستوعبه إدراك العامة، إلا أنَّ هذا الشخصَ الذي استُخْلِفَ يَفْضُلُ على سائر رعيته بنوعين:

أحدهما: يعلم بعد استخلافه؛ إذ إن الله فوّض إليه رئاسة العالم لا إلى غيره من بين الناس وجعله خليفة النبي دون غيره.

والثانية: يعلم قبل استخلافه؛ لأن فعل الحكيم لا يخلو عن الحكمة، وهي أنَّ له فضيلة كلية على سائر الناس الذين ليست فيهم استعداد للخلافة، وفضيلة جزئية على المستحقِّين للخلافة، وهذه الفضيلة قريبة من الكلية، وهم صفوة من أصحاب النبيِّ ﷺ.

وإذا لم تكن في الشخص ـ الذي مكَّنه الله على الخلافة ـ صفةٌ ما خلا حسن السياسة والقوة الكاملة لتأليف قلوب المسلمين، ويقع ذلك كثيراً، ذلك لأنَّ وجودَ الداعية الإلـٰهية في قلبه وظهور إعلاء كلمة الله على يده أصلٌ في الخلافة الخاصة، واللوازم الأخرى فروع، إذ وجدت الأوصافُ المعتبرةُ كلها من لوازم الخلافة في شخص لا يستحقّ الخلافة الخاصة إذا لم يُلْقِ اللهُ في قلبه هذه الداعية، ولم يوفق لإجراء أحكام دين الحقّ على يده، وإذا ألقاها الله في قلب شخص، وتمّ ظهور الدين على يده، ويتَّصفُ بهذه اللوازم بقدر ما يلزم لنزول الداعية فهو مستحق للخلافة، ومثله كمثل من قتل مجرماً شريراً مطلوباً قتلُه عند السلطان بخنق أو بضرب الحجر فاستحقّ الإجلال والتكريم على ذلك في حضرة

(١) المفهمين جمع المفهم، الرجل الذي توجد فيه صفات لاختياره للنبوّة.

الملك، فاعترض عليه سفيه قائلاً: إنَّ فلاناً أعلمُ منه بالرماية والفروسية، فأجابه: إنَّ الشجاعة المطلوبة في قتل المجرم الشرير تتوافر فيَّ ولا حاجة لي إلى أكثر من ذلك، بل المقصود ليس قتل أحد عندي، ولا إظهار الشجاعة والقوة، بل مقصودي الأعلى إنَّما هو نيل رضا السلطان وقد حصل.

ولعلَّك عندما قرأتَ هذه المقدمة مع النكات المذكورة في كتب علم الكلام بهذا الإطناب والتفصيل، أن تدخل في قلبك وحشة، فلذلك نريد هنا إيراد الأحاديث التي تقع شواهدَ على ما قلنا في هذا الموضع، وقد بيَّنَّا فيما تقدَّم أنَّ هيئات بني آدم من الجهل والغواية وسوء اعتقادهم في الله وما أشبه ذلك تقتضي بعثة الأنبياء، وذلك من أجلِّ بديهيات الدين، قال الله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ [يسٓ: ٦]، وفي حديث عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «**أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً، وَإِنَّ اللهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّما بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ**» أخرجه مسلم[(١)].

وبيَّنَّا كذلك فيما تقدَّم أن قضاء الله ينزل ـ أولاً ـ في الملأ الأعلى، ومن شواهد ذلك:

• حديث إلقاء المحبة الذي أخرجه **مالك** عن **أبي هريرة** أنَّ

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٨٦٥).

رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحبَّ اللهُ العبدَ قال لجبريلَ: قد أحببتُ فلاناً فأحبّه، فيحبُّه جبريلُ، ثم ينادي في أهل السّماءِ: إنَّ اللهَ قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ثم يُوْضَعُ له القَبُوْلُ في الأرضِ**»[(١)].

وبيَّنَّا أن الأنبياء ﷺ يمتازون في الأخلاق الجبلِّية على غيرهم، وهذا أيضاً من بديهيات الدين، وإنَّه لا يخفى على مَنْ له اطلاع على قوانين الحكمة الخلقية بالضرورة أنَّ تواجُدَ الأخلاق الجميلة بذلك الانتظام الذي ظهر في الأنبياء ﷺ لا يتيسَّرُ بدون انقياد النفس للقلب، والقلب للعقل، **فمن شواهد ذلك**:

• حديث **أنس** رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس، وأشجعَ الناسِ، وأجودَ الناس» أخرجه **الشيخان**[(٢)].

• وأخرج **البخاري** عن محمد بن جبير بن مطعم عن **أبيه** [أنَّه[(٣)]] بينما يسيرُ هو مع رسول الله ﷺ، ومعه الناس مَقْفَلُه من حنينٍ فعلقت الأعرابُ يسألونه، حتَّى اضطرّوه إلى سَمُرَةٍ، فخطفت رداءه، فوقف النبيُّ ﷺ فقال: «**أعطوني ردائي، لو كانَ لي عددُ هذه العضاهِ نعماً لقسمته بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كَذُوباً ولا جباناً**»[(٤)].

• وأخرج **الدارمي** عن **الزهري** قال: إنَّ جبريلَ قال: ما في الأرض أهلُ عشرةِ أبياتٍ إلا قلبتهم، فما وجدتُ أحداً أشدَّ إنفاقاً لهذا المال من رسول الله ﷺ[(٥)].

---

(١) «موطأ مالك» رقم: (٣٥٠٦).

(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٢٨٢٠) واللفظ له، و«صحيح مسلم» (ح: ٢٣٠٧).

(٣) سقط في الأصل الفارسي.

(٤) «مشكاة المصابيح» (ح: ٥٨٠٧)، وانظر: «صحيح البخاري» (ح: ٢٨٢١)، «باب الشجاعة في الحرب»، و«باب ما كان النبي ﷺ يعطي».

(٥) «سنن الدارمي» (٤٨/١) رقم: (٧٣).

• وأما أن غير الأنبياء أيضاً يتشبَّهون بالأنبياء في أصل جوهر نفوسهم، **فشاهده:**

• أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**رؤيا المؤمنِ جزءٌ من ستّةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوّةِ**»، أخرجه **البخاري**(١).

• وقال: «**السَّمْتُ الصَّالِحُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ**» أخرجه **مسلم**(٢).

• وأمَّا أنَّ الخلفاء كانوا يُشبهون الأنبياء في جوهرهم، **فشاهده:**

• ما أخرجه **أبو عمر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: إنَّ الله نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسِهِ، فابتعثه برسالته، ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمّدٍ، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلَهم وزراءَ نبيِّه يقاتلون على دينه(٣).

• وأخرج **أبو عمر** عن **ابن عباس** في قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: «أصحابُ محمّدٍ ﷺ»، قاله السدّي، والحسن البصري، وابن عُيينة، والثوري(٤).

• وأخرج **البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ**(٥)، **فَإِنْ يَكُ فِي**

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٦٩٨٨).

(٢) ولم يخرجه مسلم لا بلفظه ولا بمعناه، لكن أخرجه مالك في «الموطأ» رقم: (٣٥٠٨) بلفظ: «**حسن السمت**» بدلاً من «**السمت الصالح**».

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٣٧٩) رقم: (٣٦٠٠)، واللفظ له، و«الاستيعاب» (١/ ٥).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٥).

(٥) قال الخطابي: المحدث: الملهم الذي يلقى الشيء في رُوعه كأنه قد حُدّث به، يظن فيصيب. انظر: «فتح الباري» (٧/ ٥٠).

أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ»[١].

• وأخرج **الترمذي** عن **عائشة** قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً، وصوتَ صبيان، فقام رسولُ اللهِ ﷺ، فإذا حبشيةٌ تزفُنُ، والصبيانُ حولها، فقال: «**يا عائشةُ! تعالَيْ فانظري**»، فجئتُ، فوضعتُ لِحْيَيَّ على منكبِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجعلتُ أنظرُ إليها ما بين المنكبِ إلى رأسه، فقال لي: «**أما شَبِعْتِ؟ أما شَبِعْتِ؟**» قالت: فجعلتُ أقول: لا، لأنظرَ منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قال: فارفضَّ الناسُ عنها، قالت: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنِّي لأنظرُ إلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ قد فرّوا من عمر**»، قالت: فرجعت[٢].

• وأما أن الأنبياء يُرزقون داعية قوية لهداية الأمة، **فشاهدُه الحديث**:

• «**فوالذي نفسي بيدِهِ لأقاتلنَّهم على أمرِي هذا حتَّى تنفردَ سالفتي، وليُنْفِذَنَّ اللهُ أمرَه**»[٣]، هذه هي الكلمة نفسها التي قالها النبيُّ ﷺ لأبي طالب[٤] في مكة، ولأبي سهيل[٥] في الحديبية.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٩) واللفظ له، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٨).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١). (٣) «صحيح البخاري» رقم: (٢٧٣١).

(٤) ما هذا الذي قاله النبيُّ ﷺ لأبي طالب في مكة، بل الذي قاله هو: «**يا عماه! لو وضعوا الشَّمْسَ في يميني، والقمرَ في يساري، على أنْ أتركَ هذا الأمرَ حتَّى يظهرَهُ اللهُ، أو أهلِكَ فيه ما تركتُه**» ثم استعبرَ رسولُ اللهِ ﷺ فبكى. انظر: «تاريخ الطبري» (٢/ ٦٧)، و«سيرة ابن هشام» (١/ ٢٦٦).

(٥) لم يقل النبيُّ ﷺ هذه الكلمة عند الحديبية لأبي سهيل، بل قالها لبُدَيْلِ بن ورقاء الخزاعي، الذي جاء النبيَّ ﷺ وهو في الحديبية يخبره ﷺ بإرادةِ كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعدادَ مياه الحديبية لقتاله ﷺ وصدِّه عن البيتِ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إنّا لم نجئْ لقتالِ أحدٍ، ولكنّا جئنا معتمرين، وإنَّ قريشاً قد نهكتْهم الحروبُ، وأضرّتْ بهم، فإن شاؤوا ماددتُهم مدةً، ويخلّوا بيني وبين الناسِ، فإنْ أظهر** =

• وأمَّا أنَّ هذه الداعية تظهر في قلوب حواري النبي، فشاهده:

• قول الله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، وتلك إشارةٌ إلى ظهور داعية النصرة في قلوبهم.

• وأمَّا وجودُ الدواعي القوية في الشيخين لأجل تمشية وتبليغ دين الحق فهو أغنى عن أيِّ شاهدٍ ودليلٍ، ومن أجلِّ البدهيات أن لا تظهر من شخصٍ أفعالٌ متقاربة مترتبة ليلاً ونهاراً لمدّة لا يستهان بها إلا أن تكون في نفسه داعية قوية لذلك، وهل يصدِّق عاقلٌ أنَّ «الخواجه حافظ»[1] قام بتدوين «ديوانه» بغير بصيرة في فنِّ الشعر، وبغير صرف همة بالغة إلى نظم الأبيات والقصائد، وهل قام أبو علي[2] بتأليف «كتاب القانون»، بدون البصيرة في فنِّ الطبّ، وبدون جمع همته في

= **فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخلَ فيه الناسُ فعلوا، وإلا فقد جَمُّوا، وإنْ هم أبوا فوالذي نفسِي بيدِهِ لأقاتلنّهم على أمري هذا حتّى تنفردَ سالفتي، ولينفذنَّ اللهُ أمرَه»**

وأمّا الذي تمّ على يده خطة الصلح فلم يكن يسمّى أبا سهيل، بل هو سهيل بن عمرو، يرجع لذلك إلى «باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب» في «صحيح البخاري» (ح: ٢٧٣٢).

(١) من كبار شعراء إيران، اسم أبيه بهاء الدين، كان جده من أهالي أصفهان، انتقل إلى شيراز في عهد أتابك شيراز وسكنها، توفي حافظ شيرازي سنة ٧٩٣هـ. انظر: «شعر العجم» (٢/ ١٤٥).

(٢) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات، والإلٰهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، ونشأ وتعلّم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلّد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرُها، ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنّف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها سنة ٤٢٨هـ. انظر: «الأعلام»، للزركلي (٢/ ٤١).

تحقيق وترتيب مسائل هذا الفنّ «سبحانك هذا بهتان عظيم».

ولو لم تكن الداعية في قلب الشيخين فكيف تظهر هذه الأفعال المتقاربة منهما إلى مدة متطاولة، ولو كانت داعية الدنيا، فكيف يجري مدحُهم على لسان النبيِّ ﷺ حتَّى يبلغَ التواتر، ولو كانت داعيةً ملتئمة متركّبة من القوى النفسانية غير نازلة من فوق سبع سماوات لما ظهرت هذه البركاتُ كلُّها التي ظهرت على أيدي الشيخين رضي الله عنهما، ولا تظهر النتيجة فوق الجهد والمحاولة.

وأما قولنا: «إنَّ مجرَّد تعلُّق الإرادة الإلٰهية بالخلافة قبل وقوعها يُثْبِتُ الفضيلةَ لصاحبها»، **فمن شواهده حديث أبي ذر** رضي الله عنه.

• أخرج **الدارمي** عن **أبي ذر الغفاري** قال: قلتُ: يا رسول الله! كيفَ علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين استُنْبِئْتَ؟ فقال: «**يا أبا ذر! أتاني ملكانِ، وأنا ببعض بطحاء مكة، فوقع أحدُهما على الأرضِ وكان الآخر بين السماء والأرض، فقال أحدُهما لصاحِبه: أهوَ هوَ؟ قال: نعم، قال: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فَوُزِنْتُ به، فَوَزَنْتُهُ، ثم قال: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمئةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ فَوُزِنْتُ بهم فَرَجَحْتُهم، كأنِّي أَنظرُ إليهم ينتثرونَ عليَّ مِنْ خِفَّةِ الميزان، قال: فقال أحدُهُما لصاحبه: لو وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لَرَجَحَها**»[(١)].

• وأخرج **الدارمي** من حديث **عتبة بن عبد السلمي** قصةً طويلةً فيها شقُّ صدره ﷺ عند ظِئْرِهِ حليمة، قال أحدهما لصاحبه: اجعله في كفة واجعل ألفاً من أمته في كفة، قال رسول الله ﷺ: «**فإذا أنا أنظرُ إلى الألفِ فوقي أشفِقُ أن يخرَّ عليَّ بعضُهم، فقال: لو أنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ به لمَالَ**

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٢١) رقم: (١٤).

بهم، ثم انطلقا وتَرَكانِي»[١].

• وأخرج **أحمد** عن **ابن عمر** قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوعِ الشّمسِ، قال: «**رأيتُ قبلَ الفَجْرِ كأنِّي أُعْطِيْتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمَّا المقاليدُ فهي المفاتيحُ، وأمَّا الموازينُ فهذه التي يُوْزَنُ**[٢] **بها، فوُضِعْتُ في كفّةٍ، ووضعتْ أُمّتِي في كَفّةٍ، فَوُزِنْتُ بهم، فَرَجَحْتُ، ثم جِيْءَ بأبي بكر، فَوُزِنَ بهم فَرَجَحَ، ثم جِيْءَ بِعُمَرَ، فَوُزِنَ بهم فَرَجَحَ، ثم جِيْءَ بعثمانَ فَوُزِنَ بهم فرجحَ، ثم رُفِعَتْ**»[٣].

عرف النبيُّ ﷺ نبوته بوزنه بأمته ورجحانه عليها، وهذا الوزنُ والرجحانُ يدلّان على أفضليته فضلاً كلّياً معتبراً عند الله تعالى، وذلك من لوازم النبوة، وهذه الرؤيا نفسها رآها النبي ﷺ في شأن الخلفاء الراشدين، فعُلِم من هنالك أنّ أفضلية الخلفاء الراشدين على رعيتهم عند الله، ورجحانهم عليهم في علم الله، من لوازم الخلافة الخاصة، كما أنَّ حقيقة الاستخلاف تثبتُ بمجرّد تعلق الإرادة الإلٰهية، وهناك أمورٌ أخرى هي مِنْ لوازم وجود الخلافة حسب سُنَّة الله تعالى.

يَثْبُت هذا النوعُ من الأفضلية كذلك بمجرَّد الإرادة الإلٰهية ضمن الاستخلاف، ومعها أفضليةٌ تثبت بالسوابق الإسلامية، أو الأوصاف الجبلّية، من حسن السياسة وغيرها، وهي أمر عادي، والله أعلم بحقيقة الحال، وليكن هذا آخرَ الفصل الثالث.

والحمد لله رب العالمين

❁ ❁ ❁

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٢٠) رقم: (١٣).

(٢) ووقع في «مسند أحمد»: «تزنون بها».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢/ ٧٦) رقم: (٥٤٦٩)، و«الرياض النضرة» (١/ ٢٤) واللفظ له.



الفصل الرابع

في روايات الأحاديث والآثار الدالة على خلافة الخلفاء الراشدين وعلى إثبات لوازم الخلافة الخاصة بهم سواء كان تصريحاً أو تلويحاً

• قبل أن نشرع في المقصود، ينبغي أن يُعلمَ أنَّ العلماء أكثروا التصنيف في إثبات خلافة الخلفاء، وكلٌّ وُفِّق لبيانها بأسلوب خاص، وخطر لهذا الفقير ـ الكثير التقصير ـ: أن يُوزِّع أحاديثَ هذا الباب على مسانيد الصحابة، ويذكر موقوفَ كلَّ صحابي تحت مرفوعه[١]، حتَّى يعلمَ الخاصّةُ والعامةُ أنَّ ما اشتهر من أنَّ خلافة الخلفاء ثابتةٌ بالإجماعِ، ووَصِيَّةِ الخليفة السابق أمرٌ محقَّق.

• لكن ليس معنى الإجماع أن يُبديَ كلُّ شخص رأيه بناءً على المصلحة المتعلقة بالزمان من غير دليل شرعي، بل نعني به أن يكونَ كلٌّ منهم قد استنبط خلافتهم بدليل شرعي مبنيٍّ على السُّنَّة السنيَّة، إما بتصريحاته ﷺ تارةً، وإما بتلويحاته تارة أخرى، حتَّى قد يوقنَ كل منهم بقَبول خلافتهم، ولمّا أجمع مجتهدو القرن الأول على خلافتهم ثبت الإجماع، ولا يجوز لأحد بعده أن يخالفهم فيه.

---

(١) المرفوع ما نسبه الصحابي إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، والموقوف ما كان من كلامه هو، فإن لم يكن من المسائل الاجتهادية فهو في حكم المرفوع.

❁ تلويحات النبي ﷺ بخلافة الخلفاء:

• وأمّا تلويحاته ﷺ بخلافتهم فيؤول أمرُها: إمَّا إلى إثبات لوازم الخلافة العامَّة، وإما إلى لوازم الخلافة الخاصّة:

فمتى ما قال ﷺ ـ مثلاً ـ: «**آتوا الزكاة أبا بكر مِنْ بعدي...**» أثبتَ له بعضَ لوازم **الخلافة العامّة**؛ إذ إنَّ ذلك عبارةٌ عن حفظ بيت المال، وأخذ الزكاة من المسلمين، وحينما قال: «**أبو بكر صدِّيق وعمرُ شهيدٌ**».

أو بيّن أعلى درجاتهم في الجنة، أو بشّرهم بالجنة، ولا سيّما إذا كان ذلك على ترتيب خلافتهم، أو قال: «**هم أفضل الأمة...**» وما أشبه ذلك، أثبت لوازم **الخلافة الخاصة** لهم.

ففي مثل هذه الأحاديث تلويحٌ وإشارةٌ منه ﷺ إلى أنَّ خلافتَهم راشدةٌ.

* إزالة شبهة:

• **وإذا قلت**: إنَّ اللازم المساوي يدل على وجود الملزوم، ولا نسلّم دلالة اللازم العامّ على وجود الملزوم، وهذه الأوصافُ كلُّها من أنواع اللازم العامّ للخلافة الخاصة، ربما يُوجد بعضُ هذه الصفات في غير الخليفة الخاصّ أيضاً.

أقول: إنَّ التعريض قسمٌ من أقسام البيان، ويحصل به التفهيم والتفهّم، كما أخرج **مالك**[1] عن **عمرة بنت عبد الرحمٰن**: «أنَّ رجلين تسابا في زمان عمر بن الخطاب، فقال أحدهما للآخر:

(١) «الموطأ» رقم: (٣٠٦٤).

واللهِ ما أبي بزانٍ ولا أمي بزانيةٍ، فاستشارَ في ذلك عمرُ بنُ الخطاب أهلَ الرأي، فقال قائلٌ: مدحَ أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدحٌ غيرُ هذا، نرى أن تجلدَه الحدَّ، فجلدَه عمر الحدَّ ثمانين».

ومن هنا فإنَّ التعريضَ الجلي في حكم التصريح.

۞ دلالة التعريض بانضمام القرائن إليه:

• والتحقيقُ في شأن التعريض أنَّه لا يدلّ بمجرد لفظه، بل يدلّ بالقرائن، ولا شكَّ في أنَّ القرائن تدلّ دلالةً إما قطعيةً وإما ظنيةً، مثل دلالة الدخان على النار، ودلالة السحاب والريح المرسلة على نزول المطر، ولذلك يدلّ اللفظُ على معناه المنطوق، ففي التعريض يجتمع معاً (اللفظ والقرينة)، ويرفع البعض إبهام بعض، وهكذا التحقيق عند الفقير في دلالة الإيماءات والفحوى وغيرهما، إذ إنَّ الدلالة ليست هناك باللفظ وحدَه، بل الدلالة باللفظ مع انضمام القرائن، والقرائنُ تكونُ خفيةً مرةً، وجليةً أخرى.

• والميزانُ في استنباط المعاني من أمثال هذه الدلائل إنَّما هو فهمُ أهل اللغة في مثل هذه المواقع، ولذلك يتوقَّف مفهوم الوصف على بعض الشروط عند الإمام الشافعي الذي هو إمامٌ من أئمة المجتهدين والمستنبطين، وتوجد قرائن المعنى المقصود على قدر توافر هذه الشروط، إذ إنَّ دلالة اللازم العام على وجود ملزومه الخاص ليس ببعيد ولا غريب.

والآن نخوض في أصل المقصود بعد بيان هذه المقدمة:




مسند أبي بكر الصدِّيق(١) رضي الله عنه

۞ الروايات حول شروط الخلافة:

• أخرج الدارمي عن حية بنت أبي حية عن أبي بكر الصدِّيق في قصةٍ، قالت: ذكرتُ غزونا خثعماً، وغزوة بعضنا بعضاً في الجاهلية، وما جاء الله به من الأُلفة وأطناب الفساطيط، وشبَّك ابن عون أصابعه، ووصفه لنا معاذ وشبَّك أحمد، فقلتُ: يا عبدَ الله! حتَّى متى ترى أمرَ الناس هذا؟ قال: ما استقامت الأئمةُ، قلتُ: ما الأئمةُ؟ قال: أما رأيتَ

---

(١) هو: عبد الله بن عثمان بن عامر، أمير المؤمنين أبو بكر الصدِّيق ابن أبي قحافة، وهو صاحب رسول الله ﷺ في الغار، وفي الهجرة، والخليفة بعده، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه عمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمٰن بن عوف، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وغيرهم، كان أبو بكر من رؤساء قريش في الجاهلية، محبَّباً فيهم، مألفاً لهم، وكانت إليه الأشناق (والأشناق: الديات)، فلمّا جاء الإسلام سبق إليه، وأسلم على يده جماعةٌ لمحبّتهم له، وميلهم إليه، حتى إنّه أسلم على يده خمسة من العشرة، وقد ذهبَ جماعةٌ من العلماء إلى أنّه أوّلُ من أسلم، منهم ابن عباس، شهد أبو بكر بدراً، وأُحداً، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ودفع رسول الله رايته العظمى يوم تبوك إلى أبي بكر، وكان فيمن ثبتَ مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، ويوم حنين، حين ولّى الناسُ، خليلُ سيدنا رسول الله ﷺ وولي الإسلام بعد النبي ﷺ كما يدلّ عليه قوله: «أينقصُ الدِّينُ وأنا حيٌّ»، وكافل المسلمين اليتامى بعد وفاة النبي ﷺ، ولد أبو بكر بعد الفيل بثلاث سنين، ومات بعد النبي ﷺ بسنتين وأشهر بالمدينة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وتوفي سنة ١٣هـ، صلّى عليه عمر بن الخطاب، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ، وكلامه من خطب ورسائل ووصايا مرآةٌ لسيرته وخُلُقِهِ، صِدْقٌ مع عزيمة، ورِفْقٌ في غير ضعف. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥).

السيّدَ يكونُ في الحِوَاء فيتبعونه ويطيعونه، فما استقامَ أولئك[١].

• وأخرج **الدارمي** عن **قيس بن أبي حازم** قال: دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها: زينب، قال: فرآها لا تتكلّم، فقال: ما لها لا تتكلّم؟ قالوا: نوت حَجَّةً مُصْمِتَةً، فقال لها: تكلَّمي، فإنّ هذا لا يحلُّ، هذا من عمل الجاهلية، قال: فتكلَّمت، فقالت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا امرؤ من المهاجرين، قالت: من أيِّ المهاجرين؟ قال: مِنْ قريش، قالت: فمن أيِّ قريش أنت؟ قال: إنَّكِ لسؤولٌ، أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتُكم، قالت: وأي ما الأئمة؟ قال: أما كان لقومكِ رؤساءٌ وأشرافٌ يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم مثل أولئك على الناس[٢].

وقوله: «**ما استقامت**» شاملٌ للعلم والعدالة والكفاية والشجاعة وغير ذلك.

❁ الخلافة في قريش:

• وأخرج **البخاري** في حديث **عمر** الطويل: أنَّ أبا بكر قال للأنصار: ما ذكرتم فيكم من خيرٍ فأنتُم له أهل، ولن يُعْرَفَ هذا الأمرُ إلَّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العربِ نسباً وداراً[٣].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** في حديث طويل، فقال أبو بكر: «على رِسْلِكم...» فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «يا معشرَ الأنصار! إنَّا

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٨١) رقم: (٢١٠).
(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٨٢) رقم: (٢١٢).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٦٨٣٠).

واللهِ ما ننكرُ فضلَكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقّكم الواجب علينا، ولكنّكم قد عرفتُم أنَّ هذا الحي من قريش بمنزلةٍ من العرب ليس بها غيرُهم، وأنَّ العربَ لن تجتمع إلَّا على رجلٍ منهم، فنحنُ الأمراءُ، وأنتم الوزراءُ، فاتقوا الله، ولا تَصْدَعُوا الإسلامَ، ولا تكونوا أوّلَ مَنْ أحدث في الإسلام»(١).

وقد أجمع أهل السُّنَّة والجماعة على اشتراط كون الخليفة من قريش.

• وأخرج **البخاري ومسلم والدارمي** وغيرهم عن **ابن عباس**: كان أبو هريرة يحدِّث: أنَّ رجلاً أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنِّي أرى الليلةَ ظلَّة تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفَّفون منها بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرضِ، فأراكَ أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذَ به رجلٌ من بعدك فَعَلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فَعَلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخرُ فانقطع به، ثم وُصِلَ له فَعَلا به. فقال أبو بكر: يا رسول الله! بأبي أنتَ واللهِ لتدعنِّي فلأعبرنَّها، قال رسول الله ﷺ: «**اعبرها**»، قال أبو بكر: أما الظلَّة فظلَّة الإسلام، وأمَّا الذي ينطِفُ من السمن والعسل فالقرآن، حلاوته ولينه، وأمَّا ما يتكفَّف الناسُ من ذلك، فالمستكثِرُ من القرآن والمستقلّ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحقُّ الذي أنتَ عليه، تأخذ به فيُعْلِيْكَ اللهُ به، ثم يأخذُ به رجلٌ من بعدكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ من بعدِكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرِ فينقطِعُ به، ثم يُوْصَلُ له فيعلو به، فأخبرني يا رسول الله! بأبي أنتَ، أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال رسول الله ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، قال: فواللهِ يا رسول الله!

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧١).

لتحدِّثنِّي ما الذي أخطأتُ؟ فقال النبي ﷺ: «**لا تُقْسِمْ**»[١].

عُلِم من هذا الحديث أنَّ أبا بكر الصدِّيق ﷺ كان يعرفُ أنَّ الخلافة ينالها ثلاثةٌ من الصحابة على الترتيب، يكونون على منهاج النبوة، ويموتون عليه كذلك، وأمَّا إذا كان وقعَ ذلك موافقاً لتعبير أبي بكر الصدِّيق ﷺ في الخارج، فما هو الخطأ فيه؟ ولِمَ قال ﷺ: «**أخطأتَ بعضاً**».

يقول الفقير: إنَّ سكوته ﷺ عن تسميةِ هؤلاء الأشخاص رغم قدرته عليها نُسِبَ إلى الخطأ عن طريق المشاكلة، وكان الصدّيق ﷺ يعرِفُ هؤلاء الأشخاص بأعيانهم، والدليل على ذلك بعض الآثار الواردة في «كتاب الخصائص»[٢] للسيوطي، **وهي فيما يأتي**:

• أخرج **ابن عساكر** عن **كعب** قال: كان إسلام أبي بكر الصدِّيق شبيهاً بوحي من السماء، وذلك أنه كان تاجراً بالشام، فرأى رؤيا، فقصّها على بحيرا الرّاهب، فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة، قال: من أيُّها؟ قال: من قريش، قال: فأيش أنت؟ قال: تاجر، قال: صدَّق الله رؤياك، سَيُبْعَثُ نبيٌّ من قومك تكون وزيرَه في حياته، وخليفتَه بعد موته، فأسرَّ أبو بكر حتَّى بُعِثَ النبيُّ ﷺ فجاءه، فقال: يا محمد! ما الدليل على ما تدَّعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيتَ بالشّام**»، فعانقه، وقبَّل عينيه، فقال: أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلَّا الله وأشهدُ أنّكَ رسولُ اللهِ[٣].

• وأخرج **ابن عساكر** عن **عبد الله بن مسعود** قال: قال أبو بكر الصدِّيق: إنَّه خرجَ إلى اليمن قبل أن يُبْعَثَ النبيُّ ﷺ، قال: فنزلتُ على

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٢٦٩) واللفظ له، «سنن الدارمي» (٢/ ١٧٢) رقم: (٢١٥٦)، و«سنن أبي داود» (ح: ٤٠١٦).

(٢) أي: «الخصائص الكبرى»، للسيوطي. (٣) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٩ ـ ٣٠).

شيخ من الأزدِ عالمٌ، قد قرأ الكتبَ [وعَلِمَ من عِلْمِ النَّاسِ علماً كبيراً]، وأتت عليه أربعمئةُ سنةٍ إلَّا عشرَ سنين، [فلمَّا رآني] قال لي: أحسبُكَ حرمياً، قال أبو بكر: قلت: نعم، أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبُكَ قرشياً، قال: قلت: نعم، أنا من قريشٍ، قال: وأحسبُك تيمياً، قال: قلت: نعم، أنا من تيم بن مرَّة، أنا عبد الله بن عثمان بن كعب بن ضمضم بن مرَّة، قال: بقيتَ لي منكَ واحدةٌ، قلت: ما هي؟ قال: تكشِفُ لي عن بطنِكَ، قلت: لا أفعلُ إذ تخبرني لِمَ ذاك؟ قال: أجدُ في العلم الصحيح الزكي الصادق أنَّ نبياً يُبْعَثُ في الحرم، تَعَاوَنَ على أمره فتًى وكهلٌ، فأمّا الفتى فخوَّاضُ غمراتٍ، ودفَّاعُ معضلاتٍ، وأمَّا الكهل فأبيضُ نحيفُ، على بطنِهِ شامةٌ وعلى فخذِهِ اليسرى علامةٌ، وما عليكَ أن تُرِيَني ما سألتُكَ، فقد تكاملت لي فيك الصفة إلا ما خَفِيَ عليَّ، قال أبو بكر: فكشفتُ له عن بطني، فرأى شامةً سوداءَ فوقَ سُرَّتي، فقال: أنت هو وربُّ الكعبةِ[(١)].

• وأخرج **ابن سعد** عن **الحسن** قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس، قال: لتكونَنَّ من الناسِ بسبيلٍ، قال: ورأيتُ في صدري كالرقمتين، قال: سنتينِ[(٢)].

توقُّف أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند البيعة الأولى:

• **وإن قال قائل**: لو كان الصدّيقُ رضي الله عنه يعلمُ كونه مُبَشَّراً بالخلافة، فلماذا توقّف عند البيعة؟ ولماذا أشار إلى عمر الفاروق وأبي عبيدة رضي الله عنهما قائلاً: بايعوا أحدَ هذين[(٣)].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١). (٢) «تاريخ الخلفاء» (١/ ٢٤).

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٦٧٣٠)، ولفظه: «**وقد رضيتُ لكم أحدَ هذينِ الرجلينِ، فبايعوا أيهما شئتم**».

قلنا: ليس حصولُ البشارةِ بشيءٍ أن يُطْلَبَ في الواقع، كما أنَّ النبي ﷺ علمَ أنَّ عائشةَ رضي الله عنها ستكونُ من زوجاته ﷺ، لكن مع ذلك لم يَسْعَ ﷺ أن يتزوّجَها، بل قال: «**إِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ يُمْضِهِ**»[(١)].

وأحوالُ أهل الله في مثل هذه المسألة تختلفُ، تارةً يسعون لنيل ما بُشِّروا به وثوقاً بحصوله، وتارة يتوقَّفون وينتظرون تدبيرَ الغيب: بأيّ طريق يُتِمُّ اللهُ تلك البشارة؟ وفي أيِّ قالب ينفخ هذه الروح المُبَشَّر بها، ولهذا اختار الصدّيقُ رضي الله عنه التوقفَ، ليكون بعيداً عن حظّ النفس، أو بسبب آخر يشبه ذلك.

إثبات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه خلافة نفسه بالسوابق الإسلامية:

- وأما إثباته رضي الله عنه خلافته بالسوابق الإسلامية:

- فقد أخرج **الترمذي** عن **أبي سعيد** قال: قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: ألستُ أحقَّ الناس بها؟ ألستُ أوّلَ مَنْ أسلم؟ ألستُ صاحِبَ كذا؟ ألستُ صاحِبَ كذا؟[(٢)].

- وأما استدلاله رضي الله عنه على منع توقّف الناس عن بيعته عقب البيعة العامّة يلزمُ شقّ عصا المسلمين.

فقد أخرج **الحاكم** عن **أبي سعيد** في قصة طويلة: فلمّا قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ علياً فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابن عمِّ رسول الله ﷺ وخِتْنِهِ! أردتَ أن

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٨٥٩، ٥٠٧٨، ٥١٢٥)، «صحيح مسلم» رقم: (١٤٢٢، ٢٤٣٨)، والرواية بتمامها بلفظ مسلم: عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أُريتُكِ في المنام ثلاثَ ليالي، جاءني بك الملكُ في سَرِقةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتُكَ، فأكشفُ عن وجهِك، فإذا أنتِ هيَ، فأقول: إنْ يكُ هذا مِنْ عندِ اللهِ يُمْضِهِ**».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٧)، «مسند البزّار» (١/ ٩٤) واللفظ له.

تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعه، ثم لم يرَ الزبيرَ بنَ العوّام، فسأل عنه حتَّى جاؤوا به، فقال: ابنَ عمّةِ رسول الله ﷺ وحواريه! أردت أن تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعاه[١].

إثبات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه خلافة عمر بأفضليته:

• وأما إثباته رضي الله عنه خلافة عمر الفاروق بأفضليته:

• فقد أخرج **الترمذي** عن **جابر بن عبد الله** قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ النّاسِ بعد رسولِ اللهِ ﷺ!

فقال أبو بكر: أما إنَّك إنْ قلتَ ذاك فلقد سَمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عمرَ**»[٢].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن **زبيد بن الحارث** أنَّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناسُ: تستخلِفُ علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِينَا كانَ أفظَّ وأغلظَ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيتَه، وقد استخلفتَ علينا عمرَ.

قال أبو بكر: أبربي تُخَوِّفونني، أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقك. . . الحديث[٣].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن **محمد** عن **رجل من بني زريق**، في قصة طويلة، قال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى منِّي، فقال عمر: أنتَ أفضلُ منِّي[٤].

ولا شك أن الذي ينظر بعين الإنصاف في هذه الآثار يتأكد عنده

---

(١) «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٠).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣).

القبول بأنَّ هذه الأوصاف المذكورة لها تأثيرٌ خاص في إثبات **الخلافة الخاصة**، التي وجدت في الطبقة الأولى من هذه الأمة، وإلا لكانَ ذكرُ هذه الكلمات في مبحث إثبات الخلافة لغواً، وخارجاً عن قاعدة البيان والكلام.

❁ ❁ ❁




مسند عمر بن الخطاب[١] رضي الله عنه

❁ روايات في شروط الخلافة:

• أما شروط الخلافة:

• فقد أخرج **أبو يوسف** عن **أبي المليح** بن أبي أسامة الهذلي قال: خطب عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: أيّها الناس! إنَّ لكم علينا حقَّ النصيحةِ بالغيبِ، والمعونةِ على الخيرِ، أيُّها الرعاء! إنَّه ليسَ من حلمٍ أحبَّ إلى الله، ولا أعمَّ نفعاً من حلمِ إمامٍ ورِفْقِه، وليس من جهلٍ أبغضَ إلى اللهِ، وأعمَّ ضرراً من جهلِ إمامٍ وخرقِه، وإنَّه مَنْ يأخذ بالعافيةِ فيما بين ظهرانيه يعطَ العافيةَ مِنْ فوقه[٢].

• وأخرج **أبو يوسف** عن عثمان بن عطاء الكلاعي **عن أبيه** قال: خطب عمرُ الناسَ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعدُ: فإنِّي

---

(١) هو: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، معجزةٌ من معجزات الرسول ﷺ، ومن بدائع العالم في رجاحة العقل، وحصافة الرأي، وحسن السياسة، إلى العبقرية والعصامية، إلى الدين والتقوى، والمثل الكامل للحاكم العادل، والجمع بين الدين والدنيا، كان من فتوحه العلم والفقه، ومن جنوده الخطابة والبلاغة، ولد بعد عام الفِجَار الأعظم بأربع سنين، وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة، وقيل بدون ذلك، ذكر خليفة بن خياط بسندٍ له أنّه ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وكان عند المبعث شديداً على المسلمين، ثم أسلم، فكان إسلامه فتحاً على المسلمين، قال عبد الله بن مسعود: وما عبدنا الله جهرةً حتى أسلم عمر، وتوفي شهيداً سنة ٢٣هـ. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥١٨).

(٢) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣).

أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى، ويهلكُ مَنْ سواه، الذي بطاعته ينفع أولياؤه، وبمعصيته يضرُّ أعداؤه، فإنَّه ليس لهالكٍ هَلَك معذرةٌ في تعمُّدِ ضلالةٍ حسبها هُدًى، ولا في تركِ حقٍّ حسبَه ضلالةً.

وإنَّ أحقَّ ما تعاهدَ الراعي من رعيته تعاهدُهم بالذي للهِ عليهم في وظائف دينهم، التي هداهم الله لها، وإنَّما علينا أن نأمرَكم بما أمرَكم الله به من طاعته، وأنْ ننهاكم عمَّا نهاكم الله عنه من معصيته، وأن نقيمَ أمرَ الله في قريبِ الناسِ وبعيدِهم، ولا نبالي على مَنْ كان[1] الحق.

ألا وإنَّ اللهَ فرضَ الصلاةَ، وجعل لها شروطاً، فمن شروطها: الوضوءُ، والخشوعُ، والركوعُ، والسجودُ.

واعلموا أيها الناس! أنَّ الطمع فقرٌ، وأنَّ اليأسَ غنًى، وفي العزلةِ راحةٌ من خلطاءِ السوءِ.

واعلموا أنَّه مَنْ لم يرَض عن الله فيما كَرِهَ من قضائه لم يؤدِّ إليه فيما يحبُّ كُنْهَ شُكْرِهِ.

واعلموا أنَّ لله عباداً يميتونَ الباطلَ بِهَجْرِهِ، ويُحْيُون الحقَّ بِذِكْرِهِ، رُغِّبوا فرغِبوا، ورُهِّبوا فرهبوا، إن خافوا فلم يأمنوا، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا، فخلصوا بما لم يزايلوا، أخلصهم الخوفُ فهجروا ما ينقطِعُ عنهم، الحياةُ عليهم نقمةٌ[2]، والموتُ لهم كرامةٌ[3].

● وأخرج **أبو يوسف** عن **الزهري** قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا أميرَ المؤمنين! لا أبالي في اللهِ لومةَ لائم خيرٌ لي، أمْ أقبل على نفسي؟.

---

(١) في الأصل الفارسي: «قال» مكان «كان».
(٢) في الأصل الفارسي: «نقمة» مكان «نعمة».
(٣) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣ ـ ١٤).

فقال: أمَّا مَنْ تولَّى من أمر المؤمنين شيئاً فلا يخفْ في اللهِ لومةَ لائم، ومَنْ كان خلواً من ذلك فليقبل على نفسِهِ، ولينصحْ لولي أمرِهِ[١].

وأخرج **أبو يوسف** عن **سعيد بن أبي بُردة** قال: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى: أما بعدُ، فإنَّ أسعدَ الرعاةِ عندَ الله من سعدت به رعيته، وإنَّ أشقى الرعاةِ عندَ الله من شقيت به رعيتُه، وإيَّاك أن ترتعَ فترتعَ عمّالك، فيكونَ مثلُك عندَ الله مثل البهيمةِ! نظرتْ إلى خُضْرَةٍ من الأرض، فرتعتْ فيها، تبتغي بذلك السّمنَ، وإنَّما حتفها في سمنها، والسلام[٢].

● وأخرج **أبو يوسف** عن رجل عن عمر ﷺ قال: لا يقيمُ أمرَ الله إلَّا رجلٌ لا يضارِعُ، ولا يصانِعُ، ولا يتّبع المطامعَ. ولا يقيمُ أمرَ اللهِ إلَّا رجلٌ لا ينتقصَ غَرْبَه، ولا يكظم في الحق على حزبه[٣].

● وقال **أبو يوسف**: حدّثني محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع **طلحة بن معدان** اليعمري قال: خطبنا عمر بن الخطاب ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم صلّى على النبي ﷺ، وذكر أبا بكر الصدِّيق فاستغفر له، ثم قال: أيُّها الناسُ! إنَّه لم يبلغْ ذو حقٍّ في حقِّه أن يطاعَ في معصيةِ اللهِ، وإنِّي لم أجد في هذا المال مصلحةً إلا خلالاً ثلاثاً: أن يُؤْخَذَ بالحقِّ، ويُعطى في الحقِّ، ويُمنع من الباطلِ، وإنَّما أنا ومالكم كولي اليتيم، إنِ استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف، ولستُ أدعُ أحداً يظلمُ أحداً، ولا يعتدي عليه، حتَّى أضع خدَّه على

---

(١) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).
(٢) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).
(٣) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٥).

الأرض، وأضعَ قدمي على الخدِّ الآخر حتَّى يذعنَ للحقِّ[(١)].

ولكم عليَّ أيُّها الناس! خصالٌ أذكُرها لكم فخذوني بها: لكم عليّ أنْ لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم، إلا من وجهه، ولكم عليّ إذا وقع في يدي أن لا يخرجَ منِّي إلّا في حقِّه، ولكم عليّ أن أزيدَ أعطياتكم وأرزاقكم إن شاء الله وحدَه، وأسدَّ لكم ثغورَكم، ولكم عليّ أن لا أُلقيَكم في المهالك ولا أجمِّركم[(٢)] في ثغورِكُم، وقد اقتربَ منكم زمانٌ، قليلٌ الأمناءِ، كثيرٌ القرّاءِ، قليلٌ الفقهاءِ، كثيرُ الأملِ، يَعْمَلُ فيه أقوامٌ للآخرة يطلبون به دنيا عريضة، تأكل دينَ صاحِبِها، كما تأكلُ النارُ الحطبَ، ألا فمن أدركَ ذلك منكم فليتّقِ اللهَ ربَّه وليصبرْ.

يا أيُّها الناس! إنَّ الله عظّم حقَّه فوق حقّ خلقه، فقال فيما عظم من حقه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، ألا وإنِّي لم أبعثكم أمراء ولا جبارين، ولكنْ بعثتُكم أئمةَ الهدى، يُهتدى بكم، فَأَدِرُّوا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتُذلُّوهم، ولا تحمدوهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفَهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفّارَ طاقتهم، فإذا رأيتُم بهم كلالةً، فكُفُّوا عن ذلك، فإنَّ ذلك أبلغُ في جهادِ عدُّوكم.

أيها الناس! إني أشهدكم على علماء الأمصار أني لم أبعثهم إلا ليفقِّهوا الناس في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فإن أشكلَ شيءٌ رفعوه إليَّ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «بالحق».

(٢) تجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العدو لأهلهم. انظر: «النهاية» (١/ ٢٨٦).

قال: وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يقول: لا يصلحُ هذا الأمرُ إلَّا بشدّةٍ في غير تجبُّر، ولينٍ في غير وَهنٍ[١].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبِرُكم بخيارِ أئمتِكم من شرارِهم؟ الذين تحبُّونهم ويحبُّونكم، ويدعون لكم وتدعون لهم، وشرارُ أئمتِكُم الذين تبغضونَهم ويبغضونَكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[٢].

❁ ضلال الطاعنين في الخلافة الخاصة:

• وأخرج **مسلم وأبو يعلى** وغيرهما؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب يوم جمعة، فذكر نبيَّ الله ﷺ، وذكر أبا بكر، فقال: إنِّي رأيتُ كأنَّ ديكاً نقرني نقرةً أو نقرتين، وإنِّي لا أُراه إلا لحضورِ أجلي، وإنَّ أقواماً يأمرونني أن أستخلفَ، وإنَّ الله لم يكن لِيُضيّعَ دينَه، ولا خلافتَهُ، ولا الذي بعثَ به نبيَّه ﷺ.

وإني قد علمتُ أن أقواماً سيطعنون في هذا الأمر، أنا ضربتهم بيدي هذِهِ على الإسلامِ، فإن فعلوا فأولئك أعداء الله الكفار الضلال، فإن عجل بي أمر، فالخلافةُ شورى بين هؤلاء النفر الذين توفِّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض[٣]، الحديث.

قوله: و«**إن الله لم يكن ليضيّع دينه**» هذا فيما أرى في الخلافة الخاصّة فقط، وإلا ففي أيام **الخلافة العامة** قال: «قد اقتربَ منكم زمانٌ قليل الأمناء...» إلخ.

---

(١) «كتاب الخراج» لأبي يوسف (١/ ١٣٩).
(٢) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٤٨) رقم: (١٦١).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٥٦٧)، «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧٤) رقم: (١٧١).

قوله: «**إن أقواماً سيطعنون في هذا الأمر**» هذا فيما أرى إشارةٌ إلى انتقال الخلافة الخاصة إلى العامة، وأن يتصدَّى لها مَنْ ليس من المهاجرين الأولين.

وقوله: «**أولئك أعداء الله الضلال**» تهديدٌ وتخويفٌ، فلم يُرِدْ حقيقةَ الكفر، والله أعلم.

• وأخرج **البخاري**[١] **وأبو يعلى** وغيرهما عن **عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى مكة، فاستقبلنا أميرُ مكة نافع بن علقمة [وسمي بعم له يقال له: نافع[٢]].

فقال: من استخلفت على مكة؟

قال: استخلفت عليها عبد الرحمٰن بن أبزى.

قال: عمدت إلى رجل من الموالي فاستخلفته على مَنْ بها من قريشٍ وأصحاب رسول الله ﷺ؟

قال: نعم، وجدته أقرأهم لكتاب الله، ومكةُ أرضٌ محتضرةٌ، فأحببت أن يسمعوا كتابَ اللهِ من رجل حسن القراءة.

قال: نِعْمَ ما رأيتَ، إنَّ اللهَ يرفعُ بالقرآنِ أقواماً، ويضعُ بالقرآنِ أقواماً، وإنَّ عبد الرحمٰن بن أبزى ممَّن رفعه الله بالقرآن[٣].

وفي رواية: فغضب عمرُ حتَّى قام في الغرز، فقال: أتستخلفُ على آلِ اللهِ عبدَ الرحمٰن بن أبزى؟ قال: إنِّي وجدته أقرأهم لكتابِ الله، وأفقههم في دين الله، فتواضعَ لها عمرُ حتَّى اطمأنَّ على رحلِهِ، فقال:

---

(١) لم أجد هذه الرواية في «صحيح البخاري»، ولكن وجدتها في «صحيح مسلم» رقم: (٨١٧)، و«سنن ابن ماجه» رقم: (٢١٨).

(٢) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٣) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٨٦) رقم: (٢١١)، و«تهذيب الآثار» للطبري (٣/ ١٢٢).

لئن قلتَ ذاك، لقد سمعتُ رسول اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ سيرفعُ بهذا الدِّينِ أقواماً، ويضعُ به آخرينَ**»[١].

۞ أفضلية أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ثابتة من أقوال عمر رضي الله عنه بالتواتر:

• أفضليةُ الصدّيقِ ثابتةٌ بأقوال عمرَ بالتواتر، منها حديث عائشة.

• فقد أخرج **البخاري** عن **عائشة** رضي الله عنها في قِصّةِ الاتفاق على أبي بكر: ثم تكلَّم أبو بكر، فتكلَّمَ أبلغَ الناس، فقال في كلامه: نحنُ الأمراءُ، وأنتم الوزراء، فقال حُبابُ بن المنذر: لا واللهِ لا نفعلُ، منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ، فقال أبو بكر: لا ولكنّنا الأمراءُ، وأنتم الوزراءُ، هم أوسطُ العربِ داراً، وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمرَ أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمرُ: بل نبايعك أنتَ، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمرُ بيده، فبايعه وبايعه الناس[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** رضي الله عنها عن عمر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر سيّدنَا وخيرَنا وأحبَّنا إلى رسول الله ﷺ[٣].

• ومن حديث ابن عباس أخرج **البخاري** عن **ابن عباس** قول عمر رضي الله عنه في قصة الاتفاق على أبي بكر: ثم إنَّه بلغني أنَّ قائلاً منكم يقول: والله لَوْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلَاناً، فَلَا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّما كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ، أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ، وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ.

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٨٥) رقم: (٢١٠).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٨). (٣) «المستدرك» (٣/ ٦٩).

وفي هذا الحديث أيضاً قال أبو بكر: وَقَدْ رَضِيتُ لَكُمْ أَحَدَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ، فَبَايِعُوا أَيَّهُمَا شِئْتُمْ، فَأَخَذَ بِيَدِي وَبِيَدِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَنَا، فَلَمْ أَكْرَهْ مِمَّا قَالَ غَيْرَهَا، كَانَ وَاللهِ أَنْ أُقَدَّمَ فَتُضْرَبَ عُنُقِي لَا يُقَرِّبُنِي ذَلِكَ مِنْ إِثْمٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَأَمَّرَ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تُسَوِّلَ إِلَيَّ نَفْسِي عِنْدَ الْمَوْتِ شَيْئاً لَا أَجِدُهُ الْآنَ[1].

• ومن حديث أنس أخرج **البخاري** عن **أنس بن مالك** ﵁؛ أنه سمع خطبةَ عمر الآخرة، حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم تُوفِّي النبي ﷺ، فتشهّدَ وأبو بكر صامتٌ لا يتكلّم، قال: كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى يَدْبُرَنا، يريدُ بذلك أن يكون آخرَهم، فإن يكُ محمّدٌ ﷺ قد مات، فإن الله تعالى قد جعلَ بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمّداً ﷺ وإنَّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ وثاني اثنين، فإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه، وكانت طائفةٌ منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعةُ العامّةِ على المنبر[2].

• ومن حديث شيبة، أخرج **البخاري** عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: جَلَسْتُ مَعَ **شَيْبَةَ** عَلَى الْكُرْسِيِّ فِي الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: لَقَدْ جَلَسَ هَذَا الْمَجْلِسَ عُمَرُ ﵁ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهُ، قُلْتُ: إِنَّ صَاحِبَيْكَ لَمْ يَفْعَلَا، قَالَ: هُمَا الْمَرْءَانِ أَقْتَدِي بِهِمَا[3].

• ومن حديث **رجل من بني زريق** في قصة الاتفاق على أبي بكر، أخرج **أبو بكر بن أبي شيبة**، قال عمر: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضلُ مني، فقالاها الثانية، فلمّا كانت الثالثة، قال له عمر: إنّ قوتي لكَ مع فضلك، قال:

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٦٨٣٠). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢١٩).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٥٩٤).

فبايعوا أبا بكر[١].

• ومن حديث جابر بن عبد الله، أخرج **الترمذي** عن **جابر بن عبد الله** قال: قال عمر لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسول اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنّك إن قلتَ ذاك فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عُمَرَ**»[٢].

• ومن حديث **علقمة بن قيس وقيس بن مروان**، أخرج **أبو يعلى** عن **علقمة وقيس بن مروان** كليهما في فضائل عبد الله بن مسعود عن عمر، قال: فغدوتُ إليه لأبشِّره، فوجدت أبا بكر قد سبقني إليه فبشَّره، ولا واللهِ ما سابقته إلى خيرٍ قطّ إلا سبقني إليه[٣].

• وفي «**مشكاة المصابيح**» عن عمر: ذُكِر عنده أبو بكر فبكى وقال: وددتُ أن عملي كلّه مثل عمله يوماً واحداً من أيامه، وليلةً واحدةً من لياليه.

أما ليلته فليلة سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار، فلما انتهيا إليه قال: واللهِ لا تدخله حتَّى أدخلَ قبلك، فإن كان فيه شيءٌ أصابني دونك، فدخلَ، فكسحه، ووجد في جانبه ثُقباً، فشقّ إزاره وسدَّها به، وبقي منها اثنان فألقمهما[٤] رجليه.

ثم قال لرسول الله ﷺ: ادخل، فدخل رسول الله ﷺ ووضع رأسه في حجره ونام، فلُدِغَ أبو بكر في رجله من الجحر، ولم يتحرّك مخافةَ أن ينتبه رسولُ اللهِ ﷺ، فسقطت دموعُه على وجه رسول الله ﷺ، فقال: «**ما لكَ يا أبا بكر؟**» قال: لُدِغْتُ ـ فداك أبي وأمي ـ فتفلَ رسولُ اللهِ ﷺ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٤).
(٣) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧٢) رقم: (١٩٤).
(٤) في الأصل الفارسي «فألقمها»، ولعلّه تصحيف.

فذهبَ ما يجده[١]، ثم انتقضَ عليه، وكان سببَ موته.

وأما **يومه**، فلمَّا قُبِض رسول الله ﷺ ارتدَّت العربُ، وقالوا: لا نؤدِّي زكاة، فقال: **لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه**، فقلت: يا خليفة رسول الله ﷺ! تألَّفِ الناسَ، وارفقْ بهم، فقال لي: أجبَّارٌ في الجاهليةِ، وخوَّار في الإسلام؟ إنّه قد انقطعَ الوحيُ، وتمَّ الدِّينُ، أيُنقص وأنا حيّ؟ رواه **رزين**[٢].

۞ استدلال عمر رضي الله عنه على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بإمامة الصلاة:

• وأما استدلاله على خلافة الصديق رضي الله عنه بتفويض النبي ﷺ إمامةَ الصلاة إليه.

• فقد أخرج **الحاكم وأبو بكر** عن عاصم عن زِرّ عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: لمّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ قالت الأنصار: مِنّا أميرُ ومنكم أميرٌ، قال: فأتاهم عمرُ رضي الله عنه، فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستُم تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قد أمرَ أبا بكر يؤمُّ الناسَ، فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدّم أبا بكر رضي الله عنه؟ فقالت الأنصارُ: نعوذُ باللهِ أن نتقدّمَ أبا بكر[٣].

• وأخرج **أحمد** عن **رافع الطائي** رفيق أبي بكر في غزوة السلاسل قال: وسألتُه عمَّا قيل من بيعتهم، فقال وهو يحدّثه عما تكلّمتْ به الأنصارُ، وما كلَّمهم به، وما كلَّم به عمرُ بنُ الخطاب الأنصارَ، وما ذكَّرهم به من إمامتي إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه، فبايعوني

(١) في الأصل الفارسي: «ما يجد» بدون «ه».
(٢) «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣١٣) رقم: (٦٠٢٥).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٠)، «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٢).

لذلك، وقبلتُها منهم، وتخوَّفتُ أن تكونَ فتنةً تكون بعدَها ردَّةٌ[١].

❁ استدلاله على خلافة أبي بكر الصدِّيق ﷺ بسوابقه الإسلامية:

• وأما استدلاله على خلافة الصدّيق بسوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أبو بكر** عن **ابن عباس** في قصّةِ الاتفاق على أبي بكر، قال: ثم قلتُ[٢]: يا معشر الأنصار! يا معشر المسلمين! إنّ أولى الناس بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار

---

(١) «مسند أحمد» (١/٨) رقم: (٤٢).

(٢) القائل هو عمر بن الخطاب ﷺ، وهذه الرواية قطعةٌ من رواية طويلةٍ وهي بكاملها هكذا: عن **ابن عباس** قال: كنتُ أختلفُ إلى عبد الرحمٰن بن عوف ونحن بمنًى مع عمر بن الخطاب، أعلم عبد الرحمٰن بن عوف القرآن، فأتيتُه في المنزلِ فلم أجدْه فقيل: هو عند أمير المؤمنين، فانتظرته حتّى جاء فقال: معشرَ قريش! منّا أمير ومنكم أمير، فقام الحُبابُ بنُ المنذر فقال: أنا جَذيلُها المحكَّكُ، وعذيقُها المرجَّبُ، إن شئتم والله رددناها جذعةً، فقال أبو بكر: على رسْلِكم، فذهبتُ لأتكلَّم فقال: أنصت يا عمرُ! فحمدَ الله، وأثنى عليه ثم قال: يا معشرَ الأنصار! إنّا واللهِ ما ننكر فضلَكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقّكم الواجبَ علينا، ولكنّكم قد عرفتُم أنّ هذا الحيَّ من قريشٍ بمنزلةٍ من العرب ليس بها غيرُهم، وأنَّ العربَ لن تجتمعَ إلا على رجلٍ منهم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراءُ، فاتّقوا اللهَ ولا تصدِّعوا الإسلامَ، ولا تكونوا أول من أحدثَ في الإسلام، ألا وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلينِ لي ولأبي عبيدة بن الجراح، فأيُّهما بايعتُم فهو لكم ثقةٌ، قال: فواللهِ ما بقيَ شيءٌ كنت أحبُّ أنْ أقولَه إلا وقد قاله يومئذٍ، غيرَ هذه الكلمة، فواللهِ لأنْ أقتلَ ثم أحيا ثم أقتلَ ثم أحيا في غير معصيةٍ أحبُّ إليَّ من أن أكونَ أميراً على قوم فيهم أبو بكر، قال: ثم قلتُ: يا معشرَ الأنصار! يا معشرَ المسلمين! إنَّ أولى الناسِ بأمر رسولِ اللهِ ﷺ من بعده ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ أبو بكر، السبّاقُ المبينُ، ثم أخذتُ بيده، وبادرني رجلٌ من الأنصار فضربَ على يده قبل أن أضربَ على يدِهِ، ثم ضربتُ على يده، وتتابع الناسُ، ومِيْلَ علَى سعد بن عبادة، فقال الناسُ: قُتِلَ سعدٌ، فقلت: اقتلوه قتله الله، ثم انصرفنا وقد جمعَ اللهُ أمرَ المسلمين بأبي بكر، فكانت لعَمْرُ اللهِ كما قلتم، أعطى اللهُ خيرَها، ووقى شرّها، فمن دعا إلى مثلها فهو للذي لا بيعةَ له، ولا لمن بايعه. انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٤٣١) رقم: (٣٧٠٤٣).

أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذت بيده، وبادرني رجلٌ من الأنصار، فضربَ على يده قبل أنْ أضربَ على يده ثم ضربتُ على يده وتتابعَ الناسُ[١].

۞ استدلاله على الخلافة الخاصة للخلفاء لظهور الإسلام فيها:

• وأمّا فهمه للخلافة الخاصّة للخلفاء لوقوع خلافتهم في أيام ظهور الإسلام وقوته:

• فقد أخرج أبو يعلى عن **علقمة بن عبد الله المُزني** عن رجل قال: كنتُ بالمدينةِ في مجلسٍ فيه عمر بن الخطاب، فقال لبعض جلسائه: كيف سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يصفُ الإسلام؟ فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الإسلامَ بَدَأَ جَذْعاً**[٢]**، ثم ثَنِياً**[٣]**، ثم رُباعِياً**[٤]**، ثم سديساً**[٥]**، ثم بازلاً**»[٦]، فقال عمر: فما بعدَ البزولِ إلا النقصان[٧]، وهذا موافق لمعنى الآية ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) رقم: (٣٧٠٤٣).

(٢) هو من الإبل ما تمّ له أربع سنين، ومن البقر والمعز ما تمّ له سنة، وقيل: من البقر ما له سنتان، ومن الضأن ما تَمّت له سنة، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٣٤).

(٣) هو من الغنم ما دخل في السنة الثالثة، ومن البقر والإبل ما دخل في السادسة، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٣٠٨).

(٤) هو من الإبل ما طلعت رباعيته، وكذا الرباع والأنثى رباعية فهو بخفة ياء وذا إذا دخلا في السنة السابعة، «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٢٨٣).

(٥) هو من الإبل ما دخل في السنة الثامنة، وذلك إذا ألقى السنَّ التي بعد الرباعية، «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥٦).

(٦) هو من الإبل ما تمَّ له ثمان سنين، وحينئذٍ يطلع نابه، وتكمل قوته، ثم يقال بعد ذلك: بازلُ عامٍ وبازلُ عامين، «مجمع بحار الأنوار» (٣/ ١٨٠).

(٧) «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧١) رقم: (١٩٢).

۞ استدلاله على الخلافة الخاصة للخلفاء بحديث القرون الثلاثة:

• وأما فهمه للخلافة الخاصة للخلفاء بحديث القرون الثلاثة:

• فقد أخرج **الترمذي** عن **ابن عمر** قال: خطبنا عمرُ بالجابيةِ فقال: يا أيها الناس! إنِّي قمتُ فيكم كمقام رسولِ اللهِ ﷺ فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يفشو الكَذِبُ حتَّى يحلفَ الرجلُ ولا يُستحلفُ، ويشهدُ الشاهِدُ ولا يُستشهَدُ**»[1].

۞ استدلاله على الخلافة الخاصة لنفسه لعدم وقوع الفتنة في عهده:

• وأما فهمه للخلافة الخاصّةِ لنفسه لعدم وقوع الفتنة في حياته، فقد أخرجَ **البخاريُّ** عن شقيق سمعتُ حذيفةَ يقول: بينا نحنُ جلوسٌ عند عمر رضي الله عنه إذ قال: أيُّكم يحفظُ قول النبيِّ ﷺ في الفتنة؟ قال: قلتُ: فتنة الرجلِ في أهلِهِ ومالِهِ وولدِه وجارِه، تكفِّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموجُ كموجِ البحرِ، قال: ليس عليكَ منها بأسٌ يا أميرَ المؤمنين! إنَّ بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمرُ: أيُكسر البابُ أم يُفتَحُ؟ قال: لا، بل يُكسَرُ، قال عمر: إذاً لا يُغلق أبداً، قلت: أجل، قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلمُ البابَ؟ قال: نعم، كما أعلمُ أنَّ دون غدٍ ليلةٌ، وذلك أني حدَّثته حديثاً ليسَ بالأغاليط، فهبنا أن نسأله مَنِ البابُ؟ فأمرنا مسروقاً، فسأله فقال: مَنِ البابُ؟ قال: عمر[2].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٦٥).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٩٦).

۞ استدلاله على خلافته بمحدَّثيته:

• وأما استدلاله على خلافته بمحدَّثيته، وموافقة الوحي لرأيه:

• فقد أخرج **مسلم** عن **ابن عمر** قال: قال عمر: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ[(١)]: في مقام إبراهيم، وفي الحجابِ، وفي أسارى بدرٍ[(٢)].

بيان أفضليته في عهد خلافته:

• وأما بيان أفضليته في زمان خلافته:

• فقد أخرج **محمد** في «الموطأ» عن **سالم بن عبد الله** قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ: لو علمتُ أنَّ أحداً أقوى على هذا الأمر منِّي لكان أن أقدَّمَ فيضربَ عنقي أهونُ عليَّ، فمن ولي هذا الأمرَ بعدي، فليعلمْ أن سيردَّه عنه القريب والبعيد، وايم اللهِ إن كنت لأقاتِلُ الناس عن نفسي[(٣)].

• وأخرج **مسلم** عن **سماك** عن عمر في قصة الإيلاء: وقلّما تكلَّمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلامٍ إلّا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يصدِّق قولي الذي أقول، الحديث[(٤)].

---

(١) لا تنحصِرُ موافقةُ رأي عمرَ للوحي الرباني في هذه الثلاث، بل هناك مناسباتٌ عديدةٌ وافقَ فيها رأيُ عمر الوحيَ الربانيَّ، ومن جملةِ هذه المناسبات نهي صلاة الجنازة على المنافقين، وحرمة الخمر، وقال العلماء: إنَّ المواضع التي وافق فيها رأيُ عمر وحيَ السماء هي خمسة عشر موضعاً، وكلُّ ذلك يوجد في روايات مختلفة متناثرة في كتب السُّنَّة. انظر: «صحيح البخاري» بحاشية السهارنفوري (ح: ٤٧٩٠).

(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٩).

(٣) «موطأ مالك» برواية محمد بن الحسن (٣/ ٤٨٦) رقم: (٩٧٧).

(٤) «صحيح مسلم» رقم: (١٤٧٩).

۞ جعل عمر رضي الله عنه الخلافة من بعده شورى بينهم:

• وأما بيان الخلافة مِنْ بعدِه، وحصر الشورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ:

• فقد أخرج البخاري في قصة مقتل عمر، والاتفاق على عثمان من حديث **عمرو بن ميمون**، عن عمر، فقالوا: أوصِ يا أميرَ المؤمنين! استخلفْ، قال: ما أجدُ أحداً أحقُّ بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين تُوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمّى علياً وعثمانَ، والزبيرَ، وطلحةَ، وسعداً، وعبدَ الرحمٰن، الحديث[1].

۞ ۞ ۞

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٧٠٠).




ومن مسند عثمان بن عفان[(١)] رضي الله عنه

❁ استدلاله على الخلافة الخاصة للمشايخ الثلاثة:

• وأما الاستدلال على **الخلافة الخاصة** للمشايخ الثلاثة بكونهم من السابقين الأولين:

• فقد أخرج الترمذي عن **عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ** قَالَ: لَمَّا حُصِرَ عُثْمَانُ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ فَوْقَ دَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: أُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ، هَلْ تَعْلَمُونَ؟ أَنَّ حِرَاءَ حِينَ انْتَفَضَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْبُتْ حِرَاءُ! فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ**» قَالُوا: نَعَمْ[(٢)].

---

(١) ولد بعد عام الفيل بست سنين على الصحيح، وكان ربعةً، حسنَ الوجهِ، رقيقَ البشر، عظيمَ اللحية، بعيدَ ما بين المنكبين، وأسلمَ قديماً، قال ابن إسحاق: كان أبو بكر مؤلفاً لقومه، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ يثقُ به، فأسلم على يده فيما بلغني الزبيرُ وطلحةُ وعثمانُ، وزوّج النبيُّ ﷺ ابنته رُقَيّة من عثمان، وماتت عنده أيّامَ بدر، فزوّجه بعدُ أختَها أمَّ كلثوم، فلذلك يلقَّب ذا النورين، جاء من أوجهٍ متواترةٍ أنّ رسول الله ﷺ، بشّره بالجنة، وعدّه من أهل الجنة، وشهد له بالشهادة، روى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وروى عنه أولاده عمرو، وأبان، وسعيد، وابن عمه مروان بن الحكم بن أبي العاص، ومن الصحابة ابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس وغيرهم، وهو أول من هاجر إلى الحبشة، ومعه زوجته رُقية، قال ابن إسحاق: قُتِلَ على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً واثنين وعشرين يوماً من خلافته، فيكونُ ذلك في ثاني وعشرين من ذي الحجة سنة ٣٥هـ، وقتل وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. انظر: «الإصابة» (٢/٤٦٢).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٩).

وأخرج **الترمذي** عن **ثمامة بن حزن القشيري** في قصة طويلةٍ، قال عثمان: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ كان على ثَبِيْرِ[١] مكة، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّكَ الجبلُ حتَّى تساقطت حجارتهُ بالحضيضِ؟ قال: فركضَهُ برجلِه، وقال: «**اسكنْ ثَبِيْرُ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدان؟**»، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي وربِّ الكعبة أني شهيدٌ ثلاثاً[٢].

• وأخرج **البخاري** عن **عبيد الله بن عدي** بن الخيار في قصة، قال عثمانُ: **أما بعدُ**، فإنَّ اللهَ بعثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ، فكنتُ ممّن استجابَ لله ولرسوله، وآمنتُ بما بُعِثَ به، وهاجرتُ الهجرتين كما قلتُ[٣]، وصحبت رسولَ اللهِ ﷺ وبايعته، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتَّى توفَّاه الله ﷻ، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخلفتُ، أفليس لي من الحقِّ مثل الذي لهم؟ قلتُ: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم، (الحديث)[٤].

❁ استدلاله على منع الخروج عليه بسوابقه الإسلامية:

• وأما استدلاله على منع الخروج عليه بسوابقه الإسلامية، فقد ثبتَ عن التواترِ، وقد رواه عنه جمعٌ كثير من الناس.

• فمن رواية أبي إسحاق عن **أبي عبد الرحمٰن السلمي** عنه:

• أخرج **الترمذي** عن **أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: لما حُصِرَ[٥]

---

(١) بفتح مثلثة وكسر موحدة، وهو جبلٌ عظيمٌ بمزدلفة، يسار الذاهب إلى منًى، وبمكة خمسةُ جبالٍ تسمّى ثبير، «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٢٨٥).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «كما قلته».

(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٦).

(٥) في بيته، راجع الأسباب: «الكوكب الدري» (٤/ ٤١٢).

عثمانُ أشرف عليهم فوق داره، ثم قال: أذكِّركم باللهِ هل تعلمونَ أنَّ حِراءَ حين انتفضَ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اثبت حِرَاءُ! فَليسَ عليكَ إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ؟**» قالوا: نعم، قال: أذكِّركم بالله هل تعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في جيشِ العُسرةِ[١]: «**مَنْ يُنْفِقْ نفقةً متقبلةً**»، والناسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرونَ، فجهَّزتُ ذلك الجيش؟ قالوا: نعم، ثم قال: أذكِّركم بالله هل تعلمون أنَّ بئر رُوْمةَ[٢] لم يكن يشربُ منها أحدٌ إلا بثمنٍ، فابتعتُها فجعلتُها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم، وأشياءَ عددها[٣].

● ومن رواية أحنف بن قيس:

● أخرج **النسائي** عن **الأحنف بن قيس** قال: خرجنا حُجّاجاً، فقدمنا المدينة، ونحن نريد الحجَّ، فبينا نحن في منازلنا نضعُ رحالنا؛ إذ أتانا آتٍ، فقال: إنَّ الناسَ قد اجتمعوا في المسجد وفزعوا، فانطلقنا، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في وسط المسجد، وإذا عليٌّ والزبيرُ وطلحةُ وسعدُ بن أبي وقاص، فإنَّا لكذلك، إذ جاء عثمانُ بنُ عفّان عليه ملاءةٌ صفراءُ، قد قنّعَ بها رأسَه، فقال: أهاهنا عليٌّ؟ أهاهنا طلحة؟ أهاهنا الزبير؟ أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: فإنِّي أنشدكم بالله الذي لا إلـٰه إلا هو، أتعلمون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ يبتاع مربد بني فلان**[٤] **غفر الله له**» فابتعته بكذا وكذا، ...[٥] فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ،

---

(١) وذلك في غزوة تبوك.

(٢) بضم راء، بئر بالمدينة ليهودي يبيع للمسلمين ماءها فاشتراها عثمان بعشرين ألف درهم، وهو رغب فيها بقوله ﷺ: «**من يشتريها فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين**» وسبّلها. «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ٤٠٠).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٩).

(٤) في الأصل الفارسي: «من يدي بني فلان» وهو تصحيف.

(٥) كذا وفي الكلام سقط.

فقلت: قد ابتعتُها بكذا وكذا، قال: اجعلها سقايةً للمسلمين وأجرُها لك، قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: فأنشدكم بالله الذي لا إلٰه إلا هو، أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم، فقال: «**من جهَّز هؤلاء غفر الله له**»؛ يعني: جيش العسرة فجهَّزتهم، حتَّى ما يفقدون عِقالاً ولا خِطاماً، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد(١).

● ومن رواية ثُمامة بن حزن القشيري عنه:

● أخرج **الترمذي والنسائي** وهذا لفظ النسائي عن **ثُمامة بن حزن القشيري**، قال: شهدتُ الدارَ حين أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَبِالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ فِيهَا دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَجَعَلْتُ دَلْوِي فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتُمْ الْيَوْمَ تَمْنَعُونِي مِنَ الشُّرْبِ مِنْهَا، حَتَّى أَشْرَبَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنِّي جَهَّزْتُ جَيْشَ الْعُسْرَةِ مِنْ مَالِي، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

قَالَ: فَأَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَسْجِدَ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَشْتَرِي بُقْعَةَ آلِ فُلَانٍ، فَيَزِيدُهَا فِي الْمَسْجِدِ، بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ**»، فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي، فَزِدْتُهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَنْتُمْ تَمْنَعُونِي أَنْ أُصَلِّيَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ.

---

(١) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٤) رقم: (٣٦٠٧).

قَالَ: أَنْشُدُكُمْ بِاللهِ وَالْإِسْلَامِ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَلَى ثَبِيرٍ؛ ثَبِيرِ مَكَّةَ؛ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَأَنَا، فَتَحَرَّكَ الْجَبَلُ، فَرَكَضَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «**اسْكُنْ ثَبِيرُ! فَإِنَّما عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ شَهِدُوا لِي وَرَبِّ الْكَعْبَةِ؛ يَعْنِي: أَنِّي شَهِيدٌ[1].

• ومن رواية أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف:

• أخرج **النسائي** عن **أبي سلمة بن عبد الرحمٰن** أنَّ عثمان أشرفَ عليهم حين حصروه، فقال: أنشد بالله رجلاً سمعَ من رسولِ اللهِ ﷺ يقول يومَ الجبلِ حين اهتزّ، فركلَه[2] برجلِه وقال: «**اسكن، فإنَّه ليسَ عليك إلا نبيٌّ أو صدّيقٌ أو شهيدان**» وأنا معه، فانتشدَ له رجالٌ.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم بيعة الرضوان يقول: «**هذه يدُ اللهِ، وهذه يدُ عثمانَ، فانتشدَ له رجال**»[3].

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يوم جيش العسرة يقول: «**مَنْ ينفقُ نفقةً متقبَّلةً**» فجهَّزتُ نصفَ الجيش من مالي، فانتشد له رجال.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من يزيدُ في هذا المسجدِ ببيتٍ في الجنّةِ**»، فاشتريته من مالي، فانتشد له رجال.

ثم قال: أنشد بالله رجلاً شهد رومة تباع فاشتريتها من مالي، فأبحتُها لابنِ السبيلِ، فانتشد له رجالٌ[4].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٣)، و«سنن النسائي» (٦/ ٢٣٥) رقم: (٣٦٠٨).
(٢) أي: رفس.
(٣) أي: أجابوه. «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» (٣٠/ ٧٦).
(٤) «سنن النسائي» (٦/ ٢٣٦) رقم: (٣٦٠٩).

❁ دفاعه عن القدح في سوابقه الإسلامية:

• وأما إجابته عن القدح في سوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أحمد** عن عاصم عن **شقيق** قال: لقي عبد الرحمٰن بن عوف الوليدَ بن عُقبة، فقال له الوليد: ما لي أراكَ قد جفوتَ أمير المؤمنين عثمان، فقال له عبد الرحمٰن: أبلغه أنِّي لم أفرَّ يومَ عَيْنَيْنِ ـ قال عاصم: يقول: يوم أُحد ـ ولم أتخلّف يومَ بدرٍ، ولم أترك سُنَّةَ عمرَ.

قال: فانطلق فخبَّر ذلك عثمان، قال: فقال: أمَّا قوله: إنِّي لم أفرّ يوم عينين، فكيف يعيِّرني بذنب وقد عفا الله عنه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وأما قوله: إني تخلَّفت يومَ بدرٍ، فإنِّي كنتُ أمرِّضُ رُقَيّةَ بنت رسول الله ﷺ حين ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شَهِدَ، وأما قوله: إني لم أترك سُنَّة عمر، فإني لا أطيقُها ولا هو، فأته فحدِّثه بذلك[1].

❁ معرفته بالقطع أنه من أهل الجنة:

• وأما أنه كان يعرف بالقطع أنه من أهل الجنة:

• فقد أخرج **أحمد** عن **زيد بن أسلم** عن أبيه قال: شهدتُ عثمان يومَ حُوصِرَ في موضع الجنائز، ولو ألقي حجر لم يقع إلا على رأس رجل، فرأيتُ عثمانَ أشرف من الخوخة التي تلي مقام جبريل عليه السلام، فقال: أيها الناسُ! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: يا أيها الناس! أفيكم طلحة؟ فقام طلحة بن عُبيد الله، فقال له عثمان: ألا أراك هاهنا، ما كنتُ أرى أنك تكون في

(١) «مسند أحمد» (١/ ٦٨) رقم: (٤٩٠).

جماعةٍ تسمع ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبُني، أنشدك الله يا طلحة! تذكَّر يومُ كنتُ أنا وأنتَ مع رسول الله ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك، قال: نعم، فقال لك رسول الله ﷺ: **«يا طلحةُ! إنَّه ليس من نبيٍّ إلا ومعه من أصحابه رفيقٌ مِنْ أُمَّته معه في الجنة، وإنَّ عثمانَ بنَ عفّانَ هذا ـ يعنيني ـ رفيقي معي في الجنةِ»**، قال طلحة: اللَّهُمَّ نعم، ثم انصرف[١].

❁ معرفته بالقطع أن البلوى تصيبه:

• وأما أنَّه كان يعلمُ باليقين أنَّ هذه البلوى تصيبه:

• فقد أخرج **الترمذي والحاكم** عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم حدَّثني **أبو سهلة**، قال: قال عثمان يوم الدار: إنَّ رسول الله ﷺ قد عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه[٢].

• وأخرج **الحاكم والترمذي** عن **عائشة** ﵂ أن النبي ﷺ قال: **«يا عثمانُ! إنه لعلَّ الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم»**[٣].

وصحّ من حديث أبي موسى قوله ﷺ: **«بشّره بالجنة على بلوى تصيبه»**[٤].

❁ معرفته بالقطع أنه يكون على الحق:

• وأمَّا أنه كان يعرف بالقطع أنه على الحق:

• فقد أخرج **الترمذي** من حديث مرة بن كعب أن رسول الله ﷺ

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٧٤) رقم: (٥٥٢).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١١)، «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٥)، «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٠).

ذكر الفتن فقرّبها، فمرَّ رجل مقنَّع في ثوب، فقال: هذا يومئذٍ على الهدى، فقمتُ إليه، فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فأقبلتُ عليه بوجهه، فقلتُ: هذا؟ قال: نعم[١].

• وأخرج **الترمذي** عن **ابن عمر** قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً، فقال: «**يُقتل فيها هذا مظلوماً**»، لعثمان[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن أبي هريرة قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ واختلافٌ، أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ، وأشارَ إلى عثمان**»[٣].

• وأخرج **الحاكم**[٤] عن **كثير بن الصلت**، قال: أغفي عثمان بن عفان في اليوم الذي قُتل فيه فاستيقظ، فقال: لولا أن يقولَ الناسُ تمنّى الفتنة لحدَّثتكم، قال: قلنا: أصلحك الله فحدِّثنا، فلسنا نقول ما يقول الناس، فقال: إني رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في منامي هذا، فقال: «إنك شاهدٌ معنا الجمعة»[٥].

• وأخرج **أحمد** عن **نائلة بنت الفرافصة** امرأة عثمان بن عفان، قالت: نعس أمير المؤمنين عثمان، فأغفي، فاستيقظ، فقال: ليقتلنني القوم قلت: كلا، إن شاء الله لم يبلغ ذاك إن رعيتك استعتبوك، قال: إني رأيت رسول الله ﷺ في منامي وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقالوا: تفطر عندنا الليلة[٦].

❊ ❊ ❊

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٤).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٨).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٥).
(٤) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أحمد»، ولكن أحمد ما أخرجه في مسنده بهذا اللفظ، وقد أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٥) «المستدرك» (٣/ ١٠٦).
(٦) «مسند أحمد» (١/ ٧٣) رقم: (٥٣٦).




مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]

شروط الخلافة:

• أما **شروط الخلافة**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الملك بن عمير عن عمارة بن رويبة عن **علي بن أبي طالب** رضي الله عنه، قال: سمعتْ أذناي ووعاه قلبي عن رسولِ اللهِ ﷺ: «**الناسُ تبعٌ لقريشٍ، صالحُهم تبعٌ لصالحِهم، وشرارُهم تبعٌ لشرارِهم**»[2].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عليٍّ** أنَّ رسول الله ﷺ خطب الناسَ ذات يوم، فقال: «**ألا إنَّ الأمراءَ من قريشٍ، ألا إنَّ الأمراء من قريشٍ، ألا إنَّ الأمراءَ من قريشٍ، ما أقاموا بثلاثٍ: ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا**

---

(١) هو: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه، حكيم الإسلام وخطيبه وفارسه، ووارثُ رسول الله ﷺ في الأدب والبلاغة والعلم بلا خلاف، وإمامته في ذلك لم تنازعْ قط، أخطبُ المسلمين، وإمام المنشئين، وأحد أصحاب الأساليب والمذاهب في الإنشاء، وآثاره الأدبية من خطب وكتب وحكم ـ ما صحّ منها ـ جمال اللغة العربية وبدائع النثر العربي وموضوع دراسة الأديب والباحث، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربّي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك، ومناقبه كثيرة، حتى قال الإمام أحمد: لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي، قال غيره: كان سبب ذلك بغض بني أمية له، فكان كل من كان عنده علم من شيء من مناقبه من الصحابة يثبته، ووضع له الرافضة مناقب موضوعة هو غني عنها، روى عن النبي ﷺ كثيراً، روى عنه من الصحابة ولده الحسن والحسين وابن مسعود وأبو موسى وابن عباس وغيرهم، توفي شهيداً سنة ٤٠هـ. انظر للتفصيل: «الإصابة» (٢/ ٥٠٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٠١) رقم: (٧٩٠).

فوفوا، وما استُرحموا فرحموا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين»[١].

❁ بيان علي ﵁ لأفضلية الشيخين:

• وأما بيانه ﵁ لأفضلية الشيخين، فقد ثبت بالتواتر مرفوعاً وموقوفاً، مهما يكن هذا مذهبُ جميع أهل الحق، لكن لم يُبيّنه أحد من الصحابة أصرح وأحكم من علي بن أبي طالب ﵁، أما مرفوعه فحديث أبي بكر وعمر: «**سيدا كهول أهل الجنة**»[٢]، روي بطرق متعددة عنه، ومن طريق الشعبي عن الحارث عن علي.

• أخرج **الترمذي** وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «**أبو بكر وعمر سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ما خلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي**»[٣].

• **ومن طريق ولد الحسن بن علي:**

• أخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند» عن **الحسن بن زيد** بن حسن قال: حدثني أبي عن أبيه عن علي ﵁، قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر ﵄، فقال: «**يا عليُّ! هذان سيدا كهولِ أهل الجنة وشبابِها بعدَ النبيين والمرسلين**»[٤].

• **ومن طريق ولد حسين بن علي:**

• أخرج **الترمذي** عن الزهري عن **علي بن الحسين** عن علي بن

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ٤٢٥) رقم: (٥٦٤).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» رقم: (٣٦٦٥)، وابن ماجه في «سننه» رقم: (٩٥).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٦)، «سنن ابن ماجه» رقم: (٩٥).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ٨٠) رقم: (٦٠٢).

أبي طالب قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ إذ طلع أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهل الجنّةِ من الأولين والآخرين إلّا النبيين والمرسلين، يا عليُّ! لا تخبْرهما**»[١].

● **وقد وافق علياً رضي الله عنه غيره من الصحابة:**

● فقد أخرج **الترمذي** عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ**»[٢].

● وأخرج **ابن ماجه** عن [عون بن] أبي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ**»[٣].

● ومن موقوفه: «**خيرُ هذه الأمة أبو بكر ثم عمر**»[٤]، وروى ذلك جمعٌ كثير[٥]:

● فمن رواية ابنه **محمد ابن الحنفية** عنهم:

أخرج **البخاري وأبو داود** من طريق سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى عن **محمد ابن الحنفية** قال: قلتُ لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعد رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم مَنْ؟ قال: ثم

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٥).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٤).
(٣) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٠).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» بلفظ: «**خير هذه الأمّة بعد نبيّها أبو بكر وعمر**» (٢/ ٢٢٤) رقم: (٨٨٠).
(٥) قد رواه عن عليّ بضعة وثمانون نفساً كما صرَّح به المؤلف الدهلوي رحمه الله تعالى في الفصل الثامن من هذا المقصد، وصرَّح به شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السُّنَّة» (٧/ ٢٨٤) كما قد مضى ذكره.

عمر، وخشيتُ أنَ يقول: عثمان، قلت: ثم أنتَ؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين[١].

• ومن رواية عبد الله بن سلمة عنه:

• أخرج ابن ماجه عن **عبد الله بن سلمة** قال: سمعتُ علياً يقول: خيرُ الناسِ بعد رسولِ اللهِ ﷺ أبو بكر، وخيرُ الناسِ بعد أبي بكر عمرُ[٢].

• **ومن رواية علقمة بن قيس:**

• أخرج أحمد[٣]:

• ومن رواية **عبد الخير صاحب لواء علي عنه**، وفي طرقها العدد:

فقد روى عنه حبيب بن أبي ثابت عن عبد خير الهمداني، قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول على المنبر: ألا أخبرُكم بخيرِ هذه الأمةِ بعد نبيِّها، قال: فذكرَ أبا بكر، ثم قال: ألا أخبركم بالثاني، قال: فذكرَ عمرَ رضي الله عنه، ثم قال: لو شئتُ لأنبأتُكم بالثالثِ قال: وسكتَ فرأينا أنه؛ يعني: نفسَه، فقلتُ: أنتَ سمعتَه يقول هذا، قال: نعم وربِّ الكعبةِ وإلا صُمَّتا[٤].

وروى عطاء؛ يعني: ابن السائب عن عبد خير عن **علي** رضي الله عنه قال: ألا أخبرُكم بخيرِ هذه الأمةِ بعد نبيِّها ﷺ: أبو بكر، ثم خيرها بعد أبي بكر عمر رضي الله عنه، ثم يجعل اللهُ الخيرَ حيثُ أحبَّ[٥].

وروي عن المسيب بن عبد خير عن أبيه قال: قام علي فقال: خير

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧١)، «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٩).

(٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٦). (٣) في «مسنده» (٢/ ٣١١) رقم: (١٠٥١).

(٤) «مسند أحمد» (١/ ١١٣) رقم: (٩٠٩) وإسناده قويّ.

(٥) «مسند أحمد» (١/ ١٢٥) رقم: (١٠٣٠).

هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر، وإنّا قد أحدثنا بعدَهم أحداثاً يقضي الله تعالى فيها ما شاء[١].

وعن أبي إسحاق عن عبد خير عن علي: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر وعمر[٢].

• ومن رواية **أبي جحيفة** عنه وفي طرقها العدد:

• عن عاصم بن أبي النجود عن زرّ ـ يعني: ابن حبيش ـ عن **أبي جحيفة** قال: سمعتُ علياً رضي الله عنه يقول: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد نبيِّها؟ أبو بكر، ثم قال: ألا أخبركم بخير هذه الأمة بعد أبي بكر؟ عمر[٣].

• وعن الشعبي قال: حدّثني أبو جحيفة ـ الذي كان علي يُسمِّيه وهب الخير ـ قال: قال علي رضي الله عنه: يا أبا جحيفةُ ألا أخبرُك بأفضل هذه الأمة بعد نبيِّها، قال: قلت: بلى، قال: ولم أكن أرَ أنَّ أحداً أفضلَ منه، قال: أفضلُ هذه الأمة بعدَ نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر رضي الله عنهما، وبعدهما آخر ثالث ولم يسمِّه[٤].

• عن أبي إسحاق عن **أبي جحيفة** قال: قال علي رضي الله عنه: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، وبعد أبي بكر عمر رضي الله عنه، ولو شئت[٥] أخبرتكم بالثالث[٦].

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١١٥) رقم: (٩٢٦).
(٢) «مسند أحمد» (١/ ١١٥) رقم: (٩٣٢).
(٣) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٣).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٥).
(٥) والثالث هو عثمان بن عفان رضي الله عنه كما سيأتي في رواية الحسن بن علي بن أبي طالب.
(٦) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٦).

• وعن عون بن **أبي جحيفة** قال: كان أبي من شُرَطِ علي ﷺ، وكان تحت المنبر، فحدَّثني أبي أنه صعد المنبر؛ يعني: علياً ﷺ، فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلّى على النبيِّ ﷺ وقال: خيرُ هذه الأمةِ بعدَ نبيِّها أبو بكر، والثاني عمر ﷺ، وقال: يجعل الله تعالى الخيرَ حيثُ أحبَّ[1].

• عن سُفْيَان عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ رَجُلٍ عَنْ عَلِيٍّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمَ الْجَمَلِ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَعْهَدْ إِلَيْنَا عَهْداً نَأْخُذُ بِهِ فِي إِمَارَةٍ، وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ رَأَيْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِنَا، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ـ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ، ثُمَّ اسْتُخْلِفَ عُمَرُ ـ رَحْمَةُ اللهِ عَلَى عُمَرَ ـ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَّانِهِ[2].

• ومن رواية مسعر بن كدام عن عبد الملك بن ميسرة عن النزَّال بن سبرة عن علي، قال: خير هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر ثم عمر، أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب»[3].

ومن موقوفه أيضاً: سبق رسول الله ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلَّث عمر[4].

• أخرج **الحاكم** عن **قيس الحارثي**[5] قال: سمعتُ عليّاً ﷺ يقول: سبقَ رسولُ اللهِ ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ،

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١٠٦) رقم: (٨٣٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ١١٤) رقم: (٩٢١)، وقد ورد مثل هذا الكلام عن عليٍّ في شأن عمر بن الخطاب في «نهج البلاغة» في القسم الثاني (ص٢٥٣) أيضاً.

(٣) (١/ ٢٩٧)، رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧)، رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٥) في الأصل: «المحاربي»، وهو تحريف.

ويعفو الله عمن يشاء[١].

• وعن الشعبي عن **أبي وائل** قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلف علينا؟ قال: ما استخلف رسول الله ﷺ، فأستخلف؟ ولكن إن يردِ اللهُ بالناسِ خيراً فسيجمعهم بعدي على خيرهم[٢].

• ومن موقوفه المشتمل على المرفوع ما أخرج **البخاري** وغيره عن **ابن أبي مليكة** أنه سمع ابن عباس يقول: وُضع عمرُ على سريره، فتكنَّفه الناس يدعون ويُصلُّون قبل أن يرفعَ، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي، فإذا علي بن أبي طالب، فترحَّم على عمر وقال: ما خلَّفْتُ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايمُ اللهِ إن كنتُ لأظنُّ أنْ يجعلَكَ اللهُ مع صاحبيك، وحسبتُ أني كنتُ كثيراً أسمع النبي ﷺ يقول: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»[٣].

• وأخرج **أحمد** عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنه قال: وُضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر والقبر، فجاء عليٌّ رضي الله عنه حتَّى قام بين يدي الصفوف فقال: هو هذا ثلاث مرات، ثم قال: رحمةُ الله عليك، ما مِنْ خلقِ اللهِ تعالى أحبُّ إليَّ مِنْ أن ألقاه بصحيفته بعد صحيفة النبيِّ ﷺ من هذا المسجَّىٰ عليه ثوبُه[٤].

• وأخرج **أحمد** عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه قال: كنتُ عند عمرَ رضي الله عنه وهو مسجًّى ثوبه، قد قضى نحبَه، فجاء عليٌّ رضي الله عنه فكشفَ الثوبَ عن وجهه ثم قال: رحمةُ اللهِ عليك أبا حَفْصٍ! فواللهِ ما بقي بعد

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧١). (٢) «المستدرك» (٣/ ٨٤).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٥).
(٤) «مسند أحمد» (١/ ١٠٩) رقم: (٨٦٦).

رسولِ اللهِ ﷺ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله تعالى بصحيفته مِنْكَ[١].

• وأخرج **الحاكم** عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن **جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما أنَّ علياً دخلَ على عُمَرَ وهو مسجًّى، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أن ألقى الله بما في صحيفته من هذا المسجَّى[٢].

• وأخرج **محمد** في «كتاب الآثار» عن أبي حنيفة عن **محمد بن علي** مرسلاً[٣] نحواً من ذلك[٤].

۞ بيان أنَّ من يفضِّل عليّاً على الشيخين فهو مبتدع ومستحق للتعزير:

• وأما **بيان أنَّ من يفضله على الشيخين مبتدعٌ ومستحق** للتعزير:

• فقد أخرج **أبو عمر** في «**الاستيعاب**» عن الحكم بن حجل قال: قال علي رضي الله عنه: لا يُفضِّلني أحدٌ على أبي بكر وعمر إلّا جلدته حدّ المفتري[٥].

• قال **أبو القاسم الطلحي**[٦] في «**كتاب السُّنَّة**» له: أخبرنا أبو

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ١٠٩) رقم: (٨٦٧).

(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٠).

(٣) هو: أن يحذف التابعيُّ مَنْ روى عنه من الصحابة الحديث، ويقول: قال رسول الله ﷺ كذا، والمرادُ بمحمّد بن علي هو الإمام الباقر.

(٤) «كتاب الآثار» (ص١٩١) رقم: (٨٦٩)، وأخرجه أبو يوسف أيضاً في «كتاب الآثار» (٢/ ٤٧٩).

(٥) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٦) هو: الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، أبو القاسم، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ثم الطلحي الأصبهاني، المتوفى ٥٣٥هـ، «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٨٠).

بكر بن مردويه قال: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا الحسن بن منصور الرماني، حدثنا داود بن معاذ، حدثنا أبو سلمة العتكي عبد الله بن عبد الرحمٰن عن سعيد بن أبي عروبة عن منصور بن المُعْتَمِر عن **علقمة** قال: بلغ علياً أن أقواماً يُفضِّلونه على أبي بكر وعمر، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناسّ! إنّه بلغني أنَّ قوماً يُفضِّلوني على أبي بكر وعمر، ولو كنتُ تقدَّمت فيه لعاقبتُ منه، فمن سمعته بعدَ اليومِ يقول هذا فهو مفترٍ، عليه حدّ المفتري، ثم قال: إنَّ خيرَ هذه الأمة بعدَ نبيِّها أبو بكر، ثم عمر، ثم الله أعلمُ بالخير بعدُ، قال: وفي المجلس الحسن بن علي فقال: والله لو سمّى الثالث لسمَّى عثمان[١].

• وأخرج **أبو القاسم** عن **عبد خير** صاحب لواء علي أنَّ علياً قال: ألا أخبركم بأوَّلِ من يدخل الجنة من هذه الأمة بعد نبيِّها، فقيل له: بلى يا أميرَ المؤمنين! قال: أبو بكر، ثم عمر، قيل: فيدخلانها قبلكَ يا أمير المؤمنين! فقال علي: إيْ والذي فلقَ الحبَّة، وبرأ النسمة ليدخلانها وإني لمع معاوية موقوفٌ في الحساب[٢].

❁ الدلالة على بشارتهما بالجنة:

• **ومما يدلّ على بشارتهما بالجنة من حديثه:**

• أخرج البخاريُّ من حديث الحسن بن محمد بن علي أنه سمع عبيد الله بن أبي رافع كاتب علي عن علي أنَّ النبيَّ ﷺ قال في قصّة حاطب بن أبي بلتعة: «**إنّه شَهِدَ بدراً وما يدريكَ؟ لعلَّ الله ﷻ اطلعَ على أهلِ بَدْرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم فَقَدْ غفرتُ لكم**»[٣].

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٧٠). (٣) «صحيح البخاري» رقم: (٤٨٩٠).

۞ الدلالة على كونهما من السابقين المقرّبين:

• ومما يدلّ على كونهما من السابقين المقرَّبين من حديثه:

• أخرج **الترمذي** عن **عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ** قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ ـ أَوْ نُقَبَاءَ**[١] **ـ وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ**»، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**أَنَا وَابْنَايَ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلالٌ، وَسَلْمَانُ، وَالْمِقْدَادُ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَمَّارٌ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُود**»[٢].

۞ الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة معاملة النبي ﷺ:

• وأما الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة أنه ﷺ كان يعامل الشيخين معاملة ولي العهد، فمن حديثه:

• فقد أخرج **الحاكم**[٣] عن أبي إسحاق عن زيد بن يسمع عن **علي** رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! من يؤمّر بعدك، قال: إن تؤمِّروا أبا بكر رضي الله عنه تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمّروا عمر رضي الله عنه تجدوه قوياً أميناً لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، وإن تؤمّروا عليّاً رضي الله عنه ولا أراكم فاعلينَ تجدوه هادياً مهديّاً يأخذ بكم الطريق المستقيم.

۞ الاستدلال على خلافة الشيخين من جهة التعريض الجلي:

وأما الاستدلال بحديثه على خلافة الشيخين على وجه التعريض الجلي من حديثه:

---

(١) في الأصل الفارسي: «ورقباء» مكان «أو نقباء».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٨٥).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٣)، ولكن فيه: «إن تولّوا» مكان «إن تؤمِّروا»، وانظر: «مسند أحمد» (١/ ١٠٨) رقم: (٨٥٩).

فقد أخرج **الترمذي** من حديث **أبي حِبّان التيمي** عن أبيه عن علي قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رحمَ اللهُ أبا بكر زوَّجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتقَ بلالاً من ماله، رحمَ اللهُ عمرَ يقولُ الحقَّ وإن كان مُرّاً، تَرَكَه الحقّ وما له صديق، رحمَ اللهُ عثمانَ تستحييه الملائكةُ، رحمَ الله عليَّاً، اللَّهُمَّ أدرِ الحقَّ معه حيثُ دار**»[١].

۞ الاستدلال على خلافة الصدِّيق من جهة تفويض إمامة الصلاة إليه:

● وأما الاستدلال على خلافة الصدِّيق من جهة تفويض إمامة الصلاة إليه:

● فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن الحسن البصري عن **قيس بن عبادة**، قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالب: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرضَ ليالي وأياماً يُنادَىٰ بالصلاة، فيقولُ: «**مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناس**»، فلمّا قبضَ رسولُ اللهِ ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر[٢].

۞ ثناء علي رضي الله عنه على الصدِّيق بعد موته:

● وأما ثناؤه على الصدِّيق بعد موته فقد ذكر أبو عمر في ترجمة أَسيد بن صفوان أنَّه أدرك النبيَّ ﷺ، وروى عن علي كرَّم الله وجهه حديثاً حسناً في ثنائه على أبي بكر يوم مات، ورواه عمر بن إبراهيم بن خالد عن عبد الملك بن عمير عن أسيد بن صفوان وكان قد أدرك النبيَّ ﷺ قال: لمّا قُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه وسُجِّيَ بثوبٍ ارتجت المدينة

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٤).

(٢) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

بالبكاءِ، ودُهِشَ القومُ كيوم قُبض رسول الله ﷺ، فأقبل عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً باكياً مسترجعاً حتَّى وقفَ على بابِ البيت، فقال: رحمكَ الله يا أبا بكر! وذكرَ الحديث بطوله[١].

ثم وجدت هذا الحديثَ في «**الرياض النضرة**» وهذا لفظه: عن **أسيد بن صفوان** وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: لمّا قُبض أبو بكر فسُجِّي عليه، وارتجّت المدينة بالبكاءِ عليه كيوم قُبض رسول الله ﷺ، فجاء عليٌّ مسترجِعاً وهو يقول: اليومَ انقطعت خلافةُ النبوّة، حتَّى وقف على باب البيتِ الذي فيه أبو بكر وهو مسجًّى، فقال: يرحمك الله يا أبا بكر! كنت إلفَ رسولِ اللهِ ﷺ وأنسِه ومستراحِه[٢] وثقتِهِ، وموضع سرّه ومشاورته، كنتَ أوّل القومَ إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدّهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم غناء في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأحدبهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبةً، وأكثرهم مناقبَ، وأفضلهم سوابقَ، وأرفعهم درجةً، وأقربهم وسيلةً، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسَمتاً ورحمةً وفضلاً، وأشرفهم منزلةً، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيراً، كنت عنده بمنـزلة السمع والبصر، صدَّقت رسول الله ﷺ حين كذَّبه الناس، فسمَّاكَ الله عز وجل في تنزيلِه صدِّيقاً، فقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣]، الذي جاء بالصدق محمد ﷺ، وصدَّق به أبو بكر، واسيته حين بخلوا، وقمتُ به عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدّة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة والوقار، ورفيقه في الهجرة.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣١).

(٢) في الأصل الفارسي: «ومسترجعه» هو تحريف.

خلفته في دين الله وأمته أحسنَ الخلافة حين ارتدّ الناس، وقمتَ بالأمر ما لم يقم به خليفةُ نبيٍّ، فنهضتَ حين وهن أصحابُكَ، وبرزتَ حين استكانوا، وقويتَ حين ضعفوا، ولزمتَ منهاجَ رسول الله ﷺ إذ همّوا، كنتَ خليفةً حقّاً، لم تُنَازَع، ولم تُصدَعِ برغم المنافقين، وكبتِ الكافرين، وكره الحاسدين، وغيظ الباغين. وقمتَ بالأمر حين فشلوا، وثبتَّ حين تتعتعوا[١]، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتّبعوك فهُدوا.

وكنتَ أخفضهم صوتاً، وأعلاهم فَوْقاً، وأمثلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأطولهم صمتاً، وأبلغهم قولاً، وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً.

كنتَ واللهِ للدين يعسوباً[٢]، أولاً حين نفر عنه الناس، وآخراً حين أقبلوا، كنتَ للمؤمنين أباً رحيماً، حتَّى صاروا عليك عيالاً، فحملتَ أثقال ما ضعفوا، ورعيتَ ما أهملوا، وحفظتَ ما أضاعوا، وعلمتَ ما جهلوا، وشَمَّرتَ إذ خفضوا، وصبرتَ إذ جزعوا، فأدركتَ أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صبّاً ولهباً، وللمؤمنينَ رحمةً وأنساً وحصناً، فَطِرْتَ واللهِ بعُبَابها، وفزتَ بِحُبابِها[٣] وذهبتَ بفضائلها، وأدركتَ سوابِقها، لم تَفْلُلْ حجتُك، ولم تَضْعُفْ بصيرتُك، ولم تَجْبُنْ نفسُك، ولم يرغْ قلبْك، ولم تَحِرْ، كنتَ كالجبلِ الذي لا تحرِّكه القواصفُ، ولا تزيلُه العواصف، وكنتَ كما قال رسول الله ﷺ: «**أمنّ الناسِ علينا في صحبتِكَ وذاتِ يدك**»، وكنتَ ـ كما قال ضعيفاً في بدنِكَ ـ

---

(١) **التتعتع**: أي: التردد.

(٢) أي: ملكة النحل، ومنه قيل للسيد: يعسوب.

(٣) في الأصل الفارسي: «بغنائها وفزت بحبائها» هو تحريف.

قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين الناس، كبيراً في أنفسِهم، لم يكن لأحدٍ فيك مغمزٌ، ولا لقائلٍ فيك مهمزٌ، ولا لأحد فيك مطمعٌ، ولا لمخلوقٍ عندك هوادةٌ، الضعيفُ الذليلُ عندك قويٌّ عزيزٌ حتَّى تأخذَ بحقِّه، والقوي عندك ضعيفٌ ذليلٌ حتَّى تأخذَ منه الحقّ، القريبَ والبعيدَ عندك في ذلك سواءٌ، أقربُ الناسِ إليك أطوعُهم للهِ وأتقاهم له، شأنك الحقُّ والصدقُ والرفقُ، قولك حَكَمٌ وحتمٌ، وأمرك حلمٌ وحزمٌ، ورأيك عِلْمٌ وعزمٌ، فأقلعتَ وقد نهجَ السبيلُ، وسهل العسيرُ، وأطفئتِ النِيرانُ، واعتدلَ بك الدينُ، وقويَ بك الإيمانُ، وثبتَ الإسلامُ والمسلمون، وظهرَ أمرُ الله ولو كره الكافرون، فسبقتَ واللهِ سبقاً بعيداً، وأتعبتَ مَنْ بعدَك إتعاباً شديداً، وفزتَ بالخيرِ فوزاً مبيناً، فجللتَ عن البكاء، وعظمتْ رزيُتك في السماء، وهدَّت مصيبتُكَ الأنام، فإنّا للهِ وإنا إليه راجعون.

رضينا عن الله قضاءَه، وسلّمنا له أمرَه، فواللهِ لن يصابَ المسلمون بعدَ رسولِ الله ﷺ بمثلك أبداً، كنتَ للدِّين عزّاً وحرزاً وكهفاً، وللمؤمنين فئةً وحصناً وغيثاً، وعلى المنافقين غلظةً وغيظاً، فألحقك الله بنبيِّك ﷺ، ولا حرمنا أجرك، ولا أضلَّنا بعدك، فإنّا للهِ وإنّا إليه راجعون، قال: وسكتَ الناسُ حتَّى انقضى كلامه، ثم بكوا حتَّى علت أصواتُهم، وقالوا: صدقتَ يا خِتْنَ رسول الله ﷺ![1].

❁ براءة عليٍّ من قتل عثمان رضي الله عنهما:

- أمّا تبرئته على نفسه مِنْ قَتْلِ عثمانَ، والشهادة على فضله:
- فقد أخرجَ **الحاكمُ** من طريقين من حديث هارون بن إسماعيل

---

(١) «الرياض النضرة» (١/١٢٨).

الخزاز، عن قرة بن خالد عن الحسن عن **قيس بن عباد** قال: سمعتُ عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أبرأُ إليك من دَمِ عثمان، ولقد طاشَ عقلي يومَ قُتِلَ عثمان، وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة، فقلتُ: واللهِ إنِّي لأستحيي مِنَ اللهِ أن أبايعَ قوماً قتلوا رجلاً قال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أستحيي ممّنْ تستحيي منه الملائكةُ**»، وإنِّي لأستحيي من الله أن أبايعَ وعثمانُ قتيلٌ على الأرضِ لم يُدفنْ بعدُ، فانصرفوا، فلمّا دفن، رجعَ الناسُ فسألوني البيعة، فقلتُ: اللَّهُمَّ إنِّي مشفِقٌ ممّا أقدمُ عليه، ثم جاءت عزيمةٌ فبايعت، فلقد قالوا: يا أميرَ المؤمنين! فكأنَّما صدعَ قلبي، وقلتُ: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لعثمانَ حتَّى ترضى(١).

• وأخرج **الحاكم** عن الأوزاعي، سمعت **ميمون بن مهران** يذكر أنَّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما يسرّني إن أخذتُ سيفي في قتل عثمان، وإنَّ لي الدُّنيا وما فيها(٢).

• وأخرج **الحاكم** عن إسماعيل بن أبي خالد عن **حصين الحارثي** قال: جاء عليٌّ بن أبي طالب إلى زيدِ بن أرقم رضي الله عنه يعوده، وعنده قوم، فقال علي: اسكنوا ـ أو اسكتوا ـ فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم، فقال زيدٌ: أنشدك الله، أنتَ قتلتَ عثمان؟ فأطرق علي ساعةً، ثم قال: والذي فلقَ الحبَّةَ، وبرأَ النسمةَ ما قتلتُه، ولا أمرتُ بقتله(٣).

❁ شهادة علي على أن عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا...

• وأما شهادته على عثمان بأنه من الذين ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾

---

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠١).
(٢) «المستدرك» (٣/ ١١٢).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١١٤).

﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّءَامَنُوا ثُمَّ ٱتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا...﴾ [المائدة: ٩٣]، وأنّه من أهلِ الجنّةِ ممّن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ...﴾ [الأعراف: ٤٣].

• فقد أخرجَ **الحاكم** من حديث **الحاطبي** عبد الرحمٰن بن محمد عن أبيه عن جده قال: لمّا كان يومُ الجملِ خرجتُ أنظر في القتلى، قال: فقام عليٌّ والحسنُ بن علي وعمّارُ بن ياسر ومحمّد بن أبي بكر وزيدُ بن صوحان يدورون في القتلى، قال: فأبصرَ الحسنُ بنُ علي قتيلاً مكبوباً على وجهه، فقلبه على قفاه، ثم صرخ، ثم قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة]، فرح قريش والله، فقال له أبوه: مَنْ هو يا بني؟ قال: محمّد بن طلحة بن عُبيد الله، فقال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، أما واللهِ لقد كان شاباً صالحاً، ثم قعدَ كئيباً حزيناً، فقال له الحسنُ: يا أبتِ! قد كنتُ أنهاكَ عن هذا المسير[1]، فغلبكَ على رأيك فلانٌ وفلانٌ، قال: قد كان ذاك يا بني! ولوددتُ أني مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة، قال محمد بن حاطب: فقمتُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إنا قادمون المدينةَ، والناسُ سائلونا عن عثمان، فماذا تقول[2] فيه؟ قال: فتكلَّم[3] عمار بن ياسر، ومحمد بن أبي بكر، فقالا وقالا، فقال لهما علي: يا عمار! ويا محمد! تقولان: إنَّ عثمانَ استأثر وأساء الإمرة، وعاقبتم واللهِ، فأسأتم العقوبةَ[4]، وسَتُقَدَّمُوْنَ على حَكَمٍ عدلٍ يحكم بينكم، ثم قال: يا محمّد بنَ حاطب! إذا قدمت المدينة وسُئلت عن عثمان، فقل: كان والله ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٢١٢]، ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا

(١) في الأصل الفارسي: «هذا السير»، لعله تصحيف.
(٢) في الأصل الفارسي: «نقول» هو تحريف.
(٣) في الأصل الفارسي: «فاغتم».
(٤) لا علاقة لهما بمؤامرة قتل عثمان ﷺ، لكن يستنبط من كلامهما الخلاف في بعض آرائه.

وَءَامَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢، المائدة: ١١، التوبة: ٥١][١].

• وأخرج **الحاكم** من حديث هارون بن **عنترة**[٢] عن أبيه قال: رأيت علياً رضي الله عنه بالخورنق[٣] وهو على سريره، وعنده أبان بن عثمان، فقال: إنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وأبوك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر][٤].

❁ ❁ ❁

(١) «المستدرك» (٣/ ١١١).

(٢) في الأصل الفارسي: «عنزة» وهذا تصحيف.

(٣) **الخورنق**: اسمُ قصرٍ بالعراق بناه النعمان الأكبر، وهو فارسيٌ معرّب، «مختار الصحاح» (ص١١٧)، و«معجم البلدان» (٢/ ٤٠١).

(٤) «المستدرك» (٣/ ١١٣).




من مسند أبي عبيدة بن الجراح(١) ومعاذ بن جبل(٢) رضي الله عنهما

• أمّا ما يستدلّ به من حديثهما على خلافتِهم الخاصّة من جهة وقوع خلافتِهم في مرتبةٍ سمَّاها النبيُّ ﷺ خلافةً ورحمةً:

• فقد أخرجَ **أبو يعلى** من حديث ليث، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن أبي ثعلبة الخشني، قال: كان أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل يتناجيان [بينهما] بحديث، فقلتُ لهما: ما حفظتُما وصية رسول الله ﷺ بي، قال: وكان أوصاهما بي، قالا: ما أردنا أن ننتجي بشيءٍ دونَكَ، إنَّما ذكرنا حديثاً حدَّثنا رسول الله ﷺ، فجعلا يتذاكرانه، قالا: إنّه بدأ هذا الأمرُ نبوةً ورحمةً، ثم كائنٌ خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ

---

(١) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح، هو مشهور بكنيته، وبعض أهل السير والتاريخ لم يذكروا بين عامر والجراح عبد الله، أحد العشرة السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً وما بعدها، وقال فيه النبي ﷺ: «**لكلِّ أمةٍ أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»، اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ، وقيل: سنة ١٧هـ وهو شاذ، وعاش ٥٨ سنة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٢٥٢).

(٢) هو: أبو عبد الرحمٰن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار، وشهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة، قال فيه النبيُّ ﷺ: «**أعلمهم بالحلال والحرام**»، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ، وقيل: ١٧هـ، والأول أصح، وكان عمره ثمانياً وثلاثين، وقيل: ثلاث، وقيل: أربع وثلاثين، وقيل: ثمان وعشرون وهذا بعيد. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤١٨).

مُلْكاً عضوضاً، ثم كائنٌ عُتوّاً وجبريةً وفساداً في الأمة، يستحلّون الحريرَ والخمورَ والفروجَ والفسادَ في الأرض[١]، يُنصرون على ذلك ويرزقون أبداً حتَّى يلقَوا الله[٢].

❁ استدلال أبي عبيدة على خلافة أبي بكر بسوابقه الإسلامية:

• وأمّا استدلال أبي عبيدة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه بسوابقه الإسلامية:

• فقد أخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن ابن عون عن محمد ـ يعني: ابن سيرين ـ في حديثٍ طويل، قال محمد: وأتى الناسُ عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح، فقال: أتأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثة؛ يعني: أبا بكر؟ قال ابنُ عون: فقلت لمحمّد: من ثالث ثلاثة؟ قال: فوالله: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠][٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل: «الأمة».
(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٧٧) رقم: (٨٧٣).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٣).




ومن مسند عبد الرحمٰن بن عوف[(١)] رضي الله عنه

❁ بشارة العشرة بالجنة:

أما حديثه في بشارة العشرة بالجنة:

• فقد أخرج **أبو يعلى**: حدَّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدَّثنا عبد العزيز بن محمد عن عبد الرحمٰن بن حميد عن أبيه عن **عبد الرحمٰن بن عوف** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عشرةٌ في الجنّةِ: أبو بكر في الجنّةِ، وعمرُ في الجنّةِ، وعثمانُ في الجنّةِ، وعليٌّ في الجنّةِ، وطلحةُ في الجنّةِ، والزبيرُ في الجنَّةِ، وعبدُ الرحمٰن بن عوف في الجنّةِ، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنّةِ، وسعيد بن زيد بن عمرو في الجنّةِ، وأبو عبيدة بن الجرّاح في الجنّةِ**»[(٢)].

❁ رأي عبد الرحمٰن في خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

وأما رأيه في خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

---

(١) كنيته أبو محمد، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر عن رسول الله ﷺ: أنّه توفي وهو عنهم راضٍ، ولد بعد الفيل بعشر سنين، أسلم قديماً قبل دخول دار الأرقم، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً، وسائر المشاهد، روى عن النبي ﷺ وعن عمر، وروى عنه أولاده إبراهيم وحميد وعمر ومصعب وأبو سلمة، وابن ابنه المسور بن إبراهيم وابن أخته المسور بن المخرمة وابن عباس وابن عمر وغيرهم. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٤١٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٤٧) رقم: (٨٣٥).

• فقد أخرج **الحاكم** عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف: أن **عبد الرحمٰن بن عوف** كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنَّ محمد بن مسلمة كسرَ سيفَ الزُّبير، ثم قام أبو بكر فخطبَ الناس، واعتذرَ إليهم، وقال: واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط، ولا كنتُ فيها راغباً، ولا سألتُها اللهَ عز وجل في سرٍّ ولا علانية، ولكنّي أشفقتُ من الفتنة، وما لي في الإمارةِ من راحةٍ، ولكن قُلِّدتُ[1] أمراً عظيماً ما لي به من طاقةٍ، ولا يد[2] إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددتُ أنَّ أقوى الناس عليها مكاني اليوم، فقبل المهاجرون منه ما قال، الحديث[3].

❁ رأيه في خلافة عثمان رضي الله عنه:

• وأمّا رأيه في خلافة عثمان، فقد أخرج **البخاري** في قصة مقتل عمر والاتفاق على عثمان: فلما فُرِغَ من دفنه اجتمعَ هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف، فقال عبدُ الرحمٰن: أيُّكما تبرأَ من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه؟ فأُسْكِتَ الشيخان، فقال عبدُ الرحمٰن: أفتجعلونه إليَّ؟ والله عليَّ أنْ لا آلو عن أفضلِكم، قالا: نعم، فأخذَ بيد أحدهما[4]، فقال: لك قرابةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ والقدمُ في الإسلام ما قد علمتَ، فالله عليك، لئن أمَّرتُكَ لتعدلنَّ، ولئن أمّرتُ عثمانَ لتَسمعنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا

---

(١) في الأصل الفارسي: «أقللت».
(٢) في الأصل الفارسي: «ولا يدان».
(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٠).
(٤) هناك القصة أكثر من ذلك. انظر: «الكامل في التاريخ» (٢/ ٤٥٩).

بالآخر، فقال له مثل ذلك، فلمَّا أخذ الميثاقَ قال: ارفع يدك يا عثمانُ فبايَعه، فبايعَ له عليٌّ، وولجَ أهل الدار فبايعوه[١].

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٧٠٠).




ومن مسند الزبير بن العوّام[(١)] رضي الله عنه

❁ رجوعه إلى القول بخلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد توقّف:

• أمّا رجوعه إلى القول بخلافة أبي بكر بعد توقُّف ما، والقول بفضله واستحقاقه للخلافة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف في حديث طويل، فقبل المهاجرون منه ما قال وما اعتذر به، قال علي رضي الله عنه والزبير: ما غضبنا إلّا لأنّا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، إنه لصاحِبُ الغار، وثاني اثنين، وإنّا لنعلم بشرفه وكبره، ولقد أمّره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيٌّ[(٢)].

❁ ❁ ❁

---

(١) هو: أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، فهو ابن عمة رسول الله ﷺ، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان إسلامُه بعد أبي بكر رضي الله عنه بيسير، كان رابعاً أو خامساً في الإسلام، هاجر إلى الحبشة والمدينة، قال رسول الله ﷺ فيه: «**إنَّ لكلِّ نبيٍّ حوارياً وحواريّ الزُّبَيْرُ بن العوامُ**» شهدَ المشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ: أُحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، والفتح، وحنيناً، والطائف، وشهد فتح مصر، وجعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده وقال: هم الذين توفي رسول الله وهو عنهم راضٍ، وشهد الزبيرُ الجملَ مقاتلاً لعلي، وكان قتله يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الأولى من سنة ٣٦هـ، وكان عمره لما قتل ٦٧ سنة، وقيل: ٦٦ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٩٧).

(٢) «المستدرك» (٣/ ٧٠).




ومن مسند طلحة بن عبيد الله[١] رضي الله عنه

❁ ثناؤه على عمر رضي الله عنه:

أما ثناؤه على عمر رضي الله عنه فذكر **المحب الطبري** عن **ابن مسعود** رضي الله عنه أنَّ عمر شاور الناسَ في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند، فقامَ طلحةُ بن عبيد الله، وكان من خطباء الصحابة، فتشهَّد ثم قال: أما بعد، يا أميرَ المؤمنين! فقد أحكمتك الأمور، وعجنتك البلايا، وأحنكتك التجارب، فأنتَ وشأنك، وأنتَ ورأيك، إليكَ هذا الأمر، فمرنا نطعْ، وادعُنا نجِبْ، واحملنا نركبْ، وقُدنا نَنْقَد، فإنّكَ وليُّ هذه الأمور، وقد بَلَوْتَ واخْتَبَرْتَ وجَرَّبْتَ فلم ينكشف لك عن شيء من عواقب قضاء الله عز وجل إلا عن خيار، ثم جلس[٢].

---

(١) هو: أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي، يُعرف بطلحة الخير وطلحة الفياض، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أصحاب الشورى، ولم يشهد بدراً؛ لأنه كان بالشام، فقدم بعد رجوع النبي ﷺ من بدر، وشهد أُحداً وما بعدها من المشاهد، وبايع بيعة الرضوان، وأبلى يوم أُحد بلاءً عظيماً، قتل طلحةُ يومَ الجمل، وكان شهدَ ذلك اليوم محارباً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وكان سببُ قتل طلحة أنَّ مروان بن الحكم رماه بسهم في ركبته، وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ٣٦هـ، وكان عمره ٦٠ سنة، وقيل: ٦٢ سنة، وقيل: ٦٤ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٤٦٧).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٣٠٣).

۞ حديثه في فضل عثمان:

• وأما حديثه في فضل عثمان، فقد أخرج **الحاكم** عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: شهدت عثمان يوم حصر في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحة! أتذكر يوم كنتَ أنا وأنتَ مع رسولِ اللهِ ﷺ في مكان كذا وكذا؟ وليس معه من أصحابه غيري وغيرك، فقال لك: «**يا طلحةُ! إنّه ليسَ من نبيٍّ إلا وله رفيقٌ من أمته معه في الجنّة، وإنَّ عثمانَ رفيقي ومعي في الجنّةِ**»، فقال طلحة: اللَّهُمَّ نعم[1].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **طلحة** بن عبيد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ ورفيقي عثمانُ**»[2].

۞ ۞ ۞

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٨) رقم: (٦٦٥).




ومن مسند سعد بن أبي وقّاص[١] رضي الله عنه

۞ فرار الشيطان من عمر:

• أما حديث: «**ما لقيك الشيطان...**» إلخ، فقد أخرج **مسلم** من حديث ابن شهاب: أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره أن أباه **سعداً** قال: استأذن عمرُ على رسول الله ﷺ وعنده نساءٌ من قريشٍ يكلّمنه ويستكثرنه، عاليةٌ أصواتهن، فلمّا استأذنَ عمرُ قمن يبتدرنَ الحجابَ، فأذن له رسولُ اللهِ ﷺ، ورسولُ اللهِ ﷺ يضحكُ، فقال عمرُ رضي الله عنه: أضحكَ الله سنَّكَ يا رسولَ اللهِ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عجبتُ من هؤلاءِ اللاتي كنَّ عندي، فلمّا سمعنَ صوتَكَ ابتدرنَ الحجابَ**»، قال عمر: فأنتَ يا رسولَ اللهِ! أحقّ أن يهبنَ، ثم قال عمر: أيْ عدوَّاتِ أنفسهنَّ! أتهبنَني ولا تهبنَ رسول الله ﷺ؟ قلن: نعم، أنتَ أغلظُ وأفظُّ من رسولِ اللهِ ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ما لقيكَ الشيطانُ قط سالكاً فجّاً إلا سلك فجّاً غيرَ فجِّكَ**»[٢].

---

(١) هو: سعد بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري، أحد العشرة وآخرهم موتاً، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وروى عنه بنوه: إبراهيم، وعامر، ومصعب، وعمر، ومحمد، وعائشة، ومن الصحابة: عائشة، وابن عباس، وابن عمر، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وقيس بن أبي حازم وغيرهم، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو أحد الستة أهل الشورى، مات سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٦هـ، وقيل: ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٣).

(٢) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٦).

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث **أبي سلمة** قال: قال سعد: أما واللهِ ما كان بأقدمنا إسلاماً، ولا أقدمنا هجرةً، ولكن قد عرفتُ بأيِّ شيء فضلَنا، كان أزهدَنا في الدنيا؛ يعني: عمر بن الخطاب[١].

۞ منع سعد من الخروج على عثمان:

• أما منعه من الخروج على عثمان، فقد أخرج **أبو يعلى** عن بسر بن سعيد أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان: أشهدُ لسمعتُ رسول الله ﷺ قال: «**إنّها ستكونُ فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أرأيتَ إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال: «**كن كابن آدم**»[٢].

• وأخرج **أبو يعلى** من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص أن أباه حين رأى اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وتفرُّقهم اشترى له ماشيةً، ثم خرجَ فاعتزل فيها بأهله على ماءٍ [يقال له: قَلَهِّي[٣]]، قال: وكان سعدٌ أحدّ الناس بصراً، فرأى ذاتَ يوم شيئاً يزولُ، فقال لمن معه: ترون شيئاً؟ قالوا: نرى شيئاً كالطير قال: أرى راكباً على بعير، ثم جاء بعد قليل عمر بن سعد على بختي أو بختية، ثم قال: اللَّهُمَّ إنا نعوذُ بكَ من شرِّ ما جاء به، فسلَّم عمر ثم قال لأبيه: أرضيت أن تتبع أذناب هذه

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ١٤٩).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٩٥) رقم: (٧٥٠).

(٣) في الأصل الفارسي: «تلها» وهي تصحيف لما أثبتناه، قال ياقوت في «معجمه» (٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤): «قلهي بفتح أوله وثانيه وتشديد الهاء وكسرها: حفيرة لسعد بن أبي وقاص، بها اعتزل سعد بن أبي وقاص الناس لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأمر أن لا يحدث بشيء من أخبار الناس حتى يصطلحوا، وروي فيه: قَلَهَيَا».

الماشية بين هذه الجبال وأصحابك يتنازعون في أمر الأمة؟ فقال سعد بن أبي وقاص: سمعت رسول الله ﷺ: «**إنّها ستكونُ بعدي فتنٌ ـ أو قال: أمورٌ ـ خيرُ الناسِ فيها الغنيُّ الخفيُّ التقي**»، فإن استطعتَ يا بني! أن تكون كذلك فكن، فقال له عمر: أما عندك غير هذا؟ فقال له: لا يا بني! فوثب عمر ليركب، ولم يكن حطّ عن بعيره، فقال له سعد: أمهل حتَّى نُغَدِّيْكَ، قال: لا حاجة لي بغدائكم، قال سعدٌ: فنحلبَ لك فنسقيك، قال: لا حاجة لي بشرابكم، ثم ركب فانصرف مكانه[١].

❁ الخلافة في قريش:

● وأما ما يُستأنس به من حديثه على أنَّ الخلافةَ في قريشٍ، فقد أخرجَ **أبو يعلى** عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدْ هوانَ قريشٍ أهانَهُ اللهُ** ﷻ»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «مسند أبي يعلى» (٢/٩٣) رقم: (٧٤٩).
(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/١١٣) رقم: (٧٧٥).




ومن مسند سعيد بن زيد[(١)] رضي الله عنه

❁ بشارة العشرة بالجنة:

• أما حديثه في بشارة العشرة بالجنة، فقد أخرج **أبو يعلى** عن عبد الرحمٰن بن الأخنس قال: خطبنا المغيرة بن شعبة، فنال من علي، فقام **سعيد بن زيد**، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**النبيُّ في الجنة، وأبو بكر في الجنّةِ، وعمر في الجنّةِ، وعثمان في الجنّةِ، وعلي في الجنَّةِ، وطلحة في الجنّةِ، والزبير في الجنّةِ، وعبد الرحمٰن بن عوف في الجنّةِ، وسعد في الجنّةِ، ولو شئتُ أن أسمِّي العاشر، لسمَّيت**»[(٢)].

• وأخرج **الترمذي** عن عبد الرحمٰن بن حميد عن أبيه أن **سعيد بن زيد** حدَّثه في نفرٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**عشرةٌ في الجنّةِ: أبو بكر في**

(١) هو: أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو القرشي العدوي، وابن عمّ عمر بن الخطاب، وكان صهرَ عمر، زوجَ أخته فاطمة بنت الخطاب، أسلمَ قديماً قبل عمر بن الخطاب هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب، وهما كانا سبب إسلام عمر، وكان من المهاجرين الأولين، ولم يشهد بدراً، وضرب رسول الله ﷺ بسهمه وأجره، قال الواقدي: كان رسول الله ﷺ قد بعث قبل أن يخرج إلى بدر طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى طريق الشام يتجسَّسان الأخبار، ثم رجعا إلى المدينة، فقدماها يوم الوقعة ببدرٍ، فضرب لهما رسول الله ﷺ بسهمهما وأجرهما، توفي سعيد بن زيد سنة ٥٠هـ أو ٥١هـ، وهو ابن بضع وسبعين سنة، وقيل: توفي سنة ٥٨هـ، بالعقيق من نواحي المدينة، وقيل: توفي بالمدينة والأول أصح. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٢٣٥).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٢/ ٢٥٩) رقم: (٩٧١).

الجنّةِ، وعمر في الجنّةِ، وعثمان [في الجنّةِ[1]]، وعلي [في الجنّةِ[2]]، والزبير وطلحة وعبد الرحمٰن وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص»، قال: فعدّ هؤلاءِ التسعة، وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور! منِ العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة[3].

۞ كون أبي بكر صدِّيقاً وباقي الخلفاء شهداء:

وأما بيان أن أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداء، فقد أخرج **أبو يعلى** عن عاصم عن زر عن **سعيد بن زيد** قال: اختبأنا مع رسول الله ﷺ فوق حِرَاءَ، فلمّا استوينا رجفَ بنا، فضربَه رسولُ الله ﷺ بكفِّه ثم قال: **«اسكنْ حِرَاءُ فإنَّه ليس عليك إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**، وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وسعد، وعبد الرحمٰن، وسعيد بن زيد الذي حدَّث بالحديث[4].

• وأخرج **البخاري** عن قيس قال: سمعت **سعيد بن زيد** بن عمرو بن نفيل في مسجد الكوفة يقول: واللهِ لقد رأيتَني وإنَّ عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلمَ عمر، ولو أنَّ أُحُداً ارفضَّ للذي صنعتم بعثمانَ لكان[5].

۞ ۞ ۞

---

(١) زاد على الأصل الفارسي.

(٢) زاد على الأصل الفارسي.

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٤٨).

(٤) «مسند أبي يعلى» (٢/٢٥٩) رقم: (٩٧٠).

(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٣٨٦٢).




مسانيد المكثرين(١) من أصحاب النبي ﷺ

أوَّلها: مسند عبد الله بن مسعود(٢) رضي الله عنه

❁ بشارة الشيخين بالجنة:

• أما بشارة الشيخين بالجنة، فقد أخرج **الترمذي** عن عبد الله بن سلمة عن عبيدة السلماني عن **عبد الله بن مسعود** أنّ النبيَّ ﷺ، قال: «**يطلعُ عليكُم رجلٌ من أهلِ الجنّةِ**»، فاطلع أبو بكر، ثم قال: «**يَطْلُعُ عليكم رجلٌ من أهلِ الجنّة**»، فاطلع عمر(٣).

❁ أمر النبي ﷺ أمته بالاقتداء بالشيخين:

• وأما أمره ﷺ أمته بالاقتداء بهما، فقد أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث سلمة بن كَهْيَل عن أبي الزعراء عن **ابن مسعود** قال: قال

---

(١) **المكثرون**: الذين زاد حديثُهم على ألف، وهم ستة، ١ ـ أنس بن مالك، ٢ ـ وعبد الله بن عمر، ٣ ـ وأم المؤمنين عائشة، ٤ ـ وعبد الله بن عباس، ٥ ـ وأبو هريرة، ٦ ـ وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم، وزاد بعضهم: أبا سعيد الخدري رضي الله عنه. انظر: «فتح المغيث شرح ألفية الحديث» (٣/ ١٠٧).

(٢) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النبيَّ ﷺ، وكان صاحبَ نعليه، وحدَّث عن النبي ﷺ بالكثير، وعن عمر، وسعد بن معاذ، وروى عنه ابناه عبد الرحمن وأبو عبيدة وابن أخيه عبد الله بن عتبة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٦٩).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٤).

رسول الله ﷺ: «اقتدوا بالذين من بعدي من أصحابي أبي بكر وعمر واهتدوا بهدي عمّار، وتمسَّكوا بِعَهْدِ ابنِ مسعودٍ»[١].

۞ جعل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قول الخلفاء حجةً بعد حديث النبي ﷺ:

• وأما جعله قول الخلفاء إذا قضوا وأمضوا في ترتيب الأدلة بعد حديث النبي ﷺ وقبل القياس، فقد أخرج **الدارمي** عن سفيان عن **الأعمش**، عن عمارة بن عمير، عن حريث بن ظهير، عن **عبد الله بن مسعود** قال: أتى علينا زمانٌ لسنا نقضي ولسنا هنالك، وإنَّ اللهَ قد قدَّر من الأمرِ أن قد بلغنا ما ترونَ، فمن عُرِضَ له قضاءٌ بعد اليوم فليقض فيه بما في كتابِ الله عز وجل، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله، فليقض بما قضى به رسولُ اللهِ ﷺ، فإن جاءه ما ليس في كتاب الله ولم يقضِ به رسولُ اللهِ ﷺ فليقض بما قضى به الصالحون، ولا يقل: إنِّي أخافُ، وأنِّي أرى؛ فإنَّ الحرامَ بيِّنٌ والحلالَ بيِّنٌ، وبين ذلك أمورٌ مشتبِهَةٌ، فدعْ ما يَرِيْبُكَ إلى ما لا يَرِيْبُكَ[٢].

وأخرج **الدارمي** هذا الحديث من حديث شعبة بالإسناد المذكور وفيه: فإذا سئلتم عن شيءٍ فانظروا في كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله ففي سُنَّة رسول الله، فإن لم تجدوه في سُنَّةِ رسولِ اللهِ فما أجمعَ عليه المسلمون، فإن لم يكنْ فيما اجتمعَ عليه المسلمون، فاجتهد رأيك، ولا تقل: إنِّي أخافُ وأخشى، الحديث[٣].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٨٠٥)، و«المستدرك» (٣/ ٨٠).
(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٥).
(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٧٢) رقم: (١٦٨).

وأخرج **الدَّارمي** من حديث أبي عوانة وجرير كليهما[(١)] عن **الأعمش** نحواً من ذلك.

• وأخرج **الدَّارمي** من طريق **الأعمش** عن إبراهيم قال: قال **عبد الله**: كان عمر إذا سلكَ بنا طريقاً وجدناه سهلاً، فإنَّه قال في زوجٍ وأبوين: للزوجِ النصفُ وللأمِّ ثلثُ ما بقيَ[(٢)].

• وأخرج **الدَّارمي** من هذا الطريق أيضاً عن **عبد الله** قال: كان عمر إذا سلك بنا طريقاً اتبعناه فيه وجدناه سهلاً، وإنه قضى في امرأة وأبوين من أربعة، فأعطى المرأة الرُّبُع، والأمَّ ثُلُثَ ما بقي، والأبَ سهمين[(٣)].

قوله بأفضلية أبي بكر:

• أما قوله بأفضلية أبي بكر رضي الله عنه، فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود**: اجعلوا إمامَكم خيرَكم، فإنَّ رسولَ الله ﷺ جعلَ إمامَنا خيرَنا بعدَه[(٤)].

ثناؤه على عمر:

• وأما ثناؤه على عمرَ، وذكره سوابقَه، فقد أخرج **أبو عمر** عنه أنه قال: لأن أجلسَ مع عمرَ ساعةً خيرٌ عندي من عبادةِ سنةٍ[(٥)].

---

(١) لم يرو كلاهما عن الأعمش، بل يروي أبو عوانة عن سليمان وجرير عن الأعمش. انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٥).

(٢) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) رقم: (٢٨٦٥).

(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٤) رقم: (٢٨٧٢).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧) رقم الترجمة: (١٦٣٣)، وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أفضلكم» مكان «خيركم»، و«جعل أبا بكر إمامهم» مكان «جعل إمامنا خيرنا بعده».

(٥) «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) رقم الترجمة: (١٨٧٨)، ولفظه هكذا: «ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثقُ في نفسي من عمل سنة».

• وأخرج **الحاكم** من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطاب أو بأبي جهل بن هشام**»، فجعلَ اللهَ دعوةَ رسولِ اللهِ ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، فبنى عليه مُلْكَ الإسلام، وهَدَمَ به الأوثانَ[١].

• وأخرج **الحاكم** من طريق المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن **عبد الله** رضي الله عنه قال: واللهِ ما استطعنا أن نصلِّيَ عندَ الكعبةِ ظاهرينَ حتّى أسلمَ عمرُ[٢].

• وأخرج **الحاكم** من طريق سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن **ابن مسعود** رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزةً منذُ أسلمَ عمر[٣].

• وأخرج **الحاكم** عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: قال **عبد الله** رضي الله عنه: إنَّ أفرسَ الناسِ ثلاثةٌ: العزيزُ حين تفرَّسَ في يوسفَ، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ﴾، والمرأةُ التي رأتْ موسى عليه السلام، فقالت لأبيها: يا أبتِ! استأجره، وأبو بكر حين استخلفَ عمرَ رضي الله عنهما[٤].

• وأخرج **الحاكم** من طريق زهير عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: إن كان عمرُ حصناً حصيناً يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه، فلمَّا أصيبَ عمرُ انثلم الحصنُ، فالإسلام يُخْرَجُ منه ولا يُدْخَلُ فيه، إذا ذكر الصالحونَ فحيَّهلا بِعُمَرَ[٥].

حكايته لدفع عمر الأنصار عن الخلاف بحديث إمامة الصدِّيق:

• وأما حكايته دفع الأنصار بحديث إمامة الصدِّيق رضي الله عنه، فقد

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٩).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٤) «المستدرك» (٣/ ٩٦).
(٥) «المستدرك» (٣/ ١٠٠).

أخرج **الحاكم** عن عاصم عن زر عن **عبد الله** ﷺ قال: لما قُبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منّا أمير ومنكم أمير، قال: فأتاهم عمرُ ﷺ فقال: يا معشرَ الأنصار! ألستُم تعلمونَ أنَّ رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يؤمَّ الناسَ؟ فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر ﷺ؟ فقالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدَّمَ أبا بكر(١).

❁ استدلاله على خلافة الصدِّيق بالإجماع:

• وأما استدلاله على خلافة الصدِّيق بالإجماع، فقد أخرج **الحاكم** عن عاصم عن زر عن **عبد الله** قال: ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكرٍ ﷺ(٢).

❁ استدلاله على خلافة الصدِّيق بخطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته بخمس ليال:

• وأما استدلاله بخطبة النبي ﷺ قبل وفاته بخمس ليالٍ بمناقب الصدِّيق مما هو تعريض ظاهر على خلافته، وعلى هذه الطريقة اعتمد أبو عمر في «الاستيعاب»، فقد أخرج **مسلم** عن أبي الأحوص قال: سمعتُ **عبد الله بن مسعود** يحدِّث عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنّه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ اللهُ ﷻ صاحبَكم خليلاً»**(٣).

❁ ما يستدلّ به على خلافة الخلفاء:

• وأما ما يستدلّ به على خلافة الخلفاء الثلاثة من بيان المدة التي

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٠).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٨٣).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٣٣٨٣).

ضربها النبيُّ ﷺ لدوران رحى الإسلام ووقوع خلافتهم في تلك المدة، فقد أخرج **الحاكم** من طرق عن منصور عن ربعي بن حراش عن البراء بن ناجية قال: قال **عبد الله**: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ رحى الإسلامِ ستزولُ بعدَ خمسٍ وثلاثينَ، أو ستٍّ وثلاثينَ، أو سبعٍ وثلاثينَ سنة، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هلك، وإن بقيَ لهم دينُهم يَقُمْ سبعين**»، قال عمر رضي الله عنه: يا نبيَّ الله! بما مضى أو بما بقي؟ قال: «**لا، بل بما بقي**»[١].

• وروى **الحاكم** بأسانيدَ صحيحة من طرق متعددة أنَّ عثمان رضي الله عنه قُتِلَ في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة[٢].

۞ الاستدلال على خلافتهم بحديث القرون الثلاثة:

• وأما ما يستدلُّ به على خلافتهم من حديث القرون الثلاثة، فقد أخرج **أحمد** عن إبراهيم عن عبيدة عن **عبد الله** قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، [ثم الذين يلونهم[٣]]، ثم يأتي بعدَ ذلكَ قومٌ تسبِقُ شهاداتُهم أيمانَهم، وأيمانُهم شهاداتِهم**»[٤].

وبناء هذا الاستدلال على توجيه صحيحٍ بحيث تؤيِّده معظم الأحاديث، هو أنَّ المرادَ بالقرن الأول المدة بين زمن هجرة النبي ﷺ ووفاته، وبالقرن الثاني المدة من بداية خلافة الصدِّيق رضي الله عنه إلى وفاة عمر

(١) «المستدرك» (٣/ ١٠٨). (٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٢).

(٣) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط، وقد أحال المحقِّقُ الفاضل شعيب الأرنؤوط في هامش «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) رقم: (٣٥٩٤) في ورودها مرتين إلى مخطوط المكتبة الظاهرية برقم: (١٤).

(٤) «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) رقم: (٣٥٩٤).

الفاروق رضي الله عنه، وبالقرن الثالث عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكل قرن يشتمل على اثنتي عشرة سنة على التقريب، والقرن يستعمل في اللغة بمعنى القوم الذين هم مماثلون في السنِّ، ويستعمل أيضاً إذا كان للقوم الذين هم متشابهون في الرئاسة والخلافة يُطلقُ ذلك توسُّعاً، ويصدقُ أيضاً تغيّر القرن إذا وقع تغيّر الخليفة والوزراء والأمراء ورؤساء الجيوش والجنود والمحاربين والذميين.

قول عبد الله بن مسعود في خلافة عثمان:

• وأما قوله في خلافة عثمان، فقد أخرج **الحاكم** من حديث **الأعمش** عن عبد الله بن يسار[1] قال: جاءت بيعة عثمان رضي الله عنه، قال **عبد الله**: ما آلو عن أعلانا ذا فوق[2].

منعه من الخروج على عثمان:

• وأما منعه من الخروج على عثمان، فقد أخرجَ **أبو بكر بن أبي شيبة** عن أبي سعيد مولى **ابن مسعود** قال: قال **عبد الله**: لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفاً[3].

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل الفارسي: «عبد الله بن بشّار» وهو تصحيف.

(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٦٨٢).




ومن مسند عبد الله بن عمر[(١)] رضي الله عنه

۞ الخلافة في قريش:

• أما أنّ الخلافةَ في قريش، فقد أخرج **أحمد وأبو يعلى** وغيرهما من طرق شتَّى عن عبد الله بن عمر عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ في الناسِ اثنانِ**»[(٢)].

المهاجرون الأولون أولى بالخلافة:

• وأمّا أنّ المهاجرين الأولين الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ قريشاً في أول الإسلام أولى بالخلافة، فقد أخرج **البخاري** من طريق معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه حديثاً فيه: فلمّا تفرَّق الناسُ خطب معاويةُ، قال: من كان يريدُ أن يتكلَّم في هذا الأمر فليطلعْ لنا قرنه، فلنحنُ أحقُّ به منه ومن أبيه، قال حبيبُ بن مسلمة: فهلَّا أجبته؟ قال عبد الله: فحللتُ حبوتي، وهممتُ أن أقولَ: أحقُّ بهذا الأمر منك مَنْ

---

(١) وعبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي، أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وقد قيل: إنَّ إسلامه قبل إسلام أبيه ولا يصحُّ، وإنما كانت هجرته قبل هجرة أبيه، فظنَّ بعضُ الناسِ أنَّ إسلامَه قبل إسلام أبيه، أجمعوا على أنّه لم يشهد بدراً، استصغره النبيُّ ﷺ فردَّه، واختلفوا في شهوده أُحداً، وروى عن النبيّ ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، مات وهو ابن ست وثمانين سنة، وقيل: أربع وثمانين، توفي سنة ٧٤هـ. انظر ترجمته: في «أُسد الغابة» (٣/ ٢٣٦).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٢٨) رقم: (٦١٢١)، «مسند أبي يعلى» (٩/ ٤٣٨) رقم: (٥٥٨٩).

قاتلك وأباك على الإسلامِ، فخشيتُ أن أقول كلمةً تفرِّقُ بين الجمع، وتسفكُ الدمَ، ويُحمَل عني غير ذلك، فذكرت ما أعدَّ الله في الجنان، قال حبيب: حُفِظتَ وعُصِمتَ[١].

أفضلية الخلفاء على ترتيب الخلافة:

• أما أفضلية الخلفاء على ترتيب الخلافة، فقد اشتهر عن **ابن عمر** بروايات فيها العدد والثقة، فقد أخرج **البخاري** من طريق يحيى بن سعيد عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: كنّا نخيِّر بين الناس في زمن النبيِّ ﷺ فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمرَ بنَ الخطاب، ثم عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنهم[٢].

• وأخرج **البخاري**[٣] **وأبو داود**[٤] عن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، عن عبيد الله، عن نافع، عن **ابن عُمَرَ** رضي الله عنهما، قَالَ: كُنَّا فِي زَمَنِ النبيِّ ﷺ لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَداً، ثُمَّ عُمَرَ، ثُمَّ عُثْمَانَ، ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النّبي ﷺ لا نفاضِلُ بينهم[٥].

• وأخرج **أبو داود** من حديث يونس عن ابن شهاب قال: قال سالم بن عبد الله: إن **ابن عمر** قال: كنا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ حيٌّ: أفضلُ أمةِ النبيِّ ﷺ بعدَه أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان رضي الله عنهم[٦].

• وأخرج **الترمذي** من طريق حارث بن عمير عن عبيد الله بن عمر

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٤١٠٨).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٥).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٧).
(٤) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٧).
(٥) إن تتبُّعَ الأحاديث النبوية يفيد أنَّ أفضلية الشيخين بين الصحابة كان من الإجماعيات السابقة القديمة، ثم قامت عقيدة أفضلية عثمان بعدهما، وأما علي المرتضى فثبتت أفضليته عند أواخر حياة النبي ﷺ أو بعدها، لذلك، فإنّ في أكثر الأحاديث ذكر الشيخين، وفي بعضها ذكر عثمان، وذكر أفضلية علي في الأحاديث المتأخِّرة، وهي مختلَفٌ فيها بين مجتهدي الأمة.
(٦) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٢٨).

عن نافع عن **ابن عمر** قال: كُنّا نقولُ ورسولُ اللهِ ﷺ حيٌّ: أبو بكر، وعمر، وعثمان[١].

• وفي بعض طرق **أحمد**[٢] **وأبي يعلى** ذكر علي رضي الله عنه، فأخرج **أبو يعلى** عن عمر بن أسيد عن **ابن عمر** قال: كُنّا نقولُ على عهد رسول الله ﷺ: النبيُّ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ولقد أُعطيَ عليُّ بنُ أبي طالب ثلاثَ خصالٍ؛ لأنْ يكونَ فيَّ واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم: تزوَّجَ فاطمة، وولدت له، وغلَّق الأبواب غير بابه، ودفع الراية إليه يومَ خيبر[٣].

رؤيا القليب حجة ظاهرة في خلافة الشيخين:

• أما رؤيا القليب التي هي حجة ظاهرة في خلافة الشيخين، فقد أخرج **البخاري** من حديث عبيد الله قال: حدثني أبو بكر بن سالم عن سالم عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُرِيتُ في المنام أنّي أنزعُ بدلوِ بكرةٍ على قليبٍ، فجاءَ أبو بكر، فنزعَ ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً، واللهُ يغفِرُ له، ثم جاءَ عمرُ بنُ الخطاب، فاستحالتْ غَرْباً، فلم أرَ عبقرياً يفرِي فريه حتَّى روي الناسُ وضربوا بِعَطَنٍ**»[٤].

التعريض الظاهر على خلافة الخلفاء:

• أمّا التعريضُ الظاهر على خلافتهم من جهة ذكر فضائلهم على الترتيب، فقد أخرجَ **أبو يعلى** من طريق محمد بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن **ابن عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أرأفُ أُمَّتِي بأُمتّي أبو بكر، وأشدّهم في الإسلام عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ بنُ عفان، وأقضاهم**

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٧).
(٢) «مسند أحمد» (٨/ ٤١٦) رقم: (٤٧٩٧)، إسناده ضعيف.
(٣) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٤٥٢) رقم: (٥٦٠١).
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٢).

عليٌّ بنُ أبي طالب، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذِ بن جبلٍ، وأقرؤهم أُبيُّ بنُ كعبٍ، ولكلِّ أُمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح»[(١)].

بشارة الشيخين بأنهما يبعثان مع النبي ﷺ:

• أما بشارة الشيخين بأنهما يُبعثان مع النبي ﷺ، فقد أخرج **الترمذي والحاكم**، من طريق عاصم بن عمر العمري عن عبد الله بن دينار عن **ابن عمر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أوّلُ مَنْ تَنشَقُّ عنه الأرضُ، ثُمَّ أبو بكرٍ، ثم عمرُ، ثم آتي أهلَ البقيعِ، فيحشرونَ معي، ثم أنتظرُ أهلَ مكة حتّى أحشرَ بين الحرمينِ**»[(٢)].

• وأخرج **ابن ماجه والحاكم** من طريق إسماعيل بن أمية عن نافع عن **ابن عمر** قال: خرج رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر فقال: «**هكذا نُبعَثُ**»[(٣)].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما مناقب الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرجَ **البخاريُّ** من طريق موسى بن عقبة عن سَالِمٍ عَنْ أبيه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّيْ ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إلا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ**»[(٤)].

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٠/ ١٤١) رقم: (٥٧٦٣).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٢)، «المستدرك» (٢/ ٥٠٥).
(٣) «سنن ابن ماجه» رقم: (٩٩)، «المستدرك» (٣/ ٧١).
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٥).

وأخرج **الترمذي** من حديث جُمَيْع بن عمير عن **ابن عمر**: أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوضِ وصاحبي في الغارِ**»[١].

❁ مناقبُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري ومسلم** وغيرهما بطرق متعددة عن **ابن عمر** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ شربتُ؛ يعني: اللبن حتَّى أنظرَ إلى الريّ يجري في ظفري أو في أظفاري ثم ناولتُ عمرَ**»، فقالوا: فما أوَّلته؟ قال: «**العلم**»[٢].

• وأخرج **البخاري** من طريق عمر بن محمد أن زيد بن أسلم حدَّثه عن أبيه قال: سألني ابنُ عمرَ عن بعض شأنه؛ يعني: عمر، فأخبرته، فقال: ما رأيتُ أحداً قطّ بعد رسولِ اللهِ ﷺ من حين قُبِضَ كان أجدّ وأجود حتّى انتهى من عمر بن الخطاب[٣].

• وأخرج **الترمذي** من طريق خارجة بن عبد الله الأنصاري عن نافع عن **ابن عمر** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذين الرجلينِ إليكَ بأبي جهلٍ أو بعمرَ بنِ الخطّاب**»، قال: وكان أحبّهما إليه عمر[٤].

• وأخرج **الترمذي** أيضاً من هذا الطريق عن **ابن عمر** أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»، وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمرٌ قطّ، فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلّا نزلَ فيه

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٠).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨١)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩١).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٧). (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨١).

القرآنُ على نحو ما قال عمر[١].

● وأخرج **الحاكم** من طريق خالد بن أبي بكر بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، عن سالم بن عبد الله، عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ ضربَ صدرَ عمرَ بنَ الخطاب بيده حين أسلمَ ثلاثَ مرَّات وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أخرجْ ما في صدرِهِ مِنْ غلٍّ، وأبدله إيماناً**»، يقول ذلك ثلاثاً[٢].

●وأخرج **الحاكم** من حديث عبيد الله عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أيِّدِ الدينَ بعمرَ بنِ الخطّاب**»[٣].

۞ البشارة لأهل بدر:

● وأما بشارة أهل بدر، فقد أخرج **أبو يعلى** من طريق عمر بن حمزة عن سالم عن **أبيه** قصة حاطب بن أبي بلتعة، وفيه: فقال عمر: ائذن لي فيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أو كنتَ قاتِلَه؟**»، قال: نعم، إنْ أذنتَ لي فيه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**وما يُدريكَ؟ لعلَّ اللهَ اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ، فقالَ: اعملوا ما شِئْتُم**»[٤].

۞ دفاع ابن عمر عن عثمان:

● وأما ذبُّه عن عثمان، فقد أخرجَ **البخاريُّ** عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر، وحجَّ البيتَ، فرأى قوماً جلوساً، فقال: مَنْ هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ الله بن عمر، قال: يا ابن عمر! إني سائلك عن شيء، فحدِّثني: هل

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٢).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩١).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٨٩).
(٤) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٣٩٢) رقم: (٥٥٢٢).

تعلمُ أنَّ عثمانَ فرّ يومَ أُحد؟ قال: نعم، فقال: تعلمُ أنَّه تغيَّبَ عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: تعلمُ أنّه تغيَّب عن بيعةِ الرضوانِ فلم يشهدْها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبيِّنُ لكَ، أما فراره يوم أُحد، فأشهدُ أنّ الله عفا عنه وغفر له، وأمّا تغيُّبه عن بدر، فإنّه كانت تحته بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكانت مريضةً، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممّنْ شهدَ بدراً وسهمَه**»، وأمّا تغيُّبه عن بيعةِ الرضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمانَ لبعثه مكانَه، فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ عثمانَ، وكانت بيعةُ الرضوان بعد ما ذهبَ عثمانُ إلى مكة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يدُ عثمانَ**»، فضربَ بها على يده، فقال: «**هذه لعثمان**»، فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك[١].

۞ روايته أن عثمان رضي الله عنه يُقتل مظلوماً:

• وأما روايته في عثمان أنه يُقتل مظلوماً، فقد أخرج **الترمذي** عن كليب بن وائل عن **ابن عمر** قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فقال: «**يُقتل فيها هذا مظلوماً**» لعثمان[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن أيوب عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما أنَّ عثمانَ أصبحَ فحدَّث، فقال: إنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ الليلة، فقال: يا عثمانُ! أفطر عندنا، فأصبحَ عثمانُ صائماً، فقُتل من يومِهِ رضي الله عنه[٣].

۞ ابتعاده عن الفتنة:

• وأما قعوده من الفتنة، فأخرج **أبو يعلى** من حديث عُمَرَ بْنِ

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٨، ٤٠٦٦).
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٨). (٣) «المستدرك» (٣/ ١١٠).

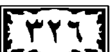
مُحَمَّدٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، لا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الْوَدَاعِ، فَحَمِدَ اللهَ رَسُولُهُ وَحْدَهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلا قَدْ أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ، لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ، وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، وَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلا يَخْفَى عَلَيْكُمْ إِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى، كَأَنَّهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ**»؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمُ انْظُرُوا، لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١).

• وأخرج **أبو يعلى**، عن ابْنِ فُضَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَالِمٍ عَنِ **ابْنِ عُمَرَ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، وَإِنَّمَا قَتْلَ مُوسَى الَّذِي قَتلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ خَطَأً، قَالَ اللهُ لَهُ:** ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]»(٢).

۞ ۞ ۞

(١) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٤٣٤) رقم: (٥٥٨٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٩/ ٣٨٣) رقم: (٥٥١١).





ومن مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما(١)

۞ خطبة النبيِّ ﷺ قُبيل وفاته:

• أمّا ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه من خطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته، فقد أخرج **البخاري** من حديث أَيُّوبَ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»(٢).

• وأخرج **أحمد** من حديث جرير، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن **ابن عباس** قال: خرج رسولُ اللهِ ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه في خرقةٍ، فقعدَ على المنبر، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ثم قال: «**إنّه ليسَ أحدٌ أمنَّ عليَّ في نفسِهِ ومالِهِ من أبي بكر بن أبي قُحَافةَ، ولو كنتُ متَّخِذاً من الناسِ خليلاً لاتّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ خلّة الإسلام أفضل، سُدُّوا عنِّي كلَّ خوخةٍ في هذا المسجدِ غير خوخةِ أبي بكر**»(٣).

---

(١) هو: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو العباس، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث، وقيل: بخمس، والأول أثبت، ويقال له: حَبْرُ العرب، كان أبيضَ، طويلاً، مشرباً صفرةً، جسيماً، وسيماً، صبيحَ الوجه، له وفرة يخضِبُ بالحناء، ماتَ بالطائف وفي وفاته أقوال: سنة ٦٥هـ، وقيل: ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ، وهو الصحيحُ في قول الجمهور. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٦).

(٣) «مسند أحمد» (١/ ٢٧٠) رقم: (٢٤٣٢).

۞ الاستدلال بحديث الإمامة على خلافة الصدِّيق:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق ﵁ من حديث الإمامة، فقد أخرج **أحمد** من حديث أبي إسحاق، عن أرقم بن شرحبيل، عن **ابن عباس** في قصّة مرضه ﷺ: فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: «**مروا أبا بكر يصلِّي بالناسِ**»، الحديث[(١)].

۞ مناقب عمر بن الخطاب ﵁:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب ﵁، فقد أخرج **ابن ماجه** من حديث العوَّام بن حوشب عن مجاهد عن **ابن عباس** قال: لمّا أسلمَ عمرُ نزل جبريل، فقال: يا محمّدُ! لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عمرَ[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** ﵄، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمر**»[(٣)].

• وأخرج **الترمذي** من حديث النضر أبي عمر عن عكرمة عن **ابن عباس** أن النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأبي جهلِ بنِ هشامٍ أو بعمرَ**»، قال: فأصبحَ فغدا عمرُ على رسولِ اللهِ ﷺ فأسلمَ[(٤)].

• وأخرج **البخاري** من حديث أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة، قال: لمّا طُعِنَ عمرُ جعل يألمُ، فقال له **ابنُ عباس** وكأنه يجزِّعه: يا أميرَ المؤمنين! ولئن كان ذاك[(٥)] لقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ، فأحسنت صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم

---

(١) «مسند أحمد» (١/ ٣٥٦) رقم: (٣٣٥٥).

(٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٣). (٣) «المستدرك» (٣/ ٨٩).

(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٣).

(٥) في الأصل الفارسي: «ولا كل كذلك»، لعلَّه تصحيف.

صحبتَ أبا بكر، فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه، وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَهم فأحسنتَ صحبَتهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون، قال: أمّا ما ذكرتَ من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه، فإنَّما ذاك منٌّ مِنَ الله تعالى منَّ به عليّ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبةِ أبي بكر ورضاه فإنَّما ذاك منٌّ من الله جلَّ ذكره منَّ به عليّ، وأمَّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، واللهِ لو أنَّ لي طِلاعَ الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذابِ اللهِ ﷻ قبل أن أراه[1].

❁ احتجاج عبد الله بن عباس بأقوال الشيخين بعد الحديث:

• وأما جعله قول الشيخين رضي الله عنهما في ترتيبِ الأدلّةِ بعدَ حديث النبي ﷺ وقبل القياس، فقد أخرج **الدارمي** عن عبيد الله[2] بن أبي يزيد قال: كان ابن عباس إذا سُئِلَ عن الأمر فكان في القرآن أخبرَ به، وإن لم يكن في القرآنِ وكان عن رسولِ اللهِ ﷺ أخبرَ به، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، فإن لم يكن قال فيه برأيه[3].

❁ دلالة حديث الظلة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الخلفاء من حديث رؤيا الظلَّة، فقد أخرج **أحمد** وغيره من حديث سفيان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن **ابن عباس** قال:

رأى رجلٌ رؤياً، فجاءَ النبيَّ ﷺ فقال: إنِّي رأيتُ كأنَّ ظلَّةً تنطِفُ عسلاً وسمناً، فكان الناسُ يأخذون منها، فبين مستكثرٍ، وبين مستقلٍّ، وبين ذلك، وكأنّ سبباً متّصلاً إلى السماء، فجئتَ فأخذتَ به، فعلوتَ

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٢). (٢) في الأصل الفارسي: «عبد الله».

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٧١) رقم: (١٦٦).

فأعلاك[١] الله، ثم جاء رجل من بعدك، فأخذ به فعلا فعلَّاه الله، ثم جاء رجل من بعدكما، فأخذ به فعلا فأعلاه الله، ثم جاء رجل من بعدكم فأخذ به فقُطِعَ به، ثم وصل له فعلا، فأعلاه الله.

قال أبو بكر: ائذن لي يا رسولَ اللهِ! فأعْبُرَها، فأذن له، فقال: أمّا الظلّةُ فالإسلامُ، وأما العسلُ والسمنُ فحلاوةُ القرآنِ، فبين مستكثر وبين مستقلّ وبين ذلك، وأمّا السببُ فما أنتَ عليه، تعلو فيُعليك الله، ثم يكون من بعدك رجلٌ على منهاجك، فيعلو ويُعليه الله، ثم يكون من بعدكما رجلٌ فيأخذ بأخذِكُما، فيعلو فيُعليه الله، ثم يكون من بعدكم رجل يُقْطَعُ به، ثم يُوصَلُ له، فيعلو فيُعليه الله، قال: أصبتُ يا رسول الله!؟

قال: «**أصبتَ وأخطأتَ**».

قال: أقسمتُ يا رسول الله! لتخبرني، فقال: «**لا تقسم**»[٢].

❁ عدم نص النبيّ ﷺ بالخلافة لعليٍّ خاصة ولا لبني هاشم عامة:

• وأمّا أنّ النبيَّ ﷺ لم ينصّ بالخلافة لعلي خاصّةً ولا لبني هاشم عامّةً، فقد أخرج **أحمد** من حديث ابن المبارك، عن يونس، عن الزهري، عن عبد الله بن كعب، عن **ابن عباس** قال: خرج عليٌّ من عند رسول الله ﷺ في مرضه، فقالوا: كيفَ أصبحَ رسولُ اللهِ ﷺ يا أبا حسن؟! فقال: أصبحَ بحمدِ الله بارئاً، فقال العباسُ: ألا ترى! إني لأرى رسول الله ﷺ سيُتوفَّى من وجعه، وإنِّي لأعرفُ في وجوه بني عبد المطلب الموتَ، فانطلقْ بنا إلى رسولِ اللهِ، فلنُكلِّمه، فإن كان الأمرُ فينا بيَّنه،

---

(١) في الأصل الفارسي: «فعلاك».

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٢٣٦) رقم: (٢١١٣).

وإن كان في غيرنا كلّمناه وأوصى بنا، فقال عليٌّ: إن كان الأمرُ في غيرنا فلم يعطناه الناس أبداً، وإني واللهِ لا أكلِّم رسولَ اللهِ ﷺ في هذا أبداً[١].

❁ أبو بكر صدّيق والبواقي شهداء:

• وأما أنّ أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهيد، فقد أخرج **أبو يعلى** بإسنادٍ غريب عن عكرمة عن **ابن عباس** قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ على حراء، فتزلزل الجبل، فقال رسول الله ﷺ: **«اثبتْ حراءُ! ما عليكَ إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**، وعليه رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[٢].

قوله ﷺ في شأن عثمان رضي الله عنه:

• وأما قوله في عثمان، فقد أخرج **أبو عمر** في **«الاستيعاب»** أن عبد الله بن عباس قال: لو اجتمع الناسُ على قتلِ عثمانَ لَرُمُوا بالحجارة كما رُميَ قومُ لوطٍ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) «مسند أحمد» (١/ ٣٢٥) رقم: (٢٩٩٧).
(٢) «مسند أبي يعلى» (٤/ ٣٣٣) رقم: (٢٤٤٥).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣) رقم الترجمة: (١٧٧٨)، «الرياض النضرة» (١/ ٢٣١).




ومن مسند أبي موسى الأشعري[(١)]
(عبد الله بن قيس رضي الله عنه)

❁ الخلافة في قريش:

• أما أن الخلافة في قريش، فقد أخرج **أحمد** عن **أبي موسى الأشعري** عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ ما داموا إذا استُرْحِموا رَحِموا، وإذا حَكَمُوا عَدَلُوا، وإذا قَسَمُوا أَقْسَطُوا، فمن لم يفعلْ ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةُ والناسُ أجمعين، لا يُقْبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ**»[(٢)].

❁ البشارة للخلفاء بالجنة:

• وأما بشارة الخلفاء بالجنة والتعريض الظاهر على خلافتهم وإنذار عثمان بالبلوى، فقد أخرج الشيخان وغيرهما بروايات فيه العدد والثقة، من ذلك ما أخرجه **البخاري** من حديث سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ:

---

(١) هو: عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ، ذكر الواقديُّ أنّ أبا موسى قدم مكة، فحالف أبا أحيحة سعيد بن العاص بن أمية، وكان قدومُه مع إخوته في جماعة من الأشعريين، ثم أسلمَ وهاجرَ إلى أرض الحبشة، وكان عاملُه رسولُ اللهِ ﷺ على زَبيدٍ وعدن، واستعمله عمرُ رضي الله عنه على البصرة وشهد وفاة أبي عبيدة بن الجراح بالشام، مات أبو موسى بالكوفة، وقيل: مات بمكة سنة ٤٢هـ، وقيل: سنة ٤٤هـ، وهو ابن ثلاث وستين، وقيل: توفي ٤٩هـ، وقيل: سنة ٥٠هـ، والله أعلم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٦٣).

(٢) «مسند أحمد» رقم: (١٩٥٤١).

أَخْبَرَنِي **أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي** أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ خَرَجَ، فَقُلْتُ: لأَلْزَمَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا، قَالَ: فَجَاءَ الْمَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: خَرَجَ وَوَجَّهَ هَا هُنَا، فَخَرَجْتُ عَلَى إِثْرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، وَبَابُهَا مِنْ جَرِيدٍ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ حَاجَتَهُ، فَتَوَضَّأَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ، وَتَوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَدَلَّاهُمَا فِي الْبِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ، فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْيَوْمَ.

فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَهُ فِي الْقُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ، كَمَا صَنَعَ النَّبِيُّ ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً ـ يُرِيدُ أَخَاهُ ـ يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَجِئْتُ فَقُلْتُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ، فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْقُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي الْبِئْرِ.

ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْراً يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَجِئْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ: ادْخُلْ وَبَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ فَوَجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وُجَاهَهُ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَ شَرِيكٌ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ[(١)].

• وأخرج **البخاري** من حديث أَبي عُثْمَانَ النَّهْدِي عَنْ **أَبِي مُوسَى** رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِي ﷺ فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا أَبُو بَكْرٍ، فَبَشَّرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِي ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ.

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَفْتَحَ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَفَتَحْتُ لَهُ، فَإِذَا هُوَ عُمَرُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ النَّبِي ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ.

ثُمَّ اسْتَفْتَحَ رَجُلٌ، فَقَالَ لِي: «**افْتَحْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَإِذَا عُثْمَانُ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ الْمُسْتَعَانُ[(٢)].

❁ الاستدلال بحديث الإمامة على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه من حديث الإمامة، فقد أخرج **أحمد** عَن عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَن أَبِي بُرْدَةَ عَن **أَبِي مُوسَى** قَالَ: مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّ**

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٤).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٣).

بِالنَّاسِ»، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، مَتَى يَقُومُ مَقَامَكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ**[١] **يُوسُفَ**»، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[٢].

❁ ابتعاده من الفتنة:

• وأما قعوده من الفتنة، فقد رُوي عنه بروايات فيها العدد والثقة، منها ما أخرج **الترمذي** عن هزيل بن شُرَحْبيل عن **أبي موسى** عن النبي ﷺ أنّه قال في الفتنة: «**كسِّروا فيها قِسِيَّكم، وقطّعوا فيها أوتارَكم، والزموا فيها أجوافَ بيوتِكُم، وكونوا كابنِ آدمَ**»[٣].

وأخرج **أحمد** عَن هُزَيْلِ بْنِ شُرَحْبِيلَ عَن **أَبِي مُوسَى** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، وَيُمْسِي مُؤْمِناً، وَيُصْبِحُ كَافِراً، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، فَاكْسِرُوا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَاضْرِبُوا بِسُيُوفِكُمْ الْحِجَارَةَ، فَإِنْ دُخِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ بَيْتَهُ، فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**»[٤].

• وأخرج **أحمد** من حديث حِطَّانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الرَّقَاشِيِّ عَنِ **الْأَشْعَرِيِّ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرْجَ**»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ، قَالَ: «**الْقَتْلُ**»، قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ، إِنَّا لَنَقْتُلُ كُلَّ عَامٍ

---

(١) في الأصل الفارسي: «صواحب» مكان «صواحبات».
(٢) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٢) رقم: (١٩٧١٥).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٠٤).
(٤) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٦) رقم: (١٩٧٤٥).

أَكْثَرَ[(١)] مِنْ سَبْعِينَ أَلْفاً، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمْ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**»، قَالُوا: وَمَعَنَا عُقُولُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ لَتُنْزَعُ عُقُولُ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيُخَلَّفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ**[(٢)]، **يَحْسِبُ أَكْثَرُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَلَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ**»، [قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ:] قَالَ أَبُو مُوسَى: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجاً، إِنْ أَدْرَكَتْنِي وَإِيَّاكُمْ إِلَّا أَنْ نَخْرُجَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا، لَمْ نُصِبْ مِنْهَا دَماً وَلَا مَالاً[(٣)].

• وأخرج **أحمد** من طريق الْحَسَنِ عَن **أَبِي مُوسَى** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَقَتَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِى النَّارِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ**»[(٤)].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ في العَام الواحد أكثر».
(٢) في الأصل الفارسي: «ويخلق له قوم من الناس».
(٣) «مسند أحمد» (٤/ ٣٩١) رقم: (١٩٥١٠).
(٤) «مسند أحمد» (٤/ ٤١٠) رقم: (١٩٦٩١).




ومن مسند عبد الله بن عمرو بن العاص[١] رضي الله عنه

البشارة للخلفاء بالجنة:

• أما بشارة الخلفاء بالجنة، فقد أخرج **أحمد** من طريق قَتَادَةَ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو** قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، [ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»]، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، قَالَ: قُلْتُ: فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**أَنْتَ مَعَ أَبِيكَ**»[٢].

ما يستدلّ به على الخلافة الخاصة للخلفاء:

• وأما ما يُستدلّ به من حديثه على الخلافة الخاصّة من حيث كونها في زمن العافية، فقد أخرج **أحمد** عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ

---

(١) كنيته أبو محمد عند الأكثر، يقال له: أبو عبد الرحمٰن. قال الطبري: قيل: كان طوالاً، أحمرَ عظيم الساقين، أبيض الرأس واللحية، وعَمِيَ في آخر عمره، قال ابن سعد: أسلم قبل أبيه، ولم يكن بين مولدهما إلا اثنتا عشرة سنة، وجزم ابنُ يونس بأن بينهما عشرين سنة، روى عن النبي ﷺ كثيراً، وعن عمر، وأبي الدرداء، ومعاذ، وابن عوف، وعن والده عمرو، وحدّث عنه من الصحابة ابن عمر، وأبو أمامة وغيرهما، قال الواقدي: مات بالشام سنة ٦٥هـ، وهو يومئذٍ ابن اثنتين وسبعين. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٥١).

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٦٥) رقم: (٦٥٤٨).

عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ؛ إِذْ نَزَلنا مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، قَالَ: فَاجْتَمَعْنَا، قَالَ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْراً لَهُمْ، وَحذّرهم مَا يَعْلَمُهُ شَرّاً لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَإِنَّ آخِرَهَا سَيُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ شَدِيدٌ، وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا.**

تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، تَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ الْفِتْنَةُ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ مِنْكُمْ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَأَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ مؤْمِن[(١)] **باللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**».

قَالَ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ بِاللهِ أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ، وَوَعَاهُ قَلْبِي، قَالَ: فَقُلْتُ: هَذَا ابْنُ عَمِّكَ مُعَاوِيَةُ يَأْمُرُنَا بِأَكْلِ أَمْوَالِنَا بَيْنَنَا بِالْبَاطِلِ وَأَنْ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا، وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ٢٩]، قَالَ: فَجَمَعَ يَدَيْهِ فَوَضَعَهُمَا عَلَى جَبْهَتِهِ، ثُمَّ نَكَسَ هُنَيَّةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: أَطِعْهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَاعْصِهِ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ[(٢)].

---

(١) في الأصل الفارسي: «وهو مؤمن».

(٢) «مسند أحمد» (٢/ ١٦١) رقم: (٦٥٠٣).

❁ **سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:**

● وأما سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: سَأَلْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِي ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ: رَبِّي اللهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ[١]؟!

❁ ❁ ❁

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٨).




ومن مسند أبي هريرة[١] رضي الله عنه

❁ الخلافة في قريش:

• أما أنّ **الخلافة في قريش**، فقد أخرج **أحمد والشيخان** وغيرهم عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في هذا الشأنِ، مسلمُهم تبعٌ لمُسلِمِهم، وكافرُهم تبعٌ لكافرِهم**»[٢].

• وأخرج **أحمد** من طريق ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ

---

(١) هو: عبد الرحمٰن بن صخر الدوسي، هو مشهور بكنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه، واسم أبيه، اختلف في اسمه، فقال أهل النسب: اسمه عمير بن عامر، وقال ابن إسحاق: قال بعض أصحابنا عن أبي هريرة: كان اسمي في الجاهلية عبد شمس بن صخر، فسمّاني رسول الله ﷺ عبد الرحمٰن، وكُنيت أبا هريرة، ولكنيته قصة أيضاً، قد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً، قال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، حدّث أبو هريرة أيضاً عن أبي بكر، وعمر، والفضل بن العباس، وأُبي بن كعب، وأسامة بن زيد، وعائشة، وغيرهم، وروى عنه ولده المحرر بمهملات، ومن الصحابة ابن عمر، وابن عباس، وجابر وغيرهم، ومن كبار التابعين مروان بن الحكم، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الله بن ثعلبة، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهم، قال البخاري: روى عنه نحو الثمانمئة من أهل العلم، وكان أحفظَ مَنْ روى الحديث في عصره، وفي وفاته أقوال: قيل: توفي سنة ٥٧هـ، وقيل: ٥٨هـ، وقيل: ٥٩هـ، والمعتمد في وفاته هو ٥٧هـ، وعاش أبو هريرة ٧٨ سنة. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٤/ ٢٠٢).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٤٩٥)، «صحيح مسلم» رقم: (١٨١٨)، «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٢) رقم: (٧٣٠٤)، «سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ١٢٠) رقم: (٥٠٧٨)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٥٥) رقم: (١٩٨٩٥)، «مسند أبي يعلى» (١١/ ١٤٠) رقم: (٦٢٦٤).

أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«[إِنَّ لِي عَلَى قُرَيْشٍ حَقّاً]، وَإِنَّ لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ حَقّاً: مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَأُتُمِنُوا فَأَدَّوْا، وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا»**[١].

۞ دلالة حديث الظلة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث الظلّة**، فقد أخرج **الشيخان**[٢] وغيرهما[٣] بطرق متعددة، منها: ما أخرج **أبو داود** من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: كان **أبو هريرة** رضي الله عنه يحدّث أنّ رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي أرى الليلةَ ظلّةً ينطفُ منها السَّمنُ والعسلُ، فأرى الناسَ يتكفَّفون بأيديهم، فالمستكثِرُ والمستقلّ، وأرى سبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأراكَ يا رسولَ اللهِ! أخذتَ به فعلوتَ به، ثمّ أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخر فانقطع، ثم وصل فعلا به.

قال أبو بكر: بأبي وأمي لتدعني فلأعَبِّرَنَّها، فقال: **«اعبرها»**، قال: أمَّا الظلةُ فظلةُ الإسلامِ، وأمَّا ما ينطفُ من السَّمْنِ والعَسَلِ فهو القرآن، لينه وحلاوته، وأمَّا المستكثر والمستقلّ فهو المستكثر من القرآن والمستقلّ منه، وأمَّا السببُ الواصلُ من السماءِ إلى الأرضِ فهو الحقُّ الذي أنت عليه، تأخذُ به فيعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به بعدَك رجلٌ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطِعَ، ثم يوصلُ

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٢٧٠) رقم: (٧٦٤٠).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٤٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٢٦٩).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢٢٩٣)، «سنن ابن ماجه» رقم: (٣٩١٨)، «سنن البيهقي الكبرى» (١٠/ ٣٨) رقم: (١٩٦٦٩)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٢١٤) رقم: (٢٠٣٦٠).

له فيعلو به؛ أي رسول الله! لتحدّثني أصبتُ أم أخطأتُ؟

فقال: **«أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً»**.

فقال: أقسمتُ يا رسولَ اللهِ! لتحدّثني ما الذي أخطأتُ.

فقال النبي ﷺ: **«لا تقسم»**[١].

❁ دلالة حديث القليب:

• وأما ما يُستدلّ به من **حديث القليب**، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد أن **أبا هريرة** ﷺ أخبره أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائمٌ رأيتَني على قليبٍ، وعليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاءَ اللهُ، ثم أخذها ابنُ أبي قُحافة، فنزعَ منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعِهِ ضَعْفٌ، واللهُ يغفرُ له، ثم استحالتْ غَرْباً، فأخذها عمرُ بنُ الخطاب، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ ينزعُ نزعَ عمرَ بنِ الخطابِ حتَّى ضربَ الناسَ بِعَطَنٍ»**[٢].

• وأخرج **البخاري** من حديث معمر عن همام[٣] عن **أبي هريرة** ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أنا نائمٌ رأيتُ أنِّي على حوضٍ أسقي الناسَ، فأتاني أبو بكر، فأخذَ الدلوَ من يدي ليريحَني، فنزعَ ذَنوبين، وفي نزعِهِ ضعفٌ، واللهُ يغفرُ له، فأتى ابن الخطاب، فأخذ منه، فلم يزل ينزعُ حتَّى تولّى الناسُ والحوضُ يتفجَّر»**[٤][٥].

❁ الخلافة بالمدينة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من العلاقة التي ضربها النبي ﷺ للخلافة الخاصة من أنها في المدينة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث هشيم،

---

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٣٦٣٢). (٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٢١).

(٣) في الأصل الفارسي: «هشام» وهو تصحيف.

(٤) في الأصل الفارسي: «يتفجر». (٥) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٢٢).

عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أبيه، عن **أبي هريرة** ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشامِ**»[١].

۞ دلالة حديث القرون:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم الخاصَّة من **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** وغيره من طرق، منها طريق عبد الله بن شقيق عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**خيرُ أُمَّتي القرنُ الذي بعثتُ فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** ـ والله أعلم أقال الثالثة أم لا ـ **ثم يجيءُ قومٌ يحبُّون السمانةَ، يشهدون قبل أن يستشهدوا**»[٢].

۞ دلالة خطبة النبي ﷺ قرب وفاته:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق ﵁ من الخطبة التي خطبها النبي ﷺ قبل وفاته، أخرج **الترمذي** من طريق دَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ الْأَوْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا لِأَحَدٍ[٣] عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ، فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَداً يُكَافِئُهُ اللهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، أَلَا وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ**»[٤].

• وأخرج **أحمد** من طريق الأعمش عن أبي صالح عن **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما نفعني مالٌ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكر**»، فبكى أبو بكر وقال: هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله![٥].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٥).
(٢) «مسند أحمد» (٢/ ٢٢٨) رقم: (٧١٢٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «مَا كان لِأَحَدٍ». (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦١).
(٥) «مسند أحمد» (٢/ ٢٥٣) رقم: (٧٤٣٩).

۞ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأما مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء فقد أخرج **الشيخان** وغيرهما بطرق متعددة، منها: ما أخرج **البخاري** عن أيوب عن محمد عن **أبي هريرة** قال: قال النبيُّ ﷺ: «**أُعطيتُ مفاتيحَ الكلم، ونُصِرتُ بالرعبِ، وبينما أنا نائمٌ البارحةَ إذ أُتيتُ بمفاتيحِ خزائنِ الأَرضِ حتى وضعتْ في يدي**»، قال أبو هريرة: فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتقلونها[1][2].

• وأخرج **الشيخان**[3] وغيرهما بطرق متعددة، منها: ما أخرج **أحمد** عن الزهري عن سعيد عن **أبي هريرة** عن النبيِّ ﷺ: «**إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعدَهُ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله**»[4].

۞ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما مناقب **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن الزهري قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف أن **أبا هريرة** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفقَ زوجينِ من شيءٍ من الأشياءِ في سبيلِ اللهِ دُعي من أبواب** ـ يعني: الجنة ـ **يا عبدَ اللهِ! هذا خيرٌ، فمَنْ كان مِنْ أهلِ الصلاةِ، دُعي من باب الصلاة، ومَنْ كان مِنْ أهلِ الجهادِ، دُعي من بابِ الجهادِ، ومن كان مِنْ أهل الصدقةِ، دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيامِ دُعي من باب الصيام وباب الريان**».

---

(١) في الأصل الفارسي «تنقلونها» وفي طريق آخر للبخاري: «تنتثلونها» رقم: (٢٩٧٧).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٦٩٩٨) باب: رؤيا الليل، «صحيح مسلم» رقم: (٥٢٣).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣١٢٠، ٣٦١٨)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٩١٩).
(٤) «مسند أحمد» (٢/ ٢٤٠) رقم: (٧٢٦٦).

فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟ وقال: هل يُدعى منها كلّها أحدٌ يا رسول الله!؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكرٍ**»[١].

• وأخرج **أبو داود** من طريق عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ، فأخذَ بيدي، فأراني بابَ الجنّةِ الذي تدخلُ منه أُمتي**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! وددتُ أني كنتُ معك حتّى أنظرَ إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّك يا أبا بكر! أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من أمتي**»[٢].

۞ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب أن **أبا هريرة** رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتَني في الجنّةِ، فإذا امرأةٌ تتوضَّأ إلى جانبِ قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرتُ غيرته، فولّيتُ مدبراً**»، فبكى عمر وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ الله!؟[٣].

• وأخرج **البخاري** عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن أبي سلمة عن **أبي هريرة** رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد كان فيما كانَ قبلكم مِنَ الأمم ناسٌ محدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمّتي أحدٌ فإنّه عمرُ**»، وفي رواية له:

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٦). (٢) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٢).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٢٤٢).

«لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجالٌ يكلَّمونَ من غيرِ أنْ يكونوا أنبياء، فإن يكن من أُمّتي منهم أحدٌ فعمرُ»(١).

• وأخرج **البخاري** عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن قالا: سمعنا **أبا هريرة** رضي الله عنه يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بينما راعٍ في غنمِهِ عدا الذئبُ فأخذ منها شاةً، فطلبَها حتَّى استنقذها، فالتفتَ إليه الذئبُ، فقال له: مَنْ لها يومَ السبُعِ؟ ليس لها راعٍ غيري**»، فقال الناسُ: سبحان الله! فقال النبيُّ ﷺ: «**فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر**»، وما ثَمَّ أبو بكر وعمر(٢).

• **وللبخاري** في رواية أخرى: وبينا رجلٌ يسوقُ بقرةً قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلَّمته، فقالت: إنِّي لم أخلقْ لهذا، ولكنّي خلقتُ للحرث، قال الناسُ: سبحان الله! قال النبي ﷺ: «**فإنِّي أؤمنُ بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب**، رضي الله عنهما»(٣).

❁ مناقب عثمان رضي الله عنه:

• وأما **مناقب عثمان** رضي الله عنه، فقد أخرج **ابن ماجه** [عن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد] عن أبيه عن الأعرج عن **أبي هريرة** أن رسول الله ﷺ قال: «**لكلِّ نبيٍّ رفيقٌ في الجنّةِ، ورفيقي فيها عثمان بن عفان**»(٤).

وأخرج **ابن ماجه** بهذا الإسناد: أنَّ النبيَّ ﷺ لقي عثمانَ عند باب المسجدِ فقال: «**يا عثمانُ! هذا جبريلُ** عليه السلام **أخبرني أنَّ الله قد زوَّجك أمَّ كلثوم بمثل صداقِ رُقَيّةَ على مثلِ صُحْبَتِها**»(٥).

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٩).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٩٠).
(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٣).
(٤) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٩).
(٥) «سنن ابن ماجه» رقم: (١١٠).

۞ قُتل عثمان ظلماً:

• وأمّا أن عثمان يُقتلَ مظلوماً وأنّه على الحقِّ يوم يُقتل، فقد أخرج **الحاكم** من طريق موسى ومحمد وإبراهيم بني عقبة، قالوا: حدثنا أبو أمِّنا أبو حسنة قال: شهدت **أبا هريرة**، وعثمانُ محصورٌ في الدار، [واستأذنته في الكلام(١)]، فقال أبو هريرة: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ واختلافٌ أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ وأشارَ إلى عثمانَ**»(٢).

• وأخرج **الحاكم** من حديث أبي زُرعة عن **أبي هريرة**، قال: اشترى عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه الجنة من النبيِّ ﷺ مرَّتين [بيع الحق(٣)] حيث حفر بئر رُوْمَة(٤)، وحيث جهَّز جيشَ العُسْرَةِ(٥).

۞ أبو بكر صدِّيق والبواقي شهداء:

• وأما أنّ أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداءُ، فقد أخرج **الترمذي** من حديث عبد العزيز بن محمد، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر، وعمر، وعليّ، وعثمان، وطلحة، والزبير رضي الله عنهم، فتحرَّكت الصخرةُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اهدأ، إنما عليك نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**»(٦).

۞ البشارة لأهل بدر بالجنة:

• وأمّا بشارة أهل بدر بالجنة، فقد أخرج **أبو داود** عن عاصم عن أبي صالح عن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اطّلَع اللهُ على أهلِ**

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.
(٢) «المستدرك» (٣/ ١٠٥).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) وقع في «المستدرك»: «بئر معونة».
(٥) «المستدرك» (٣/ ١١٥).
(٦) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩٦).

بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»(١).

ابتعاده عن الفتنة:

●وأما قعوده من الفتنة، فقد أخرج **الترمذي** من حديث عبد العزيز بن محمد، عن العلاء بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمالِ فتناً كقطعِ الليلِ المُظلم، يصبحُ الرجلُ مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبحُ كافراً، يبيعُ [أحدُهم] دينَه بعرَضٍ من الدنيا**»(٢).

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٤).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٩٥).




ومن مسند أم المؤمنين عائشة[١] رضي الله عنها

❁ دلالةُ حديث الأحجار:

● أمّا ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث الأحجار** في أساس المسجد، فقد أخرج **الحاكم** من طريق أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهب، عن عمه، عن يحيى بن أيوب، عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** قالت: أوّلُ حجرٍ حمله النبيُّ ﷺ لبناء المسجد، ثم حملَ أبو بكر حجراً آخر، ثم حمل عُمَرُ حجراً آخر، ثم حملَ عثمانُ حجراً آخر، فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاء؟ كيف يساعدونك[٢]؟ فقال: «**يا عائشةُ! هؤلاء الخلفاءِ مِنْ بعدي**»، هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه، وإنما اشتهر بإسنادٍ واهٍ من رواية محمد بن الفضل بن عطية، فلذلك هُجِر[٣].

❁ حديث القرون الثلاثة:

● وأما ما يُستدلّ به على خلافتهم من **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** بطريق غريب عن عبد الله البهي عن **عائشة**، قالتْ: سألَ رجلٌ النبيَّ ﷺ: أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: «**القرنُ الذي أنا فيه، ثم الثاني، ثم الثالث**»[٤].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٩٥).

(٢) في الأصل الفارسي: «يسعدونك».

(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٣).

(٤) «صحيح مسلم» رقم: (٢٥٣٦)، «مسند أحمد» (٤٢/ ١٣٢) رقم: (٢٥٢٣٣).

❁ قول عائشة ﵂ في خلافة الشيخين:

• أما قولها في خلافة الشيخين فقد أخرج **مسلم** من حديث ابن أبي مليكة قال: سمعت **عائشة** وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفاً لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر، فقيل لها: ثم مَنْ بعدَ أبي بكر؟ قالت: عمر، ثم قيل لها: مِنْ بعدِ عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا[١].

• وأخرج **الترمذي** عن عبد الله بن شقيق قال: قلت **لعائشة**: أيّ أصحاب النبي ﷺ كان أحبَّ إليه؟ قالت: أبو بكر، ثم عمر، ثم أبو عبيدة بن الجراح، قلت: ثم مَنْ؟ فسكتتْ[٢].

❁ أبو بكر الصدِّيق ﵁ أحق بالخلافة:

• وأما ما يُستدلّ به على خلافة الصدِّيق من قول النبي ﷺ: «**ادعي لي أبا بكر**»، فقد أخرج **مسلم** من حديث الزهري عن عروة عن **عائشة** قالت: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتبَ كتاباً، فإنِّي أخافُ أن يتمنَّى متمنٍّ ويقول قائلٌ: أنا أولى[٣] ويأبى اللهُ والمؤمنونَ إلا أبا بكر**»[٤].

❁ خطبة النبي ﷺ قبيل وفاته:

• وأما ما يُستدلُّ به من خطبة النبيِّ ﷺ قبل وفاته، فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري عن عروة عن **عائشة**: أنّ النبيَّ ﷺ أمر بسدِّ الأبواب إلّا بابَ أبي بكر[٥].

---

(١) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٥). (٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «أنا، ولا».
(٤) «صحيح البخاري» رقم: (٥٦٦٦)، «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٨٧) واللفظ له.
(٥) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٨).

❁ حديث الإمامة:

وأما ما يُستدلّ به من **حديث الإمامة**، فقد أخرج **الترمذي** من حديث مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقالت عائشةُ: يا رسول الله! إنَّ أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فأمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناس، قالت عائشةُ: فقلت لحفصة: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قام مقامَكَ لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فأمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناس، ففعلت حفصةُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّكنّ لأنتنَّ صواحباتِ**[١] **يوسفَ، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**»، فقالت حفصةُ لعائشةَ: ما كنتُ لأصيبُ مِنْكَ خيراً[٢].

• وأخرج **الترمذي** عن القاسم بن محمد عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره**»[٣].

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

وأما **مناقب أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه فقد أخرج **الترمذي** من حديث إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عمه إسحاق بن طلحة عن **عائشة** أنَّ أبا بكر دخل على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**أنتَ عتيقُ اللهِ من النارِ**»، فيومئذٍ سُمِّي عتيقاً[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن عائشة بنت طلحة عن **عائشة أم المؤمنين** رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سرَّهُ أنْ ينظرَ إلى عتيقٍ من النارِ فلينظرْ إلى أبي بكر**»[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي: «صواحب».
(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٢).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٣).
(٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٧٩).
(٥) «المستدرك» (٣/ ٦٤).

• وأخرج **الحاكم** من حديث معمر عن الزهري عن عروة عن **عائشة** ﵂، قالت: لمّا أُسري بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممّن كان آمنوا به وصدَّقوه، وسعى رجالٌ[١] من المشركين إلى أبي بكر ﵁، فقالوا: هل لكَ إلى صاحِبكَ يزعُمُ أنّه أسريَ به الليلة إلى بيتِ المقدس، قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدِّقه أنَّه ذهبَ الليلة إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أَنْ يصبحَ؟ فقال: نعم، إنِّي لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدِّقه في خبرِ السماء في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر «الصدِّيق ﵁»[٢].

❁ مناقب عمر بن الخطاب ﵁:

• وأما مناقب **عمر بن الخطاب** فقد أخرج **مسلم** من حديث إبراهيم بن سعد، عن أبيه سعد، عن أبي سلمة، عن **عائشة**، عن النبيِّ ﷺ أنه كان يقول: «**قد كان يكونُ في الأممِ قبلكم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فإنَّ عمرَ بنَ الخطاب منهم**»[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث الزنجي بن خالد عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة**، قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب خاصَّةً**»[٤].

وأخرج **الترمذي** من حديث يزيد بن رومان عن **عائشة** قالت: كان رسول الله ﷺ جالساً، فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) في الأصل الفارسي: «وسعوا رجال»، وكذا في «دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٣٦١).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٨١).
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٣٩٨).
(٤) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠٥).

فإذا حبشيةٌ تَزْفِنُ، والصبيان حولها، فقال: «**يا عائشةُ! تعالَيْ، فانظري**»، فجئتُ فوضعتُ لحييّ على منكبِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجعلتُ أنظرُ إليها ما بين المنكبِ إلى رأسِهِ، فقال لي: «**أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟**» قالت: فجعلتُ أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلعَ عمرُ، قال: فارفضَّ الناسُ عنها، قالت: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنِّي لأنظرُ إلى شياطينِ الإنسِ والجنِّ قد فرّوا من عُمَرَ**»، قالت: فرجعتُ[١].

❁ مناقب عثمان:

• وأما **مناقب عثمان بن عفان** رضي الله عنه فقد أخرج **مسلم** عن عطاء وسليمان ابني يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن أن **عائشة** قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذنَ أبو بكر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدَّثَ، ثم استأذنَ عمرُ، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثم استأذن عثمانُ، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وسوّى ثيابه، [قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد[٢]] فدخل فتحَدَّثَ، فلمّا خرجَ، قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتشَّ له، ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابك، فقال: «**ألا أستحيي من رجلٍ تستحيي منه الملائكةُ**»[٣].

• وأخرج **الترمذي** عن النعمان بن بشير عن **عائشة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمانُ! إنّه لعلَّ الله يقمِّصك قميصاً فإنْ أرادوكَ على خلعِهِ فلا تخلعه لهم**»[٤].

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٩١).
(٢) لا يوجد هذا التعليق في الأصل الفارسي، وهو موجود في «صحيح مسلم».
(٣) «صحيح مسلم» رقم: (٢٤٠١). (٤) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٥).




ومن مسند أنس بن مالك[١] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• أما أن الخلافة في قريش فقد أخرج **أحمد** عن بكير بن وهب الجزري قال: قال لي **أنس بن مالك**: أحدِّثك حديثاً ما أحدِّثه كل أحد: إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه، فقال: «**الأئمة من قريش، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك، ما إن استُرحِموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**»[٢].

• وأخرج **أحمد** عن **أنس** قال: دعا النبيُّ ﷺ الأنصارَ ليُقطِعَ لهم البحرين، فقالوا: لا، حتى تُقطِعَ لإخواننا من المهاجرين مثلنا، فقال: «**إنّكم ستلقَوْنَ بعدي أثرةً، فاصبروا حتَّى تلقوني**»[٣].

---

(١) هو: أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي النجاري من بني عدي ابن النجار خادم رسول الله ﷺ كان يتسمّى به، ويفتخر بذلك، قال محمد بن عبد الله: خرج أنس مع رسول الله ﷺ إلى بدر وهو غلام يخدمه، وكان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً عشر سنين، وقيل: تسع سنين، وقيل: ثمان سنين، دعا له رسول الله ﷺ بكثرة المال والولد، فولد له من صلبه ثمانون ذكراً وابنتان، واختلف في وقت وفاته، ومبلغ عمره، فقيل: توفِّي سنة ٩١هـ، وقيل: سنة ٩٢هـ، وقيل: سنة ٩٣هـ، وقيل: سنة ٩٠هـ، وقيل: كان عمره مئة وثلاث سنين، وقيل: مئة وعشر سنين، وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١٥١).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ١٢٩) رقم: (١٢٣٢٩).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ١١١) رقم: (١٢١٠٦).

❁ دفع الزكاة إلى الخلفاء بعد وفاة النبي ﷺ:

• وأما الدليل على خلافتهم من جهة تفويض الصدقات إليهم من بعده، فقد أخرج **الحاكم** من طريق علي بن مسهر، عن المختار بن فلفل، عن **أنس بن مالك**، قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسول اللهِ ﷺ، فقالوا: سل لنا رسول اللهِ ﷺ إلى مَنْ ندفع صدقاتنا بعدك؟ قال: فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكر**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حَدَثَ بأبي بكر حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى عمر**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإنْ حَدَثَ بعمر حدثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيته فسألته، فقال: «**إلى عثمان**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فسله، فإن حدثَ بعثمان حدثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألته، فقال: «**إنْ حدثَ بعثمانَ حدثٌ فتباً لكم الدهرَ تباً**»، هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[1].

❁ أبو بكر «صدِّيق» والبواقي «شهداء»:

• وأما أن أبا بكر صدِّيق وسائرهم شهداء، فقد أخرج **البخاريُّ** عن يحيى عن سعيد عن قتادة أنّ **أنس بن مالك** رضي الله عنه حدَّثهم: أنَّ النبيَّ ﷺ صعد أُحداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: «**اثبت أُحدُ! فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**»[2].

❁ أفضلية الشيخين:

• وأما أفضلية الشيخين، فقد أخرج **الترمذيُّ** من حديث مُحَمَّدِ بْنِ كَثِيرٍ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ**

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٥).

وَالْمُرْسَلِينَ، لَا تُخْبِرْهُمَا يَا عَلِيُّ»(١).

❁ ثناؤه ﷺ على الخلفاء:

• وأما ثناؤه عليهم مع غيرهم، فقد أخرج **أحمدُ والترمذيُّ** عن معمر عن قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَرْحَمُ أُمّتي بأُمّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنُ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبيّ، ولكلِّ أُمةٍ أمينٌ، وأَمينُ هذه الأُمةِ أبو عبيدة بنُ الجرّاح»**(٢).

قال الترمذي: وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبيِّ ﷺ نحوه(٣).

❁ إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قبيل وفاة النبي ﷺ:

• وأما حديث الإمامة في اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ بمحضر من رسول الله ﷺ، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب قال: حدَّثني **أنس بن مالك** رضي الله عنه أنّ المسلمين بينا(٤) هم في صلاةِ الفجرِ من يوم الاثنين، وأبو بكر يصلِّي لهم، لم يفجأهم إلّا رسولُ اللهِ ﷺ قد كشفَ سترَ حُجرةِ عائشةَ، فنظرَ إليهم وهم في صفوفِ الصلاةِ، ثم تبسَّمَ يضحكُ، فنكصَ أبو بكر على عَقِبيهِ ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يريدُ أن يخرجَ إلى الصلاةِ، فقال أنس: وهمَّ المسلمونَ أن يُفتتنوا في صلاتِهم فرحاً برسول الله ﷺ، فأشارَ إليهم بيدِهِ رسولُ الله ﷺ أنْ أتمُّوا صلاتَكم، ثم دخلَ الحجرة وأرخى السترَ(٥).

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٦).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٠)، «مسند أحمد» (٢٠/ ٢٥٢) رقم: (١٢٩٠٤).

(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٠).

(٤) في الأصل الفارسي: «بينما».

(٥) «صحيح البخاري» رقم: (٤٤٤٨) «باب: مرض النبي ﷺ».

❁ منزلة الشيخين عند النبي ﷺ:

• وأما منزلة الشيخين عنده ﷺ، فقد أخرج **الترمذي** عن الحكم بن عطية عن ثابت عن **أنس**: أنّ رسول الله ﷺ كان يخرجُ على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوسٌ، فيهم أبو بكر وعمر، فلا يَرْفَعُ إليه أحدٌ منهم بصرَه إلا أبو بكر وعمر، فإنَّهما كانا ينظرانِ إليه وينظرُ إليهما ويتبسّمانِ إليه ويتبسّمُ إليهما(١).

❁ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأمّا مناقبُ أبي بكر الصدِّيق، فقد أخرج **ابن ماجه** من طريق المعتمر بن سليمان عن حميد عن **أنس** قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**»، قيل: ومِنَ الرجالِ؟ قال: «**أبوها**»(٢).

• وأخرج **أحمد** من حديث جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت عن **أنس** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ طيرَ الجنّةِ كأمثالِ البُخْتِ ترعى في شجرِ الجنّةِ**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! إنَّ هذه الطيرُ ناعمةٌ، فقال: «**أكلتُها أنعمُ منها**»، قالها ثلاثاً، «**وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّن يأكلُ منها يا أبا بكر!**»(٣).

❁ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **الترمذي** من حديث إسماعيل بن جعفر، عن حُميد، عن **أنس** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**دخلتُ الجنّةَ فإذا أنا بقصرٍ مِنْ ذهبٍ، فقلتُ: لِمَنْ هذا القصرُ؟ قالوا:**

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٨). (٢) «سنن ابن ماجه» رقم: (١٠١).

(٣) «مسند أحمد» (٣/ ٢٢١) رقم: (١٣٣٣٥).

لشابٍّ من قريشٍ فظننتُ أنِّي أنا هو[(١)]، فقلت: ومَنْ هو؟ فقالوا: عمرُ بنُ الخطّابِ»[(٢)].

❁ حبّ أنس رضي الله عنه للشيخين:

• وأمّا تقرُّب أنس من الله تعالى بحبِّ الشيخين، فقد أخرج **البخاري** من حديث حمّاد عن ثابت عن **أنس** رضي الله عنه: أنَّ رجلاً سأل النبيَّ ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: «**وماذا أعددتَ لها؟**»، قال: لا شيءَ إلا أني أحبُّ اللهَ ورسولَه ﷺ، فقال: «**أنتَ مع مَنْ أحببتَ**»، قال أنسُ: فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبيِّ ﷺ: «**أنتَ مع من أحببتَ**».

قال أنس: فأنا أحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أنْ أكونَ معهم بحبيِّ إيّاهم، وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالِهم[(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) من أعظم كرامة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغاية علوّ مرتبته في الدِّين أنْ يَظُنَّ النبيُّ ﷺ ذلك القصر كأنه له ﷺ، هذا يدلّ على أنَّ هذا القصرَ كان يليقُ بشأنِ الأنبياء، وهذه القصةُ إنّما هي نظيرُ قوله ﷺ: «**لو كانَ بعدي نبيٌّ لكانَ عمرُ**».

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٨).

(٣) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٨٨).




ومن مسند أبي سعيد الخدري[(١)] رضي الله عنه

❁ خطبة النبيِّ ﷺ في مناقب أبي بكر رضي الله عنه قرب وفاته:

• أما الخطبةُ التي خطبها النبيُّ ﷺ في مناقب أبي بكر رضي الله عنه قبل موته، فقد أخرج **البخاري** عن بسر بن سعيد عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ الناسَ وقال: «**إنَّ الله خيَّرَ عبداً بين الدّنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبدُ ما عندَ الله**»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبِرَ رسولُ اللهِ ﷺ عن عبدٍ خيِّرَ، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّرَ، وكان أبو بكر رضي الله عنه أعلمُنا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ مِنْ أمنِّ الناس عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبا بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً [غير ربِّي] لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أخوّةُ الإسلامِ ومودّته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجدِ بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكرٍ**»[(٢)].

• وأخرج **الترمذي** عن عبيد بن حنين عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه:

---

(١) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استُصْغِرَ بأُحد، وغزا هو ما بعدها، وروى عن النبي ﷺ الكثير، وروى عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم، وروى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وغيرهم، ومن كبار التابعين: سعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، وعطاء وغيرهم، وهو مكثر من الحديث، كان من أفقه أحداث الصحابة، قال الواقدي: مات سنة ٧٤هـ، وقيل: ٦٤هـ، وقال المدائني: ٦٣هـ، وقال العسكري: ٦٥هـ. انظر ترجمته في: «الإصابة» (٢/ ٣٥).

(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٥٤).

أنَّ رسولِ اللهِ ﷺ جلس على المنبر، فقال: «**إنَّ عبداً خيَّره اللهُ بين أنْ يؤتيه من زهرةِ الدُّنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، ثم ذكر نحواً مما تقدَّم[1].

❁ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن ابن شهاب، أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عليَّ وعليهم قمصٌ، فمنها ما يبلغُ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرِضَ عليّ عمر، وعليه قميصٌ يجرّه**»، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله! قال: «**الدين**»[2].

❁ البشارة للشيخين بالجنة:

• وأما البشارة للشيخين بالجنة والإشارة إلى أنهما من السابقين المقرَّبين، فقد أخرج **الترمذي** من طريق سالم بن أبي حفصة والأعمش وجماعة، كلهم عن عطية عن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدرجات العُلى ليراهم مَنْ تحتَهم كما ترونَ النجمَ الطالِعَ في أُفق السماءِ، وإنَّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما**»[3].

❁ مكانة الشيخين عند النبي ﷺ كالوزيرين عند الملك:

• وأما أنهما منتظر الإمارة وأن أمر الملّة يتمّ بهما، فقد أخرج **الترمذي** من حديث أبي الجحَّاف عن عطية عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٦٠). (٢) «صحيح البخاري» رقم: (٧٠٠٩).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٥٨).

قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِنْ نبيٍّ إلا له وزيران من أهلِ السماءِ، ووزيرانِ من أهل الأرضِ، فأمّا وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريلُ وميكائيلُ، وأمّا وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمرَ**»(١).

۞ وقوع خلافتهم في زمن الخير والعافية:

● وأما الدليل على خلافتهم من جهة وقوع خلافتهم في مرتبة أمراء الخير، فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الله البهي عن **أبي سعيد** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يكونُ عليكم أمراءُ تطمئِنُّ إليهم القلوبُ، وتلين لهم الجلودُ، ثم يكونُ عليكم أمراء تشمئزُّ منهم القلوبُ، وتقشعرُّ منهم الجلودُ**»، فقال رجلٌ: أنقاتِلُهم يا رسولَ اللهِ؟! قال: «**لا، ما أقاموا الصلاةَ**»(٢).

۞ ۞ ۞

---

(١) «سنن الترمذي» رقم: (٣٦٨٠).

(٢) «مسند أحمد» (٣/٢٨) رقم: (١١٢٤٠).




ومن مسند جابر بن عبد الله[١] رضي الله عنه

❁ الخلافة في قريش:

● أما أن الخلافة لقريش، فقد أخرج **أحمد** من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن **جابر** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**النّاسُ تبعٌ لقريشٍ في الخيرِ والشّرِ**»[٢].

❁ الدليل على خلافة الخلفاء:

● وأما الدليل على خلافة الخلفاء، فقد أخرج أحمد والحاكم من حديث الزبيدي عن ابن شهاب، عن عمرو بن أبان بن عثمان، عن جابر بن عبد الله أنّه كان يحدِّثُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**أُريَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكر رضي الله عنه نيطَ برسولِ اللهِ ﷺ، ونِيْطَ عمرُ بأبي بكرٍ، ونِيْطَ عثمانُ بعمرَ**»، قال جابر: فلمّا قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمَّا الرجلُ الصالحُ فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا ما ذكر رسول الله ﷺ من نَوْط

(١) هو: أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، شهد العقبة الثانية مع أبيه وهو صبي، وقال بعضهم: شهد بدراً، وقيل: لم يشهدها، وكذلك غزوة أُحد، شهد مع النبي ﷺ ثمان عشرة غزوة، وشهد صفين مع علي بن أبي طالب، وعمي في آخر عمره، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة، كان من المكثرين في الحديث، روى عنه محمد بن علي بن الحسين، وعمرو بن دينار، وعطاء، ومجاهد وغيرهم، توفي جابر سنة ٧٤هـ، وقيل: سنة ٧٧هـ، وكان عمره أربعاً وتسعين سنة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٠٧).

(٢) «مسند أحمد» (٣/ ٣٨٣) رقم: (١٥١٥١).

بعضهم لبعض فهم ولاةُ هذا الأمر الذي بعثَ اللهُ به نبيَّه ﷺ[١].

۞ البشارة للخلفاء بالجنة:

• وأما بشارتهم بالجنة، فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، عن **جابر** قال: قال رسول الله ﷺ: **«يطلعُ عليكم من تحت هذا الصورُ[٢] رجلٌ من أهلِ الجنّةِ»**، قال: فطلعَ عليهم أبو بكر رضوان الله عليه، فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ، ثمَّ لبثَ هنيهةً، ثم قال: **«يطلعُ عليكم مِنْ تحتِ هذا الصورِ رجلٌ من أهل الجنّةِ»**، قال: فطلعَ عمرُ رضي الله عنه، قال: فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ، ثم قال: **«يَطْلُعُ عليكم من تحتِ هذا الصورِ رجلٌ من أهلِ الجنّةِ»**، قال: فطلع عثمان رضي الله عنه، قال: فهنَّأناه بما قال رسول الله ﷺ[٣]، ثم قال: **«يَطْلُعُ عليكم من تحتِ هذا الصور رجلٌ من أهلِ الجنّة، اللَّهُمَّ إن شئتَ جعلته عليّاً»** ثلاث مرات فطلعَ عليٌّ رضي الله عنه[٤].

۞ مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، فقد أخرج **الحاكم** عن محمد بن المنكدر، عن **جابر** قال: كنا عند النبيِّ ﷺ إذ جاءه وفد عبد القيس، فتكلَّم بعضهم بكلام لغا[٥] في الكلام، فالتفتَ النبيُّ ﷺ إلى

(١) «مسند أحمد» (٣/ ٣٥٥) رقم: (١٤٨٦٣)، «المستدرك» (٣/ ٧٥).

(٢) هو الجماعة من النخل.

(٣) قوله: «قال: فطلع عثمان ـ إلى ـ بما قال رسول الله ﷺ»، لم أجده في «مسنده»، وهو موجود في «المعجم الأوسط» (٧/ ١١٠) رقم: (٧٠٠٢).

(٤) «مسند أحمد» (٣/ ٣٥٦) رقم: (١٤٨٨١).

(٥) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «أجاد» مكان «لغا»، واللغو: السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره.

أبي بكر، وقال: «**يا أبا بكرٍ! سمعتَ ما قالوا؟**» قال: نعم، يا رسول الله! وفهمته، قال: «**فأجبهم**»، قال: فأجابهم أبو بكر رضي الله عنه بجوابٍ وأجادَ الجوابَ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! أعطاكَ الله الرضوانَ الأكبرَ**»، فقال له بعضُ القوم: وما الرضوانُ الأكبرُ يا رسول الله!؟ قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامَّةً، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصّةً**»[١].

❁ مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• وأما مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أخرج **البخاري** من حديث عبد العزيز بن الماجشون، عن محمد بن المنكدر عن **جابر** قال: قال النبي ﷺ: «**رأيتَني دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرُّميصاءِ امرأةِ أبي طلحةَ وسمعتُ خَشَفَةً، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً، بفنائه جاريةٌ، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمرَ، فأردتُ أن أدخله، فأنظرَ إليه، فذكرتُ غيرتك**»، فقال عمر رضي الله عنه: بأبي وأمي يا رسول الله! أعليكَ أغار؟[٢].

❁ مناقب عثمان رضي الله عنه:

• وأما مناقب عثمان رضي الله عنه فقد أخرج **الحاكم** عن **جابر بن عبد الله** قال: بينما نحن في بيت [ابن حشفة] في نفر من المهاجرين، فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزُّبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، فقال رسول الله ﷺ: «**لينهضَ كلُّ رجلٍ منكم إلى كُفئِهِ**»، فنهضَ النبيُّ ﷺ إلى عثمانَ فاعتنقه، وقال: «**أنتَ وليّي في الدنيا والآخرة**»[٣].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٨٣).
(٢) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٧٩).
(٣) «المستدرك» (٣/ ١٠٤).

۞ البشارة لأهل الحديبية بالجنة:

وأما البشارة لأهل الحديبية بالجنّة، فقد أخرج **أبو داود** من حديث الليث عن أبي الزبير عن **جابر** عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»(١).

• وقد أخرج **أحمد** من حديث سُفْيَانَ، عَنْ عَمْرٍو، عن **جَابِرٍ** قَالَ: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفاً وَأَرْبَعَ مِئَةٍ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ**»(٢).

۞ ۞ ۞

(١) «سنن أبي داود» رقم: (٤٦٥٣).

(٢) «مسند أحمد» (٣/٣٠٨) رقم: (١٤٣٥٢).




مسانيد المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ

مسند عمَّار بن ياسر[١] رضي الله عنه

❁ فضائل الشيخين:

• أما فضل الشيخين وكونهما من السابقين المقرَّبين وأن أبا بكر أفضل من عمر، فقد أخرج أبو يعلى من طريق حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن **عمَّار بن ياسر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«يا عمّارُ! أتاني جبريلُ آنفاً فقلتُ: يا جبريلُ! حدِّثني بفضائلِ عمرَ بن الخطاب في السماءِ، فقال: يا محمّدُ! لو حدَّثتُكَ بفضائلِ عمرَ مثل ما لبثَ نوحٌ في قومه ـ ألف سنة إلا خمسين عاماً ـ ما نفدتْ فضائلُ عمرَ، وإن عمر لحسنةٌ من حسناتِ أبي بكر»**[٢].

---

(١) هو: أبو اليقظان عمّار بن ياسر بن عامر المذحجي ثم العنسي، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، وأمه سمية وهي أول من استشهد في سبيل الله، وهو وأبوه وأمه من السابقين، وكان إسلام عمّار بعد بضعة وثلاثين، وهو ممن عذّب في الله، ومن مناقبه أنه أول من بنى مسجداً في الإسلام، واستعمله عمر على الكوفة، ثم صحب علياً رضي الله عنه وشهد معه الجمل وصفين، فأبلى فيهما وقتل في صفين، قتله جند معاوية، وقال النبي ﷺ فيه: **«تقتله الفئة الباغية»**، وكان قتله في ربيع الأول أو الآخر من سنة ٣٦هـ، وله أحاديث روى عنه علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو موسى وغيرهم من الصحابة، وروى من التابعين ابنه محمد بن عمّار وابن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمٰن ومحمد ابن الحنفية وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٦٢٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٣/ ١٧٩) رقم: (١٦٠٣).

❁ سوابق أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• وأما سوابق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد أخرج **البخاري** عن همام قال: سمعت **عماراً** يقول: رأيتُ رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسةُ أعبدٍ وامرأتان وأبو بكر[١].

ومن مسند حذيفة بن اليمان[٢] رضي الله عنه

• معاملة النبي ﷺ للخلفاء معاملة المَلك وليَّ عهده:

• أمّا ما يدلّ على خلافتهم من معاملة منتظر الإمارة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش، عن **حذيفة بن اليمان** رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لقد هممتُ أنْ أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً يعلِّمون الناسَ السننَ والفرائضَ، كما بعثَ عيسى ابنُ مريمَ الحواريين**»، قيل له: فأين أنت من أبي بكر وعمر؟ قال: «إنّه لا غنى بي عنهما، إنّهما من الدين كالسمع والبصر»[٣].

حجّية قول الشيخين ووجوب الاقتداء بهما:

• وأمّا أنّ قولهما حجّةٌ، وأنّه يجبُ الاقتداءُ بهما، فقد أخرج

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٣٦٦٠).

(٢) هو: أبو عبد الله حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو العبسي، روى عنه أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، وهاجر إلى النبي ﷺ فخيّره بين الهجرة والنصرة، فاختار النصرة، وشهد مع النبي ﷺ أُحداً، وحذيفةُ صاحبُ سرِّ رسول الله ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد إلا حذيفة، كان يسأل النبيَّ ﷺ عن الشرّ ليتجنَّبه، وأرسله النبيُّ ﷺ ليلةَ الأحزاب ليأتيه بخبر الكفار، ولم يشهد بدراً، كان موته بعد قتل عثمان بأربعين ليلةً سنة ٣٦هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٦٨).

(٣) «المستدرك» (٣/ ٧٨).

الحاكم من حديث مسعر بن كدام، عن عبد الملك بن عُمير، عن ربعي بن حراش، عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَين من بعدي أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّار، وإذا حدَّثكم ابنُ أُمِّ عبدٍ فصدِّقوه**»[(١)].

وفي رواية **الترمذي** من حديث سفيان عن عبد الملك بن عمير عن مولى لربعي عن ربعي بن حراش عن **حذيفة**، قال: كُنّا جلوساً عند النبيِّ ﷺ، فقال: «**إنِّي لا أدري ما قَدْرُ بقائي فيكم، فاقتدوا باللَّذَين من بعدي** ـ وأشار إلى أبي بكر وعمر ـ **واهتدوا بهدي عمَّار، وما حدَّثكم ابنُ مسعودٍ فصدِّقوه**»[(٢)].

❁ الدليل على خلافة عمر رضي الله عنه:

• وأما الدلالة على خلافة عمر رضي الله عنه وأنّه غَلَقُ الفتنةِ، فقد أخرج **البخاري** من حديث الأعمش، قال: حدثنا شقيق قال: سمعت **حذيفة** يقول: بينا نحنُ جلوسٌ عند عمر، إذ قال: أيُّكم يحفظُ قولَ النبيِّ ﷺ في الفتنةِ؟

قال: قلت: فتنةَ الرجلِ في أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ وجارِهِ تكفِّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: ليس عن هذا أسألُكَ، ولكنّ التي تموجُ كموجِ البحرِ، قال: ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين! إنَّ بينكَ وبينها باباً مغلقاً.

قال عمر: أيُكْسَرُ البابُ أم يُفْتَحُ؟

قال: لا، بل يُكسر، قال عمر: إذاً لا يُغْلَقُ أبداً، قلت: أجل.

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٩).

(٢) «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٩٩).

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلمُ الباب؟ قال: نعم كما أعلمُ أنّ دون غدٍ ليلةً، وذلك أني حدَّثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسألَه: مَنِ البابَ؟ فأمرنا مسروقاً، فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر[(١)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث سفيان عن منصور عن ربعي عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: كان الإسلامُ في زمانِ عمرَ كالرجل المقبل لا يزدادُ إلا قرباً، فلمّا قُتِلَ عمرُ كان كالرجلِ المدبر لا يزدادُ إلا بُعْداً[(٢)].

۞ الدليل على خلافة عثمان رضي الله عنه:

• وأما الدلالة على خلافة عثمان رضي الله عنه وأنه إذا قُتل لا يستقيم أمر الخلافة أبداً، فقد أخرج **الترمذي** عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأنصاري الأشهلي عن **حذيفة بن اليمان** أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلِدُوا بأسيافِكُم، ويرث دنياكم شِرارُكم**»[(٣)].

قول حذيفة في الخارجين على عثمان:

• أما قوله في الخارجين على عثمان فقد أخرج **الحاكم** عن ربعي بن حراش قال: انطلقتُ إلى **حذيفة** بالمدائن ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: يا بُني! ما فعل قومُكَ؟ قلتُ: عن أيِّ حالهم تسأل؟ قال: من خرجَ منهم إلى هذا الرجل، فسمّيت له رجلاً ممّن خرجَ، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ، واستذَلَّ الإمارةَ، لقيَ اللهَ ولا حجةَ له عنده**»[(٤)].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (١٤٣٥، ٧٠٩٦).
(٢) «المستدرك» (٣/ ٩٠).
(٣) «سنن الترمذي» رقم: (٢١٧٠).
(٤) «المستدرك» (٣/ ١١٢).

۞ الدليل على خلافة علي وأن الأمة لا تجتمع عليه:

• وأما الدلالة على أن عليًّاً حقيقٌ بالخلافةِ، ولكنَّ الأمة لا تجتمع عليه فلذلك لم يستخلفه النبيُّ ﷺ، فقد أخرج **الحاكم** من طريق شريك بن عبد الله عن عثمان بن عمير عن شقيق بن سلمة عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله! لو استخلفتَ علينا؟ قال: «**إنْ أستخلفْ عليكم خليفةً فتعصوه ينزلُ بكمُ العذابُ**»، [قالوا: لو استخلفتَ علينا أبا بكر، قال: «**إن أستخلفْهُ عليكم تجدوه قوياً في أمرِ اللهِ ضعيفاً في جسدِهِ**»، قالوا: لو استخلفتَ علينا عمر، قال: «**إنْ أستخلفه عليكم تجدوه قوياً أميناً لا تأخذه في اللهِ لومةُ لائم**»]، قالوا: لو استخلفتَ علينا عليّاً، قال: «**إنّكم لا تفعلونَ، وإن تفعلوا تجدوه هادياً مهدياً يسلُكُ بكم الطريقَ المستقيمَ**»[1].

۞ الدليل على ترتيب خلافتهم:

• وأما ما يدلّ على خلافتهم من الترتيب الذي بيَّنه النبيُّ ﷺ لدولة ملَّته، فقد أخرج **أحمد** في مسند النعمان بن بشير من حديث حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير عن **حذيفة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**تكونُ النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوّةِ، فتكونُ ما شاء الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ الله أن يرفعَها، ثم تكونُ مُلْكاً عاضّاً، فيكونُ ما شاء الله أن يكونَ، ثم يرفعُها إذا شاءَ أن يرفعَها، ثم تكونُ مُلْكاً جبرياً، فتكون ما شاءَ الله أن تكونَ، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعَها، ثم تكونُ خلافةٌ على منهاجِ النبوةِ**»، ثم سكت[2].

---

(١) «المستدرك» (٣/ ٧٤).

(٢) «مسند أحمد» (٤/ ٢٧٣).

ومن مسند أبي ذر[١] رضي الله عنه

التعريض الظاهر على خلافة الخلفاء الثلاثة:

• أما التعريض الظاهر على خلافة الثلاثة، فقد ذكر المحبُّ الطبري بروايات شتى عن سويد بن يزيد السلمي، قال: دخلت المسجد فرأيت أبا ذرٍّ جالساً فيه وحدَه، فاغتنمتُ ذلك [وجلست إليه، وكأنّه قال: دخلتُ المسجدَ]، فذكر بعضُ القوم عثمانَ، فقال: لا أقول لعثمان أبداً إلّا خيراً بعد شيءٍ رأيتُه عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، [كنت] أتبعُ خلوات رسولِ اللهِ ﷺ أتعلَّمُ منه، فخرجَ ذات يومٍ حتى انتهى إلى موضع كذا وكذا، فجلس فانتهيتُ إليه، فسلَّمتُ عليه وجلستُ إليه، فقال: «**يا أبا ذر! ما جاءَ بِكَ**»، قلت: الله ورسوله، [فبينا نحن كذلك[٢]] إذ جاء أبو بكر، فسلَّم، وجلسَ عن يمينِ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: «**يا أبا بكرٍ! ما جاء بك؟**» فقال: اللهُ ورسولُه.

ثم جاء عمر، فسلَّم، وجلس عن يمين أبي بكر، فقال: «**يا عمرُ! ما جاءَ بِكَ؟**» قال: اللهُ ورسولُه.

ثم جاء عثمانُ فسلَّم وجلس عن يمين عمر، فقال: «**يا عثمانُ! ما جاءَ بِكَ؟**» قال: الله ورسوله، قال: فتناول النبيُّ ﷺ سبعَ حصياتٍ، أو تسع حصيات فوضعهنَّ في كفِّه، فسبَّحن حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين

---

(١) اختلف في اسمه كثيراً، فقيل: جندب بن جنادة، وهو أكثر وأصحّ ما قيل فيه، وقيل: برير بن عبد الله، وبرير بن جنادة، وقيل: جندب بن سكن، والمشهور جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو، أبو ذر الغفاري، كان من كبار الصحابة وفضلائهم، قديم الإسلام، يقال: أسلم بعد أربعة، وكان خامساً، توفي أبو ذر بالربذة سنة ٣١هـ، أو ٣٢هـ، صلَّى عليه عبد الله بن مسعود. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٩٩).

(٢) سقط في الأصل الفارسي.

النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ، فوضعهنَّ في يد أبي بكر، فسبَّحن حتى سمعتُ لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ فوضعهنَّ في يد عمر رضي الله عنه، فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، فتناولهنَّ النبيُّ ﷺ فوضعهنَّ في يد عثمان، فسبَّحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن[١].

محدّثية عمر رضي الله عنه:

● وأما أنّ عمر رضي الله عنه محدَّثٌ يقتدى به فيما أمر وسنَّ، فقد أخرج **الحاكم** من حديث هشام بن الغاز وابن عجلان ومحمد بن إسحاق، عن مكحول، عن غضيف بن الحارث، عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: مرَّ فتًى على عمر، فقال عمر: نعم الفتى، قال: فتبعه أبو ذر، فقال: يا فتى! استغفر لي، فقال: يا أبا ذر! أستغفرُ لكَ وأنتَ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: استغفر لي، قال: لا، أو تخبرني، فقال: إنّكَ مررتَ على عمرَ رضي الله عنه، فقال: نعم الفتى، وإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الله جعل الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**»[٢].

ومن مسند مقداد بن الأسود[٣] رضي الله عنه

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٥).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٣) برقم: (٤٥٠١).

(٣) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك البهراني المعروف بالمقداد بن الأسود، هو قديم الإسلام من السابقين، وهاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة، فلم يقدر على الهجرة إلى المدينة لما هاجر إليها رسول الله ﷺ، ثم هاجر فيما بعد، شهد بدراً، وله فيها مقام مشهور، وكان المقداد من أول من أظهر الإسلام بمكة، قال ابن مسعود: =

۞ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

أما مواعيد الله تعالى الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أحمد** من حديث سليم بن عامر، قال: سمعت **المقداد بن الأسود** يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يبقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخله الله كلمةُ الإسلام بعزِّ عزيزٍ أو ذُلِّ ذليلٍ، إمّا يعزّهم اللهُ ﷻ فيجعلهم من أهلِها، أو يُذلُّهم فيدينونَ لها**»[١].

ومن مسند خباب بن الأرتّ[٢] رضي الله عنه

۞ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• أما مواعيد الله ﷻ الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أبو يعلى** من حديث إسماعيل عن قيس عن **خباب** قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسِّدٌ ببردةٍ له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا؟ فجلس محمرّاً وجهُه، فقال: «**قد كان مِنْ قبلِكُم يؤخذُ الرجلُ، فيُحْفَرُ له في الأرضِ، ثم يجاءُ بالمنشارِ، يُجعلُ فوق رأسِهِ، ما يصرِفُه عن دينِهِ، أو يمشَّطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ لحمِهِ مِنْ عظمٍ وعصبٍ ما يصرفه عن**

= أول من أظهر الإسلام بمكة سبعة، منهم: المقداد، وشهد أُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ومناقبه كثيرة، كانت وفاته بالمدينة في خلافة عثمان، كان عمره حينذاك سبعين. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤٧٥).

(١) انظر: «مسند أحمد» (٦/ ٤) برقم: (٢٣٨٦٥).

(٢) هو: أبو عبد الله خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد، اختلف في نسبه، فقيل: خزاعي، وقيل: تميمي وهو الأكثر، من السابقين الأولين إلى الإسلام، وممن عُذِّبَ في الله تعالى، وكان سادس ستة في الإسلام، شهد بدراً وأُحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، روى عنه ابنه عبد الله، ومسروق، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، قال أبو عمر: مات خبّابُ سنة ٣٦هـ، بعد ما شهد صفّين مع علي رضي الله عنه والنهروان، وصلّى عليه علي، وكان عمره إذ مات ثلاثاً وسبعين. انظر: «أسد الغابة» (١/ ٥٩١).

دينه، وليُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخشى إلا الله ﷻ والذئبَ على غنمِهِ، ولكنّكم تعجلون»[١].

ومن مسند بريدة الأسلمي[٢] رضي الله عنه

❁ أبو بكر صدّيق، وعمر وعثمان شهيدان رضي الله عنهم:

• أمّا أنّ أبا بكر صدِّيق رضي الله عنه، وهما شهيدان، فقد أخرج **أحمد** عن الحسين، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان جالساً على حراء ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم، فتحرّك الجبلُ، فقال رسول الله ﷺ: **«اثبت حراءُ! فإنّه ليس عليكَ إلا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**[٣].

❁ حديث القرون الثلاثة:

• وأما **حديث القرون**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الله بن مولة[٤]، قال: كنت أسير مع بريدة الأسلمي فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«خير هذه الأمة القرن الذين بُعثت أنا فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين**

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ١٤٠) برقم: (٧٢١٣).

(٢) هو: أبو عبد الله بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، قال ابن السكن: أسلم حين مرّ به النبي ﷺ مهاجراً بالغميم، وأقام في موضعه حتى مضت بدر وأُحد، ثم قدم بعد ذلك، وقيل: أسلم بعد منصرف النبي ﷺ من بدر، وسكن البصرة لما فتحت، وفي الصحيحين عنه أنه غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة، قال أبو علي الطوسي أحمد بن عثمان صاحب ابن المبارك: اسم بريدة عامر وبريدة لقب، وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة، وكان غزا خراسان في زمن عثمان، تحوّل إلى مرو، فسكنها إلى أن مات في خلافة يزيد بن معاوية، قال ابن سعد: مات سنة ٦٣هـ. انظر: «الإصابة» (١/ ١٤٦)، و«أسد الغابة» (١/ ٢١٩).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٤٦) برقم: (٢١٨٥٨).

(٤) في الأصل الفارسي: «خولة» مكان «مولة».

يلونهم، [ثم الذين يلونهم[١]]، ثم يكون قوم تسبق شهادتهم أيمانهم وأيمانهم شهادتهم»[٢].

❁ حديث إمامة أبي بكر رضي الله عنه:

● وأما **حديث الإمامة**، فقد أخرج **أحمد** عن عبد الملك بن عمير عن ابن بريدة عن **أبيه**، قال: مرض رسول الله ﷺ، فقال: «**مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناس**»، فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ أبي رجلٌ رقيقٌ، فقال: «**مروا أبا بكرٍ يصلِّي بالناسِ، فإنكنّ صواحباتُ يوسفَ**»، فأمَّ أبو بكر الناس[٣].

❁ مناقب عمر رضي الله عنه:

● وأما **مناقب عمر** رضي الله عنه، فقد أخرج **أحمد** عن حُسَيْنِ بْنِ وَاقِدٍ قال: أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي [**بُرَيْدَةَ**[٤]] يَقُولُ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدَعَا بِلالاً، فَقَالَ: «**يَا بِلالُ! بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي، أَنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ، فَسَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى قَصْرٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرْتَفِعٍ مُشْرِفٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ، قُلْتُ: أَنَا عَرَبِيٌّ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، قُلْتُ: فَأَنَا مُحَمَّدٌ، لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط، وقد أحال المحقق الفاضل شعيب الأرنؤوط في هامش «مسند أحمد» (٧/ ٧٦) برقم: (٣٥٩٤) في ورودها مرتين إلى مخطوط المكتبة الظاهرية برقم: (١٤).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٧) برقم: (٢٣٠٧٤).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٦١) برقم: (٢٣١١٠).

(٤) لا يوجد في الأصل الفارسي.

«**لَوْلَا غَيْرَتُكَ [يَا عُمَرُ] لَدَخَلْتُ الْقَصْرَ**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا كُنْتُ لِأَغَارَ عَلَيْكَ، قَالَ: وَقَالَ لِبِلالٍ: «**بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟**» قَالَ: مَا أَحْدَثْتُ إِلَّا تَوَضَّأْتُ، وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بِهَذَا**»[(١)].

• وأخرج **أحمد** عن حسين قال: حدَّثني عبد الله بن بُريدة عن أبيه أنَّ أَمةً سوداءَ أتتْ رسولَ اللهِ ﷺ ورجع من بعض مغازيه، فقالت: إنِّي كنت نذرتُ إن ردّك الله صالحاً أنْ أضربَ عندك بالدُّفِّ، قال: إن كنتِ فعلتِ فافعلي، وإن كنتِ لم تفعلي فلا تفعلي، فضربتْ، فدخل أبو بكر وهي تضربُ، ودخل غيره وهي تضربُ، ثم دخلَ عمرُ، [قال:] فجعلتْ دفَّها خلفَها وهي مقنعةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ لَيَفْرُقُ منكَ يا عمرُ! أنا جالسٌ ها هنا، ودخلَ هؤلاء، فلمّا إنْ دخلتَ فعلتْ ما فعلتْ**»[(٢)].

ومن مسند عقبة بن عامر[(٣)] رضي الله عنه

محدّثية عمر رضي الله عنه:

• أما أنّ عمر رضي الله عنه محدَّث يُقتدى برأيه، فقد أخرج **الترمذي** عَنْ مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ[(٤)] عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»[(٥)].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٤) برقم: (٢٣٠٤٦).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٣٥٣) برقم: (٢٣٠٣٩).

(٣) هو: أبو حمّاد عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو الجهني، كان من أصحاب معاوية بن أبي سفيان، وولي له مصر وسكنها، وتوفي بها سنة ٥٨هـ، وشهد صفين مع معاوية، وشهد فتوح الشام، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، وكان أحسنَ الناس صوتاً بالقرآن، روى عنه من الصحابة: ابنُ عباس، وأبو عباس، وأبو أيوب، وأبو أمامة، وغيرهم، ومن التابعين: أبو الخير، وعلي بن رباح، وسعيد بن المسيب، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٥٥٠).

(٤) في الأصل الفارسي: «عاهان».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٦).

❁ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأما المواعيد الظاهرة على أيدي الخلفاء، فقد أخرج **أحمد** عن أبي الخير عن **عقبة بن عامر** أنّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ يوماً فصلّى على أهل أُحدٍ صلاته على الميت، ثم انصرفَ[١] إلى المنبرِ، فقال: «**إنّي فرطٌ لكم، وإنِّي شهيدٌ عليكم، وإنِّي واللهِ لأنظرُ إلى الحَوْضِ، ألا وإنِّي قد أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ، أو مفاتيحَ الأرضِ، إنِّي واللهِ ما أخافُ عليكم أن تشركوا بعدي، ولكنِّي أخافُ عليكم أن تنافسوا فيها**»[٢].

• وأخرج **أحمد** من حديث عمرو بن الحارث، عن أبي علي، عن **عقبة بن عامر** أنّه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**سَتُفْتَحُ عليكم أرضونَ، ويكفيكم الله ﷻ، فلا يَعْجَزْ أحدُكم أن يلهوَ بِأَسْهُمِهِ**»[٣].

ومن مسند سفينة[٤] رضي الله عنه

❁ الدليل على خلافة الخلفاء الأربعة:

أمّا ما يدلُّ على خلافة الخلفاء الأربعة من ضرب المدة الواقعة

---

(١) في الأصل الفارسي: «ثم خرج».

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٤٩) برقم: (١٧٣٨٢).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٥٧) برقم: (١٧٤٦٩).

(٤) هو: أبو عبد الرحمٰن سفينة مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ، وهي أعتقته، واختُلِفَ في اسمه، فقيل: مهران، وقيل: رومان: وقيل: عبس، وغير ذلك، وكان أصلُه من فارس، فاشترته أم سلمة، ثم أعتقته، واشترطت عليه أن يخدمَ النبيَّ ﷺ، سمَّاه رسول الله ﷺ سفينة؛ لأنّه كان مع النبيِّ ﷺ في سفر، فكان بعض القوم إذا أعيا ألقى عليه ثوبه، حتى حملَ من ذلك شيئاً كثيراً، فقال النبي ﷺ: «**ما أنتَ إلَّا سفينةٌ**»، روى عن النبي ﷺ وعن أم سلمة، وعلي، وعنه ولداه عبد الرحمٰن، وعمر، وسالم بن عبد الله وغيرهم. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٥٩).

عليهم فقد أخرج **الترمذيُّ** من حديث سَعِيدِ بْنِ جُمْهَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي سَفِينَةُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**»، ثُمَّ قَالَ لِي سَفِينَةُ: أَمْسِكْ خِلَافَةَ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ قَالَ: وَخِلَافَةَ عُمَرَ، وَخِلَافَةَ عُثْمَانَ، ثُمَّ قَالَ [لِي]: أَمْسِكْ خِلَافَةَ عَلِيٍّ، [قَالَ:] فَوَجَدْنَاهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ سَعِيدٌ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِيهِمْ، قَالَ: كَذَبُوا بَنُو الزَّرْقَاءِ، بَلْ هُمْ مُلُوكٌ مِنْ شَرِّ الْمُلُوكِ[1].

۞ حديث رؤيا الميزان الذي يدلُّ على خلافة الخلفاء الثلاثة:

• وأما ما يدلّ على خلافة الخلفاء الثلاثة من **رؤيا الميزان**، فقد أخرج الحاكم عن سعيد بن جمهان عن **سفينة** مولى أمِّ سلمة رضي الله عنها، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى الصبح، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أيُّكم رأى الليلةَ رؤيا؟**» قال: فصلّى ذاتَ يوم، فقال: «**أيّكم رأى رؤيا؟**» فقال رجل: أنا رأيتُ يا رسولَ اللهِ! كأَنَّ ميزاناً دُلِّي به من السماء، فوُضِعتَ في كفّة، ووضع أبو بكر من[2] كفة أخرى، فرجحت بأبي بكر، فرُفِعتْ، وتُرِك أبو بكر مكانه، فجيء بعمر بن الخطاب، فوُضع في الكفّة الأخرى، فرجح به أبو بكر، فرُفِع أبو بكر، وجيء بعثمان فوُضِع في الكفة الأخرى، فرجح عمر بعثمان، ثم رُفِع عمر وعثمان ورُفِع الميزان، قال: فتغيّر وجه رسولِ اللهِ ﷺ ثم قال: «**خلافةُ النبوةِ ثلاثونَ عاماً، ثم تكونُ ملكاً**»، قال سعيد بن جمهان: فقال لي سفينة: أمسك سَنَتَي أبي بكر، وعشرَ عمر، واثنتي عشرة عثمان، وستَّ

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٢٦).

(٢) في الأصل الفارسي: «في» مكان «من».

علي رضي الله عنهم أجمعين[١].

ومن مسند العرباض بن سارية[٢] رضي الله عنه

۞ وجوب اتباع سنن الخلفاء الراشدين:

• أما وجوب اتباع سنن الخلفاء الراشدين فقد أخرج **ابن ماجه** من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ **الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ** يَقُولُ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ: **«قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الآنِفِ حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادَ»**[٣].

۞ مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء:

• وأمّا مواعيد الله الظاهرة على أيدي الخلفاء فقد أخرج **أحمد** من طريق إِسْمَاعِيل بن عَيَّاشٍ، عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ زُرْعَةَ، عَنْ شُرَيْحِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ الْعِرْبَاضُ بْنُ سَارِيَةَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ عَلَيْنَا فِي الصُّفَّةِ

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٣٨).

(٢) هو: العرباض بن سارية السلمي، يكنى أبا نجيح، روى عنه عبد الرحمٰن بن عمرو وجبير بن نفير وخالد بن معدان وغيرهم وسكن الشام، توفي سنة ٧٠هـ، وقيل: توفي في فتنة ابن الزبير. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٥١٦).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» (١/ ١٦) برقم: (٤٣).

وَعَلَيْنَا الْحَوْتَكِيَّةُ، فَيَقُولُ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا ذُخِرَ لَكُمْ مَا حَزِنْتُمْ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْكُمْ، وَلَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ فَارِسُ وَالرُّومُ»(١).

ومن مسند عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري(٢) رضي الله عنه

❁ حجِّية رأي الشيخين:

• أمّا تصويبُ رأي الشيخين وأنَّ رأيهما حجّةٌ، والإشارةُ إلى خلافتهما فقد أخرج **أحمد** من حديث عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن **عبد الرحمٰن بن غنم** أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: **«لو اجتمعتما في مشورةٍ ما خالفتكما»**(٣).

❁ الخلافة حق المهاجرين الأولين:

• وأمّا أنَّ الخلافةَ حقُّ المهاجرين الأوَّلين دون الطلقاء، فقد أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»: أنّ **عبد الرحمٰن بن غنم** عاتب أبا هريرة وأبا الدرداء بحمص إذ(٤) انصرفا من عند علي رضي الله عنه رسولين لمعاوية، وكان ممّا قال لهما: عجباً منكما!! كيف جاز عليكما ما جئتما به؟ تدعوان عليّاً أن يجعلها شورى، وقد علمتما أنّه قد بايعه المهاجرون والأنصار وأهل الحجاز والعراق، وأنَّ مَنْ رضيه خيرٌ ممّن كرهه، ومن

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٢٨) برقم: (١٧٢٠١).

(٢) كان مسلماً على عهد رسول الله ﷺ ولم يره، ولم يفد إليه، ولزم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن إلى أن مات في خلافة عمر، يعرف بصاحب معاذ لملازمته، وسمع عمر بن الخطاب، وكان أفقه أهل الشام، وهو الذي فقّه عامة التابعين بالشام، وكانت له جلالة وقدر، توفي سنة ٧٨هـ، روى عنه أبو إدريس الخولاني وجماعة من أهل الشام. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٣٨٣).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٢٧) برقم: (١٨٠٢٣).

(٤) في الأصل الفارسي «إذا» مكان «إذ».

بايعه خيرٌ ممّن لم يبايعه، وأيُّ مدخل لمعاوية في الشورى، وهو من الطلقاء الذين لا تجوزُ لهم الخلافة، وهو وأبوه من رؤوس الأحزابِ، فندما على مسيرهما، وتابا منه بين يديه ﷺ[١].

ومن مسند أبي أروى الدوسي[٢] رضي الله عنه

❁ الدليل على خلافة الشيخين:

• أمّا ما يدلُّ على خلافتهما، وأنَّ مواعيد الله لنبيِّه يظهر على أيديهما فقد أخرج **الحاكم** من طريق سهيل بن أبي صالح، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن عن **أبي أروى الدوسي**، قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ، فاطّلع أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الحمدُ للهِ الذي أيّدني بكما**»[٣].

ومن مسند أبي أمامة الباهلي[٤] رضي الله عنه

❁ مناقب الشيخين:

• أخرج الحاكم من حديث موسى بن عمير، قال: سمعت

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٥٧) رقم الترجمة: (١٤٤٩).

(٢) لا يعرف اسمه ولا نسبه، قال ابن السكن: له صحبةٌ، كان ينزل ذا الحُليفة، ذكر الواقدي أنّه شهدَ مع النبي ﷺ غزوة قرقر الكدر، قال ابن السكن وأبو عمر: مات في آخرِ خلافة معاوية. انظر: «الإصابة» (٤/ ٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٧) برقم: (٤٤٤٨).

(٤) هو: صُدَيّ بن عجلان بن الحارث أبو أمامة الباهلي سكن مصر، ثم انتقل منها، فسكن حمص من الشام، ومات بها، وكان من المكثرين في الرواية، وأكثر حديثه عند الشاميين، روى عنه سليم بن عامر الخبائري، والقاسم أبو عبد الرحمٰن، أبو غالب حزوّر، وشرحبيل بن مسلم وغيرهم، وروى عن النبي ﷺ فأكثر، توفي سنة ٨١هـ، وقال سفيان بن عيينة: هو آخر من مات بالشام من الصحابة. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ١٦).

مكحولاً يقول: وسأله رجل عن قول الله عَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال: حدَّثني أبو أمامة أنه كما قال: الله مولاه وجبريل، وصالح المؤمنين: أبو بكر وعمر(١).

ومن مسند سالم بن عبيد الأشجعي(٢) رضي الله عنه

۞ إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أخرج **ابن ماجه** من حديث نبيط بن شريط، عن **سالم بن عبيد**، قال: أغمي على رسولِ اللهِ ﷺ في مرضه، ثم أفاق، فقال: «**أحَضَرَتِ الصلاة؟**» قالوا: نعم، قال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**».

ثم أغمي عليه، فأفاق، فقال: «**أحضرت الصلاة؟**» قالوا: نعم، قال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**»، فقالت عائشةُ: إنَّ أبي رجلٌ أسيفٌ، فإذا قام ذلك المقامَ يبكي لا يستطيعُ، فلو أمرتَ غيرَه.

ثم أُغميَ عليه، فأفاقَ، فقال: «**مروا بلالاً فليؤذِّن، ومروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ، فإنكنَّ صواحبَ يوسفَ، أو صواحباتِ يوسفَ**»، قال: فأُمِرَ بلالٌ فأذَّن، وأُمِرَ أبو بكر فصلَّى بالناسِ.

ثم إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ وجدَ خِفّةً، فقال: «**انظروا لي مَنْ أتكئُ**

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٣) برقم: (٤٤٣٣).

(٢) هو من أهل الصفة، سكن الكوفة، وروى له من أصحاب السنن حديثين بإسنادٍ صحيح في العطاس، وله رواية عن عمر فيما قاله وصيفه عند وفاة النبي ﷺ، روى عنه هلال بن يساف، ونبيط بن شريط، وخالد بن عرفطة، ولم نطلع على أكثر من ذلك من أحواله. انظر: «الإصابة» (٢/ ٥)، و«أسد الغابة» (٢/ ١٥٨).

عليه»، فجاءت بَرِيْرَةُ ورجلٌ آخر، فاتكأ عليهما، فلمّا رآه أبو بكرٍ ذهبَ لينكصَ، فأومأَ إليه أنِ اثبتْ مكانَكَ، ثم جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى جلسَ إلى جنبِ أبي بكرٍ، حتى قضى أبو بكر صلاته، ثم إنَّ رسول الله ﷺ قُبِضَ[١].

ومن مسند عرفجة الأشجعي[٢] رضي الله عنه

❁ حديث الوزن:

أما حديث الوزن، فقد أخرج أبو عمر، عن قطبة بن مالك، عن **عرفجة الأشجعي**، قال: صلَّى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاة الفجر ثم جلس، فقال: «**وُزِنَ أصحابنا الليلة، وُزِنَ أبو بكر فَوَزَنَ، ثم وُزِنَ عمر فَوَزَنَ، ثم وُزِنَ عثمان فخفّ، وهو رجل صالح**»[٣].

ومن مسند عياض بن حمار المجاشعي[٤] رضي الله عنه

● حديثه في أنّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم، فقد أخرج **مسلم** عن عياض بن حمار المجاشعي أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٢٣٤).

(٢) هو: عَرْفَجَةُ بن شُريحٍ الأشجعي، وقيل: الكندي، ولكن فرّق ابن أبي خَيْثَمة بينه وبين الأشجعي، وقيل: عرفجةُ بنُ صريح، سكن الكوفة، روى عنه قطبة بن مالك، وزياد بن علاقة، والسّبِيعي وغيرهم، وحديثه عند مسلم، وأبي داود، والنسائي: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ خرجَ على أمّتي وهم جميعٌ...**» روى عن أبي بكر الصدّيق. انظر: «الإصابة» (٢/ ٤٧٤)، و«أُسد الغابة» (٣/ ٥١٩).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٧) رقم الترجمة: (١٧٩٧).

(٤) هو: عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية التميمي المجاشعي، سكن البصرة، روى عنه مطرّف، ويزيد ابنا عبد الله بن الشخير، والحسن. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٢٢).

ذاتَ يومٍ في خُطبته: «ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمَكُم ما جهلتُم ممّا علَّمني يومي هذا، كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ.

وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشياطينُ، فاجتالتْهم عَنْ دينِهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزّل به سلطاناً.

وإنَّ الله نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهل الكتابِ».

وقال: إنّما بعثتُكَ لأبتليَكَ وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسله الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظان.

وإنّ اللهَ أمرني أن أحرقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسي فيدعوه خبزةً، قال: استخرجْهم كما استخرجوكَ، واغزُهم نغزك، وأنفقْ فسننفقُ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثُ خمسةً مثله، وقاتِلْ بمن أطاعَكَ مَنْ عصاك»[1] الحديث.

ومن مسند ربيعة بن كعب الأسلمي[2] رضي الله عنه

❁ منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ:

● حديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ وأصحابه، أخرج **أحمد** من حديث أبي عمران الجوني عن **ربيعة الأسلمي**، فذكر حديثاً طويلاً آخره:

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٨٦٥).

(٢) هو: أبو فراس ربيعة بن كعب بن مالك بن يعمر، يعدّ في أهل الحجاز، روى عنه أبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وحنظلة بن عمرو الأسلمي، وأبو عمران الجوني، كان من أهل الصُّفة، يلزم النبيَّ ﷺ في السفر والحضر، وصحبه قديماً، وعُمِّرَ بعده، حتى توفي بعد الحَرّة، وكانت وفاته سنة ٦٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٦٤).

ثم قال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أعطاني بعد ذلك أرضاً، وأعطى أبا بكرٍ أرضاً، وجاءت الدنيا، فاختلفنا في عذقِ نخلةٍ، فقلتُ أنا: هي في حدِّي، وقال أبو بكر: هي في حدّي، فكان بيني وبين أبي بكرٍ كلامٌ، فقال أبو بكر كلمة كرهها وندم، فقال لي: يا ربيعةُ! ردَّ عليَّ مثلَها حتَّى تكونَ قصاصاً، قال: قلت: لا أفعل، فقال أبو بكر: لتقولنَّ [لي[1]] أو لأستعدينَّ عليكَ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلتُ: ما أنا بفاعل، قال: ورفضَ الأرضَ، وانطلقَ أبو بكرٍ رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ وانطلقتُ أتلوه، فجاء ناسٌ مِنْ أسلمَ، فقالوا لي: رحمَ الله أبا بكر، في أيِّ شيءٍ يستعدي عليك رسولَ اللهِ ﷺ؟ وهو قال لك ما قال، فقلتُ: أتدرونَ ما هذا؟ هذا أبو بكر الصدِّيق، هذا ثاني اثنينِ، وهذا ذو شيبةِ المسلمين، إيّاكم لا يلتفتُ، فيراكم تنصروني عليه، فيغضبُ، فيأتي رسولَ اللهِ ﷺ، فيغضبُ لغضبِهِ، فيغضبُ الله عز وجل لغضبِهما، فيهلكَ ربيعة، قالوا: ما تأمرنا؟ قال: ارجعوا.

قال: فانطلقَ أبو بكر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فتبعته وحدي، حتى أتى النبيَّ ﷺ، فحدّثه الحديث كما كان، فرفع إليَّ رأسه، فقال: **«يا ربيعةُ! ما لَك وللصدِّيقِ؟»** قلتُ: يا رسولَ اللهِ! كان كذا، كان كذا، قال لي كلمةً كرهها، فقال لي: قل كما قلتُ حتَّى يكونَ قصاصاً، فأبيتُ، فقال رسول الله ﷺ: **«أجل، فلا تردَّ عليه، ولكنْ قُلْ: غفرَ اللهُ لك يا أبا بكرٍ!»** فقلت: غفرَ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ! قال الحسن: فولَّى أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي[2].

---

(١) زادت على الأصل الفارسي.

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/٥٨) برقم: (١٦٥٧٧).

ومن مسند أبي برزة الأسلمي[(١)] رضي الله عنه

۞ الخلافة في قريش:

• حديثه في إمامة قريش، أخرج **أحمد** عن سيار بن سلامة، قال: دخلتُ مع أبي على **أبي برزة الأسلمي**، فقال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الأمراءُ من قريشٍ، الأمراءُ من قريشٍ، الأمراءُ من قريشٍ، لكم عليهم حقٌّ، ولهم عليكم حقٌّ ما فعلوا ثلاثاً: ما حكموا فعدلوا، واستُرحِموا فَرَحِمُوا، وعاهدوا فوفَّوا، فمن لم يفعلْ ذلكَ منهم، فعليهِ لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين»**[(٢)].

ومن مسند عمرو بن عبسة[(٣)] رضي الله عنه

۞ تقدّم أبي بكر رضي الله عنه في الإسلام:

• حديثه في تقدُّم أبي بكر الصدِّيق في الإسلام، أخرج **أحمد** من حديث سليم بن عامر عن **عمرو بن عبسة** قال: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو بعكاظ، فقلتُ: مَنْ تبعكَ على هذا الأمر، فقال: حرٌّ وعبدٌ ومعه أبو بكر وبلال رضي الله تعالى عنهما، فقال لي: ارجع حتى

---

(١) اختلف في اسمه واسم أبيه، وأصحّ ما قيل فيه: نضلة بن عبيد، نزل البصرة، وله بها دار، وسار إلى خراسان فنزل مرو، وعاد إلى البصرة، ومات بالبصرة سنة ٦٠هـ، قبل موت معاوية، وقيل: مات سنة ٦٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣١).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٤٢٤) برقم: (١٩٨١٨).

(٣) هو: أبو نجيح عمرو بن عبِسة بن عامر، أسلم قديماً، كان يقال: هو ربع الإسلام، وكان قدومه المدينة بعد مضي بدر وأُحد والخندق، ثم قدم المدينة فسكنها، ونزل بعد ذلك الشام، روى عنه من الصحابة عبد الله بن مسعود وأبو أمامة الباهلي، ومن التابعين: أبو إدريس الخولاني، وسليم بن عامر، وكثير بن مرّة وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٤٨).

يُمَكِّنَ الله ﷻ لرسوله[(١)].

وأخرج **أحمد** من طريق عبد الرحمٰن بن أبي عبد الرحمٰن عن **عمرو بن عبسة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: من تابعك على أمرِكَ هذا؟ قال: حرٌّ وعبدٌ؛ يعني: أبا بكر وبلالاً رضي الله تعالى عنهما، وكان عمرو يقول بعد ذلك: فلقد رأيتَني وإنِّي لربعُ الإسلامِ[(٢)].

ومن مسند سلمان الفارسي[(٣)] رضي الله عنه

❁ فضيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قوله في فضل عمر رضي الله عنه، أخرج **الحاكم** من طريق عمران بن خالد الخزاعي البناني عن أنس بن مالك، قال: دخل **سلمان الفارسي** على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وهو متكئ على وسادةٍ، فألقاها له، فقال سلمان: صدق الله ورسوله، فقال عمر: حدِّثنا يا أبا عبد الله! قال: دخلت على رسولِ الله ﷺ وهو متكئٌ على وسادةٍ، فألقاها إليَّ، ثم قال لي: **«يا سلمانُ، ما مِنْ مسلمٍ يدخلُ على أخيه المسلم فيلقي له وسادة إكراماً له إلّا غفرَ اللهُ له»**[(٤)].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٨٥) برقم: (١٩٤٥٢).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٨٥) برقم: (١٩٤٥٣).

(٣) هو: أبو عبد الله سلمان الفارسي، مولى رسول الله ﷺ، أصلُه من فارس من رَامَهُرْمُز، وكان اسمه قبل الإسلام: مابه بن بوذخشان بن مورسلان، كان ببلاد فارس مجوسياً سادنَ النار، ولإسلامه قصةٌ عجيبةٌ، أول مشاهده مع رسول الله الخندقُ، ولم يتخلَّف عن مشهد بعد الخندق، روى عنه ابنُ عباس، وأنس، وعقبة بن عامر، وغيرهم، توفي سنة ٣٥هـ في آخر خلافة عثمان. انظر: «أسد الغابة» (٢/ ٢٦٥).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٩٢) برقم: (٦٥٤٢).

ومن مسند ذي مخمر[1] رضي الله عنه

الخلافة في قريش:

• حديثه في خلافة قريش، أخرج **أحمد** عن أبي حي عن **ذي مخمر** أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**كان هذا الأمرُ في حِمْيَر، فنزعَهُ اللهُ عز وجل منهم، فجعلَه في قريشٍ، وَسَ يَ عُ ودُ إلَ يْ هِ مْ**»[2]. [وكذا كان في كتاب أبي مقطعاً، وحيث حدثنا به تكلم على الاستواء].

مسند عوف بن مالك الأشجعي[3] رضي الله عنه

صفة الخلافة الراشدة:

• حديثه في صفة الخلافة الراشدة، أخرج **مسلم** عن عوف بن مالك الأشجعي يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**خيارُ أئمتِكُم الذينَ تحبّونهم ويحبّونكم وتصلّون عليهم ويصلّون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونَهم ويلعنونكم**»، قالوا: قلنا: يا رسول الله! أفلا ننابِذْهم عندَ ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاةَ، لا، ما أقاموا فيكم الصلاةَ، ألا مَنْ وليَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً**

---

(١) يقال له: ذو مخبر أيضاً، الحبشي ابن أخي النجاشي، وفد على النبي ﷺ وخدمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث أخرج منها أحمد، وأبو داود، وابن ماجه. انظر: «الإصابة» (١/ ٤٨٨).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩١) برقم: (١٦٨٧٣). والأحرف المقطعة (سيعود).

(٣) هو: أبو عبد الرحمٰن عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام، وروى عنه من الصحابة أبو أيوب الأنصاري، وأبو هريرة، والمقدام بن معديكرب، ومن التابعين، أبو مسلم، وأبو إدريس الخولانيان، وجبير بن نفير وغيرهم، توفي بدمشق سنة ٧٣هـ. انظر: «أسد الغابة» (٤/ ١٢).

من معصية الله فليكره ما يأتي من معصيةِ اللهِ، ولا ينزعنَّ يداً من طاعةٍ»[١].

• وأخرج **أبو عمر** عن عبد الملك بن عمير، قال: حدَّثنا أبو بردة[٢] عن **عوف بن مالك الأشجعي**: أنّه رأى في المنامِ كأنّ الناسَ جمعوا، فإذا فيهم رجلٌ فَرَعَهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: عمر، قلتُ: لم؟ قالوا: لأنّ فيه ثلاثَ خصالٍ: إنّه لا يخافُ في الله لومة لائم، وإنّه خليفةٌ مستخلَفٌ، وشهيدٌ مستشهَدٌ، قال: فأتى إلى أبي بكر فقصّها عليه، فأرسل إلى عمر، فدعاه ليبشِّره، قال: فجاء عمرُ، فقال لي أبو بكر: اقصص رؤياك، قال: فلمّا بلغتُ «خليفةٌ مستخلَفٌ» زبرني عمر، وانتهرني،[٣] وقال: اسكت، تقول هذا وأبو بكر حيّ، قال: فلمّا كان بعدُ، وولي عمرُ، مررتُ بالمسجد[٤]، وهو على المنبر، قال: فدعاني، وقال: اقصص رؤياك فقصصتُها، فلمّا قلتُ: إنَّه لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، قال: إنِّي لأرجو أن يجعلني الله منهم، قال: فلمّا قلت: خليفةٌ مستخلَفٌ، قال: قد استخلفني الله، فسله أن يعينني على ما ولَّاني، فلما ذكرت: «شهيد مستشهد»، قال: أنَّى لي بالشهادة وأنا بين أظهركم تغزون ولا أغزو، ثم قال: بلى، يأتي الله بها إن شاء الله[٥].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٨٥٥).

(٢) في الأصل الفارسي زيادة: «وأخي».

(٣) ورد في الأصل الفارسي «كهرني».

(٤) في الأصل الفارسي: «مررت بالشام».

(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٥٨) رقم الترجمة: (١٨٧٨).

ومن مسند عبد الله بن مغفل المزني[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في حبِّ الصحابة:

• أخرج **أحمد** عن عبد الله بن عبد الرحمٰن عن **عبد الله بن مغفل المزني**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أصحابي لا تتّخذوهم غرضاً بعدي[٢]، فمن أحبَّهم فبحبِّي أحبَّهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أوشكَ أنْ يأخذَه»**[٣].

ومن مسند حفصة[٤] زوج النبيِّ ﷺ

❁ مناقب عثمان رضي الله عنه:

• حديثها في فضل عثمان رضي الله عنه، أخرج **أحمد** من حديث ابن جريج، قال: أخبرني أبو خالد، عن عبد الله بن أبي سعيد المزني، قال: حدَّثتني **حفصة** ابنة عمر بن الخطاب، قالت: كان رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ

---

(١) هو: أبو سعيد عبد الله بن مغفل بن عبد غنم المزني، كان من أصحاب الشجرة، سكن المدينة، ثم تحوّل إلى البصرة، وابتنى بها داراً، وكان أحدَ العشرة الذين بعثهم عمر إلى البصرة يفقِّهون الناس، روى عن النبي ﷺ أحاديث، روى عنه الحسن البصري، وأبو العالية وغيرهما، توفي عبد الله بالبصرة سنة ٥٩هـ، وقيل: سنة ٦٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٩٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «غرضاً من بعدي»، وكذا في «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ١٩١) برقم: (١٥١١)، وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٨/ ٢٨٧).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٢٧/ ٣٥٨) برقم: (١٦٨٠٣).

(٤) هي: حفصة بنت عمر بن الخطاب، أم المؤمنين، كانت من المهاجرات، وكانت قبل رسول الله ﷺ تحت خنيس بن حذافة السهمي، تزوَّجها النبيُّ ﷺ سنة ثلاث عند أكثر العلماء، وتزوّجها بعد عائشة، طلّقها تطليقة ثم ارتجعها، روت عن النبيِّ ﷺ، وروى عنها أخوها عبد الله بن عمر، توفيت حفصة حين بايع الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية، وذلك في جمادى الأولى سنة ٤١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٦/ ٦٥).

يوم قد وضع ثوباً بين فخذيه، فجاء أبو بكر، فاستأذنَ، فأذنَ له وهو علىٰ هيئته، ثم عمرُ بمثل هذه القصة، ثم عليّ، ثم ناسٌ من أصحابه، والنبيُّ ﷺ على هيئته[١]، ثم جاء عثمانُ، فاستأذنَ، فأذن له، فأخذَ ثوبَه، فتجلَّله، فتحدَّثوا ثم خرجوا، قلتُ: يا رسولَ اللهِ! جاء أبو بكر وعمر وعلي وسائر أصحابك، وأنت[٢] على هيئتِك، فلمّا جاء عثمانُ تجلَّلت بثوبِكَ، فقال: «**ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة؟**»[٣].

۞ البشارة لأهل بدر والحديبية:

• وحديثها في بشارة أهل بدر والحديبية، أخرج **مسلم** عن **حفصة** قالت: قال النبيُّ ﷺ: «**إني لأرجو ألّا يدخلَ النارَ أحدٌ إن شاء الله تعالى ممّنْ شهدَ بدراً والحديبيةَ**»، قالت: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أليس قد قال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم]، قال: «**أفلم تسمعيه يقول**: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريم: ٧٢]»[٤].

وفي رواية: «**لا يدخلُ النارَ إنْ شاءَ اللهُ مِنْ أصحابِ الشجرةِ أحدٌ الذين بايعوا تحتها**»[٥].

۞ ۞ ۞

(١) قد ورد في الأصل الفارسي: «ثم جاء عمر، فاستأذن، فأذن له، ثم جاء ناسٌ من أصحابه والنبي ﷺ على هيئته»، ولم يرد فيه ذكر علي رضي الله عنه.
(٢) في الأصل الفارسي: «وكنت».
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦/ ٢٨٨) (٢٦٥٠٩).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٩٦)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢٨١) واللفظ له.
(٥) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٩٦).




مسانيد الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ

من مسند معاذ بن جبل[١] رضي الله عنه

❁ كون الخلافة الراشدة رحمة:

• [لقد جاء] في «المشكاة» عن **أبي عبيدة ومعاذ بن جبل** عن رسول الله ﷺ، قال: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم ملكاً عضوضاً، ثم كائن جبرياً وعتواً وفساداً في الأرض يستحلّون الحريرَ والفروجَ والخمورَ، يرزقون على ذلك، وينصرونَ حتّى يلقوا الله**»، رواه **البيهقي** في «**شعب الإيمان**»[٢].

ومن مسند أُبيّ بن كعب[٣] رضي الله عنه

❁ فضيلة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

• في فضل عمر رضي الله عنه، أخرج **الحاكم** من حديث يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن **أُبي بن كعب** رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أوّلُ مَنْ يعانِقُه الحقُّ يومَ القيامةِ عمرُ، وأوّلُ من يصافِحُهُ الحقُّ يومَ القيامةِ**

---

(١) تقَّدمت ترجمته في: (ص٢٩٨).
(٢) انظر: «شعب الإيمان» (٥/ ١٦) برقم: (٥٦١٦)، و«مشكاة المصابيح» (٣/ ١٦٦).
(٣) هو: أبو المنذر، أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً، روى عنه: عبادة بن الصامت، وابن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب وغيرهم، اختلف في وقت وفاته، فقيل: توفّي سنة ٢٢هـ، في خلافة عمر، وقيل: سنة ٣٠هـ، في خلافة عثمان، وهو الصحيح، وقال أبو عمر: مات سنة ١٩هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٦١).

عمرُ، وأوَّلُ من يؤخذُ بيدِهِ فيُنْطَلَقُ به إلى الجَنَّةِ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه»[١].

ومن مسند أبي أيوب الأنصاري[٢] رضي الله عنه

فتوح الأمصار:

• حديثه في فتوح الأمصار، أخرج **الحاكم** عن عبد الرحمٰن، عن ابن أبي ليلى، عن **أبي أيوب** رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**إنِّي رأيتُ في المنامِ غنماً سوداءُ يتبعُها غنمٌ عُفْرٌ[٣]، يا أبا بكر! اعبُرْها**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! هي العربُ تتبعُكَ، ثم تتبعُها العجمُ حتى تغمرُها، فقال النبي ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلَكُ بِسَحَرٍ**»[٤].

ومن مسند أبي الدرداء[٥] رضي الله عنه

التعريض بخلافة الشيخين:

• حديثه في التعريض عن خلافة الشيخين، أخرج **الحاكم** عن

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

(٢) هو: خالد بن زيد بن كليب، أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، كان مع علي بن أبي طالب ومن خاصّته، شهد مع علي الجمل وصفّين، وكان على مقدمته يوم النهروان، ثم إنّه غزا أيام معاوية أرض الروم مع يزيد بن معاوية، سنة ٥١هـ، وتوفي عند مدينة القسطنطينية وقيل: سنة ٥٠هـ، ودفن هناك، وهو الذي نزل عليه رسول الله ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً إلى أن بنى مسجده ومساكنه. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٢٥).

(٣) في الأصل الفارسي: «غنماً سوداً دخلت فيها غنم عفر».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٥) هو: عويمر بن عامر بن مالك، تأخَّر إسلامه قليلاً، كان آخرَ أهل داره إسلاماً، وحسن إسلامه، وكان فقيهاً عاقلاً حكيماً، شهد ما بعد أُحد من المشاهد، واختلف في شهوده أُحداً، ولي أبو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان، وتوفي قبل أن يقتل عثمان بسنتين. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٩٧).

سعيد بن جبير عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: خطبَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خطبةً خفيفةً، فلمّا فرغ من خطبته، قال: «**يا أبا بكر! قُمْ فاخْطُب**»، فقام أبو بكر رضي الله عنه فخطبَ، فقصر دون النبي صلى الله عليه وسلم، فلمّا فرغَ أبو بكر من خطبته، قال: «**يا عمرُ! قم فاخْطُبْ**»، فقام عمر رضي الله عنه فخطب، فقصر دون النبي صلى الله عليه وسلم ودون أبي بكر رضي الله عنه[١].

❁ مكانة أبي بكر الصدِّيق عند النبي صلى الله عليه وسلم:

• وحديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأخرج **البخاري** عن بسر بن عبيد الله، عن عائذ الله أبي إدريس، عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلَ أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته[٢]، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**أمّا صاحبُكم فقد غامَرَ**»، فسلَّم، وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه ثم ندمتُ، فسألتُه أن يغفرَ لي فأبى عليَّ فأقبلتُ إليكَ، فقال: «**يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكرٍ!**» ثلاثاً، ثم إنَّ عمرَ نَدِمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ، فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم [فسلَّم]، فجعل وجهُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يتمعَّر، حتى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ اللهِ! واللهِ أنا كنتُ أظلمُ (مرتين) فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إنّ الله بعثني إليكم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صَدَقَ[٣]، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فهل أنتم تاركوا لي[٤] صاحبي**» (مرتين) فما أوذي بعدها[٥].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣) برقم: (٤٥٠٠).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ركبتيه» بصيغة التثنية.

(٣) في الأصل الفارسي: «صدقت» بدل «صدق».

(٤) وفي الأصل الفارسي «تاركون لي» وكذا ورد في البخاري بسندٍ آخر عن بسر بن عبيد الله نفسه بلفظ: «تاركون لي» برقم: (٤٦٤٠).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦١).

ومن مسند أُسيد بن حضير[١] رضي الله عنه

۞ مكانة أبي بكر الصدِّيق عند الصحابة:

• حديثه في منزلة أبي بكر رضي الله عنه عند الصحابة، أخرج **البخاري** عن مالك، عن عبد الرحمٰن بن القاسم عن أبيه، عن **عائشة** في قصة نزول آية التيمم، [فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّم فَتَيَمَّمُوا]، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[٢].

۞ الأثرة تكون بعد عمر:

وقوله: إنَّ الأثرةَ لا تكونُ إلّا بعد عمر، أخرج **أبو يعلى** من طريق محمود بن لبيد، عن ابن شفيع ـ وكان طبيباً ـ عن **أسيد بن حضير**، [قال: و[٣]] سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنكم ستلقونَ أثرةً بعدي**»، فلمّا كان عمر بن الخطاب، قسمَ حُللاً بين الناس، فبعثَ إليّ منها بِحُلَّةٍ، فاستصغرتُها، فأعطيتُها ابنتي[٤]، فبينما أنا أصلِّي إذ مرَّ بي شابٌّ من قريشٍ، عليه حُلَّة من تلك الحلل يجرّها[٥]، فذكرتُ قول رسولِ اللهِ ﷺ: «**إنكم ستلقون أثرةً بعدي**»، فقلت: صدق الله ورسوله، فانطلق رجلٌ إلى عمر فأخبره، فجاء وأنا أصلِّي، فقال: صلِّ يا أُسيدُ، فلمّا قضيتُ صلاتي

---

(١) هو: أبو يحيى أُسيد بن حضير بن سماك الأنصاري الأوسي، وكان أبوه حضير فارس الأوس في حروبهم مع الخزرج، وكان له حصن «واقم»، وكان رئيسَ الأوس يوم بعاث، وكان إسلامه بعد العقبة الأولى، وقيل: الثانية، روى عنه كعب بن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وعائشة، توفي أُسيد بن حضير في شعبان سنة ٢٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١١١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٧٢).

(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٤) في الأصل الفارسي: «ابنين»، وهو تحريف.

(٥) في الأصل الفارسي: «نحوها»، لعلَّه تصحيف.

قال: كيفَ قلتَ؟ فأخبرته، فقال: تِلْكَ حلَّةٌ بعثتُ بها إلى فلان وهو بدري، أُحدي، عقبي، فأتاه هذا الفتى، فابتاعها منه فلبسها، فظننتُ أنَّ ذاك يكون في زماني، قلت: قد والله يا أمير المؤمنين! ظننتُ أنّ ذاك لا يكونُ في زمانِكَ[١].

ومن مسند زيد بن ثابت[٢] رضي الله عنه

❁ المهاجرون أولى بالخلافة من غيرهم:

• **وقوله**: إن المهاجرين أولى بالخلافة من غيرهم، أخرج **الحاكم** من حديث وهيب، ثنا داود بن أبي هند، ثنا أبو نضرة، عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: لما توفِّي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار، فجعل الرجل منهم، يقول: يا معشر المهاجرين! إن رسول الله ﷺ كان إذا استعملَ رجلاً منكم قرن معه رجلاً منَّا، فنرى أنْ يليَ هذا الأمرَ رجلان، أحدهما منكم، والآخر منا، قال: فتتابعتِ خطباءُ الأنصار على ذلك، فقام زيدُ بنُ ثابت، فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان من المهاجرين، وإنَّ الإمامَ يكونُ من المهاجرين، ونحن أنصاره، كما كنا أنصارَ رسولِ اللهِ ﷺ، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فقال: جزاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار! وثبَّت قائلكم، ثم قال: أمّا لو فعلتم غيرَ ذلكَ لما صالحناكم، ثم أخذ زيدُ بنُ ثابتٍ بيد أبي بكر، فقال: هذا صاحبُكم، فبايعوه، ثم

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٢/٢٤٣) برقم: (٩٤٥).

(٢) هو: أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، كان عمره لما قدم النبي ﷺ المدينة ١١ سنة، واستصغره رسول الله ﷺ يوم بدر فردّه، وشهد أُحداً، كان زيد يكتب لرسول الله ﷺ الوحي وغيره، كان أعلمَ الصحابة بالفرائض، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، توفي سنة ٤٥هـ، وفيه أقوال أخرى، هو الذي كتب القرآن في عهد أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما. انظر: «أُسد الغابة» (٢/١٢٦).

انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار فأتوا به، فقال أبو بكر: ابنُ عمِّ رسولِ الله ﷺ وختنه! أردتَ أنْ تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! فبايعه[١]، ثم لم يرَ الزبيرَ بنَ العوام فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابنَ عمّةِ رسول الله ﷺ وحواريه! أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟ فقال مثل قوله: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله ﷺ! فبايعاه، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢].

ومن مسند زيد بن خارجة[٣] رضي الله عنه

❁ تكلُّمه بعد موته بفضائل الثلاثة:

● أخرج أبو عمر من طريق سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد

---

(١) عُلم من ذلك أن علياً رضي الله عنه لم يتأخّر في بيعته لأبي بكر الصدِّيق بيوم، وهذا الحديث مروي عن غير أبي سعيد الخدري من الصحابة، ورواه بالإضافة إلى الحاكم أبو داود الطيالسي، وابن سعد، وابن أبي شيبة، وابن جرير، والبيهقي، وابن عساكر، وصحّحه ابن حبان مع الحاكم، قال فيه البيهقي: الموصولة عن أبي سعيد أصح «فتح الباري» (٧/ ٤٩٥)، لكنَّ الحديثَ الذي روي عن عائشة في صحيح البخاري، فيه: «وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت... فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته» (ح: ٤٢٤٠ ـ ٤٢٤١)، لذلك رجّح بعضُ المحدثين على رواية البخاري هذا الحديث، والسبب معقول، وطبّق البعضُ الآخر بين الحديثين بأن هذه بيعة ثانية من علي ذكرتها عائشة في رواية البخاري، والسبب في البيعة الثانية هو وقوع قصة «فدك» بعد البيعة الأولى، فتوهّم بذلك العامة، بل الخاصة أنَّ علياً وجد في نفسه لوقوع المخاصمة بين فاطمة الزهراء وأبي بكر الصدِّيق في قصة فدك، وتقوّى الوهمُ من أجل انقطاع اختلاف علي وتردّده إلى أبي بكر الصدِّيق لتمريضه إياها، وشعوراً بأسباب هذا الوهم بيّن علي فضائل أبي بكر الصدِّيق على محضر من الناس في المسجد، وبايعه ثانياً.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٠) برقم: (٤٤٥٧).

(٣) هو: زيد بن خارجة بن زيد بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي، وزيد هذا هو الذي تكلّم بعد الموت في أكثر الروايات. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ١٣٢).

عن سعيد بن المسيب أن **زيد بن خارجة** الأنصاري ـ ثم من بني الحارث بن الخزرج ـ توفِّي زمنَ عثمان بن عفان فسجِّي بثوبٍ، ثم إنّهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: أحمد أحمد في الكتابِ الأوّلِ، [صدقَ] صدقَ أبو بكر الصدِّيق، الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله، كان ذلك في الكتابِ الأوّلِ، صدقَ صدقَ عمرُ بنُ الخطاب القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عثمانُ بنُ عفان على منهاجهم، مضت أربعُ [سنين]، وبقيت اثنتان[1]، أتت الفتنُ، وأكلَ الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيْس، وما بئر أريس؟ قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: ثم هلك رجل من بني خطمة، فسُجِّي بثوبٍ، فسمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: إنَّ أخا بني الحارث بن الخزرج صدق صدق، وقال **أبو عمر**: وكانت وفاته في خلافة عثمان، وقد عرض مثل قصَّته لأخي ربعي بن خراش أيضاً[2].

ومن مسند رفاعة بن رافع الزرقي[3] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل أهل بدر:

• أخرج **البخاري** عن **رفاعة بن رافع**، قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ**

---

(١) في الأصل الفارسي: «سنتان».

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٣) رقم الترجمة: (٨٤٤)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٦/ ١٩٥).

(٣) هو: أبو معاذ رفاعة بن رافع بن مالك الأنصاري الخزرجي الزُّرقي، شهد العقبة وبدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وشهد الجمل مع علي، وشهد معه صفين أيضاً. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٧٣).

المسلمينَ»، أو كلمة نحوها، قال: وكذلكَ مَنْ شهدَ بدراً من الملائكةِ[١].

ومن مسند رافع بن خديج[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل أهل بدر:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث سفيان، عن يحيى بن سعيد، عن عباية بن رفاعة، عن جدِّه **رافع بن خديج**، قال: جاء جبريلٌ ـ أو مَلَكٌ ـ إلى النبي ﷺ، فقال: ما تعدُّون مَنْ شهدَ بدراً فيكم؟ قالوا: «**خيارنا**»، قال: كذلك هم عندنا خيار الملائكة[٣].

ومن مسند أبي سعيد بن المعلى[٤] رضي الله عنه

❁ خطبته ﷺ في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• حديثه في الخطبة التي خطبها النبي ﷺ في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أخرج **الترمذي** عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَن ابْنِ أَبِي

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٩٢).

(٢) هو: أبو عبد الله رافع بن خديج بن رافع بن عدي الأنصاري الأوسي، استصغره رسول الله ﷺ يوم بدر، وأجازه يومَ أُحد، فشهد أُحداً والخندق وأكثر المشاهد، روى عنه من الصحابة: ابن عمر، ومحمود بن لبيد، والسائب بن يزيد، وغيرهم، ومن التابعين: مجاهد، وعطاء، والشعبي، وغيرهم، وشهد صفين مع علي، مات أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٤هـ، وهو ابن ٨٦هـ، وله عقب كانوا بالمدينة وبغداد. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٨).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٠).

(٤) قيل: اسمه رافع بن المعلى، وقيل: الحارث بن المعلى، وأصحّ ما قيل في اسمه: هو: الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان الأنصاري الزرقي، له صحبة، يعدّ في أهل الحجاز، روى عنه حفص بن عاصم، وعبيد بن حنين. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ١٤٢).

الْمُعَلَّى عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ يَوْماً، فَقَالَ: **«إِنَّ رَجُلاً صالحاً خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ أَنْ يَعِيشَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَعِيشَ، وَيَأْكُلَ فِي الدُّنْيَا مَا شَاءَ أَنْ يَأْكُلَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ»**، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا الشَّيْخِ إِذْ ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلاً صَالِحاً خَيَّرَهُ رَبُّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ، قَالَ: فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَهُمْ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِن النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ إِلَيْنَا فِي صُحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ مِن ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ خَلِيلاً، وَلَكِنْ وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ، وُدٌّ وَإِخَاءُ إِيمَانٍ** (مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً) **وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ اللهِ»**[1].

ومن مسند البراء بن عازب[2] رضي الله عنه

۞ حديثه في فتوح الأمصار:

• أخرج **أبو يعلى** عن أبي عبد الله ميمون عن **البراء**، قال: أمر رسول الله بحفر الخندق، قال: عرضَ لنا صخرةٌ، لا تأخذُ فيها المعاولُ، فشكوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، قال: فأخذَ المعولَ، قال: وأحسبه، قال: وضعَ ثوبه فضربَ ضربةً، وقال: **«بسم الله»**، فكسرَ ثُلُثَ

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٥٩).

(٢) هو: أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، ردّه رسول الله ﷺ عن بدر، استصغره، وأول مشاهده أُحد، وقيل: الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ ١٤ غزوة، هو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ صلحاً أو عنوةً، وشهد البراء مع علي بن أبي طالب الجمل وصفين والنهروان، ونزل الكوفة، وابتنى بها داراً، ومات أيام مصعب بن الزبير. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٢٠٦).

الصخرةِ، ثم قال: «**اللهُ أكبرُ! أعطيتُ مفاتيحَ الشامِ، إنِّي لأنظرُ إلى قصورها الحمرِ من مكاني هذا**».

ثم قال: «**بسم الله**»، وضربَ أخرى، فكسر ثلثيها، وقال: «**اللهُ أكبرُ! أعطيتُ مفاتيحَ فارس، والله إنِّي لأنظرُ إلى المدائنِ وقصرِها الأبيض من مكاني هذا**».

ثم قال: «**بسم الله**»، وضرب أخرى، فكسر بقية الحجر، وقال: «**اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مفاتيحَ اليمنِ، واللهِ إنِّي لأنظر إلى مفاتيح صنعاء من مكاني هذا**»[1].

ومن مسند أمّ حرام الأنصارية[2] رضي الله عنها

۞ حديثها في الوعد بغزوة البحر التي كانت في زمن عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** عن خالد بن معدان: أنّ عمير بن الأسود العنسي حدَّثه أنه أتى عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو نازلٌ في ساحل حمص، وهو في بناءٍ له ومعه أمّ حرام، قال عمير: فحدَّثتنا **أم حرام** رضي الله عنها أنّها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**أوّل جيشٍ من أمتي يغزونَ البحر قد أوجبوا**».

قالت أمّ حرام: قلتُ: يا رسول الله! أنا فيهم؟ قال: «**أنت فيهم**».

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٣/ ٢٤٤) برقم: (١٦٨٥).

(٢) هي: أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد الأنصارية الخزرجية، أم حرام هي خالة أنس بن مالك، وهي زوجةُ عبادة بن الصامت، وأمها الرميصاء، وكان رسول الله يكرمها، ويزورها في بيتها، ويقيل عندها، وأخبرها أنها شهيدةٌ، ركبت البحر للمساهمة في غزوة قبرس، فلما جاوزت البحرَ ركبت دابّة فصرعتها فقتلتها، فدفنت في قبرص، وكان أميرُ ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، وذلك سنة ٢٦هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٢٠).

ثم قال النبي ﷺ: «**أولُ جيشٍ من أمتي يغزونَ مدينةَ قيصرَ مغفورٌ لهم**»، فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»[(١)].

ومن مسند سهل بن سعد الساعدي[(٢)] رضي الله عنه

۞ حديثه في إثبات الصدِّيقية لأبي بكر رضي الله عنه والشهادة له:

• أخرج أبو يعلى عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن أبي حازم عن **سهل بن سعد**: أن أُحُداً ارتجّ وعليه رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمرُ وعثمان، فقال رسول الله ﷺ: «**اثبتْ أُحدُ! فما عليكَ إلّا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدانِ**»[(٣)].

۞ حديثه في منزلة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه عند النبي ﷺ:

• أخرج **أبو يعلى** عن حماد بن زيد عن أبي حازم عن سهل بن سعد، قال: كان قتال بين بني عمرو بن عوف، فأتاهم النبيُّ ﷺ ليصلح بينهم، وقد صلَّى الظهر، فقال لبلال: «**إن حضرتْ صلاةُ العصرِ ولم آتِ، فَمُرْ أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**»، فلمّا حضرت صلاةُ العصر أذَّن بلالٌ وأقام، وقال: يا أبا بكر تقدَّم، فتقدَّم أبو بكر، فجاء

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٩٢٤).

(٢) هو: أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي، قال الزهري: رأى سهل بن سعد النبي ﷺ وسمع منه، وذكر أنه كان له يوم توفي النبي ﷺ خمس عشرة سنة، عاش سهل، وطال عمره، حتى أدرك الحجاج بن يوسف، وامتحن معه، روى عن سهل أبو هريرة، وسعيد بن المسيب، والزهري وغيرهم، وتوفّي سهل سنة ٨٨هـ، وهو ابن ست وتسعين، وقيل: توفي سنة إحدى وتسعين، وقد بلغ مئة سنة، إنه آخر من بقي من الصحابة بالمدينة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٢٠).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٢٨) برقم: (٧٥١٨).

رسولُ اللهِ ﷺ، فشقَّ الصفوف، فلمَّا رأى الناسُ[١] رسولَ اللهِ ﷺ صفّحوا ـ يعني: التصفيق ـ قال: وكان أبو بكر إذا دخل في صلاةٍ لم يلتفت، فلمَّا رأى التصفيقَ لا يمسِكُ عنه التفتَ، فرأى رسول اللهِ ﷺ خلفه، فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أنِ امضِ، فلبث أبو بكر هنيةً يحمد الله على قول رسول الله ﷺ: امض، ثم مشى أبو بكر القهقرى؛ يعني: على عقبه، فلمّا رأى ذلك النبي ﷺ تقدَّم، فصلَّى بالقوم صلاتهم، فلمَّا قضى صلاته، قال: «**يا أبا بكر! ما منعك إذ أومأت إليك ألا تكون مضيت؟**»، قال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قحافةَ أن يؤمَّ رسولَ اللهِ ﷺ، ثم قال للناس: «**إذا نابكم في صلاتِكُم شيءٌ فليسبِّحِ الرجالُ، وليصفقِ النساءُ**»[٢].

مسند النعمان بن بشير[٣] رضي الله عنه

❁ حديثه في القرون الثلاثة:

• أخرج **أحمد** من حديث عاصم عن خيثمة والشعبي عن **النعمان بن بشير**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي قومٌ تسبِقُ أيمانُهم شهادتَهم وشهادتُهم أيمانهم**»[٤].

---

(١) في الأصل الفارسي: «رئي».
(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٣٧) برقم: (٧٥٢٤).
(٣) هو: أبو عبد الله النعمان بن بشير بن ثعلبة بن سعد الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة رسول الله ﷺ بثمان سنين وسبعة أشهر، وقيل: بستّ سنين، والأول أصحّ، وهو أوّلُ مولودٍ للأنصار بعد الهجرة في قول، له ولأبويه صحبةٌ، روى عنه ابناه محمد وبشير، والشعبي وغيرهم، قُتل بعد وقعة مرج راهط سنة ٦٤هـ، في ذي الحجة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٥٠).
(٤) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٧٦) برقم: (١٨٣٧٤).

ومن مسند عُوَيم بن ساعدة[(١)] رضي الله عنه

❁ حديثه في النهي عن سبِّ الصحابة رضي الله عنهم وبيان فضيلتهم:

• أخرج **الحاكم** من حديث عبد الرحمٰن بن سالم بن عبد الرحمٰن بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جدِّه، عن **عويم بن ساعدة** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تبارك وتعالى اختارني واختار بي**[(٢)] **أصحاباً، فجعل لي منهم وزراء وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبّهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يُقْبَلُ منه يومَ القيامةِ صرفٌ ولا عدلٌ**»[(٣)].

ومن مسند شدّاد بن أوس[(٤)] رضي الله عنه

❁ حديثه في فتوح الأمصار:

• أخرج **أحمد**، عن عبد الرزاق، عن معمر: أخبرني أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أبي أسماء الرحبي، عن **شدَّاد بن أوس**، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنّ الله عز وجل زوى ليَ الأرضَ حتّى**

---

(١) هو: عُويم بنُ ساعدة بن عائش بن قيس الأنصاري الأوسي، قال الواقدي: شهد عُويمٌ العقبتين جميعاً، وقال غيره: شهد العقبة الثانية مع السبعين، شهد بدراً وأُحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله، قال أبو عمر: توفي في حياة رسول الله ﷺ، وقيل: مات في خلافة عمر بن الخطاب وهو ابنُ خمس أو ست وستين سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٥).

(٢) في الأصل الفارسي: «لي» مكان «بي».

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٣٢) برقم: (٦٦٥٦).

(٤) هو: أبو يعلى شدّاد بن أوس بن ثابت بن المنذر الأنصاري الخزرجي، قال مالك: شدّاد بن أوس، هو ابن عم حسان بن ثابت، والصحيح أنّه ابن أخيه، روى عنه ابنه يعلى، ومحمود بن لبيد، وأبو الأشعث الصنعاني وغيرهم، توفّي سنة ٤١هـ، وقيل: سنة ٥٨هـ، وهو ابن ٧٥ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٥٥).

رأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وإنَّ مُلْكَ أُمتي سيبلغُ ما زُوِيَ لي منها، وإنّي أعطيتُ الكنزينِ الأبيضَ والأحمرَ، وإنّي سألتُ ربِّي ﷻ لا يهلكُ أمتي بِسَنَةٍ بعامةٍ، وأن لا يسلِّطَ عليهم عدواً [من غيرهم] فَيُهْلِكَهُمْ بعامَّةٍ، وأن لا يلبسهم شيعاً، ولا يُذيقَ بعضَهم بأسَ بعضٍ، وقال: يا محمّدُ! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنّه لا يردُّ، وأنّي قد أعطيتُكَ لأمتك أنْ لا أهلِكَهم بسنة بعامّة، ولا أسلِّطَ عليهم عدواً ممّن سواهم[1]، فيهلكوهم بعامّة، حتّى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بعضاً، وبعضُهم يقتلُ بعضاً، وبعضُهم يسبي بعضاً».

قال: وقال النبي ﷺ: «**وإني لا أخافُ على أمتي، إلا الأئمةَ المضلِّين، فإذا وُضِعَ السيفُ في أُمّتي لم يرفعْ عنهم إلى يومِ القيامةِ**»[2].

ومن مسند حسان بن ثابت[3] رضي الله عنه

❁ شعره في الثناء على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من حديث غالب بن عبد الله، عن أبيه، عن جدِّه **حبيب بن أبي حبيب** قال: شهدتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال لحسان بن ثابتٍ: «**قلتَ في أبي بكر شيئاً؟**» [قال: نعم]، قال: «**قل حتّى أسمع**»، قال: قلت:

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنيفِ وقد   طافَ العدُوُّ به إذ صعدا الجبلا

(١) في الأصل الفارسي: «من غيرهم».
(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ١٢٣) برقم: (١٧١٥٦).
(٣) هو: أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري الخزرجي، يقال: شاعر رسول الله ﷺ، كان رسول الله ﷺ ينصب له منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله ﷺ، لم يشهد مع النبي ﷺ شيئاً من مشاهده، توفي حسان قبل الأربعين في خلافة علي، وأقوال أخرى، ولكن لم يختلفوا في عمره أنه عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين في الإسلام. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٨٢).

وكان حِبَّ رسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا ... من الخلائقِ لَمْ يَعْدِلْ به بَدَلا

فتبسَّم رسولُ اللهِ ﷺ[١].

• وأخرج **الحاكم** من حديث مجالد بن سعيد عن الشعبي [قال: سألت ابنَ عباس أو] سئل: مَنْ أوّلُ مَنْ أسلم؟ فقال: أما سمعت قول حسان رضي الله عنه:

إذا تذكَّرْتَ شَجْواً من أخٍ ثقةٍ ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكرٍ بما فَعَلا

خيرُ البريةِ أتقاها وأعدلُها ... بعدَ النبيِّ، وأوفاها بما حَمَلا

الثانيُ التاليُ المحمودُ مَشْهَدُهُ ... وأوّلُ الناسِ منهم صَدَّقَ الرُّسُلا[٢]

• وأخرج **أبو عمر** من حديث أبي بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا شيخ لنا، قال: حدثنا مجالد عن الشعبي، قال: سألت ابنَ عباس، أو سئل: أي الناسِ كانَ أول إسلاماً؟ فقال: أما سمعتَ قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرتَ شجواً من أخٍ ثقةٍ ... فاذكرْ أخاكَ أبا بكر بِمَا فَعَلا

خيرُ البريةِ أتقاها وأعدلُها ... بعدَ النبيِّ، وأوفاها بما حَمَلا

والثانيُ التاليُ المحمودُ مشهدُهُ ... وأوّلُ الناسِ منهم صدَّقَ الرسُلا[٣]

قال أبو عمر: ويُروى[٤] أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لحسان: «**هل قلتَ في أبي بكرٍ شيئاً؟**» قال: نعم، وأنشده هذه الأبيات، وفيها بيتٌ رابع وهو:

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٣).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٤).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٤) رقم الترجمة: (١٦٣٣) واللفظ له، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٤٤).

(٤) في الأصل الفارسي: «وروي».

وثاني اثنينِ في الغارِ المنيف وقد طافَ العدوُّ به إذ صعدا الجبلا

فسُرَّ النبي ﷺ بذلك، فقال: «**أحسنتَ يا حسّانُ!**»، وقد رُوي فيها بيت خامس:

وكان حِبَّ رسولِ اللَّهِ قد عَلِمُوا خيرَ البريةِ لَمْ يَعْدِلْ به رَجُلا[(١)]

ومن مسند أبي الهيثم بن التيهان[(٢)] رضي الله عنه

۞ شعره في مناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• قال **أبو عمر**: ومما قيل في أبي بكر قولُ **الهيثم بن التيِّهان** فيما ذكروا:

وإنِّي لأرجو أنْ يقومَ بأمرِنا ويحفظه الصدّيقُ والمرءُ مِنْ عَدِي

أولاك خيارُ الحيِّ فهر بن مالك وأنصارُ هذا الدين مِنْ كلِّ معتدي[(٣)]

ومن مسند كعب بن عجرة[(٤)] رضي الله عنه

۞ حديثه في أن عثمان رضي الله عنه على الحق:

• أخرج **أحمد** من حديث مطرٍ الوراق، عن ابن سيرين، عن **كعب بن عُجْرة**، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً فقرَّبها وعظَّمها، قال: ثم

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٢) هو: أبو الهيثم مالك بن التيهان بن مالك الأنصاري الأوسي، شهد العقبة، وكان أحد النقباء، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، ومات سنة ٢٠ أو ٢١هـ، وقيل: إنه أدرك صفين، وشهدها مع علي، وقتل بها. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣٢٣).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) هو: كعب بن عجرة بن أمية بن عدي، سكن الكوفة، وتوفي كعب بالمدينة سنة ٥١هـ، وقيل: ٥٢هـ، وقيل: ٥٣هـ، وعمره سبع وسبعون، وقيل: خمس وسبعون سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ١٨١).

مرّ رجلٌ متقنّعٌ[١] في ملحفة، فقال: «**هذا يومئذٍ على الحقِّ**»، فانطلقتُ مسرعاً أو [قال]: مُحْضِراً، فأخذتُ بضبعيه، فقلت: هذا يا رسول الله! قال: «**هذا**»، فإذا هو عثمانُ بنُ عفان ﷺ[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «مقنّع»، وكذا في النسخة الظاهرية برقم: (١٠٥٩).

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٢٤٢) برقم: (١٨١٤٣).




مسانيد سائر الصحابة

رضوان الله عليهم أجمعين

مسند جابر بن سمرة[1] رضي الله عنه

۞ الخلافة في قريش:

• أخرج **البخاري** وغيره عن **جابر بن سَمُرة**، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يزالُ [هذا] الدّينُ قائماً حتّى يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً**»... قال: «**كلُّهم من قريشٍ**»[2].

• وأخرج **أحمد** عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلى **جابر بن سمرة** مع غلامي: أخبرني بشيءٍ سمعتَه من رسولِ اللهِ ﷺ، قال: فكتبَ إليَّ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومَ الجمعةِ عشيةَ رجم الأسلميِّ يقول: «**لا يزالُ الدِّينُ قائماً حتّى [تقومَ الساعةُ، أو] يكونَ عليكم اثنا عشرَ خليفةً، كلُّهم من قريشٍ**»، قال: وسمعتُه يقول: «**عصبةُ المسلمينَ يفتتحونَ البيتَ الأبيضَ بيتَ كسرى وآلِ كسرى**»[3].

---

(١) هو: أبو خالد، أو أبو عبد الله، جابر بن سمرة بن عمرو بن جندب، سكن الكوفة، وابتنى بها داراً، وتوفي في أيام بشر بن مروان على الكوفة، وقيل: توفي سنة ٦٦هـ، أيام المختار، روى عن النبي ﷺ أحاديثَ كثيرة، روى عنه الشعبي، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وتميم بن طرفة الطائي، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٠٤).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٢٢ ـ ٧٢٢٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٨٢١)، و«سنن أبي داود» برقم: (٤٢٧٩).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٨٩) برقم: (٢٠٨٦٢).

• وأخرج **البخاري** من حديث عَبْدِ الْمَلِكِ بن عمير، عَنْ **جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ** رضي الله عنه يرفعُه قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»[١].

ومن مسند عدي بن حاتم[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في فتح الأمصار:

• أخرج **البخاري** من حديث مُحِلِّ بْنِ خَلِيفَةَ، عَنْ **عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ**، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ! هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ**»، قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ أَحَداً إِلَّا اللهَ**» ـ قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّءٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ ـ «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**»، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ.**

وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلَا يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣١٢١، ٣٦١٩).

(٢) هو: أبو طريف، وأبو وهب عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبوه حاتم هو الجواد الموصوف بالجود، الذي يضرب به المثل، وفد عدي على النبي ﷺ سنة ٩هـ في شعبان، وقيل: سنة ١٠هـ، فأسلم وكان نصرانياً، روى عن النبي ﷺ أحاديث كثيرة، وشهد فتوح العراق ووقعة القادسية، ووقعة مهران، وغير ذلك، وسكن الكوفة، وتوفي سنة ٦٧هـ، وقيل: سنة ٨٠هـ، وفيه أقوال غير ذلك. انظر: «أسد الغابة» (٣/ ٥٠٥).

وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً فَيُبَلِّغَكَ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وولداً وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ».

قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «**يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ**»[١].

ومن مسند كرز بن علقمة الخزاعي[٢] رضي الله عنه

۞ حديثه في الفتوح:

• أخرج **الحاكم** من طريق سفيان ومعمر عن الزهري عن عروة قال: سمعت **كِرْزَ بن علقمة** يقول: سأل رجل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! هل للإسلام من منتهى؟ فقال رسول الله ﷺ: «**نعم، أيما أهلُ بيتٍ من العربِ والعجمِ أرادَ اللهُ بهم خيراً أدخلَ عليهم الإسلامَ، ثم تقعُ الفتنُ كأنَّها الظُّلَلُ**»[٣]، هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٥٩٥).

(٢) هو: كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة الخزاعي الكعبي، أسلم كرز يوم الفتح، وعمّر عمراً طويلاً، وهو الذي نصب أعلام الحرم أيام معاوية في إمارة مروان بن الحكم على المدينة. انظر: «أسد الغابة» (٤/ ١٦٩).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٨٩) برقم: (٩٦).

قال **الحاكم**: سمعت علي بن عمر الحافظ يقول: مما يلزم مسلماً والبخاري إخراج حديث **كرز بن علقمة**: «هل للإسلام منتهى؟»[١].

ومن مسند عبد الله بن حوالة[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في خلافة عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** عن عبد الله بن شقيق، عن **عبد الله بن حوالة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ: «**تهجمونَ على رجلٍ مُعْتَجِرٍ ببردةٍ يبايعُ الناسَ من أهلِ الجنةِ**»، فهجمتُ على عثمان رضي الله عنه، وهو معتجِرٌ ببردِ حبرةٍ يبايعُ الناسَ[٣].

❁ حديثه في التحذير من الخروج عليه:

أخرج **الحاكم** من حديث الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن ربيعة بن لقيط التجيبي، عن **عبد الله بن حوالة** الأسدي عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نجا مِنْ ثلاثٍ فقد نجا**»، قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: «**موتي، وقتلُ خليفةٍ مُصْطَبِرٍ بالحقِّ يعطيه، ومن الدَّجّالِ**»[٤].

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٨٩) برقم: (٩٧).

(٢) هو: أبو حوالة عبد الله بن حوالة، نسبه الهيثم بن عدي إلى الأزد، ونسبه الواقدي إلى بني عامر بن لؤي، والأول أشهر، سكن الأردن من أرض الشام، روى عنه من أهل مصر ربيعة بن لقيط التجيبي، وكان قدم مصر، وتوفِّي بالشام سنة ٨٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١١٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٣٩).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٨) برقم: (٤٥٤٨).

ومن مسند هاشم بن عتبة بن أبي وقاص[(١)] رضي الله عنه

❁ حديثه في الفتوح:

• أخرج **الحاكم** من حديث عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن **هاشم بن عتبة** بن أبي وقاص، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يَظْهَرُ المسلمونَ على جزيرةِ العربِ، ويَظْهَرُ المسلمونَ على فارسَ، ويظهرُ المسلمونَ على الرومِ، ويظهرُ المسلمونَ على الأعورِ الدجَّالِ**»[(٢)].

ومن مسند نافع بن عتبة بن أبي وقاص[(٣)] رضي الله عنه

❁ حديثه في الفتوح:

• أخرج **الحاكم** من حديث موسى بن عبد الملك بن عمير عن أبيه عن جابر بن سمرة، عن **نافع بن عتبة** قال: قدم ناسٌ من العرب على رسولِ اللهِ ﷺ يسلِّمون عليه، وعليهم الصوف، فقمتُ، فقلتُ: لأَحُوْلَنَّ بين هؤلاء وبين رسولِ اللهِ ﷺ، ثم قلتُ في نفسي: هو نجي القوم، ثم أبتْ نفسي إلا أنْ أقومَ إليه، قال: فسمعته يقول: «**يغزون جزيرةَ العربِ فيفتحُها اللهُ، ثم يغزون فارسَ فيفتحُها الله، ثم يغزون الدَّجَّالَ**[(٤)]

---

(١) هو: أبو عمرو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، نزل الكوفة، أسلم يوم الفتح، وكان من الشجعان الأبطال، فُقِئَتْ عينهُ يومَ اليرموك بالشام، وشهد صفّين مع علي رضي الله عنه وكانت معه الرايةُ، فقطعت رجلُه يومئذٍ، وجعل يقاتِلُ من دنا منه وهو باركٌ حتى قتل، وكانت صفِّين سنة ٣٧هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٦٠١).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٤٤٦) برقم: (٥٦٩٠).

(٣) هو: نافع بن عتبة بن أبي وقاص الزهري، له صحبة، وأبوه عتبة هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ يوم أُحد، أسلم نافع يوم فتح مكة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٢٨).

(٤) في الأصل الفارسي: «تغزون» مكان «يغزون»، و«الروم» بدل «الدجال».

فيفتحه الله»[(١)].

ومن مسند عبد الله بن هشام بن زهرة القرشي[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من حديث ابن وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي حَيْوَةُ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو عَقِيلٍ زُهْرَةُ بْنُ مَعْبَدٍ أنه سَمِعَ جَدَّهُ **عَبْدَ اللهِ بْنَ هِشَامٍ**، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وهذا حديث لم يطوله البخاري[(٣)].

• وأخرج **الحاكم**: ثنا رشدين بن سعد وابن لهيعة عن زهرة بن معبد عن جدِّه **عبد الله بن هشام** قال: كُنّا مع رسولِ اللهِ ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب، فقال عمر: والله يا رسولَ اللهِ! إنَّكَ لأحبُّ إليّ من كلِّ شيءٍ إلا نفسي [التي بين جنبيَّ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تكونُ مؤمناً حتَّى أكونَ أحبَّ إليكَ من نفسِكَ**»، فقال عمر: والذي أنزلَ عليكَ الكتابَ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسي التي بين جنبيَّ[(٤)]]، فقال النبي ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»[(٥)].

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٤٨٧) برقم: (٥٨٢٢).

(٢) هو: عبد الله بن هشام بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي، كان قد أدرك النبي ﷺ، ذهبت به أمه زينب بنت حميد إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! بايعه، وهو صغير، فمسح رأسه، ودعا له بالبركة، وكان مولده سنة ٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٢٦٤).

(٤) زاد في الأصل الفارسي.

(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥١٦) برقم: (٥٩٢٢)، وحذفه الذهبي من التلخيص لضعفه.

ومن مسند عمران بن حصين الخزاعي[1] رضي الله عنه

❁ حديثه في القرون الثلاثة:

• [روي] من طرق كثيرة، منها ما أخرج **الحاكم** من حديث الأعمش عن **هلال بن يساف** قال: انطلقت إلى البصرة، فدخلت المسجد، فإذا شيخ مستند إلى أسطوانة يحدِّث يقول: قال رسول الله ﷺ: **«خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يأتي أقوامٌ يُعطونَ الشهادةَ قبلَ أنْ يُسْألوها»**[2].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن أبي بكر الصدّيق[3] رضي الله عنه

❁ حديثه في الدليل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه:

أخرج **الحاكم** من حديث ابن أبي مليكة عن عبد الرحمٰن بن **أبي بكر** قال: قال رسول الله ﷺ: **«ائتني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً»**، ثم ولّانا قفاه، ثم أقبل علينا، فقال: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[4].

---

(١) هو: أبو نجيد عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات، بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقِّه أهلها، وكان من فضلاء الصحابة، روى عن النبي ﷺ، وروى عنه الحسن، وابن سيرين، وغيرهما، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٧٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٣٥) برقم: (٥٩٨٨).

(٣) هو: أبو عبد الله عبد الرحمٰن بن عبد الله بن عثمان، وهو عبد الرحمٰن بن أبي بكر بن أبي قحافة القرشي التيمي، سكن المدينة، وتوفي بمكة، وكان عبد الرحمٰن شقيق عائشة، وشهد بدراً وأُحداً مع الكفار، روى عن النبيِّ ﷺ أحاديث، روى عنه أبو عثمان النهدي، وعمرو بن أوس، والقاسم بن محمد، وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة، توفّي سنة ٥٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٦٢).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٤٢) برقم: (٦٠١٦).

ومن مسند عثمان بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي[1] رضي الله عنه

❁ حديثه في سوابق عمر رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** عن **عثمان بن الأرقم** أنه كان يقول: أنا ابنُ سُبْعِ الإسلام، أسلمَ أبي سابعَ سبعةٍ، وكانت داره على الصفا، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يكون فيها في الإسلام، وفيها دعا الناسَ إلى الإسلام، فأسلمَ فيها قومٌ كثيرٌ، وقال رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ الاثنين فيها: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ الرجلينِ إليكَ: عمرَ بنِ الخطاب أو عمرِو بن هشام**»، فجاء عمر بنُ الخطّاب من الغدِ بكرةً، فأسلمَ في دار الأرقم، وخرجوا منها وكبَّروا[2]، وطافوا بالبيتِ ظاهرينَ، ودعيتْ دارُ الأرقم دارَ الإسلام[3].

ومن مسند الأسود بن سريع[4] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكرة، عن **الأسود بن سريع** التميمي قال: قدمتُ على نبيِّ اللهِ ﷺ، فقلتُ: يا نبيَّ الله! قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه على الله تبارك وتعالى، ومدحتُكَ، فقال: «**أمّا ما أثنيتَ على اللهِ تعالى فهاتِهِ، وما**

---

(١) هو: عثمان بن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، ذكره ابن أبي عاصم في الوحدان. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١٦٢).

(٢) في الأصل الفارسي: «وكثروا».

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٥٧٤) برقم: (٦١٢٩).

(٤) هو: أبو عبد الله الأسود بن سريع بن حمير بن عبادة التميمي السعدي، غزا مع النبي ﷺ، هو أول مَنْ قصّ في جامع البصرة، روى عنه الحسن، وعبد الرحمٰن بن أبي بكرة. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ١٠٣).

مدحتني به فَدَعْهُ»، فجعلتُ أنشده، فدخلَ رجلٌ طوالٌ أقنى، فقال لي: أمسك فلمّا خرجَ، قال: «**هاتِ**»، [فجعلتُ أنشده، فلم ألبثْ أنْ عادَ، فقال: «**أمسكْ**» فلما خرجَ، قال: «**هاتِ**»،] فقلتُ: مَنْ هذا؟ يا نبيَّ اللهِ! الذي إذا دخلَ قلت: «**أمسكْ**»، وإذا خرجَ قلت: «**هاتِ**»؟ قال: «**هذا عمرُ بنُ الخطابِ، وليسَ من الباطلِ في شيءٍ**»(١).

ومن مسند أبي جحيفة السوائي(٢) رضي الله عنه

۞ حديثه في خلافة قريش:

• أخرج **الحاكم** عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه، قال: كنتُ مع عمِّي عند النبي ﷺ، فقال: «**لا يزالُ أمرُ أُمّتي صالحاً حتّى يمضيَ اثنا عشرَ خليفةً**»، ثم قال كلمةً، وخفضَ بها صوته، فقلتُ لعمّي، وكان أمامي: ما قال يا عمّ؟ قال: قال يا بُني!: «**كلُّهم مِنْ قريشٍ**»(٣).

۞ حديثه في فضل الشيخين:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث مالك بن مغول عن عون بن **أبي جحيفة** عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أبو بكرٍ وعمرُ سيّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأوّلينَ والآخرينَ إلّا النّبيّينَ والمرسلينَ**»(٤).

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧١٢) برقم: (٦٥٧٦).

(٢) هو: أبو جُحيفةَ وهب بن عبد الله، ويقال: وهب بن وهب، وهو وهب الخير السوائي، نزل أبو جحيفة السوائي الكوفة، وكان من صغار الصحابة، ذكروا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ توفِّي وأبو جحيفة لم يبلغِ الحلمَ، ولكنّه سمعَ من رسولِ اللهِ ﷺ وروى عنه، وجعله علي بن أبي طالب على بيتِ المالِ بالكوفة، وشهدَ معه مشاهدَه كلها، توفِّي في إمارة بشر بن مروان بالبصرة سنة ٧٢هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٤٨).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧١٦) برقم: (٦٥٨٨).

(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٠٠).

ومن مسند عبد الله بن زمعة بن الأسود[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **أبو داود والحاكم** من حديث ابنِ إسحاقَ، عن الزهري، عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **عبد الله بن زمعة** بن الأسود قال: لما اسْتُعِزّ برسولِ اللهِ ﷺ وأنا عنده في نفرٍ من المسلمين، دعاه بلالٌ إلى الصلاة، فقال: «**مروا مَنْ يصلِّي بالناسِ**»، فخرجَ عبدُ اللهِ بن زمعة، فإذا عمرُ في الناسِ، وكان أبو بكر غائباً، فقلتُ: يا عمرُ! قُمْ فصلِّ بالناس، فتقدَّمَ، فكبَّرَ، فلمّا سمعَ رسولُ اللهِ ﷺ صوته، وكان عمرُ رجلاً مجهراً، فقال رسول الله ﷺ: «**فأينَ أبو بكر؟ يأبىٰ اللهُ ذلكَ والمسلمونَ، يأبى اللهُ ذلك والمسلمونَ**»، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعد أنْ صلَّى عمرُ تلك الصلاة، فصلَّى بالناسِ[٢].

زاد **الحاكم**: قال **عبد الله بن زمعة**: فقال عمر: ويحكَ ماذا صنعتَ بي يا ابنَ زمعة!؟ واللهِ ما ظننتُ حين أمرتني إلّا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرَ بذلكَ، ولولا ذلكَ ما صلَّيتُ بالناسِ.

قلتُ: واللهِ ما أمرني رسول الله ﷺ، ولكنْ حينَ لم أر أبا بكر رأيتُكَ أحقَّ مَنْ حضرَ بالصلاةِ بالناسِ[٣].

وفي رواية **لأبي داود** من طريق ابن شهاب، عن عبيد الله بن

---

(١) هو: عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب القرشي الأسدي، كان من أشراف قريش، روىٰ عنه أبو بكر بن عبد الرحمٰن وعروة بن الزبير، قتل عبد الله مع عثمان يوم الدّارِ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١٤١).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦٠) واللفظ له، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٤٣) برقم: (٦٧٠٣).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٧٤٣) برقم: (٦٧٠٣).

عبد الله، عن **عبد الله بن زمعة** في هذا الخبر قال: لمّا سمعَ النبيُّ ﷺ صوتَ عمر، قال ابنُ زمعة: خرجَ النبيُّ ﷺ حتّى أطلعَ رأسَه من حجرتِهِ، ثم قال: «**لا، لا، لا، ليصلِّ للناسِ ابنُ أبي قُحافةَ**»، يقول ذلك مغضَباً[(١)].

ومن مسند أبي بكرة الثقفي[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في الوزن:

أخرج **أبو داود** عن الحسن عن **أبي بكرة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يومٍ: «**مَنْ رأى مِنْكُم رؤيا؟**» فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزل من السماءِ، فوُزِنْتَ أنتَ وأبو بكرٍ، فرجحتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكرٍ فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمانُ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِع الميزانُ، فرأينا الكراهيةَ في وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ[(٣)].

وفي روايةٍ له من طريق عبد الرحمٰن بن أبي بكرة عن أبيه، [فذكر] بمعناه، ولم يذكر الكراهية، قال: فاستاءَ لها رسولُ اللهِ ﷺ؛ يعني: فساءه ذلك، فقال: «**خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتي اللهُ المُلكَ مَنْ يشاءُ**»[(٤)].

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦١).

(٢) هو: أبو بكرة نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي، وهو ممّن نزلَ يوم الطائف إلى رسول الله ﷺ من حصن الطائف في بكرةٍ، فأسلمَ، وكني أبا بكرة، وأعتقه رسولُ اللهِ ﷺ وهو معدودٌ في مواليه، وكان أبو بكرة كثيرَ العبادةِ حتّى مات، قال الحسن: «لم ينزل البصرةَ من الصحابةِ ممّن سكنها، أفضلُ من عمران بن حُصين وأبي بكرة». انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣٨).

(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٤).

(٤) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٥).

ومن مسند سمرة بن جندب[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في رؤيا دلو دُلِّي من السماء:

• أخرج **أبو داود** عن أشعث بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن **سمرة بن جندب** أنَّ رجلاً قال: يا رسولُ اللهِ! إنِّي رأيتُ كأنَّ دلواً دُلِّي من السماء، فجاء أبو بكر فأخذَ بعراقيها[٢]، فشربَ شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ فأخذَ بعراقيها فشربَ حتّى تضلّعَ[٣]، ثم جاء عثمانُ فأخذَ بعراقيها فشربَ حتّى تضلّعَ، ثم جاءَ عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطتْ، وانتَضَح عليه منها شيءٌ[٤].

ومن مسند العباس بن عبد المطلب[٥] رضي الله عنه

❁ حديثه في إمامة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **أبو يعلى**، عن ابن شُرَحْبِيْل، عن ابن عباس، عن **العباس**

---

(١) هو: أبو سعيد سمرة بن جندب بن هلال بن حَريج، غزا مع النبي ﷺ غير غزوة، وسكن البصرة، روى عنه الشعبي، وابن أبي ليلى، وعلي بن ربيعة، وغيرهم، توفي سمرة سنة ٥٩هـ بالبصرة. انظر: «أُسد الغابة» (٢/ ٣٠٢).

(٢) هي: أعواد يخالَفُ بينها، ثم تشدُّ في عرى الدلو، ويعلّقُ بها الحبل.

(٣) يريد الاستيفاء في الشرب.

(٤) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٧).

(٥) هو: أبو الفضل العباس بن عبد المطلب بن هاشم، عمّ رسول الله ﷺ وصنو أبيه، كان أسنّ من رسول الله بسنتين، وقيل: بثلاث سنين، وكان العباسُ في الجاهلية رئيساً في قريش، وإليه كانت عمارةُ المسجدِ الحرام، وشهدَ مع رسول الله ﷺ بيعة العقبة لمّا بايعه الأنصار، قيل: إنّه أسلمَ قبل الهجرة، وكان يكتمُ إسلامَه، كان رسول الله ﷺ يعظّمه ويُكْرِمُهُ بعد إسلامِهِ، أضرَّ العباسُ في آخر عمره، وتوفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان، سنة ٣٢هـ، قبل قتل عثمان بسنتين، وصلّى عليه عثمان، ودفن بالبقيع، وهو ابن ٨٨ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٦٠).

قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ وعنده نساؤه، فاستترنَ منِّي إلا ميمونة، فدُقّ له سعطة[١] فلُدَّ[٢]، فقال: «**لا يُبْقَيَنَّ في البيتِ أحدٌ إلّا لُدَّ إلا العباسُ، فإنّه لم تُصِبْه يَمِيْني**»، ثم قال: «**مروا أبا بكرٍ يصلّي بالناسِ**»، فقالتْ عائشةُ لحفصةَ: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قامَ ذلك المقامَ بكى، فقالت له فقال: «**مُرُوا أبا بكرٍ يُصلِّي بالناسِ**»، فصلّى أبو بكرٍ، ثم وجد رسول الله ﷺ خِفَّةً، فخرجَ، فلمّا رآه أبو بكر تأخّر، فأومأ إليه بيده؛ أي: مكانَكْ، فجاءَ فجلس إلى جنبه، فقرأ رسولُ اللهِ ﷺ من حيث انتهى أبو بكرٍ[٣].

ومن مسند أبي الطُّفيل[٤] رضي الله عنه

❁ حديثه في رؤيا النبي ﷺ في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

• أخرج **أبو يعلى** من حديث حماد، عن علي بن زيد، عن **أبي الطفيل**، عن النبي ﷺ. وعن حبيب وحميد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا أنزعُ الليلةَ إذ وردتْ عليَّ غنمٌ سودٌ، وغنمٌ عُفْرٌ، فجاء أبو بكر فنزعَ ذَنوباً أو ذَنوبين، فيهما ضَعْفٌ، واللهُ يغفرُ له، ثم جاء عمرُ، فاستحالت غَرباً، فملأ الحياضَ، وأروى الواردةَ، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ أحسنَ نزعاً منه**»، فأوّلت أنَّ الغنمَ السودَ العربُ، والعفرَ العجمُ[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي «سعطه».

(٢) اللدّد: هو ما يصبُّ من الأدويةِ في أحد شقي الفم، «الصحاح» (٢/ ١٣٧).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ٦٢) برقم: (٦٧٠٤).

(٤) هو: عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمير الكناني الليثي، يكنى أبا الطفيل، ولد عام أُحد، أدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين، وكان سكن الكوفة، ثم انتقل إلى مكة، وهو آخر من مات ممن أدرك النبي ﷺ. توفي سنة ١٠٠هـ، وقيل: سنة ١١٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٤١).

(٥) انظر: «مسند أبي يعلى» (٢/ ١٩٨) برقم: (٩٠٤).

ومن مسند مُرّة بن كعب[1] رضي الله عنه

۞ حديثه في أن عثمان رضي الله عنه على الهدى في الفتنة:

• أخرج **الترمذي** عن أبي قلابة، عن أبي الأشعث الصنعاني: أن خطباء قامت بالشام، وفيهم رجالٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقام آخرَهم رجلٌ يقال له: **مرة بن كعب**، فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ ما قمتُ، وذكرَ الفتن، فقرّبها، فمرّ رجلٌ مقنَّعٌ في ثوبٍ، فقال: «**هذا يومئذٍ على الهدى**»، فقمتُ إليه، فإذا هو عثمانُ بنُ عفّان، [قال:] فأقبلتُ عليه بوجهه، فقلتُ: هذا؟ قال: «**نعم**»[2].

• وأخرج **أحمد** من حديث جُبير بن نُفير قال: كنّا معسكرين مع معاويةَ بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فقام **كعب بن مرة**[3] [البهزيّ] فقال: لولا شيءٌ سمعته[4] من رسول الله ﷺ ما قمتُ [هذا] المقام، فلمّا سمع بذكر رسولِ اللهِ ﷺ أجلسَ الناس، فقال: بينما نحنُ عند رسولِ اللهِ ﷺ إذ مرَّ عثمانُ بنُ عفّان [عليه] مرجلاً قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لتخرجنَّ فتنةٌ من تحت قدمي، أو من بين رجلي، هذا يومئذٍ ومَنْ اتبعه على الهدى**»، قال: فقام ابن حوالة الأزدي من عند المنبر، فقال: إنك لصاحبُ هذا؟ قال: «**نعم**»، قال: والله إنِّي لحاضرٌ ذلك المجلس، ولو علمتُ أنَّ لي في الجيشِ مصدِّقاً كنتُ أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ به[5].

---

(١) وقيل فيه: هو كعب بن مرة، ولكن قال أبو عمر: والصحيح: مرة بن كعب، توفي سنة ٥٧هـ، بالأردن، روى عنه عبد الله بن شقيق، وجبير بن نفير، وأسامة بن خريم. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٣٧٣).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٤).

(٣) في الأصل الفارسي زيادة: «أو مرة بن كعب».

(٤) في الأصل الفارسي: «لولا أني سمعت».

(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٨٠٦٧).

ومن مسند أبي رمثة[١] رضي الله عنه

حديثه في منزلة الشيخين رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم:

• أخرج **الحاكم** من حديث الأزرق بن قيس قال: صلَّى بنا إمامٌ لنا يكنى أبا رمثة، قال: صلَّيت هذه الصلاة، أو مثل هذه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يقومان في الصفِّ المقدَّمِ عن يمينه، وكان رجلٌ قد شهدَ التكبيرة الأولى من الصلاة، فصلَّى نبيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم ثم سلَّمَ عن يمينه وعن يساره، حتّى رأينا بياضَ خدِّه، ثم انفتلَ كانفتالِ أبي رمثة؛ يعني: نفسه، فقامَ الرجلُ الذي أدركَ معه التكبيرةَ الأولى من الصلاةِ يشفعُ، فوثبَ إليه عمرُ، فأخذَ بمنكبه فهزَّهُ، ثم قال: اجلسْ، فإنّه لم يهلكْ أهلُ الكتابِ إلّا أنّه لم يكن بين صلاتهمْ فصل، فرفع النبيُّ صلى الله عليه وسلم بصره، فقال: «**أصابَ اللهُ بِكَ يا ابنَ الخطّابِ**»[٢].

ومن مسند نافع بن عبد الحارث[٣] رضي الله عنه

حديثه في البشارة لأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بالجنة:

• [وهو] مثل حديث أبي موسى، أخرجَ **أحمدُ** من طريق وهيب،

---

(١) هو: أبو رمثة التيمي، من تيم بن عبد مناة بن أدّ، قال الترمذي: أبو رمثة التيمي اسمه حبيب بن وهب، وقد اختلف في اسم أبي رمثة كثيراً، فقيل: حبيب بن حيان، وقيل: حيان بن وهب. انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ١١).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٤٠٣) رقم: (٣٢٣).

(٣) هو: نافع بن عبد الحارث بن حبالة بن عمير، ولنافع صحبةٌ وروايةٌ، واستعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة والطائف، وكان نافعٌ من فضلاء الصحابة وكبارهم، قيل: أسلم يوم الفتح، وأقام بمكة، ولم يهاجر، روى عنه أبو سلمة، وحميد، وأبو الطفيل. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٥٢٤).

عن موسى بن عقبة قال: سمعت أبا سلمة يحدِّث ولا أعلمه إلا عن **نافع بن عبد الحارث**: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ حائطاً من حوائطِ المدينةِ، فجلسَ على قفّ البئر، فجاءَ أبو بكرٍ يستأذنُ، فقال: «**ائذن له وبشِّره بالجنةِ**»، ثم جاء عمر يستأذنُ، فقال: «**ائذن له**[١] **وبشِّره بالجنةِ**»، ثم جاء عثمانُ يستأذِنُ، فقال: «**ائذن له وبشِّره بالجنةِ، وسيلقَى بلاءً**»[٢].

وأخرج **أحمد** عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة قال: قال **نافع بن عبد الحارث**، فذكر نحوه[٣].

ومن مسند جبير بن مطعم[٤] رضي الله عنه

۞ حديثه في الدليل على خلافة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري**، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن **جبير بن مطعم**، عن أبيه، قال: أتتِ امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجعَ إليه، قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك؟ كأنّها تقولُ الموت، قال ﷺ: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**»[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فأذن له» بدل «ائذن له».

(٢) انظر: «مسند أحمد» (٣/٤٠٨) رقم: (١٥٤١٢).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٣/٤٠٨) رقم: (١٥٤١١).

(٤) هو: أبو محمد جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، وكان من حلماء قريش وساداتهم، وكان إسلامه بعد الحديبية، وقبل الفتح، وقيل: أسلم في الفتح، وروى عنه سليمان بن صرد، وعبد الرحمٰن بن أزهر، وابناه نافع ومحمد ابنا جبير، توفّي سنة ٥٧هـ، وقيل: سنة ٥٨هـ، وقيل: ٥٩هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/٣٢٣).

(٥) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٥٩).

ومن مسند عبد الله بن الزبير[1] رضي الله عنه

حديثه في فضل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من طريق حماد بن زيد، عن أيوب، عن **عبد الله بن أبي مليكة** قال: كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير في الجدّ، فقال: أما الذي قال [فيه] رسول الله ﷺ: «**لو كنتُ متّخذاً من هذِهِ الأمةِ خليلاً لاتّخذته**»، أنزله أباً؛ يعني: أبا بكر[2].

وحديثه في فضل عمر رضي الله عنه:

• أخرج **البخاري** من حديث نافع بن عمر عن **ابن أبي مليكة** قال: كاد الخيِّرانِ أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ رفعا أصواتهما عند النبيِّ ﷺ حين قدم عليه ركبُ بني تميم، فأشار أحدُهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر ـ قال نافع: لا أحفظ اسمه[3] ـ

(١) هو: أبو بكر عبد الله بن الزبير بن العوّام بن خويلد، وهو أول مولود ولد في الإسلام بعد الهجرة للمهاجرين، فحنَّكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها في فيه، وهاجرت أمه إلى المدينة وهي حامل به، وأمه أسماء بنت أبي بكر بن أبي قحافة ذات النطاقين، وجدته لأبيه: صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وقيل: حملت به بعد ذلك وولدته بالمدينة على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وقيل: ولد في السنة الأولى، كان صوّاماً قوّاماً طويل الصلاة، وأحضره أبوه الزبير عند رسول الله ليبايعه وعمره سبع سنين أو ثماني سنين، وشهد الجمل مع أبيه مقاتلاً لعلي، بويع عبد الله بالخلافة بعد موت يزيد، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان، وجدّد عمارة الكعبة، وأدخل فيها الحجر، فلما قتل ابنُ الزبير أمر عبد الملك بن مروان أن تعاد عمارة الكعبة إلى ما كانت أولاً، ويخرج الحجر منها، ففعل ذلك، فهي هذه العمارة الباقية، وبقي ابنُ الزبير خليفةً إلى أن ولي عبد الملك بن مروان بعد أبيه، قتل في النصف من جمادى الآخرة من سنة ٧٣هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٨).

(٣) اسم هذا الرجل الآخر: قعقاع بن معبد بن زرارة، كما في رواية البخاري الأخرى (ح: ٤٣٧٦).

فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافكَ، فارتفعت أصواتُهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: فما كان عمرُ يُسْمِع رسولَ الله ﷺ بعد هذه الآية حتّى يستفهمه، ولم يذكر ذلك، عن أبيه؛ يعني: أبا بكر[١].

• وأخرج **البخاري** من طريق ابن جريج عن **ابن أبي مليكة** أن عبد الله بن الزبير أخبرهم أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فذكر نحواً من الحديث المتقدّم[٢].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن خبّاب السلمي[٣] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل عثمان رضي الله عنه:

• أخرج **أحمد** من حديث الوليد بن أبي هشام، عن فرقد أبي طلحة، عن **عبد الرحمٰن بن خباب السلمي** قال: خرج[٤] رسولُ اللهِ ﷺ فحثَّ[٥] على جيش العسرة، فقال عثمان بن عفان: عليّ مئةٌ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها، قال: ثم حثَّ، فقال عثمان: عليّ مئةٌ أخرى بأحلاسها وأقتابها، [قال:] ثم نزل مرقاةً من المنبر، ثم حثَّ، فقال عثمان بن عفان: عليّ مئة أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيتُ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨٤٥، ٧٣٠٢).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨٤٧).
(٣) هو: عبد الرحمٰن بن خباب السلمي، وقيل: إنه ابن خباب بن الأرت وليس بشيء يعدّ في البصريين. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٣٧).
(٤) في الأصل الفارسي: «خطب»، وكذا في «مسند عبد حميد» رقم: (٣١١).
(٥) في الأصل الفارسي: «فحض» في المواضع كلها، وكذا في «مسند عبد حميد» رقم: (٣١١)، والحض: الحثُّ بقوة.

النبيَّ ﷺ يقول بيده هكذا يحرِّكها، وأخرج عبد الصمد يده كالمتعجِّب: «**ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ هذا**»[(١)].

ومن مسند عبد الرحمٰن بن سمرة القرشي[(٢)] رضي الله عنه

۞ حديثه في فضل عثمان رضي الله عنه:

● أخرج الحاكم من طريق ابن شوذب، عن عبد الله بن القاسم، عن كثير مولى عبد الرحمٰن بن سمرة، عن **عبد الرحمٰن بن سمرة** قال: جاء عثمانُ رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ بألفِ دينارٍ حين جهَّز جيشَ العسرة، ففرَّغها عثمانُ في حِجْرِ النبيِّ ﷺ، قال: فجعل النبيُّ ﷺ يقلِّبها ويقول: «**ما ضرَّ عثمانُ ما عَمِلَ بعدَ هذا اليوم**»، قالها مراراً[(٣)].

ومن مسند معاوية بن أبي سفيان[(٤)] رضي الله عنه

۞ حديثه في خلافة قريش:

● أخرج **البخاري** من حديث شعيب عن الزهري قال: كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدِّث أنه بلغَ معاوية وهو عنده في وفد من

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٦٦٩٦).

(٢) هو: أبو سعيد عبد الرحمٰن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح، وصحب النبي ﷺ، وسكن البصرة، روى عنه الحسن، وابن سيرين، وعمار بن أبي عمار مولى بني هاشم، وسعيد بن المسيب، توفي بالبصرة سنة ٥٠هـ، وقيل: ٥١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١١٠) رقم: (٤٥٥٣).

(٤) هو: أبو عبد الرحمٰن معاوية بن صخر بن أمية القرشي الأموي، وهو معاوية بن أبي سفيان، أسلم هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند في الفتح، وشهد مع رسول الله ﷺ حُنيناً، وأعطاه من غنائم هوازن مئة بعير، وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم، وحسن إسلامهما، وكتب لرسول الله ﷺ، توفي معاوية النصف من رجب سنة ٦٠هـ، وهو ابن ٧٨ سنة، وقيل: ٨٦ سنة. انظر: «أُسد الغابة» (٤/ ٤٣٣).

قريش أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص يحدِّث أنه سيكونُ ملكٌ من قحطان، فغضبَ [**معاويةُ**]، فقامَ، فأثنى على اللهِ بما هو أهلُه، ثم قال: أمّا بعدُ، فإنّه بلغني أنَّ رجالاً منكم يتحدَّثون أحاديثَ ليست في كتابِ اللهِ تعالى، ولا تُؤثَرُ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فأولئكَ جهّالكم، فإيّاكم والأمانيَّ التي تُضِلُّ أهلَها، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ، لا يعاديهم أحدٌ إلّا كبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدِّينَ**»[1].

۞ وحديثه في فضل الأحاديث التي كانت في زمن عمر رضي الله عنه:

أخرج **أحمد** عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر اليحصبي قال: سمعت **معاوية** يحدِّثُ وهو يقول: إيَّاكم وأحاديثُ رسولِ اللهِ ﷺ إلّا حديثاً كان على عهد عمر، وإنَّ عمرَ رضي الله تعالى عنه [كان] أخافَ الناسَ في الله ﷻ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدِ الله به خَيْراً يفقِّهه في الدِّين**»، وسمعته يقول: «**إنَّما أنا خازنٌ، وإنّما يعطي اللهُ ﷻ، فمن أعطيتُه عطاءً عن طيب نفسٍ فهو أن يبارَكَ لأحدِكُم، ومن أعطيتُه عطاءً عن شرهٍ، وشره مسألة فهو كالآكلِ ولا يَشْبَعُ**»[2]، وسمعته يقول: «**لا تزالُ أمةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرّهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس**»[3].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٥٠٠).

(٢) في الأصل الفارسي هكذا: «**إنما أنا قاسم، وإنما يعطي الله ﷻ، فمن أعطيته عطاءً بطيبِ نفسٍ فَقَمِنٌ أن يبارَكْ لأحدِكُم، ومن أعطيتهُ عطاءً بكراهيةِ نفسٍ، فهو كالذي يأكلُ ولا يشبعُ**».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩٩) رقم: (١٦٩١٢).

ومن مسند عمرو بن العاص[١] رضي الله عنه

❁ حديثه في فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

• أخرج **البخاري** من حديث أبي عثمان قال: حدَّثني **عمرو بن العاص** رضي الله عنه: أنّ النبيَّ ﷺ بعثه على جيشِ ذات السلاسل، فأتيتُه، فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ؟ قال: «**عائشةُ**»، فقلتُ: من الرجالِ؟ فقال: «**أبوها**»، قلتُ: ثُمّ مَنْ؟ قال: «**عمر بن الخطّاب**»، فعدَّ رجالاً[٢].

ومن مسند رجل من الصحابة

• أخرج **أبو يعلى** من حديث قَتَادَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ: **أَنَّ رَجُلاً** بِالْكُوفَةِ شَهِدَ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قُتِلَ شَهِيداً، فَأَخَذَتْهُ الزَّبَانِيَةُ، فَرَفَعُوهُ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه، وَقَالُوا: لَوْلا أَنْ تَنْهَانَا أَوْ نَهَيْتَنَا أَنْ لا نَقْتُلَ أَحداً لَقَتَلْنَاهُ، هَذَا زَعَمَ أَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه قُتِلَ شَهِيداً، فَقَالَ الرَّجُلُ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: وَأَنْتَ تَشْهَدُ، أَتَذْكُرُ أَنِّي أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْتُهُ، فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ عُمَرَ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، وَأَتَيْتُ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَسَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، قَالَ: فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَيْفَ لا يُبَارَكُ لَكَ**

---

(١) هو: أبو محمد عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، وهو الذي أرسلته قريش إلى النجاشي ليسلِّمَ إليهم مَنْ عنده من المسلمين، كان إسلامه في صفر سنة ٨هـ قبل الفتح بستة أشهر، استعمله رسول الله ﷺ على عُمان، فلم يزل عليها إلى أن توفي رسول الله ﷺ وهو أحدُ الحكمين، والقصة مشهورة، توفي بمصر سنة ٤٣هـ، وقيل: سنة ٤٦هـ، وقيل: سنة ٤٨هـ، والأول أصحّ، روى عنه ابنه عبد الله، وأبو عثمان النهدي، وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٧٤١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٦٢).

وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ، وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ، وَأَعْطَاكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[١].

ومن مسند رجل من الصحابة

۞ حديثه في رؤيا الوزن:

• أخرج **أحمد** عن الأسود بن هلال عن **رجل من قومه** أنه كان يقول في خلافة عمر بن الخطاب: لا يموتُ عثمان بن عفان حتّى يُستخلَفَ، قلنا: من أين تعلم ذلك؟ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«رأيتُ الليلةَ في المنامِ كأن ثلاثةً من أصحابي وُزِنُوا، فَوُزِن أبو بكرٍ [فَوَزَن]، ثم وُزِنَ عمرُ [فَوَزَن]، ثم وُزِنَ عثمانُ فنقصَ[٢] وهو صالحٌ»**[٣].

ومن مسند عبد الله بن جعفر[٤] رضي الله عنه

۞ حديثه في الثناء على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من طريق يحيى بن سليم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن **عبد الله بن جعفر** رضي الله عنهما قال: وَلِينا أبو بكر، فكان خيرَ

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٣/ ١٧٦) رقم: (١٦٠١).

(٢) في الأصل الفارسي زيادة: «صاحبنا».

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٣٨/ ٢٤٧) رقم: (٢٣١٩٣).

(٤) هو: عبد الله بن جعفر ـ ذي الجناحين ـ بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، له صحبة، ولد بأرض الحبشة، وكان أبواه رضي الله عنهما هاجرا إليها، فولد هناك، وهو أول مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة، وروى عن النبيِّ ﷺ أحاديث، وروى عن أمه أسماء، وعمه علي بن أبي طالب، وتوفِّي رسول الله ﷺ ولعبد الله عشر سنين، وكان عبد الله كريماً جواداً حليماً، يسمّى بحر الجود، وتوفي سنة ٨٠هـ، عام الجُحاف بالمدينة، وفيه أقوال أخرى، قال المدائني: كان عمره ٩٠هـ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ٩٤).

خليفةِ الله وأرحمَه بنا، وأَحْنَاهُ علينا[(١)].

ومن مسند جرير بن عبد الله البَجَلي[(٢)] رضي الله عنه

❁ حديثه في سبقة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى الخير:

• أخرج **أحمد** من حديث شعبة، عن عون بن أبي جحيفة، عن المنذر بن **جرير**، **عن أبيه** قال: كنّا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قومٌ حفاةً عراةً، مجتابي النمار، أو العباء، متقلّدي السيوف، عامّتُهم من مضر، بل كلُّهم من مضر، فتغيّر وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقةِ، قال: فدخلَ، ثم خرجَ، فأمرَ بلالاً فأذَّن وأقامَ، فصلّى، ثم خطبَ، فقال: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ الآية [النساء: ١]، وقرأ الآية التي في الحشر: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، **تصدَّقَ رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بُرِّه، من صاع تَمْرِه**» حتّى قال: «**ولو بشقّ تمرة**»، قال: فجاء رجل من الأنصار بصرّةٍ كادت كفَّه أن تعجَزَ[(٣)] عنها، بل قد عَجَزَتْ، ثم تتابعَ الناسُ حتّى رأيتُ كومين من طعامٍ وثيابٍ، حتّى رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يتهلَّل وجهه؛ يعني: كأنه مُذهبةٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً، فله أجرُها، وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها بعده من غير أنْ يُنْتَقَصَ من أجورِهم شيءٌ، ومن سنَّ في**

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٤) رقم: (٤٤٦٨).

(٢) هو: جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك، وقيل: أبو عبد الله البجلي، أسلم جرير قبل وفاة النبي ﷺ بأربعين يوماً، وكان حسنَ الصورةِ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: جريرُ يوسفُ هذه الأمة، وروى عنه بنوه عبيد الله، والمنذر، وإبراهيم، وروى عنه قيس بن أبي حازم، والشعبي، وغيرهم، وتوفِّي جرير سنة ٥١هـ، وقيل: سنة ٥٤هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٣٣).

(٣) كذا في الأصل، وفي «مسند أحمد»: «كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ».

الإسلام سُنَّةً سيئةً كان عليه وِزرُها ووزرُ مَنْ عَمِلَ بها بعدَه من غير أن يُنْتَقَصَ من أوزارِهم شيءٌ»[١].

• وأخرج **أحمد** في هذه القصة من طريق عبد الرزاق، أنا معمر، عن قتادة، عن حُميد بن هلال، عن **جرير بن عبد الله**: أنّ رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ بصُرَّة من ذهب، تملأ ما بين أصابعه، فقال: هذه في سبيل الله، ثم قام أبو بكر رضي الله عنه، فأعطى، ثم قام عمر رضي الله عنه فأعطى، ثم قام المهاجرون فأعطوا، [قال]: فأشرقَ وجهُ رسولِ اللهِ ﷺ حتى رأيتُ الإشراقَ في وجنتيه، ثم قال: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً صالحةً في الإسلامِ**»، الحديث[٢].

❁ وقوله عن ذي عمرو: إنهم لا يزالوا بخير إذا كانت الخلافة بالإجماع دون السيف:

• أخرج **أحمد** من طريق إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن **جرير** في قصة: بعثني رسولُ اللهِ ﷺ إلى اليمن، فذكر القصة حتى قال: ثم لقيتُ ذا عمرو، فقال لي: يا جريرُ! إنّكم لن تزالوا بخيرٍ ما إذا هلكَ أميرٌ، ثم تأمَّرتم في آخر، فإذا كانت بالسيفِ، غضبتم غضب الملوكِ، ورضيتُم رضا الملوك[٣].

❁ وحديثه: أن الطلقاء من قريش ليسوا أكْفاء للمهاجرين في الدين:

• أخرج **أحمد** من طريق عاصم، عن أبي وائل، عن **جرير**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهاجرون والأنصار أولياءُ بعضهم لبعضٍ، والطلقاءُ**

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٥٨) برقم: (١٩١٩٧).
(٢) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٠) برقم: (١٩٢٠٦).
(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٢٤).

من قريشٍ، والعتقاءُ من ثقيف، بعضُهم أولياءُ بعضٍ إلى يوم القيامة»[١].

ومن مسند جندب بن عبد الله[٢] رضي الله عنه

❁ حديثه في خطبة النبي ﷺ بمناقب أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **مسلم** عن **جندب بن عبد الله** قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ قبل أن يموتَ بخمسٍ وهو يقول: **«إنِّي أبرأُ إلى اللهِ أن يكونَ لي منكم خليلٌ، فإنّ الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيمَ خليلاً، ولو كنتُ متّخذاً من أمتي خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ألا وإنّ مَنْ كان قبلَكم كانوا يتّخذون قبورَ أنبيائهم وصالِحيهم مساجدَ، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجدَ إنّي أنهاكم عن ذلك»**[٣].

ومن مسند محجن أو أبي محجن رضي الله عنه

❁ حديثه في الثناء على جماعة من الصحابة منهم الأربعة:

• أخرج **أبو عمر** من حديث عبد الحميد بن عبد الرحمٰن [أبو يحيى[٤]] ابن يحيى الحماني عن أبي سعيد مولى لحذيفة، عن شيخ من

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٣٥).

(٢) هو: أبو عبد الله، جندب بن عبد الله بن سفيان البجلي العلقي، له صحبة ليست بالقديمة، سكن الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة، روى عنه من أهل البصرة: الحسن، ومحمد، وأنس ابنا سيرين، وأبو السوار العدوي، وغيرهم. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٣٦٠).

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٢٣).

(٤) هو: أبو محجن الثقفي، واسمه عمرو بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، وقيل: اسمه مالك بن حبيب، وقيل: عبد الله بن حبيب، وقيل: اسمه كنية، أسلم حين أسلمت ثقيف سنة تسع في رمضان، روى عن النبي ﷺ وروى عنه أبو سعيد البقال، كان أبو محجن شاعراً حسن الشعر، ومن الشجعان المشهورين بالشجاعة في الجاهلية والإسلام، وكان كريماً جواداً، إلا أنه كان منهمكاً في الشرب، لا يتركه خوف حدّ =

الصحابة يقال له: **أبو محجن** [أو محجن] بن فلان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أرأفَ أُمّتي بأُمّتي أبو بكر، وأقواها في أمر [دينِ] اللهِ عمرُ، وأصدقُها حياءً عثمانُ، وأقضاها عليٌّ، وأقرؤها أُبيٌّ، وأفرضُها زيدٌ، وأعلمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بن جبل، ولكلِّ أمةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجرّاح**»[1].

• وقال **أبو عمر** في ترجمة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: وقال فيه **أبو محجن** الثقفي[2]:

وسُمِّيتَ صِدّيقاً وكُلُّ مهاجرٍ	سواكَ يُسمَّىٰ باسمِهِ غير مُنكَّرِ
سبقتَ إلى الإسلامِ، واللَّهُ شاهدٌ	وكنتَ جليساً بالعريشِ المُشَهَّرِ
وبالغارِ إذ سُمِّيتَ بالغارِ صاحباً	وكنتَ رفيقاً للنبيِّ المُطَهَّرِ[3]

ومن مسند زرارة بن عمرو النخعي[4]
والد عمرو بن زرارة رضي الله عنه

❁ حديثه في رؤيا تدلّ على أن عثمان رضي الله عنه على الحق:

• قال **أبو عمر** تعليقاً: [**والد عمرو بن زرارة**] قدم على النبيِّ ﷺ في وَفْدِ النَّخْعِ، فقال: يا رسول الله، إنِّي رأيتُ في طريقي رؤيا هالتني، قال: «**وما هي؟**» قال: رأيتُ أتاناً خلفتُها في أهلي، ولدت جدياً أسفعَ

= ولا لوم، وجلده عمر مراراً سبعاً أو ثمانياً. انظر للتفصيل: «أُسد الغابة» (٥/ ٢٧٦).

(١) زيادة على الأصل الفارسي.

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥) رقم الترجمة: (١٦٣٣).

(٤) هو: زرارة بن عمرو النخعي، والد عمرو بن زرارة، قدم على النبي ﷺ من اليمن في النصف من المحرم سنة ١١هـ، وقال أبو عمر: بل كان قدومه في نصف رجب سنة ٩هـ، كان آخرَ مَنْ قدم من الوفود إلى رسول الله ﷺ وفد النخع، وقدموا من اليمن للنصف من المحرم سنة ١١هـ، وهم مائتا رجل، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل باليمن، وكان فيهم زرارة بن عمرو. انظر: «الإصابة» (١/ ٥٤٧)، و«أُسد الغابة» (٢/ ١٠٢).

أحوى، ورأيتُ ناراً خرجت من الأرض، فحالتْ بيني وبين ابنٍ لي يقال له: عمرو، وهي تقول: لظى لظى بصيرٌ وأعمى، فقال النبيُّ ﷺ: **«خلفتَ في أهلك أَمَةً مُسِرَّةً حملاً؟»** قال: نعم، قال: **«فإنَّها قد ولدتْ غلاماً وهو ابنُكَ»**، قال: فأنّى له أسفع أحوى؟[1]، فقال: **«ادنُ منِّي، أبكَ برصٌ تكتمُه؟»** قال: والذي بعثك بالحقِّ ما علمَه أحدٌ قبلك، قال: **«فهو ذاكَ، وأمّا النارُ، فإنّها فتنةٌ تكون بعدي»**، قال: وما الفتنةُ يا رسول الله؟ قال: **«يقتلُ الناسُ إمامَهم، ويشتجرونَ اشتجارَ أطباقِ الرأسِ»**، وخالف بين أصابعه، **«دمُ المؤمنِ عندَ المؤمنِ أحلى من العَسَلِ[2]، يحسَبُ المسيءُ أنّه مُحْسِنٌ، إنْ مِتَّ أدركتِ ابنَك، وإنْ ماتَ ابنُكَ أدركتْكَ»**، قال: فادعُ الله ألا تدركني، فدعا له[3].

ومن مسند سعيد بن المسيب[4] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرسلاً

❁ حديثه في فضل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه:

• أخرج **الحاكم** من حديث ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن عن **سعيد بن المسيب** قال: كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من النبيِّ ﷺ مكانَ الوزيرِ، فكان يشاوره في جميع أمورِه، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في

---

(١) وقع «الواو» في الأصل الفارسي بين «أسفع أحوى».

(٢) وقع في الأصل الفارسي: «من الماء».

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٥٣) رقم الترجمة: (٨١١)، وقد أخرجه ابن حجر العسقلاني في «الإصابة في معرفة الصحابة» (١/ ٣٨١)، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٤٧٧).

(٤) هو: الإمام، شيخ الإسلام، فقيه المدينة، أبو محمد، المخزومي، أجلّ التابعين، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر، وسمع من عمر شيئاً وهو يخطب، وسمع من عثمان، وزيد بن ثابت، وعائشة، وسعد، وأبي هريرة رضي الله عنهم، وكان واسع العلم، وافر الحرمة، متين الديانة، قوّالاً بالحق، فقيه النفس، قال علي بن المديني: لا أعلم في التابعين أوسع علماً من سعيد، وهو عندي أجلّ التابعين، قد اختلفوا في وفاته على أقوال، أقواها سنة ٩٤هـ. انظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٥٤).

الغارِ، وكان ثانيه في العريش يومَ بدرٍ، وكان ثانيه في القبرِ، ولم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يقدِّمُ عليه أحداً[١].

قال **أبو عمر** في ترجمة أبي بكر الصدِّيق تعليقاً: قال رسول الله ﷺ لبعضِ مَنْ لم يشهدْ بدراً ـ وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر ـ: «**تَمْشِي بينَ يدي مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْكَ**»[٢].

مسند عبد الله بن حنطب[٣] رحمه الله مرسلاً

❁ حديثه في فضيلة الشيخين رضي الله عنهما:

• أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُطَّلِبِ[٤]، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ حَنْطَبٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى أَبَا بَكْر وَعُمَرَ، فَقَالَ: «**هَذَانِ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ**»[٥].

قول محمد بن سيرين[٦] رحمه الله

• أخرج **الترمذي** من طريق حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).

(٢) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٣) هو: عبد الله بن حنطب بن الحارث بن عبيد القرشي المخزومي، قال الترمذي: عبد الله بن حنطب لم يدركِ النبيَّ ﷺ. انظر: «أُسد الغابة» (٣/ ١١٤).

(٤) في الأصل الفارسي: «عبد المطلب»، وهو خطأ.

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧١).

(٦) هو: أبو بكر مولى أنس بن مالك، وأصل سيرين من جرجرايا، قال أنس بن سيرين: ولد أخي لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، وولدت بعده بسنة، سمع أبا هريرة، وعمران بن حصين، وابن عباس، وابن عمر، وعنه أيوب، وابن عون، وقرة بن خالد، وأبو هلال وغيرهم، وكان فقيهاً، إماماً، غزيرَ العلم، ثقةً، ثبتاً، علامةً في التعبير، رأساً في الورع، وأمه صفية مولاة لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، توفِّي بعد الحسن البصري بمئة يوم في شوال سنة ١١٠هـ، وهو أثبتُ من الحسنِ رحمة الله عليهما. انظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٧).

مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: مَا أَظُنُّ رَجُلاً يَنْتَقِصُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٥).




ذكر شيء من أقوال السادة الأشراف

۞ قول الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما:

أخرجَ أبو يعلى من طريقِ أبي مريم رضيعِ الجارودِ، قال: كنتُ بالكوفة، فقام **الحسن بن علي** خطيباً، فقال: أيُّها الناسُ! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً! رأيتُ الربّ تعالى فوق عرشه، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ حتّى قامَ عندَ قائمةٍ من قوائم العرش، فجاء أبو بكر، فوضعَ يده على منكبِ رسولِ اللهِ، ثم جاء عمرُ، فوضعَ يده على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عثمانُ فكان نبذةً[1]، فقال: ربِّ سَلْ عبادَكَ فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دم في الأرض، قال: فقيلَ لعليٍّ: ألا ترى ما يحدِّثُ به الحسن؟ قال: يحدِّث بما رأى[2].

• وأخرج **أبو يعلى** من طريق آخر عن **الحسن بن علي**، قال: لا أقاتلُ بعد رؤيا رأيتها، رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ واضعاً يدَه على العرش، ورأيتُ أبا بكر واضعاً يده على النبي ﷺ، ورأيتُ عمرَ واضعاً يده على أبي بكر، ورأيتُ عثمانَ واضعاً يده على عمر، ورأيتُ دماءً دونهم، فقلتُ: ما هذه الدماءُ؟ قيل: دماءُ عثمان يطلبُ الله به[3].

• وذكر **المحب الطبري** عن ابن السمان، أنّه أخرج في كتابه عن

---

(١) في الأصل الفارسي: «كان بيده رأسه»، وقد ذكر ذلك ابن عساكر في «تاريخه» (٣٩/ ٤٨٦) بالإسناد إلى ابن حمدان.

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٨) برقم: (٦٧٦٨).

الحسن بن علي قال: لا أعلمُ عليّاً خالفَ عمرَ، ولا غيّر شيئاً ممَّا صنع حينَ قدمَ الكوفة[(١)].

❁ شهادةُ عليٍّ بعدلِ عمر:

وذُكِر أيضاً عنه في كتاب «**الموافقة**» أنّه أخرجَ عن أبي جعفر قال: بينما عمرُ يمشي في طريق من طرق المدينة إذ لقيه عليٌّ ومعه الحسنُ والحسين رضي الله عنهما، فسلَّم عليه عليّ، وأخذ بيده، فاكتنفاهما الحسنُ والحسينُ عن يمينهما وشمالهما، قال: فعرضَ لعمر من البكاءِ ما كانَ يعرضُ له، فقال له علي: ما يبكيكَ يا أميرَ المؤمنين؟ قال عمرُ: ومن أحقُّ منِّي بالبكاءِ يا عليُّ! وقد وليتُ أمرَ هذه الأمة، أحكمُ فيها ولا أدري أمسيءٌ أنا أم محسنٌ؟ فقال له علي: واللهِ إنّكَ لتعدِلُ في كذا، وتعدِلُ في كذا، قال: فما منعه ذلك من البكاء، ثم تكلَّمَ الحسنُ بما شاء الله، فذكر من ولايتِهِ وعدلِهِ، فلم يمنعه ذلك، فتكلَّم الحسينُ بمثل كلامِ الحسنِ، فانقطعَ بكاؤه عندَ انقطاعِ كلامِ الحسين، فقال: أتشهدانِ بذلك يا ابنا أخي؟ فسكتا، فنظرَ إلى أبيهما، فقال علي: اشهدا، وأنا معكما شهيدٌ[(٢)].

قول أولاد الحسن بن علي[(٣)] رضي الله عنه

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٨). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).

(٣) هو: أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، سبط النبي ﷺ، وأمه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وريحانة النبيِّ وشبيهه، روى عنه: عائشة، والشعبي، وسويد بن غفلة، وشقيق بن سلمة، ومحمد بن سيرين وغيرهم، كان حليماً، كريماً، ورعاً، دعاه ورعه وفضله إلى أنْ تركَ الملك والدنيا، وكان من المبادرين إلى نصرة عثمان بن عفان، =

❁ فضيلة الشيخين:

• أخرج **عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند» عن **الحسن بن زيد** بن حسن قال: حدَّثني أبي، عن أبيه، عن علي رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ، فأقبل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: «**يا عليُّ! هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ وشبابِها بعدَ النبيينَ والمرسلينَ**»[1].

• وذكر **المحب الطبري** عن **عبد الله بن الحسن** بن علي بن أبي طالب، عن عبد الله، وقد سُئِلَ عن أبي بكر وعمر، فقال أفضِّلهما، وأستغفرُ لهما، فقيل له: لعلَّ هذه تقيةٌ، وفي نفسِكَ خلافُه، فقال: لا نالتني شفاعةُ محمّدِ ﷺ إنْ كنتُ أقولُ خلافَ ما في نفسي[2].

• وعنه وقد سئل عنهما، فقال: صلّى اللهُ عليهما وسلّم، ولا صلَّى على مَنْ لم يصلِّ عليهما[3].

❁ لم يستخلف النبي ﷺ علياً رضي الله عنه:

• وروي عن **الحسن** المثلث أخي عبد الله المذكور، أنّه قال لرجل ممن يغلو فيهم: وَيحَكُمْ أحِبُّونا بالله، فإن أطعنا الله فأحِبُّونا، وإن عصينا الله فأبغضونا.

فقال له رجلٌ: إنّكم ذوو قرابة من رسولِ اللهِ ﷺ وأهلِ بيته.

فقال: ويحكم، لو كانَ اللهُ نافعاً بقرابةِ رسول الله ﷺ بغير عملٍ

= ولي الخلافة بعد قتل أبيه، وبقي نحو سبعة أشهر خليفةً بالعراق، ثم سلّم الأمر إلى معاوية، على أن تكون له الخلافة بعده، فأجابه معاوية إلى ما طلب، وقد اختُلِفَ في وقت وفاته فقيل: توفِّي سنة ٤٩هـ، وقيل: ٥٠هـ، وقيل: ٥١هـ. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٨٧).

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٨٠) برقم: (٦٠٢).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨).

(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨).

بطاعته لنفعَ بذلك مَنْ هو أقربُ إليه منّا أباه وأمه، واللهِ إنِّي أخافُ أن يضاعِفَ اللهُ للعاصي منَّا العذابَ ضعفينِ، واللهِ إنِّي لأرجو أن يؤتي المحسنَ منا أجرَه مرتين.

قال: ثم قال: لقد أساء بنا آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما يقولونَ مِنْ دينِ اللهِ، ثم لم يخبرونا به، ولم يطلعونا عليه، ولم يرغّبونا فيه، ونحن كُنّا أَقربُ منهم قرابةً منكم، وأوجبُ عليهم، وأحقُّ أن يرغّبونا فيه منكم، ولو كان الأمر كما يقولون: إنَّ الله جلَّ وعلا ورسولَه ﷺ اختارا عليّاً لهذا الأمر، وللقيام على الناس بعده، فإنَّ عليّاً أعظمَ الناسِ خطيئةً وجُرْماً إذ تركَ أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ أن يقومَ فيه كما أمره، ويعذر إلى الناس، فقال له الرافضيُّ: ألم يقل النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «**مَنْ كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه**» فقال: أما واللهِ لو يعني: رسول الله ﷺ بذلك الأمرَ والسلطانَ والقيامَ على الناس لأفصحَ به، كما أفصحَ بالصلاةِ والزكاةِ والصوم والحجِّ، ولقال: أيها الناس إنَّ هذا لوليٌّ بعدي، فاسمعوا وأطيعوا[1].

ومن قول أولاد الحسين[2] رضي الله عنهم

۞ فضيلة الشيخين:

- **أما مرفوعاً**: فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري عن علي بن

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٨).

(٢) هو: أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، ريحانةُ النبيِّ ﷺ، وشبهه من الصدر إلى ما أسفل منه، ولمّا ولد، أذَّن النبي ﷺ في أذنه، وهو سيد شباب أهل الجنة، وأمُّهُ فاطمةُ بنت رسول الله ﷺ، حجّ الحسين خمساً وعشرين حجةً ماشياً، وجميع ما عاش بعد مفارقة العراق تسع عشرة سنة، فإنّه عاد إلى المدينة من العراق سنة ٤١هـ، وقتل أول سنة ٦١هـ، وكان الحسينُ كارهاً لما فعله أخوه الحسن من تسليم الأمر إلى معاوية، وقُتِلَ يومَ الجمعة وقيل: يوم السبت، وهو يوم عاشوراء من سنة ٦١هـ، بكربلاء من أرض العراق. انظر: «أُسد الغابة» (١/ ٤٩٥).

الحسين عن **علي بن أبي طالب** قال: كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلعَ أبو بكرٍ وعمرَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[١].

۞ منزلة الشيخين عند النبي ﷺ:

• وأما **موقوفاً**: فقد أخرج **أحمد** في مسند ذي اليدين رضي الله عنه عن ابن أبي حازم قال: جاء رجل إلى **علي بن حُسين**، فقال: ما كانَ منزلةُ أبي بكرٍ وعمرَ من النبيِّ ﷺ؟ فقال: منزلتُهما الساعة[٢].

۞ ثناء علي على عمر:

• وأخرج **الحاكم** من طريق عبد الله بن عمر بن أبان قال: حدثنا سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: **أن عليّاً** دخل على عمر وهو مسجًّى، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناس أحدٌ أحبُّ إليَّ أنْ ألقى الله بما في صحيفتِهِ مِنْ هذا المسجّى[٣].

• وأخرج **محمد** بن الحسن، عن أبي حنيفة قال: حدثنا أبو جعفر **محمد بن علي** قال: جاء علي بن أبي طالب إلى عمر بن الخطاب حين طُعِنَ، فقال: رحمكَ الله، فواللهِ ما في الأرضِ أحدٌ كنتُ ألقى الله بصحيفته أحبُّ إليَّ منك[٤].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).

(٣) انظر: «المستدرك» للحاكم (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).

(٤) انظر: «كتاب الآثار» لمحمد بن الحسن الشيباني (ص١٩١) برقم: (٨٦٩) و«كتاب الآثار» لأبي يوسف (٢/ ٤٧٩).

۞ الشيخان إماما عدل:

• وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألت محمد بن علي وجعفر بن محمد عن أبي بكر وعمر، فقال: إماما عدلٍ، نتولّاهما، ونتبرّأُ مِنْ عدِّوهما، ثم التفتَ إليّ جعفر بن محمد، فقال: يا سالمُ! أيسبُّ الرجلُ جدَّه، أبو بكر الصدِّيق جدّي، لا نالتني[1] شفاعةُ جدِّي محمد، إن لم أكن أتولَّاهما، وأتبرَّأُ من عدوِّهما[2].

۞ ثناء الإمام الباقر على الشيخين:

• وعن **أبي جعفر** أنه قال: مَنْ جهل فضل أبي بكر وعمر جهل السُّنَّة[3].

• **وعنه** وقد قيل له: ما ترى في أبي بكر وعمر؟ فقال: إنِّي أتولّاهما، وأستغفر لهما، وما رأيتُ أحداً من أهل بيتي إلّا وهو يتولَّاهما[4].

• **وعنه** وقد سُئِلَ عن قومٍ يسبّون أبا بكر وعمر فقال: أولئك المُرّاقُ[5].

• **وعنه** قال: من شكَّ فيهما كمن شكَّ في السُّنَّةِ، وبغضُ أبي بكر وعمر نفاقٌ، وبغضُ الأنصارِ نفاقٌ، إنه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبني تيم شحناءُ في الجاهلية، فلمّا أسلموا تحابُّوا، ونزع الله ذلك من قلوبهم، حتى إنّ أبا بكر اشتكى خاصرته، فكان علي يسخِّنُ يده بالنار، ويضمد بها خاصرةَ أبي بكر[6]، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر].

---

(١) في الأصل الفارسي: «لا تنالني».
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

فذلكة الفصل[١]

وذلك ينحصر على تمهيد ومقدمة، وهي أنَّ شرائع المِلَّة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ على قسمين:

القسم الأول: الذي قد أزيل فيه الحجابُ عن الحقيقة؛ يعني: أن الشريعة قد بيَّنتها بياناً واضحاً، وثبت تكليف الناس بها، فمن خالفها بعد وضوحها مستدلّاً بشبهات واهية لا يُعذر هو ولا من اتبعه فيه عند الله، وهذه الأحكام هي مدار الشريعة في الحقيقة، وكون الرجل سُنِّيّاً أو مبتدعاً منوط بتلك الأحكام، مَنْ قَبِلَها فهو سُنِّيٌّ، ومن أعرضَ عنها فهو مبتدع، ويصدق عليها قوله ﷺ: «**عندكم مِنَ اللهِ فيه برهانٌ**»[٢]، وهي مستنبطةٌ من صريح الكتاب أو السُّنَّة المشهورة أو إجماع الطبقة الأولى أو القياس الجلي على الكتاب والسُّنَّة، فإذا ثبت حكمٌ من هذا الوجه لا يبقى للخلاف مجالٌ فيه، ولا يُعْذَرُ من خالفه.

مثاله: إنكار الزكاة، إذ إن الصحابة تذاكروا بعد وفاة النبي ﷺ حول هذه المسألة، وأخيراً رجعوا إلى قول أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه وأجمعوا عليه، وقاتلوا منكري الزكاة[٣]، والقدريةُ والمرجئةُ والخوارج والروافض في هذه المنزلة نفسها، وجاءت أحاديث صحيحة في ذمّ هذه الفرق الأربع وتشنيعهم.

---

(١) أي: خلاصة الفصل.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٠٥٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٠٩).

(٣) اعلم أن الإمام الخطابي أجاد الكلام في منكري الزكاة قال: إن أهل الردة كانوا صنفين: صنف منهم ارتدوا عن الدين، وعادوا إلى الكفر، والصنف الآخر: هم الذين أنكروا فرض الزكاة ووجوب أدائها إلى الإمام، وهؤلاء على الحقيقة أهل بغي. انظر: «لامع الدراري» (٦/٥ ـ ٧)

والقسم الثاني: أنّ الحجاب لم يُكْشَفْ عن وجه الحقيقة، ولم يتحقَّق تكليفُ الناس بها على سبيل الوضوح، بل تحتجبُ الحقيقةُ في هذه المسألةِ لاختلافِ الأدلَّة، وعدم شيوع الأحاديث، أو لم يُوجد دليلٌ صريحٌ فيها، ولذلك ذهبت الاستنباطات والأقيسة إلى مذاهب شتَّى، وهذا القسمُ هو من الأمور المجتهَدِ فيها، قالت جماعةٌ من العلماء: كلُّ مجتهِدٍ مصيبٌ، وقالت جماعة أخرى: المصيب واحدٌ، والآخر معذورٌ.

❁ نوعية اختلاف مذاهب فقهاء أهل السُّنَّة:

والتحقيق عند هذا الفقير أنّ فيه تفصيلاً، وهو أنّه إذا بلغ أحدَهم خبرُ الواحد الثقة من طريق صحيح دون الآخر، فالأول مصيبٌ، والآخر معذور، وإذا كان منشأ الاختلاف تعدّد طرق الجمع بين الدليلين، أو قياسٌ خفي، فكلٌّ مصيب، حيث إنَّ المقصد الأصلي هو موافقةُ الشارع وامتثالُ أمره، وكلٌّ من المجتهدينِ وافقَ الشرع، ومن قبيل هذا اختلافُ فقهاء أهل السُّنَّة في مذاهبهم، فاجتهاداتهم مقبولة.

❁ ثبوت القرشية للخلفاء الراشدين وسوابقهم الإسلامية والبشارة لهم بالجنة والفضائل الأخرى من الأحكام الصريحة الواضحة:

والغرض في هذا الفصل بل في هذه الفصول كلّها بيان أنّ ثبوت القرشية للخلفاء الراشدين، والسوابق الإسلامية لهم، والبشارة لهم بالجنة وغيرِها من الفضائل داخلةٌ في القسم الأول، وقامت حجةُ الله على المنكرين لهم، ولم تعذرهم شبهاتُهم الركيكة عند الله، والمنكرون لهم مبتدعون، مبتعدون عن الحق، وقد طردهم برهانُ اللهِ عن بساط المحمديين ـ على متبوعهم أفضل الصلوات وأيمن التحيات ـ مذمومين مدحورين، وبدعتهم هذه بدعةٌ مكفِّرةٌ عند البعض، ومفسِّقة ـ أشدّ الفسقِ ـ عند الآخرين.

۞ ثبوت خلافة الخلفاء في الشريعة:

ثم إنَّ اشتراط القرشية وسائر الخصال السبع المذكورة في الخلافة الخاصة ثابتٌ بالآيات والأحاديث الصحيحة وآثار الصحابة، ثم ثبتت خلافةُ الخلفاء في الشريعة، وسلك الصحابةُ والتابعون في إثباتها مسالك متعددة، ولكلِّ مسلكٍ دليلٌ على حقيقة الخلافة: إمّا قطعي وإمّا ظنِّي.

إذا تأمَّلنا هذه الدلائل كلّها صارت متواترةً بالمعنى، وإذا اعتضدت بعمومات الآيات والإشارات والقرائن الأخرى أفادت القطعَ في هذا الباب.

نقول بعد تمهيد هذه المقدمة:

إنّ قرشيةَ الخلفاء وسوابقَهم الإسلامية وكونَهم من المهاجرين الأولين، وشهودَهم بدراً والحديبية وسائر مشاهد الخير قطعيُّ الثبوت، ولا مجال للإنكار فيه للمخالف، وبسط الكلام فيه شبيه باللغو.

ومع هذا سنذكر شيئاً من مباحث مآثرهم بأبلغ الوجوه، إلا أنَّ عثمان ذا النورين رضي الله عنه لم يشهد بدراً وبيعة الرضوان، وعليّاً المرتضى لم يشهد تبوك، ولكنّهما في حكم الشاهدِين كما سيأتي.

۞ الدلائل على شرط القرشية للإمام:

أمّا شرط القرشية للخلافة الاختيارية فهو ثابتٌ بأحاديث كثيرة، وليس الكلامُ في الخلافة الضرورية.

• فمن هذه الأحاديث حديث سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه مرفوعاً: «**الأئمة من قريش**»[1]، وموقوفاً: «**ولن يعرفَ العربُ هذا الأمرَ**

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٨٥) برقم: (٦٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (٣/ ٤٦٢) برقم: (٥٩٤٢).

إلّا لهذا الحيّ من قريشٍ، هم أوسطُ العربِ داراً»[(١)].

ومنها: حديث عثمان ذي النورين ﷺ وسعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «**مَنْ أرادَ هوانَ قريشٍ أهانه الله**»[(٢)].

ومنها: حديثُ عليٍّ المرتضى مرفوعاً: «**أَلا إِنَّ الأُمَرَاءَ مِنْ قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا بِثَلاثٍ: مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَمَا عَاهَدُوا فَوَفَوْا، وَمَا اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا**»[(٣)].

ومنها: حديث ابن عمر مرفوعاً: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ فِي النَّاسِ اثْنَانِ**»[(٤)].

• وحديث **ابن عباس** مرفوعاً: [قال: قال رسول الله ﷺ:] «**اللَّهُمَّ أذقت أول قريش نكالاً، فأذق آخرهم نوالاً**» أخرجه الترمذي[(٥)].

وحديث **أبي موسى** مرفوعاً: «**إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ مَا دَامُوا إِذَا اسْتُرْحِمُوا رَحِمُوا...**» إلخ[(٦)].

• وحديث **أبي هريرة** مرفوعاً: «**النَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا الشَّأْنِ، مُسْلِمُهُمْ [تَبَعٌ] لِمُسْلِمِهِمْ، وَكَافِرُهُمْ [تَبَعٌ] لِكَافِرِهِمِ**»[(٧)].

• وأيضاً حديث **أبي هريرة** مرفوعاً: «**وَإِنَّ لِقُرَيْشٍ عَلَيْكُمْ حَقّاً مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا، وَأُتْمِنُوا فَأَدَّوْا، وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا**»[(٨)].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ١٤٥) برقم: (٤١٣).
(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٣).
(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٤٢٥) برقم: (٥٦٤).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٦١٢١).
(٥) في «سننه» برقم: (٣٩٠٨).
(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٩٥٤١).
(٧) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٤٩٥).
(٨) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٦٥٣).

• وأيضاً حديث **أبي هريرة** مرفوعاً: **«الْمُلْكُ فِي قُرَيْشٍ، وَالْقَضَاءُ فِي الْأَنْصَارِ، وَالْأَذَانُ فِي الْحَبَشَةِ، وَالْأَمَانَةُ فِي الْأَزْدِ»**(١).

• وحديث **جابر** مرفوعاً: **«الناسُ تبعٌ لقريشٍ في الخَيْرِ والشَّرِّ»**(٢).

• وحديث **أنس** مرفوعاً: **«الأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً، وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ حَقّاً مِثْلَ ذَلِكَ، مَا إِنْ اسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا، وَإِنْ عَاهَدُوا وَفَوْا، وَإِنْ حَكَمُوا عَدَلُوا، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»**(٣).

• وحديث **أبي برزة الأسلمي** مرفوعاً: **«الأُمَرَاءُ مِنْ قُرَيْشٍ، لكم عَلَيْهِمْ حَقٌّ، وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقٌّ مَا فَعَلُوا ثَلاثاً»**(٤). كمثل حديث أنس، وحديث ذي مخمر: **«كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي حِمْيَرَ، فَنَزَعَهُ اللهُ ﷻ مِنْهُمْ، فَجَعَلَهُ فِي قُرَيْشٍ...»** إلخ(٥).

• وحديث **معاوية بن أبي سفيان** مرفوعاً: **«إِنَّ هَذَا الأَمْرَ في قُرَيْشٍ، لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجْهِه، مَا أَقَامُوا الدِّينَ»**(٦).

• وحديث **جابر بن سمرة، وأبي جحيفة** مرفوعاً: **«لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً إلى اثني عشر خليفةً، كلُّهم من قريشٍ»**(٧).

• وحديث **عمرو بن العاص** مرفوعاً: **«قُرَيْشٌ وُلَاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ**

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٦٥٣).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨١٩).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٢٣٠٧).
(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٣٢٣) برقم: (٣٦٤٥).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٦٨٢٧).
(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٥٠٠).
(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١).

وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه الترمذي[١].

• وأخرج **الشافعي**، عن ابن أَبِي فُدَيْكٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، عن مشايخه أحاديث:

منها: عَنِ **ابْنِ شِهَابٍ** أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدِّمُوا قُرَيْشاً وَلا تَقَدَّمُوهَا، وَتَعَلَّمُوا مِنْهَا وَلا تُعَلِّمُوهَا، أَوْ تُعَالِمُوهَا**»[٢]، شَكَّ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ[٣].

ومنها: عَنْ حَكِيم بْنِ أَبِي حَكِيم أَنَّهُ سَمِعَ **عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَابْنَ شِهَابٍ** يَقُولانِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَهَانَ قُرَيْشاً أَهَانَهُ الله** ﷻ»[٤].

ومنها: عَنِ **الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** أَنَّهُ قَالَ: [بلغنا] أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْلا أَنْ تَبْطَرَ قُرَيْشٌ لأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَهَا عِنْدَ الله** ﷻ»[٥].

ومنها: عَنْ شَرِيكِ [بْنِ عَبْدِ اللهِ] بْنِ أَبِي نَمِرٍ، عَنْ **عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِقُرَيْشٍ: «**أَنْتُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الأَمْرِ مَا كُنْتُمْ مَعَ الْحَقِّ إِلا أَنْ تَعْدِلُوا عَنْهُ فَتَلْحَوْنَ كَمَا تَلْحَى هَذِهِ الْجَرِيدَةُ**»، يُشِيرُ إِلَى جَرِيدَةٍ فِي يَدِهِ[٦].

• أخرج **الشافعي** عن يَحْيَى بن سُلَيْم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رِفَاعَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ **رِفَاعَةَ**

---

(١) في «سننه» برقم: (٢٢٢٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «وَلا تُعَالِمُوهَا أَوْ تُعَلِّمُوهَا».
(٣) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٤).
(٤) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٥).
(٥) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٦).
(٦) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٨) برقم: (١٣٥٧).

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَادَى: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ قُرَيْشاً أَهْلُ أَمَانَةٍ، وَمَنْ بَغَاهَا الْعَوَاثِرَ أَكَبَّهُ اللهُ لِمِنْخَرَيْهِ**»، يَقُولُهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ(١).

• أخرج **الشافعي** عن عَبْدِ الْعَزِيزِ بْن مُحَمَّدٍ، عَنْ يزيدِ بْنِ الْهَادِ، عَنْ **مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَارِثِ التَّيْمِيِّ**: أَنَّ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ وَقَعَ بِقُرَيْشٍ، فَكَأَنَّهُ نَالَ مِنْهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَهْلاً يَا قَتَادَةُ! لا تَشْتُمْ قُرَيْشاً، فَإِنَّكَ لَعَلَّكَ تَرَى مِنْهَا رِجَالاً، أَوْ يَأْتِيَ مِنْهُمْ رِجَالٌ، تَحْقِرُ عَمَلَكَ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، وَفِعْلَكَ مَعَ أَفْعَالِهِمْ، وَتَغْبِطُهُمْ إِذَا رَأَيْتَهُمْ، لَوْلا أَنْ تَطْغَى قُرَيْشٌ لأَخْبَرْتُهَا بِالَّذِي لَهَا عِنْدَ اللهِ**»(٢).

• وأخرج **الشافعي** عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن **مجاهد** في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، قال: يقال: ممّنِ الرجلُ؟ فيقال: مِنَ العربِ، فيقال: مِنْ أيِّ العربِ؟ فيقال: مِنْ قريشٍ(٣).

• وذكر الشافعيُّ متنَ الحديث تعليقاً، ثم وصله البيهقيُّ بإسناده عن **جبير بن مطعم**، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**للقرشي مثل قوة الرجلين من غيرهم**»، فقيل للزهري: بِمَ ذلك؟ قال: مِنْ نُبْلِ الرأي(٤)، ذكر هذه الأحاديث كلَّها البيهقيُّ في أوائل «سننه الصغرى».

بالجملة: فإنّ جمعاً كبيراً من الصحابة والتابعين روى هذا المعنى بألفاظ مختلفة وطرق متعددة، والبعضُ منها صريحٌ على خلافة قريش،

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٩) برقم: (١٣٥٨).
(٢) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٧٩) رقم: (١٣٥٩).
(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ١٤٠) برقم: (١٣٩٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار» للبيهقي (١/ ٥٥).

والبعض إشارة، وفي بعضها قرينةٌ ينتقِلُ بها الذهن إليها، انظر إلى أنَّ المهاجرين منعوا الأنصار من الخلافة بعد وفاة النبيِّ ﷺ مستدلين بهذا الحديث حينما قالوا: «منا أمير، ومنكم أمير»، ووقع إجماعُ الصحابةِ على ذلك، وسكت المخالفون.

وهذه القصةُ مرويةٌ بطرق كثيرة، سنذكر بعض الرواياتِ منها في بيان انعقاد الخلافة لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

بالجملة: فإنّ الإجماعَ قد وقع بعد هذا النقاش الواقع بين الصحابة من الأنصار والمهاجرين، وانقضى المجلسُ على هذا الإجماع نفسه.

❁ الدلائل على اشتراط كونهم من المهاجرين الأولين:

وأمّا اشتراط كونهم من المهاجرين الأولين في الخلافة الخاصة فهو ثابتٌ بقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الحديد: ١٠]، وبقوله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١].

• وبقول **عمر الفاروق** رضي الله عنه في خطبته الأخيرة حين جعل الخلافة شورى بين ستة أشخاص من أصحاب رسول الله ﷺ: وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَقْوَاماً سَيَطْعَنُونَ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنَا ضَرَبْتُهُمْ بِيَدِي هَذِهِ عَلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ فَعَلُوا فَأُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللهِ الْكُفَّارُ الضّلالُ[1].

• وبقول **ابن عمر** لمعاوية: أَحَقُّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْكَ مَنْ قَاتَلَكَ وَأَبَاكَ عَلَى الإِسْلَامِ[2].

• وبقول **زيد بن ثابت** يوم انعقاد خلافة الصدِّيق رضي الله عنه: إِنَّ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ١٦٥) برقم: (١٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤١٠٨).

رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ يَكُونُ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، وَنَحْنُ أَنْصَارُهُ، كَمَا كُنَّا أَنْصَارَ رَسُولِ اللهِ ﷺ(١).

• وبقول رفاعة بن رافع الزرقي البدري في قصة خروج طلحة والزبير على عليّ وبلوغ الخبر إلى عليّ:

في «الاستيعاب»: فقال رفاعة بن رافع الزرقي: إنّ الله لمّا قبضَ رسولَه ﷺ ظننَّا أنَّا أحقُّ الناسِ بهذا الأمر، لنصرتنا الرسول، ومكاننا من الدين، فقلتم: نحنُ المهاجرون الأولون، وأولياء رسول الله الأقربون، وإنا نذكِّركم اللهَ أن تنازعونا مقامه في الناس، فخلَّيناكم والأمرَ، فأنتم أعلم، وما كان بينكم غير أنّا لمّا رأينا الحقَّ معمولاً به، والكتابَ متبعاً، والسُّنَّة قائمةً رضينا، ولم يكن لنا إلَّا ذلك، فلما رأينا الأثرةَ أنكرنا، إلى آخر ما قال(٢).

• وبقول **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري** لأبي هريرة وأبي الدرداء: وأيُّ مدخل لمعاوية في الشورى؟ وهو من الطلقاءِ الذين لا تجوزُ لهم الخلافةُ، وهو وأبوه رؤوسُ الأحزاب، فندما على مسيرهما وتابا بين يديه.

وعُلِم من هنا أنَّ أبا الدرداء وأبا هريرة رجعا أخيراً لقول عبد الرحمٰن بن غنم.

• وبحديث **جرير بن عبد الله** مرفوعاً: «**المهاجِرونَ والأنصارَ أولياء بعضهم لبعضٍ، والطلقاءُ من قريشٍ، والعتقاءُ من ثَقِيْفٍ بعضُهم أولياءُ بعضٍ إلى يومِ القيامةِ**»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ١٨٥) برقم: (٢١٦٥٧).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٤٧) رقم الترجمة: (٧٧٤).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٩٢١٥).

ومن أكبر الدلائل على ذلك قول علي المرتضى وهو أنّه كتبَ إلى أهل الشامِ عدّةَ مراتٍ: أمر الخلافة مفوّضٌ إلى المهاجرين والأنصار، ولا مدخلَ لغيرهم في حلِّها وعقدها، فإذا بايعوا لا مجالَ لخلافِ غيرهم فيه[١].

• ومن قرائن ذلك حديث النبي ﷺ فيمن هو أحقُّ بإمامة الصلاةِ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإنْ كانوا في السُّنَّةِ سواءً، فأقدمُهم هجرةً**»[٢].

• ومن الدلائل على كون الهجرة من شروط الخلافة قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾، إلى أن قال: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]، ولشرط الهجرة حرمت أم هانئ من الدخول في حرم النبي ﷺ.

• ومن الدلائل أيضاً هذا المعنى أنّ العباس بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ لم يكن له دورٌ في أمر الخلافة، ولا اعتدادٌ به، مع أنّه عمُّ النبيّ ﷺ وسيد بني هاشم، وقد أشار بعضُ ولده إلى هذا المعنى.

• فقد أخرج **الحاكم** عن أبي إسحاق قال: سألتُ قُثَمَ بن العباس كيف ورثَ عليٌّ رسول الله ﷺ دونكم؟ قال: لأنّه كان أوّلنا به لحوقاً، وأشدَّنا به لزوقاً[٣].

والجملة فإنّ كون الصحابي من المهاجرين الأولين شرفٌ عظيمٌ في الإسلام، وهو مطلوبٌ في الخلافة، وقد ثبتَ ذلك من أدلة كثيرة، وجاء

---

(١) هذا تعريب للعبارة الفارسية للمؤلف الدهلوي، ولعلَّ الإشارة منه إلى قول عليٍّ رضي الله عنه الذي وقع في «نهج البلاغة» وها هو نصه: «وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار، إذا اجتمعوا على رجلٍ فسمّوه إماماً، كان ذلك للهِ رضاً». انظر: «شرح نهج البلاغة» (٣/ ٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٦٧٣)، وأبو داود في «سننه» برقم: (٥٨٤)، والترمذي في «سننه» برقم: (٢٣٥).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٣٦) برقم: (٤٦٣٣).

ذكرُ هذه الدلائل في مجلس الإجماع على خلافة الصدِّيق رضي الله عنه.

وبين القرشية والهجرة الأوَّلية عموم وخصوص من وجهٍ، وأبو بكر الصدِّيق ونظراؤه من الخلفاء الثلاثة كانوا مادّةَ الاجتماع ـ أي: كانوا متصفين بكلا الصفتين ـ، ولذا مُنِعَ الأنصارُ من الخلافة لعدمهما فيهم، ومدار الفرق في المناظرة بين علي ومعاوية هو صفة الهجرة وحدها.

۞ هل الهجرة باقية إلى يوم القيامة أم هي انقضت؟

في هذا المقام بحثٌ لطيف ـ أي: هل الهجرة باقيةٌ إلى يوم القيامة أم مختصةٌ بزمان؟ ـ كما أخرج **البخاري** عن عاصم عن أبي عثمان النهدي، عن **مجاشع بن مسعود** قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبيِّ ﷺ ليبايعه على الهجرة، قال: «مضتِ الهجرةُ لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد»، فلقيتُ أبا معبدٍ فسألته، فقال: صدقَ مجاشِعٌ[1].

وأخرج **البخاري** عن **ابن عمر** [فقال]: لا هجرةَ اليومَ أو بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ[2].

• وأخرج عن مجاهد [بن جبر المكي] أن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما كان يقول: لا هجرةَ بعدَ الفتحِ[3].

• وأخرج عن **عائشة** فقالت: لا هجرةَ اليومَ، كان المؤمنون يفرُّ أحدُهم بدينه إلى اللهِ وإلى رسولِهِ ﷺ مخافةَ أن يُفْتَنَ عليه، فأمَّا اليوم فقد أظهرَ الله الإسلامَ، فالمؤمنُ يعبدُ ربَّه حيثُ شاء، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ[4].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٠٨).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٣١٠).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٣١١).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٣١٢).

• وأخرج **الطبراني** في «الصغير» من حديث أبي هند يحيى بن عبد الله بن حجر بن عبد الجبار بن وائل بن حجر الحضرمي الكوفي بالكوفة قال: حدثنا عمي محمد بن حجر بن عبد الجبار، حدثنا سعيد بن عبد الجبار عن أبيه عبد الجبار، عن أمه أمِّ يحيى، عن **وائل بن حجر**، حديثاً طويلاً في قصة وفوده على النبيِّ ﷺ، ثم رجوعه إلى وطنه، ثم اعتزاله الناس في فتنة عثمان، ثم قدومه على معاوية، فقال له معاوية: فما منعك مِنْ نصرنا، وقد اتخذك عثمانُ ثقةً وصهراً؟

قلت: إنك قاتلتَ رجلاً هو أحقُّ بعثمانَ منك.

قال: وكيف يكون أحقُّ بعثمان مني، وأنا أقربُ إلى عثمان في النسب؟

قلت: إنّ النبيَّ ﷺ كان آخى بين علي وعثمان، فالأخُ أولى من ابن العمّ، ولستُ أقاتِلُ المهاجرين.

قال: أو لسنا مهاجرين؟

قلت: أو لسنا قد اعتزلناكما جميعاً.

وحجة أخرى: حضرتُ رسولَ اللهِ ﷺ وقد رفعَ رأسَه نحو المشرقِ، وقد حضره جمعٌ كثير، ثم ردَّ إليه بصرَه، فقال: «**أتتكُم الفتنُ كقطعِ الليلِ المُظْلِم**»، فشدَّد أمرَها وعجَّله وقبَّحه، فقلتُ له من بين القوم: يا رسول اللهِ! وما الفتنُ؟ فقال: «**يا وائلُ! إذا اختلفَ سيفان في الإسلام فاعتزلهما**»، فقال: أصبحتَ شيعياً؟ قلت: لا، ولكنِّي أصبحتُ ناصحاً للمسلمين، فقال معاوية: لو سمعتُ ذا وعلمتُه ما أقدمتك، قلتُ: أو ليس قد رأيتَ ما صنعَ محمّدُ بن مَسْلَمَةَ عندَ مقتل عثمان؟ انتهى بسيفه إلى صخرة، فضربه بها حتّى انكسرَ، فقال: أولئك قومٌ يحملون علينا، فقلت: فكيف تصنع بقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحبَّ الأنصارَ فبحبِّي،**

ومن أبغضَ الأنصارَ فببغضي»[١].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **معاوية بن أبي سفيان** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا تَنْقَطِعُ الهجرةُ حتّى تنقطعَ التوبةُ** (قالها ثلاث مرات) **ولا تنقطِعُ التوبةُ حتّى تطلعَ الشمسُ مِنْ مغرِبها**»[٢].

❁ معنى الهجرة ومصداقها:

ووجه التوفيق بين الحديثين المختلفين هو أنَّ الهجرةَ في اللغة إنما هي الانتقالُ من الوطن المألوف، والمصداق الكامل بل الأكمل لهذه الهجرة إنَّما هو هجرة المسلم عند غربة الإسلام وغلبة الكفار إلى النبيِّ ﷺ بنيِّة الملازمة له ﷺ، وبذل الجهد في إعلاء كلمة الله تحت رايته ﷺ والتخلّص من سلطان الكفّار الذين يمنعون إقامة أركان الإسلام، وهذا هو المصداقُ الأكملُ للحقيقة الشرعية للفظ الهجرة، وهو المفهوم في عُرْفِ الشرع بدون قرينة، وقد انقضت بهذا المعنى بعد فتح مكة، «**لا هجرةَ بعدَ الفتحِ**»، وهي بالمعنى الآخر: الانتقالُ من الوطنِ في طلب الفضيلة الدينية مِنْ طلبِ العلم، وزيارةِ الصالحين، والفرارِ من الفتن، وهذه أيضاً محمودةٌ في الشرع رغم قصور فضيلتها بالنسبة للمعنى الأول.

آسمان نسبت بعرش آمد فرود ورنه عالى است پيش خاك تود[٣]

ولا تنقرضُ بهذا المعنى إلى يوم القيامة، وأعلى رتبةٍ لهذه الهجرة إنَّما هي الانتقالُ إلى النبيِّ ﷺ في طلب العلم، والتأدّب بآدابه ﷺ،

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٣/ ٣٥٢).
(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٢٩٨) برقم: (٧٣٧١).
(٣) معناه: السماء تحت العرش مع أنها أرفع من التلال والجبال.

والتهيّؤ للجهاد، واشتبه على معاوية بن أبي سفيان التفريق بين المعنيين ـ ولهذا قال: الهجرةُ باقيةٌ إلى يومِ القيامةِ ـ، واللهُ أعلمُ بحقيقة الحال.

۞ السبب في كون الأوصاف الأخرى شرطاً في الخلافة:

وأمّا اشتراطُ الخصال الأخرى في الخلافة بعد القرشية والهجرة، فالسرّ فيه أنَّ الخلافةَ الخاصةَ أو الخلافةَ الكاملة أيّاً ما شئتَ فقل، إذا قمنا بتنقيح معناها يؤولُ أمرُها إلى أن يكونَ الخليفةُ متّصفاً بصفات تختصّ بالكاملينِ المقرَّبينِ، واتّصفَ بها النبيُّ ﷺ من حيث إنّه نبيٌّ مبعوثٌ من الله تعالى، ويباشِرُ الخليفةُ أعمالاً صدرت من النبيِّ ﷺ من حيث إنه نبيٌّ مبعوث من الله تعالى، وأنْ يكونَ قد عُلِمَ اتصافُ الخليفةِ بهذه الخصال والصفات ـ بعلم اليقين ـ من الشريعة، وإذا قمنا باستقراءٍ كلي نجد هذه الخصال والصفات **على ثلاثة أقسام**:

القسم الأول: أن تكون المعاملة بينه وبين الله، وبينه وبين الناس حسنة.

والقسم الثاني: أن ينصر النبيَّ ﷺ في الجهاد مع أعداء الله، وإعلاء كلمة الله.

والقسم الثالث: أن تصدرَ منه أفعالٌ هي من قبيل تتميم أفعال النبي ﷺ من بعد وفاته ﷺ، مثل تحطيم ملَّة قيصر وكسرى وفتح البلدان ونشر العلم وما أشبه ذلك.

۞ والصفات النفسانية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كون الرجل من السابقين والمقرَّبين، جعل الله المسلمين على ثلاثة أنواع كما قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [فاطر:

٣٢]، وقال الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]، وقال أيضاً: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ۝٢١﴾ [المطففين].

• أخبرنا شيخنا أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني بداره بظاهر المدينة المشرفة في سنة ١١٤٤هـ[1] قراءةً عليه وأنا أسمع، قال: أخبرني أبي الشيخ إبراهيم الكردي، قال: أخبرني الشيخ أحمد القشاشي، قال: أنبأنا الشمس الرملي إجازةً، عن الزين زكريا، عن ابن الفرات، عن عمر بن حسن المراغي، عن الفخر ابن البخاري، عن فضل الله بن سعد النوقاني، عن محيي السُّنَّة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، قال في «تفسيره»[2]: أنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشُّريحي، أنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن فنجويه؛ يعني: الثقفي الدينوري، حدثنا محمد بن علي بن الحسين بن الفافا القاضي، حدثنا بكر بن محمد المروزي، حدثنا أبو قلابة، حدثنا عمرو بن الحسين، عن الفضل بن عميرة، عن ميمون الكردي، عن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ على المنبر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فقال: قال رسول الله ﷺ: «**سابِقُنا سابقٌ، ومقتصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفورٌ له**»[3].

---

(١) انظر ترجمته في: «أنفاس العارفين» (ص٢٠٠)، قال: توفي شيخنا أبو طاهر في رمضان سنة ١١٤٥هـ، وانظر ترجمته أيضاً في: «فهرس الفهارس» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤).

(٢) «تفسير البغوي» (٣/ ٣٩٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (١/ ٦٣).

قال أبو قلابة: فحدّثت به يحيى بن معين **فجعل يتعجّب منه**.

فينبغي أن يكون الخليفةُ من القسم الأول، وعُلِمَ بالشريعة بوجه القطع أن يكون من السابقين المقرَّبين من الصديقين أو الشهداء أو الصالحين.

والقسم الثاني: عِلْمُه بالحكمة وأحكام الله تعالى بوجه يقوم مقام النبي ﷺ في تبليغ الشرائع والحكم.

والقسم الثالث: أن يكون متصفاً بالحزم بصفات تتيسَّر بها رئاسة العالم من الشجاعة والكفاية والفراسة وحسن التدبير وما أشبه ذلك.

❁ خصال التشبّه بالأنبياء:

ثم اعلم أنَّ التشبُّه بالأنبياء من حيث النبوة يتحقّق **بثلاثة أمور**:

الأول: بشارةُ النبيِّ ﷺ له بالجنة بالوحي.

الثاني: بيانه ﷺ ـ قولاً وفعلاً ـ استحقاقه للخلافة.

الثالث: إشارته ﷺ تلويحاً أو تصريحاً إلى أنّه أفضل الأمة بالوحي.

أمّا العباداتُ فهي من لوازم المقرَّبين، وأمّا حسن المعاملات لخلق الله فهو يلزم العناية برعيته، وكلتا الصفتين قد اندرجتا في القسمين الأولين.

وأما نصرة النبي ﷺ في إعلاء كلمة الله بحضوره ﷺ وفي أيام حياته ﷺ فيسمّى السوابق الإسلامية، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، في هذه الآية إشارة إلى هذا المعنى، والهجرة من هذا الباب.

وأما اشتراط السوابق الإسلامية للخلافة فهو ثابت بأدلة كثيرة.

۞ الدليل على كون السوابق الإسلامية شرطاً في الخلافة:

وقد عُلِم في الشريعة ـ على سبيل القطع ـ أنَّ مدار الفضيلةِ عند الله ومبنى الشرف في الإسلام هو السوابق الإسلامية، وقد نزلت آيات في هذا الباب، منها قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾، ووقع بعض الأمور عند انعقاد خلافة أبي بكر الصدِّيق ممّا يدلّ بالقطع على عنايتهم بالسوابق الإسلامية، كما قال أبو بكر رضي الله عنه: ألستُ أحقُّ الناس بها؟ ألستُ أوّلَ من أسلم؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟[1]، وقال عمر رضي الله عنه: إنّ أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ، وثَانِي اثْنَيْنِ، فَإِنَّهُ أَوْلَى الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِكُمْ، فَقُومُوا فَبَايِعُوهُ[2].

وعدَّ عثمانُ رضي الله عنه سوابقه الإسلامية حين قدحوا في خلافته، واعترضوا عليه.

وأباح علي رضي الله عنه بسوابقه في أيام خلافته بأصرح ما يكون حين أراد إثباتَ خلافته، وترجيحَ نفسه على غيره.

• وروي عن النبي ﷺ: «**لعلَّ اللهَ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم**»[3].

• وقال **أبو عبيدة**: «أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة»[4].

• وروى **ابن عمر**: «**ما يدريكَ لعلَّ اللهَ اطلعَ على أهلِ بدرٍ، فقال: اعملوا ما شِئْتُم**»[5].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٧٩) برقم: (٦٨٦٣).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢١٩).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٠٧).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٨/ ٥٧٣).
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٨١).

• وروى **أبو هريرة**: «**اطلعَ اللهُ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[١].

• وروت **حفصة**: «**إنِّي لأرجو أَنْ لا يدخلَ النارَ أحدٌ شهدَ بدراً أو الحديبيةَ**»[٢].

• وروى **جابر**: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممَّن بايع تحتَ الشجرة**»[٣].

• وروى أنّه قال لنا النبي ﷺ: «**أنتمُ اليومَ خيرُ أهلِ الأرضِ**»[٤].

• وروى **رفاعة بن رافع**: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدّون أهل بدرٍ فيكم؟ قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمينَ**» ـ أو كلمة نحوها ـ فقال: كذلك مَنْ شهد بدراً من الملائكة[٥].

وروى رافع بن خديج نحواً من ذلك.

وقال سعيد بن المسيب: كان أبو بكر الصدِّيق من النبيِّ ﷺ مكان الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسول الله ﷺ يقدِّم عليه أحداً[٦].

وأخرج **أبو عمر**: وقال رسول الله ﷺ لبعض من لم يشهد بدراً وقد رآه يمشي بين يدي أبي بكر: «**تَمْشِي بَيْنَ يدي مَنْ هُوَ خيرٌ مِنْكَ**»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٠٠٧).
(٢) أخرجه البغوي في «شرح السنَّة» (١/ ٩٥٥).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٣).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٠٨) برقم: (١٤٣٥٢).
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٩٢).
(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٧) انظر: خطبة «الاستيعاب» (١/ ٦).

• وقال العارف **السهروردي** في الباب الخامس والخمسين من «**العوارف**»[١]: روي أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً في صُفَّةٍ ضيقة، فجاءه قوم من البدريين، فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه، فأقام رسولُ الله ﷺ مَنْ لم يكن من أهل بدر، فجلسوا مكانهم، فاشتدَّ ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ الآية [المجادلة: ١١][٢].

• ثم كان عمر رضي الله عنه يقدِّم أهل بدر وبعدهم أهلَ الحديبية على سائر الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، سواء كان ذلك باعتبار إثبات أسمائهم في دفتر الغزاة، أو باعتبار إعطاء الأعطيات والأرزاق، أو باعتبار التقدُّم في المجالس والنوادي، أو في أمور الاستحقاق للخلافة، أو طلب الدعاء منهم، أو التبرُّك بهم، ولا زالت الأمةُ المرحومةُ تقوم بإجلالهم وتكريمهم حتى اليوم.

• وأخرج **الواقدي** عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في وصيته عمرو بن العاص: اتّقِ اللهَ في سرِّكَ[٣] وعلانيتك، [واستحيه في خلواتِكَ[٤]] فإنّه يراكَ في عملِكَ[٥]، فقد رأيت تقدّمي[٦] لك على مَنْ هو أقدمُ منك سابقةً...[٧]، واعلم يا عمرو، أنَّ معك المهاجرين والأنصار من أهل بدر، فأكرمهم، واعرف لهم حقهم، ولا تتطاول[٨] عليهم بسلطانك، ولا

---

(١) يعني: «عوارف المعارف»، للإمام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي البغدادي الشافعي المتوفى سنة ٦٣٢هـ.
(٢) انظر: «عوارف المعارف» (ص٢٥٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «في سرِّ أمرك».
(٤) في الأصل الفارسي: «في سر أمرك».
(٥) في الأصل الفارسي: «في سر أمرك».
(٦) في الأصل الفارسي: «تقدمي».
(٧) سقطت هنا في الأصل الفارسي عبارات طويلة.
(٨) في الأصل الفارسي: «تطاول».

تداخلك نخوةُ الشيطان، فتقول: إنّما ولّاني أبو بكر لأنّي خيرهم[١]، وإياكَ وخِداعُ النفسِ، فكن كأحدِهم، وشاوِرْهم فيما تريدُ من أمرِك[٢].

• وأخرج **البخاري** عن **قيس بن أبي حازم** قال: كان عطاء البدريين خمسةَ آلاف، خمسةَ آلاف، وقال عمر: لأفضِّلنهم على مَنْ بعدهم[٣].

۞ الدلائل على البشارة للخلفاء بالجنة:

أما البشارة للخلفاء بالجنة فهي ثابتةٌ بطرقٍ كثيرةٍ:

أولاها: عمومات القرآن في المهاجرين والمجاهدين ممّن شهدوا الحديبيةَ وتبوكَ وغيرهما.

والثانية: الأحاديث الواردة في فضائل أهل بدر؛ كالحديث: «**قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[٤]، رواه عمر، وعلي، وابن عمر، وابن عباس، وأبو هريرة.

• وحديث: «**جاء جبريل، فقال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ...**»[٥]، رواه رفاعة بن رافع، ورافع بن خديج.

• وحديث **حفصة وجابر**: «**إنِّي لأرجو أَنْ لا يدخلُ النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية**»[٦].

والثالثة: الأحاديث الواردة في فضائل أهل الحديبية، مثل

---

(١) في الأصل الفارسي: «خير منكم». (٢) انظر: «فتوح الشام» (١/ ١٥).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٢٢).
(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٦٥٠).
(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٩٢).
(٦) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٦٢) برقم: (٢٧٠٨٧).

الحديث: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحتَ الشجرةِ**»[١]، وحديث: «**أنتم خيرُ أهلِ الأرضِ**»[٢] من مسند **جابر**.

والرابعة: الأحاديث الواردة في البشارة للعشرة بالجنة، من مسند عبد الرحمٰن، وسعيد بن زيد.

والخامسة: الأحاديث الواردة في البشارة للخلفاء الأربعة بالجنة، مثل حديث جابر بن عبد الله.

والسادسة: الأحاديث الواردة في شأن الخلفاء الثلاثة، مثل حديث أبي موسى ونافع بن عبد الحارث.

والسابعة: الأحاديث الواردة في شأن الشيخين، مثل حديث **أبي سعيد الخدري**: «**إِنَّ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى لَيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا تَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا**»[٣].

وحديث علي وأنس: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**»[٤].

وحديث ابن مسعود: «**يَطلعُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**» فيهما جميعاً[٥].

والثامنة: الأحاديث الواردة في شأن الصدِّيق، منها:

- حديث **أبي هريرة**: «**أنّه يُدعَىٰ من أبوابِ الجنّةِ كلِّها**»[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٣)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٦٠)، وأحمد في «مسنده» (٢٣/ ٩٣) برقم: (١٤٧٧٨)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤١٥٤).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٥٩).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٥).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٩٤).

(٦) أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٨٥).

• وحديث **أنس** في وصف طير الجنة في آخره قوله ﷺ لأبي بكر: «**وإنِّي لأرجو أنْ تكونَ ممّن يأكلُ منها**»[(١)].

والتاسعة: الأحاديث الواردة في شأن عمر الفاروق رضي الله عنه، منها:

• حديث رؤيا النبي ﷺ قصراً من ذهب، من حديث جابر، وأنس، وأبي هريرة، وبريدة الأسلمي.

والعاشرة: الأحاديث الواردة في شأن عثمان ذي النورين، منها:

• حديث **عبد الله بن حوالة**: «**تَهْجُمونَ على رجلٍ يبايعُ الناسَ معتجراً ببردٍ**[(٢)]، **يبايع الناسَ من أهل الجنّةِ**»، قال: فإذا هو عثمان بن عفان[(٣)(٤)].

والحادية عشرة: الأحاديث الواردة في شأن علي المرتضى، منها:

• الحديث الذي قال فيه النبيِّ ﷺ لعلي: «**لكَ في الجنّةِ خيرٌ منها**»[(٥)].

❁ الدلائل على كون الخلفاء من السابقين المقرَّبين:

وأما كون الخلفاء من السابقين المقرَّبين فهو ثابت بأحاديث كثيرة، **منها**:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٣٣١١)، والحديث بكامله: «عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ طيرَ الجنّةِ كأمثالِ البُخْتِ، ترعى في شجرِ الجنّةِ**»، فقال أبو بكر: يا رسول الله! إن هذه لطيرٌ ناعمةٌ، فقال: «**أكلتُها أنعمُ منها**، قالها ثلاثاً، **وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّن يأكلُ منها يا أبا بكرٍ**»».

(٢) في الأصل الفارسي: «وهو معتجر ببردٍ»، اعتجر: لفّ عمامته.

(٣) في الأصل الفارسي: «فكان عثمان».

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٤٩)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١/ ١٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٤٣٤).

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ٣٢٣).

• حديث: تحرّكَ الجبل، وقوله ﷺ: «**اثبتْ فإنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيق وشهيدٌ**» من طرق كثيرة جداً من مسند عثمان، وسعيد بن زيد، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس، وبريدة، وسهل بن سعد.

• وحديث: «**إنّ الشيخينِ من النجباءِ**»[(١)] من مسند علي.

• وحديث: «**إنّ أهلَ الدّرجاتِ العُلى يراهم مَنْ تحتهم...**»[(٢)] إلخ، من مسند أبي سعيد.

• وحديث: تحديثُ جبريل بفضائلهما من مسند عمار.

• وحديث: رؤيا رجحانهم في الميزان من مسند أبي بكرة، وعرفجة وغيرهما.

• وحديث: تشبّه الشيخين بملكين مقرَّبين من حديث ابن مسعود وغيره.

• وحديث: «**هما سيدا كهول أهل الجنة**»، من مسند علي، وأنس.

• وحديث: «**يدعى من أبواب الجنة كلها**» في مناقب أبي بكر.

• وحديث: «**لقد كان فيما كان قبلكم ناسٌ محدَّثون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمّتي أحدٌ فإنّه عمر**»[(٣)].

• وحديث: «**فرارُ الشيطانِ من ظلِّ عمرَ**».

• وحديث: «**رفيقي في الجنة عثمان**»[(٤)].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٨٥).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٩٦).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٠٤).

❁ الدلائل على معاملته ﷺ للخلفاء معاملة الملك وليَّ عهده:

وأما معاملة النبي ﷺ للخلفاء معاملةَ منتظرِ الإمارةِ فهو ثابتٌ من عدة طرق، كما ورد في:

• حديث **سهل بن سعد** أمرَ تفويض النبي ﷺ إمامة الصلاةِ إلى أبي بكر حين ذهابه إلى قبيلة بني عمرو بن عوف من أجل رفع النزاع الواقع بينهم، وإقامة الصلح فيما بينهم.

• وأسند في مرض وفاته أمرَ الإمامة بالصلاة إليه بتأكيدٍ بليغٍ، وهذه القصة متواترةٌ بالمعنى.

• وحديث **إمارته للحج** من الأحاديث المشهورة.

• وقال النبي ﷺ في حديث أبي الدرداء: «**فهل أنتم تاركونَ لي صاحبي، فما أوذي بعدها**»[(١)].

• وورد ذكر الشيخين في حديث أبي سعيد الخدري: «**وزيراي من أهل الأرض**»[(٢)].

• وقال علي لعمرَ حين توفِّي: إن كنتُ لأرجو أن يجعلَكَ اللهُ معهما، إنِّي كنتُ لأسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر[(٣)].

• وسئل علي بن الحسين عن منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٦).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٠)، و«المستدرك»، للحاكم (٢/ ٢٩٠) برقم: (٣٠٤٧).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٧٧) باختلاف يسير في اللفظ ولم يرد تصريح لاسم القائل، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٣٠).

فقال: كمنزلتهما اليومَ وهما ضجيعاه[١].

• ولقد وُصف أبو بكر الصدِّيق في عدة أحاديث بـ«أرأف الأمة»، وعمر الفاروق بـ«أشدهم في أمر الله»، وعثمان ذو النورين بـ«أصدقهم حياءً»، وعلي المرتضى بـ«أقضاهم علي»، وكل خصلة من هذه الخصال تدلّ دلالةً واضحةً على أنّ هؤلاء أكثرُ الناسِ استحقاقاً للرئاسة العظمى للمسلمين.

• وقد ثبت في حديث حذيفة وعلي المرتضى: «إن تؤمِّروا أبا بكر...» الحديث.

• وفي حديث حذيفة وابن مسعود: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**».

• وفي حديث مطلب بن أبي وداعة: «**الحمد لله الذي أيَّدني بهما**».

• وفي حديث **حذيفة** كما رواه **الحاكم**: «**لا غنى بي عنهما، إنّهما من الدِّينِ كالرأسِ من الجسدِ**».

• وفي حديث عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري: «**لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتُكما**».

• وفي حديث أنس قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجدَ لم يرفع أحدٌ منا رأسه غير أبي بكر وعمر، فإنّهما كانا يتبسَّمان إليه، ويتبسَّم إليهما[٢].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٨٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٩) برقم: (٤١٨).

ظهور موعود الله على أيدي الخلفاء

وأما ظهور موعود الله تبارك وتعالى لهذه الأمة المرحومة على أيدي الخلفاء، فإنه يتضمّن ثلاثةَ مباحثَ:

۞ المبحث الأول:

وهذا أحد من لوازم **الخلافة الخاصة**، وواضح في غاية الوضوح، إذ إنّ الخلافة عبارةُ عن النيابة والحلول محلَّ مَنْ كان قبله، وهي في عرف الشرع عبارة عن التصدِّي لإقامة أمور بُعث النبي ﷺ لأجلها، ولا تتحقَّق الخلافة الخاصة إلا بحصول زيادةِ التشبُّه بسيرة النبي ﷺ مع النيابة عنه، ومن جملة سيرته وأعماله ﷺ بل مِنْ أحسنها وأفضلِها فتحُ بلاد الكفّار.

۞ والمبحث الثاني:

وهو وعد النبي ﷺ لأمته **بفتح بلاد الشام والعراق**، وهذا المعنى ثابتٌ بأحاديث متواترة المعنى من حديث أبي هريرة، وعقبة بن عامر، وعدي بن حاتم، وخباب، وغيرهم ممّن لا يُحصى عددهم.

۞ والمبحث الثالث:

أنّ هذا الموعودَ ظهر على أيدي الخلفاء، ويكفي في إثبات نقل ما تواتر عن جماهير المسلمين من الفقهاء والمحدِّثين والمؤرِّخين، بالإضافة إلى حديث: «**الحمد لله الذي أيَّدني بهما**»، وحديث استبشار أهل السماوات بإسلام عمر، وغيرهما من الأحاديث التي تدلُّ على هذا المعنى.

۞ الدلائل على حجّية قول الخلفاء:

وأما حجِّية قول الخلفاء بأنّهم أمروا بحكم، وهذا يكون ممكناً بين

المسلمين، فهو أعلى من القياس، فإنَّ هذه الخصلة ثابتةٌ فيهم بطرق كثيرة، قال الله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

• وفي حديث عرباض بن سارية: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء من بعدي**»[١].

• وفي حديث ابن مسعود وحذيفة: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**»[٢].

• وفي حديث عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»[٣].

• ومن أدل الدلائل على هذا المعنى الأحاديث المتواترة بالمعنى «**السكينة تنطق على لسان عمر**»[٤] من طريق علي، وأبي ذر، وابن عمر، وغيرهم، والأحاديث المتواترة بالمعنى في موافقات عمر للوحي الربَّاني.

• ومن أعظم الدلائل على هذا المعنى أيضاً مشاورةُ النبيِّ ﷺ في أمور الجهاد، ومصالح الشريعة للشيخين، وقبول مشورتهما، والحديث

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٠٧)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٦٧٦)، و«شرح مشكل الآثار» (٣/ ١٨٣)، واللفظ له.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٧) برقم: (١٨٠٢٣)، والعصامي في «سمط النجوم العوالي» (١/ ٤٣٥)، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» (١/ ٢٠).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ١٠٦) برقم: (٨٣٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٢٢)، وأبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) رقم الترجمة: (١٨٧٨)، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).

المتواتر بالمعنى: «**عليكم بالسوادِ الأعظمِ**»[(١)] رُوي بطرقٍ كثيرةٍ، ورواه **الشافعي** في إثبات الإجماع.

واختلف العلماء في فهم هذه الأحاديث، فحملها طائفةٌ منهم على وجوب طاعة الخليفة إذا لم يكن في معصية، والأخرى على وجوب العمل بما ثبت بالإجماع.

ويقول الفقير عفا الله عنه: المرادُ هو أنَّ قول الخليفة حجَّة إذا كان ممكناً في المسلمين لنفاذه فيهم، فيُوجد هنا معنى الطاعة للخليفة وحجِّية الإجماع معاً.

والتفصيل هنا أنّ الله تعالى قد جعل ملكةً في نفوس هؤلاء السعداء، وأيّدهم من عنده، فيُصيبون ـ نتيجة ذلك ـ في فهم الحِكَم وأحكام السياسة الملكية ومصالحها غالباً، ومن فضل الله على هذه الأمة كذلك أنَّها لا تجتمعُ على باطل، وأنزل تأييداً في هذا الباب، فإذا اجتمعت كلتا الفضيلتين في قوله كان حجةً في الدين ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

• أخرج **الحاكم** حديث **عمر** في خطبته بالجابية من طرق، منها طريق عبد الله بن دينار عن ابن عمر، قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: إني قمتُ فيكم كمقامِ رسولِ اللهِ ﷺ فينا، فقال: «**أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذبُ، حتّى يحلفَ الرجلُ ولا يستحلَفُ، ويشهَدُ ولا يُسْتَشْهَدُ، فمن أراد منكم بُحْبُوحَةَ الجنةَ، فليلزمِ الجماعةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنين أبعدُ، ألا لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطانُ** (قالها ثلاثاً) **وعليكم بالجماعة، فإنَّ**

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٣٩٢) برقم: (١٨٤٥٠).

الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، ألا ومَنْ سرّته حسنتُه وساءته سيئتُه فهو مؤمنٌ»[١].

• ومنها طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: وقف عمر بن الخطاب بالجابية، فقال: رحمَ اللهُ رجلاً سمعَ مقالتي فوعاها، إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وقفَ فينا كمقامي فيكم، ثم قال: «**احفظوني في أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (ثلاثاً)، ثم يكثُرُ الهَرَجُ، ويظهَرُ الكذبُ، ويشهدُ الرجلُ ولا يُستشهَدُ، ويحلِفُ ولا يُستحلَفُ، من أحبَّ منكم بُحْبُوحَةَ الجنةِ فعليه بالجماعةِ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، ألا لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ، فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، من سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه، فهو مؤمنٌ»**[٢].

وأخرج **البيهقي** من طريق الشافعي، عن ابن عُيينةَ، عن عبد الله بن أبي لبيد، عن ابن سليمان بن يسار، عن أبيه، أنّ عمرَ بنَ الخطاب قام بالجابية للناس خطيباً فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قامَ فينا كقيامي[٣] فيكم، فقال: «**أكرموا أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهرُ الكذبُ، حتّى إنَّ الرجلَ ليحلفُ ولا يُستحلَفُ، ويشهَدُ ولا يُستشهَدُ، ألا مَنْ سرّه أن يسكنَ بُحْبُوحَةَ الجنّةِ، فليلزمِ الجماعةَ؛ فإنَّ الشيطانَ مع الفذِّ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، ولا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ؛ فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، ومَنْ سرّته حسنتُه، وساءته سيئتُه فهو مؤمنٌ»**[٤].

• قال **الشافعي** في أثناء كلامه: فلم يكن للزوم جماعتهم معنًى إلا

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٧) برقم: (٣٨٧).
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٩) برقم: (٣٩٠).
(٣) في الأصل الفارسي: «كمقامي».
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).

ما عليه جماعتهم من التحليل والتحريم والطاعةِ فيها، فمن قالَ بما تقولُ جماعةِ المسلمين فقد لزم جماعتهم، وإنّما تكونُ الغفلةُ في الفرقة، فأما الجماعةُ فلا يمكِنُ فيها كافة غفلة عن معنى كتاب الله، ولا سُنَّة، ولا قياس إن شاء الله[١].

• وأخرج **الحاكم** من حديث المعتمر بن سليمان عن أبيه[٢] عن عبد الله بن دينار عن **ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يجمعُ اللهُ هذه الأمةَ على الضلالةِ أبداً**»، وقال: «**يدُ اللهِ على الجماعةِ، فاتبعوا السوادَ الأعظمَ، فإنَّه مَنْ شذَّ شذَّ في النار**»[٣].

واختلف الرواةُ على المعتمر بن سليمان في تسمية الرجل الواقع بينه وبين عبد الله بن دينار، بيَّن الحاكم كل ذلك[٤].

• وأخرج **الحاكم** من حديث عبد الله بن طاوس، أنه سمع أباه يحدِّث، أنه سمع **ابن عباس** يحدِّث، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يجمعُ الله أمتي** ـ أو قال ـ **هذه الأمةَ على الضلالةِ أبداً، ويدُ اللهِ على الجماعةِ**»[٥].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** عن النبي ﷺ في حديث طويل وسأل ربه: «**أن لا يجتمعوا على ضلالةٍ، فأُعطيَ ذلك**»[٦].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ قِيْدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقةَ الإسلامِ من عُنقِهِ**»[٧].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «عن رجل» بدل «عن أبيه».
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٩) برقم: (٣٩١).
(٤) انظر للتفصيل: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢) برقم: (٣٩٢ ـ ٣٩٧).
(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٢) برقم: (٣٩٨).
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠٠).
(٧) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠١).

• وأخرج **الحاكم** من حديث نافع، عن **عبد الله بن عمر**، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ خرجَ من الجماعةِ قِيْدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقة الإسلامِ من عُنقه حتى يراجعَهُ**»، وقال: «**مَنْ مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية**»[١][٢].

• وأخرج **الحاكم** من حديث **الحارث الأشعري**، حديثاً طويلاً في آخره: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**آمرُكم بخمسِ كلماتٍ أمرني اللهُ بهنَّ: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فَمَنْ خرجَ مِنَ الجماعةِ قيدَ شبرٍ، فقد خلعَ رِبقةَ الإسلامِ من رأسِهِ إلّا أنْ يرجعَ**»[٣].

• وأخرج **الحاكم** عن **معاوية** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ شبراً دخلَ النَّارَ**»[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عمر** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ أمةً أو عادَ أعرابياً بعد هجرتِهِ فلا حجة له**»[٥].

• وأخرج **الحاكم** من حديث **حذيفة** عن رِبعي بن حِراش قال: أتيتُ حذيفة بن اليمان لياليَ سارَ الناسُ إلى عثمان، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ فارقَ الجماعةَ، واستذلَّ الإمارةَ، لقيَ اللهَ، ولا حجَّةَ له**»[٦].

• وأخرج **الحاكم** عن **فَضالة بن عُبيد** عن رسولِ اللهِ ﷺ أنّه قال:

---

(١) في الأصل الفارسي: «ميتة الجاهلية».
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٣) برقم: (٤٠٣).
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٤) برقم: (٤٠٤).
(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٥) برقم: (٤٠٧).
(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٥) برقم: (٤٠٨).
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٦) برقم: (٤٠٩).

«ثلاثةٌ لا تسألْ عنهم: رجلٌ فارقَ الجماعةَ، وعصى إمامَه، فماتَ عاصياً، وأمةٌ أو عبدٌ آبقٌ مِنْ سيِّده فماتَ، وامرأةٌ غابَ عنها زوجُها وقد كفاها مؤنةَ الدُّنيا، فتبرَّجت بعدَه، فلا تسألْ عنهم»[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** قال: قال رسول اللهِ ﷺ: **«الصلاةُ المكتوبةُ إلى الصلاةِ المكتوبةِ التي بعدَها كفَّارةٌ لما بينهما، والجمعةُ إلى الجمعةِ و[الشهرُ إلى الشهرِ** ـ يعني: من] شهر رمضان إلى شهر رمضان ـ **كفَّارةٌ لما بينهما»**، ثم قال بعد ذلك: **«إلّا مِنْ ثلاثٍ... إلا من الإشراكِ باللهِ، ونكثِ الصفقةِ، وتركِ السُّنَّةِ»**، قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أمّا الإشراكُ باللهِ فقد عرفناه، فما نكثُ الصفقةِ، وترك السُّنَّةِ؟ قال: **«أمَّا نكث الصفقةِ أنْ تبايعَ رجلاً بيمينِكَ، ثم تختلِفُ إليه، فتقابِلُه بسيفِكَ**[٢]**، وأمّا تركُ السُّنَّةِ فالخروجُ من الجماعة»**[٣].

• وأخرج **الحاكم** في حديث **حذيفة** الطويل حين ذكر قوماً يهدون بغير هديه، وقوماً يدعون إلى أبواب جهنم، قلتُ: فما تأمرني إن أدركتُ ذلك؟ قال: **«تلزمُ جماعةَ المسلمين وإمامَهم»**، قلتُ: فإنْ لم يكن لهم إمامٌ ولا جماعة؟ قال: **«فاعتزل تلك الفِرَقِ كلَّها»**[٤].

• وأخرج **الشيخان** من حديث عمر بطرق مختلفة: **«أنتم شهداءُ اللهِ في الأرضِ»**[٥].

• وأخرج **الحاكم** من حديث أبي زهير الثقفي [عن أبيه] قال:

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٦) برقم: (٤١١).
(٢) في الأصل الفارسي: «ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك».
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٧) برقم: (٤١٢).
(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ١٩٧) برقم: (٣٨٦).
(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٣٦٧)، و«صحيح مسلم» برقم: (٩٤٩).

سمعتُ النبيَّ ﷺ... يقول: «**يوشِكُ أن تعرفوا أهلَ الجنّةِ من أهلِ النّارِ**»، أو قال: «**خيارُكم من شرارِكم**»، قيل: يا رسولَ اللهِ! بماذا؟ قال: «**بالثناءِ الحَسَنِ، والثناءِ السيِّئِ، أنتم شهداءُ بعضُكم على بعضٍ**»[1].

• وأخرج **مسلمٌ** من حديث **ثوبان، والمغيرة، وجابر بن سمرة، وجابر بن عبد الله، ومعاوية بن أبي سفيان** ـ ألفاظهم متقاربة ـ: «**لا تزالُ طائفةٌ من أمتي قائمةٌ بأمر اللهِ، لا يضرُّهم مَنْ خذلهم أو خالفهم حتّى يأتيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرونَ على الناسِ**»[2].

ويحتمَلُ أن يُحْمَلَ حديثُ: «**لا تَجْتَمِعُ أُمّتي على الضلالةِ**»، على معنى هذا الحديث نفسه، بأنَّ طائفةً من هذه الأمة تكون على الحقِّ آخذةً بالسُّنَّة، قائمةً بواجبات الملَّة، لا على معنى حجِّية الإجماع، لكن المعنى الأول هو المشهورُ الذي حَمَلَ عليه جمهورُ الفقهاء، والله أعلم.

وعُلِمَ من هذه الأحاديث أننا إذا تأمَّلنا في كلماتِ أحاديثِ النهي عن مفارقةِ الجماعةِ، والأمر بالاتباع السواد الأعظم تخرجُ منها علَّتان:

إحداهما: إقامة الخلافة التي تشتمل على هذه الفوائد والنتائج.

والثانية: صيانةُ الملَّة عن اختلاف أهلها.

والمفهوم أنَّ هذا الحكمَ الصريحَ يتعلّقُ بموضعٍ وجَّهَ فيه الخليفةُ أمراً بعدَ مشاورةِ أهل العلم كلّهم أو جمهورهم، وتمَّ نفاذه في المسلمين.

وأمّا اتفاقيات جمهورُ الفقهاء إذا خلت عن صولةِ الخلافةِ، وكذلك مذهب الخليفة نفسه في قضية من القضايا المجتهد فيها فهي واجبةُ

---

(١) انظر: «المستدرك»، للحاكم (١/ ٢٠٧) برقم: (٤١٣).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).

الاتباعِ أيضاً، إلحاقاً لها بذلك الأصل المنصوص عليه من جهة المشاركة في أحد شطري العلَّة.

ومثال ذلك قول الشافعي في آية: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ...﴾ [النساء: ١٠١]، قال: منطوقُ الآيةِ: إنّما هو قصرُ الصلاةِ إذا اجتمعَ السفرُ والخوفُ، والسُّنَّة وإجماعُ الأمة قد أَلْحَقَا بها القصرَ في السفرِ من غير خوفٍ، والسرُّ في هذه المسألة أنَّ السفرَ والخوفَ كلٌّ واحدٍ منهما سببٌ للتخفيفِ.

وكذلك في أحكام الخلفاء الراشدين اجتمعَ ظنّ إصابتهم في آرائهم بهاتين المصلحتين (العلَّتين: يعني: إقامة الخلافة، وحفظ الشريعة)، وتأكَّد هذا الأمر للغاية.

وفي ظنِّ الإصابةِ يُساوي عبد الله بن مسعود الخلفاء الراشدين في السُّنَّة والقراءة، وأُبيّ بن كعب في القراءة وحدها، وعلي في القضاء، وزيد بن ثابت في الفرائض، وذلك بناءً على ما تقدَّمَ من ثناءِ النبيِّ ﷺ عليهم ثناءً جميلاً، ولكنهم متأخرون عن الخلفاء الراشدين باعتبار المصلحتين اللتين تقدَّم ذكرهما، واتفاقياتُ فقهاء الأمصارِ من دون رعاية الخليفة هي مظنةُ الإصابة أيضاً، بناءً على المصلحةِ التي أشارَ إليها الشافعيُّ حيث قال: وإنما تكون الغفلةُ في الفُرقةِ، فأمّا الجماعةُ فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنى كتاب الله، ولا سُنَّة، ولا قياس إن شاء الله[1].

وقال عمر رضي الله عنه: فاقضِ بما قضى به الصالحون[2].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٦٢).
(٢) انظر: «سنن النسائي» برقم: (٥٣٩٩)، و«سنن النسائي الكبرى» (٣/ ٤٦٨) برقم: (٥٩٤٤).

وعُلِمَ أيضاً بالقطع أنَّ عدمَ القبولِ لرأي الخليفة في قضية مجتهد فيها وسلوك كل أحد على رأيه يؤدِّي إلى ضعف أمر الخلافة وينافي مصلحة إقامتها، فقال الشافعي رعايةً لهذه المراتب: وإذا رجعنا إلى التقليد، فقول الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان ـ قال في القديم: وعلي ـ أحبّ إلينا[١]، وكان توقُّفه في قول علي في المذهب الجديد من جهة عدم التمكين، وعدم اتفاق الأمة على قوله، وهذا أحد الأسباب لوجوب اتباع الخلفاء.

❁ الدلائل على فضيلة الخلفاء في عهودهم:

• وأمّا أنّ كلَّ واحد من الخلفاء كان أفضلَ الأمةِ في وقته، فقد رواه **ابنُ عمر**: كنا نخيِّر في زمان رسول الله ﷺ، فنقول: أبو بكر خيرُ هذه الأمة، ثم عمرُ ثم عثمانُ.

• ويدلّ عليه حديث علي: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**»[٢].

• وحديثُ الوزنِ ورجحانِ أبي بكر برواية **أبي بكرة الثقفي وعرفجة** وغيرهما.

• وبيّن عمر الفاروق أفضليةَ الصدِّيق وقد تواتر ذلك عنه.

• وقال أبو بكر الصدِّيق فيه: «**اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقك**»[٣].

• وقال عبد الرحمٰن بن عوف عند عقد الخلافة لعثمان ذي النورين: والله عليه أن لا يألو عن أفضلهم في نفسه.

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٧٣).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٧٤).

• وقال عليٌّ على منبر الكوفة: خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر ثم عمر[١].

• قال سفيان الثوري بعد الاطلاع على هذه الإجماعيات: مَنْ زعمَ أنَّ عليّاً كان أحقَّ بالولايةِ منهما، فقد خطَّأَ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفعُ مع هذا له عمل إلى السماء[٢].

• وقال الشافعيُّ: اضطُرَّ الناسُ بعد رسولِ اللهِ ﷺ إلى أبي بكر، فلم يجدوا تحتَ أديم السماء خيراً من أبي بكر، فولَّوه رقابهم[٣]، وقال بعضُ الصحابةِ والتابعين: إنَّ أبا بكر الصدِّيق قد قام في قتالِ المرتدِّين بدورٍ يقومُ به الأنبياءُ.

❁ دلائل وطرق لإثبات خلافة الخلفاء الراشدين:

وأما إثباتُ الخلافةِ للخلفاء الراشدين فقد ثبت عن طرق كثيرة، منها إجماع الصحابة على خلافة الصدِّيق الأكبر رضي الله عنه، واختار عبد الله بن مسعود هذا الوجه حيث قال: ما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيئٌ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه[٤].

• ومنها استخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنه، قال عبد الله بن مسعود: أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ: ... وأبو بكر حين استخلف عمر...[٥] الحديث.

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢١٢). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٤).

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٩٢).

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٥).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٥)، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ٩٦) برقم: (٤٥٠٩)، و«المعجم الكبير» (٩/ ١٦٧)، والحديث بكامله هكذا: «إنَّ أفرسَ الناس ثلاثةٌ: العزيزُ حين تفرّس في يوسف، فقال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، والمرأةُ التي رأتْ موسى، فقالت لأبيها: ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾، وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما».

• واتفاقُ الناسِ على خلافةِ الفاروق من حيث لم يكن فيه مجال الخلاف لأحد، وذلك أظهر لا حاجة للبيان فيه، وهكذا تحقق الإجماع هاهنا، لكن بعد الاستخلاف والتسلُّط، وهكذا الاتفاق على خلافة عثمان ذي النورين معلوم مشهور، واختار المتأخِّرون من الأشاعرة هذا المذهب نفسه واكتفوا به.

• ومنها تفويضه ﷺ إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق في أيام مرض وفاته، وقد اعتمد الصحابة على هذا الدليل عند الاستخلاف، وأقره المهاجرون والأنصار به، وثبتت قصة إمامة الصدِّيق بروايات متواترة.

والاستدلال بإمامته على الخلافة نقل من أكابر فقهاء الصحابة بأسانيد مستفيدة، من أمثال عمر الفاروق، وعلي المرتضى، وابن مسعود رضي الله عنهم، وقصة ذكر الإمامة عند انعقاد خلافة الصدِّيق وإذعان المخالفين له وترك الأنصار الخلافة كان بسبب هذا الحديث الصحيح المروي عن أبي بكر الصدِّيق، وعمر الفاروق، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم.

أما وجه الاستدلال إجمالاً: فمن جهة أنَّ أكابر الصحابة استدلُّوا به، وسلّمت جميعُ الأمة بهذا الاستدلال، وبه قام إتمامُ الحجة على المخالفين، فثبت الإجماع هنا على صحة الاستدلال.

وأما تفصيلاً: فليُعلم أنَّ إقامة الرجل غيره مقامَ نفسه إنّما يكون بالقول مرةً وبالفعل أخرى، ولا بدّ أن يكون الفعل مُفهِماً بحيث يفهم الناس بمجرَّد السماع، ولكن أفهام الناس تختلف باختلاف الطبقات والزمان، فالتاجر يجعل خليفته في دكَّانه، والمدرِّس في حلقة درسه، وملوك العجم كانوا يُجلسونه على سدة الحكم، فلمّا كانت الصلاةُ من أعظم الطاعات والعبادات، وواظب النبيُّ ﷺ على إمامتها، كان أمر

تفويضه ﷺ إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق من أكبر دليل جلي على استخلافه.

• **ومنها حديث عائشة وعبد الرحمٰن: «لقد هممت أن أدعو أبا بكر فأعهد إليه»**... إلخ[1]، ومنها خطبته الأخيرة التي خطبها قبل خمسة أيام من وفاته، ورواها جماعة من الصحابة، منهم ابن مسعود، وأبو سعيد، وجندب بن عبد الله، وأبو هريرة وغيرهم، واختار أبو عمر صاحب «الاستيعاب» هذا المذهب واعتمد عليه.

ومنها: تلك الرؤى الكثيرة التي رآها النبي ﷺ أو عرضها الصحابة بحضرته ﷺ، وتأويل جملتها «خلافة الخلفاء»، فكأنّ هذه الرؤى كلها تفسيرٌ لآية الاستخلاف وآية التمكين في الأرض:

أحدها: **رؤيا القليب**، رواها أبو هريرة وابن عمر.

والثانية: **رؤيا الوزن** في حديث أبي بكرة الثقفي، رآها شخص وعبرها النبي ﷺ بالخلافة، وروى عرفجة وجماعة أن النبي ﷺ رآها بنفسه، ولا يُستغرب وقوع الصورتين.

والثالثة: **حديث نوط بعضهم ببعض**، من حديث جابر.

والرابعة: **رؤيا الدلو**، من حديث سمرة بن جندب.

والخامسة: **رؤيا الظلَّة**، والسبب المعلَّق من السماء من حديث أبي هريرة وابن عباس.

والسادسة: مرسل الحسن البصري.

• ومنها التعريض الجلي من النبي ﷺ بخلافة الخلفاء الثلاثة بإسنادِ الأمور التي تتعلّق ببيت المال إليهم، مثل حديث جبير بن مطعم:

---

(١) انظر: «التمهيد»، لابن عبد البر (٢٢/ ١٢٩) واللفظ له، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٢٦٦).

«إنَّ امرأة أتت رسول الله ﷺ. . . إلخ، أخرجه الشيخان، قال الشافعي: وفيه دليل على خلافة أبي بكر، وحديث أنس: «بعثني بنو المصطلق. . .»، وحديث سهل بن أبي حثمة: «بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ»، وحديث أبي هريرة قريباً من معناه.

• ومنها التعريض الجلي منه ﷺ بخلافة الثلاثة ببيان بعض خواصِّ الخلافة الخاصة في حقِّ هؤلاء السعداء، مثل حديث **أبي ذر في** قصة: «تسبيح الحصيات في أيدي الخلفاء الثلاثة على الترتيب»، وحديث أنس نحواً من ذلك.

وحديث أبي الدرداء في أمره ﷺ للصدِّيق بالخطبة ثم أمرِهِ لعمر بالخطبة.

وحديث أبي موسى الأشعري في قصة الحائط.

• **ومنها**: قوله ﷺ في الخلفاء الثلاثة: «**هم الخلفاء**» في قصة تأسيس المسجد من حديث عائشة وسفينة.

• **ومنها**: الأحاديث الدالة على معاملته ﷺ معاملة الملك ولي عهده، وهي تدلّ على صحّةِ خلافتهم حين تمّ انعقادُ الخلافة لهم، مثل حديث علي وحذيفة: «**إن تؤمِّروا أبا بكر...**»، الحديث، وحديث حذيفة وغيره: «**لا غنىً لي عنهما، هما من الدِّينِ بمنـزلةِ السمعِ والبصرِ**»، وفي لفظ: «**بمنزلة الرأسِ من الجسدِ**»، وحديث أبي سعيد الخدري: «**وأما وزيراي في الأرض فأبو بكر وعمر**».

• **ومنها**: الأحاديثُ الدالّة على أنَّ ترتيبَ دولته ﷺ يكون على هذا المنوال:

«**نبوةٌ ورحمةٌ ثم خلافةٌ ورحمةٌ**»، وفي لفظ: «**خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم يكون مُلْكٌ عضوض**»، وقد حصلت في الخارج خلافة الخلفاء

بعد زمن النبي ﷺ ثم ملك عضوض، فعُلِم بذلك أن خلافتهم كانت على منهاج النبوة، وهي خلافة ورحمة، من حديث أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل وحذيفة وغيرهم.

• **ومنها**: إخبار النبي ﷺ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم، ثمّ الذين يلونهم**[١]**، ثم يجيء**[٢] **قوم أيمانهم تسبِقُ شهادتهم وشهادتهم أيمانهم**»[٣] برواية جماعة عظيمة، منهم عمر وابن مسعود وعمران وحذيفة وغيرهم.

القرن الأول: هو زمن النبي ﷺ من الهجرة إلى وفاته.

والقرن الثاني: زمن الشيخين رضي الله عنهما.

والقرن الثالث: زمن عثمان ذي النورين، ثم نشأ الخلاف وظهرت الفتن.

وتفصيل هذا الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ قد بيَّن الفتنةَ التي تظهر بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في أحاديث متواترة متكثِّرة الطرق كما سيأتي قريباً، ووصف الزمن الذي قبلها بأوصاف حسنة والذي بعدها بأوصاف سيئة، فإذا تأمَّلنا جميع هذه الروايات التي تختلف عباراتها، وتتحد في أصل الغاية حصل لنا حدس قوي، وهو أنَّ المراد من القرون الثلاثة هو تفصيل هذه المدة، وليس تقسيمها إلى القرون الثلاثة، وإنَّما تلك القرون الثلاثة باعتبار أنَّ خلفاءها والقائمين بالأمر فيها كانوا على قمة الكمال، وباعتبار شيوع أعمال الخير وظهور الدولة الإسلامية فيها، وإنجاز موعود الله تبارك وتعالى، وحصول الظهور والغلبة للإسلام فيها.

---

(١) «ثم الذين يلونهم» وردت في الأصل الفارسي مرتين فقط.
(٢) وفي الأصل الفارسي «ينشأ».
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٠/ ٢٩٢) برقم: (١٨٣٤٨).

• **ومنها**: الأحاديثُ تدلُّ على أنَّ الملّة الإسلامية تزدهر إلى غاية، ثم تصابُ بالضعف والانحطاط مثل حديث **علقمة بن كِرْزٍ**، وحديث: «... **ثم ثنياً ثم رباعياً ثم سديساً ثم بازلاً إلى غير ذلك**»[١]، وهكذا نشاهِدُ في الواقع أنّ الإسلام يتقدَّم ويترقَّى إلى زمن سيدنا عثمان ﵁، ثم بدأ يتناقصُ، فعُلِم بذلك أنَّ خلافتَهم خلافةٌ راشدةٌ مبشَّرٌ بها في الآيات والأحاديث.

• **ومنها**: حديث **ابن مسعود**: «**تدورُ رحى الإسلامِ بستّ وثلاثين سنةً**»[٢]، ثم أنذرَ ﷺ بظهور فتنةٍ عظيمةٍ، فقال: «**فإن يهلكوا فسبيل من قد هلك**»[٣]، فيدلّ دوران رحى الإسلام على استقامةِ أمور الإسلام وغلبته على سائر الأديان وكثرة الفتوح، وذلك هو المقصودُ من الخلافة الراشدةِ، فلا بدّ أن تكونَ خلافتُهم خلافة راشدة.

• **ومنها**: حديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلك بالشامِ**»، فعُلِمَ من هنالك أنَّ الخلافةَ الراشدةَ تكون بالمدينة، وفي الواقع لم يسكن بالمدينةَ غير الخلفاء الثلاثة.

• **ومنها**: الأحاديث التي تدلّ على أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ﵁ كان قفل الفتنة وحارس الأمة منها، مثل حديث **حذيفة**، وهو أصح ما في هذا الباب، وحديث **عبد الله بن سلام وأبي ذر** وغيرهم، وهكذا وقع في الخارج أيضاً، ولم تظهر فتنة في زمن عمر ﵁، وتلك بشارة بالخلافة الراشدة لعمر بن الخطاب.

• **ومنها**: الأحاديث الدالَّة على أن عثمان يكون على الحق عند

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧١) برقم: (١٩٢)، و«معرفة الصحابة» (٢٢/ ١٠٠).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٥٤).
(٣) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٣٩٣) برقم: (٣٧٣٠).

ظهور الفتنة، والمعارضين له على الباطل، ولها طرق كثيرة من **مسند ابن عمر، وعبد الله بن حوالة، ومرة بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي هريرة، وحذيفة، وعائشة**، وغيرهم، وكان عثمان ﷺ خليفةً عند الفتنة، وحاول المعارضونَ نزعَ الخلافةِ من يده، فثبت بذلك أنَّ خلافته مقبولةٌ عند الله ورسوله.

- **ومنها**: الأحاديثُ الدالَّة على لوازم الخلافةِ الخاصّةِ بكثرتها وتشعّب طرقها، وللاستدلال بهذه اللوازم صورتان:

إحداهما: أن ننقّحَ معاني الخلافة الخاصَّة، ونعرفَ المعاني والصفات التي تمتاز بها الخلافة الخاصة عن الخلافة العامَّة الصحيحة والخلافة الجابرة، ثم نثبتُ هذه المعاني والصفات في الخلفاء بالأدلة المتكاثرة، وهذه الصورةُ تدلّ على المقصود بالقطع.

والثانية: أن نكتفيَ ببعض اللوازم، ونُثبتَها في الخلفاء بأدلَّتها مع إثبات كل لازمة من اللوازم بدليلها المفرد.

ومعظم الصحابة والتابعين اختاروا هذه الصورة، وعرفوا حقيقة الخلافة بها، وفي هذه الآثار وجهان للاحتمال:

أحدهما: أنهم ذكروا بعض اللوازم، وتركوا بعضها الآخر اعتماداً على ما هو معلوم عندهم، كما تذكر إحدى المقدّمتين للدليل بعض الأحيان وتترك الثانية، وحينئذٍ يتمّ أصل الاستدلال مع بعض المسامحة في التقرير.

والآخر: أن يكون غرضهم هو الاستدلال بلازمة وحدها، إذ إنّ كل لازمة من لوازم الخلافة تهدِفُ إلى أصل المقصود، وهي مظنّةُ أصل الغاية، وحينئذٍ يكون الدليلُ ظنياً أو خطابياً، لذلك فإنَّ **جماعةً** من الصحابة استدلّوا بالسوابق الإسلامية وحدَها، **وجماعةً** ببشارة الجنة،

وجماعةً بأنه ﷺ عامل الصدِّيقَ والفاروقَ معاملةَ وليِّ العهدِ، والاستدلال بقول عائشة ﵂: «لو كان رسولُ اللهِ ﷺ مستخلِفاً لاستخلفَ أبا بكر، ثم عمرَ» من هذا القبيل، **وجماعةً** بأنّ الخلفاءَ ثبتتْ لهم صفةُ السابقين المقرَّبين في الشرع.

ومن هذا القبيل استدلال الشيخ محيي الدين ابن عربي على الخلافة الراشدة لعمر الفاروق بأنّ حقيقة النبوة «الوحي والعصمة» وحقيقة خلافة النبوة «وجود المثال» لهذين الوصفين في خليفته ﷺ، فلمّا بيَّن النبيُّ ﷺ: «**الفاروقُ محدَّث، والسكينةُ تنطقُ على لسانه**»، وبيَّن: «**الشيطانُ يفِرُّ من ظلّه**»، فكأنّما أثبتَ له خلافةَ النبوّةِ، **وجماعةً** بأفضليتهم الثابتة بحديث **الوزن** وحديث: «**كنا نخيِّر**...» الحديث، ولهذا الاستدلالُ أوجهٌ كثيرةٌ لا يأتيها الحصرُ والإحصاءُ، ويتمكَّن اللبيبُ الفَطِنُ من استخراج المزيدِ من كلامنا، فلا نطيلُ الكلام هنا.

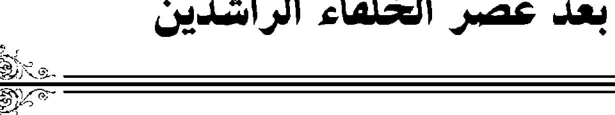
تم الفصل الرابع، والحمد لله أولاً وآخراً
ويتلوه الفصل الخامس

❊ ❊ ❊



الفصل الخامس

في بيان الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ بظهورها بعد عصر الخلفاء الراشدين



وهو يحتوي على مقصدين:

أحدهما: في بيان الفتن التي ظهرت بعد انقضاء عصر الخلافة الراشدة مباشرة.

والثاني: في بيان الفتن التي تظهر حتّى يوم القيامة.




المقصد الأول


[في بيان الفتن التي ظهرت بعد انقضاء مدة الخلافة الخاصّة مباشرة]

❁ شهادة عثمان رضي الله عنه وظهور فتنة عظيمة:

ليُعلم أنّ النبيَّ ﷺ أخبر في الأحاديث المتواترة بالمعنى أنّ عثمان سيُقتلُ، وعند قتله تظهرُ فتنةٌ عظيمةٌ تتغيَّر بها أحوال الناس وأوضاعهم، ويستطيرُ شرُّها شرقاً وغرباً، ووصف زمن ما قبل هذه الفتنة بأوصاف المدح والثناء، ووصف زمن ما بعدها بصفات الذّم، وقد بالغ في توضيح هذه الفتنة وبيانها إلى حدٍّ لم يخفَ على أحدٍ انطباقُها عند الوقوع.

وبيَّن بكلِّ صراحة أنّ انتظام الخلافة الخاصة ينقطع بهذه الفتنة، وتختفي بقايا بركات أيام النبوة، وأوضحَ هذا المعنى إيضاحاً انكشفَ به الحجابُ عن وجه الحقيقة، وقامت حجةُ اللهِ على ثبوتها.

وظهر هذا الخبرُ النبوي في الواقع حتّى إن عليّاً رضي الله عنه رغم رسوخ قدمه في السوابق الإسلامية، ووفور أوصاف الخلافة الخاصة فيه، وانعقاد البيعة له، ووجوب انقياد الناس له في حكم الله لم تستقرّ خلافته ولم تتمكّن، ولم ينفَّذ حكمه في أقطار الأرض، ولم يخضع عامةُ المسلمين له، وانقطعَ الجهادُ في زمانه إطلاقاً، وافترقت كلمة المسلمين، وزال اتحادهم، ووقعت حروب عظيمة معه مع الناس، وقصروا يده عن التصرّف في البلاد، وضاقت دائرةُ سلطانه على مرِّ الأيام، لا سيّما بعد واقعة التحكيم، حتّى لم تبقَ له في نهاية الأمر إلا الكوفة ومُضافتها،

ومهما كانت هذه الأوضاعُ والظروفُ لم تترك أيّ خلل في شخصيته ﷺ المباركة، ولكنّ مقاصد الخلافة لم تتحقّق على يده على وجهها المطلوب.

وتمكّن بعده معاوية بن أبي سفيان، واتّفق الناسُ على خلافته، وزالت الفرقةُ من بينهم، ولكن لم توجد فيه السوابقُ الإسلامية، ولم تكن فيه لوازمُ الخلافة الخاصة.

وأمّا الملوكُ الذين جاؤوا بعده، فقد بعدوا عن الحقِّ بُعداً كما لا يخفى.

والحاصل: وقع ما أخبر النبيُّ ﷺ بانقطاع الخلافة الخاصة المنتظمة النافذة من هذه الجهة.

۞ إخباره ﷺ بقتل عثمان، وكونه على الحق:

• وأمّا إخبار النبيِّ ﷺ بأنّ عثمان ﷺ يقتل وأنّه يكونُ على الحقِّ، **فقد ثبت هذا بطرق مختلفة:**

• وعن **ابْنِ عُمَرَ** [قَالَ]: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَالَ: «**يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُوماً**» أخرجه **الترمذي**[١].

• وعن **عائشة** ﷺ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمانُ! إنّه لعلَّ اللهُ يُقَمِّصُك قميصاً، فإنْ أرادوكَ على خلعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم**» أخرجه **الترمذي**[٢].

• وعن **مرّة بن كعب، وعبد الله بن حوالة، وكعب بن عجرة** ـ وألفاظهم متقاربة ـ: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقرَّبها، فمرّ رجلٌ مُقَنَّعٌ

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٨).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٥).

رأسَهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هذا يومئذٍ على الهُدَىٰ**»، فوثبتُ فأخذتُ بِضَبْعَيْ عثمان، ثم استقبلتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فقلتُ: هذا؟ قال: «**هذا**».

وهذا لفظ **ابن ماجه** من حديث كعب بن عجرة[١]، وأخرجه **الترمذي**[٢] **والحاكم** عن آخرين قريباً منه.

• وفي حديث **أبي هريرة**: «**إنّها ستكون فتنةٌ واختلافٌ، أو اختلافٌ وفتنةٌ**»، قال: قلنا[٣]: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأميرِ وأصحابِهِ**»، وأشار إلى عثمان[٤].

• ومن حديث عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله ﷺ قد عهدَ إليَّ عهداً، وأنا صابرٌ عليه[٥].

• وفي حديث **أبي موسى** لعثمان: «**[افْتَحْ لَهُ]، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»[٦].

تعيين مدّةِ هذه الفتنة:

• وأمّا تعيينُ مدّة هذه الفتنة: فقد جاء في **حديث ابن مسعود**: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ رَحَىٰ الإسلامِ ستزولُ بعدَ خمس وثلاثين، أو ستّ وثلاثين، أو سبع وثلاثين سنة، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ [قد] هَلَكَ، وإنْ يَقُمْ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (ح: ١١١).

(٢) أمّا ما رواه الترمذي فإنّه ليس نفس الحديث الذي أخرجه الحاكم، بل الحديثُ الذي رواه الترمذي هو هكذا: «**إنّها ستكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أفرأيتَ إنْ دخلَ عليَّ بيتي، وبسطَ يدَه إليَّ ليقتلني، قال: «**كن كابنِ آدمَ**». انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).

(٣) في الأصل الفارسي: «قالوا» بدل «قال: قلنا».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٠٥) برقم: (٤٥٤١).

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٥٦) برقم: (٦٩١٨).

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٩٣).

لهم دينهُم يَقُمْ سبعينَ [سنةً]»، قال عمرُ رضي الله عنه: يا نبيَّ اللهِ! بما مضى أو بما بقي، قال: «**لا، بل بما بقي**»(١).

• وقد ظهر مضمون هذا الحديث في الخارج بأنَّ عثمان رضي الله عنه قُتِلَ في سنة ٣٥هـ، واختلَّ أمرُ الجهادِ.

ثم قام أمرُ الجهاد في زمن معاوية بن أبي سفيان، وقد انقرضت دولة بني أمية بعد سبعينَ سنةٍ من هذا التاريخ.

تعيين الجهة التي تظهر فيها هذه الفتنة:

• وأمّا تعيينُ الجهةِ التي تقعُ فيها هذه الفتنة، فهو في حديث **ابن عمر** وجماعة من الصحابة، وهذا حديثٌ مستفيضٌ: «**ألا إنَّ الفتنةَ هاهنا، [ألا إنَّ الفتنةَ هاهنا، من] حيثُ يَطْلُعُ قرنُ الشَّيْطَانِ**»(٢)، وهكذا وقع في الخارج، إذ إنَّ كلَّ فتنةٍ وقعت بعد مقتل عثمان كانت في العراق، وهي تقع شرقي المدينة.

كيفية هذه الفتنة وصورتها:

• وأمّا كيفية هذه الفتنة وصورتها، فقد أخرج **الترمذي** عن **حذيفة بن اليمان** أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «**والذي نفسي بيدِهِ، لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا(٣) بأسيافكم، ويرث دنياكم شرارُكم**»، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن(٤).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٥) برقم: (٣٧٥٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٤/ ١٥٠) برقم: (١٣٨٦) واللفظ له، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٨) برقم: (٤٥٤٩)، وفيه «ستدور» مكان «ستزول».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٣٥١١، ٧٠٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ٢٩٠٥) واللفظ له.

(٣) أي: تضربوا بها.

(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٠).

● وأخرج **أحمد** عن ابن عون الأنصاري أن عثمان [بن عفان] قال لابن مسعود: [هل أنتَ منتهٍ عمّا بلغني عنك، فاعتذرَ بعضَ العُذْرِ.

فقال عثمانُ:] ويحكَ إنِّي قد سمعتُ وحفظتُ وليس كما سمعتَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**سَيُقْتَلُ أميرٌ وينتزِي مُنْتَز**»، وإنِّي أنا المقتولُ، وليس عمر، إنّما قَتْلُ عمرَ واحدٌ وإنّه يُجْتَمَعُ عليّ[1].

● وذكر **أبو عمر** أنّ زرارة بن عمرو قصّ على النبيِّ ﷺ رؤياه، فقال: رأيتُ ناراً خرجتْ من الأرضِ، فحالت بيني وبين ابنٍ لي، يقال له: عمرو، وهي تقولُ: لظَّى لظَّى بصيرٌ وأعمى، فقال النبيُّ ﷺ [في تعبيره]: «**وأمَّا النّارُ فإنَّها فِتْنةٌ تكونُ بَعْدِي**»، قال: وما الفتنةُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**يَقْتُلُ النَّاسُ إمامَهم، ويشتجرونَ اشتجارَ أطباقِ الرأسِ** ـ وخالف بين أصابعه ـ، **دمُ المؤمنِ عِنْدَ المؤمنِ**[2] **أحلىٰ مِنَ الماءِ، يَحْسَبُ المسيءُ أنّه مُحْسِنٌ، إنْ مِتَّ أدركتْ ابنك، وإن ماتَ ابنُكَ أدركتْك**»، قال: فادع الله أن لا تدركني، فدعا له[3].

تعيين الجماعة الذين يثيرون هذه الفتنة:

● وأما تعيين جماعة تثيرُ هذه الفتنة، فقد أخرج **الحاكم** من حديث **ابن مسعود** رفعه: «**أحذِّرُكم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي: ـ وعد أولها ـ فتنةٌ تُقْبِلُ مِنَ المدينةِ**»[4]، قال الراوي: فكانت فتنةُ المدينةِ من قبل طلحة والزبير[5].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٦٦) برقم: (٤٧٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «على المؤمن».
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٥٣) رقم الترجمة: (٨١١)، و«الوافي بالوفيات» (٤/ ٤٧٧).
(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).
(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

الجماعة التي تنتظم خلافتهم:

• أنَّ النبيَّ ﷺ بيَّن مَنْ هم الذين تنتظِمُ خلافتُهم وتنقرضُ بعدهم مع تعيين أعدادهم وتشخيص أسمائهم في حديث **أبي هريرة وابن عباس** في رؤيا رجلٍ رأى فيها ظُلّةً تنطِفُ سمناً وعسلاً، وسبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأخذَ به النبيُّ ﷺ وعلا، ثم رجل آخر، ثم رجل آخر، ثم انقطع بالثالث، ثم وصل له، فَعَبَرَهُ الصدِّيقُ بما يدلّ على ابتلاء الثالث.

• وأخرج **أبو داود**، عن الْحَسَنِ، عَنْ **أَبِي بَكْرَةَ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَاناً نَزَلَ مِنْ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ أَنْتَ بِأَبِي بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ، وَوُزِنَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ، ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَرَأَيْنَا الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[١].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! [إِنِّي رَأَيْتُ] كَأَنَّ دَلْواً دُلِّيَ مِنْ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا، فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ[٢].

• وعن **سهل بن أبي حثمة**، قال: بايع أعرابيٌّ النبيَّ ﷺ [إلى أجل]، فقال عليٌّ للأعرابي: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله[٣]: إنْ أتى عليه أجلُه

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٤).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «فاسأله».

مَنْ يقضيه؟ فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: «**يقضيك أبو بكر**» فرجعَ[١] إلى عليٍّ فأخبره[٢]، فقال: ارجعْ [إلى النبيِّ ﷺ[٣]] فسله: إنْ أتى على أبي بكرٍ أجلُه من يقضيه؟ فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله، فقال: يقضيك عمرُ، فقال عليٌّ للأعرابيِّ: سله، مِنْ بعدِ عمرَ، فقال: «**يقضيك عثمانُ**»، فقال عليٌّ للأعرابيِّ: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله: إنْ أتى على عثمانَ أجلُه فمن يقضيه؟ [فسأله]، فقال [النبيُّ] ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه، وعمرَ [أجلُه] وعثمانَ [أجلُه]، فإنِ استطعتَ أن تموتَ فمت**»[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس [بن مالك]** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: سَلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا بعدَكَ؟ قال: فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكر**» فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْهُ، فإنْ حَدَثَ بأبي بكرٍ حَدَثٌ فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه[٥]، فقال: «**إلى عمرَ**»، [فأتيتُهم فأخبرتُهم]، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْهُ، فإنْ حدثَ بعمرَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إلى عثمانَ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجعْ [إليه] فَسَلْهُ، فإنْ حدثَ بعثمانَ حَدَثٌ فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه، فقال: «**إنْ حَدَثَ بعثمانَ حَدَثٌ فتباً لكم الدَّهْرَ تباً**»[٦].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فخرج».
(٢) في الأصل الفارسي «وأخبره».
(٣) لا يوجد في الأصل الفارسي.
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٠) برقم: (٤٧٨)، وابن بلبان في «تحفة الصديق» (١/ ٨) واللفظ له.
(٥) في الأصل الفارسي: «فسألته».
(٦) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ٨٢) برقم: (٤٤٦٠).

۞ إخباره ﷺ بعدم اتفاق الأمة على عليٍّ رضي الله عنه:

• وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ الأمة لا تتفق على عليّ المرتضى، وأبدى تألُّمَ خاطره لأجل ذلك، أخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: إنّ ممّا عَهِدَ إليَّ النبيُّ ﷺ: «**أنّ الأمةَ ستَغْدُرُ بي**[(١)] **بَعْدَهُ**»[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لعلي: «**أما إنّكَ ستلقى بعدي جَهْداً**»، قال: في سلامة من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ مِنْ دينِكَ**»[(٣)].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ**، قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ آخِذٌ بِيَدِي، وَنَحْنُ نَمْشِي فِي بَعْضِ سِكَكِ الْمَدِينَةِ، إِذْ أَتَيْنَا عَلَى حَدِيقَةٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَحْسَنَهَا مِنْ حَدِيقَةٍ قَالَ: «**لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ منها**»، ثُمَّ مَرَرْنَا بِأُخْرَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَحْسَنَهَا من حَدِيقَة، قَالَ: «**لَكَ في الْجَنَّة أَحْسَنُ منها**»، حَتَّى مَرَرْنَا بسَبْع حَدَائقَ، كُلُّ ذَلِكَ أَقُولُ: مَا أَحْسَنَهَا، وَيَقُولُ: «**لَكَ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْهَا**»، فَلَمَّا خَلا لَهُ الطَّرِيقُ اعْتَنَقَنِي، ثُمَّ أَجْهَشَ بَاكِياً، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: «**ضَغَائِنُ في صُدُورِ أَقْوَامٍ، لا يُبْدُونَهَا لَكَ إِلّا مِنْ بَعْدِي**»، [قَالَ:] قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! فِي سَلامَةٍ مِنْ دِينِي؟ قَالَ: «**فِي سَلامَةٍ مِنْ دِينِكَ**»[(٤)].

• وأخرج **أحمد** عن **علي** حديثاً في آخره: «**وَإِنْ تُؤَمِّرُوا عَلِيّاً** رضي الله عنه

---

(١) في الأصل الفارسي «ستقذرني».
(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).
(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).
(٤) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٤٢٦) برقم: (٥٦٥).

- وَلَا أُرَاكُمْ فَاعِلِينَ - تَجِدُوهُ هَادِياً مَهْدِيّاً يَأْخُذُ بِكُمُ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ»(١).

• وأخرج **الطبراني** عَنْ **جَابِرِ بن سَمُرَة** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «**إِنَّكَ مُؤَمَّرٌ مُسْتَخْلَفٌ، وَإِنَّكَ مَقْتُولٌ، وَهَذِهِ مَخْضُوبَةٌ مِنْ هَذِهِ**»؛ يعني: لِحْيَتُهُ مِنْ رَأْسِهِ(٢).

أمره ﷺ بالقعود في هذه الفتنة:

• ثم أمر النبيُّ ﷺ بالقعود عن هذه الفتنة بكل تأكيد بليغ، وأوصى بتكسيرِ السيوفِ، وتقطيعِ الأوتارِ من حديث **سعد بن أَبِي وَقَّاصٍ** قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي**»، قَالَ: [قلت:] أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَيَّ بَيْتِي، وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي قَالَ: «**كُنْ كَابْنِ آدَمَ**(٣)»(٤).

• ومن حديث **أَبِي مُوسَى** عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الْفِتْنَةِ: «**كَسِّرُوا فِيهَا قِسِيَّكُمْ، وَقَطِّعُوا فِيهَا أَوْتَارَكُمْ، وَالْزَمُوا فِيهَا أَجْوَافَ بُيُوتِكُمْ، وَكُونُوا كَابْنِ آدَمَ**»(٥).

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (١/١٠٨) برقم: (٨٥٩)، والحديث بكامله: عن علي رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! مَنْ يؤمَّر بعدك، قال: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكر رضي الله عنه تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، وإن تؤمِّروا عمر رضي الله عنه تجدوه قوياً أميناً، لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، وإنْ تؤمِّروا علياً رضي الله عنه، ولا أراكم فاعلين، تجدوه هادياً مهدياً، يأخذُ بكم الطريقَ المستقيمَ**».

(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٢/ ٣٥٥).

(٣) الإشارة إلى الآية: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨].

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٩٤)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٦٠٩).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٠٤).

• ومن حديث **أُمِّ مَالِكٍ الْبَهْزِيَّةِ** [قَالَتْ:] ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِتْنَةً، فَقَرَّبَهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ خَيْرُ النَّاسِ فِيهَا؟ قَالَ: «**رَجُلٌ فِي مَاشِيَتِهِ، يُؤَدِّي حَقَّهَا، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ، وَرَجُلٌ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ، يُخِيفُ الْعَدُوَّ وَيُخِيفُونَهُ**[1]»[2].

• ومن حديث **أُهبان بن صيفي**، حين دعاه عليٌّ إلى الخروج معه: «إن خليلي وابن عمِّك عهدَ إليَّ إذا اختلفَ الناسُ أن أتخذَ سيفاً من خشب»[3].

• ومن حديث **خبّاب بن الأرتّ** عن رسول الله ﷺ أنّه ذكر فتنةً: «**القاعدُ فيها خيرٌ من القائِم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي**»، [قال:] «**فإنْ أدركتَ ذاك**[4] **فكُنْ عبدَ اللهِ المقتولَ، ولا تكنْ عبدَ اللهِ القاتلَ**»[5].

• ومن حديث **عبد الله بن مسعود** عن رَسُول اللهِ ﷺ [يَقُولُ:] «**تكونُ فتنةٌ، [النائمُ فيها خيرٌ من المضطجع]، والمضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ [فيها] خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكبِ، والراكبُ خيرٌ من المجري، [قتلاها كلُّها في النار**»، قال:] قلتُ: يا رسول الله! ومتى ذلك؟ قال: «**ذلكَ أيام الهرج**»، [قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال:] «**حينَ لا يأمنُ الرجلُ جليسَه**»، [قال:] قلتُ: فما تأمرني[6] إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**اكفف**

---

(١) في الأصل الفارسي: «يخوفُ الْعَدُوّ وَيُخوفُونَهُ».
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٧٧).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٠٣).
(٤) في الأصل الفارسي: «فإن أدركك ذلك».
(٥) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ١٤٢) برقم: (٧٢١٥).
(٦) في الأصل الفارسي: «فبما تأمرني».

نفسَكَ ويدَكَ، وادخلْ دارك»[١].

● ومن حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: «**أيها الناس! أظلّتكم فتنٌ كأنها قِطَعُ الليلِ المُظْلِمِ، خيرُ الناسِ فيها ـ أو قال: منها ـ صاحبُ شاءٍ، يأكلُ من رأسِ غنمِه، ورجلٌ من وراءِ الدربِ آخذٌ بعنانِ فرسه، يأكلُ من سيفِهِ**»[٢].

● ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه [يقول:] قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا إنّها ستكونُ فتنٌ، ثم تكونُ فتنةٌ: القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي [إليها]، فإذا نزلتْ فمن كان له إبلٌ فليلحق بإبلِهِ، ومَنْ كان له غنمٌ فليلحقْ بغنمِهِ، ومَنْ كانت له أرضٌ فليلحق بأرضِهِ**»، فقال له رجل: يا رسولَ اللهِ! أرأيتَ إن لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «**فليأخذْ حجراً فليدقّ به على حدِّ سيفِهِ، ثم لينجُ إنِ استطاعَ النجاةَ**»، ثم قال: «**[اللَّهُمَّ] هَلْ بلَّغت**» ثلاثاً[٣].

● ومن حديث **محمد بن مسلمة** قال: قلتُ: يا رسول الله كيف أصنعُ إذا اختلف المصلّون؟ قال: «**تخرجُ بسيفِكَ إلى الحَرَّةِ فتضربَها به، ثم تدخلُ بيتَك، حتى تأتيكَ منيةٌ قاضيةٌ أو يدٌ خاطئةٌ**»[٤].

● ومن حديث **وائل بن حجر** [قال]: حَضَرْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَقَدْ رَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، وَقَدْ حَضَرَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ رَدَّ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، فَقَالَ: «**أَتَتْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»، فَشَدَّدَ أَمْرَهَا، وَعَجَّلَهُ، وَقَبَّحَهُ، قُلْتُ

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/٤٤٨) برقم: (٤٢٨٦).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٤٧٨) برقم: (٨٣٣١).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٨٧) برقم: (٨٣٦١) واللفظ له.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/١٢٧) برقم: (٤٦٠٤).

لَهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا الْفِتَنُ؟ قَالَ: «**يَا وَائِلُ! إِذَا اخْتَلَفَ سَيْفَانِ فِي الإِسْلامِ فَاعْتَزِلْهُمَا**»(١).

ثلاثون حالةً للمسلمين أيام الفتن

ثم بيّن ﷺ بأن أحوال المسلمين حسنة قبل الفتنة، وسيئة بعدها بأوضح عبارة، وقام باستقصاء هذه الأحوال السيئة أيام الفتن (وهي تنحصر في ثلاثين حالة):

الأولى: أنّه ﷺ قال: «**تدورُ رحى الإسلامِ بخمسٍ وثلاثينَ [أو ستٍّ وثلاثينَ أو سبعٍ وثلاثينَ]، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ قد هَلَكَ**»(٢). و«**دوران رحى الإسلام**» عبارةٌ عن وجودِ الجهادِ، وغلبةِ الإسلامِ على سائر الأديان، بسببِ ائتلافِ النفوسِ، واجتماعِ الجماعة على الخير، و«**الهلاكُ**» لفظ يشمل جميع أنواع الشرور، ومن أعظمها انقطاعُ الجهادِ، ووقوعُ التفرقة بين المسلمين.

الثانية: لقد ورد في حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلْكُ بالشامِ**»(٣)، وفي «المشكاة» عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رأيتُ عموداً من نورٍ خرجَ مِنْ تحتِ رأسي ساطعاً حتّى استقرّ بالشام**»(٤).

فتقسيمه ﷺ للرئاسة إلى قسمين، وتسميته أحدهما بالخلافة،

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٥/ ٤٢٥).
(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٢٥٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٣٩) برقم: (٣٧٣٠).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٤٠).
(٤) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٩).

والآخر بالملك مع ما تقدَّم من حديث: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكون خلافةً ورحمةً، ثم يكونُ ملكٌ عضوضٌ**»، ومع قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ﴾ [النور: ٥٥]، كلُّ ذلك يدل على تباين الحالتين، ومغايرة المنزلتين ـ أي: بين الخلافة والملك ـ، وهكذا وقع في الخارج، إذ إنَّ الخلفاء الثلاثة أقاموا بالمدينة، ولم يستوطن المدينةَ أحدٌ من الملوكِ مِنْ بعدهم.

• وإن أردت أن تعلم أحوال ملك الشام أصرح من ذلك فانظر: عن **عبد الله بن حوالة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يَا ابْنَ حَوَالَةَ! إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةِ، فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ، وَالْبَلَابِلُ، وَالْأُمُورُ الْعظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئذٍ أَقْرَبُ منَ النَّاس مِنْ يَدي هذه من رَأْسِكَ**»[1].

الثالثة: نزعُ الأمانةِ من صدورِ الناسِ:

• فقد أخرج **البغوي** من حديث **حُذَيْفَةَ** قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ، حَدَّثَنَا: «**أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، فَقَرَؤوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلمُوا مِنَ السُّنَّةِ**».

ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِهَا، قَالَ: «**تُرْفَعُ الأَمَانَةُ، فَيَنَامُ الرَّجُلُ، ثُمَّ يَسْتَيْقِظُ، وَقَدْ رُفِعَتِ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، وَيَبْقَى أَثَرُهَا كَالْوَكْتِ، أَوْ كَالْمَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ، فَهُوَ يُرَى أَنَّ فِيهِ شَيْئاً، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، وَتُرْفَعُ [الأَمَانَةُ]، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلانٍ رَجُلاً أَمِيناً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي [حَدِيثاً]، وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ أُبَايِعُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ إِسْلامُهُ، وَلَئِنْ كَانَ**

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٥٣٥).

مُعَاهِداً لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، فَأَمَّا الْيَوْمَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلا فُلاناً وَفُلاناً»[١].

ولا شك أن مشاهدة حذيفة للاختلال في الأمانة إنما كانت بعد هذه الفتنة المستطيرة.

الرابعة: ظهور الكذب، ولا سيِّما في حديث النبي ﷺ وآثار السلف الصالح.

• قد جاء في خطبة عمر رضي الله عنه بالجابية عن النبي ﷺ: **«أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حتّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ [الرجل] وَلَا يُسْتَشْهَدُ»**[٢].

• أخرج **مسلم** عن **أبي هريرة** عن رسول الله ﷺ أنّه قال: **«سيكونُ في آخر أُمتي أناسٌ يحدّثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيّاكم وإيّاهُم»**[٣].

• وأخرج **مسلم** عن مجاهد قال: جاء **بشير بن كعب** العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، [قال رسولُ اللهِ ﷺ]، فجعل ابنُ عباس لا يأذن لحديثه[٤] ولا ينظرُ إليه، فقال: يا ابنَ عبّاس! ما لي لا أراكَ تسمعُ لحديثي؟ أحدِّثك عن رسولِ اللهِ ﷺ ولا تسمعُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٦٤٩٧، ٧٠٨٦)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ١٤٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٠٠٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٢١٦٥)، والنسائي في «سننه الكبرى» (٥/ ٣٨٨) برقم: (٩٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩٧) برقم: (٣٨٧) واللفظ له.

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٦)، و«مسند أحمد» (٢/ ٣٢١) برقم: (٨٢٥٠).

(٤) في الأصل الفارسي: «بحديثه».

فقال ابنُ عباس: إنّا كنّا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارُنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلمّا ركبَ الناسُ الصعبة والذلول لم نأخذ من الناسِ إلّا ما نعرفُ[١].

ولا شك أن «أول عصر» الذي وصفه ابن عباس بالأمانة والصدق كان قبل هذه الفتنة، وآخره الذي ذكره بوصف: «**ركبوا الصعبة والذلول**»، كان بعد وقوعها، وجُلُّ هذا الكذب ظهرَ في العراقِ في أحاديث علي، مرفوعها وموقوفها.

• أخرج **مسلم** عَنْ **أَبِي إِسْحَاقَ**، قَالَ: لَمَّا أَحْدَثُوا تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ: قَاتَلَهُمْ اللهُ أَيَّ عِلْمٍ أَفْسَدُوا[٢].

• وأخرج **مسلم** عن **أَبي بَكْرٍ** [يعني]: **ابن عيّاش**[٣] قال: سمعتُ المغيرةَ يقول: لم يكن يَصْدُقُ على عليٍّ في الحديثِ عنه إلّا من أصحاب عبد الله بن مسعود[٤].

• وأخرج **مسلم** عن **ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ** قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى **ابْنِ عَبَّاسٍ** أَسْأَلُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَاباً وَيُخْفِي عَنِّي، فَقَالَ: وَلَدٌ نَاصِحٌ، أَنَا أَخْتَارُ لَهُ الْأُمُورَ اخْتِيَاراً، وَأُخْفِي عَنْهُ، قَالَ: فَدَعَا بِقَضَاءِ عَلِيٍّ، فَجَعَلَ يَكْتُبُ مِنْهُ أَشْيَاءَ، وَيَمُرُّ بِهِ الشَّيْءُ، فَيَقُولُ: وَاللهِ مَا قَضَى بِهَذَا عَلِيٌّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ضَلَّ[٥].

• وأخرج **مسلم** عن **طاوس** قال: أتي ابن عباس بكتاب فيه قضاء

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٣) في الأصل الفارسي «عباس».
(٤) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٥) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).

علي رضي الله عنه، فمحاه إلا قدر، وأشار سفيان بن عُيينة بذراعه[(١)].

• وأخرج مسلم عن **سالم بن عبد الله** بن عمر يقول: يا أهلَ العراقِ! ما أسألَكم عن الصغيرة، وأركبَكم للكبيرةِ، سمعتُ أبي عبد الله بن عمر يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ الفتنةَ تجيءُ من ها هنا، وأومأ بيده نحو المشرق مِنْ حيث يطلعُ قرنا الشيطانِ**»، وأنتم يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ، وإنّما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأً، فقال الله عز وجل له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠][(٢)].

• ولذلك فإنّ أبا إسحاق السَّبيعي وأمثاله من علماء الكوفة الذين كانوا يبذلون جهداً بليغاً في حفظ أحاديث علي، لم يأخذوا عمّن كانوا في عسكر علي، بل أخذوا عن أصحاب عبد الله بن مسعود، ولم يأخذ أهل المدينةِ عن أهل العراق لهذا السبب أيضاً، قال مالك: لم يأخذ عنهم ـ أي: أهل العراق ـ أوّلنا فلا يأخذُ عنهم آخرُنا، وكل ذلك كان لعدم إمكان التمييز بين الرجال، وضبط أحوال الرواة على ما ينبغي قبل جمع أحاديث البلاد، فسلكوا طريقَ الحِيطةِ والحذر، وتركوا أحاديثهم بالمرة، واكتفوا بحديث أهل المدينة وفتاواهم.

فلما ولد **الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل** كانت أحاديثُ البلاد قد جُمِعَتْ، فتمكّنا على بحث أحوال الرواة، فأخذوا حديث الثقات الضابطين بشرط الاتصال ومعرفة الرواة، وتركوا الأحاديثَ المرسلةَ، وأخبار المتهمين والمبهمين، واختار هذا المنهجَ جميعُ أصحاب الحديث بعينه، ولهذا السبب امتاز أهل الحديث وأهل الرأي.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٧).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٢٩٠٥).

الخامسة: تعمّق الناس في تجويد القرآن أكثر مما يجري على لسان العرب، بالقراءة من دون تفقّهٍ فيه.

أخرج **أبو داود** عَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ وَالأَعْجَمِيُّ، فَقَالَ: «**اقْرَؤوا فَكُلٌّ حَسَنٌ، وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**»[١].

• وأخرج **أبو داود** عن **سهل بن سعد** الساعدي قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ [يوماً] ونحن نقترئ، فقال: «**الحَمْدُ للهِ، كتابُ اللهِ واحدٌ، وفيكم الأحمرُ، وفيكم الأبيضُ، وفيكم الأسودُ، اقرؤوه قبل أن يقرأه أقوامٌ يقيمونه كما يقوَّمُ السّهمُ، يتعجّلُ أجره، ولا يتأجّلُه**»[٢][٣].

• وأخرج **البغوي** عن **عبد الله بن مسعود** قال لإنسانٍ: إنّك في زمانٍ قليلٌ قرَّاؤه، كثيرٌ فقهاؤه، يحفظ فيه حدود القرآن، ويضيَّع فيه حروفه، قليلٌ مَنْ يسأل، كثيرٌ مَنْ يعطي، يطيلونَ الصلاة فيه، ويقصرون فيه الخطبة، يبدون فيه بأعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ كثيرٌ قراؤه، قليلٌ فقهاؤه، يُحْفَظُ فيه حروف القرآن، ويضيّع حدوده، كثيرٌ مَنْ يسأل، قليلٌ من يعطي، يطيلون فيه الخطبة، ويقصرون فيه الصلاة، يبدون أهواءَهم قبلَ أعمالِهم[٤].

السادسة: تعمّق الناس في تأويل متشابهات القرآن:

• أخرج **الدارمي** عَنْ **عَائِشَةَ** ﵂ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٨٣٠).

(٢) في الأصل الفارسي: «يتعجّلوه ولا يتأجّلوه».

(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٨٣١).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٦)، و«شعب الإيمان» (٤/ ٢٥٨) برقم: (٥٠٠٠).

[آل عمران: ٧]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَجُلاً يُقَالُ لَهُ: صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُوناً مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينِ فَضَرَبَهُ فَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللهِ عُمَرُ، فَجَعَلَ لَهُ ضَرْباً حَتَّى دمّى رَأْسَهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي(٢).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الأَشَجِّ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ(٣).

السابعة: تعمّقُ الناس في المسائل الفقهية، وتكلُّمُهم حول المسائل المفروضة التي لم تقع بعدُ أمام الناس، وما أجاز ذلك السلف الصالحون، وإسراع الفقهاء في الفتوى من غير مبالاةٍ، وكان السلف يخافون من ذلك.

• أخرج **الدارمي** عن **وَهْب بنِ عَمْرٍو الْجُمَحِي** [حدّثه] أَنّ النبي ﷺ قال: «**لا تعجلوا بالبليّةِ قبلَ نزولِها، فإنَّكم إنْ لا تعجلوها قبلَ نزولِها لا ينفكُّ المسلمونَ وفيهم إذا هي نزلتْ مَنْ إذا قالَ وُفِّقَ وسُدِّدَ، وإنّكم إن تعجلوها تختلِفُ بكمُ الأهواءُ، فتأخذوا هكذا وهكذا**»، وأشار بين يديه

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٥).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٤). واسمه صبيغ بن عِسْل.
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١١٩).

وعن يمينه وعن شماله[١].

• وأخرج الدارمي عَنْ **طَاوُسٍ** قَالَ: قَالَ عُمَرُ عَلَى الْمِنْبَرِ: أُحَرِّجُ بِاللهِ عَلَى رَجُلٍ يَسْأَلُ[٢] عَمَّا لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ بَيَّنَ مَا هُوَ كَائِنٌ[٣].

• وأخرج الدارمي عن **ابْنِ عُمَرَ** سأله رجل عن شيءٍ [لا أدري ما هو]، فقال [له ابن عمر]: لا تسأل عمّا لم يكنْ، فإنِّي سمعتُ عمر بن الخطاب يلعنُ مَنْ سأل عمّا لم يكن[٤].

• وأخرج الدارمي عَنِ **الزُّهْرِي** قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِي كَانَ يَقُولُ إِذَا سُئِلَ عَنِ الأَمْرِ: أَكَانَ هَذَا؟ فَإِنْ قَالُوا: نَعَمْ، قَدْ كَانَ، حَدَّثَ فِيهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ وَالَّذِي يَرَى، وَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَكُنْ قَالَ: فَذَرُوهُ حَتَّى يَكُونَ[٥].

• وأخرج الدارمي عَنْ **عَامِرٍ الشعبي** قَالَ: سُئِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: هَلْ كَانَ هَذَا بَعْدُ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: دَعُونَا حَتَّى يَكُونَ، فَإِذَا كَانَت تَجَشَّمْنَاهَا لَكُمْ[٦].

• وأخرج الدارمي عَنْ **مَسْرُوقٍ** قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ فَقَالَ فَتًى: يَا عَمَّاهُ! ما تقول في كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي! كَانَ هَذَا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَأَعْفِنَا حَتَّى يَكُونَ[٧].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦١) برقم: (١١٦).
(٢) في الأصل الفارسي: «سأل».
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٤).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢١).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢٢).
(٦) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢٣).
(٧) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٨) برقم: (١٥٠).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ سَعِيدِ بن جبير [عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ**] قَالَ: مَا رَأَيْتُ قَوْماً كَانُوا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، مَا سَأَلُوهُ إِلَّا عَنْ ثَلَاثَ عَشَرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُنَّ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قَالَ: مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلَّا عَمَّا يَنْفَعُهُمْ[١].

• وأخرج **الدارمي** عن **عُبَادَةَ بْن نُسي الْكِنْدِي**، وَسُئِلَ عَنِ امْرَأَةٍ مَاتَتْ مَعَ قَوْمٍ لَيْسَ لَهَا وَلِيّ، فَقَالَ: أَدْرَكْتُ أَقْوَاماً مَا كَانُوا يُشَدِّدُونَ تَشْدِيدَكُمْ، وَلَا يَسْأَلُونَ مَسَائِلَكُمْ[٢].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ قَالَ: سَمِعْتُ **عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابْن أَبِي لَيْلَى** يَقُولُ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ عِشْرِينَ وَمِئَةً مِنَ الأَنْصَارِ، وَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْحَدِيثَ، وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فُتْيَا إِلَّا وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الْفُتْيَا[٣].

• وأخرج **الدارمي** عن **داود** قال: سَأَلْتُ الشَّعْبِي: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ إِذَا سُئِلْتُمْ؟ قَالَ: عَلَى الْخَبِيرِ وَقَعْتَ، كَانَ إِذَا سُئِلَ الرَّجُلُ قَالَ لِصَاحِبِهِ: أَفْتِهِمْ، فَلَا يَزَالُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الأَوَّلِ[٤].

• وأخرج **الدارمي** عَنِ **ابْنِ الْمُنْكَدِرِ** قَالَ: إِنَّ الْعَالِمَ يَدْخُلُ فِيمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ فَلْيَطْلُبْ لِنَفْسِهِ الْمَخْرَجَ[٥].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٥).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٧).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٥).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٦).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٧).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **مِسْعَرٍ** قَالَ: أَخْرَجَ إِلَيّ مَعْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ كِتَاباً فَحَلَفَ لِي بِاللهِ إِنَّهُ خَطُّ أَبِيهِ، فَإِذَا فِيهِ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَى الْمُتَنَطِّعِينَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَداً كَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبي بَكْرٍ، وَإِنِّي لأَرَى عُمَرَ كَانَ أَشَدَّ خَوْفاً عَلَيْهِمْ أَوْ لَهُمْ(١).

الثامنة: كثرة سؤال الناس عن الإلهيات، حتى جعلوا يقولون: من خلق الله؟ وظهر ذلك في زمن أبي هريرة.

• أخرج **مسلم** من حديث محمد بن سيرين عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ يَسْأَلُونَكُمْ عَنِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ خَلَقَنَا، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟**»، قَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ رَجُلٍ فَقَالَ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، قَدْ سَأَلَنِي اثْنَانِ وَهَذَا الثَّالِثُ أَوْ قَالَ: سَأَلَنِي وَاحِدٌ وَهَذَا الثَّانِي(٢).

• وأخرج **مسلم** من حديث أَبي سَلَمَةَ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَزَالُونَ يَسْأَلُونَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللهُ، فَمن خَلَقَ اللهَ**»؟ قَالَ: فبينا أَنَا في الْمَسْجِدِ إذ جَاءَني نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، فقالوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! هَذَا اللهُ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ قَالَ: فَأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَمَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: قُومُوا قُومُوا صَدَقَ خَلِيلِي(٣).

التاسعة: شيوع الإسرائيليات وروايتها عن أهل الكتاب، وهذا أول علم أجنبي اختلط بالعلوم الدينية.

• أخرج **الدارمي** عَنْ **جَابر**: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخطّاب أتى رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٥) برقم: (١٣٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٣٥).
(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٣٥).

بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسولَ اللهِ! هذه نُسْخَةٌ مِنَ التَّوْرَاةِ، فَسَكَتَ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَوَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَغَيَّرُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ثَكِلَتْكَ الثَّوَاكِلُ، أَمَا تَرَى مَا بِوَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، فَنَظَرَ عُمَرُ إِلَى وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَمِنْ غَضَبِ رَسُولِهِ، رَضِينَا بِاللهِ رَبّاً، وَبِالإِسْلَامِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيّاً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ بَدَا لَكُمْ مُوسَى فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ، وَلَوْ كَانَ حَيّاً وَأَدْرَكَ نُبُوَّتِي لَاتَّبَعَنِي**»[1].

• وأخرج **البخاري** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ** رضي الله عنهما أنه قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ! كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ؟ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الأَخْبَارِ بِاللهِ، مَحْضاً لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كُتُبِ اللهِ وَغَيَّرُوا، فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ [الكتب]، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَناً قَلِيلاً، أَوَ لَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ، فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلاً مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ**»[2].

العاشرة: ابتداع الأوراد والأحزاب بنيّة التقرّب إلى الله ﷻ، علاوةً على السُّنَّة المأثورة من قبل أنفسهم، والتزام المستحبَّات مثل التزام الواجبات، ودعوة الناس إليها لتكون رغبة في قلوبهم.

• أخرج **الدارمي** عن الْحَكَم بْن الْمُبَارَكِ، أَنْبَأَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ**

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٢٦) برقم: (٤٣٥).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٧٥٢٣).

مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلَاةِ الْغَدَاةِ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لَا، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ، وَلَمْ أَرَ ـ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ـ إِلَّا خَيْراً، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ[(١)]: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلَاةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى[(٢)]، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِئَةً، فَيُكَبِّرُونَ مِئَةً، فَيَقُولُ[(٣)]: هَلِّلُوا مِائَةً، فَيُهَلِّلُونَ مِئَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً.

قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَال: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلَا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ، وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ.

ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ! حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ، وَالتَّهْلِيلَ، وَالتَّسْبِيحَ.

قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ، فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لَا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ! مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلَاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ؟! أَوَ مُفْتَتِحو بَابَ ضَلَالَةٍ؟

---

(١) في الأصل الفارسي: «قال».
(٢) في الأصل الفارسي: «حصاة».
(٣) في الأصل الفارسي: «يقول».

قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلَّا الْخَيْرَ.

قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا: «**أَنَّ قَوْماً يَقْرؤونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»، وَايْمُ اللهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ(١).

• وفي «مصنف أبي بكر **بن أبي شيبة**» [عن **مورق العجلي** قال:] قلت(٢) لابن عمر: أتصلّي الضُّحى؟ قال: لا، قلت: صلّاها عمر؟ قال: لا، قلت: صلّاها أبو بكر؟ قال: لا، قلت: صلّاها النبي ﷺ؟ قال: لا إخاله(٣).

• وفي «شرح السُّنَّة»: كان **ابن عمر** إذا سئل عن سبحة الضحى فقال: لا آمر بها، ولا أنهى عنها، ولقد أصيبَ عثمانُ وما أدري أحداً يصلِّيها، وإنها لمن أحبِّ ما أحدثَ الناسُ إليَّ(٤).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ **مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ**: يُفْتَحُ الْقُرْآنُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَقْرَأَهُ الْمَرْأَةُ وَالصَّبِيُّ وَالرَّجُلُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللهِ لأَقُومَنَّ بِهِ فِيهِمْ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَقُومُ بِهِ فِيهِمْ فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقَدْ قُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ أُتَّبَعْ، لأَحْتَظِرَنَّ فِي بَيْتِي مَسْجِداً لَعَلِّي أُتَّبَعُ، فَيَحْتَظِرُ فِي بَيْتِهِ مَسْجِداً فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَقُمْتُ بِهِ فِيهِمْ فَلَمْ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٩) برقم: (٢٠٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «قيل» وكذا في المواضع الآتية.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ١٧١)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣) رقم: (٤٧٥٨).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (٤/ ١٣٨).

أُتَّبَعْ، وَقَدِ احْتَظَرْتُ فِي بَيْتِي مَسْجِداً فَلَمْ أُتَّبَعْ، وَاللهِ لآتِيَنَّهُمْ بِحَدِيثٍ لَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَمْ يَسْمَعُوهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ لَعَلِّي أُتَّبَعُ، قَالَ مُعَاذٌ: فَإِيَّاكُمْ وَمَا جَاءَ بِهِ، فَإِنَّ مَا جَاءَ بِهِ ضَلَالَةٌ[١].

الحادية عشرة: كان في السابق الوعظ وإصدار الفتاوى على رأي الخليفة والناس، لا يقوم بالوعظ والإفتاء بدون أمره، وفي الزمن الأخير قام الناس بالوعظ والإفتاء بدون أمره، وأصبح الإفتاء موقوفاً على مشاورة جماعة الصالحين في هذا الزمن.

• أخرج **أبو داود** عن **عوف بن مالك** الأشجعي قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يقصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُختالٌ**»[٢].

• وأخرج **الدارمي** عن ابن عون عن **محمد** قال: قال عمر لابن مسعود: ألم أنبّأ ـ أو أُنبئتُ ـ أنَّك تُفتي ولستَ بأميرٍ؟ ولِّ حارَّها من تولى قارَّها[٣][٤].

• وأخرج **الدارمي** عَنِ **الْمُسَيَّبِ بْنِ رَافِعٍ** قَالَ: كَانُوا إِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ قَضِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَثَرٌ اجْتَمَعُوا لَهَا، وَأَجْمَعُوا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا، فَالْحَقُّ فِيمَا رَأَوْا[٥].

• **والتحقيق في ذلك**: أنّ الخلاف لم يقع في المسائل الفقهية إلى زمن عثمان رضي الله عنه، بل كانوا يرجعون إلى الخليفة في موضع الخلاف،

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٧) برقم: (١٩٩).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٣٦٦٥).

(٣) جعل الحر كناية عن الشر والشدة، والبرد كناية عن الخير والهين. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٣٥).

(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٣) برقم: (١٧٠).

(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦١) برقم: (١١٥).

وكان الخليفةُ هو الذي يختارُ رأياً بعد المشاورة، ويكونُ هذا الأمرُ مجمعاً عليه، وأمّا بعدَ ظهور الفتنة، فكان كلُّ عالم يصدر الفتوى برأيه، وفي ذلك العصر وقع الاختلافُ في المسائل.

وما ذكره «الشهرستاني» في كتابه «الملل والنحل»[1]: أنَّ الاختلافات وقعت بمجرّد وفاة النبي ﷺ فهو خطأٌ، وليس الاختلافُ أن يقولوا خلال المشاورة أقوالاً متغايرةً فيما بينهم، ثم يجتمعوا على أمر واحد بعد التنقيح، بل الاختلاف أن يظهر قولان متوازيان، وكل يدعو الناس إلى رأيه، ويبطل دعوى حريفه.

بالجملة: فإن هذه الأنواع السبعة للتغيّر ـ أي: الاختلاف في المسائل الفقهية ـ وقعت في أخيار هذه الأمة من العلماء والعبّاد والقرّاء، والمفسدة العظيمة التي تترتّبُ على ذلك هي أنّ طبقات المتأخرين قد اعتقدت هذه الهيئة والصفة سُنَّةً باعتبار أنَّ أصله مأخوذ من السُّنَّة، وبناءً على ذلك لاموا من ترك ذلك أو قصّر فيه.

● أخرج **الدارمي** عن إبراهيم عن علقمة عن **عبد الله** قال: كيف أنتم إذا لبستْكم فتنةٌ، يهرمُ فيها الكبير، ويربو فيها الصغيرُ، إذا تركَ منها شيءٌ، قيل: تركتَ السُّنَّةَ. قالوا: ومتى ذاك؟ قال: إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قرّاؤكم، وقَلَّت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلّت أمناؤكم، والتُمِسَتِ الدّنيا بعملِ الآخرة، وتُفُقِّه لغير الدِّين[2].

الثانية عشرة: وقوع القتال بين المسلمين:

● أخرج **ابن ماجه** من حديث أَسِيد بْن الْمُتَشَمِّسِ قَالَ: حَدَّثَنَا **أَبُو**

---

(١) «الملل والنحل» (١/ ٣٥).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٥) برقم: (١٨٦).

مُوسَى، حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ لَهَرْجاً قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ**»، فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَقْتُلُ الْآنَ فِي الْعَامِ الْوَاحِدِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَابْنَ عَمِّهِ وَذَا قَرَابَتِهِ**»، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَعَنَا عُقُولُنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَيَخْلُفُ لَهُ هَبَاءٌ مِنَ النَّاسِ لَا عُقُولَ لَهُمْ**».

ثُمَّ قَالَ الأَشْعَرِيُّ: وَايْمُ اللهِ إِنِّي لأَظُنُّهَا مُدْرِكَتِي وَإِيَّاكُمْ، وَايْمُ اللهِ مَا لِي وَلَكُمْ مِنْهَا مَخْرَجٌ، إِنْ أَدْرَكَتْنَا فِيمَا عَهِدَ إِلَيْنَا نَبِيُّنَا ﷺ إلا أَنْ نَخْرُجَ منها كَمَا دَخَلْنَا فِيهَا[1].

● وأخرج **ابن ماجه** من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ الهَادِ عَنْ **مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً صَلاةً، فَأَطَالَ فِيهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا ـ أَوْ قَالُوا ـ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَطَلْتَ الْيَوْمَ الصَّلَاةَ، قَالَ: «**إِنِّي صَلَّيْتُ صَلَاةَ رَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ، سَأَلْتُ اللهَ ﷻ لأُمَّتِي ثَلاثاً: فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَرَدَّ عَلَيَّ وَاحِدَةً، سَأَلْتُهُ أَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُهْلِكَهُمْ غَرَقاً فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَرَدَّهَا عَلَيَّ**»[2].

● وأخرج **ابن ماجه** من حديث أَبِي قِلَابَةَ الْجَرْمِيِّ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ عَنْ **ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ** ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**زُوِيَتْ لِي**

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٩).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥١).

الْأَرْضُ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَصْفَرَ أَوْ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ؛ يَعْنِي: الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ، **وَقِيلَ لِي: إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ.**

وَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ ﷻ ثَلَاثاً: أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعاً فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً، وَأَنْ لَا يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَإِنَّهُ قِيلَ لِي: إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعاً فَيُهْلِكَهُمْ فِيهِ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَقْتُلَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِي أُمَّتِي، فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ، وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ كَذَّابِينَ قَرِيباً مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ ﷻ»[1].

ووقوعُ القتالِ وشدَّتُه بعد مقتل عثمان ذي النورين رضي الله عنه أظهرُ وأغنى عن البيانِ.

الثالثة عشرة: شيوع سبّ السلف الصالح:

- ولقد جاء في «**الترمذي**» في تعداد علامات القيامة: «**وأن يسبَّ آخرُ هذه الأمةِ أوّلَها**»[2].

- وأخرج **ابن ماجه** من حديث مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ **جَابِرٍ** قَالَ:

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٢).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢١٠ ـ ٢٢١١) ولفظه: «**ولعنَ آخرُ هذه الأمةِ أوّلَها**».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِذَا لَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَوَّلَهَا، فَمَنْ كَتَمَ حَدِيثاً فَقَدْ كَتَمَ مَا أَنْزَلَ اللهُ»**(١).

ومعلومٌ أنّ أهل الشام أخذوا يسبّون عليّاً المرتضى بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وأورد **الحاكم** في «المستدرك» ظهورَ سبِّ الشيخين في عسكر علي، وأخرجهم علي مِنْ عسكره بهذه المعصية، وشاعَ سبُّ عثمان كذلك.

الرابعة عشرة: افتراق المسلمين إلى فرق مختلفة:

• أخرج ابنُ ماجه من حديث أَبِي سَلَمَةَ عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«تَفَرَّقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»**(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»**، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ هُمْ؟ قَالَ: **«الْجَمَاعَةُ»**(٣).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنّ بني إسرائيلَ افترقتْ على إحدى وسبعينَ فرقةً، وإنّ**

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٦٣).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩١).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٢).

أمتي ستفترقُ على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً، كلُّها في النَّارِ إلّا واحدةً وهي الجماعةُ»[١].

الخامسة عشرة: ظهور الخوارج، أخرج الحفاظ ذكر الخوارج من حديث جماعة عظيمة من الصحابة.

• وهذا حديث متواتر بالمعنى، أخرج **ابن ماجه** من حديث زِرٍّ عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ النَّاسِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَمَنْ لَقِيَهُمْ فَلْيَقْتُلْهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ عِنْدَ اللهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: قُلْتُ **لِأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ**: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ فِي الْحَرُورِيَّةِ شَيْئاً؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَذْكُرُ قَوْماً يَتَعَبَّدُونَ، يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصَوْمَهُ مَعَ صَوْمِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، أَخَذَ سَهْمَهُ فَنَظَرَ فِي نَصْلِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنَظَرَ فِي رِصَافِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنَظَرَ فِي قِدْحِهِ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً، فَنَظَرَ فِي الْقُذَذِ فَتَمَارَى هَلْ يَرَى شَيْئاً أَمْ لَا[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الصَّامِتِ عَنْ **أَبِي ذَرٍّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي، أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شِرَارُ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**»، قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٣).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٨).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٦٩).

الصَّامِتِ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَافِعِ بْنِ عَمْرٍو أَخِي الْحَكَمِ بْنِ عَمْرٍو الْغِفَارِيِّ، فَقَالَ: وَأَنَا أَيْضاً قَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ[١].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ وَهُوَ يَقْسِمُ التِّبْرَ وَالْغَنَائِمَ، وَهُوَ فِي حِجْرِ بِلَالٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ! فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ.

فَقَالَ: «**وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ بَعْدِي إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!**».

فَقَالَ عُمَرُ: دَعْنِي يَا رَسُولَ اللهِ! حَتَّى أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا فِي أَصْحَابٍ أَوْ أُصَيْحَابٍ لَهُ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث نَافِعٍ عَنِ **ابْنِ عُمَرَ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَنْشَأُ نَشْءٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ**»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**كُلَّمَا خَرَجَ قَرْنٌ قُطِعَ أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً حَتَّى يَخْرُجَ فِي عِرَاضِهِمِ الدَّجَّالُ**»[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث قتادة عن **أنس بن مالك** قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرجُ قومٌ في آخرِ الزّمانِ أو في هذه الأمّةِ يقرؤونَ القرآنَ، لا يجاوِزُ تراقيهم أو حلوقَهم، سيماهم التحليقُ، إذا رأيتموهم أو إذا لقيتموهم فاقتلوهم**»[٤].

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٠).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٢).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٤).
(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٧٥).

السادسة عشرة والسابعة عشرة: ظهور القدَرية والمرجئة:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُكَذِّبُونَ بِأَقْدَارِ اللهِ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ، وَإِنْ لَقِيتُمُوهُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا عَلَيْهِمْ**»(١).

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث عكرمة عن **ابن عباس** قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفانِ مِنْ هذه الأُمّةِ ليس لهما في الإسلامِ نصيبٌ، المرجئةُ والقدَريةُ**»(٢).

الثامنة عشرة: ظهور الروافض:

• أخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «**يا عليُّ! إنَّ فيكَ مِنْ عيسى عليه الصلاة والسلام مثلاً، أبغضته اليهودُ حتّى بهتوا أمَّه، وأحبَّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلةِ التي ليسَ بها**»، قال: وقال علي: ألا وإنّه يهلك فيّ مُحِبٌّ مُطْرٍ، يفرطني بما ليس فيّ، ومبغضٌ مفترٍ يحمِلُه شنآني على أن يبهتَني، ألا وإنِّي لستُ بنبيّ، ولا يوحى إليّ، ولكنِّي أعملُ بكتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ﷺ ما استطعتُ، فما أمرتكم به من طاعة الله تعالى، فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أحببتم أو كرهتم، وما أمرتكم بمعصيةٍ أنا وغيري فلا طاعةَ لأحدٍ في معصيةِ اللهِ عز وجل، إنّما الطاعةُ في المعروف(٣).

• وهذه **الفرق الباطلة الأربعة** هي منشأ تولُّد سائر الفرق الباطلة الأخرى بمنزلة الأخلاط الأربعة بالنسبة لتولُّد أمراض شتّى.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٩٢).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٦٢).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٣٢) برقم: (٤٦٢٢).

التاسعة عشرة: ظهور استحلال الفروج بتأويل المتعة، واستحلال الخمور بتأويل النبيذ، واستحلال المعازف في هذا العصر ـ أي: في زمن الفتن ـ.

• أخرج **البخاري** عن أبي عَامِرٍ أَوْ **أَبي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيّ** قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقُولُ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، تَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَةٌ لَهُمْ، فيَأْتِيهِمْ رَجُلٌ لِحَاجَته، فَيَقُولُونَ**[١]: **ارْجِعْ إِلَيْنَا غَداً، فَيُبَيِّتُهُمُ اللهُ وَيَضَعُ الْعَلَمَ، وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ **أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْهَبُ الليالي وَالْأَيَّامُ حَتَّى تَشْرَبَ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا**»[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث ثَابِتِ بْنِ السِّمْطِ عَنْ **عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ بِاسْمٍ يُسَمُّونَهَا إِيَّاهُ**»[٤].

• ووجدت في كتب تخريج أحاديث الرافعي للحافظ ابن حجر العسقلاني قال: روى عبد الرزاق عن معمر قال: لو أنّ رجلاً أخذَ بقول أهلِ المدينةِ في استماع الغناءِ، وإتيانِ النساء في أدبارهنَّ، وبقول أهل مكة

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيقول».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٥٥٩٠)، وأخرجه البيهقي في «سننه» (١٠/ ٢٢١) واللفظ له.

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٣٨٤).

(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٣٨٥).

في المتعة والصرف، وبقول أهل الكوفة في المُسْكِرِ كان شرَّ عبادِ اللهِ[١].

العشرون: ارتفاع الأمن من بين المسلمين، وذلك بسبب أنَّ هذا قتل أبا هذا، وذاك قتل أخا هذا، فتوارى بعضُهم عن بعضٍ، فما استطاعوا الصلاةَ في المسجد.

• وأخرج **مسلم** من حديث شقيق عن **حذيفة** قال: كنّا مع رسول الله ﷺ، فقال: «**أحصوا لي كَمْ يلفظ الإسلام**»، قال: فقلنا: يا رسول الله! أتخافُ علينا ونحنُ ما بين السّتمئة إلى السبعمئة، قال: «**إنّكم لا تدرونَ لعلَّكم أن تُبتلوا**»، قال: فابتلينا حتّى جعلَ الرجلُ منَّا لا يصلي إلا سِرّاً[٢].

الحادية والعشرون: حصول الرئاسة لمن لم يكونوا أهلاً لها، أو كانوا مفضولين بالنسبة للمستحقين لها.

• مرّ من حديث حذيفة: «**ويَرِثُ دنياكم أشرارُكم**».

• وأخرج **البخاري** وغيره من حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ...؟ قَالَ: «**فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٣].

• وأخرج **البغوي** من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ عَنِ **ابْنِ عُمَرَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَشَتْ أُمَّتِي الْمُطَيْطَاءَ[٤]، وَخَدَمَتْهُمْ أَبْنَاءُ الْمُلُوكِ**

---

(١) انظر: «التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير» (٣/ ١٨٧).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٤٩).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٩).
(٤) هي بالمدّ والقَصر: مِشْيةٌ فيها تَبَخْتُرٌ ومدُّ اليدين، «النهاية» (٢/ ٦٦٥).

أَبْنَاءُ فَارِسَ وَالرُّومِ، سَلَّطَ اللهُ شِرَارَهَا عَلَى خيارها»[١]، وتحقق ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: التقصير العظيم في إقامة أركان الإسلام:

• أخرج **ابن ماجه** من حديث عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا»**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: **«تَسْأَلُنِي يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ! كَيْفَ تَفْعَلُ؟ لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى اللهَ»**[٢].

• وأخرج **البخاري** وغيره وهذا لفظ البغوي عن ثَابِت عن **أَنَس**: مَا أَعْرِفُ فِيكُمُ [الْيَوْمَ] شَيْئاً كُنْتُ أَعْهَدُهُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ قَوْلَكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ الصَّلَاةَ؟ قَالَ: قَدْ صَلَّيْتُ حِينَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ، أَفَكَانَتْ تِلْكَ صَلَاةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَقَالَ: عَلَى أَنِّي لَمْ أَرَ زَمَاناً خَيْراً لِعَامِلٍ مِنْ زَمَانِكُمْ هَذَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَمَاناً مَعَ نَبِيٍّ[٣]، وقد مرّ حديث أنس وغيره: **«إذا ماتَ أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ فتباً لكم»**، وفي لفظ: **«فإنِ استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ»**[٤].

وقد عُلم من التاريخ أنّ إقامةَ الحجّ لم يقمه أحدٌ من الخلفاء بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، بل كانوا يرسلون نائبيهم حتّى إنّ عليّاً رضي الله عنه لم يمكن

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ١٠٠٣).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٨٦٥).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٤).
(٤) أخرجه أبو بكر في «مصنفه» (٧/ ٤٦١) برقم: (٣٧٢٣١).

له أن يقيم الحجَّ بنفسه، بل ما استطاع إرسال نائبه في بعض السنين، كما هو مذكورٌ في «المستدرك»[(١)]، وعيّن معاوية بن أبي سفيان أبان بن عثمان أمير الحج في أيام خلافته، مع أنَّ الخلفاء السابقين أقاموا الحجّ بأنفسهم، إلا بعذر، وكانت إقامةُ الحجِّ من خصائص الخلافة، بل من لوازمها وخواصّها، كما أنَّ الجلوسَ على العرش، ووضع التاج على الرأس، أو الإقامة في قصر الملوك السابقين من علامات الملوكية عند الأكاسرة والقياصرة.

الثالثة والعشرون: اختيار الغلو في العبادات، وترك الرخص الشرعية:

• جاء في «مشكاة المصابيح» عن **أبي هريرة** ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الدّينَ يسرٌ، ولن يشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيءٌ من الدلجة**»[(٢)].

• وذكر **البغوي** عن **عمير** قال: مَنْ أدركت من أصحاب النبي ﷺ أكثر من سبعين، فما رأيتُ قوماً أهون سيرةً ولا أقلّ تشديداً منهم، قال إبراهيم: إذا بلغك في الإسلام أمران فخذ أيسرهما.

• وقال **الشعبي**: إذا اختلفَ عليك في أمرين فخذ أيسرهما، فإن

---

(١) انظر: (٣/ ١٢٣) برقم: (٤٥٩٢) عن شرحبيل بن سعد القرشي قال: استخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأشهر، فلمّا حضر الموسم سنة خمس وثلاثين بعث عبد الله بن عباس على الموسم سنة خمس وثلاثين وسنة سبع وثلاثين وسنة ثمان وثلاثين، وحضر الموسم وتشاغل عليٌّ رضي الله عنه بالقتال فاصطلحَ الناسُ على شيبة بن عثمان الحجبي فشهد بالناس، فلمّا كان سنة أربعين قتل علي يوم الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان من سنة أربعين وهو ابن ثلاث وستين سنة. قال الحاكم: فنظرنا فوجدنا لهذه التواريخ برهاناً ظاهراً بإسنادٍ صحيح.

(٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٢٧٧).

أيسرهما أقربهما من الحق[1]؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ويظهر من هذه الآثار أنّ تتبّع الرخص من المذاهب الأربعة مستحسنٌ ما لم ينهاه صريحُ القرآن والحديث النبوي المشهور وإجماع السلف والقياس الجلي والحديث الصحيح خلافاً للفقهاء المتأخِّرين، بل نسبه بعضهم إلى الفسق.

الرابعة والعشرون: بيانُ النبيِّ ﷺ لفتنتين:

• أخرج **البغوي** من حديث **حذيفة** قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَكُونُ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**السَّيْفُ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلَّا قُمْتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جَذْلِ شَجَرَةٍ**»[2].

وفي رواية: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا، قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ**

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩١).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٩).

جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[(١)].

• وأخرج **مسلم** عن **عتبة بن غزوان** حديثاً طويلاً في آخره: «**وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ حَتَّى يَكُونَ [آخِرُ] عَاقِبَتِهَا مُلْكاً فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا**»[(٢)].

وتفسير هاتين الفتنتين في كلام سعيد بن المسيب، قال سعيد بن المسيب: ثارت الفتنةُ الأُولى فلم يبقَ ممّن شهد بدراً أحدٌ، ثم كانت الثانية فلم يبق ممّن شهد الحديبية أحد، قال: وأظنّ لو كانت الثالثة لم ترتفع وفي الناس طباخ[(٣)].

قال البغوي: أراد بالفتنة الأولى «مقتل عثمان»، وبالثانية «الحَرّة»، وقوله: «**طباخ**»؛ أي: خير ونفع، يقال: فلان لا طباخَ له؛ أي: لا عقل له[(٤)].

فالفتنة الأولى: هي من «مقتل عثمان» إلى استقرار خلافة معاوية ابن أبي سفيان، والثانيةُ من وفاة معاوية بن أبي سفيان إلى استقرار خلافة عبد الملك، وفي الرواية الأولى عدّ الردّة التي وقعت في زمن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه فتنةً باعتبار الشدّة التي عانى منها المسلمون، وفي الرواية الثانية لم يعدّ الردة فتنةً، إذ إنّها لم تكن بين المسلمين، بل كانت بين المسلمين والكفار.

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١٤).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٩٦٧). (٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٥).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٦).

الخامسة والعشرون: أن النبي ﷺ قد قرّر صورةً واحدةً لرقي الملّة الإسلامية، وتحقّقت هذه الصورة في آخر عهد عثمان، ثم أنذر بالفتن من بعده.

• أخرج **البغوي** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ **كُرْزِ بْنِ عَلْقَمَةَ الْخُزَاعِيِّ**، قَالَ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَلْ لِلإِسْلامِ مُنْتَهىً؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَيُّمَا أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، أَوِ الْعَجَمِ أَرَادَ اللهُ بِهِمْ خَيْراً، أَدْخَلَ اللهُ عَلَيْهِمُ الإِسْلامَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**ثُمَّ تَقَعُ الْفِتَنُ كَأَنَّهَا الظُّلَلُ**»، قَالَ: فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: كَلا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**[بَلَى] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ثُمَّ لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَسَاوِدَ صُبّاً**[1] **يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»[2].

وقوله: «**أساود**»؛ أي: حيات[3]، وقوله: «**صُبّاء**» جمع صابئ، وصبا إذا مال من دينٍ إلى دينٍ[4].

السادسة والعشرون: قول النبي ﷺ في تعداد الفتن:

• أخرج البغوي عن **عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ أَدَمٍ، فَقَالَ: «**اعْدُدْ سِتّاً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ**

---

(١) كذا في كتب السُّنَّة، وفي الأصل الفارسي: «صبّاء».

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٩).

(٣) قال أبو عبيد: الأسود: العظيم من الحيات، وفيه سواد، قال شمر: هو أخبثُ الحيّاتِ، وربّما عارض الرفقة، وتبع الصوت، وقيل في تفسيره: يعني جماعات، وهي جمع سواد من الناس؛ أي: جماعة ثم أسودة، ثم أساود. انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٣٠).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٣٠).

حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِئَةَ دِينَارٍ، فَيَظَلُّ سَاخِطاً، ثُمَّ فِتْنَةٌ لا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ، فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفاً»(١).

بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وقع فتحُ بيت المقدس، ثم طاعون عمواس من بعده، ثم وقع استفاضة المال في زمن عثمان من بعده، ثم ثارت الفتنةُ العامّة المستطيرة بقتل عثمان رضي الله عنه.

السابعة والعشرون: [عمران بيت المقدس، وخراب يثرب، وفتح القسطنطينية].

• أخرج **البغوي** من حديث جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«عُمْرَانُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَرَابُ يَثْرِبَ، وَخَرَابُ يَثْرِبَ خُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ، وَخُرُوجُ الْمَلْحَمَةِ فَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ خُرُوجُ الدَّجَّالِ»**، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَى فَخِذَي الَّذِي حَدَّثَهُ؛ يَعْنِي: مُعَاذاً أَوْ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ هَذَا لَحَقٌّ كَمَا أَنْتَ هَاهُنَا، أَوْ كَمَا أَنْتَ قَاعِدٌ»**(٢).

بيت المقدس هنا كناية عن إقليم الشام؛ إذ إنَّ بيت المقدس أفضل وأقدم بقاع الشام، وهو مقامُ أنبياء بني إسرائيل وملوكهم، ووقع عمران بيت المقدس في خلافة عثمان؛ حيث كان معاوية بن أبي سفيان عامله هناك، وبعد مقتل عثمان خراب يثرب وذهاب علي المرتضى رضي الله عنه إلى العراق، ووقوع حرب الجمل وصفِّين، ووقع فتحِ القسطنطينية في إمارة معاوية بن أبي سفيان(٣).

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/٤٣).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/٤٧).

(٣) في عهد معاوية حوصرت القسطنطينية واستشهد أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه عند =

هنا تقع في قلب المرء حيرةٌ شديدةٌ؛ لأن ذكر خروج الدجال جاء في الحديث النبوي الشريف بعد فتح القسطنطينية مع أنه مضى على فتحها أكثر من ألف سنة، ولم يخرج الدجال بعدُ، وكذلك ورد في حديث حذيفة: «**لا تقومُ الساعةُ حتّى تقاتلوا إمامكم، وتجتلدُوا بأسيافِكُم**»، وهذا اللفظ ينبئُ أنَّ قتلَ الإمامَ والاجتلادَ بالسيوف من علامات القيامة، مع أنه قد مرَّ عليه أكثر من ألف سنة، ولم يظهر وقوع الساعة بعد، وكذلك ورد في حديث: «**بعثتُ أنا والساعةُ كهاتين**»[1]، كما قال الله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر]، إلى غير ذلك من أحاديث وآيات في هذا المعنى مما لا يُحصى.

وجوابه: أنّ خروجَ الدجال وقيام الساعة، أو كلّ فتنة من الفتن المذكورة، بينها وبين الساعة ارتباطٌ وعلاقةٌ، كما أنّ غرس الشجر له علاقة بالإثمار ـ أي: الغرض من غرس الشجر ـ وغايته أن تثمر، فكان ظهور هذه الفتن بدايةَ الساعةِ، وغايتُها خروجُ الدجال، وقيام الساعة نفسها، ولذلك أنذر نوحٌ عليه السلام قومَه بالدجال، رغم البعد الزماني الواقع بينه وبين الدجال، وذلك على نحو ما يقول الرجل عند إلقاء البذرة في الأرض: غايةُ هذه البذرةِ إنّما هي إثمارها وإنتاجها لا غير، وما يبذل له من الجهد في السقي وإرواء النخلة وغير ذلك، غايته الإثمار وحده.

وبالجملة: فإنّ منتهى هذه الفتن كلّها يكون بخروج الدجال، وهنا سرٌّ دقيق لا يمكن بيانه وتفصيله بدون تمهيد مقدّمات، وليس هذا مقامه.

= أسوارها ودفن هناك. أما فتح القسطنطينية فقد تم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح.

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٥٠٤، ٦٥٠٥).

الثامنة والعشرون: [ظهور الملك العضوض بعد النبوّة والخلافة الراشدة]:

• حديث أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضَوضاً، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ، يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخُمُورَ وَالْفُرُوجَ وَالْفَسَادَ فِي الأُمَّةِ، يُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَيُرْزَقُونَ أَبَداً حَتَّى يَلْقَوُا اللهَ»[1].

التاسعة والعشرون: ظهور الفتن الواحدةُ تلو الأخرى:

• أخرج ابن ماجه من حديث زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: بَيْنَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ إِذْ نَزَلَ مَنْزِلاً، فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ؛ إِذْ نَادَى مُنَادِيهِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ، فَاجْتَمَعْنَا، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَنَا، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقّاً عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ خَيْراً لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ مَا يَعْلَمُهُ شَرّاً لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَتْ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَإِنَّ آخِرَهُمْ يُصِيبُهُمْ بَلَاءٌ وَأُمُورٌ يُنْكِرُونَهَا، ثُمَّ تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، ثُمَّ تَجِيءُ فِتْنَةٌ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ فَلْتُدْرِكْهُ مَوْتَتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).

النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يَأْتُوا إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً، فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ».

قَالَ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَقُلْتُ: أَنْشُدُكَ اللهَ، أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: سَمِعَتْهُ أُذُنَايَ وَوَعَاهُ قَلْبِي[١].

الثلاثون: ذهاب الصالحين الأول فالأول:

• أخرج **البغوي** من حديث قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ عَنْ **مِرْدَاسٍ الأَسْلَمِيِّ**، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ، لا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً**»[٢].

ومرَّ تفسير هذا الحديث من قول سعيد بن المسيب.

وهكذا ذكر النبيُّ ﷺ أشياء كثيرة ممّا يوجد في باب الفتن، وباب تغيّر الناس، وفي الأبواب المتفرّقة من كتب الآثار والسنن، واكتفينا هنا بهذا القدر اليسير عملاً بالمثل العربي السائر: «الغَرْفَةُ تنبئُ عن الغدير، والجفنةُ تحكي عن البيدر الكبير».

الأحكام التي بيّنها النبي ﷺ في زمن الفتنة خاصة

لقد شرع النبي ﷺ أحكاماً ومصالحَ مفردةً بخصوص زمان يظهر فيه الشرّ والفتنة، وذكر في أحاديث كثيرة إذا ظهر زمان كذا وكذا فاعملوا كذا وكذا، نذكر فيما يلي بعضَ الأمثلة لمثل هذه الأحكام:

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٦).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٣).

❁ الانقياد للمتغلّب غير المستحق للخلافة فيما وافق الشرع:

الحكم الأول: إذا تغلّب مَنْ لا يستحقُّ الخلافةَ يجبُ الانقيادُ له فيما يوافِقُ الشرعَ، لا فيما يخالفه.

❁ عدم جواز الخروج عليه إلا أن يظهر منه كفر صريح:

والحكم الثاني: ولا يجوزُ الخروجُ عليه والقتالُ معه إلا أن يظهرَ منه كفرٌ صريحٌ، وهذا متواتر بالمعنى.

• فمن حديث **أَنسٍ** أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لأَبِي ذَرٍّ: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَلَوْ لِعَبْدٍ حَبَشِيٍّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[١].

• ومن حديث **أم الحصين** أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، يَقُولُ: «**لَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ ﷻ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا**»[٢].

• ومن حديث **ابْنِ عُمَرَ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ**»[٣].

• ومن حديث **عَلِيٍّ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيةٍ، إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ**»[٤].

• ومن حديث **النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٢).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٠٢) برقم: (٢٧٣٠٦).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ١٤٢) برقم: (٦٢٧٨).
(٤) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٣).

«**لا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيةِ الخَالِقِ**»(١).

• ومن حديث **عبادة بن الصامت**: قال دَعَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَكَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ. قَالَ: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٢).

• ومن حديث **أُمِّ سلمَةَ** قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ، تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: أَفَلا نَقْتُلُهُمْ؟ قَالَ: «**لا، مَا صَلّوا [لا، مَا صَلّوا]**»(٣).

• ومن حديث **الْحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ** أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِماتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَادَ أَنْ يُبْطِئَ، فَقَالَ لَهُ عِيسَى: إِنَّكَ قَدْ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ، وَأَنْ تَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُمْ، وَإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُمْ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنِّي أَخْشَى إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ، أَوْ يُخْسَفَ بِي.**

فَجَمَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى امْتَلأَ الْمَسْجِدُ، وَقَعَدُوا عَلَى الشُّرَفِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ [أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ، وَآمُرُكُمْ] أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ:

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٠٩).

(٣) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٤٨).

أَوَّلُهُنَّ: أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ، وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ اشْتَرَى عَبْداً مِن خَاصِّ مَالِهِ بِوَرِقٍ أَوْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: هَذِهِ دَارِي، وَهَذَا عَمَلِي، فَاعْمَلْ، وَأَدِّ إِلَيَّ عَمَلِي، فَجَعَلَ يَعْمَلُ، وَيُؤَدِّي عَمَلَهُ إِلَى غَيْرِ سَيِّدِهِ، فَأَيُّكُمْ يَسُرُّهُ أَنْ يَكُونَ عَبْدُهُ كَذَلِكَ؟ وَإِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ، فَاعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً.

وَآمُرُكُمْ بِالصَّلاةِ، فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِعَبْدِهِ مَا لَمْ يلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلا تَلْتَفِتُوا.

وَآمُرُكُمْ بِالصِّيَامِ، فَإِنَّ مَثَلَ الصِّيَامِ كَمَثَلِ رَجُلٍ مَعَهُ صُرَرٌ مِنْ مِسْكٍ فِي عِصَابَةٍ، كُلُّهُمْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ رِيحَ الْمِسْكِ، [وَإِنَّ خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ].

وَآمُرُكُم بِالصَّدَقَةِ، فإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ إِلَى أَنْ أَفْتَدِيَ نَفْسِي؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ [مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حتَّى فَكَّ نَفْسَهُ].

وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ كَثِيراً، فإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوَّ سِرَاعاً فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْناً حَصِيناً فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ ﷻ».

قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ، اللهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: بِالْجَمَاعَةِ، وَالسَّمْعِ، وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيْدَ شِبْرٍ، فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلا أَنْ يُرَاجِعَ»[١].

• ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «مَنْ

---

(١) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥١).

فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَخَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ[1]**، فَمَاتَ فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي بِسَيْفِهِ، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا لا يُحَاشِي مُؤْمِناً لِإِيمَانِهِ، وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ بِعَهْدِهِ، فَلَيْسَ مِنْ أُمَّتِي»**[2].

• ومن حديث **عَبْدِ اللهِ بن مسعود** قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً وَأُمُوراً تُنْكِرُونَهَا**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ، وَسَلُوا اللهَ حَقَّكُمْ**»[3].

• ومن حديث **وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا؟ قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**»[4].

❁ قتل الباغي على الذي اجتمع المسلمون عليه:

والحكم الثالث: إذا انعقدت البيعةُ لشخصٍ، واستقرّت سيطرته، فإنْ بغىٰ عليه أحدٌ وقاتله يجبُ أن يُقتلَ، سواء كان أفضل منه أو مساوياً أو مفضولاً.

• أخرج **البغوي** عَنْ **عَرْفَجَةَ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ يُرِيْدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ، فَاقْتُلُوهُ كَائِناً مَنْ كَان**»[5].

• وأخرج **البغوي** من حديث أبي نضرة عن **أبي سعيد الخدري**

---

(١) في الأصل الفارسي: «مِنَ الْجَمَاعَةِ».
(٢) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٢).
(٣) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٣).
(٤) أخرجه البغوي في «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٤).
(٥) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٥٥).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بويعَ لخليفتينِ، فاقتلوا الآخرَ منهما**»[١].

• وأخرج **البغوي** من حديث أبي حازم عن **أبي هريرة** عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاء فَيَكْثُرُونَ**»، قَالُوا: فَمَا تأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عمَّا اسْتَرْعَاهُم**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** من حديث **عبد الله بن عمرو** بن العاص في قصة طويلة عن النبي ﷺ قال: «**وَمَنْ بَايَعَ إِمَاماً فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَمِينِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخَرِ**»[٣].

❁ ماذا ينبغي أن يفعلَ إذا أخّر الخليفةُ الصلواتِ عن مواقيتها:

والحكم الرابع: إذا أصبحَ الخلفاءُ في زمانِ الفتنةِ يؤخِّرون الصلواتِ عن مواقيتها، فماذا ينبغي أن يُفعل؟

• أخرج **مسلم** عن **أبي ذرّ** قال: قال لي رسولُ اللهِ: «**كيفَ أنتَ إذا كانتْ عليكَ أمراءُ يؤخّرون الصَّلاةَ عن وقتِها، أو يميتونَ الصلاةَ عن وقتِها**[٤]»، قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «**صلِّ الصلاةَ لوقتها، فإن أدركتَها معهم فصلِّ فإنّها لك نافلةٌ**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥٣).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/٥٦).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٦).
(٤) في الأصل الفارسي: «يميتون الصلاة ويؤخّرونها عن وقتها».
(٥) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٦٤٨).

۞ التدبير الذي يختار الرعية عند ما يظهر العدوان من الأمراء في أخذ الزكاة:

والحكم الخامس: إذا ظهرَ من الأمراءِ ظلمٌ وعدوانٌ في أخذِ الزكاة عند الفتنةِ، فما الحيلة؟

• وأخرج **أبو داود** عن جَابِرِ بْنِ عَتِيكٍ [عَنْ أَبِيهِ] أنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَيَأْتِيكُمْ رُكَيْبٌ مُبْغَضُونَ، فَإِنْ جَاؤوكُمْ، فَرَحِّبُوا [بِهِمْ]، وَخَلُّوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغُونَ، فَإِنْ عَدَلُوا فَلِأَنْفُسِهِمْ، وَإِنْ ظَلَمُوا فَعَلَيْهَا، وَأَرْضُوهُمْ، فَإِنَّ تَمَامَ زَكَاتِكُمْ رِضَاهُمْ، وَلْيَدْعُوا لَكُمْ**»(١).

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** قَالَ: جَاءَ نَاسٌ؛ يَعْنِي: مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: إِنَّ نَاساً مِنَ الْمُصَدِّقِينَ يَأْتُونَا فَيَظْلِمُونَا [قَالَ:] فَقَالَ: «**أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنْ ظَلَمُونَا، قَالَ: «**أَرْضُوا مُصَدِّقِيكُمْ [ـ زَادَ عُثْمَانُ ـ] وَإِنْ ظُلِمْتُمْ**»(٢).

۞ العزلة في زمن الفتنة؟

والحكم السادس: كانت العزلة للعبادة ممنوعة في الزمن الأول، ولكنّها أصبحت في زمنِ الفتنةِ مطلوبةً ومحبوبةً.

• أخرج **الترمذي** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ، فَأَعْجَبَتْهُ [لِطِيبِهَا]، فَقَالَ: لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ، فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، [وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ] فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مُقَامَ**

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥٨٨).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥٨٩).

أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ! اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[١].

• وأخرج **أحمد** عن **أبي أمامة** قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية [من سراياه، قال:] فمرَّ رجلٌ بغارٍ فيه شيءٌ من ماء وبقل، [قال:] فحدَّث نفسه بأن يقيم [في ذلك الغار، فيقوته ما كان فيه من ماء، ويصيب ما حوله من البقل،] ويتخلّى من الدنيا، [ثم قال: لو أنِّي أتيتُ نبيَّ الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فإن أذنَ لي فعلتُ، وإلَّا لم أفعل، فأتاه، فقال: يا نبيَّ الله! إنِّي مررتُ بغارٍ فيه ما يقوتني من الماءِ والبقلِ، فحدَّثتني نفسي بأنْ أقيمَ فيه، وأتخلّى من الدنيا، قال[٢]:] فقال النبيُّ ﷺ: **«إنِّي لم أُبعَثْ باليهوديةِ ولا بالنصرانية، ولكنِّي بُعِثْتُ بالحنيفيّةِ السمحةِ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده لغدوةٌ أو روحةٌ في سبيلِ الله خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولمقامُ أحدِكُم في الصفِّ خيرٌ من صلاتِهِ ستينَ سنةً»**[٣].

• أخرج **البغوي** عَنْ **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ الْغَنَمَ، يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْمَطَرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ»**[٤].

• وأخرج **البغوي** عَن **أَبِي هُرَيْرَةَ** قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَتَكُونُ فِتَنٌ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي،**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٦٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «فاستأذن رسول الله ﷺ في ذلك».
(٣) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٢٦٦) برقم: (٢٢٣٤٥).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢١).

وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذاً، فَلْيَعُذْ بِهِ»[١].

❁ جواز التعرّب والبداوة للمهاجر في زمن الفتنة:

والحكم السابع: يجوزُ لمن بايعَ النبيَّ ﷺ على الهجرة البدو ـ أي: الخروج إلى البادية ـ في زمن الفتنة.

● أخرج **النَّسائي** عَنْ **سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ**، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ! ارْتَدَدْتَ عَلَى عَقِبَيْكَ وَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا: وَبَدَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَذِنَ لِي فِي البدو[٢].

❁ سقوط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن الفتنة:

والحكم الثامن: كانَ الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر من واجباتِ الإسلام، ولكن قد سقطا في زمن الفتنة.

● أخرج **الترمذي وابن ماجه** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: **«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»**[٣].

● وأخرج **الترمذي وابن ماجه** عن **أبي ثعلبة الخُشَني** في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٢).

(٢) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٤/ ٤٣٠) برقم: (٧٨٠٩).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢١٦٨) واللفظ له، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٠٥).

[المائدة: ١٠٥]، قال: أما واللهِ [لقد سألتُ عنها خبيراً[١]]، سألتُ عنها رسول الله ﷺ، فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتَّى إذا رأيتَ شُحّاً مطاعاً، وهوىً متَّبَعاً، ودنيا مؤْثَرةً، وإعجابَ كَلِّ ذي رأيٍ برأيه، [ورأيتَ أمراً لا بدَّ لكَ منه][٢]، فعليكَ نفسَك[٣]، ودَعْ [أمرً[٤]] العوام، فإنّ وراءكم أيّامُ الصبر، فمن صبر فيهنَّ، [كان كمن] قَبَضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ [مثلُ] أجر خمسينَ رجلاً يعملون مثل عمله**»، قيل: يا رسول الله! أجرُ خمسين منّا أو منهم؟ قال: «**بل أجرُ خمسينَ مِنْكُم**»[٥].

● وأخرج **الترمذي**[٦] عن **عبد الله بن عمرو** بن العاص أن النبيَّ ﷺ قال: «**كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النَّاسِ، مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ، وَاخْتَلَفُوا، فَكَانُوا هَكَذَا**»، وَشبّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، قَالَ: فَبِمَ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**عَلَيْكَ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا يُنْكَرُ، وَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ**»[٧].

وفي رواية: «**الزمْ بيتَك، واملِكْ عليكَ لسانَك، وخُذْ ما تعرِفُ، ودَعْ**

---

(١) قد سقطت هذه الفقرة في الأصل الفارسي.

(٢) لا توجد في «سنن الترمذي» ووقعت في «سنن ابن ماجه» بلفظ: «أمراً لا يدان لك به».

(٣) وردت في «سنن الترمذي» بلفظ: «بخاصّة نفسِكَ» وفي «سنن ابن ماجه» بلفظ: «خُويصة نفسِكَ».

(٤) لا توجد في «سنن الترمذي»، بل وقعت فيها بلفظ: «دع العوام».

(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤)، و«شرح السُّنَّة» (١٤/٣٤٧) واللفظ له، إلا أنّ لفظ: «كان كمن»، لا يوجد فيه.

(٦) ما أخرجه الترمذي بل أخرجه أبو داود في «سننه» عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٧) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٣٤٣)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٥٧)، و«مسند أحمد» (٢/١٦٢) برقم: (٦٥٠٨)، و«شرح السُّنَّة» (١/١٠١١) واللفظ له.

ما تُنْكِرُ، وعليكَ بأمرِ خاصَّةِ نفسِكَ، ودع عنك أمرَ العامّةِ»[١].

۞ عدم جوازُ أخذِ الفيء إذا تقاتل المسلمون فيما بينهم:

والحكم التاسع: إذا تجاحفت قريش على الملك فيما بينها لا ينبغي أخذ السهم من الفيء.

• أخرج **أبو داود** من حديث ذي الزَّوَائِدِ صَاحِب رَسُولِ اللهِ ﷺ يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَأَمَرَ النَّاسَ وَنَهَاهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا تَجَاحَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُلْكِ فِيمَا بَيْنَهَا، وَعَادَ الْعَطَاءُ أَوْ كَانَ رِشاً فَدَعُوهُ**»[٢].

۞ لزوم الاحتراز عن صحبة الملوك في زمن الفتنة:

والحكم العاشر: كانت صحبةُ الخلفاء في الأوّل سعادةٌ عظيمةٌ، ويلزم الاحتراز عن صحبة الملوك في زمن الفتنة.

• لقد ورد في «**مشكاة المصابيح**» عن **عمر بن الخطاب** ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّه تصيبُ أمتي في آخرِ الزمانِ من سلطانِهم شدائدُ، لا ينجو منه إلّا رجلٌ عرفَ دينَ اللهِ، فجاهدَ عليه بلسانِهِ، ويدِهِ، وقلبِهِ، فذلك الذي سبقتْ له السوابقُ، ورجلٌ عرفَ دِيْنَ اللهِ فصدّقَ به، ورجلٌ عرفَ دينَ الله، فسكتْ عليه، فإنْ رأى مَنْ يَعْمَلُ الخيرَ أحبّه عليه، وإنْ رأى مَنْ يَعْمَلُ بباطلٍ أبغضَهُ عليه، فذلك ينجو على إبطانه كله**»[٣].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» (٢/ ٢١٢) برقم: (٦٩٨٧) واللفظ له، و«مسند عبد الله بن المبارك» (١/ ٢٦٤).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٩٥٩).

(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ١١٧).

۞ انقطاع حجية قول الخلفاء في زمن الفتنة:

والحكم الحادي عشر: كان إمضاء قول الخليفة في أوائل الإسلام حجةً في الدين، وانقطع ذلك في أيام الفتنة.

• أخرج **مسلم** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ** قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»**(١).

• وفي «مشكاة المصابيح» عن **ابن مسعود** قال: مَنْ كان مستنّاً فليستنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمّدٍ ﷺ كانوا أفضلَ هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتّبعوهم [على آثارهم]، وتمسّكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم. رواه **رزين**(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** عن الْعِرْبَاض بْن سَارِيَةَ يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَاعْهَدْ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: **«عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْداً حَبَشِيّاً، وَسَتَرَوْنَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافاً شَدِيداً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ**

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٠). (٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٤٢).

الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١].

• وأخرج **الدارمي** عن **الأَعْمَش** قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ سَتُحْدِثُونَ وَيُحْدَثُ لَكُمْ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مُحْدَثَةً فَعَلَيْكُمْ بِالأَمْرِ الأَوَّلِ[٢].

• وأخرج **الدارمي** عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ وَاصِلٍ، عَنِ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: عَائِذَةُ، قَالَتْ: رَأَيْتُ **ابْنَ مَسْعُودٍ** يُوصِي الرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ وَيَقُولُ: مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ أَوْ رَجُلٍ فَالسَّمْتَ الأَوَّلَ، فَإِنَّا عَلَى الْفِطْرَةِ[٣]، ومعلومٌ أنَّ عبد الله بن مسعود قد توفي في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه.

۞ النهي عن القتال بعد ظهور الفتنة:

والحكم الثاني عشر: [كان الجهادُ مطلوباً عند الشارع قبل ظهور الفتنة، وصار ممنوعاً في زمن الفتنة]: قال الله تعالى في الجهاد **قبل ظهور الفتنة**: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦].

ونهى النبيُّ ﷺ عن القتال **بعد ظهورها**، وأكّد الأمرَ بالقعود عنه.

فينبغي التأمّل فيما بينهما من فرق بائن وبون شاسع، إذ إنّ دعوة الخليفة في **الحالة الأولى** كانت لوجوب الامتثال لأمره، ويحرم التخلّف عنه، ويجبُ في **الحالةِ الثانيةِ** القعودُ عن القتال، ويحرمُ الخوضُ في نصرته.

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٢) برقم: (١٦٩).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٨٢) برقم: (٢١٣).

تضاعف الأجور لمن يتمسّكون بالسُّنَّة في زمن الفتنة:

والحكم الثالث عشر: تضاعف الأجور لمن يتمسَّكون بالسُّنَّة في هذا الزمان.

• أخرج **الترمذي** عن **بلالِ بْنِ الْحَارِثِ** قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «**إِنَّهُ مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِن سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي، فَإِنَّ لَهُ مِن الْأَجْرِ مِثْلَ [أُجُوْرِ] مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً، وَمَن ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ، لَا تُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِ النَّاسِ شَيْئاً**»(١).

• وأخرج **الترمذي** و**ابن ماجه** عن **أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ** عن النبيِّ ﷺ قال: «**فإنَّ وراءكم أيّامُ الصبرِ، فمن صبرَ فيهنَّ، [كان كَمَنْ] قبضَ على الجَمْرِ، للعاملِ فيهنَّ [مثلُ] أجرِ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثل عمله**»، قال: يا رسول الله! أَجرُ خمسينَ منهم؟ قال: «**بل أجرُ خمسينَ منكم**» مختصر(٢).

• وأخرج **البغوي** عَنْ **مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**»(٣).

الموت خير من الحياة أيام الفتنة:

والحكم الرابع عشر: يكونُ الموتُ خيراً من الحياة أيام الفتنة.

عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٧).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤)، و«شرح السُّنَّة» (١٤/٣٤٧) واللفظ له، إلا أنَّ لفظ: «كان كمن»، لا يوجد فيه.

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/٢٣).

خِيَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ[(١)] وَأُمُورُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ، فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا، وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلَاءَكُمْ، وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ، فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»[(٢)].

۞ كلمةُ حقٍّ عندَ سلطانٍ جائرٍ أفضلُ من الجهادِ:

والحكم الخامس عشر: قولُ كلمةِ الحقِّ عند سلطانٍ جائرٍ أفضلُ من الجهادِ.

• أخرج **البغوي** عَنْ **أَبِي أُمَامَةَ** أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ وَرَسُولُ اللهِ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الأُولَى، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: عِنْدَ الْجَمْرَةِ الوُسْطى، فَأَعرضَ عَنْهُ، فَلَمَّا رَمَى جَمْرَةَ العَقَبَةِ، وَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**»، قَالَ: أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أَفْضَلُ الْجِهادِ مَنْ قَالَ كَلِمَةَ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**»[(٣)].

۞ ظهور وقائع عجيبة:

• ثم وقعت بعض الوقائع العجيبة التي دلّت بلسان حالها على اختفاء بركاتِ أيّامِ النبوةِ عند وقوع الفتن.

• فقد ورد في «مشكاة المصابيح»[(٤)] عن **أبي هريرة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بتمراتٍ، فقلتُ: يا رسول الله، ادعُ الله فيهنَّ بالبركة فضمّهنَّ، ثم دعا لي فيهنَّ بالبركةِ، فقال: «**خذهنَّ، واجعلهنَّ في مزودِكَ، كلّما**

---

(١) في الأصل الفارسي: «أسخياءكم».
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٢٦).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٦٥).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٣٩)، و«مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٩٠).

أردتَ أن تأخذَ منه شيئاً، فأدخل فيه يدكَ فَخُذْه ولا تَنْثُرْه نثراً»، فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وسقٍ في سبيلِ اللهِ، فكنّا نأكلُ منه، ونطعمُ، وكان لا يفارِقُ حقوي، حتَّى كان يومُ قَتْلِ عثمان، فإنَّه انقطعَ، وقد قال أبو هريرةَ في ذلك يومَ قتلِ عثمانَ:

للنّاسِ هَمٌّ ولي اليومَ هَمَّانِ ... هَمُّ الجِرَابِ وَهمُّ الشَّيْخِ عُثمانِ

• وأخرج **البخاريُّ** عَنِ نَافِعٍ عَنْ **ابْنِ عُمَرَ** ﵄ قَالَ: اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ، وَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمَانَ حتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ، نَقْشُهُ «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»(١).

• وأخرج **البخاري** عَنْ **أَنَسٍ** قَالَ: كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ فِي يَدِهِ، وَفِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَفِي يَدِ عُمَرَ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا كَانَ عُثْمَانُ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسَ، قَالَ: فَأَخْرَجَ الْخَاتَمَ فَجَعَلَ يَعْبَثُ بِهِ فَسَقَطَ، قَالَ: فَاخْتَلَفْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَعَ عُثْمَانَ، فَنَزَحَ الْبِئْرَ فَلَمْ يَجِدْهُ(٢).

• وأخرج **أبو عمر** قال: قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل حين نشبَ الناسُ في الطعن على عثمان، فصلّى من الليل، ثم نام، فأُتي في المنام، فقيل له: قُمْ فاسألِ اللهَ أن يعيذَكَ مِنِ الفتنةِ التي أعاذ منها صالحَ عبادِه، فقام فصلّى، ودعا، ثم اشتكى، فما خرجَ بعدُ إلا بجنازته(٣).

• أخرج **أبو يعلى** من أقوال السيّد المجتبى **الحسن بن علي** أنه قام

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٣).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٩).
(٣) أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب» (١/ ٢٣٨) رقم الترجمة: (١٣٢٧).

خطيباً، فقال: أيها الناس! رأيتُ البارحة في منامي عجباً، رأيتُ الربَّ تعالى فوقَ عرشه، فجاء رسولُ اللهِ حتَّى قام عند قائمةٍ من قوائم العرشِ، فجاء أبو بكر فوضعَ يده على مَنْكِبِ رسولِ اللهِ، ثم جاءَ عمرُ فوضعَ يده على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عُثمانُ فكان نبذةً[١]، فقال: ربِّ سل عبادكَ فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دم في الأرضِ، قال: فقيلَ لعليٍّ: ألا ترى ما يحدِّث به الحسن، قال: يحدِّث بما رأى[٢].

● أخرج **أبو عمر** عن **سعيد بن المسيب** أن زيد بن خارجة توفِّي زمن عثمان بن عفان، فسُجِّي بثوب، ثم إنهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم فقال: «أحمدُ أحمدُ في الكتابِ الأوّلِ، صدَقَ صدَقَ أبو بكر الصدِّيق، الضعيفُ في نفسهِ، القويُّ في أمر الله في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عمرُ بنُ الخطاب، القويُّ الأمينُ في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عثمانُ بنَ عفّان على منهاجهم مضت أربعٌ وبقيت اثنتان[٣]، أتت الفتنُ، وأكلَ الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئرِ أَرِيسِ وما بئرُ أريس»؟

[قال يحيى بن سعيد:] ثم هلك رجلٌ من بني خطمةَ فسجِّي بثوبٍ، فسمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم، فقال: «إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ»[٤]، ومرّ قول سعيد بن المسيب قريباً في ذهاب الصالحين بسبب الفتن.

---

(١) في الأصل الفارسي «بيده رأسه»، ونبذة: بفتح النون وضمها ناحية. انظر: «تاج العروس» (١/ ٢٤٢٦).

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).

(٣) في الأصل الفارسي: «سنتان».

(٤) «الاستيعاب» (١/ ١٦٣) رقم الترجمة: (٨٤٤)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٦/ ١٩٥).

● **ثم أخبر أحبارُ أهل الكتاب بهذا المعنى:**

أخرج **الطبراني** أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ قال لكَعْبِ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتِي في التوراة؟ قَالَ: خليفةُ قَرْنٍ مِنْ حَدِيدٍ، أَمِيرٌ سَدِيدٌ، لا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، ثُمَّ يَكُونُ من بَعْدِكَ خَلِيفَةٌ تَقْتُلُهُ أمةٌ ظَالِمون، ثُمَّ يَقعُ الْبَلاءُ بعده[(١)].

● وفي «الرياض النضرة» عن **كعب** قال: والذي نفسي بيده إنَّ في كتابِ اللهِ المنزل [على] محمّدٍ ﷺ، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق، عثمان الأمين، فاللهَ اللهَ يا معاوية في أمر هذه الأمة، ثم نادى الثانية: إنّ في كتابِ اللهِ المنزل، ثم أعاد الثالثة[(٢)].

● أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن سلام** قال: لقد فتح الناس على أنفسهم بقتلِ عثمانَ بابَ فتنةٍ لا ينغلِقُ عنهم إلى قيامِ الساعةِ[(٣)].

● وأخرج **أبو بكر** عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: لا تسلُّوا سيوفكم، فلئن سللتموها لا تُغْمَدُ إلى يوم القيامة[(٤)].

● وأخرج **أحمد** عَنْ **جَرِيرٍ** في قصة: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَلَقِيتُ بِهَا رَجُلَيْنِ ذَا كَلَاعٍ وَذَا عَمْرٍو، قَالَ: وَأَخْبَرْتُهُمَا شَيْئاً مِنْ خَبَرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلْنَا، فَإِذَا قَدْ رُفِعَ لَنَا رَكْبٌ مِنْ قِبَلِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: فَسَأَلْنَاهُمْ مَا الْخَبَرُ؟ قَالَ: فَقَالُوا: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ،

---

(١) «المعجم الكبير»، للطبراني (١/ ٨٤) رقم: (١٢٠)، و«حلية الأولياء» (٦/ ٢٥).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٣).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣) رقم: (١٧٧٨).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٩) برقم: (٣٧٦٨٨).

وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ وَالنَّاسُ صَالِحُونَ، قَالَ: فَقَالَ لِي: أَخْبِرْ صَاحِبَكَ، قَالَ: فَرَجَعَا، ثُمَّ لَقِيتُ ذَا عَمْرٍو فَقَالَ لِي: «يَا جَرِيرُ! إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا بِخَيْرٍ مَا إِذَا هَلَكَ أَمِيرٌ، ثُمَّ تَأَمَّرْتُمْ فِي آخَرَ، فَإِذَا كَانَتْ بِالسَّيْفِ غَضِبْتُمْ غَضَبَ الْمُلُوكِ، وَرَضِيتُمْ رِضَا الْمُلُوكِ»[١].

• **ثم أخبر أصحابَ النبيِّ ﷺ بعظم هذه القضية؛ أي: مقتل عثمان ﵁ وتأسَّفَ عليها:**

• أخرج **أبو بكر** عن أبي سعيد مولى ابن مسعود قال: قال **عبد** الله: [واللهِ] لئن قتلوا عثمان لا يصيبوا منه خلفاً[٢].

• وأخرج **البغوي** قال أبو الدرداء: إنَّ الناسَ كانوا ورقاً لا شوكَ فيه، فأصبحوا شوكاً لا وَرَقَ فيه[٣].

• وأخرج **أبو عمر**: أنّ ثمامة بن عدي أمير عثمان على صنعاء خطب يومَ بلغه موتُ عثمان، فأطالَ البكاءَ، ثم قال: هذا حين انتزعت خلافة النبوة من أمة محمّدٍ ﷺ، وصارتْ ملكاً وجبريةً، من غلبَ على شيءٍ أكله[٤].

إعادة النظر في المسألة المبحوث فيها

لقد طال بنا الكلامُ حول بيان اختلاف الزمان السابق واللاحق، وكادَ أن يختلَّ ترتيبُه واتصالُه:

سخن أز حدّ خود بگذاشت بس كن ... نفس شد آتشين ضبط نفس كن

(١) «مسند أحمد» (٤/ ٣٦٣) برقم: (١٩٢٤٤).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٣).
(٣) «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٣٩٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٧/ ١٧٩).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦٤) رقم الترجمة: (٢٧٧).

[إنَّ الكلام قد تجاوزَ الحدَّ فالزمِ السكوتَ، وإنَّ النّفس قد دخلت في مزاجِها الناريِّ فاضبطها].

والآن نرجع إلى أصلِ الغاية، فنقول:

۞ المسألة الأولى:

وهي أنَّه قد ثبت بنقل متواتر ـ لا يفوقه نقل في الشرعيات من حيث الاعتماد والاعتبار ـ أنَّ النبيَّ ﷺ قد أشار إلى وقوع فتنة عند شهادة عثمان رضي الله عنه، وبيّنها بتفصيلٍ أكثرَ ممّا يوجد في الأحكام الشرعية، وجعلها فصلاً بين زمان الخير وزمان الشرّ، وأشار إلى أنَّ الخلافة على منهاج النبوة تنقطِعُ، ويظهر ملكٌ عضوضٌ، ومعنى لفظ «عضوض» يدلّ على وقوع الحروب والمناوشات، وقتال بعضهم لبعض، والمنازعات فيما بينهم في الملك، ولذلك جمع النبيُّ ﷺ في أحاديث كثيرة «الخلفاء الثلاثة» في حكم واحد، حتّى صار ظنّاً قوياً أنَّ هؤلاء الخلفاء الثلاثة متساوين في مرتبةٍ من المراتب؛ أي: كون خلافتهم على منهاج النبوة وسلامتها عن الفتنة، ولا يشاركهم غيرُهم في هذه المرتبة.

۞ المسألة الثانية:

وذكر في بعض الأحاديث كلمةً تشعِرُ بانقطاع الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وورد ذكرُ الخلفاء الثلاثة معاً في حديث «تحرّك الجبل» من رواية **عثمان، وأنس**، وفي حديث «الحائط» برواية **أبي موسى**، وفي حديث «الوزن بالأمة» برواية جمع من الصحابة جاء ذكر هؤلاء الثلاثة فقط، وفي بعض الروايات: «ثم رفع الميزان»، وكذلك في حديث «رؤيا الظلة»، وورد ذكرهم، كذلك في حديث **ابن عمر**: «كنا نخير...» الحديث، ثم قال ابن عمر: «نسكت...».

وفي حديث **رؤيا نَوْطِ بعضهم ببعض** ذِكْرُ هؤلاء الثلاثة فحسب، وفي **حديث رؤيا دلوٍ دُلِّيَ من السماء** ذكر هؤلاء الثلاثة فقط، وظهر في المرة الرابعة انتشاط عراقيها، وفي **قصّة سؤال بني المصطلق** بعد ذكر الخلفاء الثلاثة جاء: «فتباً لكم»، وفي **قصة** «**تأسيس المسجد، ووضع الأحجار**» ورد لفظ الحصر: «هم الخلفاء»، وورد في **قصة اشتراء القلائص** بعد ذكر هؤلاء الثلاثة: «فتباً لك»، وفي قصة «**تسبيح الحصى**» وغيرها من الأحاديث الكثيرة اكتُفي بهؤلاء الثلاثة فقط.

۞ المسألة الثالثة:

وفي قصة «تزولُ رحى الإسلامِ» تمَّ تعيينُ الزمان للخلافة ممّا دلَّ على هذه الفتنة ـ أي: مقتل عثمان ـ بأبلغ وجهٍ، ثم قال ﷺ: «**فَإِنْ يَهْلِكُوا فَسَبِيلُ مَنْ هَلَكَ، وَإِنْ يَقُمْ لَهُمْ دِينُهُمْ يَقُمْ لَهُمْ سَبْعِينَ عَاماً**»(١).

قال البغوي: أرادَ بالدِّين الملك، قال أبو سليمان: ويُشْبِهُ أن يكونَ أريد بهذا مُلك بني أمية، وانتقاله عنهم إلى بني العباس، وكان ما بين أن استقرّ الملك لبني أمية، إلى أن ظهر الدعاةُ بخُراسان، وضعف أمر بني أمية ودخول الوهن فيه نحو من سبعين سنةً(٢).

ووقع تعيين المكان في حديث: «**الخلافة بالمدينة، والملك بالشام**»، إلى غير ذلك مما لا يحصى.

وأمّا ما ورد في حديث **أبي بكرة الثقفي**: «**الخلافةُ بعدي ثلاثون**

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٢٥٤)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٩٣) برقم: (٣٧٣٠).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١٨)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٢٢٥).

سنةً»، فينبغي أن نفهمَ حقيقة معناه، وهي أنَّ الخلافة الخاصَّة المنتظمة مركبةٌ من وصفين:

أولهما: وجود الخليفة الخاص.

والثاني: نفاذ تصرُّفه، واجتماع كلمة المسلمين عليه، والخلافةُ الخاصة تنتفي بانتفاء جزءين معاً، أو انتفاء أحدهما فقط، حيث حكمة الله تقتضي التدرج في سائر أفعاله وأحكامه، ففُقِد أولاً الجزء الثاني بفقد وصف اجتماع كلمة المسلمين، وعدم استقرار الملك، فكان علي رضي الله عنه متصفاً بصفات الخلافة الخاصة وانعقدت خلافته شرعاً، لكنْ ظهرَ تفرّق المسلمين، وما نال تصرُّفه نفاذاً ورواجاً في بقاع الأرض، مثال ذلك أن: يعيّنَ ملكٌ عادِلٌ مدرِّساً في مدرسة، ويأمر طلبةَ العلمِ بالأخذِ والاستفادةِ منه، ولكنّهم لم يستفيدوا منه لأسبابٍ بعضُها اختيارية، وبعضُها غير اختياريةٍ فيصدُقُ على هذه الحالة إطلاق القولين:

أحدهما: أن نقولَ: إن في هذه المدرسة مدرساً، لكنّ الطلبة لا يستفيدون منه.

والثاني: أن نقول: لا يوجد في هذه المدرسة مدرِّس يدرِّسُ بالفعل.

وهكذا ـ فيما نحن فيه ـ يوجد الخليفة الخاص المتّصف بالأوصاف الكاملة للخلافة، ولا توجد له الخلافة، بالفعل.

● ثم اجتمع الناس فيما بعد على خليفة هو معاوية، وزالت اختلافاتهم من بينهم، ولكنّ الخليفة لم يكن متّصفاً بالأوصاف المعتبرة في الخلافة الخاصة، وهذا هو المعنى لـ«هدنة على دُخْنٍ» ـ وبهذا التقرير قد ارتفعَ التعارضُ بين الحديثين.

وفي الفتنة الثانية[١] فقد الوصفان المذكوران ـ أي: لم يوجد الخليفة متصفاً بأوصاف الخلافة الخاصة، ولم يبقَ اجتماعُ المسلمين، بل صار الناسُ متفرقين، وتفرّقَ الناسُ هنا وهناك، وقد ادعى الخلافة كلّ أحد، وصارت جنوداً مجندةً متعددةً بين المسلمين، و«دعاة على أبواب جهنم» حكاية عن هذه الفرقة.

ثم لمّا تسلّط عبد الملك، وتغلّبَ على أمور الحكم والخلافة زالتِ التفرقة من بينهم، وظهرت أحكام الخلافة **المتجبرة**، التي قد بيَّن النبيُّ ﷺ وقوعها في بعض الأحاديث.

• هذه المسألة التي شرحتُها الآن ضمن الحديثين المتعارضين في باب الفتنة، وانقطاع الخلافة التي على منهاج النبوة بيّنةٌ قطعاً عند من يحفظ جملة صالحة من الأحاديث، وله ملكةٌ في تطبيق بعضها ببعض، ويعرف وضعَ الشيء في محله.

وأمّا الذي لا يملك ملكة الاستنباط واستخراج الأحكام من الأحاديث المختلفة المتعارضة فليعتبرْ نفسَه قاصراً عن الدخول في ميدان الاستنباط والاستخراج.

وأمّا الذي يجعلُ المعلومَ مجهولاً، والمرئيَ مستوراً، والمسموعَ غيرَ مسموع بسبب داءٍ خفي، يعرف الأقوال بالرجال، ولا يعرف الرجال بالأقوال، فليس خطابنا إليه، ولا بحثنا فيه.

[والآن] نختم المقصد الأول من الفصل الخامس بتنبيهاتٍ لا بدّ منها:

تنبيهات هامَّة:

التنبيه الأول: إنَّ السبب الحقيقي في تغيّر أحوال العالم، واختلاف

(١) فتنة الحَرّة سنة ٦٤هـ وما وقع في المدينة من أهوال على يد جيش يزيد.

الزمان السابق واللاحق إنَّما هو بإرادة الله تعالى الذي خلقَ كلَّ طبقة على صفة مخصوصة، وأجرى في كلِّ زمانٍ حكماً، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن]، وتفصيل هذا الإجمال هو أنَّ الله ﷻ وقد بسط سلسلةَ الكونِ في أزل الآزال عند العناية الأولى، ووضع في كلِّ مقام وضعاً خاصاً، ووصفاً خاصاً، لا يقع فيه تغيير ولا تبديل أصلاً، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق].

• وعدم التشريع عبارة عن شيوع الظلم بين أفراد البشر بوجه يختلّ به نظام العالم، وتشيع الأعمالُ السيئةُ، والأخلاق الرذيلةُ بينهم، بوجهٍ لو ماتوا على ذلك لعُذّبوا كلّهم إلَّا ما شاء الله، وصار الناس يعبدون غيرَ اللهِ، حتَّى جاءت التشريعات الإلـٰهية من مدبِّر السماوات والأرض رحمةً بهم، ويلقي في قلب أزكى خلق الله وأعدلهم داعيةَ الإرشادِ والإصلاح، ويضعُ شرائع وقوانين تكون سبباً لهدايتهم.

بالجملة: فإنَّ حكمَ هذه العناية الإلـٰهية الموزّعة لكلِّ زمان ومكان هو الغالب على حكم التشريع.

فإذا أرادَ إصلاحَ العالم ببعثةِ نبيٍّ أو نصبِ خليفةٍ راشدٍ يؤخّر ذلك إلى الزمان الذي هو أليق وأنسب للبعث والنَّصْب، ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [الرعد].

وإذا أرادَ معاقبةَ الكفّار، فليس أنه يعاقبهم بدون تراخٍ، بل ينتظر الأجل الموعود لذلك، (مهلتي بإيست تاخون شير شد) [لا بدَّ مِنْ مرورِ زمنٍ طويلٍ لصيرورة الدم لبناً].

• ثم إنَّ العقوبة على أقسامٍ حسبَ قوانين العناية الموزعة في كل زمانٍ، وإذا توخَّى تشريعَ قانونٍ من قوانين العناية الأولى ليكونَ سببَ العدل بين أفراد بني آدم نظرَ إلى جبلّتهم والأمورَ التي قدرها الله لهم في

ذلك الزمان في العناية الأولى، ثم يُعنى بإصلاحِ الهيئةِ الفاسدةِ من حيث لا يخرجُ عن العناية الأولى.

والحاصل: أنَّ تغيّرات العالم، وبعثَ الأنبياء، ونصب الخلفاء الراشدين، وتسليط الملوك الجبابرة، كلَّ ذلك من تدبير هذه العناية الإلٰهية، التي لها علاقة بكل زمان، وهي موزعةٌ عبر القرون والطبقات، والتشريعُ ـ أي: الكفاية الأولى ـ لا يبطلُ هذه الحكمة، ولا يخرم هذا النظام، اللَّهُمَّ إلا إذا جاء زمانُ بعثةِ النبيِّ فيجعلُ تدبير الله النَّبِيَّ جارحةً لفيوضه، وإذا جاء وقت نصب الخليفة الراشد يتخذه تدبير الله تعالى جارحةً له في إتمام مواعيد النبي ﷺ، ويعيِّن في كلِّ زمان شريعةً توافق مصلحةَ ذلك الزمان، ولذلك بيّن النبيُّ ﷺ شريعة زمانه، وأشار إلى أحكام أيام الفتن أيضاً، وهذه المسألة دقيقة في غاية الدقة، إن ألقاها الله ﷻ في قلبِ عبدٍ من عباده يَحُلُّ بها كثيراً من المشكلات والمعضلات، وإلا تتعقّد من حيث يتعسّر حلّها للغاية.

والوضع الذي يتوقّف عليه تدبير هذا التغير في الظاهر إنَّما هو فقد الخليفة الراشد، إذ إنّه ﷻ يعلّم الخليفةُ سرّ تقلبات الزمان، ومعنى التغيّر وأسبابه، والعلاج الذي يغيَّر بها الرسوم والأوضاع، والحِمْية التي تَحْدُث بتركها أمراضٌ كثيرةٌ في الزمان، ويبسط يده في التصرّف، حتَّى يصلح لرئاسة العالم.

وكما أنَّ الطبيبَ الحاذق يقوم بتدبير صحّة المريض، وإزالة موادّ مرضه، ويوصيه بالحِمْيَةِ، كذلك الخليفة الراشد، يقوم بجلب صحة طبيعة العالم، وإزالة مرضه، والإرشاد إلى الحِمْيةِ له، وكل ذلك يتبيّن من كلام الخليفة الراشد وإشاراته، وكلُّ إناءٍ بالذي فيه يَنْضَحُ. ولا يستطيعُ رجلٌ

غير الخليفة ولو كان ولياً من أولياء الله أن يبيّن هذه التدبيرات، ولو بين لا يستطيعُ أن يتصرّف في خلق الله وفق قوله:

هر كسے را بهر كارے ساختند ميـل أو انـدر دلـش انـداختـنـد

إنَّ الله خلقَ كلَّ واحدٍ لعملٍ يُلْقِي في قلبه الرغبةَ إليه.

والعارف بهذا الرمز يدرك بكلام المرء وحركاته وسكناته مصادر هذه الأشياء كلها، والجاهلُ يخلطُ علماً بعلمٍ آخر، ورمزاً برمز آخر، ومنصباً بمنصب آخر.

ثم إنَّ الأخلاق الشهوانية والسبعية ـ مثل الغضب وغيره ـ الموجودة في النفوس غير المعتدلة، وكثرة المال تُخْرِجُ هذه الرذائل من القوة إلى الفعل بحكم: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق]، أو لإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه، وإن كانت حقيقةُ طلب المشورة في خاطره موجودةً مزينةً.

ويسمّى الجنس الأول: «فتنة المال»، **والجنس الثاني**: «هوى النفس»، وقد أنذر النبيُّ ﷺ في كثير من الأحاديث عن هذين الجنسين:

• أخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَتَى نَتْرُكُ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: «**إِذَا ظَهَرَ فِيكُمْ مَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا ظَهَرَ فِي الْأُمَمِ قَبْلَنَا؟ قَالَ: «**الْمُلْكُ فِي صِغَارِكُمْ، وَالْفَاحِشَةُ فِي كِبَارِكُمْ، وَالْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ**»، قَالَ زَيْدٌ: تَفْسِيرُ مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَ[الْعِلْمُ فِي رُذَالَتِكُمْ إِذَا كَانَ] الْعِلْمُ فِي الْفُسَّاقِ**»(١).

• وأخرج **الدارمي** عن حيّة بنت أبي حيّة عن **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٥).

في قصة طويلةٍ، قَالَتْ: فَذَكَرْتُ غَزْوَنَا خَثْعَماً، وَغَزْوَةَ بَعْضِنَا بَعْضاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الأُلْفَةِ وَأَطْنَابِ الْفَسَاطِيطِ، [وَشَبَّكَ ابْنُ عَوْنٍ أَصَابِعَهُ، وَوَصَفَهُ لَنَا مُعَاذٌ، وَشَبَّكَ أَحْمَدُ] فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ! حَتَّى مَتَى تَرَى أَمْرَ النَّاسِ هَذَا؟ قَالَ: مَا اسْتَقَامَتِ الأَئِمَّةُ، قُلْتُ: مَا الأَئِمَّةُ؟ قَالَ: أَمَا رَأَيْتِ السَّيِّدَ يَكُونُ فِي الْحِوَاءِ فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَمَا اسْتَقَامَ أُولَئِكَ(١).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عِيَاضِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّهُ سَمِعَ **أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ** يَقُولُ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَطَبَ النَّاسَ، فَقَالَ: «**لَا وَاللهِ، مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ! إِلَّا مَا يُخْرِجُ اللهُ لَكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصمتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: وَهَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ أَوَ خَيْرٌ هُوَ، إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ، وَبَالَتْ، ثُمَّ اجْتَرَّتْ، فَعَادَتْ، فَأَكَلَتْ، فَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِحَقِّهِ يُبَارَكْ لَهُ، وَمَنْ يَأْخُذْ مَالاً بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ**»(٢).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو** بْنِ الْعَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟**» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللهُ، قَالَ

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٨١) برقم: (٢١٠).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» (ح: ٣٩٩٥)، وأخرجه أيضاً مسلم (ح: ١٠٥٢) واللفظ له.

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَى رِقَابِ بَعْضٍ**»(١).

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ عَنْ **عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ** ـ وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ [أَنَّكُم] سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ**»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**أَبْشِرُوا، وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ، أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا [عَلَيْكُمْ] كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»(٢).

• وفي «مشكاة المصابيح»: «**وإنَّه سيخرجُ في أُمَّتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ بصاحبِهِ، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مِفْصَلٌ إلا دخله**»(٣).

والتنبيه الثاني: لا تظنّوا أنَّ جميع الناس يكونون أشراراً في زمان

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٦).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٩٧).
(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٧).

الشرور والفتن، ولا تعمل العنايةُ الإلـٰهية في تهذيب النفوس شيئاً، بل هنا أسرار عجيبة.

عيب مي جملة بگفتني هنرش نيز بگو　　نفي حكمت مكن از بهر دل عامي چند

إنَّكَ قد ذكرتَ عيوبه جميعاً، فاذكر حسناته أيضاً، ولا تنفي الحكمة بسبب بعض قلوب الناس.

إنَّ الله تعالى يجعل طائفةً في كلِّ زمان مهبط الأنوار والبركات.

• أخرج **مسلم** برواية جماعة: **«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ»**[١].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**[٣].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عَبْدِ اللهِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيباً، وَسَيَعُودُ غَرِيباً، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»**، قَالَ: قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: **«النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»**[٤].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** رضي الله عنه أَنَّهُ خَرَجَ يَوْماً إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ قَاعِداً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ يَبْكِي،

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).
(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٦).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٧).
(٤) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٨).

فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **«إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَإِنَّ مَنْ عَادَى لِلَّهِ وَلِيّاً فَقَدْ بَارَزَ اللهَ بِالْمُحَارَبَةِ، إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لم يُدْعَوْا وَلم يُعْرَفُوا، قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ»**[١].

ومهما قلَّ وندر في هذا الزمان ـ أي: زمن الفتنة ـ أمثالُ هؤلاء الرجال، ولكنّهم خيرٌ من كثير ممّن كانوا في غابر الزمان ببعض الوجوه.

• أخرج **الترمذي وابن ماجه** وغيرهما عن **أبي ثعلبة الخُشني** في حديث طويل آخره: **«فَإِنَّ [مِنْ] وَرَائِكُمْ أَيَّاماً، الصَّبْرُ فِيهِنَّ**[٢] **مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ**[٣]**، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ [مِثْلُ] أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلاً يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ»**، قِيلَ[٤]: يَا رَسُولَ اللهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ [مِنَّا أَوْ] مِنْهُمْ؟ قَالَ: **«بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ»**[٥].

• وفي «مشكاة المصابيح» عن **حذيفة** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«تُعْرَضُ الفِتْنُ على القلوبِ كالحصيرِ عُوْداً عُوْداً، فأيُّ قلبٍ أُشربها نُكِتَتْ فيه نكتةٌ سوداءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرها نُكتتْ فيه نكتةٌ بيضاءُ حتَّى يصيرَ**[٦] **على قلبينِ: أبيضَ بمثل الصفا، فلا تضرّه فتنةٌ ما دامت**

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٣٩٨٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «أيام الصبر فمن صبر فيهنّ».
(٣) في الأصل الفارسي: «كان كمن قبض على الجمر».
(٤) في الأصل الفارسي: «قالوا».
(٥) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٥٨)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠١٤).
(٦) وفي الأصل الفارسي «تصير».

السماواتُ والأرضُ، والآخر أسودَ مِرْبَادّاً كالكوزِ مَجْخِيّاً[١]**، لا يعرِفُ معروفاً، ولا ينكِرُ منكراً، إلا ما أُشرِبَ مِنْ هواه»**، أخرجه مسلم[٢].

خمس طبقات للأمة:

ثم وزَّع النبيُّ ﷺ هؤلاء الغرباء ـ أي: غرباء أهل الإسلام ـ الذين هُمْ أقلُّ قليل في كلِّ طبقة على خمسة طبقات، وبيّن ما لكلِّ طبقة من مزيةً، ومعنى هذا الكلام دقيقٌ جدّاً.

• أخرج **ابن ماجه** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«أُمَّتِي عَلَى خَمْسِ طَبَقَاتٍ، فَأَرْبَعُونَ سَنَةً أَهْلُ بِرٍّ وَتَقْوَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى عِشْرِينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ أَهْلُ تَرَاحُمٍ وَتَوَاصُلٍ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ إِلَى سِتِّينَ وَمِئَةِ سَنَةٍ أَهْلُ تَدَابُرٍ وَتَقَاطُعٍ، ثُمَّ الْهَرْجُ الْهَرْجُ، النَّجَا النَّجَا»**[٣].

• وفي رواية عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أمّتي على خمس طبقات، كلُّ طبقةٍ أربعون عاماً، فأمَّا طبقتي وطبقة أصحابي فأهلُ علم وإيمانٍ، وأمَّا الطّبقةُ الثّانيةُ ما بَيْنَ الأربعين إلى الثّمانين فأهلُ برٍّ وتقوى»**، ثم ذكر نحوه[٤].

• **تفصيل هذا الإجمال**: أنَّ طائفةً لا تزالُ قائمةً بالسُّنَّة السنية في كلِّ زمانٍ كانت قليلة، ثم إنَّ هؤلاء القائمين على الحقِّ ليسوا على صفة واحدة، بل يختلف وجه القرب في كلِّ طبقة، وتظهر صورةُ القيام بالسُّنَّة السنية بوجه مختلف، فالطبقة الأولى تمتدُّ إلى أربعين سنة من هجرة

---

(١) أي: مائلاً منكوساً.

(٢) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٦٨) برقم: (٥٣٨٠).

(٣) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٥٨).

(٤) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٥٨).

النبيِّ ﷺ إلى وفاة علي المرتضى رضي الله عنه، وكان وجه القرب من الله في هذه الطبقة الإيمان والعلم؛ أي: قوة تصديق الشرائع، والعناية التامة بحفظ المسموعات والمرويات عن النبي ﷺ، ويعرف أنَّه غنيمةٌ كبرى، وينقطع عمَّا سواه، ويتوجه توجهاً تامّاً.

والأصل في هذا الوجه أنَّ العالم كان مليئاً بالكفر والجاهلية قبل مبعثِ النبيِّ ﷺ ـ وقد استولت على الناسِ الأوضاعُ الفاسدة في الظاهر والباطن، وشغفت الهيئات الدنيئة الخسيسة قلوبَ الناسِ ـ فألقى مدبر السماوات والأرض في قلب النبي ﷺ داعيةَ هدايةِ الناس، وأفاض على قلبه علوماً تمكَّن بها من هداية الناس، وانطبعت هذه الداعيةُ في قلب كل مَنْ كان على فطرة سليمة بفضل صحبة النبي ﷺ، وانعكس ذلك العلم في عقله.

وهذه الجماعةُ القائمة على الفطرة السليمة كانت على منازل شتَّى:

- **فمنها** طائفةٌ جبلت على استعداد يُشبه استعداد الأنبياء، وأودع الله في أصل طبيعتهم مثال أسوةِ النبوّة، وصار هؤلاء طليعة الأمة ـ مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، وتلقَّوا هذه الداعية والعلوم بشهادة قلوبهم، وحصل لهم حظ وافر من التحقيق.

- **ومنها** طائفة ملكت استعدادَ التقليد بكامله، فقبلوا انعكاس هذه الداعية، وانعكاس تلك العلوم، ونالوا حظّاً من السعادة، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: ٩٥].

- وأمَّا مَنْ بَعُدَ عن تلقي هذه العلوم وانطباع هذه الداعية فقد حُرِمَ من الرحمة الكاملة.

والحاصل: أن الأعمال والأخلاق في الطبقة الأولى مقصودةٌ بالتبع وملحوظةٌ بالعرض، والمقصود الأصلي العلم.

• وفي **الطبقة الثانية** وجه القرب إنَّما هو عمل بالشرائع الإسلامية من الفرائض والنوافل، والاجتناب للمحرّمات والمكروهات، وانقطعت قلوبهم إلى هذه الأعمال [وعزفوا] عن كلِّ شيء، فانشقّ من هذه الأعمال نورٌ استولى على قلوبهم، وأحاط بها، وكانوا على هذا النور ما داموا على قيد الحياة، وماتوا عليه، وهم أهل البرّ والتقوى.

• وفي **الطبقة الثالثة** ظهرت أعمالُ الخير على سبيل العادة والرياء، وجعل الخاصة والعامة يقومون بأداء صور الأعمال وما بقي الفرق بين المحقّ والمبطل باعتبار صورة الأعمال:

وأمَّا مَنْ كان مجبولاً على حُسن الخلق، ولين الجانب، وتزكية النفس، فنوّره نورُ هذه الأعمال، وهذَّب نفسه.

وأمَّا مَنْ لم يكن متّصفاً بهذه الخصال، لم يبلغ به ظاهرُ أعماله إلى مكان القرب، إذ إنَّ أعماله ما صدرت بنيةٍ قويةٍ صالحةٍ، ولم يرجع نورُ هذه الأعمال إلى قلوبهم، ومن كانوا على هذه الصفة ما استطاعوا دفع موانع وحواجز قبول الأعمال عن أنفسهم خلافاً للطبقة المتقدمة، إذ إنَّ التساهلَ في النيّة لم يكن من عادتهم، والرياءُ في الأعمالِ لم يكن من ديدنهم، وهم أهل التواصل والتراحم.

• وفي **الطبقة الرابعة** ظهرت الأوضاع الفاسدة، والنيَّات الكاسدة كثيراً، ولم يحصل لهم نور في الأعمال من دون الاعتكاف والخلوة والانقطاع عن القبائل والعشائر وصحبة الخلق، ومَنْ حصلَ له النورُ في هذه الطبقة لم يحصل له بدون العزلة، وترك صحبة الخلق من أهل التدابر والتقاطع.

• وفي **الطبقة الخامسة** شاء الله أن ينظرَ ﷺ إلى ملكات النفس التي تحصل بواسطة الأعمال والأذكار، وتتمكَّن في لطيفة العقل والنفس

والقلب، وهم أهل المقامات والأحوال، وهكذا كلٌّ وصفٍ ممَّا هو مدار النظر الإلـٰهي يختلف في كلِّ طبقة، والكلامُ في هذا يطول، ولنقتصر هاهنا على تفسير الطبقات الخمس.

وعلم من هذا المبحث معرفة مراتب عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وأمثالهم رضي الله عنهم أجمعين، ومراتب سعيد بن المسيب، والفقهاء السبعة، ومَنْ عاصرهم من أئمة الإسلام، وما هو الفرق بين مراتبهم.

والتنبيه الثالث: ينبغي أنَّ يعلم أن معاوية بن أبي سفيان[١] ﵁ فرد من أصحاب النبي ﷺ، وصاحبُ الفضيلة الجليلة، في زمرة الصحابة ﵃، فلا تسيئنَّ الظنَّ به، ولا تقعنَّ في سبّه، حتَّى لا ترتكب الحرام.

• أخرج **أبو داود** عَنْ **أَبِي سَعِيدٍ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[٢].

• وأخرج **أبو داود** عَنْ **أَبِي بَكْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنْ أُمَّتِي**»، وَقَالَ فِي حَدِيثِ حَمَّادٍ: «**وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَظِيمَتَيْنِ**»[٣].

• وأخرج **الترمذي** من حديث **عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُمَيْرَةَ**، وَكَانَ

---

(١) أن معاوية ﵁ كان كاتب وحي.
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٥٨).
(٣) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٦٢).

مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِمُعَاوِيَةَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيّاً، وَاهْدِ بِهِ**»(١).

• وأخرج **ابن سعد وابن عساكر** عن **سلمة بن مخلد** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ، ومكِّن له في البلادِ، وقِهِ العذابَ**»(٢).

• وأخرج **الترمذي** من حديث **عمير بن سعيد** [قال:] سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ بِهِ**»(٣).

والعقل يقتضي ذلك أيضاً ـ أي: أن النبيَّ ﷺ دعا له ـ إذ إنه قد ثبت من طرق كثيرة أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعرفُ أنه يتولَّى الخلافة في وقت من الأوقات، وكان النبيُّ ﷺ أرحمَ بأمته، كما قال الله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة]، فاقتضت رأفته الكاملة بأمته أن يدعوَ لخليفة أمته بالهداية والاهتداء.

• أخرج **الديلمي** عن **الحسن بن علي** قال: سمعتُ علياً يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتَّى يملِكَ معاويةُ**»(٤).

• وأخرج **الآجري** في «كتاب الشريعة» عن **عبد الملك بن عمير** قال: قال معاوية رضي الله عنه: ما زلتُ في طمع من الخلافةِ منذ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يا معاويةُ! إنْ ملكتَ فَأَحْسِنْ**»(٥).

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٤٢).

(٢) انظر: «الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١/ ٣٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٧٨).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» رقم: (٣٨٤٣).

(٤) انظر: «الفردوس»، للديلمي (٥/ ٢١٩) برقم: (٧٦٦١).

(٥) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٨٠).

وقد صحَّ من حديث أمّ حرام أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أوّلُ جيشٍ من أمتي يغزونَ البحرَ قد أوجبوا**».

وكان أول من غزا في البحر معاوية في زمن عثمان بن عفان[(١)]، وكانت أمُّ حرامٍ في جيشه، وماتت بعد ما خرجت من البحر.

• وقد استفاضَ أن النبيَّ ﷺ استكتبه، وهو لا يستكتِبُ إلّا عدلاً أميناً، وقد روى الآجريُّ من طرق متعددة أنَّ ذلك كان بإشارةٍ من جبرئيل عليه السلام[(٢)].

• وكان معاوية بن أبي سفيان يقول: لستُ بخليفةٍ، ولكنِّي أوّلُ ملوك الإسلام، وستجرِّبون الملوك بعدي.

• وكان عنده بعض الشعرات الشريفة للنبيِّ ﷺ، وأوصى عند وفاته بوضعها في مناخره.

وكان يعرفُ بعضَ مقاصد الخلافة الخاصة، لكنَّه ما استطاعَ إمضاءها.

• أخرج **أحمد** عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصبِيِّ** قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يُحَدِّثُ وَهُوَ يَقُولُ: «إِيَّاكُمْ وَأَحَادِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا حَدِيثاً كَانَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه كَانَ أَخَافَ النَّاسَ فِي اللهِ عز وجل»[(٣)].

والتنبيه الرابع: أن تغيّر الأوضاع إلى أوضاع أخرى على عدة أقسام، ولكلِّ قسم منها حكمٌ خاص، وبعضها ممّا لا خيار للبشر فيه، مثل القحط والزلازل، وكثرة النساء، وقلّة الرجال، وكثرة الأشرار

---

(١) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٣٢).

(٢) انظر: «الشريعة»، للآجري (٥/ ١٤٧).

(٣) انظر: «مسند أحمد» (٤/ ٩٩) برقم: (١٦٩٥٦).

خبيثي النفس، وقلة الأخيار معتدلي الأخلاق وذوي الرأي.

• أخرج **الشيخان** من حديث **ابْنِ عُمَرَ** رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا النَّاسُ كَالْإِبِلِ الْمِائَةِ، لَا تَكَادُ تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً**»[١].

وحكم هذا القسم أنَّ التكليف حسب الطاقة، والمؤاخذة في الآخرة منوطةٌ باختيار الإنسان، فلا مؤاخذة في مثل هذه التغيّرات.

ومن هذه التغيرات: الإنسان قاصر في البلوغ إلى كمال المطلوب وإن كان خارجاً عن اختياره، وبعضها يكون باختيار الإنسان، وهي على ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يرتكب الناسُ أمراً منهياً عنه، مثل شرب الخمر، وكثرة الزنا، وترك الفرائض مثل الصلاة، ولا شكَّ أنهم **يؤاخذون**.

والثاني: أن يلتزمَ الناسُ أمراً مستحباً، مثل التزام السنن المؤكّدة، أو يلتزمون صورةً وهيئةً خاصّة من الأمور الممدوحة، ويتمسكوا بها، ويعضّوا عليها بالنواجذ، ويقولون: إنَّ هذا القسم «بدعة حسنة» مثل اختراع الوظائف والأوراد، ويترتب الثوابُ على هذا القسم، غير أنَّ اعتقاد التأكّد باطلٌ، ومدار الثواب إنَّما هو على القدر الذي عرف بالشرع، وتلك الصورة والهيئة مباحة من دون أن تستحقّ المدح والذمّ، ويحتمل أن تترتب على هذا الالتزام مفاسدُ في المستقبل، ويتصوره الناس بتلك الهيئة سنةً، ويلزم منه تحريفُ الشريعة الحقّة، لكنّ هذا الشخص لا يشعر أنها من المفاسد، وهذا خطأ منه.

والثالث: أن يكلِّف كلّ فريق نفسَه بمباحٍ قد اختاره شعاراً له، وهكذا تجد ظهور رسم ووضع في كلِّ زمان، وفي هذه الحالة تبقى هذه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٤٥٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٥٤٧).

الأمور المروجة على إباحتها، ولا يترتّب عليها لوم ولا مدح إلا بالعرض، وذلك بظهور التعصب فيما بين الناس، وترجيح وضعهم على وضع الآخرين، أو يعتقده القرن التالي سنةً، ويقعوا في التحريف.

• ثم اعلم أنَّ قبحَ الأشياء القبيحة قد يثبتُ بنصٍّ كتاب الله، أو الأحاديث النبوية المشهورة، أو القياس الجلي، أو إجماع الأمة المرحومة، ولا سيَّما إجماع أيام الخلافة الخاصة التي هي من بقايا بركات النبوة، على صاحبها ألف ألف تحية وسلام، وهذه الأربعة هي البراهين الساطعة التي يَصْدُقُ عليها «وعندكم من الله برهان»، ولا يعذر الرجل في هذه الصور بجهل هذه الأصول.

• أمَّا الاستدلال بشبهةٍ واهيةٍ، أو تقليدِ عالمٍ على خلاف ذلك، فغير مسموعٍ، ولا ينجحُ مخالفُها عند الله، وقد يثبتُ قبح هذه الأفعال بخبر الواحد الصحيح غير المعارض، ويعذر الرجل بسبب جهله، حتَّى يبلغه الحديث، وينجلي الخفاءُ عن وجه الحقيقة، فلمّا انكشفَ الحجاب وتبيّن الأمرُ ما بقي مجالُ «للقيل والقال»، وقد يثبت قبحها بالأدلة الظنية المتعارضة، فيجري هنا اختلاف السلف «المجتهدان مصيبان، أو المصيب واحد والآخر مخطئ معذور».

إذا علمتَ هذه المقدمات لا ينبغي لك في مبحث تغيّر الأوضاع والرسوم، وفي اختلاف الأمة ممَّا ظهر في هذه الأيام أن تسوق جميعها بعصاً واحدة، وأن تنزلها بمنزلة واحدة.

هر سخن وقتے وهر نكته مكانے دارد

أن تنزل جميع أقسام الاختلاف بمنزلة واحدة، بل في بعض الاختلافات يكون الحقُّ في جانبٍ، والخطأ في جانبٍ آخر، وفي بعضٍ يكونُ الحقُّ بينهما.

المقصد الثاني من الفصل الخامس

[في بيان التغيّرات الكلية التي وقعت في هذه الأمة، غير التي بيّناها في المقصد الأول]

وهذا المبحث طويلُ الذيلِ، وليس المقصودُ استيعابه في هذا المكان، ومقصودُنا في هذا الفصل إنَّما هو شرح بعض الأحاديث النبوية المتعلّقة بمبحثنا هذا، مثل حديث «القرون الثلاثة»، وحديث «فإن يقم لهم دينهم يقم سبعين سنةً»، وحديث «اثنا عشر خليفة»، وحديث «خمس مئة سنة».

التغيّر الأول: وفاة النبي ﷺ

وأوّل تغيّر وقع في هذه الأمة إنَّما هو انتقال النبي ﷺ من الدار الفانية إلى الرفيق الأعلى، وأيُّ حادثةٍ أفجعُ منه؟ وأيُّ تغيّر أخطر منه؟ إذ إنَّ الوحي قد انقطع به، وانقطعت سلسلة نزول البركات السماوية المتتابعة المتعلقة بالنبوة.

• فقد أخرج **الدارمي** عن **عكرمة** في آخر حديث طويل في وفاة النبي ﷺ: وَجَعَلَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَبْكِي، فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ أَيْمَنَ! تَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا أَبْكِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إلا أن أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلكني أَبْكِي عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ انْقَطَعَ[1].

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٢) برقم: (٨٣).

• وأخرج **الدارمي** عَنْ **أَنَسٍ**، وَذَكَرَ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: شَهِدْتُهُ يَوْمَ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ كَانَ أَحْسَنَ وَلَا أَضْوَأَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَشَهِدْتُهُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلَا أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُول اللهِ ﷺ[(١)].

• وأخرج **الترمذي** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا أَيْدِينَا من التراب وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا[(٢)].

• وأخرج **الدارمي** عن **مَكْحُولٍ** أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ**»[(٣)].

والتغيّر الثاني: وفاة عمر الفاروق رضي الله عنه

وقد ورد في أحاديث كثيرة بأنّ عمر «غَلَقُ بابِ الفتنة»، ومنها: حديث **حذيفة**: «ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين» وقد أوردناه مراراً.

وسيرة الشيخين متقاربةٌ، ومناقبهما متساويةٌ، وسوابقهما متوافقةٌ، والغزوات التي وقعت في عهدهما متشابهةٌ.

أما الخطبة الأولى فقد وضعها أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وإتمامها ظهر على يد الفاروق رضي الله عنه، وكان المسلمون في عصرهما مؤتلفون

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٤) برقم: (٨٨).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦١٨)، و«الشمائل» رقم: (٣٨٥).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٣) برقم: (٨٤).

متراحمون، رحمآء بينهم، أشدَّاء على الكفار، متوافقون في الجهاد، ولم يكن الخلاف فيما بينهم، ويحبّ الجنودُ والرعايا الخليفةَ أكثر ممّا يحبون أنفسهم، وكان الخليفة أباً رحيماً، لطيفاً برعيته وعسكره، ورؤوس الجيوش وأمراء الأمصارِ كلّهم أهلُ السوابق من المهاجرين الأولين والأنصار.

• وقد أخرج **الترمذي** في «كتاب الشمائل» عن **عتبة بن غزوان** في حديث طويل، آخره: فقال عتبة بن غزوان: «لقد رأيتَني وإنِّي لسابعُ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ، ما لنا طعامٌ إلّا ورق الشجر، حتَّى تقرّحت أشداقنا، فالتقطت بردةً قسمتها بيني وبين سعد، فما منّا من أولئك السبعةِ أحدٌ إلا وهو أميرُ مصرٍ من الأمصار، وستجرِّبون الأمراءَ بعدنا»[(١)].

• وهما في عهد النبي ﷺ بمنزلة الوزيرين والمشيرين له ﷺ، وتقع مشورتهما في الأمور الجسام، والتدابير الكلّية من الملّة والدولة موقع القبول.

• وكان الفاروق رضي الله عنه في خلافة الصدِّيق رضي الله عنه بمنزلة الوزير والمشير وناصر الخلافة وظهيرها ومعينها.

• ولما جاءت نوبته أنجزَ مآثر وجلائل الأمور، وظهرَ تأييدُ الدين من وجوه كثيرة لم تقدَّر لغيره.

• ولأجل هذا التقارب من السوابق والسير وتحمّل أعباء المشاورة للملك والملّة وما قدِّر لهما في الغيب من الفتح وتبليغ الدين جمعَ النبيُّ ﷺ ـ في كثير من الأحاديث ـ ذكر أحدهما مقروناً بذكر الآخر مثل الصنوين والفرقدين:

(١) انظر: «الشمائل المحمدية»، للترمذي (١/ ٤١٩) رقم: (٣٦٨).

• قال رسول الله ﷺ في قصة «تكلّم البقرة» وفي «قصة الذئب»: **«أؤمنُ به أنا وأبو بكر وعمر»**.

• قال علي: كثيراً ما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: **«كنتُ أنا وأبو بكرٍ وعمرُ، وفعلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر»**.

• وقال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أهلَ الجنّةِ ليتراؤون أهلَ عليينَ كما ترون الكوكبَ الدريَّ في أُفق السماءِ، وإن أبا بكر وعمرَ منهم وأنعما»**.

وقال ﷺ: **«أبو بكر وعمر سيدا كهولِ أهلِ الجنّة من الأولين والآخرين، إلا النبيين والمرسلين»**.

• وقال: **«إنِّي لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللذين مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعمرَ»**.

• وقال **أنس**: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد لم يرفع أحدٌ رأسَه غير أبي بكر وعمر، وكانا يتبسّمان إليه، ويتبسّم إليهما.

• وخرج ﷺ ذاتَ يومٍ، ودخل المسجدَ وأبو بكر وعمر، أحدُهما عن يمينه، والآخرُ عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما وقال: **«هكذا نُبْعَثُ يومَ القيامةِ»**.

• وقال ﷺ: **«لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما»**.

• وقال: **«هذان السمعُ والبصرُ»**.

• وقال: **«أما وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريلُ وميكائيلُ، وأمّا وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمر»**.

• وقال: **«الحمدُ للهِ الذي أيّدني بهما»**.

• ورأى رسول الله ﷺ في **رؤيا القليب** شأنهما، ورئي

رجحانُهما في **رؤيا الرجحان في الوزن**، فعبر النبي ﷺ بالخلافة.

• وأخبر أنّ حسنات عمر كعدد نجوم السماء ثم قال: «**جميعُ حسناتِ عمرَ كحسنةٍ واحدةٍ من حسناتِ أبي بكر**».

• وفي حديث: «**ألا أستحيي ممّن تستحيي منه الملائكةُ**»، في منقبة عثمان.

• وإن رسول الله ﷺ عامل الصدِّيق والفاروق معاملة واحدة.

• وفي حديث **أبي موسى**: أنه بشَّرهما بشارةَ واحدةً، بخلاف عثمان.

• ثم هما ضجيعاه ﷺ، وقال **عليُّ بن الحسين**: «منزلتُهما في حياته منه منزلتُهما في مماته»[1]، إلى أحاديث كثيرة على هذا الأسلوب.

والواقع أنَّ كليهما كانا في قرن واحد، وانقرض القرن الثاني[2] بوفاتهما.

وينبغي هنا أن نكتب خطبة عبد الله بن الأهتم خطيب الشام، التي تنطق فيها فصاحته بكلّ جلالها وعظمتها.

• أخرج **الدارمي** من حديث **خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ** قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الأَهْتَمِ عَلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ الْعَامَّةِ، فَلَمْ يُفْجَأْ عُمَرُ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَكَلَّمُ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً لِمَعْصِيَتِهِمْ، وَالنَّاسُ يَوْمَئِذٍ فِي الْمَنَازِلِ وَالرَّأْيِ مُخْتَلِفُونَ.

فَالْعَرَبُ بِشَرِّ تِلْكَ الْمَنَازِلِ: أَهْلُ الْحَجَرِ وَأَهْلُ الْوَبَرِ، يُحْتَازُ دُونَهُمْ

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٦/ ٥٣٥).

(٢) قد مضى تنقيح معنى القرن في حديث القرون الثلاثة.

طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا وَرَخَاءُ عَيْشِهَا، لَا يَسْأَلُونَ اللهَ جَمَاعَةً، وَلَا يَتْلُونَ [لَهُ] كِتَاباً، مَيِّتُهُمْ فِي النَّارِ، وَحَيُّهُمْ أَعْمَى نَجِسٌ، مَعَ مَا لَا يُحْصَى مِنَ الْمَرْغُوبِ عَنْهُ وَالْمَزْهُودِ فِيهِ.

فَلَمَّا أَرَادَ اللهُ أَنْ يَنْشُرَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وسلم[1]]، وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَلَمْ يَمْنَعْهُمْ ذَلِكَ أَنْ جَرَحُوهُ فِي جِسْمِهِ، وَلَقَّبُوهُ فِي اسْمِهِ[2]، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنَ اللهِ [نَاطِقٌ]، لَا يُقَدَّمُ إِلَّا بِأَمْرِهِ[3]، وَلَا يُرْحَلُ[4] إِلَّا بِإِذْنِهِ.

فَلَمَّا أُمِرَ بِالْعَزْمَةِ، وَحُمِلَ عَلَى الْجِهَادِ، انْبَسَطَ لأَمْرِ اللهِ لَوْثُهُ، فَأَفْلَجَ اللهُ حُجَّتَهُ، وَأَجَازَ كَلِمَتَهُ، وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً.

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ **أَبُو بَكْرٍ** فَسَلَكَ سُنَّتَهُ، وَأَخَذَ سَبِيلَهُ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ أَوْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا الَّذِي كَانَ قَابِلاً، انْتَزَعَ السُّيُوفَ مِنْ أَغْمَادِهَا، وَأَوْقَدَ النِّيرَانَ فِي شُعُلِهَا، ثُمَّ نكَّبَ بِأَهْلِ الْحَقِّ أَهْلَ الْبَاطِلِ، فَلَمْ يَبْرَحْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَهُمْ، وَيَسْقِي الأَرْضَ دِمَاءَهُمْ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ فِي الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، وَقَرَّرَهُمْ بِالَّذِي نَفَرُوا عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللهِ بَكْراً يَرْتَوِي عَلَيْهِ، وَحَبَشِيَّةً أَرْضَعَتْ وَلَداً لَهُ، فَرَأَى ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِ غُصَّةً فِي حَلْقِهِ، فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبِهِ.

---

(١) زاد في الأصل الفارسي.

(٢) في الأصل الفارسي: «ونقبوا في رسمه».

(٣) في الأصل الفارسي: «بإذنه».

(٤) في الأصل الفارسي: «ولا يؤخر».

ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ، فَمَصَّرَ الأَمْصَارَ، وَخَلَطَ الشِّدَّةَ بِاللِّينِ، وَحَسَرَ عَنْ ذِرَاعَيْهِ، وَشَمَّرَ عَنْ سَاقَيْهِ، وَأَعَدَّ لِلأُمُورِ أَقْرَانَهَا، وَلِلْحَرْبِ آلَتَهَا، فَلَمَّا أَصَابَهُ قَيْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ أَمَرَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَسْأَلُ النَّاسَ هَلْ يُثْبِتُونَ قَاتِلَهُ؟ فَلَمَّا قِيلَ: قَيْنُ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، اسْتَهَلَّ يَحْمَدُ رَبَّهُ أَنْ لَا يَكُونَ أَصَابَهُ ذُو حَقٍّ فِي الْفَيْءِ، فَيَحْتَجَّ عَلَيْهِ، بِأَنَّهُ إِنَّمَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ حَقِّهِ، وَقَدْ كَانَ أَصَابَ مِنْ مَالِ اللهِ بِضْعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً، فَكَسَرَ لَهَا رِبَاعَهُ، وَكَرِهَ بِهَا كَفَالَةَ أَوْلَادِهِ، فَأَدَّاهَا إِلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَعْدِهِ، وَفَارَقَ الدُّنْيَا تَقِيّاً نَقِيّاً عَلَى مِنْهَاجِ صَاحِبَيْهِ.

ثُمَّ يَا عُمَرُ! إِنَّكَ بُنَيُّ الدُّنْيَا، وَلَدَتْكَ مُلُوكُهَا، وَأَلْقَمَتْكَ ثَدْيَيْهَا، وَنَبَتَّ فِيهَا تَلْتَمِسُهَا مَظَانَّهَا، فَلَمَّا وُلِّيتَهَا أَلْقَيْتَهَا حَيْثُ أَلْقَاهَا اللهُ، هَجَرْتَهَا وَجَفَوْتَهَا، وَقَذَرْتَهَا إِلَّا مَا تَزَوَّدْتَ مِنْهَا، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَا بِكَ حَوْبَتَنَا، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَتَنَا، فَامْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ، فَإِنَّهُ لَا يَعِزُّ عَلَى الْحَقِّ شَيءٌ، وَلَا يَذِلُّ عَلَى الْبَاطِلِ شَيءٌ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ فِي الشَّيءِ: قَالَ لِي ابْنُ الأَهْتَمِ: امْضِ وَلَا تَلْتَفِتْ[١].

والتغيّر الثالث: مقتل عثمان ذي النورين ﷺ وما ترتَّب عليه من نتائج

وهذا من أعظم التغيّرات، وقد جعله النبيُّ ﷺ حداً فاصلاً بين زمان الخير وزمان الشرّ، وجعل هذا التغيّر بنفسه مطمحَ إشارته في

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٥) برقم: (٩١).

أحاديثَ كثيرةٍ تبلغُ حدّ التواتر بهيئته الاجتماعية، وانقطعت الخلافةُ الخاصّة المنتظمة عند هذا التغيّر، كما نصَّ النبي ﷺ على ذلك في أحاديث كثيرة، وقد جمع النبي ﷺ كلّاً من الخلفاء الثلاثة في أحاديث كثيرة، مما أوردناه في المقصد الأول.

وإذا تأمّلت وتدبّرت رأيت أن الخلافة الخاصة المنتظمة بالفعل لا تُذكر في موضع إلا ويليها ذكر الخلفاء الثلاثة معاً، وكذلك لا تُذكر الخلافة الخاصة بالمداخلة في الأمور المهمة في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته في موضع إلا ويأتي ذكر الشيخين لا غير.

وانقطعت هناك القرون الثلاثة المشهود لها بالخير، والقرن الثالث هو مدّة خلافة عثمان ذي النورين رضي الله عنه التي امتدّت قرابةَ اثنتي عشرة سنة، وهناك فرق بين معاملة الشيخين ومعاملة عثمان رضي الله عنه حيث ينزل أحياناً من العزيمة إلى الرخصة، ولم يكن أمراؤه على صفة أمراء ورعية مثل أمراء الشيخين ورعيتهما، نعم لم تنتقل خشونة الرعية ومخالفتها من القلب واللسان إلى اليد والسلاح إلا عند إتمام هذا القرن، وهذا لا ينازع فيه إلا مكابر.

• اعلم ـ أسعدك الله تعالى ـ أنّه إذا ظهر إشكالٌ في حديثٍ فارجع إلى حديثٍ آخر، حتّى يتبيّن لك مقصودُ النبيِّ ﷺ، إذ إنّ مَثَلَ حديث النبي ﷺ كمثل القرآن، يشبهُ بعضهُ بعضاً، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وكثيراً ما ذكر النبي ﷺ نصّ كلّ حديثٍ بعبارات مختلفة وأساليب متنوعة، لقد ورد ـ مثلاً ـ في حديث: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الّذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم ينشأُ قومٌ تسبِقُ أيمانُهم شهادتهم، وشهادتهم أيمانهم**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٦٤٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ٢٥٣٣)، =

وفي رواية لفظ: «**ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ**»[١].

• وانظر بعد ما فهمت مضمون هذا الحديث من خيرية القرون الأولى وشرِّيّة القرون الأخرى، ثم اقرأ حديث: «**تَدُورُ رَحَى الْإِسْلَامِ لِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ، أَوْ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ، فَإِنْ يَهْلَكُوا...**»[٢] وتأمل في معناه على وجه التحقيق والتنقيح، ثم قارن بين حديث: «**رحى الإسلام**»، وبين الخيرية المذكورة في الحديث الأول، وكذلك قارن لفظ الهلاك الوارد في الحديث الثاني، وبين قوله ﷺ: «**تَسْبِقُ أيمانهم...**» إلخ، الوارد في الحديث الأول وبين قوله ﷺ: «**يفشو الكذبُ**»، يتبيّنُ لك أنّ المراد بعينه بالحديث الثاني، وتاريخ «خمس وثلاثين» يبدو بهذه المقارنة كثيراً إذا نظرت إليه بنظر عابر سريع، لكنْ إذا تأمَّلته وجدته مطابقاً لمعنى: «القرون الثلاثة» من حيث التأويل الذي بيَّنتُه من قبل[٣]، وإذا اشترك الحديثان في أكثر الأمور فلا بدَّ من حمل القيد في حديثٍ على إطلاقِ الآخر ومحكمه على متشابه الآخر.

• ثم تقدم وانظر إلى حديث: «**الخلافة بالمدينة، والملك بالشام**»، جعل الخلافة في هذا الحديثِ قسيماً للملك، فانظر ماذا يظهر من بين هذه المقابلة؟

اعلم أن قرناً من هذه القرون الثلاثة الممدوحة، إنَّما هو قرن النبوّة، والقرنان منها قرنا الخلافة الراشدة، وكانت كلها في المدينة، ولم

= والترمذي في «سننه» (ح: ٣٨٥٩)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٣٧٨) برقم: (٣٥٩٤)، وأبو القاسم الطبراني في «الروض الداني» (١/ ٢٢٠) برقم: (٣٥٢) واللفظ له، ولم نجد في روايته الفقرة الأخيرة: «شهادتهم أيمانهم».

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٣٠٣).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٥٤).

(٣) راجع: (ص٣١٦، ٤٨٢) من نفس الجزء من الكتاب.

تستقرّ بعد هذه القرون سلطنةٌ وحكومةٌ في المدينة، فالتعيين بمدَّة «خمس وثلاثين سنة» وتعيين الخلافة في المدينة مصداقهما واحد، وهذان من معالم شيءٍ واحدٍ، وغايتهما واحدةٌ.

ثم تقدم من هذا، واقرأ حديث أبي عبيدة ومعاذ بن جبل: «**إنَّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم يكونُ ملكاً عضوضاً**»، وقارن بينه وبين حديث القرون الثلاثة وحديث: «**تزول رحى الإسلام**»، وحديث: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشام**»، لا شك أنَّ الخلافةَ والرحمةَ توافقان «الخيرية» والملك العضوض مرادفٌ للفتنة.

• ثم تقدم من هذا، واقرأ حديث[1] **كرز بن علقمة**، الذي ذكر فيه تقدُّم الإسلام وشيوعه على بيوت العرب والعجم، وعودة الناس أساود صباء، ثم تأمَّل متى حصل للإسلام تقدم ورقيٌّ، ومتى ظهرت فتنةُ الأساودِ الصباء.

ثم قارن بينه وبين حديث «خيريّة القرون الثلاثة»، وحديث «رحى الإسلام»، وحديث «الخلافة والرحمة»، تجد أنَّ هذه الأحاديث كلها ينسجم بعضها مع بعض.

• ثم وازن بين حديث: «**أساودُ صباءٌ**»، وبين حديث: «**الهرج**»، وحديث: «**يفشو الكذب**»، وحديث: «**فإن يهلكوا**»، وحديث: «**ملكاً عضوضاً**» تجد مضمون كل واحد منها واحداً.

• ثم تقدم، واقرأ حديث **حذيفة** واقرأ: «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شرارُكم**»، وتأمل إلى أي حادثة

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٧)، والبغوي في «شرح السُّنَّة» (٧/ ٤٢١)، والمراد بالأساود: الحيات.

يشير هذا الحديث، ومتى وقعت، وإلى غير ذلك من الأحاديث.

وبالجملة: نقِّ ذهنك عن كلّ شائبة من شوائب الكدورات، وطبِّق بعضَ الأحاديث على بعض لكي يتبيَّن لك مرادُ كلام رسول الله ﷺ.

ثم اقرأ أخبار أحبار أهل الكتاب، وتذكَّر آثار الصحابة الكرام، حتَّى يحصلَ لك اطمئنانٌ تام، وإذا لم تظهر نتيجةٌ رغم ذلك، ولم يتبيَّن لك معنى الحديث فأنتَ عاجزٌ عن درك معاني الأحاديث؛ لأنَّه لم تردِ الأحاديثُ بهذا القدر في شأن مسائل الصلاة والزكاة أيضاً.

إذا لَـمْ تَـسْـتَـطِـعْ أمـراً فَـدَعْـهُ ... وَجَـاوِزْهُ إلَـىٰ مَـا تَـسْـتَـطِـيْـعُ

وبالجملة: فإنَّ الاختلافَ في هذه القرون كالاختلاف الواقع بين أصناف نوعٍ واحدٍ، فكلُّها واحدةٌ من ناحية، ومختلفةٌ من ناحية أخرى، ولذلك عدَّ النبيُّ ﷺ خلافَة الخلفاء الثلاثة في حديث: «**رحى الإسلام**» في مرتبةٍ واحدةٍ، وعدَّها في حديث: «**الخلافةُ بالمدينةِ والملكُ بالشامِ**» في منـزلةٍ واحدةٍ، ووصفها في حديث: «**نبوة ورحمة**» بصفة واحدةٍ، وعبَّر عن خلافة الثلاثة في حديث الفتن من مسند **حذيفة** بـ«زمان الاستقامة»، وعبَّر عن خلافتهم في حديث **كرز بن علقمة** لرقي الإسلام ونموه.

فلما وقع التغيّرُ الأعظمُ تبدلَّت صورةُ العالم، وظهر تغيّر نوعي بالنسبة للزمان الأول، ووقعت ضمنَ هذا التغيّر ثلاثُ فتن وهدنتان، وأشار النبي ﷺ إلى هذه الحوادث الخمس بصراحة بما لا مزيد عليه.

• أخرج **الشيخان** عن **حذيفة** قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ:

«**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**[قَوْمٌ] يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «**[نَعَمْ، قَوْمٌ] مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: [يَا رَسُولَ اللهِ!] فَمَا تَرَى[١] إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، فَقُلْتُ: فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[٢].

وفي **رواية** قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ**»، قال: قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «**قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! صِفْهُمْ لَنَا [مَنْ هُمْ]، قَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ، قَالَ: «**فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[٣].

وفي **رواية** قُلْتُ: فَمَا الْعِصْمَةُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**السَّيْفُ**»،

---

(١) في الأصل الفارسي: «فما تأمرني».

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٨٤٧) واللفظ له.

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦).

قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ السَّيْفِ بَقِيَّةٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَكُونُ إِمَارَةٌ عَلَى أَقْذَاءٍ، وَهُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَاذَا؟ [قَالَ: «**ثُمَّ يَنْشَأُ دُعَاةُ الضَّلالَةِ، فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةٌ جَلَدَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَالْزَمْهُ وَإِلا فَمُتْ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ**»، قَالَ: قُلْتُ ثُمَّ مَاذَا؟] قَالَ: «**ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ بَعْدَ ذَلِكَ، مَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ، فَمَنْ وَقَعَ فِي نَارِهِ وَجَبَ أَجْرُهُ، وَحُطَّ وِزْرُهُ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَهْرِهِ، وَجَبَ وِزْرُهُ، وَحُطَّ أَجْرُهُ**»[١].

قال البغوي: قوله: فما العصمة؟ قال: «**السيف**»، كان قتادة يضعه على أهل الردة كانت في زمن الصدِّيق رضي الله عنه، وقوله: «**هدنة على دخن**»، معناه صلحٌ على بقايا من الضغن، وذلك أنَّ الدخان أثرٌ من النار [يدلّ على بقية منها]، قال أبو عبيد: أصل الدخن أن يكون في لون الدابة أو الثوب أو غير ذلك كدورة إلى سواد.

وفي بعض الروايات: قلت: يا رسول الله! الهدنة على الدخن، ما هي؟ قال: «**لا يرجع قلوبُ أقوامٍ**[٢]**، عن الذي كانت عليه**»[٣].

ويروى: «**وجماعة على أقذاءٍ**» يقول: يكون اجتماعهم على فساد من القلوب، شبَّهه بأقذاء العين[٤].

• الفتنة الأولى: تشتمل على ثلاث حوادث عظيمة

مبدأ هذه الفتنة منذ خلافة علي المرتضى رضي الله عنه، وقد أخبر النبيُّ ﷺ أنّها لا تكون منتظمةً وتألَّم النبيُّ ﷺ منها.

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٤)، و«مسند أحمد» (٥/ ٤٠٣) برقم: (٢٣٤٧٦)، و«المستدرك»، للحاكم (٤/ ٤٧٩) برقم: (٨٣٣٢)، و«شرح السُّنَّة» (١٥/ ٩ ـ ١٠) واللفظ له.

(٢) وورد في النسخة الفارسية الأصلية: «قلوب بني آدم» بدلاً من «قلوب أقوام».

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١٠).

(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ١١).

• لقد ذكر السيوطي[١] في «الخصائص»:

• أخرج **الطبراني** وأبو **نُعيم** عن **جابر بن سمرة** قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «**إنّك مؤمّرٌ مستخلَفٌ، وإنّك مقتولٌ، وإنَّ هذه مخضوبةٌ من هذا**؛ يعني: لحيته من رأسِهِ»[٢].

• وأخرج **الحاكمُ** عن **عليٍّ** رضي الله عنه قال: إنَّ ممّا عهد إليَّ النبيُّ ﷺ: أنَّ الأمةَ ستغدرُ بي[٣] بعدَه[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «**أما إنّك ستلقى بعدي جهداً**» قال: في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ من دينك**»[٥].

• وأخرج **أحمد** عَنْ إِيَاسِ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ **عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ [بَعْدِي] اخْتِلَافٌ أَوْ أَمْرٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ السِّلْمَ فَافْعَلْ**»[٦].

الحادثة الأولى: وقعة الجمل[٧]:

وقد أخبر بها النبي ﷺ في خبرٍ واحدٍ غريبٍ.

• أخرج **أبو يعلى** عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: مَرَّتْ عَائِشَةُ بِمَاءٍ لِبَنِي عَامِرٍ، يُقَالُ لَهُ: الْحَوْءَبُ، فَنَبَحَتْ عَلَيْها الْكِلابُ، فَقَالَتْ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: مَاءٌ لِبَنِي عَامِرٍ، فَقَالَتْ: رُدُّونِي رُدُّونِي سَمِعْتُ

---

(١) «الخصائص الكبرى» (٢/ ١٧٨). (٢) انظر: «المعجم الأوسط» (٧/ ٢١٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «ستقذرني».

(٤) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).

(٥) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).

(٦) انظر: «مسند أحمد» (١/ ٩٠) برقم: (٦٩٥).

(٧) وقعة الجمل كانت في جمادى الآخرة سنة ٣٦هـ. انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص١٧١).

رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ إِذَا نَبَحَتْ عَلَيْهَا كِلابُ **الْحَوْءَبِ**»[(١)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث يحيى بن سعيد، عن الوليد بن عياش عن إبراهيم عن علقمة قال: قال **ابن مسعود** ﷺ: قال لنا رسول الله ﷺ: **«أحذّركم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي: فتنةٌ تقبِلُ من المدينةِ، وفتنةٌ بمكّةَ، وفتنةٌ تقبِلُ من اليمنِ، وفتنةٌ تقبِلُ من الشام، وفتنةٌ تقبِلُ من المشرق، وفتنةٌ تقبِلُ من المغربِ، وفتنةٌ من بطنِ الشامِ، وهي السفياني»** قال: فقال ابن مسعود: «منكم من يدرك أوَّلها، ومن هذه الأمةِ مَنْ يدرك آخرها»، قال الوليد بن عياش: «فكانت فتنةُ المدينة من قِبَل طلحة والزبير، [وفتنة مكة فتنة عبد الله بن الزبير،] وفتنة الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء»[(٢)].

الحادثة الثانية: حرب «صفين»[(٣)]:

• وقد أخبر بها النبي ﷺ في خبر صحيح، أخرج **الشيخان** عن **أَبي هُرَيْرَةَ** عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ»**[(٤)].

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (٨/ ٢٨٢) برقم: (٤٨٦٨) إسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٦/ ٥٢) برقم: (٩٧)، من طريق يحيى وشعبة، كلاهما عن إسماعيل بهذا الإسناد، وصحَّحه ابن حبان برقم: (١٨٣١)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٣٤) في «باب: فيما كان في الجمل وصفين وغيرهما»، وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

(٣) وقعت حرب صفين سنة ٣٧هـ. انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص١٧١).

(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧١٢١)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٥٧) واللفظ له.

هذه إشارةٌ إلى أنّ أهل الشام رفعوا المصاحف وقالوا: بيننا وبينكم هذا القرآن، وقال عليٌّ رضي الله عنه: هذا قرآنٌ صامتُ، وأنا قرآنٌ ناطقٌ.

• وأخرج **البخاري** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لعَمَّارٍ: **«تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ»**[1].

وقد انتهت هذه الحربُ بالتحكيم، وقد بيَّن النبي ﷺ هذه القصة بوجه ينبئ بأنها تكون مبدأ مفاسد شتّى غير مرضية عند الشارع.

الحادثة الثالثة: حرب «النهروان»:

وقد ذكرها النبي ﷺ في خبر متواتر، وقال: تقع عند افتراق المسلمين، وأمَّا الفريق الذي يتولّى قتلَ الخوارج أولاها بالحق، وهذه الحرب حسنة من حسنات عظيمة لهذه الجماعة.

وبعد هذه الحوادث الثلاث وقعت حادثة شهادة علي المرتضى رضي الله عنه، وقد أخبر بها النبي ﷺ في حديث مستفيض، ووصف قاتله بأشقى الناس.

• أخرج **الحاكم** في حديث طويل عن **عمار بن ياسر** رضي الله عنه قال: كنتُ أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العشيرة، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا أحدّثكما بأشقى الناس رجلينِ؟»** قلنا: بلى يا رسول الله! قال: **«أُحَيْمَرُ ثمود الذي عقرَ الناقةَ، والذي يضربُكَ يا عليُّ على هذِهِ** ـ يعني: قرنه ـ **حتَّى تبتلّ هذه من الدمِ** ـ يعني: لحيته ـ**»**[2].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٨١٢)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٩١٦) واللفظ له.

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٩)، و«مسند أحمد» (٤/ ٢٦٣) برقم: (١٨٣٤٧).

۞ والهدنة الأولى:

مبدأها صلحُ الحسن بن علي مع معاوية بن أبي سفيان، وبيَّنه النبيُّ ﷺ في حديث صحيح.

• أخرج **البخاري** عن **الحسن** قال: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ جَاءَ الْحَسَنُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**»[1].

• ثم أخبر بعد ذلك عن حقيقة هذه الهدنة فقال: «**إمارةٌ على أقذاءٍ، وهدنةٌ على دَخَنٍ**».

• ثم بيّن استقلالَ معاوية بن أبي سفيان بالمُلك.

• أخرجَ **ابنُ أبي شيبة**، عن **معاوية** قال: ما زلتُ أطمعُ في الخلافةِ منذُ قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا معاويةُ إنْ ملكتَ فأَحْسِنْ**»[2].

• والفتنة الثانية: تشتمل على عدة حوادث:

الحادثة الأولى: شهادة الحسين بن علي رضي الله عنهما:

لقد ورد في «مشكاة المصابيح» معزواً إلى **البيهقيِّ** عن **أمِّ الفضل بنت الحارث** أنها دخلت على رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللهِ! إنِّي رأيتُ حلُماً منكراً الليلة، قال: «**وما هو؟**» قالت: إنّه شديدٌ، قال: «**وما هو؟**» قالت: رأيتُ كأن قطعةً من جسدِكَ قُطِعَتْ ووضعت في حِجْري، فقال رسول الله ﷺ: «**رأيت خيراً، تلدُ فاطمةُ إن شاء الله غلاماً يكون في حجرِك**»، فولدت فاطمةُ الحسينَ، فكان في حِجري كما قال

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧١٠٩).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٧) برقم: (٣٠٧١٥).

رسول الله ﷺ، فدخلتُ يوماً على رسولِ اللهِ ﷺ فوضعته في حِجْره، ثم كانت مني التفاتةٌ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموعَ، قالت: فقلتُ: يا نبيَّ الله! بأبي أنت وأمي، ما لك؟ قال: «**أتاني جبريلُ** عليه السلام، **فأخبرني أنَّ أمتي ستقتل ابني [هذا]**»، فقلت: هذا؟ قال: «**نعم، وأتاني بتربةٍ من تربته حمراء**»[1].

والحادثة الثانية: وقعة الحرة[2]:

• أخرج **أبو داود** عن **أبي ذر** قال: كنتُ رديفاً خلفَ رسول الله ﷺ يوماً على حمار، فلمّا جاوزنا بيوتَ المدينة، قال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ جوعٌ تقومُ عن فراشك، ولا تبلغُ مسجدكَ، حتَّى يجهدَكَ الجوعُ؟**» قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تَعَفَّفْ يا أبا ذرٍ**».

قال: «**كيفَ بكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ موتٌ يبلغُ البيتُ العبدَ، حتَّى إنّه يباعُ القبرُ بالعبدِ؟**» قال: قلت: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تصبر يا أبا ذر**».

قال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذر! إذا كان بالمدينةِ قتلٌ تَغْمُرُ الدماءُ أحجارَ الزيتِ؟**» قال: قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم، قال: «**تأتي من أنت منه**»، قال: قلت: وألبس السلاح؟ قال: «**شاركتَ القومَ إذاً**»، قلتُ: فكيف أصنعُ يا رسولَ اللهِ!؟ قال: «**إن خشيتَ أن يبهرَكَ شعاعُ السيفِ فألقِ ناحيةَ ثوبكَ على وجهكَ ليبوءَ بإثمكَ وإثمِهِ**»، رواه **أبو داود**[3].

---

(١) انظر: «مشكاة المصابيح»، للتبريزي (٣/ ٣٤٧)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٦٨).

(٢) وقعت في سنة ٦٣هـ.

(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» باختلاف يسير في اللفظ برقم: (٤٢٦١)، وأورده الخطيب التبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٧١)، واللفظ للمشكاة رغم إحالة الخطيب التبريزي لنص الحديث إلى «سنن أبي داود».

والحادثة الثالثة: استحلال مكة، بسبب خروج عبد الله بن الزبير، وقد أخبر به النبيُّ ﷺ.

والحادثة الرابعة: خروج إبراهيم بن الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد.

والحادثة الخامسة: تسلّط المختار على الكوفة، وقد أخبر به النبيُّ ﷺ بكلمة: «**في ثقيفٍ كذَّابٌ ومُبِيْرٌ**».

• أخرج **الترمذي** عن **ابن عُمَرَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فِي ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ**»[1].

قال أبو عيسى[2]: يُقَالُ: الْكَذَّابُ الْمُخْتَارُ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ، وَالْمُبِيرُ الْحَجَّاجُ بْنُ يُوسُفَ[3].

• وروى **مسلم** في «الصحيح» حين قتل الحجاج عبد الله بن الزبير، قالت أسماء: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّاباً وَمُبِيراً[4].

والحادثة السادسة: قتالُ مصعبٍ مع المختار.

والحادثة السابعة: قتالُ الضحّاك بن قيس مع مروان.

والحادثة الثامنة: قتال عبد الملك مع مصعب بن الزبير.

والحادثة التاسعة: ظهورُ الحجّاج وظلمُه، وقد أخبر النبي ﷺ بذلك، وأخبر عن هذه المقاتلات بـ«دعاة على أبواب جهنم».

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٠).
(٢) وفي النسخة الفارسية الأصلية: «قال عبد الله بن عصمة» بدلاً من «قال أبو عيسى».
(٣) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٢٠).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٥٤٥).

۞ والهدنة الثانية:

خلافة عبد الملك بن مروان:

وقد استقرّ أمرُ الحكومةِ بعد اللتيا والتي على يد عبد الملك بن مروان، وقد اجتمع أهل الإسلام جميعاً تحت حكمه، وحَكَمَ أولادُه وأحفادُه البلاد على هذا المنوال، ولقد ورد ذكر حكومة هذه الطائفة في الحديث الشريف:

• أخرج **البخاري** من حديث **أبي هريرة**: «**هَلَكَةُ أُمَّتِي عَلَى يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ**»(١).

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** ﷺ [قال: سمعت رسول الله ﷺ] يقول: «**إذا بلغتْ بنو أميةَ أربعينَ، اتَّخذوا عبادَ اللهِ خولاً، ومالَ اللهِ نحلاً، وكتابَ اللهِ دغلاً**»(٢).

• وأخرج **أبو يعلى والحاكم** عن **أبي هريرة** ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنِّي رأيتُ في النومِ بني الحكم ينزون على منبري كما تنزو القِرَدةِ**» قال: فما رئي النبيُّ ﷺ مستجمِعاً ضاحكاً حتَّى توفِّي(٣).

• وأخرج **البيهقي** عن **سعيد بن المسيب** قال: رأى النبيُّ ﷺ بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فأوحي إليه إنَّما هي دنيا أعطوها، فقرَّت عينه(٤).

• وأخرج **الترمذي والحاكم والبيهقي** عن **الحسن بن علي** قال: إنَّ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٥٨).

(٢) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥٢٦) برقم: (٨٤٧٦).

(٣) انظر: «المستدرك»، للحاكم (٤/ ٥٢٧) برقم: (٨٤٨١)، و«مسند أبي يعلى» رقم: (٦٤٦١).

(٤) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٤٧).

رسولَ اللهِ ﷺ قد رأى بَنِي أُمَيَّةَ يخطبون عَلَى مِنْبَرِهِ رجلاً رجلاً فَسَاءَهُ ذَلِكَ فنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾، يَمْلِكُهَا [بَعْدَكَ] بَنُو أُمَيَّةَ. قَالَ الْقَاسِمُ بن الفضل: فَحَسَبْنا ملكَ بني أمية فَإِذَا هِيَ أَلْفُ شَهْرٍ لَا يَزِيدُ [يَوْمٌ] وَلَا يَنْقُصُ(١).

• وأخرج **أبو داود** عن **عبد الله بن حوالة** قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَا ابْنَ حَوَالَةَ، إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ فَقَدْ دَنَتِ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَابِلُ وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنَ النَّاسِ مِنْ يَدِي هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ»**(٢).

❁ نكتة دقيقة:

وهنا نكتةٌ دقيقةٌ ينبغي لك أن تفهمَها، وهي: أنَّه وردت في خلافة الشام أحاديثُ مختلفة يدلّ بعضها على الذمّ، وبعضها على المدح، مثل حديثِ آخر من مسند ابن حوالة.

• أخرج **أحمد وأبو داود** عَن **ابْنِ حَوَالَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«سَيَصِيرُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا جُنُوداً مُجَنَّدَةً، جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ»**، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ: خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ! إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، فَقَالَ: **«عَلَيْكَ بِالشَّامِ، فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللهِ مِنْ أَرْضِهِ، يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَأَمَّا إِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ، وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللهَ تَوَكَّلَ لِي**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٣٥٠)، و«المستدرك»، للحاكم (٣/ ١٨٦) برقم: (٤٧٩٦)، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (٨/ ١٨١).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٥٣٥)، و«مسند أحمد» (٥/ ٢٨٨) رقم: (٢٢٥٤٠).

بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[(١)].

وحلُّ هذا التعارض أنَّ أهل الشام كانوا لا يستحقّون الخلافة في حدِّ ذاتهم، بالنظر إلى صفاتهم الذاتية، ولكن بالرغم من ذلك نالوا الخلافة، وتوجَّهت العنايةُ التشريعيةُ إلى تحقيق أمر الجهاد والتعاون عليه، فأينما كان الذمّ في الحديث فيرجع إلى أهل الشام أنفسهم؟ وحيثما وقع المدح والحثّ فمردَّه إلى الأمور الملكية وما شاكلها، ومن بينهم كان عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد، متحلّياً بالعلم والفضل والزهد، وله آثار محمودة في هذا العالم:

أحدها: تدوين الحديث وجمعه.

وثانيها: فرض الحظر على سبِّ أهل البيت، وهو الذي يصدق عليه نصُّ حديثِ: **«إنَّ الله يَبْعَثُ على رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لها دينَها»**[(٢)].

• الفتنة الثالثة: خروج بني العباس من خراسان:

هي أنَّ هذه الهدنة لمّا كانت على وشك الانقضاء خرج بنو العباس ـ وهم مدَّعون الخلافة ـ من خراسان، ووقعت الحروب الدامية، وظهرت الاعتداءات، وقتلوا كلَّ مَنْ ينتمي إلى بني أمية وأعوانهم، وظلموا ظلماً شديداً، وانتشر الظلمُ في جميع الأطراف والنواحي، ووقع ما وقع، ثم بعد هذه الثورات استقرّت دولة بني العباس، وانتهى التغيّر الثالث، وظهر التغيّر الرابع.

إعادة النظر في التغيرات الثلاثة:

وبالرغم من أنَّ هذا التغيّر (الثالث) كان يحمِلُ في طيِّه حوادثَ

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٤٨٣)، و«مسند أحمد» (٤/ ١١٠) برقم: (١٧٠٤٦).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٨) برقم: (٨٥٩٣).

عظاماً وأموراً جساماً، وانتهى بعدَ زمن طويل، لكن كان لونه كلون التغيرات الماضية من هذه الناحية يصحّ أن نقول: دولتان كانتا في الإسلام: الأولى بالمدينة، والثانية بالشام، قال النبيُّ ﷺ: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والمُلْكُ بالشامِ**»، وفي الإسرائيليات في وصف النبي ﷺ: «مهاجره طيبة، وملكه بالشام».

أولاهما: عُبِّر عنها بلفظ: «الخيرية» و«الخلافة والرحمة» و«مدة شيوع الإسلام».

والثانية: وُصِفت بوصف «تَسْبِقُ أيمانُهم شهادتَهم»، «ويفشو الكذبُ»، و«الملك العضوض»، و«أساودُ صباء».

أولاهما: أرّخت بـ«تزول رحى الإسلام لخمس وثلاثين».

والثانية: أرِّخت بسبعين سنة من بعد قيام أمر الحكومة عقب الهدنة الأولى.

أولاهما: لم يكن فيها سبُّ السلف الصالح.

وفي الثانية: كانوا يسبُّون السلف الصالح على اختلافِ أهوائهم وآرائهم.

وفي **الدولة الأولى**: ترجعُ جميعُ الأمور الدينية إلى الرسول ﷺ والخليفة الخاص، ولم يكن في الدين اختلافٌ يُعْبَأُ به ذلك الوقت.

وفي زمن **الدولة الثانية**: نشأت اختلافاتٌ ومذاهبُ مختلفة في الأصول والعقائد مثل المرجئة والقدَرية والخوارج والروافض.

وكانت جماعةٌ من الناس على **مذهب أهل المدينة** في الفتاوى والأحكام، وجماعة أخرى كانت على **مذهب أهل العراق**.

غير أنَّ هذه الاختلافات لم تدوّن، وهذه النزاعات لم تضبط، وينبغي أن تُعتبرَ هذه الحالةُ التي نشأت عن التغير الثالث بالمقارنة مع

الحالة الأولى التي نشأت عن التغير الأول والثاني كمثل نوعين يختلفان في الأحقية تحت جنس واحد، واعتباراً بهذا الأمر المشترك مع ما قال النبيُّ ﷺ: «**لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً إلى اثني عشر خليفة... كلُّهم من قريشٍ**»[1].

وفي رواية: «**لا يزالُ أمرُ النّاسِ ماضياً ما ولّاهم اثنا عشر رَجلاً... كلُّهم من قريشٍ**»[2]، أخرجه **الشيخان** من حديث **جابر بن سَمُرة**.

وهذا الأمرُ مشترَكٌ بين الدولتين: دولة المدينة، ودولة الشام، يقتضي تفصيلاً، وهو أنَّ لغلبة الدين جناحين، أحدهما الخلافة وثانيهما عِلْمُ النبِيِّ ﷺ، أمّا اتّحادُ هاتين الدولتين باعتبار الخلافة فهو من جهة أنَّ الخليفةَ كان مستقلّاً في تصرّفه في البلاد بدون المقاومة للبغاة، ومن دون الاعتماد الكلي على أمراء الجيوش بخلافِ دولة بني العباس.

واتحادُ هاتين الدولتين باعتبار العلم كان من جهة أنَّ المذاهبَ لم تدوّن إلى ذلك الوقت، ولم يقل أحدٌ من الناس أنا متبعٌ فلاناً، بل كانوا يتأوّلون أدلة الكتابِ والسُّنَّة على مذهب أصحابهم، وادّعى كلُّ شخصٍ أنَّ الحكم كذا وكذا حسب مقتضى الشريعة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام، أخطأ في ذلك أو أصاب، وفقه هذا الزمان كان مخلوطاً بآثار الصحابة والتابعين، وكانوا كلّهم يأخذونَ المسانيد والمراسيل.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢٢٢)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢٢٣)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٢١) واللفظ له.

التغير الرابع: استحكام دولة بني العباس في العراق

هو استقرار دولة بني العباس في العراق، وامتدّت هذه الدولةُ إلى أربع مئة سنة، وقد أخبر بها النبي ﷺ.

• أخرج **الترمذي** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاء**»(١)، هذه هي «فتنة السرّاء» وهذا هو المراد بـ: «**ثم يكونُ جبريةً وعتواً**».

• وأخرج **أبو داود** من حديث **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** يَقُولُ: كُنَّا قُعُوداً عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ فِي ذِكْرِهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الأَحْلَاسِ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا فِتْنَةُ الأَحْلَاسِ؟ قَالَ: «**هِيَ هَرَبٌ وَحَرْبٌ، ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ، دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي، وَلَيْسَ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ، ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ، ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ، لَا تَدَعُ أَحَداً مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً، فَإِذَا قِيلَ: انْقَضَتْ تَمَادَتْ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً، وَيُمْسِي كَافِراً، حَتَّى يَصِيرَ [النَّاسُ] إِلَى فُسْطَاطَيْنِ: فُسْطَاطِ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ، وَفُسْطَاطِ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ، فَإِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ غَدِهِ**»(٢).

قال الخطابي: قوله: «**فتنة الأحلاس**» إنَّما أضيفت «الفتنة» إلى «الأحلاس» لدوامها وطول لبثها، يقال للرجل إذا كان يلزم بيته لا يبرح: هو حلس بيته.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٦٩).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٢)، وانظر: «بذل المجهود» (١٢/ ٢٧٠).

وقد يحتمل أن يكون شبَّهه بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها، والحرب ذهاب المال والأهل، يقال: حرب الرجل فهو حريب إذا سُلِبَ ماله وأهله، و«الدخان» يريد أنها تثور كالدخان من تحت قدميه.

وقوله: «**كورك على ضلع**» مَثَلٌ، ومعناه الأمرُ الذي لا يثبتُ ولا يستقيمُ، وذلك أنّ الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، وإنَّما يقال في باب الملائمة والموافقة إذا وصفوا هو ككفٍ في ساعد، وساعد في ذراع، ونحو ذلك، يريد أنَّ هذا الرجلَ غيرُ خليقٍ بالملك ولا مستقلّ به، و(**الدهيماء**) تصغير الدهماء صغّرها على مذهب المذمة لها[١].

• والتحقيق لدى الفقير في معنى هذا الحديث أنَّ المراد بفتنة الأحلاس هو فتنةُ بني أمية في الشام، و«هرب» إشارة إلى هرب عبد الله بن الزبير من المدينة إلى مكة، والمراد بـ «حرب» هو معارك الضحاك بن قيس وغيره، و«فتنة السراء» هي فتنة بني العباس، وربَّما قرأتَ قصة وصية إبراهيم العباسي لأبي مسلم في كتب التاريخ، والمراد بـ«فتنة الدُّهيماء» هو فتنة الأتراك، و«فإذا قيل انقضت تمادت» إشارة إلى استقرار طوائف الأتراك في بلاد الفرس والروم طبقة بعد طبقة.

• قد بقيت هناك مسألةٌ دقيقةُ الغموضِ جدّاً، وهي الإشارةُ الواردةُ في حديث **ابن ماجه** إلى خروج أبي مسلم من خراسان، ووصف هذا الخليفة بالمهدي، ورغّب على نصرته، وقد اعترضَ الخوارج على ذلك.

• أخرج **ابن ماجه** من حديث عَلْقَمَةَ عَنْ **عَبْدِ اللهِ** قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا رَآهُمْ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٥/ ٢٠).

اغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَا نَزَالُ نَرَى فِي وَجْهِكَ شَيْئاً نَكْرَهُهُ، فَقَالَ: «**إِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ اخْتَارَ اللهُ لَنَا الآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بَلَاءً وَتَشْرِيداً وَتَطْرِيداً حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ رَايَاتٌ سُودٌ، فَيَسْأَلُونَ الْخَيْرَ، فَلَا يُعْطَوْنَهُ، فَيُقَاتِلُونَ، فَيُنْصَرُونَ، فَيُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا، فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَيَمْلَؤُهَا قِسْطاً، كَمَا مَلَؤُوهَا جَوْراً، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ**»[١].

• وأخرج **ابن ماجه** عَنْ **ثَوْبَانَ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلاً لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ، ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئاً لَا أَحْفَظُهُ، فَقَالَ: فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيُّ**»[٢].

• وأخرج **ابن ماجه** عن **عبد الله بن الحارث بن جزء الزّبيديّ** قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْرُجُ ناسٌ من المشرقِ فيوطّئون للمهديّ**»؛ يعني: سلطانه[٣].

• والتحقيقُ في هذه الأحاديث الثلاثة عندي أنَّ المراد «بالمهدي» هو خليفة بني العباس، ليس الإمام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان، أمّا وصفه هنا بالمهدي وتسميته «خليفة الله» والحثّ على نصرته، فمن جهة قضاء الله بإقامة خلافة هذا الفريق في عالم الغيب من حيث لا يتغيّر

---

(١) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٢).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٤).

(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٠٨٨).

ولا يتبدَّل، فهو مهدي بمعنى أنه هُدي إلى التدبير المفضي إلى استقرار خلافته، ليس على نمط الخارجين الآخرين الذين تلاشى تدبيرهم، ولم يحصل لهم شيءٌ سوى الهرج والمرج، وهو خليفةُ اللهِ بمعنى أنَّ خلافته تحقَّقت في قضاء الله تعالى، ولذا ينبغي التعاونُ معه، ولا ينبغي المخالفة له، ذلك لأنَّ المطلوبَ الحقيقيَّ في الشريعة إنَّما هو قطعُ النزاع، وتقليلُ الهرج والمرج، والخلافة المستقرة خير ـ وإن كان صاحبها كورك على ضلع ـ من الخلافة المتلاشية، وإن كان صاحبُها أفضل، وغايةُ التشريع إنَّما هي تقليلُ المفاسد، وتعيين الطريق الموصل إلى الحصول عليه حسب التقدير بأسرع وقت ممكن.

وفي بداية الدولة العباسية كان أمرُ الخليفةِ نافذاً في أطراف العالم، اعتراها الضعفُ بعد المعتصم، وقامت دولة **السلاجقة** حتَّى صارت دولة بني العباس صورةً بغير حقيقة، وخرج **العُبيديون** على مصر، وظهرت فتنةٌ عظيمة من جانبهم، وقد تسلّطت النصارى على الشام، ونهاية الأمر تشتّت شَمْلُ العبيديين، وأُخْرِجت النصارى من أرض الشام، ثم تغلّب **الأتراك الجنكيزيون** على خراسان، وبالأخير طُوي بساط الخليفة العباسي، ومعه انقضت دولة العرب، وظهرت رئاسة العجم في كلِّ ناحية من نواحي البلاد، وهذا مبدأ التغيّر الخامس.

التغير الخامس: دولة العجم

وفي أيام دولة بني العباس استحكمت أصول المذاهب وفروعها، وألَّف الأحناف والشوافع والمواليك المؤلّفات حسب مذاهبهم، وامتازت المعتزلة والشيعة والجهمية في الأصول بعضهم عن بعض، وفي عهدهم نُقِلتْ علومُ اليونان إلى لغة العرب، وتُرْجِمَ تاريخُ الفرس إلى العربية، وكلٌّ حزب بما لديهم فرحون، ولم يكن أحدٌ من الناس يسمِّي نفسه

حنفيّاً أو شافعياً قبيل انقراض دولة الشام، بل كانوا يتأوّلون الأدلة وفقاً لمذاهب أصحابهم.

وفي دولة العراق صار كلُّ واحد ينتمي إلى مذهب مخصوص كحنفي وشافعي، كانوا لا يحكمون بالقرآن والحديث إلا إذا وجد قولاً صريحاً من أصحاب مذاهبهم، فصارت الاختلافاتُ الناشئة عن تأويل القرآن والحديث مستحكمةً.

ومهما اختلفت دولة بني العباس في أولها وأوسطها وآخرها ولكنها مضت على تأسيس هذه المذاهب وتفريعها وتخريجها، وهذه الحالة بالنسبة للحالتين الأوليين كالجنس السافل ضمن الجنس العالي.

وقال النبيُّ ﷺ بالنظر إلى هذا الأمر المشترك، كما أخرج **أبو داود** من حديث **سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** عن النبيِّ ﷺ قال: «**إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَعْجَزَ أُمَّتِي عِنْدَ رَبِّهَا أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ نِصْفَ يَوْمٍ**»، قِيلَ لِسَعْدٍ: وَكَمْ نِصْفُ [ذَلِكَ] الْيَوْمِ، قَالَ: خَمْسُ مِئَةِ سَنَةٍ[(١)].

وتفصيل هذا الإجمال: هو أنَّ الخلافةَ في المدينة والشام والعراق كلها كانت في قريش، وكانت الأوامر والأحكام تصدر من بلاد العرب إلى الأطراف والنواحي ولو بحسب الظاهر ـ كانت مدتها خمس مئة سنة ـ، ولفظ الأمة في هذا الحديث بمعنى القوم والقبيلة، وانقرضت دولة قريش بل دولة العرب بعد هذه المدة، بل تمزّقت، وأصبح الأعاجم رؤساء المحافل والنوادي وملوك العالم، ولما انقرضت دولةُ العربِ، وانتشر الناس إلى مختلف البلدان والأوطان، اتخذوا ما حفظوه من المذاهب أصلاً أصيلاً، وصار ما كان مستنبَطاً في الزمن السابق سُنَّةً

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٣٥٠).

مستقرّة في الزمن اللاحق، وعلمهم ينحصر في التخريج على التخريج، والتفريع على التفريع.

ودولةُ العجم مثل دولة المجوس إلا أنَّهم يقيمون الصلاة، ويشهدون بالتوحيد، ونحن وُلدنا تحتَ هذا التغيّر، ولا ندري ما يشاء الله من بعده.

هذا آخر الفصل الخامس

❊ ❊ ❊



الفصل السادس

[في بيان تفهيمات القرآن الكريم وتعريضاته، ممّا يدلّ على صفاتِ الخلافة الخاصّة، وعلى خلافة الخلفاء وفضائلهم وسوابقهم الإسلامية، وفي الآيات القرآنية التي وافقت آراء الخلفاءِ والآياتِ التي سببُ نزولها هو الخلفاءُ أنفسُهم]

إن علمَ الحديث ينقسِمُ من حيث طبيعته إلى خمسة فنون: ١ ـ **فَنُّ السُّنَن**؛ وهو أقواها باعتبار الإسناد، مثل: «الموطأ» و«جامع سفيان»، ٢ ـ وبعده **فن السيرة**؛ مثل: كتاب محمد بن إسحاق، وكتاب موسى بن عقبة، وتدخل فيه أبواب الشمائل أيضاً، ٣ ـ **وفن التفسير**؛ مثل: تفسير عبد الرزاق، وتفسير البخاري، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وغيرهم، ٤ ـ **وفن الزهد والرقائق**؛ مثل: «كتاب الزهد»، لابن المبارك في المتقدّمين، وكتاب «قوت القلوب»، وفروعُه في المتأخّرين، وأبوابُ الفتن، وأشراطُ القيامة، والبعث، والجنة والنار، داخلةٌ في الرقائق، ٥ ـ **وفن معرفة الصحابة**؛ مثل: «الاستيعاب»، و«مناقب الصحابة» يدخل ضِمْنَ هذا الفنّ أيضاً.

ومعظمُ الأحاديث ممّا له علاقةٌ ومناسبةٌ بفنّين أو ثلاثة من هذه الفنون، ويمكن تخريجُها في كلٍّ من هذه الفنون، وبعضُ الكتب المصنّفة في فنّ واحد، وبعضُها في فنّين وبعضها في ثلاثة فنون.

وأهمُّ الأغراضِ عندي مِنْ وضع هذا الفصل، أن أبيِّنَ دلائلَ

صفاتِ الخلافةِ الخاصّةِ ودلائل خلافة الخلفاء وحسناتهم السابقة من الأحاديث والآثار الواردة في **علم التفسير**، وذكر ما نُقِلَ عن الخلفاء في تفسير القرآن والمواعظ وغيرها تحت عمومات القرآن وتعريضاته، **وشرط الاستدلال بتعريضهم** أن تجتمع قرائنُ قوليةٌ وحاليةٌ كثيرةٌ تضطرّ التالي للقرآن الكريم إلى الجَزْمِ بأنَّ هناك شخصاً من نوع كذا وكذا تتَّجه إشارة الكلام إليه.

وإذا بقي الكلامُ على عمومه من دون أن تجتمعَ قرائنُ الحال مع شخص يحمل هذه الصفات والخصائص لا يجوزُ الاستدلال به.

ولكن رغم ذلك كلّه نذكرُ مرةً بقصد أنَّ صاحب هذا الأثر صحابيّاً كان أو تابعيّاً يقول بفضائل الخلفاء وأثره مُنْسَلِكٌ في سلك إجماع الأمة على تعظيم وتبجيل الخلفاء ﭬ.

❀ ❀ ❀

آيات سورة الفاتحة

• **قال أبو العالية والحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾** [الفاتحة] هو رسول الله وصاحباه ـ من بعده أبو بكر وعمر[1] ـ.

يقول الفقير إلى رحمة الله: إنَّ توجيه هذا الكلام هو أنّ الله تعالى يقول في تفسير «الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ»: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]، ثم ذكر: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾، في موضعٍ آخرَ بأنّهم: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء].

وقد بيَّن النبي ﷺ في حديثٍ مستفيض أنّ أبا بكر صدّيقٌ وعمرَ شهيدٌ، ثم بيَّن ﷺ أصلَ المطلوبِ بقوله: «**اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بكرٍ وعُمَرَ**»، فيمكِنُ الاستدلالُ بهذه الآية على أنَّ الله تبارك وتعالى يُعلِّمُ عباده طلبَ الهدايةِ منه إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم عند المناجاةِ والدعاءِ، وقد اتّضحَ بالتقرير السابق أنّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إنّما هو طريق الشيخين، فلزم أن تكون الخلافةُ الخاصّةُ للشيخين لا محالةَ؛ إذ إنَّ الخليفةَ الخاصَّ لا يكونُ إلا مَنْ هو على الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيم، والمطلوب في الشريعة التوجّه التام إليه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ١٠٥).

آيات سورة البقرة

• قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البقرة].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفِيَ عنه ـ: إنَّ الله تعالى لم يذكر قصصَ الأولين إلّا لتكونَ عبرةً للآخرين، فتُفهم من ضوءِ هذه الآية الكريمة بعضُ مسائل الخلافة الخاصة.

أولاً: إذا وقعت غلبة الكفّار على المسلمين، وقد حان وقت دفعهم بصورة وجوبُ الجهادِ، أو قَرُبَ أجلُ موعودِ الفتحِ بصورةِ وجوبِ الجهادِ ابتداءً وكلُّ ما يوجَدُ عند ذلك الوقت من رئيس ومرؤوس، وعُدّة وعِدّة ولم يكفِ لإنجاز المقصود، لزم في قدر الله وقضائه تفويضُ المَلكِ لشخصٍ قد كُتِبَ الفتحُ باسمه في الغيب، وإذا بلغ الأمرُ إلى هذا الحَدِّ وجبَ استخلافه لا محالة، ويصبحُ هو خليفة خاصّاً من عند الله تبارك وتعالى وفي قدره وقضائه، كما أنَّ بني إسرائيل قد غُلِبوا بيد العمالقة فَسُبِيَ أولادهم ونهبت أموالهم، والوضعُ الذي كانوا فيه لم يكن يكفيهم للفتح والغلبة، فاستخلف الله طالوت، وجعله ملكاً، وأمر نبيَّ العصر بمعرفته بعلامة كذا وكذا، وإثبات الخلافة له.

وثانياً: إن الإعراضَ عن قَبول خلافته، وإثارة الشبهات الواهية حول استحسان تقديمه بعد استقرار الخلافة له بنصّ من الشارع معصيةٌ

من المعاصي، كما أنَّ بني إسرائيل لمَّا قالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]؛ يعني: مهما كانت منزلةُ طالوت في بني إسرائيل نسباً وسلالةً، فإنه لم تكن له سابقة في الملك والحكم، إذ إنه كان دبّاغاً أو سقّاءً، ولم يرضَ الله منهم بهذا القول، ولم يلتفت إلى ذلك.

وثالثاً: إنّ الأصلَ في باب الاستخلاف إنّما هو تصميم القدر في الغيب أنَّ الفتح يتحقّق بتدبيره وباسمه، ومجرَّدُ استخلاف الله لأحد يستلزمُ اصطفاءَه، ومدارُ هذا الاصطفاء ليس على الصفات التي هي مدار المدح والثناء عند عامة الناس، مثل كثرة المال وعلوِّ الحسب، بل مدارُ ذلك على الصفاتِ التي تناسِبُ الخلافة ومصالحها، ومع ذلك جرت سُنَّة الله أنه يعطي له فضيلة جزئية لكي تطمئنّ قلوبُ الناس له، كما أنه تعالى لم ينظر إلى قلّة استخلافِ «طالوت»، ولا إلى كونه سقّاءً ازدراءً، بل نظر إلى بسطة علمه وجسمه في ميزان الاعتبار، لتطمئنّ قلوب الناس بتقدّمه في الحكم والملك، والله أعلم.

• **وقال الله تعالى**: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

• **وقال تعالى**: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

• **أخرج البغوي عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَإِنَّ هَـذِهِ الأُمَّـةَ تُـوفِـي سَـبْـعِـيـنَ أُمَّـةً هِـيَ آخِـرُهَـا وَأَكْـرَمُـهَـا**

عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

• وأخرج الدارمي عَنْ كَعْبٍ: فِي السَّطْرِ الأَوَّلِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ عَبْدِيَ الْمُخْتَارُ، لَا فَظٌّ وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا صَخَّابٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ.

وَفِي السَّطْرِ الثَّانِي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، رُعَاةُ الشَّمْسِ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ إِذَا جَاءَ وَقْتُهَا، وَلَوْ كَانُوا عَلَى رَأْسِ كُنَاسَةٍ، وَيَأْتَزِرُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، وَيُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَأَصْوَاتُهُمْ بِاللَّيْلِ فِي جَوِّ السَّمَاءِ كَأَصْوَاتِ النَّحْلِ[(٢)].

وأخرج الدارميُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ كَعْبَ الأَحْبَارِ: كَيْفَ تَجِدُ نَعْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ؟ فَقَالَ كَعْبٌ: نَجِدُهُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُولَدُ بِمَكَّةَ، وَيُهَاجِرُ إِلَى طَابَةَ، وَيَكُونُ مُلْكُهُ بِالشَّامِ، وَلَيْسَ بِفَحَّاشٍ وَلَا صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلَا يُكَافِئُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، أُمَّتُهُ الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ سَرَّاءٍ، وَيُكَبِّرُونَ اللهَ عَلَى كُلِّ نَجْدٍ، يُوَضِّئُونَ أَطْرَافَهُمْ، وَيَأْتَزِرُونَ فِي أَوْسَاطِهِمْ، يَصُفُّونَ فِي صَلَاتِهِمْ كَمَا يَصُفُّونَ فِي قِتَالِهِمْ، دَوِيُّهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُسْمَعُ مُنَادِيهِمْ فِي جَوِّ السَّمَاءِ[(٣)].

• قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ﴾ [البقرة: ١٤٣] أراد الله أن يزكِّي

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٦٨).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٨)، «موقع وزارة الأوقاف المصرية».

(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٧).

المهاجرين والأنصار بيد النبيِّ ﷺ، ويزكِّي سائرَ الأُمم بيد المهاجرين والأنصار، قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ...﴾ [البقرة: ٢٨٥].

• **أخرج البغوي**[١] عَنِ **النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ**، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ كِتَاباً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، فَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَلا تُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ»**.

• **أخرج البغوي**[٢] عَنْ **عَبْدِ اللهِ**، قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الأَرْضِ، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا، فَيُقْبَضُ مِنْهَا، قَالَ: ﴿إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦﴾ [النجم]، قَالَ: **«فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»**، قَالَ: فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لا يُشْرِكُ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئاً الْمُقْحِمَاتُ[٣].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفي عنه ـ: لمَّا تعيّنت الصورة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات في أزل الآزال للنبوة ظهرت معها الأُمّة أيضاً، ذلك لأنَّ النبوّة أمرٌ إضافيٌّ لا تتمثّل صورتها من دون تصوّر الأُمّة.

تشريفِ دستِ سلطان چوگان بزد وليكن
بي گوئي روز ميدان چوگان چه كار دارد

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٢٩٥). (٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٨٩٤).
(٣) المقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار؛ أي: تلقيهم فيها. «النهاية» (ص٧٣٤).

وأما الذين كانوا وسائط بين النبي ﷺ وبين أمته، فقد ظهروا بصورة الواسطة، وهم الشهداء على الناس.

وأما ظهور الدين وغلبته ثم انحطاطه ونقصانه، فمثاله: أنك إذا تمثَّلْتَ كرةً متحركةً فلا بدَّ أن يتفرّع من صُلْبِ هذا التصوّر صورة المحور والقطبين والدائرة العظيمة من حيث تشعر أو لا تشعر، ولذلك كلّما جاءَ ذِكْرُ النبيِّ ﷺ في أي موضع من الكتب السماوية جاء مقترناً بذكر أمته.

وقد تقرّر في ذلك الموضع أنَّ عاقبتهم مغفرةٌ من الله تعالى، وأنّهم يكلَّفون بشريعة سهلة سمحة، وقد تمثّل كُلُّ ذلك بصورة الدّعاء وإجابته، وقد أنزل الله تعالى هاتين الآيتين من ذلك الموضع، وأُخبر النبيُّ ﷺ بهذا السرِّ.

بالجملة: فإنّ ما كانَ مقصوداً في أزل الآزال وقع بصورته وهيئته، وما لم يظهر لم يكن مقصوداً، بل ليس ذلك إلّا وهماً كأنياب الغول والإنسان ذي عشرة الرؤوس.

وأسفاً على مَنْ يظنُّ أنَّ الخلافةَ تقرّرت في الشرع في حقِّ شخص ووقعت بالفعل في أشخاص آخرين.

فإن قلتَ: إنَّ الفتنَ تدخلُ تحت قضاء الله تعالى، ولها حكم إلٰهي قبل وقوعها، فإذا وقعت في الخارج فلها حكم آخر.

قلنا: إنَّ الصورةَ التي نحن بصدد شرحها وإيضاحها إنّما هي صورة التشريع التي ظهرت بالرحمة والإحسان والكرم، وصورة رسالة النبي ﷺ وقيام أمته المرحومة باقتدائه ﷺ ليست صورتها كالفتن والمعاصي وخلاف مرضاة الله، وشتّان ما بينهما.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة].

• **وقال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾ [البقرة].

• **وقال سبحانه:** ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة].

يقول الفقير إلى رحمة الله ـ عُفِيَ عنه ـ: إنَّ فضائل الأعمال التي تقرِّب الإنسان إلى الله تعالى على قسمين:

أحدهما: أنّ جميعَ الملل والأديان تتساوى فيه ويتقرّب به أفراد البشر في جميع العصور إلى الله تعالى، وهو بِرٌّ حقيقي، **قال الله تعالى:** ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ [البقرة: ١٧٧].

والآخر: هو مدارُ الفضل ومناطُ القُرْب في بعض الملل دون البعض، ومنه الهجرة والجهاد.

وقد شرح القرآن العظيم هذا النوع من الفضائل بصفة خاصة وفصّله تفصيلاً، وعلّق به علوّ المراتب في الدنيا والآخرة، ويستغني هذا الادعاء عن ذكر الدلائل لكثرته، ولكن لمّا دخلت العلوم الأجنبية في المسلمين، واختفى الحق وجبَ أن نذكر الدلائل.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧]؛ يعني: يَذْكُرُ الله تعالى فرقتين متضادّتين، فيمدحُ إحداهما، ويذمُّ الأخرى، ويبيِّنُ من صفات الفرقة الممدوحة أنّهم يبذلون نفوسهم في طلب مرضاة الله جلَّ شأنه في المهالك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾، نصٌّ صريحٌ في فضيلة المهاجرين والأنصار.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ. . .﴾ إلخ، والمفهوم بحسب العرف إنما هو كثرة الإنفاق في مصارف الخير مرةً بعد أخرى وكَرَّةً بعد أولى.

ولا شكّ في أنّ الخلفاء رضوان الله عليهم جميعاً بذلوا نفوسهم في طلب مرضاة الله تعالى.

فقام **أبو بكر الصدِّيق** ﷺ بتبليغ الدعوة الإسلامية في مكة حتى ضربوه وأدموه وآذوه، ورافق النبي ﷺ في الهجرة، مع أنَّ الكفَّار قد أرسلوا رجالاً في طلبهما، وقرّروا ديةً للذي يقبض عليهما ـ وهي مائة ناقة ـ.

وقام **عمر الفاروق** بإعلان إسلامه قبل الهجرة إلى أن ضربوه وآذوه، وقد أبلى في الهجرة بلاءً حسناً.

ونام **عليٌّ المرتضى** ﷺ على فراش النبيِّ ﷺ عند الهجرة من حيث لو أنّ الكفار هاجموا لهجموا عليه.

وتحمّل **عثمان ذو النورين** ﷺ من عمّه وقومه مشقّات ومصائبَ ولم يَنْقُضْ عَقْدَ الإيمانِ خلال ذلك، وهاجر في سبيل الله مرتين: **إحداهما**: الهجرة إلى الحبشة، **والأخرى**: الهجرة إلى المدينة.

وقام هؤلاء السعداء الأعزاء جميعاً بعد ذلك رغم قلّة الأحبّاء، وكثرة الأعداء، بالقتال والجهاد في المعارك والملاحم تحت راية النبي ﷺ، وأبلوا بلاءً حسناً في القتال، ثم بذل هؤلاء جميعاً أموالهم في مشاهد الخير، فكان هؤلاء مصداق هذه الآيات، بل هم في طليعتهم، وهو المقصود هنا.

وإذا قال متعصِّب: إنَّ هذه الآيات كلُّها واردةٌ على العموم، يحتملُ أنْ يكون المرادُ بها أفراداً آخرين.

قلنا: قَصْرُ العامِ على بعضِ الأفراد له حدٌّ، ولكنْ إذا استُعْمِلَ

اللفظُ العام في اللغة العربية يدخل فيه بالضرورة من اشتهر بذلك الوصف، وأسبقهم فيه، بحيث لو ذكر هذا الكلام لتبادرت أذهان السامعين إليه، والذي يقول بخلافه هو جاهلٌ بالبلاغةِ، قليلُ البضاعةِ في اللغة العربية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وإذا رجع المتعصِّبُ يقول: إنَّ هذه الفضائل وُجِدَتْ فيهم، لكنَّ الله تعالى أحبطها بسبب بعض السيئات.

قلنا: هذا أسوأ من القول السابق، فإنَّ الناسَ يقرؤون هذه الآيات في الصلوات والمحافل والمجالس، ويتلونها إلى قيام الساعة، ولو لم يكن المعنى المتبادر إلى الذهن مراداً للزم أن يظهرَ وقعُ تدليس عظيم في كلِّ زمان وفي كلِّ طبقة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وروي عن **ابن عباس في قوله تعالى**: ﴿ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي[١].

يقول الفقير إلى رحمة الله: إنَّ هذا الأثرَ ضعيفٌ من جهة الإسناد، قويٌّ من جهة المعنى، وقد فصَّلنا القول فيه في معنى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

• **وقوله تعالى**: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ...﴾ الآية [البقرة: ٩٧]، هذه الآيةُ من موافقات عمر رضي الله عنه.

رُوي ذلك عن الشعبي، وعِكرمة، وقتادة، وعبد الرحمٰن بن أبي ليلى والسُدِّي، وذلك من المراسيل الصحيحة، لاستفاضة طُرُقها عن عكرمة، قال: كان عمرُ يأتي يهود يكلِّمهم فقالوا: إنّه ليس من أصحابِكَ أحدٌ أكثرَ إتياناً إلينا منك، فأخبرنا مَنْ صاحِبُ صاحِبكَ الذي يأتيه بالوحي؟

---

(١) «الدر المنثور» (١/ ٣٥).

فقال: جبريل.

قالوا: ذاك عدوّنا من الملائكة، ولو أنَّ صاحبَه صاحبُ صاحبِنا لاتبعناه.

فقال عمر: من صاحِبُ صاحبِكم؟

قالوا: ميكائيل.

قال: وما هما؟

قالوا: أمّا جبريلُ فينزِلُ بالعذابِ والنِّقْمةِ، وأمّا ميكائيلُ فينزِلُ بالغيث والرحمة، وأحدهما عدوٌّ لصاحبه.

فقال عمر: وما منزلتُهما؟

قالوا: إنّهما من أقربِ الملائكةِ منه، أحدهما عن يمينه، وكلتا يديه يمين، والآخر على الشقِّ الآخر.

فقال عمر: لئن كانا كما تقولون ما هما بعدوّين، ثم خرج من عندهم، فمرّ بالنبي ﷺ فدعاه فقرأ عليه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية، فقال عمر: والذي بعثك بالحقِّ إنّه الذي خاصمتُهم به آنفاً[1].

• **وأخرج الحاكم عن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لي وزيرينِ مِنْ أهلِ السَّماءِ، ووزيرينِ مِنْ أهلِ الأرضِ، فأمّا وزيرايَ مِنْ أهلِ السَّماءِ جبريلُ وميكائيلُ، وأمّا وزيرايَ من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ**»[2].

• **وأخرج الطبراني** بسندٍ حسنٍ عَنْ **أُمِّ سَلَمَةَ**، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي السَّمَاءِ مَلَكَيْنِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَكُلٌّ**

(١) «الدر المنثور» (١/ ١٦٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٩٠) برقم: (٣٠٣٧).

مُصِيبٌ، جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَنَبِيَّانِ أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالآخَرُ يَأْمُرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيبٌ، وَذَكَرَ إِبْرَاهِيمَ وَنُوحاً، وَلِي صَاحِبَانِ، أَحَدُهُمَا يَأْمُرُ بِاللِّينِ، وَالآخَرُ بِالشِّدَّةِ، وَكُلٌّ مُصِيبٌ، وَذَكَرَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ»[١].

• **وأخرج البزَّار والطبراني** في «الأوسط» **والبيهقي** في «الأسماء والصفات» عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: بينا رسول الله ﷺ يحدّثنا على باب الحُجُرَاتِ، إذ أقبل أبو بكر وعمر، ومعهما فِئَامٌ من الناس، يجاوِبُ بعضهم بعضاً، ويردّ بعضُهم على بعضٍ، فلمّا رأوا رسولَ اللهِ ﷺ سكتوا، فقال: «**ما كلامٌ سمعتُه آنفاً، جاوبَ بعضُكم بعضاً، ويردُّ بعضُكم على بعضٍ؟**».

فقال رجل: يا رسول الله، زعم أبو بكرٍ أنّ الحسناتِ مِنَ الله، والسيئاتِ من العبادِ، وقال عمر: السيئاتُ والحسناتُ مِنَ الله، فتابعَ هذا قومٌ، وتابعَ هذا قومٌ، فأجابَ بعضُهم بعضاً، وردّ بعضُهم على بعضٍ.

فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بكر، فقال: «**كيف قلت؟**».

فقال قوله الأول.

والتفت إلى عمر، فقال قوله الأول.

فقال: «**والّذي نفسِي بيدِهِ لأقضينَّ بَيْنَكُما بقضاءِ إسرافيلَ بين جبريلَ وميكائيلَ**».

فتعاظمَ ذلك في أَنْفُسِ النّاسِ، وقالوا: يا رسول الله، وقد تكلّم في هذا جبريل؟

فقال: «**إي والَّذِي نَفْسِي بيدِهِ، لهما أوَّلُ خَلْقِ اللهِ تكلّمَ فيه، فقال ميكائيلُ بقولِ أبي بكرٍ، وقال جِبْرِيلُ بقولِ عُمَرَ، فقال جبريلُ لميكائيلَ:**

---

(١) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (١٧/ ١٤٣).

إنّا متى نختلِفُ أهل السماءِ يختلِفُ أهلُ الأرضِ، فلنتحاكَم إلى إسرافيلَ، فتحاكما إليهِ، فقضَىٰ بينَهما بحقيقةِ القَدَرِ، خيرِهِ وشرِّه، حُلوِه ومُرِّهِ، كلُّه من اللهِ ﷻ، وإنِّي قاضٍ بينكما».

ثم التفتَ إلى أبي بكر، فقال: «**يا أبا بكرٍ! إنّ اللهَ تبارَكَ وتعالى لو أرادَ أَنْ لا يُعْصَىٰ لم يَخْلُقْ إبليسَ**».

فقال أبو بكر: صدقَ اللهُ ورسولُه[1].

● **قوله تعالى**: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] هذه الآية من موافقاتِ عمر.

فقد أخرج **البخاري والترمذي** وغيرهما عن **عُمَر** قال: «وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! لَوِ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾»[2] الحديث.

● **ومن قيام عمر بحفظ شعائر الله** ﷻ إعادتُه المقامَ في مكانه بعد ما دحرجته السيول.

● **عن سفيان بن عُيينة**، عن حبيب بن أبي الأشرف قال: كان سيلُ أُمِّ نهشلٍ قبل أن يَعْمَلَ عمرُ الرَّدْمَ بأعلى مكة، فاحتملَ المقامَ من مكانه، فلم يُدْرَ أينَ موضعُه؟ فلما قدم عمرُ بنُ الخطّاب سأل: مَنْ يعلمُ موضِعَه؟

فقال عبد المطلب بن أبي وداعة: أنا يا أمير المؤمنين! قد كنتُ قدّرته وذرّعته بمِقَاطٍ، وتخوّفتُ عليه هذا من الحِجْرِ إليه، ومِن الرُّكْنِ إليه، ومِنْ وَجْهِ الكعبةِ.

فقال: ائتِ به، فجاءَ به فوضعَه في موضعِه هذا، وعمل عمر

---

(١) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (٦/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٤٠٢)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٩٦٠).

الردمَ، عند ذلك قال سفيان: فذلك الذي حدّثنا هشامُ بنُ عروة عن أبيه، أنّ المقام كان عند سَقْعِ البيت، فأمّا موضعه الذي هو موضعه، فموضعه الآن، وأمّا ما يقول الناس: إنّه كان هنالك موضعه فلا(١).

قلت: المِقاطُ بالكسر حبلٌ صغيرٌ شديدُ الفتلِ، والجمعُ: مُقُطٌ(٢).

• **وعن عمرَ في قوله تعالى**: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، إذا مرَّ بذكرِ الجنّةِ سأل اللهَ الجنّة، وإذا مرّ بذكرِ النّارِ تعوَّذَ باللهِ من النارِ(٣).

• **ورُوي من طُرُقٍ متعددةٍ**: لمّا دخلَ المصريونَ على عثمانَ والمصحفُ بين يديه، فضربوه بالسيفِ على يديه، فجرى الدمُ على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة]، فمدَّ يده وقال: واللهِ لِأنها أوَّلُ يدٍ خطّتِ المُفَصَّلَ(٤)، قيل: فما ماتَ منهم رجلٌ سوياً.

• **وروى أحمد وأبو داود** من حديث **معاذ بن جبل**: كان عمرُ قد أصابَ من النساء من جارية أو من حرّة بعد ما نام، وأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله ﷻ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ﴾ [البقرة: ١٨٧](٥).

• **وأخرج الطبراني** في الأوسط عن **عمر بن الخطاب** قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ذاكرُ اللهِ في رمضانَ مغفورٌ له، وسائلُ اللهَ فيه لا يَخِيبُ**»(٦).

• **وعن عمر في قوله تعالى**: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٧]،

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٣٢).
(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٨٢)، و«العين» (١/ ٣٨٩).
(٣) انظر: «فتح القدير» (١/ ١٧٢).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٢٧٥).
(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٢١٢٤).
(٦) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (١٦/ ١٢٨).

قال: شوّالُ، وذو القعدةِ، وذو الحِجَّةِ[١].

• **وعن عمر بْن الْخَطَّابِ** قَالَ: افْصِلُوا بَيْنَ حَجِّكُمْ وَعُمْرَتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَتَمُّ لِحَجِّ أَحَدِكُمْ، وَأَتَمُّ لِعُمْرَتِهِ أَنْ يَعْتَمِرَ فِي غَيْرِ أَشْهُرِ الْحَجِّ[٢].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** أنه قال في خطبته: الصدقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خيانةٌ، الكَيْسُ التُّقَىٰ، والعَجْزُ الفُجُورُ[٣].

• **وعن عمر** أنه كتب إلى ابنه عبد الله: أمّا بعدُ: فإنِّي أوصيكَ بتقوى اللهِ، فإنَّه مَنِ اتّقاه وَقَاهُ، وَمَنْ أقرضَهُ جَزَاهُ، وَمَنْ شَكَرَهُ زَادَهُ، واجعلِ التقوى نُصْبَ عينِكَ، وجلاءَ قلبِكَ.

واعلم أنّه لا عَمَل لِمَنْ لا نيّةَ له، ولا أجرَ لِمَنْ لا حسنةَ له، ولا مَالَ لِمَنْ لا رِفْقَ له، ولا جديدَ لمن لا خَلِقَ له[٤].

وأخرج **الشافعيُّ** في **الأمّ** عن عروة عن أبيه: أنّ عمرَ حين دَفَعَ من عرفةَ قال:

إليكَ تعدو قَلِقاً وَضِينُها   مُخَالِفاً دِينَ[٥] النّصَارَىٰ دِينُها[٦]

---

(١) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (٤/ ١٠٤)، و«الدر المنثور» (١/ ٤٣٧).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٥٩)، وورد هذا الحديث في الأصل الفارسي بلفظ: «عن عمر افصلوا بين حجكم وعمرتكم، اجعلوا الحج في أشهر الحج واجعلوا العمرة في غير أشهر الحج، أتم لحجك وعمرتك»، ولكن ما عثرنا على هذا اللفظ المروي عن عمر في أي كتاب من كتب الحديث المتداولة.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (١/ ٤٤٣)، وفيه: «. . . أكيس الكَيْس التُّقى، وأنوك النَّوك الفجور».

(٤) كذا ورد في الأصل الفارسي، وأما الذي ورد في «عيون الأخبار» (١/ ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٥٦)، ففيه بعض الاختلاف في اللفظ دون المعنى.

(٥) كذا ورد في الأصل الفارسي، وأما الذي ورد في «عيون الأخبار» (١/ ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٥٦)، ففيه بعض الاختلاف في اللفظ دون المعنى.

(٦) انظر: «الأم» (٢/ ٢٣٤)، و«الدر المنثور» (١/ ٤٤٨).

وأخرج **البيهقي** عن **أبي هريرة** أنَّ رجلاً مرَّ بعمرَ بنِ الخطّاب، وقد قضى نسكَه، فقال له عمرُ: «أحججتَ؟».

قال: نعم.

قال: «اجتنبتَ ما نُهيتَ عنه؟».

فقال: ما آلوت.

قال عمر: «استقبِلْ عملكَ»[١].

• **قيل لعطاء بن أبي رباح**: أبلغك أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يَسْتَأْنِفُونَ العَمَلَ**»؛ يعني: الحاج؟[٢].

فقال: لا، ولكن بلغني عن عثمان بن عفان، وأبي ذر الغفاري أنهما قالا: يستقبلون[٣] العملَ[٤].

• **وعن سالم** [بن عبد الله بن عمر]، عن أبيه، عن **عمر بن الخطّاب** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائلينَ**»[٥].

• **وعَنِ ابْنِ أَبِي نجيح** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سُئِلَ **ابْنُ عُمَرَ** عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ فَقَالَ: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُمَرَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَمَعَ عُثْمَانَ فَلَمْ يَصُمْهُ، وَأَنَا لَا أَصُومُهُ، وَلَا آمُرُ بِهِ وَلَا أَنْهَى عَنْهُ[٦].

• **وروى صهيبٌ** أنّ المشركين لما أطافوا برسول الله ﷺ [فأقبلوا

---

(١) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (٣/ ٤٧٩) برقم: (٤١١٨).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «الحجاج». (٣) وفي الأصل الفارسي: «لا يستقبلون».

(٤) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (٣/ ٤٧٩) رقم: (٤١١٧).

(٥) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (١/ ٤١٣) برقم: (٥٧٢).

(٦) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٧٥١).

على الغار وأدبروا قال: «**واصُهَيْبَاهُ ولا صُهَيْبَ لي**»، فلمّا أرادَ رسولُ اللهِ ﷺ الخروجَ بعثَ أبو بكر رضي الله عنه مرّتين وثلاثاً إلى صُهَيْبٍ[(١)]، فوجده يصَلِّي، فقال أبو بكر رضي الله عنه للنبيِّ ﷺ: وجدته يصلِّي، فكرهتُ أن أقطعَ عليه صلاتَهُ قال: «**أصبتَ**».

وخرجا من ليلتهما، فلما أصبحَ، خرجَ، حتى أتى أُمَّ رُومَانَ زوجةَ أبي بكر رضي الله عنه فقالت: ألا أراكَ ههنا وقد خرجَ أخواك، ووضعا لك شيئاً مِنْ زادهما؟.

قال صهيبٌ: فخرجتُ حتى دخلتُ على زوجتي أُمَّ عُمرَ، فأخذتُ سيفي وجعبتي وقوسي، حتى أقدمَ على رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ فَأَجِده وأبا بكرٍ رضي الله عنه جالسينِ، فلمّا رآني أبو بكر قامَ إليَّ، فبشّرني بالآيةِ التي نزلتْ فيَّ، وأخذ بيدي، فلمتُه بعضَ اللائمةِ، فاعتذَرَ وربَّحَني رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**ربحَ البيعُ أبا يحيى**»[(٢)].

● **وعن عكرمة أنّ عمرَ بنَ الخطاب** كان إذا تلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ﴾ إلى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٧]، قال: اقتتل الرجلان.

والمقصود مِنْ هذا الكلامِ أنَّ عمرَ رضي الله عنه قد عُرِفَ بفراسته أنَّ السيفَ يشهر بين الأُمة المرحومة، وذلك بأنْ يكونَ الخليفة ظالماً، فيقومُ رجلٌ مؤمنٌ يكون حاله «يشري نفسه» ينكِرُ على ظلمه، ولا تحاسب الجماعة أعمالها من أجل إنكاره عليه، حتى يؤول الأمرُ إلى القتال، فيقع هذا النوعُ من المقاتلة، مع أنّ معظم التقاتل يحدث من أجل اتباع الهوى من كلا الجانبين.

---

(١) سقط في الأصل الفارسي.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم: (٧٣٠٨).

• **عن أبي بكر** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنِ اغبرّتْ قَدَمَاهُ في سَبِيلِ اللهِ حرّمها الله على النّارِ**»[١].

• **وعن عثمانَ** سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**حَرَسُ ليلةٍ في سبيلِ اللهِ أفضلُ مِنْ ألفِ ليلةٍ يُقامُ ليلُها، ويُصَامُ نهارُها**»[٢].

• **وعن أبي بكر الصدّيق** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تَرَكَ قومٌ الجهادَ إلّا عمّهم اللهُ بالعذابِ**»[٣].

• **وعن عمرَ** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ، لا تَأْتُوا النِّسَاءَ في أَدْبارِهِنَّ**»[٤].

• **وعن زيد بن أسلم** قال: [بلغني أنه[٥]] جاءت امرأة إلى **عمر بن الخطاب** فقالت: إنّ زوجها لا يصيبُها، فأرسل إلى زوجِها، فسأله، فقال: كبرتُ وذهبتْ قوّتي.

فقال له: في كَمْ تُصيبُها؟

قال: في كلِّ طُهْرٍ مَرّةَ.

فقال عمر: اذهبي فإنّ فيه ما يكفِي المرأةَ[٦].

• **وعن الحسن** قال: سأل **عمر** ابنتَه حفصة: كم تَصْبِرُ المرأةُ عن الرَّجُلِ؟

فقالت[٧]: ستّةَ أَشْهُرٍ.

---

(١) أخرجه البزَّار في «مسنده» (١/ ٧٦) برقم: (٢٢).
(٢) أخرجه أبو عمر في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٠٥).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٣٤) برقم: (٣٩٨١).
(٤) أخرجه البزَّار في «مسنده» (١/ ٤٧٤) برقم: (٣٣٩).
(٥) كذا ورد في الأصل الفارسي.
(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٢٥٧) برقم: (١٠٧٣٧).
(٧) وفي الأصل الفارسي: «قلت».

فقال: لا جرمَ لا أُجَمِّرُ[١] رجلاً أكثرَ مِنْ سِتّةِ أشهُرٍ[٢].

• **وعن عُمَر بْن الْخَطَّابِ** ﷺ قال: وَاللهِ إِنِّي لأُكْرِهُ نَفْسِي عَلَى الْجِمَاعِ رَجَاءَ أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنِّي نَسَمَةً تُسَبِّحُ[٣].

وعن أشعث بن أسلم البصري قال: بينا **عمر** يصلِّي، ويهوديان خلفَه، قال أحدهما لصاحبه: أهو هو؟ «فلما انتعل عمر قال: أرأيت قول أحدكما لصاحبه أهو هو؟»[٤].

قالا: إنّا نجده في كتابنا قرناً من حديدٍ يعطى ما يعطى حزقيل الذي أحيا الموتى بإذنِ اللهِ.

فقال عمرُ: ما نجدُ في كتابِ الله حزقيلَ ولا أحيا الموتى بإذن الله إلَّا عيسى.

قالا: إنّا نَجِدُ في كتاب الله: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤].

فقال عمر: بلى.

قالا: وأمّا إحياء الموتى فسنحدثك أنّ بني إسرائيل وقعَ عليهم الوباءُ، فخرجَ منهم قومٌ حتّى إذا كانوا على رأسِ ميلٍ أماتهم الله، فبنوا عليهم حائطاً، حتى إذا بَلِيَتْ عظامُهم بعثَ الله حِزْقيلَ، فقام عليهم فقال ما شاء الله، فبعثَهُمُ اللهُ له، فأنزل الله في ذلك قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ...﴾ الآية [البقرة: ٢٤٣][٥].

• **عن ابن عمر**، أن عمرَ بنَ الخطّاب خرج ذات يوم إلى الناس

---

(١) في الأصل الفارسي: «لا أجمّر». (٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٩).
(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٩).
(٤) لا يوجد في الأصل الفارسي. (٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٢٥).

فقال: أيكم يخبرني بأعظم آية في القرآن، وأعدلها، وأخوفها، وأرجاها؟ فسكت القوم.

فقال ابن مسعود: على الخبير سقطتَ، «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**أعظمُ آيةٍ في القُرآنِ**: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، **وأَعْدَلُ آيةٍ في القرآن**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠] إلى آخرها، **وأَخْوَفُ آيةٍ في القرآن**: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، **وأرجى آيةٍ في القُرآنِ**: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر: ٥٣]»[(١)].

وعن **أبي الدرداء** قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقْتَدُوا باللّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أبي بكرٍ وعُمَرَ، فإنَّهما حَبْلُ اللهِ الممدودُ، فَمَنْ تَمَسَّكَ بهما**، ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»[(٢)].

• **وعن ابن عباس** قال: قال عمر يوماً لأصحاب النبيّ ﷺ: فيم تَرون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ﴾ [البقرة: ٢٦٦]؟

قالوا: الله أعلم!

فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيءٌ يا أميرَ المؤمنين!

فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقّر نفسَك.

قال ابن عباس: ضُرِبَتْ مثلاً لِعَمَلٍ[(٣)].

قال عمر: أيُّ عملٍ؟

قال ابن عباس: لعملٍ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/١٥٣). (٢) انظر: «فتح القدير» (١/٣٧٤).

(٣) وفي الأصل الفارسي: «ضربت مثل العمل».

قال عمر: لرجلٍ غنيٍّ يعملُ بطاعةِ اللهِ، ثم بعثَ اللهُ له الشيطانَ فعمِلَ بالمعاصي حتّى أغرقَ أعمالَه[١].

وعن **ابن عباس** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب: قرأتُ الليلةَ آية أسهرتني: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فقرأها كلها [فقال[٢]]: ما عنى بها؟[٣].

فقال بعضُ القوم: الله أعلمُ!

فقال: إنِّي أعلمُ أَنَّ الله أعلمُ، ولكن إنّما سألتُ إن كان عندَ أحدٍ منكم عِلْمٌ، وسمعَ فيها شيئاً أن يخبِرَ بما سَمِعَ؟

فسكتوا، فرآني وأنا أهمسُ قال: قل يا ابن أخي، ولا تُحقِّر نفسك.

قلت: عنى بها العمل.

قال: وما عُني بها العمل؟

قلت: شيءٌ ألقي في رُوعي فقلتُه.

فتركني وأقبل وهو يفسِّرها: صدقتَ يا ابنَ أخي! عُني بها العملُ، ابنُ آدمَ أفقرُ ما يكونُ إلى جنّتِهِ إذا كَبُرَتْ سِنُّه، وكَثُرَ عيالُه، وابنُ آدمَ أفقرُ ما يكونَ إلى عملِهِ يومَ القيامةِ، صدقتَ يا ابنَ أخي[٤].

• **أخرج الدارقطني عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: إِنَّمَا سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ الزَّكَاةَ فِي هَذِهِ الأَرْبَعَةِ: الْحِنْطَةِ، وَالشَّعِيرِ، وَالزَّبِيبِ، وَالتَّمْرِ[٥].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٨٨)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣١٠)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٦٩٥).

(٢) لا يوجد في الأصل الفارسي.

(٣) وفي الأصل الفارسي: «ما عُني بها».

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ١٨٨).

(٥) انظر: «سنن الدارقطني» (٥/ ١٥٥) برقم: (١٩٣٦).

وعَنْ **أَبِي بَكْرٍ**، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى أَعْوَادِ الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنَّهَا تُقِيمُ الْعَوَجَ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ، وَتَقَعُ مِنَ الْجَائِعِ مَوْقِعَهَا مِنَ الشَّبْعَانِ**»[١].

وأخرج **أبو داود والترمذي** عن **عُمَر بن الْخَطَّابِ** رضي الله عنه قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْماً أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**»، قُلْتُ: مِثْلَهُ.

قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟**»، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللهَ وَرَسُولَهُ.

قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَداً[٢].

• **وعن الشعبي** قال: نزلت هذه الآية: ﴿**إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ...**﴾ [البقرة: ٢٧١]، في أبي بكر وعمر، جاء عمرُ بِنِصْفِ ماله يحمله إلى رسول الله ﷺ على رؤوس الناس، وجاء أبو بكر بماله أجمع، يكادُ أن يخفيه من نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**ما تَرَكْتَ لِأَهْلِكَ؟**» قال: عِدَةُ اللهَ وعِدَةُ رسوله، فقال عمر لأبي بكر: ما استبقنا[٣] إلى بابِ خيرٍ قَطّ إلا سبقتنا إليه[٤].

وأخرج **أحمد** عَنِ **ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ** قَالَ: كَانَ رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٨٦).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٦٧٨).

(٣) كذا في الأصل الفارسي، غير أنه ورد في «الدر المنثور»، للسيوطي بلفظ: «ما سبقناك».

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٢١)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٢)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٣٣٠).

يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ: فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ، فَيُنِيخُهَا، فَيَأْخُذُهُ. [قَالَ[1]]: فَقَالُوا لَهُ: أَفَلَا أَمَرْتَنَا نُنَاوِلُكَهُ[2].

فَقَالَ: إِنَّ حبيبي[3] رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئاً[4].

• **وأخرج أحمد وأبو يعلى عن أبي سعيد الخدري** قال: **قال عمر**: يا رسول الله! لقد سمعتُ فلاناً [وفلاناً يُحْسِنان الثناءَ، يذكران أنّك أعطيتهما دينارين، قال: فقال النبيُّ ﷺ: **لكنْ واللهِ فلاناً] ما هُوَ كذلك، لقد أعطيتُه مِنْ عَشْرَةٍ إلى مِائةٍ، فَمَا يقولُ ذاكَ، أَمَا واللهِ إنَّ أحدَكُم ليُخرِجُ مَسْأَلَتَهُ[5] مِنْ عِنْدِي يتأبَّطُها**» [يعني: تكون تحت إبطه؛ يعني: ناراً].

قال: قال عمر: يا رسولَ اللهِ! لِم تعطيها إياهم؟

قال: «**فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبَوْنَ إلّا ذاكَ، ويَأْبَىٰ اللهُ لِيَ البُخْلَ**»[6].

وأخرج **البخاري ومسلم** عَنْ سَالِمٍ **أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ** رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي.

فَقَالَ: «**خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ، [فَتَمَوَّلْهُ إنْ شِئْتَ كُلَّهُ، وإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ]، وَمَا لَا فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**».

قَالَ سَالِمٌ: فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ ابْنُ عُمَرَ لا يَسْأَلُ أَحداً شَيْئاً وَلَا

---

(١) كذا في الأصل الفارسي. (٢) وفي الأصل الفارسي: «نتناولكه».

(٣) كذا في الأصل الفارسي، وورد في «مسند أحمد» بتحقيق شعيب الأرنؤوط: «حِبِّي».

(٤) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٥). (٥) وفي الأصل الفارسي: «بمسألة».

(٦) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١١٠١٧) واللفظ له، و«مسند أبي يعلى» (٢/ ٤٩٠) برقم: (١٣١٧).

يَرُدُّ شَيْئاً أُعْطِيَهُ[١].

• **وعن ابن إسحاق** قال: لمّا قُبِضَ أبو بكر واستُخْلِفَ عُمَرُ، خطبَ الناسَ فحَمِدَ الله، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: «أيُّها الناسُ! إنَّ بعضَ الطمع فقرٌ، وإنَّ بعضَ اليأس غنىً، وإنّكم تَجْمَعُونَ ما لا تَأْكُلون، وتأمَلُونَ ما لَا تُدْرِكُون، واعلموا أن بعضَ الشُّحِّ شعبةٌ مِنَ النفاقِ، فأنفقوا خيراً لأنفُسِكُم، فأينَ أصحابُ هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة]»[٢].

وعن **عمر** أنّه قال: مِنْ آخرِ ما أُنْزِلَ آيةُ الرِّبا، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قُبِضَ قَبْلَ أَنْ يُفَسِّرَها لنا، فَدَعَوا الرِّبا والرِّيبة[٣].

وعن **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أحبَّ أَنْ يَسْمَعَ اللهُ دَعْوَتَهُ، ويُفَرِّجَ كُرْبَتَهُ في الدُّنيا والآخِرَة، فَلْيُنْظِرْ مُعْسِراً، وَلْيَدْعُ له، وَمَنْ سَرَّهُ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ مِنْ فَوْرِ جَهَنَّم يَوْمَ القِيَامَةِ، ويَجْعَلَهُ في ظِلِّهِ فلا يَكُونَنَّ على المؤمنينَ غَلِيظاً، وَلْيَكُنْ بهم رَحِيماً**»[٤].

وعن **عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**أَظَلَّ اللهُ عَبْداً في ظِلِّه يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلَّه أَنْظَرَ مُعْسِراً، أَوْ تَرَكَ لِغَارِمٍ**»[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٤٧٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٠٤٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٣٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٤٠).
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٥٣٧).
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٥٣٢).

آيات سورة آل عمران

• قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد بيَّن الله تعالى في هذه الآيات حقيقة الخلافةِ الخاصّة، وحقيقةَ الفتنة التي ظهرت بعد أيّام الخلافة، وأعربَ عن رضاه بالحالةِ الأُولى، وعن سخطه بالحالةِ الثانية، وأمر ـ أولاً ـ بلزوم التقوى، والاستقامة عليها، ثم أمرَ بالاجتماع على الاعتصام بحبل الله، ونهى عن التفرّق فيه، ثم أشار إلى أنَّ المراد من الاجتماع أمران:

أحدهما: أن لا يختلفوا في فهم شرائعِ اللهِ من كتاب الله، وذلك أن يختارَ رجلٌ مذهباً لنفسه، ويختارَ الآخرُ غيرَ ذلك، ولقد ورد هذا المضمون في آية: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾، بالإجمال، وورد في آية: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟﴾

بالتفصيل، فإذا اختلفت المعاني في أذهانهم، فعليهم المشاورةُ فيما بينهم، ونزع الاختلاف من بينهم، حتى يجمعوا على معنىً واحد، ويدخلوا في ساحة الاتفاق والإجماع، وقد جرت عادة الله في أنّ الإجماع لا يقعُ ولا يُرفَعُ الخلافُ إلّا بتصدّي الخليفةِ الراشدِ العالمِ المُسَلَّمِ فضلُه فيما بين الناس.

والثاني: أن يُصمِّم الجميعُ العزمَ والهمةَ على إعلاء كلمة الله، وأن ينسَوْا أحقادَهم القديمة التي كانت في الجاهلية فيما بينهم، وقد وقعت الإشارةُ إلى ذلك في آية: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً. . .﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم يبيِّن بعد ذلك أنَّ سبب هذا الاجتماع بحسب جريان سُنَّة الله أن تقوم الجماعة الخاصة منهم بإحياء علوم الدين، والقيام بالجهاد، وإقامة الحدود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقومَ أخرى ـ الجماعة العامة ـ بامتثال أمرهم، وذلك ـ أي: قيامُ مثل هذه الجماعة ـ من فروض الكفاية، وعادةُ اللهِ أنّ أمرَ هذه الأمة المفلحة لا يقوم بدون أن يتصدّى لإقامة هذا الأمر شخصٌ مسلَّمٌ فضلُه فيما بين الناس.

ثم يشدِّدُ الله ﷻ في النهي عن التفرُّقِ في الدِّين حتّى لا يكونوا كأهل الكتاب الذين اختلفوا مِنْ بعدِ ما تبيَّن لهم الحقُّ، وثبتت حجةُ اللهِ، ولزم التكليفُ، وبعد وقوع الخلاف بينهم يكون حالُهم يومَ القيامة ﴿تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

ثمَّ يبيِّن ﷻ بعد ذلك فضيلة تلك الجماعة التي تقوم بإحياء الدين في الأمة المحمدية، على الجماعة التي قامت بهذا الأمر في الأمم السابقة، ويذكر سبب تأخُّر اليهود والنصارى عن هذه المنزلة، وذلك بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ. . .﴾ [آل عمران: ١١٠].

بالجملة: إنّ الخلافةَ الخاصّةَ تتحققُ بإجماعِ الأمةِ على شخصٍ بالمعنيين المذكورينِ ـ أي: قيام الطبقة الخاصة بإعلام كلمة الله وإقامة الحدود، والطبقة العامة بالامتثال لأوامرهم ـ واتفاق الطبقة العامة في المذاهب، ونزع الأحقاد التي نشأت في قلوبهم من أجلِ ثورة النفس السبُعية والبهيمية من بينهم، وأن يكون القرن من خير القرون، وقال النبي ﷺ: «**خير القرون قرني**»[1] الحديث.

إن أيامَ الفتنة أيامٌ يظهَرُ فيها الخلافُ في المذاهب والآراء، وتفرّق المسلمين بسبب الأحقاد إلى فرق مختلفة، وقد شرحنا هذه المعاني، وأوردنا ما رُوي عن النبيِّ ﷺ في هذا الباب في الأخبار المشهورة فيما تقدّم فارجع إليه.

ثم نقول: إنّه قد ثبت بهذه الآية أنّ جماعةً عظيمةً من أصحاب النبي ﷺ كانت ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، وقد ثبت بالتواتر أنّ هذه الجماعة قد اتخذت في التصدّي لإقامة الدين رجلاً منهم رئيساً لهم، وقد تكرّر ذلك غير مرّة، وقاموا بمهمة الدعوة إلى الخير وِفْقَ أمره، وهذا هو معنى الخلافة.

فإن قيل: إن اتفاقهم على الباطل واتخاذهم غير الصالح للرئاسة رئيساً لم يكونوا خير أمة.

وإن قيل: إن جماعة اتخذت غير صالح للرئاسة وغير المستحق للرئاسة رئيساً، وجماعة أخرى سكتت على ذلك، ولم تقم بإنكار هذا المنكر، كانت الجماعتان معزولتين عن الخيرية، سبحانك هذا بهتان عظيم.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» برواية محمد بن الحسن (٣/ ٢٩٥).

• قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: قد اختلف المفسِّرون في تفسير هذه الآيات، فذهب أكثرُهم إلى أنّ الآيتين: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ﴾ [آل عمران: ١٧٢] و﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] نزلتا في بدر الصغرى.

وبالجملة: إنّ الخلفاء كانوا ممن شهدوا بدراً الصغرى[1]، فتحقق في شأنهم قوله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، وناهيك به من الشرف.

• وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ

---

(١) وقعت غزوة بدر الصغرى بعد أُحد، وكانت موضع سوق للعرب في الجاهلية. انظر: «تاريخ الخميس» (١/ ٤٦٥)، أما غزوة بدر الكبرى فهي معروفة في التاريخ وقعت سنة ٢هـ.

مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [آل عمران].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ هذه الآيات نزلت في فضائل المهاجرين الأولين، وإن لم يذكر في بدايتها عنوان المهاجرين، ولكن لمَّا جاء في أواخرها: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿فَٱلَّذِينَ هَـٰجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] عُلِمَ أنّ هذه الجماعة جماعة المهاجرين الأولين، الذين أُخرجوا من ديارهم، وأُوذوا في سبيل الله، وقاتلوا، فقُتِلَ بعضُهم، وبلغ البعضَ الآخر مبلغَ المقتولين، وبذلوا نفوسَهم، وحفظهم الله من المهلكة، كما قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وهم متّصفون بالأدعية الخاصة والإخلاص التامّ، فإن صدرت منهم زَلَّةٌ كانت بحكم: «**لعلَّ اللهَ اطّلَعَ على أهلِ بَدْرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُم فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»[1] مغفورةٌ لهم، ومآلُهم وحالُهم دخولُ الجنَّة، وما أعظمها من بشارةٍ.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه مَنْ قرأَ البقرةَ وآلَ عمرانَ والنساءَ كُتِبَ عندَ الله من الحكماءِ[2].

• **وأخرج الدارمي** عن **سليمان بن يسار** أن رجلاً يقال له: صَبِيغٌ، قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمرُ، وقد أعدّ له عراجينَ النخلِ، فقال: من أنت؟

قال: أنا عبدُ اللهِ صَبِيغ.

[فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه، وقال: أنا عبدُ اللهِ

---

(١) ورد هذا الحديث في شأن حاطب بن أبي بلتعة، وهو من أصحاب بدر.

(٢) انظر: «شعب الإيمان» (٢/ ٤٦٨).

عُمَرُ[١]]، فجعل له ضرباً حتّى دَمِيَ[٢] رأسُه، فقال: يا أمير المؤمنين حَسْبُكَ، قد ذهبَ الذي كنت أَجِدُ في رأسي[٣].

وعن أبي عثمان النهدي: أن عمر كتبَ إلى أهلِ البصرةِ، أَنْ لا يجالِسُوا صَبِيغاً، قال: فلو جاءَ ونحنُ مائةٌ لتفرَّقنا[٤].

وعن **محمد بن سيرين** قال: كتب عمرُ بنُ الخطاب إلى أبي موسى الأشعري أَنْ لا يجالِسَ صبيغاً، وأن يُحْرَمَ عطاءه ورزقَه[٥].

● **قال الشافعيُّ**: حكمي في أهل الكلام حُكْمُ عمرَ في صَبِيغ، أَنْ يُضْرَبوا بالجريدِ، ويُحْمَلوا على الإِبلِ، ويُطافُ بهم في العشائر والقبائل، وينادَىٰ عليهم؛ هذا جزاءُ مَنْ ترك الكتاب والسُّنَّة، وأقبل على علم الكلام[٦].

وأخرج **الدَّارميُّ** عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: إِنَّهُ سَيَأْتِي نَاسٌ يُجَادِلُونَكُمْ بِشُبُهَاتِ الْقُرْآنِ، فَخُذُوهُمْ بِالسُّنَنِ، فَإِنَّ أَصْحَابَ السُّنَنِ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللهِ[٧].

● **وعن أبي هريرة** قال: كُنّا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل يسأله عن القرآن: أمخلوق هو أو غير مخلوق؟

فقام عمر فأخذ بمجامع ثوبه حتّى قاده إلى عليٍّ بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن أما تسمع ما يقول هذا؟

---

(١) في الأصل الفارسي اختلاف في الترتيب فقط، وهو حسب ما يأتي: «فقال: وأنا عبدُ اللهِ عمرُ، فأخذ عُمَرُ عُرجوناً من تلك العراجين فضربَ به».
(٢) في الأصل الفارسي: «دمّى».
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٤).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٤).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٤).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٥).
(٧) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١١٩).

قال: وما يقول؟

قال: جاءني يسألني عن القرآن: أمخلوق هو أو غير مخلوق؟

فقال علي: هذه كلمةٌ، وسيكون لها ثمرةٌ، لو وَليتُ من الأمرِ ما وَلِيتَ ضربتُ عُنقَه[(١)].

• **عن قتادة** في هذه الآية: ﴿أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥] قال: ذكر لنا أنَّ عُمَرَ بْنَ الخطّاب كان يقول: اللَّهُمَّ زيَّنْتَ لنا الدُّنيا، وأنبأتنا أنَّ ما بعدَها خيرٌ منها، فاجعلْ حظَّنا في الذي هو خيرٌ وأبقى[(٢)].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: لو تركَ الناسُ الحجَّ لقاتلتُهم عليه، كما نقاتِلُهم على الصّلاةِ والزّكاةِ[(٣)].

• **وعن عثمان** أنه قرأ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران][(٤)].

يقول الفقير: ليس معنى هذا الحديث أنّ عثمان كان يظنُّ أنَّ هذه الكلمة ـ أي: يستغيثون على ما أصابهم ـ من القرآنِ، إذ إنه قد تواتر في الملّة أنَّ هذه الكلمة لم تكن في المصاحف العثمانية، بل معنى هذا الكلام أنَّ هذه الكلمة مفهومةٌ من فحوى هذه الآية، وهذا كما يقول المفسِّر في قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]؛ أي: واسأل أهل القرية، وتوجيهُ هذه الكلمة أنَّ منصبَ الخليفةِ الراشدِ لا ينحصر في توجيه الدعوة الظاهرة باللسان فقط، بل هو تصميمُ العزم والهمة، والابتهالُ إلى الله تعالى لدفع البلاء عن الأمة.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٨٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٢٩٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٣٩٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٥).

والحاصل أنَّ مِنْ متمّمات الخلافةِ الراشدةِ دفع البلاء عن الملّة بدعاء الخليفة.

• **وعن عمر** قال: لو شاء الله لقال: أنتم، فكنَّا[١] كلنا، ولكن قال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران] في خاصة أصحاب محمد، ومن صنع مثل صنيعهم كانوا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

وعن عمر في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: تكون لأوَّلنا، ولا تكون لآخرنا[٣].

وعن قتادة قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية، ثم قال: يا أيها الناس مَنْ سرَّه أن يكونَ من الأُمَّةِ التي أُخْرِجَتْ للناس فليؤدِّ شرط الله فيها[٤].

• **وعن عياض الأشعري** قال: شهدتُ اليرموكَ، وعلينا خمسةُ أمراءُ: أبو عبيدة، ويزيدُ بن أبي سفيان، وابن حَسَنَةَ، وخالد بن الوليد، وعياض، وليس عياضٌ هذا قال، وقال عمر: إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة، فكتبنا إليه أنّه قد [جاش[٥]] إلينا الموتُ، واستمددناه.

فكتب إلينا أنْ جاءني كتابُكم تستمدُّونني، وإنِّي أدلُّكم على مَنْ هو أعزُّ نصراً، وأحضرُ جُنداً، الله ﷻ، فاستنصروه، فإنَّ محمداً ﷺ قد نُصِرَ يومَ بدرٍ في أقلِّ من عِدَّتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تُرَاجعوني.

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فقلنا»، ولعلَّ هذا غير صواب، والله أعلم.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٩). (٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٩).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٠٩).

(٥) كذا في الأصل الفارسي، وورد في «الدر المنثور»: «حاس».

فقاتلناهم فهزمناهم أربعة فراسخ(١).

أخرج **أبو داود والترمذي** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ، وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٢).

• **ومن موافقات عمر قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾** [آل عمران: ١٤٤].

• **عن كليب** قال: خطبنا عمر فكان يقرأ على المنبر «آل عمران»، [ويقول: إنها أُحُدِيَّة]، ثم قال: تفرَّقنا عن رسول الله ﷺ يوم أُحد، فصعدتُ الجبلَ، فسمعتُ يهودياً يقول: قُتِلَ محمَّدٌ، فقلت: لا أسمعُ أحداً يقول: قُتِلَ محمَّدٌ إلا ضربتُ عنقه، فنظرت فإذا رسولُ اللهِ ﷺ والناسُ يتراجعون إليه، فنزلت هذه الآية: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾**(٣).

أخرج **البخاريُّ** عن أبي سَلَمَةَ، عَنْ **عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ**: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: اجْلِسْ يَا عُمَرُ، [فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ، فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ]، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:

أَمَّا بَعْدُ! مَنْ كَانَ [مِنْكُمْ] يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ، فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ [مِنْكُمْ] يَعْبُدُ اللهَ، فَإِنَّ اللهَ حَيٌّ [لَا يَمُوتُ]، قَالَ اللهُ: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾** إِلَى قَوْلِهِ: **﴿الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾**.

وَقَالَ: [وَاللهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ(٤)] لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٤٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٢/٤٢١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/٧) برقم: (٣٣٨٣٣).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٥١٤) واللفظ له، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٥٥٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/٤٤٨).

(٤) وفي الأصل الفارسي بلفظ: «فوالله لكأنهم».

تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ، [فَتَلَقَّاهَا[١]] مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَمَا أَسْمَعُ بَشَراً مِنَ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا[٢].

ورُوي عن **أبي هريرة وعروة** وغيرهما نحو ذلك.

وقال إبراهيم: قال أبو بكر: لو منعوني [ولو] عِقَالاً أَعْطَوْا رسولَ اللهِ ﷺ لجاهدتهم، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[٣].

• **وعن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران]، قال: الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه، فكان عليّ يقول: كان أبو بكر أميرَ الشاكرين[٤].

• **وروي عن ابن عباس** ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال: أبو بكر وعمر[٥].

• **وفي رواية عن ابن عباس** قال: نزلت هذه الآيةُ في أبي بكر وعمر، فقال النبيُّ ﷺ: **«لَوْ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا»**[٦].

وتنشأُ شبهةٌ في هذا الموضع؛ إذ إنَّ سياق الآيات للذين وقع منهم تقصيرٌ وزلّة في غزوة أُحد، وأراد النبيُّ ﷺ أن يعفوَ عن تقصيرهم، ويزيلَ غبارَ الندامةِ عن وجوههم، اختياراً لأنواع الملاطفات والمعاملات الحسنة، ومن نوع هذه الملاطفات مشاورتهم في الحرب، ولم تصدر زلّةٌ من الشيخين في غزوة أُحد، حتى يكونا مصداق هذه الآية.

وجوابها: أنَّ ذكر عبد الله بن عباس للشيخين في هذا الموضع

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فتلاها».
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٤٥٤).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٥١).
(٤) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٤).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).

مَذْهَبٌ يخالِفُ المذاهب المشهورة في التفسير، وهو أنَّ العرب يقولون: إنّما يُذْكَرُ الشيءُ بالشيءِ، فَتَفَطَّنْ لهذه النكتة، فإنّها تنفعُكَ في كثير من المواضعِ لحلِّ المشكلاتِ في التفسيرِ.

وعن **ابن عمرو** قال: كتب أبو بكر الصدِّيق إلى عمرو: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يشاوِرُ في الحربِ فعليك به(١).

وعن **الضحَّاك** قال: كان عُمَرُ بن الخطاب يشاوِرُ حتّى المرأةَ(٢).

● **قوله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

أخرج **البخاري** من حديث **ابن عمر** أَمَّا فِرَارُهُ ـ أي: عثمان بن عفان ـ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ(٣).

● **وعن الحسن** في قصة بدر الصغرى، فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَبِعُوهُمْ(٤).

وقالت **عائشة** ﵂ في قصة حمراء الأسد: فَانْتَدَبَ(٥) مِنْهُمْ سَبْعُونَ رَجُلاً، قَالَ: كَانَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَالزُّبَيْرُ(٦).

● **ومن موافقات أبي بكر الصدِّيق** قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١](٧)، رُوي ذلك من طرق متعددة، منها ما يدلّ على موافقته، ومنها ما يدلّ على تصديقِ مقالته.

روي عن **عكرمة**: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص اليهودي

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٧٠). (٢) انظر: «الدر المنثور» (٢/ ٤٦٩).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٤٠٦٦).
(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٢٦٨). (٥) أي: بادروا بالإباحة.
(٦) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٧٧).
(٧) انظر: «الكشف والبيان» (٣/ ٣٠٢).

يستمدّه، وكتبَ إليه، وقال لأبي بكر: لا تَفْتَتِ[١] عليَّ بشيء، حتى ترجعَ إليَّ.

فلمّا قرأ فنحاصُ الكتابَ قال: قد احتاجَ ربُّكم.

قال أبو بكر: فهممت أن أقره[٢] بالسيف، ثم ذكرت قول النبي ﷺ: لا تفتت عليّ بشيء، فنزلت: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية، وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وما بين ذلك في يهود بني قينقاع[٣].

وفي روايةٍ: فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربةً شديدةً وقال: والّذي نفسِي بيدِهِ، لولا العهدُ الذي بيننا وبينك لضربتُ عنقَك يا عدوَّ الله.

فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمَّدُ، انظر ما صنعَ صاحبُك بي.

فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**ما حَمَلَكَ عَلىٰ مَا صَنَعْتَ؟**»

قال: يا رسول الله! قال قولاً عظيماً، يزعُمُ أنَّ الله فقيرٌ، وأنهم [عنه] أغنياء، فلمّا قال ذلك غضبتُ للهِ ممّا قال، فضربتُ وجهه.

فجحَدَ فنحاص فقال: ما قلت ذلك، فأنزل [الله] فيما قال فنحاص تصديقاً لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية، ونزل في [أبي بكر و]ما بلغه في ذلك من الغضب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا﴾ الآية[٤].

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «لا تفت».

(٢) في الأصل: «أن أقرّه»؛ أي: أبرده، وفي «الدر المنثور»: «أمده».

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/٦).

• **وعن السدي** في قوله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾، قالها فنحاص اليهودي من بني مرثد، لقيَهُ أبو بكر فكلَّمه، فقال له: يا فنحاص اتّقِ الله، وآمِن وصدِّق، وَأَقْرِضِ اللهَ قرضاً حسناً.

فقال فنحاص: يا أبا بكر! تزعُمُ أنَّ ربنا فقيرٌ، وتستقرِضُنا أموالَنا، وما يستقرِضُ إلّا الفقيرُ من الغنيِّ، إنْ كانَ ما تقولُ حقّاً، فإنَّ الله إذن لفقيرٌ، فأنزل الله هذا، فقال أبو بكر: فلولا هدنةٌ كانت بين بني مرثد وبين النبيِّ ﷺ لقتلتُه[1].

وعن مجاهد قال: صكَّ أبو بكر رجلاً منهم ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ لِمَ يَسْتَقْرِضُنا وهو غنيٌّ، وهم يهود[2].

• **أخرج الترمذي عن عثمان بن عفّان** سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ**[3] **فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»[4].

ولفظ ابن ماجه: «**مَنْ رابطَ ليلةً في سبيلِ اللهِ سبحانَه كانتْ كَأَلْفِ ليلةٍ صيامها وقيامها**»[5].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: قد بيّنّا سابقاً أنَّ الفضائل التي يَتَقَرَّبُ بها عبادُ اللهِ إلى ربِّهم على قسمين:

أحدهما: أنها تُخْرِجُ أفراد البشر من سجن طبيعتهم[6]، وتقرِّبهم إلى حظيرة القُدْس، وذلك بمنزلة المذهب الطبيعي ـ فإنّ هذه الصفةُ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦). (٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧).

(٣) وفي الأصل الفارسي: «موقف ساعة»، وأخرج نحوه ابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٤٦٢) برقم: (٤٦٠٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٤٠) برقم: (٤٢٨٦).

(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٦٦٧).

(٥) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (٢٧٦٦).

(٦) أي: من اللذات النفسية.

المذكورةُ داخلةٌ في طبيعتها ـ، ولا شكَّ أنَّ هذا القسم مأمورٌ به في جميع الأديان والملل، مثل التوكل، واليقين، والصبر، والصلاة، والصوم، والصدقة، وذكر الله تبارك وتعالى.

والقسم الثاني: أنّ تأثيرَه في أفرادِ البشرِ يختصُّ بزمان خاصّ على ما تقتضيه العناية الإلـٰهية، مثل: الهجرة، والجهاد، والحج، وهذا القسم مقرِّب للبشر في بعض الملل يقرب أفرادَ البشرِ إلى حظيرة القدس دون بعضِها، مثلاً في شريعتنا تعلّقت الإرادة الإلـٰهية بإهلاكِ الملل الضالّة مثل: المشركين واليهود والنصارى والمجوس، وصورتهم تمثّلت في حظيرة القدس بهذه الصفة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ...﴾ [الحج: ٤٠]، في هذه الحالة انهمكت جماعةٌ من البشر في تنفيذ الداعية الإلـٰهية ببركة صحبة النبي ﷺ كمثل جبريل عند صيحة ثمود، ثم هُم تعرّضوا للنفحات الإلـٰهية، وصار بينهم وبين الملأ الأعلى مشابهةٌ ومناسبةٌ، وإنَّ هذه الحالة فتحت عليهم باباً عظيماً من القرب إلى الله، لو اشتغلوا مائة سنة في الرياضة البدنية والنفسانية لم يفوزوا بعشر معشارها، ولم تتعلّق هذه الداعية والإرادة في الملل الأخرى، ولم تبعث الأمم لهذه الغاية، لذلك فإنّ الهجرة والجهاد لم يكونا من الأعمال المقرِّبة إلى الله في مللهم.

وقد فُصِّلَت في القرآنِ والسُّنَّةِ هاتين الفضيلتين تفصيلاً، وعُني بالفضيلة الثانية عنايةً بالغةً بصفة خاصة، وجعلهما مناط التفاضل بين الناس، فإذا لم يتّصف المرءُ بهذين القسمين لا يكون مستحقاً للإمارة والسيادة، قد بيَّن الله تعالى في سورة النساء كلا الفضيلتين، وقد أثنى النبي ﷺ على أصحابه بهما؛ ليكون ذلك حجةً للناس، وينكشف أمر تقدمهم على الناس في التكليف.

❁ ❁ ❁

آيات سورة النساء

• قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

وقد أفاد قبل هذه الآية[1] أن المؤمنين الذين يشهدون بالتوحيد لا يصحُّ إيمانهم حتى يظهر منهم تسليم كامل لحكم الرسول ﷺ عند المشاجرات والمخاصمات التي هي مظهر النفس السبعية، ثم يبيّن بعد ذلك أن هؤلاء المطيعين يكونون مع النبيين والصدِّيقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً، وهذه الآية شبيهة بالآية الأخرى وهي: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [المطففين]، ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين].

وكمال هؤلاء الأبرار أن يحشروا مع هذه الفرق الأربع، وأن يكونوا معدودين فيهم، وهذه الفرق الأربع المرحومة في طليعة أهل النجاة، وهم في الطبقة العليا من طبقات الأمة المرحومة.

وقد عبّر عن هذه الجماعة في مواضع أخرى بـ«المقرّبين» و«السابقين»، وقد وضح ذلك بهذه الآية وضوحاً لا يبقى معه خفاء، ثم أخبر النبي ﷺ في الأحاديث المشهورة ـ التي هي قطعية ـ التكليفَ عملاً واعتقاداً أنَّ أبا بكر صدِّيقٌ، وعمرَ وعثمانَ وعليّاً شهداءُ، فصار هذا برهاناً لرئاستهم المعنوية على سائر طبقات الأمة، ولم يبقَ خفاءٌ في الملّة الإسلامية في هذا المعنى.

---

(١) وهي: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء].

• قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

يبيّن الله تعالى في هذه الآية أنَّ الصحابة ليسوا على درجة واحدة، بل بعضُهم أفضلُ من بعضٍ، ومناطُ الفضل إنّما هو الجهاد في سبيل الله بالأنفس ـ يعني: مباشرة القتال مع الكفار ـ وبالأموال ـ يعني: بالإنفاق في سبيل الله ـ وقد وضّح بهذه الآية أنّ المجاهدين بأنفسِهم وأموالِهم هم طليعةُ الأمة، وهم من الطبقة العليا في الأمة، وهم أفضل من غيرهم.

وقد ثبت في الأحاديث المشهورة التي يقوم بها التكليف، ولا يبقى عذر بعد ثبوتها، أنّ هؤلاء السعداء رافقوا النبيّ ﷺ في جميع مشاهد الخير، إلا لعذر في بعض الأوقات، وقد أكثر بعضُهم الجهادَ بالنفس، وبعضُهم الجهادَ بالمالِ، وفعل بعضُهم كليهما على وجه الكمال.

• قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء].

يفرض الله في أول المبحث الهجرة من ديار الكفر، ويبيّن عقوبة تركها، ويستثني الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يقدرون على الخروج من ديارهم، ثم يذكر بعد ذلك فضيلة الهجرة، ويذكر أجرها في الدنيا والآخرة، ومن خرج من بيته مهاجراً ولم يبلغْ غايتَه، وأدركه الموتُ، وعده ثواباً جزيلاً، وأجراً عظيماً، فَتَعْرِفُ من هذه الآية فضيلةَ المهاجرين، والله أعلم.

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: إني أنزلتُ نفسي من مالِ اللهِ بمنزلة

وليِّ اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ[١]، وإن احتجتُ أَخذتُ منه بالمعروفِ، فإذا أيسرتُ قضيتُ[٢][٣].

• **وعن ابن مسعودٍ** قال: كان عمرُ بنُ الخطّاب إذا سلكَ بنا طريقاً فاتبعناه، ووجدناه سهلاً، وإنه سُئِلَ عن امرأة (زوجة) وأبوين، فقال: للمرأةِ الربع، وللأمِّ ثلثُ ما بَقِيَ، وما بَقِيَ فللأب[٤].

• **وعن ابن عباس** أنّه دخلَ على **عثمان**، فقال: إنَّ الأخوين لا يردّان الأمّ عن الثلث، قال الله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ [النساء: ١١]، والأخوان ليس بلسان قومِكَ إخوةٌ، فقال عثمانُ: لا أستطيعُ أن أردّ ما كان قبلي، ومضى في الأمصارِ، وتوارثَ به الناسُ[٥].

وأجابَ زيدُ بنُ ثابتٍ بجواب آخر فقالوا له: يا أبا سعيد إنَّ الله يقول: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾، وأنتَ تحجبُها بأخوينِ، فقال: إنَّ العربَ تسمِّي الأخوينِ إخوةً[٦].

يقول الفقير: لا خلافَ بين القولين، بل تمسَّكَ عثمانُ ﷺ بذلك الأصل أنَّ حكمَ الخليفة الراشد إذا نفّذ، ومضى عليه المسلمون، فهو حجةٌ في الدِّين، وأمَّا زيدُ بنُ ثابت فذكر المعنى الذي فهمه الصحابة عند المشاورة.

• **عن ابنِ شهابٍ** قال: قضى عمرُ بنُ الخطّاب أنَّ ميراثَ الإخوة من الأمِّ بينهم للذكر مثل الأنثى، قال: ولا أرى عمر قضى بذلك حتّى

(١) فيه إشارة إلى قول الله: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦].

(٢) أي: إذا صرت غنياً أديت.

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠).

(٤) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٩٩).

(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٩).

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٠).

علمه من رسولِ اللهِ، ولهذه الآية [التي] قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ﴾ [النساء: ١٢][١].

• **وعن عمر وعلي وابن مسعود وزيد** ﷺ: في أمٍّ وزوجٍ وإخوةٍ لأبٍ وأمٍّ وإخوةٍ لأم: «أنَّ الإخوةَ من الأبِ والأمِّ شركاءُ للإخوة من الأمِّ في ثلثهم، وذلك أنّهم قالوا: هم بنو أمٍّ كلهم، ولم يزدهم الأبُ إلا قرباً، فهم شركاءُ في الثلث»[٢].

• **كتب عمرُ بنُ الخطّاب** ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: إذا لهوتم فالهوا بالرمي، وإذا تحدّثتم فتحدّثوا بالفرائض[٣].

• **وعن عُمَر بن الخطاب** قال: تعلّموا الفرائض واللحن[٤] والسُّنَّة كما تعلّمونَ القرآن[٥]، وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أفرضُ أُمّتي زيدُ بنُ ثابتٍ**»[٦].

يقول الفقير: إنّ في هذا الحديثِ لمعجزةً عظيمةً، وأصلاً من أصول المسائل حتّى يرتفعَ خلافُ ابن عباس وغيره ـ ويكون قولُ زيدٍ قولاً صحيحاً ـ.

• **وعن الزهري** قال: لَوْلَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَتَبَ الْفَرَائِضَ لَرَأَيْتُ أَنَّهَا سَتَذْهَبُ مِنَ النَّاسِ.

• **وعن عمر** أنه كان يقول: عجباً للعمّةِ تُورَثُ، ولا تَرِثُ[٧].

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٠)، و«الدر المنثور» (٣/ ٥١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٥٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٤) برقم: (٧٩٧٠).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٠) برقم: (٧٩٥٢).

(٤) أي: اللغة.

(٥) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢٠٩) برقم: (١١٩٥٦).

(٦) أخرجه الحاكم في «مستدركه على الصحيحين» (٤/ ٣٧٢) برقم: (٧٩٦٢).

(٧) أخرجه البيهقي في «السنن الصغرى» (٢/ ١٨٧).

● **وعن قبيصة بن ذؤيب** قال: جاءت الجَدَّةُ إلى أبي بكر ﵁ [بعد رسول الله ﷺ] فقالت: إنّ لي حقّاً، [إنّ] ابن أو ابن ابنةٍ لي ماتَ.

قال: ما علمتُ لكِ في كتابِ الله حقّاً، ولا سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ فيه شيئاً وسأسألُ الناسَ، فسألهم فشهدَ المغيرةُ بنُ شعبة ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ أعطاها السدس، قال: مَنْ سمعَ ذلك معك؟ فشهد محمّد بنُ مسلمة، فأعطاها أبو بكرٍ السُّدُسَ(١).

● **وعن زيد بن ثابت أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب** ﵁ لما استشارهم في ميراثِ الجدّ والإخوة، قال زيدٌ: وكان رأيي أنّ الإخوة أولى بالميراث من الجدّ، وكان عمرُ ﵁ يرى يومئذٍ أنّ الجَدّ أولى [بميراثِ ابنِ أبيه من إخوته(٢)].

قال زيدٌ: فحاورته، وضربتُ له مثلاً، وضرب عليّ بنُ أبي طالبٍ وعبدُ الله بنُ عبّاس ﵃ لعمرَ مثلاً يومئذ السيل(٣) يضربانه ويصرفانه على نحو تصريف زيد(٤).

يقول الفقير: قد نقلتُ بعده كلماتٍ عن الفاروق والمرتضى تدلّ على أنهما رجعا عن هذا الرأي، وليس في هذه المسألة قول مستحكم من قول الصدِّيق حيث أنزله ـ أي: الجد ـ أباً، أخرجه البخاري(٥).

● **وعن ابن عباس** قال: أوّل مَنْ أعالَ الفرائضَ عمرُ، تدافعت عليه، وركب بعضها بعضاً، قال: واللهِ ما أدري كيفَ أصنعُ بكم، واللهِ

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٦) برقم: (٧٩٧٨).
(٢) في الأصل الفارسي: «أولى من الإخوة».
(٣) في الأصل الفارسي: «السبيل».
(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٣٧٧) برقم: (٧٩٨٢)، و«الدر المنثور» (٣/ ٥٢).
(٥) في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٨).

ما أدري أيُّكم قدَّمَ اللهُ، ولا أيُّكم أخَّرَ، وما أجدُ في هذا المالِ شيئاً أحسنَ من أنْ أقسمه عليكم بالحِصَصِ، ثم قال ابن عباس: وايم اللهِ، لو قدَّم من قدَّم الله، وأخَّر من أخَّر الله، ما عالت فريضته.

فقيل له: وأيُّها قدَّم الله؟

قال: كلُّ فريضةٍ لم يهبطها الله من فريضة إلا إلى فريضةٍ، فهذا ما قدَّم الله، وكلُّ فريضةٍ إذا زالت عن فرضِها لم يكن لها إلّا ما بقي، فتلك التي أخَّر اللهُ، فالذي قدَّم كالزوجين والأم، والذي أخَّر كالأخوات والبنات، فإذا اجتمعَ مَنْ قدَّم اللهُ وأخّر، بدأ بمن قدَّم، فأعطى حقَّه كاملاً، فإن بقيَ شيءٌ كان لهن، وإن لم يبقَ شيءٌ فلا شيءَ لهنَّ[١].

• **وذكر عند عمر** الثلث في الوصية، فقال: الثلثُ وسطٌ، لا بخس ولا شطط[٢].

• **وعن أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب: لا تُغَالوا في مهورِ النّساءِ.

فقالت امرأةٌ: ليس ذلك لك[٣] يا عُمَرُ! إنّ اللهَ يقول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ مِنْ ذَهَبٍ [النساء: ٢٠] ـ قال: وكذلك [هي] في قراءة عبد الله بن مسعود: ﴿فَلَا يَحِلُّ لَكُم أَن تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ ـ.

فقال عمر: إنّ امرأةً خاصمت عُمَرَ فخصمتْهُ[٤].

• **وعن بكر بن عبد الله المزني** قال: قال عمر: خرجتُ، وأنا أريدُ أن أنهاكم عن كثرةِ الصَّدَاقِ، فعرضت لي آيةٌ من كتاب الله

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٢٦) برقم: (٣٠٩١٦).

(٣) في الأصل الفارسي: «ليس لك ذلك» بالتقديم والتأخير.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ١٨٠).

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ [النساء: ٢٠][١].

• ورُوِي أنّ رجلاً [من بني شمخ] تزوّجَ امرأةً ولم يدخلْ بها، ثم رأى أمَّها فأعجبته، فاستفتى ابنَ مسعودٍ، فأمره أن يفارِقَها، ثم يتزوّجَ أمها، ففعل، وولدت له أولاداً، ثم أتى ابنُ مسعودٍ المدينةَ، فسألَ عمر، وفي لفظ: فسألَ أصحابَ النبيِّ ﷺ فقالوا: لا تصلحُ، فلمّا رجعَ إلى الكوفةِ قال للرجل: إنّها عليكَ حرامٌ ففارِقْها[٢].

• وسُئِلَ عن المرأةِ وابنتِها من مِلْكِ اليمين[٣] هل توطأ إحداهُما بعد الأخرى؟ فقال عمر رضي الله عنه: ما أحبُّ أن أجيزَهما جميعاً، ونهاه[٤].

• **وأخرج مالك والشافعي عن قبيصة بن ذؤيب**: أنَّ رجلاً سأل عثمانَ بنَ عفّان عن الأختين في ملك اليمين: هل يجمع بينهما؟

فقال: أحلَّتهما آيةٌ، وحرَّمتهما آيةٌ، وما كنتُ لأصنعَ ذلك، فخرجَ مِنْ عندِهِ، فلقي رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ، أراه عليَّ بنَ أبي طالب، فسأله عن ذلك فقال: لو كانَ لي مِنَ الأمرِ شيءٌ، ثم وجدتُ أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً[٥].

ورُوِي هذا الشك عن علي أيضاً من طريق أبي صالح عن علي رضي الله عنه قال: في الأختين المملوكتين أحلّتهما آية وحرّمتهما آية، فلا آمرُ ولا أنهى ولا أحلّ ولا أحرّم، ولا أفعله أنا، ولا أهل بيتي[٦].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٦٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧٠)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٧/ ١٥٩)، و«مصنف عبد الرزاق» (٦/ ٢٧٣) برقم: (١٠٨١١).
(٣) وفي الأصل الفارسي: «عن جاريتين أختين».
(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٦٤) برقم: (١٣٧١٠).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٧٢).
(٦) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٦٤) برقم: (١٣٧١٣).

• **وعن عمرَ** ﷺ أنّه خطبَ فقال: مَا بَالُ رِجَالٍ يَنْكِحُونَ هَذِهِ الْمُتْعَة، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْهَا؟! لَا أُوتَى بِأَحَدٍ نَكَحَهَا إِلَّا رَجَمْتُهُ[١].

وسئل ابنُ عمرَ عن المتعة، فقال: حرامٌ، فقيل له: إنَّ ابنَ عباسٍ يفتي بها.

قال: فهلّا تزمزم[٢] بها في زمان عمر[٣].

• **وعن عاصم بن بَهْدَلة** أنَّ مسروقاً أتى «صِفّين»، فقام بين الصفَّين فقال: يا أيُّها الناس! أنصتوا، أرأيتُم لو أنَّ منادياً ناداكم من السماء فرأيتموه وسمعتُم كلامه، فقال: إنَّ الله ينهاكم عمّا أنتُم فيه، أكنتُم منتهينَ؟

قالوا: سبحان الله!

قال: فواللهِ لقد نزل بذلك جبريلُ على محمّد، وما ذاك بأبينَ عندي منه، إنّ الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء] ثم رجع إلى الكوفة[٤].

وعن **داود بن الحصين** قال: كنتُ أقرأ على أُمِّ سعد ابنة الربيع، وكانت يتيمةً في حِجْر أبي بكر، فقرأتُ عليها: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ فقالت: لا، ولكن ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٣٣]، إنّما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمٰن حين أبى أن يُسْلِمَ، فحلف أبو بكر أن لا يورثه،

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢٠٦) برقم: (١٣٩٤٩).

(٢) الزمزمة: صوت خفي لا يكاد يُفهم، والمراد هلّا تكلّم بحلّتها في زمانه. انظر: «النهاية» (ص٤٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/٥٥١) برقم: (١٧٠٧٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/٨٩).

فلمّا أسلم أمره الله أن يورثه نصيبه[١].

• **وعن عمر** قال: ما استفادَ رجلٌ ـ أو قال: عبدٌ ـ بعدَ إيمانٍ بالله خيراً من امرأةٍ حسنةِ الخُلُقِ، ودودٍ ولودٍ، وما استفادَ رجلٌ بعدَ الكفرِ باللهِ شراً من امرأةٍ سيئةِ الخُلقِ حديدةِ اللسانِ[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: النساءُ ثلاثٌ: امرأةٌ، عُفيفةٌ، مسلمةٌ، هيّنةٌ، لينةٌ، ودودٌ، ولودٌ، تعينُ أهلها على الدَّهرِ، ولا تعينُ الدَّهرَ على أهلِها، وقليلٌ ما تجدُها، وامرأةٌ كانت وعاءً، لم تزدْ على أَنْ تَلِدَ الولدَ، وثالثةٌ غلٌّ قَمْلٍ[٣]، يجعلها الله في عُنُقِ مَنْ يشاء، وإذا أرادَ أن ينزعَه نزعَه[٤].

• **وعن ابن عباس** قال: بُعثت أنا ومعاوية حكمين، فقيل لنا: إنْ رأيتُما أن تجمعا جمعتما، وإن رأيتما أن تفرِّقا فرقتما، قال معمر: وبلغني أنَّ الذي بعثهما عثمانُ[٥][٦].

• **وعَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّئُ الْمَلَكَةِ»**[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٩٢٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٥٥٩) برقم: (١٧١٤٢).

(٣) الغل: طوق من حديد أو جلد. وقَمِل: أي: ذو قمل، وهي حشرة متطفلة تصيب الإنسان وتمتص دمه. كانوا يأخذون الأسير، فيشدّونه بالقِدّ وعليه الشعر، فإذا يبس قمّل في عنقه، فتجتمع عليه محنتان: الغل والقمل، ضربه مثلاً للمرأة السيئة الخلق، الكثيرة المهر، لا يجدُ بعلها منها مخلصاً. «النهاية» (ص٦٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٤١٦) برقم: (٨٧٢٥).

(٥) غرض ذكر هذه الحكايات بيان **أنّ الخلفاء الراشدين كانوا أصحابَ خبرةٍ وبصيرةٍ في أمور الدنيا**.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٥١٢).

(٧) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (١٩٤٦).

وقال **عمر بن الخطاب**: إنّ القُبْلَةَ من اللمسِ، فتوضَّؤوا منها[١].

وقال **عثمان**: اللمسُ باليدِ[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: الجِبْتُ: الساحِرُ، والطاغوتُ: الشيطانُ[٣].

• **قرئ عند عمر**: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، فقال عمر: أَعِدْها، فأعادَها.

فقال معاذُ بنُ جبلٍ: عندي تفسيرها: «تُبَدَّلُ في ساعةٍ مائةَ مرّةٍ».

فقال عمر: هكذا سمعتُ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ[٤]، وفي رواية أُبَي مكان معاذ.

• **وقال عمر**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ: «**إنّ أوّل ما يُرفَعُ من النَّاسِ الأمانةُ، وآخرَ ما يَبْقَىٰ الصلاةُ، وربَّ مُصَلٍّ لا خيرَ فيه**»[٥].

• **عن عكرمة**: في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قال: أبو بكر وعمر[٦].

• **وعن الكلبي** ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ﴾ قال: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود[٧].

• **وعن عكرمة** أنّه سئل عن أمهات الأولاد، قال: هُنَّ أحرارٌ.

قيل: بأي شيءٍ تقوله؟

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٢٩) برقم: (٤٧٠).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ١٥٣) برقم: (١٧٥٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ١٤٤).
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠/ ٢٣٠).
(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١١/ ٢٥٩).
(٦) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٧).
(٧) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ١٥٣).

قال: بالقرآن.

قالوا: بماذا من القرآن؟

قال: قول الله ﷻ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، وكان عُمَرُ من أولي الأمر قال: أُعْتِقَتْ وإنْ كان سقطاً[١].

• **وعن عمران بن الحصين** قال: كان عمرُ إذا استعملَ رجلاً كُتِبَ في عهده: اسمعوا له وأطيعوا ما عَدَلَ فيكم[٢].

• **وعن عمر** قال: اسْمَعْ وأَطِعْ، وإن أُمِّر عليكَ عبدٌ حبشيٌّ مُجَدَّعٌ، إن ضربَكَ فاصبرْ، وإنْ حرمَكَ فاصْبِرْ، وإن أرادَ أمراً ينتقِصُ دينَكَ، فقل: دمي دونَ دِيني[٣].

• **وأخرج الثعلبي عن ابن عباس** في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآية [النساء: ٦٠]، قال: نزلت في رجلٍ من المنافقين يقال له بشر، خاصمَ يهودياً، فدعاه اليهوديُّ إلى النبي ﷺ، ودعاه المنافِقُ إلى كعب بن الأشرف، ثم إنّهما احتكما إلى النبيِّ ﷺ، فقضى لليهودي، فلم يرضَ المنافِقُ، وقال: تعال نتحاكَمُ إلى عمر بن الخطاب، فقال اليهوديُّ لعمرَ: قضى لنا رسولُ اللهِ ﷺ فلم يرضَ بقضائه.

فقالَ للمنافِقِ: أكذلك؟

قال: نعم.

فقال عمر: مكانَكُما حتَّى أَخْرُجَ إليكما، فدخلَ عمرُ، فاشتمل على

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الصغرى» (٣/ ٣٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٤٤) برقم: (٣٣٧١٦).

(٣) السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٥٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٥٤٤) برقم: (٣٣٧١١).

سيفِهِ، ثم خرجَ فضربَ عنقَ المنافِقِ حتّى بردَ، ثم قال: هكذا أقضي لِمَنْ لم يرضَ بقضاءِ اللهِ ورسولِهِ، فنزلت[١].

وللحديثِ طرقٌ متعدِّدةٌ يعتضد بها، عن ابن لهيعة عن أبي الأسود. وعن عتبة بن ضمرة عن أبيه، وعن مكحول وغير ذلك.

وأخرج **مسلم** في حديث **ابن عباس** عن **عمر بن الخطاب** قال: لمّا اعتزل نبيُّ الله ﷺ نساءه قال: دخلتُ المسجدَ، فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [النساء: ٨٣]، فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ[٢].

• **وعن يعلى بن أمية** قال: قلت **لعمر بن الخطاب**: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ﴾ [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس فقال: عجبتُ ممّا عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن ذلك فقال: «**صدقةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بها عليكم، فاقبلوا صدقته**»[٣].

• **وعن عمرو بن دينار**، أنّ رجلاً قال لعمر: احكم بيننا بِمَا أَرَاكَ اللهُ، قال: مَهْ، إنّما هذه للنبيِّ ﷺ خاصّة[٤]؛ يعني: اجتهادُ النبيِّ معصوم عن الخطأ قطعاً دون غيره.

• **وعن ابن وهب** قَالَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: الْحُكْمُ الَّذِي يُحْكَمُ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى وَجْهَيْنِ: فَالَّذِي يَحْكُمُ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الْمَاضِيَةِ، فَذَلِكَ الْحُكْمُ الْوَاجِبُ وَالصَّوَابُ، والْحُكْمُ الَّذِي يَجْتَهِدُ فِيهِ الْعَالِمُ نَفْسَهُ فِيمَا لَمْ يَأْتِ

---

(١) انظر: «تفسير الثعالبي» (١/ ٧)، و«الدر المنثور» (٣/ ١٥٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٤٧٩).
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٦٨٦).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٣٩).

فِيهِ شَيْءٌ، فَلَعَلَّهُ أَنْ يُوَفَّقَ، قَالَ: وَثَالِثٌ مُتَكَلِّفٌ لِمَا لا يَعْلَمُ، فَمَا أَشْبَهَ[١] ذَلِكَ أَنْ لا يُوَفَّقَ[٢].

• ورُوِي من طرق متعدّدةٍ عن **علي** قال: سمعتُ أبا بكر يقول: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عبدٍ أذنب، فقامَ فَتَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قامَ فصلَّىٰ، واسْتَغْفَرَ مِنْ ذَنْبِهِ، إلا كانَ حقّاً على اللهِ أَنْ يَغْفِرَ له؛ لأنَّ اللهَ يقولُ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾** [النساء]»[٣].

• **وعن زيد بن أسلم** عن أبيه: أنّ **عمر بن الخطاب**، اطّلع على أبي بكرٍ وهو يمدُّ لسانه، قال: ما تصنعُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ؟

قال: إنّ هذا الذي أوردني الموارِدَ، إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الجَسَدِ إلا يَشْكُو ذَرَبِ اللسانِ على حِدّتِهِ**»[٤].

• **عن مالك** قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلاةُ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَناً، الأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ لِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لِطَاعَةِ اللهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللهِ، لَيْسَ لأَحَدٍ تَغْيِيرُهَا، وَلا تَبْدِيلُهَا، وَلا النَّظَرُ فِيمَا خَالَفَهَا، مَنِ اقْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلّاهُ اللهُ مَا تَوَلَّى، وَصَلّاهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً[٥].

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فما أحسبه».
(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٣٤٢).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٤٠).
(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠/ ٤٤٧).
(٥) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ٣٥٦).

• **وعن ابن عمرَ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ كَانَ يَنْهَى عَنْ إِخْصَاءِ[(١)] الْبَهَائِمِ، وَيَقُولُ: وَهَلِ النَّمَاءُ إِلَّا فِي الذُّكُورِ[(٢)].

• **وقد صحّ** من طرقٍ متعدِّدةٍ، **عن أبي بكر الصدِّيق** أنه قال: يا رسول الله كيف الصلاحُ[(٣)] بعدَ هذه الآية: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فكُلُّ سوءٍ عَمِلْنا جُزِينا به؟

فقال رسول الله ﷺ: **«غَفَرَ اللهُ لَكَ يا أبا بكرٍ! ألستَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تحزَنُ؟ أَلَسْتَ تُصِيبُكَ اللأواءُ؟»**[(٤)].

قال: بلى.

قال: **«فهو ما تُجْزَوْنَ به»**[(٥)].

وفي رواية عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَا أُقْرِئُكَ آيَةً أُنْزِلَتْ عَلَيَّ؟»**.

قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: فَأَقْرَأَنِيهَا فَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي قَدْ كُنْتُ وَجَدْتُ انْقِصَاماً فِي ظَهْرِي، فَتَمَطَّأْتُ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ!»**

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، وَأَيُّنَا لَمْ يَعْمَلْ سُوءاً، وَإِنَّا لَمُجْزَوْنَ بِمَا عَمِلْنَا؟

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «اختصاء».
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، البيهقي (١٠/ ٢٤) برقم: (١٩٥٨٠).
(٣) في الأصل الفارسي: «الفلاح» مكان «الصلاح».
(٤) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٦٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا أَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ! وَالْمُؤْمِنُونَ فَتُجْزَوْنَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى تَلْقَوْا اللهَ وَلَيْسَ لَكُمْ ذُنُوبٌ، وَأَمَّا الْآخَرُونَ فَيُجْمَعُ ذَلِكَ لَهُمْ، حَتَّى يُجْزَوْا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١].

• **وعن محمد بن المنتشر** قال: قال رجل لعمر بن الخطاب: إني [لا] أعرف أشدَّ آيةٍ في كتاب الله، فأهوى عمرُ فضربه بالدِّرة وقال: ما لك نقبت عنها؟ فانصرف حتى كان الغدُ، قال له عمر: الآية التي ذكرت بالأمس؟

فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، فما منّا أحدٌ يعمل سوءاً إلا جُزِيَ به.

فقال عمر: لبثنا حين نزلتْ ما ينفعُنا طعامٌ ولا شرابٌ حتى أنزل الله بعدَ ذلك، ورخّص وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء][٢].

• **وأخرج مالك ومسلم** عن **عمر** قال: ما سألتُ النبيَّ ﷺ عن شيءٍ أكثرَ ما سألته عن الكلالة[٣]، حتى طعنَ بأصبعه في صدري، وقال: «**تكفِيكَ آيةَ الصَّيْفِ التي في آخرِ سورةِ النِّساءِ**»[٤].

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن **عمر** قال: ثلاثٌ وَدِدْتُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان عَهِدَ إلينا فيهنَّ عهداً ننتهي إليه: الجَدُّ، والكلالة وأبوابٌ من أبوابِ الربا[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٠٣٩).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/٢٥٦).
(٣) الكلالة: أن يموت الرجل ولا يدع والداً ولا ولداً يرثانه. «النهاية» (ص٨١١).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٦٧).
(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٥٨٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٠٣٢) واللفظ له.

• **وعن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه كتب في الجَدِّ والكَلالة كتاباً، فمكث يستخيرُ الله، يقول: اللَّهُمَّ إنْ علمتَ فيه خيراً فأمضِهِ حتّى إذا طُعِنَ، دعا بالكتابِ، فمُحِيَ، فلم يدر أحدٌ ما كان فيه، فقال: إنِّي كتبتُ في الجَدِّ والكلالة كتاباً، وكنتُ أستخيرُ الله فيه، فرأيتُ أن أترككم على ما كنتمُ عليه(١).

• **وعن الشعبي** قال: سئل أبو بكر عن الكلالة؟ فقال: إني سأقول فيها برأيٍ، [فإن يكن صواباً فمن الله، وإن يكنْ خطأً فمني ومن الشيطان]: أراه ما خلا الولد والوالد، فلمّا استُخْلِفَ عُمَر قال: الكلالة ما عدا الولد، فلمّا طُعِنَ عمر، قال: إني لأستحيي اللهَ أن أخالِفَ أبا بكر رضي الله عنه(٢).

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه أنه قال: مَنْ ماتَ ليس له ولدٌ ولا والدٌ فَوَرَثَتُه كلالةٌ، فضجَّ(٣) منه عليٌّ، ثم رجع إلى قوله(٤).

• **وعن قتادة** قال: ذُكِرَ لنا أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال في خطبته: ألا إنَّ الآيةَ التي أُنْزِلَتْ في سورة النساء في شأن الفرائض أنزلَها اللهُ في الولدِ والوالدِ، والآيةُ الثانيةُ أنزلها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم، والآيةُ التي ختمَ بها سورةَ النساء أنزلها في الإخوة والأخوات من الأب والأم، والآيةُ التي ختم بها سورةُ الأنفالِ أنزلها في أُولي الأرحامِ بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله، ممّا جرتْ به الرَّحِمُ من العصبة(٥).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ٣٠١).
(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٢٣)، وفي «السنن الصغرى» (٢/ ١٨٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٨) واللفظ له.
(٣) في الأصل الفارسي: «فشمخ»؛ أي: تكبَّر وأعرض.
(٤) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٨).
(٥) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣١٠).

آيات سورة المائدة

● قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنَّ هذه الآياتِ إنّما هي أدلّ دليلٍ على الخلافةَ الخاصّة لأبي بكر الصدِّيق، وعلى فضائلِهِ وفضائلِ التابعين له وذلك بحيث لا يُعْذَرُ مَنْ يجهلُها، ولا تبقى الحجَّةُ في الإسلام لمن ينكرها.

وتفصيل هذا الإجمال أنّ الله تعالى أخبر في هذه الآيات بارتداد جماعةٍ من المسلمين، ووعدَ بإخراجِ جماعةٍ من المحبّين والمحبوبين الذين يحملون من الصفات كذا وكذا، ومعنى الإخراج أنَّ الناسَ يخرجون من بين قبائل العرب أفواجاً، ويجتمعون بمحض توفيق الله تعالى، ويقاتلون المرتدّين عن الإسلام.

تمّ هذا الوعد الإلـٰهي بصورته وهيئته في زمن أبي بكر الصدِّيق، حيث خرج الناسُ من مختلف قبائل العرب أفواجاً، واجتمعوا تحت راية أبي بكر الصدِّيق، وقاتلوا بأمره، حتى خمدت نار الفتنة، وعاد العالم إلى هيئته الأولى، ولم تقع حادثةُ قتالِ المرتدِّين بهذه الصفة إلى يومنا هذا بعد مضي مدة مديدة، فثبتَ أنَّ أبا بكر الصدِّيق وأتباعه قد اتّصفوا بهذه الفضائل العظيمة التي لا تفوقها فضيلة في الإسلام، وهذا هو معنى الخلافة الخاصة وهو المقصود.

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن طارق بن شهاب عن **عمر بن الخطاب** أنَّ رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آيةٌ في كتابِكُم تقرؤونها لو علينا معشرَ اليهودِ نزلتْ لاتّخذنا ذلك اليوم عيداً.

قال: أي آية؟

قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ الآية [المائدة: ٣].

قال عمر: واللهِ إنِّي لأعلمُ اليومَ الذي نزلتْ على رسولِ اللهِ ﷺ فيه، والساعةَ التي نزلتْ فيها، نزلتْ على رسولِ اللهِ ﷺ عشيةَ عرفةَ يومَ جمعةٍ[١].

• **وعن عنترة**[٢] قال: لما نزلت هذه الآية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبيّ ﷺ: «**ما يبكيك؟**».

قال: يا رسول الله! أبكاني أنّا كُنّا في زيادةٍ من ديننا، فأمّا إذا كمل، فإنّه لم يكملْ قطُّ شيء إلا نَقَصَ.

قال: «**صدقت**»[٣].

• **وعن علقمة بن عبد الله المزني** قال: حدّثني رجل، قال: كنت في مجلس فيه عمر بن الخطاب بالمدينة، فقال عمر لرجل من القوم: يا فلان! كيف سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ ينعتُ الإسلام؟

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الإسلامَ بَدَأَ جَذْعاً، ثُمَّ ثَنِيّاً، ثُمَّ رُباعِيّاً، ثُمَّ سُدَيْسِيّاً، ثم بازِلاً**».

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٥ ـ ٤٤٠٧ ـ ٤٦٠٦ ـ ٧٢٦٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٠١٧)، و«الترمذي» رقم: (٢٩٦٩)، و«النسائي» رقم: (٤٩٢٦).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ميسرة».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٨٨) برقم: (٣٤٤٠٨)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٢).

قال عمر: فما بعد البزولِ إلا النقصان[١].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: المسلمُ يتزوّجُ النصرانيةَ، ولا يتزوّجُ[٢] النصرانيُّ المسلمةَ[٣].

• **أخرج مسلم** عن **بريدة** قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ عند كُلِّ صَلَاةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ توضّأَ ومسحَ على خُفَّيْهِ، وصَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يا رسول الله! إنك فَعَلْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ.

قَالَ: «**إني عَمْداً فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ**»[٤].

• **وعن عليٍّ أنه قرأ** ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾، قال: عاد إلى الغَسْلِ[٥].

• **وعن ابن مسعود أنه قرأ**: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] بالنصب[٦].

• **وعن عروة** أنه كان يقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ يقول:

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٥٨٠٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٤).

(٢) وفي الأصل الفارسي: «ولا تتزوج المسلمة النصراني».

(٣) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٢٨)، والشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٢٧٥).

(٤) أخرجه مسلم رقم: (٢٧٧)، والنسائي في «سننه» برقم: (١٣٣)، وانظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٦).

(٥) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

(٦) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).

رجع الأمر إلى الغَسْلِ[١].

• وعن **أبي عبد الرحمٰن السلمي** قال: قرأ الحسن والحسين ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾، فسمع عليٌّ ذلك، وكان يقضي بين الناس، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾ هذا مِنَ المقدَّمِ والمؤخَّرِ في الكلام[٢].

• وعن **الأعمش** قال: كانوا يقرؤونها ﴿بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾، بالخفض، وكانوا يغسلون[٣].

وعن **عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: اجتمعَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ على غَسْلِ القدمين[٤].

وعن **الحكم** قال: مضت السُّنَّة مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ والمسلمينَ بِغَسْلِ القدمين[٥].

وعن **أنس** قال: نزل القرآن بالمَسْحِ، والسُّنَّة بالغَسْلِ[٦].

---

(١) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٢) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٣) أخرجه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٢٦) برقم: (١٩١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣٢).
(٦) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣٢).

قلت: خالفهم ابنُ عباس فقال بالمسح، وكان عملهُ على الغَسْلِ.

وعن **ابن عباس** قال: أبى الناسُ إلّا الغسل، ولا أجدُ في كتابِ اللهِ إلّا المسحَ[١].

وعن **ابن عباس** قال: الوضوءُ غسلتانِ ومسحتانِ[٢].

وعن **ابن عباس** قال: افترضَ الله غسلتينِ ومسحتينِ، ألا ترى أنّه ذكر التيممُ، فجعل مكانَ الغسلتين مسحتين، وترك المسحتين[٣].

● **وأخرج البخاري عَنْ عَائِشَةَ** رضي الله عنها [قالت]: سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْبَيْدَاءِ وَنَحْنُ دَاخِلُونَ الْمَدِينَةَ، فَأَنَاخَ النَّبِي ﷺ وَنَزَلَ، فَثَنَى رَأْسَهُ فِي حجْرِي رَاقِداً، أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَلَكَزَنِي لَكْزَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: حَبَسْتِ النَّاسَ فِي قِلَادَةٍ، فَبِي الْمَوْتُ لِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ [وَقَدْ أَوْجَعَنِي].

ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَيْقَظَ، وَحَضَرَتِ الصُّبْحُ، فَالْتُمِسَ الْمَاءُ، فَلَمْ يُوجَدْ[٤]، فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ...﴾ [المائدة: ٦]، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: لَقَدْ بَارَكَ اللهُ لِلنَّاسِ فِيكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ[٥].

● **ذكر عكرمة** في حديث طويلٍ [أنّ رجلينِ من المسلمينَ قتلا رجلينِ كان بين قومهما] وبين النبيِّ ﷺ موادعةٌ[٦]، فقدم قومهما على النبيِّ ﷺ يطلبون عقلهما، فانطلقَ النبيُّ ﷺ ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، حتى دخلوا

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٣١).
(٤) وفي الأصل الفارسي: «فلم يجد».
(٥) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٠٨).
(٦) في الأصل الفارسي: «مواعدة».

على بني النضير يستعينونهم في عقلهما، فقالوا: نعم، فاجتمعت يهودُ على أن يقتلوا النبيَّ ﷺ وأصحابه، فاعتلُّوا له بصنعة الطعام، [فلمّا أتاه جبريل بالذي أجمع له يهودٌ من الغدر[١]] خرجَ، ثم أعاد[٢] عليّاً فقال: «**لا تبرح من مكانك هذا، فمَنْ مرَّ بِكَ من أصحابي فسألك عني فقل: وجه إلى المدينة فأدركوه**».

فجعلوا يمرّون على عليٍّ فيقول لهم الذي أمره النبيّ ﷺ، حتى أتى عليه آخرهم، ثم تبعهم، ففي ذلك أنزلت: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ حتى ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣][٣].

• **وعن مسروق** قال: قلت لعمر بن الخطاب: أرأيتَ الرشوةَ في الحكم، أَمِنَ السحْتِ هي؟

قال: لا، ولكنْ كفراً، إنّما السحتُ أن يكون للرجلِ عند السلطانِ جاهٌ ومنزلةٌ، ويكون إلى السلطان حاجة، فلا يقضي حاجته حتى يهدي إليه هدية[٤].

• **وعن عمر** قال: بابان من السُّحْتِ يأكلهما الناس، الرُّشا في الحكم، ومهر الزانية[٥].

• **عن ليث** قال: تقدَّم إلى عمر بن الخطاب خصمان فأقامهما، ثم عادا فأقامهما، ثم عادا ففصل بينهما، فقيل له في ذلك فقال: تقدما إليَّ، فوجدتُ لأحدِهما ما لمْ أجدْ لصاحبِه، فكرهتُ أن أفصل بينهما،

---

(١) وفي الأصل الفارسي: «فأتاه جبريل بالذي اجتمعت له يهود من الغدر».
(٢) وفي الأصل الفارسي: «دعا».
(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٤١).
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٢).
(٥) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٨٢).

ثم عادا فوجدتُ بعضَ ذلك فكرهت، ثم عادا وقد ذهبَ ذلك، ففصلت بينهما[١].

• **عن عياض** أنَّ عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وما أعطى في أديم[٢] واحد، وكان له كاتب نصراني، فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إنَّ هذا لحفيظٌ، هل أنت قارئ لنا كتاباً في المسجد جاء من الشام؟

فقال: إنّه لا يستطيع أن يدخلَ المسجدَ.

قال عمر: أجُنب هو؟

قال: لا، بل نصراني، فانتهرني[٣] وضربَ[٤] فخذِي، ثم قال: أخرجوه، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ . . .﴾ [المائدة: ٥١][٥].

• **عن قتادة** قال: أنزل الله هذه الآية[٦] وقد علم أنّه سيرتدّ مرتدّون من الناس، فلمّا قَبَضَ اللهُ نبيَّه ﷺ، ارتدّ عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد: أهل المدينة، وأهل مكة، وأهلِ الجواثى من عبد القيس، وقال الذين ارتدّوا: نصلّي الصلاة ولا نزكّي، واللهِ لا تُغْصَبُ[٧] أموالُنا، فكُلِّمَ أبو بكر[٨]، في ذلك ليتجاوزَ عنهم، وقيل له: إنّهم لو قد فقهوا

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٩٠)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٣/ ٣٩٠).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٩/ ٢٠٤) برقم: (١٨٥٠٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «نهرني».
(٤) في الأصل الفارسي: «صرف».
(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠٤) برقم: (١٨٥٠٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٩٩) واللفظ له.
(٦) الآية المقصودة هي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤].
(٧) كذا في «فتح القدير»، وفي الأصل الفارسي: «لا نُغصب».
(٨) في الأصل الفارسي: «فتكلم أبو بكر»، وورد في «تفسير الطبري» (١٠/ ٤١٢)، و«الدر المنثور» (٣/ ٤٤١)، بلفظ: «كُلِّم».

أدّوا الزكاة، فقال: واللهِ لا أفرّق بين شيءٍ جمعه الله، ولو منعوني عقالاً مما فرضَ الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائبَ مع أبي بكر، فقاتلوا حتى أقروا بالماعون، وهو الزكاة[١].

• **قال قتادة**: فكنا نحدّث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى آخر الآية[٢].

• **وعن الضحاك** في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ قال: هو أبو بكر وأصحابه، لما ارتدّ من ارتدّ من العرب عن الإسلام، جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام[٣].

• **عن الحسن** في قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ قال: هم الذين قاتلوا أهل الردة من العرب بعد رسول الله ﷺ، أبو بكر وأصحابه[٤].

• **عن القاسم بن مخيمرة** قال: أتيت ابن عمر فرحَّب بي، ثم تلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾، ثم ضربَ على منكبي وقال: أحلفُ باللهِ أنهم لمنكم أهلَ اليمنِ ثلاثاً[٥].

عن **أبي موسى الأشعري** قال: تُلِيَتْ عند النبيِّ ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ الآية، فقال: «**هؤلاءِ قومٌ مِنْ أهلِ اليَمَنِ، ثُمَّ مِنْ كِنْدَةَ، ثُمَّ مِنْ السَّكُونِ، ثُمَّ مِن تَجِيبَ**»[٦].

يقول الفقير: لقد وقع هذا الأمر، وتحقّق قتال المرتدّين بإمداد أهل اليمن.

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٢/ ٣٢٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٣) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٤) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١).
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٢).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٠١)، و«فتح القدير» (٢/ ٣٢٥)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ١٢).

• **عن عمر بن الخطاب** قال: إنِّي أَحْلِفُ لا أعطي أقواماً، ثم يبدو لي أَنْ أعطيَهم، فأُطْعِمُ عشرةَ مساكينَ، كلَّ مسكينٍ صاعاً من شعيرٍ، أو صاعاً من تَمْرٍ، أو نِصْفَ صاعٍ من قَمْحٍ[(١)].

• **وعن عائشة** قالت: كان أبو بكر إذا حلف لم يحنث، حتى نزلت آيةُ الكفّارة، فكان بعدَ ذلك يقول: لا أحلفُ على يمينٍ فأرى غيرَها خيراً منها إلا أتيتُ الذي هو خيرٌ، وقَبِلْتُ رخصةَ اللهِ[(٢)].

• **وأخرج الترمذي** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي الْبَقَرَةِ [٢١٩]: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية.

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي النساء [٤٣]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾.

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ بَيِّنَ لَنَا فِي الْخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ، فَنَزَلَتْ الَّتِي فِي المائدة [٩١]: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا[(٣)].

• **وأخرج النسائي** عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ عُثْمَانَ ﵁ يَقُولُ: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ، إِنَّهُ كَانَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٦١٤)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٥٢) واللفظ له.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٤٩).

رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ، تَعَبَّدَ، فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ، فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا، فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَاباً أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ، حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ، عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ، فَقَالَتْ: إِنِّي وَاللهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْساً، أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ.

قَالَ: فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْساً فَسَقَتْهُ كَأْساً، قَالَ: زِيدُونِي، فَلَمْ يَرِمْ[1] حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا، وَقَتَلَ النَّفْسَ، فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ[2].

● **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: إنَّ الشُّرَّابَ كانوا يُضْرَبُونَ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ بالأيدي والنعال والعِصِيّ حتى توفِّي رسول الله ﷺ، وكانوا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أكثرَ منهم في عهد رسولِ اللهِ ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو فرضنا لهم حدّاً، فتوخَّى نحواً ممّا كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ، فكان **أبو بكر** رضي الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفي.

ثم قام من بعده **عمر**، فجلدهم كذلك أربعين، حتى أُتي برجلٍ من المهاجرين الأولين، وقد كان شَرِبَ فأمر به أن يُجْلَدَ.

فقال: لِمَ تجلدني، بيني وبينك كتابَ الله عز وجل؟

فقال عمر رضي الله عنه: في أيِّ كتابِ اللهِ تجد أنِّي لا أجلدُك؟

فقال: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]، فأنا من الذين آمنوا، وعملوا

---

(١) في الأصل الفارسي: «فلم يزل».
(٢) انظر: «سنن النسائي» (٧١٨/٨) برقم: (٥٦٦٦).

الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ بدراً، والحديبية، والخندق، والمشاهد.

فقال عمر رضي الله عنه: ألا تردّون عليه ما يقول؟

فقال ابن عباس: إنّ هؤلاءِ الآياتِ[١] أُنْزِلَتْ عُذْراً للماضين [بأنهم لقوا الله عز وجل قبل أن يُحَرِّمَ عليهم الخمرَ]، وحجةً على الباقين؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]، ثم قرأ حتى أنفذَ الآية الأخرى[٢]، ومن الذين آمنوا ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾، فإنّ الله عز وجل قد نهى أن تُشْرَبَ الخمرُ.

فقال عمر رضي الله عنه: صدقتَ فماذا ترون؟

فقال عليٌّ رضي الله عنه: نرى أنّه إذا شَرِبَ سَكِرَ، وإذا سَكِرَ هَذَىٰ، وإذا هَذَىٰ افترى، وعلى المفتري ثمانونُ جلدةً، فأمرَ عمرُ رضي الله عنه فجُلِدَ ثمانين[٣].

● وعَنِ الْحَكَمِ، في آية جزاء الصيد أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ أَنْ يُحْكَمَ عَلَيْهِ فِي الْخَطأِ وَالْعَمْدِ[٤].

● وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، أَنَّ أَعْرَابِيّاً أَتَى أَبَا بَكْرٍ، قَالَ: قَتَلْتُ صَيْداً وَأَنَا مُحْرِمٌ، فَمَا تَرَى عَلَيَّ مِنَ الْجَزَاءِ؟

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَهُ: مَا تَرَى فِيهَا؟

---

(١) في الأصل الفارسي: «هؤلاء الآيات»، وكذا في كتاب «الاستذكار» (٨/٧).
(٢) وفي الأصل الفارسي: «بلغ الآية الأخرى».
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/٤١٧) برقم: (٨١٣٢)، وأبو عمر في «الاستذكار» (٨/٧).
(٤) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/٨٩).

قَالَ: قَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَتَيْتُكَ وَأَنْتَ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَسْأَلُكَ، فَإِذَا أَنْتَ تَسْأَلُ غَيْرَكَ.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا تَذْكُرُ قَوْلَ اللهِ: ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، فَشَاوَرْتُ صَاحِبِي حَتَّى إِذَا اتَّفَقْنَا عَلَى أَمْرٍ أَمَرْنَاكَ بِهِ[١].

عن **بكر بن عبد الله المزني** قال: كان رجلان من الأعراب محرمين[٢]، فأجاش[٣] أحدُهما ظبياً فقتله الآخر، فأتيا عمر وعنده عبد الرحمٰن بن عوف، فقال له عمر: ما ترى؟

قال: شاة.

قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاةً.

فلما مضيا قال أحدهما لصاحبه: ما أدرى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه فسمعها عمر فردّهما، وأقبل على القائل ضرباً بالدِّرة وقال: تقتلُ الصيدَ وأنتَ مُحرِمٌ، وتَغْمِصُ[٤] الفتيا؟، إن الله يقول: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ثم قال: إن الله لم يرض بعمر وحده، فاستعنت بصاحبي هذا[٥].

• **عن ابن عباس** قال: خطبَ أبو بكرٍ الناسَ فقال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٩٦] قال: وطعامُه ما قذف به[٦].

• **وعن أنس عن أبي بكر الصدِّيق** في الآية قال: صيدُه ما حويت

(١) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (٥/ ٩٣).
(٢) في الأصل الفارسي: «كان رجلان محرمين».
(٣) في الأصل الفارسي: «فحاش» وفي «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٣) «فأحاش».
(٤) قوله: «تغمص»؛ أي: تحتقر وتستهين وتطعن حكم الشريعة... إلخ.
(٥) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨١).
(٦) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

عليه، وطعامُه ما لَفظ إليك[١].

عن **أبي هريرة** قال: قدمتُ البحرينِ، فسألني أهلُ البحرينِ عمّا يَقْذِفُ البحرَ من السمك؟ فقلت لهم: كلوا، فلمّا رجعتُ سألت عمر بن الخطاب عن ذلك، فقال: بم أفتيتَهم! قال: أفتيتُهم أن يأكلوا، قال: لو أفتيتَهم بغيرِ ذلك لعلوتُك بالدِّرة، ثم قال: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ﴾، فصيدُه ما صِيْدَ منه، وطعامُه ما قذف[٢].

وعن **الحارث بن نوفل** قال: حجَّ عثمانُ بن عفّان، فأتي بلحمِ صيدٍ صادَه حلالٌ، فأكل منه عثمانُ ولم يأكل عليٌّ، فقال عثمان: واللهِ ما صِدْنا ولا أمَرْنَا ولا أَشَرْنا، فقال علي: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًاۗ﴾[٣].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُطلَقُ الصيدُ مرّةً على مصدر صاد، يصيد[٤]، ويطلق أُخرى على الحيوان الذي يُصاد[٥]، ولكلٍّ وجهةٌ هو مولّيها.

عن **الحسن** أنّ **عمر بن الخطاب** لم يكن يرى بأساً بلحم الصيد للمحرم إذا صِيدَ لغيره، وكرهه علي بن أبي طالب[٦].

● **عن الحسن** أن **أبا بكر الصدِّيق** حين حضرته الوفاةُ قال: ألم ترَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٥٥) برقم: (١٨٧٦٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٦) واللفظ له.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٧).

(٤) يقصد به عملية الاصطياد.

(٥) هذا من المصدر المفعول به أي الشيء المصاد.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٣٠٧) برقم: (١٤٤٦٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٨٨) واللفظ له.

أنَّ اللهَ ذكر آيةَ الرَّخاءِ عندَ آيةِ الشدّةِ، وآيةَ الشدّةِ عند آيةِ الرَّخاءِ، ليكونَ المؤمِنُ راغباً راهباً، لا يتمنَّى على اللهِ غيرَ الحق، ولا يلقي بيده إلى التهلكة[١].

• **وعن أبي هريرة** قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وهو غضبانُ محمارٌّ وجهه حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجلٌ فقال: أين آبائي؟ قال: «**في النار**»، فقام آخر فقال: مَنْ أبي؟ فقال: «**أبوك حذافة**»[٢]، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبيّاً، وبالقرآن إماماً، إنّا يا رسولَ اللهِ حديثو عهدٍ بجاهليةٍ وشِرْكٍ[٣]، والله أعلم مَنْ آباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١][٤].

عَنْ **قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ** عَنْ **أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ** أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»[٥].

عن **أبي ذر** قال: قلتُ للنبيِّ ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! قمتُ الليلةَ بآيةٍ من القرآن، ومعك قرآنٌ لو فعل هذا بعضنا لوجدنا عليه؟ قال: «**دعوتُ لأُمّتي**»، قال: فماذا أُجبت؟ قال: «**أُجِبْتُ بالّذي لو اطَّلَعَ**

---

(١) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «فلان» بدلاً من «حذافة».
(٣) في الأصل الفارسي: «بالجاهلية والشرك».
(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٩٥).
(٥) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٦٨).

كثيرٌ مِنْهُم عليه تَرَكُوا الصَّلَاة»، قال: أفلا أبشِّرُ النّاسَ؟ قال: «**بلى**»، فقال عمر: يا رسول الله إنّكَ إن تبعثْ إلى الناسِ بهذا يتّكلوا، ويدعوا العبادةَ[١]، فناداه أنِ ارجع فرجع، وتلا الآية التي يتلوها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة][٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «اتكلوا عن العبادة».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/٢٧)، و«تفسير الألوسي» (٥/٢٠٣).

آيات سورة الأنعام

• قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال سبحانه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعام].

لقد أنزل الله تعالى في سورة الأنعام ثلاث آيات تتضمّن الفضيلة لثلاث فرقٍ من المهاجرين الأولين.

الفرقة الأولى: هي جماعةُ أذكياءِ الصحابة، ممّن آمنوا في أول مبعث النبيِّ ﷺ، وقاموا بالتصديق بشهادة العلوم الإجمالية الكامنة في صدورهم، ومِنْ هذه الجماعة **عثمانُ بنُ عفّان**، وعلى رأسِهم الصدِّيق رضي الله عنه حيث إنّ تركَ عبادة الأصنام، وإثباتَ التوحيد، واجتنابَ الزنا، والنفور من الخمر وسائر الرذائل والقبائح كان داخلاً في جبلّته وفطرته.

ورأى رؤىً عديدةً دالّة على رسالة النبي ﷺ، فآمن لمجرّد دعوته ﷺ، ولم يحتج إلى تكرار الدعوة وطلب المعجزات وأنواع المخاصمات، فالله ﷻ عرّض بحال هؤلاء، بل بحال رئيسهم، وقارن بينهم وبين جماعة الكفار ممّن هم على الجانب المقابل لهم كمقارنة النور مع الظلمة، والنهار مع الليل، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ الآية [الأنعام: ١٢٥].

والفرقة الثانية: هم الذين قَضَوْا جزءاً من أعمارِهم في الكفر وعداوة النبيِّ ﷺ، وابتُلوا مدّةً طويلةً بموتٍ معنويٍّ: وهو إنكار رسالة النبي ﷺ بعد بعثته، ثم إنَّ التوفيقَ الإلٰهيَّ غشيهم، ورباهم تربيةً حسنةً، ورزقهم الحياة المعنوية، ورقّاهم إلى أعلى درجات المسلمين، مثل حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب، ورئيسُ هذه الجماعة **عمر بن الخطاب**، والله يعرّض بحالهم، بل بحال رئيسهم ويقارن بينهم وبين الكفار الذين أصرّوا على الكفر وماتوا عليه، مثل أبي جهل ومَنْ هم على شاكلته.

والفرقة الثالثة: هم ضعفاءُ المسلمين من موالي قريش وأمثالهم ممّن استنكفت قريشٌ من مجالستهم، وفيهم نزلت آية: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم...﴾ [الأنعام: ٥٢].

وليعلم أن حقيقة التعريض لا تتمُّ حتى تجتمعَ القرائن القولية والحالية على شخص واحد دون غيره، ففي هذه الصورة يمكن البحث عن ذلك الشخص الخاص، سواء كان الكلام عامّاً أو مطلقاً.

فالقرينة الأولى: هي أنّ المفسِّرين أجمعوا على أنَّ سورة الأنعام نزلت بكاملها مرة واحدة بمكة المكرمة، وذلك عند قرب إسلام عمر ﷺ، وكان الصدِّيق قد أسلم قبل ذلك بمدّة مديدة، ولذا لا

تتناول كلمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ و﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾، المتأخّرين من المهاجرين والأنصار ولا مَنْ تبعهم بإحسان، بل المراد هو الخمسون أو الستون ممن كانوا مسلمين عند نزول هذه الآيات لا غير، ـ هذه قرينة حالية، وأما القرينة القولية فستأتي فيما بعد ـ.

والقرينة الثانية: هي أنَّ آية: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] تدلّ على أنَّ مدّة طويلة قد مضت على بعثة النبي ﷺ، ولم يتشرّف ذلك الصحابي المشار إليه بالإيمان بعدُ، ثم وُفِّقَ له بعدها، ورسخت قدمُه في الإسلام، وهو يحمِلُ عزماً قوياً، وقوّةً حتى يُعْتَبَرَ مقابلاً لـ«أكابر مجرميها».

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ...﴾ [الأنعام: ١٢٥] لا يتحقّق مقتضاه على أتمِّ وجهٍ إلا أن يؤمنَ ذلك الرجلُ من أعماق قلبِه، بدون تكرارِ الدعوة إلى الإسلام، وبدون المخاصمة، ولا تثورُ شكوكٌ وشبهاتٌ في خاطره، فيقول: ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ومثل هذه التخيلات لا تختلف إلى قلبه، وهو يعرف سرّ الشرائع بأكمل الوجوه من تِلقاءِ نفسِه، وفي ضوء هذه القرينة لزم تقليل الشركاء من المؤمنين في ذلك العصر.

والقرينة الثالثة: هي أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وهذه الآيةُ تدلُّ على أنّه هو المهتدي والهادي معاً، ويحصل به نفعٌ عظيمٌ للمسلمين، وهذا الوصف ينحصر في ذات عمر بن الخطاب مِنْ بين هذا الفريق من حيثُ لا يخفى.

والقرينة الرابعة: هي أنَّ القرآنَ جعلَ هذا الرجلَ المشارَ إليه عديلاً بأكابر مجرميها، وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي جهل حين قُتل: «**ماتَ اليومُ**

فرعونُ هذه الأمة»[١]، وقد سأل النبيُّ ﷺ الله ﷻ: «**اللَّهُمَّ أيِّدني بأحبِّ هذين الرَّجُلينِ إليكَ: عمرَ بنِ الخطّابِ أو عمرِو بنِ هشام**[٢]»، فاستجيب لدعائه ﷺ في حقّ عمر بن الخطاب، فلما اجتمعت هذه القرائنُ تبادَرَ إلى الذهنِ الشيخان: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في أول نظر.

ثم ليُعْلَمْ أنّ الله تعالى يمدحُ أحدَهما بشرح صدره للإسلام الذي هو حقيقةُ الصدّيقية، ويصف الآخرَ بالحياة المعنوية والنور الذي يمشي به في الناس، ويؤثر فيهم، وذلك حقيقة الخلافة الخاصّة وحقيقة المحدَّثية[٣]، ثم يعدهم جميعاً بالجنّةِ، ويثبِتُ لهم الاستقامةَ على الصراط المستقيم، ويقول فيهم: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وناهيك به من شرفٍ، وكلُّها من صفات الخلافة الخاصة.

وقال في مدح الفرقة الثالثة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢]، ثم نصّ على إخلاصهم بقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، وعدهم بالمغفرة والحسنى، فأي فضيلةٍ أحسنُ من هذه الفضائل.

- **عن عمر بن الخطاب** قال: الأنعامُ من نواجبِ القرآنِ[٤].

قلتُ: في «الدرّ النثير» الأنعامُ من نجايبِ القرآنِ أو نواجبه؛ أي: أفاضلِ سورهِ، جمع نجيبةٍ، والنواجِبُ هي عتاقُهُ[٥].

---

(١) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٩/ ٩٢) برقم: (١٧٩٤٥).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦١٨)، و«مسند أحمد» برقم: (٥٦٩٦)، وفيهما: «**اللَّهُمَّ أعز الإسلام**» مكان «**اللَّهُمَّ أيِّدني**».

(٣) أشار المصنف إلى ما وقع في الحديث: «**قد كان في الأمم محدَّثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر بن الخطاب**»، فسر في الحديث بالملهمين؛ أي: من يلقى في نفسه شيء فيخبر به حدساً وفراسةً يختصُّ اللهُ به مَنْ يشاءُ مثل عمر. انظر: «مجمع بحار الأنوار» (١/ ٤٦٣)، و«النهاية» (ص١٩١).

(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٥٤٥).

(٥) جمع عتيق وهو القديم الأول، وفي الحديث: «**إنهنَّ من العتاق الأول**»؛ أي: السور =

وعن **قيس** قال: دخل عثمان بن عفان على عبد الله بن مسعود فقال: كيف تجدك؟ قال: مردودٌ إلى مولايَ الحقّ، فقال: طِبْتَ(١).

وأخرج **الترمذي عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ** عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهَا كَائِنَةٌ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ**»(٢).

يقول الفقير: لقد ورد قوله تعالى: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾ [الأنعام: ٦٥] في قتال المسلمين، وكان ذلك كائناً بعد انقضاء خمس وثلاثين، وقد ورد في الحديث المتواتر(٣) أن الحكم الذي يتضمنه قوله تعالى: ﴿عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ صار مرتفعاً بفضل دعاء النبي ﷺ، وبقي: ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍۗ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ...﴾ [الأنعام: ٥٢].

أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبيِّ ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدَّث نفسه فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢](٤).

= التي أنزلت أولاً بمكة، وأنها من أول ما تعلمه من القرآن. «النهاية» (ص٥٩١)، و«مجمع بحار الأنوار» (٣/ ٥١٤).

(١) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٦٧).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٦٦).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٣١٣)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٠٦٥).

(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤١٦).

عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أنه سئل عن هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال: ما تقولون؟ قالوا: لم يظلموا، قال: حملتم الأمر على الشدّة، بظلم: بشرك، ألم تسمع إلى قول الله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان][1].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال: بشرك[2].

• **وعن عكرمة** قال: لمّا تزوّجَ عمرُ رضي الله عنه أمَّ كلثوم رضي الله عنها بنت علي اجتمع عليه أصحابه فباركوا[3] له، ودعَوْا له، فقال: لقد تزوَّجتُها، وما بي حاجةٌ إلى النساء، ولكنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ كُلَّ نَسَبٍ وسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ القيامةِ إلّا سَبَبِي ونَسَبِي**»، فأحببتُ أن يكونَ بيني وبين رسولِ اللهِ ﷺ نَسَبٌ[4].

• **وعن ابن عباس** في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾، قال: كان كافراً ضالّاً فهديناه ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا﴾ هو القرآن ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الكفر والضلالة[5].

• **عن زيد بن أسلم** في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ قال: أُنْزِلَتْ في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في ضلالتهما، فأحيا الله عمر بالإسلام وأعزَّه، وأقرَّ أبا جهل في ضلالته وموته، وذلك أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دعا فقال: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإسلامَ بأبي جَهْلِ بنْ هِشَامٍ**

(١) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٩٠).
(٢) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٩٠).
(٣) في الأصل الفارسي: «فبرّكوا».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٠٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).

أو بِعُمَرَ بْنِ الخَطّابِ»[١].

• وعن الحسن مثله عن الضحَّاك في قوله: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ قال: عمر بن الخطاب ﷺ: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قال: أبو جهل بن هشام[٢].

• وعن أبي سنان ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ قال: نَزَلَتْ في عمرَ بنِ الخطّاب[٣].

يقول الفقير: هذه الآيةُ تعريضٌ بحال عمر بن الخطاب وأبي جهل عند جمهور المفسِّرين.

• **عن عبد الله بن مسعود** قال: إنَّ اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبُ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه لنفسِهِ، فابتعثه برسالتِهِ.

ثم نظرَ في قلوبِ العبادِ بعدَ قلبِ محمَّدٍ، فوجدَ قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراءَ نبيِّه، يقاتِلُونَ على دينِهِ، فما رأى المسلمونَ حسناً فهو عِنْدَ الله حَسَنٌ، وما رأوا سَيِّئاً فهو عندَ اللهِ سَيِّئٌ[٤].

• **عن أبي الصلت الثقفي**: أنّ عمر بن الخطاب ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، بنصب الراء، وقرأها بعضُ مَنْ عِنْدَهُ من أصحاب رسول الله ﷺ (حَرِجًا) بالخفض، فقال عمر: أبغوني رجلاً من كنانة، واجعلوه راعياً، [ولكن مُدْلجياً[٥]]، فأتوه به، فقال له عمرُ: يا فتى! ما الحَرَجَةُ فيكم؟

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٦٠٠).
(٥) سقطت في الأصل الفارسي.

قال: الحَرَجَةُ فينا: الشجرةُ تكونُ بين الأشجارِ، التي لا تصلُ إليها راعيةٌ، ولا وحشيةٌ، ولا شيءٌ.

فقال عمر: كذلك قلبُ المنافِقِ لا يصلُ إليه شيءٌ من الخير(١).

• **وعن علي بن أبي طالب** قال: لمّا أمرَ الله نبيَّه ﷺ أن يَعْرِضَ نفسَه على قبائل العرب خرجَ إلى مِنىً، وأنا معه وأبو بكر، وكان أبو بكر رجلاً نسّابةً، فوقف على منازلهم ومضاربهم بمنىً، فسلّمَ عليهم، وردّوا السّلام، وكان في القوم مفروقُ بنُ عَمْرٍو، وهانئُ بن قُبيصة، والمُثَنَّى بنُ حارثة، والنعمان بن شريك، وكان أقربَ القومِ إلى أبي بكر مفروقٌ، وكان مفروقٌ قد غلبَ عليهم بياناً ولساناً، فالتفت إلى رسول الله ﷺ فقال له: إلام تدعو يا أخا قريش؟

فتقدم رسولُ اللهِ ﷺ، فجلسَ، وقام أبو بكر يُظِلُّه بثوبه، فقال النبيُّ ﷺ: «**أَدْعُوكُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأَنِّي رسولُ اللهِ، وأَنْ تؤوُوني وتَنْصُرُونِي وتَمْنَعُوني(٢) حتّى أؤدِّيَ عَنِ اللهِ الذي أَمَرَنِي به، فإنَّ قُرَيْشاً قد تظاهَرَتْ علىٰ أمرِ اللهِ، وكذَّبَتْ رسولَهُ، واسْتَغْنَتْ بالباطلِ عَنِ الحَقِّ(٣)، واللهُ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ**».

قال له: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قريشٍ؟

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾، إلى قوله: ﴿تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

فقال له مفروقٌ: وإلامَ تدعو أيضاً يا أخا قُرَيْشٍ؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كانَ من كلامِهِم لعرفناه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٣١).
(٢) في الأصل الفارسي: «ولا تؤذوني وتضربوني وتمنعوني».
(٣) في الأصل الفارسي: «وأعانت الباطل على الحق».

فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ. . .﴾ [النحل: ٩٠].

فقال له مفروقٌ: دعوتَ ـ واللهِ يا قُرَيشيّ ـ إلى مكارمِ الأخلاقِ ومَحَاسِنِ الأعمالِ، ولقد أَفِكَ قومٌ كذّبوكَ، وظاهروا عليكَ؟

وقال هانئُ بنُ قبيصةَ: قد سمعتُ مقالتَكَ، واسْتَحْسَنْتُ قولَكَ يا أخا قُريش، ويُعْجِبُنِي ما تكلَّمْتَ به.

ثم قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنْ لم تَلْبَثُوا إلّا يَسِيراً، حتّى يَمْنَحَكُمُ اللهُ بلادَهُم وأموالَهم** ـ يعني: أرضَ فارسَ وأنهارَ كِسْرَىٰ ـ وَيُفْرِشَكُمْ بَنَاتِهِم، أتُسَبِّحُونَ اللهَ وتُقَدِّسُونَه؟»، فقال له النعمان بن شريك: اللَّهُمَّ وإن[1] ذلك يا أخا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]، ثم نهضَ رسولُ اللهِ ﷺ قابضاً على يدِ أبي بكرٍ[2].

● **عن ابن عباس** قال: خطبنا عُمَرُ فقال: أيُّها الناسُ! سيكونُ قومٌ من هذه الأمة يكذِّبون بالرَّجْم، ويكذِّبون بالدجالِ، ويكذِّبونَ بطلوعِ الشَّمْسِ مِنْ مغربِها، ويكذِّبونَ بعذابِ القَبْرِ، ويكذِّبونَ بالشفاعةِ، ويكذّبونَ بقوم يخرجون من النارِ بعد ما امتُحِشُوا[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) كذا في «الدر المنثور» وفي الأصل الفارسي: «وأنّى»، وفي «كنز العمال» (٣٥٦٨٤): «اللّهم فلك».

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٥٩).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٧٣).

آيات سورة الأعراف

• **قال الله تعالى**: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

مفادُ هذه الآياتِ أنَّ موسى عليه السلام ناجى مجيبَ الدعوات بقوله: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ﴾؛ يعني: ربنا اكتب لنا وقدّر، وأنزل علينا في ملكوت القضاء ثبوت الحسنة، واخلُقْ صورةً مثاليةً لثبوتِ الحسنة في الدنيا والآخرة لأُمّتي، فاتّجه إليه خطاب ربِّ الأرباب أنَّ اليهودَ لا يبقون على حالٍ واحدةٍ: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ﴾، وتكونُ فيهم جماعةٌ تصيبهم عقوبة الدنيا، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤]، وتكون الأُخرى تدركهم رحمةُ الله تعالى كما قال عزّ من قائل: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [المائدة].

ومعنى قوله: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ يعني: سأكتب حسنةً في الدنيا والآخرة في مستقبل الأيام للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.

وقد فُهِمَ مِنْ هنا أنَّ أمةً ستظهرُ في الزّمانِ الآتي، وتتّصفُ بهذه

الصفات، ويؤتهم اللهُ حسنةً في الدنيا التي هي عبارةٌ عن الفتحِ والنصرِ وسَعَةِ الرزق، ورئاسةِ العالم، وانحصارها فيهم، وأنَّ الآخرين يكونون تحت حكمهم، ويعطون الجزية وهم صاغرون، ويكونون بأيديهم أسرى وأرقّاء، ويؤتيهم الله حسنةً في الآخرة، وهي عبارة عن المغفرة والنجاة ورفع الدرجات، فيؤتيهم الله كلتا النعمتين.

ثم يقول الله تعالى: إنَّ الأمةَ الموعودةَ هم الذين يتّبعون النبيَّ الأميَّ، وقد صدق عليهم ذلك الموعود الإلـٰهي، وقد كتبنا لهم حسنة في الدنيا والآخرة، يعني: قد قررنا القضاء في الملكوت أنَّ الذين يتّبعون النبيّ الأميّ وآمنوا به، وعزّروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أُنْزِلَ معه، يعني: اتبعوا القرآن: هم من الناجين المغفور لهم.

ومن صفات النبيّ الأميّ ما يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل، وتتلوه اليهود في التوراة، والنصارى في الإنجيل، وقد ثبتت الحجةُ أيضاً على سائر الأمم من جهة ظهور معجزات موسى وعيسى عليهما السلام وثبوت نبوتهما، وشهرتهما بين الناس، فلمّا وُجِدَ وصفُ النبيِّ ﷺ في الكتب الإلـٰهية في الدنيا، وأخبر به الأنبياءُ الصادقون، تحققت الحجّةُ على سائر الناس، فإذا لم يعترفوا به لم يكونوا معذورين عند الله تعالى.

وهذا الوصفُ أنّ النبيَّ يأمرُ بالمعروفِ، وينهى عن المنكرِ، ويحلُّ لهم الطيّبات، ويحرّمُ عليهم الخبائث، ويضع عنهم إِصْرَهم، والأغلال التي كانت عليهم؛ يعني: يقومُ بنسخ الشرائع الشاقّة الشديدة، ويأمر بالملّة الحنيفية السهلة السمحة، والنبوة التي تكون على هذه الصفة هي كمال الرحمة وتمام الرأفة.

ويُثْبِتُ اللهُ تعالى ـ في هذه الآيات بمنطوقها ـ الفلاحَ لأصحاب النبي ﷺ، ويُثبت بمفهومها حسنةَ الدّنيا والآخرة كذلك، ولا شكّ في أنَّ

الخلفاءَ قد آمنوا به، وعزّروه، ونصروه، وذلك في أيّامِ حياته ﷺ وبعد وفاته على السواء، فاتصفوا بهذا الفضل، الذي لا يتصوّر فوقه فضلٌ، وهو المقصود.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: أعطيتُ ناقةً في سبيل الله، فأردتُ أن أشتريَ من نسلها، فسألتُ النبيَّ ﷺ فقال: «**دَعْهَا تأتي يومَ القيامةِ هِيَ وأولادُها جميعاً في مِيزَانِكَ**»[١].

• **عن الحسن** قال: رأيتُ عثمانَ على المِنْبَرِ قال: يا أيها الناس! اتقوا الله في هذه السرائر، فإنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**والذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ مَا عَمِلَ أحدٌ عَمَلاً قطّ سِرّاً إلّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِدَاءَهُ علانيّةً، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ**»، ثم تلا هذه الآية (وَرِياشاً) ولم يقل: وريشاً ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال: «**السَّمْتُ الحَسَنُ**»[٢].

• **عن الحسن** قال: دخل عمرُ على ابنه عبد الله بن عمر، وإذا عندهم لحم، فقال: ما هذا اللحمُ؟ قال: اشتهيتُه، قال: وكلّما اشتهيتَ شيئاً أكلتَهُ؟ كفى بالمرء إسرافاً أن يأكلَ كلّما اشتهى[٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: إيّاكم والبِطنةُ في الطعام والشراب، فإنّها مفسدةٌ للجسد، مورِثةٌ للسّقم، مَكْسَلَةٌ عن الصّلاةِ، وعليكم بالقَصْدِ فيهما، فإنّه أصلحُ للجسدِ، وأبعدُ من السّرَفِ، وأنّ الله تعالى ليُبْغِضُ الحَبْرَ السّمين، وإنَّ الرجلَ لن يهلِكَ حتّى يُؤْثِرَ شهوته على دينه[٤].

وعن **ابن المسيّب** قال: لمّا طُعِنَ عمر قال كعبٌ: لو دعا الله عمرُ

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٢٩٥)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٩٧) واللفظ له.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٢١٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٢١٨).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٢١٩).

لأَخَّر في أجلِهِ، فقيل له: أليس قد قال الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤﴾ [الأعراف: ٣٤]؟

فقال كعب: وقد قال الله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ﴾ [فاطر: ١١].

[قال الزهري: وليس أحدٌ إلا له عمر مكتوبٌ، فرأى أنّه ما لم يحضر أجله]، فإنّ الله يؤخِّرُ ما شاءَ وينقص ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ۝٣٤﴾[1].

عن **ابن أبي مليكة** قال: لمّا طُعِنَ عمر جاء كعبٌ، فجعل يبكي بالبابِ، ويقول: واللهِ لو أنَّ أميرَ المؤمنين يُقْسِمُ على اللهِ أن يؤخِّره لأَخَّرَهُ، فدخل ابنُ عبّاسٍ عليه فقال: يا أميرَ المؤمنين هذا كعبٌ يقول كذا وكذا؟ قال: إذاً واللهِ لا أسأله[2].

• **عن سالم بن عبد الله، وأبان بن عثمان، وزيد بن حسن،** [يَذْكُرُونَ[3]] أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أُتي برجلٍ قد فَجَرَ بغلام من قريش معروف النسب، فقال عثمان: [ويحكم أين الشهود] أحصن؟ قالوا: قد تزوّجَ بامرأةٍ ولم يدخل بها بعدُ، فقال علي لعثمان رضي الله عنه: لو دخلَ لها لحلَّ عليه الرجمُ، فأمّا إذا لم يدخل بأهلِهِ فاجلده الحَدَّ، فقال أبو أيوب: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول الذي ذكر أبو الحسن، فأمر به عثمانُ رضي الله عنه فجُلِدَ مائةً[4].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال موسى عليه السلام: يا ربِّ ما لِمَنْ عَزَّىٰ الثكلى؟

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٢٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٤/ ٢٢٣).
(٣) سقط في الأصل الفارسي.
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٣٢).

قال: أظلّه بظلّي يومَ لا ظِلَّ إلا ظلّي[١].

• **عن خالد الرَّبَعِي** قال: قرأتُ في كتابِ اللهِ المنزل أنّ عثمانَ بنَ عفّان [يأتي[٢]] رافعاً يديه إلى الله يقول: يا ربِّ قتلني عبادُكَ المؤمنون[٣].

• **عن مسلم بن يسار الجهني** أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فقال عمر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «**إنّ اللهَ خَلَقَ آدمَ، ثم مَسَحَ ظهرَه بيمينِهِ، واستخرجَ مِنْهُ ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنّةِ، وبعملِ أهل الجنَّةِ يعملونَ، ثم مَسَحَ ظهرَه، فاستخرجَ منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للنّارِ وبعملِ أهلِ النّارِ يعملونَ**».

فقال رجل: يا رسول الله! ففيمَ العملُ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله عز وجل إذا خَلَقَ العبدَ للجنَّةِ استعْمَلَه بعَمَلِ أهلِ الجَنَّةِ حتّى يموتَ على عَمَلٍ مِنْ أعمالِ أهلِ الجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ به الجَنَّةَ، وإذا خَلَقَ العَبْدَ للنّارِ استعمَلَهُ بعملِ أهلِ النّارِ حتّى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ النّارِ، فيدخلَه به النَارَ**»[٤].

عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: أنه خطب بالجابية، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: مَنْ يهدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ لَهُ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٣٠٨).

(٢) زاد في الأصل الفارسي.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٣٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٠٧٥)، ومالك في «الموطأ» برقم: (٣٣٣٧)، وأحمد في «مسنده» برقم: (٣١١).

فقال له فتى[١] بين يديه كلمةً بالفارسية، فقال عمرُ لمترجم يترجم له: ما يقول؟ قال: يزعمُ أنّ اللهَ لا يُضِلُّ أحداً.

فقال عمر: كذبتَ يا عدوَّ اللهِ! بل اللهُ خلقَكَ وهو أضلَّك، وهو يدخلَكَ النّارَ إن شاءَ اللهُ، ولولا أنَّ بيننا عقداً لضربتُ عنقَكَ، فتفرّقَ الناسُ، وما يختلفونَ في القَدَرِ[٢].

• **وأخرج البخاري عن ابن عبَّاسٍ** قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي! هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ، قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! وَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ ﷻ[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) وفي بعض الروايات «قُسٌّ» مكان «فتى» وكذا في الأصل الفارسي، فانظر مثلاً: «تفسير ابن أبي حاتم» (٦/ ٢٩٥).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٨٦).

آيات سورة الأنفال

• قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

يقول الفقير: إنّ المفسِّرين قد اختلفوا في معنى هذه الفتنة، فقالت طائفةٌ منهم: إنّ هذه الفتنة هي أنَّ جماعةً من المسلمين يرتكبون المعاصي، والأُخرى تكفُّ عن النهي عن المنكر، فيأخذُ عذابُ الله الجميعَ، يأخذ العصاة بعصيانهم، والتاركين للنهي عن المنكر بتركهم للنهي عن المنكر، وفيه بحث؛ لأنَّ كل واحدٍ حينئذٍ مأخوذٌ بظلمه من الفعل أو الكفّ ـ أي: الطائفة الأولى بارتكاب المعاصي، والثانية: بكف النهي عن المنكر ـ.

والمعنى الصحيح أنّ هذه الفتنة إنما هي فتنة الخلافة، وهي الفتنةُ التي تموجُ كموجِ البحرِ، حين يتفرّق المسلمون إلى جماعات وطوائف، ويقوم كلٌّ منها في طلب الخلافة، فينشأ عن ذلك إفناءُ النفوس، ونهبُ الأموال، وغلبةُ الكفار، الذين يحاولون دائماً انتهاز مثل هذه الفرصة.

وتتفرّع من هذه الفتنةِ فروعٌ كثيرةٌ، ولا يكون أيُّ مسلم بمأمن منها، سواء كان من أهل الحضر أو البدو، وسواء كان خاملاً أو مشهوراً، أو معتزلاً أو مختلطاً، والله تعالى يحذِّرُ من هذا النوع من الفتنة.

ويقول عقب ذلك: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾

[الأنفال: ٢٦]؛ يعني: كنتم مغلوبين بيد الكفار، تذوقون مرارة الجوع والعطش، فبدّل الله حالكم هذه بالنصر والتأييد وسَعةِ الرزق، فموجب الشكر على هذه النعمة ألا تفعلوا عملاً يسبّب غلبة الكفّارِ واختلالَ مكاسبكم وأرزاقكم.

• **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال].

يقول الفقير: إنّ الله يذكرُ في هذه الآيات فضيلةَ المهاجرين الأولين في الدنيا والآخرة، ويقول: إنّ المهاجرين الأوّلين والأنصارَ أَكْفَاءُ فيما بينهم، وبعضُهم أولياءُ بعضٍ، فإذا وقع أحدٌ منهم في آفةٍ أو مصيبةٍ وجبَ على الآخر نصرتُه، ولا يجب ذلك على المسلمين الذين لم يهاجروا، إلّا أنّ تأجّج نارُ الحربِ بينهم وبين المشركين الحربيين، ولو كان ذلك لسبب العداء الدنيوي، فيجب في هذه الحالة نصرتهم ومساعدتهم؛ إذ إنّ الكفّار بعضُهم أولياء بعضٍ، فإذا لم يقم المسلمون بنصرتهم ومساعدتهم غلبَ الكفرُ، وارتدَّ الناس عن الإسلام، وهذا هو المراد بقوله: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال].

ثم يبيّن بعد ذلك فضيلة المهاجرين الأولين والأنصار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾﴾ الآية [الأنفال]، وأيّ فضيلةٍ أكبرُ من هذه الفضيلة؟.

ويذكر بعد ذلك المهاجرين متأخري الهجرة ضمن بيانهم، ويُشبِّههم بالأولين، والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ الآية، بيان وجوب التناصر بقرابة الرحم، فلا منافاة بين هذه الآية والآيات السابقة، وعلى هذا التوجيه لا يكونُ نسخٌ في هذه الآيات، وهذا أصحُّ التوجيهات عند الفقير ـ عُفي عنه ـ.

• **عن عمر بن الخطاب** قال: لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرضِ لرجحَ إيمانُ أبي بكر[1].

يقول الفقير: إنّ إصابةَ الرأي للشيخين ﵄ وفراستَهما قد ظهرت على وجه الكمال يوم بدر.

ذكر موسى بن عقبة قصة بدر مفصّلةً، فذكر من فراستهما أنّ رسول الله ﷺ قال: «**أَشِيرُوا علينا في أمرِنا ومسيرِنا**».

فقال أبو بكر: [يا رسول الله] إنَّا أعلمُ الناسِ بمسافةِ الأرضِ، أخبرنا عدي [بن أبي الزغباء] أنّ العيرَ كانت بوادي كذا وكذا[2]، [قال ابن فليح في روايته]: فكأنّا وإيّاهم فرسا رهان إلى بدر، [ثم اتفقا، قال:] ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أشيروا عليَّ**»، فقال عمرُ بنُ الخطّاب ﵁: يا رسول الله، إنّها قريشٌ وعزُّها، واللهِ ما ذلّت منذُ عزّت، ولا آمنتْ منذ كفرتَ، واللهِ لتُقَاتِلَنَّكَ، فتأهّبْ لذلك أهبتَه، وَأَعْدِدْ له عُدّته[3].

• **وذكر من فراسة أبي بكر الصدِّيق** ﵁ فقال: فلما طلع المشركون قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ هذه قريشٌ قد جاءتْ بخُيلائِها وفخرِها تحادُّك وتكذِّبُ رسولَك، اللَّهُمَّ إنِّي أسأَلُك ما وعدتَّنِي**» ـ ورسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٤٢) برقم: (٣٥).
(٢) في الأصل الفارسي: «تعادي كذا وكذا».
(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).

ممسِكٌ بِعَضُدِ أبي بكر يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أسألُك ما وَعَدتَّني**».

فقال أبو بكر: أبشرْ فوالّذي نفسِي بيده لينجزنَّ اللهُ لكَ ما وعدَكَ، فاستنصرَ المسلمون الله واستغاثوه، فاستجابَ الله لنبيِّه وللمسلمين[١].

• **ثم ذكر** أنّه عجّ المسلمون إلى الله يسألونه النصر حين رأوا القتال قد نَشَبَ، ورفعَ رسولُ اللهِ ﷺ يديه إلى الله تعالى يسأله ما وعده، ويسأله النصر، ويقول: «**اللَّهُمَّ إنْ ظَهَرُوا**[٢] **على هذه العصابةِ ظَهَرَ الشِّرْكُ، ولم يَقُمْ لكَ دِينٌ**»، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: يا رسولَ اللهِ! والذي نفسِي بيدِهِ لينصرنَّكَ اللهُ عز وجل، وليبيضنَّ وجهَكَ، فأنزل الله عز وجل من الملائكة جُنداً في أكتافِ العدوِّ، فقال رسول الله ﷺ: «**قد أنزلَ اللهُ نَصْرَهُ، ونَزَلَتِ الملائكةُ، أَبْشِرْ يا أبا بكر، فإنِّي قد رأيتُ جبريلَ** عليه السلام **معتجِراً، يقودُ فرساً بينَ السماءِ والأرضِ، فلمّا هبطَ إلى الأرضِ جلسَ عليها، فتغيَّب عنِّي ساعةً ثم رأيتُ على شَفَتَيْهِ غباراً**»[٣].

• **وعن عليٍّ** رضي الله عنه قال: نزل جبريلُ عليه السلام في ألفٍ من الملائكة عن ميمنةِ النبيِّ ﷺ وفيها أبو بكر رضي الله عنه، ونزل ميكائيلُ عليه السلام في ألفٍ من الملائكةِ عن مَيْسَرَةِ النبيِّ ﷺ وأنا في المَيْسَرَةِ[٤].

• **وعن عمر بن الخطاب** في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ﴾ [الأنفال: ١٦] لا تغرنكم هذه الآية، فإنّها كانت يوم بدر، وأنا فئةٌ لكلِّ مسلم[٥].

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).
(٢) في الأصل الفارسي: «ظهروا».
(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١١٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٢٠).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٢٦).

• **أخرج مسلم وأبو داود والترمذي** عن **عبد الله بن عباس** قال: حدّثني عمر بن الخطاب قال: لمّا كان يومُ بدرٍ، نظرَ النبيُّ ﷺ إلى أصحابه، وهم ثلاثمائة رجلٍ، وبضعة عشر رجلاً، ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة، فاستقبل نبيُّ اللهِ ﷺ القبلةَ، ثم مدَّ يديه، وجعلَ يهتِفُ بربه: «**اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي ما وَعَدتَّنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِهِ العصابةَ مِنْ أهلِ الإسلامِ لا تُعْبَدُ في الأَرْضِ**»، فما زالَ يهتِفُ بربِّه، مادّاً يديه، مستقبلَ القبلةِ، حتّى سقطَ رداؤه، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذَ رداءه، فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبيَّ الله! كفاكَ مناشدتُكَ ربَّك، فإنّه سينجِزُ لك ما وعدَكَ، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴿٩﴾﴾ [الأنفال].

فلما كان يومئذٍ، والتقوا، هزم الله المشركين، فقُتِلَ منهم سبعون رجلاً.

واستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعليّاً رضي الله عنهم، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هؤلاء بنو العمِّ والعشيرةِ، وإنِّي أرى أن تأخذ منهم الفديةَ، فيكونُ ما أخذنا منهم قوّةً لنا على الكفّارِ، وعسى اللهَ أن يهديَهم فيكونوا لنا عَضُداً.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابنَ الخطّابِ؟**».

قلتُ: لا واللهِ، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنِّي أرى أن تمكِّنني من فلانٍ قريبٍ لعمر فأضربَ عنقَه، [وتمكّن عليّاً من عَقِيلٍ، فيضرِبَ عنقَه، وتمكّن حمزةَ من فلانٍ أخيه، فيضربَ عنقَه] حتّى يعلمَ اللهُ تعالى أنّه ليس في قلوبِنا مودّةٌ للمشركين، هؤلاء صناديدُهم وأئمتُهم وقادتُهم.

فهوى رسول اللهِ ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه، ولم يهوَ ما قلتُ وأخذَ منهم الفداءَ.

فلمَّا كان من الغدِ قال عمرُ ﷺ: فغدوتُ إلى النبيِّ ﷺ وأبو بكر ﷺ وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك أنتَ وصاحبُك؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجدْ بكاءً تباكيت لبكائِكُما؟.

قال النبي ﷺ: «**الذي عَرَضَ على أصحابِكَ**(١) **مِنْ أَخْذِ الفداءِ**» [ثم قال]: «**قد عُرِضَ عليَّ عذابُكم**(٢) **أدنى من هذِهِ الشجرةِ**» لشجرة قريبة، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الأنفال: ٦٧] إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٨]، من الفداء، ثم أحلَّ لهم الغنائمَ.

فلمّا كان يومُ أُحدٍ من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهمُ الفداءَ، فقُتِلَ منهم سبعون، وفرَّ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ، وكُسِرَتْ رباعيتُه، وهُشِّمَتِ البيضةُ على رأسه، وسال الدمُ على وجهه، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥] بأخذكم الفداء.

قال **ابن عباس** ﷺ: بينما رجلٌ من المسلمينَ يشتدُّ في أثرِ رجلٍ من المشركين أمامه، إذ سمعَ ضربةً بالصوتِ فوقه، وصوتُ الفارس يقول: أقدم حيزومُ، إذ نظر إلى المشرك أمامَه، فخرَّ مستلقياً، فنظرَ إليه، فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه، وشُقَّ وجهُه كضربةِ السوطِ، فاخْضَرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاريُّ فحدّث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**صَدَقْتَ، ذاكَ مِنْ مَدَدِ السماءِ الثالثةِ**» فقتلوا يومئذٍ سبعينَ، وأسروا سبعينَ(٣).

---

(١) في الأصل الفارسي: «أبكي للذي عرض عليّ أصحابك»، وكذا ورد في «صحيح مسلم».

(٢) في الأصل الفارسي: «عذابهم».

(٣) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٧٦٣)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٠٨١)، و«الدر المنثور» (٤/ ٤١٩) واللفظ له.

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، أنّه سمع غلاماً يدعو: اللَّهُمَّ إنّكَ تحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ، فَحُلْ بيني وبين الخطايا، فلا أعملُ بسوءٍ منها، فقال عمر رضي الله عنه: رَحِمَكَ الله، ودعا له بخيرٍ[1].

• **وعن مطرف** قال: قلنا للزبير رضي الله عنه: يا أبا عبد الله ضيَّعتمُ الخليفةَ حتى قُتِلَ، ثم جئتم تطلبون بدمِهِ.

قال الزبير رضي الله عنه: إنا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]. لم نكن نحسبُ أنّا أهلُها حتى وقعت فينا حيثُ وقعتْ[2].

• **وعن قتادة** رضي الله عنه في الآية قال: عَلِمَ ـ والله ـ ذو الألباب من أصحابِ محمّدٍ ﷺ حين نزلت هذه الآية أنّه سيكون فتنٌ[3].

• **وعن الحسن** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ قال: نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير[4].

وعن **الضحّاك** قال: نزلت في أصحاب محمد ﷺ خاصة[5].

وعن **السدي**: أُخبِرْتُ أنّهم أصحاب الجمل[6].

• **وعن رفاعة بن رافع**، أنّ النبيَّ ﷺ قال لعمر رضي الله عنه: اجمع لي قومَكَ، فجمعَهم، فلمّا حضروا بابَ النبيِّ ﷺ دخل عليه عمر، فقال: قد

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٤١٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٣٦) واللفظ له.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٣٦).

جمعتُ لكَ قومي، فسمعَ ذلك الأنصارُ، فقالوا: قد نزلَ في قريشٍ الوحيُ، فجاءَ المستمعُ والناظِرُ ما يُقالُ لهم.

فخرجَ النبيُّ ﷺ، فقام بين أظهُرِهم فقال: **«هل فيكم مِنْ غيرِكم؟»**.

قالوا: نعم، فينا حليفُنا وابنُ أختنا وموالينا.

قال النبي ﷺ: **«حليفنا منّا، وابن أختنا منّا، وموالينا منّا، وأنتم تسمعون: إنَّ أوليائي منكم المتّقون[1]، فإنْ كنتُم أولئك فذاكَ، وإلا فانظروا! لا يأتي الناسُ بالأعمالِ يومَ القيامةِ، وتأتونَ بالأثقالِ، فيُعْرَضُ عنكم»**[2].

● **وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** قال: سألت عليّاً رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين! أخبرني كيف كان صُنْعُ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الخمس نصيبكم؟.

فقال: أمّا أبو بكر رضي الله عنه فلم تكن في ولايته أخماسٌ. وأمّا عمر رضي الله عنه فلم يزلْ يدفعُه إليَّ في كلِّ خُمُسٍ، حتّى كان خُمُس السوس وجند نيسابور، فقال وأنا عنده: هذا نصيبُكم أهلَ البيتِ من الخُمُسِ، وقد أحلَّ ببعض المسلمين، واشتدّت حاجتُهم.

فقلت: نعم.

فوثب العبّاس بنُ عبد المطلب فقال: لا تعرض[3] في الذي لنا.

فقلت: ألسنا أحقَّ من المسلمين[4] وشفع أمير المؤمنين؟ فقبضه،

---

(١) في الأصل الفارسي: «إن أوليائي منكم إلا المتقون».

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١١٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٤٩).

(٣) في الأصل الفارسي: «لا تفرض».

(٤) في الأصل الفارسي: «ألسنا أحق من أرفق المسلمين».

فوالله ما قبضناه[١] ولا صدرتْ عليه[٢] في ولايةِ عثمان رضي الله عنه.

ثم أنشأ عليٌّ رضي الله عنه يحدِّثُ فقال: إنّ الله حرّمَ الصدقةَ على رسوله، فعوّضه سهماً من الخمس عوضاً عمّا حرَّمَ عليه، وحرّمها على أهل بيته خاصة، دون أمّته، فضربَ لهم مع رسولِ اللهِ ﷺ سهماً عوضاً ممّا حرّم عليهم، ورغبتُ لكم عن غُسالةِ الأيدي؛ لأنَّ لكم في خُمُسِ الخُمُسِ ما يغنيكم أو يكفيكم[٣].

• **وعن علي** رضي الله عنه قال: ولّاني رسول الله ﷺ خمس الخمس، فوضعته مواضعه حياة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما[٤].

• **وعن قتادة** رضي الله عنه: أن أبا بكر أوصى بالخمس وقال: أوصي[٥] بما رضي الله به لنفسه، ثم قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١][٦].

وعن **حيان**[٧] **بن واسع بن حيان** عن أشياخ من قومه: أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يومَ بدرٍ، ورجع إلى العريش، فدخله، ومعنا أبو بكر رضي الله عنه، وقد خفقَ رسول الله ﷺ خفقة وهو في العريش، ثم انتبه فقال: «**أبشر يا أبا بكر! أتاك نصرُ اللهِ، هذا جبريلُ آخذٌ بعنان فرسٍ يقوده على ثناياه النَّقْعِ**[٨]»[٩].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فوالله ما قضانا».
(٢) في الأصل الفارسي: «ولا قدرت عليه».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٥).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٨).
(٥) في الأصل الفارسي: «أرضى».
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٥٨).
(٧) في الأصل الفارسي: «حبان». (٨) في الأصل الفارسي: «المنتقع».
(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ٤٦١).

• **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: أنزل الله جل جلاله على نبيِّه ﷺ بمكة: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾ [القمر]، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! أي جَمْعٍ؟ ـ وذلك قبل بدر ـ، قال: فلمّا كان يومُ بدرٍ وانهزمت قريشٌ، نظرتُ إلى رسول الله ﷺ في آثارِهم مُصْلِتاً بالسيف، يقول: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥﴾[(١)].

• **وعن حرام بن معاوية** قال: كتبَ إلينا عمرُ بنُ الخطّاب: لا يجاورنّكم خنزيرٌ، ولا يرفَعُ فيكم صليبٌ، ولا تأكلوا على مائدةٍ يُشْرَبُ عليها الخَمْرُ، وأدِّبوا الخيلَ، وامشوا بين الغَرَضَيْنِ[(٢)(٣)].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٩/ ٤٥٤).

(٢) أي: لا ترملوا بين الركن اليماني والحجر فإنه أيسر للاستلام عند الازدحام.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٦/ ٦١) واللفظ له، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩/ ٣٢٧).

آيات سورة التوبة

• **قال الله تعالى:** ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير: ـ عُفِيَ عنه ـ: سببُ نزول هذه الآيات أنّ كفّار قريشٍ قد فاخروا المهاجرين ولا سيمّا عليّاً المرتضى رضي الله عنه، فقالوا: نحن نَعْمُرُ المسجدَ الحرام، ونقومُ بسقاية الحاجّ، فلذلك نحنُ أفضلُ منكم.

فأجابَ المهاجرون: نحن آمنا بالرسول واليوم الآخر، وهاجرنا، وجاهدنا في سبيل الله، فنحن أفضلُ منكم، فأنزل الله تعالى حُكْماً فصلاً في مشاجراتهم هذه، فقال: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [التوبة].

يعني: أنّ عمارة المسجد الحرام عملٌ من الأعمال الصالحة، وشرطُ قبول العمل الصالح عندَ اللهِ إنّما هو الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ وإقامةِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاةِ، والإخلاصِ في خشيةِ الله تعالى.

ولمَّا كانت هذه الصفاتُ لا توجد في كفّارِ قريشٍ حبطتْ أعمالُهم،

وأصبحت كأنْ لم تكنْ شيئاً، ولم تحصلْ لهذه الجماعة فضيلةٌ بالنسبة لهذه الأعمال، فضلاً عن أن يبلغوا إلى فضيلة المهاجرين.

ثم يقول الله تعالى: لو فُرِضَ أنّ هذه الأعمال تحقّقت منهم، ولم تحبط، ففي موازنتها بالهجرة والجهاد خطأٌ بيِّنٌ، لا يستوون عند الله.

ثم أكَّد ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٠]؛ يعني: أعظمُ درجةً من عمارة المسجد الحرام وسقايةِ الحاجّ وسائر أعمالهم.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [التوبة]؛ يعني: بيده كلّ شيء، يعطي من يشاء، وعلى ما يشاء، وقد عُلِمتْ بهذه الآية فضيلةُ المهاجرين والمجاهدين، وفضيلة أعمالهم على سائر أعمال الخير، وتبيّن مآلهم وعواقب أمورهم بأصرح ما يكون، وهو المقصود.

• قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ الله تعالى يوبِّخُ المسلمين، ويقول: إلّا تنصروا الرسول فلا تضرّوا إلا أنفسكم، ولا يلحق بالرسول ضررٌ.

﴿فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾؛ يعني: أنزل الله الملائكة في غزوة بدر وغيرها.

﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، إنّ الأخبار المتواترةَ، واتفاقَ الأمة المرحومةِ ـ مع اتفاق أهل الأهواء؛ أي: الشيعة ـ دالٌّ على أنَّ صاحب الرسول في الغار إنّما هو أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وهذه فضيلةٌ عظيمةٌ، وتنويهٌ عظيمٌ بحاله، وإشارةٌ جليةٌ إلى قبوله عند الله من جهة هذا العمل المبارك، ولولا أنّه كان على أعظمِ رتبةٍ من العزِّ والقبولِ لما كان له هذا التشريف والتعظيم من الله وهو المقصود.

• **قال الله تعالى:** ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن اللهُ في هذه الآياتِ مآلَ المنافقين والمؤمنين، ومن صفاتِ المنافقين أنّهم يأمرون بالمنكر، وينهون عن المعروف، ويبخلون في الحقوق المالية الواجبة، وعاقبتُهم أنّهم يخلّدون في جهنم، لموافقتهم الكفار، ويكونون في لعنة وعذاب مقيم.

ويشبههم بالكفار الأولين، وينذرهم بأنّ عاقبتهم ستكون كعاقبتهم.

ومن صفات المؤمنين التناصرُ في الحقّ، والأمرُ بالمعروف، والنهيُ عن المنكر، وإقامةُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وإطاعةُ الله والرسولِ، ومآلُهم أنَّ الله وعدَهم ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ﴾، وكلُّ ذلك كان لهم في الجنّة.

ولا شكّ أنَّ الخلفاء كانوا متّصفين بهذه الصفات في ضوء الأخبار المتواترة التي لا يتطرّق إليها أي نوع من الشبهة، فهم المبشَّرون بهذه البشارة الربانية العظيمة، وهو المقصودُ.

• قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ الله ﷻ يُبيّن في هذه الآية مآل أصحاب النبي ﷺ وحُسن حالهم، ويقول: السابقون الأولون ممن آمنوا من المهاجرين والأنصار قبل بدرٍ، أو قبلَ تحويلِ القبلةِ من بيت المقدس إلى الكعبةِ، وهاتان الواقعتان متقاربتان من حيث الزمان ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ﴾، فهاجروا ونصروا، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾، وفي هذه الآيةِ تشريفٌ عظيمٌ للصحابة الكرام، وإخبارٌ برضى الله عنهم ورضاهم عنه ﷻ، وناهيكَ به من فضيلة.

• قال الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة].

يقول الفقير: إنّ هذه الآية نزلت في غزوة تبوك، ومفادُها أنّ الله توجّه برحمته؛ يعني: برحمةٍ ورأفةٍ أكثرَ وأغزرَ من ذي قبلُ، وأنعمَ على النبيِّ والمهاجرين والأنصار الذين اتّبعوه في ساعة العسرة، بعد ما كادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم، لأجل شدّة الموقف والحال، ورغم أنَّ فريقاً منهم كان ضعيفَ الصبرِ، أنزل الله رحمته عليهم جميعاً، وإنّه بهم رؤوفٌ رحيمٌ.

وفي هذه الآيةِ فضيلةٌ عظيمةٌ للذين شهدوا غزوة تبوك، وذلك من عدة أوجه:

أولاً: أنّه ﷻ جمعَ الجميعَ مع النبيِّ ﷺ بنسقٍ واحدٍ.

ثانياً: أنّه سبحانه نصّ على عنايته بهم برحمة.

ثالثاً: أنّ الصابرين وغير الصابرين من المسلمين، هم أصحابُ الفضلِ جميعاً، والله أعلم بالصواب.

• **قال الله تعالى**: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة].

يوجِّه الله تعالى اللومَ إلى المتخلِّفين عن سفر تبوك، ويقول: وما كان لهم أن يتخلّفوا، ذلك بأنّ غُزاةَ عسكرِ النبيِّ ﷺ لا يُصيبهُم ظمأٌ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمَصَةٌ في سبيل الله، ولا يعبرون موضعاً يغيظُ الكفّارَ عبورهُ، ولا يتعرّضون للكفّار؛ يعني: يقتلونَهم، ويأخذون أموالهم، أو يلحقون بأحدِهم الجرحَ، أو يأسرون بعضَهم، أيّاً كان من هذه الأنواع، فإنّه يكتب للغزاةِ به عملٌ صالحٌ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين.

ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولا كبيرةً، ولا يقطعون وادياً، إلا كُتِبَ لهم عملٌ صالحٌ، ليجزيَهم اللهُ أحسنَ ما كانوا يعملون.

وقد علمتَ بهذه الآيات فضائلَ جهاد «تبوك» خصوصاً، وسائر الجهاد عموماً بوجه صريح، ومعلومٌ بالقطع أنّ الخلفاء كانوا ممّن شهدوا هذه الوقعة، وسائرَ مشاهدِ الخير، فاستحقّوا هذا الجزاءَ مِنَ الله تعالى، وهو المقصود.

أخرج **الترمذي** عن **ابْن عَبَّاسٍ** قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا

حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى «الْأَنْفَال» وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي[١] وَإِلَى «بَرَاءَة» وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ.

فَقَالَ عُثْمَانُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ، وَهُوَ تَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ، دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: «**ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**»، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ فَيَقُولُ: «**ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا**»، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَقُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أكتب بينهما سطر بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ[٢].

• **وعن عثمان بن عفان** رضي الله عنه قال: كانت «الأنفالُ» و«براءةُ» يُدْعَيانِ في زَمنِ رسول الله ﷺ «القرينتين»، فلذلك جعلتُهما في السبعِ الطوالِ[٣].

• **وعن أبي عطية [الهمداني]** قال: كَتَبَ عمرُ [أو قال عمر:] تعلَّموا سورةَ «براءَة»، وعلِّموا نساءَكم سورةَ النور[٤].

---

(١) **المثاني**: يراد بها السور التي آياتها أقلُّ من ذات المئين. **وذات المئين**: ترادُ بها السورُ التي تكون فيها الآيات أقلّ من مائة. **والسبع الطوال**: هي سبعُ سورٍ طويلةٍ: البقرةُ، آلُ عمران، النِّساءُ، المائدةُ، الأنعامُ، الأعرافُ، التوبةُ.

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٨٦).

(٣) انظر: «النكت والعيون» (٢/ ٨٥)، وفيه: وكانتا تدعيان القرينتين، ولذلك وضعتا في السبع الطوال.

(٤) انظر: «شعب الإيمان» (٢/ ٤٧٧).

• **وعن الشعبي**: أنّ أبا ذر أو الزبير بن العوام سمعَ أحدُهما من النبيِّ ﷺ آيةً يقرؤها وهو على المنبر يوم الجمعة، قال: فقال لصاحبه: متى أُنزِلتْ هذه الآية؟ قال: فلمّا قضى صلاته قال له عمر بن الخطاب: لا جمعةَ لكَ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، قال: فقال: «**صدقَ عُمَرُ**»[١].

• **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ استعمل أبا بكر رضي الله عنه على الحَجِّ، ثم أرسل عليّاً رضي الله عنه ببراءة على أَثَرِهِ، ثم حجَّ النبيُّ ﷺ المقبل، ثم خرجَ فتوفّي.

فولي أبو بكر رضي الله عنه فاستَعْمَلَ عمرَ رضي الله عنه على الحجّ، ثم حجَّ أبو بكر رضي الله عنه من قابلٍ، ثم ماتَ.

ثم ولي عمرُ رضي الله عنه، فاستعملَ عبدَ الرحمٰنَ بن عوفٍ على الحج، ثم كان يحجُّ بعد ذلك هو حتّى مات.

ثم ولي عثمانُ رضي الله عنه، فاستعمل عبدَ الرحمٰنِ بنَ عوفٍ على الحجّ، ثم كان يحجُّ حتّى قُتِلَ[٢].

• **أخرج الدارمي والنسائي عن جابر**: أنّ النبيَّ ﷺ بعثَ أبا بكر على الحجِّ، ثم أرسل عليّاً ببراءةَ، فقرأ على النّاسِ في مواقف الحجِّ حتى ختمها[٣].

• **وعن عروة** رضي الله عنه قال: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر أميراً على النّاسِ سنة تسعٍ، وكتبَ له سُنَنَ الحج، وبعثَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه بآياتٍ من براءةٍ، فأمره أن يؤذّنَ بمكة وبمنى وعرفة وبالمشاعر كلِّها بأنّه

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٥٨) برقم: (٥٣٠٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧).
(٣) انظر: «سنن النسائي» (٥/ ٢٧٣)، و«سنن الدارمي» (٦/ ٢٤).

برئتْ ذمّةُ رسولِهِ مِنْ كلِّ مشركٍ حجَّ بعدَ العام، أو طافَ بالبيتِ عُريانَ، وَأَجَّلَ من كان بينه وبين رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ أربعةَ أشهرٍ.

وسار عليٌّ رضي الله عنه على راحلته في النّاس كلِّهم[١] يقرأ عليهم القرآن: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ١] وقرأ عليهم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١][٢].

يقول الفقير: إنّ بعض الرواةِ وقعوا في شبهةٍ في هذه القصّة، فقالوا: أرجع النبيَّ ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأصلُ القصّة أن أبا بكر كان أميرَ الحجِّ بلا نزاع، وأعطى ﷺ أبا بكر «سورة براءة» أولاً، ثم نزل جبريل وأمر بإرسال علي المرتضى بها.

• **وأخرج الترمذي** عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بِبَرَاءَة مَعَ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: «**لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي**» فَدَعَا عَلِيّاً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا[٣].

• **وعن سعد بن أبي وقاص** رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ بعثَ أبا بكر رضي الله عنه ببراءة إلى أهل مكة، ثم بعثَ عليّاً رضي الله عنه على أثره فأخذها منه، فكأنَّ[٤] أبا بكر رضي الله عنه وجد في نفسه؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بَكْرٍ إنَّه لا يُؤَدِّي عنِّي إلَّا أنا أو رَجُلٌ مِنِّي**»[٥].

• **أخرج البخاري ومسلم** عن **أبي هُرَيْرَةَ** قَالَ: بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحَجَّةِ فِي مُؤَذِّنِينَ [بعثهم] يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَذِّنُ بِمِنىً، أَنْ لَا يَحُجَّ

(١) في الأصل الفارسي: «سار على راحلته والناس كلهم».
(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٥/ ٣٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٩٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «وقال».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٦).

بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، ثُمَّ أَرْدَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيّاً، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِبَرَاءَةٍ، قَالَ **أَبُو هُرَيْرَةَ**: فَأَذَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مِنىً يَوْمَ النَّحْرِ لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ[1].

• **وأخرج الترمذي وحسّنه والحاكم وصحّحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيّاً، [فَبَيْنَا أَبُو بَكْرٍ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، إِذْ سَمِعَ رُغَاءَ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْقَصْوَاءِ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فَزِعاً، فَظَنَّ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَمَرَ عَلِيّاً أَنْ يُنَادِيَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ]، فَانْطَلَقَا، فَحَجَّا، فَقَامَ عَلِيٌّ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَنَادَى: ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بَرِيئَةٌ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ[2]، فَسِيحُوا فِي الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَا يَحُجَّنَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلا يَطُوفَنَّ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَلا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلا مُؤْمِنٌ، وَكَانَ عَلِيٌّ يُنَادِي، فَإِذَا عَيِيَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فَنَادَى بِهَا[3].

• **وعن الحسن** رضي الله عنه، أنّه سُئِلَ عن الحجِّ الأكبر؟ فقال: ما لكم وللحجِّ الأكبر؟ ذاك عامٌ حجّ فيه أبو بكر رضي الله عنه، استخلفه رسولُ اللهِ ﷺ فحجَّ بالناس، واجتمع فيه المسلمون والمشركون، فلذلك سُمِّي الحجَّ الأكبر، ووافق عيد اليهود والنصارى[4].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩)، «صحيح مسلم» برقم: (١٣٤٧).

(٢) في الأصل الفارسي: «إن الله بريء من المشركين ورسوله»، وكذا في «المستدرك» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٩١)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١١).

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: الحجُّ الأكبرُ يومُ عرفةَ[١].

• **وعن ابن أبي مُليكة** رضي الله عنه قال: قدمَ أعرابيٌّ في زمان عمر رضي الله عنه فقال: مَنْ يُقرئني ما أنزل الله على محمّدٍ ﷺ؟ فأقرأه رجلٌ فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ)، بالجرّ، فقال الأعرابيُّ: أقد برئَ الله مِنْ رسولِهِ؟ إنْ يكنْ اللهُ بريئاً من رسولِهِ فأنا أبرأُ منه، فبلغَ عمرُ مقالةَ الأعرابيِّ، فدعاه فقال: يا أعرابيُّ! أتبرأُ من رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! إنِّي قدمتُ المدينةَ، ولا علمَ لي بالقرآنِ، فسألتُ مَنْ يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة، فقال: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ) فقلت: إنْ يكنِ اللهُ بريئاً مِنْ رسولِهِ فأنا أبرأُ منه، فقال عمرُ رضي الله عنه: ليس هكذا يا أعرابيُّ، قال: فكيفَ هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، فقال الأعرابيُّ: وأنا والله أبرأُ ممّا بَرِئَ اللهُ ورسولُه منه، فأمرَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أَنْ لا يُقرِئَ الناسَ إلا عالمٌ باللغة، وأمرَ أبا الأسود رضي الله عنه[٢] فوضعَ النحو[٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يُذْكَرُ اسمُ اللهِ فيه بَنَىٰ اللهُ له بَيْتاً فِي الجَنَّةِ»**[٤].

• **وعن عبد الله بن هشام** رضي الله عنه قال: كُنّا مع رسول الله ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: واللهِ لأنتَ يا رسول الله! أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلّا مِنْ نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: **«لا يُؤْمِنُ أحدُكُم حتّى أكونَ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٢).

(٢) المعروف أنّ الذي أمرَ بهذا هو علي بن أبي طالب، فالجمعُ بين القولين أنَّ عمر رضي الله عنه أمر بتدوين النحو لأبي الأسود، ودلّ على طريقة تدوين النحو لأبي الأسود هو علي بن أبي طالب.

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٦).

أحبَّ إليه مِنْ نفسِهِ»[١].

• **وعن جابر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَئِنْ بقيتُ [لقابلٍ] لأُخْرِجَنَّ المشركينَ مِنْ جزيرةِ العَرَبِ»**، فلمّا وَلِيَ عمرُ أخرجهم[٢].

• **وعن جعفر عن أبيه**: أنّ عمر بن الخطاب استشارَ النّاسَ في المجوس [في الجزية]، فقال عبد الرحمٰن بن عوف: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«سنُّوا بهم سُنَّةَ أهلِ الكِتَابِ»**[٣].

• **عن سعيد بن أبي سعيد**: أنَّ رجلاً باع داراً [له] على عهد عمر رضي الله عنه، فقال له عمر: احرز ثمنها، واحفر تحتَ فراش امرأتك، فقال: يا أميرَ المؤمنين أو ليس بكنزٍ؟ قال: ليس بكنزٍ ما أُدِّيَ زكاتُه[٤].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: لمَّا نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، كَبُرَ ذلك على المسلمين، وقالوا: ما يضعُ[٥] أحدٌ منّا لولده ما لا يبقى بعده، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرِّجُ عنكم، فانطلقَ عمرُ رضي الله عنه، واتّبعه ثوبانُ رضي الله عنه، فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبي الله، إنّه قد كَبُرَ على أصحابك هذه الآية، فقال: **«إنَّ اللهَ لم يَفْرِضِ الزكاةَ إلّا ليطيِّبَ بها ما بقيَ من أموالِكُم، وإنَّما فرضَ المواريثَ مِنْ أموالٍ تبقى**[٦] **بعدَكُم»**.

فكبّر عمر رضي الله عنه، ثم قال له النبي ﷺ: **«ألا أُخْبِرُكَ بخيرِ ما يَكْنِزُ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٩).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٦٨).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٤٣٠) برقم: (٣٢٦٥٠).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/ ٤١١) برقم: (١٠٥١٦)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٧) واللفظ له.
(٥) في الأصل الفارسي: «ما يضع».
(٦) في الأصل الفارسي: «من مالٍ يبقى».

المَرْءُ؟ المرأةُ الصالحةُ التي إذا نظرَ إليها سَرَّتْهُ، وإذا أمرَها أطاعَتْهُ، وإذا غابَ عنها حَفِظَتْهُ»[١].

• **عن بُرَيْدَةَ** رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ الآية، قال أصحاب رسولَ اللهِ ﷺ: نزل اليومَ في الكنز ما نزلَ! فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ ماذا نكنِزُ اليومَ؟ قال: «**لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وزوجةً صالحةً، تعينُ أحدَكم على إيمانِهِ**»[٢].

• **وأخرج البخاري ومسلم** عن **البراء بن عازب** رضي الله عنه قال: اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازبٍ رحلاً بثلاثة عشر درهماً، فقال لعازبٍ: مُرِ البراء فليحمله إلى منزلي، فقال: لا، حتّى تحدِّثنا كيف صنعتَ حيث خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ وأنتَ معه؟.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: خرجنا، فأدلجنا، فأحثثنا[٣] يوماً وليلة حتى أظهرنا، وقام قائمُ الظهيرةِ، فضربتُ ببصري، هل أرى ظلّاً فآوي إليه؟ فإذا أنا بصخرةٍ فأهويتُ إليها، فإذا بقيةُ ظلِّها، فسوّيته لرسولِ اللهِ ﷺ، وفرشتُ له فروةً، وقلتُ: اضطجع يا رسولَ اللهِ، فاضطجع، ثم خرجتُ أنظرُ هل أرى أحداً مِنَ الطَّلَبِ، فإذا أنا براعي غنم، فقلت: لِمَنْ أنتَ يا غلام؟.

فقال: لرجلٍ مِنْ قريشٍ، فسمّاه، فعرفته.

فقلت: هل في غنمِكَ من لبنٍ؟

قال: نعم.

فقلتُ: وهل أنتَ حالبٌ لي؟

قال: نعم.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٥٨).

(٢) المصدر نفسه (٥/ ٥٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «أحيينا».

قال: فأمرتُه، فاعتقلَ لي شاةً منها، ثم أمرتُه فنفَضَ ضَرْعَها [من الغبارِ، ثم أمرتُه فنفضَ كفّيه، ومعي إِداوةٌ على فَمِها خرقةٌ]، فحلبَ لي كُثْبةً من اللبنِ، فصببتُ على القدح من الماء حتّى بردَ أسفلُه، ثم أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فوافقته(١) قد استيقظَ، فقلت: اشرب يا رسول الله، فشربَ حتى رضيتُ، ثم قلت: هل آنَ الرحيلُ؟(٢).

قال: فارتحلنا والقومُ يطلبونا فلم يدركْنا منهم إلا سراقةُ [على فرسٍ له، فقلت: يا رسول الله هذا الطلب قد لحقنا.

فقال: **«لا تَحْزَنْ إنّ اللهَ معنا»**.

حتّى إذا دنا فكان] بيننا وبينه قدر رمح أو رمحين أو ثلاثة، فقلت: يا رسولَ اللهِ هذا الطلبُ قد لَحِقَنا وبكيتُ!

قال: **«لِم تبكي؟»**.

فقلت: أَمَا واللهِ لا أبكي على نفسِي ولكنّي أبكي عليكَ.

فدعا رسول الله ﷺ وقال: **«اللَّهُمَّ اكفِنَاهُ بما شِئْتَ»**.

فساخت فرسه إلى بطنِها في أرضٍ صلدٍ، ووثبَ عنها، وقال: يا محمّدُ إنَّ هذا عملُكَ، فادعُ اللهَ أن ينجيَني ممّا أنا فيه، فوالله لأعمينَّ على مَنْ ورائي مِنَ الطَّلَبِ، وهذه كنانتي، فخذْ منها سهماً، فإنّكَ ستمرُّ بإبلي وغنمي في موضِعِ كذا وكذا، فَخُذْ منها حاجتَكَ.

فقال رسول الله ﷺ: **«لا حاجةَ لي فيها»**.

ودعا رسول الله ﷺ فأطلق، ورجعَ إلى أصحابِهِ، ومضى رسولُ اللهِ ﷺ وأنا معه حتى قدمنا المدينةَ، فتلقّاه الناسُ، فخرجوا على

---

(١) في الأصل الفارسي: «فوافيته».
(٢) في الأصل الفارسي: «ألم يأن للرحيل».

الطُّرُقِ، وعلى الأجاجيرِ[١]، فاشتدَّ الخدمُ والصبيانُ في الطرق[٢]: الله أكبرُ جاءَ رسول الله ﷺ محمّد، [تنازع القومُ أيّهم ينزِلُ عليه]، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنزلُ الليلةَ على بني النجَّارِ أخوالِ عبدِ المطّلبِ لِأُكْرِمَهُم[٣] بذلكَ**»، فلمّا أصبحَ غدا حيث أمر[٤].

● **وعن ضبة بن محصن العبري** قال: قلتُ لعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه: أنتَ خيرٌ من أبي بكر، فبكى وقال: واللهِ لَليلةٌ من أبي بكر ويومٌ خيرٌ من عمر، هل لكَ أن أحدّثكَ بليلتِهِ ويومِهِ؟.

قال: قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: أمّا ليلتُه، فلمّا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ هارباً من أهل مكة، خرجَ ليلاً، فتبعَهُ أبو بكر رضي الله عنه، فجعل يمشي مرةً أمامَه، ومرّةً خلفَه، ومرّةً عن يمينِهِ، ومرّةً عن يسارِهِ، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما هذا يا أبا بَكْرٍ [ما أَعْرِفُ هذا] مِنْ فِعْلِكَ؟!**»

قال: يا رسولَ اللهِ! أذكرُ الرَّصَدَ فأكونُ أمامَكَ، وأَذْكُرُ الطّلَبَ فأكونُ من خلفِكَ، ومرّةً عن يمينِكَ، ومرّةً عن يسارِكَ لا آمنُ عليك.

فمشى رسول الله ﷺ ليلته على أطراف أصابعه، حتى حفيت رجلاه، فلمّا رآه أبو بكر رضي الله عنه أنَّها قد حفيت حمله على كاهلِهِ، وجعل يشتدُّ به، حتى أتى فَمَ الغارِ، فأنزله، ثم قال: والّذي بعثك بالحقِّ لا تَدْخُلُه حتى أدخلَه، فإنْ كان فيه شيءٌ نزل بي قبلَكَ، فدخلَ، فلَمْ يرَ شيئاً

---

(١) في الأصل الفارسي: «الأحاجر»، والأجاجير: السطوح. «النهاية» (ص٢٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «الطريق».
(٣) في الأصل الفارسي: «فنزل الليلة على بني النجار أخوال عبد المطلب لإكرامهم».
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٥٥٢)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٠٠٩)، و«الدر المنثور» (٥/ ٧٣) واللفظ له.

فحملَه فأدخلَه، وكان في الغار خَرْقٌ[١] فيه حيّات وأفاعي، فخشي أبو بكر رضي الله عنه أن يخرجَ منهنَّ شيءٌ يؤذي رسول الله ﷺ فألقمَه قدمه، فجعلنَ يضربنه، وتلسعه الأفاعي والحيات، وجعلت دموعُه تَنْحَدِرُ[٢]، ورسول الله ﷺ يقولُ له: «**يا أبا بَكْرٍ لا تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنا**»، فأنزل الله سكينته؛ أي: طمأنينته لأبي بكر رضي الله عنه، فهذه ليلته.

وأمّا يومه، فلما توفّي رسول الله ﷺ وارتدّتِ العربُ، فقال بعضُهم: نصلّي ولا نزكّي، وقال بعضُهم: لا نصلّي ولا نزكّي، فأتيتُه ولا آلوه نُصحاً، فقلت: يا خليفةَ رسولِ اللهِ تألّف الناسَ، وارفقْ بهم.

فقال: جبَّارٌ في الجاهليةِ خوَّارٌ في الإسلام، بماذا أتألّفهم، أبشعر مفتعل، أو بشعر مفترىً؟ قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ وارتفعَ الوحي، فواللهِ لو منعوني عقالاً ممّا كانوا يعطونَ لرسولِ اللهِ ﷺ لقاتلتهم عليه.

قال: فقاتلنا معه، فكان ـ واللهِ ـ رشيدَ الأمرِ؛ فهذا يومُه[٣].

• **وعن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه قال: إنّ الله ذمّ النّاسَ كلَّهم، ومدح أبا بكر رضي الله عنه، فقال: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠][٤].

• **وعن أبي بكر** رضي الله عنه أنه قال: ما دخلني إشفاقٌ من شيءٍ، ولا دخلني في الدين وحشةٌ إلى أحدٍ بعد ليلةِ الغار، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ حين رأى إشفاقِي عليه وعلى الدِّين، قال لي: «**هوّن عليكَ، فإنَّ اللهَ قد قَضَىٰ**

---

(١) في الأصل الفارسي: «فرق». (٢) في الأصل الفارسي: «تنحدر».

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، و«الدر المنثور» (٥/ ٧٦) واللفظ له.

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧٧).

لهذا الأمرِ بالنصرِ والتَّمَامِ»[١].

● **وعن أنس بن مالك** ﷺ قال: لمّا كانت ليلةُ الغارِ، قال أبو بكر الصدِّيق ﷺ: يا رسولَ اللهِ! دعني فلأدخلْ قبلَكَ، فإن كانَت حيةٌ أو شيءٌ كانت فيَّ قبلك.

قال: «**ادخل**».

فدخل أبو بكر ﷺ، فجعل يلمس بيديه، فكلمّا رأى جُحْراً، قال بثوبه فشقّه، ثم ألقمه الجُحْرَ، حتى فعل ذلك بثوبه أجمع، وبقي جُحْرٌ، فوضع عليه عَقِبَهُ، وقال: ادخل، فلما أصبحَ قال له النبيُّ ﷺ: «**فأين ثوبك؟**» فأخبره بالذي صنع، فرفعَ النبيُّ ﷺ يديه وقال: «**اللَّهُمَّ اجعلْ أبا بكرٍ معي في درجتي يومَ القيامةِ**»، فأوحى الله إليه أنّ الله قد استجابَ لك[٢].

● **وعن جندب بن سفيان** ﷺ قال: لمّا انطلقَ أبو بكر ﷺ مع رسولِ اللهِ ﷺ إلى الغار، قال له أبو بكر ﷺ: لا تدخلْ يا رسولَ اللهِ حتّى أستبرئه[٣]، فدخل أبو بكر ﷺ الغارَ، فأصابَ يده شيءٌ، فجعل يمسحُ الدمَ عن أصبعه، وهو يقولُ:

هَـلْ أنـتِ إلّا أصـبـعٌ دَمِـيـتِ   وفي سبيـلِ اللَّهِ مَا لَقِيـتِ[٤]

● **عن عمرو بن الحارث** عن أبيه: أنّ أبا بكر الصديق ﷺ قال: أيُّكم يقرأ سورة التوبة؟

قال رجل: أنا.

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٧٧).   (٢) المصدر نفسه (٥/ ٧٨).

(٣) في الأصل الفارسي: «أستبريه».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٧٨).

قال: اقرأ، فلما بلغ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠] بكى وقال: والله أنا صاحبه[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أبو بكرٍ أخي وصاحِبي في الغارِ، فاعرفوا ذلكَ لَهُ، فَلَوْ كُنْتُ متَّخِذاً خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بكرٍ خليلاً، سُدُّوا كُلَّ خوخةٍ في هذا المسجدِ غيرَ خوخةِ أبي بكرٍ»**[٢].

وعن **عبد الله بن الزبير** رضي الله عنهما: أنّ النبي ﷺ قال: **«لو اتخذتُ خليلاً غيرَ ربِّي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أخي وصاحِبي في الغارِ»**[٣].

• **وأخرج البخاري عن أنس** رضي الله عنه قال: أقبل النبيُّ ﷺ إلى المدينة وهو يردف[٤] أبا بكر رضي الله عنه، وهو شيخٌ يُعرف، والنبيُّ لا يُعرفُ، فكانوا يقولون: يا أبا بكر مَنْ هذا الغلامُ بينَ يديكَ؟ فيقول: هادٍ يهديني السبيلَ[٥]، قال: فلمّا دنونا[٦] من المدينةِ نزلنا[٧] الحَرَّةَ، وبعثَ إلى الأنصارِ فجاؤوا قال: فشهدتُه يومَ دخلَ المدينةَ، فما رأيتُ يوماً كان أحسنَ ولا أضوأَ من يوم دخلَ علينا فيه، وشهدتُه يومَ ماتَ، فما رأيتُ يوماً كان أقبحَ ولا أظلمَ مِنْ يومٍ ماتَ فيه ﷺ[٨].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠]، قال: على أبي بكر رضي الله عنه؛ لأن النبيَّ ﷺ لم تزلِ السكينةُ معه[٩].

---

(١) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٢) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٣) المصدر نفسه (٥/ ٨٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «مردف».
(٥) في الأصل الفارسي: «قال: هذا يهديني إلى السبيل».
(٦) في الأصل الفارسي: «دنا».
(٧) في الأصل الفارسي: «نزل».
(٨) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩١١)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٤٧)، و«الدر المنثور» (٥/ ٨١) واللفظ له.
(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨١).

وعن **حبيب بن أبي ثابت** ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ قال: على أبي بكر ﷺ، فأمّا النبيُّ ﷺ فقد كانت عليه السكينةُ[1].

● **ومن موافقات عمرَ** ﷺ آية: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٥٨].

● **أخرج البخاري والنسائي عن أبي سعيد الخدري** ﷺ قال: بينما النبيُّ ﷺ يقسمُ قِسْماً إذ جاءه ذو الخُوَيْصِرَةِ التميمي، فقال: اعدلْ يا رسولَ اللهِ، فقال: «**وَيْلَكَ، ومَنْ يَعْدِلْ إذا لَمْ أَعْدِلْ؟**».

فقال عمر بن الخطاب ﷺ: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقَه.

فقال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ فإنّ لَهُ أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهِم وصيامَه مع صيامِهِم، يَمْرُقُونَ من الدِّينِ، كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرميَّةِ، فينظرُ في قذذِهِ، فلا يوجَدُ فيه شيءٌ، [ثم ينظرُ في نَضْيِهِ، فلا يرى فيه شيءٌ، ثم ينظر في رصافِهِ، فلا يرى فيه شَيْءٌ]، ثم ينظر في نصلِهِ، فلا يوجَدُ فيه شيء، قد سبقَ الفَرْثُ والدَّمُ، آيتُهم رَجُلٌ أسودُ إحدى يديه** ـ أو قال: **ثدييه** ـ **مثل ثدي المرأةِ، أو مثل البضعةِ تدردر، يخرجونَ على حين فرقةٍ من النَّاس**» قال: فنزلت فيهم آية: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ...﴾ [التوبة: ٥٨].

قال أبو سعيد: أشهد أنِّي سمعتُ هذا من رسول الله ﷺ، وأشهدُ أن عليّاً حين قتلهم وأنا معه جِيءَ بالرَّجُلِ على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦١٠)، و«سنن النسائي الكبرى» (٥/ ١٥٩) برقم: (٨٥٦١)، «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٧) واللفظ له.

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه مرَّ برجل من أهل الكتاب مطروحٌ على بابٍ، فقال: استكدُّوني، وأخذوا مني الجزية حتى كُفَّ بصري، فليس أحدٌ يعودُ عليَّ بشيءٍ.

فقال عمر: ما أنصفنا إذاً، ثم قال: هذا من الذين قال الله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] ثم أمرَ له أنْ يُرْزَقَ ويُجْرَى عليه[١].

• **وعن عمر** في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾ قال: هم زَمْنى[٢] أهل الكتاب[٣].

• **عن الشعبي** رضي الله عنه قال: ليست اليوم مؤلفة قلوبهم[٤]، إنما كان رجال يتألّفهم النبيُّ ﷺ [على الإسلام]، فلما أن كان أبو بكر رضي الله عنه قطع الرشا في الإِسلام[٥].

• **وعن عبيدة السلماني** قال: جاء عُيَيْنَةُ بن حصن[٦] والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا: يا خليفة رسول الله ﷺ إنَّ عندنا أرضاً سبخة، ليس فيها كلأٌ ولا منفعة، فإن رأيتَ أن تعطيناها[٧] لعلَّنا نحرثها ونزرعها ولعلَّ الله أن ينفعَ بها، فأقطعها إياهما، وكتب لهما بذلك كتاباً، وأشهد لهما، فانطلقا إلى عمر ليشهداه على ما فيه، فلمّا قُرِئَ على عمرَ ما في

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «زمناء».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٩٩).
(٤) في الأصل الفارسي: «ليست اليوم يعني قوله: والمؤلفة قلوبهم».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٠).
(٦) في الأصل الفارسي: «حصين».
(٧) في الأصل الفارسي: «تقطعناها»، وكذا ورد في «تفسير ابن أبي حاتم» (٧/ ٢٩٩)، و«السنن الكبرى للبيهقي» (٦/ ١٠٧٥).

الكتاب، تناوله من أيديهما، فتفل فيه فمحاه، فتذمرا[١] وقالا له مقالة سيئة، فقال عمر: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يتألّفهما والإسلامُ يومئذٍ قليلٌ، وإن الله قد أعزّ الإِسلام فاذهبا فاجهدا جهدكما، لا أرعى الله عليكما إن أرعيتما[٢][٣].

• **عن يزيد بن هارون** قال: خطب أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه فقال في خُطبته: يُؤْتَىٰ بعبدٍ قد أنعمَ اللهُ عليه، وبسطَ له في الرزقَ، قد أصحَّ بدنَهُ، وقد كفر نعمةَ ربِّه، فيُوقَفُ بين يدي الله تعالى، فيقال له: ماذا عملتَ ليومِكَ هذا؟ وما قدَّمت لنفسك؟ فلا يجده قدَّمَ خيراً، [فيبكي حتّى تنفدَ الدموعُ، ثم يعيَّرُ ويخزى بما ضيّع من طاعةِ اللهِ، فيبكي الدمَ، ثم يعيّرُ ويُخْزَى، حتّى يأكلَ يديه إلى مرفقيه، ثم يعيّرُ ويُخْزَىٰ بما ضيّع من طاعةِ اللهِ]، فينتحِبُ حتّى تسقطَ حدقتاه[٤] على وجنتيه، وكلٌّ واحد منهما فرسخ في فرسخ، ثم يُعيّرُ ويُخْزَى، حتى يقول: يا ربِّ ابعثني إلى النارِ، وارحمني من مقامي هذا، وذلك قوله: ﴿أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التوبة][٥].

• **ومن موافقات عمر** رضي الله عنه عن **شريح بن عبيد** رضي الله عنه: أن رجلاً قال لأبي الدرداء رضي الله عنه: يا معشرَ القرّاء! ما بالكم أجبن منّا وأبخل إذا سئلتم، وأعظم لُقماً إذا أكلتم؟

فأعرض عنه أبو الدرداء، ولم يردَّ عليه شيئاً، فأخبر بذلك عمرُ بنُ

(١) في الأصل الفارسي: «فتذامّوا».
(٢) في الأصل الفارسي: «إن رعيتما»، وكذا في «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ١٠٧٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٠).
(٤) في الأصل الفارسي: «حدقاته».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٠٥).

الخطّاب ﷺ، فانطلق عمرُ إلى الرجل الذي قال ذلك، فقاله[١] بثوبه وخنقه، وقاده إلى النبيِّ ﷺ، فقال الرجلُ: إنّما كُنّا نخوضُ ونلعبُ، فأوحى الله تعالى إلى نبيِّه ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥][٢].

• **وموافقات عمر**: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية [التوبة: ٨٠].

• **أخرج البخاري** عن **ابن عباس** قال: سمعتُ عمرَ يقول: لما توفّي عبدُ اللهِ بنُ أُبيّ دُعِيَ رسولُ اللهِ ﷺ للصلاة عليه، فقام عليه، فلما وقف قلت: أعَلى عدوّ الله عبد الله بن أُبيّ القائل كذا وكذا، والقائل كذا وكذا؟ أعدِّد أيامه، ورسول الله ﷺ يتبسّم، حتى إذا أكثرتُ قال: «**يا عمرُ أخِّرْ عنِّي، إنِّي قد خُيِّرْتُ، قَدْ قِيلَ لي**: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، **فلو أعلمُ أنِّي إنْ زِدتُّ على السبعينَ غُفِرَ له، لَزِدتُّ عليها**».

ثم صلّى عليه رسولُ اللهِ ﷺ، ومشى معه، حتى قامَ على قبرِهِ، حتّى فرغَ منه، فعجبتُ لي ولجرأتي على رسول الله ﷺ، واللهُ ورسولُه أعلم، فواللهِ ما كانَ إلا يسيراً حتّى نزلت هاتان الآيتان: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ [التوبة: ٨٤]، فما صلّى رسولُ اللهِ ﷺ على منافقٍ بعدُ حتى قبضَه اللهُ ﷻ[٣].

أخرج **البخاري ومسلم** عن **ابن عمر** قال: لمّا توفّي عبدُ الله بنُ أُبيّ ابن سلول، أتى ابنُه عبدُ الله رسولَ اللهِ ﷺ، فسأله أن يعطيَه قميصَه ليكفِّنه فيه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلِّيَ عليه، فقام رسولُ اللهِ ﷺ، فقام

(١) في الأصل الفارسي: «فقال». ولعل الصواب: (فَتَلَّهُ).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/١٠٧).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧٢)، و«فتح القدير» (٣/٢٩٤) واللفظ له.

عمرُ، فأخذَ ثوبِهِ، فقال: يا رسولَ اللهِ، أتصلِّي عليهِ، وقد نهاكَ اللهُ أَنْ تصلّي على المنافقينَ؟ فقال: «**إنَّ رَبِّي خيَّرني وقالَ**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيدُ على السَّبْعِينَ**» فقال: إنّه منافقٌ، فصلّى عليه، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ الآية، فترك الصلاة عليهم[١].

وعن **حبيب بن الشهيد** عن عمرو بن عامر الأنصاري، أنّ عمر بن الخطاب قرأ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فرفع الأنصار، ولم يلحق الواو في الذين، فقال له زيد بن ثابت: والذين، فقال عمر: الذين، فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم، فقال عمر رضي الله عنه: ائتوني بأُبي بن كعب، فأتاه فسأله عن ذلك؟ فقال أُبي: والذين، فقال عمر رضي الله عنه: فنعم إذن فتابع أُبياً[٢].

عن **أبي صخر** حُميدِ بنِ زياد قال: قلتُ لمحمّد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه: أخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنّما أريد الفتن؟

فقال: إنّ الله قد غفرَ لجميع أصحابِ النبيِّ ﷺ، وأوجبَ لهم الجنة في كتابه، محسنهم ومسيئهم.

قلت له: وفي أيِّ موضع أوجبَ الله لهم الجنة في كتابهم؟

قال: ألا تقرأ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآية [التوبة: ١٠٠]، أوجب لجميع أصحاب النبي ﷺ الجنة والرضوان، وشرط على التابعين شرطاً لم يشترطه فيهم.

قلت: وما اشترط عليهم؟

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧٢)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٧٧٤)، و«فتح القدير» (٣/ ٢٩٦) واللفظ له.

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٤٥).

قال: اشترط عليهم أن يتّبعوهم بإحسان، يقول: يقتدون بهم في أعمالهم الحسنة، ولا يقتدون بهم في غير ذلك، قال أبو صخر: لكأنِّي لم أقرأْها قبلَ ذلك، وما عرفتُ تفسيرها حتى قرأها عليّ محمّدُ بنُ كعب[1].

• **عن ابن عمر** في قوله: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة] قال: مع محمد ﷺ وأصحابه.

وقال **سعيد بن جبير**: مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وقال **الضحَّاك**: أُمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما.

وقال **ابن عباس**: مع علي بن أبي طالب.

وقال **أبو جعفر**: مع علي بن أبي طالب[2].

• **وعن سفيان** رضي الله عنه قال: ليس في تفسير القرآن اختلاف، إنما هو كلام جامع يراد به هذا وهذا[3].

• **وعن يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب** قال: أرادَ عمرُ بنُ الخطّاب أن يجمعَ القرآن، فقام في الناسِ، فقال: مَنْ كان تلقّى مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ شيئاً من القرآن فليأتِنَا به، وكانوا كتبوا ذلك في الصحف والألواح والعسب، وكانَ لا يَقْبَلُ من أحدٍ شيئاً حتّى يشهدَ شهيدان، فقتل وهو يجمع ذلك إليه، فقام عثمان بن عفان فقال: مَنْ كانَ عنده شيءٌ من كتابِ الله فليأتنا به، وكان لا يَقْبَلُ مِنْ أحدٍ شيئاً حتى يشهد به شاهدان، فجاء خزيمة بن ثابت فقال: إني رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما، فقالوا: ما هما؟ قال: تلقّيت من رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٤٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١٨٦).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٣٣).

جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ [التوبة: ١٢٨]، إلى آخر السورة.

فقال عثمان: وأنا أشهد أنهما من عند الله، فأين ترى أن نجعلهما؟

قال: اختم بهما آخر ما نزلت من القرآن، فختمت بهما براءة[١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢٠١).

آيات سورة يونس

• قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾ [يونس].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن هذه الآية نصّ على فضيلة أولياء الله، وذلك من عدّة أوجه:

أولاً: يقول الله في بيان حالهم: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾؛ أي: لا يكون عليهم في الآخرة خوف من أي جهة مخوفة ومكروهة، ولا هم يحزنون على أي فائت محبوب.

ثانياً: يبيّن حقيقة الولاية بما تنطبق عليه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾، فتتحقّق حقيقة الولاية في الجماعة التي يتصفون بالإيمان الحقيقي الذي جاء شرحه في سورة الأنفال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، ويتصفون بصفة التقوى كذلك.

ثالثاً: يبيّن بعض لوازم الولاية بقوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾، وهذه بشارة بالجنَّة تجري بألسنة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وهذه من أعظم أنواع البشارة، أو بالرؤيا أو بالفراسة الصادقة ـ أي: المكاشفة ـ وهذان دون ذلك، وقد علم هذا القدر على وجه العموم من الآية، ولكن الأشخاص الذين اتصفوا بهذه الصفات السنية في زمن النبي ﷺ، من هم بتحديد شخصياتهم؟ فهذا مما يقتضي بعض التأمّل.

ولكلمة «ولي» معنيان:

أحدهما: بمعنى المحبة والصداقة، فمعنى الولي: الصديق والنصير.

والآخر: بمعنى تقلُّد الأمر والقيام به، فمعنى الولي: من ولي أمراً وقام به، مثل كلمة «حارّ» يطلق على صيغتي الفاعل والمفعول، فإذا كان المراد المعنى الأول فإن الله تعالى يقول في حق الصدِّيق وأتباعه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وإذا كان المراد المعنى الثاني فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الأعراف].

وقد مدح النبيُّ ﷺ هذه الجماعة بوصف الصدّيق والشهيد في الأحاديث المتواترة، التي لا مدخلَ للشبهةِ إليها، وشهد بإيمانهم وتقواهم وبشّرهم بالجنّة، بل بأعلى درجات الجنّة، وهو المقصود.

● **عن الأحنف** قال: صلّيت خلف عمر الغداة فقرأ يونس وهود ونحوهما[١].

● **وعن قتادة** في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يونس]، قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية فقال: صدق ربُّنا، ما جعلنا خلائف في الأرض إلا لينظرَ إلى أعمالِنا، فأروا الله خيرَ أعمالِكم بالليلِ والنهارِ والسرِّ والعلانيةِ[٢].

● **عن ابن عمر** أنّ تميماً الداري سأل عمرَ بنَ الخطاب عن ركوب البحر فأمره بتقصيرِ الصلاة قال: يقول الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢][٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٦).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٢١٨).

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ١٥٤) برقم: (٥٢٧٤)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٢٥) واللفظ له.

• **وعن عمر بن الخطاب** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِنْ عباد الله ناساً يَغْبِطُهُمُ الأنبياءُ والشُّهداءُ**».

قِيل: من هم يا رسول الله؟

قال: «**قومٌ تحابّوا في اللهِ مِنْ غيرِ أموالٍ ولا أنْسَابٍ، لا يَفْزَعُونَ إذا فَزِعَ الناسُ، ولا يَحْزَنُونَ إذا حَزِنُوا**»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس][١].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/٢٤٨).

آيات سورة هود

• قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ [هود].

إنّ الله ﷻ في أولٍ هدّد الكفار، وشدّد عليهم، فقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥] إلخ، ثم بيّن بعد ذلك حال جماعة المؤمنين المحقّقين، ليكون فارقاً بين ظلمة الكفر ونور الإيمان، مثل الفارق بين الليل والنهار، وبَيْنَ بُعْدِ المشرق وبُعْدِ المَغْرِب، وتلك سُنَّة الله التي تجري في تمام القرآن العظيم غالباً في بيان التفاوت بين الدرجتين، وإظهار التباين بين المرتبتين، وذلك في كلِّ سورة من سور القرآن الكريم، وإنّما يُعرف الشيءُ بضدِّه، فلمّا آل الأمرُ إلى بيان حال المؤمنين المحققّين قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾.

اختلف المفسِّرون في معنى الآية، وأمّا ما ثبت بالتحقيق والتنقيح وتعميق النظر فيه بحيث لا يحتمل معنى آخر فهو أنّ بعضَ أهل الحق قد تلقّوا أصول الشرائع قبل بعثة النبيِّ ﷺ بشهادة قلوبهم، ولذلك استكرهوا عبادة الأصنام، ووجدوا شناعة الخمر والزنا في قلوبهم من عند أنفسهم، وأدركوا تعيّن النبيِّ الذي بُعِثَ في ذلك العصر، وذلك بطريق الرؤيا والفراسة، واطمأنت نفوسُهم بكلِّ ذلك، وقبلت عقولهم أيضاً، وهذا العلمُ الإجماليُّ الكامنُ المبثوث في صدورهم، هو بيّنةٌ من رب العالمين.

ثم نزل بعد ذلك القرآن وشهد بذلك العلمَ الإجمالي، وفصّل، المجمل وجعل المظنون كالمشاهَدِ، فالشاهِدُ الذي جاء من الله ﷻ إظهاراً للحقِّ على أكمل وجه هو القرآن، وكان مِنْ قبله كتابُ موسى إماماً لأهل الدين والحق، ورحمةً من الله تعالى، أدّى شهادةً مثل شهادته.

وكانت جماعة من عظماء الصحابة متّصفةٌ بهذا الوصف، ومنهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وأبو ذر الغفاري وغيرهما، والصدِّيقُ الأكبر هو أكملُهم شأناً، وأسبقُهم إلى الإسلام، ومن جهة هذه المناسبة الباطنية لم يتوقّف في إظهار الإسلام والإيمان، ولم يسأل معجزةً من المعجزات، فهو على رأس أهل هذه الآية، بل أغلبُ الآراءِ أنّ في هذه الآية تعريضاً به وإشارة إليه، والله أعلم.

• **أخرج الترمذي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ! قَدْ شِبْتَ.

قَالَ: **«شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»**(١).

وعن **أبي سعيد** قال: قال **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! أسرعَ إليك الشيبُ فقال: **«شيَّبتني هود وأخواتها: الواقعة، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»**(٢).

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: لما استقرّتِ السفينةُ على الجودي، لبث نوحٌ عليه السلام ما شاء الله، ثم إنّه أذن له فهبط على الجبل،

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٢٩٧).
(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (١/ ٣٥٩).

فدعا الغرابَ فقال: ائتني بخبر الأرض، فانحدرَ الغراب، وفيها الغرقى من قومِ نوحٍ، فأبطأ عليه فلعنه، ودعا الحمامة، فوقع على كفِّ نوحٍ، فقال: اهبطِي فائتيني[1] بخبر الأرض، [فانحدر]، فلم يلبثْ إلّا قليلاً حتى جاءَ ينفضُ ريشَةً[2] في منقاره فقال: اهبط فقد أبينت[3] الأرضُ.

قال نوح: باركَ الله فيك، وفي بيتٍ يؤويك، وحبَّبك إلى الناسِ، لولا أنْ يغلبِكَ الناسُ على نفسك لدعوتُ الله أن يجعلَ رأسكَ من ذهبٍ[4].

• **وعن محمد بن المنكدر ويزيد بن حفصة وصفوان بن سليم،** أنّ خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصدِّيق ﵁ أنّه قد وجدَ رجلاً في بعض نواحي العرب يُنْكَحُ كما تُنْكَحُ المرأة، وقامت عليه بذلك البيِّنةُ، فاستشارَ أبو بكر ﵁ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ؟ فقال علي بن أبي طالب ﵁: إنَّ هذا ذنبٌ لم تعصِ اللهَ به أمةٌ من الأمم إلا أمةٌ واحدةٌ، فصنع الله بها ما قد علمتم، أرى أن تحرّقه بالنار.

فاجتمع أصحابُ النبيِّ ﷺ على أن يحرّقوه بالنار، فكتبَ أبو بكر ﵁ إلى خالدٍ ﵁ أن أحرقه بالنار، ثم حرَّقهم ابنُ الزبير ﵁ في إمارته، ثم حرَّقهم هشام بن عبد الملك[5].

• **عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾، سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَعَلَى مَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «فلتأتيني».
(٢) في الأصل الفارسي: «جاء بنفض وريشة».
(٣) في الأصل الفارسي: «أثبتت».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣١٠).
(٥) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٣٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٣٥) واللفظ له.

قَالَ: «**بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ. يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**»[١].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**سَلُوا اللهَ العافيةَ، فإنّه لم يُعْطَ أحدٌ أَفْضَلَ من معافاةٍ بعدَ يقينٍ، وإيّاكُم والريبةَ، فإنّه لم يؤتَ أحدٌ أشرَّ**[٢] **من ريبةٍ بعدَ كُفْرٍ**»[٣].

• **عن أبي اليسر** قال: أتتني امرأةٌ تبتاع تمراً، فقلت: إنَّ في البيت تمراً أطيبَ منه، فدخلت معي البيت، فأهويت إليها، فقبّلتها، فأتيتُ أبا بكر فذكرتُ ذلك له قال: استر على نفسِكَ وتُبْ، فأتيتُ عمرَ، فذكرت ذلك له فقال: استُرْ على نفسِكَ وتب، ولا تخبِرْ أحداً، فلم أَصْبِرْ، فأتيتُ رسول الله ﷺ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**أَخَلَفْتَ غازياً في سبيلِ اللهِ في أهلِهِ بِمِثْلِ هذا؟**» حتّى تمنّى أنّه لم يكنْ أسلمَ إلّا تلكَ الساعةَ، حتى ظنَّ أنَّه من أهل النار، وأطرقَ رسولُ اللهِ ﷺ طويلاً حتّى أوحى الله إليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود]، قال أبو اليسر: فأتيتُه فقرأها عليَّ فقال أصحابه: يا رسولَ الله ألهذا خاصَّةً؟

قال: «**بل للنّاسِ كافّةً**»[٤].

• **وعن سليمان التيمي** قال: ضربَ رجلٌ على كِفْلِ امرأةٍ، ثم أتى إلى أبي بكر وعمر فسألهما عن كفّارةِ ذلك، فقال كلٌّ منهما: لا أدري،

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١١١).
(٢) في الأصل الفارسي: «أشدّ».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٤٩).
(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١١٢)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٢) واللفظ له.

ثم أتى النبيَّ ﷺ فسأله؟ فقال: «**لا أدري**»، حتى أنزل الله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية[١].

• **عن عثمان** قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يتوضَّأُ، ثم قال: «**مَنْ تَوَضَّأَ وضوئي هذا، ثم قام، فصلَّى صلاةَ الظُّهْرِ، غُفِرَ له ما كانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ صلاةِ الصُّبْحِ، ثم صلَّى العَصْرَ، غُفِرَ لَهُ مَا كانَ بينه وبينَ صلاةِ الظُّهْرِ، ثم صلَّى المَغْرِبَ، غُفِرَ له ما كان بينه وبينَ صلاةِ العَصْرِ، ثم صلَّى العِشَاءَ، غُفِرَ له ما كانَ بينه وبين صلاةِ المَغْرِبِ، ثم لعلَّه يبيتُ يتمرّغُ ليلتهِ، ثم إنْ قامَ فتوضَّأَ، وصلَّى الصبح، غُفِرَ له ما بينها وبين صلاةِ العشاءِ، وهُنَّ الحسناتُ يُذْهِبْنَ السيئاتِ**».

قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هي لا إلـٰه إلا الله، وسبحان الله، والحمدُ للهِ، واللهُ أكبرَ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم[٢].

• **وأخرج مالكٌ** عن **عثمان بن عفان** أنه قال: لأحدثنَّكُم حديثاً لولا آية[٣] في كتاب الله ما حدَّثتكموه، ثم قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما مِن امْرِئٍ يتوضَّأُ، فَيُحْسِنُ الوُضُوءَ، ثم يصلِّي الصلاةَ، إلّا غَفَرَ اللهُ له ما بينه وبين الصلاةِ الأُخْرَىٰ حتّى يصلِّيَها**».

قال مالك: أراه يريد هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٤].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٤).

(٣) في الأصل الفارسي: «أنه».

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٥٦) واللفظ له.

آيات سورة يوسف

• **قال الله تعالى**: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: طلبَ يوسفَ ـ على نبيّنا وعليه الصلاة والسلام ـ من مَلِكِ مصرَ إمارةَ بيتِ المال، وذكر استحقاقه لها بقوله: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾، فعُلِمَ من هنالك أنَّ شرط التصرُّفِ في بيت المال، إنّما هو الحِفْظُ من الضياع وخيانة الخائنين، والعلم بمكانِ أخذه وصَرْفهِ، وبما أنَّ التصرّفُ في بيتِ المالِ هو من حقِّ الخليفةِ، لزم أن تتحقق الخلافةُ الخاصّةُ المرضيّة في وقتٍ كان الخليفة حفيظاً عليماً فيه، وذلك من لوازم الخلافة الخاصة، كما قد ذكرنا سابقاً.

• **عن خالد بن عَرْفَطة** قال: كنتُ جالساً عند عمر، إذ أتاه رجلٌ من عبدِ القيس، فقال له عمر: أنتَ فلانٌ العبدي؟

قال: نعم.

فضربه بقناةٍ معه.

فقال الرجل: ما لي يا أميرَ المؤمنين؟!

قال: اجلس، فجلس، فقرأ عليه بسم الله الرحمٰن الرحيم ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾﴾ إلى قوله: ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف] فقرأها عليه ثلاثاً وضربه ثلاثاً.

فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟

فقال: أنتَ الذي نسختَ كتابَ دانيالَ.

قال: مُرْنِي بِأَمْرِكَ أتّبِعْه.

قال: انطلقْ فامحُهُ بالحميم والصوفِ، ثم لا تقرأه، ولا تُقرئه أحداً من الناس، فلئن بلغَنِي عنكَ أنَّكَ قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنَّك عقوبةً.

ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أنا فانتسختُ كتاباً من أهلِ الكتابِ، ثم جئتُ به في أديمٍ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**ما هذا في يدِكَ يا عمرُ؟**».

فقلت: يا رسولَ اللهِ، كتابٌ نسخته لنزدادَ به علماً إلى علمنا، فغضبَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى احمرّت وجنتاه، ثم نودي بالصلاة جامعة، فقالتِ الأنصارُ: أغضبَ نبيُّكم، السلاحَ [السلاحَ][1]، فجاؤوا حتى أحدقوا بمنبرِ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «**يا أيُّها الناسُ! إنِّي قد أُوْتِيتُ جوامعَ الكلمِ وخواتِيمَه، واختُصِرَ لي الأمورُ اختصاراً، ولقد أتيتُكم بها بيضاءَ نقيةً، فلا تتهوّكوا، ولا يغرنّكم المتهوِّكُونَ**»، قال عمرُ رضي الله عنه: فقمتُ فقلتُ: رضيتُ باللهِ ربّاً، وبالإسلامِ ديناً، وبك رسولاً، ثم نزل رسول الله ﷺ[2].

وعن **إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: كان بالكوفةِ رجلٌ يطلب كُتُبَ دانيال، وذلك الضرب، فجاء فيه كتابٌ من عمر بن الخطاب أن يُدْفَعَ[3] إليه، فلمّا قَدِمَ على عمرَ رضي الله عنه علاه بالدِّرة، ثم جعل يقرأ عليه: ﴿الٓر تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١﴾، حتى بلغ ﴿ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾، قال: فعرفتُ ما يريدُ، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! دعني، فواللهِ لا أدعُ عندي شيئاً من تلك

---

(١) وقع في الأصل الفارسي مكرراً، وهو الصواب.
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٦٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «أن يرفع».

الكتبِ إلّا حرّقته، قال: فتركه[١].

• **عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك** رضي الله عنه، عن أبيه قال: سمع عمرُ رضي الله عنه رجلاً يقرأ هذا الحرف: (لَيَسْجُنَّهُ حَتَّى حِينٍ)، فقال له عمر رضي الله عنه: مَنْ أقرأكَ هذا الحرفَ؟

قال: ابن مسعود رضي الله عنه.

فقال عمر رضي الله عنه: ﴿لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ۝٣٥﴾ [يوسف]، ثم كتب إلى ابن مسعود رضي الله عنه: سلام عليك، أما بعدُ: فإنّ الله أنزلَ القرآنَ، فجعله قرآناً عربياً مبيناً، وأنزله بلغةِ هذا الحيِّ من قريشٍ، فإذا أتاكَ كتابي هذا فأقرئ الناسَ بلغةِ قريش، ولا تقرئهم بلغة هُذيلٍ[٢].

• **عن عمر** رضي الله عنه أنّه استأذن عليه رجلٌ فقال: استأذنوا لابن الأخيار.

فقال عمر رضي الله عنه: ائذنوا له، فلما دخل، قال له عمر: مَنْ أنت؟

قال: أنا فلان ابن فلان، قال: فجعل يعدُّ[٣] رجالاً من أشراف الجاهلية.

فقال له عمر: أنتَ يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم؟

قال: لا.

قال: ذاك ابن الأخيار، وأنت ابن الأشرار، إنّما تعدُّ عليَّ رجال[٤] أهلِ النّارِ[٥].

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: استعملني عمرُ رضي الله عنه على البحرين، ثم

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٣٦٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٠٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «فعدّ». (٤) في الأصل الفارسي: «خبال».
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٧٨).

نزعني، وغرّمني اثني عشر ألفاً، ثم دعاني بعدُ إلى العمل فأبيتُ، فقال: لم؟ وقد سأل يوسفُ عليه السلام العملَ، وكان خيراً منك.

فقلت: إنَّ يوسف عليه السلام نبيٌّ ابنُ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ ابنِ نبيٍّ، وأنا ابن أُميمة، وأنا أخافُ أَنْ أقولَ بغيرِ حلم، وأن أفتيَ بغيرِ عِلْمٍ، وأن يُضْرَبَ ظهري، ويُشْتَمَ عِرْضي، ويؤخذ مالي[(١)].

• **عن عبد الله بن شداد** رضي الله عنه قال: سمعتُ نشيجَ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه وإنّي لفي آخر الصفوف في صلاةِ الصبحِ، وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][(٢)].

• **وعن علقمة بن أبي وقاص** رضي الله عنه قال: صلّيتُ خلفَ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه العشاءَ، فقرأ سورة يوسف عليه السلام، فلمّا أتى على ذكر يوسف عليه السلام، نشجَ حتى سمعتُ نشيجَهُ وأنا في مؤخَّرِ الصفوف[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٢٣).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٤٢).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٤٢).

آيات سورة الرعد

• **قال الله تعالى**: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد].

يقول الفقير: معنى هذه الآية: إنْ أريناكَ بعضَ ما نَعِدُكَ من الفتحِ وغلبةِ الإسلام، أو توفّيناكَ من قبلِ وقوعِ ما وعدناك من الفتح وغلبةِ الإسلام، لا بأسَ في الصورتين، إذ إنّه ما عليكَ إلا البلاغ، وعلينا الحساب.

ثم أوضحَ ذلك: أنّ المراد بالوعدِ هو الفتوحات الإسلامية حيث يقول: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾؛ يعني: دخل الإسلامُ إلى المدينة وإلى قبائل «أسلم» و«غِفَار» و«جُهينة» و«مُزينة» وغيرها، وأسلمت منها جماعةٌ، ووقعت في شوكة الكفر ثلمةٌ عظيمةٌ، وذلك من مقدّماتها وأماراتها.

يقول الفقير: في هذه الآيةِ إشارةٌ واضحةٌ إلى أنَّ بعض الفتوحات الإسلامية التي ثبت وعدُها يظهر في زمن النبيِّ ﷺ، ويتحقّق بعضُها الآخر من بعد وفاته ﷺ، ولا بدّ أن تظهرَ هذه المواعيدُ على يدِ أحد خلفائه ﷺ، وذلك أحد لوازم الخلافة الخاصة، والله أعلم.

• **قال الله تعالى**: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾

وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

يقول الفقير ـ عُفِيَ عنه ـ: يبيّن الله ﷻ تباينَ مراتبِ السُّعداءِ والأشقياء، كما هو عادته المستمرّة في جميع القرآن، ويثبت الحسنى للذين يقبلون دعوة الحق، وهي كلمةٌ جامعةٌ لجميع الخيرات، وينذر الذين لا يقبلون دعوته بعذاب أليم، حيث يقول: ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ﴾.

ثم يبيّن فرقاً آخر بين الفريقين، وهو أنَّ أحد الفريقين هو عالمٌ بحقيقةِ الكتاب المنزّل، والآخر أعمى.

ثمّ يشيرُ إلى أنَّ المراد بالعلم هنا هو العلم المقرون بإصلاح القوّةِ العاملة، وذلك من جهة أنَّ التذكّر هو بمعنى أخذ العبرة والموعظة، والتأدب بعلم الحق، وذلك لا يتيسّر بدون صحة العمل، ثم يذكر بعض الخصال لتصحيح العمل بصفة خاصة، وهي حسبما يلي:

- الوفاء بعهد الله ورسوله.
- وصلة الأرحام.
- وحسن المعاملة مع الجيران وغيرهم.
- وأعظم من كل ذلك مراعاة العلاقة بالنبيِّ ﷺ.
- والخشية لله ﷻ.

- والإيمان بحساب الآخرة.
- والصبر على مشقات الطاعة وعلى شدّة المصائب ابتغاء وجه الله.
- وإقام الصلاة.
- وإنفاق المال في سبيل الله.
- والتخلُّق بالحِلم والأناة.
- وجزاء السيئة بالحسنة.

ثم يذكر مآل هؤلاء السعداء بقوله: ﴿...أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ الآيات.

ثمّ يذكر قبائح أعمال الأشقياء، **ومنها**:

- نقض عهد الله من بعد ميثاقه.
- وقطع الأرحام.
- وعقوق الآباء والأمهات.
- وأسوأُ من كلِّ ذلك هو عصيان النبيّ المبعوث فيهم من عند الله ﷺ، المرسل لهداية الخلق، وقد قرن الله طاعته بطاعته.

ومنها:

- إفسادٌ في الأرض.

ثم يبيِّن مآل هؤلاء الأشقياء بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد].

ثم يقول الفقير: إنّ في عدّ هذه الصفاتِ بخصوصها من بين صفاتِ السعداءِ تعريضاً بحال جماعة المهاجرين الأولين السابقين، الذين اشتهر اتّصافهم بهذه الصفات، كأبي بكر الصدِّيق، وعمر الفاروق، وأمثالهما، ممّن آمنوا بالنبي ﷺ، وعقدوا الميثاقَ لنصرته، والقيامِ بإعلاءِ كلمة الله، فاستقاموا على ذلك، وما حادوا عن ذلك قِيدَ شعرة، وما بدّلوا تبديلاً.

وحافظوا على أداء حقوق النبيّ ﷺ وأصحابه، بحيث قال النبيُّ ﷺ: «**أمنّ الناس عليَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبو بكرٍ**».

وقد ظهرت منهم الخشيةُ للهِ، والصبرُ على إيذاءِ الناس، وإكثارِ الصلوات، والإنفاقِ على رسولِ اللهِ ﷺ وفقراءِ الصحابةِ، والحلم مع جَهْلِ الجهلاء على أكملِ وَجْهٍ ممكن، والكتبُ المؤلّفة على أحوالهم شاهدُ عدلٍ على ذلك، وهو المقصود.

● **عن كنانة العدوي** ﷺ قال: دخل عثمانُ بنُ عفّان ﷺ على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن العبد، كم معه من مَلَكٍ؟

فقال: «**مَلَكٌ عن يمينِكَ[1] على حَسَناتِكَ، وهو أمينٌ[2] على الذي على الشِّمَالِ، إذا عملتَ حَسَنَةً كُتِبَتْ عَشْراً، فإذا عملتَ سيئةً، قال الذي على الشِّمالِ للذي على اليمينِ: أَكْتُبُ؟ قال: [لَا]، لعلَّه يستغفرُ اللهَ ويتوبُ، فإذا قال ثلاثاً قال: نعم اكتبْهُ، أراحنا الله منه، فبئس القرينُ، ما أقلّ مراقبتَه للهِ، وأقلّ استحياءَه منه؟! يقول الله:** ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

ومَلَكانِ مِنْ بينِ يديكَ ومِنْ خلفِكَ، يقول الله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ﴾ [الرعد: ١١].

ومَلَكٌ قابِضٌ على ناصيتِكَ، فإذا تواضعتَ للهِ رفعَكَ، وإذا تجبَّرْتَ على اللهِ قَصَمَكَ.

وملكانِ على شفتيكِ، ليس يحفظان عليكَ إلّا الصلاةَ على النبيِّ ﷺ.

ومَلَكٌ قائمٌ على فيكَ، لا يدعُ أن تدخلَ الحيةُ في فِيكَ.

---

(١) في الأصل الفارسي: «على يمينك». (٢) في الأصل الفارسي: «أمير».

ومَلَكَانِ على يمينِكَ.

فهؤلاءُ عشرةُ أملاكٍ على كلِّ بني آدم، ينزِلُ[١] ملائكةُ الليلِ على ملائكةِ النهارِ؛ لأنَّ ملائكةَ الليلِ سوى ملائكة النهار، فهؤلاء عشرونَ مَلَكاً على كلِّ آدمي، وإبليسُ بالنهارِ، وولدُه بالليل»[٢].

• **عن ابن جريج** رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾ [الرعد: ١٦]، قال: فأخبرَني ليثُ بنُ أبي سُليم[٣]، عن ابن محمد[٤]، عن **حذيفة بن اليمان**، عن أبي بكر، إمّا حضر ذلك حذيفةُ مِنَ النبيِّ ﷺ مع أبي بكر، وإمّا حدَّثه إياه أبو بكر عن النبي ﷺ، قال: «**الشِّرْكُ فيكم أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**».

قال أبو بكر: يا رسول الله، وهل الشركُ إلّا ما عُبِدَ من دون الله، أو مَا دُعِيَ مع الله!

قال: «**ثكلتْكَ أُمُّكَ، الشِّرْكُ فيكم أَخْفَىٰ مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، ألا أخبِرُكَ بقولٍ يُذْهِبُ صغارَهُ وكبارَه؟** أو قال: **لصغيره وكبيره؟**»

قال: بلى.

قال: «**تقولُ كلَّ يوم ثلاثَ مرّاتٍ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلمُ، والشِّرْكُ أَنْ تقولَ: أعطاني الله وفلان، والندُّ أن يقولَ الإنسانُ: لولا فلانٌ قتلني فلانٌ**»[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي: «ينزلون» والصواب ما أثبتناه.
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٨٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «ليث بن أبي سليمان».
(٤) في الأصل الفارسي: «عن أبي محمد».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٤٩٦).

• **وعن مَعْقِل بن يسار** يقول: انطلقتُ مع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «**يا أبا بكر، لَلشِّرْكُ فيكم أخفى مِنْ دبيبِ النملِ**».

فقال أبو بكر: وهل الشركُ إلّا مَنْ جعلَ مع الله إلـٰهاً آخر؟

فقال النبيُّ ﷺ: «**والّذي نفسِي بيدِهِ، لَلشركُ أخفى من دبيبِ النَّمْلِ، ألا أدلُّك على شيءٍ إذا قُلْتَهُ ذهبَ عَنْكَ قليلُه وكثيرُه؟**»، قال: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أَعْلَمُ، وأستغفِرُكَ لِمَا لا أَعْلَمُ**»[1].

• **عن مجاهد** رضي الله عنه قال: قرأ عمرُ رضي الله عنه على المنبر: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الرعد: ٢٣]، فقال: أيها الناسُ، هل تدرون ما جنات عدن؟ قصرٌ في الجنّةِ له عشرةُ آلافِ بابٍ، على كلِّ باب خمسةٌ وعشرون ألفاً من الحور العين، لا يدخله إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ[2].

ورُوي نحو ذلك عن عبد الله بن عمر ورفعه، وعن أبي مسعود والحسن والضحَّاك وكعب الأحبار موقوفاً عليهم، وهذا شاهِدُ عدل على ما قلنا من أنّ في الآيةِ تعريضٌ بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والله أعلم.

• **عن ابن عمرَ** رضي الله عنهما قال: ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ «طُوبَى»، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ، هل بلغَكَ ما طوبى؟**»[3]

قال: اللهُ تعالى ورسولَهُ أعلم.

قال: «**طُوبَى شجرةٌ في الجنّةِ، لا يَعْلَمُ طولَها إلا اللهُ تعالى، يسيرُ الراكِبُ تحتَ غُصْنٍ من أغصانِها سبعينَ خريفاً، ورقُها الحُلَلِ، يقعُ عليها الطيرُ كأمثالِ البُخْتِ**».

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣/ ٣٦).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢).
(٣) في الأصل الفارسي: «هل بلغك ما طوبى؟».

قال أبو بكر ﷺ: إنّ ذلك الطيرُ ناعمٌ.

قال: «**أنعمُ مِنْهُ مَنْ يأكلُه**[١]**، وأنتَ مِنْهُم يا أبا بكرٍ إنْ شاءَ اللهُ**»[٢].

• **عن عمر بن الخطاب** ﷺ أنّه قال وهو يطوفُ بالبيت: اللَّهُمَّ إن كنتَ كتبتَ عليَّ شقاوةً[٣] أو ذنباً فامْحُه، فإنّكَ تمحو ما تشاءُ وتُثْبِتُ، وعندكَ أمُّ الكتابِ، فاجعله سعادةً ومغفرةً[٤].

• **وعن السائب بن ملجان**[٥] من أهل الشام ـ وكان قد أدرك الصحابة ﷺ ـ قال: لمّا دخلَ عمرُ ﷺ الشّامَ، حَمِدَ الله، وأثنى عليه، ووعظ، وذكر، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، ثم قال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قام فينا خطيباً كقيامي فيكم، فأمرَ بتقوى الله، وصلةِ الرحم، وصلاحِ ذاتِ البين، وقال: «**عليكم بالجَمَاعةِ، فإنَّ يَدَ اللهِ عَلى الجَمَاعَةِ، وإنَّ الشيطانَ مَعَ الواحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثنينِ أَبْعَدُ، لا يخلونَّ رَجُلٌ بامرأةٍ، فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما، ومَنْ ساءتْهُ سيئتُهُ وسرَّتْهُ حَسَنَتُهُ فهو أمارةُ المُسْلِمِ المُؤْمِنِ، وأمارةُ المنافِقِ الذي لا تسوؤه سيِّئته ولا تسرُّه حسنتُه، إنْ عَمِلَ خيراً لم يرجُ مِنَ اللهِ في ذلك ثواباً؛ وإنْ عَمِلَ شرّاً لم يَخَفْ مِنَ اللهِ في ذلك الشَّرِّ عقوبةً، وأَجْمِلُوا في طَلَبِ الدُّنيا، فإنَّ اللهَ قد تكفَّلَ بأرزاقِكُم، وكلٌّ سيتم له عملُه الذي كان عاملاً، استعينوا بالله على أعمالِكُم، فإنّه يمحو ما يشاءُ ويثبِتُ، وعنده أُمُّ الكتاب**»، صلى الله على

---

(١) في الأصل الفارسي: «من أكله».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٢).
(٣) في الأصل الفارسي: «شقوة».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢).
(٥) في الأصل الفارسي: «ملحان»، وفي «شعب الإيمان» للبيهقي: «مهجان».

نبيِّنا محمد وآله، وعليه السلام ورحمة الله، والسلام عليكم[١].

● **عن الزهري** رضي الله عنه قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديداً على رسولِ اللهِ ﷺ، فانطلقَ يوماً حتّى دنا من رسولِ اللهِ ﷺ وهو يصلِّي، فسمعه وهو يقرأ: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، حتى بلغ: ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، وسمعه وهو يقرأ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد]، إلى قوله: ﴿عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد]، فانتظره حتى سلّم، فأسرع في أثره فأسلم[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٢٣) واللفظ له، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (٢٢/ ٤٦٩).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٠).

آيات سورة إبراهيم

• **قال الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن الله تعالى التباينَ بين ظلمةِ الكُفْر ونورِ الإيمانِ بأساليبَ مختلفة، ومنها أنّه تعالى يقول: من صفات كلمة الحق ودين الإسلام أنّه نزل بأمر الله من فوق سبع سماوات إلى الأرض، حاملاً إلهاماتِ وبركاتِ عالم الملكوت إلى الأرض، وشاع فيها وساد في معظم الأقاليم الصالحة المعتدلة؛ كشجرة طيّبة تؤتي ثمرها، أصلها ثابت في الأرض، وفرعها في السماء.

ومن صفات الكلمة الخبيثة التي هي عبارةٌ عن الشرك واليهودية والنصرانية والمجوسية التي دخل فيها التحريفُ والتغييرُ، ولم يترسّخ أساسُها، ولم يتحكّم بنيانُها بأمر الله ووحيه تعالى، ولم يحصل لها تأييدٌ من الملكوت، بل تكوّنت صورتها بسبب الشبهات الواهية الركيكة الناشئة في صدور بني آدم ومساعيهم وفق هذه الشبهات، وتبعثرت وتشتّتت في أقلّ مدة بعناية الله عن طريق بعثة الأنبياء والرسل وبظهور دينهم، مثلها كمثل شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار.

ثم يبيِّن الله تعالى حال جماعةٍ من رؤساء المسلمين وأئمتهم الذين تمسّكوا بالتوحيد، واستعدّوا لنصرته، وانتشر الحق بمساعيهم، وحال جماعة من رؤساء الكفار، الذين بذلوا كل ما في وسعهم من الجهود لترويج كلمة الباطل.

ثم يثبّتُ الفرقةَ الأولى بالقولِ الثابتِ وكلمةِ الحق، ويثبّتُ كلمةَ الحقِّ في الحياة الدنيا بالنصرِ والتأييدِ والغلبةِ على سائر الأمم، وفي الآخرةِ بالنجاةِ، ورفع الدرجات، وسبقهم في الدخول في الجنَّة.

ويذمّ رؤساء الكفار لأجل كفرانهم لنعم الله، وسوق قومهم إلى دار البوار.

يقول الفقير: هذه كلمة مجملة، لمَّا أصبح المهاجرون الأولون من رؤساء أهل النجاة في الدنيا والآخرة بسبب أخذهم بالقول الثابت، وانتشرت الملّةُ الحقّةُ بجهودهم وازدهرت، ووقع أعداؤهم من قريش في نكالٍ ووبالٍ إزاءهم، صار هذا المجمل مفصّلاً، وتمثّل ذلك المعنى صورةً، وظهرت فضيلةُ هذه الجماعة كالشمس في رابعة النار، وهو المقصود.

● **وأمّا ما جاء** في الحديث الصحيح في تفسير هذه الآية من أنَّ المرادَ بالتثبيت هو توفيق الله للمؤمن لإجابته أمام منكر ونكير في القبر إجابةً صحيحةً، فإنه لا يتعارضُ مع مبحثنا، بل هو بيانٌ بعض أنواع التثبيت الذي يمكن أن يكون من أهمّ أنواعه، وذلك على نحو ما يفسّر: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، بالرمي، مع أنّ الفروسية والطعن من جملة أنواع القوة، لكن وقع هنا تخصيص لأهم أنواعها.

● **عن عدي بن حاتم** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ اللهَ قلَّبَ العبادَ ظهراً وبطناً، [فكانَ خيرَ عبادِهِ العربُ، وقلّبَ العَرَبَ ظهراً وبطناً] فكان**

خيرَ العربِ قُريشاً، وهي الشجرةُ المباركةُ التي قال الله في كتابه: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾؛ يعني: القرآن ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾؛ يعني: بها قُريشاً ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ يقول: أصلُها كبير ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: الشرف الذي شرَّفهم الله بالإسلام، الذي هداهم الله له، وجعلهم من أهله»[١].

• عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتَ يا عمرُ إذا انْتُهِي بك إلى الأرض، فحفر لك ثلاثةُ أذرعٍ وشبرٍ في ذراعٍ وشبرٍ، ثم أتاكَ منكرٌ ونكيرٌ أسودان يجرّان شعرهماً[٢]، كأنَّ أصواتَهما الرعدُ القاصف، وكأنَّ أعينهما البرقُ الخاطِفُ، يحفران الأرض بأنيابهما، فأجلساكَ فَزِعاً فَتَلْتَلاكَ وتَوَهّلاك؟»

فقال: يا رسول الله، وأنا يومئذٍ على ما أنا عليه؟

قال: «نعم»، قال: أكفيكهما بإذن الله يا رسول الله[٣].

ورُوي نحو ذلك من حديث عبد الله بن عمرو وأبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال لعمر... الحديث.

• وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: مرَّ رسولُ اللهِ ﷺ بجنازةٍ عندَ قبرٍ، وصاحبُه يُدْفَنُ فقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكم، واسألوا له التثبيتَ، فإنَّه الآنَ يُسْأَلُ»[٤].

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «أشعارهما».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٥٨).
(٤) المصدر نفسه (٦/ ٦١).

بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: هما الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية، فأمّا بنو المغيرة، فكفيتموهم يوم بدر، وأمّا بنو أمية، فَمُتِّعوا إلى حينٍ[(١)].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنّه قال لعمر رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين! هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾؟ قال: هم الأفجران من قريش: أخوالي وأعمامُكَ فأما أخوالي فاستأصلهم الله يومَ بدرٍ، وأمَّا أعمامُك، فأملى الله لهم إلى حينٍ[(٢)].

• **عن عمرَ بنِ الخطّاب** رضي الله عنه، أنه قال: اللَّهُمَّ اغفرْ لي ظُلْمِي وكفري.

قال قائل: يا أمير المؤمنين! هذا الظلم، فما بال الكفرُ؟

قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم][(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٦٤).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٦٤).
(٣) المصدر نفسه (٦/ ٦٧).

آيات سورة الحجر

• **قال الله تعالى**: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر].

يقول الفقير: وعد الله بأنّه يحفظ القرآن من التغيير والتبديل والنسيان، ومعنى الحفظ الإلـهي أن يُنْشِئَ سبباً في الخارج يُناط به حفظ القرآن الكريم، وأوّلُ سببٍ لحفظه في الخارج هو سعيُ المشايخ الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، إذ إنّ لهم مساعيَ جميلةً في هذا الباب، وقضوا طول أيام خلافتهم في العناية به، حتى جُمِعَ بين الدفّتين، واتفق العالم عليه، ويشهد على ذلك نقل متواتر، فعُلِمَ من هنالك أنَّ وعد حفظ القرآن قد تمّ بأيديهم، وهذه مأثرةٌ من مآثر الخلافة الراشدة.

• **عن الحسن البصري** قال: قال عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ: فينا ـ والله ـ أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر][١].

• **وعن كثير النواء** قال: قلتُ لأبي جعفر: إنَّ فلاناً حدّثني عن علي بن الحسين، أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال: واللهِ إنّها لفيهم أُنزلت، وفيمن تنزل إلا فيهم؟

قلت: وأي غلّ هو؟

قال: غلّ الجاهلية، إنَّ بني تيم وبني عدي وبني هاشم، كان بينهم

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/١٠١).

في الجاهلية، فلما أسلم هؤلاء القوم تحابّوا، وأخذت أبا بكر الخاصرة، فجعل علي يُسخِّن يده فيكوي[١] بها خاصرةَ أبي بكر، فنزلت هذه الآية[٢].

• ورُوي من طرق كثيرة، عن علي أنه قال لابن طلحة: إني أرجو أن أكون أنا وأبوك من الذين قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾، فقال رجل من همدان: إنَّ الله أعدلُ من ذلك، فصاحَ عليٌّ عليه صيحةً تداعى لها القصر، وقال: فمن إذن إن لم نكن نحنُ أولئك[٣].

وعن **علي** قال: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان والزبير وطلحة ممن قال الله: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾[٤].

• **وعن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧]، قال: السبع الطوال.

ورُوي ذلك أيضاً عن ابن عُمر وابن عباس ومجاهد وسفيان وغيرهم، وتوجيهه في قول الضحّاك قال: «الْمَثَانِي» القرآن، يَذْكُرُ الله القِصّةَ الواحدةَ مراراً[٥].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «فيكمد».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠١).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٠٢).
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١١٠).

آيات سورة النحل

• **قال الله تعالى:** ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيِّن الله تعالى تبايُنَ مراتبِ الكفر والإيمانِ في القال والحال والمآل، ويصفُ أحد الفريقينِ بأنّهم يقولون: إنَّ القرآن هو «أساطير الأولين»، ويشبِّههم بأقوام الأنبياء الأولين، الذين ابتلوا بأنواع من العقوبات بسبب الكفر، ويُثبت لهم الخزي في الآخرة، ويذكر بالخطابات العنيفة التي يسمعونها من الملائكة عند قبض أرواحهم.

ويمدح الآخر بأنهم يقولون في حقّ القرآن: «أنزل الله خيراً» ويُثبت لهم حسنة الدنيا، التي هي عبارة عن النصر والغلبة على سائر أمم العالم، والخلافة والتسلّط على الجميع، ويثبت لهم حسنةَ الآخرةِ، التي هي عبارة عن الثواب العظيم، وجنات عدن، ويذكر خطابات اللطف والمحبّة التي يسمعها هؤلاءِ تَصْدُرُ من الملائكة عند قبض أرواحهم.

ثم يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: هذه سورةٌ مكيةٌ، نزلت عند الصراع القائم بين المهاجرين الأولين وكفار قريش من المجادلة والمخاصمة والمقاولة، ففي حكاية هذه الأقوال والأحوال تعريضٌ ظاهِرٌ بتلك الجماعة، التي كانت في طليعة المجادلين للكفار والمشركين وقتئذٍ، وهم المهاجرون الأولون، وهو المقصود.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: مفادُ ما قال الله تعالى: الذين هاجروا في سبيل الله ابتغاءً لوجهه مِنْ بعدِ ما ظُلِمُوا لنحيينّهم في الدنيا بحالة حسنة، وهي عبارة عن الغلبة على سائر الأمم، والحصول على غنائم كثيرة، وكونهم في رغد من العيش، وسعة من الحياة، ولأجرُ الآخرةِ أعظمُ وأكبرُ، ولو كان الكفّار يعلمون لفعلوا مثل فعلهم برحابة الصدر وطلاقة الوجه.

ثم يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ على وعد الله للمهاجرين بحسنة الدنيا وأجر الآخرة، وبعد ذلك رأينا بأُمِّ أعيننا أنَّ جماعة المهاجرين قد حصّلوا الحسنة في الدنيا، وآمنا أنَّ لهذه الجماعة أجراً عظيماً في الآخرة، وقد ذكر النبيُّ ﷺ في حديثٍ مستفيضٍ تعيين أسماء هذه الجماعة، وهو الصادِقُ المصدوقُ فيما قال، وهو المبيّن لكلام الملك المتعال.

• **عن عمر بن الخطاب** رفعه إلى النبيِّ ﷺ قال: «**يقولُ اللهُ: مَنْ تواضَعَ لي هكذا** ـ وأشار بباطِنِ كفِّه إلى الأرضِ وأدناه من الأرضِ ـ **رَفَعْتُهُ هكذا** ـ وأشار بباطن كفه إلى السماء ـ **ورفعَها نحو السماءِ**».

• **عن عمر** أنه قال على المنبر: يا أيها الناس! تواضعوا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تواضع لله رفعه الله، وقال: انْتَعِشْ رَفَعَكَ اللهُ، فهو في نفسِهِ صغيرٌ، وفي أعيُنِ الناسِ عظيمٌ، ومن تكبّرَ،**

وضعه اللهُ، وقال: اخْسَأْ خَفَضَكَ اللهُ، فَهُوَ في أَعْيُنِ الناسِ صغيرٌ، وفي نفسِهِ كبيرٌ، حتّى لهوَ أهونُ عليهم من كَلْبٍ أو خِنْزِيرٍ»[١].

• **عن عمر بن الخطاب** ﷺ أنّه كان إذا أعطى الرجلَ مِنَ المهاجرينَ عطاءً يقول: خُذْ باركَ اللهُ لَك، هذا ما وعدكَ اللهُ في الدُّنيا، وما ادّخرَ لكَ في الآخرةِ أفضل ثم قرأ هذه الآية: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل][٢].

• **عن عمر** أنّه سألهم عن هذه الآية: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾[٣] [النحل: ٤٧]، فقالوا: ما نرى إلّا أنّه عند تنقُّص ما يرده من الآيات، فقال عمر: ما أرى إلّا أنّه على ما ينقصون من معاصي الله، فخرج رجل ممن كان عند عمر فلقي أعرابياً، فقال يا فلان: ما فعل ربُّكَ؟

قال: قد تخيفته؛ يعني: انتقصته، فرجع إلى عمر فأخبره، فقال: قد رأيته ذلك[٤].

يقول الفقير: هذا التفسير ملازم لأمر، وهو أنَّ معنى التخوُّف أن المجرمَ المعاقبَ يرى بعض قرائنِ العقابِ قبل وقوعه، ويستولي على قلبه خوفٌ من أجل ذلك، فإذا عصى عبدٌ عاصٍ بعد ورود الوعيد من الله تعالى يستولي على قلبه خوفٌ مِنْ قَبْلِ وقوع العقاب عليه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٢٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٤٠).

(٣) أي: النقصان في الأموال والأبدان والثمرات.

(٤) انظر: «فتح القدير» (٤/ ٢٢٧).

• **عن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ** ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ بَعْدَ الزَّوَالِ، تُحْسَبُ بِمِثْلِهِنَّ فِي صَلَاةِ السَّحَرِ**». قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيُسَبِّحُ اللهَ تِلْكَ السَّاعَةَ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل]، الْآيَةَ كُلَّهَا[١].

• **عن ابن عباس** قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ [النحل: ٧٦]، في رجلين [أحدُهما] عثمان بن عفان، ومولىً له كافر، وهو أسيد بن أبي العيص، كان يكره الإسلامَ، وكان عثمانُ ينفِقُ عليه ويكفُلُه، ويكفيه المؤنةَ، وكان الآخر ينهاه عن الصدقة والمعروف، فنزلت فيهما[٢].

• **عن سليم بن عمر** قال: صحبتُ حفصةَ زوج النبي ﷺ وهي خارجة من مكة إلى المدينة، فأُخبِرَتْ أنَّ عثمانَ قد قُتلَ فرجّعت، وقالت: ارجعوا بي، فوالذي نفسي بيده إنَّها للقرية التي قال الله: ﴿قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل: ١١٢]، إلى آخر الآية[٣].

• **عن أبي نضرة**[٤] قال: قرأتُ هذه الآية في سورة النحل: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَـٰذَا حَلَـٰلٌ وَهَـٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل: ١١٦] إلى آخر الآية، فلم أزل أخاف الفتيا إلى يومي هذا[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣١٢٨).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٥٥).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٧٧).
(٤) في الأصل الفارسي: «عن أبي بصيرة».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ١٧٩).

• **عن ابْنِ مَسْعُودٍ**، قَالَ: عَسَى رَجُلٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ اللهَ أَمَرَ بِكَذَا، وَنَهَى عَنْ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: كَذَبْتَ، أَوْ يَقُولُ: إِنَّ اللهَ حَرَّمَ كَذَا، وَأَحَلَّ كَذَا، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ[1].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/١٢٧).

آيات سورة بني إسرائيل

• **قال الله تعالى:** ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الإسراء].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنَّ المؤمنين الأولين كانوا يطعنون في الكفار ويلعنونهم، فازدادت الفتنة من أجل ذلك، واستحكمت العداوة بينهم، وتوقف انتشار الإسلام بشكل كبير، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ إلخ؛ يعني: يقولوا من القول ما هو أحسن وأقرب إلى الحلم ومصلحة الدعوة الإسلامية، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ﴾ يعني: يقوم بتهييج الغيظ والغضب بينهم ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾.

ثم يقول الفقير: إنّ سورة بني إسرائيل إنّما هي من أوائل السور المكية، فلا يكون المراد بكلمة (عِبَادِي) إلا جماعة المهاجرين السابقين، ممن ناقشوا الكفار، وجادلوا عصاة قريش، إضافة تشريف تحل مقاماً عظيماً. وفي كلمة (عِبَادِي) من اللطف والرحمة والاختصاص، فهؤلاء السعداء متصفون بهذا الاختصاص واللطف، وهو المقصود.

أخرج **أبو يعلى وابن عساكر**، عن **أم هانئ** رضي الله عنها قال: دخل عليّ النبي ﷺ بغلس وأنا على فراشي، فقال: «**شعرتُ أنّي نمتُ الليلةَ في المسجدِ الحرامِ، فأتاني جبريلُ، فذهبَ بي إلى بابِ المسجدِ، فإذا دابةٌ أبيضُ فوقَ الحمارِ، ودونَ البغلِ، مضطربُ الأُذنين، فركبته، فكان يضعُ**

حافِرَهُ مَدَّ بصرِهِ، إذا أخذَ بي في هبوطٍ طالت يداه، وقَصُرَتْ رجلاه، وإذا أخذ بي في صعودٍ طالتْ رجلاه وقَصُرَتْ يداه، وجبريلُ لا يفوتني حتى انتهينا إلى بيتِ المقدسِ، فأوثقتُهُ بالحلقةِ التي كانتِ الأنبياءُ توثِقُ بها، فَنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياءِ عليهم السلام منهم: إبراهيم، وموسى، وعيسى، فصلَّيت بهم، وكلَّمتهم، وأُتيتُ بإناءين أحمر وأبيض، فشربتُ الأبيضَ، فقال لي جبريل عليه السلام: شربتَ اللبنَ، وتركت الخمرَ، لو شربتَ الخمرَ لارتدّت أمتُك، ثم ركبته فأتيتُ المسجدَ الحرام، فصلّيت به الغداة».

فتعلّقتُ بردائه، وقلتُ: أنشدُكَ اللهَ يا ابنَ عمٍّ، إنْ تحدّث بها قريشاً، فيكذِّبُكَ مَنْ صدّقك، فضربتُ بيدي على ردائه، فانتزعته من يدي، فارتفع عن بطنه، فنظرت إلى عكنه فوق إزاره كأنها طَيُّ القراطيس، وإذا نورٌ ساطِعٌ عند فؤاده، كاد يختطِفُ بصري، فخررتُ ساجدةً، فلمّا رفعتُ رأسي إذا هو قد خرج، فقلتُ لجاريتي: ويحَكِ اتبعيه، وانظري ماذا يقول وماذا يقال له، فلما رجعتْ أخبرتني أنّه انتهى إلى نفرٍ من قُريشٍ، فيهم المُطعِم بن عدي، وعمرو بن هشام، والوليد بن المغيرة، فقال: **«إنّي صلّيتُ الليلةَ العِشاءَ في هذا المسجدِ، وصلّيت به الغداةَ، وأتيتُ فيما بين ذلك ببيت المقدسِ، فَنُشِرَ لي رهطٌ من الأنبياءِ فيهم إبراهيمُ وموسى وعيسى، فصلّيت بهم وكلّمتُهم»**، فقال عمرو بن هشام ـ كالمستهزئ ـ: صفهم لي، فقال ﷺ: **«أمّا عيسى ففوق الرَّبْعَةِ، ودون الطويلِ، عريضُ الصدرِ، جَعْدُ الشعرِ، يعلوه صهبةٌ كأنّه عروة بن مسعود الثقفي، وأمّا موسى فضخمٌ آدمُ طوالٌ، كأنه من رجال شنوءة، كثيرُ الشعر، غائرُ العينين، متراكِبُ الأسنانِ، مقلص الشفة، خارج اللثة عابس، وأمّا إبراهيمُ فواللهِ لأنا أشبهُ الناسِ به خَلْقاً»**[١].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فوالله لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً».

فضجّوا، وأعظموا ذاك، فقال المطعم: كل أمرِكَ قبل اليوم كان أمماً غير قولك اليوم، أنا أشهدُ أنّك كاذِبٌ، نحنُ نضرِبُ أكبادَ الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً، ومنحدراً شهراً، تزعم أنك أتيتَه في ليلةٍ، واللات والعزى لا أصدّقك.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا مطعم! بئس ما قلتَ لابن أخيك جَبَهْتَهُ وكذّبته، أنا أشهدُ أنّه صادق.

فقالوا: يا محمد، صِفْ لنا بيت المقدس، قال: «**دخلتُه ليلاً، وخرجتُ منه ليلاً**»، فأتاه جبريل عليه السلام فصوّره في جناحه، فجعل يقول: «**بابٌ منه كذا في موضع كذا، وبابٌ منه كذا في موضعِ كذا**»، وأبو بكر رضي الله عنه يقول: صدقتَ صدقتَ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ: «**يا أبا بكر! إنَّ الله قد سمَّاك الصِّدِّيقَ**».

قالوا: يا محمد! أخبرنا عن عيرنا.

قال: «**أتيتُ على عِير بني فلانٍ بالرَّوْحَاءِ قد أضلّوا ناقةً لهم، فانطلقوا في طلبِها، فانتهيتُ إلى رحالِهم، ليس بها مِنْهُم أحدٌ، وإذا قدحُ ماءٍ فشربتُ منه، ثم انتهيتُ إلى عِيرِ بني فلان، فنفرت منِّي الإبلُ، وبرك منها جملٌ أحمرُ عليه جوالِقٌ مخطط ببياضٍ، لا أدري أكسر البعير أم لا، ثم انتهيتُ إلى عير بني فلانٍ في التنعيم، يقدمها جملٌ أورقُ، وها هي ذه تطلع عليكم من الثنيّة**».

فقال الوليد بن المغيرة: ساحر، فانطلقوا فنظروا فوجدوا كما قال، فرموه بالسحر، وقالوا: صدق الوليد، فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠](١).

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٠٤).

وفي رواية أخرى: وقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: **«يا جبريلُ! إنّ قومي لا يصدِّقوني، قال: يصدِّقك أبو بكر وهو الصدّيق»**(١).

• **وعن عمر** رضي الله عنه قال: لما أُسريَ برسولِ اللهِ ﷺ رأى «مالكاً» خازنَ النار، فإذا رجلٌ عابِسٌ يُعْرَفُ الغضب في وجهه(٢).

• **وعن عبيد بن آدم** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية، فذكر فتح بيت المقدس، فقال لكعب [رضي الله عنه]: أين ترى أن أصلِّي؟ قال: خلفَ الصخرةِ، قال: لا، ولكنْ أصلِّي حيث صلّى رسول الله ﷺ، فتقدَّم إلى القبلةِ فصلّى(٣).

• **وعن علي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ليلةَ أُسريَ بي، رأيتُ على العرشِ مكتوباً لا إلـٰهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروقُ، عثمانُ ذو النورينِ»**(٤).

• **وعن أبي الدرداء**، عن النبي ﷺ قال: **«رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي في العرش فريدةً**(٥) **خضراءَ، فيها مكتوبٌ بنورٍ أبيضَ: لا إلـٰهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أبو بكر الصدِّيق، عمر الفاروق»**(٦).

• **وعن أنس بن مالك** قال: قال النبيُّ ﷺ: **«لمّا عُرِجَ بي رأيتُ على ساقِ العَرْشِ مكتوباً: لا إلـٰهَ إلّا اللهُ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ، أيَّدتْهُ بعليٍّ»**(٧).

• **وعن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: لمّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلةَ أُسريَ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٠٦).
(٢) المصدر نفسه (٦/ ٢٠٩).
(٣) المصدر نفسه (٦/ ٢٠٩).
(٤) المصدر نفسه (٦/ ٢١٤).
(٥) في الأصل الفارسي: «فرندة».
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٤).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٤٤).

به، فكان بذي طُوَىٰ قال: «**يا جبريلُ، إنَّ قومي لا يصدّقوني، قال: يصدّقك أبو بكر وهو الصدِّيق**»[١].

وأخرج **الحاكم** عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: لما أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجدِ الأقصى، أصبحَ يحدِّثُ الناسَ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممّن كانوا آمنوا به وصدَّقوه، وسَعَوْا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هَلْ لكَ في صاحبِكَ يزعمُ أنّه أُسري به الليلة إلى بيتِ المقدسِ.

قال: أو قال ذلك؟

قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك، لقد صدق.

قالوا: فتصدِّقه أنّه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المَقْدِسِ، وجاءَ قبل أن يُصْبِحَ؟

قال: نعم، إنِّي لأصدِّقه بما هو أبعدُ مِنْ ذلك، أصدِّقه بخبرِ السماءِ في غَدْوَةٍ أو رَوْحَةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر الصدِّيق[٢].

• **وعن زيد بن أسلم** قال: كان للعبّاس بنِ عبدِ المطّلب دارٌ إلى جنب مسجد المدينة، فقال له عمر رضي الله عنه بعنيها، وأرادَ عمرُ أن يدخلها[٣] في المسجدِ، فأبى العبّاسُ أن يبيعَها إيّاه، فقال عمر رضي الله عنه: فهبها لي، فأبى، فقال عمر: فوسعها أنتَ في المسجدِ، فأبى، فقال عمر: لا بدَّ لك من إحداهنَّ، فأبى عليه، قال: فخذ بيني وبينك رجلاً، فأخذا أُبيَّ بنَ كعبٍ، فاختصما إليه، فقال أُبيّ لعمر: ما أرى أن تخرجه من داره حتّى تُرضيه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٦).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢١٦) واللفظ له.

(٣) في الأصل الفارسي: «أن يزيدها».

فقال له عمر: أرأيت قضاءك هذا في كتاب الله [وجدتَه]، أم سُنَّةً من رسول الله ﷺ؟

قال أُبيّ: بل سُنَّة من رسول الله ﷺ.

فقال عمر: وما ذاك؟ قال: إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنَّ سليمانَ بنَ داودَ لمّا بنى بيتَ المقدسِ جعلَ كلّما بنىٰ حائطاً أصبحَ منهدماً، فأوحى اللهُ إليه أنْ لا تبنِ في حقِّ رجلٍ حتّى ترضيَهُ**».

فتركه عمر رضي الله عنه فوسّعها العباسُ رضي الله عنه بعد ذلك في المسجد[١].

ورُوي نحو من ذلك عن سعيد بن المسيب وابن عباس وسالم أبي النضر.

• **وعن كعب** قال: أوحى الله إلى داودَ عليه السلام: ابنِ لي بيتَ المقدسِ، فعارضه ببناء له[٢]، فأوحى الله إليه، يا داودُ! أمرتُكَ أن تبنيَ بيتاً لي، فعارضته ببناءٍ لك[٣] ليس لك أن تبنيَه.

قال: يا ربِّ! ففي عقبي؟

قال: في عقبِكَ.

فلمّا وليَ سليمانُ عليه السلام أوحى الله إليه، أنِ ابْنِ بيت المقدسِ، فبناه، فلمّا كَمَلَ خرَّ ساجداً شاكراً لله تعالى، قال: يا ربِّ! مَنْ دخلهُ مِنْ خائفٍ فأمِّنْهُ، أو مِنْ داعٍ فاسْتَجِبْ له، أو مستغفرٍ فاغْفِرْ له، فأوحى الله إليه، أنِّي قد خَصَصْتُ لآل داود الدعاء، قال: فذبح أربعةَ آلافِ بقرة، وسبعةَ آلافِ شاة، وصنعَ طعاماً ودعا بني إسرائيل إليه»[٤].

وفي رواية **رافع بن عُمير**: ثُمَّ أَخَذَ فِي بناءِ الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا تَمَّ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢٦).
(٢) في الأصل الفارسي: «بيتاً له». (٣) في الأصل الفارسي: «بيتاً لك».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٢٨).

السُّورُ سَقَطَ ثُلُثَاهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى اللهِ ﷻ، فَأَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَيْهِ أَنَّهُ لا يَصْلُحُ أَنْ تَبْنِيَ لِي بَيْتاً.

قَالَ: أَيْ رَبِّ! وَلِمَ؟ قَالَ: لِمَا جَرَتْ عَلَى يَدَيْكَ مِنَ الدِّمَاءِ.

قَالَ: أَيْ رَبِّ! أَوَ لَمْ يَكُنْ فِي هَوَاكَ وَمَحَبَّتِكَ؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّهُمْ عِبَادِي، وَأَنَا أَرْحَمُهُمْ.

فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: لا تَحْزَنْ فَإِنِّي سَأَقْضِي بناءَهُ عَلَى يَدَيِّ ابْنِكَ سُلَيْمَانَ.

فَلَمَّا مَاتَ دَاوُدُ أَخَذَ سُلَيْمَانُ فِي بنائِهِ، فَلَمَّا تَمَّ قَرَّبَ الْقَرَابِينَ، وَذَبَحَ الذَّبَائِحَ، وَجَمَعَ بني إِسْرَائِيلَ، فَأَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَيْهِ: قَدْ أَرَى سُرُوراً بِبُنْيانِ بَيْتِي فَسَلْنِي أُعْطِكَ، قَالَ: أَسْأَلُكَ ثَلاثَ خِصَالٍ: حُكْماً يُصَادِفُ حُكْمَكَ، وَمُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَمَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ لا يُرِيدُ إِلا الصَّلاةَ فِيهِ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا اثْنَتَيْنِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ**»[١].

أخرج **الترمذي** عن **عمر بن الخطاب** ؓ أنّه لبس جديداً فقال: الحمدُ للهِ الذي كساني ما أُوَارِي به عَوْرَتي، وأتجمَّلُ به في حياتي، ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ لَبِسَ ثوباً جديداً فقال: الحَمْدُ للهِ الذي كَسَاني ما أُوَارِي به عَوْرَتِي، وَأَتَجَمَّلُ به في حَيَاتِي، ثم عَمَدَ إلى الثَّوْبِ الذي خَلقَ فتصدَّقَ به، كان في كَنَفِ اللهِ، وفي حِفْظِ اللهِ، وفي سَتْرِ الله حيّاً وميتاً**» قالها ثلاثاً[٢].

---

(١) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٤/ ٣٩٨).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٥٦٠) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٣١) واللفظ له.

• **عن عطاء بن السائب** قال: أخبرني غيرُ واحد أنّ قاضياً من قضاة أهل الشام أتى عمر، فقال: يا أميرَ المؤمنين! رأيتُ رؤيا أفظعتني.

قال: وما رأيت؟

قال: رأيتُ الشمسَ والقمرَ يقتتلانِ، والنجومُ معهما نصفين.

قال: فمع أيهما كنتَ؟

قال: كنتُ مع القمرِ على الشمسِ.

فقال عمر: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢]، فانطلقْ فواللهِ لا تعملُ لي عملاً أبداً، قال عطاءُ: فبلغني أنّه قُتِل مع معاوية يومَ صفِّين[١].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: إنّه لمّا كان من أمر هذا الرجل ما كان؛ يعني: عثمان، قلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: اعتزل، فلو كنتَ في جُحْرٍ طُلِبْتَ حتّى تُسْتَخْرَجَ، فعصاني، وايمُ اللهِ ليتأمَّرنَّ عليكم معاويةُ، وذكر أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء][٢].

• **وعن عمر** رضي الله عنه قال: لا تلطموا وجوهَ الدوابِّ، فإنّ كُلَّ شيءٍ يسبِّحُ بحمدِهِ[٣].

• **وعن ميمون** قال: أُتي أبو بكر بغرابٍ وافرِ الجناحين [فجعلَ يَنْشُرُ جناحه] فقال[٤]: ما صِيدَ من صَيْدٍ ولا عُضِدَ من شجرٍ، إلا بما

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٢٠٦) برقم: (٣٠٧٠٥).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧٨).
(٤) في الأصل الفارسي: «ويقول».

ضيّعتَ من التَّسْبِيحِ[١].

ورُوي نحوه عن الزهري ﵁ قال: أُتي أبو بكر الصدِّيق ﵁ بغراب... الحديث[٢].

● **عن ابن عباس** ﵄ قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ جاءت امرأة أبي لهب. فقال أبو بكر ﵁: يا رسولَ اللهِ! لو تنحّيْتَ عنها، فإنَّها امرأةٌ بذيةٌ، فقال: «**إنَّه سيحالُ بيني وبينَها، فلا تراني**»، فقالتْ: يا أبا بكرٍ! هجانا صاحبُك؟

قال: واللهِ ما يَنْطِقُ بالشّعْرِ، ولا يقولُه.

فقالت: إنّك لمصدَّقٌ، فاندفعتْ راجعةً.

فقال أبو بكر ﵁: يا رسولَ اللهِ، ما رأتْكَ؟

قال: «**كان بيني وبينها مَلَكٌ يسترُني بِجَنَاحِهِ حتّى ذهبت**»[٣].

ورُوي نحو ذلك عن أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق عن أبي بكر الصدِّيق.

وعن **ابن عمر** ﵄: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**رأيتُ وَلَدَ الحَكَمِ بن أبي العاص على المنابرِ كأنّهم القِرَدَةَ**»، وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: ٦٠]؛ يعني: الحكم وولده[٤].

ورُوي قريبٌ من ذلك عن سهل بن سعد، ويعلى بن مرّة، والحسين بن علي، وسعيد بن المسيب، وعائشة.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤١).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٧٩).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٨٣).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٩٥).

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ في قوله: «﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، قال: **لزوال الشمس**»[١].

• **عن قتادة**: قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ [الإسراء: ٨٠]، فأخرجه الله من مكّةَ إلى المدينةِ مُخْرَجَ صدقٍ، وأدخله المدينةَ مُدْخَلَ صدقٍ، قال: ونبيُّ الله ﷺ قد علم[٢] أنّه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله وحدوده، ولفرائض الله[٣]، ولإقامة كتاب الله، وأنَّ السلطانَ[٤] عزةٌ من الله، جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضُهم على بعضٍ، وأكل شديدُهم ضعيفَهم[٥].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: والله لَمَا يزعُ[٦] اللهُ بالسلطانِ أعظمُ ممّا يزعُ[٧] بالقرآنِ[٨].

• **عن محمد بن سيرين** قال: نُبِّئت أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان إذا قرأ خَفَضَ، وكان عمر رضي الله عنه إذا قرأ جَهَرَ، فقيل لأبي بكر رضي الله عنه: لم تصنع هذا؟ قال: أناجي ربي وقد علم حاجتي، وقيل لعمر رضي الله عنه: لم تصنع هذا؟ قال: أطردُ الشيطانَ، وأوقِظُ الوسنانَ، فلما نزلت: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قيل لأبي بكر رضي الله عنه: ارفع شيئاً، وقيل لعمر رضي الله عنه: اخفض شيئاً[٩].

وروي مثله عن الربيع بن أنس رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٠٤).
(٢) في الأصل الفارسي: «وعلم نبي الله ﷺ».
(٣) في الأصل الفارسي: «ولفرائضه».
(٤) في الأصل الفارسي: «فإن السلطان».
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤) برقم: (٤٢٦٠).
(٦) في الأصل الفارسي: «لما نزع».
(٧) في الأصل الفارسي: «مما ينزع».
(٨) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣١١).
(٩) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٣٢).

آيات سورة الكهف

• قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ اللهَ يُعلِّم نبيَّه آدابَ الزهد من أنَّه ﷺ كان متّصفاً بِخُلقٍ عظيم ليكونَ ذلك دستوراً لأمته.

فأولاً: إنَّ الله أمره بتلاوة القرآن.

وثانياً: أمره بحبس نفسه مع الذين يدعون ربهم ابتغاءً لوجهه، وأن لا تعد عيناك عنهم، تريد زينة الحياة الدنيا، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا، واتّبع هواه وكان أمره فرطاً.

وحاصِلُ الكلام عليك أيها النبي ﷺ أن تصحبَ جماعة الفقراء من المؤمنين، الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ، ولا تجالس الأثرياء المترفين من الكفار والمشركين إلا بقدر ما تقتضي حكمة الدعوة ومصلحة التبليغ، ولا تنظر إلى ثروتهم الدنيوية، وأموالهم الطائلة نظر الاستحسان.

وثالثاً: يبيّن ﷻ عذاب المتنعِّمين من الكفار وثواب الفقراء من المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، و﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ إلخ [الكهف].

ورابعاً: يضرب الله تعالى مثلاً لكافرٍ ثري ومؤمنٍ فقيرٍ بقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ إلخ [الكهف: ٣٢ ـ ٤٤].

وخامساً: يشبّه زخارف الحياة بنبات الأرض الذي يصبح هشيماً تذروه الرياح، وكذلك المال والبنون على وشك الزوال، ويُثْبِتُ للباقيات الصالحات ـ التي هي عبارة عن ذكر الله تعالى ـ البقاء والخلود.

ثم يقول الفقير: هذه سورة مكية، فالجماعة الذين يأمر الله نبيَّه ﷺ بمصاحبتهم وبمجالستهم ويمدحهم بدوام ذكرهم لله صباح مساء، ويعدهم النعيم المقيم، ليسوا إلا المهاجرين الأولين، الذين كانوا متّصفين بكثرة الذكر والعبادة، وكانوا فقراء من بداية أمرهم، أو أصبحوا فقراء من أجل صرف أموالهم في سبيل الله، فذلك من أعظم أنواع التشريف لهذه الجماعة، وهو المقصود.

• **عن زيد بن وهب** أنَّ عمر قرأ في الفجر بالكهف(١).

وعن صفية بنت أبي عبيد نحو ذلك.

• **وعن عثمان بن عفان** أنه سئل عن ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ [الكهف: ٤٦] قال: هي: «لا إلـه إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»(٢).

• **وعن عمر** أنه سمع رجلاً ينادي بمنىً: يا ذا القرنين، فقال له عمر رضي الله عنه: ها أنتم قد سميتم بأسماء الأنبياء، فما بالكم وأسماء الملائكة(٣).

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٣٦٩).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٠١).

• **وروي عن خالد بن معدان** مرسلاً عن النبيِّ ﷺ أنه سئل عن ذي القرنين فقال: «**مَلَكٌ مسحَ الأرضَ من تَحْتِها بالأسباب**»[١].

• **عن عمر بن الخطاب**، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ قرأَ في ليلةٍ** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]، **كَانَ لَهُ نورٌ مِنْ عَدَنَ أَبْيَنَ**[٢] **إلى مكّةَ حَشْوُهُ الملائكةُ**»[٣].

❖ ❖ ❖

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٠٠).

(٢) عدن: محركة ومضافة إلى أبين على وزن أبيض، مدينةٌ باليمن، و«أبين» اسم رجل من حِمْيَرَ، عَدَنَ بها؛ أي: أقام.

(٣) انظر: «البحر الزخار ـ مسند البزَّار» (١/ ٣٨٢).

آيات سورة مريم

• **قال الله تعالى**: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم].

يقول الفقير: إن الله تعالى يذكر مآثر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ إلخ، الموصوفون بإنعام الله عليهم من الأنبياء، وكانوا إذا سمعوا بآيات الله التي خصَّهم بها في الكتب المنزّلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعاً وخشوعاً، ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ [مريم: ٥٩]؛ أي: وُجد من بعد النبيين ﴿خَلۡفٌ﴾ سوء ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بتركها، وعدم أداء حقوقها ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم]؛ أي: لا ينقصون شيئاً من ثوابهم ﷺ وما هي تلك الجنة؟ هي ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ﴾؛ أي: جنات إقامة، ﴿ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾؛ أي: حال كونهم غير مشاهدين لها ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا﴾ من الكلام لكن يسمعون ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ من بعضهم على بعض ﴿وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم]؛ أي: يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث.

وحاصل الكلام أنَّ جماعة ظهرت بعد انقراض عصر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وسلكوا سيرةً غير سيرتهم، وفيه إشارة إلى اليهود والنصارى الذين حرّفوا دينهم وبدّلوه، وضيّعوا معاني التديّن من أيديهم، واقتنعوا بمجرد اسم «اليهودية» و«النصرانية»، وطمعوا اللحاق بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات، فهم يلقون جزاء ضلالتهم يوم القيامة.

ويمدح بعد ذلك المؤمنين من الأمة الإسلامية، ويعدهم جنات عدن، وفيه إشارة إلى أن ادّعاء اليهود والنصارى باتباعهم للأنبياء السابقين باطل، بل التابعون للأنبياء السابقين والمؤمنون بهم هم جماعة المؤمنين من الأمة الإسلامية.

ثم يقول الفقير: إن ظاهر الحال يدلّ على أن يكونَ مدارُ الكلام على الجماعة التي كانت تتّصفُ بهذه الصفات عند نزول سورة مريم، ليس على محض الفرض، ولا شكّ في أنَّ غير جماعة المؤمنين من المهاجرين الأولين لم تكن موجودة عند نزول السورة، فهؤلاء هم المشرَّفون بهذا التشريف الإلٰهي، والمتوقعون لهذه المواعيد الجميلة وهو المقصود.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾ [مريم].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيِّن الله شبهةً من شبهات الكفّار، ثم يردّ عليها، والحقيقةُ أنّ هذه من شبهات جميع أهل الجهل في كل عصر، وفي كل طبقة؛ يعني: إذا تتلى على الكافرين آيات الله البيّنات قالوا للمؤمنين: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾﴾.

وحاصل الكلام: أنّهم يعدّون براعة الحسب وزيادة الجاه وكثرة الأعوان والأنصار مدارَ فضلٍ وخيرٍ، ويرون أنفسهم الأفضل والأحسن، وأحقّ بالبشارات العظيمة، والفوز بالدرجات الأخروية.

ويردّ الله ﷻ على هذه الشبهة:

أولاً: بذكر قصص القرون الأولى ممن كانوا أحسن أثاثاً وأجمل مظهراً، فأهلكهم الله جزاء أعمالهم وكفرهم.

وثانياً: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ إلخ؛ يعني: من سُنَّة الله تعالى أنه يمهل أهل الضلالة في ضلالتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، فيزدادون جهلاً وغيّاً وتمرّداً حتى إذا ظهر لهم ما أنذروا به من عذاب الدنيا أو نكال الآخرة تبيّنوا وعرفوا مَنْ هو شرٌّ مكاناً وأضعفُ جنداً، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾﴾.

وحاصل الكلام: أن مدار التفاضل بين بني آدم ليس باعتبار الحسب وزيادة الجاه وكثرة الأعوان والأنصار، بل هو باعتبار أعمال الخير.

ثم يقول الفقير: إن إسقاط التفاضل بالحسب والنسب واعتباره من ناحية السوابق الإسلامية أصل عظيم في تفاضل الصحابة فيما بينهم، فتدبّر.

● **عن الشعبي** قال: كتب قيصر إلى عمر: إن رسلي أتتني من قبلك فزعمت أن قبلكم[1] شجرة ليست بخليقة لشيء من الخير، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تشقق عن مثل اللؤلؤ، ثم تخضر، فتكون مثل الزمرد الأخضر، ثم تحمرّ فتكون كالياقوت الأحمر، ثم تينع وتنضج، فتكون كأطيب فالوذج أُكل، ثم تشقق، فتنثر عصمة للمقيم، وزاداً للمسافر، فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة.

فكتب إليه عمر: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم إن رسلك صدقتك، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله

(١) في الأصل الفارسي: «فيكم».

تعالى على مريم حين نفست بعيسى[١].

• **وعن عمر بن الخطاب** أنه قرأ سورة مريم فسجد، ثم قال: هذا السجود، فأين البكاء[٢].

• **وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة**، قال: اغتسلت أنا وآخر، فرآنا عمر بن الخطاب، وأحدنا ينظر إلى صاحبه، قال: إني لأخشى أن يكونا[٣] من الخلف الذي قال الله ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم][٤].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قالَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ـ بعد ما سلّم ـ هؤلاء الكلماتِ كتبه مَلَكٌ في رقٍّ، فختمَ بخاتمٍ، ثم دفعَها إليَّ يومَ القيامةِ، فإذا بَعَثَ اللهُ العبدَ مِنْ قبرِهِ، جاءَه المَلَكُ، ومعه الكتابُ ينادي: أينَ أهلُ العهودِ؟ حتّى تُدْفَع إليهم، والكلمات أن تقولَ[٥]: اللَّهُمَّ فاطرَ السماواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ الرحمٰن الرحيم ـ إنِّي أعهدُ إليكَ في هذه الحياةِ الدنيا بأنّك أنتَ اللهُ الذي لا إلـه إلّا أنتَ وحدَك لا شريكَ لكَ، وأنَّ محمّداً عبدُكَ ورسولُكَ، فلا تَكِلْني إلى نفسي، فإنّكَ إنْ تَكِلْني إلى نفسِي تقرّبني مِن الشرِّ، وتباعِدُني مِنَ الخيرِ، وإنِّي لا أثقُ إلَّا برحمتِك، فاجعلْ رحمتَكَ لي عَهْداً عندَك تؤدّيه إليَّ يوم القيامةِ، إنّك لا تُخْلِفُ الميعادِ**»[٦].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٧/ ٣٥٢).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٧٦).
(٣) في الأصل الفارسي: «أن تكونا».
(٤) انظر: «شعب الإيمان»، للبيهقي (١٦/ ٢٩٢).
(٥) في الأصل الفارسي: «أن يقول».
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٤٨٩).

آيات سورة طه

• قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [طه].

يقول الفقير: أرسل الله تعالى سيّدنا موسى عليه السلام إلى فرعون وقد طلب من الله بعض الأسئلة الضرورية المهمّة التي يتعذّر تحمّل أعباء الرسالة من دونها، فاستَمِعْ لتفصيلها:

من هذه الأسئلة سؤال يتعلّق بموسى نفسه عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾﴾، وهذا من جملة ضروريات تحمّل أعباء الرسالة، ذلك لأنه إذا لم ينشرح الصدر لا يتأتى الجواب المقنع لأي سؤال، وإذا لم تتيسّر الأمور من جهة الغيب لا يمكن مكافحة الأعداء من ملوك الأرض، وإذا لم تكن الفصاحة في اللسان لم يتحقق تبليغ رسالة الله عز وجل بأبلغ وجوه.

ومنها ما يتعلّق بإعانة غيره في أمر الرسالة، وقد عبّر عن ذلك بالوزارة وفي موضع آخر بـ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ﴾ [القصص: ٣٤].

ثم طلب عليه السلام هنا ثلاث صفات تتعلق بالوزارة:

الصفة الأولى: ﴿أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾﴾ وهذا الوصف من جهة خصوص الحال، إذ إن موسى لم يكن له أحد غير هارون يقوم بنصرته المطلوبة في ذلك الوقت، وليس هذا الوصف شرطاً مطلقاً في الوزارة، وذلك بقرينة أن موسى عليه السلام جعل يوشع عليه السلام خليفةً له، مع أنه لم يكن من أهله، والخلافة أعظم من الوزارة وأشدّ، والمطلوب في الوزارة أن

يكون ذا قوة ومروءة بحيث يحسب له قومه عند الحلّ والعقد حساباً، والمطلوب في الخلافة ـ زيادةً على ذلك ـ أن يكون مشتركاً مع النبيِّ في جدّه الأعلى، تنسب إليه قبيلته، لئلا يزدريه الناس، ولذلك لم يرسل الله نبياً في بني إسرائيل إلا من كان من بني إسرائيل من أسباط موسى أو غيره، وتلك هي السُّنَّة التي أجراها النبي ﷺ في خلفائه، فقال: «**الأئمةُ مِنْ قريشٍ**»[1] لكي تقع الموافقة مع سُنَّة الله في أنبياء بني إسرائيل.

والصفة الثانية: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ۝٣٢﴾ [طه] هذه حقيقة الوزير من ناحية ظهور، إعانة باهرة عظيمة منه في الغايات المطلوبة من بعثة النبيِّ كالمخاصمة، والجهاد مع الأعداء، وفتح البلدان، وجمع القرآن، وقد عبّر عن ذلك في موضع آخر بـ﴿رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾ [القصص: ٣٤].

والصفة الثالثة: ﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝٣٣﴾ [طه]؛ يعني: أن الفائدة المترتِّبة على وزارة الوزير أن تقع أعباءُ الدعوة على رجلين، فهذا يقوم بها مرةً، وذلك أخرى، فيتضرّع كلاهما في الذكر والتسبيح لله.

يقول الفقير: لمّا عرفتَ حقيقة الوزارة ينبغي أن تعلم أن الشيخين قد تشرَّفا ـ باليقين ـ بوزارة النبي ﷺ، وذلك بموجب حديث: «**أمّا وزيرايَ مِنْ أهل الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ**»[2]، وفي ضوء حديث: «**الحمدُ لله الذي أيّدني بهما**»[3]، ومن جهة نقل متواتر يفيد أنَّ المعاني المطلوبة من الوزارة قد تحقّقت بهم، وناهيك به من فضيلة.

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٢٣٢٩).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٠).
(٣) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (١٦/ ٢٢٦).

۞ إسلام عمر رضي الله عنه:

● **عن أنس** رضي الله عنه قال: خرجَ عمرُ متقلِّداً السيف، فلقيه رجل من بني زُهرة، فقال له: أين تغدو يا عمر؟

قال: أريد أن أقتل محمداً.

قال: وكيف تأمنُ بني هاشم وبني زُهرة؟

فقال له عمر: ما أراكَ إلا قد صبأتَ[١] وتركتَ دينك!

قال: أفلا أدلُّك على العجب؟! إنَّ أختك وخِتْنُك[٢] قد صبأا[٣]، وتركا دينك.

فمشى عمر ذامراً[٤] حتى أتاهما، وعندهما خبّاب، فلمّا سمع خبّابٌ بحسِّ عمر، توارى في البيت، فدخل عليهما فقال: ما هذه الهَيْنَمَةَ[٥] التي سمعتُها عندكم، وكانوا يقرأون ﴿طه ۝١﴾.

فقالا: ما عدا حديثاً تحدّثنا به.

قال: فلعلَّكما قد صبأتما[٦].

فقال له خِتْنه: يا عمر! إن كان الحقُّ في غير دينك؟ فوثب عمر على ختنه فوطئه وطأ شديداً، فجاءت أخته لتدفعَه عن زوجها، فنفحها نفحة بيده، فدمّى وجهها، فقال عمر: أعطوني الكتابَ الذي هو عندكم فأقرأه.

فقالت أخته: إنّكَ رجسٌ، وإنّه ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة]، فقم فتوضّأ، فقام فتوضّأ، ثم أخذَ الكتابَ، فقرأ ﴿طه ۝١﴾

---

(١) في الأصل الفارسي: «صبوت».
(٢) أي: زوج أختك.
(٣) في الأصل الفارسي: «قد صبوا».
(٤) أي: جاء متهدّداً
(٥) في الأصل الفارسي: «الهنيمة».
(٦) في الأصل الفارسي: «صبوتما».

حتى انتهى إلى ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه]، فقال عمر: دُلُّوني على محمد، فلمّا سمعَ خبّاب قولَ عمر، خرج من البيتِ فقال: أبشر يا عمرُ! فإنّي أرجو أن تكونَ دعوةَ رسولِ اللهِ ﷺ لك ليلة الخميس: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بِعُمَرَ بنِ الخطّاب، أو بعمرِو بنِ هشام**» فخرج حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فأسلم[١].

● **وعن ابن عباس** أنه قال لعمرَ بنِ الخطّاب: يا أميرَ المؤمنين! لِمَ يذكر الرجلُ، ولِمَ ينسى؟[٢] فقال: إنّ على القلبِ طخاء[٣] كطخاء القمر، فإذا تغشّتِ القلبَ نسيَ ابنُ آدم ما كان يذكر، فإذا انجلتْ ذكر ما نسيَ[٤].

۞ ۞ ۞

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «مم يذكر الرجل ومم ينسى».

(٣) **الطخاء**: الظلمة، والمراد هنا ما يغشى القمر من غيم يغطي نوره. انظر: «النهاية» (ص٥٥٩).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٧).

آيات سورة الأنبياء

• **قال الله تعالى**: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

يقول الفقير: قالت جماعةٌ: إنّ المراد بالأرض هنا الجنّة، ولا تجدُ في موضعٍ من القرآن أو السُّنَّة أنّ لفظ: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ ورد وأريد به جنّة عدن، بل المعنى الصحيح أنَّ المراد بالأرض هو الأراضي المعتدلة الصالحة لإنجاب أشخاص معتدلة الأخلاق، أو هي أرض الشام وحدها، بسبب كون أنبياء بني إسرائيل فيها، وذكر وقائع أرض الشام قبل هذه الآية مهم جدّاً يحمل أهميةً بالغةً، وهذا كما أن التاجر يريد بلفظ المال بضاعته والراعي يريد به المواشي، والزارع يريد به الزراعة، وهناك آثار كثيرة تدلّ على هذا المعنى.

• **عن ابن عباس** في قصة بختنصّر قال: إنّه رأى رؤيا فأفظعته، فأصبح قد نسيها، قال: عليّ بالسحرة والكهنة، قال: أخبروني عن رؤيا رأيتها الليلة، واللهِ لتُخبرُنّي بها، أو لأقتلنّكم.

قالوا: ما هي؟

قال: قد نسيتها.

قالوا: ما عندنا من هذا علم، إلا أنْ ترسلَ إلى أبناء الأنبياء، فأرسل إلى أبناء الأنبياء، قال: أخبروني عن رؤيا رأيتُها الليلة، واللهِ لتخبرُنّي بها أو لأقتلنّكم.

قالوا: ما هي؟

قال: قد نسيتها.

قالوا: غيبٌ، ولا يعلمُ الغيبَ إلا الله تعالى.

قال: والله لتخبرُنّي بها، أو لأضربنَّ أعناقكم.

قالوا: فدعنا حتى نتوضَّأ ونصلّيَ وندعوَ الله تعالى.

قال: فافعلوا.

فانطلقوا فأحسنوا الوضوءَ، فأتوا صعيداً طيّباً فدَعَوا الله، فأُخبروا بها، ثم رجعوا إليه فقالوا: رأيتَ كأنَّ رأسَك من ذهبٍ، وصدرَك من فخّارٍ، ووسطك من نحاسٍ، ورجليك من حديدٍ.

قال: نعم، قال: أخبروني بعبارتها أو لأقتلنّكم.

قالوا: فدعنا ندعو ربنا، قال: اذهبوا، فدعوا ربهم، فاستجابَ لهم، فرجعوا إليه قالوا: رأيتَ كأنّ رأسك من ذهب، ملكك هذا يذهبُ عند رأسِ الحَوْلِ من هذه الليلةِ.

قال: ثم مه؟ قالوا: ثم يكون بعدك مَلِكٌ يفخر على الناس، ثم يكونُ مَلِكٌ يخشى الناسُ شِدّته، ثم يكونُ مَلِكٌ لا يقله شيء، إنّما هو مثل الحديد؛ يعني: الإسلام[1].

وتصدقُ هذه البشارةُ على الشيخين في هذه الصورة إذ إنّ فتح الشام وقع بتدبيرهما، ووقعت في حوزة تصرّفهما، فالصلاحُ من صفاتهم، وإنجازُ وعدِ الأنبياء من إحدى خصال الخليفة.

● **عن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: لمّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ كان أبو بكر رضي الله عنه في ناحية المدينة، فجاء فدخل على رسول الله ﷺ وهو مسجّى فوضع فاه على جبين رسول الله ﷺ، وجعل يقبِّله ويبكي ويقول: بأبي وأمي، طِبْتَ حيّاً وطِبْتَ ميتاً، فلمّا خرج مرّ بعمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنه وهو يقول:

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٦/ ٢٣٤).

ما ماتَ رسولُ الله ﷺ، ولا يموتُ حتّى يقتلَ اللهُ المنافقين، وحتى يخزيَ الله المنافقين، قال: وكانوا قد استبشروا بموت النبيِّ ﷺ، فرفعوا رؤوسهم، فقال: أيُّها الرجل، أَرْبعْ على نفسِكَ، فإنّ رسولَ اللهِ ﷺ قد مات، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء].

قال: ثم أتى المنبر، فصعده، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن كان محمّد ﷺ إلٰهكم الذي تعبدون، فإنَّ محمّداً قد مات؛ وإن كان إلٰهكم الذي في السماء، فإنَّ إلٰهكم لم يمت ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] حتى ختم الآية، ثم نزل، وقد استبشر المسلمون بذلك واشتدّ فرحهم، وأخذت المنافقين الكآبةُ، قال عبد الله بن عمر: فوالذي نفسي بيده، لكأنما كانت على وجوهنا أغطيةٌ فكُشِفَتْ(١).

● عن **محمد بن حاطب** قال: سُئل عليٌّ عن هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء: ١٠١]، قال: هو عثمان وأصحابه(٢).

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٤٢٧) برقم: (٣٧٠٢١)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥٩) واللفظ له.

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٠٧).

آيات سورة الحج

• **قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن هذا دليل على خلافة الخلفاء؛ إذ إنَّ الله ﷻ مكّنهم في الأرض، ولا يشك فيه الموافق والمخالف، وأنهم كانوا من المهاجرين، وأنّهم أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وهذا هو معنى الخلافة الخاصّة، وقد بسطنا الكلام في تفسير هذه الآية في الفصل الثالث فارجع إليه.

• **قال الله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج].

وقع هنا مقابلة بين الفريقين اللذين اختلفا بعد الإنذار، وهذه الآية مكية، فالمراد «من فريق المؤمنين» هم المهاجرون الأولون، فتدبّر.

• **قال الله تعالى:** ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٖ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ

أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾ [الحج].

يقول الفقير: إنّ المهاجرين الأولين قد ظُلِموا وأُوذوا إيذاءً شديداً على أيدي الكفار، فإنِ انتقم المؤمنون من الكفار وآذوهم كما آذوهم فذلك عَيْنُ العدل، وبعد ذلك اجتمع الكفّار وآذوهم انتقاماً لأنفسهم، فترافق نصرة الله مع المهاجرين الأولين، ومعنى هذه الآية هو المعنى نفسه الذي جاء في الآية السابقة، وهي: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ إلخ [الحج: ٣٩].

ثم يؤكِّد الله تعالى وعد نصره ببيان قدرته في الآفاق والأنفس وبذكر تصرّفه في العالم بمحض إرادته تعالى.

ويقول الفقير: وهذه الآية نصّ على بشارة المهاجرين بالجنَّة في الآخرة، وبالنصر في الدنيا وهو المقصود.

• **عن عمر** أنّه سجدَ في الحجّ سجدتين، ثم قال: إنَّ هذه السورة فُضِّلت على سائر السور بسجدتين[(١)].

• **عن أبي بكر**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا صلّى الصُّبْحَ مُرَحِّباً بالنهارِ الجديدِ، والكاتبِ، والشهيدِ، اكتبا: بسم الله الرّحمٰنِ الرّحيم، أَشْهَدُ أَنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمداً رسولُ اللهِ، وأشهدُ أنَّ الدِّينَ كما وصفَ، والكتابَ كما أُنزل، وأشهدُ أنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ في القُبورِ**»[(٢)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٧٢) برقم: (٤٢٨٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٢٢).

● **وعن عُمَرَ** قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**»[١].

● **وعن ابن عمر**: أنّ عمرَ نهى أن تُغْلَق أبواب دور مكة، فإنَّ الناسَ كانوا ينزلون منها حيث وَجدوا، حتّى كانوا يضربون فساطيطهم في الدُّورِ[٢].

● **وعن عمر بن الخطاب**: أنّ رجلاً قال له عند المَرْوة: يا أميرَ المؤمنين! أقطعني مكاناً لي ولعقبي، فأعرضَ عنه عمر، وقال: هو حرمُ اللهِ ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج: ٢٥][٣].

● **وعن عمر بن الخطاب** قال: احتكارُ الطعامِ بمكةَ إلحادٌ بظلم[٤].

● **وعن عبيد بن عمير** قال: لقي عمرُ بنُ الخطاب ركباً يريدون البيت فقال: من أنتم؟ فأجابهم أحدَثُهم سناً، فقال: عبادَ الله المسلمون، قال: مِنْ أينَ جئتم؟

قال: من الفجّ العميق.

قال: أين تريدون؟

قال: البيت العتيق.

قال عمر: تأوّلها لَعَمْرُ اللهِ[٥]، فقال عمر: مَنْ أميركم؟

فأشار إلى شيخ منهم.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٣٤).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٣).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٤).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٣٥).
(٥) في الأصل الفارسي: «تأوّلها لعمر والله».

فقال عمر: بل أنتَ أميرُهم، لأحدثهم سِنّاً الذي أجابه[١].

● **وعن ابن عباس** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب قبَّل الحجر، وسجد عليه، ثم قال: رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فعلَ هذا[٢].

● **وعن محمد بن سيرين** قال: أشرف عليهم عثمانُ من القصر فقال: ائتوني بِرَجُلٍ قارئ كتاب الله[٣]، فأتوه بصعصعة بن صَوْحانٍ، فتكلّم بكلام فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج].

فقال له عثمانُ: كذبتَ! ليست لك ولا لأصحابك، ولكنّها لي ولأصحابي[٤].

● **وعن ابن عباس**: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم﴾ [الحج: ٤٠]؛ أي: من مكّة إلى المدينة ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]؛ يعني: محمّداً ﷺ وأصحابه[٥].

● **وعن عثمان بن عفّان** قال: فينا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ الآية، بعد ما أخرجنا من ديارنا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم مُكِّنَّا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة وأمرنا بالمعروف، ونَهَيْنا عن المنكر، فهيَ لي ولأصحابي[٦].

● **وعن ثابت بن عَوْسجةَ الخضيري**[٧] قال: حدّثني سبعةٌ وعشرون

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٩٠) برقم: (٣٨١٣).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٤٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «تالي كتاب الله».
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٥٩). وكذب بلغة قريش تأتي بمعنى أخطأ أيضاً.
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).
(٦) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).
(٧) في الأصل الفارسي: «ثابت بن عرفجة الحضري».

من أصحاب علي وعبد الله، منهم: لاحق بن الأقمر، والعيزار بن جرول، وعطية القُرظي أنَّ عليّاً قال: إنّما نزلت هذه الآيةُ في أصحاب محمد: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ [الحج: ٤٠]، قال: لولا دفعُ اللهِ بأصحاب محمد عن التابعينَ لهدّمت صوامع[١].

● **عن زيد بن أبي أوفى** رضي الله عنه قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فجعل يقول: «**أينَ فلانٌ؟ أينَ فلانٌ؟**» فلم يزل يتفقَّدهم، وينصب[٢] إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال: «**إنِّي محدِّثُكم بحديثٍ فاحفظوه وعوه وحَدِّثوا بِهِ مَنْ بَعْدكُم، إنَّ الله اصطفى مِنْ خلقِهِ خَلْقاً**، ثم تلا هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٧٥﴾ [الحج]، **خَلْقاً يُدْخِلُهم الجَنَّةَ، وإنِّي مصطفٍ مِنْكُم مَنْ أُحِبُّ أن أصطفيَهُ، ومؤاخٍ بينَكُم كما آخى الله بين الملائكة، قم يا أبا بكرٍ!**» فقام فجثا بين يديه، فقال: «**إنَّ لَكَ عندي يَداً، إنَّ الله يجزِيَك بها، فلو كنتُ متّخِذاً خليلاً لاتّخذتُك خليلاً، فأنتَ مِنِّي بمنزلةِ قَمِيصي مِنْ جَسَدِي**، وحرّكَ قميصَه بيدِهِ».

ثم قال: «**ادنُ يا عمرُ!**»، فدنا ثم قال: «**ادن يا عمر!**» فدنا[٣]، ثم قال: «**كنت شديد الشَّغبِ علينا أبا حَفْصٍ! فدعوتُ اللهَ أَنْ يعزَّ الدينَ بِكَ، أو بأبي جهلٍ، ففعلَ اللهُ ذلكَ لكَ، وكُنْتَ أحبَّهما إليَّ، فأنتَ معي في الجَنَّةِ ثالثُ ثلاثةٍ مِنْ هذه الأُمةِ**».

ثم تنحّى، وآخى بينه وبين أبي بكر.

ثم دعا عثمان بن عفان فقال: «**ادنُ يا عثمانُ! ادنُ يا عثمان!**» فلم

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٦٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «ينصت»، وفي «المعجم الكبير»، للطبراني: «يبعث» (٥/ ٢٢٠).
(٣) وقع في الأصل الفارسي: مرةً واحدةً.

يزل يدنو منه حتى ألصقَ ركبته بركبةِ رسولِ اللهِ ﷺ، ثم نظرَ إليه، ثم نظر إلى السماءِ فقال: «**سبحانَ اللهِ العظيم**» ثلاث مرات، ثم نظر إلى عثمان فإذا أزراره محلولة، فزرّها رسول الله ﷺ بيده ثم قال: «**اجمعْ عَطْفَيْ ردائِكَ على نحرِكَ، فإنَّ لكَ شأناً في أهلِ السّماءِ، أنتَ ممّن يَرِدُ عليَّ الحوضَ، وأوداجُهُ تَشْخَبُ دماً، فأقول: مَنْ فعلَ هذا بِكَ؟ فتقولُ: فلانٌ، وذلك كلامُ جبريلَ، وذلك إذا هتفَ مِنَ السماءِ: ألا إنَّ عثمانَ أميرٌ على كلِّ خاذلٍ**».

ثم دعا عبد الرحمٰن بن عوف فقال: «**ادن يا أمينَ اللهِ والأمينَ في السماء، يسلِّط الله على مالك بالحق، أما إنَّ لك عندي دعوةً، وقد أخرّتُها**».

قال: خر لي يا رسول الله.

قال: **حمّلتني يا عبدَ الرحمٰن أمانةً، أكثرَ الله مالَكَ**» وجعل يحرِّكُ يده، ثم تنحى، وآخى بينه وبين عثمان.

ثم دخل طلحةُ والزبير فقال: «**ادنوا مني**»، فدنوا منه.

فقال: «**أنتُما حواري كحواري عيسى ابن مريم**»، ثم آخى بينهما.

ثم دعا سعدَ بنَ أبي وقّاصٍ وعمّارَ بن ياسر فقال: «**يا عمارُ! قتلتك**[١] **الفئةُ الباغيةُ**»، ثم آخى بينهما.

ثم دعا أبا الدرداء وسلمان الفارسي فقال: «**يا سلمانُ! أنتَ منّا أهلَ البيتِ وقد آتاكَ اللهُ العِلْمَ الأوّلَ والعِلْمَ الآخِر، والكتابَ الأوَّلَ والكتابَ الآخِرَ**»، ثم قال: «**ألا أنشدك يا أبا الدرداء؟**»

قال: بلى يا رسول الله!

---

(١) في الأصل الفارسي: «تقتلك»، وكذا في «المعجم»، للطبراني (٥/ ٢٢٠).

قال: «**إنْ تنقدْهم ينقدوك، وإن تتركْهم لا يتركوك، وإن تهربْ منهم يدركوك، فاقرضهم عِرْضك ليومِ فقرك**»، فآخى بينهما.

ثم نظر في وجوه أصحابه فقال: «**أَبْشِرُوا وقَرُّوا عيناً، فأنتم أوّلُ مَنْ يَرِدُ عليَّ الحوضَ، وأنتم في أعلى الغُرفِ**».

ثم نظر إلى عبدِ اللهِ بن عمرَ فقال: «**الحمدُ للهِ الذي يَهْدِي مِنَ الضلالة**».

فقال عليٌّ: يا رسولَ اللهِ! ذهبَ روحي، وانقطع ظهري حين رأيتُكَ فعلتَ ما فعلتَ بأصحابك غيري! فإنْ كانَ مِنْ سخطٍ عليَّ، فلك العُتبى والكرامة.

فقال: «**والّذي بعثني بالحقِّ، ما أخّرتُكَ إلّا لنفسِي، فأنتَ عندي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى ووارثي**».

فقال: يا رسولَ اللهِ! ما أرثُ منك؟

قال: «**ما ورّثتِ[١] الأنبياءُ**».

قال: وما ورّثتِ[٢] الأنبياءُ قبلك؟

قال: «**كتابُ اللهِ وسُنَّة نبيِّهم، وأنتَ معي في قصري في الجنّة، مع فاطمة ابنتي، وأنتَ أخي ورفيقي**»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ۝٤٧﴾ [الحجر]، الأخلاء في الله ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ[٣].

• **عن عبد الرحمٰن بن عوف** قال: قال لي عمر: ألسنا كُنّا نقرأُ فيما نقرأ: ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَـٰادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]، في آخر الزمان كما جاهدتم في أوله.

---

(١) في الأصل الفارسي: «ما أورثت». (٢) في الأصل الفارسي: «ما أورثت».

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٨) واللفظ له، و«المعجم الكبير»، للطبراني (٥/ ١٦٠).

قلتُ: بلى، فمتى هذا يا أمير المؤمنين؟

قال: إذا كانت بنو أمية الأمراء، وبنو المغيرة الوزراء[١].

● **عن محمد بن زيد** بن عبد الله بن عمر قال: قرأ عمرُ بنُ الخطّاب هذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨]، ثم قال: ادعوا لي رجلاً من بني مُدْلجٍ.

قال عمر: ما الحرجُ فيكم؟

قال: الضِّيقُ[٢].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨١).

آيات سورة المؤمنون

• قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

• وقال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾ [المؤمنون].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ سورةَ «المؤمنون» مكيةٌ، ولمّا وصف الله المؤمنين بصفات كذا وكذا، وكانت هذه الصفات موجودةً في المؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين، بل كانوا مشهورين بهذه الصفات، وأثبت لهذه الجماعة الصلاحَ، ومسارعتهم في الخيرات ووعدهم بالجنَّة، ظهر تعريضٌ بفضائل الجماعة الخاصّة ممّن يدخل فيهم الخلفاء، وهو المقصود.

• **وأخرج الترمذي** عن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، فَأُنْزِلَ عَلَيْهِ يَوْماً، فَمَكَثْنَا سَاعَةً، فَسُرِّيَ عَنْهُ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ**

زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْطِنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَأَرْضِنَا وَارْضَ عَنَّا»، ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**أُنْزِلَ عَلَيَّ عَشْرُ آيَاتٍ، مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ①﴾، حَتَّى خَتَمَ عَشْرَ آيات[١].

عن أبي بكر الصدِّيق قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعوَّذوا باللهِ مِنْ خشوعِ النّفاقِ**».

قالوا: يا رسول الله! وما خشوع النفاق؟

قال: «**خشوعُ البدَنِ، ونفاقُ القَلْبِ**»[٢].

• **عن مجاهد** عن عبد الله بن الزبير أنّه كان يقومُ للصلاة كأنّه عودٌ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يفعل ذلك، وقال مجاهد: هو الخشوعُ في الصّلاةِ[٣].

• **وعن أسماء بنت أبي بكر** عن أم رومان والدة عائشة قالت: رآني أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أتميَّل في صلاتي، فزجرني زجرةً كِدتُّ أنصرفُ من صلاتي، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا قامَ أحدُكُم في الصَّلاةِ فليسكِّنْ أطرافَه، لا يَتَمَيَّلُ تَميُّلَ اليهودِ، فإنَّ سكونَ الأطرافِ في الصلاةِ من تمامِ الصّلاةِ**»[٤].

وعن **قتادة** قال: تسرّت امرأةٌ غلاماً لها، فذكرت لعمرَ رضي الله عنه فسألها: ما حملك على هذا؟

فقالت: كنتُ أرى أنّه يحلّ لي ما يحلُّ للرجل من مِلْكِ اليمين.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣١٧٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٤).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٥).

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٥).

فاستشار عمر رضي الله عنه فيها أصحابَ النبيِّ ﷺ فقالوا: تأوَّلت كتابَ اللهِ غيرَ تأويله.

فقال عمر: لا جرمَ، واللهِ لا أُحِلُّكِ لحرٍّ بعدَه أبداً، كأنه عاقبها بذلك، ودرأ الحدَّ عنها، وأمرَ العبدَ أن لا يقربها(١).

• وعن **صالح أبي الخليل** قال: نزلت هذه الآية على النبيِّ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، قال عمر: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون]، فقال: والذي نفسي بيده، إنها ختمت بالذي تكلَّمت يا عمر(٢).

• وعن **الحسن** أنّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه أُتي بفروة كسرى فوضعت بين يديه، وفي القوم سُراقةُ بنُ مالك، فأخذ عمرُ سواريه، فرمى بهما إلى سُراقة، فأخذهما، فجعلهما في يديه، فبلغتا منكبيه فقال: الحمد لله سوارا كسرى بن هرمز في يدي سُراقة بن مالك بن جُعْشُم، أَعرابيٌّ من بني مدلج، ثم قال: اللَّهُمَّ إنِّي قد علمتُ أنَّ رسولَكَ قد كان حريصاً على أن يصيبَ مالاً ينفقه في سبيلك وعلى عبادك، فزويتَ عنه ذلك، نظراً منك وخياراً، اللَّهُمَّ إني أعوذُ بكَ أن يكونَ هذا مكراً منك بعمرَ، ثم تلا: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون](٣).

• وعن **عمر بن الخطاب**، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**كلُّ سببٍ**

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ١٩٢).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢١١).

ونسبٍ منقطعٌ يومَ القيامةِ إلّا سببي ونسبي»[١].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** ﷺ أنه قال للنبيِّ ﷺ: علِّمني دعاءً أدعو به في صلاتي.

قال: «**قل: اللَّهُمَّ إنِّي ظلمتُ نفسِي ظُلْماً كثيراً، ولا يغفِرُ الذنوبَ إلّا أنتَ، فاغفر لي مغفرةً من عندِكَ، وارحمني إنّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمُ»**[٢].

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٥/ ١٨٠).

(٢) انظر: «مسند أبي بكر الصدِّيق»، لأحمد بن علي المروزي (١/ ٧٥).

آيات سورة النور

• **قال الله تعالى** في قصة براءة عائشة رضي الله عنها: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: في كلمة ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ تعريضٌ ظاهر بأبي بكر الصدِّيق بشهادة السياق والسباق وسبب النزول، والظاهرُ أنَّ المرادَ بالفضل هو الفضلُ في الدين، لئلا يلزم التكرار، بل النهي خاصّ بالمحسنين، لو أنّ شخصاً آلَمَ شخصاً آخر بغير حقّ، فأمسك الآخرُ عن إنفاقِ ماله عليه لا يأثمُ بالاتفاق، فالمراد هنا هو النهي باعتبار منزلة المحسنين.

وكلمة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ﴾ [النور: ٢٦] فيها داخل: النبيّ ﷺ وأبو بكر الصدِّيق وعائشة وصفوان بن مُعَطِّل كلّهم، ودخول عائشة وصفوان ظاهر لا يخفى، وأما دخول النبي ﷺ وأبي بكر الصدِّيق فذلك بسبب أنه لو تحقّق هذا الإفك ـ لا قدّر الله ـ بأي شكل لكان ذلك عيباً وعاراً على النبي ﷺ من جهة نسبة الزوجية، وعلى الصديق من جهة نسبة الأبوة والولادة.

• **قال الله تعالى**: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ في إثبات خلافة الخلفاء، وأما

التأويلات البعيدة من أهل الأهواء ـ أي: الشيعة ـ فإنّها واد لا تنقذهم من واد العصيان الذي دخلوا فيه، كما قد فصّلنا ذلك في الفصل الثالث.

• **عن حارثة بن مضرّب** قال: كتب إلينا عمرُ بنُ الخطّاب أن تعلَّموا سورة النساء والأحزاب والنور.

• **وعن ابن عمر**[١] عن النبيِّ ﷺ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوا۟﴾ [النور: ٥] قال: «**توبتُهم إكذابُهم أنفسَهم، فإن كذَّبوا أنفسَهم قُبِلَتْ شهادتُهم**»[٢].

• **وعن سعيد بن المسيَّب** قال: شهدتُ عمرَ بن الخطاب حين جلدَ قذفةَ المغيرة بن شعبة، منهم: أبو بكرة، وماتع، وشبل، ثم دعا أبا بكرة فقال: إن تكذّبْ نفسَك تَجُزْ شهادتُك، فأبى أن يكذِّبَ نفسَه، ولم يكن عمرُ يجيزُ شهادتهما حتّى هلكا، فذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ وتوبتهم إكذابُهم أنفسَهم[٣].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: لا يجتمع المتلاعنان أبداً[٤].

• **وعن عائشة** رضي الله عنها قالت: أَنْزَلَ اللهُ عُذري، وكادتِ الأمةُ تهلك في سببي، فلمّا سُرِّي عن رسول الله ﷺ، وعرجَ المَلَكُ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**اذهبْ إلى ابنتِك، فأخبرْهَا أنَّ الله قد أنزلَ عُذْرَها من السماءِ**».

قالت: فأتاني أبي وهو يعدو يكاد أن يعثر، فقال: أبشري يا بنية بأبي وأمي، فإنّ الله قد أنزلَ عذرَك.

---

(١) في الأصل الفارسي: «عن عمر» وهو غير صحيح، والصواب ما أثبتناه في صلب الكتاب.
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٤٠).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٤١).
(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٧/ ١١٢) برقم: (١٢٤٣٣).

قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك الذي أرسلك، ثم دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ، فتناول ذراعي فقال بيده[١] هكذا، فأخذ أبو بكر النعلَ ليعلوني بها، فمنعته أمي، فضحك رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**أقسمتُ لا تفعل**»[٢].

• **وعن عائشة** أنه لما نزل عذرُها قبَّل أبو بكر رأسَها فقالت: ألا عذرتني؟ فقال: أيُّ سماءٍ تظلُّني، وأيُّ أرضٍ تقلُّني إن قلتُ ما لا أعلمُ[٣].

• **وعن قتادة** في قوله: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ**﴾ [النور: ٢٢] قال: نزلت هذه الآيةُ في رجل من قريش يقال له: مِسْطَح، كان بينه وبين أبي بكر قرابةٌ، وكان يتيماً في حِجْره، وكان ممّن أذاعَ على عائشة ما أذاع، فلما أنزل الله براءتها وعُذرها، تألَّى أبو بكر لا يرزؤه خيراً[٤]، فأنزل الله هذه الآية، فذكر لنا أن نبيَّ الله ﷺ دعا أبا بكر، فتلاها عليه فقال: «**ألا تحبُّ أن يغفرَ اللهُ لكَ؟**» قال: بلى، قال: «**فاعفُ عنه وتجاوز**»، فقال أبو بكر: لا جرم، واللهِ لا أمنعه معروفاً كنتُ أوليه قبل اليوم[٥].

وقد رُوي ذلك عن جماعة، منهم عائشة وابن عمر وابن عباس والحسن ومحمد بن سيرين وغيرهم.

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح

---

(١) في الأصل الفارسي: «فقلت بيده».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١)، و«فتح القدير» (٧/ ٤٢٤).
(٤) قوله: «لا يرزؤه خيراً»؛ أي: لا يصيبه خيراً.
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٧١).

يُنْجِزْ لكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢][١].

• **وعن قتادة** قال: ذُكِرَ لنا أنَّ عمر بن الخطاب قال: ما رأيتُ كرجل لم يلتمس الغنى في الباءة، وقد وعده الله فيها ما وعده، فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٢].

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: ابتغوا الغنى في الباءة، وفي لفظ: اطلبوا الفضل في الباءة وتلا: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[٣].

• **وعن أنس بن مالك** قال: سألني سيرين المكاتبة، فأبيتُ عليه، فأتى عمر بن الخطاب، فأقبل عليَّ بالدِّرة وقال: كاتبه وتلا: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣] فكاتبته[٤].

• **وعن عمر** أنه كاتب عبداً له يكنى أبا أمية، فجاء بنجمه حين حلَّ قال: يا أبا أمية! اذهب فاستعن به في مكاتبتك قال: يا أمير المؤمنين! لو تركت حتى يكون من آخر نجم، قال: أخافُ أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣][٥].

• **وعن السدِّي** قال: كان لعبد الله بن أُبيّ جاريةٌ تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيفٌ أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثواب منه والكرامة له، فأقبلت الجاريةُ إلى أبي بكر، فشكت ذلك إليه، فذكره أبو بكر للنبيِّ ﷺ فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أُبيّ: مَنْ يعذرنا من محمّدٍ، يغلبنا على مماليكنا؟ فنزلت الآية: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣][٦].

• **أخرج الترمذي** عَنْ **عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

(١) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٢) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٣) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٢).
(٤) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٣).
(٥) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٤).
(٦) المصدر نفسه (٧/ ٢٩٥).

«**كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**»[١].

• **عن شريك بن نملة** قال: ضِفْتُ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه ليلةً، فأطعمني كسوراً من رأس بعير بارد، وأطعمنا زيتاً، وقال: هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيِّه[٢].

• **عن أبي العالية** قال: كان النبيُّ ﷺ وأصحابه بمكة نحواً من عشر سنين يدعون إلى الله وحده، وعبادته وحده لا شريك له سرّاً، وهم خائفون، لا يؤمرون بالقتال، حتى أمروا بالهجرة إلى المدينة، فقدموا المدينة، فأمرهم الله بالقتال وكانوا بها خائفين، يمسون في السلاح، ويصبحون في السلاح، فغبروا بذلك ما شاء الله.

ثم إنّ رجلاً من أصحابه قال: يا رسول الله! أبد الدهر نحن خائفون هكذا، أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع فيه السلاح؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لن تغبروا إلا قليلاً حتى يجلسَ الرجلُ منكم في الملأ العظيم محتبياً ليست فيهم جديدةٌ**»[٣]، فأنزل الله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥] إلى آخر الآية، فأظهر الله نبيَّه على جزيرة العرب، فأمنوا ووضعوا السلاح، ثم إن الله قبض نبيَّه، فكانوا كذلك آمنين في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا، وكفروا النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفع عنهم، واتخذوا الحجر والشرط، وغيّروا فغيّر ما بهم[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٨٥١).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٠٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «حديدة»، وهو الصواب.
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣١٧).

آيات سورة الفرقان

• قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: جرت من سُنَّة الله في القرآن العظيم أنه ﷻ يقارن بين أهل النجاة وأهل الضلال في كلّ موضع، ويذكر صفاتِ كلا الفريقين فيوعد **أحدهما** ـ أي: أهل الضلال ـ بعذاب أليم ويبشِّر **الآخر** ـ أي: أهل النجاة ـ بنعيم مقيم، ولا يكتفي في ذكر أوصافهما بالفرض والاحتمال، بل يذكر الأوصاف التي وجدت فيهم بالفعل واشتهروا بها، ولا يذكر من شبهات الكفار إلا ما يتذاكرون به في مجالسهم ونواديهم، ويتفوَّهون به، ولا يعتني بالسؤالات المقدّرة

والاحتمالات البعيدة؛ كالصور المحتملة غير الواقعة في مسائل أحكام النكاح والطلاق المذكورة في كتب الفقه.

وإذا فهمت هذا الأصل فاعلم أن الله تعالى يبيِّن في سورة الفرقان شبهات الكفّار وأخلاقهم الطبعية، مع ذكر عاقبتهم وجزائهم وقطع مادة كل إشكال بالردّ القاطع.

وبعد ذلك يذكر صفات عباد الله المقربين ويكتفي هنالك أيضاً بالصفات الثابتة المشهورة في الأشخاص الموجودين يومئذ، ليكون تعريضاً مع الدلالة العامّة بالحاضرين.

• **وقوله تعالى:** ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ...﴾، هذه الصفات كلها حلم ووقارٌ بالنسبة إلى الجاهلين.

وهذه الصفات هي: ١ ـ المواظبة على صلاة الليل، ٢ ـ والخشية من عذاب الآخرة، ٣ ـ والاستعاذة بالله من العذاب، ٤ ـ والاقتصاد في إنفاق الأموال، ٥ ـ وعبادة الله وحده، ٦ ـ وترك قتل النفس بغير حق، ٧ ـ واجتناب الزنا، ٨ ـ والاحتراز عن حضور مجالس الزور، ٩ ـ والتدبر عند استماع آيات الله، ١٠ ـ والدعاء إلى الله أن يجعل قرة العين في الأزواج والأولاد، ويعد الله لهم الغرفةَ التي هي أعظمُ درجةٍ في الجنّة، ومعلوم أنه لم يكن إذ ذاك أحد من المسلمين إلا المؤمنين الأولين من المهاجرين والأنصار، وناهيك بها من فضيلة.

• **أخرج مالك والشيخان عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ** قال: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكِدتُّ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ، فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ.

قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.

فَقُلْتُ: كَذَبْتَ، أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا.

فَقَالَ: «**أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ!**»

فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ**».

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اقْرَأْ يَا عُمَرُ!**»

فَقَرَأْتُ الَّتِي أَقْرَأَنِي.

فَقَالَ: «**كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**»[١].

● **عن عبد الله بن المغيرة** قال: سئل عمر بن الخطاب عن ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، فقال: ما أراكم إلّا وقد عرفتم النسب، وأما الصهر فالأَخْتان والصحابة[٢].

● **وعن الحسن** أنّ عمر أطال صلاةَ الضُّحى فقيل له: صنعت اليوم شيئاً لم تكن تصنعه، فقال: إنّه بقي عليَّ من وِرْدي شيءٌ، وأحببتُ أن أتمَّه، أو قال: أقضيَه، وتلا هذه الآية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً . . .﴾ [الفرقان: ٦٢][٣].

● **وعن عمر بن الخطاب** أنّه رأى غلاماً يتبختر في مشيته، فقال:

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٥٥٠).

(٢) انظر: «فتح القدير» (٥/ ٢٨٦)، قوله: «الأختان» جمع خَتَنٍ: كل من كان من قبل المرأة، مثل الأب والأخ، وختن الرجل عند العامة: زوج ابنته. «المصباح المنير» (١/ ٨٨).

(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٦٨).

إنَّ البخترة[١] مشيةٌ تُكْرَهُ إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواماً فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] فاقصد في مِشْيَتِكَ[٢].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «التبخترية».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٣٦٩).

آيات سورة الشعراء

• قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد ذكر الله تعالى في سورة الشعراء قصّة سبعة أنبياء، ثم أثبت نزول القرآن على قلب النبيِّ ﷺ من الحق تبارك وتعالى بواسطة جبريل، وذكر أحقّيته بأن علماء أهل الكتاب يعرفونه أحقّيته بسبب ذكره في زُبُرِ الأولين.

ثم يُبيِّن فائدة نزول القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين، لا على شخص عجمي بلسان عجمي بقوله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ﴾ إلخ [الشعراء: ١٩٨]، ثم يبيّن أنّ الإنكار قد استحكم في قلوب أهل الشقاق والعناد بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ﴾ إلخ [الشعراء: ٢٠٠]، ثمّ يؤكِّد أحقّية القرآن بأنه ليس من إلقاء الشياطين، **وذلك من وجهين**:

الأول: أن الشياطين عاجزون عن الوصول إلى الملأ الأعلى الذي هو محلّ انعقاد الأحكام الإلـهية لمصالح جمهور بني آدم.

والثاني: أن سُنَّة الله الجارية، أن إلقاء الشياطين لا يكون إلا على النفوس الدنيئة الخبيثة، إذ إن المناسبة والعلاقة لا بدّ أن تكون بين المفيد والمستفيد، إذ إنها شرط من شروط الإفادة والاستفادة، ونفس النبي ﷺ من النفوس العالية القدسية بل هي في غاية القداسة والطهارة في الأعمال والأخلاق، وأيضاً أن القرآن ليس من الشعر في شيء، إذ إن الشعراء

دأبهم الإفراط في المدح والهجو والتشبيب وأمثالها في الغالب، وليس لهم عناية وعلاقة بإصلاح الأخلاق والأعمال وهداية الخلق، والمراد هنا في كل مسألة هو إصلاح الأخلاق والأعمال كما لا يخفى، وقال الله تعالى ضمن ذلك التوضيح والتقرير: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلخ [الشعراء: ٢١٣]؛ يعني: اثبُت على توحيد العبادة لله واستقم، وقم بفريضة الإنذار مع عشيرتك الأقربين بصفة خاصة، واختر جانب التواضع للذين اتبعوك من المؤمنين، وإن عصتك أمة الدعوة من الكفار والمشركين فتوكَّل على الله ولا يتأثر قلبُك بغبارِ التشويش من إنكارهم.

ثم يقول الفقير: يأمر الله تعالى نبيَّه ﷺ بخفض الجناح للذين اتبعوه من المؤمنين، وهذه السورة مكية بلا ريب، والذين آمنوا يوم ذاك واتبعوا النبيَّ ﷺ ليسوا إلا السابقين المؤمنين من المهاجرين الأولين، وناهيك به من فضيلة.

• **عن ابن عباس:** ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، قال: أبو بكر، وعمر، وعلي، وعبد الله بن رواحة[١].

• **ورُوي من طرق متعددة أن** حسّان بن ثابت لما استأذن النبي ﷺ في هجاء قريش، فقال: «**اذهبْ إلى أبي بَكْرٍ، فليحدِّثْك حديثَ القَوْمِ، وأيامَهم، وأحسابَهم**»[٢].

• **عن عائشة** قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمنُ الكافِرُ، ويتّقي الفاجِرُ، ويَصْدُقُ الكاذِبُ، أنّي استخلفتُ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢١).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢٢).

عليكم عمرَ بنَ الخطّاب، فإن يعدِلْ فذلك ظنّي به، ورجائي فيه، وإن يجُرْ ويبدّلْ فلا أعلمُ الغيب: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء][1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٢٤).

آيات سورة النمل

• **قال الله تعالى**: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: لقد ذكر الله تعالى في سورة النمل هلاك ثمود وقوم لوط بكفرهم وطغيانهم، ثم قال بعد ذلك: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾؛ يعني: الحمد لله على نصره الأنبياء وإهلاك الأشقياء، وسلام على عباده الذين اصطفى من آفات الدنيا والآخرة، ولاصطفاء الله لعباده درجات، ومن أعظم درجاته ـ على الإطلاق ـ اصطفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على سائر الخلق، ثم جماعةٍ من المؤمنين الذين اصطفاهم الله لإعلاء كلمته، ونصر رسله، وهم المؤمنون السابقون، ويشمل معنى الاصطفاء جميع الأمة المرحومة من وجه.

• **قال الله تعالى**: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، يدلّ ظاهر الآية على أنّ المراد هم المؤمنون السابقون الذين بذلوا المساعي الجميلة لإعلاء كلمة الحق، في مقابلة الأشقياء الذين حاولوا إعلاء كلمة الكفر، ولذلك فسَّره أكثر المفسِّرين بأصحاب النبي ﷺ، فتلك منقبة عظيمة على هذا التقدير للمؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين.

• **عن ابن عباس** في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾ [النمل: ٥٩]، قال: هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيّه[1].

• **وعن سفيان الثوري** في قوله: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ﴾، قال: نزلت في أصحاب محمد ﷺ خاصة[2].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٥٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٥٠).

آيات سورة القصص

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: إنّ موسى عليه السلام لما ورد ماء مَدْيَن وجد عليه أمةً من الناس يسقون، فلمّا فرغوا، أعادوا الصخرة على البئر، ولا يطيق رفعها إلا عشرةُ رجال، فإذا هو بامرأتين: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص: ٢٣]، فحدَّثتاه، فأتى الصخرةَ فرفعَها وحدَه، ثم استسقى، فلم يستق إلا دلواً[1] واحداً حتى رويت الغنم، فرجعت المرأتان إلى أبيهما فحدَّثتاه، وتولَّى موسى عليه السلام إلى الظلّ: ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ [القصص]، قال: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، واضعةً ثوبَها على وجهها، ليست بِسَلْفَع من الناس خرَّاجة ولَّاجة ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فقام معها موسى عليه السلام فقال لها: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف جسدك، فلما انتهى إلى أبيها قصّ عليه القصص: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ۝٢٦﴾ [القصص]، قال: يا بنية ما علمك بأمانته وقوته؟

قالت: أما قوّته: فرفعه الحجر، ولا يطيقه إلا عشرة رجال، وأمّا أمانته، فقال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، فإني أكره أن تصيبَ الريحُ ثيابكِ، فتصفَ لي جسدك، فزاده ذلك رغبة فيه: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ﴾، إلى قوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾ [القصص]؛ أي: في حُسن الصحبة والوفاء بما قلت.

(١) في الأصل الفارسي: «ذنوباً».

قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ... ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

قال: نعم، قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص] فزوّجه وأقام معه يكفيه، ويعمل له في رعاية غنمه، وما يحتاج إليه، وزوّجه صفوراً، وأختها شرفاً، وهما اللتان كانتا تذودان[1].

● **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في قوله: ﴿تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، قال: جاءت مستترة بكُمّ دِرْعِها على وجهها[2].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٨٣).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٤٨٥).

آيات سورة العنكبوت

• قال الله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٦٠﴾ [العنكبوت].

يقول الفقير: في هذه الآية أمرٌ بالهجرة من دار الكفر، وبشارةٌ بالجنة للذين صبروا على شدائد الهجرة والجهاد وغيرهما من أمور الدين وتوكّلوا على الله، وتشجيعٌ للمؤمنين على الهجرة، وتركُ أسبابِ المعيشة، ممّا يوفّره الإنسان في وطنه، وتذكيرٌ لهم بحال الدوابّ التي ليس من طبيعتها ادّخار القوت والزراعة والتجارة، ورغم ذلك فإنَّ الله يوصل الرزق إلى كلِّ مَنْ خلقَه.

يقول الفقير: لقد ثبت بنقلٍ متواترٍ بحيث لا مجال للشبهة فيه أنَّ جماعةَ السابقين من المؤمنين قد هاجروا وصبروا على مشاقّ الهجرة والجهاد، وتركوا أسباب المعيشة التي تيسرت لهم في مكة ابتغاءً لوجه الله وقد ظهرت منهم أنواع من أعمال الخير والصلاح، فثبت لهم وعد الغرفة التي هي من أعلى درجات الجنّة، وهو المقصود.

• عن الشعبي رضي الله عنه، في قوله: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٢]، قال: أنزلت في أناس بمكة قد أقرّوا بالإِسلام، فكتب إليهم أصحاب رسول الله ﷺ من المدينة لما نزلت آية الهجرة: إنه لا يُقبل منكم إقرار ولا إسلام حتى تُهاجِروا قال: فخرجوا عامدين إلى المدينة،

فاتبعهم المشركون فردُّوهم، فنزلت فيهم هذه الآية، فكتبوا إليهم أنه قد نزلت فيكم آية كذا وكذا، فقالوا: نخرج فإن اتبعنا أحد قاتلناه، فخرجوا، فاتبعهم المشركون، فقاتلوهم، فمنهم من قتل ومنهم من نجا، فأنزل الله فيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل][١].

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وسمية أم عمّار، وعمّار، وصُهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمِّه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأمّا سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلالاً؛ فإنّه هانت عليه نفسُه في الله، وهان على قومه، فأخذوه فأعطوه الوِلْدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[٢].

• **عن أنس** رضي الله عنه قال: أوّلُ من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله عثمان بن عفان، فقال النبيّ ﷺ: «**صَحِبَهُما اللهُ، إنَّ عثمانَ لأوَّلُ مَنْ هاجرَ إلى اللهِ بأهلِهِ بعدَ لوطٍ**».

• **عن أسماء بنت أبي بكر** رضي الله عنهما قالت: هاجر عثمانُ إلى الحبشة فقال النبي ﷺ: «**إنَّه أوَّلُ مَنْ هاجَرَ بعدَ إبراهيمَ ولوطٍ**».

• **عن زيد بن ثابت** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما كان بين عثمانَ ورقيةَ وبين لوطٍ من مهاجر**».

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أوَّلُ مَنْ هاجر إلى رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٣).

(٢) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١٥٠)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٤).

عثمان بن عفان، كما هاجَرَ لوطٌ إلى إبراهيم[١].

• **عن علي** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«دخلتُ أنا وأبو بكر الغارَ، فاجتمعتِ العنكبوتُ، فنسجتْ بالبابِ، فلا تقتلوهنَّ»**[٢].

• **عن أبي قلابة**: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ برجل يقرأ كتاباً، فاستمعه ساعة، فاستحسنه، فقال للرجلِ: اكتب لي من هذا الكتابِ قال: نعم، فاشترى أديماً، فهيَّأه، ثم جاء به إليه، فنسخ له في ظهره وبطنه، ثم أتى النبيَّ ﷺ، فجعل يقرأه عليه، وجعل وَجْهُ رسولِ اللهِ ﷺ يتلوَّن، فضربَ رجلٌ من الأنصارِ بيده الكتاب، وقال: ثَكِلَتْكَ أمُّكَ يا ابنَ الخطّاب! أما ترى وَجْهَ رسولِ اللهِ ﷺ منذ اليوم وأنت تقرأُ عليه هذا الكتابَ؟

فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: **«إنَّما بُعِثْتُ فاتِحاً وخَاتِماً، وأُعْطِيتُ جوامعَ الكَلِمِ وفواتِحَهُ، واخْتُصِرَ لِيَ الحديثُ اخْتِصَاراً، فلا يُهْلِكَنَّكُم المُتَهَوِّكُونَ»**[٣].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٣).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٧).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٥) واللفظ له، و«مصنف عبد الرزاق» (٦/ ١١٢)، و«شعب الإيمان»، للبيهقي (١١/ ١٩٤).

آيات سورة الروم

• **قال الله تعالى**: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم].

قد اختلف القرّاء في هذا الموضع، فقرأت جماعةٌ (غَلَبَتْ) بصيغة المعروف و(سَيُغْلَبُونَ)، بصيغة المجهول، وذهبت جماعةٌ أخرى إلى قراءة ﴿غُلِبَتِ﴾ بصيغة المجهول و﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾، بصيغة المعروف، وفي القراءة الأولى بشارة للمؤمنين بأنهم سيفتحون الروم، وهذا لم يقع في زمن النبي ﷺ، بل وقع في زمن الشيخين، وإنجاز المواعيد الإلـٰهية على يد الخليفة من لوازم الخلافة الخاصة.

• **أخرج الترمذي والحاكم عَن ابْن عباس** فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾، قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ، كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ الْأَوْثَانِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، فَذَكَرُوهُ لِأَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ**»، فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلاً، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا، فَجَعَلَ أَجَلاً خَمْسَ سِنِينَ فَلَمْ يَظْهَرُوا فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونَ**» قَالَ: «**أُرَاهُ الْعَشْرَ**».

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: وَالْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ قَالَ: ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ،

قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿...وَيَوْمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾، قَالَ سُفْيَانُ: سَمِعْتُ أَنَّهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ[١].

ولهذا الحديث طرق متعددة مستفيضة، عن ابن مسعود، والبراء بن عازب، ودينار بن مكرم الأسلمي، ورواه أيضاً مرسَلاً الزهري وقتادة وعكرمة.

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال عمر رضي الله عنه: أمّا «الحمد» فقد عرفناه، فقد يحمد الخلائق بعضهم بعضاً، وأمّا «لا إلـه إلا الله» فقد عرفناها، فقد عبدت الآلهة من دون الله، وأمّا «الله أكبر» فقد يكبِّر المصلي، وأما «سبحان الله» فما هو؟

فقال رجلٌ من القوم: الله أعلم!

فقال عمر رضي الله عنه: قد شقي عمر إن لم يكن يعلم أن الله يعلم.

فقال علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين اسمٌ ممنوع أن ينتحله أحدٌ من الخلائق، وإليه يفزع[٢] الخلق، وأحبّ أن يقال له.

فقال: هو كذاك[٣].

• **أخرج مسلم عن أنس بن مالك:** أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً، ثم أتاهم، فقام عليهم فناداهم فقال: «**يا أبا جهلِ بنِ هشام، يا أميةَ بنَ خلفٍ، يا عتبةَ بنَ ربيعةَ، يا شَيْبَةَ بنَ ربيعةَ، أليسَ قد وجدتّم ما وعدَ ربُّكم حقاً؟ فإنّي قد وجدتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حقّاً**».

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣١٩٣) واللفظ له، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٤٥) برقم: (٣٤٤٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «مفزع».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٦١).

فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يسمعوا، وأنَّى يجيبوا وقد جيّفوا؟

قال: «**والذي نفسي بيدِهِ ما أنتُم بأسمعَ لما أقولُ مِنْهُم، ولكنّهم لا يقدرون أن يجيبوا**»[(١)].

ورُوي مثله عن ابن عمر.

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٧٧٤).

آيات سورة لقمان

• قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾ [لقمان].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيِّن الله تعالى في سورة لقمان تبايُنَ مراتبِ السعداء والأشقياء، ولا بدّ أن يكون كلا الفريقين موجوداً عند نزول السورة، وهذه من السور المكية، فأثبت لأحدهما الإحسانَ، والصفة الكاشفة له هي إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإيمان بالآخرة، وبيَّن أنّ القرآن هدىً ورحمةً لهم، وبشّرهم بالفلاح والجنّة.

ويصف الآخرَ باشتراء لهو الحديث، والإضلال، والاستهزاء بآيات الله، والاستكبار عن القرآن.

ثم يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ في هذه الآيات تشريفاً عظيماً للمؤمنين السابقين من المهاجرين الأولين، والذين كانوا متّصفين بنعمة الإسلام، ومعارضة الكفّار عند نزول سورة لقمان، وناهيك به من فضيلة.

❊ ❊ ❊

آيات سورة السجدة

• قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ المراد بالكتاب الأوّل هو التوراة، وبالكتاب الثاني هو القرآن العظيم، وهنا صَنعةُ الاستخدامِ[1] التي هي فنٌّ من فنون البديع، ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

يقول الفقير: لقد ذكر الله تعالى في أول الكلام المؤمنين الكاملين بقوله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟...﴾ [السجدة: ١٥]، ثم بيّن الفرق بين معاد هذه الجماعة ومعاد التي هي بإزائها، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾﴾ [السجدة].

ثم شبّه حال النبيِّ ﷺ بحال موسى بأنا آتينا موسى التوراة من قبل ذلك، وجعلناه سبباً لهداية بني إسرائيل، فإذا آتيتك يا محمد! القرآن من بعده، وجعلته سبباً لهداية الأمة المرحومة، فلا استبعاد في ذلك، وجعلنا طائفة من بني إسرائيل أئمة حين صلحوا للإمامة من أجل صبرهم على شدائد الجهاد، ومخاصمة الكفار، وقوة اليقين، فإذا جعلنا اليوم جماعة من المؤمنين الكاملين من أمتك أئمةً، وهدينا بهم العالم، فليس هذا مبعثَ استغراب بأي صورة.

---

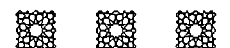
(١) **الاستخدام**: هو أن يراد بلفظ له معنيان **أحدهما**، ثم بضميره معناه **الآخر**، أو يراد بأحد ضميريه معنى وبالآخر الآخر؛ كقول الشاعر:

إذا نزلَ السماءُ بأرضِ قومٍ ... رعيناه وإنْ كانوا غِضَابا

أراد بالسماء الغيثَ وبضميرها النبتَ. انظر: «الإيضاح في علوم البلاغة» (ص٣٣٢).

وفي هذه الآيةِ إشارةٌ خفيّةٌ بحسب السياق إلى أنّ طائفة من الأمة المرحومة تكون أئمة، ـ ولكن لا يدرك هذه النكتة إلا من رُزِقَ نظراً ثاقباً وفكراً عميقاً ـ:

تذرو حسن دارد آشيان در هر بُنِ خاري
ولے هر ديده كے بيند شكار چشم بازاست اين



آيات سورة الأحزاب

• قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: نزلت هذه الآيةُ في قصّة الأحزاب، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾؛ يعني: أخبر النبي ﷺ من قبل بأنّ المسلمين يتحمّلون شدائد ومصائب على أيدي الكفار أياماً، ثمّ يكون الفتح والنصر نصيبهم، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، لمّا رأى المؤمنون اجتماع الكفار أيقنوا أنَّ النصفَ من موعودِ الله قد أُنْجِزَ، واستحكم في قلوبهم عَمَلُ النصف الثاني منه.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾؛ يعني: قد عاهد المحقِّقون من المؤمنين الله ﷻ على أنّهم يسعون لإعلاء كلمة الله سعياً جميلاً، ويثبتون في مواقع الحرب، فقامت طائفة منهم بإنجاز ما عاهدت الله عليه، وبلغ الكتاب أجله؛ يعني: استشهدوا في سبيل الله، أو لم يكن لهم نصيب مما وقع غير إعلاء كلمة الله، ولو كانوا على قيد الحياة، وطائفة أخرى منهم تنتظر الآن ـ مرة ثانيةً ـ فرصةَ إعلاءِ كلمة الله تعالى؛ يعني: يعيشون بعد النبيِّ ﷺ، ويبلون بلاءً حسناً من بعد وفاته ﷺ في إعلاء كلمة الله لإنجازه.

ثم يقول الفقير: إنّ في هذه الآية تشريفاً عظيماً للذين استقاموا في

غزوة الأحزاب ظاهراً وباطناً، وبذلوا أقصى مجهوداتهم في الجهاد، ولا شكّ أنّ الخلفاء كانوا من هذه الجماعة المباركة السعيدة، وفيه إشارة خفية إلى أنَّ هناك بعضَ أمورٍ مهمّةٍ تنتظر الوقوعَ، ويظهر فيها من طائفة سعي بليغ وجهد جميل.

• **أخرج البخاري ومسلم** عن **ابن عباس** أنّ عمر قام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس! لا تُخْدَعُنَّ عن آيةِ الرَّجم، فإنَّها قد نزلت[1] في كتاب الله ﷻ، وقرأناها، ولكنّها ذهبت في قرآنٍ كثير ذهب مع محمد ﷺ، وآيةُ ذلكَ أنَّه ﷺ قد رجم، وأنَّ أبا بكر قد رجم، ورجمتُ بعدهما، وإنّه سيجيءُ قومٌ من هذه الأمة يكذِّبون بالرجم[2].

وروي ذلك عن عبد الرحمٰن بن عوف، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم.

• **عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني** عن أبيه عن جده قال: خطَّ رسولُ اللهِ ﷺ الخندقَ عام الأحزاب، فخرجت لنا من الخندق صخرةٌ بيضاءُ مدوّرة، فكسرتْ حديدنا، وشقَّت علينا، فشكونا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأخذ المِعْوَل من سلمان، فضربَ الصخرَةَ ضربة صدعها، وبرقت منها برقةٌ أضاءت ما بين لابتي المدينة، حتّى لكأنّ مصباحاً في جوف ليل مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ، وكبَّر المسلمون، ثم

---

(١) في الأصل الفارسي: «أنزلت» وكذا في «كنز العمال» (٥/ ٤٣١).

(٢) البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) ولفظه فيهما: «إنَّ اللهَ بعثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ، وأنزلَ عليه الكتابَ، فكانَ مما أَنْزَلَ اللهُ آيةَ الرَّجْم، فَقَرَأْناها وعَقَلْناها ووعيناها. رجمَ رسولُ الله ﷺ ورجمنا معه، فأخشى إنْ طالَ بالنَاس زمانٌ أنْ يقولَ قائلٌ: ما نجدُ آيةَ الرَّجمِ في كتابِ اللهِ، فيَضِلّوا بتركِ فريضةٍ أنزلها الله».

ضربها الثانية، فصدعها، وبرق منها برقةٌ أضاء ما بين لابتيها، فكبَّر وكبَّر المسلمون، ثم ضربها الثالثة، فصدعها، وبرق منها برقةٌ أضاء ما بين لابتيها، وكبَّر وكبَّر المسلمون، فسألناه، فقال: «**أضاءَ لي في الأُولى قصورُ الحيرةِ ومدائنُ كسرى كأنَّها أنيابُ الكلابِ، فأخبرني جبريلُ أنَّ أُمّتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءَ لي في الثانيةِ القصورُ الحمرُ من أرضِ الرومِ كأنّها أنيابُ الكلابِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمّتي ظاهرةٌ عليها، وأضاءَ لي في الثالثةِ قصورُ صنعاءَ كأنَّها أنيابُ الكلابِ، وأخبرني جبريلُ أنَّ أُمتي ظاهرةٌ عليها، فأَبْشِرُوا بالنَّصْر**».

فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمدُ للهِ موعدٌ صادقٌ بأنَّ وعدنا النصرَ بعد الحَصْرِ، فطلعتِ الأحزابُ فقال المسلمون: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

وقال المنافقون: ألا تعجبونَ! يحدِّثكم ويعدُكُم، ويُمنِّيكم الباطل، يخبِرُ أنّه يبصِرُ مِنْ يثربَ قصورَ الحيرةِ، ومدائنَ كسرى، وإنّها تُفتَحُ لكم، وإنّكم تحفرونَ الخندقَ، ولا تستطيعونَ أن تبرّزوا، وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الأحزاب][١]، وروي عن البراء بن عازب نحوه.

● **عن قتادة** رضي الله عنه قال: همَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينهى عن الحبرة من صباغ البول[٢]، فقال له رجل: أليس قد رأيت رسول الله ﷺ يلبسها؟ قال عمر رضي الله عنه: بلى، قال الرجل: ألم يقل الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١][٣].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٣٢).
(٢) في الأصل الفارسي: «من صاغ البول».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤٠).

• وعَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أَكَبَّ عَلَى الرُّكْنِ فَقَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ، وَلَوْ لَمْ أَرَ حَبِيبِي ﷺ قَبَّلَكَ وَاسْتَلَمَكَ مَا اسْتَلَمْتُكَ وَلَا قَبَّلْتُكَ، وَ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١].

• وعن **يعلى بن أُمية** ﷺ قال: طفتُ مع عمر ﷺ، فلمّا كنت عند الركن الذي يلي الباب، ممّا يلي الحَجَر، أخذتُ بيده ليستلمَ فقال: ما طفتَ مع رسول الله ﷺ؟

قلتُ: بلى.

قال: فهل رأيته يستلمَه؟

قلت: لا.

قال: ما بَعُدَ عنك[٢]، فإنَّ لك في رسولِ اللهِ أسوة حسنة[٣].

• عن **عيسى بن طلحة** قال: دخلتُ على أم المؤمنين [عائشة] وعائشة بنت طلحة وهي تقول لأمها أسماء: أنا خير منك، وأبي خير من أبيك، فجعلت أسماءُ تشتمُها وتقول: أنت خير مني؟

فقالت عائشةُ ﷺ: ألا أقضيَن بينكما؟

قالت: بلى.

قالت: فإنّ أبا بكر ﷺ دخل على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال له: **«أنتَ عتيقٌ من النار»**[٤]، قالت: فمن يومئذٍ سمّي عتيقاً، ثم دخل طلحةُ ﷺ فقال: **«أنتَ يا طلحةُ ممّن قضى نحبه»**[٥].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٣١).
(٢) في الأصل الفارسي: «فأبعد عنك».
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤١).
(٤) في الأصل الفارسي: «عتيق الله من النار».
(٥) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٤٥).

• **عن جابر** قال: أقبل أبو بكر ﵁ يستأذنُ على رسول الله ﷺ، والناسُ ببابه جلوسٌ، والنبي ﷺ جالسٌ، فلم يؤذن له، [ثم أقبل عمر فاستأذن، فلم يؤذن له]، ثم أُذِنَ لأبي بكر وعمر ﵄، فدخلا، والنبي ﷺ جالسٌ وحوله نساؤه، وهو ساكتٌ، فقال عمر ﵁: لأكلِّمنَّ رسول الله ﷺ لعلَّه يضحك، فقال عمر ﵁: يا رسول الله لو رأيتَ ابنةَ زيدٍ ـ امرأة عمر ـ سألتني النفقةَ آنفاً فوجأتُ عنقها، فضحكَ النبيُّ ﷺ حتى بدا ناجذه، وقال: «**هُنَّ حولي يسألنَنِي النفقةَ**».

فقام أبو بكر ﵁ إلى عائشة ﵂ ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبيَّ ﷺ ما ليس عنده، فنهاهما رسولُ اللهِ ﷺ عن هذا، فقلن نساؤه: واللهِ لا نسألُ رسولَ اللهِ ﷺ بعد هذا المجلس ما ليس عنده، وأنزل الله الخيارَ، فبدأ بعائشةَ ﵂ فقال: «**إنِّي ذاكرٌ لكِ أمراً، ما أحبُّ أنْ تعجَلِي فيه حتَّى تَسْتأمِري أبويكِ**».

قالت: ما هو؟

فتلا عليها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨].

قالت عائشة ﵂: أفيكَ أستأمرُ أبوي؟! بل أختارُ اللهَ ورسولَه، وأسألك أن لا تذكرَ إلى امرأةٍ من نسائِكَ ما اخترتُ.

فقال: «**إنَّ الله لم يبعثني متعنّتاً، وإنّما بعثني معلّماً مبشّراً، لا تسألني امرأةٌ منهنَّ عما اخترتِ إلا أخبرتُها**»[١].

• **عن عمر** قال: استعينوا على النساء بالعُري، إنّ إحداهنَّ إذا كثرت ثيابُها وحسنتْ زينتُها أعجبها الخروجُ[٢].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٥٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٣) برقم: (١٧٧١١).

● **عن معاذ** عن رسول الله ﷺ أنّ رجلاً سأله فقال: أيّ الجهادِ أعظمُ أجراً؟

قال: «**أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً**».

قال: فأيّ الصائمينِ أعظمُ أجراً؟ قال: «**أكثرهم للهِ تبارك وتعالى ذكراً**».

ثم ذكر لنا الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك رسول الله ﷺ يقول: «**أكثرُهم للهِ تبارك وتعالى ذكراً**».

فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: يا أبا حفص ذهبَ الذاكرون بكلِّ خير.

فقال رسول الله ﷺ: «**أجل**»(١).

● **عن مجاهد** رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! ما أنزل الله عليكَ خيراً إلا أشركنا فيه، فنزلت: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣](٢).

● **أخرج الترمذي** وحسّنه **والحاكم** وصحّحه عن **أم هانئ** رضي الله عنها قالت: خطبني النبيُّ ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، وأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] قالت: فلم أُحَلّ له؛ لأني لم أهاجر معه، كنتُ من الطلقاء(٣).

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٥٦١٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٧٥).

(٣) انظر: سنن الترمذي» برقم: (٣٢١٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٥٦) برقم: (٣٥٧٤) واللفظ له.

● **وعن أبي صالح** مولى أم هانىء قال: خطب رسول الله ﷺ أمَّ هانئ بنت أبي طالب فقالت: يا رسولَ اللهِ، إني مؤتمة، وبنيّ صغارٌ، فلما أدرك بنوها عرضتْ عليه نفسَها فقال: «**الآنَ فلا، إنَّ الله تعالى أنزل عليّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ﴾ إلى: ﴿هَاجَرۡنَ مَعَكَ﴾**»، ولم تكن من المهاجرات(١).

● **وعن أنس** رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله! يدخل عليك البَرُّ والفاجر، فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنينَ بالحجابِ، فأنزل الله آية الحجاب(٢).

● **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: دخل رجل على النبي ﷺ، فأطال الجلوس، فقام النبي ﷺ مراراً كي يتبعه ويقوم، فلم يفعل، فدخل عمر رضي الله عنه فرأى الرجل، وعرف الكراهية في وجه رسول الله ﷺ لمقعده فقال: لعلَّك آذيتَ النبيَّ ﷺ، ففطن الرجلُ فقام، فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد قمتُ مراراً كي يتبعَني فلم يَفْعَلْ**».

فقال عمر رضي الله عنه: لو اتخذتَ حجاباً، فإنَّ نساءك لسنَ كسائرِ النساءِ، وهو أطهرُ لقلوبهنَّ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فأرسل إلى عمر رضي الله عنه فأخبره بذلك(٣).

● **وعن عائشة** رضي الله عنها قالت: كنتُ آكلُ مع النبيِّ ﷺ طعاماً في قعب، فمرّ عمر، فدعاه فأكل، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال عمر: أوَّه لو أُطاع فيكنّ ما رأتكنّ عينٌ، فنزلت آية الحجاب(٤).

---

(١) انظر: «المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٨٠).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).
(٣) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩١).

● **وعن عائشة** رضي الله عنها أنّ أزواجَ النبيِّ ﷺ كنّ يخرجنَ بالليل إذا تبرّزن إلى المناصع! وهو صعيد أفيح، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: احْجُبْ نساءَك، فلم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يفعل، فخرجت سودةُ بنت زمعة رضي الله عنها ليلةً من الليالي عشاء، وكانت امرأةً طويلةً، فناداها عمر رضي الله عنه بصوته: ألا قد عرفناك يا سودةُ، حرصاً على أن ينزل الحجاب، فأنزل الله تعالى الحجاب، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾[1].

● **وعن ابن مسعود** رضي الله عنه قال: فضّل الناسُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه بأربع:

١ ـ بذكره **الأسارى يوم بدر**، أمر بقتلهم، فأنزل الله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨].

٢ ـ **وبذكره الحجاب**، أمر نساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت له زينب رضي الله عنها: وإنّكَ لتغار علينا يا ابنَ الخطاب والوحيُ ينزلُ في بيوتنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

٣ ـ **وبدعوة النبي** ﷺ: «**اللَّهُمَّ أيِّد الإسلام بعمر**».

٤ ـ **وبرأيه في أبي بكر**، كان أول الناس بايعه[2].

● **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فجاءه رجل فسلَّم، فردَّ النبيُّ ﷺ، وأطلق وجهه، وأجلسه إلى جنبه، فلمّا قضى الرجلُ حاجته نهض، فقال النبي ﷺ: «**يا أبا بكر! هذا رجلٌ يُرْفَعُ له كلَّ يوم كعملِ أهلِ الأرضِ**».

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٣).

قلت: ولم ذاك؟

قال: «**إنّه كلّما أصبحَ صلّى عليّ عشرَ مرَّاتٍ كصلاةِ الخَلْقِ أجمع**».

قلت: وما ذاك؟

قال: يقول: «**اللَّهُمَّ صلِّ على محمّد النبيِّ عددَ مَنْ صلَّى عليه مِنْ خلقِكَ، وصلِّ على محمَّد النبيِّ كما ينبغي لنا أن نصلّي عليه، وصلِّ على محمّد النبيِّ كما أمرتنا أن نصلِّي عليه**»[١].

• وعن **أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه قال: الصلاةُ على النبيِّ ﷺ أمحقُ للخطايا من الماء البارد، والسلامُ على النبيّ ﷺ أفضلُ من عتق الرقاب، وحبّ النبي ﷺ أفضلُ من مهج الأنفسِ، أو قال: من ضربِ السيفِ في سبيل الله[٢].

• وعن **قتادة** رضي الله عنه في الآية قال: إياكم وأذى المؤمنين، فإن الله يحوطهم، ويغضبُ لهم[٣]، وقد زعموا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأها ذات يوم، فأفزعه ذلك حتى ذهب إلى أُبي بن كعب رضي الله عنه، فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر! إنّي قرأتُ آيةً من كتاب الله تعالى، فوقعت مني كلَّ موقع: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٥٨]، واللهِ إنـي لأعاقبهم وأضربهم، فقال له: إنّكَ لستَ منهم، إنّما أنت معلِّم[٤].

• وعن **الشعبي** رضي الله عنه: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إنِّي لأبغضُ فلاناً، فقيل للرجل: ما شأنُ عمرَ رضي الله عنه يبغضِكُ! فلمّا أكثر القوم في

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ١٩٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٣).

(٣) في الأصل الفارسي: «فإن الله يحوطه ويغضب له».

(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٧).

الذكر[١]، جاء فقال: يا عمر! أفتقتُ في الإِسلام فتقاً؟

قال: لا.

قال: فجنيتُ جناية؟

قال: لا.

قال: أحدثتُ حدثاً؟

قال: لا.

قال: فعلام تبغضني وقد قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب] فقد آذيتني فلا غفرها الله لك، فقال عمر رضي الله عنه: صدق واللهِ ما فتق فتقاً، ولا ولا، فاغفرها لي، فلم يزل به حتى غفرها له[٢].

● وعن **أبي قلابة** قال: كان عمر بن الخطاب: لا يدعُ في خلافته أمَةً تقنَّع، قال: قال عمر: إنَّما القناعُ للحرائر لكي لا يؤذينَ[٣].

● وعن **أنس** رضي الله عنه قال: رأى عمر رضي الله عنه جاريةً مقنّعةً، فضربها بدِرَّته وقال: ألقي القناعَ، لا تشبَّهين بالحرائر[٤].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «فلما كثر القوم في الدار».
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٢) برقم: (٦٢٤٢).
(٤) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٠٩).

آيات سورة سبأ

• **قال الله تعالى:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سبأ].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يُبيّن الله تعالى في هذه الآيات شبهةً من شبهات الكفار التي يقعُ فيها أكثرُ الناس في الدنيا في كل طبقة؛ يعني: النظرُ إلى الأموالِ والأولادِ، وعدَّها فضيلةً، وجَعلَها مناطاً للنجاة في الآخرة، فأجاب تعالى عن هذه الشبهة: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ . . .﴾.

ثم يقول الفقير: ليست المفاضلة فيما بين المسلمين بحسب المال والأولاد والجاه والحسب والنسب، وإنّما المفاضلةُ بالإيمان والأعمال الصالحة، وهذا أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام.

• **عن إبراهيم التيمي** قال: قال رجل عند عمر: اللَّهُمَّ اجعلني من القليلِ.

قال: فقال عمر: ما هذا الذي تدعو به؟

فقال: إنّي سمعتُ الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ] فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل.

قال: فقال عمر: كلُّ الناسِ أعلمُ من عمر(١).

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٦٥) برقم: (٢٩٥١٤).

وعن مِسْعَر قال: سمعَ عمرُ رجلاً يقول: اللَّهُمَّ اجعلني من القليل.

فقال: يا عبد الله! ما هذا؟

قال: سمعت الله يقول: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ۝٤٠﴾ [هود] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ۝١٣﴾، وذكر آية أخرى، فقال عمر: كلُّ أحدٍ أفقهُ من عمر.

❁ ❁ ❁

آيات سورة فاطر

• **قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر].

يقول الفقير: يُبيّن الله تعالى في أول الكلام فضيلةَ الجماعةِ الذين يتلون كتاب الله، ويقيمون الصلاة، وينفقون من أموالهم سرّاً وعلانيةً، ويَعِدُ لهم أجراً جزيلاً، ثم يقول بعد ذلك: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨]، ثم يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾ [فاطر: ٣٢]، ثم يبيّن أجر الأمة المرحومة بقوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]، ثم يبيّن عقوبة الذين هم على خلافهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [فاطر: ٣٦].

ثم يقول الفقير: هذه الآية نصٌّ مع الآيات الأخرى على انقسام الأمة المرحومة إلى ثلاثة أقسام:

أعلاها: السابقون من الصدِّيقين والشهداء والصالحين، وهم المقرَّبون أيضاً.

وأوسطها: المقتصدون، وهم أصحاب اليمين والأبرار.

وأدناها: الظالمون؛ يعني: من أصلح العقيدة والإيمان، ووقع منه تقصيرٌ في الأعمال، فتاب إلى الله بالندامة ليتداركها.

وقد بيّنا فيما تقدّم أنَّ الخلافة الخاصة لا تتحقّق إلا أن يكون الخليفة من السابقين المقرَّبين فيما يتعلق بنفسه، ومن السابقين الأولين في طبقات المؤمنين من ناحية السوابق الإسلامية، فتدبّر.

• **عن الضحَّاك** رضي الله عنه [عن ابن عباس] قال: أُنزلت هذه الآية: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: ٨]، حيث قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعِزَّ دينَك بِعُمَرَ بنِ الخطّاب، أو بأبي جهلِ بنِ هشامٍ**»، فهدى الله عمر رضي الله عنه، وأضلَّ أبا جهل، ففيهما أُنزلت[1].

• **عن سعيد بن المسيب** قال: وضعَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمةً، حِكَمٌ كلُّها [قال]:

ما عاقبتَ مَنْ عصى الله فيكَ مثلَ أن تطيعَ الله فيه.

وضع أمرَ أخيكَ على أحسنِهِ حتّى يجيئكَ منه ما يغلبك.

ولا تظنّن بكلمةٍ خرجت من مسلم شراً أنت تجدُ لها في الخير محملاً.

ومَنْ عَرَّضَ نفسَه للتهمةِ، فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ الظنَّ به.

ومَنْ كتمَ سِرَّهُ كانت الخيرةُ في يدِهِ.

وعليكَ بإخوانِ الصدقِ تَعِشْ في أكنافِهم، فإنّهم زينةٌ في الرخاءِ، وعِدّةٌ في البلاءِ.

وعليكَ بالصدقِ وإن قتلكَ.

ولا تعرّض فيما لا يعني.

ولا تسأل عمّا لم يكن، فإن فيما كان شغلاً عما لم يكن.

ولا تطلبُ[2] حاجتكَ إلى مَنْ لا يحبُّ نجاحَها لك.

ولا تتهاون بالحلفِ الكاذبِ فيهلكَكَ اللهُ.

ولا تصحبِ الفجّارَ لتتعلّم من فجورِهم.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٦٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «لا تطلبنّ».

واعتزل عدوّك.

واحذر صديقَكَ إلا الأمين، ولا أمين إلا مَنْ خشي الله.

وتخشّع عند القبور، وذلّ عند الطاعة، واستعصم عند المعصية.

واستشر [في أمرك] الذين يخشون الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨][(١)].

• **وعن عمر بن الخطاب**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**سابقُنا سابقٌ، ومقتصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مغفورٌ له**»، وقرأ عمر: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٢][(٢)].

• **وعن عثمان بن عفان**: أنّه نزع[(٣)] بهذه الآية، ثم قال: ألا إنّ سابقَنا أهلُ جهادِنا، ألا وإن مقتصِدَنا أهلُ حضرنا، ألا وإنَّ ظالمَنا أهلُ بدونا[(٤)].

• **وعن صُهيبٍ** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ، يقول في المهاجرين الأولين: «**همُ السابقونَ الشافعونَ المدلُّون على ربِّهم تبارك وتعالى، والذي نفسي بيدِهِ إنَّهم ليأتونَ يومَ القيامةِ، وعلى عواتِقهم السلاحُ، فيقرعونَ بابَ الجنّةِ، فتقولُ لهم الخزنةُ: من أنتم؟**

فيقولونَ: نحنُ المهاجرونَ.

فتقول لهم الخزنةُ: هل حُوسِبْتُم.

فيجثونَ على رُكَبِهم، [وينثرون ما في جعابهم]، ويرفعونَ أيديهم إلى

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٥).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٨).
(٣) في الأصل الفارسي: «أفزع».
(٤) «فتح القدير» (٦/ ١٤٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٧٨).

السماءِ، فيقولون: أيْ ربِّ! وماذا[1] نحاسبُ، فقد خرجنا، وتركنا الأهلَ والمالَ والولدَ، فيمثِّلُ اللهُ لهم أجنحةً مِنْ ذهبٍ، مخوّصةٌ بالزَّبَرْجَدِ والياقوتِ، فيطيرون حتّى يدخلوا الجنة»، فذلك قوله: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ۝٣٥﴾ [فاطر].

قال رسول الله ﷺ: «فَلَهُم بمنازِلِهم في الجنّةِ أعرفُ منهم بمنازلهم في الدُّنيا»[2].

۞ ۞ ۞

---

(١) في الأصل الفارسي: «أبهذه».

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٥١) رقم: (٥٧٠٤).

آيات سورة يس

• **قال الله تعالى**: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس].

يقول الفقير: يُبيِّن الله تعالى في هذه الآيات أنَّ جمعاً من غير الأنبياء يعرفون كلمة الحقِّ بشهادة قلوبهم، ويدعون جمهور بني آدم لاتّباع الأنبياء مع كلمة الحقِّ، ويلقون في الآخرة أجراً جزيلاً ممّا هو تِلْوَ مراتب الأنبياء، وهذا من صفات الخلافة الخاصة، فتدبّر.

• **عن أبي بكر الصديق** ﷛ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**سورةُ يس في التوراةِ تُدْعَى المُعِمّة**».

قيل: ما المُعمة؟

قال: «**تعمُّ صاحبَها بخيرِ الدنيا والآخرةِ، وتكابِدُ عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوالَ[(١)] الآخرةِ، وتدعى المدافِعَةُ[(٢)] القاضِيةُ، تدفعُ عن صاحبِها كلَّ سوءٍ، وتقضي له كلَّ حاجةٍ، مَنْ قرأها عَدَلَتْ له عشرينَ حجةً، ومَنْ سمِعَها عدلتْ له ألفَ دينارٍ في سبيلِ اللهِ، مَنْ كتبَها، ثم شربَها، أدخلت جوفَه ألفَ دواءٍ، وألفَ نورٍ، وألفَ يقينٍ، وألفَ بركةٍ، وألفَ رحمةٍ، ونزعت عنه كلَّ غِلٍّ وداءٍ**»[(٣)].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** ﷛ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ زارَ قبرَ والديه أو أحدِهما في كلِّ جمعةٍ، فقرأ عندَهما «يس» غَفَرَ اللهُ تعالى لَهُ بعددِ كلِّ حَرْفٍ منها**»[(٤)].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أهاويل».
(٢) في الأصل الفارسي: «الدافقة».
(٣) «شعب الإيمان»، للبيهقي (٥/٤٧٦).
(٤) انظر: «تاريخ أصبهان» (١/٣٥٨).

• **عن عروة** قال: قَدِمَ عروةُ بنُ مسعودِ الثقفي على رسولُ اللهِ ﷺ، ثم استأذنَ ليرجعَ إلى قومه، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّهم قاتِلُوكَ؟**» قال: لو وجدوني نائماً ما أيقظوني، فرجعَ إليهم، فدعاهم إلى الإسلام، فعصوه، وأسمعوه من الأذى، فلمّا طلعَ الفجرُ، قام على غرفةٍ، فأذَّنَ بالصلاةِ، وتشهَّد، فرماه رجلٌ من ثقيفٍ بسهم فقتله، فقال رسول الله ﷺ حين بلغه قتله: «**مِثْلُ عروةَ، مِثْلُ صاحبِ** «يس»، **دعا قومَهُ إلى اللهِ فقتلوه**»[1].

• **عن الحسن** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يتمثّل بهذا البيت:

كَفَىٰ بالإسلامِ والشَّيْبِ للمرءِ ناهيا

فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنّما قال الشاعر:

كفى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا

ورسول الله ﷺ يقول:

كَفَىٰ بالإسْلامِ والشَّيْبِ للمَرْءِ ناهِيَا

فقال أبو بكر: أشهدُ أنك رسولُ اللهِ ما علّمك الشعرَ، وما ينبغي لك[2].

• **وعن عبد الرحمٰن بن أبي الزناد** رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال للعباس بن مرداس: «**أرأيتَ قولك: أصبحَ نهبي ونهبَ العبيدِ بين الأقرع وعيينة؟**»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ، ما أنتَ بشاعرٍ، ولا راوية، ولا ينبغي لك، إنما قال: بين عيينةَ والأقرعِ[3].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٢٩٦).
(٢) «طبقات ابن سعد» (١/ ٣٨٢).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣١٧).

آيات سورة الصافات

• قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

يقول الفقير: إنّ الأصحّ في تفسير هذه الآية أنَّ المرادَ بالمرسلين في هذه الآية الأنبياء، الذين كُلِّفوا بالجهادِ والمخاصمة مع الكفار، لا الطائفة الذين أرسلوا لإتمام الحجة فقط، فهم ـ جميعاً ـ منصورون في الدنيا والآخرة، والمراد بالجند مَنِ اتبعوا الرسلَ ممّن ألقيت في جذر قلوبهم داعيةُ النصرة للأنبياء ولإعلاء كلمة الله، وهم الغالبون والمسيطرون على المبعوث إليهم، سواء كانوا في حياة النبي ﷺ أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ.

ثم يقول الفقير: إذا رأينا بعدَ هذا الوعدِ الإلٰهي أنَّ طائفةً من أصحاب النبي ﷺ قد ألقيت في قلوبهم الداعية لإعلاء كلمة الله، وغلبوا على الصديق والعدّو علمنا بالبداهة أنّهم مشرَّفون بالتخصيص من الله في قوله: ﴿جُندَنَا﴾ وهو المقصود.

• **عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه **في قوله**: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، قال: أمثالهم الذين هم مثلهم، يجيء أصحابُ الرِّبا مع أصحاب الرِّبا، وأصحاب الزِّنا مع أصحاب الزِّنا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر، أزواج في الجنة، وأزواج في النار[1].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٢٥).

آيات سورة ص

• **قال الله تعالى:** ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص].

يقول الفقير: الظاهر أنّ المراد: هو طائفةٌ ممّن آمنوا في زمان نزول السورة، أو نقول: هذه الطائفةُ تأتي ضمنَ هذا العموم قطعاً، كما قالوا: إن سبب النزول هو المراد بعمومات القرآن بالقطع، فذلك تشريف عظيم للمهاجرين الأولين.

• **عن السائب بن يزيد** قال: صلّيتُ خلف عمرَ الفجر، فقرأ بنا سورةَ «ص» فسجدَ فيها، فلمّا قضى الصلاةَ قال له رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين ومن عزائم السجود هذه؟

فقال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يسجدُ فيها[1].

• **وعن أبي مريم** قال: لمّا قدم عمرُ الشامَ أتى محرابَ داود عليه السلام، فصلَّى فيه، فقرأ سورة «ص» فلمّا انتهى إلى السجدةِ سجد[2].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه، أنه سأل طلحة، والزبير، وكعباً، وسلمان: ما الخليفة من الملك؟

قال طلحة والزبير: ما ندري!

فقال سلمان رضي الله عنه: الخليفةُ الذي يَعْدِلُ في الرعية، ويقسِمُ بينهم

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٢).

بالسوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضي بكتاب الله تعالى.

فقال كعب: ما كنتُ أحسبُ [أنَّ في المجلس] أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري[(١)].

• **وعن سلمان** أنّ عمر قال له: أنا ملكٌ أم خليفةٌ؟

فقال له سلمان: إن أنتَ جبيتَ من أرض المسلمين درهماً أو أقلّ أو أكثر، ثم وضعته في غير حقّه، فأنتَ مَلِكٌ غير خليفة، فاستعبر عمر[(٢)].

• **وعن سليمان بن أبي العرجاء** قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟

قال قائل: يا أميرَ المؤمنين إنَّ بينهما فرقاً.

قال: ما هو؟

قال: الخليفةُ لا يأخذُ إلّا حقاً، ولا يضعه إلا في حقٍّ، وأنت الحمدُ للهِ كذلك، والمَلِكُ يَعْسفُ الناسَ، فيأخذ من هذا ويعطي هذا[(٣)].

• **وعن معاوية** رضي الله عنه، أنّه كان يقول إذا جلس على المنبر: يا أيها الناس إنَّ الخلافةَ ليست بجمع المال [ولا بتفريقه]، ولكنَّ الخلافةَ العملُ بالحقّ، والحكمُ بالعدل، وأخذُ الناسِ بأمرِ اللهِ[(٤)].

• **وأخرج البخاري** عن عمر فَقَالَ: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ[(٥)].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٢) «الكشف والبيان»، للثعلبي (١/ ١٠٨).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٣٩٤).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٩٣).

آيات سورة الزمر

• **قال الله تعالى**: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر].

يقول الفقير: إنْ تأمَّل أحد في هذه الآيات تأمُّلاً وافياً يتبيّنَ له أنّ كلمة ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ إشارة إلى الهجرة، وحثٌّ عليها، ووعدٌ للذين هاجروا وصبروا على شدائدها بأجر جزيل، وتشريف عظيم لهم بإضافة «عبادي»، وناهيك به من فضيلة للمهاجرين الأولين.

• **عن ابن عمر** رضي الله عنهما أنّه تلا هذه الآية: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] قال: ذاك عثمانُ بنُ عفّان.

وفي لفظٍ: نزلتْ في عثمان بن عفان[١].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ قال: نزلت في عمّار بن ياسر، وفي رواية: في ابن مسعود، وعمّار، وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم[٢].

• **وعن مجاهد** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ قال: أرضي واسعة فهَاجِروا واعتزلوا الأوثان[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٧).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٣٨).

● **وعن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: عشنا برهةً من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر]، فقلت: لِمَ نختصم؟ أمّا نحنُ فلا نعبدُ إلا الله، وأمّا ديننا فالإسلام، وأمّا كتابُنا فالقرآن، لا نغيِّره أبداً، ولا نحرِّفُ الكتاب، وأمّا قبلتنا فالكعبة، وأمّا حرمنا[1] فواحد، وأما نبيّنا فمحمد ﷺ، فكيف نختصم؟ حتى كفحَ بعضُنا وجهَ بعضٍ بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا[2].

● **وعن إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: أنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [وما ندري فيم نزلت! قلنا: ليس بيننا خصومة] قالوا: وما خصومتنا ونحن إخوان؟! فلمّا قُتِلَ عثمانُ بنُ عفّان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومة ما بيننا[3].

● **وعن أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾، كنا نقول: ربنا واحد، وديننا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلمّا كان يومُ صفّين، وشدَّ بعضُنا على بعض بالسيوف قلنا: نعم، هو هذا[4].

● **وعن علي بن أبي طالب** ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: محمد ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر: ٣٣] أبو بكر الصدِّيق هكذا الرواية بالحق[5].

● **وعن أبي هريرة**: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ قال: محمد

---

(١) في الأصل الفارسي: «أما حرامنا أو حرمنا».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٠).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥١).
(٥) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٦).

رسول الله ﷺ: ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾(١).

• **وعن سليم بن عامر** أنّ عمر بن الخطاب قال: العجب من رؤيا الرجل أنه يبيت فيرى الشيءَ لم يخطر له على باله، فتكون رؤياه كأخذ باليد، ويرى الرجل الرؤيا فلا تكون رؤياه شيئاً!

فقال علي بن أبي طالب: أفلا أخبرك بذلك يا أمير المؤمنين؟ يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ [الزمر: ٤٢]، فالله يتوفَّى الأنفس كلَّها، فما رأت وهي عنده في السماء فهي الرؤيا الصادقة، وما رأت إذا أرسلت إلى أجسادها تلقَّتها الشياطين في الهواء فكذبتها وأخبرتها بالأباطيل، فكذبت فيها، فعجبَ عمرُ من قوله(٢).

• **وعن عمر بن الخطاب** قال: اتّفقتُ(٣) أنا وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاصي بن وائل أن نهاجر إلى المدينة، فخرجت أنا وعياش وفتن هشامُ فافتتن، فقدم على عياش أخواه أبو جهل والحارث بن هشام، فقالا: إنّ أمك قد نذرت أن لا يظلّها ظلّ، ولا يمسَّ رأسَها غسلٌ حتى تراك، فقلت: والله إن يريداك إلا أن يفتناك عن دينك وخرجا به، وفتنوه فافتتن، قال: فنزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، قال عمر رضي الله عنه: فكتبت إلى هشام فقدم(٤).

• **وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر** رضي الله عنهما قال: خرج علينا

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٥٥).
(٣) في الأصل الفارسي: «اتقدت».
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦١).

رسول الله ﷺ ذات غداة فقال: «إنِّي رأيتُ في غداتي هذِهِ كأنّي أُتِيتُ بالمقاليدِ والموازينِ، فأمّا المقاليدُ: هي المفاتيحُ، وأمّا الموازينُ: فموازينُكم هذه التي تزنون بها، وجِيءَ بالموازين، فوُضِعَتْ ما بين السماءِ والأرضِ، ثم وضعتُ في كفّةٍ، وجيءَ بالأُمةِ، فوُضِعَتْ في الكفّةِ الأُخرى، فرجحت بهم، ثم جِيءَ بأبي بكرٍ، فوضعَ في كفّةٍ، فوُزِنَ بهم، ثم جِيءَ بعمرَ، فوُضِعَ في كفةٍ والأمةُ في كفّةٍ فوزنهم، ثم رُفِعَت الميزان»[١].

• عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ فقال له: أخبرني عن ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢] [الزمر: ٦٣]، فقال: «سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلـهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، ولا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيم، الأوّلُ، والآخِرُ، والظاهِرُ، والباطِنُ، بيدِهِ الخيرُ، يُحيي ويُميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

يا عثمانُ مَنْ قالها إذا أصبحَ عشرَ مرّاتٍ وإذا أمسى، أعطاهُ اللهُ سِتَّ خصالٍ: أمّا أولاهنَّ: فَيُحْرَسُ من إبليسَ وجنودِهِ، وأمّا الثانيةُ: فيُعطى قنطاراً من الأجرِ، وأمّا الثالثةُ: فيتزوّجُ من الحورِ العينِ، وأمّا الرابعةُ: فيُغْفَرُ له ذنوبه، وأمّا الخامسةُ: فيكون مع إبراهيمَ، وأمّا السادسةُ: فَيَحْضُرُه اثنا عشرَ ملَكاً عند موته، يُبشِّرونه بالجنةِ، ويزّفونه مِنْ قبرِه إلى الموقفِ، فإنْ أصابه شيءٌ من أهاويلِ يوم القيامةِ قالوا له: لا تخفْ إنَّكَ من الآمنين، ثم يحاسِبُه اللهُ حساباً يسيراً، ثم يُؤْمَرُ به إلى الجنّةِ، يزفّونه إلى الجنّةِ من موقفه، كما تُزَفُّ العروسُ حتى يدخلوه الجنّةَ بإذنِ اللهِ، والناسُ في شِدّةِ الحساب»[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦٩).

(٢) في الأصل الفارسي: «فقال له: أخبرني عن ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾».

(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٦٩).

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: سأل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [الزمر: ٦٣]، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ، ولا إلـهَ إلّا اللهُ، واللهُ أكبرُ [مقاليدُ السماواتِ والأرضِ]، ولا حَوْلَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العظيمِ من كنوزِ العَرْشِ**»[١].

• **عن ابن عمر** رضي الله عنهما، أنَّ عثمانَ رضي الله عنه سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم عن تفسير ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ﴾، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**ما سألني عنها أحدٌ، تفسيرُها: لا إلـهَ إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وسبحانَ اللهِ، واللهُ أكبرُ، وأستغفرُ اللهَ، ولا حَوْلَ ولا قوّةَ إلا باللهِ الأوّلُ والآخِرُ، والظاهِرُ والباطِنُ، بيدِه الخيرُ، يحيي ويميتُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ**»[٢].

• **وأخرج البخاري ومسلم** عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللهِ نُودِي مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللهِ، هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِي مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِي مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِي مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**».

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلَى مَنْ دُعِي مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟

قَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**»[٣].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٧٠).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٧٠).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٨٩٧) واللفظ له، و«صحيح مسلم» برقم: (١٠٢٧).

آيات سورة المؤمن

يقول الفقير: إن الله تعالى يذكر في سورة المؤمن قصة مؤمن من آل فرعون الذي ألقى الله في قلبه داعية الجدال لموسى عليه السلام، وصبَّ في عقله عزيمة لإعلاء كلمة الله، وإلزامِ حجته تبارك وتعالى، ليكون دستوراً للصديقين والمحدَّثين في هذه الأمة المرحومة، ومن هنا يعرف رجل خبير أن الله تعالى يقيّض واحداً مثل مؤمن آل فرعون، ويلقي في قلبه داعية الجدال لرسله وإعلاء كلمته، وهذه الجماعة تكون من خيار الأمة، وما قيل في الآيات السابقة، ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر: ٧]، وما قيل بعد هذه القصّة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٥١]، كل ذلك ينطبق على هذه الجماعة الشريفة.

ثم يقول الفقير: إن جماعة السابقين الأولين من المهاجرين جادلوا الكفار والمشركين بهذا الأسلوب، وهذا معلوم بالقطع، ووقع نصر الدين على أيديهم، فمطمح هذه الإشارة ومصداق هذه البشارة هؤلاء السعداء، وهو المقصود.

• **عن يزيد بن الأصم** رضي الله عنه أن رجلاً كان ذا بأس(١)، وكان من أهل الشام، وأن عمر فقده فسأل عنه فقيل له: في الشراب(٢)، فدعا عمر رضي الله عنه كاتبه فقال له: اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان، سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إلـه إلا هو ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ

(١) وبعده في الأصل الفارسي زيادة هي: [وكان يعدُّ إلى عمر لبأسه].
(٢) في الأصل الفارسي: «تتابع في هذا الشراب».

وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر]، ثم دعا، وأمّن من عنده، فدعوا له أن يقبل الله عليه بقلبه، وأن يتوب الله عليه، فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها، ويقول: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ قد وعدني أن يغفر لي، ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ قد حذرني الله عقابه ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ﴾ الكثير الخير ﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ فلم يزل يردِّدها على نفسه حتى بكى، ثم نزع فأحسن النزع، فلما بلغ عمر رضي الله عنه أمره قال: هكذا فافعلوا إذا رأيتم أخاً لكم في زلة فسددوه، ووفقوه، وادعوا الله له أن يتوب الله عليه، ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه[١].

• **وعن قتادة** رضي الله عنه قال: كان شابّ بالمدينة صاحبَ عبادة، وكان عمر رضي الله عنه يحبُّه، فانطلق إلى مصر، ففسد، فجعل لا يمتنع من شر، فقدم على عمر رضي الله عنه بعضُ أهله، فسأله حتى سأله عن الشابّ فقال: لا تسألني عنه، قال: لم؟ قال: لأنه قد فسد وخلع، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: من عمر إلى فلان ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر]، فجعل يقرأها على نفسه فأقبل بخير[٢].

• **وعن أبي إسحاق السَّبِيعي** قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين إن قتلتُ فهل لي من توبة؟ فقرأ عليه: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ وقال: اعمل ولا تيأس[٣].

• **وعن قتادة في قوله**: ﴿وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [غافر: ٨] قال: إن

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٨).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٨٨).

عمر بن الخطاب ﵁ قال: يا كعب ما عدن؟ قال: قصور من ذهب في الجنة يسكنها النبيّون، والصدّيقون، وأئمة العدل[١].

وأخرج **البخاري** عن **عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ** قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ.

قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ؛ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨][٢].

• **وعن عمرو بن العاص** ﵁ قال: ما رأى رسول الله ﷺ شيئاً كان أشدَّ من أن طاف بالبيت[٣] ضحىً فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عمّا كان يعبدُ آباؤنا؟

قال: «**أنا ذاك**».

فقام أبو بكر ﵁ فالتزمه من ورائه، ثم قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر]، رافعاً صوته بذلك، وعيناه تسيحان، حتى أرسلوه[٤].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٨/ ٤٩٢).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٨١٥).

(٣) في الأصل الفارسي: «ما تنوول من رسول الله ﷺ بشيء كان أشدّ من أن طاف بالبيت».

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢).

• **وعن أنس بن مالك** ﵁ قال: ضربوا رسول الله ﷺ حتى غُشِيَ عليه، فقام أبو بكر ﵁، فجعل ينادي ويلكم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾.

قالوا: من هذا؟

قال: هذا ابنُ أبي قُحَافة[١].

وأخرج **الحاكم والترمذي** وابن مردويه من حديث أسماء بنت أبي بكر ﵄، نحوه.

• **وعن علي** ﵁ أنه قال: أيُّها الناسُ أخبروني بأشجع الناس؟

قالوا: أنت.

قال: لا.

قالوا: فمن؟

قال: أبو بكر[٢] ﵁، لقد رأيتُ رسول الله ﷺ وأخذته قريشٌ، هذا يحثه[٣]، وهذا يبلبله[٤]، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلـٰهاً واحداً؟ قال: فواللهِ ما دنا منّا أحدٌ إلا أبو بكر ﵁، يضرِبُ هذا، ويجاهِدُ هذا، وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ثم رفع علي ﵁ بُردة كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت[٥] لحيته، ثم قال: أنشدكم بالله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ﵁ خير من مؤمن آل فرعون؟ ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه[٦].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٤)

(٢) في الأصل الفارسي: «قالوا: أنت، قال: لا، قالوا: فمن؟ قال: أبو بكر».

(٣) في الأصل الفارسي: «فهذا يجبِّه»، وهو الصواب.

(٤) في الأصل الفارسي: «وهذا يتلتله»، وهو الصواب.

(٥) في الأصل الفارسي: «ابتلّت».

(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢).

• عن أبي بكر الصِّدِّيقِ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بِالْمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانُ، يَتْبَعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ»[١].

❊ ❊ ❊

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٣٧).

آيات سورة فصلت؛ يعني: حم السجدة

• قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: يبيّن الله تعالى ثواب الذين أقرّوا بالتوحيد، ثم استقاموا على ذلك، ثمّ يثبت الأفضلية من بين الموحدين للذين اتصفوا بالدعوة إلى الحق والعمل الصالح، وصاروا منقادين لله ظاهراً وباطناً، وقد علمت هذه الكلية من القرآن العظيم، ثم إذا كان للرجل عقل مميّز يدرك من أحوال أشخاص معينين وأوصافهم التي ثبتت بنقل متواتر دخولهم في هذه الكلية بل كونهم على رأس هذه الجماعة، ثم تصبح الأحاديث المستفيضة والمشهورة الواردة في مناقب هؤلاء الأشخاص شاهداً لهذا المعنى ويدخل فيمن قيل فيهم: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ﴾ الآية [فصلت: ٥]، قال: أقبلتْ قريشٌ إلى النبي ﷺ فقال لهم: «**ما يَمْنَعُكُمْ من الإِسلامِ فَتَسُودُوا[١] العَرَبَ؟**».

فقالوا: يا محمد، ما نفقه ما تقول، ولا نسمعه، وإنَّ على قلوبنا لغلفاً، وأخذ أبو جهل ثوباً فمدَّه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) في الأصل الفارسي: «فتسوّروا».

يا محمد! ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾.

قال لهم النبي ﷺ: «**أدعوكم إلى خصلتينِ، أَنْ تَشْهَدُوا أَنْ لا إلـهَ إلّا الله وَحْدَهُ لا شريكَ لَهُ، وإنِّي رسولُ اللهِ**»، فلمّا سمعوا شهادة أن لا إلـه إلا الله ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء] وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص]، وقال بعضهم لبعض: ﴿...ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا...﴾ [ص: ٦ ـ ٨]، وهبط جبريل فقال: يا محمد! إن الله يقرئك السلام ويقول: أليس يزعم هؤلاء أن على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقر فليس يسمعون قولك؟ كيف ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء]، لو كان كما زعموا لم ينفروا، ولكنهم كاذبون، يسمعون ولا ينتفعون بذلك كراهيةً له، فلمّا كان من الغد أقبل منهم سبعون رجلاً إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد! اعرض علينا الإسلام، فلما عرض عليهم الإسلامَ أسلموا عن آخرهم، فتبسّم النبي ﷺ قال: «**الحَمْدُ للهِ، أَلَسْتُم بالأمسِ تزعمونَ أنَّ على قلوبكم غُلْفاً، وقلوبُكم في أكنّةٍ مما ندعوكم إليه، وفي آذانِكم وقراً، وأصبحتُم اليومَ مسلمينَ**».

فقالوا: يا رسول الله! كذبنا ـ واللهِ ـ بالأمسِ، لو كان كذلك ما اهتدينا أبداً، ولكنّ الله الصادق، والعباد الكاذبون عليه، وهو الغني ونحن الفقراء إليه[(١)].

● **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩).

﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، قال: الاستقامةُ أن لا تشركوا بالله شيئاً[(١)].

• **وعن أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنه أنه قال: ما تقولون في هاتين الآيتين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾، و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قالوا: لم يذنبوا.

قال: لقد حملتموها على أمر شديد ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾، يقول: بشرك و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ فلم يرجعوا إلى عبادة الأوثان[(٢)].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠]، قال: استقاموا بطاعةِ اللهِ، ولم يروغوا روغانَ الثعلبِ[(٣)].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: لو أطقتُ الأذانَ مع الخلافةِ لأذّنتُ[(٤)].

• **وعن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: إنّ هذا القرآنَ كلامُ اللهِ فضعوه على مواضعِهِ، ولا تتّبِعُوا فيه هواكم[(٥)].

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، قال: أبو جهل بن هشام ﴿أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٠]، قال: أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه[(٦)].

• **وعن بشير بن تميم** رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في أبي جهل،

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٩).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

وعمار بن ياسر ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾: أبو جهل ﴿أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: عمار، عن عكرمة مثله(١).

• **وعن ابن عباس** رضي الله عنهما في قوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠] قال: هذا لأهلِ بدرٍ خاصّة(٢).

• **وعن إبراهيم النخعي** رضي الله عنه قال: ذُكِرَ أنَّ السماء فُرِجَتْ يومَ بدرٍ فقيل: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٨).

آيات سورة الشورى

• قال الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى].

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إنّ في هذه الآيات لتلميحاً بأحوال الصحابة الكرام، وخصوصاً بحال الخلفاء الراشدين ذوي الاحترام، وهذه المسألة من دقائق فهم القرآن الكريم التي لا يفهمها إلّا من رُزِقَ النظر والتدبر في القرآن الكريم.

ينبغي أولاً هنا معرفة قاعدة كلية لفهم القرآن الكريم، وهي: أن يكونَ لفظُ النصِّ عامّاً يتضمَّنُ أوصافاً عامة، وكان هناك شخص اشتهر بين أفراد العام بوصف من تلك الصفات، بحيث لا يتبادر إلى ذهن السامع إلا هو عند سماع ذلك الوصف، وكأن في هذا النص تعريضاً بذلك الفرد المعيّن أو الأفراد المعينين.

وليعلم بعد ذلك أن الأوصاف المذكورة في قوله تعالى: ﴿...ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾، من الأوصاف المشهورة للمهاجرين الأولين، إذ إنهم فارقوا مألوفات قومهم عند غربة الإسلام،

وانقطعوا عن عشائرهم لمحض إيمانهم، ثم هاجروا بعد ذلك، وتركوا مكاسبهم وأسباب معيشتهم، وألقوا أنفسهم في المهالك والمخاطر، وذلك لمجرد اعتمادهم على وعد الله تبارك تعالى، ولمحض توكلهم على الله رب العالمين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾ من أوصاف الصالحين المهتدين من الأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، إذ إن معنى التهذيب أن تأتي القوة البهيمية تحت حكم العقل، وتطمئنّ ولا تبغي ولا تطغى، وفي ﴿يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الشورى: ٣٧]، إشارة إلى ذلك، وتخضع القوة السبعية للعقل وتنقاد له، وفي ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾، إيماء إلى ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ﴾ إيماء إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، إذ إن من أشهر أوصافه أنه قبل دعوة الحق فور سماعه لها بقوة تصديقه وكمال يقينه، وبلغ ذروة في إقامة الصلاة حتى قد اختاره النبي ﷺ من بين أصحابه للإمامة بالصلاة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾ إشارة إلى الفاروق رضي الله عنه إذ إن من أبرز أوصافه أنه تمّ تنفيذ جميع الأمور بمشورة من علماء الصحابة في زمن خلافته، ومعظم الأمور المجمع عليها في الملة الإسلامية هي ما وقع الإجماع والاتفاق عليه بفضل تدبير الفاروق ورأيه.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى]، كناية عن حال عثمان ذي النورين، إذ إن من أبرز أوصافه في الإسلام كثرة الإنفاق في سبيل الله وبفضل هذه الإنفاقات استحقّ البشارات العظيمة، وفاز بالدرجات العلية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾، تنطبق على

علي المرتضى إذ إن ما وقع في أيام خلافته ـ وهو متفرد به ـ هو قتاله البغاةَ، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١﴾ مقتضى ذلك إنما هو جواز الانتقام وإظهار فضيلة العفو والصلح.

وهذا الوصف اشتهر به الحسن بن علي رضي الله عنهما، وقد أثنى عليه لسان النبوة بهذه الكلمة: «**ولدي هذا سيّدٌ، وسَيُصْلِحُ اللهُ به بَيْنَ فئتينِ عظيمتينِ مِنَ المُسْلِمِينَ**»[1]، هو أمر الصلح ورفع النزاع، ولفظ «سيصلح» يدلّ على وجود الاتفاق بين المسلمين وارتفاع التفرقة من بينهم، وفيه إشارة إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان، وفي قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ﴾ إشارة إلى فتيان بني أمية، كما قال النبي ﷺ في شأنهم: «**هلاكُ أُمّتِي على أيدي غلمةٍ من قُريشٍ**»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ إشارة إلى جمع من العلماء الربانيين الذين على رأسهم علي بن الحسين الملقّب بزين العابدين رضي الله عنه وعن آبائه الكرام، فإنه أدرك ذلك الزمان، وصبر على أفعال الخليفة حيث نهى رسول الله ﷺ عن سلِّ السيف على الخليفة، وسكت مع كراهية أفعاله وأطواره، والله أعلم بدقائق كتابه.

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه: أن رجلاً شتمَ أبا بكر رضي الله عنه، والنبيُّ ﷺ جالسٌ، فجعل النبيُّ ﷺ يعجَبُ ويبتسِمُ، فلما أكثر، ردّ عليه بعضَ قوله، فغضبَ النبيُّ ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، كان

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٧٠٤)، وأبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٦٢)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٧٣)، وأحمد في «مسنده» (٣٤/٩٨) برقم: (٢٠٤٤٨) واللفظ له، إلا أن فيه «إن ابني» مكان «ولدي».

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٥).

يشتمني وأنت جالسٌ، فلمّا رددتُ عليه بعضَ قوله غضبتَ وقمتَ؟

قال: «**إنّه كانَ معك مَلَكٌ يردُّ عَنْكَ، فلمّا رددتَ عليهِ بعضَ قوله، وقع الشيطانُ، فلمْ أكنْ لأقعدَ مع الشيطانِ**»، ثم قال: «**يا أبا بكر! هُنّ**[١]**، ما مِنْ عبدٍ ظُلِمَ بمظلمةٍ فيُغضِي عنها**[٢] **للهِ إلّا أعزّ الله بها نصره**[٣]**، وما فَتَحَ رجلٌ بابَ عطيةٍ يريدُ بها صلةً إلّا زاده اللهُ بها كثرةً، وما فتحَ رجلٌ بابَ مسألةٍ يريدُ بها كثرةً إلا زاده الله بها قِلّةً**»[٤].

●غيلان عن **أنس** رضي الله عنه قال: ابتاع أبو بكر رضي الله عنه جارية أعجمية من رجل؛ كان قد أصابها، فحملت له، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يطأها، فأبت عليه، وأخبرت أنها حامل، فرفع ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنّها حَفِظَتْ فَحَفِظَ الله لها، إنّ أحدَكم إذا شجع ذلك المشجع، فليس بالخيار على الله، فردّها إلى صاحبِها الذي باعَها**»[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) كذا في الأصل، وفي «الدر المنثور»: «نلت من حق».

(٢) في الأصل الفارسي: «فيعضّ عنها».

(٣) في الأصل الفارسي: «نصرة»، وهو الصواب.

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٧٩).

(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٨٢).

آيات سورة الزخرف

• **قال الله تعالى:** ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف].

يعني: إما نقبضنّك إلينا قبل وفاء الوعود التي وعدتكها، فلا شك أنا منهم ـ أي: من الكفار ـ منتقمون، وإما نرينّك الذي وعدتكه فلا بعد فيه، فإنا عليهم قادرون، فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم، وإنّ هذا الوحي شرفٌ لك ولقومك وسوف تسألون عنه، أو القرآن نصيحة وتذكرة لك ولقومك. . . إلخ.

ثم يقول الفقير: إن الله تعالى نوّع وقوع العقوبة بين أن يتوفّى نبيَّه ﷺ قبل إنجاز موعوده من العالم، ثم ينتقم من المجرمين، وهو يتضمن الوعد المذكور، أو يريه الموعودَ في حياته، وفي كلتا الحالتين لا مجال للتشويش بخاطرك؛ لأنك على صراط مستقيم، وما تقوله حقّ، وكل ما تعده لواقعٌ، وليس في الحقيقة في علم الله ترديد، فالمراد بالآية توزيع؛ لأن الأمور التي وعدها الله رسوله ﷺ على قسمين: قسم يتمّ إنجازه في حياة النبيِّ ﷺ، وقسم يتم ظهوره بعد وفاته ﷺ، وقد ثبت بالأحاديث النبوية المتواترة التي لا مجال للشك فيها أن النبي ﷺ وعد أصحابه بفتح العجم والروم منذ بداية بعثته إلى آخر حياته، وقال جهرةً: «**لا يبقى على الأرضِ بيتُ مَدرٍ ولا وَبَرٍ إلّا أدخلَهُ اللهُ الإسلامَ بعزِّ عزيزٍ أو بِذُلِّ ذليلٍ**»[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٩١) برقم: (٦٦٩٩).

وإن هذه الصورة لم تظهر في حياة النبي ﷺ، بل ظهرت بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على يد بعض خلفائه ﷺ، ووقوع ذلك متمِّم لمراد الحق الذي بعث به رسول الله ﷺ، وهذا لازم من لوازم الخلافة الخاصة، فالآن يجب أن تفكر في أن هذه المعاني على يد من ظهرت، وهو الخليفة الخاص لا محالة.

ومعنى ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، على أحد القولين: إن جماعة من قريش ينالون هذا الشرف ظاهراً وباطناً، ويصبحون سادة العالم بفضل نيابة النبي ﷺ، ويقومون بإحراز فضيلة إعلاء كلمة الله تعالى.

● **عن محمد بن عثمان المخزومي** أن قريشاً قالت: قيِّضوا لكل رجل من أصحاب محمد رجلاً يأخذه، فقيَّضوا لأبي بكر طلحة بن عبيد الله، فأتاه، وهو في القوم، فقال أبو بكر: إلّام تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات، والعزّى، قال أبو بكر: وما اللات؟ قال: أولاد الله، قال: وما العزّى، قال: بنات الله، قال أبو بكر: فمن أمهم؟ فسكت طلحة، فلم يجبه، فقال لأصحابه: أجيبوا الرجل، فسكت القوم، فقال طلحة: قم يا أبا بكر أشهد أن لا إلـٰه إلّا الله وأن محمداً رسول الله، فأنزل الله: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ الآية [الزخرف: ٣٦][1].

● **عن عبد الرحمٰن بن مسعود العبدي** قال: قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه الآية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف]، قال: ذهب نبيَّه ﷺ وبقيت نقمته في عدوّه[2].

---

(١) «فتح القدير» (٦/ ٤٠٧).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٩٨).

● **عن مجاهد** في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]، قال: يقال ممن هذا الرجل؟ فيقال: من العرب، فيقال: من أي العرب؟ فيقال: من قريش، فيقال: من أي قريش؟ فيقال: من بني هاشم[(١)].

● **عن علي وابن عباس** قالا: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل بمكة، ويعدهم الظهور، فإذا قالوا: لمن الملك بعدك؟ أمسك، فلم يجبهم بشيء؛ لأنه لم يؤمر في ذلك بشيء حتى نزلت: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ فكان بعدُ إذا سئل قال: لقريش، فلا يجيبونه حتى قبلته الأنصار على ذلك[(٢)].

● **عن عدي بن حاتم** رضي الله عنه قال: كنت قاعداً عند رسول الله ﷺ فقال: «**ألا إنّ الله علمَ ما في قلبي مِنْ حُبِّي لقومي، فشرَّفني فيهم، فقال:** ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **فجعل الذكر والشرف لقومي في كتابه، ثم قال:** ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء]؛ **يعني: قومي، فالحمد لله الذي جعلَ الصدِّيق مِنْ قومي، والشهيدَ مِنْ قومي، [والأئمةَ من قومي[(٣)]]، إنّ اللهَ قلبَ العبادَ ظهراً وبطناً، فكانَ خيرَ العربِ قريشٌ، وهي الشجرةُ المباركةُ التي قال الله في كتابه:** ﴿مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤]»؛ يعني: بها قريشاً ﴿أَصۡلُهَا ثَابِتٞ﴾ قول: «**أصلُها كَرَمٌ**»، ﴿وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾، يقول: «**الشَّرَفُ الذي شرّفهم اللهُ بالإِسلامِ الذي هداهم له، وجعلهم أهلَه، ثم أنزلَ فيهم سورةً من كتابِ اللهِ بمكّةَ** ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾﴾ إلى آخرها [قريش: ١ ـ ٣]».

قال **عدي بن حاتم**: ما رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ذكر عنده قريش بخير

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٩٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٩٩).
(٣) زيادة على الأصل الفارسي.

قط إلّا سرّه، حتى يتبيّن[١] ذلك السرورَ للناسِ كلّهم في وجهه، وكان كثيراً ما يتلو هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف][٢].

• **عن القاسم** بن محمد بن أبي بكر، عن أبيه أو عن عمه أو جده **أبي بكر الصدّيق**، عن النبي ﷺ قال: «**ينزلُ اللهُ إلى السماءِ الدُّنيا ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ، فيغفرُ لكلِّ شيءٍ، إلّا لرجلٍ مشركٍ أو في قلبه شحناءُ**»[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «حتى يستبين».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٩٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ١١٥).

آيات سورة الأحقاف

• **عن قتادة عن أبي حرب** بن أبي الأسود الدؤلي قال: رفع إلى عمر ﷺ امرأة ولدت لستة أشهر، فسأل عنها أصحاب النبيِّ ﷺ، فقال عليٌّ ﷺ: لا رجمَ عليها، ألا ترى أنه يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، وكان الحملُ ها هنا ستة أشهر، فتركها عمر ﷺ، قال: ثم بلغنا أنها ولدت آخر لستة أشهر(١).

• **عن نافع بن جبير أن ابن عباس** أخبره قال: إنِّي لصاحبُ المرأة التي أُتي بها عمر وضعت لستة أشهر، فأنكر الناسُ ذلك، فقلتُ لعمر: لا تظلم(٢)، قال: كيف؟ قلت: اقرأ ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] كم الحول؟ قال: سنة، قلت: كم السنة؟ قال: اثنا عشر شهراً، قلت: فأربعة وعشرون شهراً حولان كاملان ويؤخِّر الله من الحمل ما شاء ويقدِّم، قال: فاستراح عمر ﷺ إلى قولي(٣).

• **عن أبي عبيدة** مولى عبد الرحمٰن بن عوف قال: رفعت امرأةٌ إلى عثمان ﷺ ولدت لستة أشهر، فقال عثمان: إنها قد رفعت إليَّ امرأةٌ ما أراها إلا جاءت بشرّ، فقال ابن عباس: إذا كملت الرضاعة كان الحمل ستة أشهر؟ وقرأ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، فدرأ عثمانُ عنها(٤).

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ١٥٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «كيف تظلم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٠).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ١٥٠).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنّه كان يقول: إذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع إحدى وعشرون شهراً، وإذا ولدت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهراً؛ وإذا وضعت لستة أشهر فحولين كاملين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَٰلُهُ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[1].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أنزلت هذه الآية في أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ الآية [الأحقاف: ١٥]، فاستجاب الله له فأسلم والداه جميعاً وإخوانه وولده كلهم، ونزلت فيه أيضاً: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ الآية [الليل]، إلى آخر السورة[2].

• **عن مجاهد** قال: دعا أبو بكرٍ عمرَ رضي الله عنهما، فقال له: إني موصيك بوصية أن تحفظها، إن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، إنّه ليس لأحدٍ نافلةٌ حتّى يؤدي الفريضةَ، إنّه إنّما ثقلتْ موازينُ مَنْ ثقلتْ موازينُه يومَ القيامةِ باتّباعهم الحقَّ في الدنيا، وثَقُلَ ذلك عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يُوْضَعُ فيه إلا الحقّ أن يثقل، وخفَّتْ موازينُ مَنْ خفَّت موازينه يوم القيامة لاتّباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطل أن يخفّ، ألم تر أنّ الله ذكرَ أهل الجنّةِ بأحسن أعمالهم فيقول [القائل]: أينَ يبلغُ عملك من عمل هؤلاء؟ [وذلك أنّ الله تعالى تجاوز عن أسوإِ أعمالهم، وأنّ الله تعالى] ذكر أهل النار بأسوإِ أعمالهم حتى يقول القائلُ: أنّا خيرٌ من عمل هؤلاء، وذلك بأن الله تعالى ردّ عليهم أحسن أعمالهم، ألم تر أنّ الله أنزلَ آيةَ الشدَّةَ عند آية الرخاء[3]، وآيةَ الرخاءَ عند آيةِ الشدّةِ ليكونَ المؤمنُ راغباً [راهباً] لئلا

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ١٥١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ١٥١).
(٣) في الأصل الفارسي: «الرجاء».

يلقي بيده على التهلكة، ولا يتمنّى على اللهِ أمنيةً يتمنّى على الله فيها غير الحق[١].

● **عن ابن عمر** رضي الله عنهما أنّ عمر رضي الله عنه رأى في يد جابر بن عبد الله درهماً فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحماً لأهلي قَرِمُوا إليه فقال: أفكلما اشتهيتم شيئاً اشتريتموه، أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][٢].

● **عن سالم بن عبد الله بن عمر** أنّ عمرَ كان يقول: [واللَّهِ] ما نعني بلذّاتِ العيش أن نأمرَ بصغار المعزى فتُسْمَطُ لنا، ونأمُرَ بلُبابِ الحنطةِ فتُخبزُ لنا، ونأمرُ بالزبيبِ فينبَذُ لنا في الأسعان، حتّى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا، وشربنا هذا، ولكنّا نريدُ أن نستبقي طيباتنا لأنا سمعنا الله تعالى يقول: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية[٣].

● **عن قتادة** رضي الله عنه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾، قال: تعلموا[٤] أنّ أقواماً يسترطون[٥] حسناتهم في الدنيا، استبقى[٦] رجلٌ طيباته إن استطاع ولا قوّة إلا بالله.

قال: وذُكِرَ لنا أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقولُ: لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً، وأليَنكم لباساً، ولكنّي أستبقي طيباتي.

وذكر لنا أنّ عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله عنه لمّا قدمَ الشام صُنِعَ له طعاماً لم يُرَ قبلَه مِثْلَه، قال: هذا لنا، فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟!

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥١). قرم إلى اللحم: اشتهاه.
(٢) المصدر نفسه (٩/ ١٥٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ١٥٣).
(٤) في الأصل الفارسي: «تعلمون».
(٥) في الأصل الفارسي: «يشترون».
(٦) في الأصل الفارسي: «استيفاء».

فقال خالد بن الوليد ﷺ: لهم الجنة، فاغرورقتْ عينا عمر ﷺ فقال: لئن كان حظُّنا من هذا الحطام وذهبوا بالجنّة لقد بانوا بوناً بعيداً[(١)].

• **عن جابر بن عبد الله** ﷺ قال: رآني عمرُ ﷺ وأنا معلِّقٌ لحماً فقال: يا جابرَ! ما هذا؟ قلت: لحمٌ اشتريته بدرهم لنسوة عندي قَرِمْنَ إليه، فقال: أما يشتهي أحدُكم شيئاً إلّا صنعه، أما يجدُ أحدُكم أن يطويَ بطنَه لجارِه وابنِ عمّه؟ أين تذهبُ هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ قال: فما انفلتّ منه حتى كدت أن لا أنفلت[(٢)].

• **عن حميد بن هلال** قال: كان حفصُ ﷺ يكثِرُ غشيان أمير المؤمنين عمر ﷺ، وكان إذا قرب طعامه اتقاه، فقال له عمر ﷺ: ما لك ولطعامنا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! إنّ أهلي يصنعون لي طعاماً هو ألينُ من طعامك، فأختارُ طعامَهم على طعامك.

فقال: ثكلتك أمُّك، أما تراني لو شئتُ أمرتُ بشاةٍ فتيّةٍ سمينةٍ فألقيَ عنها شعرُها، ثم أمرتُ بدقيق فنخِّلَ في خرقةٍ، فجُعلَ خبزاً مرقّقاً، وأمرتُ بصاعٍ من زبيبٍ فجعل في سَمْنٍ[(٣)] حتى يكون كدمِ الغزال؟

فقال حفص: إني أراك تعرِفُ لينَ الطعامِ.

فقال عمر ﷺ: ثكلتك أمُّكَ، والذي نفسي بيده لولا كراهية أن ينقصَ من حسناتي يومَ القيامةِ لأشركتكم في لين طعامكم[(٤)].

• **عن الحسن** قال: قدم وفدُ أهلِ البصرة على عمر مع أبي موسى

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٣).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).
(٣) في الأصل الفارسي: «فجعل سعن».
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).

الأشعري، فكان له في كلِّ يومٍ خبزٌ [يُلَتُّ[(١)]]، فربما وافقناها مأدومةً بزيت، وربّما وافقناها مأدومةً بسمنٍ، وربما وافقناها مأدومةً بلبنٍ، وربّما وافقنا القدائد اليابسةَ، قد دقَّت، ثم أغلي لها، وربما وافقنا اللحم الغريض، وهو قليلٌ، قال: وقال لنا عمر ﷺ: إنِّي واللهِ لقد أرى تقديركم[(٢)] وكراهيتكم طعامي، أما واللهِ لو شئتُ لكنتُ أطيبَكم طعاماً، وأرقَّكم عيشاً، أما واللهِ ما أجهلُ عن كراكر وأسنمة، وعن صلى وصناب وسلائق، ولكني وجدت الله عيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[(٣)].

❊ ❊ ❊

---

(١) زاد في الأصل الفارسي.
(٢) في الأصل الفارسي: «تقذيركم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٥٤).

آيات سورة محمد

يقول الفقير ـ عُفي عنه ـ: إن الله تعالى أنزل سورة القتال ـ أي: سورة محمد ـ ليميّز بين المؤمنين والكفّار والمنافقين، ويبيّن تعالى بأساليبَ مختلفة تبايِنُ المنازل بين السعداء، والفريقين من الأشقياء، وتباعد مراتبهم في الأقوال والأفعال، والمآل والعواقب، ووقعت ضمن ذلك إشارات إلى لوازم الخلافة الخاصة وما يغايرها، وتلويحات بوجود كلتا الطائفتين في زمن النبي ﷺ، ومهما يشمل عموم الآيات كل مؤمن ومنافق ولكن وقع تعريض بحال الحاضرين من الفريقين حينذاك.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ [محمد: ١]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [محمد: ٢]، يدلّان على وجود كلتا الطائفتين ـ المؤمنين والكفار مع المنافقين ـ، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، لـمّا رأينا وجود النصر وثبات القدم في قوم غلب الظنّ أن وعد: ﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾، تحقّق بهم، وترتّب لهم ثواب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [محمد: ١٢]، ولمّا قيل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، بمقابلة: ﴿قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ﴾ [محمد: ١٣] و﴿زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤]، علم أنَّ المراد به: المهاجرون والأنصار الحاضرون، وفي قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [محمد: ١٥]، بيان أجرهم ومثوبتهم من الله، وقد وقعت في هذه الآيات إشارة إلى صفات ضدّ الخلافة الراشدة التي يتولاها المنافقون والفاسقون وهي: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢﴾ [محمد]، ويمكن البحث عن حقيقة معنى الخلافة الراشدة بطريق المفهوم المخالف والقول: بأن الخلافة الراشدة عبارة عن الإصلاح في الأرض ووصل الأرحام ووضع الشيء في محله، وهو المقصود.

• **عن أبي بكر** عن النبيِّ ﷺ قال: «**عليكُم بلا إلـهَ إلّا اللهَ والاستغفارِ، فأكثروا منهما، فإنَّ إبليسَ قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوب، وأهلكوني بلا إلـه إلّا اللهَ والاستغفار، فلمّا رأيتُ ذلك أهلكتُهم بالأهواءِ وهم يحسبونَ أنّهم مهتدونَ**»[١].

• **عن يحيى بن طلحة بن عبيد الله** رضي الله عنه قال: رُئِيَ طلحة حزيناً[٢] فقيل له: ما لك؟ قال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأعلمُ كلمةً لا يقولُها عبدٌ عندَ موتِهِ إلّا نفَّسَ اللهُ عنه كربتَه، وأشرقَ لونُه ورأى**[٣] **ما يسرُّه**»، وما منعني أن أسأله عنها إلا القدرة عليه حتّى مات.

فقال عمر: إنِّي لأعلمُها.

[فقال: فما هي؟].

قال: لا نعلمُ[٤] كلمةً هي أعظمُ من كلمةٍ أمرَ بها عمَّه، لا إلـه إلا الله.

قال: فهي واللهِ [هيَ][٥].

• **عن عثمان** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ ماتَ وهو يعلمُ أنْ لا إلـهَ إلّا اللهَ دخلَ الجنّةَ**»[٦].

• **عن بريدةَ** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند عمر رضي الله عنه إذ سمع صائحاً فقال: يا يرفا! انظر ما هذا الصوت؟ فنظر ثم جاء، فقال: جاريةٌ من قريشٍ تُباعُ أمُّها.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٢/ ٤٤٠).
(٢) في الأصل الفارسي: «قال: رأى عمر طلحة حزيناً».
(٣) في الأصل الفارسي: «أتى».
(٤) في الأصل الفارسي: «لا تعلم».
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٩٦).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ١٩٦).

فقال عمر رضي الله عنه: ادعُ لي المهاجرين والأنصار، فلم يمكث إلا ساعةً حتى امتلأتِ الدار والحُجرة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعدُ، فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد ﷺ القطيعة؟

قالوا: لا.

قال: فإنّها قد أصبحتْ فيكم فاشيةً، ثم قرأ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾، ثم قال: وأيُّ قطيعةٍ أقطعُ من أنْ تباعَ أمٌّ امرئٍ فيكم، وقد أوسعَ الله لكم؟ قالوا: فاصنع ما بدا لك، فكتبَ في الآفاقِ أنْ لا تباعَ[1] أمُّ حرٍّ، فإنَّها قطيعةُ رحمٍ، وأنه لا يحلُّ[2].

● عن عروة رضي الله عنه قال: تلا رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]، فقال شابٌّ من أهل اليمن: بل عليها أقفالُها حتّى يكونَ اللهُ يفتحها أو يفرّجها.

فقال النبي ﷺ: «**صدقتَ**»، فما زال الشابُّ في نفسِ عمرَ رضي الله عنه حتى وَلِيَ فاستعانَ به[3].

● **وعن سهل بن سعد** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾، فقال شابٌّ عند النبي ﷺ: بل واللهِ عليها أقفالُها، حتّى يكونَ اللهُ هو الذي يفُكُّها، فلمّا وليَ عمرُ وسأل عن ذلك الشابّ ليستعمله، فقيل: قد مات[4].

❁ ❁ ❁

---

(١) في الأصل الفارسي: «لا تبتاع».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ١٩٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٠٣).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٠٣).

آيات سورة الفتح

ويذكر الله تعالى في سورة الفتح دلائل باهرة على فضل أهل الحديبية الذين كان الخلفاء منهم، فمن جملة هذه الدلائل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ... ﴿٤﴾ ...وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ الآيتين [الفتح].

ومنها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح: ١٠].

ومنها: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦].

وهذه الآيةُ تدلُّ على وجود داعٍ إلى الجهاد في المستقبل، وترتّب الأجر الجميل على طاعته، والعذابُ الأليم على عصيانه، وهذا المعنى من أحدِ لوازم الخلافة الخاصّة، ولم تتحقق هذه الأمارة إلّا في حقّ الخلفاء الثلاثة، أعظم الله لهم الأجور، وقد بيَّنا هذا المبحثَ في الفصل الثالث مفصَّلاً.

ومنها: قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩]، هذه الصفات المرضية من لوازم الخلافة الخاصة.

ومنها: قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]. وإذا طبَّقنا حالات المثل على أحوال الممثَّل له علمنا أن تلك الصفات كانت ظاهرة في الخلفاء.

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فسألته عن شيء ـ ثلاث مرات ـ فلم يردّ عليَّ، فقلت في نفسي: ثكلتك أُمُّكَ يا ابنَ الخطّاب، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات فلم يردّ عليك،

فحرَّكتُ بعيري، ثم تقدَّمتُ أمامَ الناس، وخشيتُ أن ينزل فيَّ القرآن، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخ بي، فرجعتُ، وأنا أظنُّ أنّه نزل فيَّ شيءٌ، فقال النبيُّ ﷺ: «**لقد أنزلتْ عليَّ سورةٌ أحبُّ إليَّ من الدُّنيا وما فيها**، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢]»[١].

• **عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر** عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: كانت بيعةُ النبيِّ ﷺ حين أنزل عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، فكانت بيعةُ النبي ﷺ التي بايع عليها الناس البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ، وكانت بيعةُ أبي بكر رضي الله عنه بايعوني ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا طاعة لي [عليكم]، وكانت بيعةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ، وكانت بيعةُ عثمان بن عفان رضي الله عنه البيعةَ للهِ والطاعةَ للحقِّ[٢]، قوله: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال الحسن: هم فارس والروم.

• **وعن مجاهد** في الآية، قال: أعراب فارس وأكراد العجم.

• **عن ابن جريج** رضي الله عنه في قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال: [إنَّ] عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه دعا أعرابَ المدينةِ جُهينة ومُزينة الذين كان النبيُّ ﷺ دعاهم إلى خروجه إلى مكة، دعاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قتال فارس، قال: ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ [الفتح: ١٦] إذا دعاكم عمر، تكن توبةً لتخلفكم عن النبيِّ ﷺ و﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ [الفتح: ١٦]، إذا دعاكم عمر، ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ إذا دعاكم النبيُّ ﷺ ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٦][٣].

---

(١) المصدر نفسه (٩/٢٠٨).
(٢) المصدر نفسه (٩/٢١٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/٢١٩).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، قال: فارس والروم[١].

• **عن سلمة بن الأكوع** رضي الله عنه قال: بينا نحن قائلون إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: أيها الناسُ البيعةَ البيعةَ، نزل روحُ القدسِ، فثرنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرةٍ، فبايعناه، فذلك قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، فبايع لعثمان رضي الله عنه إحدى يديه على الأخرى، فقال الناسُ: هنيئاً لابن عفان رضي الله عنه يطوفُ بالبيتِ ونحن ها هنا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو مكثَ كذا وكذا سنة ما طافَ حتّى أطوفَ**»[٢].

• **عن نافع** رضي الله عنه قال: بلغ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أن ناساً يأتون الشجرةَ التي بويعَ تحتها، فأمرَ بها فقُطِعَتْ[٣].

• **عن عروةَ** رضي الله عنه قال: لمّا نزل النبيُّ ﷺ الحديبيةَ فزعت قريش لنزوله عليهم، فأحبَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن يبعثَ إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه ليبعثه إليهم، فقال: يا رسول الله إني لا آمنُ، وليس بمكّةَ أحدٌ من بني كعب يغضَبُ لي إنْ أُوذيتُ، فأرسل عثمانَ بنَ عفّان فإنَّ عشيرته بها، وإنّه يبلغ لك ما أردت، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عثمان رضي الله عنه، فأرسله إلى قريش، وقال: «**أخبِرْهم: أنّا لم نأتِ لقتالٍ، وإنّما جئنا عُمَّاراً، وادعُهم إلى الإسلام**، وأمره أن يأتيَ رجالاً بمكّةَ مؤمنينَ، ونساءً مؤمناتٍ فيدخلَ عليهم، ويبشّرَهم بالفتح، ويخبرَهم أنّ الله وشيكٌ أن يظهِرَ دينه بمكة، حتى لا يُسْتَخْفَىٰ فيها بالإيمان».

فانطلق عثمان رضي الله عنه إلى قريش فأخبرهم، فارتهنه المشركون، ودعا

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢١٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٠).

رسولُ اللهِ ﷺ إلى البيعة، ونادى منادي رسول الله ﷺ: ألا إنَّ روح القدس قد نزل على رسولِ اللهِ ﷺ فأمره بالبيعةِ، فاخرجوا على اسمِ اللهِ فبايعوه، فثارَ المسلمونُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وهو تحت الشجرةِ، فبايعوه على أن لا يفرّوا أبداً، فرغَّبهم الله، فأرسلوا مَنْ كانوا ارتهنوا من المسلمين، ودعوا إلى الموادعةِ والصُّلْح[1].

• **وعن جابر** رضي الله عنه قال: كُنّا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة، فبايعناه وعمر رضي الله عنه آخذٌ بيده تحت الشجرة، وهي سَمُرَةٌ، وقال: بايعناه على أن لا نفرّ، ولم نبايعه على الموت[2].

• **وعن أنس** قال: لما أمر رسولُ الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رسولَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أهل مكة، فبايعَ الناسَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنَّ عثمانَ في حاجَةِ اللهِ وحاجَةِ رسولِهِ**»، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ اللهِ ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[3].

• **أخرج أحمد** عن جابر **ومسلم** عن **أم مبشر** عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ النارَ أحدٌ ممّن بايعَ تحت الشجرةِ**»[4].

• **عن أبي أمامة الباهلي** قال: لمّا نزلت: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] [قلتُ: يا رسول الله! أنا ممّن بايعكَ تحتَ الشجرةِ[5]]، قال: «**يا أبا أمامةَ! أنتَ منِّي**

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢١).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٢)، واللفظ له، «سنن الترمذي» رقم: (٣٧٠٢).
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٩٦)، وأحمد في «مسنده» (٢٣/ ٩٣) برقم: (١٤٧٧٨) واللفظ له.
(٥) زاد في الأصل الفارسي.

وأنا مِنْكَ»[١].

• عن عكرمة: ﴿وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ١٨﴾ [الفتح] قال: خيبرُ حيثُ رجعوا من صلح الحديبية[٢].

• عن مجاهد: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ٢٠] قال: المغانم الكثيرة التي وعدوا ما يأخذون حتى اليوم: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: عُجِّلَتْ لهم خيبرُ[٣].

• عن ابن عباس: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: الفتح[٤].

• عن ابن عباس: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠]؛ يعني: أهل مكة أن يستحلّوا ما حرّم الله، أو يستحلّ بكم وأنتم حُرُمٌ ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: سُنَّةٌ لمن بعدكم[٥].

• عن مروان والمسور بن مخرمة قالا: انصرفَ رسولُ اللهِ ﷺ عام الحديبية، فنزلت عليه سورةُ الفتح فيما بين مكة والمدينة، فأعطاه الله فيها خيبر: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] خيبر، فقدم النبيُّ ﷺ المدينةَ في ذي الحجة، فقام[٦] بها، حتّى سار إلى خيبر في المحرّم، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ بالرجيع ـ وادٍ بين غطفان وخيبر ـ فتخوّفَ أن تمدّهم غطفان، فبات به حتّى أصبحَ فغدا عليهم[٧].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٦) في الأصل الفارسي: «فأقام».
(٧) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).

• **عن قتادة**: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: عن بيضتهم وعن عيالهم بالمدينة حين ساروا عن المدينة إلى خيبر[١].

• **عن عطية**: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ قال: فتح خيبر[٢].

• **عن ابن جريج** في قوله: ﴿وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠] قال: [اجتمع] الحليفانِ أسدُ وغطفانُ عليهم عُيينةُ بن حِصْنٍ معه مالكُ بنُ عوفٍ النَّصْري[٣] أبو النضر، وأهل خيبر على بئر معونة، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فانهزموا، ولم يلقوا النبيَّ ﷺ، وفي قوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الفتح: ٢٢] هم أسد وغطفان ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفتح]، يقول: سُنَّة الله في الذين خلوا من قبل أنه لن يقاتل أحد نبيَّه إلا خذله الله فقتله أو أرعبه، فانهزم، ولن يسمع به عدو إلا انهزموا واستسلموا[٤].

• **عن ابن عباس**: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [الفتح: ٢١] قال: هذه الفتوح التي تُفْتَحُ إلى اليوم[٥].

• **عن أبي الأسود الديلي**: أنَّ الزبير بن العوام لمّا قدم البصرة دخل بيت المال، فإذا هو بصفراء وبيضاء، فقال: يقول الله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢٠، ٢١] فقال: هذا لنا[٦].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «عوف بن النضر» وهو تحريف.
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٣).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٣).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤).

• **عن علي وابن عباس** قالا في قوله تعالى: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ فتوح من لدن خيبر ﴿تَأْخُذُونَهَا﴾ تلونها وتغنمون ما فيها ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ﴾ من ذلك خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ﴾ قريشاً ﴿عَنكُمْ﴾ بالصلح يوم الحديبية ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ شاهداً على ما بعدها ودليلاً على إنجازها ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ على علم وفيها أقسمها بينكم[1] فارس والروم ﴿قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ قضى الله بها أنها لكم[2].

• **عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى**: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: فارس والروم[3].

• **عن عطية**: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ قال: فتح فارس[4].

• **عن سهل بن حنيف** أنه قال يوم صفين: اتهموا أنفسكم فلقد رأيتَنا يوم الحديبية؛ يعني: الصلح الذي كان بين النبي ﷺ وبين المشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «**بلى**»، قال: ففيم نعطي الدنيّة في ديننا ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟

فقال: «**يا ابنَ الخطاب إنّي رسولُ اللهِ، ولن يضيّعَني اللهُ أبداً**»، فرجع متغيظاً، لم يصبر حتى جاء أبا بكر، فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فلمَ نعطي الدنيّةَ في ديننا؟ قال: يا ابنَ الخطّاب إنّه رسول الله، ولن يضيّعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح،

(١) في الأصل الفارسي: «على علم وقتها أفتاها عليكم».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٤).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤). (٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٤).

فأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عمر رضي الله عنه، فأقرأه إياها، قال: يا رسول الله، أو فتحٌ هوَ؟ قال: «**نعم**»[١].

• **عن أبي إدريس عن أُبيّ بن كعب** رضي الله عنه أنّه كان يقرأ: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَوْ حَمَيْتُمْ كَمَا حَمَوْا لَفَسَدَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ) [الفتح: ٢٦]، فبلغ ذلك عمر فاشتدّ عليه، فبعث إليه فدخل عليه، فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيد بن ثابت، فقال: من يقرأُ منكم[٢] سورة الفتح؟ فقرأ زيدٌ على قراءتنا اليوم، فغلَّظ له عمر، فقال أُبيّ: أأتكلم؟ قال: تكلّم، فقال: لقد علمت أنّي كنتُ أدخلُ على النبي ﷺ ويقرئني، وأنت بالباب، فإن أحببت أن أقرئ الناس على ما أقرأني أقرأت، وإلا لم أقرئ حرفاً ما حييتُ، قال: بل أقرئ الناسَ[٣].

• **عن حمران** مولى عثمان بن عفان[٤] رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنِّي لأعلمُ كلمةً لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبِهِ إلّا حرّمه اللهُ على النّارِ**»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنا أحدِّثكم ما هي؟ كلمةُ الإخلاص التي ألزمها الله محمّداً وأصحابه، وهي كلمةُ التقوى التي حَضَّ[٥] عليها نبيُّ الله عمَّه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إلـٰه إلا الله[٦].

• **عن عائشة** قالت: لمّا مات سعدُ بن معاذٍ حضر رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، فوالذي نفسُ محمّدٍ بيده إني لأعرفُ بكاء أبي بكر من بكاء عمر، وأنا في حجرتي، وكانوا كما قال الله: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٢٩).
(٢) في الأصل الفارسي: «فيكم».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٢٩).
(٤) في الأصل الفارسي: «عن حمران أن عثمان».
(٥) في الأصل الفارسي: «ألاص».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٠).

[الفتح: ٢٩] قيل: فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع، فقالت: كانت عينه لا تدمع على أحدٍ، ولكنّه كان إذا وجدَ فإنّما هو آخذٌ بلحيته[(١)].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ يعني: مكتوبٌ في التوراة والإنجيل قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ[(٢)].

● عن عمار مولى بني هاشم قال: سألت أبا هريرة رضي الله عنه عن القدر قال: اكتف منه بآخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إلى آخر السورة؛ يعني: أنَّ الله نعتهم قبل أن يخلقهم[(٣)].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿كَزَرْعٍ﴾ قال: أصل الزرع عبد المطلب أخرج شطأه محمداً ﷺ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ بأبي بكر، ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ بعمر، ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ بعثمان ﴿عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ بعليٍّ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩][(٤)(٥)].

● عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أبوبكر ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾: عمر ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾: عثمان ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: علي ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾: طلحة والزبير ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾: عبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة بن الجراح ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾: بأبي بكر ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾: بعمر ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾: بعثمان ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾: بعليٍّ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الفتح: ٢٩]، جميع أصحاب محمد ﷺ[(٦)].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٥).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٦).
(٤) في الأصل الفارسي: «ليغيظ بهم الكفار بعلي».
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٧).
(٦) المصدر نفسه (٩/ ٢٣٧).

آيات سورة الحجرات

ويذكر الله تعالى في سورة الحجرات دلائل باهرة على فضل الخلفاء، ومن بين هذه الدلائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [الحجرات].

علم بنقل مستفيض أن الشيخين مورد هذه الآية ومصداقها.

ومنها: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ١٥]، بمقابلة الأعراب وقولهم: «آمنّا».

● **عن عبد الله بن الزبير** قال: قدم ركبٌ من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أَمِّر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أَمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردتَ إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتُهما، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات: ١]، حتى انقضت الآية[(١)].

● **عن ابن أبي مُليكةَ** قال: كاد الخيِّرانِ أن يهلكا: أبو بكر وعمر، رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس، وأشار الآخر برجل آخر، فقال أبو بكر لعمر: ما أردتَ إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعت أصواتُهما في ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٣٩).

بعد هذه الآية حتى يستفهمه(١).

• **عن أبي بكر الصدِّيق** قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ قلت: يا رسول الله، والله لا أكلِّمك إلا كأخي السرار(٢).

• **عن أبي هريرة** قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ قال أبو بكر: والذي أنزل عليك الكتابَ ـ يا رسولَ اللهِ ـ لا أكلِّمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله(٣).

• **عن عطاء الخراساني** قال: قدمتُ المدينةَ، فلقيت رجلاً من الأنصار، قلت: حدِّثني حديث ثابت بن قيس بن شماس، قال: قم معي فانطلقتُ معه، حتى دخلتُ على امرأةٍ، فقال الرجلُ: هذه ابنةُ ثابت بن قيس بن شماس فاسألها عمّا بدا لك، فقلت: حدِّثيني، قالت: سمعت أبي يقول: لما أنزل الله على رسول الله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية، دخل بيته، وأغلق عليه بابه، وطفق يبكي، ففقده رسول الله ﷺ، فقال: «**ما شأنُ ثابتٍ؟**»، فقالوا: يا رسول الله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه باب بيته فهو يبكي فيه؟ فأرسل رسول الله ﷺ فسأله: «**ما شأنُكَ؟**» قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك هذه الآية، وأنا شديدُ الصوتِ، فأخافُ أن أكون قد حَبِطَ عملي، فقال: «**لستَ مِنْهُم، بل تعيشُ بِخَيْرٍ، وتموتُ بِخَيْرٍ**»، قالت: ثم أنزل الله على نبيِّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان]، فأغلق عليه بابه، وطفق يبكي فيه، فافتقده رسول الله ﷺ وقال: «**ثابتٌ ما شأنُه؟**»، قالوا: يا رسول الله، والله ما ندري ما شأنه غير أنه قد أغلق عليه بابه وطفق يبكي؟ فأرسل إليه رسول الله ﷺ

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٠).

فقال: «**ما شأنُكَ؟**» قال: يا رسول الله! أنزل الله عليك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾، واللهِ إنِّي لأحبُّ الجمالَ، وأحبُّ أن أسودَ قومي، قال: «**لستَ مِنْهُم، بل تعيشُ حميداً، وتُقْتَلُ شهيداً، ويدخِلُك اللهُ الجنَّة بسلامٍ**».

قالت: فلمّا كان يومُ اليمامةِ خرج مع خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذَّاب، فلمّا لقيَ أصحاب رسول الله ﷺ قد انكشفوا، فقال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، ثم حفر كلٌّ منهما لنفسه حفرةً، وحمل عليهم القوم، فثبتا حتى قُتلا، وكانت على ثابت يومئذٍ درع له نفيسةٌ، فمرّ به رجلٌ من المسلمين فأخذها، فبينا رجل من المسلمين نائمٌ إذ أتاه ثابت بن قيس في منامه، فقال له: إنّي أوصيك بوصيةٍ، إيّاكَ أن تقول هذا حلمٌ فتضيّعه، إنّي لما قتلتُ أمس مرّ بي رجلٌ من المسلمين فأخذ درعي، ومنزله في أقصى العسكر، وعند خبائه فرس يستن في طِوَلِهِ، وقد كفأ على الدِّرْع بُرْمَةً، وجعل فوق البُرْمَةِ رَحْلاً، فائتِ خالد بن الوليد فمره أن يبعثَ إليَّ درعي فيأخذَها، وإذا قدمتَ على خليفة رسول الله فأخبره أنَّ عليَّ من الدَّينِ كذا وكذا، ولي من الدين كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيق، وفلان، فإياك أن تقول هذا حلمٌ فتضيعه، فأتى الرجلُ خالدَ بنَ الوليد فأخبره، فبعث إلى الدرع فنظر إلى خباءٍ في أقصى العسكر فإذا عنده فرس يستن في طِوَلِهِ فنظر في الخباء، فإذا ليس فيه أحد، فدخلوا فرفعوا الرَّحْلَ، فإذا تحته برمةٌ، ثم رفعوا البرمة، فإذا الدرعُ تحتها، فأتوا به خالد بن الوليد، فلما قدموا المدينة حدّث الرّجلُ أبا بكر برؤياه، فأجاز وصيته بعد موته، ولا يعلم أحد من المسلمين جُوّزت[١] وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس بن شماس[٢].

---

(١) في الأصل الفارسي: «فلم نعلم أحداً من المسلمين جوّز وصيته».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٤٢)، وانظر: «إتحاف الخيرة المهرة» (٣/ ١٣٠)، و«المطالب العالية» (١٦/ ٥٠٤).

• **عن مجاهد** قال: كُتِبَ إلى عمر رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين رجلٌ لا يشتهي المعصية، ولا يعمل بها أفضلُ، أم رجلٌ يشتهي المعصية ولا يعملُ بها؟ فكتب عمر رضي الله عنه: إنّ الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ③﴾ [الحجرات][1].

• **عن عمر بن الخطاب** قال: مَنْ تعرّضَ للتهمة فلا يلومنَّ من أساء به الظنَّ، ومن كتم سِرَّه كان الخيارُ إليه، ومن أفشاه كان الخيارُ عليه، وضَعْ أمرَ أخيك على أحسنِهِ حتّى يأتيك منه ما يغلبِكُ، ولا تظُنَّنَّ بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ محملاً، وأكثر في اكتساب الإخوان، فإنهم جُنَّةٌ عند الرّخاءِ، وعُدّةٌ عند البلاء، وآخِ الإخوان على قدر التقوى، وشاور في أمرك الذين يخافون الله[2].

• **عن عبد الرحمٰن بن عوف** أنّه حرس مع عمر بن الخطاب ليلةً بالمدينة، فبينما هم يمشون شبّ لهم سراجٌ في بيت، فانطلقوا يؤمّونه، فلمّا دَنَوْا منه إذا بابٌ مجافٍ على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولَغَط، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمٰن بن عوف: أتدري بيت مَنْ هذا؟ قال: هذا بيتُ ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرْبٌ، فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢] فقد تجسَّسنا، فانصرف عنهم وتركهم[3].

• **عن الشعبي** أنّ عمر بن الخطاب فقدَ رجلاً من أصحابه، فقال لابن عوف: انطلق بنا إلى منزلِ فلانٍ فننظرَ، فأتيا منزله، فوجدا بابه مفتوحاً وهو جالسٌ وامرأته تصبّ له في إناء فتناوله إياه، فقال عمرُ لابن

(١) المصدر نفسه (٩/ ٢٤٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٦).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٧).

عوف: هذا الذي شغله عنّا، فقال ابنُ عوفٍ لعمر: وما يدريك ما في الإناء؟ فقال عمر: أتخاف[١] أن يكون هذا التجسسَ؟ قال: بل هو التجسسُ، قال: وما التوبة من هذا؟ قال: لا تُعْلِمْه بما اطّلعتَ عليه من أمره، ولا يكونَنَّ في نفسِكَ إلا خير، ثم انصرفا[٢].

• **عن الحسن** رضي الله عنه قال: أتى عمر بن الخطاب رجل فقال: إن فلاناً لا يصحو، فدخل عليه عمر رضي الله عنه، فقال: إنّي لأجدُ ريح شراب يا فلان، أنت بهذا؟ فقال الرجل: يا ابن الخطاب وأنت بهذا، ألم ينهك الله أن تتجسَّسَ؟ فعرفها عمر، فانطلقَ وتركه[٣].

• **عن ثور الكندي** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعسّ بالمدينة من الليل[٤]، فسمع صوت رجل في بيت يتغنَّى، فتسوّر عليه، فوجد عنده امرأةً، وعنده خمرٌ، فقال: يا عدوَّ اللهِ أظننتَ أنَّ الله يسترك وأنتَ على معصيته.

فقال: وأنتَ يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، إن أكن عصيتُ الله واحدةً فقد عصيتَ الله في ثلاث، قال الله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ وقد تجسَّستَ، وقال: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تسوّرتَ عليَّ، ودخلتَ عليَّ بغير إذن، وقال الله: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

قال عمر رضي الله عنه: فهل عندك من خيرٍ إن عفوتُ عنك؟

قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه[٥].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أتخاف».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٥٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٢٥٨).
(٤) أي: يطوف بالليل يحرس الناسَ ويكشف أهلَ الرِّيبَة. «النهاية» (ص٦١٥).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٥٨).

• **عن أنس** قال: كانت العربُ يخدم بعضها بعضاً في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رجلٌ يخدمهما، فناما فاستيقظا، ولم يُهَيِّئ لهما طعاماً فقالا: إنّ هذا لنؤوم، فأيقظاه، فقالا: ائتِ رسولَ اللهِ ﷺ، فقل له: إنَّ أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأذناك، فقال: «**إنّهما ائتدما**» فجاءاه، فقالا: يا رسولَ اللهِ! بأيِّ شيءٍ ائتدمنا؟ قال: «**بلحمِ أخيكما، والذي نفسِي بيدِهِ إنِّي لأرى لحمَه بين ثناياكُما**»، فقالا: استغفر لنا يا رسول الله، قال: «**مُرَاهُ فليستغفِرْ لَكُما**»[١].

• **عن يحيى بن أبي كثير** أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه لحماً، فقال: «**أو ليسَ قد ظللتُم من اللحم شباعاً؟**»، قالوا: مِنْ أين؟ فواللهِ ما لنا باللحم عهدٌ منذ أيام، فقال: «**مِنْ لحمِ صاحبِكم الذي ذكرتُم**»، قالوا: يا نبي الله! إنّما قلنا: إنّه لضعيفٌ ما يُعيننا على شيءٍ، قال: «**ذلكَ، فلا تقولوا**»، فرجع إليهم الرجلُ فأخبرهم بالذي قال، فجاء أبو بكر، فقال: يا نبيَّ الله! طأ على صماخي واستغفر لي ففعل، وجاء عمر فقال: يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي ففعل[٢].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٦١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٦٢).

آيات سورة ق

عن عائشة قالت: لمّا حضرتْ أبا بكرٍ الوفاةُ قلتُ:

وأبيضُ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجْهِهِ   ثمالُ اليتامَىٰ عِصْمَةٌ للأرامِل

قال أبو بكر ﷺ بل: (وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الحق بالموت ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) قدَّم الحقَّ وأخَّر الموتَ(١).

• **عن عبد الله بن اليمني**(٢) مولى الزبير بن العوّام قال: لما حضر أبو بكر تمثلت عائشة بهذا البيت:

أعاذِلُ ما يُغني الحذارُ عَنِ الفتى   إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدْرُ

فقال أبو بكر ﷺ: ليس كذلك يا بُنيّةُ، ولكن قولي: ﴿وَجَآءَتْ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق](٣).

• **عن عثمان بن عفان** ﷺ أنه قرأ: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق] قال: سائقٌ يسوقها إلى أمر الله، وشهيدٌ يشهد عليها بما عملت(٤).

• **عن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ٤٠﴾ [ق]، قال: ركعتان بعد المغرب ﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾ [الطور]، قال: ركعتان قبل الفجر(٥).

• **عن ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«أنا أوّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الأرضُ، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهلَ البقيعِ، فيحشرونَ معي، ثم**

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٨٣).

(٢) في الأصل الفارسي: «البهي».

(٣) «الدر المنثور» (٩/ ٢٨٤).

(٤) المصدر نفسه (٩/ ٢٨٤).

(٥) المصدر نفسه (٩/ ٢٩٤).

أنتظرُ أهلَ مكّة»، وتلا ابن عمر: ﴿يَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلۡأَرۡضُ عَنۡهُمۡ سِرَاعٗاۚ﴾ الآية[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩٤).

آيات سورة الذاريات

• **قال الله تعالى:** ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾ [الذاريات].

عن **سعيد بن المسيّب** قال: جاء صَبِيغٌ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: أخبرني عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾، قال: هي الرياح، ولولا أني سمعتُ رسول الله يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾﴾، قال: هي السحاب، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾﴾، قال: هي السفن، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، قال: فأخبرني عن ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾، قال: هنّ الملائكةُ، ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته، ثم أمر به فضُرِبَ مائةً، وجعل في بيت، فلما برأ دعاه، فضرب مائةً أخرى، وحمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى الأشعري امنع الناسَ من مجالسته، فلم يزالوا كذلك حتّى أتى أبا موسى، فحلف له بالأيمان المغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئاً، فكتب في ذلك إلى عمر، فكتب عمر: ما إخاله إلا وقد صدق، فخلِّ بينه وبين مجالسة الناس[1].

• **عن الحسن** قال: سأل صَبِيْغٌ التميمي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾﴾، وعن ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾﴾، وعن ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾، فقال عمر رضي الله عنه: اكشف رأسك فإذا له ضفيرتان، فقال: واللهِ لو وجدتُكَ محلوقاً لضربتُ عنقك، ثم كتب إلى أبي موسى الأشعري أنْ لا يجالِسَه مسلمٌ ولا يكلِّمَه[2].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٢٩٦).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٢٩٦).

آيات سورة الطور

• عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب قرأ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾، فربا لها ربوةً [حتى] عِيدَ لها عشرين يوماً.

• عن مالك بن مغول قال: قرأ عمر: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ قال: قَسَمٌ إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾، فبكى ثم بكى حتى عِيدَ من وجعه ذلك[1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (٩/٣٠٨).

آيات سورة النجم

• **عن عمر بن الخطاب** قال: احذروا هذا الرأي على الدين، فإنما كان الرأيُ من رسول الله ﷺ مُصيباً؛ لأنّ الله كان يُريه، وإنّما هو منّا تكلُّفٌ وظنٌّ ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾﴾ [النجم][1].

• **عن سبرةَ** قال: صلّى بنا عمر بن الخطاب الفجرَ، فقرأ في الركعة الأولى سورة يوسف، ثم قرأ في الثانية النجم، فسجدَ، ثم قام فقرأ إذا زلزلت ثم ركع[2].

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٣٢٥).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٣٧).

آيات سورة القمر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أنزل الله على نبيِّه بمكّةَ قبل يوم بدر ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أيُّ جمعٍ سيُهزمُ؟ فلمّا كان يومُ بدرٍ، وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾، وكانت ليوم بدر[1]، فأنزل الله فيهم: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية [المؤمنون: ٦٤]، وأنزل الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ الآية [إبراهيم: ٢٨]، ورماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية، وملأت أعينهم وأفواههم، حتى إنَّ الرجلَ ليُقْتَلُ وهو يقذي عينيه، فأنزل الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].

• عن عكرمة رضي الله عنه قال: لمّا نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال عمر رضي الله عنه: جعلت أقول: أيُّ جمعٍ سيُهزمُ؟ حتّى كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثِبُ في الدرع وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ فعرفتُ تأويلَها يومئذٍ[2].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «فكان ليوم البدر».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٣٤٦).

آيات سورة الرحمٰن

عن **ابن شوذب** في قوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن]، قال: نزلتْ في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

• **عن عطاء** أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه ذكر ذاتَ يومٍ، وفكّر في القيامة والموازين والجنة والنار وصفوف الملائكة وطيّ السماوات ونسف الجبال وتكوير الشمس وانتثار الكواكب، فقال: وددتُ أني كنتُ خضراء من هذا الخضر تأتي عليّ بهيمةٌ، فتأكلني وأنّي لم أُخْلَقْ، فنزلت هذه الآية: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

• **عن الحسن** قال: كان شابٌّ على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ملازمٌ المسجدَ والعبادة، فعشقته جاريةٌ فأتته في خلوة، فكلَّمته، فحدّث نفسه بذلكَ فشهقَ شهقةً فغُشِيَ عليه، فجاء عمٌّ له إلى بيته، فلمَّا أفاق قال: يا عمّ انطلِقْ إلى عمر، فأقرئه منِّي السلام، وقل له: ما جزاءُ مَنْ خاف مقام ربه؟ فانطلق عمُّه فأخبرَ عمر، وقد شهِقَ الفتى شهقةً أُخرى فمات منها، فوقف عليه عمر فقال: لكَ جنّتان، لكَ جنّتان[2].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: جاء ناسٌ من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أفي الجنةِ فاكهةٌ؟ قال: «**نعم فيها فاكهةٌ ونخلٌ ورمانٌ**»، قالوا: أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ قال: «**نعم وأضعافه**»، قالوا: أفيقضون الحوائج؟ قال: «**لا، ولكنّهم يعرَقون ويرشَحون فيُذْهِبُ الله ما في بطونهم من أذىً**»[3].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٦).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٦٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٧٤).

آيات سورة الواقعة

إن الله تعالى قسّم المكلفين في سورة الواقعة إلى ثلاثة أقسام:

أولها: السابقون المقربون، **وثانيها**: أصحاب اليمين، **وثالثها**: أصحاب الشمال.

ولأصحاب الشمال نوعان: **أولهما**: كفار، **والثاني**: فسّاق، وذكر هنا الكفّار ولم يذكر الفسّاق، وقد وعد الله تعالى السابقين المقربين بالمرتبة العليا من الثواب، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة]، وجعل ثواب أصحاب اليمين أقلّ بالنسبة إلى ثواب السابقين المقربين، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة]، فينبغي أن يكون الخليفةُ الخاصُّ للنبيِّ ﷺ من الطبقة العليا للأمة وإن كانت مراتب شتّى فيما بينهم.

• **عن ابن عباس** قال ألظّ النبيُّ ﷺ بـ«الواقعة» و«الحاقّة» و«عمّ يتساءلون»، «والنازعات» و«إذا الشمس كُوِّرت» و«إذا السماء انفطرت» فاستطار فيه القتير، فقال له أبو بكر: قد أسرع فيك القتير - بأبي وأمي - قال: **«شيَّبتني هود وصواحباتها هذه»**[(١)].

• **عن جابر بن عبد الله** قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾، ذكر فيها ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾، قال عمر: يا رسول الله! [ثلة من الأولين وقليل منا، فأمسك آخرُ السورة سنةً ثم نزل]: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾، فقال رسول الله ﷺ: **«يا عمرُ! تعالَ فاستمعْ ما قَدْ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ**

---

(١) «تاريخ دمشق» (٤/ ١٧١).

﴿١٣ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ٤٠﴾، **ألا وإنَّ مِنْ آدمَ إليَّ ثلةٌ، ومنِّي ثلةٌ، ولن نستكملَ ثلّتنا حتّى نستعينَ بالسودانِ من رعاةِ الإبل، ممّن يشهَدُ أن لا إلهَ إلّا الله وحدَه لا شريكَ له**»[١].

• عن **أبي سعيد الخدري** قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ طيرَ الجنّة، فقال أبو بكر: إنها لناعمةٌ، قال: «**ومَنْ يأكل منها أنعمُ منها وإنّي لأرجو أن تأكلَ مِنْها**»[٢].

• عن **أنس** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمّا طيرُ الجَنَّةِ كأمثالِ البُخْتِ ترعى في شَجَرِ الجَنَّةِ**»، فقال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! إنَّ هذه الطيور لناعمةٌ، فقال: «**آكلُها أنعمُ منها، وإنِّي لأرجو أن تكونَ ممّنْ يأكلُها**»[٣].

• عن **حذيفة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنةِ طيراً أمثالَ البخاتي**»، قال أبو بكر: إنَّها لناعمةٌ يا رسول الله، قال: «**أَنْعَمُ مِنْها مَنْ يأكلُها، وأنتَ ممّن يأكلُها، [وأنتَ ممّنْ يأكلُ مِنْها]**»[٤].

• عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه من طرق متعددة، قال: احضُرُوا موتاكم، وذكِّروهم، فإنّهم يرونَ ما لا تَرَوْنَ[٥].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٣٨٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٣٨٥).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٠٢).

آيات سورة الحديد

يقول الله تعالى في سورة الحديد: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد].

والظاهر: أنَّ المرادَ من الفتح هو فتحُ مكة، فالآية نصّ في تفضيل الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا على الذين باشروا هذه الأعمال من بعدِ فتح مكة، وبما أنَّ الخلافة الخاصة أو الخلافة الكاملة ـ أيّاً ما شئتَ فقل ـ تتحقّق بأن يكونَ الخليفةُ أفضلَ من غيره باعتبار الأصناف والأوصاف العامة، فلا يستحقّ الخلافة الخاصة إلا مَنْ كان من الطائفة الذين آمنوا من قبل الفتح وأنفقوا وقاتلوا.

• **عن عمر** قال: كنتُ أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم حارٍّ بالهاجرة في بعض طريق مكة إذ لقيني رجلٌ فقال: عجباً لك يا ابنَ الخطاب إنّكَ تزعمُ أنك وأنك[1]، وقد دخل عليك الأمرُ في بيتك، قلتُ: وما ذاك؟ قال: هذه أختُكَ قد أسلمتْ، فرجعتُ مغضَباً حتى قرعتُ البابَ فقيل: مَنْ هذا؟ قلتُ: عمرُ، فتبادروا، فاختفَوا منّي، وقد كانوا يقرؤون صحيفةً بين أيديهم تركوها أو نسوها، فدخلتُ حتّى جلستُ على السريرِ، فنظرتُ إلى الصحيفة، فقلتُ: ما هذه؟ ناولينيها، قالت: إنّكَ لستَ مِنْ أهلِها، إنّك لا تغتسِلُ من الجنابةِ، ولا تطهّرُ، وهذا كتابٌ لا يمسُّه إلّا المطهّرون، فما زلتُ حتى ناولتنيها ففتحتُها، فإذا فيها:

(١) في الأصل الفارسي: «لم يتكرّر».

بسم الله الرحمٰن الرحيم، فلمّا قرأتُ الرحمٰن الرحيم ذُعِرْتُ، فألقيتُ الصحيفةَ من يدي، ثم رجعتْ إليَّ نفسي، فأخذتُها، فإذا فيها: بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد]، فكلّما مررتُ باسم من أسماء الله ذُعِرْتُ، ثم ترجعُ إليَّ نفسي حتى بلغت: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، فقلتُ: أشهدُ أن لا إلٰه إلا الله، وأنَّ محمّداً رسولُ اللهِ، فخرج القوم مستبشرين فكبروا[١].

• **عن مجاهد** في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ [الحديد: ١٠]، يقول: مَنْ أسلم ﴿وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [الحديد: ١٠]؛ يعني: أسلموا، يقول: ليس من هاجر كمن لم يهاجِرْ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠][٢].

• **عن قتادة** في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ الآية، قال: كان قتالان أحدُهما أفضلُ من الآخر، وكانت نفقتان إحداهما أفضلُ من الأخرى، قال: كانت النفقة والقتال قبل الفتح فتح مكة أفضلَ من النفقة والقتال بعد ذلك ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾، قال: الجنة[٣].

• **عن زيد بن أسلم** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يأتيكم قومٌ من ها هنا**، وأشار بيده إلى اليمن، **تحقِرونَ أعمالَكُم عندَ أعمالِهم**»، قالوا: فنحن خيرٌ أم هم؟ قال: «**بَلْ أنتُم، فلو أنَّ أحدَهم أنفقَ مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِكُم ولا نصيفه، فصلت هذه الآية بيننا وبين الناس ﴿لَا**

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٠٩).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).

يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ﴾ [الحديد: ١٠]»[(١)].

• **عن زيد بن أسلم** عن عطاء بن يسار عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ عامَ الحديبية إذا كان بعُسْفان قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يوشِكُ أنْ يأتيَ قومٌ تحقِرونَ أعمالَكُم مع أعمالهم**»، قلنا: من هم يا رسول الله! أقريشٌ؟ قال: «**لا، ولكنّهم أهلُ اليمنِ، هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوباً**»، فقلنا: أهم خير منا يا رسول الله؟ قال: «**لو كان لأحدِهم جبلٌ مِنْ ذهبٍ فأنفقَه ما أدركَ مُدَّ أحدِكم ولا نصيفه إلا إنَّ هذا فصلُ ما بيننا وبينَ الناسِ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ﴾** الآية»[(٢)].

• **عن أنس** قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلامٌ، فقال خالدٌ لعبد الرحمٰن بن عوف: تستطيلونَ علينا بأيامٍ سبقتمونا بها، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: «**دَعُوا لي أصحابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ لو أنفقتُم مِثْلَ أُحدٍ أو مِثْلَ الجبالِ ذهباً ما بلغتُم أعمالَهم**»[(٣)].

• **عن يوسف بن عبد الله بن سلام** قال: سُئِلَ رسول الله ﷺ: أنحن خيرٌ أم مَنْ بعدنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**لو أنفقَ أحدُهم أُحداً ذهباً ما بلغَ مُدَّ أحدِكُم ولا نصيفه**»[(٤)].

• **عن أبي سعيد** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبّوا أصْحَابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ، لو أنَّ أحدَكم أنفقَ مِثْلَ أُحدٍ ذهباً ما أدركَ مُدَّ أحدِهِم ولا نصيفه**»[(٥)].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٣).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٤).

• **عن ابن عمر** قال: لا تسبّوا أصحابَ محمّدٍ ﷺ، فلمقامُ أحدِهم ساعةً خيرٌ من عمل أحدِكم عُمُرَهُ[١].

• **عن ابن مسعود** قال: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، إلا أربع سنين، قال: لما نزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ الآية، أقبل بعضنا على بعض، أي شيء أحدثنا؟ أي شيء صنعنا[٢]؟

• **عن ابن عباس** قال: إنَّ الله استبطأ قلوبَ المهاجرين فعاتبهم على رأسِ ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية[٣].

• **عن الأعمش** قال: لمّا قدمَ أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ المدينةَ، فأصابوا مِنْ لين العيش ما أصابوا بعد ما كان بهم من الجهد، فكأنّهم فتروا عن بعضِ ما كانوا عليه، فعوتبوا، فنزلت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية[٤].

• **عن أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ فرَّ بدينِهِ من أرضٍ إلى أرضٍ مخافةَ الفتنةِ على نفسِهِ ودينِهِ كُتِبَ عندَ اللهِ صدّيقاً، فإذا ماتَ قبضَه اللهُ شهيداً**»، وتلا هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الحديد: ١٩]، ثم قال: [«**هذه فيهم**»، ثم قال:] «**والفارّون**[٥] **بدينِهم مِنْ أرضٍ إلى أرضٍ يومَ القيامةِ مع عيسى ابنِ مريمَ في درجتِهِ في الجنّةِ**»[٦].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤١٤).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤١٩).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤١٩).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٢٠).
(٥) في الأصل الفارسي: «الفرّارون».
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢١).

• **عن البراء بن عازب** ﷺ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مؤمنو أمتي شهداء»، ثم تلا النبي ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(١).

• **عن ابن مسعود** ﷺ قال: إنّ الرجلَ ليموتُ على فراشه وهو شهيدٌ، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٢).

• **عن أبي هريرة** ﷺ قال: إنّما الشهيدُ الذي لو ماتَ على فراشه دخلَ الجنّة؛ يعني: الذي يموتُ على فراشه ولا ذنبَ له(٣).

• **عن مجاهد** ﷺ قال: كلُّ مؤمن صِدِّيقٌ وشهيدٌ، ثم تلا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٤).

• **عن عمرو بن ميمون** قال: كلُّ مؤمنٍ صِدِّيقٌ، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٥).

• **عن ابن عباس**: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ قال: هذه مفصولةٌ، [والشهداءُ عند ربّهم لهم أجرُهم ونورُهم]، [سمّاهم صدِّيقين، ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾].

• **عن الضحّاك** في قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾، قال: هذه مفصولةٌ، سمّاهم صدِّيقين، ثم قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾(٦).

• **عن الحسن** في الآية قال: إنّه ليقضى بالسيئة في السماءِ، وهو

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٥) المصدر نفسه (٩/ ٤٢١).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢١).

كل يوم في شأنٍ، ثم يُضْرَبُ لها أجلٌ، فيحبسها إلى أجلها، فإذا جاءَ أجلُها أرسلها، فليس لها مردود[١]، [ويقدِّرُ] أنه كائنٌ في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، في بلد كذا، من المصيبة من القحط والرزق[٢]، و[٣]المصيبة في الخاصة والعامة، حتى إنَّ الرجلَ يأخذُ العصا يتوكّأ بها[٤]، وقد كان لها كارهاً، ثم يعتادُها حتّى ما يستطيع تركها[٥].

❊ ❊ ❊

(١) في الأصل الفارسي: «مردٌّ».

(٢) في الأصل الفارسي: «من مصيبة في القحط أو الرزق».

(٣) في الأصل الفارسي: «أو».

(٤) في الأصل الفارسي: «يتعصّى بها».

(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢٢).

آيات سورة المجادلة

• **عن ابن زيد**[١] قال: لقي عمر بن الخطاب امرأةً يقال لها: خولة وهو يسير مع الناس، فاستوقفته، فوقف لها، ودنا منها، وأصغى إليها رأسَهُ، ووضع يديه على منكبيها، حتى قضت حاجتها وانصرفت، فقال له رجل: يا أميرَ المؤمنين! حبستَ رجالَ قريشٍ على هذه العجوز، قال: ويحك وتدري من هذه؟ قال: لا، قال: هذه امرأةٌ سمعَ الله شكواها من فوق سبع سمٰوات، هذه خولةُ بنتُ ثعلبة، واللهِ لو لم تنصرف عنّي إلى الليلِ ما انصرفتُ حتى تقضي حاجتها[٢].

• **عن ثمامة بن حزن** قال[٣]: بينما عمر بن الخطاب يسيرُ على حماره لقيته امرأةٌ، فقالت: قِفْ يا عمر، فوقف، فأغلظتْ له القولَ، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين! ما رأيتُ كاليوم، فقال: وما يمنعني أن أستمع إليها وهي التي استمعَ الله لها، أنزلَ فيها ما نزل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١][٤].

• **عن مقاتل بن حيّان**[٥] قال: أُنزلت هذه الآية يوم جمعة، وجلس رسول الله ﷺ يومئذٍ في الصُّفّة، وفي المكانِ ضِيقٌ، وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ من أهل بدر، وقد سبقوا إلى

---

(١) في الأصل الفارسي: «عن أبي يزيد».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢٨).
(٣) في الأصل الفارسي: «عن ثمامة بنت جرير قالت».
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٢٨).
(٥) في الأصل الفارسي: «حبان» مكان «حيان».

المجلس[١]، فقاموا حيال رسول الله ﷺ، فقالوا: السّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، فردّ النبيُّ ﷺ، ثم سلّموا على القوم بعد ذلك فردّوا عليهم، فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسّعَ لهم، فعرف النبيُّ ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يُفْسَحْ لهم، فشقّ ذلك عليه، فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر: قم يا فلان، وأنت يا فلان، فلم يزل يقيمهم بعدد النفر الذين هم قيامٌ من أهل بدر، فشقّ ذلك على من أُقيم مِنْ مجلسه، فنزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١][٢].

• **عن عبد الله بن شَوْذب** قال: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتصدَّى لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلمّا أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ...﴾ الآية [المجادلة: ٢٢][٣].

• **عن ابن جريج** قال: حُدِّثت أن أبا قحافة سبَّ النبيَّ ﷺ فصكّه أبو بكر صكّة فسقط، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلتَ يا أبا بكر؟**».

فقال: واللهِ لو كان السيفُ منّي قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا...﴾ الآية[٤].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «وقد سبق إلى المجالس غيرهم».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٣٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٤٣).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

آيات سورة الحشر

• **قال الله تعالى** في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الحشر: ٧].

يقرِّر الله تعالى في النصّ القرآني ما حصل من الفيء ﴿مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: بغير إيجاف الخيل والركاب ومن غير وقوع القتال مصارفه ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾، ثم يقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ...﴾ [الحشر: ٨]؛ يعني: هذا الفيء للفقراء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسانٍ ممن يتّصفون بوصف النصيحة ودعاء المغفرة لمن سبقوهم بالإيمان.

لمَّا تقرّر الفيء للجماعة غير المحصورين لا يكون ملكاً لهم، بل ينبغي أن يعطى كل أحد قدر ما يحتاجُ إليه، وليس معنى الخليفة إلّا أن يتصرّف في بيت مال المسلمين وفق سنَّة رسول الله ﷺ نيابة عنه ﷺ، فيكون الخليفةُ متصرّفاً في الفيء، ولم يكن الفيءُ مِلْك النبيِّ ﷺ ليجري فيه الميراث، ولم يكن للنبيِّ ﷺ أن يهب ذلك أحداً من أقاربه، وهو المقصود.

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممّا لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خاصّةً، ينفق على أهله منها نفقةَ سنَتِهِ، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عِدّةً في سبيل الله[١].

• **عن مالك بن أوس بن الحدثان** قال: قرأ عمر بن الخطاب:

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٨٨٥).

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾، حتى بلغ ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية [الأنفال: ٤١]، ثم قال: هذه لهؤلاء، ثم قرأ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الحشر: ٧]، حتى بلغ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ﴾ [الحشر: ٨] إلى آخر الآية، ثم قال: هذه للمهاجرين، ثم تلا: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، إلى آخر الآية، فقال: هذه للأنصار، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، إلى آخر الآية، ثم قال: استوعبت هذه المسلمينَ عامةً، وليس أحدٌ إلا له في هذا المال حق، إلا ما تملكون من رقيقكم، ثم قال: لئن عشتُ ليأتينّ الراعي ـ وهو بسرو حِمْيَرْ ـ نصيبَه منها لم يعرقْ فيه جبينُه[١].

• **عن زيد بن أسلم عن أبيه** قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: اجتمعوا لهذا المال فانظروا لمن ترونه، ثم قال لهم: إني أمرتكم أن تجتمعوا لهذا المال، فتنظروا لمن ترونه، وإني قرأتُ آياتٍ من كتاب الله فكفتني، سمعتُ الله يقول: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾، والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر] والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا﴾ إلى قوله: ﴿رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، والله ما أحدٌ من المسلمين إلا له حق في هذا المال أعطي منه أو مُنع عنه حتى راعٍ بعدن[٢].

عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: قسم عمر ذات يوم قسماً من

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٥٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٥٧).

المال، فجعلوا يثنون عليه، فقال: ما أحمقكم! لو كان لي ما أعطيتُكم منه درهماً[(١)].

● **عن سمرة** ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يوشك أن يملأ الله أيديكم من العجم، ثم يجعلهم أسداً لا يفرّون، فيقتلون مقاتلتكم، ويأكلون فيئكم[(٢)].

● **عن السائب بن يزيد** سمعتُ عمر بن الخطاب ﷺ يقول: والذي لا إلـٰه إلا هو ـ ثلاثاً ـ ما مِنَ الناسِ أحدٌ إلّا له حقٌّ في هذا المال، أُعْطِيَه أو مُنِعه، وما أحدٌ أحقُّ به من أحدٍ إلا عبدٌ مملوك، وما أنا فيه إلا كأحدِكم، ولكنّا على منازلنا من كتاب الله، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجلُ وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناه في الإسلام، والرجلُ وحاجته في الإسلام، واللهِ لئن بقيتُ ليأتينَّ الراعيَ بجبل صنعاء حظُّه من هذا المالِ وهو بمكانه[(٣)].

● **عن الحسن** ﷺ قال: كتب عمر إلى حذيفةَ أنْ اعطِ الناس أعطيتَهم وأرزاقَهم، فكتب إليه إنّا قد فعلنا، وبقي شيءٌ كثير، فكتب إليه عمر: إنّ فيئهم الذي أفاء الله عليهم، ليس هو لعمر، ولا لآل عمر، اقسمه بينهم[(٤)].

● **عن قتادة** ﷺ في قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟﴾ الآية [الحشر: ٨]، قال: هؤلاء المهاجرون تركوا الديار والأموال والأهلين والعشائر، وخرجوا حباً لله ولرسوله، واختاروا الإسلام على ما كان فيه من شدة، حتى لقد ذُكِر لنا أنَّ الرجلَ كان يعصِبُ الحجر على بطنه ليقيم

---

(١) المصدر نفسه (٩/٤٥٧).
(٢) المصدر نفسه (٩/٤٥٨).
(٣) المصدر نفسه (٩/٤٥٨).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/٤٥٨).

به صلبه من الجوع، وإن كان الرجلُ ليتّخذُ الحفرَ في الشتاء ما له دثار غيرها[١].

• **عن قتادة** في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الحشر: ٩] إلى آخر الآية، قال: هم هذا الحيُّ من الأنصار أسلموا في ديارهم، وابتنوا المساجدَ قبل قدوم النبيِّ ﷺ بسنتين، وأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأُوليان من هذه الآية أخذتا بفضلهما، [ومضتا على مهلهما]، وأثبتَ الله حظَّهما في هذا الفيء، ثم ذكر الطائفة الثالثة، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾ [الحشر: ١٠] إلى آخر الآية، قال: إنّما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبيِّ ﷺ، ولم يؤمروا بسبِّهم[٢].

• **عن الحسن** قال: فضَّل [الله] المهاجرين على الأنصار ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ [الحشر: ٩] قال: الحسد[٣].

• **عن عمر** أنه قال: أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأَوّلين أن يعرِفَ لهم حقّهم، ويحفظَ لهم حُرْمتهم، وأوصيه بالأنصارِ الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبلِ أن يهاجِرَ النبي ﷺ أنْ يقبلَ من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم[٤].

• **عن سعد بن أبي وقاص** قال: الناسُ على ثلاثةِ منازلَ، قد مضت منزلتان، وبقيت منزلة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت، ثم قرأ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ...﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، وهذه منزلة،

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠). (٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٠).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٦٠).

وقد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال: هؤلاء الأنصار، وهذه منزلة، وقد مضت، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، فقد مضت هاتان المنزلتان، وبقيت هذه المنزلة، فأحسنُ ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة(١).

• عن الضحَّاك رضي الله عنه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]، قال: أُمروا بالاستغفار لهم، وقد عُلِم ما أحدثوا(٢).

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبُّوهم، ثم قرأت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠](٣).

• عن ابن عمر أنه سمع رجلاً وهو يتناول بعض المهاجرين، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء المهاجرون، أفمنهم أنت؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية، ثم قال: هؤلاء الأنصار، أفأنت منهم؟ قال: لا، ثم قرأ عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: أفمن هؤلاء أنت؟ قال: أرجو، قال: لا، ليس مِنْ هؤلاء من يَسبُّ هؤلاء(٤).

• عن ابن عمر أنّه بلغه أنَّ رجلاً نال من عثمان، فدعاه فأقعده بين يديه، فقرأ عليه: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: لا، ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ الآية، قال: من هؤلاء أنت؟ قال: أرجو أن أكون منهم، قال: لا والله، ما يكونُ منهم من يتناولهم وكان في قلبه الغِلُّ عليهم(٥).

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٣) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٦٧).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٦٧).

• **عن نعيم بن محمد الرحبي** قال: كان من خطبة أبي بكر الصدِّيق: واعلموا أنّكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم عِلْمُه، فإن استطعتم أن ينقضي الأجلُ وأنتم على حذرٍ فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلّا بإذن الله، وإنّ قوماً جعلوا أجلَهم لغيرهم، فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

أين مَنْ كنتم تعرفون من إخوانكم؟ قد انتهت عنهم أعمالُهم، ووردوا على ما قدَّموا، أين الجبّارون الأوّلون الذين بنوا المدائنَ، وحصَّنوها بالحوائط؟ قد صاروا تحت الصخر والآكام، هذا كتابُ الله لا تفنى عجائبُهُ، ولا يُطفأ نورُه، استضيئوا منه اليوم ليوم الظلمة، واستنصحوا كتابَه وتبيانَه، فإنَّ الله قد أثنى على قوم فقال: ﴿كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء]، لا خير في قولٍ لا يُبتغى به وجهُ اللهِ، ولا خيرَ في مالٍ لا ينفق في سبيل الله، ولا خيرَ فيمن يغلِبُ غضبُه حلمَه، ولا خيرَ في رجلٍ يخاف في اللهِ لومةَ لائمٍ[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٧٣).

آيات سورة الممتحنة

• **عن عليّ** قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخ فإنّ بها ظعينةً، معها كتابٌ، فخذوه منها، فائتوني به**»، فخرجنا حتّى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتابٌ، قلنا: لتُخْرِجنّ الكتابَ، أو لتُلْقِينّ الثيابَ، فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعَةَ إلى أناسٍ من المشركين بمكّة يخبِرُهم ببعضِ أمرِ النبيِّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**ما هذا يا حاطبُ؟**».

قال: لا تعجل عليَّ يا رسول الله! إنِّي كنتُ امرءاً مُلْصقاً من قريشٍ، ولم أكن من أنفسِها، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قراباتٌ يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسبِ فيهم أن أصطنعَ إليهم يداً يحمونَ بها قرابتي، وما فعلتُ ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني.

فقال النبيُّ ﷺ: «**صَدَقَ**».

فقال عمر: دعني يا رسولَ اللهِ فأضربَ عنقَه.

فقال: «**إنّه شهدَ بدراً، وما يدريكَ لعلَّ اللهَ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم**»، ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١][(١)].

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٧٧).

المشركين بكتاب، فجِيءَ به إلى النبيّ ﷺ، فقال: «**يا حاطبُ! ما دعاك إلى ما صنعت؟**».

قال: يا رسول الله! كان أهلي فيهم، فخشيتُ أن يصرموا عليهم، فقلتُ: أكتبُ كتاباً لا يضرُّ اللهَ ورسولَه، فقلتُ: أضربُ عنقَه يا رسول الله! فقد كفر.

فقال: «**وما يدريكَ يا ابنَ الخطّابِ أن يكونَ اللهُ اطّلع على أهلِ العصابةِ من أهلِ بدرٍ؟ فقال: اعملوا ما شِئْتُم فقد غفرتُ لكم**»[1].

• **عَنِ ابْنِ شِهَابٍ**: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ عَلَى بَعْضِ الْيَمَنِ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ، فَلَقِيَ ذَا الْخِمَارِ مُرْتَدّاً فَقَاتَلَهُ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَاتَلَ فِي الرِّدَّةِ، وَجَاهَدَ عَنِ الدِّينِ، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَهُوَ فِيمَنْ أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ: ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾ [الممتحنة: ٧][2].

• **عن أبي هريرة** رضي الله عنه قال: أوّلُ من قاتل أهلَ الردّة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب، وفيه نزلت هذه الآية: ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾[3].

• **عن ابن عباس**: ﴿**عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً**﴾، قال: نزلت في تزويج النبي ﷺ [ابنته] أم حبيبة[4].

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: أسلم عمر بن الخطاب، وتأخَّرت امرأته في المشركين فأنزل الله: ﴿**وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ**﴾ [الممتحنة: ١٠][5].

---

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٧٨).
(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢/ ٣٠١).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٨٢).
(٤) المصدر نفسه (٩/ ٤٨٢).
(٥) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٨٨).

• **عن مقاتل** رضي الله عنه قال: أُنزلتْ هذه الآية يومَ الفتح، فبايع رسول الله ﷺ الرجال على الصفا، وعمرُ يبايعُ النساء تحتها عن رسول الله ﷺ(١).

• **عن إسماعيل** بن عبد الرحمٰن بن عطية عن جدته **أم عطية** رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جمع نساء الأنصار في بيتٍ، فأرسل إليهنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، فقام على البابِ فسلَّم، فقال: أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ إليكنَّ، تبايعنَ على أن لا تشركنَ بالله شيئاً، ولا تسرقنَ، ولا تزنينَ. الآية، قلن: نعم فمدَّ يده من خارج البيت، ومددنا أيدينا من داخل البيت، قال إسماعيل: فسألت جدتي عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قالت: نهانا عن النياحة(٢).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: قل لهن: «إنّ رسول الله ﷺ يبايعكن ﴿عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾، وكانت هندٌ متنكِّرةً في النساء، فقال لعمر: «**قل لها**: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾»، قالت هند: واللهِ إنّي لأصيبُ من مال أبي سفيان الهنة، فقال: «﴿وَلَا يَزْنِينَ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، فقالت: وهل تزني الحرّة؟! فقال: «﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، قالت هند: أنتَ قتلتهم يوم بدر، قال: «﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢]»، قال: منعهن أن يَنُحْنَ، وكان أهل الجاهلية يمزّقن الثيابَ، ويخدشنَ الوجوه، ويقطعن الشعور، ويدعون بالويل والثبور(٣).

❊ ❊ ❊

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠).
(٢) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٩٠).

آيات سورة الصف

• **قال الله تعالى** في سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾ [الصف].

إنّ في هذه السورة إشارةً إلى أنّ الله أراد ظهور دين الحق على سائر الأديان، ولا يظهر هذا المعنى بتمامه في زمن النبي ﷺ، بل جرى بعده ﷺ جهادٌ بعد جهاد، وظهرت فتوحاتٌ كثيرة، كما صار الحواريون بعد عيسى عليه السلام غالبين على أعدائهم، والله أعلم.

• **عن قتادة** في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبة، فنصروه، وآووه، حتى أظهرَ الله دينه، ولم يُسمَّ حيٌّ من السماء قط باسم لم يكن لهم قبل ذلك غيرهم.

وذكر لنا أنّ بعضهم قال: هل تدرون [على] ما تبايعون هذا الرجل؟ إنكم تبايعونه على محاربة العرب كلّها أو يسلموا، وذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيَّ الله! اشترط لربك ولنفسِكَ ما شئتَ.

فقال: «**أشترط لربي أن تعبدوه، ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممّا تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم**».

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا يا نبي الله؟

قال: «**لكم النصرُ في الدنيا، والجنة في الآخرة**» ففعلوا، ففعل الله.

قال: والحواريون كلهم من قريش: أبو بكر، وعمر، وعلي،

وحمزة، وجعفر، وأبو عبيدة بن الجراح، وعثمان بن مظعون، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوّام[1].

● عن ابن عباس: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، بمحمد ﷺ: ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ [الصف: ١٤]، اليوم: ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤][2].

۞ ۞ ۞

(١) المصدر نفسه (٩/ ٤٩٨).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٩٨).

آيات سورة الجمعة

عن **السائب بن يزيد** قال: كان النداء الذي ذكر الله في القرآن يوم الجمعة في زمن رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعامة خلافة عثمان أنْ يناديَ المنادي إذا جلسَ الإمام على المنبر، فلمّا تباعدت المساكنُ، وكثر الناسُ، أَحْدَثَ النداءَ الأول، فلم يعبِ الناسُ ذلك عليه، وقد عابوا عليه حين أتمَّ الصلاة بمنىً، قال: فكنا في زمان عمر نصلي، فإذا خرج عمر وجلس على المنبر قطعنا الصلاةَ، وتحدّثنا، فربّما أقبل عمرُ على بعض مَنْ يليه، فسألَهم عن سوقهم، وقد أمهم، والمؤذن يؤذّن، فإذا سكتَ المؤذّن قام عمر، فتكلّم، ولم يتكلّم حتى يفرغَ من خطبته[(١)].

• **عن خرشة بن الحر** قال: رأى معي عمر بن الخطاب لوحاً مكتوباً فيه: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، فقال: مَنْ أملى عليك هذا؟ قلت: أُبيّ بن كعب، قال: إن أُبياً أقرؤنا للمنسوخِ، اقرأها: فامضوا إِلَى ذِكْرِ اللهِ[(٢)].

• **عن الحسن** أنه سئل عن قوله: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، قال: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والثباتِ والخشوعِ[(٣)].

• **عن جابر بن عبد الله** قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً، إذ قدمت عيرٌ المدينةَ، فابتدرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حتى لم

---

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٤).

(٢) «فتح القدير» (٧/ ٢٢٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٦).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٨٢).

يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم وأبو بكر وعمر، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ إلى آخر السورة[١].

• **عن الحسن** قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ قدمت عيرٌ المدينة، فانفضوا إليها، وتركوا النبي ﷺ، فلم يبقَ معه إلا رهط، منهم أبو بكر وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «**والَّذي نفسِي بيدِهِ، لو تتابعتُم حتّى لا يبقَىٰ معي أحدٌ منكم لسالَ بِكُم الوادي ناراً**»[٢].

• **عن طاوس** قال: خطب رسولُ اللهِ ﷺ قائماً، وأبو بكر وعمر وعثمان، وإنَّ أوَّل من جلسَ على المنبر معاوية بن أبي سفيان[٣].

• **عن الشعبي** قال: كان رسول الله ﷺ إذا صعدَ المنبرَ يومَ الجمعةِ استقبل الناسَ بوجهه الكريم، فقال: «**السلامُ عليكُم**»، ويحمدُ اللهَ، ويثني عليه، ويقرأ سورةً، ثم يجلِسُ، ثم يقومُ فيخطبُ، ثم ينزِلُ، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه[٤].

❁ ❁ ❁

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٩).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١١).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ١٢).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٢).

سورة المنافقون

وفي قصة **زيد بن أرقم** قال: فبينما أنا أسير، وقد خففت برأسي[(١)] من الهمِّ، إذ أتاني رسولُ اللهِ ﷺ، فعرك أُذني، وضحكَ في وجهي، فما كان يسرُّني أنَّ لي بها الخلد أو الدنيا، ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسولُ اللهِ ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً، إلا أنّه عَرَكَ أُذني وضحكَ في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلمّا أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ**﴾ [المنافقون: ١]، حتى بلغ: ﴿**لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ**﴾ [المنافقون: ٨][(٢)].

● **عن جابر بن عبد الله** يقول: كنا في غزاة ـ قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق ـ فكسعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال المهاجر: يا للمهاجرين! وقال الأنصاري: يا للأنصار! فسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بالُ دَعْوَىٰ الجاهليةِ؟**».

قالوا: رجلٌ من المهاجرين كسعَ رجلاً من الأنصار.

فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهَا فإنَّها منتنةٌ**».

فسمع ذلك عبد الله بن أُبي ابن سلول، فقال: أو قد فعلوها، والله: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ**﴾ [المنافقون: ٨].

فقال عمر: يا رسولَ اللهِ! دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال النبيُّ ﷺ: «**دَعْهُ لا يتحدّثُ الناسُ أنَّ محمّداً يقتلُ**

---

(١) في الأصل الفارسي: «خفضت رأسي».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٤).

أصحابَهُ»[١]، زاد الترمذيُّ: فقال له ابنه عبدُ الله: لا تنفلتَ حتّى تقرَّ أنّك الذليلُ ورسولُ اللهِ ﷺ العزيزُ ففعل[٢].

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٩٠٥ ـ ٤٩٠٧)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٥٨٤)، والترمذي في «سننه» برقم: (٣٣١٥).

(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٣١٥).

سورة الطلاق

• **عن ابن عمر** أنه طلّق امرأته، وهي حائضٌ على عهد النبي ﷺ، فانطلق عمر، فذكر ذلك له فقال: «**مُرْهُ فليراجِعْها، ثم يُمْسِكْها حتّى تطهرَ، ثم يطلِّقُها إنْ بدا له**»، فأنزل الله عند ذلك: (ياأيها النبيُّ إذا طلّقتمُ النِّساءَ فطلقوهنَّ في قبل عِدّتِهِنَّ)، قال أبو الزبير: هكذا سمعت ابن عمر يقرأها[١].

• **عن ابن عمر**: أنه طلّق امرأته، وهي حائضٌ، فذكر ذلك عمر لرسولِ اللهِ ﷺ، فتغيَّظ رسولُ اللهِ ﷺ، ثم قال: «**لِيُرَاجِعْهَا، ثم يُمْسِكْها حتّى تطهرَ، ثم تحيضَ، وتطهرَ، فإنْ بدا له أَنْ يطلِّقَها فليطلِّقْها طاهِراً قَبْلَ أَنْ يمسَّها، فتلك العِدَّةُ التي أمرَ اللهُ أَنْ يطلّقَ لها النساءُ**»، وقرأ النبيّ ﷺ: «**يا أيها النبيُّ إذا طلّقتم النساءَ فطلِّقوهنّ في قبل عدتهنّ**»[٢].

• **عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه** قال: اجتمع أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح فتمارَوْا في شيءٍ، فقال لهم عليٌّ رضي الله عنه: انطلقوا بنا إلى رسول الله ﷺ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ، قالوا: جئنا يا رسولَ اللهِ نسألُكَ عن شيءٍ، فقال: «**إنْ شِئْتُم فاسألوا، وإن شِئْتُم خبّرتُكُمْ بما جِئْتُم له**»، فقال لهم: «**جئتموني تسألوني عَنِ الرّزْقِ مْن أينَ يأتي؟ وكيفَ يأتي؟ أبى اللهُ أن يرزقَ عبدَه المؤمنَ إلّا مِنْ حيثُ لا يَعْلَمُ**»[٣].

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨).

(٢) «فتح القدير» (٧/ ٢٤٢).

(٣) «مسند الشهاب» (١/ ٣٤١).

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لو أنَّكم تتوكَّلونَ على اللهِ حَقَّ توكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وتروحُ بِطاناً»**[1].

• **عن قتادة** قال: وكان عمرُ يقول: لو وضعتْ ما في بَطْنِها[2] وهو موضوعٌ على سريرِهِ مِنْ قبلِ أن يُقْبَرَ لحلَّتْ[3].

• **عن سعيد بن المسيب**، أنه قضى عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه في المرأة التي يطلِّقها زوجَها تطليقةً، ثم تحيضُ حيضةً أو حيضتين، ثم ترفعها حيضتها [لا يدرى ما الذي رفعها له]، فإنّها تربّص [بنفسِها ما بينها وبين] تسعة أشهر، فإن استبانَ بها حملٌ فهي حامل، [وإن مرّت تسعةُ أشهرٍ ولا حَمْلَ بها]، [وإلّا] اعتدّتْ بعد ذلك ثلاثةَ أشهرٍ، ثم [قد] حلّت[4].

• **عن سعيد بن المسيب** أنّ عمر استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزيدَ بن ثابت، قال زيدٌ: [قد حلّت، وقال علي: أربعة أشهر وعشراً، قال زيد:] أرأيتَ إن كانت يئيساً[5]، قال علي: فآخر الأجلين، قال عمر: لو وضعتْ ذا بطنِها وزوجُها على نعشِهِ لم يُدْخَلْ حفرتَه لكانت قد حلَّتْ[6].

• **عن أبي سنان** قال: سأل عمرُ بنُ الخطّاب عن أبي عبيدة، فقيل له: إنّه يلبَسُ الغليظَ من الثياب، ويأكُلُ أخشنَ الطعام، فبعثَ إليه بألفِ

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧).
(٢) في الأصل الفارسي: «ذا بطنها».
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٩).
(٤) «السنن الصغرى»، للبيهقي (٢/ ٣٣٠).
(٥) في الأصل الفارسي: «إن كانت نسياً».
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٤).

دينارٍ، وقال للرسول: انظر ما يصنعُ بها إذا هو أخذَها؟ فما لبثَ أن لبس ألينَ الثيابِ، وأكلَ أطيبَ الطعامِ، فجاء الرسولُ فأخبره، فقال: رحمه الله تـأوَّل هـذه الآيـة: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧][1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٤٤).

سورة التحريم

• **عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: قلتُ لعمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه: من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال: عائشة وحفصة، وكان بَدْءُ الحديثِ في شأن مارية أم إبراهيم القبطية أصابها النبيُّ ﷺ في بيت حفصة في يومها، فوجدت حفصةُ، فقالت: يا نبيَّ الله لقد جئتَ إليَّ شيئاً ما جئته إلى أحدٍ من أزواجِكَ في يومي وفي داري وعلى فراشي، فقال: «**ألا ترضينَ أن أحرِّمها فلا أقربَها؟**» قالت: بلى، فحرَّمها وقال: «**لا تَذْكُرِي ذلك لأحدٍ**»، فذكرته لعائشة رضي الله عنها فأظهره الله عليه، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم: ١]، الآيات كلها، فبلغنا أنَّ رسول الله ﷺ كفَّر عنها فأظهرَ الله يمينَهُ، وأصابَ جاريته[١].

• **عن ابن عباس** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ [التحريم: ٣]، قال: دخلت حفصةُ على النبيِّ ﷺ في بيتها، وهو يطأُ ماريةَ، فقال لها رسول الله ﷺ: «**لا تُخْبِري عائشةَ حتّى أبشِّرك ببشارةٍ، فإنَّ أباكِ يلي الأمرَ بعد أبي بكرٍ إذا أنا مِتُّ**»، فذهبت حفصةُ فأخبرتْ عائشةَ[٢].

• **عن عائشة** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرَّ إليها أنّ أبا بكر خليفتي من بعدي[٣].

• **عن علي وابن عباس** قالا: والله إنّ إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال لحفصة: أبوك وأبو

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٤٨).
(٢) المصدر نفسه (١٠/٥٢).
(٣) المصدر نفسه (١٠/٥٢).

عائشة واليا الناس بعدي، فإيّاك أن تخبري أحداً[١].

• **عن ميمون بن مهران** في قوله: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرَّ إليها أنَّ أبا بكر خليفتي من بعدي[٢].

• **عن حبيب بن أبي ثابت**: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أخبر عائشة أنَّ أباها الخليفةُ مِنْ بعده، وأنّ أبا حفصة الخليفةُ من بعد أبيها[٣].

• **عن الضحَّاك**: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾، قال: أسرّ إلى حفصة بنت عمر أنَّ الخليفة من بعده أبو بكر، ومن بعد أبي بكر عمر[٤].

• **عن مجاهد** في قوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣]، قال: الذي عَرَفَ أمر مارية: ﴿وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، قوله: «**إنَّ أباك وأباها يليانِ الناسَ بعدي**»، مخافة أن يفشو[٥].

أخرج **مسلم** عن **عبد الله بن عباس** قال: حدّثني عمر بن الخطاب ﷺ قال: لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه دخلتُ المسجد، فإذا الناسُ ينكتون بالحصى، ويقولون: طلَّق رسولُ اللهِ ﷺ نساءَه، وذلك قبل أن يُؤْمَرَ بالحجابِ، فقلتُ: لأعلمنَّ ذلك اليوم، فدخلتُ على عائشةَ فقلتُ: يا بنتَ أبي بكرٍ! أقد بلغَ من شأنِكِ أن تؤذي رسولَ اللهِ ﷺ؟

قالت: ما لي ولك يا ابنَ الخطاب.

فدخلت على حفصة فقلتُ لها: يا حفصةُ، أقد بلغَ من شأنِكِ أن

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٥٢).
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٥٣).
(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٥٣).

تؤذيَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ والله لقد علمتِ أنَّ رسول الله ﷺ لا يحبُّكِ، ولولا أنا لطلّقكِ رسولُ اللهِ، فبكت أشدَّ البكاءِ، فقلتُ لها: أينَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالت: هو في خزانتِهِ في المَشْرَبَةِ.

فدخلتُ، فإذا أنا بِرباحٍ مولى رسولِ اللهِ ﷺ قاعداً على أَسْكُفَةِ المشربةِ، مدلّياً رجليه على نقيرٍ من خشبٍ، وهو جذعٌ يرقى عليه رسولُ اللهِ ﷺ وينحدِرُ، فناديتُ: يا رباحُ استأذنْ لي عندكَ على رسولِ اللهِ ﷺ.

فنظر رباحُ إلى الغرفةِ، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً.

فقلتُ: يا رباح! استأذن لي عندك على رسول الله ﷺ.

فنظر رباحُ إلى الغُرفةِ، ثم نظر إليَّ فلم يقل شيئاً.

ثم رفعت صوتي، فقلت: يا رباحُ! استأذن لي عندك على رسولِ اللهِ ﷺ فإنِّي أظنُّ أن رسولَ اللهِ ﷺ ظنَّ أني جئتُ من أجل حفصة، واللهِ لئن أمرني رسولُ اللهِ ﷺ بضربِ عنقِها لأضربنَّ عنقَها، ورفعتُ صوت.

فأومأ إليَّ بيدِهِ أن ارْقَهْ، فدخلتُ على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على حصيرٍ، فجلستُ، فإذا عليه إزارٌ ليس عليه غيره، وإذا الحصيرُ قد أثَّرَ في جنبه، ونظرتُ في خزانةِ رسولِ اللهِ ﷺ فإذا أنا بقبضةٍ من شعيرٍ نحو الصاع، ومثلها من قُرَظٍ في ناحية الغرفة، وإذا أفيقٌ معلَّقٌ، فابتدرت عيناي.

فقال: «**ما يبكيكَ يا ابنَ الخطّاب؟**».

فقلت: يا نبي الله، وما لي لا أبكي وهذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبِكَ، وهذه خزانتُكَ لا أرى فيها إلا ما أرى؟ وذاك كسرى وقيصرُ في الثمار والأنهار، وأنتَ رسولُ اللهِ وصفوته، وهذه خزانتُك.

قال: «**يا ابنَ الخطّابِ ألا ترضى أن تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدُّنيا**».

قلت: بلى، ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضبَ، فقلت: يا رسولَ اللهِ، ما يشقُّ عليك من شأنِ النساءِ فإن كنتَ طلقتهنَّ، فإنَّ الله تعالى معك وملائكتَه وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك، وقلّما تكلمتُ ـ وأحمدُ الله ـ بكلامٍ إلّا رجوتُ أن يكونَ اللهُ يصدّقُ قولي الذي أقوله، ونزلت هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم: ٥]، ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم].

وكانت عائشةُ ﵂ بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، أطلقتهنَّ؟

قال: «**لا**».

قلت: يا رسول الله، إنِّي دخلتُ المسجدَ والمؤمنون ينكتون الحصى ويقولون: طلَّق رسولُ اللهِ ﷺ نساءه، أفأنزل فأخبرهم أنّك لم تطلقهنَّ؟

قال: «**نعم إن شئت**».

ثم لم أزل أحدّثه حتى تحسّرَ الغضبُ عن وجهه، وحتّى كشر وضحك، وكان مِنْ أحسنِ الناس ثغراً، فنزل رسولُ اللهِ ﷺ ونزلتُ أتشبّثُ بالجذعِ، ونزل نبيُّ الله ﷺ كأنّما يمشي على الأرض ما يمسّه بيده، فقلتُ: يا رسول الله، إنّما كنتُ في الغرفة تسعاً وعشرين.

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشهرَ قد يكون تسعاً وعشرين**».

فقمت على بابِ المسجدِ فناديتُ بأعلى صوتي: لم يطلِّقْ رسولُ اللهِ ﷺ نساءه، قال: ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ

﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣]، فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمرَ، وأنزل الله آية التخيير(١).

• **عن ابن عباس** رضي الله عنهما قال: كان أبي يقرؤها ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم: ٤]: أبو بكر وعمر(٢).

• **عن عبد الله بن بريدة** عن أبيه رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما(٣).

عن عكرمة وميمون بن مهران مثله(٤).

• **عن الحسن البصري** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٥).

• **عن مقاتل بن سليمان** رضي الله عنه في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم(٦).

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال: «**صالحُ المؤمنينَ أبو بكر وعمر**»(٧).

• **عن ابن مسعود** رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ قال ﷺ: «**مِنْ صالحِ المؤمنين أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما»(٨).

• **عن ابن عمر** وابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾، قالا: نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما(٩).

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (١٤٧٩)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٥) واللفظ له.
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٦).
(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٥٦).
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ٥٦).
(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).
(٦) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).
(٧) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).
(٨) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).
(٩) المصدر نفسه (١٠/ ٥٧).

• **عن سعيد بن جبير** في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، قال: نزلت في عمر بن الخطاب خاصة[١].

• **عن أبي أمامة** عن النبيِّ ﷺ في قوله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «**أبو بكر وعمر**»[٢].

• **عن النعمان بن بشير**، قال سئل عمر عن التوبة النصوح، فقال: التوبةُ النصوحُ أن يتوبَ العبدُ من العملِ السيِّئ، ثم لا يعودُ إليه أبداً[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٥٧).
(٢) المصدر نفسه (١٠/٥٧).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٩٩) برقم: (٣٤٤٩١).

سورة الملك

● **عن معاوية بن قرة** قال: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقومٍ، فقال: من أنتم؟

قالوا: المتوكِّلون.

فقال: أنتم المتأكّلون، إنّما المتوكّل رجلٌ ألقى حَبَّه في بطنِ الأرضِ، وتوكَّل على ربِّه[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٦٨).

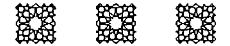
سورة القلم

• **عن أبي عثمان النهدي** قال: قال مروان بن الحكم لمّا بايعَ الناسُ ليزيد: سُنَّةُ أبي بكر وعمر.

فقال عبد الرحمٰن بن أبي بكر: إنّها ليست بسُنَّةِ أبي بكر وعمر، ولكنّها سُنَّةُ هِرَقْل.

فقال مروان: هذا الذي أُنزلت فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ [الأحقاف: ١٧].

قال: فسمعت ذلك عائشةُ، فقالت: إنّها لم تنزل في عبد الرحمٰن، ولكنْ نزلتْ في أبيك: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم].



سورة الحاقة

• **عن عمر بن الخطاب** ﷺ قال: خرجتُ أتعرَّضُ رسولَ اللهِ ﷺ قبل أن أُسْلِمَ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمتُ خلفه، فاستفتح سورة الحاقّة، فجعلتُ أعجبُ من تأليف القرآن، قال: فقلتُ: هذا واللهِ شاعرٌ كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [الحاقة]، قال: قلتُ كاهن، قال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]، إلى آخر السورة، قال: فوقعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ موقع[1].

• **عن عمر** قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أيسر لحسابكم، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهَّزوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة][2].

❁ ❁ ❁

(١) «مسند أحمد بن حنبل» رقم: (١٠٧).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٩٤).

سورة الجن

عن **السُّديّ** قال: قال عمر: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦ ـ ١٧]، قال: حيثما كان الماءُ كان المالُ، وحيثما كانَ المالُ كانت الفتنةُ[(١)].

❁ ❁ ❁

(١) «فتح القدير» (٧/ ٣٣٣).

سورة المزمل

● **عن عمر بن الخطاب** قال: ما مِنْ حالٍ يأتيني عليه الموتُ بعد الجهادِ في سبيل الله أحبُّ إليَّ من أن يأتيَني وأنا بين شعبتي رحلي[(١)] ألتمسُ من فضل الله، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠][(٢)].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «رجل».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/١٢٩).

سورة الدهر

• **عن عمر بن الخطاب** أنه سمع رجلاً يقرأ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان]، فقال عمر: ليتها تَمّت[١].

• **عن عمر بن الخطاب** أنه تلا هذه الآية: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾، قال: أيْ وعزّتِكَ يا ربِّ فجعلتَه سميعاً بصيراً، وحيّاً وميتاً[٢].

• **عن مجاهد** قال: لمّا صَدَرَ النبيُّ ﷺ بالأسارى عن بدر أنفق سبعةٌ من المهاجرين على أسارى مشركي بدر، منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والزبير، وعبد الرحمٰن، وسعد، وأبو عبيدة بن الجراح، فقالتِ الأنصارُ: قتلناهم في اللهِ وفي رسولِهِ، وتوفونهم[٣] بالنفقة، فأنزل الله فيهم تسعَ عشرةَ آية: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾، إلى قوله: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان][٤].

• **عن عكرمة** قال: دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ وهو راقدٌ على حصير من جريد قد أثَّر في جنبه، فبكى عمرُ، فقال: «**ما يبكيك؟**».

فقال: ذكرتُ كسرى وملكَه، وقيصرَ وملكَه، وصاحبَ الحبشةِ وملكَه، وأنتَ رسولُ اللهِ على حصير من جريدٍ.

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٦٣).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ١٦٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «تقوتونهم».
(٤) المصدر نفسه (١٠/ ١٦٥).

فقال: «**أما ترضى أنَّ لهم الدُّنيا ولنا الآخرة؟**»، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإنسان][١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ١٧٠).

سورة عبس

• **عن إبراهيم التيمي** قال: قرأ أبو بكر الصدِّيق: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، فقال: ما الأبّ؟ فقيل: كذا وكذا، فقال أبو بكر: إنّ هذا لهو التكلُّف، وفي رواية عن إبراهيم التيمي أنَّ أبا بكر سُئِلَ عن ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، فقال: أيُّ سماءٍ تظلُّني، وأيُّ أرضٍ تقلُّني إذا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلمُ[1].

• **عن أنس** قال: قرأ عمر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾، فقال: هذه الفاكهةُ قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم قال: مه، نُهينا عن التكلّف[2].

• **عن أنس** أنَّ عمرَ قرأ على المنبر: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضۡبًا ۝٢٨﴾، إلى قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس]، قال: كلُّ هذا قد عرفناه، فما الأبّ؟ ثم رفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمرُ اللهِ هو التكلّفُ، فما عليك أن لا تدري ما الأبُّ؟ اتبعوا ما بُيِّنَ لكم من هذا الكتاب فاعملوا به، وما لم تعرفوه فَكِلُوه إلى ربِّه[3].

❁ ❁ ❁

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٣٦) رقم: (٣٠١٠٧).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠١).
(٣) «تفسير الألوسي» (٢٢/ ١٩٦)، و«فتح القدير» (٧/ ٤٢٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠١).

سورة التكوير

• **عن عمر بن الخطاب** في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨﴾ [التكوير]، قال: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنِّي وأدتُ ثمانيَ بناتٍ لي في الجاهليةِ.

فقال له النبيَّ ﷺ: «**أعتقْ عن كلِّ واحدةٍ رقبةً**».

قال: إنِّي صاحبُ إبلٍ.

قال: «**فاهدِ عن كلِّ واحدةٍ بدنةً**»[١].

• **عن النعمان بن بشير** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾ [التكوير]، قال: هو الرجلُ يزوّج نظيره من أهل الجنة، والرجل يزوج نظيره من أهل النار يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢][٢].

• **عن زيد بن أسلم عن أبيه** قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير]، قال عمر: لمّا بلغ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير] قال: هذا آخرُ الحديثِ[٣].

• **عن أبي العديس** قال: كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين! ما الجواري الكنَّس؟ فطعن عمرُ مخصرةً[٤] معه في عمامةِ الرجلِ، فألقاها عن رأسِهِ، فقال عمرُ: أحروريٌّ؟ والذي

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٦).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٢)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٥).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٥)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٧).
(٤) في الأصل الفارسي: «محفرة».

نفسُ عمر بن الخطاب بيده؟ لو وجدتُكَ محلوقاً لأنحيت القملَ عن رأسِكَ[١].

❁ ❁ ❁

(١) «فتح القدير» (٧/ ٤٣٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٠٨).

سورة الانفطار

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ [الانفطار]، فقال: غَرَّهُ[١] ـ واللهِ ـ جَهْلُه[٢].

❁ ❁ ❁

(١) في الأصل الفارسي: «أغرّه».
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢١١).

سورة الأعلى

• **عن البراء بن عازب** قال: أول مَنْ قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعبُ بنُ عمير، وابنُ أمِّ مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآنَ، ثم جاء عمّارٌ وبلالٌ وسعدٌ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبيُّ ﷺ فما رأيتُ أهلَ المدينةِ فرحوا بشيءٍ فرحهم به، حتى رأيتُ الولائدَ والصبيانَ يقولون: هذا رسولُ اللهِ ﷺ قد جاءَ، فما جاءَ حتّى قَرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ①﴾ [الأعلى]، في سورٍ مثلها[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٣٩).

سورة الغاشية

عن **أبي عمران الجوني** قال: مرّ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ براهب، فوقف، ونودي الرَّاهب فقيل له: هذا أميرُ المؤمنين، فاطّلع فإذا إنسان به [مسّ] من الضرِّ والاجتهادِ وترك الدنيا، فلمّا رآه عمرُ بكى.

فقيل له: إنه نصراني.

فقال: قد علمت، ولكني رحمته، ذكرت قول الله: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ [الغاشية]، فرحمتُ نصبه واجتهاده وهو في النار[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٢٤٨).

سورة الفجر

• **عن سعيد بن جبير** قال: قُرِئَتْ عند النبيِّ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾ [الفجر]، فقال أبو بكر: إن هذا لَحَسنٌ.

فقال رسول الله ﷺ: **«أمَا إنَّ المَلَكَ سيقولُها لكَ عند الموتِ»**[1].

• **عن سليم بن أبي عامر**[2] رضي الله عنه قال: سمعتُ أبا بكر الصدِّيق يقول: قرأت[3] عند رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾، فقلتُ: ما أحسنَ هذا يا رسولَ اللهِ.

فقال: **«يا أبا بكرٍ! أَمَا إنَّ المَلَكَ سيقولُها لكَ عندَ الموتِ»**[4].

• **عن الضحاك عن ابن عباس** رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«مَنْ يشتري بئرَ رُومةَ، نستعذِبُ بها غَفَرَ اللهُ لَهُ»**.

فاشتراها عثمان.

فقال النبيُّ ﷺ: **«هَلْ لكَ أَنْ تجعلَها سقايةً للنّاسِ؟»**.

قال: نعم.

فأنزل الله في عثمان: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ الآية[5].

❊ ❊ ❊

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٦٤).

(٢) في الأصل الفارسي: «عن سليم بن عامر».

(٣) في الأصل الفارسي: «قرئت»، وفي تفسير القرطبي: «قرأ رجل» (٢٠/ ٥٨).

(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٦٤).

(٥) المصدر نفسه (١٠/ ٢٦٤).

سورة الليل

• **عن ابن مسعود** أن أبا بكر الصدِّيق اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأُبيِّ بن خلف ببردةٍ وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾، سعي أبي بكر وأمية وأُبي، إلى قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩﴾ قال: «لا إلـه إلا الله» إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، قال: النار[١].

• **عَنْ عُرْوَةَ،** أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَعْتَقَ سَبْعَةً كُلَّهُمْ يُعَذَّبُ فِي اللهِ: بِلالاً، وَعَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ، وَالنَّهْدِيَّةَ، وَابْنَتَهَا، وَزِنِّيرَةَ، وَأُمَّ عِيسَى، وَأَمَةَ بَنِي الْمُؤَمِّلِ، وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝١٧﴾ [اللّيل]، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[٢].

• **عن عامر بن عبد الله بن الزبير** عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنّكَ إذْ فعلتَ أعتقتَ رجالاً جلداً يمنعونك، ويقومون دونك.

فقال أبو بكر: يا أبتِ إنّما أريدُ وجه الله، فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾، إلى قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ۝٢١﴾ [اللّيل][٣].

• **عن سعيد** قال: نزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩﴾، في

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٠).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (١٢/ ٤٢١).

(٣) «الدر المنثور» (١٠/ ٢٨٢)، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٧٢) برقم: (٣٩٤٢).

أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً ستةً أو سبعةً، منهم: بلال وعامر بن فهيرة[١].

● **عن ابن عباس في قوله:** ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾، قال: هو أبو بكر الصدِّيق[٢].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٢٨٢).

سورة العلق

• **عن ثوبان** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطاب**»، وقد ضربَ أختَه أوّل الليل، وهي تقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ①﴾ [العلق]، حتى ظنّ أنه قتلها، ثم قام من السَّحرِ فسمع صوتها تقرأ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ①﴾، فقال: واللهِ ما هذا بشعرٍ ولا همهمةٍ، فذهبَ حتى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فوجد بلالاً على الباب، فدفع البابَ، فقال بلالٌ: من هذا؟

فقال: عمرُ بنُ الخطاب.

فقال: حتّى أستأذنَ لك على رسولِ اللهِ ﷺ.

فقال بلال: يا رسولَ اللهِ عمرُ بالبابِ.

فقال رسول الله ﷺ: «**إنْ يردِ اللهُ بعمرَ خيراً أدخلَه في الدِّينِ**».

فقال لبلال: «**افتح**».

وأخذ رسولُ اللهِ ﷺ بضبعيه فهزّه فقال: «**ما الذي تريدُ؟ وما الذي جئت له؟**».

فقال له عمر: اعرض عليَّ الذي تدعو إليه.

قال: «**تشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ لَهُ، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه**».

فأسلم عمر مكانه وقال: اخرج[1].

❁ ❁ ❁

(١) المصدر نفسه (١٠/ ٣٠٠).

سورة القدر

● **عن عكرمة عن ابن عبّاس** رضي الله عنهما قال: دعا عمرُ رضي الله عنه أصحابَ النبي ﷺ، فسألهم عن ليلة القدر، فاجتمعوا أنها في العشر الأواخر، فقلت لعمر: إنّي لأعلم وإنّي لأظنُّ أي ليلةٍ هي.

قال: وأيُّ ليلةٍ هي؟

قال: هي سابعةٌ تمضي أو سابعةٌ تبقى من العشر الأواخر.

قال عمر رضي الله عنه: ومن أين علمتَ ذلك؟

قلت: خلق الله سبع سماواتٍ، وسبع أرضينَ، وسبع أيام، وإنّ الدَّهرَ يدورُ في سبع، وخلق الإنسان من سبع، ويأكل من سبع، ويسجدُ على سبعة أعضاء، والطواف بالبيت سبع، والجِمار سبعٌ لأشياء ذكرها.

فقال عمر رضي الله عنه، لقد فطنتَ لأمرٍ ما فطنا له، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ويأكل من سبع، قال: هو قول الله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾﴾ الآيتان [عبس][1].

● **عن عليّ بن أبي طالب** قال: أنا واللهِ حرّضتُ عمر على القيام في شهر رمضان.

قيل: وكيف ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: أخبرته أن في السماء السابعة حظيرةٌ يقال لها: حظيرة القدس، فيها ملائكة يقال لهم: الروح، وفي لفظ: الروحانيون، فإذا كان ليلة القدر استأذنوا ربهم في النزول إلى الدنيا، فيأذن لهم، فلا يمرّون

(١) «سنن البيهقي الكبرى» (٤/٣١٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣١٠).

على مسجد يصلّىٰ فيه، ولا يستقبلون أحداً في طريق إلّا دعوا له، فأصابه منهم بركة.

فقال له عمر: يا أبا الحسن؛ فنحرض الناسَ على الصلاة حتّى تصيبَهم البركةُ، فأمر الناسَ بالقيام[١].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣١٤).

سورة البيّنة

• **عن ابن عباس** قال: جاء رجلٌ إلى عمر يسأله، فجعل عمرُ ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى، هل يرى عليه من البؤس، ثم قال له عمر: كم مالك؟ قال: أربعون من الإبل، قال ابن عباس: قلت صدق الله ورسوله، لو كان لابنِ آدم واديان من ذهب لابتغى الثالث، ولا يملأُ جوفَ ابن آدم إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ، فقال عمر: ما هذا؟

فقلت: هكذا أقرأني أُبيٌّ، قال: فمر بنا إليه، فجاء إلى أُبيٍّ فقال: ما تقول هذا؟ قال أُبيّ: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: إذاً أثبتها[١] في المصحف؟ قال: نعم[٢].

• **عن ابن عباس** قال: قلتُ: يا أميرَ المؤمنين! إن أُبيّاً يزعم أنك تركتَ من آيات الله آيةً لم تكتبها، قال: واللهِ لأسألَنَّ أُبيّاً، فإن أنكر لتكذبن، فلمّا صلّى صلاةَ الغداةِ غدا على أُبيّ، فأذن له، وطرح له وسادةً، وقال: يزعمُ هذا أنّكَ تزعمُ أني تركتُ آيةً من كتاب الله لم أكتبها، فقال: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لو أنَّ لابنِ آدمَ واديينِ من مالٍ لابتغى إليهما وادياً ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ ابنَ آدمَ إلّا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ**».

فقال عمر: أفأكتبها؟

قال: «**لا أنهاك**».

قال: فكأن أُبيّاً شكَّ أَقَوْلٌ من رسولِ اللهِ ﷺ أو قرآنٌ منزلٌ[٣].

---

(١) في الأصل الفارسي: «أفأثبتها».

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣١٨).

(٣) المصدر نفسه (١٠/٣١٨).

سورة الزلزلة

• **عن أنس** قال: بينما أبو بكر الصدّيق يأكل مع النبيّ إذ نزلت عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، فرفع أبو بكر يده، وقال: يا رسول الله! إني لراء ما عملت من مثقال ذرّة من شرّ، فقال: «**يا أبا بكر [أرأيت] ما ترى في الدنيا مما تكره، فبمثاقيل ذرّ الشرّ، ويدخر لك مثاقيل ذرّ الخير حتى توفاه يوم القيامة**»(١).

• **ورُوي عن عبد الله بن عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: أُنزلت: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾ [الزلزلة]، وأبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه قاعدٌ، فبكى، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يبكيكَ يا أبا بكر؟**».

قال: تبكيني هذه السورةُ.

فقال: «**لولا أنّكم تخطِئونَ وتُذْنِبُونَ، فيُغفر لكم لَخَلقَ اللهُ أمةً يخطئونَ ويُذنِبونَ فيُغفرُ لهم**»(٢).

• **عن أبي أيوب الأنصاري** رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ وأبو بكر الصدِّيق إذ نزلت عليه هذه الآية: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة]، فأمسك رسولُ اللهِ ﷺ يده عن الطعام، ثم قال: «**مَنْ عَمِلَ منكم خيراً فجزاؤه في الآخرةِ، ومَنْ عَمِلَ منكم شرّاً يراه في الدُّنيا مصيباتٍ وأمراضاً، ومَنْ يكنْ فيه مثقالُ ذرّةٍ من خيرٍ دَخَلَ الجنّةَ**»(٣).

---

(١) «فتح القدير» (٨/ ٤٣).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٢٣).

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٢٣).

وعن أبي أدريس الخولاني نحو من ذلك.

● **عن جعفر بن برقان** قال: بلغنا أنّ عمرَ بنَ الخطاب أتاه مسكين وفي يدِهِ عنقودٌ من عنبٍ، فناوله منه حبةً، وقال: فيه مثاقيلُ ذرٍّ كثيرةٌ[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٢٧).

سورة التكاثر

• **عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قرأ في ليلةٍ ألفَ آيةٍ لقيَ اللهَ وهو ضاحِكٌ في وجهِهِ**».

قيل: يا رسول الله! ومن يقوى على ألف آية؟

فقرأ: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم** ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر]»، إلى آخرها، ثم قال: «**والّذي نفسِي بيدِهِ إنها لتعدِلُ ألفَ آيةٍ**».

• **عن عليّ بن أبي طالب** أنه سُئِلَ عن قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر]، قال: من أكل خبز البُرِّ، وشرب ماء الفرات مبرّداً، وكان له منزل يسكنه، فذاك من النعيمِ الذي يُسألُ عنه[1].

• **عن جابر بن عبد الله** قال: جاءنا رسولَ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمر فأطعمناهم رطباً، وسقيناهم ماءً، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا النعيمُ الذي تسألونَ عنه**»[2].

• **عن أبي هريرة** قال: خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ، فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «**ما أخرجَكُما من بيوتِكُما هذه الساعةَ؟**».

قالا: الجوعُ يا رسول الله.

قال: «**والذي نفسِي بيدِهِ لأخرجني الذي أخرجكما، فقوموا**».

فقاما معه، فأتى رجلاً من الأنصار، فإذا هو ليس في بيته، فلمّا رأته المرأة قالت: مرحباً وأهلاً، فقال النبي ﷺ: «**أين فلان؟**».

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٣٨).
(٢) المصدر نفسه (١٠/٣٤٠).

قالت: انطلق يستعذِبُ لنا الماءَ، إذ جاء الأنصاري فنظرَ إلى النبيِّ ﷺ وصاحبيه، فقال: الحمدُ للهِ ما أحدٌ اليومَ أكرم أضيافاً مني، فانطلق فجاء بعذق فيه بُسْرٌ وتمرٌ فقال: كلوا من هذا، وأخذ المُديةَ، فقال له رسول الله ﷺ: «**إيّاكَ والحلوبَ**» فذبح لهم، فأكلوا من الشاةِ، ومن ذلك العذق، وشربوا، فلمّا شبعوا ورَوَوا قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكر وعمر: «**والذي نفسِي بيدِهِ لتُسأَلُنَّ عن هذا النعيمِ يومَ القيامةِ**»[١].

• **عن ابن عباس** أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: إنّ رسول الله ﷺ خرج يوماً عند الظهيرة، فوجد أبا بكر في المسجد جالساً فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟

قال: أخرجني الذي أخرجك يا رسول الله.

ثم إنّ عمرَ جاء فقال رسول الله ﷺ: «**يا ابنَ الخطابِ ما أخرجَك هذه الساعة؟**».

قال: أخرجني الذي أخرجكما.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**هل بِكُما من قوّةٍ فتنطلقانِ إلى هذا النخلِ، فتصيبانِ من طعامٍ وشرابٍ؟**».

فقلنا: نعم يا رسول الله.

فانطلقنا حتى أتينا منزل مالك بن التيهان أبي الهيثم الأنصاري[٢].

• **عن أبي بكر الصدِّيق** قال: انطلقتُ مع النبيِّ ﷺ ومعنا عمر إلى رجل يقال له: الواقفي، فذبحَ لنا شاةً، فقال النبيُّ ﷺ: «**إيّاكَ وذاتِ الدَّرِّ**»، فأكلنا ثريداً ولحماً، وشربنا ماء، فقال النبي ﷺ: «**هذا مِنَ النعيمِ**

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٠).
(٢) المصدر نفسه (١٠/ ٣٤٠).

الذي تُسألونَ عنه»[١].

• **عن عثمان بن عفان** رضي الله عنه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**كُلُّ شيءٍ سوى ظلِّ بيتٍ، وجلفِ الخبزِ، وثوبٍ يواري عورته والماء، فما فَضَلَ عن هذا، فليس لابنِ آدمَ فيهنَّ حَقٌّ**»[٢].

• **عن عكرمة** قال: مرّ عمر بن الخطاب برجلٍ مبتلىً أجذم أعمى أصمّ أبكم فقال لمن معه: هل ترونَ في هذا مِنْ نعم الله شيئاً؟ قالوا: لا، قال: بلى، ألا ترونه يبول فلا يعتصِرُ ولا يلتوي، يخرج بولُه سهلاً، فهذه نعمةٌ من اللهِ[٣].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٢).
(٢) «مسند أحمد» رقم: (٤٤٠).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٤٥).

سورة قريش

• عن **قتادة بن النعمان** أنّه وقع بقريش، فكأنّه نال منهم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا قتادةُ! لا تسبنّ قريشاً، فإنّه لعلَّك أن ترى منهم رجالاً تزدري عملَك مع أعمالِهم، وفعلَكَ مع أفعالِهم، وتغبِطَهم إذا رأيتَهم، لولا أن تطغى قريشٌ لأخبرتُهم بالذي لهم عندَ اللهِ**»[١].

• عن **معاوية** سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**الناسُ تبعٌ لقريشٍ في هذا الأمرِ، خيارُهم في الجاهليةِ خيارُهم في الإسلامِ إذا فقهوا، واللهِ لولا أن تبطرَ قريشٌ لأخبرتُها بما لخيارِها عندَ اللهِ**».

قال: وسمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خيرُ نسوةٍ ركبنَ الإبلَ صالحُ نساءِ قريشٍ أرعاهُ على زوجٍ في ذاتِ يده، وأحناه على ولدٍ في صغره**»[٢].

• عن **أنس** قال: كنّا في بيت رجل من الأنصار، فجاء النبيُّ ﷺ حتى وقف، فأخذ بعضادة الباب، فقال: «**الأئمةُ من قريشٍ، ولهم عليكم حَقٌّ، ولكم مثل ذلك، ما إذا استُرْحِمُوا رَحِمُوا، وإذا حكموا عَدَلوا، وإذا عاهدوا وَفَّوْا، فَمَنْ لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ، لا يُقْبَلُ منهم صَرْفٌ ولا عدلٌ**»[٣].

• عن **جبير بن مطعم** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للقرشي مثلَي قوّةِ الرجلِ من غيرِ قريشٍ**».

فقيل للزهري: ما عنى بذلك؟

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٥٨).

(٢) المصدر نفسه (١٠/٣٥٨).

(٣) «مسند أحمد» (٣/١٨٣).

قال: نُبْلُ الرأي[١].

• **عن سهل بن أبي حثمة** أن رسول ﷺ قال: «**تعلَّموا من قريشٍ، ولا تعلِّموها، وقدِّموا قريشاً، ولا تؤخِّروها، فإنّ للقرشي قوةَ الرجلينِ من غيرِ قريشٍ**»[٢].

• **عن أبي جعفر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا تقدَّموا قريشاً فتضِلُّوا، ولا تأخَّروا عنها فتضِلُّوا، خيارُ قريشٍ خيارُ الناسِ، وشرارُ قريشٍ شرارُ الناسِ، والّذي نفسُ محمّدٍ بيدِهِ لولا أن تبطرَ قريشٌ لأخبرتُها ما لها عندَ اللهِ**»[٣].

• **عن جابر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**الناسُ تَبَعٌ لقريشٍ في الخيرِ والشرِّ إلى يومِ القيامةِ**»[٤].

• **عن إسماعيل بن عبد الله بن رفاعة عن أبيه عن جدِّه** قال: جمع رسول الله ﷺ قريشاً فقال: «**هل فِيْكُم مِنْ غيرِكم؟**».

قالوا: لا إلا ابن أختنا ومولانا وحليفتنا، فقال: «**ابنُ أختِكُم منكم، ومولاكم منكم، إنَّ قريشاً أهلُ صدقٍ وأمانةٍ، فمن بغىٰ لهم العواثرَ كبَّه اللهُ على وجهِهِ**»[٥].

• **عن أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**والناسُ تبعٌ لقريشٍ في هذا الأمر، خيارُهم تبعٌ لخيارِهم وشرارُهم تبعٌ لشرارِهم**»[٦].

---

(١) «مسند أحمد بن حنبل» (٤/ ٨١).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).

(٣) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩). (٤) المصدر نفسه (١٠/ ٣٥٩).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٠٢) برقم: (٣٢٣٨٣)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩) إلا أن فيه: «فمن بغى لهم الغواء أكبّه الله...».

(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٥٩).

• **عن أبي موسى** قال: قام رسولُ اللهِ ﷺ على بابٍ فيه نفرٌ من قريشٍ فقال: «**إنَّ هذا الأمرَ في قريشٍ**»(١).

• **عن ابن مسعود** قال: قال رسول الله ﷺ لقريشٍ: «**إنَّ هذا الأمرَ فيكم وأنتم ولاتُهُ**»(٢).

• **عن ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقيَ من النّاسِ اثنانِ**»، وحرّك أصبعيه(٣).

• **عن أبي هريرة** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**المُلْكُ في قريشٍ، والقضاءُ في الأنصارِ، والأذانُ في الحبشةِ**»(٤).

• **عن سعد** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ يُرِدْ هوانَ قريشٍ يُهِنْهُ اللهُ**»(٥).

• **عن عبيد بن عمير** قال: دعا رسولُ اللهِ ﷺ لقريشٍ فقال: «**اللَّهُمَّ كما أذقتَ أوّلهم عذاباً فأذِقْ آخرَهُم نوالاً**»(٦).

• **عن سعد بن أبي وقاص** أنَّ رجلاً قتل، فقيل للنبيِّ ﷺ فقال: «**أبعدَهُ اللهُ إنَّه كانَ يُبْغِضُ قريشاً**»(٧).

❊ ❊ ❊

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٥٩).
(٢) المصدر نفسه (١٠/٣٥٩).
(٣) المصدر نفسه (١٠/٣٥٩).
(٤) المصدر نفسه (١٠/٣٥٩).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/٤٠٢) برقم: (٣٢٣٩٢).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٣٥٩).
(٧) المصدر نفسه (١٠/٣٥٩).

سورة الكوثر

• عن أنس قال: دخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: «قد أُعطيتُ الكوثَر».

قلت: يا رسول الله! ما الكوثرُ؟

قال: «نهرٌ في الجنّةِ عَرْضُهُ وطولُه ما بَيْنَ المشرقِ والمغربِ، لا يَشْرَبُ منه أحدٌ فيظمَأُ ولا يتوضَّأُ منه أحدٌ فيتشعّثُ أبداً، لا يشربُ مِنْهُ من أخفرَ ذمَّتي ولا مَنْ قَتَلَ أَهْلَ بيتي»[1].

❁ ❁ ❁

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٦٤).

سورة النصر

• **عن ابن عباس** قال: كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدر، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: لِمَ تُدخل هذا الفتى معنا؟ ولنا أبناء مثله فقال: إنه ممن قد علمتم، فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر]، حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا الله أن نحمده ونستغفره إذا جاء نصر الله وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، وبعضهم لم يقل شيئاً، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله أعلمه الله ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ﴾، والفتح فتح مكة، فذلك علامة أجلك: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النصر]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[(١)].

• **عن ابن عباس** قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾، جاء العبّاس إلى عليٍّ فقال: انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فإنْ كان هذا الأمرُ لنا من بعده لم تشاحِنّا فيه قريشٌ، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاةَ لنا، قال: لا، قال العباس: جئتُ رسول الله ﷺ سرّاً، فذكرتُ ذلك له، فقال: إنَّ الله جعلَ أبا بكرٍ خليفتي على دين الله ووحيه، وهو مستوص، فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا، واقتدوا به ترشدوا.

قال **ابن عباس**: فما وافق أبا بكر على رأيه ولا وازره على أمره

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٢٩٤)، و«الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧٥).

ولا أعانه على شأنه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب إلا العباس، قال: فوالله ما عدل رأيُهما وحزمُهما رأيُ أهلِ الأرض أجمعين[١].

❊ ❊ ❊

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٣٧٥).

سورة الإخلاص

عن عمر بن الخطاب ﵁ أنّه قرأ (الله الواحد الصمد)[١].

❁ ❁ ❁

(١) «مصنف عبد الرزاق» رقم: (٢٧٣٣).



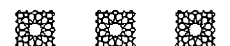
الفصل السابع

في بيان الدلائل العقلية على خلافة الخلفاء

ولمّا كان وجود أشخاص معيَّنين وصفاتهم لا تثبت بالعقل فحسب، بل تثبت بنقل متواتر أو مشهور أو خبر واحد صحيح، فلا بدّ أن يكون المراد من الدليل العقلي هنا أن تكون مقدمة من مقدِّماته عقليةً، والأخرى متواترة أو مشهورة، ويمكن أن نقسم المقدمة العقلية إلى قسمين:

أحدهما: عقلي محض، مما يثبت بغير الاستناد إلى الشرع، ولكن يجب أن يُصدِّقه الشرع ليعتبر به.

والثاني: عقلي مأخوذ من استقراء الدلائل الشرعية، أو مأخوذ مما يستلزم نقيضُه محالاً شرعياً، كأن يستلزم أمراً لا يجوز صدوره من النبي ﷺ، ولذلك نقسم هذا الفصل إلى مقصدين:




المقصد الأول


[الدليل العقلي المحض]

وحاصله تنقيح معنى الخلافة الخاصة، إذ إنّ لفظ «الخلافة» له حقيقة شرعية، ولأهل الشرع فيها آراء مختلفة، وكلٌّ يدرك المعنى من لفظ الخلافة، ويشرحُ مصطلح الخليفة بنوع من الصفات اللازمة له.

فمثلاً تأخذ فرقة من لفظ خلافة النبي ﷺ معنى الإمامة، وتعتبِرُ وتشترِطُ في صفات الخليفة: الهاشميةَ، والفاطميةَ، والعصمةَ وما أشبه ذلك، ولا شكّ أنّ عاقلاً لا يُثبِت هذا المعنى في الخلفاء الثلاثة، ونحن نعتبر في الخلافة معنى السلطة وقيادة المسلمين، وفي الخلافة الخاصّة الهجرة والسوابق الإسلامية، ولا يمكن لعاقل أن يُثبِت ذلك المعنى في الأئمة الاثني عشر غير علي المرتضى رضي الله عنه، فالخلاف الواقع بين الفريقين منشأه عدم تنقيح المعنى المراد، فاحتجب الحقُّ باختلاف المصطلحات.

الخلافة في اللغة: جلوسُ أحد مكانَ آخر، ونيابته عنه في أداء الأمور.

وفي **الشرع**: عبارةٌ عن تولي الحكم للتصدّي لإقامة دين محمد ﷺ نيابة عنه ﷺ، فإذا كان أحدٌ لا يتولّى الحكمَ والملك، ولا ينفّذ له حكم وأمر لا يكونُ خليفةً ولو كان أفضل الأمة ومعصوماً ومفتَرَض الطاعةِ وفاطمياً، وإذا كان الملك كافراً ـ أو مسلماً ـ ويحكم بالسيف لا بالشرع، وكان عملُه أخذَ الخراج والجزيةِ لا إقامة الدين مثل الجهاد

وإقامة الحدود، وفصل القضايا، لا يكونُ خليفةً البتّةَ؛ كمعظم المتغلّبين في زماننا وزمان مَنْ قبلنا.

نكتة: ينبغي هنا فهمُ نكتةٍ، وهي أنَّ كلام الإمامية في هذا المبحث من قبيل النزاع اللفظي، بل هو من قبيل الضجيج والغوغاء لا غير، إذ إن الخلافة عندهم غير الإمامة، وهي مرادفة لها عند أهل السُّنَّة بالخلافة.

والمراد بالإمامة عند أهل السُّنَّة الإمارة، وصفات الخليفة هي الأمور التي تكون سبباً لنفوذ أحكامه، وعدم صدور معصية من جهة الإمارة، سواء كان أفضل الأمة أو لا.

والمراد بالإمامة عندهم إمامة رجل يكون أفضل الأمة، وانقياد الأمة له واجب في حكم الله، سواء كان ملكاً أو لا، والإمامة بهذا المعنى لم تقل به فرقة من الفرق الإسلامية، ولا يُفهم هذا المعنى من نصوص الكتاب والسُّنَّة، ولا اتفق على ذلك أولاد علي رضي الله عنه في عصر من العصور.

ومستحيل عادةً أن تكون في الشرع دلالة على ذلك ولا يعرفها أحد ولا يسمعها.

ومثال ذلك أن يقول أحد: قد جاء اليوم سيل في السوق أغرق عدة آلاف من الرجال، ولا يعرف ذلك أحد غيره، ولم يظهر من أثر المطر شيء، سبحانك هذا بهتان عظيم، وإذا آمنا بذلك كنا من السوفسطائيين[1].

---

(١) السوفسطائية: فرقة ينكرون الحسيات والبديهيات وغيرها، الواحد سوفسطائي. انظر: «المعجم الوسيط» (١/٨٩٨).

والإمامية يقولون بإمامة علي زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر الصادق رضوان الله عليهم، مع أنهم لم يكونوا ملوكاً بالاتفاق، اللَّهُمَّ إلا أنهم يعتبرون الخلافة من متممات الإمامة، وذلك بمعنى أن الإمام إذا كان موجوداً فله حق الخلافة، ولا يليق لغيره الإقدام عليها، والظاهر أن هذه المسألة عندهم مبنية على قولهم بفرضية انقياد الإمام، فإذا قرر المعصومُ المفترَضُ الطاعةِ رجلاً على أمور الإمارة تصح إمارته، وكان هو نفسه إماماً، والمنصوب خليفةً، وذلك على نحو ما جعل شموئيل عليه السلام طالوت خليفةً فكان هو نبيّاً وطالوت ملكاً، وإذا عصى الخليفة الإمام في حكم من الأحكام كالنكاح وغيره كان ذلك معصية أيضاً، فلا تأثير عندهم للخلافة بذاتها، فلا معنى لرفع لواء الخلاف ضدّنا في مسألة الخلافة بأيِّ حالٍ، فتأمّل هذه النكتة حقّ التأمّل.

معنى الخلافة الراشدة:

وبعد أن فرغنا من بيان هذه النكتة نرجع إلى أصل الكلام بعد ذكر هذه النكتة، وهو أننا حين نقيّد الخلافة بوصف «الراشدة» كان معنى ذلك النيابة عن النبي ﷺ في الأمور التي قام بها النبي ﷺ من جهة النبوة من إقامة الدين والجهاد مع أعداء الله، وإمضاء حدود الله، وإحياء العلوم الدينية، وإقامة أركان الإسلام، والقيام بالقضاء والإفتاء وما أشبه ذلك، وذلك بوجه تَبْرَأُ ذمته، ولا يعصي الله في أمره شيئاً، وبإزاء ذلك خلافة جبرية يقوم صاحبها في كثير من الأحوال بما يخالف الشرع، ولا تبرأ ذمّته، ويعطّل كثيراً من الأمور الشرعية فيعصي الله فيها، ذلك أنه يقيم الحدود، ولا يقوم بإحياء علوم الدين، أو يقيم الحدود على وجه يخالف الشرع؛ كالإحراق بدل الرجم، والرجم بدل القصاص.

وللخلافة الراشدة بعض اللوازم والشروط لا يُتصوَّر بدونها القيام

بها: كالعقل، والبلوغ، والذكورة، وسلامة السمع والبصر، والرأي، والكفاية في الحرب والسلم وغير ذلك، ومعلوم بالبداهة أن المقصود بالخلافة لا يتحقّق بدون هذه الصفات، وقد زادت السُّنَّة السنية عليها وصفاً آخر وهو القرشية، ليقع التشبّه بفعل الله في بني إسرائيل، إذ إن الأنبياء فيهم كانوا منهم، سواء كانوا من أسباط لاوي أو يهودا أو غيرهما، وكذلك أوجب النبي ﷺ أن يكون الخليفة من قريش، سواء كان من بني هاشم أو من غيرهم، وفي اشتراط القرشية حِكَمٌ ومصالح لا يتحمّل تفاصيلها هذا الموضع.

إن قيل: إن جعلنا صبياً أو امرأة أو جاهلاً أو غير مجرَّب وغير كافٍ من بعد وفاة أبيه خليفةً، وقرنا العلماء لإحياء علوم الدين والقضاء والإفتاء، ونصبنا أميراً حاذقاً على الغزو، وجعلنا مجرباً أمير الغزاة لهزيمة الأعداء، وجعلنا حكيماً ـ يعرف طريق أخذ الزكاة والخراج ونصب العمّال بحسب الشروط والصلاحيات، ويستطيع تقسيم بيت المال في المستحقِّين ـ وزير الوزراء، انتظمت أمور الخلافة بدون هذه الصفات في الخليفة.

قلنا ـ أولاً ـ بطريق النقض: لو أننا قمنا بإخراج الصبي أو المرأة من بينهم، واتفق العلماء والأمراء والوزراء فيما بينهم ولا يظهر الخلاف بينهم، وأكّدوا العهد والميثاق في أمرهم يمكن أن تنتظم أمور الحكومة بدون الخليفة، ولا تبقى الحاجة إلى نصب الخليفة.

وقلنا ـ ثانياً ـ بطريق الحلّ: إن اجتماع النفوس على شخص غير جامع يخرط الجميعَ في سلك واحد بشوكته وقوته؛ كالرسم على الماء، أو النقش في الهواء، وعسى أن ينشأ فيهم نزاع تافه، يكسر هذا التحالف، ويقطع حبله.

ولذلك قال الحكماء: لتآلف الناس وتوحّدهم أسباب ووجوه، منها: الرهبة، والرغبة، والحاجة، واتفاق الطبائع، والاتفاق على الصفات الكسبية ـ أي: اتحاد الصنائع والحرفة ـ والرسم، والعقل.

والاجتماع الذي يتحقّق بوجه أو وجهين يكون ضعيفاً لا قرار له، وعلى هذا الأساس لا يمكن الدخول في المعارك مع الأعداء والقيام بالأمور العظام.

وهذا المبحث من أجلى مباحث حكمة سياسة المدن، ومدار هذه الأمور لا يكون على الاحتمالات العقلية، بل على ما يكون موجباً رفع المفسدة ـ عادةً ـ مع وجود المصلحة.

وليعلم أن هذا الصبي أو المرأة لا يغني عن الأمر شيئاً، ويتساوى وجوده وعدمه، إذ لا يَعْرِفان ما هي الشريعة والمصلحة؟ حتى يميّزا بين ما يوافق الشريعة والمصلحة وبين ما يخالفهما، ويرجّحا أحدهما وينهيا عن الآخر، ولا يحسن الاعتماد في أي فن على أهله بمجرّد التقليد لهم ولا يأتي ذلك بأي نتيجة، وقد نشأت في العالم جميع المفاسد من هذه الجهة، وإذا كان تسليم الأمر لهذا الرجل اضطراراً، فهي من قبيل: الضرورات تبيح المحظورات.

وبالجملة: فإنه لا شكّ إذا كان الخليفة متصفاً بهذه الصفات الفاضلة فقد حصل له نوع تشبّهٍ بالنبيِّ عليه الصلاة والسلام في الملكات والأفعال، وإن أضفنا وصفاً إلى الخلافة الراشدة وقلنا: الخلافة الراشدة الخاصة فمردّه زيادة تشبّه الخليفة بالنبيِّ ﷺ بالنسبة لما اشترطنا في الخلافة الراشدة، وينبغي لي زيادة الخوض في تفصيله.

وسرّ الكلام أن هذا الخليفة لا يكون عين النبي حتى ينزل عليه الوحي وتجب طاعته كما تجب الطاعة للنبي ﷺ، بل ينبغي أخذ صفة من

صفات أفراد الأمة له هي أقرب إلى صفات النبي من جهة النبوة وهي أُسوة وظل لها، ثمّ ليعلم أن المعتبر في التشبه هنا ما يكون في الصفات التي حصلت للنبي من جهة النبوة، كما أن النبي ﷺ كان أجمل الناس والأنبياء، والآخرون كانوا متفاوتين في الحسن والجمال، إذ إن وصف أجمليته لم يكن من جهة النبوة والرسالة، وكان ﷺ هاشمياً وسائر الأنبياء من أسباط بني إسرائيل ـ أي: من أولاد يعقوب عليه السلام ـ، فهاشميته لم تكن من جهة النبوة والرسالة.

وقولنا: «من جهة النبوة» شامل للجهاد ـ مثلاً ـ مع أن معظم الأنبياء لم يكونوا مأمورين بالجهاد، إذ إن الجهاد ناشئ من جهة الوحي، ونبوة النبي ﷺ هي التي أوردته إلى الجهاد، ثم المطلوب هو التشبّه في جميع ما هو من لوازم النبي أو في معظمه، لا في الصفات القليلة فقط، إذ إن كل مسلم يتصف تشبّهاً بالنبيِّ ﷺ بوجه ما مثلاً في الصلوات الخمس وتلاوة القرآن وما إلى ذلك، ومن كان من أفاضل الأمة لهم كمال التشبّه في بعض الأوصاف كما قال حذيفة[1] في عبد الله بن مسعود، وهذه الخلافة في شيء واحد دون آخر، والمقصود بالخلافة الخاصة هو الخلافة المطلقة باعتبار جميع ما كان يصدر من النبي ﷺ من جهة النبوة، ثم التشبُّه بالنبي على الوجه الذي بيّنّا لا يمكن إلا أن يكون الرجل من أعلى طبقات الأمة دون الطبقة السفلى والوسطى، وكونه من الطبقة العليا يمكن بوجهين:

أحدهما: باعتبار تشبُّه نفسه بالنبيِّ ﷺ في العبادات والمقامات السنية والأخلاق الحميدة.

---

(١) إشارة إلى رواية عبد الرحمٰن بن يزيد، قال: سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلّاً بالنبيِّ ﷺ من ابن أم عبد. انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٦٢ ـ ٦٠٩٧).

والثاني: باعتبار السوابق الإسلامية مثل الهجرة والجهاد.

ولا يظهر ذلك إلا فيمن له مناسبة بالنبيِّ في قوّتي نفسه؛ يعني ـ القوة العاقلة والقوة العاملة ـ: جبلةً وكسباً وتظهر ثمراتهما مجتمعة ومنفردة، ولا يظهر ذلك إلا فيمن ألقى الله في قلبه الداعية الإلٰهية لإتمام المواعيد الإلٰهية بواسطة نفس النبي وفضل صحبته، وتلوح آثار بركات الداعية الإلٰهية في أفعاله وأطواره، ولا يظهر ذلك إلا فيمن هو واسطة بين النبي وأمته في إفاضة العلوم، ولا يتبيّن معنى حقيقة الخلافة الخاصة إلا أن نعرف ـ أولاً ـ حقيقة التشريع ثمّ حقيقة النبوة بعد ذلك، إذ إن الخلافة الخاصة إنَّما هي مثال النبوة وشبيهها، ولذلك ينبغي أن نكتب بعض النكات المهمّة.

النكتة الأولى: أن التشريع تكملة التقدير، والتقدير بمعنى قياس الأمر بشيء وجعله بمقداره؛ إذ إن الله تعالى قدّر كلَّ نوع من الأشياء بمقدار، فلكل نوع منها طبيعةٌ خاصةٌ، وصورة خاصة، وله أفعال وأخلاق وإلهامات جبلّية، تتولّد بين الصورة النوعية والحاجة الطارئة، وهذه القصّةُ من أطول القصص، والإنسان من أفضل أنواع الحيوان، ومن مقتضيات نوعِهِ العقلُ والذكاءُ والاهتداءُ بأنواع غريبة من الارتفاقات.

وفي نفس الإنسان **قوتان** اثنتان: **إحداهما**: القوة الملكية، **والثانية**: القوة البهيمية، فإذا انقاد الإنسانُ للقوّة الملكية، وخضع لها، وقام بكل ما يسبّب الزيادة في القوة الملكية دخل في عداد الملائكة، كأنه مَلَكٌ من الملائكة، وإذا استسلم للقوة البهيمية، وجعل نفسه تحت تصرّفها، دخل في عداد البهائم، وكأنه بهيمة من البهائم.

وهناك حالة معتدلة يقتضيها اعتدال نوع الإنسان، وهي حالة امتزاج

إحداهما بالأخرى، فيقوم من الأفعال البهيمية بما لا ينافي الملكية، ومن الأفعال الملكية بما لا يتزاحم مع البهيمية، فتتصَالح القوتان، وأصل الصورة النوعية للإنسان يقتضي هذه الهيئة الاعتدالية، وذلك إذا لم يمانع ذلك عصيانُ المادّة، وفي قوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] إشارة إلى هذه الهيئة، ولهذه الهيئة الاعتدالية ملكات وأفعال وأحوال، ولها كاسبات ومنقِّصات وللمنقصّات كفارات.

وهذه القصة مماثلة للطبيب الماهر الذي يعرف أن للهيئة الاعتدالية التي تسمّى الصحة أسباباً ومنقّصات، فيأمر بأشياء ـ لاعتدال المزاج ـ وينهى عن أشياء أخرى ـ وهي منقصات ـ.

ولمَّا قدَّر الله في أزل الآزال جميع المقتضيات النوعية وجب ضمن ذلك ـ بمقتضى الحكمة ـ تعيينُ الهيئةِ الاعتدالية النفسانية المسمّاة في الشرع بالفطرة، وتحديد ملكاتها وأحوالها الناشئة منها وكواسبها ومنقِّصاتها، وهذا هو المعروف بشريعة بني آدم، جعل بعض الأشياء واجباً وبعضَها الآخرَ مندوباً ومكروهاً وحراماً، ولا يتسنَّى تعليمها للبشر إلا شبيهاً بالإلهامات الجبلّية، ولا يصلح لتعليمها المباشر بدون واسطة إلا ممن هو أعدل من ناحية قواه النفسانية، وهذا الشرع واحد لا يقبل التعديل والتبديل، ولكن على الكفؤ المتأهِّل أن يقوم بتقييدها (الأحكام والشرائع) بموضع خاص؛ كالطبيب الذي يصف لإصلاح الصحة وصفة من بين الوصفات المحتملة المختلفة بالملاحظة إلى السنّ والفصل والبلد المعيَّن، وهذا ما يقال له شرعة ومنهاجٌ، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

النكتة الثانية: لا تَظُنُّنَّ أن بعثة الرسول عبارة عن إرساله من الأعلى إلى الأسفل، أو من المشرق إلى المغرب، أو من بلد إلى بلد

آخر، بل إرسال رسول من الله تعالى عبارةٌ عن تعلّق الإرادة الإلـٰهية بمعرفة جمهور بني آدم للشريعة وصلاحهم، وذيوعها وشهرتها بينهم، وأن تمتلئ عقولهم وقواهم بهذا العلم، ويكون ذريعة لإرادة أفعال الخير، والكفّ عن المنهيات في حقّ الكثيرين، أو هو عبارة عن أن يعمّ في الناس كلُّ نوع من الشرك والمظالم، ولا يمكن رفع هذا الشرك والمظالم من بينهم من غير واسطة نبيّ مؤيَّد من الله تعالى، أو يأتي أجل قوم من المبغوضين وموعد عقابهم ولا تقتضي المصلحة أن يُنزَل عليهم حَجَرٌ من السماء أو يُهلكوا بالصيحة، بل المصلحة تقتضي إرسال رسول صاحب شوكة وقوّة، يكون واسطة في تعذيبهم، كما كان جبريل واسطة في تعذيب القوم الذين أهلكهم الله بالصاعقة ونحوها.

ولا يصلح لهذا العلم والداعية جميع أفراد الإنسان، بل يصلح من هو أعدلهم وأشبههم بالملأ الأعلى، ولا تصلح جميع الأوقات لظهور أمر الحق، بل الحكمة الإلـٰهية تختار شخصاً من قبل وجود الأفراد، وتُعيِّن له زماناً، فحين يأتي ذلك الزمان، ويظهر ذلك الشخص يصطنع الله لنفسه ذلك الرجلَ المعتدلَ، الذي يحمل نفساً قدسيةً بين جنبيه، وفي قوله تعالى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه] إشارة إلى ذلك، وينزل الشرع على قلبه، ويسخّر له جميع قواه العقلية والقلبية، ويجمع حوله أمة، ويُبوِّؤه منصب الإرشاد والتعليم، ويوفّقهم للتعلُّم والاسترشاد، ويلقي الله في قلوبهم الرغبة لحصول العلم والرشد، فتشيع هذه الداعية فيما بينهم، ومثل ذلك كمثل سراج أُوقِدَ في بيت من البيوت، فانعكس نورُه في المرآة التي نُصِبت حوله، فوجد بهذا الإرشاد والاسترشاد كلا المعنيين: كمال نفس النبيِّ، وكمال نفوس أُمته التي أخرجت للناس، وتحققت تلك الشريعة الإلـٰهية التي تمثّلت في أزل الآزال، فتحقّقت كلتا الحقيقتين بأسلوب من الأساليب، كما أنّ لكتاب الطب ـ مثلاً ـ وجوداً خطّياً،

ووجوداً لفظياً، ووجوداً ذهنياً، فوجوده الخطّي عبارة عن اللون الأسود على صفحة القرطاس بوضع خاص، لكنّه يدلّ على بعض الحروف، والحروف عبارة عن صوت خاص غير جامد دالّ على صور ذهنية عديدة، وهذه الصور الذهنية إنما هي تفصيل لمسائل الطب وحلّ معضلاته، وإن تأليف هذا الكتاب قد مهّد الطريق إلى قواعد الطبّ، وسبّب انتشاره وذيوعه بين الناس، وهكذا فإن الشريعة الممثلة في الملكوت قد تحقّقت بفضل هذا التعلّم والتعليم، هذا هو معنى إرسال الرسل وإنزال الكتب، فتدبّر.

وهنا وجود مقرون بوجود آخر، **أولهما**: روح ـ هو تمثله في الملكوت ـ، **وثانيهما**: جسد ـ هو وجوده في الخارج ـ، وقد يكون النبي ﷺ على صورة مَلِك وخليفة، وقد يكون على صورة حبر وعالم، وقد يكون على صورة زاهد ومرشد، ولكل صورة منها أسباب من البَخْتِ والحظّ والقوى، ولكلّ صورة أفعال وآثار، كما أنّ مادة البدن تشتمل على أربعة عناصر من النار، والهواء، والماء، والتراب، والنفس الناطقة له الروح المدبّرة، وسببُ البدن النطفةُ والأغذيةُ، ورأى أصحابُ الظواهر في نبوّةِ النبيِّ ﷺ مُلْكاً وحُكْماً، ولم ينظروا إلى روح هذا الفتح المشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢]، ووقعوا في شقاء الأبد، وهذه الشريعة التي هي أفضل الشرائع نزلت على أفضل بشر كان يحمل خصائص مختلفة وتمثّل بصور عديدة من الخليفة والحبر المعلِّم والزاهد المرشد.

والنكتة الثالثة: أن للخلافة ظهراً وبطناً، وظهرُ الخلافة السلطنة والحُكْمُ لإقامة الدين، وبطنُها التشبّه بالنبيِّ في الصفات التي تتعلّق بالنبوة.

فالنبوّةُ عبارةٌ عن تعلّق إرادة الله بصلاح العالم، وكبت المفسدين والكفار، وترويج الشريعة بواسطة أفعال النبيِّ وأقواله.

والخلافة عبارة عن تعلّق إرادة الله بتكميل أفعال النبيِّ، وحفظ أقواله، وتعميم نوره، وإظهار دينه، وذلك بواسطة شخص يقومُ مِنْ بين الأمة بخلافة النبيِّ، ويُلقى في خاطره داعيةٌ لإعلاء دين النبي، ثمَّ ينعكِس أثر ذلك على سائر الأمة، ولهذا الخليفة نسبة قوية بنفس النبيِّ في القوة العاقلة، والقوة العاملة فيكون محدَّثاً[1]، وتكون له فراسة موافقة للوحي، وتكون له كرامات ومقامات يعرف بها كمال نفسه باعتبار القوة العاملة، فلا بدّ أن تكون صورةُ الخليفة توافِقُ صورة النبي، فإذا كان النبيُّ ملكاً يكون الخليفة ملكاً، وإذا كان حبراً وزاهداً فلا بدّ أن يكون الخليفة متصفاً بهذه الصفة.

وخصوصية الصورة في النبيِّ خارجة عن وصف النبوة، وفي الخليفة داخلة في وصف الخلافة؛ إذ إنه استحقّ الخلافة من أجل المشابهة في الصورة والمعنى معاً، ومثال ذلك: أن «الفصل» يكون من عوارض الجنس خارجاً عن ماهيته، ومع ذلك هو داخل في ماهية النوع، وأنَّ «الخاصة» تكون من عوارض الماهية النوعية، ومع ذلك هي داخلة في صفات الصنف النفسية، وكل علّة ـ أثناء الحكم ـ هي مظنّة مصلحة تقتضي حكمة تتعلّق بعموم المصلحة، وخصوص هذه العلّة المقتضية هو الشريعة التي تتعلّق بخصوص المظنَّات، ولا شكّ أنّ النبيَّ ﷺ لمَّا ألقي في نفسه القدسية الداعية الإلـٰهية وهو وحيد، وكانت الحاجة ماسّةً إلى أعوان وأنصار لينصروا النبيَّ في حياته، ويكونوا واسطة بين النبيِّ وأمته من بعد وفاته.

---

(١) أي: ملهماً.

ولمَّا تمثّل النبي وأمته في أزل الآزال بمنزلة القدر كانت طائفة منهم كالواسطة في تبليغ تأثير النبي في أمته من أجل المناسبة الجِبِلّية والأفعال الصادرة منهم، فكما اختير النبيُّ لوصف النبوة في هذا المقام تمثّلت هذه الطائفةُ بوصف الخلافة كذلك، وكُتِبَ هذا المعنى في أزل الآزال لهؤلاء، وظهر في الخارج المعنى نفسه، وبقيت هذه الأمور من بعد وفاته مرتسمةً في صحيفة قلوبهم، وما أحسن ما قيل في هذا المعنى:

دردت زازل آمد تا روز ابد پايد
جون شكر گزارد كس اين دولت سرمد را[1]

فمن اجتمعت فيه الخلافة الظاهرة والخلافة الباطنة نسمِّيه «الخليفة الخاص».

والخلافة الخاصة هي مرتبة من مراتب الولاية، وهذه المرتبة أشبه المراتب بالنبوة.

وعلماء الأمة الذين وُفِّقوا ـ لحكمة الله تعالى ـ إلى تبليغ دين محمد عليه أفضل الصلوات والتسليمات وتجديد شريعته هم على مراتب عدّة، والخلافة الخاصّة هي جامعةٌ لهذه المراتب كلِّها، هذه هي حقيقة الخلافة الخاصة.

بعد أن تنقّح مفهوم الخلافة الخاصَّة ينبغي الآن استقراء أحوال الخلفاء وأقوالهم، والانتقال من صور وظواهر قصصهم إلى أرواحها وفحاويها، والمحاولة للاهتداء إلى معنى مشترك من بين هذه القصص، ليتضح أن هؤلاء متصفون بها ـ أي: بالخلافة الخاصة ـ، وتتبُّع آيات

(١) يعني: همك من الأزل، ويبقى إلى الأبد، فكيف يمكِنُ شكرُ هذه النعمةِ السرمديةِ؟

القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، وآثار السلف الصالح، ليتيسّر أمرُ تنقيح معنى الخلافة، وإثباتِ لوازمها في أشخاص معيَّنين.

النكتة الرابعة: أنَّ ما بيَّناه كان بمعنى الخليفة الخاصّ لنبيٍّ من الأنبياء مطلقاً، والآن أريد أن أبيِّن ما هي الصفات التي ينبغي للخليفة الخاص لنبيّنا ﷺ أن يكون متّصفاً بها بحسب الصورة.

اعلم أن رسولنا ﷺ كان أفضلَ الأنبياء، وشريعتُه أفضلَ الشرائع الإلٰهية، والكتابُ الذي أنزل إليه أفضل الكتب السماوية، وأحياناً ظهر الأنبياء بصورة الملوك كداود وسليمان عليهما السلام، وأحياناً بصورة الأحبار كزكريا عليه السلام، وأحياناً بصورة الزهاد كيونس ويحيى عليهما السلام، وفي كل صورة يكرمهم الله بالجاه والغلبة والعزة، ويوفِّق الأمة للانقياد لهم، وهذه الغلبة والانقياد بمنزلة جسم الإنسان، والعناية الإلٰـهية المضمرة فيها بمنزلة النفس الناطقة، كالجسم الذي هو قفص للنفس، فكذلك صورة الغلبة والعزة والجاه وانقياد الأمة واعتقادها بمنزلة جسد النبوة، والعناية الإلٰهية والفتح الغيبي الذي وقعت إليه الإشارة في آية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١ ـ ٢] روح النبوة، فكأن حقيقة النبوة هي التي تقوم بالتحريك من وراء الحجاب، مثل حركة الريح من وراء حركة الأسد والسمك المكوّنين من الأقمشة:

ما همه شيران ولے شير علم   جنبشش از باد باشد دمبدم[(١)]

وظهور نبوّةِ أفضلِ الأنبياءِ والرسلِ جامعٌ للملوكية والحَبْرية والزُّهد، فصورة نبوة النبي ﷺ هي أن يجتمع المسلمون حوله ﷺ، وهذه الحقيقة أخذت في الترقي في مكة المكرمة حتى بلغت أوجها كما يكون

(١) أي: إننا أُسُد ولكن أسد الراية الذي يتحرك بحركة الهواء.

رئيس مدينة من المدن أو قرية من القرى، ثم أُمِر بالهجرة بعد ذلك، وُوِّفق المسلمون من كل جانب للهجرة، وتهيَّأت لهم أسباب الجهاد، وتزايد معنى الرئاسة وجمع الأفواج والحكومة حتى وقع فتح مكة، وتوجَّهت وفود العرب إلى النبي ﷺ من كل جانب، ونزلت سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر] إلخ.

ورافق النبيَّ ﷺ أربعون ألف رجل ـ وفي رواية: سبعون ألف رجل ـ في غزوة تبوك، وفي حجة الوداع شهد مائة وخمسة وعشرون ألف رجلٍ مع النبي ﷺ، ودخلت اليمنُ وتهامة ونجد وبعض نواحي الشام في حكمه ﷺ وأخذ الجزية والزكاة من أهاليها، وعيّن عمّاله ﷺ في كل بلد، حتى صارت صورة الملوكية في ناحية من النواحي.

ومثال ذلك أنَّ جسد الطفل ينمو ويرتقي من كلِّ جانب في سنّ النموّ والارتقاء، وتتكامل قوى نفسه الناطقة في كل لحظة، وكذلك تضاعفت وتزايدت بركات النبوّة وفيوض الرسالة على مرّ الأيام، وبقيت ـ خلال ذلك ـ درجةٌ من التقدّم والنمو حتّى انتقلَ النبيُّ ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وهذه الصورة تماثل هيئة ذي القرنين، الذي أخضع جميع الملوك، ورفع لواء الحكم على الجميع، وكانوا يسمّون هذه الرتبة في عرف الملوك المتقدمين بـ«ملك الملوك»[1] وقد بشّر الله النبي ﷺ بهذه الغلبة والتقدُّم مرَّاتٍ، وقد بيَّن النبي ﷺ ذلك أكثر من مرّة. ولمَّا جاء نداء من الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] إلخ، ولبّى النبيُّ ﷺ إجابة ذلك، أنجز الله هذا الموعود على أيدي الخلفاء، وفتحت فارس والروم ـ اللتين كانت جميعُ الأرض تحت

(١) هذا لا يجوز في الإسلام. كما ورد في الحديث.

حكمهما ـ على أيدي الخلفاء، ووهب خزائنَ هؤلاء للمسلمين، وكتب ذلك كله في ميزان حسنات النبي ﷺ، وتمّت النعمة، وظهر معنى النبوة ضمن هذه التطوُّرات والفتوحات الإسلامية بكل سعتها، حتى صار ذلك مصداق قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، والحمد لله رب العالمين.

وأما صورة الحَبْرية فهي أنَّ النبيَّ ﷺ ولد في زمان كان شعار العرب كلهم الوثنيةَ، ونسوا سنَّة الأنبياء السابقين تماماً، وما كان لهم علم بالمعاد والمبدأ، وكانوا يظلمون بعضهم بعضاً، وما كانوا يميِّزون بين الحلال والحرام، فبعثه الله تعالى، وأنزل عليه أفضل كتبه، وأنطقه بأنواع الأحكام والحِكَم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم]، ووفَّق جماعةً لحفظ إرشاداته وعلومه ﷺ، فقرأ الأمِّيُّون كتاب الله، وحفظوا أحاديث الحِكَم والأحكام، حتى صار أهل البوادي أحبارَ الملّة، ثم قام بحفظ هذا السرّ ـ أي: كتاب الله، وسُنَّة نبيِّه ـ في أمة النبي ﷺ، ووفَّق في كل عصر: طائفةٌ منهم لقراءة القرآن، ويسَّر لفريق منهم تفسيره، واختار جماعة منهم لرواية الحديث النبوي الشريف، وأقام بعضهم على الفتوى والقضاء.

وبالجملة: فإنّه تعالى وفّق الخلفَ في كلِّ عصر لأخذ العلوم من السلف، وكل من له قلب سليم يعرف جيداً أن ماء الحياة منفجر من منبع قلب النبي ﷺ، ثم تفرَّعت منه جداول وأنهار، نال المسلمون ـ شرقاً وغرباً ـ نصيبهم من هذه الجداول والأنهار، وهذا المعنى يتمثَّل يوم الحشر بالكوثر، الذي ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأوانيه كعدد نجوم السماء، ولم يوجد قبل بعثة النبي ﷺ شيءٌ من هذا النوع من فيض العلم وذيوع الحِكَم، فلما بعث النبي ﷺ جاش من قلبه الشريف

ينبوع، وانتشر في سائر العالم ضمن تعليم وتعلّم وحفظ هذه الشريعة الحقّة التي ثبتت في العناية الأولى، ونزلت بعد ما تمثّلت في صدور الملأ الأعلى، وانتشرت وراجت، لا يمكن أن يكون كل ذلك من مكاسب مجرّد العقل وقياسه الفارغ، هذا من مظاهر شدّة الظهور، بل رأي العين.

والترقي في صورة الحَبْرية على مراتب عديدة، فإنَّ النبيَّ ﷺ حين كان في مكة كانت معظم العلوم الإلٰهية النازلة على قلبه كنزول المطر تتعلّق بتوحيد العبادات، وعلم المعاد، وقصص الأنبياء السابقين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ولمّا وصل إلى المدينة المنورة اتّسعت دائرة علمه، فنزلت الأحكام والحِكَم عليه ﷺ مفصّلةً، وبيّن ﷺ طرق أداء الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والحج، والواجبات، والمنهيات، والنكاح، والبيع والشراء، وأصول سياسة المدن، وآداب المعيشة على أكمل الوجوه، وبعد هاتين المرتبتين بقيت مرتبة ثالثة هي آخر مراتب الحبرية، وهي على قسمين:

القسم الأول: ما كان صالحاً للظهور في حياة النبي ﷺ بنوع من العسر، ولكن أخّرته مشيئة الله تعالى ليتمّ للخلفاء معنى الخلافة والحبرية، وهو جمع القرآن من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى جُمِع بين الدفّتين، وانتشر بهذه الهيئة الاجتماعية في الآفاق، وفُتِح باب حفظ القرآن على كافَّة المسلمين.

والقسم الثاني: ما لم يمكن أن يظهر في حياته ﷺ، فلزم أن يقع ويتحقق من بعده ﷺ، وهو البحث عن أحكام القضايا التي لم تقع بعد، فقام الخلفاء بالبحث عنها، واستخراجها من صدور الناس، وأصدروا الأحكام في ضوئها، فانتشرت وعمّت، وأيضاً كانت بعض النصوص

تحتمل معاني شتَّى مما يتعسَّر تحديد معناها، فقام الخلفاء بتعيين معناها باستنباط خفي مما وقع عليه إجماع أرباب الحلّ والعقد، ومهّدوا الطريق للاجتهاد فيما ليس فيه نصّ من الشارع، وعلموا طريق رواية الحديث والتثبُّت والاحتياط فيها، وتمّت هذه المرتبة الأخيرة للحبرية على أيدي الخلفاء.

ولم يكن من الممكن أخذُ ذلك من النبي ﷺ بدون واسطة؛ إذ إن كل ما يتلقى عن النبي يكون داخلاً إما في القرآن وإما في السُّنَّة، لذلك لزم للنبي ﷺ أن يكون خليفة يقوم بجمع القرآن، وتعليم استنباط الشرائع، وأفضل أنواع الفقه بعد الكتاب والسُّنَّة هو إجماعات الخلفاء حكموا عليه بمشورة من فقهاء الصحابة، وأن هذه الأحكام نفِّذت في الأمة، وقبلتها الأمة، ولم يكن من الممكن أن يظهر هذا النوع في حياة النبي ﷺ.

وأما تمثّله ﷺ بصورة الزاهد والعابد والهادي للمسلمين، وذلك بطريق أساليب اكتساب الإحسان مع الملازمة لوظائف الطاعات، **ويُتصوّر ذلك على عدة أوجه:**

أولها: بتمهيد قوانين الإحسان، مثل وظائف الصلاة، والذكر، وبيان حفظ اللسان، والإشارة إلى المقامات والأحوال.

والثاني: إراءة تلك المقامات والأحوال بتأثير الصحبة، وإلى هذا المعنى وقعت الإشارة في آية ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ إلخ [الجمعة: ٢]، ثم إن أفاضل الأمة وأشرافهم من بعد رسول الله ﷺ لم يزالوا يهدون الناس إلى المقامات والأحوال بعد ما اتصفوا بالإحسان، وانصبغوا بصبغة الله، وسلك كثير من الناس مسالك الطريقة الإلٰهية بعد ما قبلوا فيوضاتهم الربانية القدسية، وهذا سرّ من أسرار الله التي كانت كامنةً في بعثة

النبي ﷺ، والخلفاء هم الأولون الأقدمون في هذه السلسلة، وهم أوّل من دلّوا العالم على هذه المعاني قولاً وفعلاً.

ولتعليم مسائل الإحسان قولاً وفعلاً مراتبُ كثيرة، وآخرُها على قسمين:

أحدهما: تلقي الإحسان ما يستطيع الناس تلقيه مباشرة عن النبي ﷺ بدون واسطة، ولكن مع عُسرٍ ومشقّةٍ، وأقامت العناية الإلـٰهية الخلفاء الراشدين مقام النبيِّ ﷺ لهذا التعليم ليحصل بكل يسر وسهولة.

وتفصيل هذا الإجمال أنَّ النبي ﷺ كان جامعاً لكمالات شتَّى من أمثال العصمة والوحي والإحسان، وصدرت منه ﷺ بعض الأمور من جهة الإحسان، والبعض من جهة النبوة، فتحير الآخذون من النبي ﷺ: هل هذا الفعل مختصّ بالنبي ﷺ، وصدر منه من جهة النبوة؟ فسبيل الاتباع مسدود، ولا سبيل في ذلك إلى تحقيق التمنّي، أو هذا من جهة الإحسان؟ فيجب على محسني الأمة الاقتداء به، وبذل السعي لحصوله، فاشتبه الأمران، وأصبحت الحيرة مانعةً وحاجزةً عن التمييز، ولمَّا أخذ الخلفاء هذه الطريقة من النبي ﷺ، وشاهد الناس ذلك من الخلفاء علموا أن ذلك كله من باب الإحسان والسلوك، وينبغي لجميع محسني الأمة الاقتداء بذلك.

والمعجزة خاصّة بالأنبياء، والكرامة عامة للأولياء، والوحي خاصّ بالأنبياء، والمحدّثية عامّة، والكشف الذي يكون دليلاً قطعياً خاصّ بالأنبياء، وكشف المبشِّرات والفراسات عامّ.

والقسم الثاني: أن الناس كانوا لا يستطيعون أخذه مباشرة عن النبي ﷺ بدون واسطة إلا بطريق **الرمز والإشارة**، لا بطريق الفعل والحال؛ كحبّ الرسول ﷺ الذي هو **عبارة عن الفناء في الرسول**

بالفعل، أو النسبة الأويسية أو الانقياد للشرائع، والتمسك بالتقوى والورع في مقام الشبهات، وقس على ذلك البواقي، وما معنى حب الرسول ﷺ وما هي حقيقة النسبة الأويسية، وكل هذه المباحث لا تستقيم بدون توسُّط الخلفاء، ولذلك فإن جميع أفراد الأمة احتاجوا إلى واسطة من جهة هذه الأمور.

وبالجملة: فإن التشبّه بالنبيِّ ﷺ في صورة النبوة لا يتيسر إلا أن يقوم الخليفة بالحكم على العالم مثل ما قام به حيث تسلط على شطري الأرض ذو القرنين، فتكون فارس والروم وما والاهما تحت تصرُّفه، وكذلك لا يتيسر ذلك بدون جمع القرآن، وبذل الهمة البليغة في نشره وإشاعته، وحثّ الناس على تلاوته، وبدون الإجماعات التي توجد في كل باب من أبواب الفقه، وكذلك لا يتصوّر ذلك بدون إفادة جملة صالحة من مسائل الإحسان أيضاً.

النكتة الخامسة: في بيان ما هي الصفات التي يتحقّق بوجودها التشبّه بنبيِّنا ﷺ باعتبار الاستعدادات والملكات التي هي مصدر أفعال النبي ﷺ وأحواله؟ وهنا دقيقتان، وفهمهما من ضروريات هذا المبحث بل هو من مهمات أكثر المباحث الكلامية.

الدقيقة الأولى: أنَّ خلق الأشياء بدون واسطة منوط بذات الحق ﷻ وإرادته وقدرته عند أهل الحق، فعقيدة الإيجاب والتوليد خطأ، وأما ظهور توقف بعض الأشياء على بعض فهو بناء على سُنَّة الله الجارية، إذ إن سنَّة الله جرت على أن يخلق أشياء كذا وكذا عقب وجود أشياء أخرى، وقد زلّت هنا قدم قوم ممن يثيرون شبهةً في الاستدلال بالأسباب على السبب الخاص، أو بالمسبّب على الأسباب الخاصة، وهي أن إفاضة الأشياء لو كانت بإرادة الفاعل المختار، لا بطريق

الإيجاب والتوليد، فلا يمكن الاستدلال بالأسباب الخاصة على المسبّب الخاص وبالعكس.

وهذه الشبهة مجرد سفسطة[١] لا غير، والحق أن جميع مصالح الدنيا والآخرة تتوقَّف على الاستدلال بالأسباب على المسبّبات وبالعكس، ألا ترى أن الإنسان يبذر الحبة في الأرض ثم يسقيها، ويستعمل الدواء لإزالة المرض؟ ولماذا يجاهد الأعداء؟ ولماذا كان النبي ﷺ يراعي الأسباب الخاصة في الحروب وفي جميع شؤونه؟ ويقوم بفحص المسبّب الخاص، ولو ارتفع الاستدلال من بين الأشياء لتعطل العقل، وتساوى العاقل والسفيه، ولم تكن للخلفاء أية فضيلة في تدبيرهم وإصابة رأيهم في أمور الدولة، ولا يكونون مكلّفين بذلك، «سبحانك هذا بهتان عظيم».

والواقع أن توقف المسبّبات على الأسباب حقّ، والخلق ـ بدون واسطة ـ بمحض إرادة الفاعل المختار حقّ أيضاً، فمن استطاع التوفيق بينهما ووسع عقله ذلك يجوز له أن يتكلّم في هذه المسألة، وإلّا فعليه أن يعتقد أن هذين المذهبين حقّ ويتجنّب التفصيل.

الدقيقة الثانية: أن الأدلة المأخوذة من الأسباب والمسبّبات ـ يظهر في بادئ الرأي ـ أنها لا تفيد القطع عند القائلين بالإرادة والاختيار، فإن خرق العادة ممكن، وكذلك لا تفيد القطع في أغلب الأحيان عند القائلين بالإيجاب، فإنه مما لا سبيل إلى اليقين في عالم الكون والفساد بأن هذه الأشياء هي وحدها الأسباب، وليس هناك سبب آخر، وأنه ليس هناك أي مانع من ترتب المسبب على الأسباب والمشروط على الشرط،

(١) السفسطة: قياس مركب من الوهميات، والغرض منه إفحام الخصم وإسكاته. انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٤٤٩).

ومع ذلك يحصل اعتقاد جازم في نفس الأمر بالنسبة إلى بعض الأشياء، وهذا من قبيل أغلاط الحسّ، فإنه يحصل به اليقين في بعض المواد، كما أن هناك احتمالاً للمجاز والاشتراك والتخصيص والعام في كلام المخبر الصادق، ومع ذلك يحصل اليقين من خطاب الشارع.

وإنكار هذه المعاني والحقائق من العناد والمكابرة، والسرّ في ذلك أن حدساً خفياً يحصل للنفس في بعض المواضع، فيؤول الأمر إلى اليقين انضماماً إلى ذلك المحدوس، من حيث يدري أو لا يدري.

والآن نعود إلى أصل الكلام بعد ما ذكرنا هاتين الدقيقتين، وهو أن الأفعال المتسقة المتقاربة لا تظهر من النفس الناطقة إلا أن تكون في النفس ملكة راسخة توافق تلك الأفعال والأحوال.

ومثال ذلك: أن المتكلّمين قالوا: إن بناء العالم على وجه الإتقان يدلّ على أن خالقه عالم مريد حكيم قادر، فلا بدَّ لخليفة نبيّنا ﷺ الذي كان مصدر هذه الأفعال الثلاثة التي تتعلق بصورة نبوّته أن يملك في نفسه الناطقة كمال هاتين القوتين، أي: القوة العاقلة والقوة العاملة، وله براعة في اجتماعهما واختلاط إحداهما بالأخرى ليتأهّل لخلافة النبي ﷺ.

ومن ثمرات كمال القوة العاقلة في الرسول الوحي، وفي الخليفة المحدّثية والصدّيقية والفراسة الصادقة التي يصيب لأجلها في ظنونه، فلا يظنّ شيئاً إلا كان كما قال، ويوافق رأيه الوحي الإلـٰهي في الوقائع الكثيرة.

ومن ثمرات كمال القوة العاملة في الرسول العصمة من المعاصي والسمت الصالح، وفي الخليفة الصلاح والعفّة، وأن يكون محفوظاً من المعاصي حتى يشهد الرسول ﷺ له بأن الشيطانَ يَفِرُّ من ظلّ فلان[1].

---

(١) كما روى ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣١٥) برقم: (٦٨٩٢) عن عبد الله بن بريدة =

ومن ثمرات براعة الهيئة الامتزاجية في القوتين في الرسول المعجزات والواردات الغريبة والوقائع العجيبة كالمعراج، وفي الخليفة الأحوال والمقامات العالية، والكرامات الخارقة للعادة، وتأثير دعواته ومواعظه في نفوس الناس، فإذا وجدت هذه الصفات الثلاث في الخليفة حصلت له الأقسام الثلاثة من التشبّه بالنبيِّ ﷺ:

الأولى: أنه يكون مرشداً للخلائق بعد النبيِّ ﷺ.

والثانية: أن نفسه تقبل الداعية الإلـٰهية على وجه التحقيق لا على وجه التقليد، وإذا تمكّن من هذه الداعية ظهرت بركات عجيبة في أعماله.

والثالثة: أن تحصل له ملكة راسخة وبراعة كاملة في الشريعة المحمدية على صاحبها أكمل الصلواتِ والتسليماتِ، سواء كانت أحكاماً أو حِكَماً، وأن تكون نسبته إلى النبيِّ كنسبة المخرِّج من المجتهد.

وهنا دقيقة ينبغي أن نتذكرها، وهي: أنه من المقرَّر في الشرائع أن المعجزة مثبِتَةٌ لنبوة الأنبياء، وتتمّ بها حجةُ الله على الخلائق.

وقد تحيَّرت عقول المتكلمين في المقام، حيث إنَّ كبارهم حملوا هذا مثل قياس الغائب على الشاهد، كما يلتمِسُ من الملك أحدُ سفرائه قائلاً: يا أيها الملك! أن تتكلم معي خلاف عادتك حتى أكون موضع صدق عند الناس، هكذا تكون المعاملة بين الله ورسوله، وقدّم آخرون نقوضاً على هذا القول، فبقي الأمر ناقصاً غير تام.

والحق في هذا الباب أن المكلّفين لا يدركون صدق الرسول إلا

= عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إني لأحسبُ الشيطانَ يفرُّ مِنْكَ يا عمرُ**»، والمحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٤).

من جهة قيام العلوم الفطرية التي يقتضيها نوع الإنسان في صدورهم، فيقبل مَنْ يقبل منهم بشهادة قلبه، فتتمّ الحجة من جهة النوع المقتضي، ولو أنكرها بعضهم على طريق التعنّت، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

ثم بعد هذا الإقرار بقيت شبهة في أن النبي ﷺ هل أخذ هذا الكلام الصادق من العلماء المتقدِّمين؟ أو اهتدى إليه بطريق التدبر والتفكُّر والتأمُّل، وادَّعى النبوة؟ أو أنه لم يتلقّ ذلك إلا بالوحي الإلـهي وبنزول الداعية على قلبه من فوق سبع سماوات رغم موافقته في معظم أجزائه لتعاليم الأنبياء السابقين؟ فإن هذا القدر من الشبهة لا يزال قائماً، فلمّا رأوا المعجزات الخارقة للعادة وشاهدوا بركات صحبتهم فارت الحقانية، وفاضت من كل جانب، وامتاز الحقُّ من الباطل، وهذا الأمر داخل في جبلّة الإنسان.

وبعد ذكر هذه الدقيقة نعود إلى أصل الكلام، وهو أنه لا بدَّ أن تكون مثل هذه البركات في حياة الخليفة حتى يظهر على عامة الناس أن الله أراد بهم خيراً بنصب الخليفة الراشد عليهم، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

وأما الأفعال التي تتعلّق بالملوكية لا تصدر على وجه الإتقان إلا أن يكون الخليفة تتصف نفسه الناطقة بصفات:

إحداها: الحزم، وأن يكون على معرفة تامة بمراتب الناس واستعداداتهم، حتّى لا يخطئَ في تفويض الأمور إليهم، وليسدّ خلل المملكة قبل وقوعه.

والثانية: الفراسة مع الذهن الوقّاد، حتى إذا ظنَّ بك الظنَّ كان قد

رأى ومن سمع، فإنه ربما تحدث أمور متعارضة إن تساهل فيها يقع الخلل، وإن تعجّل في الأمر يقع خلل عظيم:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فَكُنْ ذا عزيمةٍ فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ تَتَرَدَّدا
إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا رَوِيَّةٍ فإنَّ فسادَ الرأيِ أنْ تَتَعَجَّلا

ولا مخرج من هذا الاشتباه إلا فراسة ألمعية لا غير، ولا تخفى هذه الحقيقة على من صحب الملوك أو درس تواريخهم.

والثالثة: أن يكون عظيم الحظ لا منكوس الحظ، حيث إذا حدث أمر عظيم وقع في الوحل، وتورّط فيه كالحمار.

ويقول الفردوسي بعد قتل «نوذر» بلسان «زال دستان» في قصة انتخاب الملك:

نزيبد بهر بهلوي تاج وتخت بيايد يكے شاه بيدار بخت
كه باشد برو فره ايزدي بتابد گفتار أو بخروي

«لا يجدر كلُّ فارسي بالعرش والتاج، بل يجدر بهما مَلِكٌ عظيم البخت، كبيرُ الحظّ، عليه فضل الله ورحمته ويلمع نور العقل من كلامه، ويتجلّى من حديثه».

ومعرفة هذا المعنى يكمن في الغيب وحده، ولا يخبر بذلك إلا المخبر الصادق، ولكن المجوس المنحرفين يعوّلون على سير الكواكب، وكل ذلك من العلوم الوهمية التي نهى الشارع ﷺ عنها، ولذلك لا ينبغي التفكر إلا في الإشارات التي أشار إليها الشارع.

والرابعة: أن يملك الشجاعة التي تتوسط بين التهوّر والجبن.

والخامسة: أن يتصف بالحلم الذي يتوسط بين الجرأة والخضوع.

والسادسة: أن يتحلّى بالحكمة التي تتوسط بين المكر والغفلة.

والسابعة: أن يتخلّق بخلق العدالة التي يتغلّب بها على النفس في كل حالة بشكل مناسب لها، والكلام في هذه المباحث يطول.

❁ الصفات من جهة الحَبْرية:

وأما الأفعال التي تتعلّق بالحَبْرية فإنّها لا تصدر على وجه الإتقان إلا أن يكون الخليفة عالماً بالكتاب والسُّنَّة، وتلقّى ذلك بفهمه الموهوب، وعرف مصلحة كل حكم، وكانت نسبته مع الرسول كنسبة أصحاب التخريج مع المجتهد المستقلّ، وكان ماهراً في فن الفقه، ويفور فن الحكمة من قلبه، ومن لا يعرف هذه العلوم كيف يفيد الآخرين؟ كما قال الشاعر الفارسي:

خشك أبرے كه بود زآب تهي   نايد أزوے صفت آب دهي

معناه: «إنّ السحابةَ التي تخلو من الماء لا توجد فيها صفةُ السقاية والإرواء».

وأن يظهر منه ـ مع ذلك ـ لطفٌ ورأفةٌ بالقوم، وعنايةٌ بالغة بتعليم العلوم، وسدّ أبواب التحريف.

وهنا دقيقة ينبغي فهمها، وهي: أنَّ حَبْرَ الملّة المحمدية على صاحبها أكمل الصلوات والتسليمات هو رجل لا يخوض في الأمور التي لم يخض فيها الشارع، بل يتركها مجملة، ولا يتعمّق فيما لم يتعمّق فيه الشارع، فكما أن الاقتصاد في العمل مطلوب، كذلك الاقتصاد في العلم من أهم المهمّات أيضاً؛ أحياناً دقّة النظر وثرثرة الكلام أخرجتا الحبر عن حبرية الملّة المصطفوية، وأسقطتاه من المقام الرفيع من الحبرية:

هــر كــه درو انــد از تــر او دور تــر
از چنين صيد است او مهجور تر[١]

۞ الصفات المتعلقة بإرشارد الأمة:

وأما الأفعال التي تتعلّق بإرشاد الأمّة فإنها لا تصدر من الخليفة على وجه الإتقان إلا أن يكون عارفاً بمنهج عادل وطريق سوي مما تشير إليه الآية: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، ويملك كرامات خارقة ومقامات عالية، وهنا دقيقة أيضاً مثل الدقيقة السابقة، وهو أن الاقتصاد في العمل مطلوب أيضاً، لا بد من الصلح بين القوة البهيمية والقوة الملكية، ولا تترك الملكية لغواً وعبثاً ولا ينبغي الانقطاع عن البهيمية انقطاعاً تاماً، وذلك هو الحدّ الأوسط الأعدل الذي كان عليه الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، وهنا لا تقع في خطأ ولا تغتر بكلام ثرثار، فإن الخوض في العقيدة: وحدة الوجود ومعرفة التنزُّلات الخمس والخروج إلى الفلسفة في تقرير كيفيات الأشياء، كل ذلك خروج عن الحدّ الأوسط الأعدل.

كج مج مرو بتهمت هستي كه در طريق
مارا نشانهاست ازان يار بـے نشان

وبعد أن ذكرنا هذا المبحث فاصغ إلى مبحث آخر، هو أكثر منه غموضاً ودقةً، وهو أن تهذيبَ النفوس الذي هو مناطُ النجاةِ في الآخرة؛ بل ترتبط به سعادة الدارين، يمكن أن يكون له صنفان:

أحدهما: استعدادات النفوس التي تقدّم ذكرها.

---

(١) الذي يرمي الصيد من بُعد يسقط بعيداً من الصيد وأكثر منه خيبةً من الذي يرمي الصيد بقوة فينفذ السهم من الصيد إلى الخارج، ويهرب الصيد.

والثاني: هو البركات النازلة من عند الله تعالى بناء على السوابق الإسلامية قبل كسب العباد واستعداداتهم، وذلك بحكم قول النبي ﷺ: «**إنَّ لربِّكم في أيامِ دَهْرِكُم نفحاتٍ ألا فتعرّضوا لها**»[1]، ويختلف هذا النوع في كل ملّة، ومن أكبر ما يجلب هذه البركات في ملتنا هو نصرة النبي ﷺ عند غربة الدين.

لما أرسل الله النبيَّ ﷺ لمحض رحمته إلى العالم، كان وحيداً فريداً، فمن قام لنصرته ﷺ شملته البركات الإلـٰهية، ومن تأخّر تأخّر عن مراتب القرب، ومن هنا تولّدت قاعدةٌ مهمة في شريعتنا وهي: أنَّ من كان أسبقُ هجرةً فهو فائزٌ بأعلى مراتب القرب، ومن كان في أول طليعة المجاهدين لأعداء الإسلام كان في الصف الأول من أهل السعادة رضوان الله عنهم أجمعين، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟﴾ [الحديد: ١٠]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء].

والسرَّ هنا أن مراد الله جلَّ وعلا هو إعلاء كلمة الله، والموافقة لمراده ﷻ في ساعة أفضل من عبادة مائة سنة، ولذلك فإن المؤمنين الأولين الذين تحلّوا بالإيمان في مكة قبل الهجرة، هم الأسبقون الأعلون في الأجر والثواب، وأما الذين شهدوا بدراً وأُحداً والحديبية فكأنّهم سبقوا الجميع في الفضل وباهتمام النبي ﷺ.

لمَّا تمَّ تشكيل العالم بالشكل المعنوي المتمثّل عند الله، تصدّرت

---

(١) «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٣٣).

هذه الجماعة وسادت في الدنيا أيضاً، ولذلك وجب أن يكون الخليفةُ الخاصُّ للنبيِّ ﷺ من المهاجرين الأولين، وممن شهدوا بدراً وأُحداً والحديبية، وهذا سرٌّ لا يفهمه أهل الظواهر، ولكن من تدبَّر الكتاب والسُّنَّة يقبل هذا السرَّ المكنونَ على كرهٍ.

وإذا كان الخليفة من هذا القسم يتشبَّه بالنبيِّ بوجوه كثيرة يكون رئيساً للعالم، والله بلطفه يضع زمام الأمر في يديه وتتمّ الرحمة على العالم:

حكمت محض است اگر لطف جهان آفرين
خاص كند بنده مصلتِ عام را

ثم اعلم أن النبوّة وخلافة النبوة لم تظهرا لمجرّد تهذيب نفوس هذه الجماعة فحسب؛ بل هما كالبركة العامة الشاملة لسائر العالم التي ظهرت ضمن تهذيب نفوس هذه الجماعة، وفاضت من بين نفوسهم، وهذه البركة من باب التكوين، لا من باب التشريع مطلقاً، بمنزلة الهواء المعتدل الشافي لمرضى العالم، أو المطر الغزير الذي يقضي على القحط عند الذين ابتلوا.

النكتة السادسة: في معرفة المستعدِّين للخلافة الخاصة من بين الناس، فكما أنَّ معرفة النبي الصادق من بين مدَّعي النبوة عسيرٌ للغاية وإنه ليسيرٌ على من يسّره الله عليه، كذلك معرفة مستعدّي الخلافة الخاصة للنبوة عسير جداً، ويمكن الخلاص من هذه الحيرة المظلمة بوجهين، كما أن معرفة النبي تحصل بوجهين أيضاً: **أحدهما**: يتعلّق بما قبل النبوة. **والثاني**: يتعلّق بما بعد النبوة.

فأما الوجه السابق للنبوّة، فهو أن يبشّر الأنبياء السابقون بالنبيِّ اللاحق، وتشتهر هذه البشارة في أمتهم، كما في بشارة عيسى عليه السلام

بالنبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وكما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء]، ومن عجيب أسرار التكوين أنه تعالى حين يريد إرسال رسولٍ صاحب شوكة وسلطة في آخر الزمان يخبر بذلك على لسان الأنبياء السابقين، ويجعل منامات الناس وإنذارات الكهنة وما أشبه ذلك من مؤيدات أخبار هؤلاء الأنبياء.

وأما الوجه اللاحق [للنبوة]، فهو أن تكون شريعةُ النبيِّ اللاحق مصدقةً للشرائع السابقة، وأن يظهر الله المعجزات الباهرة على يده، ويصف شريعته بـ«السمحة البيضاء» حتى لا يهلك أحدٌ، ومن هلك فتكون حجةُ اللهِ قائمةٌ عليه.

ومثل هذه الحيرة وقعت في خلافة الخلفاء كذلك، وللخروج من هذه الحيرة وجهان، أحدهما سابق [للاستخلاف]، وهو إخبار النبيِّ بأساليب مختلفة:

أولاً: يُبِّين أنَّ فلاناً من أهل الجنّة.

ثانياً: يُخبر أنَّ فلاناً من الصدِّيقين والشهداء والصالحين.

ثالثاً: يذكر أمارات استحقاقه للخلافة قولاً وعملاً.

فلمَّا وصل الأمر إلى هذا الحدّ قامت حجّةُ الله على خلافته، وأصبح الناسُ مكلّفين بإطاعته واتباعه، ثم يُلهم الله جلّ وعلا طائفة عند وفاة النبي ﷺ أن يعقدوا الخلافة للخليفة، ويوسع دائرة حكمه في العالم بتصرف غيبي، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

وأما الوجه اللاحق [للاستخلاف]، فهو أن تتجلّى معاني الخلافة الخاصة في الخليفة، وأن تفيض آياتُ خلافته وأماراتها مثل فلق الصبح

بالتواتر، ومثال ذلك أن يقول رجل: أنا طبيب، وبراعته في الطب خفية في أول الأمر، ثم يرجع إليه المرضى، وجعلوا يغشونه من كل جانب، وقام هو بتشخيص المرض لكل مريض بالنظر إلى الأسباب والعلامات، ويصيب فيه، ثم يصف بعد ذلك دواءً لكل مرض، وتكون هذه الأدوية مؤثرة، ويتخلّص الناس من الأدواء المهلكة لمداواته أفواجاً، فتظهر براعته الطبية بمنزلة الشمس في رابعة النهار، فتأمّل ـ الآن ـ معاني الخلافة الخاصة التي بيّنّاها حقّ التأمل، واقرأ المقصد الأول من كتابنا هذا لتدرك دلائل الخلافة الخاصة من بيان الشارع ثم اقرأ بعد ذلك المقصد الثاني وانظر دلائل القسم الثاني، فوجب لذلك أن يكون الخليفة الخاص مبشراً بالجنة، ومشهوداً له بالمقامات العالية وأن يعامله النبيُّ ﷺ معاملة الأمير مع ولي عهده.

النكتة السابعة: في بيان فروع الخلافة الخاصة ولواحقها.

الفرع الأول: أن ما بيّنّاه هو نوع من مراتب الولاية وهو أشبه أنواع الولاية بالنبوة، ووراء ذلك مراتب كثيرة لا يُنعِم بها الله إلا على الخواص من عباده، وبما أن ذلك لا علاقة له بعامّة الناس، فلا نبحث فيه، ولم تعتن الشريعة الظاهرة بإثباته أيضاً، فإذا قمنا بحصر هذا القسم من الولاية في بعض الأشخاص المعيَّنين، فلا يخدعك ذلك، فتنكر ولاية الآخرين، وإذا قمنا بتفضيل البعض على البعض كان المراد عندنا أفضليته في تلك الرتبة لا باعتبار سائر المراتب.

الأسرار الإلـٰهية كثيرة، والمقصود بالبيان ما تتعلّق به الشرائع الإلـٰهية ـ أي: الأحكام ـ.

الفرع الثاني: أن ما بيّنّاه هو صورة كاملة للخلافة الخاصّة، فكما أن أفراد كل نوع تختلف في مقتضى ذلك النوع باعتبار الموادّ التي هي

مطية ذلك النوع، فكذلك لا يلزم أن يكون جميع الخلفاء في هذه الخواصّ على قدم المساواة، يمكن أن يكون أحدهم أقوى وأقدم باعتبار وصف، وأن يكون الآخر أثبت وأولى باعتبار وصف آخر، رغم اشتراك الجميع في أصل هذه الأمور.

فكما أن الأنبياء جميعاً مشتركون في أصل النبوة ومتوافقون في أصول لوازم النبوة، ومتفاوتون في زيادة وقلّة بعض الأوصاف، فكذلك الخلفاء يمتاز بعضهم بالسوابق الإسلامية، وبعضهم يمتاز بالمواهب الملوكية، رغم الاتفاق في أصول لوازم الخلافة الخاصة، ولذلك فإن عمر رضي الله عنه قال في الذين فيهم استعداد للخلافة بعض الأقوال مما يتعلّق بسياسة الملك باعتبار بعض الأوصاف الجبلّية.

الفرع الثالث: إذا كانت جماعة من المؤمنين الكاملين متعادلين في أصل لوازم الخلافة الخاصة ومتفاوتين في زيادة وقلّة بعض الأوصاف، فمقتضى الخلافة الخاصة للنبي ﷺ أن يكون الذي تكثر فيه أوصاف الملوكية مقدّماً على الذي تكثر فيه أوصاف الحَبْرية والزهد، وذلك لأسباب:

أحدها: أنَّ المَلِكَ الضابطَ يستطيع بشوكته وقوته أن يستخدم الأحبار والزهّاد في أمور تتعلّق بالحبرية والزهد مع بقائهم في مكانهم فتنشر بهم الفوائد المطلوبة في العالم، إذ إنه يعرف الجميع بفضل ملكاته الجبلّية والكسبية: شعر:

كه سالك بے خبر نبود زراه ورسم منزلها[1]

خلافاً للأحبار والزهّاد إذ إنهم لا يستطيعون أن يغيروا ما في الملوك وأعوانهم؛ أي: الأمراء والوزراء.

(١) السالك على الطريق لا يكون غافلاً عن معالم الطريق ومقاماته.

والثاني: أنه إذا تأمّلنا في الأوصاف الظاهرة للنبي ﷺ التي كانت مخفية في نبوته كانت خلافته ﷺ أظهر من حبريته وزهده، فرعاية الجزء الأظهر والأقوى أحقّ وأولى.

الثالث: أن النبيَّ ﷺ كان يقدّم في كثير من الأوقات ملكة سياسة عسكر الإسلام والحكومة، مثل تأمير عتّاب بن أَسيد على مكة رغم وجود المهاجرين والأنصار.

وليعلم بعد ذكر هذه النكات السبع أنَّ مفهوم الخلافة الخاصّة على نحو ما بيّنّاه هو **علم شريف، ألقاه الله تعالى في قلب هذا العبد الضعيف بنور توفيقه، يستعظمه من يعرفه، وينكره من لا يعرفه** و﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٣٨﴾ [يوسف].

❁ ❁ ❁


المقصد الثاني


[الدليل العقلي المأخوذ من استقراء الدلائل الشرعية]

في الدلائل العقلية ـ على خلافة الخلفاء ـ المستفادة من استقراء أحوال النبي ﷺ وأفعاله، أو المستفادة من المقدمات المسلَّمة عند المسلمين من حيث يستلزم نقيضها محالاً شرعياً، مثل لزوم الخُلف في وعد الله، أو القدح في عصمة الرسول، أو إجماع الأمة على الضلال، وهذا المبحث ينحصر في مقدّمتين.

المقدمة الأولى: أننا نؤمن ـ بالدلائل العقلية ـ بأنّ النبي ﷺ لا بدّ أنه عيَّن الخليفة لأُمَّته، وأوجب الانقياد له فيما يتعلَّق بالخلافة.

والمقدمة الثانية: أننا نؤمن ـ بالدلائل العقلية ـ أن النبيَّ ﷺ لو عيّن الخليفة لأمته فهو الصدِّيق لا غير، ثمَّ الفاروق بعده، ثم ذو النورين بعد الفاروق.

وهذا أوانُ الشروع في المقدمة الأولى، وقبل الشروع في تقريرها نكتةٌ مهمةٌ للغاية، يتوقَّف ترتيب الدلائل وتقريب المسائل على معرفتها، وهذه النكتة هي أنّ مرادنا من تعيين الخليفة الذي نكلّم في وجوبه ولزومه لا يعني أن يكون النبي ﷺ قد جمع المسلمين قُبيل وفاته، وأمرهم بمبايعة ذلك الخليفة، أو باشر فعلاً من الأفعال المفهمة للاستخلاف حين ذاك، كما هو العُرْف المُفهِم للاستخلاف في هذا العصر من خلال وضع التاج على الرأس، والإجلاس على العرش.

بل مرادنا إيجاب شرعي مثل سائر الشرعيات، مثلما كلّف النبي ﷺ

أمته في حياته بالوضوء والغسل والصلاة والزكاة وسائر العبادات والمناكحات والمبايعات والأقضية والجراحات بنصِّ القرآن وإشارته تارةً وبنصِّ الحديث وإشارته تارةً أخرى، وبتشريع الإجماع والقياس الصحيح الجلي مرةً ثالثةً، فيجب كذلك تكليفه ﷺ بالخليفة الخاصّ بهذه الأنواع التكليفية المذكورة آنفاً، ويندفع شغب عظيم بفهم هذه النكتة.

وتصرُّ طائفة من أهل السُّنَّة على أنّ خلافة الخلفاء ثابتة بالنصّ، وتروي بعضَ الأحاديث في هذا الباب، وأكثرُ المتكلّمين والمحدّثين يذهبون إلى عدم استخلاف النبي ﷺ أحداً، ويروون في ذلك عدة روايات، فإذا أنعمنا فيها بالإنصاف علمنا أن هذه النقول محمولة على نفي الهيئة الخاصة المعهودة عند عقد الولاية، وهذه الأحاديث دالّة على الخلافة مثل دلالة سائر الأدلّة الشرعية على ثبوت موجبها.

قال محمد بن إسحاق: حدّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن القاسم بن محمد: أنّ رسول الله ﷺ قال حين سمع تكبير عمر في الصلاة: «**أين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون**»[1]، فلولا مقالةٌ قالها عمر عند وفاته لم يشكّ المسلمون أن رسول الله ﷺ قد استخلف أبا بكر، ولكنه قال عند وفاته: إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، وإن أتركهم فقد تركهم مَنْ هو خير مني، فعرف الناس أن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً، وكان عمر غير متّهم على أبي بكر[2]، وليس مرادنا من النصّ الجلي أن تكون آيةٌ صريحة قد نزلت في هذا الباب أو يكون حديث صريح قد بلغ حدّ التواتر، بل مرادنا به أن تكون آيات وأحاديث كثيرة من الأخبار المختلفة قد اتحدت في قدر مشترك للاستخلاف،

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٦٠).
(٢) «تهذيب سيرة ابن هشام» (١/ ٤٤١).

فوردت في بعضها أسماء هؤلاء الخلفاء بطريق الإيماء والتلميح، ووقع التصريح باسم الخلافة، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النور: ٥٥]، أو وردت أسماء الخلفاء بطريق التعيين والتصريح، وعبر معنى الخلافة بطريق الكناية، كما قال النبي ﷺ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»، ووقع في بعضها الآخر ذكر كلا الأمرين بطريق الإيماء والتلميح كما قال عزّ من قائل: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، ووقع في بعض النصوص إثبات لوازم الخلافة لهم بالصراحة، ووقعت في بعضها الآخر الكناية عن هذا المعنى بطريق الإيماء والإشارة والاقتضاء، فإذا تكونت من كل ذلك هيئة اجتماعية أصبح ذلك دليلاً قاطعاً على مدعاه ومقتضاه، وقامت بذلك حجّة التكليف.

ويندفع بهذه النكتة شغب آخر، وهو أنّ طائفةً ذهبت إلى أن خلافة هؤلاء ثابتة بالنص ولكن بنصّ خفي، وطائفة أخرى ذهبت إلى أنّ خلافة هؤلاء منصوصة بنصٍّ جلي، والحق أننا إذا نظرنا بنظر الإنصاف، واستخرجنا حديثاً أو دليلاً من بين الأحاديث والدلائل العلمية، ما كان جلياً بعينه في الحقيقة، ولكنَّ جملةَ ما بلغنا من الشارع هو جلي وقطعي في حقيقته، وعلماء فنّ الاستنباط يعرفون أنّ معظم الأحكام القطعية المسلّمة بين المسلمين كالجمعة والعيدين لم يرد فيها نصّ جلي بغير الطريق التي ذكرتها.

وبعد أن فُصِّلت هذه النكتة نرجع إلى أصل الكلام.

الدليل الأول: هو استقراء الأحاديث الواردة في باب الفتن، مما له دلالة ظاهرة على أن النبي ﷺ قام بتقرير أكثر الوقائع الآتية وعبّر عن كل واقعة بكلمة يفهم منها رضا الله أو سخطه، فإذا عرفنا هذه المقدِّمة نستيقن

ـ بالحدس القوي ـ بأن النبي ﷺ لا بدَّ أنه قام بتعيين الخليفة الأول والثاني والثالث الذين كانوا أقرب الأصحاب إليه، وثارت الفتنة في الأمة لوقوع الخلاف بينها في أمر استخلافهم، وعرقلت سير الأمور العظيمة من فتح فارس والروم، فأي: عاقل يقول: إن النبي ﷺ قد أهمل مهامّ الأمور، واهتمّ ببيان الأمور الهامة الجزئية؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، فإذا استنّ جواد القلم في هذا المبحث شرفاً أو شرفين لا يلزم صرف عنانه فيه.

اعلم ـ أسعدك الله ـ أن النبيَّ ﷺ خاتم النبيين وأنّه لا نبيّ بعده، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يجري على لسانه ﷺ خبر الوقائع التي تقع من بعد وفاته ﷺ إلى قيام الساعة، ويذكر رضا الله تعالى عن بعض هذه الوقائع وسخطه عن بعضها الآخر، لتتمّ النعمة وتقوم الحجّة، فانكشفت هذه الوقائع كلها على النبي ﷺ وبدا رضا الله وسخطه نحوها، وقد أخبر ﷺ بجميع هذه الوقائع في بعض الأوقات، كأنها رأي العين، ثم بيّنها على ترتيب وقوعها واحدةً بعد أخرى، والحكمة تقتضي أن تكون جميع الوقائع مذكورة ومبيّنة بلسانه ﷺ بالاستيعاب إجمالاً وتفصيلاً، فإن كان هناك أمر خفي في هذه الواقعة فذلك بسبب نسيان الرواة أو بسبب الغموض الواقع في تطبيق وصف الكلّ على صورته الخاصّة.

● أما بيان الإجمال فهو من حديث **حذيفة** قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلّا حدّث به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل، إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه. متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٦٠٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٩١) واللفظ له.

وأما بيان هذه الوقائع تفصيلاً فلا يخفى أنَّ النبي ﷺ أخبر بخلافة أبي بكر الصدِّيق في أحاديث كثيرة؛ كحديث المنامات وغير ذلك.

ومن ذلك قوله لامرأة: «**إنْ لم تجديني فأتي أبا بكر**»[(١)]، وهذا الحديث يدلّ على صحة خلافة أبي بكر الصدِّيق؛ إذ إنَّ النبيَّ ﷺ عرف ذلك عن طريق الوحي وبيّنه، ولم يظهر عدم رضاه في إتيان أبي بكر رضي الله عنه بعده.

وإن ناقشني مناقش من الأصوليين في هذا الاستدلال قلت: روى **البيهقي** عن **الحسن** أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتيَ بفروة كسرى، فوضعت بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك بن جُعْشم قال: فألقى إليه سواري كسرى بن هرمز، فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه، فلمّا رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله سواري كسرى بن هرمز في يد سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج[(٢)]، وذكر الحديث.

• قال الشافعي رحمه الله: وإنّما ألبسهما سراقة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: «**كأني بكَ قد لبست سواري كِسْرَى[(٣)]، ومنطقته وتاجَهُ**»، ومعلوم أنّ هذا السوار كان من الذهب، ولبس الذهب محرّم على الرجال، واعتبر الشافعي ـ الذي هو رأس ورئيس الأصوليين ـ إخبارَ النبي ﷺ بدون الإنكار عليه مخصِّصاً لهذا العموم.

وأخرج **البخاري** عن **جابر** أنه كان يقول لزوجته: أخِّري عنَّا أنماطك[(٤)]. ويستدلّ بإخبار النبيِّ ﷺ على وجود الأنماط وسكوته عن

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٩).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ٣٥٨) برقم: (١٢٨١٥).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ١٠٥).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٣١).

الإنكار عليه، فكأنَّ هذا الأصولي المناقِشَ لم يحفظ من استدلالات الصحابة ولا من مذهب شيخه شيئاً، والله أعلم.

• وهذا الكلام من زوائد الإفادة والاستدلال، وإلَّا «**اقتدوا باللّذين مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعُمَرَ**» صريحٌ في إيجاب الاقتداء بالشيخين، ولذلك نظائر كثيرة.

• وبعد ذلك أخبر النبيُّ ﷺ بأنّه سيحدثُ خلاف في انعقاد خلافة الصدِّيق رضي الله عنه، فقال: «**ويأبى اللهُ والمسلمونَ إلَّا أبا بكر**»[١].

• ثمّ أخبر الله بقصة الردّة التي تقع فيما بعد بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وأبدى كمال رضاه بهذا القتال.

• وأخبر بعد ذلك بقتال فارس والروم في حديث **الشيخين**[٢]، عَنْ **أَبِي هُرَيْرَةَ** رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٣].

وأخبر بجمع القرآنِ في المصاحفِ من خلال آية: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة].

• وأخبر بخلافة سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه في أحاديث كثيرة؛ كحديث نزع ذنوب، ونوط بعضٍ ببعضٍ، وأمرَ بالاقتداء به في حديث: «**اقتدوا باللَّذين من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٧).
(٢) المراد بهما: الإمام البخاري والإمام مسلم.
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣١٢٠)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٩١٨).

• وأخبر بخلافة عثمان، وما يقع في أواخر أيامه من بليةٍ وفتنةٍ، وأخبر بإرادة بعض الناس نزع قميص الخلافة عنه، وكونه على الحق يومئذٍ، وكون أعدائه ظالمين وفاسقين، وقال له: «**لا تَخْلَع هذا القميصَ**».

• وأخبر بوقوع المخاصمة بين علي المرتضى وبين قريش، ووقوع القتال بينه وبين الناكثين والمارقين ـ أي: الخوارج ـ والقاسطين.

• وأخبر بنباح الكلاب على إحدى أمّهات المؤمنين في موضع كذا، ووقوعها في مصيبة وخلاصها منها في نهاية الأمر.

• وأخبر بأن عمَّار بن ياسر «**تَقْتُلُهُ الفئةُ الباغيةُ**»، وأن الجماعة المارقة، تهلك على يد أولى الناس بالحقّ، وآيتهم رجل مثدون[١].

• وأخبر بقتل علي المرتضى وقال في حقِّ قاتله: «**أشقى الناس**»، وقال لمعاوية: «**إنْ ملكتَ فأحسن**»[٢]، وقال: «**كيفَ بكَ لو قد قمّصكَ الله قميصاً**»؛ يعني: الخلافة، قالت أمُّ حبيبة: أوَ إنَّ الله مقمِّصُ أخي؟ قال: «**نعم، ولكن فيه هناتٌ وهناتٌ وهناتٌ**»، وهذه الكلمة تُشْعِر بأن خلافته تنعقد من جهة التسلُّط والتغلّب، لا من جهة البيعة، وأن سيرته لا توافق سيرة الشيخين، وأن خلافته تنعقد عقب البغي على إمام الوقت، ولذلك كرر كلمة هنات ثلاث مرّات.

• وقال لمعاوية أيضاً: «**إنْ ولِّيتَ أمراً فاتّقِ اللهَ واعْدِلْ**»[٣]، وذلك إشارة إلى إمارة الشام والخلافة جميعاً.

• وعن **الحسن بن علي** قال: سمعت علياً يقول: سمعت

---

(١) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (١٠/ ١٤٩) برقم: (١٨٦٥٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٧) برقم: (٣٠٧١٥).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٢٦).

رسول الله ﷺ يقول: «**لا تذهبُ الأيام والليالي حتّى يَمْلِكَ معاويةُ**»[١]، عزاه في «الخصائص» للديلمي، وقال: «**لن يُغْلَبَ معاويةُ أبداً**»[٢].

● وأخبر **بصلح الحسن**، فقال: «**ولدي هذا سيّدٌ، وسيصلِحُ الله به بين فئتينِ عظيمتينِ من المسلمين**»[٣].

● وأخبرَ بقتلِ الحسين بن علي، وقال: «**أراني جبريلُ تربةَ تلكَ الأرض**»[٤].

● وورد في حديث علي المرتضى في باب عاشوراء: «**وسيتوبَ الله على قومٍ آخرينَ**».

● وأخبر بوقعة الحَرَّةِ، وأمرَ أهلَ المدينةِ بالكفِّ عن القتال، وقال: «**كيفَ بِكَ يا أبا ذَرٍّ إذا كانَ بالمدينةِ قَتْلٌ تغمر الدماء...**».

● وأخبر بخروج عبد الله بن الزبير، ويوجد هذا الحديث في مسند كلٍّ من عمر الفاروق وعثمان وعلي المرتضى، وقد عبَّر عن ذلك بكلمة تُشعِر بأنَّ خروجه يكون سبباً لسفك الدماء، وهتك حرمات الحرم، ولا يكونُ منشأَ المصالح والخيرات، فهذا إشارةٌ إلى سخطه وعدم رضاه.

● وأخبر بخروج بني مروان فقال: «**رأيتُ في النومِ بني الحكمِ ينـزونَ على منبري كما تنزو القِرَدَةُ**»[٥]، وهذه العبارة ـ أيضاً ـ تشير إلى سخطه ﷺ.

● وعن **الحسن بن علي** قال: إنّ رسول الله ﷺ رأى مُلْكَ بني أمية فساءه ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٤٠).   (٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٨٧).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٧٠٤).
(٤) انظر: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (١٠/ ١٥٣).
(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢٧) برقم: (٨٤٨١).

لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر]، يملكها بنو أميّة، قال بعضهم: فحسبنا مدّة بني أمية فإذا هي ألفُ شهر لا يزيدُ ولا ينقص

• وقد جاء في أخبار كثيرة أنّ النبيَّ ﷺ بشّر بني العباس بالخلافة، ومن المشهور في التاريخ أن علي بن عبد الله بن العباس كان يجهر بهذا القول، وقد آذاه ملوك بني أمية لأجل ذلك، وأذلّوه

وفي حديث **ابن عباس** عن أمِّه لمَّا ولد عبد الله قال: «**اذهبي بأبي الخلفاء**»، فأخبر بذلك العباس وكان رجلاً لباساً فلبس ثيابه، ثم أتى إلى النبيِّ ﷺ، فلمّا بصر به قام فقبّل بين عينيه فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**هو ما أخبرتُكَ، هو أبو الخلفاءِ حتّى يكونَ منهم السفاحُ، حتّى يكون منهم المهدي، حتى يكون منهم من يُصَلِّي بعيسى ابن مريم** عليه السلام»[1]، عزاه في الخصائص لأبي نعيم.

• وأخبر النبي ﷺ بخروج أبي مسلم الخراساني، قال: «**تَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ**»[2].

• عن **ابن عباس**، يرويه عن النبي ﷺ قال: «**مِنّا السفّاحُ، والمنصورُ، والمهديُّ**»[3].

• وأخرج **الزبير بن بكّار** عن علي بن أبي طالب أنه أوصى حين ضربه ابن ملجم، فقال في وصيته: إنَّ رسول الله ﷺ أخبرني بما يكونُ من اختلافٍ بعده، وأمرني بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين، وأخبرني بهذا الذي أصابني، وأخبرني أنّه يملك معاوية وابنه يزيد، ثم يصيرُ إلى بني مروان يتوارثونها، وأنَّ هذا الأمر صائرٌ إلى بني أمية، ثم إلى بني

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» (١/ ٦).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٦٩).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٥٦).

العباس، وأراني التربةَ التي يُقْتَلُ بها الحسين، ذكر ذلك في «الخصائص».

• وأخبر النبيُّ ﷺ بخروج الذين يخرجون على ملوك الإسلام، قال حذيفة بن اليمان: واللهِ ما أدري أنسيَ أصحابي أم تناسَوْا؟ واللهِ ما ترك رسولُ اللهِ ﷺ من قائدِ فتنةٍ إلى أن تنقضيَ الدنيا، يبلغُ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلّا قد سمَّاه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته[١].

• وأخبر بمُلك الأتراك، عن ابن مسعود قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«اتركوا التركَ ما تركوكم، فإنَّ أوّلَ مَنْ يَسْلُب أُمّتي مُلكَهم ما خوّلهم الله بنو قنطوراء»**[٢]، عزاه في «الخصائص» إلى الطبراني وأبي نعيم.

• وأخبر بوقعة هلاكوخان وقتل المستعصم، عن **أبي بكرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أرضاً تسمّى البصرة أو البُصيرة ينزلُها ناسٌ من المسلمين عندهم نهرٌ يقال له: دجلة، يكون لهم عليها جسرٌ، ويكثُرُ أهلُها، فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء، كأنهم عِراضُ الوجوه، صغارُ الأعين، حتى ينـزلوا على شاطئ النهر، فيتفرَّقُ الناس عند ذلك ثلاثَ فرقٍ، فرقةٌ تلحق بأصلها فهلكوا، وفرقةٌ تأخذُ على أنفسِها فكفروا، وفرقةٌ تقاتِلُهم قتالاً شديداً فيفتحُ الله على بقيتهم»**[٣]، عزاه في «الخصائص» إلى أبي نُعيم، والمراد بالبصرة «بغداد»؛ لأنَّ بغداد أرضٌ ذات بصرةٍ، أي: حجارة كذّان[٤]، وبالفتح الظفر في تلك المقتلة فقط.

• عن **بريدة** قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنَّ أمتي يسوقُها**

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٢٤٣).

(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٩/ ٢٦) رقم: (١٠٢٣٦).

(٣) انظر: «أرشيف ملتقى أهل الحديث» (١/ ١٠٤٧٢).

(٤) حجارة فيها رخاوة، «المعجم الوسيط» (٢/ ٨١٢).

قومٌ عراضُ الوجوهِ، صغارُ الأعينِ، حتّى كأنّ وجوههم الحَجَف ثلاث مرات، حتّى يلحقوهم بجزيرة العرب، أمّا الأولى: فينجو مَنْ هربَ منهم، وأما الثانية: فينجو بَعْضٌ، ويهلك بعضٌ،، وأمّا الثالثة: فيصطلمون مَنْ بقيَ منهم»، قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «**التركُ، والذي نفسي بيده ليربطن خيولهم إلى جنب سواري مساجد المسلمين**»[1]، عزاه في الخصائص لأحمد والبزّار والحاكم.

والظاهر أنَّ المراد بالمرّة الأولى هو فتنة **السلاجقة**؛ لأنَّ حكم الخليفة العباسي صار مغلوباً على أيديهم، ولم يبقَ في بلاد ما وراء النهر والخوارزم وخراسان من خلافته إلا اسمها، والمراد بالمرة الثانية هو فتنة **جنكيز خان**؛ إذ إنه قتل الخليفة العباسي، وهاجر بعض العباسيين إلى مصر وأقاموا الخلافة هنالك، حتى الآن بقيت خلافتهم في ديار العرب، والمراد بالمرّة الثالثة هو **غلبة العثمانيين** على بلاد العرب، **والتيموريين** على بلاد فارس، حتى أصبحت رئاسة قريش كأن لم تكن شيئاً، واستؤصلت بأصلها.

• وعن **معاوية** قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لتظهرنّ التركُ على العرب حتى تلحقَها بمنابتِ الشيح والقَيْصوم**»[2]، عزاه في «الخصائص» إلى أبي يعلى.

• ثم أخبر بعد ذلك بخلافة المهدي، وخروج الدجّال، ونزول عيسى، وظهور يأجوج ومأجوج إلى ما ذكر، وشرحه يطول.

• وكما أنه ﷺ أخبر بأحوال الملوك والخلفاء، كذلك أخبر بتفرّق أمته قال: أصل الاختلاف ومنشؤه نوع من اختلاف الخوارج، ووقعت

---

(١) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (١٠/ ٩٣) واللفظ له، «مسند أحمد» برقم: (٢٢٩٥١).
(٢) «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٣٠١).

هذه الحادثة لأن الخوارج حينما تشتّت شملهم بسعي المرتضى دخل مذهبهم في ثلاثة أقوام: من المعتزلة، وأصحاب الرأي، والغلاة من المتصوّفة، وقال: إن الناس يكونون في شأن المرتضى بين الإفراط والتفريط في علي المرتضى، وهذا الاختلاف سبب لانتشار المذاهب الباطلة وهكذا كان؛ إذ إن الإمامية والزيدية والإسماعيلية تولدت منهم، واستطار شرّهم، وامتدّت عروقهم الخفيّة إلى جميع الطوائف من المسلمين إلا ما شاء الله.

• وأخبر ﷺ بأئمة أهل السُّنَّة، فقال: «**يوشِكُ الناسُ أن يضربوا أكبادَ الإبل فلا يجدونَ عالماً أعلمَ مِنْ عالمِ المدينة**»(١)، قال سفيان: نرى هذا العالم مالك بن أنس. رواه الحاكم وصحَّحه(٢).

• عن عبد الله بن مسعود قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لا تسبُّوا قريشاً فإنَّ عالِمُها يملأُ الأرضَ علماً**»(٣)، قال: الإمام أحمد وغيره: هذا العالم هو الشافعي؛ لأنه لم ينتشر في طباق الأرض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي، معزو إلى البيهقي في «كتاب المعرفة».

• وأخبر بظهور كبار العلماء من فارس، فكبار **المحدّثين** من أمثال البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، وابن ماجه، والدارمي، والدارقطني، والحاكم، والبيهقي وغيرهم كلُّهم من أبناء فارس.

ومن **الفقهاء** أبو الطيب، والشيخ أبو حامد، والشيخ أبو إسحاق

---

(١) انظر: «موطأ مالك» (١/ ٢٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم (١/ ١٦٨) برقم: (٣٠٨).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ١٢٠).

الشيرازي، والجويني إمام الحرمين، والإمام الغزالي، وغيرهم من أبناء فارس، بل الإمام أبو حنيفة وأصحابه في ما وراء النهر وخراسان من أهل فارس أيضاً، وهم في زمرة الداخلين في هذه البشارة.

• وأخبر بظهور مجدّد على رأس كل قرن، وهكذا كان، فقد ظهر على رأس كل قرن مجدّدٌ قام بإحياء الدين من جديد، فعلى رأس المائة الأولى **عمر بن عبد العزيز** الذي قضى على جور الملوك، وأرسى قواعد الأعراف الصالحة.

وعلى رأس المائة الثانية [**الشافعي** الذي] قام بتأسيس الأصول وتفريع الفروع في الفقه.

وطلع **أبو الحسن الأشعري** على رأس المائة الثالثة فقام بإحكام قواعد أهل السُّنَّة، وقام بالجدل مع المبتدعين.

وعلى رأس المائة الرابعة **الحاكم والبيهقي** وغيرهما ممن قاموا بإحكام علم الحديث، وقام أبو حامد الإسفراييني وغيره من العلماء بتفريعات فقهية.

وعلى رأس المائة الخامسة **الإمام الغزالي** الذي اخترع طريقاً جديدةً وجمع بين الفقه والتصوّف والكلام، وخلط بعضها ببعض، ورفع النزاع القائم بين هذه الفنون.

وعلى رأس المائة السادسة **الإمام الرازي** الذي قام بنشر علم الكلام، **والإمام النووي** الذي أحكم علم الفقه، وهكذا على رأس كل مائة يظهر مجدِّد.

وبالجملة فإنّ الغرض من هذه الأحاديث لعالم متفطن هو أن يدركَ ـ من فحوى هذه الأحاديث ـ تعلّق الرضا ببعض الوقائع، والسخط ببعض، وألّا يحمل هذه الأحاديث على مجرّد قصّة وخبر.

والعجب من الذي يلاحظ استدلال سيدنا عمر بحديث: «**كيف بك إذ تعدو بِك قلوصُك**»، على مشروعية إجلاء اليهود من جزيرة العرب، وعلى أنّ استبقاءهم في خيبر لم يكن على التأبيد، ثم يتوقّف ويتردّد في صحّة التمسّك بالأخبار الآتية ـ المذكورة بالمدح والثناء ـ على مشروعية تلك الوقائع وتقريرها، فإنه العجب العجاب عند أولي الألباب.

• عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵄... قَامَ عُمَرُ خَطِيباً فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: **نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمُ اللهُ**،... وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، وَعَامَلَنَا عَلَى الأَمْوَالِ، وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا.

فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيْبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ، لَيْلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ**».

فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ.

قَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ! فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ مَالاً وَإِبِلاً وَعُرُوضاً، مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، **رواه البخاري**[١].

والدليل الثاني: أنّ الذي قرأ كتاب فضائل الصحابة من الأصول وتتبّع فن معرفة الصحابة علم علماً جازماً بأنّ النبي ﷺ قال في حقّ كل من خواصّ أصحابه ـ الذين لازموه وصاحبوه ـ كلماتٍ تدلّ على حاصل عمرهم وخلاصة حياتهم، ووردت هذه الوقائع بكثرة لا تعدّ، فإذا كان ﷺ قال بعض الأقوال في شأن كلٍّ من أصحابه، فكيف لا يقول في شأن

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٢٧٣٠).

كبار أصحابه الذين كانوا وزراءه ومستشاريه في حياته، وتحمّلوا أعباء خلافته من بعده.

ثم اعلم أن خلافتهم لا تخرج من حالتين: إما هي خير، وإمَّا هي شرّ، فإن كانت خيراً فهي أفضل الخيرات، ذلك لأن: «**مَنْ سنّ سُنَّةً حسنةً في الإسلام كان له أجرُها وأجرُ مَنْ عَمِلَ بها**»(١)، وحصل لهم مثل أجور جميع المجاهدين، وجميع الذين اهتدوا بسعيهم، وإن كانت شرّاً فهي أخبث الشرور، ذلك لأنّهم قلبوا الدين المحمدي ظهراً لبطنٍ، وأخافوا الإمام المعصوم.

على كل حال فإن النبيَّ ﷺ عُني ببيان الأمور الجزئية لأصحابه التي اتصفوا بها من بعده ﷺ، فكيف لا يُعنى ببيان أمر عظيم خيراً كان أو شرّاً، فلو كان خيراً لكان من مقتضيات لطف الله ورأفة النبي ﷺ أن يُطلِع الناسَ على خيريته، ليعرفه الناسُ ويعدّوه خيراً، ويهتمّوا به.

ولو كان شراً فاللطف الإلـٰهي ورأفة النبي ﷺ يقتضيان أن يُطلِعَ الناس على شرِّهِ ليعرفه الناس، ويعدّوه شرّاً، وتقوم حجّة الله عليهم، وإن كان النوع الثاني ـ أي: الشر ـ فهو يهمّهم أيضاً لأنه يتعلّق بأمر الخلافة وهو نوع من التعيينِ للخلفاء، كأن يقال: لا يستحقّ الخلافة فلان وفلان، والمستحقّ فلان.

بالجملة: فإن استقراء سيرة النبي ﷺ في صدد تكلُّمه في أحوال أصحابه يدلّ ـ صراحةً ـ على بيانه ﷺ الخلفاء، وتعيينهم بأتمّ وجه.

ونتناول هذه النكتة بشيء من التفصيل:

ليُعلَم أنّ النبيَّ ﷺ كان ترجمان الغيب، فما قال به في مناقب

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٠١٧).

الصحابة وفضائلهم وقع في عاقبة أمره كما قال، فمثلاً قال في شأن أُبي بن كعب: سيّد القراء، وقال: «**أمرني اللهُ أنْ أعلِّمكَ سورةً** ﴿لَمْ يَكُنِ﴾»، قال أُبي: أوسمَّاني الله، قال: «**نعم**»، فذرفت عينا أُبيّ[(١)]، والسرّ في تخصيص سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ أنه ذكر في هذه السورة تلاوة النبي ﷺ للقرآن الكريم وثناء الله على اشتغاله بهذ الأمر الجليل بها، وقامت الحجّة على أهل الكتاب، ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البيِّنة]، والله أعلم.

هل تعرف ما هي الحكمة في تخصيص أُبيّ؟

هي: أن تنتهي سلسلة قرّاء هذه الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته بمشيئة الله وقدره.

ولماذا قال في شأن عبد الله بن مسعود: «**ما أمركم ابنُ أمِّ عبدٍ فخذوه، وما أقرأكم فاقرؤوه**»[(٢)]؟ ذلك لأنّه كان مقدراً أن تتوصّل سلسلة الفقه والقراءة لجمٍّ غفيرٍ من الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته، ولماذا قال في شأن خالد بن الوليد: «**سيف من سيوف الله**»[(٣)]؟ ذلك لأن فتوحاً كثيرة كَتَبَ اللهُ على يده، ولماذا قال في حقِّ سعدٍ: «**عسَىٰ أن تَبْقَىٰ حتى تنتفعَ بكَ أقوامٌ ويضرُّ بك آخرون**»[(٤)]؟ ذلك لأن فتح العراق سيقع على يده، وكونه والياً عليها، ولماذا قال في حق أبي عبيدة: «**أمين هذه الأمة**

(١) أخرجه النسائي في «سننه الكبرى» (٥/٨) برقم: (٧٩٩٩) بلفظ: عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لأُبي: «إن ربي أمرني أن أعرض عليك القرآن» قال: أو سمَّاني لك، قال رسول الله ﷺ: «**نعم**»، فبكى أبي.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨١٢).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٧٥٧).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (١٢٩٥)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٦٢٨)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١١/٣٦٨) برقم: (٤٥٤٠) واللفظ له.

أبو عبيدة»[١]؟ ذلك لأن معاملة الحلّ والعقد في أهل الشام كان واقعاً في يده، وقال في حقّ عمرو بن العاص: «**نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجلِ الصالحِ**»[٢]، ذلك لأن ولاية مصر كانت منصرفةً إليه نهايةَ الأمر، ولماذا قال في شأن معاوية: «**إنْ وليت أمرَ الناسِ فأحسنْ إليهم**»؟ ذلك لأن الخلافة ستصل إلى يده في آخر الأمر، ودعا لابن عباس: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ**»[٣]، ذلك لأن تفسيرَ القرآن كان مقدر النشر والإشاعة بيده، وقال في حقّ أنس: «**اللَّهُمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه**»[٤]، فظهر الأمرُ وفق ما قال ﷺ، وقال في حقِّ أبي ذر: «**شبه عيسى في الزهد**»[٥]، ذلك لأنّ هذه الصفة كانت فيه كاملةً، وألقى حُثياتِ العلمِ في ثوب أبي هريرة، ذلك لأنه ﷺ قد شاهد كثرة رواية الحديث في حظّه، ولماذا قال في حقّ الشيخين: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر وعمر**»، ذلك لأن خلافتهما كانت مقدّرة.

والدليل الثالث: إن كلَّ من تتبَّع فنّ المغازي يعرف جيداً أنّ النبي ﷺ كلَّما خرج من المدينة المنورة لغزوة أمّر شخصاً على المدينة، ولم يترك أمر المسلمين هملاً قط، فإن كانت عادته هكذا فكيف يتصور منه إهمال أمور المسلمين قرب وفاته؟! وإذا تأمّلتَ في رأفة النبي ﷺ

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٩١).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٩١) برقم: (١٢٤٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٦/ ١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٣٣٤)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٨٠).

(٥) أخرجه المحب الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ٣٣)، عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما أظلّتِ الخضراءُ، ولا أقلّت الغبراء، أصدقَ لهجةً من أبي ذر، مَنْ سرّه أن ينظرَ على مثل عيسى في الزهدِ فلينظرْ إليه**».

رأيتَ أنه لا يتركُ أمته فوضى بغير نظام، ولو أنه ترك مكاناً شاغراً بعد ما بذل سعياً بليغاً في تربية الناس ﷺ وإصلاحهم لكان محال، وفيه خُلْفٌ وتناقض، وإن نظرت في سيرته العليّة في نصب الحكام والقضاة وتفويض كل أمر إلى أهله استبعدت انتقاله من الدنيا بغير استخلاف.

ثم بعد استقراء أكثر الأفراد والأحوال، والحكم بموجبه على الأفراد والأحوال الباقية يعدّ من الأدلّة الخطابية في معرفة الأحكام فينبغي الاكتفاء به، وقصص نصب النوّاب عند الخروج في الغزوات كثيرةٌ واضحةٌ إلى حدٍّ لا تمسّ فيه الحاجة إلى نقل بعضها في هذا المكان.

والدليل الرابع: إذا تتبّعت الشريعةَ التي جاء بها النبيُّ ﷺ لدفع مفاسد العالم، وإصلاح بني آدم، رأيتَ ـ بدون شكٍّ ـ أنّ النبيَّ ﷺ عُني ببيان القُرُباتِ التي تخرِجُ أفراد بني آدم من حضيض البهيمية إلى أوج الملكية، وعُني كذلك بشرح كلّ ما تمسُّ الحاجةُ إليه من آداب المعيشة والمكاسب والمعاملات وتدبير المنازل وسياسة المدن، ونهى عن كل المنكرات فيها، وحذّر عن عواقبها الوخيمة، ومروراً بكل ذلك بيَّن الحسنات، ونبّه إلى سدّ ذرائع المفاسد ودواعي الإثم على أتمّ وجه.

والحاصل: أنه ﷺ بيَّن كلَّ شيء، وفصَّل في بيان الأركان والشروط والآداب، وهل يجوّز العقلُ لمثل هذا الحكيم الفَطِن الرؤوف الرحيم أن يعرض أمته للتهلكة، من غير تدبير لتخلّصها منها، وأن يتوجّه إلى الشام لغزوة تبوك، ويثير غيظ الروم، ويُلحق بهم الخوف والرعب، ويكتب إلى كسرى كتاباً يضرِمُ نار الغيرة والغضب في دماغه، فيرسل رسولاً منه بغاية من الرعونة والكبر إليه يتصدَّى للنيل منه ﷺ، ويظهر المتنبآن مثل مسيلمة الكذاب والأسود العنسي في جزيرة العرب، ويقوم بعضُ ضعاف الإسلام بنشر الكفر وإشاعته، وتكون سور القرآن بأيدي

الناس متناثرةً متبعثرةً كالعصافير، هل يمتّ إلى حكمة هذا الحكيم الفطن ورأفة هذا الشفيق الرحيم بأي صلة أن يفارق العالمَ بدون تدبير إصلاح العالم ومن غير تفويض أمته إلى نسق خليفة من بعده.

إن قلتَ: إنَّ جميع الأحكام لم تُبيَّن في الشرع، بل كثير من الأحكام أخذ من قياس المجتهدين، ونصب الخليفة من تلك الأحكام غير المبيّنة.

قلنا: كلُّ واقعة وقعت في زمن النبي ﷺ واطّلع عليها، لا بدَّ أن يكون ﷺ قد قام بإصلاحها، فإن كانت خيراً استبقاها، وإن كانت شراً نهى عنها، وإلا يلزم السكوتُ على المعصية، وذلك محالٌ ونقيضٌ للعصمة، وما كان قريباً وجوده وقريباً حصوله بيَّن ذلك لا محالة، اللَّهُمَّ إلا ما كان بعيد الوقوع، فلم يقم بإثارة الشبهات به، وذلك رحمة بعينها، وأما الأحكام المحوّلة إلى قياس المجتهدين، فإنها وقائع بعيدة الوقوع لا قريبة الوقوع، وما تكلَّمنا عنه هو من قبيل قريب الوقوع، بل الواقع الأقرب، من حيث يدرِكُ ويعرِفُ كلُّ عاقل وقوعَه غداً أو بعد غدٍ، وشتّان بين القبيلين، ثم أوكل المسائل والوقائع التي يستقل العقل بمعرفة عللها إلى قياس المجتهدين، لا ما هو تعبُّدي محض، وتعيين خليفة لا يُحدِث تغييراً ولا تعديلاً، ويكون سعيه مفيداً في المطالب المقصودة إنما هو من الأمور الموكولة إلى ترجمان الغيب ممّا لا مدخل للعقل فيه.

والدليل الخامس: إنّ غلبة الإسلام على سائر الأديان كانت مضمرةً في رسالة النبي ﷺ كما قال عزّ من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة]، كما روي عن النبي ﷺ بالتواتر أنّه بشّر بفتح فارس والروم في أول مبعثه بمكة، وفي أول قدومه بالمدينة، وعند وفاته، ولو أنه ﷺ لم

يؤهِّل الناس لأداء هذه الفريضة المحتومة، فكأنه لم يؤدِّ ما وجب عليه من أمور الدين، وحاشاه من ذلك، ذلك لأن فتوح فارس والروم ليست من الأمور التي يتيسّر وقوعُها بدون نصب الخليفة الراشد، ولا يكفي أن يَجْعَل خليفة من شاء وأيّاً كان؛ لأن كلّ واحد من الناس لا يكون كفؤاً لهذا الأمر، ولا يتميّز الكفؤ من غير الكفؤ، بل كلا النوعين من الناس يختلط بعضهم ببعض، وأما اختيار الموفَّق لذلك فيكون الأمر ميسّراً عليه، فذلك خارج عن طوق البشر، ومعلوم أن مقدمة الواجب واجبة، وكان النبي ﷺ اطلع على فتنة الردّة بنزول قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، وظهرت أوائل هذه الفتنة في زمن النبي ﷺ بظهور مسيلمة الكذاب والأسود العنسي، وكان معلوماً ـ بالقطع ـ أنّ هؤلاء المتنبِّئين والمرتدِّين لو تسلَّطوا وتغلَّبوا قطعوا دابر الإسلام، وشتّتوا شمله، واجتاحوا أصله، ولا يمكن دفعُ هذه الفتنة بدون نصب الخليفة الراشد، ولا بأن يتسلّم زمام الخلافة من شاء، بل يصلح لذلك شخصٌ عزيزُ القدرِ، رفيعُ الشأنِ، ممّن هيّأه الله ـ بالغيب ـ لهذا الأمر العظيم، ولا بدّ للنبي ﷺ من دفع الضرر، وأيُّ ضرر أكبر وأشدّ من الضرر الذي كان يستطير شرّه في أواخر حياة النبي ﷺ، وقول الله تعالى في شأن النبي ﷺ: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة] لا تتحقق حقيقته بدون تقريب الأمة إلى الخير، وإبعادها عن الشرّ.

وقال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، إن تدبّرتَ هذه الآية تجلّى لك أنَّ قتال الكفار هجوماً كان أو دفاعاً لا يمكن بدون نصب الخليفة، ولا يتبوّأ هذا المنصبَ كل مَنْ يستعدّ للخلافة في وقت واحد، بل يمكن ذلك بنصب خليفة بعد آخر، وهذا الاختيار خارج عن قدرة العقول العامة، فلا بدّ من نبي يعينه وفق الحكم الغيبي، ويقضي على الفتنة الواقعة بين أهل الظواهر

في تعيين الخلافة، ويطفئ نار شغب القادحين ببعض المعايب العرفية والمثالب الرسمية بالماء المصفى من المعارف الربانية.

وإن درستَ تاريخ الملوك، وأمعنت النظر فيه، رأيت الناس مضطربين، مضطرّين في مثل هذه الأوضاع والأحوال إلى نصب ملك عزيز الوجود، وتمسّكوا في تعيين هذا الملك بالنجوم مرّةً، وبالرؤيا والاستخارة مرةً أخرى، وبفراسة حكيم يعتمدون على كهانته ثالثةً، ولا يمكن إحصاء جزئيات هذه القصص، ويكفيك أن تتذكرّ قصة مشورة «زال داستان» في كتاب «شاهنامه» للفردوسي بعد مقتل «نوذر»، وأن تنظر في قوله في البيت الفارسي:

نه زيبد بهر بهلوي تاج وتخت   بيايد يكـــے شاه فرخندهء بخت

كــه بــاشــد بــرو فــرّهء ايــزدي   بــتــابــد زگــفــتــار او بــخــروي

معناه: لا يليقُ العرشُ والتاجُ بكلِّ فارسي، بل يجدر بهما ملكٌ عظيمُ البختِ، كبيرُ الحظِّ، تحيطُ به هالةٌ من الهيبة والرهبة من الله، ويتلألأ نور العقل من كلامه، ويكفيك أن تنظر في اتفاق «برزو» و«طهماسب» نهاية الأمر، وقصة ضعف مملكة كاؤوس عند شيخوخته، ورؤية «كودرز» في المنام أن صلاح حكومة فارس يتحقّق في عهد كيخسرو، وإرسال «كاوه» في طلب كيخسرو من أقصى «توران».

وهنا نكتة إن تدبرّتها انحلت لك جلّ المعضلات، وهي أن سُنَّة الله تجري في الكون على أن معظم الخلق إذا ابتلي بشدة ومحنة يرسل الله الذي هو مدبِّر السماوات والأرض إلهاماً وتقريباً ليكون صلاح العالم بهذا التدبير الإلـهي، وترتفع الشدَّة، وتزول المحنة، ويتفرَّع من هذا الأصل بعث الرسل، ونصب المجدّدين على رأس كل مائة سنة، وأشياء أخرى كثيرة.

والسرّ الذي اقتضى بعثة النبي ﷺ عند غلبة الكفر في الآفاق كما جاء في الحديث القدسي: «**إنَّ الله نظَرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقَتَهم عربَهم وعجمَهم إلا بقايا من أهلِ الكتابِ وإنِّي أردتُ أن أبتليَك بهم وأبتليهم بكَ...**» الحديث، اكتشف عن وجهه الستار مرةً ثانيةً عند انتقال النبي ﷺ من العالم الأدنى إلى العالم الأعلى، وقد اجتمعت الأسباب لوقوع الخلل في الدين، ولم يظهر الدين على الوجه المطلوب بعدُ، وقام بتعيين خليفة بعد خليفة، حتّى تمّت مشيئةُ الله، وتحقَّق موعوده، وكما أنَّ معرفة شخص يصلح لتحمُّل أعباء النبوة خارجةٌ عن علوم البشر، ولذلك قال الجاهلون: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف]، كذلك أن يعرف شخصٌ مَنْ يتحمّل أعباء الخلافة، ويتم به مراد الحق خارجةٌ عن مقدور البشر، كلُّ ذلك من تدبيرات الغيب، ولا بدَّ أن يشير النبي إلى هذا الشخص المعيَّن، ولو افترضنا أن يترك بعض أنواع التعيين فلا يكون ذلك إلا من جهة الاستناد إلى تكفّل الله تعالى، إذ إنّ الله يأبى والمؤمنون إلا أبا بكر، ويعتبر أهل الظاهر معنى الخلافة عبارةً عن تولِّي شخص الحكومة والسيادة على بني نوعه فحسب، ويكرهون هذا المعنى، ويحسدون على هذه التولية، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾ [التوبة: ٣٢]، ولكن الذين يعرفون حقيقة تدبير الغيب، يرون ذلك سبباً لإصلاح العالم وإنجاز موعود الله تبارك وتعالى، ويعدّونه من نعم الله العظيمة:

حكمت محض است اگر لطف جهان آفرين
خاص كند بندهء مصلحت عام را[(١)]

المقدمة الثانية: هي أن النبيَّ ﷺ لو أنّه نصَّ على خلافة أحد فهو

(١) من حكمة الله أن يختار شخصاً لمصلحةِ العامّة بلطفه.

أبو بكر الصدِّيق لا غير، ثم عمر من بعده، ثم عثمان من بعده، ودليل ذلك أنه قد ثبت بالتواتر أنَّ الصدِّيق والفاروق وذا النورين كانوا ملوك الأرض، وحكموا البلاد، وسادوا العباد، وعاملهم الناس معاملة الرعية مع الخليفة، ونادوهم بلفظ: يا خليفة رسول الله، أو يا أمير المؤمنين، ويعرِفُ هذا القدرَ كلُّ مؤيّد ومعارض، فثبت لهم جزء من الخلافة وهو السيادة والحكومة دون غيرهم، فانتفى اسم الخلافة عن غيرهم طبعاً.

ومدار كلام أهل السُّنَّة والشيعة ينحصر في أنَّ هؤلاء هل كانوا في هذه السيادة والخلافة مطيعين أم عصاةً؟ وهل نصّ الشارع على خلافتهم أم على خلافة غيرهم، أم لم ينصّ على خلافة أحد؟

قلنا: إن كان نصّ الشارع على هؤلاء المشايخ الثلاثة، وأصبحوا خلفاء وفق النص فيها، وإن كان على غيرهم وتسلّط هؤلاء المشايخ الثلاثة على الخلافة ظلماً بالقوة وعصوا الله، يستلزم ذلك مفاسد كثيرة من التدليس في كلام الله سبحانه وكلام أفضل الأنبياء عليه أفضل صلوات الله وسلامه، وتكذيب المتواترات المروية عن الصادق المصدوق، وإجماع الأمة المسلمة على الضلالة، وارتفاع الأمن من أحكام الشرع، وعدم قيام الحجّة على التكليف بشيء من أحكام الدين، ومخالفة العقل الصريح، ووقوع التناقض في مقصود الشارع.

وأمّا لزوم التدليس في كلام الربّ تبارك وتعالى على تقدير معصيته الخلفاء، فهو من حيث ورود البشارة في القرآن العظيم بالجنَّة وورود المدح والثناء والإخبار برضا الله بأهل بيعة الشجرة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح]، والشيخان من جملة

هؤلاء الذين وردت فيهم هذه البشارة، فإن كانا غاصبين وجائرين استلزم ذلك تدليساً عظيماً، والله ﷻ منزّه من كل تدليس، وأما غيرهما من الصحابة الذين بايعوهما فلا يخرجون من حالتين: إما أن يكونوا قد أعانوهما على غصب الخلافة أو سكتوا، فإن كانوا قد أعانوهما صاروا كلهم ظالمين وفاسقين، إذ إن إعانة الظالم ظلم، قال الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات: ٢٢]، وإن سكتوا كان السكوت لأجل الخوف أو لغير ذلك، لو كان بغير الخوف كانوا جميعاً عصاةً، وإن كان لأجل الخوف، فهل عمَّ الخوف جميع المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان، أو أكثرهم أو أقلّهم؟ ولو عمّ الخوف الجميعَ أو أكثرهم كانت هذه المقدمة باطلة بالبداهة؛ إذ إن المهاجرين أو أكثرهم لو عزموا على صرف الخلافة عن الشيخين لم يتحقَّق استخلافهم قط، ولم يكن أعوان الشيخين وأصحابهم من غير المهاجرين والأنصار، ولو كان قد لحق بأقلِّهم، كان أكثرهم عصاةً لأجل إخافتهم، وكانت هذه البشارات الإلـٰهية بصيغة الجمع مجرَّد هزل.

ومع ذلك لو كان الصدِّيق في خلافته جائراً وغاصباً لما نزلت في شأنه آيات دالة على كمال المدح والثناء عليه، ومبشِّرة بدخوله في الجنة، ولكن آيات كثيرة نزلت في القرآن بهذا المعنى، فثبت بهذا أن خلافته حق.

وأما ملازمة التدليس فهو من جهة المدح والثناء على شخص يكون مبدأ فساد شامل عريض أيضاً، إذ إن ذلك تدليس والله منزه من التدليس، والبشارة لمن يرتكب الكبيرة ويموت بدون التوبة قليل الوقوع عند الأشاعرة، وممتنع الوقوع عند المعتزلة.

وعلى كل حال فإنّ التنويه بأمره، والإشادة بشأنه، بدون بيان الأمر

الواقع تلبيسٌ عظيم، ومع ذلك لا يكون هناك أي معنى لمدح وثناء على رجل قد صدرت منه الأفعال الشنيعة إلى آخر عمره، سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأمّا بطلان لزوم التدليس فهو من جهة أن جمعاً كبيراً من المفسِّرين ذكروا في كثير من الآيات أنها نزلت في شأن أبي بكر الصدِّيق، ولهذه الروايات طرق عديدة كثيرة بحيث يفيد مجموعها الجزم واليقين، ويتأكّد دخول أبي بكر الصدِّيق فيها بالقطع لورودها في حقِّه، وفي بعض الآيات قرائن كثيرة لكون الصدِّيق سبباً لنزولها علاوةً على روايات السلف.

أولاً: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، وصاحبه ﷺ في الغار ليس غير الصدّيق عند المؤيد والمعارض.

ثانياً: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور] فيها إشارة إلى الصدِّيق رضي الله عنه اتفاقاً.

ثالثاً: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، قال الواحدي: قال الكلبي في رواية محمد بن الفضل: نزلت في أبي بكر[١]، تدلّ على أنه كان أول من أنفق المال على رسول الله ﷺ، وأول من قاتل على الإسلام[٢].

وقال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبي ﷺ وأبو بكر،

---

(١) أخرجه الرازي في «تفسيره» (١٥/ ٢١٧).
(٢) أخرجه القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٢٤٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣).

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح في أحاديث كثيرة.

رابعاً: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال الواحدي: قال عطاء عن ابن عباس يريد أنّ أبا بكر وعمر يوليان النبي ﷺ على من عاداه وينصرانه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال: «**صالح المؤمنين أبو بكر وعمر**»(١).

خامساً: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف]، قال الواحدي: قال مقاتل وعطاء الكلبي عن **ابن عباس**: هذه الآية نازلةٌ في الصدِّيق رضي الله عنه وكان حمله وفصاله هذا القدر، ويدلّ على صحة هذا، قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ إلى آخر الآية [الأحقاف: ١٥].

وقد علمنا أنّ كثيراً من الناس ممن بلغ هذا المبلغ لم يكن منه هذا القول، وهو ما ذكر الله عنه: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥]، فدلّ أنه نزل في إنسان بعينه، وهو أبو بكر رضي الله عنه، ومعنى قوله: ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، قال عطاء: ثماني عشرة سنة، وذلك أنه صحب النبي ﷺ ـ وهو ابن ثماني عشرة سنة، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة ـ في تجارته إلى الشام، فكان لا يفارقه في أسفاره وحضوره، فلمّا بلغ أربعين سنة ونُبِّئَ رسولُ اللهِ ﷺ دعا ربه فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾ عليَّ بالهداية والإيمان حتى لا أشرك بك ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ﴾ [الأحقاف: ١٩]

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/٥٧).

أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأم الخير بنت صخر بن عمر.

وقال علي بن أبي طالب في هذه الآية: في أبي بكر أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾.

قال ابن عباس: أجابه الله تعالى، فأعتق تسعةً من المؤمنين يعذَّبون في الله، ولم يرد سبباً من الخير إلا أعانه الله سبحانه، واستجاب له في ذرّيته، إذ قال: ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ [الأحقاف: ١٥] ولم يبق له ولد ولا والد ولا والدة إلا آمنوا بالله وحده.

سادساً: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ [الزمر: ٣٣] محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أبو بكر وأصحابه، وهم المؤمنون الذين صدّقوا محمّداً ﷺ بما جاء به من الإسلام ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

سابعاً: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤] قال في «الكشاف»: «قيل: نزلت في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين تصدَّق بأربعين ألف دينار عشرةً بالليل، وعشرة بالنهار، وعشرةً في السر، وعشرة في العلانية»(١).

ويقول الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل]، قد اتفق المفسِّرون على أنّ المراد من «الأتقى» هو أبو بكر الصدّيق، لتصدّقه بأربعين ألف دينار في الإسلام، والآية مكية باتفاق المفسِّرين، ولم ينفق في مكةَ أحدٌ إلّا أبا بكر الصدّيق بهذا الطريق.

وهناك وجوه كثيرة تدلّ على أنّ علياً المرتضى لم يكن موردَ الآية، إذ إن المرتضى كان صغيراً يعيش في كفالة النبي ﷺ، ولا يملك مالاً

---

(١) «الكشاف» (١/ ٢٤٣).

حتى ينفقَ منه، وكان له ﷺ منة التربية على المرتضى، فلا يكونُ مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾﴾ [الليل]، بخلاف أبي بكر الصدِّيق، فإنَّ النبيَّ ﷺ كانت له منة عليه من جهة تعليم الإسلام لا غير، وليس لهذه المنة من جزاء كما قال الأنبياء ﵈: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [الشعراء]، وحين ثبت أن المراد منه هو الصدّيق عُلم أنَّ عاقبته حسنة محمودة، لقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]، والأتقى والمرضي من عند الله أكرم في كل حال، والأكرم أفضل الأمة وأفضل الأمة أحقّ الناس بالخلافة.

فإن قيل: المراد هنا جنس الأتقى.

قلنا: إنَّ دخول مورد النصّ في عموم الآية قطعيٌّ، وقلنا أيضاً على تقدير التنزّل: إنَّ الصدّيق قد حصلت له الخلافة بالفعل بالاتفاق، فانحصر التحقيق في: هل كانت هذه الخلافة حقاً أم لا؟ وقد ثبت بشهادة قصص كثيرة أنّ أبا بكر الصدّيق كان متّصفاً بهذه الصفات، فصدقت البشارة عليه وانطبقت، وينبغي أن تكون عاقبته محمودةً حسنةً، وألّا يكون الخليفةُ غاصباً جائراً في الخلافة.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ٤١]، نزلت كلتا الآيتين في واقعة واحدة، تقيِّد إحداهما إطلاق الأخرى، وما يحصل من كلتيهما هو استخلاف المهاجرين الأولين، ومدح خلافتهم، وبيان أن التمكين في الأرض إذا جاء في نصيبهم لا بدَّ أن ينضمّ إليه جزء آخر مما يصبح به خلافةً راشدةً، وقد تقدّم تقرير هذه المباحث.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ

سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح]، قال الواحدي[1]: أكثرُ المفسِّرين على أنّ هؤلاء بنو حنيفة أتباع مسيلمة، قال رافع بن خديج: كنا نقرأ هذه الآية، ولا نعلم مَنْ هم؟ حتى دعا أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[2].

قال ابن جريج: سيدعوكم عمر إلى قتال فارس ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦]، أو يكون منهم الإسلام ﴿فَإِن تُطِيعُوا۟﴾ [الفتح: ١٦]، أبا بكر وعمر ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الفتح: ١٦]؛ يعني: الجنة ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟﴾ [الفتح: ١٦]، تعرضوا عن طاعتهما، ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُم﴾ [الفتح: ١٦]، أعرضتم عن طاعة محمد ﷺ في المسير إلى حديبية، ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ [الفتح: ١٦]، في الآخرة ﴿عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [الفتح]، والآية تدلّ على خلافة الشيخين، فإنَّ الله تعالى وعد على طاعتهم الجنة، وعلى مخالفتهما العذاب الأليم. انتهى.

لقد وَعَدَ الله أنَّ داعياً يظهر في المستقبل، ويدعو الأعراب إلى قتال الكفار، وتكون دعوته مناط وجوب القبولِ لدعوته، فإذا قبلوها نالوا الأجر والثواب، وإذا رفضوها استحقّوا العذاب والعقاب، وهذا لازمٌ من لوازم الخلافة الراشدة، والدعوة إلى الجهاد من أشهر وأعظم صفات الخليفة، ولا يخلو ذلك من أن يكونَ هذا الداعي هو النبيّ ﷺ نفسه، أو الخلفاء الثلاثة، أو المرتضى، أو بني أمية، أو بني العباس، ولم يكن النبيُّ ﷺ هذا الداعي بالقطع، إذ إن الله تعالى يقول: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا

---

(١) لفظ الواحدي في «تفسيره» هكذا: وقيل: بنو حنيفة أصحاب اليمامة، انظر: «الوجيز»، للواحدي (١/٩١٨).

(٢) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/٣٠٣).

وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، نزلت هذه الآية في قصّة الحديبية وغزوات النبي ﷺ بعد الحديبية محصورة، ومعلوم أنه بعد ذلك خرج لغزوة خيبر، ولم يدْعُ أحداً من الأعراب فيها، وخرج لغزوة «فتح مكة» و«حنين»، ولم يكن ذلك بقتال لقوم أولي بأس شديد؛ لأنَّ هذه الكلمة تدلّ على مغايرة هؤلاء القوم للقوم الأوائل وهم قريش ومن جاورهم، ويظهر من ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أن يكونوا أشدّ بأساً وقوّةً من قريش، ولا يوجد هذا المعنى في غير الروم والفرس.

ولا يكون هذا الداعي علياً المرتضى رضي الله عنه؛ لأن مقاتلاته كانت لطلب الخلافة، لا من جهة الإسلام ودعوته، وتدلّ آية: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ على أنَّ هذا الجهاد والقتال يكون دعوةً للكفار إلى الإسلام، ولم يدع بنو أمية وبنو العباس أعراب الحجاز لقتال الكفار، كما هو معلوم من التاريخ قطعاً، وكانت دعوةُ أبي بكر الصدِّيق لقتال أهل الشام والعراق، ودعوة عمر الفاروق ـ أيضاً ـ لقتال العراق والشام ومصر، ودعوة عثمان ذي النورين لقتال أهل خراسان وإفريقية والمغرب، كما هو مبسوط في التاريخ، فكانت دعوتهم واجبة الامتثال والانقياد، وهذا من صفات الخليفة الحقّ، ولمَّا تبيّنت أحقّيتهم في دعوة الجهاد للروم والفرس تبيّن أنها واجبةُ الامتثال في جميع الأحكام؛ لأن المسلمين مجمعون على أمرين، **أحدهما**: أنّ طائفة منهم تقوم بإثبات وجوب الطاعة لهم في جميع الأحكام، **والثاني**: أن طائفة أخرى تقوم بنفي وجوبه في جميع الأحكام، فلمّا بطل الثاني تعيَّن الأول.

ويلزم التدليس أيضاً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة].

وهذه الآية تدلّ على أن جماعة المحبوبين الكاملين المرضيِّين سوف يقاتلون المرتدّين، ولم يقع هذا الأمر في عهد النبي ﷺ؛ لأن الأسود العنسي لم يخرج بعدُ، ولم يرسل النبي ﷺ الجيش إليه، ولم يقع في عهد علي المرتضى رضي الله عنه؛ لأن قتاله وقع مع البغاة والخوارج لا مع المرتدّين، ولم يقاتل خلفاء من بني أمية وبني العباس المرتدِّين بطريق إرسال الجيش إليهم للغزو والجهاد، والأمر المفهوم من فحوى الآية هو جمع الرجال ونصب القتال، فتعيّن أنَّ الذين وصفت أحوالهم في الآية هم أبو بكر الصدّيق وعمر الفاروق وجيوشهما، ويُنسب القتال في العرف العام إلى الخليفة وإن لم يشهد بنفسه المعركة، ولو لم يكن الصدّيق والفاروق لما كانت الجماعة الذين قاتلوا بأمرهم وبايعوا ورضوا باستخلافهم محبوبين ومحبِّين، مع أنَّ هذه الآية تدلّ على أنَّ هذه الجماعة جماعة المحبِّين والمحبوبين، وهم رحماء بالمؤمنين، وأشدّاء على الكفار، ومجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، وهذه كلّها من أوصاف الكمال، ثم قال الله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾، وهذه الآية تدلّ على كمال الفضل، والتناهي في الثناء، فثبت بذلك أنَّ الشيخين مع أتباعهما كانا متصفَين في أيام خلافتهما بالصفات الكاملة، التي لا تفوقها صفة في الشريعة، وكانوا ممن مدحهم الله وشملهم الفضل الإلٰهي، وهذا من لوازم الاستخلاف الحقّ ودلائل أفضليتهما في الأمة.

وأمّا لزوم التدليس في كلام أفضل الأنبياء عليه الصلاة والسلام على تقدير أن تكون خلافة الشيخين، بل المشايخ الثلاثة جوراً فهو من جهة تبشير النبي ﷺ لهؤلاء المشايخ بالجنّة في أحاديث كثيرة رويت عن جماعة عظيمة في كل طبقة، وكل هذه الأحاديث ـ على كثرة طرقها وتشعّب أسانيدها ـ تدلُّ على معنىً واحد، وهو البشارة بالجنّة، وهذا المعنى ثابت قطعاً، لو كان هؤلاء فسّاقاً جائرين لما كانوا جديرين

بالبشارة، وكانت البشارةُ تدليساً، وقد ذُكِرَتْ بشارتهم في عشرة فصول مضى تقريرها سابقاً.

وأمَّا لزوم كذب المتواترات المروية عن الصادق المصدوق ﷺ فهو من جهة أن النبي ﷺ أثبت خلافة هؤلاء المشايخ في أحاديث كثيرة بالنصّ تارةً، وبالإشارة أخرى، وبالإجمال تارةً، وبالتفصيل أخرى، وهذه الأحاديث رغم أنَّ كلَّ واحد منها خبر الواحد، ولكن إذا لاحظناها جملةً كانت غير محصورة، متفقةً على معنى واحد، وهو صحة خلافتهم في أوقاتها.

وبيان هذا الإجمال أنَّ النبيَّ ﷺ ذكر رؤيا القليب ثم قال: «**لا أدري ما بقائي فيكم، فاقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر**»، والمراد بذلك: باللذين يقومان من بعدي في مقامي ذلك؛ لأنَّ الصلة تكون مخصِّصة ومعيِّنة للموصول، ولا يكون وجودهما بغير القيام مقام النبي ﷺ مخصصاً ومعيِّناً لهما، وينبغي للصلة أن تكون من الصفات التي يعرف بها المخاطِبونَ الموصولَ، فعلم بذلك: أنَّ المخاطبين كانوا قد سمعوا قصة رؤيا القليب وما أشبه ذلك.

والمراد بالاقتداء: هو الاقتداء في أمور الخلافة؛ لأنَّ تعليق «الاقتداء» بلفظ يُشعر بالخلافة إنّما هو إشارةٌ إلى أنَّ المراد بالاقتداء: هو اقتداءُ الرعية بالخليفة، وقد أسند في نفس الحديث تعليم القرآن وغير ذلك إلى الآخرين، فكان المرادُ بالاقتداء غير الفتوى والتعليم، وهو الاستخلاف وحده، فكان الحديث دالّاً على إيجاب انقياد القوم لهؤلاء من جهة الخلافة، وهذا هو المعنى لتشريع الاستخلافُ، وقال النبي ﷺ في خطبة الوداع التي ودَّع بها الأمة: «**عليكُم بسنّتي وسُنَّة الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ بعدي، عضّوا عليها بالنواجذِ**»، وذلك بعد ذِكْرِ رؤى عديدة

ليدلّ على أن ولاة الأمر بعد رسول الله ﷺ هم الخلفاء الثلاثة، فكأنه ﷺ قال: عليكم بسنتي وسُنَّة أبي بكر وعمر وعثمان، فهذا القول يوجِبُ انقياد القوم لهم فيما يتعلّق بالخلافة وهو المطلوب.

وأخبر النبيُّ ﷺ في أحاديث مستفيضة أنّها تكونُ خلافةُ نبوّةٍ، وخلافةُ رحمةٍ من بعد وفاته، ثم يكون ملكٌ عضوضٌ، وكل ما وقع عقبِ وفاة النبي ﷺ متصلاً هو خلافة الخلفاء الأربعة، فكانت خلافتُهم خلافةَ نبوّةٍ ورحمةٍ، ولولا أنَّ سيرة هؤلاء الخلفاء كانت شبيهةً بسيرة الأنبياء، أو كانوا قد اغتصبوا الخلافة ظلماً لما كانت خلافةَ نبوّةٍ ورحمةٍ، وقد أخبر النبيُّ ﷺ في أحاديث مستفيضة أنَّ الخلافة ثلاثون سنةً[1]، وفسّره سفينة رضي الله عنه بخلافة الخلفاء الأربعة، والعقلُ يدلُّ على ذلك أيضاً؛ إذ إن مطلق الرئاسة لا تنتهي مدته بثلاثين سنة، فكان هؤلاء الخلفاء متّصفين بخلافة غير «ملك عضوض» وكانت هذه الخلافةُ جديرةً بالمدح والثناء والخلافة التي تحصل بالغصب والجور لا تُمدح.

ولقد ورد في أحاديث مستفيضة أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رؤيا القليب، ورأت جماعةٌ من الصحابة رضي الله عنهم أيضاً أنواعاً من الرؤى، مثل الرؤيا التي فيها ذكر سبب واصل من السماء إلى الأرض، والتي ذكر فيها نوط بعضهم ببعض[2]، والتي فيها ذكر شرب الماء بالترتيب، والتي فيها ذكر انقطاع السبب عند أخذ عثمان به، ثمّ وصله له رضي الله عنه، والتي فيها ذكر وزن الخلفاء بالترتيب، وما إلى ذلك، وكلُّ هذه الرؤى فسرت بالخلافة، وورد هذا التفسير في بعض الأحاديث صراحةً، وفي بعضها إشارةً، وسكت في بعضها الآخر عن ذلك، وليس ذلك إظهاراً للسخط، بل ابتهاجاً به ﷺ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٨٢١). (٢) أخرجه أبو داود (ح: ٤٦٣٦).

فعلمنا بذلك أنَّ خلافة هؤلاء المشايخ لم تكن ظلماً وعدواناً، وقد فوّض النبي ﷺ في مرض وفاته إمامة الصلاة إلى أبي بكر الصدِّيق، وما رضي بغيره، وهذا يدلُّ على استخلافه عقلاً ونقلاً.

• وأما **عقلاً**، فإنه من جهة أنَّ العادة قد جرت على أنَّ إجلاس ولي العهد على العرش عند الوفاة يدلّ على الاستخلاف، وأنَّ عقد اللواء يدلّ على التأمير، ومنح القلم والدواة يدلّ على منصب الوزارة، ولهذه الإشارات حكم العبارات، مثل الإشارة باليد والرأس مكان «لا» و«نعم»، وإمامة الصلاة إنما كانت منصبَ النبيِّ ﷺ وحده، وهي خيرُ مناصب الدين والدنيا، فكان تسليمُه ﷺ لهذا المنصب إلى أبي بكر الصدِّيق دليلاً على إقامته مقام الخلافة.

• وأما **نقلاً** فإنه من جهة أنّ جماعةً من الصحابة تمسّكوا بذلك عند عقد الخلافة، مثل عمر الفاروق، وعلي المرتضى، وأبي عبيدة، وابن مسعود، ولم يظهر ردٌّ وإنكار على هذا الاستدلال من أي من الحاضرين، وكأن الجميع صوّبوا هذا الاستدلال، وإذا رأى اليوم أحدٌ لقلّة فهمه خفاءً في دلالة هذا الفعل، فإنّه لم يكن في عصر الصحابة، ومثل هذه الإشارات تختلف دلالتها باختلاف العادات والعصور، وقال النبيُّ ﷺ لامرأةٍ: «**إنْ لم تجديني فأتي أبا بكرٍ**».

وهذا صريحٌ في أنَّ الخلافةَ تنصرِفُ إلى أبي بكر الصدِّيق من بعد النبي ﷺ؛ لأن التصرُّف في بيت المال، وإنجاز مواعيد النبي ﷺ من خواصّ الخليفة.

وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يُبقينَّ في المسجدِ خوخةٌ إلَّا خوخةُ أبي بكرٍ**»[1]،

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٠٤).

ويدلّ هذا الحديثُ على خلافة الصدِّيق، ونقل العلماء في هذه الدلالة وجهين:

الأول: قيل: لأن الخليفة يحتاج إلى الإكثار من دخول المسجد، لشدّة احتياجه إلى ملازمة المسجد، كي يصلِّي بهم، ويأمرهم وينهاهم، ويقضي لهم، وكان الناسُ في الزمن الأول لا يقضون إلا في المسجد.

والثاني: قيل: لأنه إشارة إلى سدّ رغبات الناس في الخلافة.

وقالت عائشة الصدِّيقة رضي الله عنها: قال النبي ﷺ في مرض وفاته: «**لقد هممتُ أن أدعوَ أباكِ وأخاكِ**»[1] الحديث، وهذا الحديثُ صريحٌ في أنَّ المقصودَ عند النبي ﷺ هو استخلافُ أبي بكر الصدِّيقِ، وكان يكره أن يرغب فيه غيره، ولكنّه تركَ كتابةَ الخلافةِ باسمه، وأخذَ البيعةِ له توكّلاً على وعد الله تبارك وتعالى، وقال النبي ﷺ في جواب بني المصطلق أَنْ تؤدَّى الزكاةُ إلى أبي بكر من بعده ﷺ، وإلى عمر الفاروق من بعد الصدِّيق، وإلى عثمان من بعدِ الفاروق، وسكتَ عن القولِ بعد عثمان، وأخذ الصدقات من إحدى خواصّ الخلافة، والأمرُ بإيتاءِ الزكاة إنّما هو أمرٌ بالانقيادِ لهم في شؤون الخلافة.

وخطب النبيُّ ﷺ، وأمرَ بعد ذلك أبا بكر وعمر بإلقاء الخطبة بالترتيب، وهذا يدلّ على تحققّ خلافتهما حسب ترتيب الخطبة؛ إذ إن الخطبةَ إحدى لوازم الخلافة.

ووضع النبي ﷺ حجراً لمَّا بنى المسجد، وأمر أبا بكر وعمر وعثمان بوضع كلٍّ منهم حجراً على الترتيب، ثم قال: هؤلاء الخلفاء[2]، وهذا يدلّ على أن خلافتهم قد انعقدت وتحقّقت، والمسلمون مأمورون

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٢٢١).

(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٤٣٦).

بالانقياد لهم من جهة الخلافة، والعجب من الذي يستدلّ بقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٣]، على انتقال أملاكهم إلى الكفار، ولا يستدلّ بقوله ﷺ: «**هم الخلفاء**» على إيجاب الانقياد لهم في شؤون الخلافة، وكأن المسجد من شعائر الإسلام، وهو صورة الدين وأحد مظاهره، ووَضْعُ لبنةِ الأساس كناية عن القيام بأمر الدين، وأظهر الله هذه الصورة ليطلعَ الرسول ﷺ على حقيقة الأمر، كمثل ما اطلع ببروك الناقة ـ أي: في الحديبية ـ على أنَّ الصلحَ خيرٌ، والله أعلم.

وقد ورد في الركن الخامس في القسم الثاني من كتاب «شواهد النبوة» قصة رجل، وقد ثبت أنّ الشيخين رضي الله عنهما كانا أعلى منزلة عند الله تعالى من سائر الصحابة، فهما أحقّ بالخلافة.

أما المقدمة الأولى ـ أي: كون الشيخين أعلى رتبةً من سائر الصحابة ـ فهي ثابتةٌ بأحاديث مستفيضة، كما في حديث **علي وأنس** وغيرهما: «**هذانِ سيّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ إلّا النبيينَ والمرسلينَ**»[(١)]، وكما في الحديث الذي فيه ذكر التجليّ الخاص لأبي بكر[(٢)]، وكما في الحديث الذي فيه ذكر المصافحة والمعانقة لعمر الفاروق[(٣)]، وكما في الحديث الذي فيه ذِكْرُ منزلةِ الشيخين فوق أهل الدرجات العلى[(٤)].

وأما المقدمة الثانية ـ أي: كون الشيخين أعلى رتبةً عند الله تعالى ـ فهي ثابتة من جهة أنّها من ضروريات الدين، وأنّ المقصود من العبادات

---

(١) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦٢).
(٢) انظر: «كنز العمال» رقم: (٣٢٦٣).
(٣) أخرجه ابن ماجه بلفظ: «**أول من يصافحه الحقُّ عمر**» (ح: ١١).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٥٨).

والطاعات والرياضات الصوفية هو حصول المنزلة عند الله تعالى لا غير، ولا فضل للأنبياء على غيرهم ولا للأولياء على سواهم إلا من جهة منزلتهم عند الله، وكان الشيخانِ أحبَّ الناسِ إلى رسول الله ﷺ من سائر الصحابة، فكانا أحقّ الناس بالخلافة.

أما المقدمة الأولى ـ أي: كون الشيخين أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ ـ فهي ثابتةٌ في حديث مستفيض من حديث **عائشة**، قيل لها: أيُّ أصحابِ النبيِّ ﷺ كان أحبّ إليه، قالت: أبو بكر، ثم عمر[١].

وعن **عمرو بن العاص**، قال: قلت: يا رسول الله! أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عائشة**»، قال: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها، ثم عمر**»[٢]، ورُوي عن أنس مثله[٣].

والمراد من «الحُبِّ» هنا: هو حُبُّ المقاربةِ في المنزلةِ بدليل قول عائشة: لو كان مستخلِفاً لاستخلفَ أبا بكر ثم عمر[٤].

والمقدمة الثانية: ـ كون الشيخين أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ لكونهما أحبّ الناس إلى الله تعالى ـ فهي من جهة أنَّ النبيَّ ﷺ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ** ③﴾ [النجم]، ولا يكون حُبُّه ـ خصوصاً ـ نابعاً عن الهوى من جهة الكمال، فتدلّ الأحبّية على الأفضلية، وكان الشيخان وزيرين له ﷺ، وشبّههما بالسمع والبصر، ومعلوم أنَّ أحذقَ الناس بأمر الملّة مَنْ كان عرف دقائق السياسة ولطائفها في عهد النبي ﷺ، ومن كان أعزّ

---

(١) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٥٧) برقم: (٨٢٠١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٣٥٨).

(٣) أخرج ابن ماجه في «سننه» برقم: (١٠١) عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول الله! أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قيل: من الرجال؟ قال: «**أبوها**».

(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٤).

الناس وأحبّهم كان أحقّ الناس بالخلافة، وقد عامل النبيُّ ﷺ الشيخين معاملة الأمير لولي عهده، وهذه المعاملات إشارة إلى استخلافهما.

ومن جملة هذه المعاملات مشاورته ﷺ لهما في تبليغ الرسالة، وتقديمهما في جميع الأمور، وتبسّمه إليهما، وأمرُه بإمامة الصلاة في قصة بني عمرو بن عوف وما أشبه ذلك، وكان أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق أتمَّ استعداداً للخلافة، وكانت خلافتُهما حقاً بالنظر إلى حديث حذيفة: «**إنْ تستخلفوا أبا بكر [تجدوه قوياً]**[١]...» إلخ.

وشهد النبي ﷺ لأبي بكر بأنّه أول من يدخل الجنّة، وبأنّه رفيقه ﷺ على الحوض، وينادى له من جميع أبواب الجنّة، وبأنّه أكثرُ الناسِ جهداً في أنواع البرّ، وكان جبرئيلُ مع أبي بكر بمعية ميكائيل في غزوة بدر، ومَنْ كان متّصفاً بهذه الصفات كان أقربَ الناسِ إليه ﷺ في المنزلةِ، ومن كان أقربَ الناسِ إلى النبي ﷺ كان أحقَّ الناس بالخلافة.

وأخبر النبيُّ ﷺ بوجود صلاحية النبوة في عمر الفاروق في قوته العلمية والعملية.

أما **العملية** فموضعها ما قال فيه: «**يفرُّ الشيطانُ منه...**»، و«رؤيا القميص»[٢] وما أشبه ذلك، وهذا شبيهٌ بالعصمة ورديفها.

وأما **العلمية** فموضعها ما قال فيه: «**الحقُّ ينطِقُ على لسانِ عمرَ**»[٣]، وقال: هو محدَّث الأمة، وقصّة رؤيا اللبن، وموافقة رأيه للوحي، وهذه الخصلة تلو الوحي ورديفه.

---

(١) انظر: «العلل المتناهية» (ح: ٤٠٧)، قال الدارقطني: تفرّد به الحسن بن قتيبة، عن يونس، عن أبيه، والحسن متروك الحديث.
(٢) انظر للتفصيل: «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٣/ ١٥٥).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٢٩٦١).

فحينما انقطعت النبوةُ كان أحقُّ بالخلافةِ مَنْ كان استعدادُه شبيهاً باستعداد الأنبياء، وقال النبي ﷺ: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عمرَ**»[(١)]، فلا بدّ أن تكونَ خيريَّتُه على الجميع ثابتةً محقّقةً في وقت من أوقات حياته، وأن يكون خليفة في أواخر حياته، فتكون خلافتُه حقاً.

ودعا النبي ﷺ لعمر الفاروق: «**عِشْ حميداً، ومُتْ شهيداً**»[(٢)]، فلو كان أنه غَصَبَ وظَلَمَ، كيف تيسّر له العيش الحميد، وقد صرَّح النبيّ ﷺ في أحاديث مستفيضة: «**خيرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثمّ يظهر الكَذِبُ**»[(٣)]، فلو كان أبو بكر وعمر وعثمان غاصبين وجائرين وقد أعانهم أكثر الناس على الظلم، لما كانوا على الحق والهداية، وكانت قرونُهم شرَّ القرون.

وأما لزوم اجتماع الأمة المرحومة على الضلالة فهو من جهة أنّ الإجماعَ قد وقع على خلافة أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق، وبايعتهما الأمة المرحومة بأجمعها، وعاملتهما معاملة الرعية للخليفة، وخاطبتهما بلفظ: «الخليفة» و«أمير المؤمنين»، فلو كانا حقيقين بالخلافة فهو المطلوب، ولو لم يكونا حقيقين بها كان الجميع عصاةً وفاسقين وكاذبين وضالِّين، وكانوا شرّ خلق الله، وهذا باطل، إذ إن الله تعالى قال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**لا تجتمعُ أُمَّتِي على الضلالةِ**»[(٤)]، وقال:

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٥٥٨) عن ابن عمر، والرواية بكاملها: أن رسول الله ﷺ رأى على عمر قميصاً أبيض فقال: «**ثوبُكَ هذا غسيلٌ أم جديدٌ؟**» قال: لا، بل غسيل، قال: «**البس جديداً، وعِشْ حميداً، ومُتْ شهيداً**».

(٣) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٨٧) برقم: (٩٢٢٢).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٠٠) برقم: (٣٩٣).

«خيرُ القرونِ قرني»[١] الحديث.

ومن جهة المتكلِّمين بكلمة الإسلام (المسلمين)، فإنهم متفقون على أنَّ الإمام الحق بعد النبي ﷺ إما أبو بكر وإما علي، فلا يخرج الحَقُّ عن هذين القولين.

وتركُ عليٍّ المرتضى المنازعةَ لأبي بكر الصدِّيق في أمر الخلافة، فتعيَّن أن أبا بكر هو الإمام الحق، إذ إنَّ ترك المنازعة لا يخلو من حالين:

إما أن يكون بناءً على التقيَّة، وإما أن يكون بغير التقية، والتقية باطلة؛ لأن علياً المرتضى لم يكن عاجزاً بعد النبي ﷺ بحيث لا يقدر على مقاومة الصدّيق؛ لأنه كان شجاعاً بالاتفاق، وكان بنو هاشم معه، وكان أبو سفيان رئيس بني عبد شمس قد انقاد له ووافق، وكان الزبير معه، وكانت السيّدة فاطمة رضي الله عنها، بأعلى رتبتها وقرابتها من النبي ﷺ زوجةً له، وهذا من أكبر الدواعي لقبول رئاسته، وعادةً نفوس الجمهور مطمئنة بأن تكون الخلافة في أقارب الخليفة الأول.

وإنْ كان ترك المنازعة بغير التقيَّة كان عاصياً للنبيِّ ﷺ وخائناً في شأن الأمة، والعاصي والخائن لا يليق بالإمامة.

وإن قال الشيعة: إن سبعين ألفاً من العرب قد بايعوا أبا بكر الصدِّيق، والعرب لا ينقضون البيعة، ولا يرجعون عنها، فهذا باطل، إذ إن سبعين ألفاً من الناس قد بايعوا عليّاً المرتضى في أيام خلافته، ثم نقضوها، ورجعوا عنها، ثم مبايعة سبعين ألفاً لم يكن دفعة واحدة، إذ لم يبايعه في أول البيعة غير أشخاص معدودين، فكان عاصياً لترك المنازعة قبل البيعة الأولى وبعدها قبل تمام أمر الخلافة.

---

(١) انظر: «موطأ مالك» (٣/ ٢٩٥).

وإن قالوا: كان مشغولاً بمأتم الرسول ﷺ.

قلنا: كان عاصياً لترك المصلحة العامّة لأجل عمل لم تترتّب عليه فائدة.

ومن جهة أن الأمة قد اتفقت على أنّ الإمام الحق بعد النبي ﷺ هو أحدهما، فنحن نقول: إنّ علياً المرتضى لم يكن إماماً، إذ إنه قد تواتر أنّه قال في أيام خلافته غيرّ مرّة: «خيرُ هذه الأمةِ أبو بكر، ثم عمر»[(١)]، وقولُه هذا لا يخلو **من ثلاثةِ احتمالاتٍ**:

الأولى: أن يكون قلبه موافقاً للسانه في هذا القول، وهو الحقُّ، وبه يثبت المطلوب.

والثاني: أو يعرف هو خلاف ذلك، ولكن كان يقول ذلك بغير ضرورة، وبدون تقية أمام جماعة، ثم يقول خلاف ذلك أمام جماعة أخرى، فكان مدلِّساً وخائناً وإمعةً، ولا يستحقُّ المدلِّس والخائن والإمّعة بالإمامة.

والثالث: أو كان ذلك كله بناءً على التقية، ولا مساغ للتقية في خلافته، ولو كان ـ رغم ذلك ـ مُكْرَهاً على ذلك، لكان ينبغي له أن يكتفي بقدر الإكراه، ولا يبالغ في وصف حالهما.

ولو جازت التقية مع وجود الخلافة والشجاعة والشوكة والقيام بقتال جميع أهل الأرض يمكن أن يقال: إنَّ الجماعة الذين كانوا يسبّون الشيخين كان المرتضى ينكر عليهما أمامهم خفيةً بناءً على التقية، فتحقّق كلام «خير الأمة» في حقّهما، وما سوى ذلك تقية، ويمكن أن يقال أيضاً: إن إظهار الإسلام وإقامته للصلوات الخمس، والخوف من جهنم،

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٤٥).

صدر كلُّ ذلك منه بناءً على التقية، ولا شكَّ أنَّ الكراهة بتركه للإسلام أشدُّ من الكراهة الناشئة من إنكار الشيخين، فيرتفع بذلك الأمن من إسلامه فضلاً عن إمامته.

وكلُّ ذلك يجرُّ من المفاسد والمساوئ ما لا يتصوّره مسلم، فثبت بذلك أنّ الخلافة كانت من حقِّ أبي بكر ومن حق عمر من بعده بهذا الدليل نفسه.

ومن جهة أخرى، فإنّ الخلافة لا تخرج عن شخصين: أبي بكر وعلي، ولم يكن علي خليفة بعد النبي ﷺ، فتعيّن أبو بكر للخلافة، والدليل على أن عليّاً لم يكن خليفة بعد النبي ﷺ هو أن الخلافة تنعقد إما بنصّ الشارع، وإما بالبيعة، وإما بالتسلُّط، وأقوال الأمة تنحصر في هذه الثلاثة، وكلّ هذه الثلاثة مفقودةٌ في علي المرتضى رضي الله عنه، وموجودة في أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، أما البيعة والتسلّط فلا يخفيان، وأما النصّ فهو من جهة أنّه لو كان نصٌّ في خلافة علي المرتضى عنده أو عند غيره من الصحابة ورأوا صرف الخلافة منه إلى غيره لأظهروا هذا النصّ لا محالة، واتهموا السعاة للخلافة، وإلا كانوا عصاةً، والعادة تقتضي نقل صورة هذا الاتهام، ولا سيّما بعد وفاة الشيخين، وقيام المرتضى بالخلافة، ووقوع المشاجرات العريضة، وإذا كان ذلك كذلك فلا بدّ أن يطلع علي المرتضى على هذا النصّ ولا ينكره، ولكنه أنكر وجود أي نصّ فيه.

وأما ارتفاع الأمن من أحكام الشرع، فهو من جهة أنه لو لم تكن خلافة أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق حقاً، ولو كانا استوليا عليها غصباً وجوراً لكانا هما وأعوانهما[1] فسّاقاً ضالِّين، ولو كان الأمر كذلك

---

(١) وكان علي رضي الله عنه من أكبر أعوانهما.

لارتفع الأمن من القرآن والسنن، إذ إنَّ القرآن تحقّق جمعه في المصحف بأيدي الشيخين وأعوانهما، ومعظم السنن رُويت عن الشيخين وأنصارهما.

ولو سكت غيرهم على النهي عن المنكر لكان ذلك؛ إما بناءً على التقية أو بغير التقية، فلو كان بغير التقية لكانوا أفسق خلق الله، ولو كان بناءً على التقية فكل ما وافقوا عليه كانوا فيه متّهمين بالتقية أيضاً، وما خالفوا فيه وأخفوه هو غير مرضي عند الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور: ٥٥]، ويقع هنا مع ذلك تعارض من غير ترجيح، ولا تبقى حجّة بيد الأمة، وكان هؤلاء لغواً، ولم يقع بهم تبليغ للدين.

فإن قال الشيعة: علمنا أحقّية القرآن بتلاوة الأئمة له.

قلنا: يحتمل أن يكون ذلك بناءً على التقية.

وإن قالوا: علمنا بناءً على حفظ الله تعالى له، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يوسف].

قلنا: ومن هنالك عُلم إمكان الاعتماد على حفظ الله تعالى، فلماذا يلزم وجود الإمام المعصوم؟

وإن قالوا: عرفنا أحقِّية الأئمة بالمعجزة.

قلنا: لم يثبت نقل أيّ معجزة عنهم بطريق التواتر والشهرة والاستفاضة، وإن ثبت شيء من الكرامة فهو بطريق خبر الواحد بغير التحدّي، ومثل ذلك منقول عن الشيخين أيضاً.

وهذا الكلام يقتضي أن يفصّل فيه بعض الشيء وهو أن حجّة التكليف بدون معرفة المكلَّف به لا تتمّ ولا تصحّ، ولا تتحقق هذه المعرفة بدون نقل ثابت عن صاحب الشرع.

وإذا حكَّمنا العقل في معرفة تفصيل النقل يقضي بالضرورة بأن يكون النقل على نوعين.

النوع الأول: ما يقال له في الشرع: «بُرْهَانٌ»، «عندكم فيه من الله برهان»، واليقين المعتبر في الشرع يتعلّق بهذا النوع من النقل، لا اليقين الذي يذكره المتكلمون، والتسنّن والابتداع منوطان بموافقة ومخالفة هذا النوع، والتفرّق المحرّم والاختلاف المذموم الذي هو عبارة عن اختلاف الأمة يدخل في هذا النوع، ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، و«**مَنْ أحدثَ في ديننا ما ليسَ منه فهو ردٌّ**»، محمول على هذا النوع، وهذا النوع عبارة عن النصّ الصريح من كتاب الله، والحديث المشهور المنقول بطرق متعدّدة برواية رجال عن رجال في كلّ طبقة، وخبر الواحد الذي تحف به القرائن إلى مرتبة اليقين يدخل في حكم الحديث المشهور، وهذه القرائن تكون مفهوماً موافقاً ومخالفاً لكتاب الله، أو يكون حكم العقل الصريح موافقاً لمضمون الخبر أو القياس على أصول شتَّى وما أشبه ذلك، وإجماع الأمة المرحومة، ولا سيّما إجماع الطبقة الأولى من الأمة، والقياس الجلي على هذه الأمور المذكورة.

والنوع الثاني: هو **أخبار الآحاد**، التي وقع الخلاف بين العلماء في تصحيحها وتضعيفها، والأقيسةُ المتعارضة والأخبار المتناقضة في تطبيقها التي حارت بها الأمة وارتبكت، والاستدلالات الضعيفة التي تكلّمت العقول في ردّها وقبولها، وحُكْمُ هذا النوع أن تُصْرَف الهمّة إلى موافقة صاحب الشرع، ثم يختار للعمل ما يغلب الظنّ عليه بعد استفراغ الجهد، وقد أخذنا هذا الحكم الكليّ بإجماع الأمة أيضاً، والمختلفون في هذا النوع كلهم مصيبون، أو أحدهم مصيب والثاني مخطئ معذور.

ولا مجال للتفسيق هنا بناءً على اختلافهم في ذلك على قولين، واختلاف الأمة في هذا النوع رحمة وسعة.

وعُلم بضرورة حكم العقل أن الأصل في التكليف هو النوع الأول، والقسم الرابع من النوع الأول وهو القياس الجلي تفرّع عن الأقسام الثلاثة الأولى، فمن كان منكراً لخلافة الشيخين، بل المشايخ الثلاثة، ويطعن في هؤلاء المشايخ بالفسق والكفر، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكة والناس أجمعين، وهم في الحقيقة يستأصلوا أصل الدين، ويريدون خلع ربقة الإسلام عن أعناقهم، إذ إنَّ كتاب الله تحقّق جمعُه في المصحف بجهود الشيخين، وعثمان ذو النورين هو الذي جعل المسلمين متفقين عليه، فلو كان هؤلاء قد أخذوا الخلافة بالجور والغصب، وخوّفوا من نُصَّ على خلافته، وتركوا فريضة من فرائض الله، لكانوا أفسق خلق الله، ومن أشرار الناس، كذلك من عاونوهم في شؤون الخلافة، فكيف يكون نقلهم معتبراً ومعتمداً عليه، وإن اعتبرنا التواتر فذلك هو المطلوب لدينا، إذ إن خلافة هؤلاء المشايخ ثابتةٌ بنقل متواتر، وإن سمعنا إلى نقل بعض الأشخاص ممن يثق به هؤلاء الملحدون من منكري خلافة هؤلاء الخلفاء، فإنه لم يثبت منهم تحمل نقل القرآن والأحاديث المشهورة، ولا بطريق الخبر الواحد، وإن كان ـ بالافتراض ـ مروياً بطريق ضعيف، من حيث لا يعرفه أحد من مهرة العلم وأئمته، فأين يبلغ نقل هذا إلى مرتبة نقل النوع الأول، والأحاديث المشهورة ثابتةٌ من نقل المشايخ الثلاثة وأعوانهم، والقائلين بخلافتهم، فنقل أي واحد من غيرهم من رواة الشيعة لا يصلح للاعتماد، وإن اعتمدنا التواتر فيرجع سهمهم إلى صدورهم، ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وكلمة «إجماع الأمة» مجملةٌ، فإذا قمنا بتحليلها لم يثبت في غير زمان الخلفاء الثلاثة، ولا انعقد بغير حكمهم، وعليه فلا اعتبار له.

بالجملة: فإنه لو لم يكن بأيدينا شيءٌ من شريعة نبينا محمد ﷺ من النوع الأول، وتعمل الأمة بظنونها وأوهامها، ولا يتمّ ثبوت العمل بالمظنون في جزئيات الشريعة إلا بإجماع الطبقة الأولى، وهذا لا يوجد، فلا يكون أحدٌ اليومَ مكلَّفاً بحكم الشريعة، فلعنة الله والملائكة والناس أجمعين على هذه العقيدة الباطلة.

وأما مخالفة حكم العقل الصراح فإنه من جهة أنَّ بعثة النبي ﷺ بالشريعة الغرّاء كانت نعمةً عظيمةً ولطفاً جسيماً، وجُوِّز لأجل هذه قتال بني آدم لأجل هذه المصلحة الذي وإن كان قبيحاً لذاته، فإذا خرجت الأمة بأسرها من الإيمان بعد النبيِّ ﷺ، وسلكت طريق الضلالة إلا شرذمة قليلة في غاية القلّة لم تكن هذه النعمة نعمةً عظيمةً، ووقوع القتال لأجل هذه الفائدة بأن يسلموا في عهد النبي ﷺ، ويرتدُّوا عنه بعد قليل من المدة، أو يختاروا مجرد صورة الإسلام بغير أن ينفعهم في الآخرة كان غبناً عظيماً وقبحاً فاحشاً، ولو كان هؤلاء أو أكثرهم على الحق، فلماذا لم ينكروا المنكر؟ ولماذا استسلموا للجائر الغاصب؟.

ينبغي أن يُحكَّم العقل في هذا الموضع لبرهة، تدبّر أن المجاهدات التي تجشّمها النبي ﷺ لإعلاء كلمة الله، هل كان ذلك لمجرّد أن تدخل جماعة من المسلمين في الإسلام من باب وتخرج من باب آخر؟! وقتل الأعداء وشنّ الغارة عليهم وسبي نسائهم وذراريهم هل كان كل ذلك لمجرَّد تلفّظهم بكلمة الإسلام من غير أن ينالوا منه نصيباً في الآخرة؟!

وإن قالت الشيعة: إنَّ النبيَّ ﷺ قد أراد «الخيرية» لجميع المسلمين في الدنيا والآخرة باستخلاف علي المرتضى وأولاده، فظلموا أنفسهم بإخافة الإمام قصداً من عندهم.

قلنا: إنَّ مقتضى العقل الصُّراح أن ترتيب الموجودات، وتسلُّط

الملوك، وما يشبهه بحسب العناية الأولى أصلٌ بمنزلة الطعام، وإنَّ إلهام العلوم الحقّة والسنن الراشدة لإصلاح العالم في قلب أزكى خلق الله، وإجراء هذه العلوم منه في قلوب الحواريين ومنها في قلوب عامَّة الناس طبقةً بعد طبقة، هو إصلاح بمنزلة الملح في الطعام، فالشرائع كلّها إنما ظهرت في الخارج مطابقة لاستعداد الكائنات الخارجية، ولا يليق بحكمة الحكيم الأعلى ﷻ ـ بالقطع ـ أن يكون مدار تحقق اللطف الإلـٰهي ـ الذي اقتضى إرسال نبيِّنا محمد ﷺ ـ على خلافة المرتضى وأولاده، مع أنه قد تقرّر في العناية الأولى ألّا ينتصر علي ولا أولاده إلى يوم القيامة في أيِّ عصر من العصور، وألّا تتمكّن خلافتهم على وجهها المطلوب، بل الواقع أنَّ من يقوم من بينهم لجمع الناس حوله، ويتصدّى للقتال يكون مخذولاً بل مقتولاً، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وللخلفاء الذين هم خلفاء الأنبياء ـ حقاً ـ أسوة المرسلين، فهم المنصورون وهم الغالبون.

من الممكن أن يأمروا بالصلاة، ويوفّق لإقامتها آلافٌ مؤلّفة من البشر، وأن يبلغوا لأجل ذلك إلى مراتب عاليةً، وبالعكس من ذلك يمكن ألّا يمتثل الأمرَ بعضُ الأشقياء، الذين كُتِبت عليهم الشقاوة في العناية الأولى، ويكونون محرومين من الفيض العامّ، ولا يمكن أن يأمر الله بشيء لا يعمل به أحد من الناس في أي وقت من الأوقات ـ كما يقول الشيعة: إن عليّاً رضي الله عنه هو الخليفة الحق، ولكن لم يستخلفه أحد من الناس ـ.

ويلزم مخالفة العقل الصريح أيضاً من جهة أنّ جريان أفعال الله تعالى في العالم على نسق واحد يدلّ على بعض المعاني الدقيقة، وإن

قمنا بإحالة ذلك إلى سُنَّة الله يصحّ، وإن عبّرنا عنه بلزوم عقلي فهو أيضاً جائز، ولذلك قام العلماء المتكلِّمون في الإلـٰهيات بإثبات واجب الوجود القادر المختار العليم القدير لجريان أحسن نظام في العالم المشاهد، واعتبروا في النبوءات ظهور المعجزة بحسب دعوى النبي مثبتاً للنبوة، ونظيره من المحسوسات دلالة لبن الثدي على سبق الولادة، ودلالة خصب وريع الأراضي على سبق الغيث، ودلالة الضعف على المرض، ودلالة الجراحة على الجرح، إلى غير ذلك، فأحدث لطف الله الذي هو سبب بعثة نبيّنا محمد ﷺ أمراً في أول الوهلة، وهو أنه قد تمّ اتفاق طائفة على قبول دعوة التوحيد، وإنكار الشرك والمشركين قبل الهجرة، ثم أحدث بعد ذلك أمراً آخر متفرِّعاً عن الأول، وهو جهاد أعداء الله أولاً، ودخول أفواج بني آدم في دين الله آخراً، ثم أحدث بعد ذلك أمراً ثالثاً متفرِّعاً عن الثاني، وهو إزالة دولة كسرى وقيصر على يد الشيخين، فظهر الدين الحقّ على سائر الديانات بجهود الأمة المرحومة، بعد أن كان النبيُّ ﷺ يُبشِّر بكلّ ذلك في كلّ حالٍ، ويرغّب المسلمين فيه، فهذه الأمور كلها قد وقعت بأسلوب خاص، وهذا مثل غرس نبات، وظهور الأغصان والأوراق عنه أولاً، وظهور الأزهار ثانياً، وخروج الثمار ثالثاً، ومثل طفولة الإنسان وشبابه وكهولته، ويقوم ترتيب بعض هذه الأشياء على بعض، فلما رأينا هذا النسق الوحيد، عرفنا به أن ذلك هو اللطف الإلـٰهي الذي تظهر آثاره ساعة بعد ساعة، فبهذا النسق الوحيد يدرك العقلُ حقيقة خلافة الخلفاء بطريق الحدس، مثلما نعرف بترتيب الأزهار والثمار أنَّ غاية البستاني من وراء غرس الشُجيرة هو الثمر وحده، ولطف البستاني الذي اقتضى غرس الشُجيرة قد اقتضى هو نفسه الأزهار والثمار أيضاً، فكذلك نزول القرآن آياتٍ بعد آياتٍ، وترتيبه بعد ذلك سورةً بعد سورةً، ثم جمعه بكامله في المصاحف، كل ذلك نسق واحد، وكذلك

ظهور أصل علوم الأحكام من صدره الشريف ﷺ، بعد ذلك بلحوق القياس به والإجماع تورق الشجرة وتثمر، وكذلك ظهور علم الإحسان من داخل صدره الشريف ﷺ، ثم بعد ذلك ظهور أزهار هذه العلوم الإحسانية من الخلفاء، وهذا ترتيب واحد متناسق، يُبشِّر أوله بآخره، ويدلّ آخره على أوّله.

ويلزم مخالفة العقل أيضاً من جهة أن جميع المسلمين بايعوا الخلفاء، واتفقوا على خلافتهم، ثم تحقّق بعد ذلك على أيديهم قتال المرتدين أولاً، وجهاد الفرس والروم ثانياً، ثمّ جُمِعَ القرآن بعنايتهم، واتفق العالم الإسلامي عليه، وأزالوا الكفر من بلاد الشام والعراق واليمن، ونُفِّذت الحدود، وظهرت الصلاة والصوم وتلاوة القرآن واتفاق المسلمين بعضهم مع بعض، وكل شيء مما لم يكن له عين ولا أثر ولم نسمع به قبل بعثة النبي ﷺ قد ظهر وتحقّق بفضل بعثته ﷺ، وانتشر في جميع أقطار الأرض، وهذا من الأمور المتفق عليها في الأمة، فيحكم العقل الصُّراح المجرّد عن أي شائبة من التعصُّب أن هذه الخلافة حقّ، ولم تقع معصية الرسول ﷺ في انعقادها، ولم يحدث أيُّ تقصير في تكميل مقاصد الخلافة، إذ إن الأصل في اتفاق السواد الأعظم من الأمة المرحومة هو الموافقة لأمر النبي ﷺ وعدم عصيانه، ونبيُّهم مكي والقرآن الذي هو إمامهم مكي ـ أي: نزل في لغة قريش ـ، ولو كان وقع خلاف بين الأمة لكان ذلك إما بعارض الهوى، أو بسبب الجهل، ويستبعد العقل الصراح عارض الهوى بمجرّد وفاة النبي ﷺ بدون وقوع أيّ أمر مثير لقوتهم الغضبية غاية الاستبعاد، ولا يُعلم تقدُّم الحقد الذي يسبّب هذا الانحراف، وجهل السواد الأعظم للنصّ بعيدٌ جدّاً، ولو سلم أن النص كان وارداً في علي ﵁، وكان السواد الأعظم غافلين عن النصّ فلِم لم يُظهِرْه أهلُ الحقّ ـ أي: في زعمهم ـ؟ وأي خوف جعلهم

مجبورين على كتمان الحق، سبحانك هذا بهتان عظيم!!

وعرفنا خيرية أفعالهم لموافقتها للقرآن، ويقضي العقل أنّ هذه كلها خير وحق قطعاً، ولا مصلحة للشرع في تأثيم الآلاف المؤلّفة من أصحاب رسول الله ﷺ في أمر معلوم الرشد لموافقة القرآن، وذلك لمجرّد أن تصدّى للخلافة رجل إزاء رجل، وأيُّ مصلحةٍ تكون في إيجاب الاستخلاف لشخص لا تقوم خلافته؟.

وإنَّ الشخص الذي ضاعت الخلافة من يده يتعلّق أصحابه وأقاربه بكل حشيش، «الغريق يتعلّق بكل حشيش»، ويرمون آخر سهمهم في جعبتهم، ولا يستبعد أن يحملهم حبّ الجاه والسلطان على ادّعاءٍ كاذبٍ، ويُرشدهم إلى الإقدام على مخالفة الجمهور، ومقتضى العقل المجرّد أن يكون الاعتماد على الظاهر إلا أن تكون القرائن القوية تصرِفُ عن الظاهر، فإذا رأينا النار ـ مثلاً ـ تشتعل وتلتهب جزمنا بوجودها رغماً عن احتمال وجود جوهرٍ يشبه النار، [فلا نترك الظاهر] إلا أن نطّلع على خطأ حسِّنا، وإغماض العينين عن النار إلى شبيهها بمجرَّد الاحتمال، وعدم الاعتبار ـ بتوقُّف طبخ الطعام عليها ـ جنونٌ محضٌ.

وأما لزومِ التناقض في مصالح الشرع، فهو من جهة أن الشيعة يقولون: إنّ اللطفَ واجبٌ على الله تعالى، ويقتضي لطفه أن يكون للملّة حافظ وأمين، ولا بدّ لهذا الحافظ من أن يكون عالماً معصوماً، ولم يكن غير علي المرتضى معصوماً، فتعيّن أن يكون هو إماماً.

ونحن نوافقهم في المقدمة الأولى والثانية بتغيّر يسير، فنقول: إن الله متّصف باللطف، كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ١٩]، ووعد بحفظ القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝١٢﴾ [يوسف]، وَوَعْدُه واجبُ الوقوع، ونقول: يقتضي لطفه أن يكون للملّةِ

محافظٌ، والمحافظ يحتمل أن يكون أحد من ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون الله نفسه متكفّلاً بحفظها، فيُحدِثُ أحوالاً من الغيبِ دفعةً بعد دفعة، بأن يلقي في قلبِ شخصٍ داعيةَ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي قلب قومٍ داعية الانقياد له، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف]، وقال رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ في كلِّ مائة في هذِهِ الأُمّةِ مَنْ يُجَدِّدُ دينها**»(١).

والثانية: أن تكون للأمة المرحومة من حيث المجموع ميزة وخاصية تجعلها لا تجتمعُ على ضلالة، كما قال رسول الله ﷺ: «**لا تجتمعُ أُمَّتي على الضلالةِ**»(٢).

والثالثة: أن يُعيِّن شخصاً لإقامة الدين.

وكما أنّ الشيعة يقولون: إنّ مهبط اللطف هو ظهور الإمام المعصوم، وهو أكمل أنواع اللطف، وتارةً يخفى وجوده، وهذا أيضاً لا يخلو عن أصل اللطف.

نقول نحن: إنَّ الله تعالى يجمعُ بين كلٍّ من الأنواع الثلاثة للحفظ مرةً، وهو أكمل أنواع اللطف، ويوجد هذا في أيام خلافة الرحمة وخلافة النبوة، ويكتفي بالنوعين الأوَّلين مرةً أخرى، إذ إنّ أصل اللطف يُؤدّى به.

ونوافقهم في المقدمة الثالثة أيضاً بتغيّر يسير، فنقول: إن اقتضى

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/٥٦٨) برقم: (٨٥٩٣) ولفظ الحديث هكذا: «**إنَّ اللهَ يبعثُ على رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ مَنْ يجدِّدُ لها دينَها**».

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/٤٤٧) برقم: (١٣٦٢٣) بلفظ: «**لن تجتمعَ أُمتي على الضلالةِ أبداً**»، والحاكم في «المستدرك» (١/٢٠٠) برقم: (٣٩٣) بلفظ: «**لا يجمَعُ اللهُ أُمَّتي على الضلالةِ أبداً**».

لطفُ الله تعيينَ شخص يكون حافظاً للملّة فلا بدّ له من أن يكون مبشَّراً بكثرة العلوم، وعلوّ الدرجة في الآخرة، لكي يتحقّق لطفه تبارك وتعالى، والعصمةُ بمعنى ما يُثبته الشيعة لا يلزم، يمكن أن يكون في أول عمره فاسقاً أو كافراً، ثم يتوب إلى الله بتوفيق منه ﷻ، ويُخبر النبي ﷺ بحُسْنِ خاتمته، ويُبيِّن حُسْنَ حاله ومآله تصريحاً وتلويحاً، ولكن هنا شرط مطلوب آخر، وهو أن يكون الإمامُ ظاهراً منصوراً، لأنّه إن كان مختفياً يلزمُ التكليف باتّباع شخصٍ مجهولٍ لا يأمر ولا ينهى. وإن كان مخذولاً، لم تكن عاقبة نصبه خيراً، بل كانت شرّاً، وكان ترك نصبه أقربُ إلى اللطف من نصبه، ولا يؤاخذه الله تعالى في الصورة الأولى بترك الواجب وفعل الحرام، ويؤاخذه في الصورة الثانية.

وبعد تمهيد مقدِّمات نقول: إنّه لا بدّ أن يكون الإمام الحق موجوداً بعد وفاة النبي ﷺ «اتفق عليه الموافق والمخالف»، وهذا الإمام هو أبو بكر الصدّيق، ثم عمر الفاروق؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما مُبَشَّر بالعلم والفلاح والصلاح، وكان كلٌّ منهما ظاهراً ومنصوراً، ليس علياً المرتضى، إذ إنه وإن كان عالماً مبشَّراً بالجنّة لكنّه لم يكن ظاهراً ومنصوراً.

وتحقيق هذه المسألة يتوقّف على تمهيد نكتةٍ.

اعلم ـ أسعدك الله تعالى ـ أنّ الأشاعرة قالوا: إن أحكام الله لا تعلّل بالأسباب والعلل، وقد شرحوا هذه المسألة بأسلوب يؤشِّر إلى أن إرسال الرسل، وإنزال الكتب، ونسخ الشرائع السابقة، وتغيير العادات الجاهلية لا ينبني على مصلحة مرعية، فالإرادة التي هي عبارة عن ترجيح أحد المقدورين فعلت فعلها.

لا نسلّم بهذا القول بصورته وهيئته هاتين، نعم! إنَّ السبب الذي

يُوجِبُ تكميلَ الذات مردودٌ في نفسه، ولكنَّ المصلحة التي مرجعُها لطف بالعباد، ورَبْطُ بعض المسبَّبات بالأسباب واقعةٌ مقبولةٌ.

أصل مذهب الفقهاء سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو غيرهم هو معرفةُ علل الأحكام باعتبارٍ مناسبٍ، ومعرفة المعاني المناسبة، واعتبر الله تعالى ـ مثلاً ـ حفظ النفس، والمال، والعقل، والعرض، والملّة من الضرورات، وجعل القصاص، وحدود السرقة، والشرب، والقذف، والارتداد، دائرةً عليها، ومشروعية الصلاة والصوم والزكاة والحج لتهذيب النفس، وخروجها من أسر البهيمية إلى فضاء المَلَكِيَّة الواسع المهيب، وهذا أمر مقرَّر لا خفاء فيه، ومفاسد الكبائر من الذنوب معقولة، وقام الإمام الغزالي في باب التوبة بالتصريح بهذا أيما تصريح.

وإن مررنا بكل ذلك، وقمنا باستقراء الأحكام، وإعمال الذكاء والفطانة فيها، اضطُرِرنا باليقين إلى معرفة مصلحة مطلوبة، ومفسدة مطرودة عند الشارع، مثل ما قمتُ بتقرير معظم هذه المطالب في [كتابي] «حجة الله البالغة».

وإن مررنا بكلّ ذلك أيضاً رأينا في القرآن والحديث أخباراً كثيرة من باب المصالح والمفاسد قد وردت بكلٍّ بسط وتفصيل، فقد قال الله تعالى في صدد إرسال الرسل: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۝١٣٤﴾ [طه]، وجاء في حديث قدسي: «**إنَّ اللهَ خلقَ بني آدمَ حُنفاءَ، وإنَّ الشياطين اجتالتْهم**»[1]، وورد في حديثٍ آخر: «**إنَّ اللهَ نظر إلى أهل**

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

الأرض فَمَقَتَهُم عربَهم وعجمهم»[١]، وفي حديث: **«وإنّي بعثتُك لأبتليَك بهم، وأبتليَهم بِكَ»**[٢]، وورد في حديث: **«مَثَلُه ﷺ مَثَلُ مُنْذِر جَيْشٍ»**[٣].

وقد اشتهرت هذه المقدِّمات بوجه اضطرّ أهل السُّنَّة إلى إثباتها وفق قاعدتهم، التي هي عبارة عن التزام مدلول الحديث المشهور، والواقع أنّ مذهب السُّنَّة لا يكون قول الأشاعرة ولا قول الماتريدية، كل ما ثبت بنصّ الكتاب والحديث المشهور وإجماع الأمة، والقياس الجلي، هو السُّنَّة وحدَها، ولو كان قائله سُنياً أشعرياً أو غيره.

والأغلبُ عند الفقير أنّ مقصود الأشاعرة في هذه المسائل بعض الأجوبة الإلزامية التي يردّون بها على مذاهب المخالفين، ليس للجزم بأنَّ في الشريعة كذا وكذا.

وبعد أنْ ذُكِرَت هذه النكتة بالإجمال ينبغي أن يُعلمَ أنَّ سبب إرسال الرسل، وإنزالَ الكتب، والتكليفَ بأحكام الشرع، إنّما هو لطفٌ إلـٰهي؛ أي: لا يمكن وصولُ بني آدم إلى كمالهم النوعي بدون هذه الأشياء، وتلك الرحمةُ الإلـٰهيةُ التي كانت سبب خلق النوع البشري كشفت الحجاب عن وجهها مرةً ثانيةً، وأنزلت شريعة تُكمِّلُ أفراد البشر، وتَبْلُغُ بهم الكمال والجمال.

ومثال ذلك: أنَّ البستانيَّ يقوم بغرس الشجيرة ورعايتها، وأول رتبةِ ظهورِ أثر تربيته هو نباتُ البذرة في الأرض، وجذبها الماءَ والهواءَ من

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (٢٨٦٥)، وأحمد في «مسنده» برقم: (١٧٤٨٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٨٦٧)، وابن ماجه في «سننه» برقم: (٤٥)، والرواية بكاملها هكذا: **«كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا خطبَ احمرّتْ عيناه، وعلا صوتُه، واشتدّ غضبُه، حتى كأنّه منذِرُ جيشٍ»**.

الأطرافِ والجوانب، والثانيةُ أنَّ هذه التربية نفسَها سببُ ظهور الأغصانِ والأوراقِ في الشجر، والثالثة أنّها تُوجِبُ وجود الأزهار والثمار، وأيضاً إنَّ هذه التربية تكون سببَ زيادة أجزاء الشجر أولاً، وتكونُ هي نفسُها سببَ نضرة أجزاء الشجر، وظهور التخاطيط العجيبة في الأوراق والأزهار ثانياً، وهكذا جعل الله الذي هو مدبّر السماوات والأرض الطعامَ سببَ زيادةِ أعضاء الطفل في المرحلة الأولى، ثم يكون هذا الطعام سبب ظهور جماله وحسنه، وحركاته وسكناته الخاصة بنوعه في المرحلة الثانية، فالتشريعُ تتمّةُ التقديرِ، وتكليفُ الشرع تتمّةُ تكوين النوع.

وبعد أن رسخت هذه النكتةُ في الذّهن نتوجَّه إلى أصل الغرض، قال الله جلّ وعلا في كتابه العظيم: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٩﴾ [الصف]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ﴾ [النور: ٥٥]، وقال النبيُّ ﷺ في حديث عدي بن حاتم، وأبي ذر، والمقداد، وغيرهم حتى صار مشهوراً: «**وليتمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتّى يدخلَ في كلِّ بيتٍ مِنْ مَدَرٍ أو وَبَرٍ بِعِزِّ عَزِيزٍ أو ذُلِّ ذليلٍ**»[١]، ألفاظُهم شتَّى، والمعنى المشتَرَكُ واحدٌ.

الدين الحق هو الذي أصبح ممكَّناً، وأصبحَ كاملاً، والذي دخل في بيوت الوبر والمدر شرقاً وغرباً، ولا شكَّ أنَّ أبا بكر الصدّيق وعمر الفاروق وعثمان ذا النورين سيطروا على وجه الأرض، وفتحوا بلاد الروم والفرس، وجمعوا القرآن، وانتشر هذا القرآنُ نفسُه في سائر العالم، وراجت مسائلهم الإجماعية في جميع الآفاق، وأكثرُ أهل

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٦٩٩٨) عن تميم الداري بلفظ آخر، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٩١) برقم: (٦٦٩٩) عن المقداد بن الأسود بلفظ آخر كذلك.

الإسلام اختاروا مذهب السُّنَّة، سواء كانوا محدِّثين أو فقهاء أو قرّاء أو مفسِّرين أو ملوك الأرض، ولم تنتظم الخلافة على سادات أهل البيت حيناً خلا علي المرتضى وحده، ولا يخفى على أحد ما شاهد علي المرتضى في أيام خلافته، وما ابتلي به من صعوبات وشدائد، وكانت أيامُ خلافة علي المرتضى بحسب مذهب الشيعة أيامَ الابتلاءِ والتقيّةِ والخوفِ، ولمَّا انتقل إلى دار البقاء بعد أربع سنوات، حاول بنو أمية محاولاتٍ جبارةٍ في إخفاء أمره، واستئصال أصل خلافته، ولم تستقرّ الخلافة على سيّد من سادات أهل البيت بعد علي المرتضى قطّ، وإن خرجوا قُتِلوا في أول جَمْعِ الرجالِ ونَصْبِ القتال، إلى أن آذنتِ الدّنيا بالصَّرْم منه، وما زال قائل هذا المذهب مخذولاً مطروداً كما هو مصَرَّحٌ في كلامهم ـ أي: الشيعة ـ.

ليُنْصَف الآن: أديننا ممكَّن أم دين الشيعة؟ أديننا متمَّمٌ أم دين الشيعة؟! واللطف الإلـهي المقصودُ من وراء بعثة النبي ﷺ ونشر دينه أظهرُ في حق مذهب أهل السُّنَّة أم في حق مذهب الشيعة؟! ونصبُ إمام مختفٍ خائفٍ لا يتمكَّنُ مِنْ عرضِ مذهبه على رؤوس الأشهاد أصلاً لطفٌ إلـهي أم تسليطُ مَلِكٍ يظهَرُ كالشمس في رابعة النهار، ويقوم بتقرير دينِهِ جهراً، ويخضع العالَمَ مِنْ شرقِهِ إلى غربِهِ لطاعته؟! ومدار هذا اللطف الجسيم هو شيوعُ الدين في أقطار الأرض أم هو نصب إمام مستور مخذول هو سببُ تأثيم جميع العالم؟! ولو كان ـ بالافتراض ـ مدارُ هذه البشارات المتواترة تصوير الإسلام بغير حقيقته لم يكن ذلك لطفاً ورحمةً؛ بل كان تدليساً، وإرادةَ الشرِّ لطوائفِ بني آدم.

السؤال: إن قلت: إنّ الدليل الذي قمتَ بتقريره لا يُثبت مدّعاه إلا أن يكونَ المعارِضُ لا يقوم بتقديم أدلّة أخرى بإزائه، لكنّ الشيعة

يقولون: قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، وكان علي المرتضى من أولي أرحام النبي ﷺ، وليس أبو بكر الصدّيق، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقد صرّح أئمة التفسير بأنَّ الإشارة إلى علي المرتضى، وقال النبي ﷺ يومَ الغديرِ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مَوْلَاهُ**»[١]، وقال ﷺ يوم خرجَ إلى تبوك: «**أنتَ مِنِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى إلّا أنّه لا نبيَّ بَعْدِي**»[٢]، وقال ﷺ: «**إنِّي تاركٌ فيكم ما إنْ تمسَّكتم به لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي**»[٣] الحديث، كل هذه الأحاديث تدلّ على خلافة علي المرتضى، وزاد صاحب «الأساس» من الزيدية حديثاً وهو: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا[٤]، وأبوهما خيرٌ منهما[٥].

الجواب: قلنا: ظاهرُ الحديث إلى جانبنا، إذ إنّ هؤلاء المشايخ قد تصدّوا لأمر الخلافة عقب وفاة النبيِّ ﷺ مباشرةً، وانقاد جميع الأصحاب لأحكام خلافتهم، وترتبت آثارٌ جميلة على خلافتهم، ولم يرفعْ أيُّ مخالِفٍ رايةَ الخلافِ ضدّهم، ويكون اتفاقُ السواد الأعظم على الحقّ، والعدول عن الحقِّ لا يكون إلا بعرض الأهواء أو بعلّة الجهل، ووجود هذين الأمرين في السواد الأعظم بعيدٌ جدّاً، وكل ما فعلوه كان خيراً بدلالة القرآن وموافقته، وسكوت القوم تسليم ورضىً، ودعوى الخصم المدعي خلافُ الظاهر.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٣).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٠٤).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٨٨).
(٤) انظر: «الشيعة والتصحيح»، للعلامة موسى الموسوي (١/ ١٥٩).
(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٨٢) برقم: (٤٧٧٩).

إذ إنَّ حاصل مذهب الخصم هو تفسيقُ وتكفيرُ جميع الأُمّة المرحومة، ولا سيّما الطبقة الأولى منها، ولا يكونُ شيءٌ أكثر شناعةً من ذلك، وادعاؤهم وجودَ النصّ في حقّ علي المرتضى ولم يروِهِ أحدٌ من الصحابة، ولم يذكره عليٌّ ﵁ نفسُه في خطبه، ولا في محاوراته، ولم يظهر إثباتُ ذلك من أولادِهِ، وحاصلُ مذهبهم هو الإمامة بمعنى الحجّة المعصومة مفترضِ الطاعةِ، ولو كان هذا المعنى ثابتاً لكانت فرقةٌ من الفرق الإسلامية اعترفت به لا محالة.

ثمّ نقول: إنَّ علامة الوضع والاختراع تتجلّى على هذا المذهب لعدم وجوده في الدور الأول، ثم ظهر شيئاً فشيئاً على صفة الخوف والتقيّة، وكلّما بعدت الفترة من الصدر الأول بدأت هذه العقيدة تتقوّى، حتى قد ظهرت الكتب والدفاتر فيها.

ثم نقول: إنَّ سخافةَ أدلَّتهم ظاهرةٌ، وهي أنّهم تتبّعوا متشابهات القرآن والسُّنَّة، واخترعوا تأويلاتٍ ركيكةً وسخيفةً يأباها السياقُ والسباقُ.

ثم نبيّن **نكتة**، وهي أنَّ النبيَّ ﷺ إن كان ـ بالافتراض ـ قال كلمةً تدلّ على خلافة علي المرتضى، ثم ألقى خطبةً قربَ وفاته في مناقب أبي بكر الصدّيق، وأسند إليه إمامة [الصلاةِ] كان القول المتأخِّر ناسخاً للحكم المتقدِّم، أو صرفاً للكلام من ظاهره إلى معنى آخر.

وإن تنزّلنا من هذا الموضع قلنا: إنَّ النبي ﷺ كان أعقلَ مِنْ ألّا يعرف أن ذكر مناقب أبي بكر الصدّيق قُرْبَ وفاته، وإسناد أمر إمامة الصلاة إليه، يكون حجةً على ما يريد في آخر الحال، فكان ينبغي له أن يمسكَ عنه، وإلا يلزمُ تدليسٌ وتلبيسٌ، فلمَّا لم ينته عن ذلك، عرفنا بذلك أنَّ الغرض عند النبيِّ ﷺ لم يكن استخلافَ علي المرتضى.

ثم نذكر **نكتةً أخرى**، وهي أنّ ذكر استخلاف علي المرتضى لم يقع في القرآن العظيم بصريحِ اللفظِ، ولم يَرِدْ في الحديث المشهور كما يعترِفُ به المخالِفُ والموافق.

وأما الإشاراتُ الخفيّةُ في الكتاب والحديث المشهور أو الصراحة في خبر الواحد الذي تفرَّد بروايته المخالف، فالتفصيل في هذه المسألة أنّ قولَ السواد الأعظم على وجهِ ما ذكرتُه يمنَعُ ويَنْسَخُ الإشارةَ الخفيّةَ، ويصرِفُ الكلامَ من ظاهره المتبادَرِ إلى غيره بإجماع منا ومن مخالفينا، والخبرُ الواحِدُ في مقابلِ اتفاق كذا وكذا لو وقع فهو غيرُ مسموعٍ بإجماعٍ منّا ومن مخالفينا.

ثم نذكر **نكتةً أخرى**، وهي أنَّ كثيراً من الأدلّة الصريحة ليست نصاً في الاستخلاف، بل تُبيِّن استحقاقَ شخصٍ للاستخلاف، وحاصِلُ هذه الأدلّة: أنَّ هذا الشخص كاملٌ في نفسه، وتتوافر فيه شروط الخلافة، إن وقع الاتفاق عليه كانت خلافته راشدةً، وهذا ليس بعينِ الاستخلاف، ومثل هذه الأدلّة بين أيدينا لكلٍّ من الصدّيق والمرتضى، وقد ذكرنا في المقدّمة أنَّ النبيَّ ﷺ عاملَ خلفاءه معاملةَ الأمراء لولي عهده قولاً وفعلاً، فإذا تحقّقت الإمارةُ لشخصٍ في الخارج، كان ذلك أدلَّ دليلٍ على إثباتِ خلافته الراشدة، إذ إنَّ الخلافةَ الراشدةَ تشتمل على جزءين اثنين:

أحدهما: الإمارةُ، وهذه تُعْلَمُ بالحسِّ.

والثاني: أهلية الإمارة بأوصاف أودعها الله تعالى في استعدادِ هذا الشخص، وتُعلم هذه بهذه النصوص نفسها، فإذا لم تتحققِ الإمارةُ في شخصٍ رغم أهليته لها كان ذلك دليلاً على كمال الشخص في نفسه، لا على إيجاب خلافته، فلا يتحقّق غرض المستدلّ بمثل هذه الدلائل.

بالجملة: فإنّ هذه المقالةُ بمنزلة النقض الإجمالي لأدلّة المخالف، وبمنزلة التنبيه المُجْمَلِ على أسلوب التقصّي من إشكالاتهم.

ونتوجّه الآن إلى جواب مفصَّل مبسوط.

قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]، فإنْ أنصفنا وألقينا النظر على سياق الآية تجلّى كالشمس في رابعة النهار أنَّ الله تعالى يبيِّن في هذه الآياتِ فضائلَ المهاجرين والأنصار، وأنهم ـ جميعاً ـ في المرتبة العليا في الأمة يأمرهم بتواصل بعضهم مع بعض، مثل ما يعامل أهل قبيلة بعضهم بعضاً، في تأكُّد عيادة المريض، وشهود الجنائز وغير ذلك، ويسلب هذه المنزلة من غيرهم بهذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلا في حكم، وهو إن استنصر غير المهاجرين عامَّة المسلمين على الكفّار يجب نصرهم، وإلّا يفعلوه تكن فتنة وفساد كبير، وهو غلبة الكفار على المسلمين، واجتياح أصل المسلمين رأساً.

وقال بعد ذلك: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦]؛ أي: وجوب التواصل بين المهاجرين والأنصار ليس ناسخاً لتواصل الأرحام.

ما قلنا: اتركوا تواصل الأرحام، والزموا تواصل المهاجرين والأنصار، بل لزوم وصل الأرحام مُحْكَمٌ على حاله غيرُ منسوخ، والتواصل بين المهاجرين والأنصار لا يزاحِمُه، وكل منهما واجب ومطلوب.

ويدلّ السياق والسباق على أنّ المراد من ﴿أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، هو صلة الرحم **ليس التوارث**، والطائفةُ الذين زعموا معناه التوارث فصلوا الآية عن السياق والسباق، مع أنَّ الآيةَ لا مجال للمخالف لإدخال رأيه

فيها أصلاً، ولكن حملهم الزيغُ والهوى على التأويل الباطل، فقالوا: الآيةُ عامّةٌ في الأمور كلّها لصحّة الاستثناء، ومنها الإمامة، وعليٌّ من أولي الأرحام دون أبي بكر، فهو أولى بخلافة رسول الله ﷺ.

وعجيبٌ أنْ يصدرَ هذا الكلامُ من عاقلٍ، إذ إنَّ غايةَ الأمر أنْ يكونَ مطلقاً، ونسأل: أولى في أي شيء؟ هل في هذا؟ أم في هذا؟ كما نقول: زيد أفضلُ من عمرٍو، فينشأ سؤال: في أي شيء؟ أفي العلم؟ أم في النسب؟ أم في الشجاعة؟ إلى غير ذلك، فإذا كان الاستثناء كان مع علامة الإطلاق أولاً، والأول مطلقٌ، والثاني مقيّدٌ، ويحوّلون المطلق إلى القرائن، أو يذكرون القيد صريحاً، وصحة الاستثناء لا تدلّ على ذلك، إذ إنَّ الاستثناء إذا كان، قلنا ـ على سبيل المثال ـ أولى إلا في كذا، يُقدّر هنا المستثنى منه بقرينة المستثنى، نحو «قرأت إلا يوم الجمعة»، معناها قرأت كل يوم إلا يوم الجمعة، ولو قلتُ: قرأتُ، كان إخباراً عن قراءةٍ ما، كذلك هذا، وإن صحَّ هذا الكلام، لزم أن يقسِّمَ أولو الأرحام الإمامةَ فيما بينهم، بمنزلة المال إن ماتَ إمامٌ، ولا قائل به.

وهنا نكتة غالية جداً، وهي أن سُنَّتين مسلوكتان في العالم:

إحداهما: سُنَّة الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم، التي لا يجري التوارث فيها، بُعث موسى وهارون ﷺ من سبط لاوي، وبُعث يوشع من سبط بنيامين، وداود وسليمان من سبط يهودا وهلمّ جرّا. . .

والأخرى: سُنَّة الملوك، كما أنّك علمتَ من تاريخ السلاطين بالتواتر أنّ ملكاً يموتُ ويعتلي العرشَ أحدُ أولاده، وإن كان أرادَ الملكَ غيرُ أولاده تصدّى الناسُ للحرب دفاعاً لوارثِ الملك، فإذا غلبَ كانت الدولةُ تخرج حينئذٍ من عائلة السلطان الأول.

ولخلافة النبوة احتمالان:

أحدهما: أن تلحق بالنبوَّة ولا يجري التوارث فيها.

والثاني: أن تنصرفَ إلى الملوكية، ويجري فيها التوارث بمقتضى طبيعة البشر، فإنْ ألحقوها بالنبوة ينبغي أن يجعلوا الخليفة ـ من بين الناسِ ـ مَنْ يُتمّم أعمالَ النبوّةِ، وإن صرفوها إلى الملوكية مالت نفوسُهم وطبائعُهم إلى إقامة الإرث، فلمَّا رأينا أنَّ الجميع سلكوا على خلافِ السُّنَّة الجارية في الملوكية، علمنا أنَّ مرادهم إقامة السُّنَّة الصالحة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإلى هذه النكتةِ أشارَ عبدُ الرحمٰن بن أبي بكر في قصة استخلاف معاوية لابنه حيث قال: سُنَّة كسرى وقيصر، لا سُنَّة أبي بكر وعمر.

ونقول تنزُّلاً من هذا المقام: إنَّ ترك العادة الجارية المستمرّة دليلٌ على أنّهم وجدوا هناك دليلاً أقوى على خلاف العادة المستمرّة رغم ميلان الطبائع إليها.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]، سياق الآية إنما هو ذكر المرتدّين وقتالهم، وهذا المعنى ثابتٌ في حقِّ أبي بكر الصدِّيق باتفاق المفسِّرين، قاله قتادة والضحاك والحسن البصري، وأوّلُ دليل على ذلك هو تلك الحوادث والوقائع التي وقعت في العالم، وهل يوجَدُ بين المؤرِّخين من يذكر شخصاً قام بنصب القتال للمرتدّين بحشد جمع الرجال والنفير العام خلال هذه المدّة المتطاولة غير أبي بكر الصدّيق.

وتأتي لفظة «إنّما» في كلام العرب لإثبات الجملة السابقة وتحقيقها؛ يعني: لماذا تخافون، أيها المسلمون! من ارتداد العرب وجموعهم الحاشدة؟

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ مولاكم ﴿ٱللَّهُ﴾ الذي يُلهم ويُدبّر الأمور بالإلهام،

﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [المائدة: ٥٥] الذي جاء بتعليم الجهاد، والترغيب إليه في العالم، ويُغيث أمته بدعاء الخير، ووليُّكم في الظاهر المحققون من أهل الإيمان، الذين يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويتّصفون بوصف الخشوع والخضوع، ويتأهّلون لتحمّل الدعوة الإلـٰهية، وينجِزُ الله تعالى على أيديهم إصلاحَ العالم، فثبت بشهادة السياق أنَّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ نزل في أبي بكر الصدّيق، وفيه إيماءٌ إليه، وإلى الذين اتبعوه.

وإن تمسَّكنا بعموم الصيغة شمل جميعَ المحققين، ولهذا قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر حين قيل له: إنّها نزلت في عليٍّ قال: هو من المؤمنين، أخرجه البغوي.

وقال جابر بن عبد الله: نزلت في عبد الله بن سلام لمّا هجره قومه.

انظروا إلى زيغ هؤلاء المبتدعين، كيف أنّهم أرادوا ترويجَ أهوائهم الباطلة تركاً للسياق وراءهم ظهرياً، قال الزيدي في «الأساس»: المعنى لقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المائدة: ٥٥] عليٌّ وحده، لوقوع التواتر بذلك من المفسِّرين وأهل التواريخ، ورد بلفظ الجمع من باب إطلاق العام على الخاصّ، ونظيره قوله تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ٧]، والمعنيّ بها ابن أُبيّ وحده.

أما التواتر الذي يتفوّه به فهو ممتنعٌ، إذ إنَّ معنى التواتر أن تكون جماعةٌ عظيمة ـ يستحيل تواطئها على الكذب عادةً ـ أدركت شيئاً بالحسّ ثمّ أخبرت بذلك، ولا يكون الحسّ هنا غير السماع من الصادق المصدوق ﷺ، ولم يثبتْ حديثٌ مرفوعٌ في هذا الباب فضلاً عن المتواتر.

وإن كان أريد بلفظ: «التواتر» «الاتفاق» على سبيل المسامحة، دخل في حيّز المنعِ أيضاً، لما مرّ عن جابرٍ وأبي جعفر محمد بن علي الباقر، بل هذا التأويلُ أمرٌ مختلَفٌ فيه، ينبغي التأمّل فيه، إن كان على القاعدة أخذناه وإن كان على خلافها رددناه.

ثم نقول: أيّ حاجة حملت على أن يُراد بلفظ العام معنى الخاصّ؟ ولا سيَّما إذا كان المرادُ بلفظ الجمع مفرداً، لا بدّ لمثل هذا التأويل البعيد من قرينةٍ قويةٍ، وأين توجد هذه القرينة؟

أما ما يظنّ الفقير فهو أن يكونَ بعضُ الناس قد فهموا من هذا اللفظ أنَّ المرادَ به هو علي المرتضى بطريق التعريض، والتعريض أمر مختلِفٌ عن تخصيص العام، إذ العام يبقى في مقامه على عمومه، وتدلّ القرائن مع هذا على دخول فرد واحد في حكم العام، بل تدلّ على سوق الكلام له وحده، كما قد بسطنا الكلام في ذلك في فصل التعريضات، لكن هذا الرجل لا يعرف هذا المعنى بسبب قلّة معلوماته، فيحمله على تخصيص العام.

ثم نقول: إنّه يصدق التعريضُ هنا إذا وقع ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ حالاً من ﴿يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وحده، وأن تكون هذه القصةُ المخترعةُ قد وقعت من علي المرتضى مراراً وتكراراً، وكلاهما ممنوعان من ثلاثة أوجه:

أولها: أن ﴿وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾ وقع حالاً بعد فِقْرتين متناسقتين داخلتينِ في حيّز الصلة، مسندتين إلى ضمير الجمع، وهو فاعلهما، فالظاهر أنَّ يكونَ حالاً من كل من الفِقرتين، وحينئذٍ لا يبقى المعنى مربوطاً، فإنَّ صياغةَ الكلامِ تكون هكذا: «ويقيمون الصلاة وهم راكعون»، بل ينبغي أن نقول على خلاف ذلك: وهم خاشعون لله في إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، أو نقول: يقيمون الصلاة المفروضة

ويؤتون الزكاة المكتوبة وهم راكعون مواظبون على النوافل.

والثاني: أن صيغة ﴿يَأْتُونَ﴾ فعلٌ مضارعٌ يدلّ على استمرار تجدّدي، فإذا قُيِّد بالحالِ ينبغي أن يقع إيتاءُ الزكاة في حالةِ الركوع عدة مرّات، ولا تكفي مرّة واحدة، ولا قائلَ به.

والثالث: أنَّ التوجيه الذي اخترناه له تأثيرٌ كبيرٌ في تهذيب النفس، وأوفق للكتاب والسُّنَّة، إذ إنَّ الخشوع في وقت الصلاة والصدقة مطلوبٌ شرعي، ويؤيِّدُ ذلك آلاف مؤلفة من الدلائل الشرعية، وكذلك الإقامة للفرائض، والمواظبة على النوافل، ممدوحةٌ في الشريعة، وهي مدار أفضلية وأكملية أفراد البشر، على خلاف التصدُّق في حال الركوع، لا توجد أي مناسبة واضحة بمقاصد الشريعة، إلا أن تكون فيه دلالة على المسارعة في الصدقات في الجملة، وحينئذٍ من حسن العبارة أن يُقال: «وهم يسارعون في الصدقة» ولا دخل لخصوصية الركوع في ذلك حتى يدور عليه المدح والثناء.

وإن سلَّمنا أنَّ الآية نزلت في شأن علي المرتضى، كانت غايةُ الدلالة أنه رضي الله عنه ناصر المسلمين، والأمر كذلك، إذ إنَّ عليّاً المرتضى كان موفّقاً من الله تعالى كلَّ التوفيق في مشاهد النبي ﷺ حتى ظهرت أمورٌ عجيبةٌ ووقائعُ غريبةٌ على يده، مثل مبارزته يوم بدر وأُحد، وقتله لعمرو بن عبد ودّ في غزوة الخندق، وفتح حصن «خيبر» في «غزوة خيبر» إلى غير ذلك، وهذا نصرٌ للمسلمين، فمن أين فهمت الخلافة؟.

وإن قالت الشيعة: إنَّ «الولي» بمعنى «المتصرّف» في الأمور، مثل ولي المرأة في النكاح، وولي الصبي في معاملاته، وضمير الخطاب للأمة، ولا يكون ولي الأمة غير الإمام.

قلنا أولاً بنقض إجمالي: وهو إن كانت الآيةُ دالّة على إمامته في

الحال كان هو ـ بمقتضى ذلك ـ إماماً في حياة النبي ﷺ، ولا قائل به، وإن فهمنا بمعنى: «ولو بعد حين» كان في حقّنا؛ لأنّه ﷺ كان في وقتٍ من الأوقات إماماً راشداً وحقاً، وهو وقت قيامه بالخلافة.

وثانياً بتحقيق: وهو حيثما ورد لفظ «الولاية» في القرآن جاء بمعنى «النصرة» قال الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢]، وقال في المائدة: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [المائدة: ٥١]، إلى غير ذلك، وخصوصاً في هذه الآية يدلّ السياق على معنى النصرة جهرةً؛ لأنه تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذه إشارةٌ إلى النصر، ثمّ قال بعد ذلك: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]، وهذا صريحٌ في النصر.

أنصفوا: أهذا الدليل في نفسه يدلّ على وجوب خلافة علي المرتضى ﷺ، أم جاؤوا به على دعواهم المستبعدة لمرض الهوى تخفيفاً عن آلامهم وأمراضهم؟!

وقوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة]؛ يعني: الخلافة في رأي الزيدي، وأبو بكر كان ظالماً؛ لأنّه كان كافراً في أول عمره حتى بُعِث النبي ﷺ، ودعاه إلى الإسلام، وأصل القصة أنَّ الله تعالى خاطب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، بقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البقرة].

ولو أنَّ «الإمام» بمعنى: «القائد والزعيم» نبياً كان أو خليفةً أو

عالماً يُقتدى به، لكن المراد هنا هو النبي في الواقع، فمعنى الكلام أن الله تعالى جعل سيدنا إبراهيم نبياً، وبعثه إلى الناس، فسأل عليه الصلاة والسلام: اللَّهُمَّ ابعث طائفةً من الأنبياء من ذرّيتي فقال تعالى: لا يبلغ الوحي مني أو رسالتي الظالمين، وفي حكاية هذه القصة ردّ على مشركي العرب بأبلغ أسلوب لقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف].

نقول بعد أن عُلِمَ معنى الآية: إنَّ هذا المقامَ ليس موضع ذكر الخلافة قطعاً، ولا يمسّ مدلول الآية مسألة الخلافة شيئاً، بل هنا ذكر الوحي والنبوّة فقط.

وإن سلّمنا ـ جدلاً ـ فإنَّ لفظ: «الظالم» يُطْلَقُ في الحقيقة على شخص كان ظالماً عند وقوع مضمون الجملة، لا على شخص كان ظالماً في زمن ما قبله أو ما بعده، وإطلاق العصير على الخمر، والخمر على العصير مجاز بالاتفاق، ولم يكن أبو بكر ظالماً حين توليه الخلافة.

وقوله ﷺ: «**ألا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزلةِ هارونَ مِنْ موسى إلا أنَّه لا نبيَّ بعدي**»[1] منشأ هذه القصّة أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ إلى تبوك، وخلّف علياً المرتضى في البيت لمصلحته العائلية، فآلم ذلك خاطره رضي الله عنه، وحزن لعدم شهوده المعركة، وعدم مرافقته للنبيِّ ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**ألا ترضَىٰ أنْ تكونَ مِنِّي بمنـزلةِ هارونَ مِنْ موسى**».

● أخرج **الترمذي والحاكم** من حديث **سعد**: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لعليٍّ، وخلّفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله! تخلّفني مع النساءِ والصبيانِ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أما ترضَىٰ أنْ**

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/٤٠٦).

تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى إلّا أنّه لا نبوةَ بعدي»[١].

والحاصل أنَّ سيدنا موسى عليه السلام جعل هارونَ عليه السلام خليفةً له على بني إسرائيل عند غيبته عنهم، حين ذهب إلى «الطور»، فكان هارون عليه السلام جمع بين ثلاث خصالٍ:

الأولى: أنّه كان من أهل بيت موسى.

والثانية: أنّه صار خليفةً له عند غيبته.

والثالثة: أنه كان نبيّاً.

فلمّا جعل النبيُّ ﷺ علياً المرتضى خليفةً في غزوة تبوك، وقع له تشبّه بسيّدنا هارون عليه السلام في خصليتن:

أولاهما: خلافته في وقت الغيبة.

والثانية: كونه من أهل البيت.

وليس له تشبُّه به عليه السلام في الخصلة الثالثة وهي النبوة، ولا علاقة لهذا المعنى بالخلافة الكبرى التي تكونُ بعد وفاة النبي ﷺ، ذلك لأن النبي ﷺ كان يؤمِّر واحداً من أصحابه على المدينة عند كل غزوة، الخلافة الكبرى شيء والخلافة الصغرى في وقت الغيبة شيء آخر، وإن كان هذا يدلّ على أنّه رضي الله عنه حقيقٌ بأن تفوض إليه الأمور، فإن ذلك لا يخالف ما نحن عليه.

ولو كان مرادُ النبيِّ ﷺ به بيان الخلافة الكبرى لشبّهه بيوشع الذي صار خليفة موسى من بعد وفاته، ليس بهارون عليه السلام؛ لأنَّ هارون عليه السلام كان خليفته عند ذهابه إلى الطور لا بعد وفاته، إذ إنّ وفاة هارون عليه السلام وقعت قبل موسى عليه السلام بعدة سنوات.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٧) برقم: (٤٥٧٥).

ولاحظوا تعنُّت الشيعة الآن، فإنّهم قالوا لتصويب هذا الدليل: «هذا يدلُّ على أنَّ جميعَ المنازل الثابتة لهارون من موسى ثابتةٌ لعلي من النبي ﷺ، وإلّا لما صحَّ الاستثناء، ومن المنازل الثابتة بهارون من موسى استحقاقه للقيام مقامه بعد وفاته لو عاش؛ لأنّه لو عزله كان منفِّراً، وذلك غير جائز على الأنبياء، وقالوا أيضاً: من جملة منازل هارون من موسى أنه كان شريكاً له في الرسالة، ومن لوازمه استحقاق الطاعة بعد وفاة موسى لو بقي، فوجب أن يثبت ذلك لعلي، إلَّا أنه امتنع الشركة في الرسالة، فوجب أن يبقى مفترضَ الطاعة على الأمة من غير رسالة وهذا معنى الإمامة.

نحن نقول: «**بمنزلة هارون من موسى**» هذا نوع من التشبيه، والمعتبَرُ في التشبيه هو الأوصاف المشهورة الجارية على الألسنة لا الأوصاف البعيدة.

ومثال ذلك: أن يتصوّر شخص من «زيد بمنزلة الأسد» أنياباً ووبراً لزيد، أو يتمثّل شركته في السبعية، والمشهور من خصال هارون عليه السلام إنّما هو الخصال الثلاث، ولا يفهم عاقل من مثل هذا الكلام معنى استحقاق الخلافة بعد الوفاة، وخصوصاً على وجه أن عدم الاستحقاق يستلزم العزل، والعزل باعث على نفور الخلائق، بل يمكن أن نقول: لو أن هارون عاش بعد موسى لما كان خليفة بالمعنى الاصطلاحي، إذ إن الخلافة بالمعنى الاصطلاحي يليق بها غير الأنبياء ليس الأنبياء.

ويمكن أيضاً أن نقول: إن انقطاع العمل الذي تمّ تفويضه بشرط الغيبة ليس عزلاً، بل هو تمام العمل وكماله، مثل ما يقولون: تعال بعد إنجاز عمل كذا، فجاء بعد ذلك، ويمكن أن نقول: إن استحقاق الطاعة في الأنبياء من جهة النبوة، فلمَّا استثنى النبوة من الأثناء استثني به كل ما

كان من جهة النبوة أيضاً، وأكثر الأمة لا تُثبت مرتبة الإمامة بمعنى الإمام المعصوم مفترض الطاعة، بل لا يحصُل مفهومه أصلاً، وكم يبعد بناء الكلام عليه عن الإنصاف.

• وقوله ﷺ يوم «غدير خمّ»: **«مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ»**، وأصل القصّة أن رسول الله ﷺ أرسل عليّاً المرتضى إلى اليمن، ووقع هناك بين المرتضى وجنوده خلافٌ، فلمَّا جاء هو وأصحابه إلى النبيِّ ﷺ في حجّة الوداع عرض جنوده الشكوى إلى النبي ﷺ، فتوقَّفَ النبيُّ ﷺ لعدة أيام، واستفسر عليّاً عن حقيقة الحال، فلمّا تنقَّح أصل القصّة في خاطره الشريف ﷺ، واطلع على تعنّت الجنود وتمرّدهم، ألقى خطبة أثناء الرجوع من حجة الوداع في رعاية صلة أهل البيت، وفي آخر خطبته كما ورد في بعض الروايات أنه ﷺ زجرهم على تمرّدهم ومخاصمتهم لعلي المرتضى، وأمرهم بموالاته.

• أخرج **مسلم** من طريق إسماعيل بن إبراهيم، عن أبي حبان، عن يزيد بن حبان، قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى **زيد بن أرقم**، فلمّا جلسنا إليه قال له حصينٌ: لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، رأيتَ رسول الله ﷺ، وسمعت حديثَه، وغزوتَ معه، وصلَّيتَ خلفَه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ اللهِ ﷺ، قال: يا ابنَ أخي واللهِ لقد كبرتْ سِنِّي، وقدمَ عهدي، ونسيتُ بعضَ الذي كنتُ أعي من رسولِ اللهِ ﷺ، فما حدَّثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلِّفونيهِ، ثم قال: قام رسولُ اللهِ ﷺ يوماً فينا خطيباً، بماءٍ يدعى «خُمّاً» بين مكّةَ والمدينة، فحمدَ الله، وأثنى عليه، ووعظَ وذكّر، ثم قال: **«أمّا بعدُ، ألا أيُّها الناسُ! فإنَّما أنا بشرٌ يوشِكُ أن يأتيَ رسولُ ربِّي فأجيبَ، وأنا تارِكٌ فيكم ثقلين: أوَّلُهما: كتابُ اللهِ، فيه الهُدَى والنُّورُ، فخذوا بكتابِ اللهِ، واستمسكوا به»**، فحثَّ على كتابِ اللهِ،

ورغّب فيه، ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أذكّركُمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أذكّركمُ اللهَ في أهلِ بيتي، أذكّركمُ الله في أهلِ بيتي**»، فقال له حصين: ومن أهلُ بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤه من أهل بيتِهِ؟ قال: نساؤه من أهل بيتِهِ، ولكنَّ أهلَ بيتهِ مَنْ حُرِمَ الصدقةَ بَعْدَهُ، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم[١]، ومن طريق محمد بن فضيل وجرير عن أبي حبان نحو حديث إسماعيل، ومن طريق سعيد بن مسروق عن يزيد بن حبان نحوه.

وهذا القدر من الرواية صحيح مذكور في «صحيح مسلم»، غير أنّ قصّةَ أمرِ الناسِ بموالاته رضي الله عنه فلا توجد فيه، وقد اختلف فيه أهل الحديث، فطائفة منهم يراه صحيحاً، وطائفة أخرى يعتبره غريباً مطلقاً.

● ويرى هذا العبد الضعيف أنَّ هذه الزيادة ـ أيضاً ـ صحيحةً دون رتبة مسلم، أخرج **الحاكم** من طريق سليمان الأعمش قال: ثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن **زيد بن أرقم** رضي الله عنه قال: لمّا رجعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من حجّة الوداع، ونزل «غديرَ خُمّ»، أمرَ بدوحاتٍ فقممن، فقال: «**كأنِّي قد دُعيتُ فَأَجَبْتُ، إني قد تركتُ فيكم الثقلينِ: أحدُهُما أكبرُ من الآخِرِ، كتابُ اللهِ تعالى، وعترتي، فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما، فإنَّهما لن يتفرَّقا حتَّى يردا عليَّ الحوضَ**»، ثم قال: «**إنَّ الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كُلِّ مؤمنٍ**»، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: «**مَنْ كنتُ مولاه، فهذا وليُّه، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاهُ، وعادِ مَنْ عاداه**»، وذكر الحديث بطوله[٢].

● وأخرج **الحاكم** من طريق سلمة بن كُهَيل، عن أبيه، عن أبي

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٤٠٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/١١٨) برقم: (٤٥٧٦).

الطفيل، عن ابن واثلة، أنه سمع **زيد بن أرقم** رضي الله عنه يقول: نزل رسولُ اللهِ ﷺ بين مكة والمدينة عند شجراتٍ خمسٍ دوحاتٍ عظام، فكنسَ الناسُ ما تحتَ الشجراتِ، ثم راحَ رسولُ اللهِ ﷺ عشية، فصلَّى، ثم قام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه، وذكر ووعظ، فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «**أيُّها الناسُ! إنِّي تاركٌ فيكم أمرينِ لن تضلُّوا إنِ اتبعتموهُما، وهما: كتابُ اللهِ، وأهلُ بيتي عترتي**»، ثم قال: «**أتعلمونَ أنِّي أولى بالمؤمنينَ من أنفسِهم؟**» ـ ثلاث مرات ـ، قالوا: نعم، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كنتُ مولاهُ، فعليٌّ مولاه**»[1].

● وأخرج **الحاكم** عن **بُريدة الأسلمي** رضي الله عنه، قال: غزوت مع عليٍّ إلى اليمن، فرأيت منه جفوةً، فقدمت على رسول الله ﷺ فذكرتُ عليّاً فتنقَّصته، فرأيتُ وجه رسولِ اللهِ ﷺ يتغيَّرُ، فقال: «**يا بريدةُ! ألستُ أولى بالمؤمنينَ مِنْ أنفسِهم؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فقال: «**مَنْ كنت مولاهُ، فعليٌّ مولاه**»[2].

● وأخرج **الحاكم والترمذي** نحوه، عن **عمران بن حُصينٍ** رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سريةً، واستعمل عليهم عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه، فمضى عليٌّ في السرية، فأصاب جاريةً، فأنكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعةٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ إذا لقينا النبيَّ ﷺ لأخبرناه بما صنعَ عليٌّ، قال عمرانُ: وكان المسلمون إذا قدموا من سفرٍ بدؤوا برسولِ اللهِ ﷺ فنظروا إليه، وسلّموا عليه، ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمتِ السريةُ سلّموا على رسولِ اللهِ ﷺ، فقام أحدُ الأربعةِ، فقال: يا رسولَ اللهِ! ألم ترَ أنَّ عليّاً صنعَ كذا وكذا؟ فأعرضَ

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٨) برقم: (٤٥٧٧).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٩) برقم: (٤٥٧٨).

عنه، ثم قام الثاني، فقال مثل ذلك، فأعرضَ عنه، ثم قام الثالث، فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم قام الرابعُ، فقال: يا رسولَ اللهِ! ألم ترَ أنَّ عليّاً صنع كذا وكذا، فأقبل عليه رسولُ اللهِ ﷺ والغضبُ في وجهه، فقال: **«ما تريدونَ مِنْ عليٍّ، إنَّ علياً مِنِّي، وأنا مِنْهُ، ووليُّ كلِّ مؤمنٍ»**(١).

• وأخرج **الحاكم** عن **عمرو بن شاس الأسلمي** ـ وكان من أصحاب الحُديبية ـ قال: خرجنا مع علي رضي الله عنه إلى اليمن، فجفاني في سفره ذلك، حتى وجدتُ في نفسي، فلمّا قدمتُ، أظهرتُ شكايته في المسجدِ حتّى بلغَ ذلك رسولَ اللهِ ﷺ، قال: فدخلتُ المسجدَ ذاتَ غداةٍ، ورسولُ الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه، فلمّا رآني أبدني عينيه، قال: يقول: حدّد إليَّ النظرَ، حتَّى إذا جلستُ، قال: **«يا عمرو! أما واللهِ لقد آذيتَنِي»**، فقلتُ: أعوذُ باللهِ أن أؤذيكَ يا رسولَ اللهِ، قال: **«بلى، مَنْ آذى عليّاً فقد آذانِي»**(٢).

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: شكا علي بن أبي طالب الناسَ إلى رسولِ الله ﷺ، فقامَ فينا خطيباً، فسمعتُه يقول: **«أيها الناس! لا تَشْكُوا عليّاً، فواللهِ إنَّه لأخشنُ في ذاتِ اللهِ وفي سبيلِ اللهِ»**(٣).

• وأخرج **الترمذي** عن **البراء** قال: بعث النبيُّ ﷺ جيشين، وأمَّرَ على أحدِهما عليَّ بنَ أبي طالب، وعلى الآخر خالدَ بنَ الوليد وقال: **«إذا كان القتالُ فعليٌّ»**، قال: فافتتحَ عليٌّ حصناً، فأخذ منه جاريةً، فكتب معي خالدٌ كتاباً إلى النبيِّ ﷺ يشي به، قال: فقدمتُ على النبيِّ ﷺ،

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٩) برقم: (٤٥٧٩).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣١) برقم: (٤٦١٩).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٤) برقم: (٤٦٥٤).

فقرأ الكتابَ فتغيَّر لونُه، ثم قال: «**ما ترى في رجل يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه؟**» قال: قلت: أعوذُ باللهِ من غضبِ اللهِ وغضبِ رسولِهِ، وإنّما أنا رسولٌ فسكت(١).

وقد بالغ النبي ﷺ في مداواة هذا الداء العضال وقام بتهديدات عظيمة.

ومن جملة ذلك:

- قوله ﷺ: «**مَنْ سبَّ علياً فقد سبّني**»، أخرجه **الحاكم**(٢) من حديث **أم سلمة**.

ومن جملة ذلك:

- خطاب النبي ﷺ في شأن المرتضى رضي الله عنه: «**مَنْ أطاعني فقد أطاعَ اللهَ ومن عصاني فقد عَصَى الله، ومن أطاعك فقد أطاعني، ومن عصاك فقد عصاني**»، أخرجه **الحاكم**(٣) من حديث **أبي ذر**.
- **ومنها**: «**حبُّ عليٍّ آيةُ الإيمانِ، وبغضُ عليٍّ آيةُ النفاق**» أخرجه **البخاري**.
- وقال ﷺ: «**يا عليُّ طوبى لِمَنْ أحبَّك، وصدّقَ فيكَ، وويلٌ لمنْ أبغضَك وكذَّب فيكَ**»(٤)، كل هذه الألفاظ متقاربة المعنى، وأوقات ورود هذه الأحاديث متقاربةٌ أيضاً.

بعد ما أن تنقّح الحديثُ وسببُ وروده نتوجَّه إلى أصل الكلام:

- أمَّا حقُّ أهل البيتِ، فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ أبرَّ البرِّ صلةُ**

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٥).
(٢) في «المستدرك» (٣/ ١٣٠) برقم: (٤٦١٥).
(٣) في «المستدرك» (٣/ ١٣٩) برقم: (٤٦٤١).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٥) برقم: (٤٦٥٧).

الرَّجُلِ أهلَ ودِّ أبيه»، أخرجه **مسلم**[١] من حديث **ابن عمر**، ولا شكَّ في أنه إذا كانت صلة أهل ودّ الأب مطلوبةٌ في الشرع، فإنّ صلة أقارب النبيِّ ﷺ مطلوبة بالطريق الأولى، ومعقول أن يعلِّمَ النبيُّ ﷺ أمته ذلك، ويدخل في هذا الأمر العباسُ وأولاده، وأزواجُ النبيِّ ﷺ جميعاً.

• عن **عبد المطلب بن ربيعة** أنّ العباسَ دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عندَه، فقال: «**ما أغضبك؟**».

قال: يا رسول الله! ما لنا ولقريش؟ إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوهٍ مبشَّرة، وإذا لقونا لقونا بغير ذلك.

قال: فغضبَ رسولُ الله ﷺ حتّى احمرَّ وجهُه، ثم قال: «**والّذي نفسِي بيده، لا يدخُلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتّى يحبّكُم للهِ ورسولِهِ**»، ثم قال: «**يا أيها الناسُ! من آذى عمِّي فقد آذاني، فإنَّما عمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أبيه**» **أخرجه الترمذي**[٢].

• عن **عائشة** أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول: «**إنَّ أمرَكُنَّ ممَّا يهمُّنِي بعدي، ولنْ يصبِرَ عليكنَّ إلَّا الصابرون**»، قال: ثم تقول عائشة: «فسقى الله أباكَ من سلسبيلِ الجنّة (تريد عبدَ الرحمٰن بن عوف)، وكان قد وصل أزواجَ النبيِّ ﷺ بمالٍ بيعت بأربعين ألفاً». أخرجه **الترمذي**[٣].

• عن **أم سلمة** قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لأزواجه: «**إنَّ الذي يحنو عليكُنَّ بعدِي لَهُوَ الصادقُ البارُّ، اللَّهُمَّ اسقِ عبدَ الرحمٰنِ بن عوفٍ من سلسبيل الجنةِ**»، **رواه أحمد**[٤].

ومعنى الجمع بين الكتاب وغيره ـ إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٢٥٥٢).
(٢) في «سننه» برقم: (٣٧٥٨).
(٣) في «سننه» برقم: (٣٧٤٩).
(٤) في «مسنده» برقم: (٢٦٥٥٩).

إن اتبعتموهما، كتاب الله وأهل بيتي وعترتي ـ إن صلة أقارب النبيِّ وأزواجه ﷺ واجبةٌ ما دام الإيمانُ بكتابِ الله واجباً.

وسياقُ هذا الكلام يُشبِهُ سياق هذا الحديث: «**مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ فليكرِمْ ضيفَهُ**»[1]، وهذا المعنى ظاهِرٌ من لفظ مسلم في حديث زيد بن أرقم، وهو أصحُّ الألفاظِ لا خفاءَ فيه.

• وأما الغضبُ لعلي المرتضى، والتأكيد في النهي عن إيذائه، فكلُّ ذلك معقولُ المعنى، ولمّا ظهر أنَّ عليّاً كان على الحقِّ، وطاعنوه كانوا على الباطل، لم يبقَ طريقٌ إلا التشديد والغضب حتَّى يتحققَ العدل.

وقد رأيتَ تهيُّجَ الملكوتِ عند الإفك على عائشة أم المؤمنين، وقد قرأتَ قول النبي ﷺ حين نشوءِ الخلاف بين أبي بكر الصدّيق وعمر الفاروق: «**هل أنتم تاركون لي صاحبي**» الحديث، فبيَّن ﷺ وصيةَ الموالاةِ لعليٍّ المرتضى بهذه الكلمة: «**ألستُ أولى بِكُمْ من أنفسِكم؟**».

قالوا: بلى.

قال: «**فمن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاهُ، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»[2].

ومعنى الابتداء بهذه الكلمة «**ألستُ أولى بِكُم مِنْ أنفسِكُم**»: أنَّه من حقوق النبيِّ صلوات الله وسلامه عليه على الأمة أن يُفوِّضوا جميعَ مصالحهم إليه ﷺ، ولا يبقى لهم الخيارُ والاستقلالُ مع النبي ﷺ؛ كالطفل في يدِ المرضعة، والأعمى بيدِ القائد والهادي، فمَنْ كانوا

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٠١٨).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٩٢٩٨).

يعادون المرتضى، ويُبغضونه، ويُبيِّنون وجوه الشكوى، يليقُ بهم ألّا يعوِّلوا على أنفسهم وعقولهم، وأن ينقادوا لحكم النبيِّ ﷺ.

و«المولى» الصديق بقرينة: «**اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه**»، وبقرينة الأحاديث الكثيرة التي ذكرناها فيما تقدّم.

• **منها**: «**لا تبغض ولا تشكو**»، و«**حبُّ عليٍّ آيةُ الإيمانِ**»، و«**مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبّني**»، إلى غير ذلك.

وبعد وضوح هذا المعنى ينبغي أن يُعْلَمَ أنَّ هذا الحديث لا علاقة له بمسألة إيجاب الاستخلاف، بل المرادُ هنا هو تعظيمُ صلةِ أهل البيت، والأمرُ بموالاةِ المرتضى، والنهي عن البغض والعداوة له، ولم يرد مثل هذا الكلام في شأن المرتضى وحدَه، بل ورد في شأن العباس وأولاده، وأزواجه الطاهرات، وفي شأن أبي بكر الصدِّيق أيضاً: «**هل أنتم تاركونَ لي أبا بكر**» الحديث.

عجباً لتعنّتِ الشيعة حيث يقولون: إنَّ لفظ: «المولى» بمعنى «الأولى»، والأولى هو متصرِّفٌ في حق جميع الأمة، ومن كان متصرِّفاً في حَقِّ جميع الأمة فهو الإمام، فالمرتضى إمام.

قلنا: معنى «المولى» و«المحبوب» لقرائن الأسباب المتقدمة.

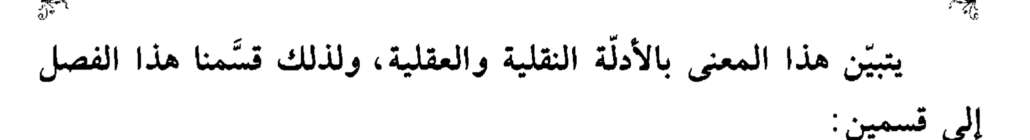
ثم نقول: إنّ لفظ «المولى» مشهورٌ بمعنى المعتِق والمعتَق، وبمعنى ناصر ومالك أيضاً، ولكن لم يرد بمعنى ولي الأمر، ولم نسمع كلامَ العربِ لفظاً على وزن أفعل بمعنى فعيل، كما يقول الشيعة: إن «المولى» بمعنى «الأولى» وأولى بمعنى ولي الأمر.

ثم نقول لهم: مِنْ أين وجدتُم أن الولاية بمعنى التصرّف في الأمور الملكية؟.



الفصل الثامن

في تفضيل الشيخين



يتبيّن هذا المعنى بالأدلّة النقلية والعقلية، ولذلك قسَّمنا هذا الفصل إلى قسمين:

* القسم الأول: في بيان الأدلّة النقلية.
* القسم الثاني: في بيان الدلائل العقلية على أفضلية الشيخين.

❊ ❊ ❊




القسم الأول

في بيان الأدلّة النقلية

ليُعلمَ أنَّ فضيلة الشيخين ثابتةٌ بدلالة الكتاب والسُّنَّة السنية تصريحاً وتلويحاً، وبإجماع الأمة، وبملازمة استخلاف شخص بالخلافة الخاصة، وأفضليته على رعيته، ولذلك قسّمنا القسمَ الأول إلى أربعة مباحث:

❁ ❁ ❁

المبحث الأول

[في دلالة كتاب الله على أفضلية أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الأمة]

إنَّ الله تعالى لم يجعل جميعَ الصحابة في مرتبةٍ واحدةٍ، بل فضَّل بعضَهم على بعض، ويتبيّن من استقراء أدلّة الشرع أن هذه الفضيلة تُعتبر في الشريعة بوجهين:

أحدهما: باعتبار السوابق الإسلامية.

والثاني: باعتبار الصفات النفسانية، التي تدخل في جملتها الصديقية والشهيدية والحوارية، وتتباين مراتبُ السابقين والأبرار لهذا السبب.

ويُستنبط بآيات وأحاديث كثيرة أنَّ براعة الجمال وكثرة المال وعلوّ النسب وما إلى ذلك، لا أثرَ لها في هذه الفضيلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سبأ: ٣٧]، وقال: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

• عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**».

فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟**».

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»**، متفق عليه(١).

أما وجه السوابق الإسلامية فإنَّ الله تعالى يقول: **﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾** [النساء].

لقد أفاد الله في هذه الآية أنَّ الصحابة ليسوا من طبقة واحدة، بل بعضهم أفضل من بعض، ومدار الفضل إنّما هو الجهاد ـ بالأنفس والأموال ـ في سبيل الله، فاتّضحَ من هذه الآية أنّ المجاهدين في سبيل الله بالأنفس والأموال من صناديد الأمة وأعلى طبقتها، وهم أفضلُ مِنْ غيرهم، وفي الأحاديث المشهورة ـ التي يقوم بها التكليفُ ولا يبقى عذر معها ـ قد ثبت أنَّ هؤلاء السعداء قد رافقوا النبي ﷺ في جميع المشاهد، إلا في بعض الأوقات لعذرٍ، وطائفةٌ وقع منهم القتالُ بزيادةٍ، وطائفةٌ أخرى وقع منهم الإنفاق أكثر، وطائفة قد وقع منهم كلٌّ من الأمرين على وجه الكمال، قال الله تعالى: **﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾** [الحديد].

---

(١) أخرجه البخاري وحده في «صحيحه» برقم: (٦٤٤٧)، ولم يخرجه مسلم لا بلفظه ولا بمعناه.

عن مجاهد في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾، يقول: مَنْ أسلم ﴿وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾؛ يعني: أسلموا، يقول: ليس مَنْ هاجر كمن لم يُهاجِرْ ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

عن قتادة في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ الآية، قال: كان قتالان أحدُهما أفضلُ من الآخر، وكانت نفقتان إحداهُما أفضلُ من الأخرى، قال: كانت النفقة والقتال قبل الفتح (فتح مكة) أفضلَ من النفقة والقتال بعدَ ذلك: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال: الجنة[2].

وهذه الآية نصٌّ في أنَّ الطائفة الذين ظهر منهم القتال والإنفاق في سبيل الله قبل الفتح هي أفضل من الجماعة الذين وقع منهم ذلك بعد الفتح، وهذه الآية تدلّ ـ بطريق المفهوم الموافق ـ على أنَّ تباينَ المراتبِ واقعٌ، ومهما كانت مؤازرةُ النبيِّ ﷺ من ناحية القتال والإنفاق أسبق كانت الفضيلةُ أكثرَ.

ولهذا المفهوم الموافق شواهد كثيرة من الكتاب والسُّنَّة، ومن جملة ذلك آية سورة الأنفال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾، وكلمة: ﴿فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ تدلّ ـ بصراحة ـ على أنَّ الجماعة الذين تقدَّمت هجرتهم وجهادهم هم أكثر فضيلةً من غيرهم.

وهناك أحاديث عديدة تدلّ على هذا المعنى:

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٣).

منها: حديث **البخاري**، عن **أبي الدرداء** أنَّ النبيَّ ﷺ قال (لعمر الفاروق الذي كان من المهاجرين الأولين): «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحِبِي**»[١]، وجعل علّة تركه تقدّمه في تصديق النبي ﷺ.

ومنها: حديث **أنس**، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمٰن بن عوف كلام، فقال خالد لعبد الرحمٰن بن عوف: تستطيلون علينا بأيّامٍ سبقتمونا بها، فبلغَ النبيَّ ﷺ فقال: «**دعوا لي أصحابي، فوالّذي نفسِي بيدِهِ لو أنفقتُم مثلَ أُحُدٍ ـ أو مثلَ الجبالِ ـ ذهباً ما بلغتُم أعمالَهُم**»[٢].

ومنها: حديثٌ مستفيضٌ برواية **أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِي** ﷺ وغيره، قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوالّذي نفسِي بيدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا أدرك مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[٣]، والظاهر أن الخطاب موجَّهٌ إلى جمهور الحاضرين، فمراده ﷺ من «**أصحابي**» هو قدماء الصحابة لا محالة.

ينبغي أن يُعلم بعد وضوح هذه المقدمة أن أبا بكر الصدِّيق قام بالقتال والإنفاق في سبيل الله قبل الهجرة، وباشر عمر الفاروق القتال في سبيل الله قبل الهجرة، بخلاف الصحابة الآخرين، سواء كان علي المرتضى أو غيره، إذ إن القتال والإنفاق لم يقع منهم قبل الهجرة، فكان الشيخان أفضل من المرتضى وغيره من الصحابة بمقتضى فحوى هذه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠) وصاحبه ﷺ هو أبو بكر الصديق.

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤١٤) واللفظ له، «مسند أحمد» برقم: (١٣٨٣٩).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٧٣)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٥٤١)، «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٥٨)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٦٠).

الآية، قال الواحدي: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]؛ يعني: فتح مكّة[(١)]، قال مقاتل: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدوَّ مع رسول الله ﷺ قبل فتح مكة مع من أنفق وقاتل بعده[(٢)].

• قال الكلبي في رواية محمد بن الفضيل: نزلت في أبي بكر، تدّل على أنه كان أوّلَ من أنفق المال على رسول الله ﷺ في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام[(٣)].

• قال ابن مسعود: أول من أظهر إسلامَه بسيفِهِ النبيُّ ﷺ وأبو بكر.

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح، فيما أخبرنا عبد الله بن إسحاق بإسناده عن **ابن عمر**، قال: بينا النبيُّ ﷺ جالسٌ وعنده أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، عليه عباءة قد خلَّها على صدره بخلال، إذ نزل عليه جبريل عليه السلام، فأقرأه من الله السلام وقال له: يا رسول الله! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّها على صدره بخلال، قال: «**يا جبريلُ أنفقَ مالَه عليَّ قبلَ الفتحِ**»، قال: فأقرئه مِنَ الله السلام، وقل له: «**يقولُ لكَ ربُّك: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ**؟ قال: فالتفت النبيُّ ﷺ إلى أبي بكر فقال: «**يا أبا بكرٍ هذا جبريلُ يقرِئُكَ مِنَ اللهِ السلامَ، ويقولُ: أراضٍ أنتَ عَنِّي في فقرِكَ هذا أَمْ ساخِطٌ؟**» قال: فبكى أبو بكر وقال: أعلى ربي أغضب؟ أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ[(٤)].

---

(١) «الوجيز»، للواحدي (١/ ٩٨٤).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣)، «تفسير مقاتل» (١/ ٣٤١).

(٣) أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٣).

(٤) «فضائل الخلفاء الراشدين»، لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ١١٣).

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد: ١٠].

قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها، قال الزجّاج: لأنّ المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر مما نال مَنْ بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ ﴿وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الحديد: ١٠]؛ أي: وكلا الفريقين وعده الله الجنة[١].

• **أما قتال أبي بكر الصديق قبل الهجرة فهو ثابت بطرق كثيرة:**

• أخرج **البخاري** عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ، وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾ [غافر][٢].

• وعن **عمرو بن العاص** رضي الله عنه قال: ما تُنوِّل من رسول الله ﷺ شيء كان أشدّ من أن طاف بالبيت ـ كأنّه يقول ضحىً ـ فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنتَ الذي تنهانا عمّا كانَ يعبدُ آباؤنا؟ فقال: «**أنا ذاك**»، فقام أبو بكر رضي الله عنه فالتزمه مِنْ ورائه، ثم قال: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ﴾، ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر]، رافعاً صوته بذلك وعيناه

(١) «فتح القدير» (٧/ ١٤٦)، و«زاد المسير» (٨/ ١٦٤).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٤٨١٥).

تسيحان حتى أرسلوه[١].

• وعن **أنس** ﷺ قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتى غشي عليه، فقام أبو بكر ﷺ، فجعل ينادي ويقول: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾؟ قالوا: من هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي قُحافةَ المجنون[٢].

• وعن **أسماء بنت أبي بكر** أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟

فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام، فتذاكروا رسولَ الله ﷺ، وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك، إذ دخل رَسولُ اللهِ ﷺ المسجدَ، فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شيءٍ صدقَهم، فقالوا: ألستَ تقولُ في آلهتِنا كذا وكذا؟

قال: «**بلى**».

قال: فتشبَّثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخُ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبَكَ، فخرجَ أبو بكر حتّى دخل المسجدَ، فوجدَ رسولَ اللهِ ﷺ والناسُ مجتمعون عليه، فقال: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾؟ قال: فلهوا عن رسولِ اللهِ ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، قالت: فرجع إلينا، فجعلَ لا يمسُّ شيئاً من غدائره إلا جاء معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، رواه **أبو عمر** في «**الاستيعاب**»[٣].

• وعن **علي بن أبي طالب** ﷺ أنه قال: أيها الناس؛ أخبروني بأشجع الناس؟

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦٢).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٤).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٦).

قالوا أو قال: قلنا: أنتَ يا أمير المؤمنين!

قال: أمّا إني ما بارزتُ أحداً إلا انتصفتُ منه، ولكن أخبروني بأشجع الناس؟

قالوا: لا نعلم، فمن؟

قال: أبو بكر رضي الله عنه، ولقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأخذته قريشٌ، فهذا يَجأُ، وهذا يتَلْتِلُه، وهم يقولون: أنتَ الذي جعلتَ الآلهةَ إلـٰهاً واحداً، قال: فواللهِ ما دنا منه أحدٌ إلا أبو بكر، يضربُ هذا ويَجأُ هذا، ويتلتلُ هذا، وهو يقول: ويلكم، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾، ثم رفع عليٌّ بردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلّت لحيتُه، ثم قال: أنشدكم باللهِ أمؤمنُ آلِ فرعونَ خيرٌ أم أبو بكر؟ فسكتَ القومُ فقال: ألا تجيبوني؟ فواللهِ لساعةٌ من أبي بكرٍ خيرٌ مِنْ ملءِ الأرضِ مِنْ مؤمنِ آلِ فرعون، ذاك رجلٌ كتمَ إيمانَه، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه[1].

• وعن **ابن جريج** قال: حُدِّثت أنَّ أبا قحافة سبَّ النبيَّ ﷺ، فصكَّه أبو بكر صكَّة فسقط، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلتَ يا أبا بكر؟**» فقال: واللهِ لو كان السيفُ منِّي قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢][2].

• **وأما إنفاق أبي بكر الصديق قبل الهجرة فهو ثابت بطرق كثيرة كما سأذكره قريباً.**

• وأما قتال **عمر الفاروق** قبل الهجرة:

• فقد قال **ابن إسحاق**: وَلَمّا قَدِمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ

---

(١) انظر: «مسند البزار» (٣/ ١٤).

(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

أَبِي رَبِيعَةَ عَلَى قُرَيْشٍ، وَلَمْ يُدْرِكُوا مَا طَلَبُوا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَرَدَّهُمَا النَّجَاشِيُّ بِمَا يَكْرَهُونَ، وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَكَانَ رَجُلاً ذَا شَكِيمَةٍ، لَا يُرَامُ مَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، امْتَنَعَ بِهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَبِحَمْزَةَ حَتَّى عَازُوا قُرَيْشاً، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: مَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُصَلِّيَ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، حَتَّى أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَسْلَمَ، قَاتَلَ قُرَيْشاً حَتَّى صَلَّى عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **عبد الله بن عمر** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء والصلاةُ قائمةٌ، وثلاثةُ نفرٍ جلوسٌ، أحدهم أبو جحش الليثي، قال: قوموا فصلّوا مع رسول الله ﷺ، فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقومَ، فقال له عمر: صلِّ يا أبا جحش مع النبيِّ ﷺ، قال: لا أقوم حتى يأتيني رجل هو أقوى مني ذراعاً، وأشدَّ مني بطشاً، فيصرعني، ثم يدسَّ وجهي في التراب، قال عمر: فقمتُ إليه، فكنت أشدَّ منه ذراعاً، وأقوى منه بطشاً فصرعته، ثم دسستُ وجهه في التراب، فأتى عليَّ عثمانُ فحجزني، فخرج عمر بن الخطاب مغضَباً حتى انتهى إلى النبيِّ ﷺ، فلما رآه النبيُّ ﷺ ورأى الغضبَ في وجهه، قال: «**ما رابَكَ، يا أبا حفص؟**».

فقال: يا رسول الله! أتيتُ على نفر جلوسٌ على باب المسجد، وقد أقيمت الصلاةُ، وفيهم أبو جحش الليثي، فقام الرجلان. . . فأعاد الحديث، ثم قال عمر: واللهِ يا رسولَ اللهِ ما كانت معونةُ عثمان إيّاه إلا أنه ضافه ليلةً فأحبَّ أن يشكرها له.

فسمعه عثمان، فقال: يا رسول الله، ألا تسمعُ ما يقول لنا عمر عندك؟

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤١).

فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ رضى عمرَ رحمةُ اللهِ، لوددتُ أنّكَ كنت جئتني برأسِ الخبيثِ**»

فقام عمر فلما بَعُدَ ناداه النبيُّ ﷺ، فقال: «**هلمَ يا عمرُ أينَ أردتَ أن تذهب؟**».

فقال: أردت أن آتيكَ برأس الخبيثِ.

فقال: «**اجلس حتّى أخبرَكَ بغنى الربِّ عن صلاةِ أبي جحشٍ الليثي، إنَّ للهِ في سماءِ الدُّنيا ملائكة خشوعاً، لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة، فإذا قامتِ الساعةُ رفعوا رؤوسهم، ثم قالوا: ربّنا ما عبدناك حقَّ عبادتك**».

فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وما يقولون يا رسول الله؟

قال: «**أمّا أهلُ السماءِ الدُّنيا فيقولون: سبحانَ ذي المُلك والملكوتِ، وأمّا أهلُ السماءِ الثانية فيقولون: سبحان الحيِّ الذي لا يموتُ، فقلها يا عمرُ في صلاتك**».

فقال: يا رسول الله، فكيف بالذي علمتني وأمرتني أنْ أقوله في صلاتي.

قال: «**قل هذه مرّةً، وهذه مرّةً**».

وكان الذي أُمِرَ به أن قال: «**أعوذ بعفوكِ من عقابِك، وأعوذ برضاك من سَخَطِك، وأعوذ بكَ مِنْكَ جلّ وَجْهُكَ**»[1].

● وعن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: قاتل عمرُ المشركين في مسجد مكة، فلم يزل يقاتلهم منذ غدوةٍ حتى صارتِ الشمسُ حيال رأسه، قال: وأعيا وقعد، فدخل عليه رجلٌ عليه بردٌ أحمرُ، وقميصٌ قومسي حسن الوجه،

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٣) رقم: (٤٥٠٢).

فجاء حتى أفرجَهم فقال: ما تريدون مِنْ هذا الرجل؟.

قالوا: لا والله إلا أنه صبأ.

قال: فنعم رجلٌ اختار لنفسه ديناً فدعوه وما اختار لنفسه، ترون بني عدي ترضى أن يُقْتَلَ عمر؟ لا واللهِ لا ترضى بنو عدي.

قال: وقال عمر يومئذ: يا أعداءَ اللهِ، واللهِ لو قد بلغنا بثلاث مائة لقد أخرجناكم منها.

قلت لأبي بعدُ: مَنْ ذلك الرجل الذي ردَّهم عنك يومئذ؟ قال: ذاك العاص بن وائل أبو عمرو بن العاص[1].

• وعن عكرمة عن ابن عبّاس ﵄ قال: لما أسلم عمرُ ﵁ قال المشركون: اليومَ انتصفَ القومُ مِنّا[2].

• وكان المرتضى هذه الأيام صغيراً في حِجْر النبيِّ ﷺ وكفالته، لا يقدر على القتال والإنفاق خلافاً للشيخين، وما ثلَمَ إسلامُه ملّةَ الكفر بخلافِ الشيخين، وإن استشكل أحدٌ إطلاق القتال على القتال بالعصا واليد، يدفع ذلك استعمالٌ شائعٌ في كلام العرب بأبلغِ أسلوب، واستعمالُ علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أدلّ دليل على ذلك، وإذا لم يكفِ كلٌّ ذلك فإن قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ [الحج: ٣٩] نزلت في شأن المهاجرين، مع أنهم لم يستعملوا السلاح فهذه الآية قاطعة للشبهة.

• أما وجه التقرّب من الله فإن الله تعالى يقول في سورة الفاتحة التي أنزلها على ألسنة المسلمين: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة]؛ يعني: ينبغي لجمهور المسلمين أن يسألوا الله في

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩١) رقم: (٤٤٩٣).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩١) رقم: (٤٤٩٤).

صلواتهم الهداية لطريق الذين أنعم الله عليهم، ولا شك أن الجماعة الذين طريقهم من أعظم المطلوبات هم أفضل الناس عند الله تعالى، وإلا طلب طريق المفضول والمساوئ لا يُعقل، ثم فسّر تعالى «المنعم عليهم» بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء].

وبعد ذلك قال رسول الله ﷺ في أحاديث مستفيضة تقوم بها الحجة: «**أبو بكرٍ صدِّيقٌ، وعمرُ وعثمانُ شهيدان**»، فهذا برهان ساطع على أن هؤلاء السعداء أفضل الأمة، وتحقّقت لهم الرئاسة المعنوية على جميع المسلمين، وهناك وردت آياتٌ وأحاديث كثيرةٌ في معنى هذه الآية، تدلّ على أن الأمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

أولها: المقرَّبون السابقون.

والثاني: الأبرار والمقتصدون.

والثالث: الظالمون لأنفسهم.

والمقرّبون السابقون الطبقة العليا للمسلمين، والصدِّيقون والشهداء من جملة المقرَّبين السابقين، وهؤلاء المشايخ من جملة الصدِّيقين والشهداء، إلى أنْ تحقّقَ التواتر في كلِّ مقدمة، وإلى هذا النوع من الاستدلال إشارةٌ منقولةٌ عن الحسن البصري وأبو العالية حيث قالا في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾: رسول الله وصاحباه.

ثم كان قراءة أُبي بن كعب في سورة التحريم هكذا: وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر.

• عن **ابن عباس** قال: كان أُبَي يقرأها «وصالح المؤمنين أبو بكر وعمر».

وقد فسَّر جمهور المفسِّرين «صالح المؤمنين» بهذين، قال ذلك من

الصحابة ابن مسعود، وابن عباس، وبُريدة الأسلمي، وأبو أمامة، ومن التابعين سعيد بن جبير، وعكرمة، وميمون بن مهران، والحسن البصري، ومقاتل بن سليمان، وكفى بهم قدوةً.

وأما ما حملهم على هذا التفسير فإنّه مهما كانت كلمة «وصالح المؤمنين» عامة، ولكن القصّة التي هي سبب نزول هذه الآية إنما تدلّ ـ بالقطع ـ على أنَّ أبا بكر وعمر يدخلان ضمن هذا العام، وذلك على نحو ما قال ابن اللُّتْبِيَّة في زمن النبي ﷺ: «هذا لكم وهذا أُهدي إلي» فقام النبيُّ ﷺ خطيباً، فقال: **«ما بالُ أقوام نولّيهم على عملٍ ممّا ولّاني اللهُ، ثم يقولُ أحدُهم: هذا لَكُم وهذا أُهْدِيَ إليَّ، هلّا جَلَسَ في بيتِ أبيه وأُمِّه فينظر أَيُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لا»**[1]، فهناك قرائن كثيرة في هذه الصورة تدلّ على أنَّ ابن اللتبية داخلٌ في هذا العتاب بالقطع.

ومن جملة ذلك أنَّ سوقَ الكلام ومنشأَ الحديث، إنّما هو قصته بالذات، ثم حكى كلمته التي قالها وعاتبه عليها، فلا يتوقَّف عاقل في دخوله فيه، كذلك القصة التي جرت بين النبي ﷺ وأزواجه الطاهرات وقعت فيها أمور كثيرة يضطرّ السامعون إلى الحكم بدخولهما في «صالح المؤمنين».

● عن **عائشة** ﵂ قالت: أنزل الله عُذْرِي، وكادت الأمةُ تهلك فيَّ، فلما سرِّي عن رسول الله ﷺ، وعرج المَلَكُ، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر: **«اذهبْ إلى ابنتِك، فأخبِرْهَا أنَّ اللهَ قد أَنْزَلَ عُذْرَها من السَّماءِ»**.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٢٥٩٧)، ومسلم في «صحيحه» (ح: ١٨٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٠/ ٣٧٣) رقم: (٤٥١٥) كلهم باختلاف يسير في اللفظ، والمعنى واحد.

قالت: فأتاني أبي وهو يعدو، يكاد أن يعثرَ، فقال: أبشري يا بُنيّةُ، بأبي وأمي، فإنَّ اللهَ قد أنزلَ عُذْرَكِ.

قلت: بحمدِ اللهِ لا بحمدِكَ ولا بحمدِ صاحبِكَ الذي أرسلَكَ.

ثم دخل رسولُ الله ﷺ، فتناول ذراعي فقال بيده هكذا، فأخذ أبو بكر النعل ليعلوني بها، فمنعته أمي، فضحك رسول الله ﷺ فقال: «أقسمتُ لا تَفْعَلْ»(١).

وفي سورة التحريم: قال عمر: فإنِّي أظنُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ ظنّ أنِّي جئتُ من أجل حفصة، واللهِ لئن أمرني رسولُ اللهِ ﷺ بِضَرْبِ عنقها لأضربنَّ عنقها(٢).

أمّا وجه نفع المسلمين لأجلهم، فقد قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠]، علم من منطوق هذه الآية أنَّ هذه الأمة أفضل من سائر الأمم من جهة كمال صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدلُّ مفهومُها على أنّ مَنْ كان ـ من بين هذه الأمة ـ متصفاً بكمال الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو أفضل من غيره، وشاهد هذا المعنى قول الله ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران].

ثم يقول في آية أخرى في شأن المهاجرين الأولين: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحج: ٤١]، ولم يقع التمكين في الخارج إلا للمشايخ الثلاثة، فوجب أن يكون الوصفُ ـ الذي هو مدار الخيرية والفضيلة ـ متحققاً في

(١) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٧/ ٢٦١).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (ح: ١٤٧٩).

هؤلاء المشايخ، وتدلّ هذه الآيات على فضل هذه الجماعة على سائر المسلمين وعلى تقليل الشركاء جداً.

ونتوجَّه الآن إلى تعيين أبي بكر الصدِّيق من بينهم، فنقول: قال الله تعالى في سورة الليل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ [الليل]، إنَّ سورة الليل من السور التي نزلت في أوائل البعثة، بينما كان الكفار يعذِّبون ضعفاء المسلمين، وجعل أبو بكر ماله وسيلةً لاستخلاصهم من أذى الكفار، إلى أن لم تبق للسامعين أيُّ شبهة من أحد الأمرين، إما أن يكون اللفظ عامّاً يشمل أبا بكر الصدِّيق قبل الآخرين من جهة قيام القرائن، وإما أن يكون «الأتقى» معهوداً، والمراد به شخصٌ معيّن، وذلك الشخص هو أبو بكر الصدِّيق.

• عن **ابن مسعود** أن أبا بكر الصدِّيق اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأُبي بن خلف ببردة وعشر أواق، فأعتقه لله، فأنزل الله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾﴾، سعي أبي بكر وأمية وأُبي إلى قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾﴾، قال: لا إلـه إلا الله إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل]، قال: النار[1].

• عن **عروة** أن أبا بكر الصدِّيق أعتق سبعةً، كلُّهم يُعَذَّبُ في اللهِ: بلال، وعامر بن فُهيرة، والنّهدية، وابنتها، وزنِّيرة، وأم عيسى، وأمة بني المؤمل، وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾، إلى آخر السورة[2].

• عن **عامر بن عبد الله بن الزبير** عن أبيه قال: قال أبو قحافة لأبي بكر: أراك تعتقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنّكَ إذا فعلتَ ما فعلتَ أعتقت رجالاً جُلْداً يمنعونك، ويقومون دونك، فقال أبو بكر: يا أبتِ إنِّي إنّما أريد

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٠).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).

وجه الله، فنزلت هذه الآيات فيه: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل]، إلى قوله ﷻ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل][(١)].

• عن **سعيد بن المسيب** قال: نزلت: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩﴾ [الليل] في أبي بكر، أعتق ناساً لم يلتمس منهم جزاءً ولا شكوراً، ستة أو سبعة، منهم: بلال وعامر بن فهيرة[(٢)].

• عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾، قال: هو أبو بكر الصدِّيق[(٣)].

• وقال **عمار بن ياسر** في ذلك شعراً:

جزى اللَّه خيراً عن بلالٍ وصحبِه ... عَتِيقاً، وأَخْزَىٰ فاكِهاً وأبا جَهْلِ[(٤)]

بالجملة: فإنّه لمَّا ثبتت هذه المقدمة، وقد قال الله تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فكان الصدِّيقُ الأكبرُ أتقى الأمة، وأتقى الأمة هو أكرمُ الأمةِ وهو المطلوبُ.

ويدلّ كتاب الله على أفضلية أبي بكر وعمر من وجوه كثيرة على الأسلوب الذي قمت بتقريره.

❁ ❁ ❁

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٧٢) رقم: (٣٩٤٢)، «الدر المنثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٣) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٢٨٢).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٣٧٦).

المبحث الثاني

[في تصريح وتلويح من السُّنَّة السنية بأفضلية الصدِّيق ثم الفاروق ثم ذي النورين على سائر الأمة]

قبل أن نشرع في رواية الأحاديث نكتب نكتتين.

النكتة الأولى: أنّ مسألة أفضلية الشيخين في الملّة الإسلامية قطعيُّ الثبوت، ويحصل اليقينُ هنا بوجهين:

أحدهما: تعدّد طرق الحديث إلى أن أصبح الأمرُ متواتراً بالمعنى، مثل سخاوة حاتم، وشجاعة رستم.

والثاني: توفّر القرائن؛ لأنّ خبرَ الواحد يصل إلى حدود اليقين بسبب ما تحفه به من القرائن.

مثال ذلك: أن نرى سقيماً طريحَ الفراش، يحمله أقاربه من طبيب إلى طبيب، ويئسوا من حياته ـ آخر الأمر ـ وأصيبوا بأنواع الهمّ والألم، إذ رأينا ذاتَ يوم نياحةً منكَرةً في بيته، والنعش على الباب، ويدخل الناسُ بيته أفواجاً من كلّ جانب، وهم محزونون صامتون، فإذا قام شخص يخبر بموت المريض بهذه المناسبة، يصل هذا الخبر الواحد إلى حدود اليقين، بسبب القرائن الحافة به.

وكذلك أحاديث أفضلية الشيخين محفوفة بقرائن كثيرة، وهذه القرائن على نوعين:

أحدهما: الأدلّة الظنية والخطابية التي توافق خبر الواحد في أصل الغرض، ومن جملة ذلك عموم ما في كتاب الله وسنَّة رسول الله ﷺ في فضيلة المهاجرين والمجاهدين.

• مثل حديث رُفاعة في قصة مجيء جبريل إلى النبيِّ ﷺ قال: ما تعدّون أهل بدر فيكم؟

قال: «**مِنْ أفضلِ المسلمينَ**» ـ وقال رافع بن خديج: وخيارنا ـ، قال: وكذلك من شهد بدراً من الملائكة[(١)].

ومثل حديث جابر: كنّا يومَ الحديبيةِ ألفاً وأربع مائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: «**أنتمُ اليومَ خيرُ أهلِ الأَرْضِ**»[(٢)].

وعلم من هذين الحديثين أنَّ مَنِ اتَّصف بالأفضلية فعددهم قليل جداً، والإشارات والإيماءات في كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ في فضيلة الشيخين يفهم منها أفضليتهما على جميع الأمة، فإنها توافق في معنى الفضيلة مع تقليل الشركاء جداً.

والثاني: من قرائن فروع الأفضلية هو: أن الأمة قالوا في كل موطن ومناسبة: «أفضل هذه الأمة» وذلك لمعرفتها بها قولاً وفعلاً، وقد ردّدوا هذه المقالة بوجه كأنه من اليقينيات لا مدخلَ لتجديد الفكر إليه، وكل من هذين المبحثين يتطلب تفصيلاً، وقد ذكرنا كثيراً من ذلك، فينبغي استحضار هذه المقالات.

النكتة الثانية: إن قمنا باستقراء الأحاديث الواردة في أفضلية الشيخين وجدنا أنّ مدار الأفضلية على أربع خصال:

أولاها: هي تولي المرتبة العليا من مراتب الأمة، والصدِّيقية والشهيدية عبارة عن ذلك.

والثانية: هي مؤازرة النبي ﷺ، وتبليغ الإسلام في حين غربته،

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٩٢).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٨٥٦).

«**أمنُّ الناسِ عليَّ أبو بكر، واساني بمالِهِ ونفسِهِ**»، و«**عزّةُ الإسلام**» من خصائص عمر، إشارة إلى ذلك.

والثالثة: هي إنجازُ الأمور المطلوبة من النبوة بيد الشيخين، ورؤيا النبي ﷺ في قصة المقاليد، ورؤيا نزع الماء من البئر مظهرٌ من مظاهر ذلك.

والرابعة: علوّ درجاتهم في المعاد: «**سيدا كهولِ أهلِ الجنّة**»، و«الإقامة في الغرف العالية»، «والأولوية في الحشر»، «والتجلّي الخاص لأبي بكر الصدِّيق»، «ومعانقة الرب تبارك وتعالى لعمر الفاروق» بيان لذلك، وهذه الخصلةُ لا تنفصِلُ عن أي واحدة من الخصال الثلاث؛ لأن كثرة الثواب مناطها: إمّا الصفات النفسانية، وإمّا إعزاز الإسلام ونصرته، وإمّا إنجاز أعمال النبوة، ولكن يمكن أن يكون شخصٌ لم يتشرّف بصحبة النبي ﷺ لأجل تأخُّر إسلامه وإيمانه، ولم يشهد مشهداً من مشاهد الإسلام، وهو على الرغم من كل ذلك أفضل الأمة من ناحية إنجاز الأعمال المطلوبة من بعثة النبي ﷺ مع يده، أو باعتبار الصدِّيقية والشهيدية، أو لمناسبة قوته العاملة والعاقلة بنفس النبي ﷺ القدسية، ويمكن أن يحاول في إعزاز الإسلام ونصرته أقصى المحاولة، ويُتوفّى في أواخر أيام حياة النبي ﷺ لم يعرف الأعمال المطلوبة من النبي ﷺ، فضلاً عن مباشرتها، ولم تكن له مناسبة قوية بالنبيِّ ﷺ باعتبار القوة العاقلة والعاملة، وغاية مرمى همته حال من أحوال الأبرار، ذلك من مقتضيات الإمكان العقلي، ولكن سنَّة الله تجري على ألّا يلقي الدواعي العظيمة إلا في النفوس القدسية الذين تزكَّت نفوسهم تحت تربية النبي ﷺ إلى مدة طويلة، والنبي ﷺ يقتضي منصبه النبوي العظيم ألا يكون خليفته إلا من كان أكمل الأمة من جهة هذه الخصال الأربع.

بالجملة: فإنه ينبغي التأمل الوافي في أحاديث هذا الباب والاستنباط لمدار الأفضلية من كل حديث بمفرده، والآن نتوجَّه إلى رواية الأحاديث بعد ذكر هذه الأشياء.

أما **باعتبار الأعمال التي قام بها النبي ﷺ من جهة النبوة**، فإن أفضلية الشيخين ثابتةٌ فيها بأحاديث كثيرة:

• **الحديث الأول**: حديث **أبي هريرة**، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**بينا أنا نائمٌ، رأيتني على قليبٍ، وعليها دلوٌ، فنزعتُ منها ما شاءَ اللهُ، ثم أخذَها ابنُ أبي قُحافةَ، فنزعَ مِنْها ذَنوباً أو ذَنوبينِ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ واللهُ يغفِرُ له، ثم استحالتْ غَرْباً، فأخذها عُمَرُ بنُ الخطَّاب، فلم أرَ عَبْقَرِيّاً من الناسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بنِ الخطابِ، حتى ضربَ الناسُ بعطنٍ**»[(١)].

• وحديث عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أريتُ في المنامِ أنِّي أنزعُ بدلوِ بكرةٍ على قليبٍ، فجاءَ أبو بكرٍ، فنزعَ ذَنوباً أو ذَنوبين نزعاً ضعيفاً، واللهُ يَغْفِرُ لهُ، ثم جاءَ عمرُ بنُ الخطابِ، فاستحالتْ غَرْباً، فلم أرَ عَبْقَرِيّاً يَفْرِي فريّه، حتّى روي الناسُ، وضربوا بعطنٍ**»، رواهما **البخاري ومسلم** وغيرهما[(٢)].

• وعن **أبي الطفيل** عن النبيِّ ﷺ وعن حبيب وحُميد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا أنزعُ الليلةَ إذ وردتْ عليَّ غنمٌ سودٌ، وغنمٌ عُفْرٌ، فجاءَ أبو بكرٍ فنزعَ ذَنوباً أو ذنوبينِ، فيهما ضعفٌ، واللهُ يَغْفِرُ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٦١٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٣٩٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (٣٦٨٢)، و«سنن الترمذي» (ح: ٢٢٨٩)، و«مسند أحمد» رقم: (٩٨٢٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ١٧٧)، و«المعجم الكبير»، للطبراني (١٢/ ٣٠١) رقم: (١٣١٧٧).

له، ثم جاءَ عمرُ، فاستحالتْ غَرْباً، فملأ الحياضَ، وأروى الواردةَ، فلمْ أرَ عبقريّاً من الناسِ أحسنَ نزعاً منه، فأوَّلْتُ أن الغنمَ السودَ العربُ والعفرَ العجمُ»(١).

• **والحديث الثاني**: حديث **ابن عمر** في الموازنة مع الأمة.

أخرج **ابن مردويه** عن **ابن عمر**، قال: خرج علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ غداةٍ بعد طلوع الشمس، قال: «**رأيتُ قبلَ الفجرِ كأنِّي أُعطيتُ المقاليدَ والموازينَ، فأمّا المقاليدُ فهي المفاتيحُ، وأمّا الموازينُ فهذِهِ التي يُوزَنُ بها، فوُضِعتُ في كفَّةٍ، ووضعتْ أُمّتي في كفّةٍ، فَوُزِنْتُ بهم فرجحتُ.**

ثم جِيءَ بأبي بكرٍ، فوُزِنَ بهم فرجَحَ.

ثم جِيءَ بعمرَ، فوُزِنَ بهم فرجحَ.

ثم جيءَ بعثمانَ، فَوُزِنَ بهم فرجَحَ، ثم رُفِعَتْ»(٢).

• **والحديث الثالث**: حديث **جابر بن عبد الله** أنه كان يحدِّثُ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أُري الليلةَ رجلٌ صالحٌ أنَّ أبا بكرٍ نِيطَ برسول الله ﷺ، ونِيطَ عمرُ بأبي بكرٍ، ونِيطَ عثمانُ بِعُمَرَ**».

قال جابر: فلمّا قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أمّا الرجلُ الصالح، فرسولُ اللهِ ﷺ، وأمّا تنوُّط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمرِ الذي بَعَثَ اللهُ به نبيَّه ﷺ(٣).

• **والحديث الرابع**: حديثُ **سَمُرَةَ بن جُنْدَب** أنّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ! إني رأيتُ كأنَّ دلواً دُلِّي من السماء، فجاء أبو بكر، فأخذ

(١) «مسند أبي يعلى» (٢/١٩٨) برقم: (٩٠٤).
(٢) «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١/ ٢٤).
(٣) «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٣٦).

بعراقيها[١]، فشربَ شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ، فأخذ بعراقيها فشربَ حتى تضلَّعَ[٢]، ثم جاء عثمانُ، فأخذ بعراقيها، فشربَ حتّى تضلَّع، ثم جاء عليٌّ، فأخذ بعراقيها فانتشطتْ[٣]، وانتضحَ عليه مِنْها شَيْءٌ[٤].

• **والحديث الخامس**: حديثُ **ابن عباس وأبي هريرة**، وقع فيه تسمية الخلفاء بالتصريح، وهذا شاهدُ عدلٍ لهذه الأحاديث.

وهو أنَّ **ابن عباس** رضي الله عنهما كان يحدِّثُ أنَّ رجلاً أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: إنِّي رأيتُ الليلةَ في المنامِ ظلةً تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفّفونَ منها، فالمستكثِرُ والمستقِلُّ، وإذا سَبَبٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء، فأراكَ أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذَ به رجلٌ آخر فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرَ فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرَ فانقطعَ، ثم وُصِلَ.

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله! بأبي أنتَ واللهِ لتدعني فأعْبُرَها.

فقال النبيُّ ﷺ: «**اعبر**»، قال: أمَّا الظلةُ فالإسلامُ، وأما الذي ينطِفُ مِنَ العَسَلِ والسمنِ فالقرآنُ حلاوته تنطُف، فالمستكثِرُ من القرآنِ والمستقلُّ، وأمّا السببُ الواصلُ من السماءِ إلى الأرضِ فالحقُّ الذي أنتَ عليه، تأخذُ به، فيُعليكَ اللهُ، ثم يأخذُ به رجلٌ مِنْ بعدِكَ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخر فينقطِعُ به، ثم يوصَلُ له، فيعلو به، فأخبرني يا رسولَ الله! بأبي أنتَ أصبتُ أم أخطأتُ؟.

قال النبي ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**»، قال: فواللهِ لتحدِّثني بالذي أخطأتُ.

---

(١) أي: أعواد يخالَفُ بينها، ثم تُشَدُّ في عُرَى الدلو، ويعلّق بها الحَبْلُ.

(٢) يريد الاستيفاء في الشرب.

(٣) أي: اضطرابها حتى ينتضح ماؤها.

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٣٧).

قال: «**لا تُقْسِم**»[١].

كلُّ هذا يدلّ على أنَّ الأعمالَ المطلوبة من بعثة النبي ﷺ إنما تمَّت على يد هؤلاء المشايخ على ترتيب خلافتهم، ولا شريك لهم في هذا الأمر، فكانت الأفضليةُ باعتبار تكميل الأعمال إلى جانبهم دون غيرهم.

• **والحديث السادس**: حديث **حذيفة** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي، أبي بكرٍ وعُمَرَ**»[٢]

وعن **ابن مسعود** قال رسولُ الله ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي، أبي بكرٍ وعمرَ**»[٣].

يدلُّ هذا الحديث على أنّ الشيخين يقومان مقامَ النبيِّ ﷺ من بعد وفاته.

• **والحديث السابع: حديث بني المصطلق.**

عن **أنس بن مالك** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: سَلْ لنا رسولَ الله ﷺ إلى مَنْ ندفعُ صدقاتِنا بعدَكَ؟ قال: فأتيتُه، فسألتُه، فقال: «**إلى أبي بكرٍ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه، فَسَلْه فإنْ حَدَثَ بأبي بكرٍ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه، فسألتُه، فقال: «**إلى عمر**»، فأتيتُهم، فأخبرتُهم، فقالوا: ارجع إليه فَسَلْه، فإنْ حَدَثَ بعمرَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فقال: «**إلى عثمانَ**»، فأتيتُهم فأخبرتُهم فقالوا: ارجع إليه فَسَلْه، فإنْ حَدَثَ بعثمانَ حَدَثٌ، فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه فقال:

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٧٠٤٦).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٥).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٠٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٢٧).

«إنْ حَدَثَ بعثمانَ حدثٌ فتبّاً لكم الدَّهْرَ تبّاً»[١].

• **والحديث الثامن: حديث وضع الأحجار.**

عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: أوَّلُ حجرٍ حملَهُ النبيُّ ﷺ لبناءِ المسجدِ، ثم حملَ أبو بكرٍ حَجَراً آخر، ثم حملَ عمرُ حجراً آخر، ثم حملَ عثمانُ حجراً آخر، فقلت: يا رسول الله! ألا ترى إلى هؤلاءِ كيف يساعدونك؟ فقال: «**يا عائشةُ! هؤلاءِ الخلفاءُ مِنْ بعدي**»[٢].

• **والحديث التاسع**: حديث **جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ** عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ، كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ، قَالَ ﷺ: «**إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبا بكرٍ**»[٣].

• **والحديث العاشر**: حديث **العرباض بن سارية**، قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ موعظةً، ذرفتْ منها العيونُ، ووجِلَتْ منها القلوبُ، فقلنا: يا رسولَ الله! إنَّ هذه لموعظةُ مودِّع، فماذا تَعْهَدُ إلينا؟ قال: «**قد تركتُكُم على البيضاء، ليلُها كنهارِها، لا يزيغُ عنها بَعْدِي إلَّا هالكٌ، مَنْ يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بما عرفتُم مِنْ سُنَّتي، وسُنَّة الخلفاءِ المهديينَ الراشدينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وعليكُم بالطاعةِ، وإنْ كانَ عبداً حبشياً، فإنَّ المؤمنَ كالجَمَلِ الأَنِفِ حيثما قيدَ انقاد**»[٤].

ثم فسّر الخلافة بوجه تنطبقُ به على الخلفاء الثلاثة لا غير.

• وفي حديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ والمُلْكُ بالشامِ**» أخرجه **الحاكم**[٥].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٢) برقم: (٤٤٦٠).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٣) برقم: (٤٥٣٣).

(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٩). (٤) أخرجه ابن ماجه (ح: ٤٦).

(٥) «المستدرك» (٣/ ٧٥) رقم: (٤٤٤٠).

• والآن نثبت أن أبا بكر الصدِّيق أفضل من عمر الفاروق، وعمر أفضل من عثمان، وهذا المعنى ثابتٌ بحديث مستفيض، وهو الحديث الحادي عشر من أحاديث هذا الباب كما يأتي فيما يأتي:

• **والحديث الحادي عشر**: عن **سفينة** مولى أم سلمة ﵄، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الصبحَ، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «**أيُّكم رأى الليلة رؤيا؟**» قال: فصلَّى ذات يوم، فقال: «**أيُّكم رأىٰ رؤيا؟**».

فقال رجلٌ: أنا رأيتُ يا رسولَ الله! كأن ميزاناً دُلِّي به من السماءِ، فوُضعتَ فِي كِفَّةٍ، ووُضِعَ أبو بكرٍ من كفَّةٍ أُخرى، فرجحتَ بأبي بكر، فرُفِعْتَ، وتُرِكَ أبو بكر مكانه، فجِيءَ بعمرَ بن الخطابِ، فوُضِعَ في الكفَّةِ الأخرى، فرجحَ به أبو بكر، فَرُفِعَ أبو بكرٍ، وجيءَ بعثمانَ، فوضع في الكفَّةِ الأخرى فرجحَ عمرُ بعثمانَ، ثم رُفِعَ عمرُ، وعثمانُ ورُفِعَ الميزانُ، قال: فتغيَّرَ وجهُ رسولِ الله ﷺ ثم قال: «**خلافةُ النبوَّةِ ثلاثون عاماً، ثم تكون مُلْك**»[١].

• وعن **أبي بَكْرَةَ**: أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذات يومٍ: «**مَنْ رأى مِنْكُم رؤيا؟**».

فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً نزلَ من السماءِ، فوزنتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنتَ بأبي بكرٍ، ووَزِنَ أبو بكر وعمرَ فرجحَ أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمانَ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزانُ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ[٢].

وعن عرفجة نحو من ذلك.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) رقم: (٤٤٣٨).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٢٢٨٧).

ليعلم هنا أنَّ مضمونَ حديث ابن عمر مختلِفٌ عن مضمون حديث أبي بكرة وعرفجة، إذ إنَّ في حديث ابن عمر الموازنة مع سائر الأمة، وفي حديث أبي بكرة وعرفجة الموازنة مع الخلفاء بعضهم مع بعض، وكلا المعنيين صحيحٌ روايةً ودرايةً.

• وليعلم أيضاً أنه أخرج **الدارمي** عن **أبي ذر الغفاري** قال: قلت: يا رسول الله! كيف علمتَ أنَّكَ نبيٌّ حين اسْتُنْبِئْتَ، فقال: «**يا أبا ذرّ! أتاني ملكانِ، وأنا ببعضِ بطحاءِ مكَّةَ، فوقع أحدُهما على الأرضِ، وكان الآخَرُ بين السماءِ والأرض، فقال أحدُهما لصاحبِه: أَهُوَ هُوَ؟ قال: نعم، قال: فَزِنْهُ بِرَجُلٍ، فوُزِنت بهِ فَوَزَنْتُهُ، ثم قال: فَزِنْهُ بِعَشَرَةٍ، فوُزِنْتُ بِهِم فرجَحْتُهم، ثم قال: زِنْهُ بمائةٍ فوُزنتُ بهم، فرجحتُهم، ثم قال: زِنْهُ بألفٍ، فوُزِنْتُ بهم فرجحتُهم، كأنِّي أنظرُ إليهم ينتثرونَ عليَّ مِنْ خفّة الميزانِ، قال: فقال أحدُهما لصاحبه: لو وَزَنْتُهُ بأُمَّتِهِ لرجحَها**»[(١)].

لقد عرف النبي ﷺ هناك من الرؤيا وزن نبوته، إذ الوزن دلّ على الرجحان عند الله، وعلم هنا بهذه القصة خلافة الخلفاء الثلاثة وأفضليتهم.

• وأما **باعتبار إعانة الإسلام عند الغربة ومؤازرة النبي** ﷺ حين إيذاء الكفار وتعذيبهم، فأفضليةُ الشيخين ثابتةٌ بأحاديث كثيرة، ومنها الحديث الثاني عشر من أحاديث هذا الباب كما هو فيما يلي:

• **والحديث الثاني عشر**: حديث **أبي سعيد الخدري**، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ نبيٍّ إلَّا له وزيرانِ مِنْ أهلِ السماءِ، ووزيرانِ من أهلِ الأرضِ، فأمَّا وزيرايَ مِنْ أهل السماءِ فجبريلُ وميكائيلُ، وأمَّا وزيراي**

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» رقم: (١٤).

من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعُمَرُ»[١].

• وعن **سعيد بن المسيب** قال: كان أبو بكر الصدِّيق ﷺ من النبيِّ ﷺ مكانَ الوزير، فكان يشاوِرُه في جميع الأمور، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يوم بدر، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يقدّم عليه أحداً[٢].

• **والحديث الثالث عشر**: عن **أبي أروى الدَّوْسي** قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ فاطلع أبو بكر وعمر، فقال: «**الحمدُ للهِ الذي أيَّدني بهما**»[٣].

• وعن حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لقد هممتُ أن أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً، يعلِّمونَ الناسَ السُّنَنَ والفرائضَ، كما بعثَ عيسى ابنُ مريم الحواريين**».

قيل له: فأين أنتَ من أبي بكرٍ وعمرَ؟

قال: «**إنَّه لا غنى بي عنهما، إنَّهما من الدِّينِ كالسَّمْعِ والبَصَرِ**»[٤].

• **والحديث الرابع عشر**: هو إثباتُ مِنّةِ أبي بكر الصدِّيق على نفسه ﷺ، وذلك مستفيضٌ من حديث **أبي سعيد الخدري**، **وأبي هريرة وعلي المرتضى**.

• عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أمنَّ الناس عليَّ في مالِهِ وصحبتِهِ أبو بكرٍ**»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٨٠).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (ح: ٤٤٢١).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٧٨) برقم: (٤٤٤٨).
(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٢).

• وعن **أبي هريرة** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلَّا وقد كافأناه، ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[(١)].

وهذه إشارةٌ إلى أفضليته باعتبار مؤازرة النبي ﷺ وتبليغ الإسلام.

• **والحديث الخامس عشر**: هو أوليةُ إسلام أبي بكر الصدِّيق من بين الأحرار البالغين، وظاهرٌ أنَّه لا يتزعزع بنيانُ ملّة الكفر بإسلام غير بالغ وحرٍّ.

وهذا مستفيضٌ أيضاً من حديث **أبي الدرداء**، **وعمرو بن عتبة**، **والمقدام** **وعمّار**.

• عن **أبي الدرداء** في قصّة مغامرة عمر معه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي**»[(٢)].

• **والحديث السادس عشر**: دعاءُ النبيِّ ﷺ في حقّ عمر الفاروق: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلام...**» وظهرت إجابةُ هذا الدّعاء بأبلغ الوجوه.

وهذا مستفيضٌ أيضاً من حديث **ابن عمر**، **وابن عباس**، **وعائشة**، **وابن مسعود**.

• عن **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بأحبِّ هذينِ الرجلينِ إليكَ بأبي جَهْلٍ أو بِعُمَرَ بنِ الخطَّابِ**»، قال: وكان أحبّهما إليه عُمَرُ[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٦١).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨١).

وأما **حصول عزة الإسلام بإسلام عمر الفاروق**، فهو مستفيضٌ من حديث **ابن مسعود**، وابن **عباس**، و**حذيفة**.

• عن **ابن مسعود**: «ما زلنا أعزَّةً منذُ أسلمَ عُمَرُ»[(١)]، وفي رواية: «واللهِ ما استطعنا أن نصلّيَ عندَ الكعبةِ ظاهرينَ حتى أسلمَ عمرُ»[(٢)].

• **والحديث السابع عشر: استبشار أهل السماوات بإسلام عمر الفاروق**، وهذا ـ أيضاً ـ **تلويح بإعانة الإسلام والمسلمين**.

وهذا مأخوذٌ من حديث **ابن عباس**، قال: لمَّا أسلمَ عمرُ نزل جبرئيلُ، فقال: يا محمّدُ! لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عُمَرَ[(٣)].

• **والحديث الثامن عشر**: كان عمرُ ﵁ **باباً مغلقاً من الفتنة**، ومن **جهنم**.

وهذا الحديثُ مستفيضٌ.

عن **حذيفة** وقد سأله عمر عن الفتنة الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ، قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً[(٤)]، ثم فسَّر البابَ لعمر، لأجل سؤال مسروق.

وقد ظهر بعد ذلك في الخارج مثل الشمس في رابعة النهار بفتح فارس والروم، الذي كان من ثمرات بعثته ﷺ، وتمّ ظهوره على يده بغير شركة أحد.

وتحقَّق جمعُ القرآن، الذي كان موعوداً في كتاب الله تعالى بجهوده

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٨٦٣).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٧).
(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (١٠٣).
(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٢٥).

بغير مشاركة من أحد، وتحقَّق الإجماع بسعيه، الذي هو ثالث أصول الشريعة بدون سعي من غيره.

وإنجاز تحقيق مقامات التصوّف وغير ذلك كذلك، حتى وقد تبيَّن اختصاص هؤلاء المشايخ وفق إشارة هذه الأحاديث رأساً برأس.

وقد تواتر أنَّ أبا بكر الصدِّيق هو أوَّلُ المسلمين، وقام بنصرة النبي ﷺ في مواطن كثيرة، وأسلم عمر الفاروق قرب السنة السادسة للنبوة، وازدادَ الإسلامُ به عزةً، وكل ذلك من البراهين القاطعة على أفضليتهما وتفسير لهذه الأحاديث.

وقد وصلنا ـ والحمد لله ـ إلى أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه أفضلُ مِنْ عمر الفاروق رضي الله عنه في هذا الوصف ـ أي: السابقية ـ، وهذا المعنى ثابتٌ بقول النبي ﷺ في قصة مغامرة الصدِّيق مع الفاروق: «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحِبي**»، وهو الحديث التاسع عشر من أحاديث هذا الباب كما هو فيما يلي:

• **والحديث التاسع عشر**: أخرج **البخاري** عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتَّى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: «**أمَّا صاحبُكم فقد غامرَ**»، فسلَّم، وقال: إني كان بيني وبين ابنِ الخطَّابِ شيءٌ، فأسرعتُ إليه، ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي فأبى عليَّ، فأقبلتُ إليكَ، فقال: يغفرُ الله لكَ يا أبا بكر ثلاثاً.

ثم إنَّ عمرَ ندمَ، فأتى منزلَ أبي بكرٍ، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم، فجعل وَجْهَ النبيِّ ﷺ يتمعَّرُ، حتى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ الله! واللهِ أنا كنتُ أظلَمَ، مرَّتين، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله بعثني إليكُم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو**

بكر: صَدَقَ، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، **فهل أنتُم تاركو لي صاحِبي**» - مرتين - فما أوذي بعدها[١].

وأمَّا أنَّ عمرَ أفضلُ من عثمانَ فهو ثابتٌ بقصة مغامرة عثمان مع عمر الفاروق في نصر أبي جحش، قال النبي ﷺ: «**رضا عُمَرَ رحمةٌ**»، وهو الحديث العشرون من أحاديث هذا الباب كما هو يأتي فيما يلي:

• **والحديث العشرون**: حديث **عبد الله بن عمر** في قصة طويلة فيها مغامرةُ عمر مع أبي جحش، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ رضا عُمَرَ رحمةٌ**»، أخرجه **الحاكم**[٢].

• وأما **باعتبار الكمال النفساني**، وكونه من الطبقة العليا للأمة فهو ثابت بأحاديث كثيرة، ومنها شهادة النبي ﷺ في حق أبي بكر بالصدِّيقية، وعمر الفاروق، وعثمان ذي النورين بالشهيدية، وهذا هو الحديث الحادي والعشرون من أحاديث هذا الباب، **وهو فيما يلي**:

• **والحديث الحادي والعشرون**: وهو حديثٌ مستفيضٌ برواية **عثمان**، **وأنس**، **وأبي هريرة**، **وسعيد بن زيد**، وصحابي مبهم.

وأخرج أحمد في «مسنده»[٣] عن ثمامة بن حزن القشيري في قصة طويلة، قال **عثمان**: أنشدكم باللهِ والإسلام، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان على ثبيرِ مكةَ، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرّكَ الجبلُ، حتى تساقطت حجارتُه بالحضيض، قال: فركضَه برجلِه، وقال: «**اسْكُنْ ثَبِيرٌ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ؟**»

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٦١). (٢) في «المستدرك» (٣/ ٩٣).

(٣) لم يخرّجه أحمد في «مسنده» عن ثمامة بن حزن القشيري، ولكن أخرجه عن سهل بن سعد، وأنس بن مالك باختصارٍ جداً، ولكن أخرجه الترمذي (ح: ٣٧٠٣) عن ثمامة بن حزن القشيري.

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: الله أكبر شهدوا لي وربِّ الكعبة أني شهيد ثلاثاً.

• **والحديث الثاني والعشرون:** هو **إثبات مرتبة لأبي بكر الصدِّيق تقارِبُ الخلَّة.**

وهو مستفيضٌ، جيِّدُ الأسانيدِ من حديث **ابن عباس**، و**ابنِ الزبير**، و**أبي سعيد الخدري**، و**عبد الله بن مسعود**، و**أبي المعلى**.

• عن **ابن عباس** عن النبيِّ ﷺ قال: «**وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَلِيلاً لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي**»[1].

• **والحديث الثالث والعشرون:** هو **موافقة رأي أبي بكر الصدِّيق للوحي**، في وقائع عديدة، إلى أن أصبحَ القدر المشترك متواتراً بالمعنى، ومن جملةِ ذلك قصةُ فنحاص اليهودي، التي رواها عِكْرمةُ ومجاهِدٌ والسدّي.

• روي عن **عكرمة** أنَّ النبيَّ ﷺ بعث أبا بكر إلى فنحاص اليهودي يستمدُّه، وكتبَ إليه، وقال لأبي بكر: «**لا تفتتْ عليَّ بشيءٍ حتى ترجعَ إليَّ**»، فلما قرأ فنحاصُ الكتابَ، قال: قد احتاجَ ربُّكم، قال أبو بكر: فهممتُ أن أمدّه بالسيفِ، ثم ذكرتُ قول النبي ﷺ: «**لا تفتتْ عليّ بشيء**»، فنزلت: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية [آل عمران: ١٨١]، وقوله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦][2].

• وقال ابن جريج: حُدِّثْتُ أنَّ أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ، فصكّه

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٦).

(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٣/ ٦).

أبو بكر صكّة فسقط، فذكر ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**أفعلت يا أبا بكر؟**» فقال: والله لو كان السيف مني قريباً لضربته، فنزلت: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢][١].

• وعن **أبي أيوب الأنصاري** عن النبيِّ ﷺ قال: «**إني رأيتُ في المنامِ غنماً سوداء، يتبعها غنم عُفْر، يا أبا بكر اعْبُرْها**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! هي العربُ تتبعُكَ، ثم تتبعُها العجمُ، حتى تغمرَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلِكُ بِسَحَرٍ**»[٢].

• وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ: «**اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ**»، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر][٣].

• وفي الحديبية، قال لعمرَ مثل ما قال له النبيُّ ﷺ، قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ! إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَاللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ[٤].

• **والحديث الرابع والعشرون**: هو **طلبُ النبيِّ ﷺ من أبي بكر الصدِّيق التعبيرَ والتأويلَ في وقائع كثيرة**، وهذا يدلُّ على أنَّ قوته العاقلة توافِقُ القوَّةَ العاقلةَ للنبيِّ ﷺ.

قال **محمد بن إسحاق**: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ الصّدّيقِ وَهُوَ مُحَاصِرٌ ثَقِيفاً: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! إنّي رَأَيْت أَنّي أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ مَمْلُوءَةٌ زُبْداً، فَنَقَرَهَا دِيكٌ، فَهَرَاقَ مَا فِيهَا**».

---

(١) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٩/ ٤٤٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٥٣).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٧٣١).

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَظُنّ أَنْ تُدْرِكَ مِنْهُمْ يَوْمَك هَذَا مَا تُرِيدُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَأَنَا لَا أَرَى ذَلِكَ»**[١].

• وقال ابن هشام: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنّهُ حُدِّثَ عَنْ إبْرَاهِيمَ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَحْمُودِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«رَأَيْتُ كَأَنّي لَقِمْتُ لُقْمَةً مِنْ حَيْسٍ، فَالْتَذَذْتُ طُعْمَهَا، فَاعْتَرَضَ فِي حَلْقِي مِنْهَا شَيْءٌ حِينَ ابْتَلَعْتهَا، فَأَدْخَلَ عَلِيٌّ يَدَهُ فَنَزَعَهُ؟»**.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذِهِ سَرِيّةٌ مِنْ سَرَايَاك تَبْعَثُهَا، فَيَأْتِيك مِنْهَا بَعْضُ مَا تُحِبّ، وَيَكُونُ فِي بَعْضِهَا اعْتِرَاضٌ، فَتَبْعَثُ عَلِيّاً فَيُسَهّلُهُ[٢].

• **والحديث الخامس والعشرون: هو نزع الخيلاء من صدر أبي بكر**، وهذا يدلّ على أن قوته العاملة توافِقُ القوة العاملة للنبيِّ، وهذا تلو العصمة.

• من حديث **عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ** ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّ أَحَدَ شِقَّي ثَوْبِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خُيَلَاءَ»**[٣].

• **والحديث السادس والعشرون: هو كون أبي بكر الصدِّيق مستجمعاً أنواع البرّ**، وهذا يدلّ على **أنَّ قوته العاملة توافق القوة العاملة للأنبياء**.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤). (٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦٥).

• من حديث **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أصبحَ مِنْكُم اليومَ صائماً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ تَبعَ مِنْكُم اليومَ جنازةً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُم اليومَ مسكيناً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

قال: «**فَمَنْ عادَ مِنْكُم اليومَ مريضاً؟**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: أنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمعنَ في امرئٍ إلا دخلَ الجنّةَ**»(١).

• **والحديث السابع والعشرون: هو نداء الملائكة لأبي بكر الصديق من الأبواب الثمانية للجنة.**

من حديث **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ أنْفَقَ زوجينِ في سبيلِ اللهِ نُودِيَ من أبوابِ الجَنَّةِ! يا عبدَ الله هذا خيرٌ، فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ من بابِ الصَّلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الجِهادِ دُعِيَ مِنْ بابِ الجِهادِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصِّيامِ دُعِيَ من بابِ الرَّيّانِ، ومَنْ كانَ من أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بابِ الصَّدقَةِ**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنتَ وأُمّي يا رسولَ اللهِ! ما على مَنْ دُعِيَ من تِلْكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، فهل يُدْعَىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها؟

قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ مِنْهُم**»، أخرجه **البخاري**، **ومسلم**

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٢٨).

والترمذي، ومالك في «الموطأ»[١].

• **والحديث الثامن والعشرون: وَضْعُ الله الحقَّ على لسان عمر، وهذه فضيلةٌ في عمرَ تماثِلُ الوحي في الأنبياء.**

وهذا الحديثُ مستفيضٌ، من حديث **ابن عمر**، و**أبي ذرّ**، و**علي المرتضى** وغيرهم.

• عن **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»، أخرجه **الترمذي**[٢].

• **والحديث التاسع والعشرون**: هو **إثبات المحدَّثية لعمر الفاروق**، وهي تلو الوحي.

وهذا مستفيضٌ من حديث **أبي هريرة**، و**عائشة**، و**عقبة بن عامر**.

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كانَ فيما كانَ قبلَكُم مِنَ الأُمَمِ ناسٌ محدَّثون، فإنْ يَكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّه عُمَرُ**»[٣].

• **والحديث الثلاثون**: هو **فرار الشيطان من ظلّ عمر**، وهو تلو العصمة.

وهو مستفيض أيضاً من حديث **سعد بن أبي وقاص**، و**أبي هريرة**، و**بُريدةَ الأسلمي**، و**عائشة**.

عن **سعد بن أبي وقاص** قال: استأذنَ عمرُ على رسولِ اللهِ ﷺ وعنده نساءٌ من قريش يكلِّمْنَهُ، ويستكثِرْنَهُ، عاليةٌ أصواتُهنَّ، فذكر

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ١٧٩٧)، «صحيح مسلم» (ح: ١٠٢٧)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٧٤)، «موطأ مالك» (ح: ١٧٠٠).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٢).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (ح: ٣٦٨٩).

الحديث إلى أن قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«والَّذي نفسِي بيدِهِ ما لَقِيَكَ الشيطانُ قطُّ سالكاً فَجّاً إلا سلكَ فَجّاً غيرَ فَجِّكَ»**، أخرجه **البخاري**، **ومسلم**[(١)].

• والحديث الحادي والثلاثون: هو **مناولةُ النبي ﷺ اللبنَ لعمرَ في المنام**، من حديث **عبد الله**: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائمٌ شربتُ** - يعني -: **اللبنَ، حتّى أنظرَ إلى الري يجري في ظُفُري أو في أظفاري، ثم ناولتُ عُمَرَ»**، فقالوا: يا رسولَ الله! فما أوّلته؟ قال: **«العلمُ»**، أخرجه **البخاري**، **ومسلم**[(٢)].

• والحديث الثاني والثلاثون: **هو موافقة رأي عمر الفاروق للوحي، وهذا يماثل الوحي.**

هو مستفيضٌ من حديث عمر، قال: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ[(٣)]: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحِجَابِ، وفي أسارى بدرٍ[(٤)]، أخرجه **مسلم**، **والبخاري** نحوه.

• والحديث الثالث والثلاثون: **رؤية النبي في عمر زيادةَ الدّين.**

• عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرِضُوا عليَّ، وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغُ الثديَ، ومنها ما يبلغُ دونَ ذلك، وعُرِضَ عليَّ عُمَرُ وعليه قميصٌ اجترَّهُ»**،

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٢٩٤)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٦).

(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٨١)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩١).

(٣) وفي «الخير الجاري» (١/ ٢٤٧): وذكر البعض موافقته أحد وعشرين كما نقله السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (ص١٢٠)، وقال بعضُ آخر: في خمسة عشر، ولعلَّ قوله المذكور كان قبل الحوادث الباقية، أو لأنّ ذكرَ العددِ القليلِ لا ينفي العدد الزائد. انتهى. انظر: حاشية «صحيح البخاري»، للسهارنفوري (١/ ٦٩١).

(٤) «صحيح البخاري» (ح: ٤٠٢)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٩).

قالوا: فما أوّلته يا رسول الله؟ قال: «**الدين**»، أخرجه **البخاري ومسلم**[١].

• وأما **فضيلةُ الشيخينِ من ناحيةِ كثرة الأجر والثواب وعلوِّ درجتهما في الجنَّةِ**، فهي ثابتة بأحاديث كثيرة.

منها حديث: «**سيدا كهولِ أهلِ الجنَّة**».

وهو **الحديث الرابع والثلاثون** من أحاديث هذا الباب، وهو مستفيضٌ من حديثِ **أنسٍ**، و**علي المرتضى**، و**أبي جُحيفة**.

عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»، أخرجه **الترمذي**[٢].

• وعن علي بطرق مختلفة، منها طريق علي بن الحسين بن علي، عن **علي بن أبي طالب** قال: كنتُ مع رسولِ الله ﷺ إذ طلعَ أبو بكرٍ وعمرُ، فقال رسول الله ﷺ: «**هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنَّةِ مِنَ الأوَّلينَ والآخرينَ إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[٣].

• **والحديث الخامس والثلاثون**: هو **اختصاصهم بغرف الجنة**.

من حديث **أبي سعيد** رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أهلَ الدَّرجاتِ العُلَى ليراهُم مَنْ تحتَهم، كما ترونَ النَّجْمَ الطالعَ في أُفُقِ السماءِ، وإنَّ أبا بكرٍ وعمرَ منهم وأنعما**»[٤].

• **والحديث السادس والثلاثون**: هو **تقدُّم الشيخين على الأمة عند الحشر**.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣٦٩١)، «صحيح مسلم» (ح: ٢٣٩٠).

(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦٤).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٦٥).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٥٨).

من حديث **ابن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ، ودخلَ المسجدَ، وأبو بكرٍ وعمرَ أحدُهما عن يمينه، والآخرُ عن شمالِهِ، وهو آخذُ بأيديهما، وقال: «**هكذا نُبْعَثُ يومَ القيامةِ**»(١).

● وفي رواية عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أنا أوَّلُ من تَنْشَقُّ الأرضُ عنه، ثم أبو بكر، ثم عمرُ**»(٢).

● **والحديث السابع والثلاثون: أول من يدخل الجنة هو أبو بكر الصدِّيق.**

من حديث **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريلُ** عليه السلام **فأخذَ بيدي، فأراني بابَ الجنّةِ الذي تدخلُ منه أُمّتي**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! وددتُ أني كنتُ معكَ حتّى أنظرَ إليه.

فقال رسول الله ﷺ: «**أما إنّكَ يا أبا بكرٍ! أوّلُ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من أُمّتي**»(٣).

● **والحديث الثامن والثلاثون:** هو **تجلِّي الله** عز وجل **لأبي بكر الصدِّيق خاصةً.**

● من حديث **جابر** في قصة وفد القيس، قال: فأجابهم أبو بكر رضي الله عنه بجوابٍ، وأجادَ الجوابَ، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! أعطاكَ اللهُ الرضوانَ الأكبر**».

فقال له بعض القوم: وما الرضوان الأكبر يا رسول الله؟

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٩).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٥) رقم: (٣٧٣٢).
(٣) أخرجه أبو داود في «سننه» (ح: ٤٦٥٢).

قال: «**يتجلَّى اللهُ لعبادِهِ في الآخرةِ عامّةَ، ويتجلَّى لأبي بكرٍ خاصَّةً**»[١].

• **والحديث التاسع والثلاثون: هو ورود أبي بكر للحوض مع النبي ﷺ.**

• من حديث **عبد الله بن عمر** أنَّ رسولَ الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوضِ، وصاحبي في الغارِ**»[٢].

• **والحديث الأربعون: أول من يصافحه الحق تبارك وتعالى ويعانقه هو عمر الفاروق.**

• من حديث **أُبَيِّ بْنِ كَعْب** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ الْحَقُّ عُمَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ**»[٣].

• وفي رواية أخرى عنه: «**أَوَّلُ مَنْ يعانِقُه الحَقُّ يَوْمَ القيامَةِ عُمَرُ، وَأَوَّلُ مَنْ يُصافِحُهُ الحَقُّ يَوْمَ القيامَةِ عُمَرُ، وأوَّلُ مَنْ يُؤْخَذُ بِيَدِهِ فَيَنْطَلِقُ بِهِ إلى الجنَّةِ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ** رضي الله عنه»[٤].

والآن نريد أن نذكر أن أفضلية أبي بكر الصدِّيق على عمر الفاروق من أين تفهم؟.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (ح: ٣٦٧٠).

(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» (ح: ١٠٤). وفي «الزوائد» (١/ ٧٦): إسناده ضعيف، فيه داود بن عطاء الليثي، وقد اتفقوا على ضعفه، وباقي رجاله ثقات، وقال السيوطي: قال الحافظ عماد الدين ابن كثير في «جامع المسانيد»: هذا الحديث منكر جداً، وما هو أبعد من أن يكون موضوعاً، والآفة فيه من داود بن عطاء. انتهى.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

فمصدر هذا المعنى إنَّما هو حديثُ عمّار وعائشة، وهو:

• **الحديث الحادي والأربعون** من أحاديث هذا الباب وهو فيما يلي:

• عَنْ **عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَمَّارُ أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفاً، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلا خَمْسِينَ عَاماً مَا نَفِدَتْ فَضَائِلُ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَحَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ**»[١].

• وعن **عائشة** ؓ قالت: «بينا رأسُ رسولِ اللهِ في حِجري في ليلة ضاحيةٍ إِذْ قُلْتُ: يا رسولَ الله! هل يكونُ لأحدٍ من الحسنات عددَ نجومِ السماءِ؟ قال: «**نعم، عمر**».

قلت: فأين حسناتُ أبي بكرٍ؟

قال: «**إنما جميعُ حسناتِ عمرَ كحسنةٍ واحدةٍ من حسناتِ أبي بكرٍ**»[٢].

• وأما أفضليتهم بالإطلاق من دون اعتبار شيء بطريق الإشارة، وهي راجعةٌ إلى إحدى الخصال الأربع المذكورة فثابتة بأحاديث كثيرة، ومن جملة ذلك حديث عمرو بن العاص، وهو:

• **الحديث الثاني والأربعون** من أحاديث هذا الباب وهو فيما يلي:

• عن **عمرو بن العاص** ؓ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/١٧٩) رقم: (١٦٠٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٦٨): فيه الوليد بن الفضل العنزي وهو ضعيف جداً.

(٢) أورده الخطيب في «مشكاة المصابيح» (٣/ ١٧١١) برقم: (٦٠٥٩).

السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَي النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «**عَائِشَةُ**»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «**أَبُوهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ**»[١]، وذلك كناية عن الأفضلية مطلقاً.

• **والحديث الثالث والأربعون**: هو أفضليةُ عمرَ الفاروق من حديث **جابرٍ** موقوفاً ومرفوعاً، ومن حديث **أبي سعيد الخدري**.

عن **جابر بن عبد الله**، قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسولِ الله! فقال: أبو بكر: أمّا إنَّكَ إنْ قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٌ من عُمَرَ**»[٢].

وعن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذلكَ الرجلُ أرفعُ أُمّتي درجةً في الجَنَّةِ**»، قال أبو سعيد: واللهِ ما كُنّا نرى ذلك الرجل إلا عمر بن الخطاب، حتّى مضى لسبيله[٣].

• **والحديث الرابع والأربعون**: هو **أمرُ النبيِّ ﷺ بالإمامة في حال المرض، ونهيه عن إمامة غيره**، ومعلوم بالقطع أن يكون الإمام أفضل الناس.

وهذا الحديثُ مستفيضٌ عن **عائشة**، و**ابن عمر**، و**أبي موسى**، و**عبد الله بن زمعة**، و**عمر بن الخطاب**، و**ابن عباس**، و**ابن مسعود**، و**علي بن أبي طالب**، و**الزبير بن العوام** وغيرهم.

• عن **عائشة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مُرُوا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**».

فقالت عائشةُ: يا رسول الله! إن أبا بكرٍ إذا قامَ مقامَكَ لم يُسْمِعِ

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦٢).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).
(٣) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٤٠٧٧).

الناسَ مِنَ البكاءِ، فَأْمُرْ عمرَ فليصلِّ بالناسِ، قالت عائشةُ: فقلتُ لحفصةَ: قولي له: إنَّ أبا بكرٍ إذا قامَ مقامَكَ لم يُسْمِعِ الناسَ من البكاءِ، فَأْمُرْ عُمَرَ فليصلِّ بالناسِ، ففعلتْ حفصةُ.

فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنكنَّ لأنتنَّ صواحبَ يوسفَ، مروا أبا بكرٍ فليصلِّ بالناسِ**»، فقالت حفصة لعائشة: «ما كنتُ لأصيبَ منك خيراً»، **أخرجه الجماعة**(١).

● عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا ينبغي لقومٍ فيهم أبو بكر أنْ يؤمّهم غيرُه**»(٢).

● وعن **ابن عمر** قَالَ: «لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**».

قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ، قَالَ: «**مُرُوهُ فَيُصَلِّي**».

فَعَاوَدَتْهُ، قَالَ: «**مُرُوهُ فَيُصَلِّي، إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ**»، أخرجه **البخاري**(٣).

● **والحديث الخامس والأربعون: هو تنويه النبيّ ﷺ بمناقب الشيخين أمام جمع من الصحابة.**

وذلك مستفيضٌ من حديث **علي المرتضى**، **وأنس**، **وأبي محجن** رضي الله عنهم.

● عن **علي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**رحمَ الله أبا بكرٍ، زوَّجني**

(١) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٧٦٩)، «صحيح مسلم» (ح: ٤١٨)، «سنن النسائي» (ح: ٩٢٧٢)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٧٢)، «سنن ابن ماجه» (ح: ١٢٣٤).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٣). (٣) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٢).

ابنتَهُ، وحملني إلى دارِ الهِجْرَةِ، وأعتقَ بلالاً من مالِه، رحمَ اللهُ عمرَ، يقول الحقَّ وإنْ كانَ مرّاً، تركه الحقُّ وما له صديقٌ، رحمَ الله عثمانَ تستحييه الملائكةُ، رحمَ اللهُ عليّاً، اللَّهُمَّ أدرِ الحقَّ معه حيثُ دار»[١].

• **والحديث السادس والأربعون: تشبيه النبي ﷺ للشيخين بالملكين المقرَّبين والرسولين من أولي العزم.**

• أخرج **الطبرانيُّ** بسندٍ حسنٍ عن أُمِّ سلمةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ في السَّماءِ ملكينِ أحدُهما يأمرُ بالشدَّةِ، والآخرُ يأمرُ باللين، وكلٌّ مصيبٌ، وذكر جبريلَ وميكائيلَ، ونبيَّان أحدهُما يأمرُ باللينِ، والآخرُ يأمرُ بالشدَّةِ، وكلٌّ مصيبٌ، وذكر إبراهيمَ ونوحاً، ولي صاحبانِ أحدهُما يأمرُ باللينِ، والآخرُ بالشدَّةِ، وكلٌّ مصيبٌ، وذكرَ أبا بكرٍ وعُمَرَ»**[٢].

• وعن **عبد الله بن عمرو** رضي الله عنهما قال: جاء فئامٌ مِنَ الناسِ إلى النبيِّ ﷺ، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! زعمَ أبو بكرٍ أنَّ الحسنات من اللهِ والسيئاتِ من العبادِ، وقال عمرُ: السيئاتُ والحسناتُ من اللهِ، فتابعَ هذا قومٌ، وتابعَ هذا قومٌ، فأجابَ بعضُهم بعضاً، وردَّ بعضُهم على بعضٍ، فالتفتَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى أبي بكرٍ، فقال: **«كيفَ قلتَ؟»** فقال قولَهُ الأوَّلَ، والتفتَ إلى عمرَ، فقال قولَه الأولَ، فقال: **«والَّذي نفسي بيدِهِ، لأقضينَّ بينَكُما بقضاءِ إسرافيل بينَ جبريلَ وميكائيلَ»**، فتعاظَمَ ذلك في أنفسِ النّاس، وقالوا: يا رسولَ الله! وقد تكلّم في هذا جبريلُ؟ فقال: **«إي والّذي نفسِي بيدِه، لَهُما أوَّلُ خلقِ اللهِ تكلَّمَ فيه، فقال ميكائيلُ بقولِ أبي بكرٍ، وقال جبريلُ بقولِ عمرَ، فقالَ جبريلُ لميكائيلَ: إنّا متى نختلِفُ**

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧١٤).
(٢) انظر: «المعجم الكبير»، للطبراني (٢٣/ ٣١٥) برقم: (٧١٥).

أهلُ السماءِ يختلِفُ أهلُ الأرضِ، فلنتحاكَمُ إلى إسرافيلَ، فتحاكما إليه، فقضى بينهما بحقيقةِ القَدرِ، خيرِه وشرِّه، حلوِه ومُرِّه، كلّه من اللهِ ﷻ، وإني قاضٍ بينكُما، ثم التفتَ إلى أبي بكرٍ، فقال: **يا أبا بكرٍ، إنَّ اللهَ تبارك وتعالى لو أرادَ أن لا يُعْصَىٰ لم يَخْلُقْ إبليسَ**»، فقال أبو بكر: صدق الله ورسوله[١].

● وأخرج **الحاكم** من حديث **عبد الله بن مسعود** في قصة بدر وإشارة أبي بكر إلى الفداء وإشارة عمر وابن رواحة إلى القتل، قال رسول الله ﷺ: «**ما تقولونَ في هؤلاءِ؟ إنَّ مثل هؤلاءِ كمثلِ إخوةٍ لهم كانوا من قبلهم،** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح]، **وقال موسى**: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ **الآية** [يونس: ٨٨]، **وقال إبراهيم**: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [إبراهيم]، **وقال عيسى**: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة]»[٢].

والحديث السابع والأربعون: حديث **ابن عمر**: «كنا نخيِّرُ بين الناسِ في زمنِ النبيِّ ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكرٍ، ثم عمر بنَ الخطّاب، ثم عثمان بن عفّان ﷺ»، أخرجه **البخاري**[٣].

وفي روايةٍ: «كنا نقول في زمن النبيِّ ﷺ: لا نعدِلُ بأبي بكرٍ أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضِلُ بينهم»[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٢٤).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٥).
(٤) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٢٧).

وهذا الحديث خبر واحد، لكنَّه أصح شيء، وجزم بصحّته الشيخان وغيرهما، ويصحّ إيراده في إثبات مذهب السُّنَّة، وذلك باعتبار أنَّ ذلك صيغة تقرير وإثبات، وفي إثبات الإجماع أيضاً باعتبار منطوقه.

• **والحديث الثامن والأربعون: قبول النبي ﷺ مشورة الشيخين في وقائع كثيرة.**

• عن **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري**، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»، رواه أحمد[١].

• وأخرج **مسلم** في قصة طويلةٍ، عن **أبي هريرة** فقال ـ يعني: عمر ـ: يا رسولَ اللهِ! بأبي أنتَ وأُمِّي أبَعَثْتَ أبا هريرةَ بنعليكَ؛ مَنْ لَقِيَ يشهدُ أنْ لا إلٰه إلا الله مستيقناً بها قلبُه، بشِّره بالجنةِ؟ قال: «**نعم**»، قال: فلا تَفْعَلْ، فإنِّي أخشَى أنْ يَتَّكِلَ الناسُ عليها، فخلِّهم يعملون، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فخلِّهم**»[٢].

• **والحديث التاسع والأربعون: تكريم أبي بكر بلقب «الصدِّيق».**
من حديث **علي المرتضى**، **وعائشة** رضي الله عنهما.

• عن **النزّال بن سبرة** قال: وافقنا عليّاً رضي الله عنه طيِّبَ النفسِ، وهو يمزحُ، فقلنا: حدِّثنا عن أصحابك، قال: كلُّ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أصحابي، فقلنا: حدِّثنا عن أبي بكر، فقال: ذاك امرؤ سمّاه الله صدِّيقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما، أخرجه **الحاكم**[٣].

• وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: لما أُسْرِيَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبحَ يتحدَّث الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كان آمنوا به

---

(١) «مسند أحمد» رقم: (١٧٩٩٤). (٢) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٣١).
(٣) «المستدرك» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٦).

وصدَّقوه، وسعى رجالٌ من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ إلى صاحبِكَ يزعمُ أنّه أسري به الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ؟

قال: أوَ قال ذلك؟ قالوا: نعم.

قال: لئن قال ذلك لقد صدق.

قالوا: أو تصدِّقه أنه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أن يصبحَ؟

فقال: نعم، إني لأصدِّقه في ما هو أبعدُ من ذلك، أصدِّقه في خبرِ السماءِ في غَدوةٍ أو رَوْحةٍ، فلذلك سُمِّي أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه(١).

• **والحديث الخمسون**: هو **اختيار النبي ﷺ أبا بكر الصديق لإمارة الحج**.

• أخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه، وأمره أن يُنادي بهؤلاء الكلمات...(٢) إلخ، وأخرج البخاري(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه في مثل معناه.

إنّ إمارةَ الحجِّ إحدى الأمور العظيمة التي قام بها النبيُّ ﷺ من جهة النبوة مثل إمامة الصلاة، بل هي أدلُّ شيء على الاستخلاف منها.

إذ إنَّ إمامة الصلاة تنصرِفُ إلى شخص في كلِّ مسجد، بخلاف إمارة الحج، فإنها تعود إلى شخص واحد في تمام العالم.

وإمامةُ الصلاةِ تقدُّمٌ على قوم محصورين معدودين، وإمارةُ الحجِّ تقدُّمٌ على قوم غير محصورين ولا معدودين، وإمارةُ الحجِّ في ملّتنا ـ في

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٣) برقم: (٤٣٧٥).
(٣) «صحيح البخاري» (ح: ٣١٧٧).

الحقيقة ـ مثل الجلوس على العرش، أو النزول في قصر الملوك العظيمة في الدولة الساسانية أو العباسية في الدلالة على الاستخلاف، ولكن الصحابة استدلُّوا بالإمامة لقرب عهدها، بخلافِ إمارة الحجِّ.

• **والحديث الحادي والخمسون: اختيار النبي ﷺ عمر الفاروق لأخذ البيعة منهم**، وهذا أكبر دليل على أفضليته.

وهذه الأحاديث التي تيسرت لنا في بيان أفضلية الشيخين في هذه الأوراق، وذكرنا الأحاديث الكثيرة كالنماذج، والغرض من إيرادِ هذه الأحاديث معرفةُ الخصال الأربع التي ذكرناها في البداية، وهي مدار الفضيلة التي تُعْرَفُ في هولاء المشايخ، ويجب أن تعلمَ أنَّ كلَّ خصلةٍ من هذه الخصال الأربع ثابتةٌ بالأحاديث المتواترة.

وأمَّا فضيلتُهم على أشخاص معدودين من أهل الفضل بتعيين أسمائهم، فهي لا توجد بالقطع في هذا الموضع، ولمعرفة القطع ينبغي الرجوعُ إلى مصادر ومسالك أخرى.

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث

تحقُّق إجماعِ الأمة على أفضلية المشايخ الثلاثة بترتيب خلافتهم

ونقوم بتقرير إجماع الأمة بوجهين:

أحدهما: حكايةُ انعقاد الإجماع بلسان الثقات.

والثاني: روايةُ أقوال الجمِّ الغفير من الصحابة والتابعين، على قدر ذاكرتي، وسعةٍ في الوقت، وهذه الرواياتُ متفقةٌ على بيان أصل معنى الأفضلية مهما تغايرت طرق الدلالة.

أما **الوجه الأول** فله رتبتان:

إحداهما: نقل صريح الإجماع.

• وهو من حديث **عبد الله بن عمر** قال: كُنّا نخيِّرُ بينَ الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ فنخيِّرُ أبا بكرٍ، ثم عمرَ بنَ الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم، أخرجه **البخاري**[1].

وفي رواية: لا نعدلُ بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضل بينهم، أخرجه **أبو داود**[2].

وإن كان هذا الحديثُ خبراً واحداً، لكنه أصحُّ شيءٍ في هذا الباب، ومحفوفٌ بقرائنَ كثيرة يحصل القطع باجتماعها، ذلك لأنَّ الروايات التي سنذكرها في (نقل الإجماع دلالةً)، وفي رواية أقوال الجمع العظيم من الصحابة والتابعين، تجد فيها أن الناس قالوا حينما

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥٥). (٢) «سنن أبي داود» (ح: ٤٦٢٧).

تكلَّموا حول أمر الاستخلاف: «**خير الأمة**» و«**أفضل الناس**» و«**أحقُّ بالخلافة**» و«**أحقُّ بهذا الأمر**»، وقد ذكروا ذلك بوجه كأنه كان محقّقاً لديهم من قبل، ولم تكن لهم حاجة إلى أيِّ استدلال وتحقيقٍ لهذا المقال ـ وهذه القرائنُ المذكورة تجعل الخبر الواحد قطعياً ـ.

والثانية: نقل الإجماع دلالةً، وبناؤه على أصلٍ، وهو أنَّ السكوتَ قبل تدوين المذاهب إجماعٌ، ونقرِّر ذلك في خمسة أنواع:

النوع الأول: أنَّ جماعةً من فقهاء الصحابة قالوا في أبي بكر الصدِّيق عند انعقاد خلافته: «**أفضل الأمة**»، واستدلّوا بذلك على استخلافه، وسلَّم ذلك الآخرون، ووافقوا على ذلك في أول الأمر أو بعد توقف وسكوت، والسكوت والتسليم قبل تدوين المذاهب إجماع كما بُيِّن في محله.

● من حديث **عمر الفاروق** قال: قلت: يا معشرَ الأنصارِ! يا معشر المسلمين! إنَّ أولى الناسِ بأمر رسول الله ﷺ من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار أبو بكر السبَّاق المبين، ثم أخذت بيده... الحديث، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١]، من حديث **ابن عباس** في قصة سقيفة بني ساعدة.

● ومن حديث **الفاروق** أيضاً في قصة البيعة العامة، عن **أنس بن مالك** رضي الله عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفّي النبي ﷺ، فتشهّد وأبو بكر صامتٌ لا يتكلّم، قال: كنتُ أرجو أن يعيشَ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمّدٌ ﷺ قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمّداً ﷺ وإنّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) رقم: (٣٨١٩٨).

ثاني اثنين، فإنه أولى المسلمين بأموركم فقوموا فبايعوه[١].

• ومن حديث **الفاروق** أيضاً برواية **ابن مسعود** قال: لما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ قالتِ الأنصارُ: مِنّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فأتاهم عمر، فقال: ألستُم تعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد أمرَ أبا بكرٍ أن يصلِّيَ بالناس؟ فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدَّم أبا بكر؟ قالوا: نعوذُ باللهِ أن نتقدَّم أبا بكر[٢].

• ومن حديث **أبي عبيدة بن الجراح**، فقال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؛ يعني: أبا بكر، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٣].

وأخرج **أحمد** معناه، غير أنه ذَكَرَ استدلال أبي عبيدة لاستخلافه ﷺ في الصلاة.

ومن حديث علي المرتضى والزبير رضي الله عنهما حين رجعا إلى البيعة: ما غضبنا إلّا لأنّا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، إنّه لصاحبُ الغارِ، وثاني اثنين، وإنا لنعلمُ بشرفه وكبره ولقد أمره رسولُ اللهِ ﷺ بالصلاة بالناسِ وهو حيٌّ، أخرجه **الحاكم**[٤].

النوع الثاني: أن عمر الفاروق بيَّن أفضلية أبي بكر الصدِّيق على المنبر في مجالسَ عديدةٍ، ولم يتّجه إليه ردّ وسؤال من القوم.

• من حديث **عبد الله بن عباس**، قال عمرُ: كان والله أن أقدَّمَ، فتُضْرَبَ عُنقي، لا يقربني ذلك من إثم أحبُّ إليَّ من أَنْ أتأمّرَ على قومٍ فيهم أبو بكر، اللَّهُمَّ إلا أن تُسَوِّل إليَّ نفسي عند الموتِ شيئاً لا أجده

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٧٢١٩).
(٢) أخرجه النسائي في «سننه» برقم: (٧٧٧).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) رقم: (٣٧٠٥١).
(٤) «المستدرك» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

الآن، أخرجه **البخاري**[(١)].

● ومن حديث **ابن عباس** قال عمرُ في جواب مَنْ قال: «إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ»: أَلَا وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللهَ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، أخرجه البخاري[(٢)].

مع أن عادة القوم في السؤال والاعتراض في محلِّ الخفاء معلوم، وهي مأخوذة من الروايات الكثيرة التي أصبحت متواترة بالمعنى، وقد ذكرنا منها كثيراً في بيان مقالات عمر الفاروق.

ورُوي أنّه قال يوماً على المنبر: يا معاشرَ المسلمينَ! ماذا تقولون لو مِلْتُ برأسي إلى الدُّنيا كذا؟ ـ وميَّلَ رأسُهُ ـ فقام إليه رجلٌ فسلَّ سيفه وقال: أجل! كنا نقولُ بالسيفِ كذا ـ وأشارَ إلى قطعه ـ فقال: إياي تعني بقولك؟ قال: نعم، إيَّاكَ أعني بقولي، فنهره عمر ثلاثاً، وهو ينهرُ عمرَ، فقال عمر: رحمك الله! الحمدُ للهِ الذي جعلَ في رعيَّتي من إذا تعوَّجت قوَّمني[(٣)].

النوع الثالث: أن أبا بكر الصديق بيَّن أفضلية عمر الفاروق عند استخلافه، ولم يأتِ ردٌّ وإنكارٌ من أي جانب.

● من حديث **زبيد بن الحارث** أنّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر ليستخلِفَه، فقال الناسُ: تستخلِفُ علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِيَنا كان أفظَّ وأغلظَ، فما تقول لربِّك إذا لقيتَه، وقد استخلفتَ علينا عمرَ، قال أبو بكر: أبربي تخوِّفونني؟ أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ.

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٣٠). (٢) «صحيح البخاري» (ح: ٦٨٣٠).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).

ثم أرسل إلى عمر، فقال: إنِّي موصيكَ بوصيةٍ...، الحديث، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

• ومن حديث أبي بكر الصدِّيق برواية **جابر بن عبد الله**، قال عمر لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنّكَ إن قلتَ ذاك فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خير من عمرَ**»، أخرجه **الترمذي**، **والحاكم**[٢]، والمعنى أنّه خيرهم في أيام الخلافة.

النوع الرابع: قد شرط عبد الرحمٰن بن عوف العمل بسيرة الشيخين في جمعٍ عظيمٍ عند استخلاف عثمان ذي النورين، وسلَّم ذلك الحاضرون من الأنصار والمهاجرين، وقد ناقش عليّاً المرتضى، وتباحث في أفضلية عثمان ذي النورين بمقابل نفسه لا على هذا الشرط، فهذا المعنى دليل قاطع على أفضلية الشيخين، إذ إنَّ إحالة أحد المجتهدين إلى المفضول أو من كان مساوياً له غير معقول.

• من حديث **مسور بن مخرمة**، فأرسل ـ يعني: عبد الرحمٰن ـ إلى مَنْ كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسلَ إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهَّدَ عبد الرحمٰن، ثم قال: «أمّا بعدُ يا علي! إني قد نظرتُ في أمرِ الناسِ، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنَّ على نفسِكَ سبيلاً، فقال: أبايعُكَ على سُنَّة الله ورسولِهِ، والخليفتينِ من بعدِه، فبايعه عبد الرحمٰن، وبايعه الناس: المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون»، أخرجه **البخاري**[٣].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبه» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٦).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٤)، «المستدرك» (٣/ ٩٦) رقم: (٤٥٠٨).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٠٧).

• ومن حديث **أبي الطفيل** قال: لما احتُضِرَ عمرُ، جعلها شورى بين علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعد، فقال لهم عليٌّ: أنشِدُكم الله، هل فيكم أحدٌ آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري؟ قالوا: اللَّهُمَّ لا، أخرجه **أبو عمر**[١].

• وأخرج **البخاريُّ** في قصة الاتفاق على عثمان، من حديث **عمرو بن ميمون**: فلمّا فُرِغ من دفنه، اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمٰن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمان، وقال سعدٌ: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمٰن بن عوف، فقال عبدُ الرحمٰن: أيُّكما تبرأَ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللهُ عليه والإسلام لينظرنَّ أفضلَهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمٰن: أفتجعلونه إليَّ والله عليّ أنْ لا آلو عن أفضلِكُم، قالا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابةٌ من رسول الله ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فاللهُ عليكَ لئنْ أمَّرْتُكَ لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمانَ لتسمعَنَّ ولتطيعنَّ، ثم خلا بالآخر، فقال له مثلَ ذلك، فلمَّا أخذَ الميثاقَ قال: ارفعْ يدكَ يا عثمانُ، فبايِعْهُ، فبايَعَ له عليٌّ، وولجَ أهل الدار فبايعوه[٢].

النوع الخامس: لقد بيَّن عليُّ المرتضى في أيّام خلافته أفضليةَ الشيخين في مجالسَ متعدِّدةٍ بالترتيب، وزجرَ الطائفةَ الذين كان لهم ظنٌّ فاسِدٌ في هذه المسألة، وكان فقهاء الصحابة حاضرين، ولم يظهر منهم منع واعتراض، بلغت هذه الآثار حدّ التواتر كما سنذكرها بعد قليل.

وقبل أن نشتغل برواية آثار الصحابة والتابعين **نذكر نكتةً**: وهي أنه

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٠٠).

إذا كان صحابي أو تابعي أو غيرُهما من العدولِ الثقاتِ يروي حديثاً قبل التمذهب بمذهب السلف، وتعصُّب كلِّ شخص لمذهبه، وقبل جمع أحاديثِ البلدان، والتكلّم في التطبيق والتأويل، ويجزم بصحته، فالظاهر أن يكون قائلاً بمنطوقه؛ لأنّه إن كان غيرَ قائل به رغم صحَّةِ الحديث عنده صار ساقطَ العدالةِ، وقد قيَّدنا بـ «القبلية» من جهة أنَّ ترك العمل بالحديث بعدَ هذه الحوادثِ قد راجَ وعمَّ، بسبب أنَّ العملَ بالحديثِ لا يتأهَّل لذلك إلا المجتهدُ المطلقُ، وقد فُقِدَ الاجتهاد في هذه الأيام، رغم أنَّ كلَّ ذلك خطأ، ولكن قد جعلوا ذلك عُذراً لأنفسهم، واختلفت الآراء كذلك في تطبيق الأحاديث وتأويلها، فيمكن، بل الواقع أن يروي العلماءُ حديثاً بالجزم بصحته بدون العمل بمنطوقه، ومنشأ ذلك خطأ اجتهادي، ولا تسقط عدالتُهم، بخلاف زمن ما قبلَ ذلك، لأنّ هذه الأشياء لم تكن موجودةً وقتذاك.

وقيَّدنا ذلك بـ«المنطوق» من جهة أن يروي عدلٌ حديثاً بالجزم بصحته، ولهذا الحديث معنى أو مقتضى دقيق المأخذ، وهو لا يفهم ذلك أصلاً، ولا ينتقل ذهنه إليه، فضلاً عن أن يكون قائلاً به، ويتّخذه مذهباً لنفسه، إذ إنَّ النفوسَ تختلف في إدراك المفهومات والمقتضيات، ويذهبون في الردّ والقبول إلى مذاهب شتى، بناءً على نحو ما يقول الأصوليّون: إنَّ السكوت عن الردّ والإنكار إجماعٌ، إذا كان ذلك قبل تدوين المذاهب لا بعده، فمن روى حديثاً يدلُّ على أفضلية الشيخين بمنطوقه، يأتي في عدادِ الإجماع والاتفاق، والآن نتوجَّه إلى أصل الغرض بعد ذكر هذه النكتة.

أمّا حكاية أقوال فقهاء الصحابة والتابعين في أفضلية الشيخين بالتفصيل فاستيعابه متعذِّر، لذلك نكتفي ببعض النماذج.

• **أما أقوال أبي بكر الصدِّيق في أفضليته**، فقد أخرج **الترمذي** عن

أبي سعيد قال: قال أبو بكر: ألستُ أحقَّ الناسِ بها؟ ألستُ أوَّلَ من أسلمَ؟ ألستُ صاحبَ كذا؟ ألستُ صاحبَ كذا؟[١]، قد اختلف في إرسال هذا الحديث ووصله.

• عن **عمرو بن الحارث** عن أبيه: أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: أيُّكم يقرأُ سورةَ التوبة؟ قال رجل: أنا، قال: اقرأ، فلمّا بلغ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، بكى وقال: واللهِ أنا صاحبُه[٢].

• وأما **أقوال أبي بكر الصديق في أفضلية عمر الفاروق**، فقد أخرج **الترمذي عن جابر بن عبد الله**، قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسول الله، فقال أبو بكر: أما إنّك إن قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٍ مِنْ عُمَرَ**»[٣].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة عن زبيد بن الحارث**: أنَّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمرَ ليستخلفه، فقال الناسُ: تستخلف علينا فظاً غليظاً، ولو قد وَلِيَنا كانَ أفظّ وأغلظ، فما تقولُ لربِّكَ إذا لقيتَه وقد استخلفتَ علينا عمرَ، قال أبو بكر: أبربي تخوِّفونني؟ أقولُ: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ[٤]... الحديث.

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة**، عن محمّدٍ عن رجل من بني زُريقٍ في قصة طويلة، فقال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضلُ مني[٥].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٧).
(٢) انظر: «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ٨٠).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) برقم: (٣٧٠٥١).

• وأما **أقوال عمر الفاروق في أفضلية أبي بكر الصدِّيق**، فإنّها خارجة عن الإحصاء، بلغت حدَّ التواتر، قال في بعض الروايات: «**خير الناس**»، وفي بعضها: «**سبَّاق إلى الخير**»، وفي بعضها: «**أحقّ بالخلافة**». ومعلوم أن الخلافة مشروطة بشروط الكمال، ومن كان أحق بالخلافة كان أكمل الناس في هذه الصفات.

• فمن حديث عائشة، أخرج **البخاري** عن **عائشة** في قصّة سقيفة بني ساعدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنتَ سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسولِ اللهِ ﷺ[1].

وأخرج **الحاكم** عن هشام بن عروة عن أبيه عن **عائشة** رضي الله عنها عن عمر رضي الله عنه قال: كان أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ[2].

• ومن حديث **ابن عباس**، أخرج **البخاري** عن ابن عباس خطبة عمر في قصة الاتفاق على أبي بكر، وجواب مَنْ قال: إنما كانت بيعةُ أبي بكر فلتة، وفي تلك الخطبة قال عمر: ثم إنَّه بلغني أنَّ قائلاً منكم يقول: والله لو قد مات عمرُ بايعتُ فلاناً، فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول: إنَّما كانت بيعةُ أبي بكر فلتةً وتمَّت، ألا وإنَّها قد كانت كذلك، ولكنَّ الله وقى شرَّها، وليس فيكم مَنْ تقطع الأعناقُ إليه مثل أبي بكر[3].

وفي هذا الحديث أيضاً: كان واللهِ أن أقدَّمَ فيُضْرَبَ عنقي، لا يقرّبني ذلك من إثمٍ، أحبَّ إليَّ من أن أتأمَّر على قوم فيهم أبو بكر.

• ومن حديث **أنس**، أخرج **البخاري** عن أنس أنَّه سمع خطبةَ عمر الآخرةِ، وفيها: فإنْ يكُ محمَّدٌ ﷺ قد مات، فإنَّ الله تعالى قد جعل بين

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٩) برقم: (٤٤٢١).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٨٣٠).

أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، وإنَّ أبا بكر صاحبُ رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنَّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه[(١)].

● ومن حديث **شيبة**، أخرج **البخاري** عن أبي وائل قال: جلست مع شيبة على كرسي في الكعبة، فقال: لقد جلسَ هذا المجلسَ عمرُ رضي الله عنه فقال: لقد هممتُ أن لا أدعَ فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته، قلت: إن صاحبيك لم يفعلا، قال: هما المرءان أقتدي بهما[(٢)].

● ومن حديث **رجل من بني زريق**، أخرج أبو بكر بن أبي شيبة في قصة الاتفاق على أبي بكر، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنت أقوى مني، فقال عمر: أنت أفضل مني، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة قال له عمر: إن قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر[(٣)].

● ومن حديث **جابر بن عبد الله** قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعد رسولِ اللهِ، فقال أبو بكر: أما إنّك إنْ قلتَ ذاك، فلقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما طلعتِ الشَّمْسُ على رجلٍ خيرٍ من عمرَ**»، أخرجه **الترمذي**[(٤)].

● ومن حديث **ابن عمر**، قال: قيل لعمرَ: ألا تستخلِفُ؟ قال: إنْ أستخلف فقد استخلفَ مَنْ هو خيرٌ منِّي أبو بكر، وإنْ أتركْ فقد تركَ مَنْ هو خيرٌ منِّي رسولُ اللهِ ﷺ، أخرجه **البخاري**[(٥)].

● وعن **ضبة بن محصن العنزي** قال: قلت لعمرَ بن الخطَّاب: أنتَ

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢١٩).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٥٩٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) برقم: (٣٧٠٥١).
(٤) في «سننه» برقم: (٣٦٨٤).
(٥) في «صحيحه» برقم: (٧٢١٨).

خيرٌ مِنْ أبي بكر فبكى، وقال: واللهِ لليلةٌ من أبي بكرٍ ويومٌ خيرٌ من عُمْرِ عُمَرَ، هل لك أنْ أحدِّثكَ بليلتِهِ ويومِهِ؟ قال: قلت: نعم، يا أميرَ المؤمنين!.

قال: **أمّا ليلتُه** فلمّا خرجَ رسول الله ﷺ هارباً من أهل مكة خرج ليلاً، فتبعه أبو بكر، فجعل يمشي مرةً أمامه، ومرةً خلفه، ومرةً عن يمينِه، ومرةً عن يسارِه، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**ما هذا يا أبا بكر؟ ما هذا مِنْ فعلِكَ؟**».

قال: يا رسول الله! أذكرُ الرَّصَدَ فأكونُ أمامَك، وأذكرُ الطلبَ فأكونُ خلفَك، ومرةً عن يمينِكَ، ومرةً عن يسارِك، لا آمنُ عليكَ، قال: فمشى رسولُ اللهِ ﷺ ليلتَه على أطرافِ أصابعِه حتى حفيتْ رجلاه، فلمّا رآه أبو بكر رضي الله عنه أنها قد حفيتْ حمله على كاهلِه، وجعلَ يشتدُّ به، حتى أتى به فمَ الغارِ، فأنزله، ثم قال له: والّذي بعثَكَ بالحقِّ لا تدخلُه حتى أدخلَه، فإن كان فيه شيءٌ نزل بي قبلكَ، فدخل فلم ير شيئاً، فحمله فأدخلَه، وكان في الغار خَرْقٌ فيه حيّات وأفاعي، فخشي أبو بكر أن يخرجَ منهنَّ شيءٌ يؤذي رسولَ اللهِ ﷺ، فألقمَه قدمه، فجعلنَ يضربنه ويلسعنه: الحيات والأفاعي، وجعلت دموعُه تنحدِرُ، ورسولُ اللهِ ﷺ يقول له: «**يا أبا بكرٍ لا تحزنْ، إنَّ الله معنا**»، فأنزل الله سكينته وطمأنينته لأبي بكر، فهذه ليلته.

وأما يومه فلمّا تُوفِّي رسول الله ﷺ وارتدّتِ العربُ، فقال بعضهم: نصلِّي، ولا نزكِّي، وقال بعضهم: لا نصلِّي ولا نزكِّي، فأتيتُه، ولا آلوه نصحاً، فقلتُ: يا خليفةَ رسولِ اللهِ! تألَّفِ الناسَ، وارفق بهم.

فقال: جبَّارٌ في الجاهليةِ، خوَّارٌ في الإسلامِ، فبماذا أتألَّفهم،

أَبِشِعْرٍ مُفْتَعَلٍ، أو بِشِعْرٍ مُفْتَرى؟ قُبِض النبيُّ ﷺ، وارتفع الوحيُ، فوالله لو منعوني عقالاً، ممّا كانوا يعطون رسولَ الله ﷺ لقاتلتُهم عليه، قال: فقاتلنا معه فكانَ واللهِ رشيدَ الأمرِ، فهذا يومُه(١).

• ومن حديث **علقمة بن قيس**، قال: جاء رجلٌ إلى عمرَ وهو بعرفة، فذكر قِصَّة عبد الله بن مسعود، وبشارة النبيِّ ﷺ له، قال عمر رضي الله عنه: قلتُ: واللهِ لأغدونَّ إليه، فلأبشِّرنَّهُ، قال: فغدوتُ إليه لأبشِّرهُ، فوجدتُ أبا بكر رضي الله عنه قد سبقني إليه فبشَّرَهُ، ولا واللهِ ما سابقتُه إلى خيرٍ قط إلا وسبقني إليه، أخرجه **أحمد**(٢).

• ومن حديث **أسلم مولى عمر** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّاب يقول: أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نتصدَّق، فذكر الحديثَ، إلى أن قال: قلت: «واللهِ لا أسبِقُه إلى شيءٍ أبداً»، أخرجه **الترمذي**(٣).

• ومن حديث **مالك بن أوس بن حدثان النضري**، أخرج **البخاري** في قصة بني النضير، ومخاصمة العباس وعلي، واللهُ يعلمُ أنه بارٌّ راشدٌ تابع للحق(٤).

• أما **أقوال الفاروقُ في أفضليته**:

فمن جملة ذلك قوله: «وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ: في مقامِ إبراهيمَ، وفي الحجابِ، وفي أسارَىٰ بدرٍ»(٥) أخرجه **مسلم، والبخاري** نحوه.

• وردت فضيلته صراحةً في «صحيح مسلم» حديث **ابن عباس** سأل فيه عمرَ الفاروق عن المرأتين اللتين نزلتْ في شأنِهما آية ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٨٠).
(٢) في «مسنده» برقم: (١٧٥).
(٣) في «سننه» برقم: (٣٦٧٥).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٣٣).
(٥) «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٩)، و«صحيح البخاري» برقم: (٤٠٢).

[التحريم: ٤]، أخرجه مسلم[١].

• وأخرج محمد بن الحسن في «الموطأ» عن **سالم بن عبد الله** قال: قال عمرُ بنُ الخطاب ﵁: لو علمتُ أنّ أحداً أقوى على هذا الأمر منّي لكانَ أن أقدَّم فتضربَ عنقي أهونُ عليَّ، فمَنْ وَلِيَ هذا الأمرَ بعدي، فليعلمْ أنْ سيردُّه عنه القريبُ والبعيدُ، وايمُ اللهِ إنْ كنتُ لأقاتِلُ الناسَ عن نفسِي[٢].

• وأما أقواله في فضيلة الستّة[٣] الذين أوصى لهم بالخلافة:

• فمن جملة ذلك حديثُ **مسلم**: «فإن عُجِّل بي أمرٌ فالخلافةُ شورى بين هؤلاء الستة، الذين تُوفِّي رسولُ اللهِ ﷺ وهو عنهم راضٍ»[٤].

• **وأما أقوال عثمان ذي النورين التي قالها في فضيلة الشيخين وأفضلية نفسه:**

• فمن جملة ذلك الحديث المرفوع الذي رواه ردّاً على منكري خلافته، قال عثمان: أنشِدُكم باللهِ والإسلامِ، هل تعلمونَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان على ثَبِيرِ مكةَ، ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرّكَ الجبلُ حتى تساقطتْ حجارتُه بالحضيضِ، قال: فركضَهُ برجلِه، وقال: «**اسكُنْ ثَبِيرٌ! فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان؟**».

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (ح: ٣٦٧٩).
(٢) «موطأ محمد» (٣/ ٤٨٦) برقم: (٩٧٧).
(٣) وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف ﵃.
(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٥٦٧).

قال: اللهُ أكبرُ شهدوا لي ـ وربِّ الكعبة ـ أنِّي شهيدٌ ثلاثاً[١].

• ومن جملة ذلك ذكر **فضل نفسه وبشارات النبي ﷺ في حقّه.**

وهذا باب مبسوط ينبغي فحصها في مآثر ومناقب عثمان ذي النورين.

• ومن جملة ذلك قوله في مسألة الجدّ لما قال عمر بتشريكه: «وإن نَتْبَعِ الشيخَ قبلك فنعمَ الشيخُ كان: يعني أبا بكر». وقوله للصدِّيق في حديث: «ما نجاة هذا الأمر»: كنت أحقّ بهذا.

• وقوله في جواب تعريضاتِ عبد الرحمٰن بن عوف بالطعن عليه: «إنِّي لم أترك سُنَّةَ عمرَ، فإنِّي لا أطيقُها ولا هو»، أخرجه **أحمد**[٢].

• وروى **عبيد الله بن عدي بن الخيار**، قال عثمانُ رضي الله عنه: أمّا بعدُ، فإنَّ الله بعثَ محمّداً ﷺ بالحقّ، فكنتُ ممّنِ استجابَ للهِ ولرسولِه، وآمنتُ بما بعثَ به، وهاجرتُ الهجرتين، كما قلتُ وصحبتُ رسولَ الله ﷺ، وبايعتُه، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتّى توفّاهُ الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمرُ مثله، ثم اسْتُخْلِفْتُ، أفليسَ لي مِنَ الحقِّ مثل الذي لهم؟!

قلتُ: بلى.

قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلغُني عنكم[٣]، الحديث.

• أما أقوال علي المرتضى رضي الله عنه فينبغي أن يُعلمَ أنَّ أفضليةَ الشيخين كانت مذهبَ جميع أهل الحق، ولكن لم يُبيِّن ذلك أحدٌ بأسلوب أصرح وأقوى من علي المرتضى، مرفوعاً وموقوفاً، وقام كلُّ

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٠٣).

(٢) «مسند أحمد» برقم: (٤٩٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٩٦).

صحابي من صحابة رسول الله ﷺ بالتصريح بأفضلية الشيخين مع إحدى الخصال الأربع التي قمنا بتقريرها سابقاً، وصرَّح علي المرتضى بكلٍّ من الخصال الأربع.

○ ○ ○ ○ ○

وهذه الروايات عن الآخرين من الصحابة إمّا مستفيضةٌ، وإما آحاد، وأما عن علي وعن عمر الفاروق فهي متواترة.

• أما مرفوعه فحديث أبي بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيدا كهولِ أهلِ الجَنَّةِ من الأوَّلينَ والآخرينَ إلَّا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»، أخرجه **الترمذي**[1] وابن **ماجه**[2].

وهذا الحديثُ صريحٌ بأفضليتهما على جميع الصحابة، ومستفيض عن عليٍّ برواية الشعبي عن الحارث عن علي عند **الترمذي وابن ماجه**.

وبرواية الحسن بن زيد بن الحسن عن أبيه عن جدِّه عن **علي** عند عبد الله بن أحمد في «**زوائد المسند**».

وبرواية الزهري، عن علي بن الحسين، عن علي بن أبي طالب عند **الترمذي**، وقد وافق عليّاً على هذا الحديث غيرُه.

فقد روى **أنسٌ** مثله، وحديثه عند **الترمذي**، وأبو جحيفةَ مثلُه، وحديثه عند **ابن ماجه**.

• وحديثُ النجباء الرقباء أخرجه **الترمذي** عن **علي**.

• وحديث: «**إنْ تؤمِّروا أبا بكرٍ تجدوه هادياً أميناً**»، أخرجه **الترمذي**.

---

(١) في «سننه» برقم: (٣٦٦٥).

(٢) في «سننه» برقم: (٩٥)

• وحديث: «رَحِمَ الله أبا بكر»، أخرج **الترمذي** من حديث **أبي حبان التَّيْمِيّ** عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ زَوَّجَنِي ابْنَتَهُ»**[١].

• وأما موقوفُه فمنه: **«خيرُ هذه الأُمةِ أبو بكرٍ ثم عمرُ»** متواترٌ رواه ثمانون نفساً عن **علي**.

منهم ابنه **محمد ابن الحنفية** عند **البخاري**، ومنهم: عبد الله بن سلمة وعلقمة بن قيس وعبد الخير صاحب لواء علي، روى ذلك عن أبي الخير بطرق متكثِّرةٌ.

ومنهم: **أبو جحيفة** روى عنه جماعات، منهم: عاصم عن زرّ عن أبي جحيفة والشعبي عن أبي جحيفة، وأبو إسحاق عن أبي جحيفة، وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه.

ومنهم: **نزال بن سَبُرة** عن علي.

• ومن موقوفه: سبق رسولُ الله ﷺ وصلَّى أبو بكر وثلَّثَ عمر[٢]، ورُوي عن أبي جحيفة وجابر نحوَهُ.

ومن موقوفه: حكمُه بالتعزيرِ على مَنْ فضّل عليّاً على الشيخين.

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن الحكم بن جَحْل قال: قال علي رضي الله عنه: لا يفضِّلُني أحدٌ على أبي بكرٍ وعمرَ إلّا جلدتُه حدَّ المفتري[٣].

• وأخرج **أبو القاسم الطلحي** في «كتاب السُّنَّة» له من طريق سعيد بن

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٤).
(٢) انظر: «مسند أحمد» (١/ ١١٢) برقم: (٨٩٥)، و«حلية الأولياء» (٥/ ٧٤).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

أبي عروبة، عن منصور بن المعتمر، عن إبراهيم، عن علقمة، قال: بلغ عليّاً رضي الله عنه أنَّ أقواماً يفضِّلونه على أبي بكر وعمر، فصعِدَ المنبرَ، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناسُ! إنّه بلغني أنّ قوماً يفضِّلوني على أبي بكر وعمرَ، ولو كنتُ تقدّمتُ فيه لعاقبتُ منه، فمن سمعتُه بعدَ اليوم يقول هذا فهو مفترٍ، عليه حدُّ المفتري، ثم قال: إنَّ خيرَ هذه الأمةِ بعد نبيِّها: أبو بكر ثم عمر، ثم اللهُ أعلمُ بالخيرِ بعدُ، قال: وفي المجلسِ الحسنُ بنُ علي رضي الله عنهما، فقال: واللهِ لو سمّى الثالثَ لسمّى عثمان[1].

• وأخرج **أبو القاسم الطلحي** عن **عبد خير** صاحب لواء علي أنَّ عليّاً رضي الله عنه قال: ألا أخبِرُكم بأوَّلِ مَنْ يدخلُ الجنّةَ من هذه الأمة بعدَ نبيِّها؟ فقيل له: بلىٰ يا أميرَ المؤمنين، قال: أبو بكر ثم عمرَ، قيل: فيدخلانِها قبلك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه: إي والّذي فلقَ الحبّةَ وبرأَ النسمةَ ليدخلانها قبلي، وليشبعانِ من ثمارِها، وليرويانِ من أنهارِها، وإنّي لمع معاوية موقوفٌ في الحسابِ[2].

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوالُ سادات أهل البيت في أفضلية الشيخين**، فهي كثيرة، نكتفي ببعض النماذج.

• أمّا **العبّاسُ بنُ عبد المطّلب** الذي كان أسنَّ أهل البيت وأكبرَهم، فقد روي عن ابن عباس قال: لمّا نزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ [النصر]، جاء العبّاسُ إلى عليٍّ رضي الله عنه، فقال: انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كان هذا الأمرُ لنا مِنْ بعدِه لم تشاحِنّا فيه قريشٌ، وإن كان لغيرنا سألناه الوصاةَ لنا.

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).
(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٣٦٩).

قال: لا.

قال العباس: جئتُ ـ رسولَ اللهِ ﷺ سرّاً ـ فذكرتُ ذلك له، فقال: «**إنَّ الله جعلَ أبا بكرٍ خليفتي على دينِ اللهِ، ووحيه، وهو مُسْتَوْص، فاسمعوا له وأطيعوا تهتدوا وتفلحوا، واقتدوا به ترشدوا**»، قال ابنُ عبّاس: فما وافقَ أبا بكر على رأيه ولا وازره على أمره ولا أعانه على شأنه إذ خالفه أصحابه في ارتداد العرب: إلا العباس، قال: فواللهِ ما عدلَ رأيَهما وحزمَهما رأيُ أهلِ الأرضِ أجمعين[١].

• وأما **علي بن أبي طالب**، فقد ذكرنا أقواله وآثاره.

• وأما **عبد الله بن عباس**، فسنذكر أقواله.

• وأما من أقوال **عبد الله بن جعفر** فقد أخرج **الحاكمُ** عن جعفر بن محمد عن أبيه عن **عبد الله بن جعفر** رضي الله عنهما، قال: وَلِينا أبو بكر، فكانَ خيرَ خليفةِ اللهِ، وأرحمه بنا، وأرضاه علينا[٢].

• وأما من أقوال **الحسن المجتبى** فقد أخرج **أبو يعلى** من طريق أبي مريم رضيع الجارود، قال: كنتُ بالكوفة، فقام الحسن بن علي خطيباً، فقال: أيُّها الناسُ! رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً، رأيتُ الربَّ تعالى فوق عرشِهِ، فجاء رسولُ الله حتّى قامَ عند قائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فجاء أبو بكر فوضعَ يده على منكبِ رسولِ اللهِ، ثم جاءَ عمرُ فوضع يدَه على منكبِ أبي بكرٍ، ثم جاءَ عثمان فكان بيدِه رأسُه[٣] فقال: ربِّ سَلْ عبادك فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ من السماءِ ميزابانِ من دمٍ في الأرض.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (١٠/ ٣٧٥).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٨).

(٣) كذا في الأصل، وفي «مسند أبي يعلى»: «فكان نبذة»، والظاهر ما في الأصل.

قال: فقيل لعلي: ألا ترى ما يحدِّثُ به الحَسَنُ؟ قال: يحدِّث بما رأى[1].

● وذكر المحب الطبري عن ابن السمّان أنّه أخرج في كتابه عن **الحسن بن علي**، قال: لا أعلمُ علياً خالفَ عمرَ ولا غيَّرَ شيئاً مما صنع حين قدمَ الكوفة[2].

● وذكر أيضاً عنه في «كتاب الموافقة»، عن **أبي جعفر** قال: بينما عمرُ يمشِي في طريق من طرق المدينة، إذ لقيه عليٌّ ومعه الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهم، فسلَّمَ عليه عليٌّ، وأخذ بيده، فاكتنفاهما الحسنُ والحسينُ عن يمينهما وشمالهما، قال: فعرض لعمرَ من البكاء ما كان يعرِضُ له، فقال له عليٌّ: ما يبكيك يا أمير المؤمنين! قال عمر: ومَنْ أحقُّ منّي بالبكاءِ يا عليّ؟ وقد ولِّيتُ أمرَ هذه الأمة أَحْكُمُ فيها، ولا أدري أمسيءٌ أنا أم محسنٌ؟.

فقال له عليّ: والله إنّكَ لتعدِلُ في كذا، وتعدِلُ في كذا.

قال: فما منعه ذلك من البكاء.

ثم تكلّم الحسن بما شاء الله، فذكر من ولايته وعدله، فلم يمنعه ذلك.

فتكلّم الحسين، بمثل كلام الحسن فانقطعَ بكاؤه عند انقطاع كلام الحُسين، فقال: أتشهدانِ بذلك يا ابنَيْ أخي فسكتا، فنظرا إلى أبيهما، فقال علي: اشهدا وأنا معكما شهيد[3].

● وأما من **أقوال أولاد الحسن المجتبى**، فقد أخرجَ عبدُ الله بن أحمد في زوائد «المسند» عن **الحسن بن زيد بن الحسن** قال: حدَّثني

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٨). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).

أبي عن أبيه عن علي ﵁ قال: كنتُ عند النبيِّ ﷺ فأقبلَ أبو بكرٍ وعمرَ ﵄، فقال: «**يا عليُّ! هذانِ سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ وشبابِها بعدَ النبيينَ والمرسلينَ**»[(١)].

• وذكر المحبُّ الطبري عن **عبد الله بن الحسن** بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وقد سئل عن أبي بكر وعمر، فقال: أفضِّلُهما، وأستغفرُ لهما.

فقيل له: لعلَّ هذه تقيةٌ، وفي نفسك خلافه، فقال: لا نالتني شفاعةُ محمّدٍ ﷺ إن كنتُ أقولُ خلافَ ما في نفسي[(٢)].

• وعنه وقد سُئِلَ عنهما، فقال: «**صلَّى الله عليهما، ولا صلَّى عَلىٰ مَنْ لَمْ يصلِّ عليهما**»[(٣)].

• ومن أقوال **أولاد الحسين** ﵁:

أما مرفوعاً فقد أخرج **الترمذي** عن الزهري، عن **علي بن الحسين**، عن علي بن أبي طالب قال: كنت مع رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلعَ أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: «**هذان سيّدا كهولِ أهل الجنّةِ من الأولينَ والآخرينَ، إلا النبيينَ والمرسلينَ، يا عليُّ! لا تُخْبِرْهُما**»[(٤)].

• وأما **موقوفاً**، فقد أخرج أحمدُ في مسند ذي اليدين، عن ابن أبي حازم قال: جاء رجل إلى **علي بن الحسين**، فقال: ما كان منزلةُ أبي بكر وعمرَ من النبيِّ ﷺ، فقال: «**منزلتُهما الساعة**»[(٥)].

• وأخرج **الحاكم** من طريق عبد الله بن عمر بن أبان: ثنا

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٠٢).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢٨). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢٨).
(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٥٦).
(٥) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٦٧٠٩). أي: قربهما منه ﷺ كقرب قبريهما من قبره.

سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن محمد عن أبيه، عن **جابر بن عبد الله** رضي الله عنهما أنَّ عليّاً دخلَ على عمرَ، وهو مسجّىً، فقال: صلَّى الله عليك، ثم قال: ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أَنْ ألقى اللهَ بما في صحيفتِهِ مِنْ هذا المُسَجَّى[1].

• وأخرج محمد بن الحسن عن أبي حنيفة قال: حدثنا **أبو جعفر محمد بن علي** قال: جاء عليُّ بن أبي طالب إلى عمرَ بن الخطاب حين طُعِنَ، فقال: رحمكَ اللهُ، فواللهِ ما في الأرضِ أحدٌ كنتُ ألقى اللهَ بصحيفتِهِ أحبُّ إليّ منك، «كتاب الآثار» لمحمد[2].

• وروي عن ابن أبي حفصة قال: سألتُ **محمد بن علي وجعفر بن محمد** عن أبي بكر وعمر، فقالا: إماما عدلٍ، نتولّاهما، ونتبرّأُ من عدوِّهما، ثم التفت إليّ جعفرُ بنُ محمّدٍ فقال: يا سالمُ أيسبُّ الرجلُ جدَّهُ، أبو بكر الصدِّيق جدّي، لا نالتني شفاعةُ جدِّي محمّدٍ إن لم أكنْ أتولّاهما وأتبرّأُ من عدوِّهما[3].

• وعن **أبي جعفر محمد بن علي** بن الحسين بن علي بن أبي طالب أنّه قال: مَنْ جَهِلَ فضلَ أبي بكرٍ وعمرَ جَهِلَ السُّنَّةَ[4].

• وعنه: وقد قيل له: ما ترى في أبي بكر وعمر؟

فقال: إنِّي أتولّاهُما وأستغفرُ لهما، وما رأيتُ أحداً مِنْ أهلِ بيتي إلا وهوَ يتولّاهُما[5].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).

(٢) أخرجه محمد في «كتاب الآثار» (ص١٩١)، برقم: (٨٦٩)، وأخرجه أبو يوسف في «كتاب الآثار» (٢/ ٤٧٩).

(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

(٥) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).

• وعنه قال: مَنْ شكّ فيهما كمن شكَّ في السُّنَّة، وبُغْضُ أبي بكرٍ وعمرَ نفاقٌ، وبغضُ الأنصارِ نفاقٌ، إنّه كان بين بني هاشم وبين بني عدي وبني تيم شحناءُ في الجاهلية، فلمّا أسلموا تحابّوا، ونزع الله ذلك من قلوبهم، حتى إن أبا بكرٍ اشتكى خاصِرَتَهُ، فكان عليٌّ يسخِّنُ يدَهُ بالنارِ، ويضمِّد بها خاصرةَ أبي بكر، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر][١].

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوال المهاجرين الأولين**:

فمنهم: **الزبير بن العوام**، أخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف في حديث طويل فيه خطبة أبي بكر وفي آخر الحديث: قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلا لأنا قد أخِّرنا عن المشاورة، وإنّا نرى أبا بكر أحقُّ الناسِ بها بعد رسول الله ﷺ، إنَّه لصاحِبُ الغارِ، وثاني اثنين، وإنّا لنعلمُ بشرفه وكبره، ولقد أمره رسولُ الله ﷺ بالصلاة بالناسِ وهو حيٌّ[٢].

• ومنهم: **طلحة بن عبيد الله**، ذكر المحبُّ الطبري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ عمرَ شاور الناسَ في الزحف إلى قتال ملوك فارس التي اجتمعت بنهاوند، فقام طلحةَ بنُ عبيدِ الله، وكان من خطباء الصحابة، فتشهّدَ، ثم قال: أمّا بعدُ يا أميرَ المؤمنين! فقد أحكمتْكَ الأمورُ، وعجنتْك البلايا، وأحنكتْكَ التجاربُ، فأنتَ وشأنك، وأنتَ ورأيك، إليكَ هذا الأمرُ، فمُرْنا نُطِعْ، وادْعُنا نُجِبْ، واحملنا نَرْكَبْ، وقُدْنا نَنْقَدْ، فإنك وليُّ هذه الأمور، وقد بلوتَ واختبرتَ، فلم ينكشف لك عن شيءٍ

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٧).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

من عواقب قضاء الله ﷻ إلا عن خيارٍ، ثم جلس[١].

• ومنهم: **عبد الرحمٰن بن عوف**، روى حديث بشارة العشرة بالجنة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عشرةٌ في الجنّةِ، أبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة**»[٢]. . . الحديث.

• وأخرج **الحاكم** عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن أن **عبد الرحمٰن** كان مع عمرَ بن الخطّاب ﷺ؛ يعني: في تفضيل أبي بكر، والسعي في إقامة خلافته، وإليه رجع أمرُ الشورى، قال: أفتجعلونه إليَّ؟ والله علي أنّ لا آلو عن أفضلِكُم، قالا: نعم، فبايعَ عثمان.

• ومنهم: **سعد بن أبي وقاص**، روى حديثَ: «**والّذي نفسي بيدِهِ ما لقيكَ الشيطانُ قطّ سالكاً فجّاً، إلا سلَكَ فجّاً غيرَ فَجِّكَ**»[٣]؛ يعني: لعمر.

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** من حديث أبي سلمة قال: قال **سعد**: أما واللهِ ما كان بأقدمنا إسلاماً، ولا أقدمنا هجرةً، ولكن قد عرفتُ بأي شيءٍ فضلنا، كان أزهدَنا في الدُّنيا؛ يعني: عمر بن الخطاب[٤].

• قال عند فتنةِ عثمان بن عفان أشهدُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ: القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أفرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي، وبسطَ يده إليّ ليقتلَنِي، قال: «**كُنْ كابْنِ آدم**»[٥].

(١) «الرياض النضرة» (١/٣٠٣).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧٤٨).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٤٧٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٩٦) برقم: (٣٤٤٦٠).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).

• ومنهم: **سعيد بن زيد**، روى حديثَ بشارة العشرة بالجنة: «**أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة**» .

• وحديثُ إثبات الصدِّيقية والشهيديةِ، قَالَ: اخْتَبَأْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوْقَ حِرَاءٍ، فَلَمَّا اسْتَوَيْنَا رَجَفَ بِنَا، فَضَرَبَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِكَفِّهِ، قَالَ: «**اسْكُنْ حِرَاءُ، فَإِنَّهُ لَيسَ عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدٌ**»، وَعَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدٌ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي حَدَّثَ الْحَدِيثَ[١]، وهو القائل: ولو أن أُحَداً ارفضّ للذي صنعتم بعثمان لكان[٢].

• ومنهم: **أبو عبيدة بن الجراح** وكونه مع عمر في استخلاف أبي بكر مشهورٌ، وهو القائل: تأتوني وفيكم ثالثُ ثلاثةٍ؛ يعني: أبا بكر.

وروي عن النبي ﷺ: «**إنه بدأ هذا الأمر نبوةً ورحمةً، ثم كائن خلافةً ورحمةً، ثم كائنٌ ملكاً عضوضاً**»[٣]، الحديث، وحُمِل قوله: «**خلافةً ورحمةً**» على خلافة الشيخين.

• ومنهم: **عبد الله بن مسعود**، وروى حديث بشارة الشيخين بالجنة، وحديث: «**اقتدوا باللذينِ من بعدي أبي بكر، وعمرَ**»[٤].

• وأخرج أبو عمر في «الاستيعاب» عن **ابن مسعود**: «اجعلوا إمامكم خيركم، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ جعل إمامَنا خيرَنا بعده»[٥].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ٢٥٩) برقم: (٩٧٠).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٢).
(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).
(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

• وأخرج أبو عمر عنه أنه قال: لأن أجلسُ مع عمرَ ساعةً خيرٌ عندي من عبادةِ سَنَةٍ[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن مسعود** ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب أو بأبي جَهْلِ بنِ هشام**»، فجعل اللهُ دعوةَ رسول الله ﷺ لعمرَ ﷺ، فبنى عليه ملكَ الإسلامِ، وهدمَ به الأوثانَ[٢].

• وأخرج **الدارميُّ** عن إبراهيم، قال: قال **عبد الله**: كان عمرُ إذا سلكَ بنا طريقاً وجدناه سهلاً[٣].

• قال **عبدُ الله** حين استُخْلِفَ عثمانُ: ما أَلَوْنا عن أعلانا ذا فوقٍ، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٤].

• وقال **عبدُ اللهِ**: لئن قتلوا عثمانَ لا يصيبوا منه خلَفاً[٥].

• ومنهم: **عمّار بن ياسر**، روى حديث: «**يَا عَمَّارُ أَتَانِي جِبْرِيلُ آنِفاً، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ حَدِّثْنِي بِفَضَائِلِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَوْ حَدَّثْتُكَ بِفَضَائِلِ عُمَرَ مِثْلَ مَا لَبِثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إلا خَمْسِينَ عَاماً مَا نَفِدَتْ فَضَائِلُ عُمَرَ، وَإِنَّ عُمَرَ لَحَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ**»[٦].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥) برقم الترجمة (١٨٧٨)، ولفظه هكذا: «ولمجلسٌ كنتُ أجلسُه مع عمرَ أوثقُ في نفسِي مِنْ عملِ سَنَةٍ».

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٩) برقم: (٤٤٨٦).

(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) برقم: (٢٨٦٥).

(٤) في «مصنفه» (٧/ ٤٤٠) برقم: (٣٧٠٧٦).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٣).

(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٧٩) برقم: (١٦٠٣).

وله شعرٌ في سوابق أبي بكر:

جَزَى اللَّهُ خيراً عَنْ بلالٍ وصَحْبِهِ عَتِيقاً، وأَخْزَىٰ فَاكِهاً وأبا جَهْلِ
عَشِيَّةَ هَمَّا في بلالٍ بِسَوْءَةٍ وَلَمْ يَحْذَرَا مَا يَحْذَرُ المَرْءُ ذو العَقْلِ
بِتَوْحِيدِهِ ربَّ الأنامِ وقولِهِ: شهدتُ بأنَّ اللَّهَ ربِّي على مَهْلِ
فَإِنْ يَقْتُلوني يَقْتُلوني فلم أَكُنْ لِأُشْرِكَ بِالرَّحْمٰنِ مِنْ خِيفَةِ القَتْلِ
فَيَا رَبُّ إبراهيمَ والعبدِ يونسٍ وَمُوسىٰ وعيسى نَجِّني ثُمَّ لا تبلِ
لِمَنْ ظلَّ يَهْوَىٰ الغِيَّ من آلِ غالبٍ على غيرِ بِرٍّ كانَ مِنْهُ ولا عَدْلِ[١]

• ومنهم: **حذيفة بن اليمان** روى حديث: «**إنَّهما مِنَ الدِّينِ كالسَّمْعِ والبَصَرِ**»[٢].

وحديث: «**اقتدوا باللَّذينِ مِنْ بعدي أبي بكرٍ وعُمَرَ**»[٣].

وهو القائلُ: كان الإسلامُ في زمانِ عمرَ كالرَّجُلِ المقبلِ، لا يزدادُ إلا قرباً، فلمّا قُتِلَ عمرُ كانَ كالرَّجُلِ المُدْبِرِ لا يزدادُ إلا بُعْداً[٤].

• ومنهم: **أبو ذر**، روى حديث: «الحصياتُ السبعُ».

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: مرّ فَتىً على عمر، فقال عمرُ: نعم الفتى، قال: فتبعه أبو ذر، فقال: يا فتى! استغفرْ لي، فقال: يا أبا ذر! أستغفرُ لك وأنتَ صاحِبُ رسول الله ﷺ؟ قال: استغفرْ لي، قال: لا، أوتخبرني، فقال: إنّكَ مررتَ على عمرَ رضي الله عنه، فقال: نِعْمَ الفتى، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ جَعَلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِهِ**»[٥].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١/١٤٨).
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٧٨) برقم: (٤٤٤٨).
(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/١٤٠).
(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/٩٠) برقم: (٤٤٨٨).
(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/٩٣) برقم: (٤٥٠١).

• ومنهم: **بريدة الأسلمي**، روى حديث: «**اثبتْ حراءُ، فإنَّما عليك نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ**»[١].

• وحديث: «**رؤيا قصر في الجنة لعمرَ**».

• وحديث: «**إنَّ الشيطانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يا عمرُ**»[٢].

• ومنهم: **سفينةُ**، روى رؤيا الميزان.

• وقول النبيِّ ﷺ: «**خلافةُ النبوِّةِ ثلاثونَ عاماً**»[٣].

• ومنهم: **عبد الرحمٰن بن غنم الأشعري**، روى حديث: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتُما في مشورةٍ ما خالفتُكما**»[٤].

• ومنهم: **أبو موسى الأشعري**، روى حديث: «بشارةُ الثلاثةِ بالجنَّةِ»[٥].

• ومنهم: **أبو أمامة الباهلي**، فسَّر قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، قال: أبو بكر وعمر[٦].

• ومنهم: **أبو أروى الدَّوْسي**، روى حديث: «**الحمدُ للهِ الذي أيَّدني بهما**»[٧].

• ومنهم: **عرفجة الأشجعي**، روى حديث: «الوزن».

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٤٦).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٢٢٩٨٩).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٣٨).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٧٩٩٤).
(٥) «الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٩٦).
(٦) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (١٠/ ٥٧).
(٧) «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٦٩).

• **وأما أقوال الأنصار:**

فمنهم: **معاذ بن جبل**، روى حديث: «**إنَّ هذا الأمرَ بدأ نبوةً ورحمةً، ثم يكونُ خلافةً ورحمةً، ثم يكون مُلْكاً عَضُوضاً**»[١].

• ومنهم: **أُبَيُّ بن كعب**، روى حديث: «**أَوَّلُ مَنْ يعانِقُه الحقُّ يومَ القيامةِ عمرُ**»[٢].

• ومنهم: **أبو أيوب**، روى حديث: «رؤيا النبي ﷺ ربَّه، وتعبيرَ أبي بكر، وقول النبيِّ ﷺ: «**هكذا عَبَرَها المَلَكُ بِسَحَرٍ**»[٣]».

• ومنهم: **أبو الدرداء**، روى حديث: «**هل أنتم تاركونَ لي صاحبي**»[٤].

• ومنهم: **زيد بن ثابت**، وهو ممَّن حملَ الأنصار على بيعةِ أبي بكر.

• ومنهم: **أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ**، وهو أيضاً ممّن حملَ الأنصارَ على بيعة أبي بكر.

• ومنهم: **رُفاعة بن رافع، ورافع بن خَدِيج**، رويا حديث: «فَضْلُ أهل بدرٍ».

• ومنهم: **زيد بن خارجة**، تكلَّم بفضائل الثلاثة بعد موته.

• ومنهم: **أبو سعيد بن المعلى**، روى خطبةَ النبيِّ ﷺ قريباً من وفاته في فضائل أبي بكر وعمر.

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٢/ ١٣٣)، «شعب الإيمان» (ح: ٥٢٢٨)، «جامع الأحاديث» رقم: (٨٦٠٩).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٩).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٣٣).

• ومنهم: **سهل بن سعد**، روى: أَنَّ أُحُداً ارْتَجَّ وَعَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ**»(١).

• ومنهم: **عويم بن ساعدة**، أخرج **الحاكم** من حديث عبد الرحمٰن بن سالم بن عبد الرحمٰن بن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده عن عويم بن ساعدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله تبارك وتعالى اختارَني، واختارَ لي أصحاباً، فجعل لي منهم وزراءَ وأنصاراً وأصهاراً، فمن سبَّهم فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبلُ منه يومَ القيامةِ صرفٌ ولا عدلٌ**»(٢).

• ومنهم: **حسَّان بن ثابت**، المنشد بين يدي النبي ﷺ شعراً في الثناء على أبي بكر:

وثانيَ اثنينِ في الغارِ المُنِيفِ(٣)

• ومنهم: **أبو الهيثم بن التيهان**، القائل: وإنِّي لأرجو أن يقومَ بأمرنا(٤).

○ ○ ○ ○ ○

• وأما **أقوال المكثرين من أصحاب رسول الله ﷺ**:

فمنهم: **عبد الله بن عمر**، القائل: كُنّا نخيِّرُ بينَ الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ، فنخيِّرُ أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٣/ ٤٢٨) رقم: (٧٦١٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٣٢) برقم: (٦٦٥٦)، «المعجم الكبير» (١٧/ ١٤٠)، «الآحاد والمثاني» (ح: ١٧٧٢).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٧) برقم: (٤٤١٣).

(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥).

عفان رضي الله عنه[١].

● وروى حديثَ: «رؤيا القليب».

● وحديث: «**أَرْأَفُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي الإِسْلامِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ**»... الحديث[٢].

● وروى: «أنهما يبعثان مع النبي ﷺ».

● وروى من مناقب الشيخين شيئاً كثيراً.

● ومنهم: **عبد الله بن عباس**، روى حديثَ: «**لو كنتُ متَّخِذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**»[٣].

● وحديثَ: «لمّا أسلمَ عمرُ نزل جبريلُ فقال: يا محمّدُ لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عمرَ»[٤].

● وهو القائِلُ لعمر لما طُعِنَ: «لقد صحبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صحبتَهُ، ثم فارقتَهُ، وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ فأحسنتَ صحبتَه»... الحديث[٥].

● وهو القائل في حديث النهي عن الركعتين بعد العصر: أخبرني رجالٌ مرضيّون وأرضاهم عندي عمرُ[٦].

● ومنهم: **عبد الله بن عمرو بن العاص**، روى حديث: «دفع الكفار عنه ﷺ».

● ومنهم: **أبو هريرة** روى حديث القليب.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٤٥٥).
(٢) «مسند أبي يعلى» (١٠/ ١٤١) برقم: (٥٧٦٣).
(٣) «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٨٣).
(٤) «سنن ابن ماجه» برقم: (١٠٣).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٢).
(٦) «صحيح البخاري» برقم: (٥٨١).

• وحديث: «**وما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[١].

• وحديث: «**أرجو أن تكونَ مِنْهُم**»[٢]؛ يعني: مَنْ يُدعى مِنْ جميعِ أبواب الجنة.

• وحديث: «رؤيا قصر في الجنة لعمرَ».

• وحديث المحدَّثين.

• و«**إنَّما عليكَ نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ**».

• ومنهم: **أم المؤمنين عائشة** رضي الله عنها، القائلة: «لو استخلف، استخلفَ أبا بكر ثم عمرَ».

• والقائلة: كان أبو بكر أحبَّ الناسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، ثم عمر، روت حديثَ الإمامةِ في مرضه ﷺ.

• وحديث تلقيبِ النبيِّ ﷺ أبا بكر بالعتيق.

• وحديث: «**إنِّي أنظرُ إلى شياطين الجنِّ والإنسِ قد فرّوا من عمرَ**»[٣].

• وحديث: «**همُ الخلفاءُ مِنْ بعدي**» في قِصّة تأسيس المسجد.

• والقائلةُ: كان عمرُ أحوذياً[٤] نسيجَ وحدِه، خُلِقَ لإعلاءِ كلمةِ الإسلام.

• ومنهم: **أنس بن مالك**، روى حديث: «**إنّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان**»[٥].

• وحديث: «**سيِّدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**».

---

(١) «موطأ مالك ـ رواية محمد بن الحسن» (٣/ ٤٤٤) برقم: (٩٤٤).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٢١٦).

(٣) «سمط النجوم العوالي» (١/ ٤٥٥).

(٤) أي: الحاذق.

(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٦).

وحديث: «**أرحمُ أُمَّتي بأُمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ**»[١].

• وروى حديثَ: «**أنتَ مع مَنْ أحببتَ**»، قال أنس: «فأنا أحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ، وأرجو أنْ أكونَ معهم بحبِّي إياهم، وإن لم أعملْ بمثلِ أعمالهم»[٢].

• ومنهم: **أبو سعيد الخدري** رضي الله عنه، روى حديثَ: «**إنَّ أمنّ الناسِ عليَّ في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً**»[٣]... الحديث.

• وحديث رؤيا القميص لعمر.

• وحديث: «وإنّ أبا بكر وعمر منهم وأنعما»؛ يعني: من أهلِ الدّرجات العلى في الجنة.

• ومنهم: **جابر بن عبد الله**، روى حديث: «**يا أبا بكر! أعطاك الله الرضوان الأكبر**»[٤].

• وحديث: «رؤيا قصرٍ في الجنةِ لعمرَ».

○ ○ ○ ○ ○

وأما **أقوال سائر أصحاب النبي** ﷺ:

• منهم: **معاوية بن أبي سفيان**، القائل: عليكُم من الأحاديثِ ممّا كان يُروى في زمان عمرَ، فإنَّ عمرَ كان يخيفُ الناسَ في الله[٥].

• ومنهم: **عمرو بن العاص**، القائل: واللهِ لئن كان أبو بكر وعمرُ

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩٠).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٨).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٦).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٣) برقم: (٤٤٦٣).
(٥) «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).

تركا هذا المالَ، وهو يحلُّ لهما شيءٌ منه، لقد غُبِنَا ونقصَ رأيهما، وايمُ اللهِ ما كانا بمغبونين، ولا ناقصي الرأي، ولئن كانا امرأين يَحْرُمُ عليهما مِنْ هذا المالِ الذي أصبنا بعدَهما لقد هلكنا، وايم اللهِ ما الوهمُ إلّا مِنْ قبلنا»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

• وروى: «أحبُّ الناسِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ عائشة، ومن الرجال: أبو بكر، ثم عمر».

ومنهم: **عبد الرحمٰن بن أبي بكر**، روى حديث: «**أكتبُ لكم كتاباً لَنْ تضلّوا بعدَه أبداً**»، ثم ولّانا قفاه، ثم أقبل علينا، فقال: «**يأبى الله والمؤمنونَ إلا أبا بكر**»[٢].

• ومنهم: **عمران بن حصين**، الراوي حديثَ: «**خيرُ القرونِ قرني، ثم الذين يلونهم**»[٣].

• ومنهم: **عبد الله بن هشام بن زهرة**، الراوي حديثَ: «قال عمر: يا رسولَ اللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا من نفسِي، فقال النبيُّ ﷺ: «**لا والذي نفسِي بيدِه، حتّى أكونَ أحبَّ إليكَ من نفسِكَ**».

فقال له عمر: فإنّه الآنَ واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسِي.

فقال النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»»، أخرجه **البخاري**[٤].

• ومنهم: **عثمان بن أرقم**، الراوي حديثَ: «**اللَّهُمَّ أعزّ الإسلامَ بأحبِّ الرجلينِ إليكَ: عمرَ بن الخطاب أو عمرو بن هشامٍ**»[٥].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٢) برقم: (٣٤٤٣٨).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٤٢) برقم: (٦٠١٦).
(٣) «موطأ مالك ـ رواية محمد بن الحسن» (٣/ ٢٩٥) برقم: (٨٤٧).
(٤) في «صحيحه» برقم: (٦٦٣٢).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٧٤) برقم: (٦١٢٩).

• ومنهم: **الأسود بن سريع**، الراوي حديثَ: «**هذا عمرُ بنُ الخطّاب، وليس من الباطل في شيء**»(١).

• ومنهم: **أبو جحيفة السوائي**، الراوي حديثَ: «**سيدا كهولِ أهلِ الجنّةِ**»(٢).

• ومنهم: **أبو بكرة الثقفي**، الراوي: «رؤيا الميزان».

• ومنهم: **سمرة بن جندب**، الراوي: «رؤيا الدلو».

• ومنهم: **أبو الطفيل**، الراوي: «رؤيا القليب».

• ومنهم: **جُبَيرُ بنُ مُطعم**، الراوي حديث: «**إنْ لم تجديني فأتِي أبا بكرٍ**»(٣).

• وله قصة في ذهابه إلى الشام، ورؤيته تصاوير الأنبياء، فيها تصويرُ النبيِّ ﷺ وأبو بكر آخذٌ بقدميه، وإخبارُ أهل الكتاب أنّه خليفة النبي ﷺ من بعده.

• ومنهم: **عبد الله بن الزبير**، الراوي حديثَ: «**لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكرٍ خليلاً**»(٤).

• والراوي سبب نزول آية: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢](٥).

• ومنهم: **جندب بن عبد الله**، الراوي حديثَ: «**لو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ...**» إلخ.

○ ○ ○ ○ ○

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧١٢) برقم: (٦٥٧٦).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٥).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٢٠).
(٤) «مسند أحمد» برقم: (٤٤١٣).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٧٣٠٢).

● وأما **أقوال علماء التابعين**:

● فمنهم: **سعيد بن المسيب**، قال: كان أبو بكر الصدِّيق ﷺ من النبي ﷺ مكانَ الوزيرِ، فكان يشاوِرُه في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يومَ بدرٍ، وكان ثانيه في القبرِ، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يقدِّمُ عليه أحداً، أخرجه **الحاكم**[(١)].

● ومنهم: **قاسم بن محمد**، روى أنَّ رجلاً من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ قال في مجلس فيه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق: واللهِ ما كانَ لرسولِ الله ﷺ من موطنٍ إلا وعليٌّ معه فيه.

فقال القاسم: يا أخي! لا تحلفْ، قال: هلمّ.

قال: بلى! ما تردُّه، قال الله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، أخرجه **أبو عمر** في **«الاستيعاب»**[(٢)].

● ومنهم: **مسروق**، قال: حُبُّ أبي بكرٍ وعمرَ ومعرفةُ فضلهما من السُّنَّة[(٣)]، أخرجه **أبو عمر**.

● ومنهم: **الحسن البصري**، روى عن يونس قال: كان الحسن ربما ذكر عمر، فقال: واللهِ ما كانَ بأوّلهم إسلاماً، ولا أفضلهم نفقةً في سبيلِ اللهِ، ولكنه غلبَ الناسَ بالزهدِ في الدنيا، والصرامة في أمرِ اللهِ، ولا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم، أخرجه **ابن أبي شيبة**[(٤)].

● ومنهم: **محمد بن سيرين**، قال: ما أظنُّ رجلاً ينتقِصُ أبا بكر وعمر يحبُّ النبيَّ ﷺ، أخرجه الترمذي[(٥)].

---

(١) في «المستدرك» (٣/ ٦٦) برقم: (٤٤٠٨).

(٢) (١/ ٢٩٦).

(٣) في «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

(٤) في «مصنفه» (٦/ ٣٥٨) برقم: (٣٢٠١٠).

(٥) في «سننه» برقم: (٣٦٨٥).

• ومنهم: **عمرو بن ميمون**، و**إبراهيم النخعي**، روي عن عمرو بن ميمون قال: ذهب عمرُ بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم، فقال: ذهبَ عمرُ بتسعة أعشار العلم، أخرجه **الدارمي**[١].

• ومنهم: **أبو العالية**، فسّر «الصراط المستقيم» بأبي بكر وعمر، فصدّقه الحسن البصري.

• ومنهم: **عكرمة والكلبي**، فسَّرا: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ بأبي بكر وعمر»[٢].

• ومنهم: **قتادة** قال: فكنّا نتحدّثُ أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤][٣].

• ومنهم: **الضحاك**، قال في هذه الآية: أبو بكر وأصحابه.

• ومنهم: **الحسن**، قال في هذه الآية: أبو بكر وأصحابه.

• ومنهم: **زيد بن أسلم**، قال في آية ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام[٤]، ومثله عن **الحسن، والضحاك، وأبي سنان**.

• ومنهم: **كعب الأحبار**، عن ابن أبي مليكة قال: لمّا طُعِنَ عمرُ، جاء كعبٌ، فجعل يبكي بالباب، ويقول: واللهِ لو أنَّ أميرَ المؤمنينَ يقسِمُ على اللهِ أن يؤخِّره لأخَّره، فدخل ابن عباسٍ عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا كعبٌ يقول كذا وكذا، قال: إذاً واللهِ لا أسأله[٥].

---

(١) في «سننه» (١/ ١١٢) برقم: (٣٥٥).
(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ١١٢). (٣) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١٩).
(٤) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٤/ ١٢٧).
(٥) «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٦١).

• وهو القائِلُ: في كتابِ اللهِ المنزل من السماء أبو بكر وعمر وعثمان.

• ومنهم: **عروة بن الزبير**، قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ أبا بكر أميراً على الناس، وكتب له سُنَنَ الحجّ، وبعث معه علي بن أبي طالب[١]، وأصل القصة متواترٌ عن **ابن عمر**، **وجابر**، **وأنس**، **وأبي هريرة**، **وابن عباس**.

• وعن **الحسن** رضي الله عنه، أنّه سُئِلَ عن الحجّ الأكبر؟ فقال: ما لكم وللحجِّ الأكبر؟ ذاك عام حجَّ فيه أبو بكر رضي الله عنه، استخلفه رسولُ اللهِ ﷺ فحجَّ بالناس[٢].

○ ○ ○ ○ ○

ومن الذين ذهبوا إلى أنّ خلافةَ أبي بكر وعمر إنّما كان بنصٍّ من النبي ﷺ: عليٌّ، وابنُ عباس، وميمونُ بن مهران، وحبيبُ بنُ أبي ثابت، والضحّاكُ، ومجاهِدٌ، كلّهم قالوا: إمارةُ أبي بكرٍ وعمرَ لفي كتاب الله أسرَّ النبيّ ﷺ بها إلى عائشة.

• ومن الذين ذهبوا إلى أن أبا بكر وعمر مرادان من قوله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]: أبيٌّ، وابن عمر، وابن عباس، وابن مسعود، وأبو أمامة، وعكرمة، وميمون بن مهران، وعبد الله بن بريدة، وسعيد بن جبير، والحسن، ومقاتل بن سليمان.

• ومن الذين ذهبوا إلى أن آية ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل]، نزلت في: أبي بكر الصدِّيق: ابن مسعود، وابن عباس، وعبد الله، وعروة ابنا الزبير، وسعيد بن المسيب.

○ ○ ○ ○ ○

---

(١) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٥/ ٣٨٣).
(٢) «الدر المنثور في التأويل بالمأثور» (٥/ ١١).

• ومن **أقوال علماء تبع التابعين**:

• **سفيان الثوري**، أخرج **أبو داود** عن محمّد الفريابي، قال: سمعتُ سفيانَ يقول: مَنْ زعمَ أنَّ عليّاً كان أحقّ بالولاية منهما فقد خطّأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار رضي الله عن جميعهم، وما أراه يرتفِعُ مع هذا له عملٌ إلى السماء[١].

• ومنهم: **مالك بن أنس**، اشتُهر عنه أنه قائلٌ بتفضيل الشيخين، وحبّ الخَتَنين، وقد صنّف الطحاوي كتاباً[٢] في عقائد أبي حنيفة وصاحبيه، والبيهقيُّ كتاباً في عقيدة الشافعي، فأفصحا أنَّ مذهبهم تفضيلُ الشيخين.

○ ○ ○ ○ ○

• وبعد ذلك مذاهبُ جمهور المسلمين كالأشاعرة والماتريدية، فإنّهم كانوا قائلينَ بتفضيل الشيخين كما هو معلوم، بل الأوائلُ من المعتزلة ـ أيضاً ـ كانوا قائلينَ بذلك.

وبعد ذلك الفقهاء من كل الطبقة.

والمتصوِّفون من كلِّ الطبقة قائلون بذلك.

هذا ما توافر بكل يُسْرٍ في هذا الباب، ولعلّ ما تركنا من ذلك أكثر ممّا ذكرنا، والله أعلم بالحال.

○ ○ ○ ○ ○

وليعلم أننا نختم هذا المبحث على نكتتين مهمتين:

النكتة الأولى: أنّه مِنْ شأنِ المتفطِّنِ اللبيب أن يتأمَّلَ في أقاويل

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٦٣٠).

(٢) هو «العقيدة الطحاوية».

الصحابة والتابعين، وينظر ما هي الخصلة التي جعلوها وجه الأفضلية؟ وإنْ أعملنا فكراً صائباً في هذه المسألة علمنا أنَّ معظم الصحابة والتابعين قد بيَّنوا أفضليةَ الشيخين بالإشارة والإيماء، ولم يقيِّدوها بإحدى الخصال المحمودة، وما ذكرنا من النوع الخامس في مبحث السُّنَّة السَّنية وفقهاء الصحابة الذين امتازوا بمزيد من التفطّن والذكاء، قد أشاروا في سياق كلامهم في وجه الأفضلية إلى إحدى هذه الخصال الأربع.

كما قد أشار عليٌّ المرتضى رضي الله عنه إلى إحكام الخلافة، وتبليغ الدين، حيث قال: «اسْتُخْلِفَ أبو بكر ـ رحمة الله على أبي بكر ـ فأقامَ واستقام، ثم اسْتُخْلِفَ عمر ـ رحمة الله على عمر ـ فأقام واستقام حتى ضربَ الدين بجرّانه»[1]، وأشار إلى علوّ الدرجة في الآخرة، حيث قال في مدح الفاروق والثناء عليه: «ما مِنَ الناسِ أحدٌ أحبُّ إليَّ أنْ ألقى اللهَ بما في صحيفتِهِ من هذا المُسَجَّىٰ»[2]، وبيّن سوابق أبي بكر الإسلامية يوم وفاته بأوضح عبارة.

- ووصفت **عائشةُ** أبا بكر وعمر بصفة نشر الإسلام وتبليغه، حيث قالت: «ما رأى نقطةً إلا طارَ أبي لحظها وغنائها في الإسلام»[3].

- وقرَّر **ابن مسعود** سوابقَ عمر الإسلامية حيث قال: «ما زلنا أعزةً منذ أسلم عمر»[4].

وذكر **حذيفةُ بنُ اليمان** حسن قيامه بحقوق الخلافة حيث قال: كان

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٩٢١).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٠) برقم: (٤٥٢٣).
(٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٢٠٠) برقم: (١٦٦٢٥).
(٤) «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٣).

الإسلامُ في زمان عمر كالرَّجُلِ المقبلِ، لا يزدادُ إلا قُرْباً، فلما قُتِلَ عمرُ كان كالرَّجلِ المدبرِ، لا يزدادُ إلا بعداً[١].

• وبيَّن **عبدُ اللهِ بن عمرَ** جدّه في العبادة، وزهده في الدنيا حيث قال: ما رأيتُ أحداً قطّ بعد رسولِ الله ﷺ من حين قبض كان أجدّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب[٢].

• وعلى هذا **القياس** أشار معظم فقهاء الصحابة إلى إحدى هذه الخصال الأربع أو اثنتين منها أو ثلاث، ويُفهم هذا المعنى بأدنى تأمّل في أقوالهم.

• وأما أنَّ فقهاء الصحابة بيّنوا الأفضلية بأوصاف أخرى، فمن جملة ذلك «العلم».

أخرج الدارميُّ عن **ابن مسعود**: «كان عمر إذا سلك بنا طريقاً اتبعناه فيه وجدناه سهلاً»[٣].

وأخرج الدارمي عن **حذيفة** قال: إنّما يفتي الناسُ ثلاثةٌ: رجلٌ إمامٌ، أو والٍ، ورجلٌ يَعْلَمُ ناسخَ القرآنِ من المنسوخ، قالوا: يا حذيفةُ! ومَنْ ذاك؟ قال: عمرُ بنَ الخطاب، أو أحمق متكلِّفٌ[٤].

• وأخرج **الدارميُّ** عن عمرو بن ميمون قال: ذهب عمرُ بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم[٥].

• ووقعت الإشارة إلى هذه الخصلة في الحديث أيضاً، قال

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٨).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٧).
(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٤) برقم: (٢٨٧٢).
(٤) «سنن الدارمي» (١/ ٧٣) برقم: (١٧٢).
(٥) «سنن الدارمي» (١/ ١١٢) برقم: (٣٣٥).

رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ**»(١).

• وقال ﷺ: «**لقد كانَ فيما كانَ قبلكم من الأمم ناسٌ محدَّثونَ من غيرِ أن يكونوا أنبياء، فإن يكُ في أُمَّتِي أحدٌ فإنَّه عمرُ**»(٢).

• وقال: «**بَيْنَا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدحٍ من لبن، فشربت منه، حتّى إني لأرى الريّ يجري في أظفاري، ثم أعطَيتُ فضلي عمرَ**»، قالوا: فما أوّلت ذلك؟ قال: «**العلم**»(٣).

لكن ورد ذكر هذه الخصلة في الحديث الشريف ضمْنَ تحقيق وتأكيد معنى **قرب الباطن والمحدَّثية**، والمراد بذلك **علمٌ وهبيٌّ**، الذي يحصل بفيض من الله تبارك وتعالى، والمرادُ لدى القوم هو علم الكتاب والسُّنَّة والاهتداء بطرق الاستنباط.

• ومن جملةِ ذلك الأخلاق القويّة التي أودعت في جبلّة الإنسان ويتّصف بها في الحقيقة كلّ من المسلم والكافر والمتقي والفاسق، ولكن تكونُ في السابقين المقرَّبين ممداً لكمالاتهم المعنوية، ومُعيناً في إتمام حقوق الخلافة، ولا يكونُ في غيرهم كذلك، قال رسولُ اللهِ ﷺ لما سئل عن الأكرم عن معادن العرب: «**تسألوني خيارَهُم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا**»(٤)، ويؤكِّد العقلُ أنَّ منبعَ صدور الأفعال إنّما هو الأخلاق، من كان له خُلُق قويّ يصدر منه أفعال قوية جادّة.

والتحقيق في هذا الباب أنَّ في الخلافةِ الخاصّةِ صفاتٍ عديدةً من الكمالاتِ الكسبية، جعلها مدارَ الفضائل في الشريعة، وتلك هي الصفات السبعُ التي أحصيناها من لوازم الخلافة الخاصة، وصفات

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٢). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٩).
(٣) «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ٤٠) برقم: (٨١٢٣).
(٤) «صحيح البخاري» برقم: (٣١٧٥).

عديدة من الكمالات الجبلّية جعلَها مدارَ الخلافة الراشدة؛ كالقرشية، والسمع والبصر، والشجاعة والكفاية، وصفات عديدة من الكمالات الجبلّية التي يتوقّف عليها حسن سياسة القوم.

وقد ذكر ذلك الصحابةُ والتابعون عند مشاورة الخلافة، وعند الثناء على الخلفاء، كان أبو بكر يقول في عمر الفاروق: «أقوى» ويقول عمر في أبي بكر الصدِّيق: «أفضل»، «فالأفضل» عبارةٌ عن زيادة الفضائل الشرعية، والصدِّيقية والشهيدية من هذا القبيل، والسوابقُ الإسلامية من جملة ذلك أيضاً، «والأقوى» عبارةٌ عن زيادة الأخلاق الجبلِّية المساعدة في أحكام الخلافة والممدة على حسن السياسة.

نكتب روايات من هذا الباب:

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»، عن **ابن عباس** قال: بينا أنا أمشي مع عمرَ يوماً إذ تنفّس نفساً، ظننتُ أنه قد قضبت أضلاعه، فقلت: سبحانَ اللهِ واللهِ! ما أخرجَ منك هذا يا أميرَ المؤمنين إلا أمرٌ عظيمٌ.

فقال: ويحك يا ابنَ عباس! ما أدري ما أصنعُ بأمَّةِ محمّدٍ ﷺ.

قلت: ولِم؟ وأنتَ بحمدِ اللهِ قادرٌ أن تضعَ ذلك مكانَ الثقة؟ قال: إني أراك تقول: إنَّ صاحبكَ أولى الناسِ بها؛ يعني: عليّاً رضي الله عنه.

قلتُ: أجل واللهِ إنّي لأقولُ ذلك في سابقتِهِ، وعلمِهِ، وقرابتِهِ وصهره.

قال: إنه كما ذكرتَ ولكنّه كثيرُ الدّعابةِ.

فقلت: فعثمان؟

قال: فواللهِ لو فعلتُ لجعلَ بني أبي مُعَيْطٍ على رقابِ الناس، يعملون فيهم بمعصية الله، واللهِ لو فعلتُ لفعل، ولو فعل لفعلوه، فوثبَ الناسُ عليه فقتلوه.

فقلتُ: طلحة بن عبيد الله؟.

قال: الأكيسعُ، هو أزهى من ذلكَ، ما كان الله ليراني أولِّيه أمرَ أمةِ محمَّدٍ ﷺ وهو على ما هو عليه من الزهو[١].

قلت: الزّبير بنُ العوام؟

قال: إذاً كان يظلّ يلاطِمُ الناس في الصاع والمُدّ.

قلت: سعد بن أبي وقاص؟

قال: ليس بصاحبِ ذلك، ذاك صاحبُ مقنب[٢] يقاتلُ به.

قلت: عبد الرحمٰن بن عوف؟

قال: نعم الرجلُ ذكرتَ، ولكنّه ضعيفُ عن ذلك، واللهِ يا ابن عباس! ما يصلحُ لهذا الأمر إلا القويُّ في غير عُنْفٍ، اللّينِ في غيرِ ضَعْفٍ، الجوادُ في غير سرفٍ، الممسكُ في غير بخلٍ.

قال ابن عباس: كان عمر واللهِ كذلك[٣].

● وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»: قيل **لابن عباس**: أخبرنا عن أصحابِ رسولِ الله ﷺ أخبرنا عن أبي بكر، قال: كان واللهِ خيراً كلّه مع حِدّةٍ كانت فيه.

قلنا: فعمر؟ قال: كان واللهِ كيّساً حذراً؛ كالطيرِ الحَذِرِ، الذي قد نُصِبَ له الشركُ، فهو يراه، ويخشى أن يقع فيه، مع العنف وشدة السير.

قلنا: فعثمان؟

---

(١) يجب علينا أن نحسن الظن بهولاء العشرة المبشرة بالجنة.

(٢) **المقنب**: وعاء للصائد يجعل فيه ما يصيده.

(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٥).

قال: كان واللهِ صوّاماً قوّاماً من رجل غلبته رقدته.

قلنا: فعليّ؟

قال: كانَ والله قد مُلِئَ علماً وحكماً من رجل غرَّته سابقتُه وقرابتُه، فقلّما أشرفَ على شيءٍ من الدنيا إلا فاته[1].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» قول **عثمان**: هل أستطيعُ أن أكون مثل لقمان الحكيم[2].

• وأخرج **أبو يوسف**، عن أبي المليح بن أبي أسامة الهذلي، قال: خطب عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال:

أيها الرعاء! إن لكم علينا حقَّ النصيحةِ بالغيبِ، والمعونةِ على الخيرِ.

أيها الرعاء! إنّه ليس من حلم أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلمِ إمامٍ ورفقه، وليس من جهل أبغض إلى الله وأعمّ ضرراً من جهل إمامٍ وخَرْقِهِ، وإنَّه من يأخذُ بالعافيةِ فيما بين ظهرانيه يعطَ العافية من فوقه[3].

• وأخرج **أبو يوسف**، عن مسعر، عن رجل، عن عمر رضي الله عنه قال: لا يقيمُ أمرَ اللهِ إلا رجلٌ لا يضارَعُ، ولا يصانعُ، ولا يتّبع المطامع، ولا يقيم أمرَ اللهِ إلا رجلٌ لا ينتقص غربه، ولا يكظم في الحق على حزبه[4].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤١).

(٢) ما عثرنا على هذه الرواية في استيعاب أبي عمر ابن عبد البر، ولكن أخرج هذه الرواية ابن عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد» (٢/ ٨٠)، وابن أبي الدنيا في «الورع» (ص٢٤٤) برقم: (٢٣١).

(٣) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٣).

(٤) «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٥).

• وذكر **المحبُّ الطبري** عن **أبي بكر العبسي** قال: دخلتُ مع عمر وعثمان وعليّ مكان الصدقة، فجلس عثمانُ في الظلِّ يكتب، وقام عليّ على رأسه يملي عليه ما يقولُ عمر، وعمرُ قائمٌ في الشمس في يوم شديد الحر، عليه بردتان سوداوان، مؤتزر بواحدة، وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقّدُ إبل الصدقة، يكتب ألوانها وأسنانها، فقال عليّ لعثمان: أما سمعتَ قول ابنة شعيب في كتاب الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص]، وأشار إلى عمر وقال: هذا القوي الأمين[١].

• وعن **عروة بن رويم اللخمي** قال: كتب ابنُ الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يقرؤه على الناس بالجابية، أمّا بعدُ: فإنّه لا يقيمُ أمرَ اللهِ في الناسِ إلا خصيف القعدة، بعيد الغرة، ولا يطَّلِعُ الناسُ منه على عورة، ولا يحنق في الحق على حرة، ولا يخاف في الله لومة لائم، والسلام عليك».

وفي رواية: «ولا يحابي في الحق على قرابة مكان، ولا يحنق في الحق على حرة»[٢].

قلت: والحرة ما يحافِظُ عليه الأحرار من الحماية لقرابتهم والأنفة عن ما يخلّ في قدرهم.

• عن **محمد بن علي بن الحسين**، عن مولى لعثمان بن عفان قال: بينا أنا مع عثمان في مال له بالعالية في يوم صائف، إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحرّ، فقال: ما على هذا لو قام بالمدينة حتى يبردَ ثم يروحُ، ثم دنا الرجل فقال: انظر من هذا؟ فنظرتُ فقلتُ: أرى رجلاً معمّماً بردائه، يسوق بكرين، ثم دنا الرجل

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٥).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).

فقال: انظر، فنظرتُ فإذا عمرُ بنُ الخطاب فقلت: هذا أميرُ المؤمنين، فقام عثمان، فأخرجَ رأسه من الباب فأذاه نفحُ السَّموم، فأعاد رأسه حتى حاذاه فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟

فقال: بكران من إبل الصدقة تخلّفا، وقد مضى بابُ الصدقة، فأردتُ أن ألحقها بالحمى، وخشيتُ أن يضيعا فيسألني الله عنهما.

فقال عثمان: هلمَّ يا أميرَ المؤمنين إلى الماءِ والظلِّ ونكفيك.

فقال: عُدْ إلى ظلّك.

فقلت: عندنا مَنْ يكفيك.

فقال: عد إلى ظلّك ومضى.

فقال عثمان: مَنْ أحبَّ أن ينظرَ إلى القوي الأمين فلينظرْ إلى هذا، أخرجه **الشافعي** في «مسنده»[1].

● وهناك صفاتٌ عديدة من قبيل رعاية حقوق العباد، والتورُّع فيها، فضّل بها عليٌّ الشيخين على نفسه، بل ذهب جميعُ فقهاء الصحابة والتابعين إلى هذه الصفات في تفضيلهما.

● قال علي ﷺ: سبق رسولُ اللهِ ﷺ وصلّى أبو بكر، وثلّث عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ.

● وقيل لعلي: أيدخلانها قبلك؟ أي: يدخل أبو بكر وعمر الجنةَ قبلك.

فقال علي: إي والذي فلقَ الحبّةَ، وبرأ النسمةَ، ليدخلانها وإنِّي لمع معاوية موقوفٌ في الحساب.

○ ○ ○ ○ ○

(١) «مسند الشافعي» (١/ ٣٩٠).

والنكتة الثانية: وإن قلت: إن القرآن جعل صفتين اثنتين سبب تفضيل بعض الصحابة على بعض:

إحداهما: السوابق الإسلامية.

والثانية: أوصاف القرب المعنوي التي يُعبَّر عنها بالصدِّيقية والشهيدية.

وسبب تفضيل بعض الصحابة على بعض في السُّنَّة السنية هي أربع خصال، اثنتان منها هما الخصلتان المذكورتان في القرآن، وأما الأخريان:

فإحداهما: علّو الدرجات في الجنة، والتقدّم يوم الحشر.

والثانية: هي القيام بمواعيد الله تعالى لنبيِّه ﷺ.

وقد زاد الصحابة على ذلك صفاتٍ أخرى:

الأولى: علم الكتاب والسُّنَّة.

والثانية: الكفاية والحزم، وحُسن سياسة الأمة.

والثالثة: الاجتناب من الشبهات في قتال المسلمين، وفي رعاية بيت المال، وما إلى ذلك، فكيف يمكن التوفيق بين كل من الثلاث.

قلنا: يمكن التوفيق بين هذا الاختلاف وفق توفيق الفقهاء في الاختلاف الواقع في مسألة القتل، فإن القرآن قسَّمه إلى قسمين، القتل إما عمد وإما خطأ، وقُسِّمَ في السُّنَّة إلى ثلاثة أقسام: القتل إما عمد، وإما خطأ خالص، وإما خطأ شبه العمد، وقسَّمه الفقهاء الحنفية إلى خمسةِ أقسامٍ، فيرجعون هذه القسمة الثلاث إلى القسمة الثنائية، والخماسية إلى الثلاثية.

هكذا نقول هنا؛ يعني: أنّ الخصلة الزائدة في السُّنَّةِ راجعةٌ إلى الخصلتين المذكورتين في كتاب الله، وهي مفصلة وشارحة لهما، إذ إنَّ

علّو الدرجة في الجنة لسبب هاتين الخصلتين، ذلك لأن المرء يبلغ ذلك المبلغ إمّا بكماله النفساني، وإما بسعيه في مؤازرة النبي ﷺ، والقيام بموعود الله تعالى نوع من السوابق الإسلامية، إذ إنّ الأصل في السوابق الإسلامية إعانة النبي ﷺ في تبليغ دينه ﷺ، ويكون ذلك في بدأ الإسلام تارةً وفي أواخره تارةً أخرى بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، والخصال الزائدة الثلاث في أقاويل الصحابة راجعة إلى هذه الخصلة الأخيرة، التي هي عبارةٌ عن إنجاز موعوده ﷺ؛ إذ إن الإعانة باعتبار تبليغ علمه ﷺ موقوفةٌ على السعة في علم الكتاب والسُّنَّة وإجماعات الأمة، وهي **باعتبار كثرة الفتوح**، وأمن المسلمين من شرِّ الكفار موقوفة على الكفاية والحزم وحسن السياسة، **وباعتبار تعليم الزهد** موقوفة على الاجتناب من الشبهات، الذي امتاز به الشيخان، وبما أنّ دماء المسلمين من الأمور المهمّة العظيمة لذلك خصّص فيها التورُّع والاحتياط بمزيد من العناية والاهتمام، فكل ذلك شرحٌ وتفصيلٌ للسنَّة السنية، والسُّنَّة شرحٌ وتفصيل لما في القرآن العظيم.

إن قلت: وقد اعتبر في أقوال الصحابة قربُ النسب من النبي ﷺ والوجاهة بين الناس، وما أشبه ذلك من الفضائل، ووقع في القرآن العظيم نفي الفضيلة باعتبار النسب والوجاهة.

لقد ذكروا من فضائل عثمان ذي النورين أنَّ النبيَّ ﷺ زوّج منه فلذتي كبده، ومن فضائل عليّ المرتضى أنه كان ابنَ عمّ رسولِ اللهِ ﷺ وزوجَ فاطمة الزهراء البتول بنت رسول الله ﷺ، وبعض الفضائل الجبلّية كذلك مثل الشجاعة والفصاحة ذكروا في تضاعيف فضائل عليّ المرتضى، فكيف يمكن التوفيق بين هذين القولين المتخالفين؟

قلنا: إنَّ الفضائل على قسمين:

أحدهما: أنها تكون في حدِّ ذاتها فضيلة وسعادة للإنسان، ويحصل بها التشبّه بالنبيِّ ﷺ من جهة النبوة، وهذا القسم هو الذي وقع التصريح والتلويح بها في السُّنَّة.

والثاني: أنها لا تكون في حدِّ ذاتها فضيلة معتبرة في الشرع؛ كالنسب، والمصاهرة، وقوة البدن، وشجاعة القلب، وفصاحة اللسان، والوجاهة بين الناس، ولذلك تحصل هذه الفضائل للكافر والمسلم، ويتّصف بها كل من المتقي والفاسق، ولكن تصبح أحياناً وسيلةً لفضيلة من الفضائل المعتبرة في الشرع.

وبهذا الاعتبار يمكن أن يذكر بهذه الفضائل، فتزويجُ النبيِّ ﷺ بنته ـ مثلاً ـ يتضمّن عنايته بشأنه، ومن سُنَّة الله الجارية أنَّ صهر أفضل الأنبياء عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا شخصاً محمودَ الحال في الشرع، ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [النور: ٢٦].

فيدلّ ذلك بهذا الاعتبار على بعض الفضائل النفسانية، وكونه ابن عمه ﷺ كذلك سبب عنايته ﷺ به واعتنائه بتعليمه وتثقيفه، وتصرف الشجاعة والفصاحة كذلك تارةً في نصرة الإسلام وإعلاء كلمة الله، فكانت لها بهذا الاعتبار علاقة بالفضائل المعتبرة، وما أوفقَ وأنسبَ بيت مولانا جلال الدين الرومي قدس سره في هذا المبحث:

علم بر تن زني ماري بود علم گر بر زني ياري بود

معناه: العلمُ إذا جعلتَه وسيلةً لوجاهتك بين الناسِ وحُسنَ شهرتك في الخلقِ فإنَّه حيةٌ تلدغُكَ، والعلمُ إذا جعلته ذريعةً لتزكيةِ قلبِكَ وإصلاح باطنك، فإنّه مؤنسك، وسببُ جلب رحمة الله تعالى.

فإسقاط هذه الصفات من درجة الاعتبار بمعنى أنها ليست في حدِّ ذاتها فضيلةً معتبرةً، وإثبات هذه المعاني ضمن المناقب والفضائل بمعنى

أنها تكون في خاص مادّتها وسيلةً لكسب الفضائل المعتبرة، فالأمر الواقع أنهم يذكرون هذه الأسماء ولكن مرادُهم هو الفضائلُ المعتبرةُ في الشرع لا غير، وشتّان بينهما، وبون شاسع بين مواقع هذين القسمين ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق]، فإذا ثبت وجود الفضائل من القسم الأول يُسبِّب القسمُ الثاني زيادةَ رونقها وبهائها ويشهد بتحقّقها، وإذا لم يثبت القسمُ الأولُ أو ثبتَ دون رتبة الآخرين فلا ترفعه هذه الفضائل في الشريعة.

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع

في إثبات أفضلية الشيخين
من جهة ملازمة الخلافة الخاصة الأفضلية

وهذا مسلكٌ دقيق المأخذ، قد أثبت ذلك المحقِّقون من الصحابة وغيرهم، وبيّنوا ذلك بأساليب عديدة.

والأصلُ في هذه المسألة أنّ حقيقة الخلافة الخاصّة هي إرادةُ الله تبارك وتعالى لإصلاح العالم بوجهٍ يكون تلوَ إصلاح العالم المقصود ببعث الأنبياء، حين يمتلئ العالم كفراً وفسوقاً وظلماً، فيختار الله المدبّر جلّ شأنه من بين الناس شخصاً يكون جوهر نفسه أشبه بالملائكة المقرَّبين، وتنشأ من غيوب العرش إرادةُ تعليمه، وإشاعةُ علمه بين الناس، وينادي جبريل بأنّ فلاناً محبوب عند الله، وإرادة الله تعالى غلّبته، وجمع العالم على الانقياد لعلمه، ثم شيوع علمه في الآفاق، وتهذيب نفوس بني آدم بهذا العلم الحق، ثم يفتّتْ شملُ أعدائه، ثم بعد ذلك ينادي جبريل في ملكوت السماوات: «**ألا إنَّ الله أحبَّ فلاناً فأحبّوه**»، فيحبّه جميع الملائكة، ويلعنون على أعدائه، ويستغفرون لمن يتّبعونه، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر].

ثم ينزل قَبوله في الأرض، ويقوم أفواج من الملائكة السفلية بنشر دينه، ونصر الموافقين له، إلى أن يتحقّق مرادُ الله بكماله.

هذه حقيقة النبوّة، وإذا بُعِثَ النبيُّ ﷺ في العالم وهذّب جماعة

المؤمنين، وانقضت أيامُ حياة النبي ﷺ قبل ظهور مراد الله ببعثة النبيِّ ﷺ بكامله، كما قال عزّ من قائل: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يونس: ٤٦]، فيختار التدبيرُ الإلٰهيُّ شخصاً من بين أصحابه لخلافته، الذي يقارب أصل جوهر نفسه جوهر نفس النبي، كما لا يخفى عليك حالُ مؤمن آل فرعون ومؤمن أنطاكية، وبعد ذلك إنه ـ أي: الخليفة ـ يبذل سعياً بليغاً لمؤازرة النبي، وبضمن هذه المؤازرة تشمله رحمةُ اللهِ مرّةً أخرى، وتجذبه نفس النبي، وتهذبه تهذيباً، حتى يظهر فيه استعدادٌ للمحدَّثية والصدِّيقية، وهي فرع لهذا الجذب.

وآنذاك يتخذ التدبيرُ الإلٰهيُّ هذا الشخصَ جارحةً له في إنجاز موعوده للنبي، وتنزل العنايةُ الإلٰهيةُ على قلبه تترا، ويكون هو كالسراج في وسط البيت، تتنوَّر به الأجسام الصافية المتواجدة في البيت بضيائه، وتتأثّر نفوسُ بني آدم بالخليفة، ويتحرَّك الجميعُ بتلك الحركة التي مبدأها من الغيب، فأحياناً يبلون في القتال بلاءً حسناً، وأحياناً ينشرون العلم، وأحياناً يفيضون البركات ـ قولاً وحالاً ـ على نفوس الطالبين، وهذه النفسُ ـ التي هي مبدأ هذا الفيض الخاص في الخارج كالسراج ـ خليفة النبي في الحقيقة، وهو كالقلبِ بالنسبة لأعضاءِ الإنسان.

● ومن لوازم الخلافة الخاصة وجوب نصرته على العالم، وإلا فإنّه يكون مهبط الفيض الرباني، ولا تظهر المواعيد على يده، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

● ومن لوازم الخلافة الخاصة ظهور المواعيد الإلٰهية على يده ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [التوبة].

ومن لوازم الخلافة الخاصة تأليف المسلمين فيما بينهم وعدم اختلاف الأمة ومعاملة الرحمة فيما بينهم وكبت الكافرين وهزيمتهم على مرِّ الأيام، لكي تتحقّق كلمة ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه خلافة خاصة للنبيِّ أشير إليها بـ«خلافة ورحمة» وذهبت طائفة من المحقِّقين إلى القول بأفضلية الشيخين لأجل اصطفاء الله عَجَلَّ لهما لخلافة نبيِّه.

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **عبد الله بن مسعود** قال: إن اللهَ نظرَ في قلوبِ العبادِ، فوجد قلبَ محمّدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العبادِ، فاصطفاه، وبعثَه برسالتِه، ثم نظر في قلوبِ العبادِ، فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العبادِ، فجعلهم وزراءَ نبيِّه يقاتلونَ عن دينه[(١)].

وذهبت طائفة أخرى إلى أنّ إفاضة الخير عبارةٌ عن ائتلاف المسلمين، وتشتيت شمل الكافرين.

• أخرج **الحاكم** عن **أبي وائل** قال: قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا تستخلِفُ علينا؟.

قال: ما استخلفَ رسولُ الله ﷺ فأستخلفُ، ولكنْ إنْ يردِ اللهُ بالناس خيراً، فسيجمُعهم بعدي على خيرِهم، كما جمعهم بعد نبيّهم على خيرهم[(٢)].

• وأخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب» عن **علي** قال: خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكر، ثم عمر[(٣)].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٥).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٧).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٧).

• ثم بيَّن وجه الخيرية في حديث آخر قال: استخلف أبو بكر ـ رحمة الله على أبي بكر ـ فأقامَ واستقامَ، ثم استخلف عمر ـ رحمة الله على عمر ـ فأقام واستقام حتّى ضرب الدين بجرّانه[1].

وأدرك بعضُ المحقِّقين أفضلية الشيخين بإجماع الصحابة على استخلافهما، قال سفيان الثوري: مَنْ قال إن عليّاً أفضل من أبي بكر فقد خطَّأ المهاجرين والأنصار، ولا أرى أنَّ عمله يُقْبَلُ.

وبعد فإنَّ عِلْمَ أصلِ حقيقة الخلافة الخاصة، ييسّرُ معرفة ارتباط وعلاقة كلِّ استنباطٍ بوصف من الأوصاف التي تدخل في حقيقة الاستخلاف، أو هي من لوازمه بأدنى تأمّل.

ولا يكتمل تقرير هذا المسلك إلا أن نبيِّن ثلاث مقدمات:

الأولى: تلازم الخلافة الخاصّة والأفضلية على الرعية.

والثانية: إثباتُ الخلافة الخاصّة لهؤلاء المشايخ بنصّ الكتاب والسُّنَّة السنية، وإجماع الأمة بوجهٍ معقولٍ تتبيّن حقيقةُ الخلافة الخاصة به، وبما أنَّ مضمون هذه المقدمة قد مضى سابقاً بكلِّ بسطٍ وتفصيل نكتفي هنا ببعض النكات المختارة.

والثالثة: بيان أنَّ الخلافة الخاصة لم تنتظم في أيام عليّ المرتضى رغم أنّه كان متّصفاً بصفات الكمال اللازمة والمطلوبة في الخلافة الخاصة، ورغم هذه الصفات لم تقدَّر له النصرة في سابق الأزل فلم تنتظم في الخارج وفق هذا التقدير الإلٰهي، وذلك بسبب حكمة موزَّعة على الزمان، ومسَّت الحاجة إلى بيان هذه المقدمة الثالثة لأجل أنَّ المهاجرين الأولين لم يُسمَّ أحدٌ منهم غير عليّ بعد المشايخ الثلاثة

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٩٢١).

بالخليفة حتى نضطرّ إلى بيان مزيد، فكل ما يحتاج إلى البيان إنما هو عدم انتظام خلافة علي المرتضى.

المقدمة الأولى: بيان التلازم بين الخلافة الخاصة وبين أفضلية شخص يكرمه الله بهذه الخلافة على أهل زمانه، وتارةً يُقرَّر هذا التلازم باعتبار سُنَّة الله في وقت إرادة الرحمة الخاصة للأمة، ولفظ: «**خلافة ورحمة**» الوارد في الحديث الشريف إشارة إلى ذلك، إذ إنّ الحكيم المطلق تبارك وتعالى لا يُسلِّط المفضولَ ويترك الأفضل عند إرادة الرحمة الخاصة.

وتارةً يُقرَّر باعتبار أنَّ ظهور الداعية لا يكون في نفس شخص غير أفضل أهل زمانه، وهو لا يتأهّل لقبوله، «الطيبات للطيبين».

وتارة يُقرَّر باعتبار تعيين النبيِّ ﷺ شخصاً لخلافته الخاصة، إذ إن تعيين شخص لهذا الأمر العظيم من قِبَلِ النبي ﷺ لا يصدر إلَّا في أفضل الأمة، وتارة يُقرَّر باعتبار اتفاق الصحابة على شخص خاص، بحيث جعلوا أفضليته مبنى الاتفاق، إذ إنَّ إجماع الصحابة، بل المسلمين قاطبةً لا يكون إلا على ما هو الحقّ عند الله تعالى، وكل هذه الوجوه متقاربةٌ ومتلازمةٌ فيما بينها، أحدها مبشِّر بالآخر.

عباراتُنا شتَّى وحسنُك واحدٌ ... وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يُشيرُ

والوجه الأول من الملازمة قد قرَّره عليّ المرتضى بقوله: «إنْ يُرِدِ الله بالناسِ خيراً فسيجمعُهم على خيرِهم»[(١)].

والوجه الثاني: ذكره عبد الله بن مسعود» بقوله: «**ثم إنَّ اللهَ نظرَ إلى قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلوبَ أصحابه خيرَ قلوبِ العباد، فجعلهم وزراء**

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٨٤) برقم: (٤٤٦٧).

نبيّه يقاتلون عن دينه»[١].

والوجه الثالث: بيَّنه أبو بكر الصدِّيق وعبد الله بن عباس ﷺ بحديث مرفوع، وبمقتضى نصه.

والوجه الرابع: قرَّره عبد الله بن مسعود أيضاً، وشرحه سفيان الثوري بقوله: «ما رآه المسلمونَ حسناً فهو عندَ اللهِ حسنٌ»، وقد رأى المسلمون استخلافَ أبي بكر، ثم قال في استخلاف عمر: أفرسُ الناسِ ثلاثةٌ، إلى أن قال: وأبو بكر حين استخلفَ عمر.

وقال سفيان الثوري: من فضَّل عليّاً على الشيخين فقد خطَّأَ المهاجرين والأنصار.

وتارة يُقرَّر بأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عُلِّقا في كتاب الله بالتمكين في الأرض، ومجموع التمكين، وهذه الصفاتُ حقيقةُ الخلافة الخاصة.

وقال في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وجعل «الخيرية» من لوازم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر داخلانِ في حيِّزِ الخلافة الخاصة، فثبت أنَّ الأفضلية من خواصّ الخليفة الخاصة، وتارة يُقرَّر بأن تسليط الخليفة في حكم الله والشريعة ووجوب انقياد القوم له في الأمور المنسوبة إلى خلافته نوعٌ من أنواع الأفضلية، وهذا النوعُ من الأفضلية من لوازم الخلافة الخاصة، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦].

وتارة يقرّر بـ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [المائدة: ٥٥]، وفيها

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٦٠٠).

إشارةٌ بسياقها إلى أنَّ ولاية المسلمين لا يجدر بها إلا قومٌ من صفاتهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، إلى آخر ما قال.

وبعد أن بيَّنَّا أصل التلازم بوجوه شتى فلا بأس إذاً في أن نفصله تفصيلاً زائداً.

تقرير الوجه الأول: لقد أراد الله تعالى باستخلاف المشايخ الثلاثة تمكين الدين المختار المرضيّ والرحمة بأمّة محمد ﷺ ودفع الكفار، وإقامة أركان الإسلام، وشيوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا المعنى يستلزِمُ استخلافَ مَنْ هو أفضل الأمة، وأحقّهم بالخلافة، وأقومهم بحقوقها، ذلك لأنَّ الأحقّ إذا جُعِلَ خليفةً لا بدّ أن يُظْهِرَ تمكين الدين، والرحمة بالأمة وسائر المعاني المذكورة بأكمل وجه.

واستخلافُ غير الأحقّ عند إرادة تمكين الدين المختار المرضيّ الذي يُشعِرُ بكماله وشيوعه على الوجه الأبلغ نوعٌ من السفاهة والحُمق. والله حكيم، وأفعاله متقنةٌ غير متهافتةٍ.

وأراد الله تعالى دفعَ دين المرتدّين بقوم من صفاتهم ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية، ليس الدفع مطلقاً بل دفعٌ بأيدي قوم مخصوصين، وأراد تعالى كبت ملل الكفر، واستخلاص بلاد الشام من أيدي الكافرين بسعي الصالحين، لا بسعي غيرهم.

وجاء في الحديث النبوي الشريف: «**استقامتُكم ما استقامت أئمتُكم**»، إذا كان المراد هو استقامةُ الأمة يلزم «استقامة الأئمة» وهذا لا يكون إلا بتسليط الأحقّ بالخلافة.

وأما قولنا: عند إرادة تمكين الدين والرحمة يكون كذا، فذلك من جهة أنّه إذا كانت إرادةُ إضلال قوم يناسِبُ ذلك المقامُ استخلافَ جبّار وكافر، كما وقع في عصر الجاهلية، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ

قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]؛ أي: كثّرناهم، وجعلناهم الولاة، قاله ابن مسعود، وفي زمن إرادة الهداية من وجهٍ، والإضلالِ من وجه، يجوز استخلاف المفضول، قال رسول الله ﷺ: **«ثم يكونُ ملكٌ عضوضٌ»**.

تقرير الوجه الثاني: يقول الله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، والعقل يكون مضطرّاً إلى الجزم بأنَّ إلهامَ العلوم الحقّة؛ ونزول الدواعي الكلية؛ لا يكون إلا على النفس القدسية، وبقدر ما تكون النفس صافية يكون نزول الدواعي الإلـٰهية عليها أعظم، وإذا لم ينزل الإلهام، وهو يتحرّك كالحجر والخشب؛ كان من قبيل **«إن الله يؤيِّد هذا الدِّين بالرَّجلِ الفاجِرِ»**[1]، وهذا المعنى بعيدٌ عن الخلافة الخاصّة بمراحل.

تقرير الوجه الثالث: أخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنِ استعملَ رجلاً مِنْ عصابةٍ، وفي تلكَ العصابةِ مَنْ هُوَ أرضى للهِ مِنْهُ فقد خانَ اللهَ، وخانَ رسولَهُ، وخان المؤمنين»**[2].

هذا حكم أمراء السرايا والبعوث، فكيف بالخليفة المطلق، الذي يملك زمام قدرة جمهور المسلمين، ويُنفِّذ تصرّفه في جميع الأمور، سواء كانت دينيةً أو دنيويةً، فإذا ثبت أنَّ النبيَّ ﷺ جعل أبا بكر الصدِّيق خليفة له تصريحاً تارةً وتلويحاً أخرى، لزم أن يكون هو أفضل الأمة، وكذلك جَعْلُ أبي بكر عمرَ الفاروق خليفةً له، فكان هو أفضل الأمة في زمانه.

فإن قلت: إنَّ النبي ﷺ جعل أسامة بن زيد خليفة على المهاجرين الأولين.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» باب (١٨٢)، برقم: (٤٢٠٣).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ١٠٤) برقم: (٧٠٢٣).

قلنا: إنَّه كان يطلبُ ثأر أبيه، وكان هو في طلب ثأر أبيه متفرِّداً، وكلّما وقع استخلاف مفضول، كان ذلك بناءً على وجه خاصّ به كذلك، أما الاستخلاف المطلق، الذي يكون خالصاً لإعلاء كلمة الله، لا يليق بغير الأفضل، وإنَّ كيفية واستقراء سيرة النبي ﷺ في مجاري الأحوال والأمور تدلّ على أنَّ تقديم شخص بالاستخلاف لا يكون إلا من جهة رجحانه على سائر الناس في الدين، كما قال علي المرتضى: «وكان قريبهم عنده ﷺ على حسب الدين أو كما قال»، أخرجه **الترمذي** في الشمائل.

وقال رسول الله ﷺ: «**كبِّره كبِّره**»؛ أي: قدِّم الأكبر، وخلافة النبوة رئاسة عامّة في الدين والدنيا ظاهراً وباطناً.

ولذلك قام النبي ﷺ بالتلويح لاستخلاف أبي بكر بتقديمه في الصلاة؛ لأن الصلاة أفضل العبادات، وقد بيَّنه المرتضىٰ رضي الله عنه كما مرَّ.

ومعنى الرئاسة تبليغ المرؤوسين إلى درجة الكمال، ومكمِّل القوم خيرٌ من رعيته المكمَّلين، بخلاف الملك العضوض، فإن فيه الرئاسة ظاهراً فقط، إذا لم يكن كذلك لا يوجد فرق بين خلافة النبوة وغيرها، ولا تتوقّف خلافة النبوة على ثلاثين عاماً، ولا تختصّ بالخلفاء الأربعة، ولا يَجْعَلُ الحكيمُ المشفِقُ الناصحُ خليفةً في حلقته، إلا مَنْ كان أفضل الجماعة، وأشبههم به، وإذا لم يكن كذلك ما كان ناصحاً ولا حكيماً.

فاستخلاف النبي ﷺ أبا بكر الصدِّيق ـ ومعلوم أنه ﷺ أنصح الناس للخلق وأعلمهم بالله تعالى، كما قال الله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٦]، وقال: ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾**﴾ [التوبة]، وقال رسول الله ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**

وأخشاكُم» ـ أدلّ دليل على أن النبيَّ ﷺ أفضل المسلمين، وأبو بكر الصدِّيق أشبههم به ﷺ.

وإذا كانت جماعة تتساوى في استحقاق الخلافة فما معنى: «**يأبى اللهُ والمسلمون**»؟ ومنعه ﷺ غير الصدِّيق من إمامة الصلاة بأوكد وجهٍ، لأيّ شيء كان؟ وظهر رجحانُ الوزن في بعض الأحاديث بهذا الترتيب، وليس ذلك باعتبار كثرة الفتوح؛ لأنَّه باعتبار كثرة الفتوح جاء في أبي بكر الصدِّيق «**وفي نزعه ضعفٌ**»، فلا يكون هذا الترتيبُ إلا من جهة الأفضلية عند الله.

تقرير الوجه الرابع: قد استنبط فقهاء الصحابة؛ كعمر الفاروق وعليّ المرتضى وابن مسعود رضي الله عنهم من الاستخلاف أفضليتهم، كما قالوا: «أحقّ بها»، فهؤلاء الذين كانوا أئمةَ الأمةِ في الاستنباط وفهم معاني الشرائع ما استنبطوا هذا المعنى إذا لم يكن التلازم القوي قائمٌ بينهما.

● قال عمر: أيّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدّم أبا بكر[١]، وقد رويناه من قبل.

● وقال علي والزبير رضي الله عنهما: «ما غضبنا إلّا لأنّا قد أُخِّرنا عن المشاورة، وإنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنّه لصاحب الغار، وثاني اثنين، وإنا لنعلم شرفه وكبره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حيّ»، رواه **الحاكم**[٢].

وقال عبد الله بن مسعود: اجعلوا إمامَكم خيرَكم، فإنَّ رسول الله ﷺ جعل إمامنا خيرَنا بعدَه، رواه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[٣].

---

(١) «سنن النسائي» (٢/ ٧٤) برقم: (٧٧٧)، و«مسند أحمد» برقم: (١٣٣).
(٢) في «المستدرك» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).
(٣) (١/ ٢٩٧).

ويتضح بالاستقراء أن ذكر الأفضلية جاء في عقد الاستخلاف عينه، فقد قال عمر الفاروق: أحقّ بهذا الأمر.

وقال أبو بكر الصدِّيق في استخلاف عمر الفاروق: «أبالله تخوِّفوني؟ أقول: استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ».

ولمّا انصرف أمرُ الشورى إلى عبد الرحمٰن بن عوف قال: «والله عليّ أن لا آلُ عن أفضلهم، ثم بايعَ عثمان» لم ينفصل «الاستخلاف» عن اعتقاد «الأفضلية» أبداً.

تقرير الوجه الخامس: قال الله تعالى في المهاجرين الأولين: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية [الحج: ٤١]، فثبت أنه إذا وقع تمكينُ شخصٍ من المهاجرين الأولين لا بدّ أن تكون حقيقة الخلافة عبارةً عن انضمام التمكين بالصفات الأربع المذكورة.

ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وتؤوّل هذه الآية بوجهين:

أحدهما: أنّ الخطاب موجّه إلى فضلاء الأمة دون جميع الأمة؛ يعني: يا فضلاء الأمة! أنتم خيرَ الأمة، بُعثتم للناس، وهذا التأويل أشبه بآية أخرى في القرآن، وهي: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران]، والقرآن نزل متشابهاً مثاني يُشبه بعضه بعضاً.

والثاني: أنّه موجَّه إلى المهاجرين الأولين؛ يعني: هذه الأمةُ التي هي من المهاجرين الأولين خيرٌ من جميع الأمم، أخرجت للناس، فيُعلم حينئذٍ بطريق المفهوم الموافق أنَّ مَنْ كان متّصفاً بمزيد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء إلى الخير كان أفضلَ من غيره.

على كلِّ حالٍ، فإنّ دعاء الناس إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لازمٌ وداخلٌ في حقيقة الخلافة الخاصّة وجزءٌ منها، فثبت أن الأفضلية لازمةٌ للخلافة الخاصة.

تقرير الوجه السادس: قال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، عُلِمَ من هنالك أنَّ حكمَ الخليفة الخاصّ يُنفَّذ على القوم، إذ إنه خليفةُ النبيّ ﷺ، وللخليفة الخاصّ ـ في حكم الله والشريعة ـ تسلّط على رعيته، وهذا النوع من الأفضلية ثابتٌ له على رعيته، ومن أنصفَ يعلم باليقين أنَّ نبوة شخص تدلّ على أفضليته على القوم الذين بُعث إليهم، فكذلك يدلّ استخلاف شخص بالخلافة الخاصّة على أفضليته على رعيته، وعلى أنه جامع لإرادة الانتظام بأكمل الوجوه، بل يعرف أهل القلوب أنَّ إرادة إصلاح العالم على يد شخص وإيجاب الانقياد له على القوم عين أفضليته، وكلامنا يدور حول فضيلة هي بمعنى التشبّه بالنبيِّ من جهة النبوّة، لا من وجوه أخرى.

تقرير الوجه السابع: هو أنَّ الله تعالى أشار في آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، إلى أنه لا يتولّى رفعُ فتنةِ الارتداد إلا طائفةٌ من شأنها أنّه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذا خاصّ بالجماعةِ الذين تندفعُ بهم فتنةُ الردّة.

ثم قال بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾، وهذا عامّ؛ يعني كذلك: ولاية المسلمين خاصّة بأفاضل الأمة، فأصبحت الأفضليةُ لازمةً للخلافة الخاصة، والله أعلم.

المقدمة الثانية: قال الله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:

٥٥]، ومصداق هذه الآية هو المشايخ الثلاثة، فكان المراد من استخلاف هؤلاء المشايخ عند الله تعالى هو تمكينُ الدِّينِ المرضيّ المختار، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الحج: ٤١]، بعد أن قال في صدر المبحث: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، وقال في أثناء السياق: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾، علم من هذه الآية أنّ المرادَ باستخلاف هؤلاء المشايخ، إنّما هو دفع الكفار وإحياء الإسلام، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، عُلِمَ من هذه الآية أنَّ مراد الحق تبارك وتعالى كان في الغيب قبل بعثة النبي ﷺ أن تُفتح أرض الشام على أيدي الصالحين، ولما وقع فتحُ هذه الديار على أيدي الشيخين اتّضحَ أنّ هؤلاء هم الصالحون، وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة: ٥٤]، عُلم من هنا أنه قُدِّرَ في علم الله قبل وقوع فتنة الردة أن قوماً من صفاته كذا وكذا يقضي على هذه الفتنة، وقال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، عُلم من هذه الآية أنَّ شخصاً يقوم بدعوة الجهاد ضد الفرس والروم، ويكون هو في ذاته نائبَ الرسول ﷺ ويصبح أمره في الشريعة واجبَ الانقياد.

وقال الله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء]، مضمون هذه الآية على أحد التأويلات: «اللَّهُمَّ أدخلني في العالم الأعلى مُدْخَلَ صدق، وأخرجني من العالم الأدنى مُخْرَجَ صِدْقٍ، واجعل لي من بعد وفاتي غلبةً من عندك»، فلمّا غلبَ الخلفاء الثلاثة، ونزل النصر والتأييد من الغيب لهم ولأتباعهم أفواجاً، رأينا ـ رأي العين ـ أنّ ذلك من ثمراتِ إجابة

هذا الدعاءِ، بل الأمرُ بهذا الدعاء بشارةٌ بخلافة هؤلاء المشايخ.

بالجملة، فإنّه قد اتّضح بهذه الآيات وأمثالها أنَّ قوماً من فضلاء الأمة وكبرائها، صفاتُهم خيرُ صفاتٍ، يكونون خلفاءَ النبيِّ ﷺ، فلما تحقّقت خلافتُهم، وأُنجزت المواعيدُ على أيديهم، علمنا ـ يقيناً ـ أنّ ما ذكر بطريق الإجمال كان إخباراً بشأنهم.

وقبل أن يتصدَّى هؤلاء المشايخ للخلافة، وتنجز المواعيد ظهرت احتمالات شتَّى، واختلفت الأفكار إلى كل جانب، وتوجَّه النبي ﷺ في هذه الحالة إلى الغيب، فتبيَّن الأمرُ برؤيا القليب، والميزان، والدلو، وغير ذلك، وانحلّ هذا اللغز.

ثم بيَّن النبيُّ ﷺ ـ قولاً وفعلاً ـ رجحانهم على سائر الأمة، وأوصى باقتدائهم بقوله: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكر وعمر**».

واتّضح هذا المعنى في كثير من الأحاديث حتّى بلغَ كلُّ ذلك بهيئته الاجتماعية درجة التواتر، وحصل يقينٌ كلّيٌّ بهذا المعنى ـ إلا لكل مارد متمرِّدٍ إلى أن يقبل الحق مع وضوحه عناداً وتعنتاً، وقام بعد ذلك بإشارات أبلغ من التصريح في مرض وفاته، وكلُّ هذه الأقوال والإشارات من النبيِّ ﷺ تفصيلٌ لذلك الإجمال، كأنَّ جميعَ هذه الصفات الكاملة التي يستقيمُ إطلاقُ اسم الخلافة الخاصة عليها مندرجةٌ في كلامه ﷺ، فتعيين النبيِّ ﷺ لهم، هو بمعنى أن الموصوفين في القرآن هؤلاء المشايخ دون غيرهم، ثم وفِّق الصحابة بعد ذلك للانقياد للشيخين والمبايعة لهما، ولو أنهم عملوا بنوع من الاجتهاد ولكن هذا الاجتهاد أوله ظنّ، وآخره يقينٌ.

المقدمة الثالثة: لقد وزَّع الله تعالى حوادثَ الخيرِ والشرِّ على أجزاء الزمان، وربط في عالم الغيب كلَّ حادثة بزمان، وبيّن على ألسنة

الرسل ما كانت معرفته مطلوبةً في الشريعة من بين هذه الحوادث الموزَّعة على طبقات الزمان، ليعرفوا هذه الحوادث قبل وقوعها، وعيَّن حكماً في كلِّ حادثة، لكي تتمَّ حكمة الابتلاء، قال الله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإسراء]، وبيَّن تعالى على لسان نبيِّنا ﷺ، كذلك أنّ مدة بعد زمان النبي ﷺ تكون مدة خير، ثم يظهر تغيُّرٌ كليٌّ بعد ذلك، وتحدث فتن عظيمة، ومن جملة تلك الحوادث ثلاث فتن، وهدنتان تتخلَّلان بينها قد أوضحها ﷺ، وطرق هذه الأحاديث في غاية كثرة بلغت حدَّ التواتر، وأصبح العلم بها في الشريعة يقينياً.

ومن **جملة ذلك** حديثٌ صحيحٌ: «**خيرُ الناسِ قرني، ثم الذينَ يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يَنْشَأُ أقوامٌ تَسْبِقُ أيمانُهم شهادتِهم، وشهادتُهم أيمانَهم**»[1]، وفي أسانيده العدد والثقة، رواه عمر بن الخطاب، وعمران بن حصين، وسهل بن سعد وغيرهم.

وبعد التأمّل يتّضحُ أنَّ القرن الأول هو زمان النبي ﷺ من قُبيل الهجرة إلى وفاته، والقرن الثاني خلافةُ أبي بكر الصدِّيق وعمر الفاروق، والقرنُ الثالث خلافةُ عثمان إلى تمام اثني عشر عاماً، وظهرت الفتن ونشأ أقوام بعد ذلك قرأتَ مِنْ أحوالها.

• **ومن جملة ذلك**، حديث **عبد الله بن مسعود**: «**تزولُ رحى الإسلامِ بخمسٍ وثلاثينَ سنةً، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هَلَكَ...**»[2] إلخ.

• وحديث **أبي هريرة**: «**الخلافةُ بالمدينةِ، والملكُ بالشامِ**».

• وحديث **حذيفة**: «**لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٦٤٢٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٤٣١٥).

بأسيافِكُم، ويرثُ دنياكم شرارُكم»[١].

وحديث **كرز بن علقمة**، قال أعرابي: يا رسول الله! هل للإسلام من منتهى؟ قال: «**نعم، أيُّما أهلُ بيتٍ من العربِ أو العَجَمِ أرادَ الله بهم خيراً أدخلَ عليهم الإسلام**».

قال: ثم ماذا يا رسول الله؟.

قال: «**ثم تقعُ الفتنُ كأنَّها الظّلَل**»[٢].

قال الأعرابي: كلّا يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «**بلى! والذي نفسِي بيدِهِ، ثم تعودونَ فيها أسَاوِدَ**[٣] **صُبّاً**»[٤].

• وحديث **عُتبة بن غزوان**: «وإنّها لم تكنْ نبوّةٌ قطّ، إلا تناسختْ، حتّى يكونَ آخر عاقبتها مُلْكاً، فستخبرون وتجرّبون الأمراء بعدنا»[٥].

• وحديث **أبي عبيدة، ومعاذ بن جبل**: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ خِلافَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكاً عَضوضاً، ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوّاً وَجَبْرِيَّةً وَفَسَاداً فِي الأُمَّةِ...**»[٦] إلخ.

• وحديث **عبد الله بن عمرو**: «**وإنّ أمتَكُم هذه جعلتْ عافيتَها في**

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢١٧٠).
(٢) **الظُّلل**: هي كل ما أظلك، واحدتها: ظلّة، أراد كأنها الجبال أو السحب، «النهاية» (ص٥٨١).
(٣) **الأساود**: الحيات، الصُّبّ جمع الصبوب، وهو أنَّ الأسود إذا أراد أن ينهش ارتفع، ثم انصب على الملدوغ، «النهاية» (ص٥٠٦).
(٤) انظر: «مسند أحمد» رقم: (١٥٩١٧)، و«المستدرك» (١/ ٨٩) رقم: (٩٨)، و«المعجم الكبير» (١٩/ ١٩٨)، و«مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٦٢).
(٥) «صحيح مسلم» برقم: (٢٩٦٧).
(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٧٧) برقم: (٨٧٣).

أوَّلِها، وإنَّ آخرَهم يصيبُهم بلاءٌ وأمورٌ ينكرونها، ثم تَجِيءُ فِتَنٌ يرقّق بعضُها بعضاً...»[١] إلخ.

• وحديث **أبي بكرة الثقفي**، قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رأى مِنْكُم رؤيا؟**»، فقال رجلٌ: أنا رأيتُ كأنَّ ميزاناً..، إلى أن قال: وَوُزِنَ عمرُ وعثمانُ فرجحَ عمرُ، ثم رُفِعَ الميزان[٢].

وحديث **سمرة بن جندب**: قال رجل: رأيتُ كأنَّ دلواً دلِّي من السماءِ إلى أنْ قالَ: ثم جاء عليٌّ فأخذَ بعراقيها، فانتشطتْ، فانتضح عليه منها شيءٌ[٣].

• وحديث **أنس**، وسؤال بني المصطلق: إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا بعدك؟ إلى أن قال: «**فإنْ حدث بعثمانَ حَدَثٌ فتباً لكم الدّهرَ فتباً**».

• وحديث **سهل بن حثمة**،[٤] وربيع **الأعرابي** عنه ﷺ، وقوله: مَنْ يقضيه؟ إلى أن قال النبي ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكرٍ أجلُه وعمرَ أجلُه، وعثمانَ أجلُه فإن استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ**»[٥].

• وحديث عمر رفعه: «**رأيتُ عموداً مِنْ نورٍ خرجَ من تحتِ رأسي ساطعاً حتّى استقرّ بالشَّامِ**»[٦].

• وحديث **عرفجة**: «**ثم رفع الميزان بعد عثمان**».

---

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٣٩٥٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٨٧).

(٣) «سنن أبي داود» رقم: (٤٥٣٧).

(٤) ورد في «تحفة الصديق» (١/ ٨) بلفظ: «سهل بن أبي حثمة»، وفي «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٠) بلفظ: «سهل بن أبي خيثمة».

(٥) انظر: «تحفة الصديق» (١/ ٨)، و«حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٠).

(٦) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٣١).

• وحديث أبي هريرة: «**هلاكُ أُمَّتِي على يدي غلمة من قريش**»[١].

• وحديثُ **أمِّ مالك** البهزية قالت: ذكرَ رسولُ الله ﷺ فتنةً فقرَّبها، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! مَنْ خيرُ الناس فيها؟ قال: «**رجلٌ في ماشيتِهِ...**»[٢] إلخ.

• ومن حديث **سعد بن أبي وقاص**، قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهدُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ: القاعدُ فيها خيرٌ مِن القائمِ...**»[٣] إلخ.

• وحديث **أُهبان بن صيفي**: جاء عليُّ بنُ أبي طالب إلى أبي، فدعاه إلى الخروج معه، فقال لي أبي: إنَّ خليلي وابنَ عمِّكَ عهد إليّ إذا اختلفَ الناسُ أنْ أتّخذَ سيفاً من خشب[٤].

وحديث **أبي موسى** قوله ﷺ في الفتنة: «**كسِّروا فيها قِسِيَّكُم، وقَطِّعُوا فيها أوتارَكُم**»[٥].

• وحديث **خباب بن الأَرَتِّ**: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً، «**القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي**»[٦].

• وحديث **عبد الله بن مسعود** رفعه: «**تكونُ فتنةٌ، المضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ**»[٧].

• وحديث **أبي هريرة**: «**أيها الناسُ! أظلّتْكُم فتنٌ، كأنَّها قِطَعُ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٠٥).
(٢) انظر: «الإصابة في معرفة الصحابة» (٤/ ١٢١).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).
(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٠٣).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٠٤).
(٦) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).
(٧) «شرح مشكل الآثار» (١٢/ ٢١٩).

الليلِ المُظْلِمِ...»[١] إلخ.

• وحديث أبي بكرة: «**ألا إنّها ستكونُ فتنٌ، ثم تكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ...**»[٢] إلخ.

• وحديث **محمد بن مَسْلَمة**: قلت: يا رسول الله! كيف أصنع إذا اختلف المصلّون؟ قال: «**تَخْرُجُ بسيفِكَ إلى الحرَّةِ، فتضربها به، ثم تدخلُ بيتَكَ...**»[٣] إلخ.

• وحديث **الحسن بن علي**: «أنَّ رسولَ الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره، رجلاً رجلاً، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ①﴾»[٤].

• وحديث **وائل بن حجر**: «رفعَ رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه نحو المشرقِ، فقال: «**أتتكم الفتنُ كقطعِ الليلِ المظلمِ...**» فشدّد أمرها وعجّله وقبّحه.

قلت له من بين القوم: يا رسول الله! وما الفتن؟ قال: «**يا وائلُ! إذا اختلفَ سيفانِ في الإسلامِ فاعتزلهما**»[٥].

• وحديث **مرة بن كعب**: ذكر ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ فتنةً، فقرّبها، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ، فقال: «**هذا يومئذ وأصحابه على الحقِّ والهدى**»، فقلت: هذا يا رسول الله؟ وأقبلتُ بوجهه إليه، فقال «**هذا**»، فإذا هو عثمان رضي الله عنه[٦].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٧٨) برقم: (٨٣٣١).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٧) برقم: (٨٣٦١).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٧) برقم: (٤٦٠٤).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٨٦) برقم: (٤٧٩٦).
(٥) «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٦).
(٦) «مسند أحمد» برقم: (١٨٠٦٨).

• وحديث عليّ المرتضى: «إنّ ممّا عهد إليّ النبيُّ ﷺ أنَّ الأمةَ ستغدِرُ بي بعدَه»[١].

• وحديث **ابن عباس**: قال النبي ﷺ لعلي: «**أما إنك ستلقى بعدي جهداً**».

قال: في سلامةٍ من ديني؟

قال: «**في سلامةٍ من دينِكَ**»[٢].

• وحديث **المرتضى** أيضاً، آخرُه: «**وإنْ تؤمِّروا عليّاً** رضي الله عنه **ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهدياً، يأخذُ بكم الطريقَ المستقيم**»[٣].

• وحديث **جابر بن سَمُرة**: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**إنك مؤمَّرٌ مستخلَفٌ، وإنّكَ مقتولٌ، وهذه مخضوبةٌ من هذا**» لحيته من رأسه[٤].

• وحديث **حذيفة**: ذكر فتنتين وهدنة، فقال في الفتنة الأولى: جاءنا اللهُ بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرّ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ إلى أبوابِ جهنم**»[٥].

• وكلام **سعيد بن المسيب**: «ثارت الفتنةُ الأُولى، فلم يبق ممّن شهد بدراً أحد، ثم كانت الفتنةُ الثانيةُ، فلم يبقَ ممّن شهد الحديبية أحدٌ»[٦].

قال البغوي: أراد بالفتنة الأولى مقتل عثمان، وبالثانية الحرّة.

• وحديث **عبد الله بن مسعود**: «**إنّكم سترونَ بعدي أَثَرَةً، وأموراً**

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (٨٥٩). (٤) «المعجم الأوسط» (٧/ ٢١٨).
(٥) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٠٦).
(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٩٥) برقم: (٨٣٨٦).

تنكِرُونها...»[١] إلخ.

• وحديث **أبي ذر**: «**كيف أنتَ إذا كانتْ عليكَ أمراءُ يؤخِّرون الصلاةَ عن وقتِها** أو قال: **يميتون الصلاةَ عن وقتِها**»[٢].

• وحديث أبي ذر أيضاً: «**كيف أنتَ إذا غمرَ الدمُ أحجارَ الزيتِ...**» إلخ.

• وحديث **أبي سعيد الخدري**: «**يوشِكُ أن يكونَ خيرُ مالِ المسلمِ غنمٌ يتبعُ بها شعفَ الجبالِ**»[٣].

• وحديث **أبي ثعلبة الخُشَنِي** في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] حديثه ﷺ في آخره: «**فإنَّ وراءَكم أيَّامُ الصبرِ، صبر فيهنَّ كقبض على الجَمْرِ**»[٤].

• وحديث **عبد الله بن عمرو**: «**كيفَ أنتَ إذا بقيتَ في حُثالةٍ من الناسِ؟**» قال: قلت: يا رسول الله! كيفَ ذلك؟

قال: «**إذا مرجتْ عهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا، فكانوا هكذا**» وشبّك يونسُ بين أصابعه...»[٥] إلخ.

• وحديثُ **ذي الزائد في خطبة حجة الوداع**: «**اللَّهُمَّ هَلْ بلّغتُ؟**»

قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

ثم قال: «**إذا تجاحفت قريشٌ على المُلكِ فيما بينها، وعاد العطاءُ رُشاً فدعوه**»[٦].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٥٢).
(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٦٤٨).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (١٩).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٤/٣٥٨) برقم: (٧٩١٢).
(٥) «مسند أحمد» برقم: (٦٥٠٨).
(٦) «السنن الكبرى» (٦/٣٥٩).

• وحديث **ابن مسعود** رفعه: «**ما مِنْ نبيٍّ بعثَه اللهُ في أُمَّةٍ قبلي إلا كانَ له مِنْ أُمَّتِهِ حواريون، وأصحاب يأخذونَ بسنَّتِهِ، ويقتدونَ بأمرِهِ، ثُمَّ إنَّها تخلف من بعدهم خلوفٌ، يقولون ما لا يفعلونَ، ويفعلونَ ما لا يؤمرونَ، فمَنْ جاهدهم بيدِه فهو مؤمنٌ...**»[1] إلخ.

• وحديث **العرباض بن سارية**: ذكر خطبة النبي ﷺ فيها: «**وسترونَ مِنْ بعدِي اختلافاً شديداً، فعليكُم بسنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدينَ المهديينَ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ**»[2].

وبالجملة، فإننا نعلم ـ يقيناً ـ أنَّ النبيَّ ﷺ أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج، ونعلمُ بمثل هذا اليقين أنّه ﷺ وصف مدة من بعد زمانه بالخيرية، وسمّى خلافة هذه الأيام خلافةً ورحمةً، وعدَّها زمانَ العافيةِ، وأنذرَ بعد ذلك فتنةً عظيمةً، وسمَّاها «الملكَ العضوضَ» واعتبرها زمنَ البلاء، ورغّبَ الناسَ في الزمن الأول إلى الجهاد، وأكَّدَ الأمرَ بالقتال تحت راية الإمام.

وأوصى في الزمن الثاني بتكسير القسيّ، وقطع الأوتار، ومفارقة الناس، وكما أننا نعلمُ باليقين أنَّ المعراجَ حقّ واقع، وعذاب القبر حقّ يقعُ، والدَّجالُ يظهَرُ ويخرجُ، والإمام المهدي يصبِحَ خليفةً، وسيدنا عيسى ابن مريم ينزِلُ من السماءِ، نعلم كذلك بمثل هذا اليقين أنَّ النبيَّ ﷺ أشار إلى قتل عثمان، وما يترتَّب عليه، وسمّاه زمن الفتنة الأولى، وتبيَّن هذا المعنى من جهة قرائن كثيرة.

وعيَّن زمان الفتنة بقوله: «**تدورُ رحى الإسلامِ بخمس وثلاثينَ سنةً**»[3].

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٥٠).
(٢) «سنن ابن ماجه» برقم: (٤٢).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (٣٧٣٠).

وعيَّنَ مكانَ مبدأ الفتنة وهو الجانب الشرقي من المدينة بقوله: «**ألا إنَّ الفتنة هاهنا حيثُ يطلعُ قَرْنُ الشيطانِ**»[١].

وبيَّن صورة الفتنة بقوله: «**حتّى تقتلوا إمامَكم، وتجتلدوا بأسيافِكم، ويرثَ دنياكم شراركم**»[٢].

وذكر ثلاثةَ أشخاص بأسمائهم بأنّهم يتولَّون الخلافةَ في زمن الخير، وهم: أبو بكر الصدّيق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، ويبايع الناس عليّاً المرتضى في زمن الفتنة، لكن لا تنتظِمُ خلافته، ولا يجتمع القوم عليه، إلى غير ذلك، حتى وقد علمنا رأي العين أنَّ المراد هو: «الحالة التي ظهرت من بعد قتل عثمان من اختلاف الناس في حرب الجمل وصفين».

وبعد كلّ ذلك عُلِمَ بضرورة العقل أنَّ الناسَ مهما بايعوا علياً المرتضى، وعقدوا له الخلافة، ولزمت إطاعته في حكم الشرع بناءً على المظنّات، لكن مراد الحق هو إصلاح العالم، والخلافةُ وسيلة لذلك.

ولأجل هذا المقصودُ شُرِعَتِ الخلافةُ، فلو كانت خلافته مرادَ الحقِّ تبارك وتعالى لما تخلّفت عن الوجود، ولم يكن المرتضى في هذه الخلافة كالناي[٣] يضعه العازِفُ في فيه، ولا كالجارحة لإنجاز مراد الحق تبارك وتعالى، ولم يكن الناسُ مأمورين بالقتال تحت رايته مثلما كانوا مأمورين به تحت راية المشايخ الثلاثة.

ورأينا في الخارج رأي العين وفقاً لما يُفهم من هذه الأحاديث أنَّ العناية الإلـٰهية التي نزلت بكثرة كاثرة في الماضي احتجبت في زمن علي المرتضى، ولم تنفع المجهودات الكثيرة شيئاً، وغابت الخيرية التي هي

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٥٤١٠).　　(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٠).

(٣) جمعه نايات ـ فارسية ـ آلة من آلات الطرب ينفخ فيها.

عبارة عن تأليف المسلمين فيما بينهم، وترك المنازعة، والإنفاق على جهاد الكفار، وإيقاع الهزيمة على الكفار على مرِّ الأيام، ولم يظهر معنى ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]؛ أي: ليمكِّننَّ بسببهم دينهم، ولم يقع «التمكين في الأرض» الذي قرَّر لدفع الكفار، وإعلاء كلمة الله، ولم يتحقّق في هذا الزمان معنى ﴿وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ۝٨٠﴾ [الإسراء]، ولم ينفَّذ حكمه بين جميع المسلمين، ولم يدخل المسلمون كلهم تحت حكمه، ولا ينكِرُ أيُّ عاقل هذا المعنى، كما أنّه لا يستطيعُ أن ينكِرَ أن الشمسَ طلعت من الشرق، ولكن هنا نكتةٌ لا يفهمها إلا أهل البصيرة.

بهر نظر مَهِ من جلوه مي كند ليكن
كس آن كرشمه نه بيند كه من همي نگرم[1]

وهي: أنّ الفضيلةَ التي حصلت للأنبياء على أمتهم، والخلفاء على رعيتهم، سرُّها ولبابها كونُهم جارحةً للتدبير الإلٰهي وواسطةً لإصلاح العالم، وتحقق هذا السرُّ واللبابُ في الخلفاء الثلاثة على وَجْهِ الكمال بشهادة النقل والعقل، وليس في حياة المرتضى كذلك، ولم يُحدث ذلك في نفسه خللاً ونقصاً، إذ إنّه كان ساعياً في إقامة الدين، وإن لم يتيسَّر له ذلك، ولكن فضيلة كون الجارحة الإلٰهية شيء، لو حصلت له تلك الفضيلة لم تتخلّف عنه أحكام الخلافة الخاصة، وهذا من أقوى وجوه الفضيلة للمشايخ الثلاثة على المرتضى ﷺ، تفاضل أصحاب اليمين فيما بينهم باعتبار صحة النية وكثرة العمل.

وتفاضل هؤلاء المشايخ فيما بينهم باعتبار كونهم كالناي يضعه

(١) يتجلّى قمري على كلّ نظري، ولكنّه لا يرى أحدٌ الدلالَ الذي كنت أراها.

العازف في يده، أو كالحجر بيد الرامي، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]، رائحة من هذا البستان، وقول النبي ﷺ: «**وإني مكاثر بكم الأمم**» رمز إلى هذه القصة، لم يكن النبيُّ ﷺ أفضل من الأنبياء الذين كانت أمتهم أقل عدداً من أمته ﷺ باعتبار صحة النية، بل كلّما كثرت أمته قويت جارحية البركات الإلٰهية المختصَّة به.

تشريف دستِ سلطان چوگان برد وليكن
بے گوئي روز ميدان چوگان جه كار دارد

لقد ضرب السلطان الكرة بالصولجان، ولكن ماذا ينفعُ الصولجانُ إذا لم تكن الكرةُ موجودةً في الميدان.

لعلَّ المراد من الاستشهاد بهذا الشعر أنّ كرة التوفيق والكرامة التي كانت في ميدان الخلافة في عهد الخلفاء الثلاثة، وكانوا يضربونها بصولجان الحكمة والتدبير، إنّما رُفعتْ بحكمةِ الله تعالى من ميدان الخلافة، ولم تبق لمن بعدهم حتى يضربَها.

ولم يزدد النبي ﷺ في نبوته وصفاته الباطنية بسبب مجرد فتح مكة، بل مهما تنامى جسم الفتوحات الإسلامية، واتسعت دائرتها، أشرقت روحه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [الفتح: ١، ٢].

إن قلت: إنْ كان هذا الكلام على حرب «الجمل» «وصفين» فمسلَّم به؛ إذ إنَّ الحركات العنيفة لم تتوقف، بل تفاقم اختلافُ المسلمين ساعة بعد ساعة، وفقدت وحدتهم على مرِّ الأيام والسنين، لكن صار عليٌّ رضي الله عنه جارحةَ الفيض الإلٰهي في معركة «النهروان» ـ سنة ٣٨هـ؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال في هذه الطائفة المارقة: «**لئن أدركتُهم لأقتلنّهم قتلَ عادٍ**»[(١)].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٤٣٢).

قلنا: هنا تحقيقٌ أنيقٌ شريف، وهو أنَّ هناك فرقاً شاسعاً بين شيوع الإسلام وائتلاف المسلمين فيما بينهم، وكبت الكفار، ووقوع الهزيمة عليهم على وجه الاستمرار والدوام، وبين خروج الفرقة المارقة من جماعة المسلمين بسبب شبهة ناشئة من بعض أحكام الخليفة، فرفعوا رؤوسهم ولصقوا بالمسلمين، ويحاول الخليفةُ في كبتها.

مثال الأول: أن يُتعهَّدَ الطفل بالرعاية حتى يتحوَّلَ من سنِّ الطفولة إلى سنِّ الترعرع، ومنه إلى حدِّ الشباب.

ومثال الثاني: أن نجاراً حاذقاً ضرب القدّومَ على الخشبة لحاجة مهمّة فأخطأ من سوء حظه، ووقع القدوم على رجله، فوجب عليه في هذه الحالة أن يتركَ النجارة، ويُعنى بمعالجةِ رجلهِ.

وحذار أن تقع في مغالطة في هذا المبحث، وحاشا أن تحملَ هذه النكتةَ الدقيقةَ على غير محملها، ليس المراد عندي أن عليّاً المرتضى ﵁ لم يكن خليفةً، أو لم تنعقد خلافته في حكم الشرع، أو لم يكن سعيه في الحروب والمعارك في الله ولله، كلا، أعوذ بالله من جميع ما كره اللهُ، بل المراد عندي: أنَّ فضيلة كونه ﵁ جارحةَ الفيض الإلـٰهي لم تتحقّق في هذه المقاتلات، وألا تظهر خيريته وإصلاح الخلق أفواجاً، وقد عَجزَ لسان الفقهاء والمتكلِّمين عن تقرير هذه النكتة الدقيقة، ولم يتكلّم أحدٌ منهم حولها إثباتاً ونفياً، لكن قد عرف هذه النكتة فقهاءُ الصحابة، بفضل صحبة النبيِّ ﷺ، ووقعت الإشاراتُ في الأحاديث الصحيحة إلى هذه النكتة.

❊ ❊ ❊



القسم الثاني



في بيان الدلائل العقلية على أفضلية الشيخين

أما الدلائل العقلية فيتوقَّف تقريرها على سبع مقدِّمات، ويتيسَّر ترتيب الشكل الأول من القياس الاقتراني بعد وضوح هذه المقدِّمات السبع؛ يعني:

أن الشيخين أفضل من جميع الصحابة في صفات كذا وكذا.

وهذه الصفات هي الأساس للفضل الكلّي.

فتميَّز الشيخان عن جميع الصحابة بفضلٍ كلّي.



المقدمة الأولى

في بيان حقيقة الفضل مطلقاً

اعلم أن حقيقة فضل شيء على شيء آخر إنما هي اشتراكهما في أصل واحد، فإنّه بزيادة الأول على الثاني في ذلك الأصل، ودليل هذه المقدمة إنما هو استقراء موضع استعمال لفظ «الفضل» كما لا يخفى، فإذا لم نعتبر الاشتراك في أصل واحد يمتنع استعمال لفظ «الفضل»، إذ لا يستقيم القول بأن النار أفضل في صفة ميلها إلى العلوّ من الحمار في بلَادته، أو أن هذه الدار أطول وأوسع من حقيقة الإنسان، أو يتساوى شيئان في صفة، أو يكون الثاني أكثر في تلك الصفة من الأول، لا يستقيم القول بأن الأول أفضل من الثاني.

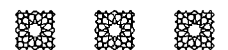
إن قلت: يقال في بعض المواقع إن الياقوت أفضل من الحجر في ذاته، أو إنّ الإنسان أفضل من الفرس في نفسه، والفرس من الثور، والثور من الحمار بدون الاعتبار للاشتراك في أصل واحد.

قلنا: قد تداولت جملة من الأوصاف والعلوم بين أهل التخاطب وكثر الالتفات إليها، واستقرَّ في قلوب الناس أن فضيلة شيء على شيء آخر أمر حقيقي بدون اعتبار شيء دون شيء، وهذا من قبيل خلط الخطابيات والشعريات بالبرهانيات، وهذا داء عضال لا يمكن معالجته بغير آراء ناشئة من خُلُق الحكمة والعدالة وسلامة الفطرة.

ومن علامات هذا الخلط أنه إذا جرى الكلام في خواصِّ الأحجار بحسب الطب أو بحسب سهولة النحت والحكاكة كان البِلَّور والفادزهر أرجح من الياقوت تارةً، وإذا دار الكلام حول حمل الأحمال والأثقال

وقطع المسافات كان للفرس ترجيح على الإنسان، وإذا كان الأمر يتعلّق بالحراثة والفلاحة كان للبقر فضل على الفرس، وإذا كان الحديث حول موافقة مزاج اللحم لمزاج الإنسان كان للضأن ترجيح على البقر، وإذا كان الكلام في سهولة الاقتناء والكفاية في الحاجات الخفيفة كان للحمار ترجيح على الثور، لكن في جميع هذه الصور لا يجوز استعمال لفظ: «التفضيل» بملاحظة أدب المجالس، بل يُرجع إلى استعمال لفظ آخر مكان «التفضيل»، يهمُّنا في هذا الموضع تحقيق معنى «الفضل» ليس أدب المجالس ومواقع استعمال الألفاظ الخطابية.

بالجملة فإنه إذا كان مرادنا هو تحقيق الحقيقة، فلا بدّ من التصريح بالأوصاف التي يقوم بها الفضل، إذ إن الخلاف لا ينقضي بدون تصريحها بها، ولا ينكشف الخفاء عن وجه الحقيقة.



المقدمة الثانية

في بيان حقيقة الفضل الكلّي

اعلم أن الفضل الكلي عبارة عن الزيادة بحسب الأوصاف التي يعتبرها العقلاء في أكثر وأحسن الأحوال، وبحسب الأوصاف التي يدركون نفعها في أكثر الأمور، فيقولون ـ مثلاً ـ: إن الياقوت أفضل من الحجر، والذهب أفضل من النحاس، والفرس من الثور، والسبب في تفضيل الياقوت والذهب إنما هو التحلِّي والتزيُّن بهما، ورغبة الملوك فيهما، وغلاء ثمنهما، وما إلى ذلك.

والسبب في تفضيل الفرس إنما هو استعداده لركوب الملوك، وجهاد الأعداء، والتزيُّن بركوبه، وحصول الربح في تجارته، ولما كان ميزان الفضل والنفع يختلف بحسب الرسوم والحاجات والصناعات فلا بدّ أن نحدِّد للفضل الكلي حدّين اثنين: **أحدهما**: بحسب العرف العام، **والثاني**: بحسب العرف الخاص.

ويوجد الفضل الكلّي باعتبار **العرف العام** في أشياء يعتبرها الناس جميعاً أفضل وأنفع بحكم جبلّتهم أو العرف العام، وذلك بسبب أن هذه الصفات تكون أكثر تداولاً بين الناس، ولا سيّما بين أفاضلهم من كل طبقة، كالقمح بالنسبة إلى الشعير، والذهب بالنسبة إلى النحاس.

ويختلف الفضل الكلي باعتبار **العرف الخاص** بحسب حاجات وأغراض الطبقات والأمم، ومثال ذلك بين أفراد الإنسان أن الفضل الكلّي لا يحصل في اصطلاح الطبقة التي تعنى بتدبير الملك والسياسة إلا لمن كان أحذق الناس وأقدرهم على جمع الرجال، ونصب مكايد

القتال، والجباية، وتقسيم الأموال، وسياسة المدن في جميع الأحوال.

ولا يحصل في اصطلاح الطبقة التي تعنى باستنباط العلوم وتعليمها وتدريسها إلا لمن كان أحفظ الناس، وأقدرهم على اقتناء العلوم وتأليفها وإفادتها، ولا يحصل في زمرة الحدَّادين إلا لمن كان يصنع آلات الحرب وأدوات الارتفاقات الأخرى على أحسن وجه.

وإذا ظهرت فضيلةٌ في أحدٍ من غير جهة عُرِف هذه الطبقات، مثل براعةُ الجمال، أو شرف النسب يقال لها: فضيلة جزئية، وتارةً تشتغل جماعة بفنَّين، ويُستخرج عرفهم من كل من الفنين كعائلة من سادات أهل البيت تفتخر بكلٍّ من النجابة واليسار، أو بطن من بطون قريش يبتهج بكلٍّ من العلم والنجابة، فإذا كان فيهم مَنْ لا يحصل له العلم واليسار وله نجابة كاملة لا يحصل له فضل كلّي بحسب عرفهم، وتتّضح هذه المقدمة بفحص وتحقيق استعمالات الفِرَق والأمم.

❁ ❁ ❁

المقدمة الثالثة

إنَّ أهلَ الملّة الذين جمعوا همَّتهم على نبيّ مبعوث من عند الله تعالى بعلم وكتاب، واعتقدوا أنّ السعادة منحصرةٌ في اتّباعه، وأن هذا النبي هو ميزان الخيرية والفضيلة كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «**وأحسنُ الهدي هَدْيُ محمّدٍ ﷺ**»، وأنَّ هذا النبي أفضلُ البشر، بل هو أفضلُ من الملائكة، فكلّما استعملوا لفظ: «فضل كلّي» في علوم ملّتهم كان مرادُهم بذلك بحكم «المقدمة السابقة» هو التشبُّه بنبيّهم في صفاتٍ حصلت للنبيِّ من جهة نبوّته، وتحمّل أعباء تبليغ ونشر تلك الملّة والتوسّط بين النبي وأمته في تلك العلوم، وتربية الأمة على منهاج تربية النبي.

ومثال ذلك: أنّ أفضل أصحاب الشافعي في مذهبه إنما هو أبو إسحاق الشيرازي، ثم الإمام محمد الغزالي من بعده، ثم الإمام الرافعي من بعده، ثم الإمام النووي من بعده، كما لا يخفى على متّبعي مذهبه.

كذلك في المذهب الحنفي أفضل أصحاب أبي حنيفة هو الإمام أبو يوسف، والإمام محمد، ثم الطحاوي، والكرخي من بعدهما، ثم القُدوري وبرهان الدين المرغيناني، وأبو البركات النسفي من بعدهما.

وكذلك في طريق النقشبندية كان الشيخ علاء الدين العطّار، ثم الخواجة عبيد الله الأحرار أفضل أصحابه، إلى غير ذلك من الأمثلة والنظائر.

وإن استطعتَ الفهمَ، فافهم أنّ نظام الملَّة يُشبه نظام السياسة المدنية بوجوه شتَّى، كما أنّ أمور المُلك لا تكتمل في السياسة المدنية بدون إعانةِ الأعوان والأنصار الذين هم بمنزلة جوارح المَلِكِ، لا يكتمل

أمر الملَّة كذلك بدون إعانة أعوان النبي الذين يكونون بمنزلة جوارح النبيّ.

ثم الأعوان يختلف بعضهم عن بعض، فمن صاحب قلم، وصاحب سيف، وكلٌّ له شركة ومساهمة في إتمام أمره بمختلف الأبواب والمداخل بحسب استعداده ومقدرته، وأفضل الأعوان للملك مَنْ كان بمنزلة الوزير والقائد في جمع الجنود، وتدبير النصب والعزل، وكان شريكاً للمَلِكِ في الحلّ والعقد، والجمع والتفريق.

وكذلك لا تكتمل سياسة الملّة بدون القرّاء والغزاة والعلماء، ولكلٍّ منهم دخلٌ ومساهمةٌ في إتمام أمره بحسب مقدرته بمختلف المداخل والأبواب.

وأفضل أعوانه من كان عضده الأيمن في حين وحدته، وأعزَّ الإسلام في وقت غربته، وقام بكسر جماعةِ المتعصِّبين عند غلبة الأعداء، وقام بنشر علم النبيّ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، وبتبليغ دينه في العرب والعجم.

وأما قولنا: إن التشبُّه بالنبيِّ ينبغي أن يكون في صفاتٍ تحصلُ للنبيِّ من جهة النبوة، فذلك من جهة أن نبيّنا ﷺ قد جمع بين سائر صفات الكمال بأسرها، بحيث لا يستلزم بعضها أصل النبوة مثل الجمال الرائع، والنسب البارع، وحسن الصوت، وقوة البطش، والباءة وغير ذلك:

آنچه خوبان همه دارند تو تنها داري[(١)]

لكنّ الكلام يدور هنا حول فضيلة حصلت لجميع الأنبياء على أمتهم، والتشبّه بها، والإعانة فيها.

---

(١) معناه: الصفات التي يتّصفُ بها أربابُ الحُسنِ من حيث المجموع كان النبي ﷺ متّصفاً بها وحدَه.

فإن قلت: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، يُفهم من هنا أنّ الأفضلية منوطةٌ بحالة فيما بين الله وبين العبد.

قلنا: إنّ التقوى عبارةٌ عن امتثال الأوامر، واجتناب المناهي، والأوامر والنواهي المنوطة بحالة توجد فيما بين الله وبين العبد فقط ليست محصورة محدودة، والجهاد من الأوامر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من الأوامر، وتعلّم العلم من الأوامر، وربما تكون الأذكار النافلة والصلوات النافلة والصدقات النافلة أقلَّ فضيلةً بدرجات من الجهاد والتشاغل بأمر الجنود، وما أشبه ذلك «لكلِّ مقامٍ مقالٌ، ولكلِّ نكتةٍ مجالٌ».

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف عن **عبد الله بن عمرو** أن رسول الله ﷺ مرَّ بمجلسين في مسجده، فقال: «**كلاهُما على خيرٍ، وأحدُهما أفضلُ من صاحبه.**

أما هؤلاء فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم.

وأما هؤلاء فيتعلَّمون الفقه والعلم، ويعلِّمون الجاهل، فهم أفضلُ، وإنّما بُعِثْتُ معلّماً» . قال: ثم جلس فيهم، رواه الدارمي(١) .

إن فضل العالِمِ على العابدِ أمرٌ مقرَّرٌ في الدين، نعم، يتبيَّن بملاحظة سياق الآية، وسبب نزولها أنَّه لا اعتبارَ للجمال الرائع والنسب البارع وما أشبه ذلك في الأكرمية، وهذا هو المقصودُ من مقالنا هذا.

❁ ❁ ❁

(١) في «سننه» (١/ ١١١) برقم: (٣٤٩).

المقدمة الرابعة

في تحديد صفات حصلت للنبيِّ من جهة النبوّة

ليُعلم أنّ أصل نبوة الأنبياء أولي العزم إنّما هو إرادة الله تبارك وتعالى اللطفَ والكرمَ بعباده، وتقريبهم إلى الخير ببعثة نبيّ من بينهم، وإعلاء كلمته، وإظهار حججه وبراهينه، ونشر علمه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (١٧٣)﴾ [الصافات].

• عن **عياض بن حمار المجاشعي** أنّ رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «**ألا إنَّ ربِّي أمرني أنْ أعلِّمكم ما جهلتُم، ممّا علَّمني يومي هذا:**

كلُّ مالٍ نحلتُه عبداً حلالٌ، وإنِّي خلقتُ عبادي حنفاءَ كلَّهم، وإنَّهم أتتْهم الشياطينُ فاجتالتهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتْهم أنْ يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً.

وإنَّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم عربَهم وعجمَهم إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ.

وقال: إنّما بعثتُك لأبتليَك وأبتليَ بكَ، وأنزلتُ عليك كتاباً لا يغسلُه الماءُ، تقرؤه نائماً ويقظانَ.

وإنَّ الله أمرني أنْ أحرِّقَ قريشاً، فقلتُ: ربِّ إذاً يثلغوا رأسِي، فيدعوه خبزةً، قال: استخرِجْهم كما استخرجُوك، واغزُهم نغزِكَ، وأنفقْ فسننفق عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خمسةً مثله، وقاتِلْ بمن أطاعَكَ من عصاك»، رواه مسلم[1].

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٢٨٦٥).

وإن تأمّلنا بعد ذلك تأمّلاً بليغاً علمنا أنَّ من لوازم النبوَّة وأجزائها أن يمتازَ النبيُّ عن سائر البشر في كلٍّ من قوَّتي النفس الناطقة؛ أي: القوة العاملة، والقوة العاقلة، فإن الله تعالى يزيد النبيَّ بفضله ومنِّه في قوته العاقلة بدون سوابقه العملية، فيأتيه الوحيُ من الغيبِ بسبب ذلك، وهو يشاهد الجنة والنار، ويرى الملائكة بصورهم، ويدرِكُ الوقائعَ المقبلةَ في الوقائع والرؤى الصالحة بصورها المثالية، ووقعت الإشارة إلى هذا المعنى في الحديث: «**الرؤيا جزءٌ من ستّة وأربعينَ جزءاً من النبوّةِ**»(١).

وكذلك ينصره الله في قوّته العاملة، فيحظى لأجلِ ذلك بالسَّمتِ الصالح، ويهتمُّ برعاية آداب العبادات، وتدبير المنزل، والسياسة المدنية، من حيث لا يُتصوَّر فوق ذلك.

وكذلك يعطيه الله الشجاعة والسياسة والعدالة والكفاية ومعرفة مصلحة الوقت، ووقعت الإشارةُ إلى هذا المعنى في الحديث: «**السَّمْتُ الصالحُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرينَ جُزْءاً من أجزاءِ النبوّةِ**»(٢).

وإن أردت أن تفهم خواصَّ النبي فهب أن الله تعالى قد جمع أربعة أشخاص في جسم واحد، وسمَّى هذا المجموع نبيّاً.

الأول منهم: ملك، يقال له في عالم السياسيات: إنسان مدني؛ يعني: أنّ إنساناً يقع ظلُّ نفسه الناطقة على الناس، فيظهر بذلك نظام وترتيب بين أفراد البشر من الكتَّاب والمجاهدين والأبطال والقوَّاد والقضاة وأمراء الأمصار والمزارعين والتجَّار وغيرهم، ويتلقَّى كل منهم تربيةً مناسبةً حسب عادته وصلاحيته.

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٢٧٩).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٣٥) برقم: (٣٤٧٧٢)، وفيه «السمت الصالح والهدي الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءاً من النبوة».

فإذا لم يكن الاجتماع والترتيب قائماً بينهم، يقوم بسبب ظلّ نفسه الناطقة، الذي يقع عليهم بواسطة أفعاله وأقواله من جديد.

وإن كان الاجتماع والترتيب محقَّقاً من قبلُ، فإنّه يبلغ به الكمال، ويزول النقص الذي كان فيه.

والحاصل: فإن كل ما ينبغي أن يكون فيه ـ أي: الملك ـ من حظٍّ وحكمة وعدالة وشجاعة وكفاية وغير ذلك يتوافر في النبي بكماله.

والثاني: حكيم كامل البراعة في الحكمة العملية، وعارف بعلم الأخلاق وتدبير المنازل وسياسة المدن، ويكون جامعاً لأصول وفروع هذه العلوم، غير مكتف بالعلم، بل برزت هذه الصفات كلها فيه تحقيقاً وتخلُّقاً، وتتجلَّى آثار هذه الصفات منه حيناً فحيناً، إذ إن كل إناء يَتَرَشَّحُ بما فيه.

والثالث: صوفي مرشد، جالس في زمرة الصوفيين، تصدر منه كراماتٌ عجيبةٌ، وخوارق غريبة، ينقذ بقوة إرشادِه مَنْ ضلّوا الطريق، ويهديهم إلى سواء السبيل، بعد أن عرف طريق تهذيب النفس جيداً بطاعات ورياضاتٍ متتابعة، وأصبحَ حسُّه المشتركُ مرآةً للعلوم الحقّة، وانكشفت له خفايا عالم الملائكة، وعالم الملكوت، وقد مارس خواصَّ أعمال الجوارح، وأذكار اللسان جيداً، فأحاط بجزئيات وكليات هذه الفنون، كما قرأت في مقامات المشايخ كـ«بهجة الأسرار» و«مقامات الخواجه نقشبند».

والرابع: جبريل الذي هو جارحةٌ من جوارح التدبير الإلـٰهي، وواسطةٌ لأخذ العلوم الحقة من أصل منبعها، ومن صفاته: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، ومن جذر جبلّته تتفرّع طريقٌ إلى حظيرة القدس، ومن هذه النافذة تُلقى العلوم المجردة العالية إلى عقله وقلبه، وتتيسر له طُمأنينةٌ وسكينةٌ ويقينٌ وعظمةٌ.

ثم ينبغي التأمّل والتدبّر في الذي اعتنى به النبي ﷺ في أيام حياته اعتناءً بالغاً، وما الذي بقي من آثاره ﷺ في العالم؟ ورغم أن هذا الكلام يطول ويتسع، ولكن ينبغي الانتقال من الجزئيات إلى الكليات ويناسب استخدامُ الحدس والقياس، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾﴾ [الجمعة].

ليعلم أنَّ النبي ﷺ بُعِث في زمان عمَّ فيه الشركُ في العبادات، وأنكر الناس المعادَ، ونسوا العبادات، وتسرَّب التحريفُ إلى الدين الحنيف، الذي يُنْسَبُ إلى سيّدنا إبراهيم عليه السلام، فقام النبي ﷺ في بداية أمره بإبطال الشرك، وإثبات المجازاة، ونبذ التحريفات، فقام العربُ عامةً، وقريش خاصةً، بالتعصّب والعناد إزاءه ﷺ وآذوه.

واستقام النبي ﷺ بقوته الموهوبة في مقابلتهم ومجادلتهم، إلى أن اتضح الطريقُ، وتبيَّن الرشدُ من الغيّ، والإسلامُ من الكفرِ، ودخل الناسُ في دين الله.

ثم أمر بعد ذلك بالهجرة، والجهاد، وقد بذل في سبيل ذلك محاولاتٍ ضخمةً، ليس في مقدور البشر أن يزيدوا عليها، فحصلت الفتوح، ووقعت الهزيمة على الكفار، ودين الجاهلية قد تشتّت شمله، وتمزَّق جمعه، وتلاشى وجوده، وانقضت المظالم، ومخالفة السُّنَّة العادلة بعد شيوعها ورسوخها، وقد نشأ فيهم علمٌ وشاع، ولم يكونوا عارفين به من قبلُ، وهو على عشرة أنواع:

الأول: علم القرآن.

والثاني: علم الإيمان؛ أي: الأركان الخمسة للإسلام، مع تحديد الأوقات، وتعيين الآداب، وما أشبه ذلك.

والثالث: علم المعاد؛ أي: شرح أحوال البرزخ، والحشر، والجنة، والنار.

والرابع: علم الإحسان؛ أي: هو الارتقاءُ من قوالب العبادات إلى أرواحِها، ومن صور الطاعات إلى أنوارِها، ويسمّى الإحسانُ اليوم بالطريقةِ والمعرفةِ.

والخامس: علم الشرائع، في تدبير المنازل وسياسة المدن وطريق المعاش.

والسادس: علم الأخلاق.

والسابع: علم الآداب.

والثامن: علم الفتن والملاحم؛ يعني: الحوادث والوقائع التي تحدثُ في المستقبل.

والتاسع: علم فضائل الأعمال.

والعاشر: علم مناقب العمَّال ـ أي: علم محاسن الصالحين وفضائلهم ـ.

وقد شرح النبيُّ ﷺ هذه العلوم كلَّها، وفصَّلها، ونشرها، وقام بتبليغها بوجهٍ وصلت إلى القاصي والداني، والصغير والكبير، والذكي والغبي، إلا من كان شقياً أو محروماً، أصابته شقاوة من الأزل.

وقام ﷺ بتربية أهل زمانه حتى أصبح أهل البدو وسكّان الصحراء من المحسنين والمقرَّبين، وكانت هذه التربية نتيجة صحبته المباركة، ونتيجة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، برعاية حالة الفرد وبقدر الحاجة، وهذه المنّة العظيمة التي وقعت الإشارة إليها في هذه الآية القرآنية إن قضيتَ عمراً في تأمّلها ما ظفرتَ بمثل هذا التنقيح والتفصيل والضبط والتناسق.

المقدمة الخامسة

في بيان الحالة التي يتشبّه غير النبي بالنبيِّ لأجلها وبيان التصوّر للإعانة الكلّية للنبيّ في الأمور التي بعث لأجلها وقام بها باعتناء بالغ

اعلم أنَّ التشبُّه في الخصلة الأولى ـ التي هي عبارة عن إرادة البعثة ـ يتحقّق من جهة أن تكون إرادة الله تعالى أن يتمَّ هذا الأمرُ على أيدي بعض أفراد أمته ويُبيِّن النبيُّ ﷺ هذا المعنى، ويشير إلى ذلك في بعض المناسبات، قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

● عن **بهز بن حكيم** عن أبيه عن جده أنّه سمع النبي ﷺ يقول في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: «**إنكم تتمُّون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على اللهِ**»، أخرجه **الترمذي**(١).

● وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، أخرجه **الحاكم**(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

---

(١) في «سننه» برقم: (٣٠٠١).

(٢) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٣) برقم: (٣١٦٠).

• عن **أبي بن كعب** ﷺ قال: لمّا قدم رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العربُ عن قوسٍ واحدةٍ، كانوا لا يبيتون إلا بالسلاح، ولا يصبحون إلّا فيه، فقالوا: ترون أنّا نعيشُ حتى نبيتَ آمنين مطمئنينَ لا نخاف إلا الله؟ فنزلت: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾، أخرجه **الحاكم**[1].

• وعن **أبي عروة**، قال: كنا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلاً ينتقص أصحاب رسول الله ﷺ، فقال مالك: مَنْ أصبحَ مِنَ الناسِ وفي قلبه غيظٌ على أصحاب رسولِ الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية، ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، أخرجه **الواحدي**[2].

وقد بيَّنّا أن الله تعالى كشف لنبيّه ﷺ بما رأى أصحابه أنّ المراد بذلك استخلاف أصحابه ثلاثين سنة، وقال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

• عن **خيثمة** قال: قرأ رجل على عبد الله ﷺ سورة الفتح، فلمّا بلغ: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، قال: ليغيظَ الله بالنبيّ ﷺ وبأصحابِهِ الكفارَ، قال: ثم قال عبدُ الله: أنتم الزرّاعُ، وقد دنا حصاده، أخرجه **الحاكم**[3].

• وعن **عائشة** ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾، قالت:

---

(١) «المستدرك» (٢/ ٤٣٤) برقم: (٣٥١٢).
(٢) لم يخرجه الواحدي في «تفسيره»، ولكن أخرجه البغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٨).
(٣) في «المستدرك» (٢/ ٥٠١) برقم: (٣٧١٨).

أصحابُ رسولِ الله ﷺ، أمروا بالاستغفار لهم فسبُّوهم، أخرجه **الحاكم**[١].

• وقال **الواحديُّ**[٢]: هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لمحمد ﷺ، فالزرع محمدٌ، والشطأ أصحابه والمؤمنون حوله، وكانوا في ضعفٍ وقلةٍ كما كان أول الزرع دقيقاً، ثم غلظ وقوي وتلاحق، كذلك المؤمنون، قويّ بعضُهم بعضاً، حتى استغلظوا واستووا على أمرهم ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾؛ أي: إنما كثَّرهم وقوَّاهم ليكونوا غيظاً للكافرين.

○ ○ ○ ○ ○

أما التشبّه في زيادة **الجزء العلمي للنفس الناطقة**، فذلك من جهة أن يجعل أحداً من الأمة محدَّثاً وملهَماً، لتشرقَ بعضُ ومضاتِ الغيبِ في قلبه، ويظهر هذا المعنى بوجهين:

أحدهما: أن يتبادرَ إلى ذهنه بمجرد سماع كلام النبي أصلُ المقصود، كأنّه رآه رأيَ العين، ويعرفه بدون واسطة، ومن لوازم هذا المعنى تصديقُ النبيِّ ﷺ بغير تردُّد، وأيضاً من لوازمه أن يلازم النبيَّ ﷺ بالاستمرار على وصف الفناء والفداء والتسليم والرضا، وترك المخالفة، ولو كانت في أدنى شيء، وإمامُ هذه الطريقة إنّما هو سيّدنا **أبو بكر الصدّيق** رضي الله عنه.

والثاني: أن يمنحه الله فراسةً صادقةً، ويرزق عقله تأييداً من حظيرة القدس، بحيث يُصيبُ في مجتهداته غالباً، ومن لوازمِ هذا المعنى أن

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٠١) برقم: (٣٧١٩).

(٢) لم يخرج الواحدي هذا النص بعينه ولكن أخرجه باختلاف كثير وقع فيه. انظر: «الوجيز»، للواحدي (١/ ٩٢١)، وأخرجه مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٣٢٥).

ينزلَ الوحيُ حسبَ رأيه، وأيضاً من لوازمه أن يمتازَ بين بني جنسه بموافقة ظنِّه للواقع، وإمامُ هذه الطريقة إنما هو **سيّدنا عمر الفاروق** ﷺ.

○ ○ ○ ○ ○

وأما التشبُّه في زيادة **الجزء العملي للنفس الناطقة**، فذلك بوجهين:

أحدهما: أن يتحلَّى بالسَّمتِ الصالح، والعدالة الكاملة، ويستخدمهما في أمور الإمارة وسياسة المدن، بكل مهارة وحذاقة، ويباشِرَ الأمور بوجه لا تختلِفُ عليه الأمة، وينجز المعاملات بين المسلمين بدون سلِّ السيف حتى المقدور، ويقوم بالجهاد ضدَّ العرب والعجم بوجه لا يُتصوَّر أحسن منه، ويعرف حقَّ كل شخص من بين الآلاف المؤلفة الذين لهم سعي ومساهمة في أمر الملّة على حدته، ويؤظِّف كل واحد فيما هو أهله علماً وعملاً، ويجعل نصرةَ الدين ـ بأقصى همته ـ نُصبَ عينيه، كأنّه خُلِقَ لأجل ذلك، وهذا الأمر غاية سعادته.

ويكون ردُّه لشيء وقبوله لشيء بناءً على موافقة الملَّة ومخالفتها، وأن يكون بلغ في إصابة رأيه وفطانة ألمعيته موضعاً كأن رأيه مرآة إرادة الله تعالى، وكل شيء يتخيُّله يظهر من الغيب حسب خياله، كما قال علي المرتضى: «إن عمر كان رشيد الرأي»[1]، وقال أيضاً: «دِرّة عمر خير من سيوفنا»[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٥٧) برقم: (٣٢٠٠٤)، والرواية بكاملها هكذا: عن سالم قال: جاء أهل نجران إلى علي، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! كتابُك بيدك، وشفاعتُك بلسانِك، أخرجنا عمرُ من أرضنا فاردُدنا إليها، فقال لهم علي: ويحكم إنَّ عمرَ كان رشيدَ الأمر، ولا أغيّرُ صنعةَ عمر، قال الأعمش: فكانوا يقولون: لو كان في نفسه على عمرَ شيءٌ لاغتنم هذا عليٌّ.

(٢) أخرجه المحبّ الطبري في «الرياض النضرة» (١/ ١٤٩) بلفظ: قال بعضهم: «كانت دِرّةُ عمر أهيَب من سيف الحجّاج، وكان يخافه ملوك فارس والروم وغيرهم»، وذكره =

والثاني: أن يقومَ بتربية جميع أصحابه بتأثير صحبته، ويأمر كل واحد بالمعروف بحسب حاله، وتكون مواعظه وخطبه البليغة أكبرَ تأثيراً في النفوس، وتصدر منه كرامات عجيبة وخوارق غريبة.

وأمَّا تشبُّهه بالنبيِّ في تحمّل أعباء الدعوة فهو من جهة أن يكون رجلٌ جليلُ القدرِ مكرَّماً في أعين الناس، ويراجعه الناس في حلِّ مشكلاتهم، ويرتبط به طائفة من كل بطن، يدخل بأقصى همته وصدق إرادته في الإسلام، وبمجرد دخوله في الإسلام يدخل جماعة الناس فيه، ويعزُّ الإسلام به، وينكشفُ على الناس أنّ هذه الملّة لا بدّ أن تظهر وتغلب، ويُمسك المتعصّبون أيديهم عن الاعتداء على هذه الملّة بسبب قيامه، وينقطع رجاءُ الغلبة والفتح من قلوبهم بسبب رسوخ قدمه فيه، ثم أن يكون له نصيبٌ وشركة في كلّ وقعة من الوقائع حين قيام الجهاد وفي الحلّ والعقد وجمع الرجال ونصب القتال، وأن يكون لمشورته قبول حسن عند النبيِّ ﷺ.

وأمَّا تشبُّهه بالنبيِّ في نشر العلوم فهو من جهة أن يتصرَّف في العلوم المروية عن النبي ﷺ بالإرشاد إلى طرق الرواية، وحمل الناس على تعليم علومه ﷺ، وإن اختلفت أقوالُ الرواة في مسألة يخرج من مضيق الاختلاف بالقضاء والإجماع، ويرشد إلى طريق الاجتهاد، ويسدُّ طريق التحريف.

وبالجملة: فإنَّه يُحْكِمُ طريقَ أخذِ العلم من النبي، ويُغْلِقُ أبوابَ الشكوك والشبهات، ويكونُ إماماً في هذا المجال والميدان، ويكون واسطة بين النبي ﷺ وأُمّته في أخذ العلوم.

= ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٣/ ١٤) بلفظ: وقال الشعبيُّ: «كانتْ دِرّةُ عمرَ رضي الله عنه أهيَب من سيفِ الحجّاجِ».

فائدة: قد جاء في الحديث المتواتر: «**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم**» إلخ، والسرُّ في تفضيل الصحابة على كلّ مَنْ جاء بعدهم أن هؤلاء الصحابة وسائِط بين النبيِّ ومَنْ جاؤوا بعدهم، ومن جهة أنَّ غلبة الإسلام تحقّقت بواسطتهم، وانتشر العلم بجهودهم، وإن استطعتَ فافهم أنَّ أمرَ الملّة إنّما يُشْبِهُ جداراً تقوم لبنته الفوقانية على اللبنة التحتانية التي هي سبب استقامتها وثباتها، وهكذا يتسلسل أمرُ البنيان، وهكذا كل قرن متأخِّر يستمِدُّ من القرن المتقدِّم شرائع الإسلام وعلوم الهداية والشرع، وتكون في عنقه منَّة للقرن المتقدِّم، إلى أن ينتهي الأمر إلى صاحب الشرع الذي جاء بالشريعة بدون واسطة من عند الله تبارك وتعالى.

ألا ترى أنَّ كافراً إذا أراد اليوم أن يسلم: كم يُعاني من المشكلات والشدائد في خروجه من بين الكفار، وترك رسومهم وتقاليدهم، ودخوله في الإسلام، والتخلّق بأخلاقه وآدابه، رحم الله تعالى آباءنا وأساتذتنا ومشايخنا رحمةً واسعةً كاملةً، إذ إنهم ربَّونا في أحضانهم، وأول كلمة بلَّغوها إلينا هي كلمة الإسلام، وأول رسم علَّمونا إيّاه هو رسم الإسلام، وقد تجشَّموا لأجلنا هذه المشقة والشدة ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء]، وارحم ثانيةً أصولهم؛ أي: أجدادهم أوفى وأتمَّ من ذلك، إذ إنهم ربَّوهم في أحضانهم كذلك، وأنقذوهم من المشكلة والشدة، وهكذا.

اللَّهُمَّ صلِّ على نبيك محمد صلواتٍ تامةً وتحياتٍ كاملةً بعدد كل مسلم نال حظه من هذه الملّة، وينبغي أن نعتقد من حيث العلم والعمل كذلك، ونعرف لهم المنَّة على أنفسنا، لندعو لآبائنا الحقيقيين والروحانيين، ونتجنَّب عقوقهم، والحمد لله ربِّ العالمين.

❊ ❊ ❊

المقدمة السادسة

في بيان تحقُّق هذه الخصال في الشيخين بوجه الكمال

وأمّا تضمُّن بعثة النبي ﷺ بعثتهما ـ الشيخين ـ والإعلام من جانب الغيب لهذا المعنى فقد مضى بيانه في المسلك الأول في تقرير ذلك.

ومن هذا الباب قصة الأسقف، عن **الأقرع** مؤذّن عمر بن الخطاب ؓ قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته، فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟

قال: نعم.

قال: كيف تجدني؟

قال: أجدك قرناً ـ القرن بالفتح: الحصن ـ.

فرفع عليه الدَّرَة فقال: قرن مه؟

فقال: قرنٌ حديدٌ أمينٌ شديدٌ.

قال: كيف تجدُ الذي يَجِيءُ مِنْ بعدي؟

فقال: أجده خليفةً صالحاً غيرَ أنه يؤثرُ قرابته.

قال عمر: يرحمُ الله عثمانَ ثلاثاً.

فقال: كيف تجدُ الذي بعدَه؟

قال: أجده صدأً حديدٍ، فوضع عمرُ يده على رأسِه.

فقال: يا دفراه! يا دفراه!

فقال: يا أمير المؤمنين! إنَّه خليفةٌ صالحٌ، ولكنه يُستخلَفُ حين

يُستخلَفُ والسيفُ مسلولٌ والدمُ مهراقٌ[١].

قال أبو داود: والدفرة: النتن، أخرجه أبو داود في بعض النُّسخ.

ومن هذا الباب رؤيا عوف بن مالك.

• عن **عوف بن مالك الأشجعي** أنّه رأى في المنام كأنَّ الناسَ جُمعوا، فإذا فيهم رجلٌ فرعهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: عمر، قلت: لم؟ قالوا: لأنّ فيه ثلاثَ خصالٍ: إنّه لا يخاف في الله لومةَ لائمٍ، وإنه خليفةٌ مستخلَفٌ، وشهيدٌ مستشهَدٌ.

قال: فأتى إلى أبي بكر فقصّها عليه، فأرسل إلى عمرَ فدعاه ليبشِّره، قال: فجاء عمر فقال لي أبو بكر: اقصُصْ رؤياك، قال: فلمّا بلغتُ «خليفةٌ مستخلَفٌ» زبرني عمر وانتهرني وقال: اسكت تقولُ هذا وأبو بكر حيٌّ، قال: فلما كان بعدُ وولي عمر، مررتُ بالمسجدِ وهو على المنبر قال: فدعاني، وقال: اقصُصْ رؤياك فقصصتُها، فلما قلت: «إنّه لا يخافُ في اللهِ لومةَ لائم»، قال: إنِّي لأرجو أن يجعلني الله منهم، قال: فلمَّا قلتُ: «خليفةٌ مستَخلَفٌ»، قال: قد استخلفني الله، فسله أن يعينَني على ما ولّاني، فلمّا ذكرت: «شهيدٌ مستشهَدٌ» قال: أنَّى لي بالشهادة وأنا بين أظهُرِكم تغزون ولا أغزو، ثم قال: بلى يأتي اللهُ بها أنَّى شاء. أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[٢].

• وأمَّا تشبُّه الشيخين بالنبيِّ ﷺ في **الجزء العقلي للنفس الناطقة** بالوجهين اللذين ذكرتهما فله شواهد كثيرة.

• ومن جملة ذلك حديث **أبي الدرداء** قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله**

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٥٦).
(٢) (٣/ ١١٥٦).

بعثني إليكم فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقَ، وواساني بنفسِه ومالِهِ، فهل أنتم تاركونَ لي صاحِبي؟» ـ مرتين ـ فما أوذيَ بعدها، أخرجه **البخاري**(١).

• وحديث **عائشة** قالت: لما أُسريَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدَّثُ الناسُ بذلك، فارتدَّ ناسٌ ممَّن كان آمنوا به، وصدّقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ إلى صاحبِكَ يزعمُ أنه أُسريَ بِهِ الليلةَ إلى بيتِ المقدس؟

قال: أَوَ قال ذلك؟

قالوا: نعم.

قال: لئن قالَ ذلك لقد صدقَ.

قالوا: أو تصدِّقه أنه ذهبَ الليلةَ إلى بيتِ المقدسِ، وجاء قبل أن يصبحَ؟

فقال: نعم، إنِّي لأصدِّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أُصدِّقه بخبرِ السماءِ في غدوةٍ أو روحةٍ، فلذلك سمِّي أبا بكر «الصدِّيق» رضي الله عنه، أخرجه **الحاكم**(٢).

• قال أبو عمر: وسُمِّي الصدِّيقُ لبدارِه إلى تصديق رسولِ اللهِ ﷺ في كلِّ ما جاء به ﷺ، وقيل: بل قيل له الصدِّيق لتصديقه له في خبر الإسراء.

وفي **حديث التخيير**: قال عليٌّ رضي الله عنه: فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به.

وقال رسول الله ﷺ: «**دعوا لي صاحبي فإنكم قلتُم لي: كذبتَ، وقال لي: صدقتَ**».

---

(١) في «صحيحه» برقم: (٣٦٦١).

(٢) في «المستدرك» (٣/ ٨١) برقم: (٤٤٥٨).

وقال رسولُ الله ﷺ في كلام البقرةِ والذئبِ: «**آمنتُ بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وما هما ثَمَّ علما بما كانا عليه من اليقين والإيمان**»[١].

انتهى قول أبي عمر.

• وعن **أبي سعيد الخدري** أنّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر، قال: «**إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده فاختارَ ما عندَه**».

فقال أبو بكر: فديناك يا رسول الله! بآبائنا وأمهاتنا، قال: فعجبنا، فقال الناسُ: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبدٍ خيّره الله بين أن يؤتيَه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا.

قال: فكان رسولُ اللهِ هو المخيّر، وكان أبو بكر هو أعلمنا به، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ مِنْ أمنِّ الناسِ عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبو بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر، ولكن أخوةُ الإسلام، لا تبقَيَنَّ في المسجدِ خوْخَةٌ إلا خوخةُ أبي بكرٍ**»، أخرجه **الترمذي**[٢]، وللشيخين نحوه من طرق متعددة.

• وعن **عائشة** أنَّ أبا بكر لم يقل بيتَ شعر في الإسلام حتى مات، وإنه كان قد حرّم الخمرَ في الجاهلية هو وعثمان ﷺ، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[٣].

• وعن **سعيد بن المسيب** أنّ رجلاً مِنْ أسلم، جاء إلى أبي بكر الصدّيق فقال له: إن الآخر زنى.

فقال له أبو بكر: هل ذكرتَ هذا لأحد غيري.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٧).
(٢) في «سننه» برقم: (٣٦٦٠).
(٣) (١/ ٢٩٩).

فقال: لا.

فقال له أبو بكر: فَتُبْ إلى اللهِ، واستتر بستر الله، فإنّ الله يقبل التوبةَ عن عبادِه.

فلم تقرره نفسه حتى أتى عمر بن الخطاب، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر.

فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: إن الآخر زنى.

فقال سعيد: فأعرضَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرّاتٍ، كلُّ ذلك يعرض عنه رسولُ اللهِ ﷺ حتى إذا أكثرَ عليه بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أهله، فقال: «**أيشتكي أم به جِنَّةٌ؟**».

فقالوا: يا رسول الله! والله إنَّهُ لصحيحٌ.

فقال رسول الله ﷺ: «**أبكرٌ أم ثَيِّبٌ؟**».

فقالوا: بل ثيّبٌ يا رسول الله!

فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ فرُجِمَ، أخرجه **مالك**(١).

● وعن **المسور بن مَخْرَمَةَ** في قصة الحديبية، وحديث أبي جندل، فقال عمر بن الخطاب: فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ فقلتُ: ألست نبيَّ الله حقاً؟

قال: «**بلى**».

قلت: ألسنا على الحقِّ، وعدّونا على الباطل؟

قال: «**بلى**».

قلت: فَلِمَ نعطي الدنيةَ في ديننا إذاً؟

قال: «**إنّي رسولُ اللهِ، ولست أعصيهُ، وهو ناصري**».

---

(١) في «موطأ مالك» برقم: (٣٠٣٦).

قلت: أوليس كنتَ تحدِّثنا أنا سنأتي البيتَ فنطوفَ به؟

قال: «**بلى، فأخبرتُك أنّا نأتيه العامَ؟**»

قال: قلت: لا، قال: «**فإنك آتيه ومطوفٌ به**».

قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبيُّ الله حقاً؟

قال: بلى.

قلت: ألسنا على الحقِّ وعدوّنا على الباطل؟

قال: بلى.

قلت: فلمَ نعطي الدنيةَ في ديننا إذاً؟

قال: أيُّها الرجلُ، إنّه لرسولُ اللهِ ﷺ، وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسك بغرزه، فوالله إنه على الحق؟

قلت: أليس كان يحدّثنا أنا سنأتي البيتَ ونطوفَ به؟

قال: بلى، أفأخبركَ أنك تأتيه العامَ؟

قلت: لا، قال: فإنك آتيه، ومطوفٌ به، أخرجه **البخاري**[(١)].

• وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخرجَ أهلُ مكة النبيَّ ﷺ، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: إنا لله وإنّا إليه راجعون، أخرجوا نبيّهم ليهلُكَنَّ، قال: فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، قال أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه: فعلمتُ أنَّها قتال، أخرجه **الحاكم**[(٢)].

وفي **قصة رؤيا النبي** ﷺ: رأيت غنماً كثيرة سوداء دخلت فيها غنم كثيرة بيض[(٣)]، وفي رواية أبي أيوب قول النبي ﷺ: «**يا أبا بكر!**

---

(١) في «صحيح» برقم: (٢٧٣١).

(٢) في «المستدرك» (٢/ ٧٦) برقم: (٣٢٧٦).

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٤).

اعْبُرْها»، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هي العربُ تتبعك، ثم تتبعها العجم حتى تغمرَها، فقال النبي ﷺ: **«هكذا عَبَرَها المَلَك بِسَحَرٍ»**، أخرجه **الحاكم**(١).

• قال ابن هشام: حدَّثني بعضُ أهل العلم أنه حُدِّثَ عن **إبراهيم بن جعفر المحمودي** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«رأيتُ كأنِّي لقمتُ لقمةً من حَيْسٍ، فالتذذتُ طعمَها، فاعترضَ في حلقي منها شيءٌ حين ابتلعتُها، فأدخل عليٌّ يده فنزعَه»**.

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله! هذه سرية من سراياك، تبعثها، فيأتيك منها بعضَ ما تحبُّ، ويكون في بعضها اعتراضٌ فتبعثُ عليّاً فيسهّله(٢).

• وعن **عائشة** زوج النبيِّ ﷺ قالت: رأيتُ ثلاثةَ أقمارٍ سقطنَ في حُجرتي، فقصصتُ رؤيايَ على أبي بكر الصدّيق، قالت: فلمّا توفّي رسولُ اللهِ ﷺ ودفن في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحدُ أقمارِكِ وهو خيرُها، أخرجه **مالك** في «الموطأ»(٣).

• وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لقد كان فيما كان قبلكم من الأممِ ناسٌ محدَّثون، فإن يكُ في أُمَّتي أحدٌ فإنَّه عمرُ»**، أخرجه **البخاري**(٤).

• قال **أبو عمر** من حديث **ابن عمر** قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه، ونزلَ القرآنُ بموافقتِهِ في أسرى بدرٍ، وفي الحجابِ، وفي تحريمِ الخمرِ، وفي مقامِ إبراهيمَ»**.

---

(١) في «المستدرك» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩).

(٣) «موطأ مالك» (٧٩٣).

(٤) في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).

• وروي من حديث **عقبة بن عامر وأبي هريرة** عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**لو كانَ بعدي نبيٌّ لكان عمرَ**»[(١)].

• ومن حديث **ابن عمر** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بقدحِ لبنٍ، فشربتُ حتى رأيتُ الريّ يخرجُ من أظفاري، ثم أَعْطَيْتُ فَضْلي عمرَ**».

قالوا: فما أوَّلتَ يا رسول الله ذلك؟

قال: «**العلمُ**».

• وقال **عليٌّ**: ما كنا نبعِدُ أنَّ السكينة تنطقُ على لسانِ عمرَ[(٢)].

• عن **ابن سيرين** قال كعبٌ لعمر بن الخطاب: يا أميرَ المؤمنين! هل ترى في منامك شيئاً؟ قال: فانتهره، فقال: إنا نجدُ رجلاً يرى أمرَ الأمة في منامه. معزواً **لابن عساكر**[(٣)].

• ذكر **ابن أبي داود** في «كتاب المصاحف» أنه كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبيِّ ﷺ ولا يراه، من «كتاب الخصائص» في «باب ما كان يظهر عليه في الوحي من الآيات».

• وقال حذيفة: كان علمُ الناسِ كلهم قد دُسَّ في جُحرٍ مع علمِ عمرَ[(٤)].

• وقال **ابن مسعود**: لو وُضِعَ علمُ أحياء العرب في كفّةِ ميزانٍ، ووُضِعَ علمُ عمرَ في كفّةٍ لرجحَ عِلْمُ عمرَ، ولقد كانوا يرون أنّه ذهبَ بتسعةِ أعشارِ العِلْمِ، ولمجلسٌ كنتُ أجلِسُه مع عمرَ أوثقُ في نفسي من عملِ سنةٍ[(٥)]. انتهى كلام **أبي عمر**.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٩٥).
(٤) انظر: «الوافي بالوفيات» (٧/ ١٤٢).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).

• عن **عبد الله بن عمر** قال: ما سمعتُ عمرَ لشيءٍ قط يقولُ: إنِّي لأظنُّه كذا إلا كانَ كما يظنُّ، أخرجه **البخاري**[١].

• وعنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»[٢].

• وقال **ابن عمر**: ما نزل بالناسِ أمرٌ قطّ، فقالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآنُ على نحو ما قال عمر[٣]، أخرجه **الترمذي**.

• وعن **عمرو بن شرحبيل** عن عمر بن الخطاب أنه قال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيان شفاءٍ، فنزلت التي في البقرة: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ**﴾ [البقرة: ٢١٩]، فدُعِيَ عمرُ، فقرئت عليه، فقال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلتِ التي في النساء: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ**﴾ [النساء: ٤٣]، فدُعِيَ عمرُ، فقُرِئَتْ عليه، ثم قال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمرِ بيانَ شفاءٍ، فنزلت التي في المائدة: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾**﴾ [المائدة]، فدُعِيَ عمرُ، فقرئتْ عليه، فقال: انتهينا انتهينا، أخرجه **الترمذي**[٤].

❊ ❊ ❊

(١) في «صحيحه» برقم: (٣٨٦٦).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٢).
(٣) في «سننه» برقم: (٣٦٨٢).
(٤) في «سننه» برقم: (٣٠٤٩).

المقدمة السابعة

في بيان رجحان الشيخين على غيرهما
في الخصال التي اعتبرناها مناط الفضل الكلّي

وقبل الخوض في هذه المقدمة نبيِّن نكاتٍ عديدةً ليكونَ الخوضُ في المقصدِ على وجه البصيرة.

النكتة الأولى: ليُعلمَ أنّ سُنَّةَ الله جرت على أنَّ عباد الله المقرَّبين لا يتساوون في جميع صفات الكمال، بل يتفاوتون فيما بينهم، إن رقّة أبي بكر مطلوبة في حكمة الله تعالى، كما أنَّ شدّةَ عمرَ مطلوبةٌ عنده ﷻ أيضاً، ولا ترى أنّ الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ خلاصة البشر وأفضل بني آدم، ولا نقص فيهم بأي وجه من الوجوه، يختلفون في صفات الكمال فيما بينهم، كان داود وسليمان عليهما السلام من الملوك، وكان عيسى ويونس عليهما السلام من أهل التجرُّد، ولا ترى أنّ قاعدة السلطنة لا تستقيم بدون الأمراء والجنود وأهل الشرطة وأرباب القلم.

إنّ صفةَ الرئاسة، وحشرَ الجنود، وانتظامَ المصالح الملكية مطلوبة في الأمراء، وصفةَ الشجاعة والبطولة، مطلوبةٌ في الجنود والشرطة، وصفة الذكاء والكياسة وقوة البيان مطلوبةٌ في أصحاب القلم والقرطاس، ولا تتأدّى شؤون المملكة بدون توفّر هذه الأمور، ومعلومٌ أنّ ما يؤدِّيه فرد من أعمال وخدمات لا يستطيعه شخص آخر مِثْلَه، فكل هذه الأمور مطلوبةٌ في الهيئة الاجتماعية للسلطنة، وكذلك في النبوة الكبرى التي هي جامعة للخلافة والرسالة، فإن كلَّ هذه الأمور مطلوبةٌ فيها.

ونال سيدنا حسّان بن ثابت بشارةَ الجنَّةِ بشعره ومدحه للنبي ﷺ،

وأُبي بن كعب بحفظ القرآن، وعبد الله بن مسعود بالفقه والقرآن، وخالد باستعمال السيف، وكان الخلفاءُ الأربعةُ جامعين لأكثر صفات الكمال، ولكنّهم مختلفين ومتفاوتين باعتبار الكثرة والقلّة.

فالصحبةُ الدائمةُ بالإخلاص والحب والفناء الكلّي في مرضاة النبي ﷺ بوجه لا يخالفُه ﷺ في أيِّ حالٍ من الأحوال، ولو كان في أدنى شيء، وبذل النفس والمال والجاه في حبّ النبي ﷺ ونشر الإسلام وتبليغه، تلك هي **خصيصةٌ قد فاق فيها أبو بكر الصدّيق** غيره من أصحاب رسول الله ﷺ.

والقيام بتصريف شؤون الملّة ونشر الإسلام في أقطار الأرض مع رعاية الأدب والتعظيم مع النبي ﷺ، هي **خصيصةٌ قد فاقَ فيها عمر الفاروق**.

والإعانة بالمال في كل المناسبات، وحسن الصحبة لبنتي رسول الله ﷺ، وصلة الأرحام بوجهٍ لا يتصوَّر أحسن وأفضل منه، وكمال الحياء الذي هو عبارة عن حبس النفس عند ثوران داعية الشهوة والغضب، مع حظ وافر من نور الطهارة والعبادة والتلاوة والقيام بالعبادات المالية من الإعتاق والإنفاق، هي **خصيصةٌ فاقَ فيها عثمان ذو النورين**.

والقرابةُ القريبةُ مع النبيِّ ﷺ ودوام السعادة بتربية النبي ﷺ بمنزلة الولد في تربية الوالد، مع نجابةٍ كاملةٍ، وشجاعةٍ وافرةٍ معتبرةٍ في صفات البطولة، وزهد كامل، وورع عظيم، يناسب الولاية، مع ذكاء ثاقب وسرعة انتقال الذهن إلى أخذ المسألة في القضايا، وفصاحة كاملة، تلك هي **خصيصة قد امتاز بها علي المرتضى** عن غيره من أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد شهد النبي ﷺ بتفوُّق كل واحد منهم في هذه الخصال على سائر المسلمين.

• أخرج **الترمذي** أن رسول الله ﷺ قال: «**أرحمُ أُمَّتِي بأُمَّتي أبو بكرٍ، وأشدُّهم في أمرِ اللهِ عمرُ، وأصدقُهم حياءً عثمانُ، وأعلَمُهم بالحلالِ والحرامِ معاذُ بنِ جبلٍ، وأفرضُهم زيدُ بنُ ثابتٍ، وأقرؤهم أُبي، ولكلِّ أُمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ**»(١).

• «**وما أظلَّتِ الخضراءُ، ولا أقلَّتِ الغبراءُ أصدقُ لهجةً من أبي ذر، شِبْهُ عيسى في ورعِهِ**»(٢).

• وأخرج **الحاكم** عن **النزَّال بن سَبُرَة**، قال: وافقنا عليّاً رضي الله عنه طَيِّبَ النفسِ وهو يمزحُ، فقلنا: حدّثنا عن أصحابِكَ، قال: كلُّ أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ أصحابي، فقلنا: حدّثنا عن أبي بكر، فقال: ذاك امرؤٌ سمَّاه الله صدّيقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما(٣).

• وأخرج **ابن عبد البر** عن **طارق**، قال: جاء ناسٌ إلى ابن عباس، فقالوا: جئناك نسألُكَ، فقال: سلوا عما شئتُم.

فقالوا: أيُّ رجلٍ كان أبو بكر؟

فقال: كان خيراً كله، أو قال: كان كالخيرِ كلّه على حدَّةٍ كانت فيه.

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان عمرُ؟

قال: كانَ كالطائرِ الحَذِرِ، الّذي يظنُّ أنَّ له في كل طريقٍ شركاً.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩٠).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨٠١).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٦).

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان عثمان؟

قال: رجلٌ ألهته نومتُه عن يقظتِه.

قالوا: فأيُّ رجلٍ كان علي؟

قال: كان قد مُلِئَ جوفُهُ حكماً وعلماً وبأساً ونجدةً، مع قرابته من رسول الله ﷺ، وكان يظنُّ ألّا يمدُّ يده إلى شيء إلا ناله، فما مدَّ يده إلى شَيْءٍ فناله[1].

بالجملة: فإنّه لا يمكن أن يقول عاقِلٌ: إن أحداً يشبه عليّاً المرتضى في هاشمية النسب، ومبارزة الأقران، كما أنّه لا يمكن أن يقول: إن أحداً يشبه عمرَ الفاروق في حُسْنِ السياسة، وتدبير أمور الفتح، وبُعْدِ النظر، وكذلك لا يمكن أن يقال: هناك من يماثل أبا بكر الصدِّيق في الصحبة الدائمة، مع ابتغاء مرضاة النبي ﷺ والفناء والاستماتة في سبيله، وبذل الأموال والأسباب منذ بداية الإسلام إلى آخر لحظة حياته، وكذلك لا يمكن أن يقال: إنّ أحداً كان مثل عثمان ذي النورين في الإنفاق، والإعتاق، والحياء، وكظم الغيظ، وترك الخوض في الفتنة حين وقوعها.

هر كسے را بهر كارے ساختند   ميل او اندر دلش انداختند[2]

والنكتة الثانية: ليُعلَم أن النبي ﷺ كان ترجمان الغيب فيما قاله في مناقب كل واحد من أصحابه، وخصّه بالفضيلة التي كانت فيه وبرزت تلك الفضيلة ـ عاقبة أمره ـ حسب قوله ﷺ فقال: في شأن أُبي بن كعب: سيّد القراء، وقال: «**أمرني الله أن أعلّمك سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾** [البينة: ١]»،

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٤٩).
(٢) كلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ له، ومحبّته جُبِلت في قلبِهِ.

قال أُبَيّ: أوسمّاني الله، قال: «**نعم**»، فذرفت عينا أُبيّ.

هل تعرف ما هي الحكمة في تخصيص **أُبيّ**؟ هي أن تنتهي سلسلة قرّاء هذه الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته بمشيئة الله وقدره.

ولماذا قال في شأن **عبد الله بن مسعود**: «**ما أمرَكُم ابنُ أمِّ عبدٍ فخذوه، وما أقرأكم فاقرؤوه**»(١)؟ ذلك لأنّه قدر الله ﷻ أن تصل سلسلة الفقه والقراءة لجمٍّ غفير من الأمة إلى النبي ﷺ بواسطته.

ولماذا قال في شأن **خالد بن الوليد**: «**سيفٌ من سيوفِ اللهِ**»(٢)؟ ذلك لأنّ فتوحاً كثيرة كانت تقعُ على يده.

ولماذا قال في حقّ **سعد بن أبي وقاص**: «**عسى أن تبقى حتى ينتفعَ بك أقوامٌ ويضرُّ بك آخرون**»(٣)؟ ذلك لأنّ فتحَ العراقِ كائنٌ على يده، وزمامُ حكومتها منصرِفٌ إليه.

ولماذا قال في حقِّ **أبي عبيدة**: «**أمينُ هذه الأمةِ أبو عبيدة**»(٤)؟ قال ذلك؛ لأنَّ حلَّ عقدِ الشام كان واقعاً في يده.

وقال في حقِّ **عمرو بن العاص**: «**نِعْمَ المالُ الصّالِحُ للرجلِ الصالحِ**»(٥)، ذلك لأنّ ولايةَ مِصْرَ كانت منصرفةً إليه نهايةَ الأمرِ.

وقال في حقِّ معاوية: «**إنْ ولّيتَ أمرَ الناسِ فأحسنْ إليهم**»، ذلك لأنّ الخلافة كانت تصل إليه نهاية الأمر.

---

(١) قوله: «**ما أمركم ابن أمّ عبدٍ فخذوه**» هذه الفقرة ما وجدناها، وأما الفقرة الثانية: «**وما أقرأكم فاقرؤوه**» فأخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٨١٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٤٦)، و«مسند أحمد» (ح: ١٦٨٢٣).

(٣) «شرح مشكل الآثار» (١١/٣٦٨) برقم: (٤٥٤٠).

(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩١)، و«مسند أحمد» برقم: (١٣٩٩٠).

(٥) «شعب الإيمان» (٢/٩١) برقم: (١٢٤٨).

ودعا **لابن عباس**: «**اللَّهُمَّ علِّمه الكتابَ**»[١]، ذلك لأنّ تفسيرَ القرآن كان مقدراً نشره وإشاعته على يده.

وقال في حقّ **أنس**: «**اللَّهُمَّ أكثِرْ مالَه وولدَه**»[٢] فظهر الأمرُ وفقَ ما قال ﷺ.

وقال في حقّ **أبي ذر**: «**شِبْه عيسى في الزهدِ**»[٣]، ذلك لأنّ هذه الصفة كانت فيهِ كاملةً.

وألقى حُثياتِ العلم في حِجْر **أبي هريرة**، ذلك لأنّه ﷺ شاهدَ كثرةَ رواية الحديث في حظّه.

ولماذا قال في حقّ الشيخين: «**اقتدوا باللّذيْنِ مِنْ بعدِي أبي بكرٍ وعمرَ**»[٤]؟، ذلك لأنّ خلافتهما كانت مقدَّرةً.

بالجملة: فإنَّ مَنْ لم يعرف مناقبَ كلّ صحابي على حدته، ولم يطّلع على منزلة كلّ منهم بانفراده، لم يعرف ـ في الواقع ـ حقيقة ما قُدِّرَ في الغيب، ولم يدرك كمال مظهر النبوة على صاحبها الصلاة والسلام، فإنه لا يمكِنُ أن يُبشِّر النبي ﷺ شخصاً بالخلافة ولوازمها، ولا يقع هذا في الخارج، فإذا روى أحدٌ بشارةً صحيحةً لمن لم تظهر آثارها منه فهذا مستحيل، وإذا رُوِيت بشارةٌ بأمر قد وقع يصدِّقها أصلُ الواقعة بعد تتبّع السند.

وأشدُّ غموضاً من ذلك قول الزيدية: إنَّ الإمامةَ في الشرع حقٌّ للفاطميين.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٥). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٦٣٤٣).

(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٨٠٢)، و«الرياض النضرة» (١/ ٣٣)، وفيه «مثل» بدلاً من «شبه».

(٤) «المعجم الأوسط» (٤/ ١٤٠) برقم: (٣٨١٦)، و«حلية الأولياء» (٩/ ١٠٩).

يقول الفقير: عقيدتهم هذه فاسدةٌ، إذ إنّ تكليفَ النبيِّ ﷺ بأمر لم يقع قطُّ بعيدٌ جداً، إذ إنَّ هذا الفيضَ النبوي ينزل من موضعٍ يتمُّ فيه تقديرُ الحوادث، وإذا كان الأمرُ كذلك فلم يكن ذلك من اللطف في شيء، بل كان ذلك باعثاً على تقريب المعصية، نعوذ بالله من سوء الاعتقاد، ونرى أنَّ الشارع بيَّن مسائل العبادات والمعاملات والمناكحات والجراحات والقصاص والقضاء والحدود، ولم يُبيِّن شروط الخلافة العظمى، ذلك لأن الخلافة بشروطها لا توجد في أكثر أفراد الأمة، فاقتضت الشفقة على الأمةِ أن يترك التصريحَ بها لئلا يعصوا في ضروريات الدين، والله أعلم بحقيقة الحال.

النكتة الثالثة: أن النبيَّ ﷺ كان أعرفَ الناس بمراتبهم، وأوفاهم بالذّمة، وأكثرهم صلةً للأرحام، وأحسنهم رعايةً للحقوق، لذلك فإنه ﷺ كان يكثِرُ من رعاية صلة أولي الأرحام، ويغضب لهم، فكيف لا يقول في العباس: «**أو ما شعرتَ يا عمرُ! أنَّ عمَّ الرجلِ صِنْوُ أبيه**»[1].

وكيف لا يقول في السيدة فاطمة رضي الله عنها: «**يُرِيبُنِي ما أرابَها، ويؤذيني ما آذاها، إنَّ بني فلان يستأذنوني أن ينكِحُوا بنتهم عليَّ بن أبي طالبٍ، فلا آذنُ لهم، ثم لا آذنُ لهم**»[2].

وكيف لا يُكلِّم في شأن أبي بكر «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحبي**[3]».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٩٨٣)، وأبو داود في «سننه» برقم: (١٦٢٣).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٢٣٠)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٤٤٩)، و«سنن أبي داود» برقم: (٢٠٧١)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٨٦٧)، والترتيب في جميع هذه الكتب: «**أن بني هشام بن المغيرة استأذنوا في أن يُنْكِحُوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذنُ، ثم لا آذنُ، ثم لا آذنُ، إلا أن يريدَ ابنَ أبي طالب أن يطلِّقَ ابنتي، وينكحَ ابنتَهم، فإنَّما هي بضعةٌ مني، يريبُني ما أرابَها، ويؤذيني ما آذاها**».

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠ ـ ٣٦٦١).

وكيف لا يُكلِّم في علي «**هو مني وأنا منه**»[١]، و«**يؤذيني ما آذاه**» و«**مَنْ كنتُ مولاهُ فعليٌّ مولاه**»[٢]، و«**مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبَّني**»[٣]؟

وكيف لا يتخلّف لعلي حين الرجوع من غزوة بدر حينما وجدَ عليٌّ مَغْصاً في بطنه؟

وكيف لا يقول في الأنصار: «**الأنصارُ شعارٌ، والناسُ دثارٌ**»[٤]، و«**اللَّهُمَّ أنتم مِنْ أحبِّ الناسِ إليَّ**»[٥].

فيلزم المنصف أن يضعَ مراتِبَ الأرحام والخصائص الناشئة عن القرابة في موضعٍ، ويضعَ مناطَ المدح والثناء في الأمور الدينية المتعلّقة بالاتصاف بصفة خلافة النبوة في موضعٍ آخر، اعتباراً لكلٍّ من المعنيين، فكلمة: «**إنما هو منِّي وأنا منه**» ـ مثلاً ـ بيانٌ كمال خصوصية القرابة، وأداء حقوق الأرحام، ولا مساس لها بمسألة الفضل الكلّي، بدليل أنَّ النبيَّ ﷺ كما قال هذه الكلمة في شأن علي المرتضى وفاطمةَ الزهراءِ، قالها في حقّ العباس كذلك، ثم تنزَّل وقال في حقِّ درّة بنتِ أبي لهب هذه الكلمة بعينها، كما أخرجه أحمد عن دُرّة بنتِ أبي لهب قالت: كنتُ عند عائشةَ، فدخلَ النبيُّ ﷺ فقال: «**ائتوني بوَضوءٍ**»، قالت: فابتدرتُ أنا وعائشةُ الكوزَ فبدرتُ وأخذته، فتوضّأ، فرفع بصره إليَّ أو طرفه إليّ وقال: «**أنتِ منّي وأنا مِنْك**»[٦].

---

(١) انظر: «سنن النسائي الكبرى» (٥/ ١١٢) برقم: (٨٤٠٩)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٣) برقم: (٤٦٥٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» رقم: (٣٧١٣)، و«سنن ابن ماجه» برقم: (١٢١).

(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٦٧٤٨)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٠) برقم: (٤٦١٥).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٣٠)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٦١).

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥١٨٠).

(٦) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٧٤٣٣).

فعُلِمَ من هنا أنَّ هذه الكلمة بيانٌ لصلة الرحم، لا من باب الفضل، قال ﷺ في صدقات بني تميم: «**هذه صدقاتُ قومنا**»، ثم قدَّم «**أسلمَ**» و«**غفارَ**» و«**مزينةَ**» على «بني تميم» في الفضائل، فعُلِمَ أنَّ هذه الإضافة جاءت بمعنى صلة الأرحام لا من باب الفضل.

وكذلك: «**مَنْ سبَّه فقد سبّني، ومن آذاه فقد آذاني**» من قبيل وصل الأرحام، بدليل أنّه ﷺ قال مثل هذه الكلمة في حقّ العباس ومَنْ هم على شاكلته.

النكتة الرابعة: هي أن لفظ: «أحبَّ» وما أشبه ذلك ورد في شأن الكثيرين، وينبغي إيراده بحسب القرائن، وخصوصيات الأحوال، بمعنىً مناسب، فنقول مثلاً: الحبّ على عدة أنواع؛ كحبّ المرءِ لزوجته، وحبّه لأولاده، وحبّ صاحب الكمال لشخص آخر مثله بسبب الموافقة في الكمال، وحبّه ليتيم، لكونه محلّ الشفقة، وحبّ التلميذ لشيخه، وكل هذا الحبّ يختلِفُ بعضُه عن بعضٍ، وزيادةُ نوعٍ منه في فردٍ وزيادةُ نوعٍ آخرَ في فردٍ آخرَ معقولةٌ مفهومةٌ.

فإذا قال النبيُّ ﷺ في عائشة: «**أحبّ الناس**» مرةً، وقاله ثانيةً في أسامةَ بن زيد، وثالثةً في أبي بكر الصدِّيق، ورابعةً في عليّ المرتضى فلا تناقُض ولا تعارُضَ، بل في كلِّ حديثٍ إشارةٌ إلى حبٍّ خاصٍّ، فافهم.

النكتة الخامسة: وقد سبق أنّ حقيقة الفضل إنّما هي وجودُ خصلةٍ في شخصين، ورجحان أحدهما على الآخر في تلك الخصلة.

والآن ينبغي أن يُعلمَ أنّ الرجحان يكون تارةً باعتبار أنواع هذه الخصلة، فيظهر نوعٌ منها في شخص، ونوع آخر في شخص آخر، ويكون النوع الأول أنفعَ من النوع الآخر في الصناعة المتكلَّم فيها.

فالشجاعة على قسمين مثلاً، شجاعة الأبطال، وشجاعة الملوك، وشجاعة الملوك أنفعُ شيءٍ في الخلافة الكبرى.

وصفة العلم لها شعب كثيرة، منها سرعة انتقال الذهن إلى أخذ المسألة، ومنها الخروج من مقام الاشتباه وتعارض الأدلّة بوجهٍ يناسِبُ الصناعة المقصودة.

ومثال ذلك: أنّ مَنْ كان في العلم المنقولِ أوثقُ في الحفظ، ويخلو حديثه من النكارة، هو أقوى وأفضل ممّن كان له فهم ثاقبٌ على تسرّب الأوهام في حديثه.

والزهد على نوعين مثلاً: زهدُ الأولياءِ الذي هو عبارة عن النفور عن الدنيا، وترك المداخلة فيها رأساً، وزهدُ الأنبياء الذي هو عبارة عن طرح الطمع، مع العناية بإصلاح العالم، والمداخلة في المال والجاه بوجه لا يُتصوَّر أحسن منه، وذلك لله في الله، ويكون هذا الرجحان تارةً باعتبار ظهور آثار هذه الخصلة من أحدهما بتكرارٍ، بحيث يفيد أن ملكة أحدهما أرسخ من الآخر، فافهم.

النكتة السادسة: يجوّز العقلُ أن يكون شخصٌ لم يصاحب النبيِّ، بل لم يعرفه، وجرى تقديرُ الله تعالى على أن يجعلَ هذا الشخص متمِّماً لبعض الأعمال المطلوبة من النبيِّ، ويُطْلِعُ اللهُ نبيَّه على هذا السرّ، فيتخذه خليفةً له، ويكون هو أفضل الأمة والناس لرعيته، وهذه فضيلة مستقلة.

وأيضاً يجوِّز العقل أن يكون شخصٌ في أوائل بعثة النبيّ، له سعي جميل في تبليغ الدين وإشاعته، باعتبار توحيد ما بين صفوف الناس، والتأليف بين قلوبهم، ويقوم بالإعانة والنصرة في قطع دابر الأعداء، وتشتيت شملهم، وترسيخ قواعد الملّة، ورحمة الله النازلة على النبي ﷺ

تؤثّر في هذا الشخص، لأجل هذه الخصال، ثم يُتوفّى النبيُّ بعد ذلك، وهو حيٌّ، وهو أفضلُ الأمةِ، والآخرون من الناس تابعون له، وهذه فضيلة مُفْرَدَةٌ أيضاً.

ومن مِنَّةِ الله تعالى على الشيخين أنهما قد جمعا بين كلا النوعين من الفضيلة، وإذا كانت جماعةٌ تساوي الشيخين في الفضيلة الثانية حسب زعم بعض الناس، فإنّا لا نسَلِّمُ أن يقع الفضل الكلّي بذلك؛ لأنهما قد جمعا بين كلتا الفضيلتين.

النكتة السابعة: أراد الله تعالى أن ينشر دينه بواسطة نبيِّه في الآفاق، ولم يكن هذا المعنى ليُتصوَّر بدون العلماء والقراء، الذين قاموا برواية علم القرآن والسُّنَّة عن النبي ﷺ، فبيَّن فضائلَ جماعة من الصحابة على لسان النبي ﷺ ليكونَ حثّاً وتحريضاً على أخذ علم القرآن منهم، وهذه الفضائلُ بلسانِ النبوَّةِ في شأن أصحابه بمنزلةِ إجازات المحدِّثين لتلاميذهم، ذلك لأنَّ الذين لا يستطيعون معرفة الرجال بالأقوال، يعرفون الأقوال بالرجال، لأجل ذلك في ضوء هذه الفضائل الواردة في شأنهم، ويشترك في هذه الفضائل جميعُ علماء الصحابة، كما يظهر من كتب الحديث: «**أنا مدينةُ العِلْمِ وعليٌّ بابُها**» من هذا الباب، و«**أقرؤكم أُبَي**»، و«**أعلمُكم بالحلالِ والحرامِ معاذ**» من هذا الباب أيضاً.

ونتوجَّه الآن إلى أصل الكلام بعد أن ذكرنا هذه النكات وهو أن الشيخين أفضل من سائر الصحابة.

قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

قال الواحدي: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾؛ يعني:

فتح مكَّة[١]، قال مقاتل: لا يستوي في الفضل من أنفق ماله وقاتل العدوّ من قبل فتح مكة مع من أنفق من بعدُ وقاتل[٢].

قال الكلبي في رواية محمد بن الفضل: نزلت في أبي بكر، تدلّ على أنه أوّلَ من أسلم، وأول من أنفق ماله في سبيل الله، وأول من قاتل على الإسلام[٣].

وقال عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه بسيفه النبيُّ ﷺ وأبو بكر[٤].

وقد شهد له النبي ﷺ بإنفاق ماله قبل الفتح، فيما أخبرنا عبد الله بن إسحاق بإسناده عن ابن عمر قال: كنتُ عند رسولِ اللهِ ﷺ، وعنده أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وعليه عباءةٌ قد خلَّلها في صدره بخلال، فنزل عليه جبريلُ فقال: ما لي أرى أبا بكر عليه عباءةٌ قد خلّلها في صدره بخلال؟ فقال: «**أنفقَ مالَه عليَّ قبلَ الفتحِ**» قال: فإنّ الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام، وقل له: أراضٍ أنتَ عني في فقركَ هذا أم ساخِطٌ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر! إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: أراضٍ أنتَ في فقرِكَ هذا أم ساخِطٌ؟**» فقال أبو بكر: أأسخطُ على ربِّي؟ أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ، أنا عن ربي راضٍ[٥].

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾، قال عطاء: درجات الجنة تتفاضل، فالذين أنفقوا من قبل الفتح في أفضلها،

---

(١) انظر: «الوجيز للواحدي» (١/ ٩٨٤).

(٢) ما وجدنا هذا اللفظ بعينه في تفسير مقاتل، ولكن وجدناه بعينه في «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣) بواسطة الشعبي.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣).

(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٣٦).

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٤١)، قال السيوطي: سنده ضعيف جداً.

قال الزجاج: لأن المتقدّمين نالهم من المشقة أكثر ممّا نال مَنْ بعدهم، وكانت بصائرهم أيضاً أنفذ[١]، ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]؛ أي: وكِلا الفريقين وعده الله الجنة[٢].

• أما أفضلية الشيخين بالنسبة للذين أسلموا من بعد الفتح فهي ثابتة بمنطوق هذه الآية.

وأمّا أفضلية الشيخين بالنسبة للجمع الكثير من الأنصار والمهاجرين الذين هم مشتركون في أصل هذه الصفات، فهي ثابتة بمفهوم هذه الآية أيضاً، إذ إنّ فحوى الآية يدلّ على أن إعانة النبي ﷺ في القتال والإنفاق كلَّما سبقت زاد الفضل وكثر، فينعكس من خلال ذلك حال العباس وخالد، وكذلك الطائفة الذين نصروا النبي ﷺ في بداية الأمر، ولكن ما عاشوا إلى نهاية الأمر حتى يؤازروا النبي ﷺ كحمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وكذلك الذين قاموا بتبليغ الإسلام، ونشر دعوته، ولكن لم تظهر منهم نصرةُ الإسلامِ في الجهادِ والقتال كأُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل.

وأما ما ينبغي ـ ختاماً ـ التحقيقُ فيه، والفحص عنه هو حال عليّ المرتضى، فنقول: أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه بإرادة الله لبعثة النبي ﷺ فهي ثابتة بوجهين.

أحدهما: البشارات الصريحة التي وقعت في المنامات، وقد صرّح فيها بحال الشيخين، بخلاف عليّ المرتضى.

والثاني: ما وقع في العالم الخارجي من الوقائع والحوادث، إذ إنّ

---

(١) انظر: «فتح القدير» (٧/ ١٤٦).
(٢) انظر: «زاد المسير» (٥/ ٤٨٥).

الوجود الخارجي لهذه الوقائع إنما هو مبين وشارح لبشارات الصادق المصدوق ﷺ، فقد بشَّر النبيُّ ﷺ الشيخين باستخلافهما، وانتظام أمور الدين على أيديهما، وظهور الفتوح الكثيرة على أيديهم من الغيب، وقد وقع كل ما بشَّر به النبي ﷺ بخلاف المرتضى؛ إذ إنّ الفتوحَ لم تظهر في أيام خلافته، وكيف يمكن أن يبشِّر النبي ﷺ بأمر لا يقع أبداً.

إن قلتَ: كلُّ ما يحدث في العالم من خير وشر فهو بإرادة الله تعالى، والمناماتُ مبيِّنةٌ ومخبرةٌ بالأمر المقبل، فكيف تكون المنامات والبشارات مناطَ الفضيلة؟ وكيف يحصل التشبُّه بالأنبياء بناءً على المنامات؟

قلنا: نعم! لكنّ العدلَ الذي يصدر من الملوك هو بإرادة الله تعالى، والعدلُ الذي يظهر من الأنبياء هو بإرادة الله أيضاً، وكذلك تعليم علم يكون من قِبَل العلماء، وتلقين علم يصدر من الأنبياء، كلاهما بإرادة الله، ولا بدّ أن يكون بين الطبقتين؛ أي: الملوك والأنبياء والعلماء والأنبياء بون شاسع وفرق واضح، فينبغي التأمل هنا: من أين ظهر الفرق؟

فمبدأ الفرق أنّ هؤلاء ـ غير الأنبياء من الملوك والعلماء ومن هم على شاكلتهم ـ بمنزلة الحجر والخشب في إنجاز الأمور المتعلِّقة بهم، ولا تفهم ذواتهم ونفوسهم ما هُيّئ لها من عند الله تعالى، ولا تنصبغ بصبغة إرادة الله تعالى وهي لا تتجرَّد لخدمة إرادة الله، كالسهم الذي يرميه الرماة إلى الكفّار، وينصرون الدين بقتل الكفار به، فأي فضيلة تكون للسهم؟ وأي قربة له؟

ولكن النبيّ يعرف بسبب لحوقه بالملأ الأعلى ما أراد الله به من شيء، وترتسم صبغةٌ من إرادة الله تعالى في نفسه، وتتفرَّع من هذه

الصبغة فروعٌ كثيرة في نفسه، وتشتغل قواه العقلية والقلبية كلها بشؤونها لله وفي الله، وشتَّان بين المرتبتين.

وبعد أن انقطعت النبوة لا يقع التشبّه بهذه الفضيلة بغير أن تقتضي نفس الإرادة الإلـٰهية التي لمعت في صدر النبيِّ المُدَاخَلَة في بعض تلك الأمور، التي صعد النبي ﷺ قبل إنجازها إلى الملأ الأعلى، وذلك بنوع من نسبة النبي ﷺ، وتظهر على يد غيره، بحسب الصورة المرعيَّة المناسبة، فهذه المناماتُ تخبِرُ بأنّ إنجاز هذه الأمور يتمُّ على يد فلان وفلان، وهذه المناماتُ والبشاراتُ بإظهار كمال الرضا في هذا الباب وتربية النبي ﷺ لهما ظاهراً وباطناً واستخلافهم بالنص والإشارة، وتمهيد أصول هذه الأمور، وتأسيس قواعد هذه المطالب نوعٌ من مداخلة النبي في هذا الأمر، فيشعر بنيابة النبي في هذا الأمر، وترتسم صبغة هذا المعنى في نفسه الناطقة، وتثير قواه القلبية والعقلية وتهيِّجها، فكأنَّه يصبح جارحةً من جوارح النبي، ورحمة الله الخاصة التي كانت تتوجَّه إلى النبي ترتكز إليه أيضاً، ومن جهة ذلك أصبحت هذه البشارات والاستخلاف مناط الفضيلة، وكما أنَّ هذه النكتة لم تخطر ببال أكثرِ العلماء لذلك لم يحسبوا لهذه البشارات حساباً، ولم يقيموا لها وزناً، ولم يعتمدوا في باب الفضائل عليها اعتماداً كلياً، ولكن الحقّ ما قلتُ.

أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه في **الجزء العلمي**، فهي من جهة أنّ العلم على نوعين، النوع الذي يختصّ بالشيخين له دخل أكثر في خلافة النبوّة من النوع الذي يختصّ بعليٍّ المرتضى، ويتوقَّف تفصيل هذا الإجمال على تحقيقين:

أحدهما: أنَّ عمرَ الفاروق وعليّاً المرتضى قد بُشِّر كل منهما بزيادة الجزء العلمي بصريح الأحاديث، وبُشِّر أبو بكر الصدِّيق بدلالة التضمُّن

في حديث: «**اقتدوا باللّذيْنِ من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**» إذ إنَّ الإمام لا يكون إلا مَنِ امتازَ بالعلم، ولكن يظهر من تتبّع الآثار المنقولة فيهم أن علياً المرتضى كان له فضل وزيادة في سرعة الانتقال إلى مأخذ المسألة، ولذلك نقلت عنه روايات المحاسبات العجيبة، والقياسات الدقيقة بعدد لا يُحصى، وكان عمر الفاروق أكثرَ اعتناءً بها عند انعقاد الإجماع كما قد حرَّرنا في مسائل كثيرة.

• عن **حنش بن المعتمر** أن عليّاً رضي الله عنه كان باليمن، فاحتفروا زُبْيَةً(١) للأسد، فجاء حتى وقع فيها رجلٌ، وتعلَّق بآخر، وتعلَّق الآخر بآخر، وتعلَّق الآخر بآخر، حتّى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد فيها، فمنهم من مات فيها، ومنهم من أُخْرِجَ فمات، قال: فتنازعوا في ذلك حتى أخذوا السلاح.

قال: فأتاهم علي رضي الله عنه، فقال: ويلكم تقتلون مائتي إنسان في شأن أربعة أناسي، تعالوا أقض بينكم بقضاء، فإنْ رضيتُم به، وإلا فارتفعوا إلى النبيِّ ﷺ.

قال: فقضى للأول ربع دية، وللثاني ثلث دية، وللثالث نصف دية، وللرابع الدية كاملة، قال: فرضي بعضُهم، وكره بعضُهم، وجعل الديةَ على قبائل الذين ازدحموا، قال: فارتفعوا إلى النبي ﷺ، قال: بهز، قال: حماد أحسبه قال: كان متكئاً فاحتبى، قال: «**سأقضي بينكم بقضاء**»، قال: فَأُخْبِرَ أنّ علياً رضي الله عنه قضى بكذا وكذا، قال: فأمضى قضاءه، أخرجه **أحمد**(٢).

• وعن **زيد بن أرقم**، قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذ جاءه

(١) **الزبية**: الحفرة لصيد السباع.

(٢) في «مسنده» برقم: (١٣١٠).

رجل من أهل اليمن، فجعل يحدّث النبي ﷺ ويخبره، فقال: يا رسول الله! أتى عليّاً رضي الله عنه ثلاثةُ نفر يختصمون في ولد وقعوا على امرأة في طهر واحد، فقال لاثنين: طيبا نفساً بهذا الولد، ثم قال: أنتم شركاء متشاكسون، إني مقرعٌ بينكم، فمن قُرِعَ له فله الولد، وعليه ثلثا الدية لصاحبيه، فأقرع بينهم، فقرع لأحدهم، فدفع إليه الولد، قال: فضحك النبيُّ ﷺ حتى بدت نواجذُه، أو قال أضراسه، أخرجه **الحاكم**[1].

• وعن **زِرِّ بن حُبيش**، قال: جلس رجلان يتغدَّيان، مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما، مرَّ بهما رجل فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس، وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل، وطرح إليهما ثمانيةَ دراهم، وقال: خذا هذا عوضاً ممّا أكلتُ لكما، ونلته من طعامِكُما، فتنازعا.

وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسةُ دراهم، ولك ثلاثة.

فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلا أن تكونَ الدراهمُ بيننا نصفين.

وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقصَّا عليه قصّتهما، فقال لصاحبِ الثلاثة الأرغفة: قد عرضَ عليك صاحبُكَ ما عرضَ، وخبزه أكثر من خبزِكَ، فارض بثلاثة.

فقال: لا والله لا رضيتُ منه إلا بِمُرِّ الحقِّ.

فقال علي رضي الله عنه: ليس لك في مرِّ الحقِّ إلا درهمٌ واحدٌ، وله سبعةٌ.

(١) في «المستدرك» (٣/ ١٤٦) برقم: (٤٦٥٩).

فقال الرجل: سبحان الله يا أميرَ المؤمنين! وهو يعرضُ عليَّ ثلاثةً فلم أرضَ، وأشرت عليّ بأخذِها فلم أرضَ، وتقول لي الآن: إنّه لا يجبُ في مرِّ الحقِّ إلا درهمٌ واحدٌ؟!

فقال له عليٌّ: عرض عليك صاحبُكَ الثلاثة صلحاً، فقلتَ: لم أرضَ إلا بمرِّ الحق، ولا يجبُ لكَ بمرِّ الحقِّ إلا واحدٌ.

فقال له الرجلُ: فعرِّفني بالوجه في مرِّ الحقِّ حتى أقبلَه.

فقال علي رضي الله عنه: أليسَ للثمانيةِ الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يُعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقّل؟ فتُحملونَ في أكلكم على السواء.

قال: بلى.

قال: فأكلتَ أنت ثمانية أثلاثٍ، وإنّما لك تسعةُ أثلاثٍ، وأكل صاحبُكَ ثمانية أثلاثٍ، وله خمسةَ عشر ثلثاً، أكل منها ثمانيةً ويبقى له سبعة، وأكل لك واحداً من تسعة، فلك واحدٌ بواحدِك، وله سبعةٌ بسبعته.

فقال له الرجل: رضيتُ الآن، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[1].

● وقال في مسألة العول: «صار ثمنُها تسعاً»[2].

وكان عمر الفاروق رضي الله عنه فائقاً في المناظرة والمشاورة في المسائل الشرعية، حتى يقوم بالموازنة بين الأقيسة المتعارضة ويُقنع جميع العلماء بالقول الراجح، ويرتفع الخلاف من بين الناس، وينعقد الإجماع الذي

---

(١) (١/ ٣٤٠).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، البيهقي (٦/ ٢٥٣) برقم: (١٢٢٣٥).

هو أصل ثالث في الأدلة الشرعية، ولذلك قال ابن مسعود: «كان عمر إذا سلك مسلكاً وجدناه سهلاً»[١]، ولم ينعقد إجماع في زمن علي المرتضى، ولم تقع مشاورة بين العلماء، ولم يظهر العلم كان شائعاً بين جميع أهل الإسلام، وهذا المعنى لا يخفى على كل من له أدنى معرفة بآثار السلف ولا يحتاج إلى بيان، وقد أشار النبي ﷺ لكل واحد منهم إلى صفة تختص به، فقال في حق عمر الفاروق: «**فأوّلته الدين**»، وقال في حق علي المرتضى: «**أقضاكم علي**»[٢]، و«**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»[٣] إذ إنّ القضاء موقوفٌ على سرعة انتقال الذهن، وكذلك الحكمة أيضاً، والدين عبارةٌ عن الأمر الذي يتّفق عليه الناسُ، ويتناقلونه عن صاحب الملّة.

واختلف أصحاب المرتضى في فهم كلامه، وذهبوا مذاهب شتّى، فروى جماعةٌ عنه ـ مثلاً ـ براءته عن المشاركة في دم عثمان، وفهم جماعةٌ أخرى بكلامه رضاه بقتله، وهو «قتله الله وأنا معه»[٤]، قاله ابن سيرين، رواه ابن أبي شيبة»[٥].

وكذلك في كلِّ حادثةٍ معضلةٍ من الفقه وغيره مثل تحريم المتعة وغسل الرجلين، قد سمعوا كلمات دقيقة من عليّ المرتضى، وتحيَّروا في تطبيقها، وانفتح باب الاختلاف.

ولكنّ أصحاب الفاروق قد فهموا في معظم الأحوال من كلامه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٤١) برقم: (٣١٠٥٧).

(٢) انظر: «الوافي بالوفيات» (٦/ ٤٤٥)، و«الملل والنحل» (١/ ٤٦).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٧) برقم: (٤٦٣٧).

(٤) قال الإمام أبو القاسم الطبراني (١/ ١١٢): كأنه يعني: أن الله تعالى قتله وأنا معه مقتول رضي الله عنهما.

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٨) رقم: (٣٨٨٣٤).

مفهوماً واحداً، ولم يختلفوا فيه، ولم يتحيَّروا في رأيه، وقد أشار الفاروق نفسه إلى هذه النكتة قائلاً: «إنّ الفجورَ هكذا، وغطَّى رأسه إلى حاجبيه، ألا إنّ البرّ هكذا وكشفَ رأسه»[١].

ونوضّح الحاجة إلى الموازنة بين الأقيسة المتعارضة بمثال، وهو أنّ كيل اللبن وسرعة انتقال الذهن إليه ـ مثلاً ـ خصيصة عليّ المرتضى، وموازنته بالأدلة الشرعية والتنبُّه على أن كثيراً من وجود معرفة الحال يقول به الأطباء وتصدِّقه التجربة والمشاهدة لا يُعْتَبَر في الشرع، كما أنّ الأطباء يعرفون أنّ من علامات البلوغ انشقاق أرنبة الأنف، ولكن لا يعتبر في الشريعة غير بلوغ خمسة عشر عاماً، والاحتلام، والإحبال، والحيض، ونباتُ العانة، فكيل اللبن مهما كان له أصل لا يُعتبر به في مظانّ كليات الشرع، ولذلك لا يُذكر حكم هذه المسألة في المذاهب الأربعة بغير الشهادة واليمين، مثل هذه الموازنة خصيصة فاروقية.

وكذلك «الاقتراعُ هو حكَمٌ في الأمور المشتبهة» عند علي المرتضى، وإقراره بأنّ الاقتراع حُكْمٌ هو في موضع اجتماع الحقوق المتساوية، لا في موضع إثبات حق، وإن قال رجل ـ مثلاً ـ إني جامعتُ أمَّ فلانٍ في المنام، وذلك سبَّبَ إيذاء له، فيقضي علم عليّ المرتضى في هذه الصورة إقامة الرجلِ في الشمسِ وضربهِ بالدِّرَّة، إذ إن عالم الخيال ظلُّ عالم الشهادة، ويقضي علم عمر الفاروق بزجره، وتوبيخه ليكون ردعاً له عن الإيذاء، وهذا يشبه نهي النبيِّ ﷺ عن سبِّ أموات الكافرين، «**لا تؤذوا الأحياء**»، وكذلك منعُ عمر الفاروق الشعراءَ من الهجو.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٩٨) برقم: (٣٤٤٨٢).

والتحقيق الثاني: أنّ الأشبه بخلافة النبوة أن تُنْشَرَ العلومُ المنقولة عن الأنبياء بين الناس، ويُترك المجمل بإجماله، ويُذكر المفصَّل بتفصيله، إذ إنَّ الشارعَ لا يترك شيئاً بالإجمال إلا لحكمة، ولا يفصِّل شيئاً إلّا لمصلحة فيه، وسنَّة الأنبياء عليهم الصلوات والسلام أن العمل مقصودٌ عندهم أكثر من العلم، ويلقون من العلم ما يهذِّب نفوسَ الناس، ولا يكلِّمونهم بكلام دقيق، ولا يعملون ما يدهش أذهان المخاطبين، ويُشعرهم بأنّ في قلوبهم غير ما ينطقون به باللسان، ثم العلمُ الذي يقومون بتلقينه نيابةً عن الأنبياء مهما كثرت الإشارات فيه إلى صاحبه، وقلَّ الاستبداد بالرأي، ومهما كثر التقليد للنبيِّ، وقلَّ الخوض بالعقل، ومهما كثر الخروج من مضايق الاختلاف، وكثر الإجماعُ كانت النيابة للنبيِّ أقوى والخلافة أحكم.

وهنا أقول كلاماً أكثرَ غموضاً من ذلك، وهو أنَّ الفضيلةَ التي حصلت للخلفاء هي من جهة أنّ العلمَ الذي قام النبيُّ ﷺ بتأسيسه وتنظيمه، ولم يبلغ درجة الشهرة والكمال في حياته، فزادوه شهرةً وانتشاراً، ليكونوا جارحةً من جوارح النبي ﷺ في إنجاز أمره، وإنّ العلوم الحديثة ولو كانت أكثرَ دقةً في النظر وعمقاً في الفكر لا تساوي شعيراً بجنب كونهم جارحةً من جوارح النبي ﷺ، ولذلك كان الصحابة أحبَّ خلق الله عند الله ورسوله ﷺ وصالحي المؤمنين رغم قلَّة تدقيقهم في الكلام، وإن أصحاب العلوم العقلية في زماننا قد ازدادوا بعداً عن الله ورحمته رغم تدقيقهم وبُعد نظرهم.

فدائ كوري خفاش جشم بينائي كه بى خبر ز رُخ آفتاب نيم شبي است[1]

(١) ينبغي أن تفدى عينُ ذي البصر على نقص بصر الخفاش، الذي لا يشاهد نور القمرِ نصفَ الليلِ.

وخطاب هذا الكلام إلى حكماء عصرنا الذين حُرِموا ميراث الأنبياء لاشتغالهم بالعلوم المستحدثة، هدانا الله تعالى وإياهم طريق الحق.

وقد روى الناس عن عليّ المرتضى أشياء، وإن فُحِصَتْ من جهة الإسناد يتلاشى كلُّ ذلك.

أما رواية الجفر[١] الأبيض ومصحف فاطمة[٢] فهما باطلتان، إذ إنَّ عليّاً قد روي عنه بالتواتر ما يخالف ذلك ويكذِّب.

● عن **أبي الطفيل** قال: سئل علي رضي الله عنه: هل خصَّكم رسول الله ﷺ بشيء؟

فقال: ما خصَّنا رسولُ اللهِ ﷺ بشيءٍ لم يعمَّ به الناسَ كافّةً إلا ما كان في قراب سيفي هذا، قال: فأخرجَ صحيفةً فيها مكتوبٌ: «**لعنَ اللهُ مَنْ ذبحَ لغيرِ اللهِ، لعنَ اللهُ مَنْ سَرَقَ مَنَار الأرض، ولعنَ الله مَنْ لعنَ والديه، ولعنَ اللهُ مَنْ آوى مُحْدِثاً**»، أخرجه أحمد[٣] وأسانيده متواترة، ومن أراد فلينظر هذا الحديث في «مسند الإمام أحمد».

● وأما المعارف الدقيقة لعلم وحدة الوجود، فهي باطلةٌ باتفاق حملة العلم عن عليٍّ المرتضى، إذ إنّ حملةَ العلم عنه رضي الله عنه إمّا أهل السُّنَّة، وإمّا الإمامية وإما الزيدية، وقد عُلم بالاستقراء التامّ أنّ غير هذه الفرق الثلاث لم يُعن بأخذ العلم عنه رضي الله عنه.

---

(١) الجفر: الكنانة والجعبة التي تجعل فيها السهام، والشيعة يقولون: إن النبي ﷺ كتب لعلي أشياء مخصوصة وهو يضعها في الجفر الأبيض، **هذه رواية باطلة**.

(٢) من عقائد الشيعة أنّ جبريل كان يأتي إلى السيدة فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة النبي ﷺ ويواسيها، ويخبر ما يعاني أولادها من الوقائع، وكان عليٌّ يكتبها، وتسمَّى هذه المجموعة مصحف فاطمة، هذه روايةٌ باطلةٌ.

(٣) «مسند أحمد» برقم: (١٣٠٧).

أما أهل السُّنَّة فإن علم وحدة الوجود لم يوجد في طبقة الصحابة والتابعين وأتباع التابعين أصلاً، ولم يعرفه علماء النقل والرواية، أمّا المتأخِّرون من أهل السُّنَّة ممّن قالوا بذلك مستندهم هو الكشف وحدَه، دون الرواية والنقل، وإن كُلِّموا في ذلك بطريق الاعتبار فإنه شيء لا يمسُّ موضوعنا بأي شكل.

وأما **الزيدية**، فإنّهم ينكرون الولاية نفسها، وينقلون هذه السلسلة عن أئمتهم خلفاً عن سلف.

وأما **الإمامية**، فإنهم ينكرون ذلك أيضاً، كما لا يخفى، فلو كانت هذه العلومُ مرويةً ومنقولةً عن علي ﷺ لكانت إحدى هذه الفرق الثلاث ناقلةً لها عنه، وقائلة بها.

وأما الكتب والبينات فأمرها أحقر شأناً بحيث لا يحتاجُ إلى بيانٍ مزيدٍ، وما ثبت عنه هو **علم السُّنَّة** والفقه وتهذيب النفس فحسب، وحملةُ العلمِ عنه في هذه الأبواب كأنّهم متشاغلون بلعبة الشطرنج، وبينهم الكرة والصولجان، ولو ثبت شيءٌ من هذه الأبواب ـ على سبيل الافتراض ـ فإنه ليس من جنس خلافة النبوة ولا علاقة له بموضوعنا هذا، وما يروى من هذه العلوم عن علي المرتضى، فإنه ليس منفرداً به، بل هو أحدُ علماء الصحابة، ورواياته تساوي روايات عبد الله بن مسعود مثلاً، والصفات التي تختص به قد ذكرناها سابقاً.

• أما أفضلية الشيخين باعتبار التشبُّه في **الجزء العملي للنفس الناطقة بالنسبة للسياسة المدنية وترتيب الجيوش**، فهذا أمر ظاهر «كالشمس في رابعة النهار»، وكان العالم الإسلامي في عهد الشيخين متفقاً على الرأي الواحد من غير اختلاف، وكان الناسُ جميعاً متحابِّين فيما بينهم، ومقاتلين الكفارَ في سبيل الله، وكانوا ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ

بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وكثرت الاختلافات بين المسلمين في عهد علي المرتضى وتفرَّق الناس إلى أحزاب مختلفة، أغمد المسلمون سيوفهم عن الكفار وسلّوها فيما بينهم، وكل تدبير اختير لردِّ هذه الفوضى وفساد النظام زاد الفجوة اتساعاً ولم يعد بأمن وطمأنينة، إلى أن خرجت الأمور من يد عليّ المرتضى، ولم يبقَ في تصرُّفه غير الكوفة ومُضافاتها، وذلك مع منازعات ومزاحمات شتَّى، ويتفق المؤيِّدُ والمعارِضُ على أصل هذه القصة، ولو أنهم مختلفون في تصويبه وتخطئته وإعذاره وعدم إعذاره.

إن قلت: إنّ فتح العراق والشام ومصر، وكسر شوكة «كسرى» وقصر نطاق حكم «قيصر»، وجعل الأمة كجسد واحد بعد وفاة النبي ﷺ يحتمل أن يكونَ كلُّ ذلك لأسباب خارجية، كتعلّق إرادة الله تعالى بتأييد الإسلام وغلبة المسلمين على الكافرين، كما قال عزَّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، ولم تكن خصلة الفتنة والفساد في الناس ـ مثلاً ـ في العصر الأول ونشأت فيهم رويداً رويداً، وكانت فيهم رغبةٌ قويةٌ في الجهاد ببركة صحبة النبي ﷺ ولَمَّا بَعُدَ زمن النبيِّ ﷺ استترت هذه البركة النبوية، وفي هذه الصورة لا تكونُ هذه الأمور مثبتةً للأفضلية، إذ إنَّ المتقدِّم لو كان في زمن المتأخِّر لجرت عليه أحوالُ المتأخِّر لا محالةَ، ولو كان المتأخِّر في زمنِ المتقدِّم لتحقَّقت عليه أحوالُ المتقدِّم جزماً.

قلنا: إنَّ الفيضَ الإلٰهيَّ رغم أنّه لا يتوقَّف على استعداد دون استعداد، لكنّ سنَّة الله جرت على أنَّ الفيض الإلٰهي لا يجري إلا على يد من استعدَّ لذلك، فإذا جرى الفيض الإلٰهي على يد أحدٍ، فكان ذلك سبباً لفضله، ولا نسلِّم أنّ خصلة الفتنة لم تكن في الناس في العصر الأول، ألا ترى أن الكثيرين ممن أسلموا ارتدُّوا عن الإسلام بعد وفاة

النبي ﷺ ولم تقم الجمعةُ إلا في ثلاثةِ مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد جواثى، وقد عادوا جميعاً إلى الإسلام بحسن تدبير الشيخين.

وإن جاز حملُ ما يقوم به المرء من أعمال حسنة على الصدفة والاتفاق من غير نسبتها إلى خُلُق راسخ البنيان بطلت قاعدة العقل، ولزمت السفسطة، إنْ أسندناها إلى سنَّة الله من غير أن تسبِّب المدح والذمّ لصاحبها بطلت قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتفاضل بين الناس، وجرى هذا المقالُ على عليّ المرتضى ولا يُعتدّ بصفاته المدحية ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور].

ومن أحد الدلائل على بطلان هذا التصوّر الخاطئ أنَّ الصحابة الذين رأوا هذه الجماعة وصاحبوهم اهتدوا بأفعالهم إلى أخلاقهم، وذكروا هذه الأخلاق في تضاعيف صفاتهم، كما روينا عن ابن عباس.

وبعد التي واللتيا، فإنّ مدار الأفضلية في خلافة النبوة إنما هو أنْ يكون جارحة من جوارح النبي، وأن يتمّ أمر النبي ﷺ من بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى على يد خلفائه، ولا علاقة لنا بأصل الأخلاق مثل الشجاعة والحكمة، فلما وجدنا هذا المعنى في الشيخين اعتقدنا أفضليتهما.

إن قلتَ: إنّ الغايةَ من وراء هذه الحروب لدى عليّ المرتضى إنما كانت إظهاراً للحق، ونفياً للباطل، فكانت حروبه نوعاً من الجهاد في الحقيقة.

قلنا: لا شكَّ في أنَّ نيَّة علي المرتضى من وراء هذه الحروب لم تكن غير الإصلاح، ولأجل ذلك لا يتلوَّث بأي تهمةٍ بسبب هذه المعارك، ولكن لم يثبت أن يكون جارحةً من جوارح النبي ﷺ، ذلك

لأنَّ نفي هذه المفاسد والفتن لو كان مقدَّراً لكان النبيُّ ﷺ أمرَ بذلك، وقام بالمداخلة بوجه من الوجوه، كما قد فعل في فتح الشام والعراق وتنبَّأ به، وكان لسعيهم فيه ثمراتٌ طيبة، فلمّا لم يقع نفيُ هذه المفاسد والفوضى، بل كل تدبير جاء بنتيجة مقلوبة عرفنا أنَّ هذه ليست من جنس ما وعد الله به رسوله ﷺ، فينجزه غيره، وينجزه إذا توفِّي قبل إتمامه، نعم تحقَّق هذا المعنى في قتال الخوارج، ووقعت بشارة النبيِّ ﷺ بالنسبة لهذه الحادثة، وقد بيَّن عليّ المرتضى هذه القصة بنفسه.

عن **أبي كثير** مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حيث قَتَلَ أهل النهروان، فكأن الناسُ وجدوا في أنفسهم من قتلهم، فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا أيها الناس! إنَّ رسولَ الله ﷺ قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدِّينِ، كما يمرقُ السهم من الرمية، ثم لا يرجعون فيه أبداً، حتى يرجعَ السهم على فوقه، وإنَّ آية ذلك أنَّ فيهم رجلاً أسودَ، مخدّج اليدِ إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمةٌ كحلمةِ ثدي المرأة حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم، فالتمسوه فوجدوه إلى شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبَّر عليٌّ رضي الله عنه فقال: الله أكبر! صدق الله ورسوله، وإنّه لمتقلِّدٌ قوساً له عربية، فأخذها بيده، فجعل يطعن بها في مخدجيه، ويقول: صدق الله ورسوله، وكبّر الناسُ حين رأوه، واستبشروا، وذهب عنهم ما كانوا يجدون، أخرجه **أحمد**[1].

● عن الحسن عن **قيس بن عباد** قال: كنا مع علي رضي الله عنه فكان إذا شهد مشهداً، أو أشرف على أكمة، أو هبط وادياً قال: سبحان الله! صدق الله ورسوله، فقلتُ لرجل من بني يشكر: انطلق بنا إلى أمير المؤمنين حتى نسألَه عن قوله: صدق الله ورسوله.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٦٧٢).

قال: فانطلقنا إليه فقلنا: يا أمير المؤمنين! رأيناك إذا شهدتَ مشهداً، أو هبطت وادياً، أو أشرفت على أكمة قلت: صدقَ اللهُ ورسولُه، فهل عَهِدَ رسولُ اللهِ إليك شيئاً في ذلك؟

قال: فأعرض عنا، وألححنا عليه، فلمّا رأى ذلك، قال: واللهِ ما عهدَ إليَّ رسول الله ﷺ عهداً إلا شيئاً عهده إلى الناس، ولكن الناسَ وقعوا على عثمان رضي الله عنه فقتلوه، فكان غيري فيه أسوأ حالاً وفعلاً مني، ثم إنِّي رأيتُ أني أحقّهم بهذا الأمر، فوثبتُ عليه، فالله أعلمُ أصبنا أم أخطأنا، أخرجه **أحمد**(١).

أما أفضلية الشيخين باعتبار الزيادة في **الجزء العملي للنفس الناطقة** بالنسبة لتأثير صحبتهما في نفوس أصحابهما بواسطة استماع أقوالهما، ومشاهدة أحوالهما، فهي ظاهرةٌ لا تخفى، وأمّا تأثيرُ أقوالهما، فبيانه أن المسلمين كانوا في عصر الشيخين متفقين على أخذ السُّنَّة من حيث الظاهر المعتبر في الفقه، ومن حيث الباطن المعتبر في الإحسان والطريقة، وكانت مؤاخذةُ الشيخين وتأديبُهما لأصحابهما من ناحية هذين الطريقين، رغم أنّهم تشرّفوا بصحبة النبيِّ ﷺ، وشاركوا الشيخين في أصل الصحبة والعلم والجهاد؛ كسعد بن أبي وقاص، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة بن الجراح، وحذيفة، وعبد الله بن مسعود، وشواهدُ ذلك كثيرة جداً، يتعجّب بها الناظرُ، ويعرف أنّ ذلك بتأثير الغيب.

هيبتِ حق است اين از خلق نيست هيبتِ اين مرد صاحب دلق نيست(٢)

وإنّ قصةَ سعد بن أبي وقاص مشهورةٌ، وهي أنه بنى بيتاً في الكوفة، ونصب فيه باباً على نمط الأكاسرة، ثم كسره بموعظة عمر

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (١٢٠٧).

(٢) هذه الهيبةُ من الحقِّ تبارك وتعالى، ليست من المخلوقِ ولا من الزاهدِ.

الفاروق رضي الله عنه، وقصة عزل خالد بن الوليد رغم شجاعته وجلالة قدره، ومؤاخذة الفاروق له على صلة شاعر، وعدم انفجار الفتنة بسبب ذلك، وتهديدات الفاروق لعمرو بن العاص وأمثال ذلك من الوقائع مذكورةٌ في كتب التاريخ والرقائق، وتقريره في المسائل واتفاق الآراء حسب رأيه مثل حادثة وضع الخراج، كلُّ ذلك مكتوب في كتب الآثار، ولمّا بلغَ الأمرُ إلى خلافة المرتضى تفرّقت قلوبهم، وجمحت نفوسهم، وقد اشتدّ الأمرُ غموضاً بقدر ما طال الكلام في مسألة إثبات الخلافة، وجواز التحكيم، وعجزه عن استيفاء قصاص عثمان ذي النورين وعذره، ونشأت شبهات كثيرة في قلوب الناس، ولم يتنازل من الصحابةِ أحدٌ عن رأيه بصفة خاصة، قد اتفق على هذه الوقائع كل من المؤيد والمخالف، ولو أنَّ كل واحد قام بسرد الوقائع على مذهبه.

وأمّا تأثيرُ أحوالهما فيُعرفُ ذلك من جهة أنَّ أصحابهما جميعاً كانوا متأدِّبين بالشريعة، وراغبين في الإحسان، ولم تصدر من واحد منهم حركة شنيعة، ومعظم أصحاب عليّ المرتضى كانوا من أهل الشرطة، والمنشئين من أهل الطمع والحرص والحقد والحسد، ولم يكونوا مخلصين في حُبِّ عليٍّ، ولا راسخين في الانقياد له، كما قد شكاهم عليّ المرتضى مراراً على منبر مسجد الكوفة، فقال: «واللهِ لوددتُ أنِّي أَقْدِرُ أن أصرفَكم صرفَ الدينار بالدراهم عشرةٌ منكم برجل من أهل الشام»[1].

وقد بدا من الكوفيين الغدرُ بكثرةٍ، حتى قد اشتهر مثلٌ سائرٌ إلى يومنا هذا «الكوفي لا يُوفِي» وما قاموا به من غدرات بالحسن المجتبى والحسين بن عليّ، الذي استشهد في كربلاء لا يحتاجُ إلى بيان.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٣٢١).

وأما مَنْ كانوا مِنْ أهل الكوفة مخلصين في حبّهم، وكانوا كاملي الانقياد له، وقعوا فريسةً للإفراط والتفريط في الاعتقاد، فقامت طائفةٌ منهم بالإفراط في الحبّ والتعظيم له إلى أنْ بلّغوه إلى رتبة لا يصل إليها غير النبيّ، وقد نهاهم عليّ المرتضى عن ذلك مراراً وتكراراً، ولم ينتهوا عن ذلك، كما قد نُقِلَتْ وقائعُ كثيرةٌ بالنسبة للطائفة الذين يطعنون في الصحابة، وقامت طائفةٌ أخرى بالتفريط من شأنه، ولم يستوفوا حقّه من التعظيم والاحترام، وكانت جماعةٌ على طريق التوسط والاعتدال، وهم أصحاب عبد الله بن مسعود.

وقد اختلف أصحاب عليّ في حمل كلامه على المعنى المناسب أيضاً، فكانت منهم طائفة لم تصغِ إلى كلِّ المبالغات والتأكيدات التي بيَّنها على منبر جامع الكوفة، بل قالوا: «هذا رجلٌ محارِبٌ، يكلِّم على خلاف ما في قلبِه»، وهذه العقيدة الفاسدة أصبحت نواةً للمذاهب الفاسدة كالتقيّة وما إلى ذلك، وأصبحت كذلك سبباً لاختيار كلِّ ما هو مخالف للجمهور من عقائد وأفكار كما هي عقيدة الشيعة.

وقامت طائفة أخرى بحمل كلامه على ما هو موافِقٌ للجماعة، وهم أصحاب عبد الله بن مسعود، ورواياتهم هي العمدةُ والمرجِعُ عند أهل السُّنَّة والجماعة، فلو كانت صحبةُ عليّ ﵁ أثّرت فيهم، لما نشأت فيهم مثل هذه الخلافات كما لم تنشأ في عصر النبي ﷺ والشيخين.

إن قلتَ: إنَّ عليّاً المرتضى كان يقوم بدعوة مرِّ الحق، وتنزَّل الشيخان عن مرِّ الحق درجةً، أو قلتَ: إنَّ مخاطبات عليّ كانت أدقّ وأعقد، وعامّة الناس لا يستطيعون فهم معانيها، وكان الشيخان يكلِّمان بكلام سهل التناول واضح البيان، أو قلتَ: إنّ أحوال المرتضى مائلة

إلى قطع العلائق والخصائص الملَكية، وأحوال الشيخين أشبه بالبشرية والاختلاط بين الناس، ولا بدّ من المناسبة بين المؤثّر والمتأثّر، فمنشأ اختلافِ القوم إنّما هو كمالُ المرتضى، وأفضليته أيضاً، فإنْ أمرهم عليّ المرتضى بما كان يجدُرُ بهم، وهم لم يأخذوا به، فهذا نقصٌ من هذه الجماعة العاصية دون المرتضى، مثل الجماعة الذين لم يصغوا إلى النبي ﷺ، ولم يلحق بالنبيّ ﷺ أي نقصٍ أو عيبٍ بسبب إعراضهم عنه، بل دارت دائرةُ الشقاوة عليهم أنفسُهم.

قلنا: إنَّ الحق ألّا يلحق بالمرتضى أيَّ نقص أو عيب لتمرّدهم وعدم امتثالهم لأمره، ولا ينبني مذهب أهل السُّنَّة على إثبات النقص للمرتضى بأي وجه من الوجوه، بل الكلامُ يدورُ حول الفضيلة والأفضلية باعتبار التشبّه بالنبي ﷺ، يقول الله تعالى في باب المنّة على النبيِّ وأصحابه: ﴿...هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومعلوم بطريق الجزم واليقين أنَّ العرب كانوا أجهلَ الناسِ قبل بعثة النبي ﷺ، وأقطعهم للأرحام، فجمع الله بينهم جمعاً بفضل صحبة النبي ﷺ، وألّف بين قلوبهم، وأدّب أهلَ البدو وحرّاس الضبّ واليربوع بآداب الأنبياء، وانتفع كلٌّ منهم بحسب استعداده بمائدة فضل النبي ﷺ وكرمه، إلا المردة المتمرّدين، الذين ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ [البقرة: ٧].

وكذلك في زمن الشيخين نال أكثر الناس بحسب استعدادهم حظاً ونصيباً من بركات صحبتهما إلا الأشقياء المعدودين، فميزان الرحمة

العامة إنّما هو ظهورُ اللطف في حق أكثر أفراد بني آدم ليس جميعهم، ولا يهمّنا في هذا الموضع إلا هو.

ومن سنَّة الله وسنَّة رسله أن يمزج مرُّ الحقِّ بعسل المداراة، ليكونَ معجوناً معسولاً يستسيغه المرضى بالأمراض النفسانية، ولذلك نزلت الرخص في الشريعة، ورفق النبيُّ ﷺ بالمنافقين، وقام بمداراتهم.

وأيضاً من سُنَّة رسل الله أنهم لا يخاطبون الناس بكلام غامض دقيق لا يدركون كنهه، ويتحيَّرون في تأويله، ويخاطبونهم بالأسلوب المألوف لديهم، ليأخذوا ما نزِّل إليهم من الله تعالى، ويكسبوا منهم التعاليم الربانية، ولذلك جعل الله الإنسان نبيّاً دون الملائكة، وقد أشار الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم إلى ذلك غير مرّة.

فالتشبّه الكامل بالأنبياء هو أن يقوموا بمثل هذه المعاملة، فمن كانت فيه هذه الصفة أكمل كان هو في الأمة أفضل باعتبار نشر الملّة وتربية أهل الملّة، هذا هو التأويل للأفضلية في الخلافة، فأيمّا شيء يمنع ظهورَ هذه الصفة، سواء كان شدّة الورع أو غموض القول أو غلبة التجرّد وغير ذلك يمنع من كمال النيابة، وتمام الخلافة، وغاية التشبّه بالأنبياء فيما يجلب النفع للملّة.

وقيل هذا القول على سبيل التنزّل، وإلا فإنّا إذا فحصنا مرّ الحق كان ذلك مسلَّماً بالنسبة للتجوّز في المأكل والملبس والتقلّل في أسباب المعاش وما إلى ذلك، وهذا لا يمسّ بموضوعنا.

وإذا فحصنا بالنسبة للأمور التي تتعلّق بالخلافة والرئاسة، وبالنسبة لترك تقاتل المسلمين، إذ إن ذلك أعظم خطراً، كان مرّ الحق إلى جانب الشيخين، وغاية أمر المرتضى أنّه لا له ولا عليه.

وإذا اعتبرناه بالنسبة لقلّة الاعتناء بتأليف الجماعة الذين كانوا معه،

فكان مرّ الحق تأليف قلوبهم، كما فعل النبي ﷺ، إذ إنّ نظام المسلمين لا يتحقق بغير ذلك، وهذا المعنى واحد من الأمور المهمّة.

وكذلك إذا فحصنا غموضَ الكلام لم يبق محلّاً للبحث والكلام بالنسبة للعلوم الدقيقة، بل هو غير واقع كما قد بيّنّا بالتفصيل.

وإن اعتبرناه بالنسبة إلى التورية في الكلام، والتقصّي في السير، بمقتضى «الحرب خدعة» لم يكن موجباً للمدح، وكذلك دعوى الرغبة في التجرّد رغم كل هذه المداخلات والمنازعات والصراعات والمحاولات التي لم يظهر مثلها من أي خليفة سابق، والتي لم تأت بأي نتيجة طيبة لا يبقى مجال للتسليم لها.

وهناك بون شاسع وفرق واضح بين انهماك جميع العرب في رذائل النفس، وتخلُّصهم منها بفضل صحبة النبي ﷺ بقدر استعدادهم إلا المردة المتمرّدين، الذين ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾، وبيَّنَ وقوعهم في هذه الرذائل النفسية بعد أن تخلّصوا منها، وتعوّدوا على الفضائل والمكارم بقدر استعدادهم، إلا الصالحين المعدودين الذين لم تزلزل أقدامهم عواصفُ الحوادث والكوارث.

ولو أن هذه الأشياء لا تقدح في جلالة المرتضى، إذ إن وزر هؤلاء الأشقياء يقع على عواتقهم فحسب، ولكن رجوع ثواب الأعمال إلى رئيس القوم أمر ثابت، فيقتضي ذلك عودة أجور أعمال التابعين للشيخين بزيادة وكثرة إليهما، وعودة أجور بعض أصحاب عليّ إليه، وألا يعود إليه من البواقي أجر ولا وزر، وهذا المعنى يكفي في باب الأفضلية.

• **أفضلية الشيخين باعتبار تحمُّل أعباء الدعوة:** فبيانه أن أعباء الدعوة على ثلاثة أقسام:

الأول: هو النوع الذي كان قبل الهجرة، حينما قام النبي ﷺ بإعلان دعوة الإسلام، ونهض العرب جميعاً بالكفر والإنكار، واتفقوا على إيذاء النبي ﷺ وأصحابه، أصبح أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق في هذا الوقت الحرج سبباً لكسر جماعة الكفار، وفلّ وحدتهم، كما تقدّم تقريره.

وهو أنَّ أبا بكر الصدّيق أوّلُ من أسلم من الأحرار البالغين، وأنفق على فقراء الصحابة، وقال النبي ﷺ في شأنه: «**ما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ**»[1]، وقد نصر النبيُّ ﷺ في مشكلاته.

وكان عمر الفاروق سببُ عزَّةِ الإسلام وغلبةِ المسلمين، بخلاف المرتضى الذي كان صغيراً في ذلك العصر، إذ إنه كان عند إسلامه ابنَ سبع أو عشر سنين.

عن **عمر مولى عفرة** قال: سئل محمد بن كعب القرظي عن أول مَنْ أسلم: أعليٌّ أو أبو بكر رضي الله عنهما، قال: سبحان الله! عليٌّ أولهما إسلاماً وإنّما اشتبه على الناس؛ لأن عليّاً أخفى إسلامه من أبي طالب، وأسلم أبو بكر فأظهرَ إسلامه، ولا شك أنَّ عليّاً عندنا أولهما إسلاماً، أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب»[2].

وعن **حبة العُرَني** قال: رأيت عليّاً رضي الله عنه ضحك على المنبر لم أره ضحك ضحكاً أكثر منه، حتى بدت نواجِذُه، ثم قال: ذكرتُ قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسولِ اللهِ ﷺ ونحن نصلّي ببطنِ نخلة، فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: ما بالذي تصنعان بأسٌ، أو بالذي تقولانِ بأسٌ، ولكن

(١) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٦١).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٦)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٩١).

والله لا تعلوني اسْتي أبداً، وضحك تعجّباً لقول أبيه، ثم قال: اللَّهُمَّ لا أعرفُ أنَّ عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ـ ثلاث مرات ـ لقد صلّيتُ قبل أن يصلِّي الناس سبعاً، أخرجه **أحمد**(١).

والثاني: هو النوع الذي ظهر من بعد الهجرة إلى وفاة النبي ﷺ، وإنّ الشيخين والمرتضى رغم اشتراكهم في تحمّل أعباء الجهاد، متخالفون فيما بينهم، كان علي المرتضى يُقدَّم بشجاعة الأبطال والمصارعين، والشيخان بالمشاورة التي هي شعبة من شجاعة الملوك والأمراء، وإذا تأمَّل أحدٌ بدقّة، وقام باستقراء تامّ لا يخفى عليه أنَّ النبي ﷺ شاور الشيخين ما لم يشاور غيرهما، وأصغى إلى رأيهما ما لم يصغِ إلى رأي غيرهما، وهذا المعنى ظاهِرٌ من القصص والحكايات.

والثالث: هو النوع الذي ظهر بعد وفاة النبي ﷺ في الأمور التي كانت رديفاً لبعثة النبي ﷺ كما قال رسول الله ﷺ: «**أوتيتُ مفاتيحَ الأرضِ**»، ولكنّ انتقاله إلى الملأ الأعلى قبل ظهورها كان قدراً مقدوراً.

فأنجز الشيخان هذا المعنى بطريق النيابة، ولم يمكن للاحق اللحوقُ بهما في هذا الباب، فضلاً عن المساواة والمسابقة، وقد بيَّن المرتضى هذا المعنى بأسلوبٍ أوضح، فقال: «سبقَ رسولُ الله ﷺ، وثنَّى أبو بكر، وثلّت عمر، ثم خبطتنا فتنةٌ، فهو ما شاء الله»(٢)، ورُوِي هذا القول عن المرتضى بالتواتر، ومن شاء فلينظر أسانيده في «مسند أحمد»، ووقع المرتضى في أيام خلافته في مناقشات ومنازعات، ولم يُفْتَحْ بلدٌ من البلدان في خلافته، ولم يظهر أي نوع من الفتوح الإسلامية، بل

(١) «مسند أحمد» (١/ ٩٩) رقم: (٧٧٦).
(٢) «مسند أحمد» (١/ ١٣٢) برقم: (١١٠٧).

توقّف الجهادُ بالإطلاق، فصار الشيخان أفضلُ وأرجحُ باعتبار تحمّل أعباء الجهاد.

ليُعلمَ أن للشجاعةِ نوعين: **أحدهما**: شجاعة المصارعين، **والآخر**: شجاعة الأمراء، **وشجاعة المصارعين**، عبارة عن الغلبة على الأقران في المبارزة بقوّة البطش وثبات القلب، **وشجاعة الأمراء**، عبارةٌ عن فتح البلاد، وهزيمة الجيوش، بسياسة الجيش، وحسن استعماله في الموضع المناسب بثبات القلب، وزيادة العقل، والعدالة، ومعرفة المطلوب من الصلح والحرب، والتأنّي والعجلة، ومعرفة صلاحيات كل فرد من أفراد الجيش، واستعماله في العمل المطلوب، وتتفرّق ـ تارةً ـ كلتا الشجاعتين في أفراد مختلفين، كما كان عنترة بن شداد العبسي ـ الشاعر الجاهلي ـ متصفاً بشجاعة المصارعين فقط، والأمير تيمور كان متّصفاً بشجاعة الأمراء فقط، فكان «تيمور» أشجع الملوك رغم أنه لم يُنقل عنه أنه بارز مصارعاً وصرعه.

ورغم أن الخلفاء جميعاً كانوا متصفين بكلتا الشجاعتين، لكنّ الشيخين لهما فضل ومزية في شجاعة الأمراء، ولعليّ المرتضى فضلٌ وزيادةٌ في شجاعة المصارعين والأبطال، وهذا المعنى بديهيّ لمن درس سيرة هؤلاء، واطلع على الآثار المنقولة عنهم، وإنّ شجاعة الأمراء أكثر نفعاً في تسيير أمور الملّة، ولشجاعة المصارعين دخل فيها أيضاً بقدرها، ولذلك كان للنبي ﷺ ـ الذي هو ميزان الشرف والفضل ومنتهاه ـ نصيبٌ من شجاعة الأمراء أوفر وأتمّ من شجاعة المصارعين والأبطال، وهكذا الأمر يتسلسل في حق رؤساء الدين والدنيا.

○ ○ ○ ○ ○

أما أفضلية الشيخين باعتبار نشر علوم الدين، فبيانه أنّ أفضل

العلوم هو القرآن العظيم، والجامع للقرآن والناصب للقرّاء في الآفاق هو الشيخان، وعلى الرغم من أن المرتضى روى القرآن، ولكن لم يحمل روايته إلا أصحاب عبد الله بن مسعود من أهل الكوفة؛ كزر بن حُبيش وأبي عبد الرحمٰن السلمي، وهؤلاء قرؤوا القرآن لأول مرة على عبد الله بن مسعود، ثم أعادوها على المرتضى، ولو لم يعيدوها عليه فإنّ رواياتهم عنه صحيحة رغم ذلك.

• عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمٰن السلمي عن عثمان ﵁ عن النبي ﷺ، قال: «**خيرُكم من تعلّمَ القرآن وعلّمه**».

قال: وأقرأني أبو عبد الرحمٰن في إمرة عثمان حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، أخرجه **البخاري**(١).

ويلي القرآنَ العظيمَ حديثُ النبي ﷺ، وبعث عمر الفاروق المحدِّثين إلى الآفاق، وذلك هو أصل علم الحديث، ومن جملة هؤلاء المحدّثين عبد الله بن مسعود في الكوفة، وثبتت رواياته في الكوفة، ومنهم أبو موسى الأشعري وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ في البصرة، وكذلك كانت جماعة من الصحابة في الشام.

ولكن عليّاً المرتضى لم يبعث أحداً إلى الآفاق، وهو في الحديث مثل عبد الله بن مسعود، ولكن هنا فرق يعرفه أصحاب الحديث، وهو أنَّ أصحاب عبد الله بن مسعود فقهاء وثقات، والرواة عن عليّ رجال مستورو الحال من الشرطة والجنود، ولا يبلغ درجة الصحة من أحاديث علي إلا ما رواه أصحاب عبد الله بن مسعود ﵁.

• عن ابن أبي مُليكة قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتبَ لي

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٥٠٢٧).

كتاباً، ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا أختار له الأمور اختياراً، وأخفي عنه قال: فدعا بقضاء عليّ، فجعل يكتب منه أشياء، ويمرّ به الشيء، فيقول: واللهِ ما قضى بهذا عليّ إلا أن يكون ضلَّ.

• وعن **أبي إسحاق**، قال: لمّا أحدثوا تلك الأشياء بعد عليّ رضي الله عنه، قال رجلٌ من أصحاب عليّ: قاتلهم الله أيُّ علمٍ أفسدوا.

• عن **ابن عياش** قال: سمعتُ المغيرةَ يقول: لم يكن يصدق على عليّ رضي الله عنه في الحديث عنه إلا من أصحاب عبد الله بن مسعود، روى الأحاديث الثلاثة مسلم في مقدمة «صحيحه»(١).

• وأما أهل المدينة وأهل الشام، فإنّهم لا يروون عن المرتضى إلا قليلاً، ومدار الإسلام بعد القرآن والحديث هو الفقه، وأمهات الفقه هي المسائل الإجماعية لعمر الفاروق، وإن ألقيتَ النظر على أكثر أهل الإسلام لأجل الامتحان والاختبار فهم الحنفية والمالكية والشافعية.

وأمَّا مذهب مالك، فأساسه «الموطأ»، ولا يوجد في «الموطأ» من روايات المرتضى غير بعض الأحاديث المرفوعة والآثار المعدودة، وكذلك لا يوجد في «مسند أبي حنيفة» وآثار الإمام محمد اللَّذَيْنِ هما أساس الفقه الحنفي، لا يوجد فيهما أكثر مما في «الموطأ» من بعض الأحاديث المرفوعة والآثار المعدودة المروية عن المرتضى، وكذلك في «مسند الإمام الشافعي» الذي هو مبنى المذهب الشافعي لا يوجد من روايات المرتضى سوى بعض الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة المعدودة، التي هي في غاية القلّة إزاء الأحاديث المروية عن الآخرين، ومن كان له اطلاع على أصول وأمهات هذه المذاهب (مذاهب الأئمة

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٢٢، ٢٤، ٢٥).

الثلاثة) لا يخفى عليه أنَّ أصل هذه المذاهب هو المسائل الإجماعية لعمر الفاروق، وهذا أمر مشترك بين هذه المذاهب، ثم أصل مذهب مالك بعد ذلك هو الاعتماد على فقهاء الصحابة من أهل المدينة كابن عمر، وعائشة رضي الله عنهما، وعلى الفقهاء السبعة[1] من كبار تابعي المدينة، وعلى ابن شهاب الزهري، ومَنْ هم على شاكلته من صغار تابعيها، وهذا ما يُعطي مذهبه صورةً خاصةً من بين سائر المذاهب.

وكذلك الاعتماد على فتاوى عبد الله بن مسعود في غالب الأحوال وعلى قضايا عليّ المرتضى في بعض الأحوال بشرط رواية أصحاب عبد الله بن مسعود وإثباتهم.

وبعد ذلك أصلُ مذهب أبي حنيفة على تحقيقات إبراهيم النخعي، والشعبي وتخريجاتهم، وبسبب ذلك تكوَّنت صورة خاصة لمذهبه.

وكذلك فحص المسائل المعتمد عليها لفقهاء مكة والمدينة، وعرض أقوالهم على الأحاديث المرفوعة، وتحقيقها على قواعد الأصول، والتوفيق بين المختلفات منها وما إلى ذلك، وهذا هو السبب الأصيل في تكوين صورة المذهب الشافعي الخاصة، وليس هذا الشأن في جمع وتنقيح أحاديث المرتضى وآثاره، ولا يعرف هذا المعنى إلا ماهر في أصول وأمهات هذه المذاهب.

وبعد ذلك علم السير والرقائق، والمرتضى واحدٌ من علماء

---

(١) وهم: سعيد بن المسيب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وعروة بن الزبير، وخارجة بن زيد بن ثابت، وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وسليمان بن يسار، وقد أبدل بعضهم بأبي سلمة وخارجة سالمَ بن عبد الله بن عمر وأبا بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام. «قواطع الأدلة في الأصول»، للسمعاني (١/ ٣٩٤).

الصحابة في هذا الباب، ويساوى بعبد الله بن مسعود وغيره، وأمّا نسبة علم النحو إلى المرتضى فشيءٌ اعتباري، ولا يوجد فيه نقلٌ صحيحٌ.

• عن **عاصم عن مورق العجلي** قال: قال عمر بن الخطاب: تعلَّموا الفرائض واللحن والسنن كما تعلَّمون القرآن، أخرجه **الدارمي**[1].

وفي «الدر النثير»: اللحن يريدُ به تعلَّموا لغةَ العرب بإعرابها.

وفي «الكشاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، في تأويل رواية: «ورسولِهِ» بالجر على الجوار، وقيل على القسم كقوله: لعمرك، وحُكي أنَّ أعرابياً سمع رجلاً يقرأها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله، فأنا منه بريء، فلبَّبه الرجلُ إلى عمرَ، فحكى الأعرابيُّ قراءته، فعندها أمر عمرُ بتعلّم العربية. انتهى.

وتدلّ هذه القصةُ على أنَّ أول من قيّد أهل العجم بتعلم النحو هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

• وأما **التصوّف** بمعنى السلوك، وتهذيب الباطن، فلا أرى أن يكون المرتضى في روايات هذا الباب أكثر رواية من ابن مسعود وابن عمر مثلاً.

فإن قلتَ: كان عليّ أعلمَ الناس بالقرآن والسنن، وروى الناسُ عنه كلَّ ذلك، ولكن اختلط علمه بسبب سوء تحمُّلهم، ولم يمكن الانتفاع التامّ به، فأي خلل يقع في أفضليته لأجل ذلك؟

قلنا: نعم، هذا المعنى لا ينقص من فضله، ولا ينقص من كونه يستحقّ الخلافة، وهذه عقيدتُنا، ولكن نيابة النبيِّ ﷺ من جهة أن يكون واحد من أمته كالجارحية في الأمور منحها الله النبيَّ ﷺ إجمالاً،

---

(١) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤١) برقم: (٢٨٥٠).

والمطلوب منه تفصيله، فيقع الخلل في نيابته وخلافته من ناحية الجارحة، إذ إن خليفة النبي مثله كمثل الناي يضعه العازف في فيه.

او بجز نائي وما جز نـــے نيم او دمـــے بي ومابي وـے نه اين

ليس هو إلا عازف المزمار، ولسنا إلا المزمار، لا يكون هو ـ أي: عازفٌ ـ بدوننا، ولا نكون ـ أي: مزمار يخرج منه صوت ـ بدونه.

فتكون إرادة الله تعالى أن يظهر العلم والرشد بين الناس، ولا يتخلّف رفع المظالم عنهم، وانقياد أهل العالم لهذا المعنى عن إرادة الله تعالى كما قال عزّ من قائل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

ثم تنصبغ بعد ذلك القوى العقلية والقلبية للنبي ﷺ بصبغة الإرادة الإلـٰهية، ثم تُهيّج هذه الصبغة قواه بأفعال تناسب هذا المقصد، ويقوم النبي ﷺ بحكم هذه الصبغة بالمداخلة في صلب هذا المقصد بكل طريق ممكن.

ومثال ذلك: أن يُخرجَ العازفُ صوتاً من حلقومه، هو إجمالُ تلك الألحان التي يلحن بها فيما بعد، ولكنْ لرفع الصوت أو لتحسينه يمسِكُ المزمارَ بيده، ويجعله في فيه، ثم تعمل بعد ذلك نفس هذه الإرادة الإلـٰهية بواسطة همّة النبي ﷺ وعزيمته ومداخلته ونسبته في نفس شخص فيه استعداد لذلك، وتصدر منه هذه الأفعال.

ومثال ذلك: أنّ المزمار يخرجُ منه صوتٌ حزينٌ، وليس هو أكثر من مجرّد صوت، هذا هو المعنى لخلافة النبوة، وهذه فضيلةٌ بصرف النظر عن الأهلية والاستعداد، وإذا اشتركت جماعة في فضيلة، وخصَّت إرادة الله بها واحداً منهم باعتبار المصالح التي هو متفرِّد بعلمها، كان هذا الشخص أفضلَ الأمة، ونائباً مطلقاً للنبيِّ.

والمقصود هنا هو وجود الفضيلة بالفعل، ليس وجودها بالقوة، ووقع التفاضل بين الأنبياء في كثرة الأمة من هذه الجهة، وقد جاء في حديث المعراج: أنَّ موسى عليه السلام لما رأى كثرة أمة النبي ﷺ رقَّ قلبه وقال: «**بُعِثَ بعدي غلامٌ يدخلُ الجنَّةَ من أُمَّتهِ أكثرَ ممّن يدخلُ من أُمَّتي**».

وقال النبي ﷺ: «**تزوّجوا فإنِّي مكاثرٌ بكم الأمم**»، إذا لم يكن الوجود بالفعل في هذه الفضيلة مطلوباً، فلماذا طلبَ الكثرة؟! مع أنّ فضل النبي ﷺ على الأنبياء يبقى كما كان سابقاً، فالوجود الخارجي لهذه الفضيلة في هذا الموضع إنّما هو شرحٌ لإرادة الله تعالى، وتتقوّى خلافة النبوة وتستحكم بقدر وجود الفائدة.

وهذه الفضيلة شيء لا يدرك العارف كنهه، ولا يعرف رجحانه على سائر الفضائل، ما لم ينصبغ بصبغته تحقيقاً وتخلُّقاً، ولم يدرك هذا الفقير ذلك حتى شمَّ رائحة هذا البستان، وهذا بحثٌ يتعلّق بفنّ آخر، ولذلك لا نفصِّل الكلام في هذه المسألة في هذا الموضع، وهذه الفضيلة ليست منوطةً بأيِّ استعداد بحسب حقيقتها.

توچون ساقي شوي دردِ تنگ ظرفي نمي ماند
بقدر بحر باشد وسعتِ آغوشِ ساحلها(١)

لكن من سُنَّة الله أنّه لا يمنح هذه الفضيلة إلّا مَنْ كان جامعاً لفضائل شتَّى جِبلّةً وكسباً، ورحمة الله التي كانت تشمل النبيّ ﷺ عملت في هذا الشخص بواسطة النبيّ ﷺ إلى مدة طويلة، ويتحلّى بالأخلاق الكاملة، وأَخَذَ العلوم عن النبيِّ ﷺ بوجه الكمال، وهذا هو المنشأ لهذه الشروط.

---

(١) إذا كنتَ ساقياً فلا همّ لضيق الظرف؛ لأن سعة شواطئ البحر تكون حسب سعة البحر.

أما أفضلية الشيخين باعتبار الصفات القلبية، التي يُعبَّر عنها في عرف هذا الزمان بالطريقة، فنبيّنها بوجهين:

أولهما: أنَّ زهد المرتضى كان من قبيل زهد الأولياء، وزهد الشيخين كزهد الأنبياء، وورع المرتضى كان من قبيل ورع الأولياء، وورع الشيخين كورع الأنبياء، والدليل على ذلك أنَّ جميع أهل التاريخ متفقون على أنَّ ورع المرتضى وزهده سبب عدم انتظام خلافته، وورع الشيخين وزهدهما سبب انتظام خلافتهما، ولا يخفى أنَّ من خصائص صفات الأنبياء الكاملة أنها لا تمنع من رئاسة العالم بخلاف زهد الأولياء.

وثانيهما: أنّ أعظم أنواع الزهد هو أن يكون غير راغب عن الخلافة؛ لأنها صورة الجاه، ولو رجعنا إلى الحقيقة فاتّضح أنَّ الزهد عبارةٌ عن ترك مقتضى النفس، فمن كان همُّه مالاً دون جاه، فزهده أن يترك المال دون الجاه من خشية الله، أو من جهة التفرغ لذكره تبارك وتعالى، ومن كان همُّه جاهاً دون مال، فزهده أن يترك الجاه دون المال، فبذل المرتضى جهوداً لخلافته، وحارب واختار لها التدابير، ولو أنَّ كلَّ هذه المساعي كانت حسب اجتهاده، مبنيةً على رخصة الشرع، ولكن الذي لم تحدث له أصل هذه الحوادث حاله أصفى من الذي وقع فيها.

ومن أعظم أنواع الورع أن يترك التقاتل بين المسلمين، إذ إنّ القتال أعظمُ خطراً، وأشدُّ معصيةً، وأكبرُ إثماً، ورغم أنّ وجه الإباحة يوجد في الشرع، ولكن ينبغي تركها بأدنى شبهة، ولم تقع هذه الحروب في عهد الشيخين بخلاف عهد المرتضى، وكذلك التواضع، فإنَّ من أعظم أنواعه التواضع الذي يباشره المرء مع أقرانه، ممن يساوونه في فضيلة مخصوصة، وكان الشيخان في عصرهما أكثرَ تواضعاً مع أهل العلم ومستحقِّي الخلافة من المرتضى، وكذلك كل صفة من هذه

الصفات إذا تأمّلناها وجدنا لها أنواعاً كثيرة، ووجدنا أعظم أنواعها في حقّ الشيخين كذلك، وإذا أخذنا الزهد والورع بمعنى التقلّل في المعاش كان أفضلية المرتضى على الشيخين محلّ تأمّل بحسب ذلك أيضاً!.

• عن **محمد بن كعب القرظي** أنَّ عليّاً ﷺ قال: لقد رأيتَني مع رسول الله ﷺ، وإنّي لأربطُ الحجرَ على بطني من الجوع، وإن صدقتي اليوم لأربعينَ ألفاً[١].

وفي رواية: وإنّ صدقة مالي لتبلغُ أربعين ألف دينار، أخرجه **أحمد**[٢].

وإن أخذنا «الزهد» و«الورع» بمعنى الاحتياط في تصرّف بيت المال، كان الجميع (الشيخان والمرتضى) متساوون فيه، ولا يثبت اختصاص المرتضى وحده بذلك.

فإن قلت: كانت مداخلات ومنازعات المرتضى في هذه الأمور كلُّها لله وفي الله، وكلٌّ سعيه الذي قام به كان بناءً على البقاء التام والمعرفة الكاملة، ويمكن هنا الجمع بين التوكّل والأسباب، فلا ينافي هذا المعنى أفضليته من جهة الورع والزهد والتوكلّ والتواضع وما إلى ذلك البتة.

قلنا: أحسنت، وأدركت كنه الكلام، وجئت بالتحقيق الممكن في هذا الباب، ولكن في الكلام مزيدُ عمقٍ حتى الآن:

حفظتَ شيئاً وغابتْ عنك أشياءُ[٣]

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (١٣٦٧).

(٢) في «مسنده» برقم: (١٣٦٨).

(٣) قائله هو الشاعر المعروف أبو نواس، والبيت هو:

قُلْ للّذي يدّعي في العلمِ معرفةً ... عرفتَ شيئاً وغابتْ عنكَ أشياءُ

انظر: «إعلام الناس بما وقع للبرامكة» (١/ ١٣٢).

لا شك هنا أنّ المرتضى كان من الكاملين المكمَّلين، ولا تصدر مثل هذه الأعمال من مثل المرتضى إلا لله وفي الله، ولا تنافي هذه المحاولات التوكّلَ والزهدَ، لكنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ روحَ القُدسِ نفث في رُوْعِي أنَّ نفساً لا تموتُ حتّى تستكملَ رزقَها، ألا فأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ**»[1]، وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى معرفة دقيقة من علم السلوك، وهي أنَّ الإنسان يُسند أفعاله في بداية «التوجّه إلى الله» إلى نفسه، وهو قدريّ في الطريقة في الحقيقة، ولو كان من أهل السُّنَّة باعتبار الشريعة، ثم يتقدَّم بعد ذلك إلى التوحيد ويرتقي، ثم يُسند كلَّ حركات العالم إلى فاعل واحد؛ كإسنادِ حركات قطع الشطرنج إلى أستاذ مستتر وراء الستار، وهو جبريٌّ في الطريقة في هذه الحالة.

وتجتمع فيه بعد ذلك كلتا الصفتين ـ أي: القدر والجبر ـ، ولا تمنع رؤية إحداهما عن الأخرى، واعتدل في هذه الحالة في القدر والجبر، وآمن بأمر بين الأمرين، ورجع إلى عقيدة عوام أهل السُّنَّة، ويصبح سنياً في الطريقة، ويُلبس بعد ذلك لباس آخر، وتحتقر في عينه الأسباب، رغم أنّ هذه الأسباب لا تُنافي التوحيد، بل يزداد توحيده بقدر كثرة الأسباب، لكن يجمل في الطلب رغم ذلك، بحيث يتبيَّن من مقاله وحاله أنه قد تحرَّر وتجرَّد عن كل ذلك.

فالحالة الأولى هي حالة الأولياء، والحالة الثانية هي مقام الأنبياء، ويتشرّف بهذه الحالة أكمل الأولياء من جهة وراثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وكذلك يذكر الإنسان باللسان في أول حالته، مع أنّ قلبه لم يصبح

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١/ ٩٨٠)، و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٧).

عين الذكر بعد، ثم يتقدّم ويرتقي، فيصبح قلبه عين الذكر، ويستغني عن الذكر باللسان، بل لا يستطيع ذلك، ويقع بعد ذلك فرق بين لسانه وقلبه، يتكلَّم لسانه بكلام الناس وقلبه عين الذكر، وهذا حال الأولياء، ويُلبس بعد ذلك لباس آخر بترغيبه في الذكر، ويُرفع من مقام الذاكرين، وهذا مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أورع الناس ـ رغم كمالاتهم ـ وأزهدهم وأعبدهم، ألا ترى ما يقوله مولانا جلال الدين الرومي رحمه الله تعالى في أبياته الفارسية، إنه يقول:

ترك استثناء ز مردم قسوت است　　نههمين گفتن كه عارض حالت است

اے بسا ناورده استثناء بگفت　　جان او باجان استثناء است جفت

معناه: «إنّ ترك الاستثناء ـ أي: كلمة إن شاء الله ـ ناشئٌ عن قسوة قلوب الناس، لا ينبغي تعليلُه بحالة طارئة في وقت مخصوص، ورُبَّ رجلٍ لا تخرجُ كلمة الاستثناء من لسانه، وروحُه ملتصقةٌ بروح الاستثناء».

ولا شك أن النبيّ ﷺ كان متصفاً بأكمل معنى الاستثناء، ولكن آخذه الله ـ رغم ذلك ـ على ترك الاستثناء، وانقطع عنه الوحي لعدة أيام، وثم نزل بعد ذلك: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

وكان سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام متصفاً بحقيقة الاستثناء لا محالة، ولكن رغم ذلك وقع في المؤاخذة على ترك لفظ الاستثناء، وحين قال موسى عليه السلام رغم جلالة شأنه: «أنا أعلم» نزل عليه العتاب لأجل هذه الكلمة.

بالجملة: فإنَّ الأنبياء وورثتهم يميلون بظواهرهم إلى الله تعالى

بالقصد والإرادة، وذلك بعد فراغهم عن السير في الله والسير بالله، والسرّ في كلٍّ ذلك أنَّ الله يستبقي السالك على صورة أصل جبلّته، فيخلق الأنبياء وورثتهم في أصل جبلّتهم بوضع تكون قوتهم الملكية أقوى، وتنصبغ قوتهم البهيمية بصبغة الملكية ـ رغم قوتها ـ وتتأثَّر بها، وهي بمنزلة شعلة السراج التي هي مائلة إلى العلو بالطبع، والصورة التي يمنحهم من بعد الفناء تميل إلى العلو، وتنصبغ قوتهم البهيمية بصبغة القوة الملكية بخلاف غيرهم، هذا هو الوجه السليم للجمع بين الأقوال المختلفة لأئمة السلوك، قال خواجه نقشبند قدّس الله سرّه بطريق التمثيل:

موسى اندر درخت آتش ديد　　سبز تر مي شد آن درخت از نار
شهوت وحرص مرد صاحب دل　　اين چنين دان واين چنين النگار

معناه: «رأى موسى ناراً في الشجر، والشجرُ يتلألأ خضرةً بالنار، فقس على ذلك شهوة أهل القلوب وحرصهم».

وقال بعض أتباع خواجه نقشبند: إنّ غضب الفاني والباقي أشدّ من غضب العامي.

ويقول سيدي عبد القادر قدّس الله سرّه: بعد الحصول على الفناء والبقاء تأتي نوبة رياضة أخرى، ويلزم كسر النفس تارةً أخرى، فأخبر كل واحد منهم بمقام، واختلاف أقوالهم لاختلاف أحوالهم، وهذه المسألةُ من غوامض علم السلوك، فتدبَّر، ترشد.

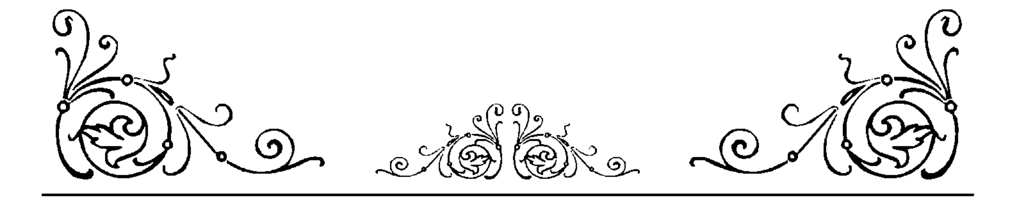
هذا بيان لما أقمته من دليل نقلي وعقلي في هذه الرسالة على تفضيل الشيخين.

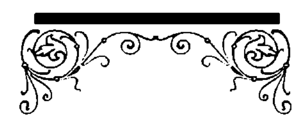
❁ ❁ ❁



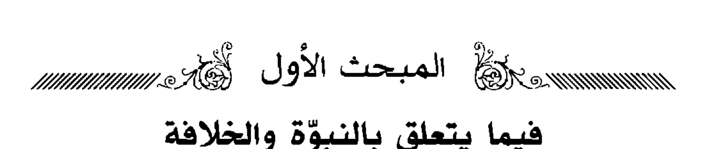
المقصد الثاني

في مناقب الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم
ومآثرهم التي ثبتت
بنقلٍ مستفيضٍ وتواترٍ معنوي





الفصل الأول



في بيان صفات النبوّة وتشبّه الخلفاء بالأنبياء

المبحث الأول

فيما يتعلق بالنبوّة والخلافة

ليُعلم أولاً: أننا لا نريد سرْد قصص الخلفاء فحسب، بل نودّ أن نتأمل في جزئياتها بكلِّ اهتمام، ونستخرج منها الكليّات التي نتوصّل بها إلى معرفة تشبّههم بالأنبياء في أمر النبوة من حيث نبوتهم، أو اختصاصهم بالصفات التي تكون من لوازم الخلافة الخاصّة التي هي أعلى درجة وسعادة يحظى بها أحد من الأمة، أياً ما شئت فقل، **وذلك يقتصر على ذكر نكت ثلاث:**

النكتة الأولى:

❁ في ذكر الصفات الخاصّة بالنبوّة والأنبياء عليهم السلام:

اعلموا: أن أصل نبوّة الأنبياء أولي العزم إنما هو إرادة الله تعالى اللطف بالخلق، وتقريبهم إلى الخير، وتبعيدهم عن الشر، ورفع المظالم عنهم بإرسال نبي من أنفسهم، وإعلاء كلمة الله، وإظهار حجته على الخلق، ونشر علومه بين الناس، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]، وكما ورد في الحديث القدسي: «**إنّ اللهَ نظرَ إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهُم، عربَهم وعجمَهُم**

إلّا بقايا من أهلِ الكتابِ، وإنّما بعثتُك لأبتليَك، وأبتليَ بِكَ» إلى آخر الحديث[١].

ومن لوازم النبوّة وأجزائها أن يكون النبيّ متفوّقاً على جميع الخلق في القوة العقلية والعملية، وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وإن الله ﷻ يزيد النبيَّ بسطةً في العقل والحكمة، بفضله وكرمه، بدون سالفِ عملٍ منه، ويجعله جديراً بأن ينزل عليه الوحي من الغيب، ويشاهد الجنة والنار والملائكة، ويرى الواقعات العجيبة في صورها المثالية، وإلى هذه القوة الإشارة في الحديث: «**الرؤيا الصالحةُ جزءٌ من ستّةٍ وأربعينَ جزءاً من النبوّةِ**[٢]».

وكذلك يزيده الله تعالى في القوة العملية ليقدر على التخلّق بالسمت الصالح بسببها، ويجتنب عن المعاصي والآثام، ويراعي الآداب الكاملة في العبادات، ويقوم بتدبير المنازل وسياسة المدن بحيث لا يتصور ظهورها أحسن منها.

وبسبب الاستقامة على هذا الطريق تحصل للنبيّ أنواع وضروب من الصفات الحسنة من العدل، والشجاعة، والسخاء، والقيام بعظائم الأمور بكل دقة وأمانة، ومعرفة المصالح المناسبة لكل زمان ومكان، وكل ذلك يؤدّي إلى العصمة التي يتّصف بها الأنبياء، وإلى ذلك يشير الحديث: «**السَّمْتُ الصَّالِحُ جزءٌ من خمسةٍ وعشرينَ جزءاً مِنْ أجزاءِ النبوّةِ**[٣]».

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٩٨٩).

(٣) أخرج أحمد نحوه في «مسنده» برقم: (٢٦٩٨).

وعندما تتوفّر هاتان القوتان ـ العقلية والعملية ـ في نبيّ، ويأتيهما النصر من الغيب، تظهر في جميع أموره ومعاملاته بركاتٌ كثيرةٌ، لا تعدّ ولا تحصى.

۞ [أربع صفات جامعة للنبيِّ ﷺ]:

والآن نذكر نكتة سهلة التناول وجامعة البركات، وإن أردتم معرفة صفات النبيّ فاعلموا: أنّ الله تبارك وتعالى قد جمع في شخصٍ واحدٍ أربعة أشخاص، وسمِّي هذا المجموعَ «نبيّاً».

فالأول: أن تفرض أن رجلاً ملك بالطبع والفطرة، لا باستخلاف أب، أو عن وراثة جد صار ملكاً للعالم، وهو الذي يتأثّر بظلّه نظام العالم، وتزول الفوضى، ويصلح النظام، ويترتب على يديه جميع الأمور، ويحل كل شخص في محله، وبه تظهر الوحدة المناسبة بين أجناس مختلفة من أفراد البشر، من أهل القلم والعسكريين ومدبري الجيوش ورجال السياسة والمزارعين والتجار وغيرهم، وإن لم يتحقق الاجتماع والترتيب بينهم بهذه الوحدة تطلق عليه المدينة، ولو لم يكن الاجتماع والترتيب بين هذه الجماعات، لكن بسبب ظل النفس الناطقة لهذا الملك الذي يقع في ضمن أفعاله وأقواله توجد مدينة من جديد، ولو كان هذا الاجتماع موجوداً من قبل فترتفع هذه المدينة إلى الكمال، وكلما دخل فيها شيء لا يليق بشأنها يزول المختصر بتأثير هذا الملك كما يوجد تنظيم خاص وحسن الانتظام، كذلك تظهر صفات من السعادة والحكمة والشجاعة وتنظيم الأمور والسخاوة، كل هذه الصفات تشاهد في النبي، قال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الأنفال: ٦٣].

والثاني: حكيم عاقل، يفوق جميعَ البشرِ حكمةً وعقلاً، ويعرف

علمَ الأخلاق وتدبيرَ المنازل، وسياسةَ المدن معرفةً تامةً، ولا يكتفي بمعرفة ذلك فحسب، بل تظهر منه هذه الصفات تحققاً وتخلُّقاً، وتترشح آثارها الفينة بعد الفينة، وتشيع بين الناس، وذلك كما قيل: «كل إناءٍ يرشَحُ بما فيه»، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وكلما ذكر الله تعالى في القرآن نبيّاً قرَنه بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [ص: ٢٠].

والثالث: رجل صالح مرشد جالس بين جماعة المرشدين، تظهر منه كرامات عجيبة وخوارق غريبة، ويرشد الظالمين بقوة إرشاده، وتأثير صحبته إلى سواء السبيل، وبعد أن قضى في تهذيب النفس بالطاعات والرياضات مدة طويلة من الزمن وصل من صور هذه العبادات إلى حقائقها، وقد حصل على المقامات العلية، والأحوال السنية، كما قرأت في تراجم مشايخنا العظام رحمهم الله أجمعين، قال الله تعالى بقوله: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

والرابع: «جبريل»، الذي هو وسيلة من وسائل التدبير الرباني، وواسطة لتلقي العلوم من لَدُن عليم خبير، كما قال تعالى: ﴿...لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ولا يحول حائل بين فطرته الصالحة وبين حظيرة القدس الإلـٰهية، تأتي منها العلوم العالية المجردة إلى قلبه السليم، وعقله المستقيم، وتمثل أمامه أسرارُ الملك والملكوت.

❁ [أعماله الإصلاحية ونتائجه البارزة]:

وينبغي أن يعلم: ما هي الأمور التي عُني بها النبي ﷺ خاصة حين بعث إلى الناس كافة؟

وما الذي بقي في العالم من آثاره الطيبة؟

التأمّل في الجواب يتطلب ذكاءً نادراً وقدرة فائقة لمعرفة العلاقة بين الجزئيات والكلّيات، والوسائل والغايات.

ليعلم: أنّ الزمان الذي بُعث فيه النبي ﷺ كان غارقاً في الشرك في العبادة والاستعانة، وكان الناس لا يعرفون معاداً ولا عقاباً، وقد نسوا الله والدار الآخرة، ونبذوا عبادة الله وراءهم ظهريّاً، وحرّفوا ملّة إبراهيم، وكانوا يتحاربون فيما بينهم كالسباع، ويعيشون كالبهائم، فأول ما قام به النبي ﷺ أنه استأصل الشرك، وقلعه من جذوره، ودعا الناس إلى الإيمان بالآخرة، والثواب والعقاب، والجنة والنار، ونفى عن الملة الحنيفية المستقيمة تحريفاتها، وقد اهتدى مَنِ اهتدى من الناس، من ذوي الألباب والبصيرة بأنوار أشعته ﷺ، واعتنقوا الدين الحنيف، ونصروه نصراً مؤزّراً، حتى تبيّن الرشد من الغيّ، والإسلام من الكفر، ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

عند ذلك تصدّى بعضُ العرب وبعضُ قريش بصفة خاصة لهؤلاء المؤمنين، وصدّوهم عن سبيلهم، وحاربوهم وآذوهم، ولكنَّ النبي ﷺ ثبت لهم ثبوتَ الجبال الراسيات، بفضل قوته التي منحه الله إياها، وبذل أصحابه المحبون كل ما كان في وسعهم من جهود ومحاولات في سبيل الدفاع عن بيضة الإسلام، وفدَوه بمُهَجهم وأرواحهم ذابِّين عنه ﷺ، ثم أُمِروا بالهجرة والجهاد في سبيل الله، فأتوا في ذلك بمعجزات تندهش منها الألباب، وتتحير منها العقول، وجاهدوا بنصر الله وعونه جهاداً لا يمكن لغيرهم أن يأتي بعشر معشاره، فكانوا يندفعون إلى امتثال ما يأمر به رسول الله ﷺ، ولا يألون جهداً في بذل كل غالٍ ورخيص، ونفس ونفيس لنيل رضا الله ورسوله ﷺ، فأصابوا فتوحاً كثيرة، وهزموا الكفار والمشركين شرّ هزيمة، وقضوا على الجاهلية، وحطّموها شرّ تحطيم،

وسدّوا جميع مسالك الظلم والاضطهاد، ورفعوا راية العلم والمعرفة، حتى أصبحت للعلم دولة وصولة، وانتشر بينهم في أقل مدة، بعد أن كانوا أبعد الناس عنه، وصاروا في توادّهم وتراحمهم كالجسد الواحد، بعد ما كانوا متباغضين متحاسدين، ومتحاربين متقاتلين فيما بينهم، وإلى ذلك أشار الله تعالى بقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكانوا لا يفكّرون إلا في نشر علم القرآن، وعلم الإيمان (علم الأركان الخمسة للإسلام)، وعلم الإحسان (علم التوصّل من صورة العبادات إلى روحها)، وعلم الشرائع (علم تنفيذ جميع أمور الدين والدنيا من أوضاع الأسرة وأحوال المدنية وفق مرضاة الله ﷻ)، وعلم الرقائق (علم الأمور التي ترقق القلب وترهف الحس)، وعلم الأخلاق الصالحة وفضائل الأعمال، وعلم مناقب كبراء الأمة، وعلم الجزاء والثواب، والآخرة والمعاد، وعلم الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ، واعتنوا بنشر ذلك كل الاعتناء حتى عرف الناس كلّهم، أدناهم وأعلاهم، غنيّهم وفقيرهم، غبيّهم وذكيّهم جميع أمور الدين والدنيا، واستفاد الناس جميعاً من هذه المعرفة الدقيقة كل الاستفادة، إلا من شقي في بطن أمه، وحُرم السعادة والخير.

وكان أصحابه ﷺ يرشدون الناس إلى الصراط المستقيم، والدين الحق القويم، ويقومون بتربيتهم تربيةً روحانية ربانية قرآنية، حتى صار الأعرابُ رعاةُ الإبل عابدين خاشعين، قد تقربوا إلى الله، ودخلوا في زمرة المحسنين، جزى الله ﷻ هذا النبي الكريم وأعوانه أحسن الجزاء، وحشرَنا معهم، وأدخلَنا الجنة في تضاعيفهم، ورزقنا رؤيته في زمرتهم، بفضله وكرمه، في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

النكتة الثانية:

❁ في ذكر كيفية تشبّه غير الأنبياء بالأنبياء وبيان أنواع نصرهم وإعانتهم في تحمّل أعباء النبوّة وإنجاز ما هو من وظيفتهم من تقسيم رحمة الله تعالى:

اعلموا: أن تشبّه غير الأنبياء بالأنبياء في تحقيق غاية بعثتهم إنما يتحقق في إرادة الله إنجازَ بعض أعمال النبيّ ووظائفه الخاصة على يد أحد من أمته، ويبيّن النبيُّ هذه الحقيقة، ويسمعها ذلك الرجل بأذن باطنه، حتى يحلَّ ذلك الأمر في قلبه، وإليه أشار الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقد قرأتم وسمعتم قصة استخلاف موسى فتاه يوشع عليه السلام، وإنجاز ما وعد الله على يده.

• وأما تشبّه غير النبيّ به في علمه الواسع العميق، فإنه يمكن بأن يجعل الله بعض أفراد أمته محدَّثاً وملهَماً، يلهمه ويحدثه، ويرسل إليه أشعة أنوار علمه، **ويظهر ذلك في صورتين اثنتين:**

الأولى: أن يسمع ذلك المحدَّث الملهَم قول النبي ﷺ، فيصل على الفور إلى أغواره وحقيقة أمره، ويحل ذلك الأمر في قلبه بدون واسطة، كما تستنير المرآة بنور الشمس، ويتجلى ذلك النور في تلك المرآة نفسها، وذاك يسمّى «الصدّيقية».

ومن لوازم «الصدّيقية»: تصديق النبيّ بدون توقف، وبغير طلب معجزة منه، وملازمته دائماً ملازمة الظل لصاحبه، واتباعه بجميع أنواع الحب والفداء، والاستسلام والانقياد والوفاء، وموافقة كل ما يريده، وترك مخالفة أدنى أوامره، وذلك ما تسمّونه «الحب المفرط»، ومن

لوازمها تعبير الرؤيا، وقَبول قول النبي قبل إظهاره والتصريح به.

الثانية: أن يؤتى ذلك الرجل الفراسة الصادقة، ويحظى عقله بنصر خاص من حظيرة القدس، حتى يكون هو المصيب رأياً في كثير من الأمور التي لم ينزل فيها وحي من الله، وإنه ـ وإن كان من المتطفلين على مائدة الرسول ﷺ ـ لكنّه يحتلّ مكاناً خاصّاً لديه، كما أننا نشاهد في بعض الأحيان ملكاً يستشير وزيره الخاص في بعض الأمور، وخادم الوزير يراه من بعدٍ، ويشاهد تصرفاته وتقلّبات يده، فيطلع على بعض أمور الوزير قبل أن يصرّح بها، وهذا ما يسمّى بـ«المحدَّثِيّة».

ومن لوازم المحدثية: أن ينزل الوحي غير مرة موافقاً لاجتهاده ورأيه، ويمتاز بين أقرانه بأنه كلما أراد شيئاً ورآه في ظنه وقع كما رأى وظن، ووافق رأيه، ودون هذه الرتبة درجات: مثل أن يحفظ أحاديث الرسول ﷺ، ويطلع على معانيها ومرادها، ويستخرج منها الأحكام استخراجاً صحيحاً، وهو الذي يسمّى «الراسخَ في العلم».

أما تشبّهه في زيادة القوة العملية فإنه يتجلى في إرادته الصادقة، وعزمه القوي الراسخ المتين لإعلاء كلمة الله، وإظهارها على الدين كله، ببركة أنوار نبيِّه ﷺ، حتى يكون مستعدّاً كل الاستعداد لبذل النفس والنفيس لإعلاء دينه وكلمته، ولا يألو جهداً في ذلك، ويقال له: «الشهيد والحواري»، أو تتجلى فيه من صفات الصدق والحياء والأمانة ما يمتاز به عن الآخرين، وذاك يسمّى «الأمين».

وعندما تمتزج القوة العقلية والعملية في شخص، وتتكون صورة معتدلة، وتتحد معاً، يصير مَلَكاً بالطبع، وحكيماً ومرشداً في صفاته، وهذه المراتب الثلاث لا يمتنع اجتماعها في غير النبي، اللَّهُمَّ إلا أن النبي هو الأصل في كل ذلك، ويكون غيره تلميذاً له ومسترشداً.

أما التشبّه في «الجبريلية» فهو ما ذكر في صفات «الصديقية» و«المحدّثية».

فالرجل الكامل من يحمل هيئة صالحة وعدلاً كاملاً، ويبرز أمام الناس كمرشد عظيم، وأستاذ كبير، في الأخلاق، وتدبير المنازل، وسياسة المدن، ويعاملهم معاملة تجمعهم على الخير، وتقضي على الخلاف، ويقوم بأمور عظام، وأعمال جسام، من دون سلّ سيف، ويجاهد الأمم الأخرى أفضل جهاد، ويأتيه النصر من الله أكثر من جهوده وجهاده، كأنه مصداق ما وعد الله رسولَهُ ﷺ: **«واغزهم نُغْزِكَ، وأنفقْ فسننفِقْ عليك، وابعثْ جيشاً نبعثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ**[1]».

وإنّ هذا الرجلَ العظيمَ ليعرفُ بين آلاف أصحابه جميع من يسعون لإعلاء كلمة الله، واحداً واحداً، ويعرف مكانته ودرجته، ويستخدمه لصالح الإسلام والمسلمين، حسب صلاحياته، وقدراته العلمية والعملية، ولم يجعل نصب عينيه إلا نصر الدين، وإعانته، وإعلاء كلمته، وأبى إلا أن يكون ذلك هو الشغل الشاغل له، كأنه خلق لأجله، ولا يعبأ بردّ الناس وقبولهم، ولا يخاف لومة لائم في هذا السبيل، ويكون متحلّياً بإصابة الرأي، وتوقّد الذكاء، كأنّ رأيه مرآة الإرادة الإلٰهية، فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويتفقّد أصحابه الغائبين والحاضرين، وتصل كلماته وأقواله، وخطبه ونصائحه إلى أغوار النفوس، وسويداء القلوب، حتى يشهد عقلاء الزمان بأن الجلوس ساعةً في صحبته خير من عبادة سنة كاملة.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٦٥).

أما التشبّه بالنبيِّ في تحمّل أعباء رسالته فإنه يمكن بأن يظهر رجل عظيم يحتل مكانة خاصة مرموقة بين الناس، يستشيرونه في أمورهم، ويرجعون إليه فيما ينتابهم من مشكلات، ويشمّر هذا الرجل العظيم عن ساق الجد لإعلاء كلمة الله بجميع طاقته وقدرته، وبهمّةٍ صادقةٍ، وجرأة فائقة، وبمجرد دخوله في الإسلام يدخل عدد كبير من الناس في دين الله، وبسبب استقامته على الحق والذب عنه يمتنع كبار أعداء الإسلام عن إلحاق الضرر بالمسلمين، وتفشل جهودهم في التغلّب عليهم، وكلما أراد الكفار إيذاء نبي الله ﷺ ينقلب ذلك الرجل سلاحاً له وجُنّة، ويردّ جميع مكايد الأعداء، حتى لا يصيبه أي ضرر، ويكون هو رفيقه ووليّه في المنشط والمكره، ويكون نصيبه أكثر وأوفر من الناس أجمعين في نصره وإعانته في كل مناسبة، حتى في الهجرة والجهاد أيضاً إذا ما مست الحاجة إليهما، ويحظى رأيه بالقبول عند الناس، في حلّ الأمور المعقّدة، وجمع الرجال، ونصب الجهاد والقتال، ويؤثّر تدخّله في جميع الأمور والحوادث ويُحمَد، ويكون من المقاديم المغاوير في الوغى، والحرب والجهاد، وينفق ماله لإعلاء كلمة الله، ويعلم القراءات والروايات لنشر العلم الديني، يعلّمهم القرآن الكريم، ويروي لهم الأحاديث، ويحرّضهم على الرواية عن النبي ﷺ، ويستخرج الأحكام الشرعية بتوجيه الأسئلة إلى الصحابة إن وقع الاشتباه في أمر، ويفضي من ضيق الاختلاف بطريق الاجتهاد إلى سعة الإجماع إن وقع الخلاف بين الصحابة، ويرشد الناس إلى سبيل الاجتهاد، ويسدّ جميع سبل التحريف والتأويل الفاسد، ويكون هو الواسطةَ بين النبيّ وأمته في كل ذلك.

وإذا سبرتَ أغوار معاني آية الاستخلاف: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وآية التمكين: ﴿ٱلَّذِينَ

إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، وآية المرتدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤]، وآية: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وجدتها مرآة صافية تتجلّى فيها هذه المعاني التي ذكرتُها واضحة جلية لكلِّ ذي عينين.

النكتة الثالثة:

❁ في ذكر كيفية توسّط الخلفاء الراشدين ﷺ بين النبيِّ ﷺ وأمّته:

إننا نعرف جزماً بأنّ كلّ ما نمارسه في حياتنا الفردية والجماعية من أمور العبادة، من الوضوء، والغسل، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبيِّ ﷺ، وبما نبتهل به إلى الله من أدعية وغيرها، وما نباشره من أعمال نكاح الرجل والمرأة، والبيع والشراء، وإقامة الحدود، وفصل الخصومات، كل ذلك مأثور عن النبي ﷺ، ونعرف بداية هذه السلسلة ونهايتها، ومعلوم أننا لم نأخذ ذلك عن النبي ﷺ من غير واسطة، إذ لم نسمع القرآن والحديث من النبي ﷺ مباشرة، بل سمعناهما عن وسائط، فقد تحققت الوسائط بلا شك، وبقي لنا أن نعلم: ما هي الوسائط؟ ومن هم الذين بلّغونا أمور الدين؟

ويعرف كل منّا أنّ الدنيا كلّها كانت غارقةً في الضلالات والغباوات، والخرافات والجهالات في بداية الأمر، ثم بدأ الإسلام يفشو وينتشر بفضل جهود النبي ﷺ وجهاده، وتأليفه للقلوب، حتى بلغ الإسلام ما نشاهده الآن من وجود المسلمين في جميع أقطار الأرض، وغلبة ملوك المسلمين فيها، وحتى نعلم أول هذه السلسلة وآخرها، علينا أن نخوض في البحث عن الذين كانوا وسائط في هذا الأمر العظيم، وكذلك يجب علينا أن نعرف مكانة هذه الوسائط، وأهميتها، ومِنَّتَهَا العظيمة على هذه الأمة:

المبحث الثاني

اعتناء الخلفاء بعلوم النبوّة

اعلموا: أنّ أمر الملة كبنيان مرصوص، وكجدار قوي متين، يشدّ أسفله أعلاه، أو يتفرّع أعلاه عن أسفله، ويعتمد عليه، حتّى يصل إلى الأساس والقوام، كذلك فإنّ أصحاب قرن يعتمدون على القرن الذي قبله، يستفيدون منه، ويكونون مدينين بفضل أصحابه، وذلك ممّا يؤدي إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، كما أنّ كلَّ واحد يعرف أستاذه الأول، والكتاب الذي قرأه عليه، ثم يعرف إمام جماعته.

فالحنفية مثلاً يعرفون إمامهم أبا حنيفة النعمان، والشافعية يعرفون إمامهم الشافعي، ويعرف القادريون إمامهم السيد عبد القادر الجيلاني، والنقشبنديون إمامهم الشيخ بهاء الدين النقشبندي، والجشتيون إمامهم الشيخ معين الدين الجشتي، وتنتهي سلسلة هؤلاء كلهم إلى الشيخ الجنيد البغدادي ومعاصريه، وكذلك يعرف القراء أئمة القراء السبعة في القراءات، ويعرف الجميع إمامهم الشيخ أبا الحسن الأشعري في علمِ الكلام، والثعلبي والواحدي وغيرهما في علم التفسير، والشيخ محمد بن إسحاق في علم السيرة، وقس على هذا أئمة علوم أخرى.

ثم إنّ علينا أنْ نخطوَ خطوةً ونعرف: أنّ هذه الجماعة وإن كانت أخذت العلوم المنتشرة من الجماعات الكثيرة، وجمعتها في سلك واحد، ولكنّها أخذتها من السلف لا غير، وذلك ممّا لا ينكر، فكلّ ما أخذ من السلف هو الأصل الأول واللوح، وما أتى به الخلفُ من التحقيقات النادرة والنكت المفيدة فهو من قبيل تفسير المجمل، ومن إلحاق الشيء بالشيء لأمر جامع، وكلّ ذلك صور بيانية على اللوح الأصيل، فلا بدّ

من الاعتراف بفضل الطبقة الأولى من الوسائط، وليُعلم يقيناً أنّ لهؤلاء مِنّةٌ عظيمةٌ على الملّة الإسلامية.

وليعلم: أنّ التوسطَ يشتمل على عِدّة أنواع، منها ما هو بالرواية عنه ﷺ، وبِنَصْبِ العلماءِ في كلٍّ بلد ليرووا عن النبي ﷺ، ويحرضوا القوم عليه، وبإقامة المُناخ المناسب لحصول العلم ونشره، من تأسيس المدارس، وتعهّد الطلبة، وإكرامهم بما يليق بشأنهم، ولكل من ذلك أثر خاص في نشر العلم، وغلبة الإسلام في أقطار الأرض.

ولمّا تقرّر في القلوب ما ذكرناه بإجمال واختصار، نريد أن نفصّل الكلام عليه ببسط وتفصيل، حتى تتحقّقَ معرفةُ الوسائط التي تلقينا عنها علوم النبي ﷺ، ويؤدّي ذلك إلى معرفة التفاصيل التي تركنا ذكرها.

❁ [عناية الخلفاء بنشر القرآن العظيم]:

اعلموا: أنَّ أفضل ما ورثت الأمةُ من النبيِّ ﷺ هو القرآن العظيم، ومعلوم أنَّ القرآن لم يكن جُمِعَ في مصحف واحد إلى آخر عهد النبي ﷺ، وكان حاله كما نشاهد اليوم حين ينتقل شاعر أو كاتب إلى جوار رحمة ربه، وترك خلفه قصائده العزيزة الغالية، أو الكتابات القيّمة النادرة في صورة مبيَّضات، وهي في يد تلاميذه أو من يتّصل به، فتتعرض هذه القصائد والكتابات للضياع والانقراض إن هبت عليها عواصف الزمان، أو وصلت إليها المياه، أو أحرقتها النيران، أو ينتقل من كانت لديه هذه القصائد والكتابات إلى الدار الآخرة، ففي كل صورة من هذه الصور تضيع القصائد والكتابات، وتغيب كأمس الدابر وكالعصافير التي تطير بهواء شديد، ولكن إذا قام تلميذ رشيد سعيد من تلاميذ هذا الشاعر أو الكاتب، وشمّر عن ساعد الجد لجمع تلك القصائد أو الكتابات، وترتيبها ترتيباً مناسباً لائقاً، وإعداد نسخ عديدة

لها، بعد تصحيح كامل، وبذل جهده لنشرها في الآفاق، ليستفيدَ منها القاصي والداني، فتكون لهذا التلميذ البارّ العزيز مِنّةٌ عظيمة في الحقيقة على كلٍّ من يستفيد منها في مختلف العصور والأزمان، لذلك فإنه يلزم الاعتراف بمِنّةِ الشيخ محمد بن الحسن الشيباني على كلٍّ مَنْ يعمل بمذهب الحنفية، ومنة الشيخ البويطي على كلٍّ مَنْ يعمل بمذهب الشافعي، وإن جمع القرآن في المصاحف ليس إلا تطبيقاً وتحقيقاً لما وعد الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وإن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة] يخبر بذلك أيضاً.

وإنّ الخليفة الأول **أبا بكر الصدِّيق** ﷺ قام بأوّل عملٍ لجمع القرآن، بعد أن عرض عليه عمر بن الخطاب ﷺ رأيه الذي انشرح له صدره انشراحاً قوياً، ثم إنَّ عمر ﷺ بذل غاية الجهد في دفع الشبهات التي كانت تتراود في المواضع المشكلة من القرآن، وحرض الناس على أن يأخذوا بهذا القرآن، ويحفظوه عندهم.

وأعدَّ **عثمان ذو النورين** ﷺ نسخاً كثيرة لهذا القرآن، وبعثها في مختلف أقطار الأرض، وأحرق غيرها من النسخ، وبذل أُبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعلي وابن عباس ﷺ جهودهم الضخمة العظيمة في إقراء كتاب الله المجيد وتعليمه.

وإنّ هذا القرآن الذى نتلوه ونتدارسه في مشارق الأرض ومغاربها، بين دفّتي المصحف إنّما هو نتيجةٌ لجهود مشكورة لأسلافنا البررة، إذ إنهم قاموا بحلّ معضلات القرآن في مناسبات مختلفة، وقد شرح ابن عباس ﷺ لغاتِ ومفرداتِ القرآن، وذكرَ أسبابَ النزول، وسلك غيرُه مسلكه النافع المفيد، وحذا حذوه، حتى اجتمعت روايات عديدة لتفسير كتاب الله العزيز، جمعها الثعلبي وغيره، وجعلها مصنفات في علم التفسير.

وهل تدرون أفضل خدمة للقرآن؟ إن أفضل خدمة للقرآن إنّما هو سؤال من الرسول ﷺ عن معاني ومرادات آي القرآن المنزلة، حتى ينزل وحي آخر يبيّن المراد، ويوضّح الآية المنزلة من قبل، ألا ترون أن أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه حين سأل الرسول ﷺ عن الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، ردَّ الرسول ﷺ على ذلك، فظهر علم عظيم، وذلك لأنه ﷺ قال: «**أمّا أنتَ يا أبا بكر والمؤمنون فتُجزونَ بذلك في الدنيا حتّى تلقَوا الله، وليس لكم ذنوبٌ، وأمّا الآخرون فيُجْمَعُ ذلك لهم حتّى يُجْزَوْا به يومَ القيامةِ**»، أخرجه الترمذي[1].

ولما نزلت الآيةُ المجملةُ عن الخمر دعا اللهَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ بيِّن لنا بيان شفاء»[2]، فنزلت تفاصِيلُ الخمر، وكُشِفَتِ الستائرُ عنها.

[اهتمام الخلفاء بخدمة الحديث الشريف وعلومه]:

وإنَّ أصل الدين وأساسَ الإيمان بعد القرآن إنّما هو علمُ الحديث النبوي، وإنَّ توسّط كبار الأمة بين النبي ﷺ وأمته في ذلك يتحقّق بوجوه:

الأول: أن يرووا الأحاديث عنه ﷺ، ويبلّغوا ما سمعوه، لفظاً ومعنىً، إلى أطراف الأرض.

الثاني: أن يستخرجوا أحاديث رسول الله ﷺ من مظانّها ويجمعوها، بأن يجمعَ الخليفةُ أصحاب رسول الله ﷺ في قضية طارئة ويسأل: هل فيكم أحدٌ يعرف حديثاً للرسول ﷺ بصدد هذه القضية؟ ويكرر هذا السؤال مرّة بعد مرّة، حتى يسمعه الحاضرون، ويطّلع عليه

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٠٤٩).

الغائبون، فيحضر من كان عنده حديث عن رسول الله ﷺ يتعلّق بالقضية، ويخبِرُ بذلك، فإن كان منفرداً في هذا الحديث يحققه حتّى تندفعَ الشبهة، ويعتمد على الحديث، كما فعل أبو بكر الصدِّيق في ميراث الجدة، وعمر الفاروق في تحقيق الغُرّة.

الثالث: أن يبعثوا علماء الصحابة ﷺ إلى أطراف الأرض، ويأمروهم برواية الأحاديث، ويحرّضوا الناس على أخذ الحديث عنهم، كما بعث عمر بن الخطاب ﷺ عبدَ الله بنَ مسعود مع جماعة من الصحابة إلى الكوفة، ومَعْقِلَ بنَ يسار، وعبدَ اللهِ بنَ مغفّل، وعمران بن حُصين إلى البصرة، وعُبادة بن الصامت وأبا الدرداء إلى الشام، وكتب إلى معاوية بن أبي سفيان (أمير بلاد الشام) رسالةً فيها تنبيهٌ بليغٌ أنْ لا يتجاوزَ أحاديث النبيِّ ﷺ في أيّ حال.

الرابع: أن يعلّموا طرق الرواية، ويأمروا بأخذ الحيطة في ذلك.

الخامس: أن لا يعملوا علناً وجهاراً بحديث، حتى يتفق عليه الجميع، ويؤيده عمل الخلفاء، كما قرأتم في كثير من الأحاديث: «فعل ذلك رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر».

السادس: أن يبيّنوا بأقوالهم وخطبهم على المنابر أنَّ الحديث الذي يزيد على كتاب الله تعالى كحديث: «الإيمان بالقدر» وحديث: «المعراج» و«عذاب القبر»، كل ذلك ممّا يجب الإيمان به، وإن لم نجد ذلك في كتاب الله تعالى؛ إذ إنه من ضروريات الدين.

السابع: أن يبيّنوا معاني الأحاديث بأقوالهم وأحاديثهم، حتى يتقوّى أصلُ الحديث بموقوفات الصحابة، وإن الذين لا يعرفون كُنه الأمر وحقيقة الحال إنّما هم يقولون: إنّه لا يصحُّ عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ في الصحاح المتفق عليها إلا ستّةُ أحاديث، ويبلغ عدد صحيح أحاديث

عمر رضي الله عنه سبعين حديثاً فقط، ولا يدرون أنَّ عمر رضي الله عنه هو الذي أقام صَرْحَ علم الحديث إجمالاً، وأبرزه أمام الجمهور.

❁ [اهتمام الخلفاء بخدمة علم الفقه]:

وإن أعظم عِلْم بعد علم الكتاب والسُّنَّة، وما يحتاج إليه المسلمون في كلّ زمان، هو علّم الفقه، ولا يمكن التوسّطُ بين النبيِّ ﷺ وأمته في ذلك إلا إذا قام كبار علماء الأمة بتعليم طرق الاجتهاد، وبيّنوا ترتيب الأدلة الأربع مثلاً، وترتيب السُّنَّة على الكتاب، وتخصيص عامٍّ كتاب الله بخاص السُّنَّة، وبيان الحديث الذي يفصّل مجملَ الكتاب، كما بيَّن الصدِّيق والفاروق رضي الله عنهما على أكمل صورة وأتمّها.

ومن أعظم أنواع التوسّط إيصال القضايا المجتهَدِ فيها إلى مجال الإجماع، كي يزول الخلافُ بين الأمة، وتحتجّ بها في قضاياها وشؤونها، كذلك الاجتهادُ في المسائل النازلة في أمور العبادات، والمناكحات، والطلاق، والبيوع، وفصل الخصومات، ووقائع السِّيَر، كلُّ ذلك من أنواع التوسط بين النبيِّ ﷺ وأمته؛ إذ إنّ كل ما يصدر من هؤلاء من حكم لمسألة، أو حل لقضية يبلغ إلى الآفاق، ويهتدي به الخاصة والعامة، والقاصي والداني على السواء.

❁ [اهتمام الخلفاء بعلم التزكية والإحسان]:

وأفضل علم بعد علم الفقه هو «علم الإحسان» الذي يدعى بـ«علم التصوف والسلوك»، والذي أُلِّف فيه: «قوت القلوب»[1] و«إحياء علوم الدين»[2].

---

(١) لأبي طالب المكي.

(٢) لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي.

وإنّ توسّط كبار علماء الأمة بين النبيِّ ﷺ وأمته في ذلك يتحقّق بأن يعلّموا الناس بأقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم، علومَ «الإحسان والتزكية» وأحوالها، ودرجاتها ومقاماتها، ويجعلوا مسترشديهم ومن يتّصل بهم معلِّمين مرشدين، حتى تشيعَ هذه العلوم في الآفاق، ويستفيد منها الخاصة والعامة، والقاصي والداني، كما علمتم وقرأتم في ذكر الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

❁ [اهتمام الخلفاء بعلم الحكمة وسياسة البلاد]:

ثم يأتي بعد ذلك عِلْمُ «الحكمة»، ولها مراتب ودرجات، وبيان الأخلاق الفاضلة ومعرفة أضدادها، وعلم تدبير المنازل، وسياسة المدن، وعلم الأصول والكليات التي تتفرّع منها العلوم العقلية والتجريبية.

وبعد الاطلاع على هذه التفاصيل ينبغي أن يُعْلَمَ: أنَّ البلاد التي فُتِحَت في عهد النبي ﷺ إنما كانت بلاد العرب، ولم تفتح بلاد العجم، وفي آخر عهد النبي ﷺ اشتعلت نيران فتنة دعاوى النبوة الكاذبة، وقام مسيلمة الكذاب والأسود العَنْسي يدَّعيان النبوّة، وكدَّرا صفو الحياة الإسلامية، وحين اشتدّت هذه الفتنةُ بعد النبيّ ﷺ ينبغي أن يسأل: مَنْ قام لقمع هذه الفتنة، ودفنها في عُقر دارها؟ ومَنْ قاتل المرتدين والمارقين عن الإسلام؟ ومن وضع أوّل لبنةً لفتح بلاد فارس والروم؟ ومَنْ بذل أقصى المجهودات لفتحهما؟ ومَنْ في عهده تمّ فتحهما؟

إنَّ الأرض كلَّها كانت بمنزلة طائرٍ، رأسُه العراق، وجناحاه فارس والروم، ورِجْلاه الهند وبريطانية، أو الهند وتركية، كما صرَّح به الهرمزان أمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فانظروا: مَنْ شدخَ رأس هذا الطائر؟ ومن كسر جناحيه؟ أمّا رجلاه فقد بقيتا على حالهما إلى عصرنا هذا، ولم يمسّهما كسر أو ضرب.

وإن اشتبه عليك الأمر، ولم تتبيّن عن أول واسطة لإيصال هذا العلم العظيم ـ علم الإحسان وغيره ـ إلى الأمة من بين أصحابه الثلاثة، فإننا نوصيك بإمعان النظر في جماعة ليست عندها رواية عن شخص، ولم يبذلوا مجهوداتهم لأخذ العلم عنه، ولكنّهم يعلمون كلَّ ذلك علماً كاملاً، فإذا كان الحال كذلك، فاعلموا أنّ هذا العلم إنّما حصل لهم بواسطة أخرى غير واسطة هذا الشخص الذي ليست لديهم روايته، ولم يحصلوا العلم عنه.

ونضرب لكم مثالاً: إنّ أهل الشام ومصر ليس عندهم حديث ولا رواية عن علي المرتضى رضي الله عنه، ولكنّهم يتحلّون بحلي الزهد، ويتّصفون بعلم الإحسان بصفة كاملة، فهذا يدل على أنَّ هذا العلم إنَّما حصل لهم بواسطة غير واسطة علي كرَّم الله وجهه.

وبعد بيان هذه النكت الثلاث، نبدأ بذكر مناقب الخلفاء، فركِّزوا اهتمامكم عليها، حتّى تعرفوا حقيقةَ أمر الخلافة، وفكِّروا في المعاني التي سنشير إليها أثناء سرد قصصهم.

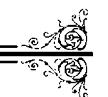
❊ ❊ ❊





الفصل الثاني

الخليفة الأول: أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه



المبحث الأول

مناقبه ومآثره

[أصالة نسبه]:

من فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أصالة نسبه، يقول النسّابة مصعب الزبيري: «إنما سُمِّي أبو بكر عتيقاً؛ لأنّه لم يكن في نسبه شيء يعاب به»، كذا في «الاستيعاب»[١]، وكان من أشراف قريش ووجهائهم، يقول الزبير بن بكّار: «إن أبا بكر رضي الله عنه أحد عشرة من قريش اتّصل بهم شرف الجاهلية بشرف الإسلام، وكان إليه أمر الدِّيات والغرم»[٢].

وفي «الاستيعاب»: «وكان في الجاهلية وجيهاً رئيساً من رؤساء قريش، وإليه كانت الأشناق في الجاهلية، والأشناق: الدِّيات، كان إذا حمل شيئاً قالت فيه قريش: صدقوه، وأمضوا حِمَالته، وحمالة من قام معه أبو بكر، وإنِ احتملها غيرُه خذلوه ولم يصدقوه»[٣].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٣).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٣٥)، و«تاريخ الخلفاء» (١/ ١٢).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥).

يقول محمد بن إسحاق: «وكان أبو بكر رجلاً مَأْلِفاً لقومه، محبَّباً سهلاً، وكان أنسبَ قريش لقريش، وأعلمَ قريشٍ بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلُقٍ ومعروف، وكان رجالُ قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته وحسن مجالسته»[١] الحديث. حتى قال أنس رضي الله عنه في قصة الهجرة: «وأبو بكر شيخٌ يُعْرَفُ، ونبيُّ الله صلى الله عليه وسلم شابٌّ لا يُعْرَفُ»[٢].

ومنها: أنَّ قوته العاقلة والعاملة كانت قويةً مؤثّرة قبل الإسلام أيضاً كما كان بعده، وكلُّ ما كان في أيدي الناس من علم أنساب قريش فهو مأخوذٌ عن زبير بن بكار، وهو أخذ عن مصعب الزبيري، وأخذه الزبيري بواسطة عن جبير بن مطعم، وأخذه جبير عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

وقد اعترف النبي صلى الله عليه وسلم بتفوّقه في علم الأنساب حين قال لحسان بن ثابت رضي الله عنه لما أراد أن يهجوَ قريشاً: «**كيفَ تهجوهم وأنا مِنْهُم؟ وكيف تهجو أبا سُفيانَ وهو ابنُ عَمِّي؟**» فقال: والله لأسلنَّك منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ مِنَ العجينِ، فقال له: «**ائتِ أبا بكرٍ فإنّه أعلمُ بأنسابِ القومِ مِنْكَ**»، فكان يمضي إلى أبي بكر ليقفَه على أنسابهم. الحديث، أخرجه أبو عمر في «الاستيعاب»[٣].

وكانت له يدٌ طولى في الشعر، ولكنّه تركه بعد الإسلام، كذا في «الاستيعاب»، وكانت له مكانة رفيعة في الفصاحة، قال أبو ذؤيب ـ شاعر هذلي ـ في قصة سقيفة بني ساعدة: «تكلّمتِ الأنصارُ، فأطالوا الخطاب، وأكثروا الصوابَ، وتكلَّم أبو بكر، فللّه دَرُّه مِنْ رجلٍ، لا يطيلُ الكلام،

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٣٨)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٣٦).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩١١).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٤٢)، و«أُسد الغابة» (١/ ٢٥٥).

ويعلم مواضع فصل الخطاب، واللهِ لقد تكلَّم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقادَ له ومالَ إليه، ثم تكلَّم عمرُ بعده بدون كلامه، ومدَّ يده، فبايعه وبايعوه»[(١)].

وكان قد **حرَّمَ الخمرَ على نفسِهِ** في الجاهلية أيضاً، كذا في «الاستيعاب»[(٢)].

ولم **يسجد لصنم** قط، عن الزهري أنه قال: «من فضل أبي بكر أنّه لم يشكَّ في اللهِ ساعةً قط»، هذا مذكور في «الصواعق»[(٣)].

وقال ابن الدُّغنة[(٤)] لأشرافِ قريشٍ: «إنّ أبا بكر لا يُخْرَجُ مثله ولا يخرج، أتخرِجونَ رجلاً يُكْسِبُ المعدوم، ويَصِلُ الرحمَ، ويَحْمِلَ الكلَّ، ويَقْرِي الضيفَ، ويعينُ على نوائبِ الحقّ»[(٥)]، وبمثل ذلك قالت السيدة خديجة رضي الله عنها في وصف النبي ﷺ ولم ينكر ذلك أحد من قريش، وهذه نفس الصفات التي وصفت بها خديجة رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ.

❁ [محبَّته للنبيِّ ﷺ قبل إسلامه]:

ومنها: أنّه كان يحبُّ رسول الله ﷺ قبل إسلامه أيضاً غايةَ الحُبِّ، ويفدِّيه بنفسه، وفي قصة سفر رسول الله ﷺ مع عمّه أبي طالب إلى الشام ورجوعه منها جاء في الحديث الذي **رواه الترمذي**[(٦)] وحسَّنه، **والحاكم** وصحَّحه، وفق ما أكّد عليه الراهب أنْ: «بعث معه أبو بكر بلالاً[(٧)]،

(١) انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٦٥٠).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٩).
(٣) انظر: «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة» (١/ ٢٤٣).
(٤) هو: ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة السلمي، كان يقال له: ابن الدغنة، وهي أمه فغلبت على اسمه، شهد حنيناً. «الاستيعاب» (٢/ ٤٩١).
(٥) انظر: «كتاب الثقات» (١/ ٦٨)، و«تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣١٧).
(٦) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٢٠)، و«المستدرك» برقم: (٤٢٢٩).
(٧) قال في «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٦٦): وهو من الغلط الواضح؛ فإنَّ بلالاً إذ ذاك لعلَّه =

وزوَّده الراهب من الكعك والزيت»[١].

وقد شك في هذه القصة بعضُ مَنْ لا يدركون مغزى الكلام، فظنّوا أن أبا بكر كان في سنٍّ مبكر حينذاك، وقد اشترى بلالاً بعد الإسلام، فكيف تصحُّ هذه القصةُ من هاتين الجهتين؟ ولكن **يقول العبد الفقير**: لعلَّ هؤلاء لم يسمعوا قصص أذكياء العالم التي ظهرت منهم في حداثة سنهم، لذلك وقعوا في الارتياب والشك، وأمّا قصة بلال فيمكن أنَّ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعثه معه بعد أن استأجره، أو استعاره من سيده، ويتأكّدُ ذلك بأنَّ بلالاً كان بأيدي بني جُمحٍ، وكانوا جيران أبي بكر رضي الله عنه، وكانوا يعاملونه معاملة حسنة، ويواسونه، وكان أبو بكر رضي الله عنه يعامل النبي ﷺ قبل النبوة معاملةً حسنةً، ويواسيه ويعاضده، ذكر أصحاب السير قصصاً كثيرة في ذلك، وقد ذكرنا أصح قصة منها.

عن ميمون بن مهران قال: «اختلف أبو بكر فيما بينه وبين خديجة، حتى أنكحها إياه»، وهذا مذكور في «الصواعق» معزوّاً لأبي نعيم[٢].

❁ [سَبْقه إلى الإسلام]:

ومنها: أنّه كان أوّل من أسلم على يد رسول الله ﷺ وسبق إليه، واختلف علماء السير فيمن كان أوّل من أسلم؟ أبو بكر، أو علي، أو خديجة؟ وأقيمت الدلائل والحجج على كلٍّ من ذلك، ولكن اتفقوا أنَّ أبا بكر كان أول من أسلم من الرجال الأحرار، وهو الذي أظهر إسلامه على قريش أولاً.

= لم يكن موجوداً، وإن كان فلم يكن مع عمّه ولا مع أبي بكر، وذكر البزّار في «مسنده» هذا الحديث ولم يقل: وأرسل معه عمُّه بلالاً، ولكن قال: رجلاً. انتهى.

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٦٧٢) برقم: (٤٢٢٩).

(٢) انظر: «الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة» (١/ ٢١٦).

وقد سنح لي بهذا الأمر قولٌ لطيف، وهو أنّ السبق إلى الإسلام ليس من محاسن الرجل إلّا لأجل أنّه يؤدي إلى رغبة الآخرين في الإسلام، وجذبِ قلوبهم إليه، والدالُّ على الخير كفاعله، فكلُّ مَنْ يدخل بعده في الإسلام يعودُ أجره إلى أوّل سابقٍ إليه، وهذا لا يحصل إلّا لمن كان حُرّاً بالغاً معروفاً بين الناس، ورئيساً مكرّماً مطاعاً، ويعلن عنه دينه، ويدعو الناسَ بقلبه وقالبه إليه، وإنَّ مثل هذا السبق لا يتحقّق إلا لأبي بكر رضي الله عنه، إذ إنّه هو الذي يتفوّق به، وإن اختلف العلماء في قضية السبق إلى الإسلام.

❁ [اهتداؤه إلى الإسلام بإشارات غيبية]:

ومنها: أنّه اهتدى إلى الإسلام بإشارات غيبية، وذلك لمرّات عديدة، يقول أبو بكر رضي الله عنه: «بينما أنا قاعدٌ في فيء شجرة في الجاهلية، إذ تدلى عليَّ غصن من أغصانها، حتى صار على رأسي، فجعلت أنظر إليه، وأقول: ما هذا؟ فسمعت صوتاً من الشجرة: هذا النبيُّ يخرج في وقت كذا وكذا، فكن أنت من أسعد الناس به، قلت: بيّنه، ما اسم هذا النبي؟ قال: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي، فقال أبو بكر: فقلت: صاحبي وأليفي وحبيبي، فتعاهدت الشجرة متى تبشرني بخروج النبي ﷺ؟ فلمّا أتاه الوحي، سمعت صوتاً من الشجرة: جدّ وشمّر يا ابنَ أبي قحافة! فقد جاء الوحي، وربِّ موسى لا يسبقُكَ إلى الإسلام أحدٌ، قال أبو بكر: فلمّا أصبحتُ غدوتُ إلى النبيِّ ﷺ، فلما رآني، قال لي: **«يا أبا بكر! إني أدعوك إلى الله ورسوله»**، قلت: أشهد أنّك رسولُ اللهِ، بعثك بالحق سراجاً منيراً، فآمنت به وصدّقته»[1].

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٠).

والقصّة الثانية: أنّ أبا بكر رضي الله عنه قال: «رأيتُ قبل مبعث النبيِّ ﷺ في المنام أنَّ نوراً عظيماً نزل من السماء على سقف الكعبة، وما بقي في مكّة بيت إلّا ودخل فيه شيءٌ منه، ثم اجتمعت الأنوار كلّها، وصارت نوراً واحداً، كما كان من قبلُ، ودخل هذا النور في بيتي، وأغلقت بابه»، فلمّا أصبحتُ قصصتُ هذه الرؤيا على أحد من أحبار اليهود وسألتُ تعبيرها، فقال: هذه من أضغاثِ أحلام، لا يُعْبَأُ بها، ومضتِ الأيام، ثم إنّي سألتُ تعبير هذه الرؤيا بحيرا الراهب حين ذهبتُ إلى الشام للتجارة ومررتُ بدير بحيرا، فلمّا قصصتُ عليه هذه الرؤيا «قال: مِنْ أين أنتَ؟ قال: من مكة، قال: من أيِّها؟ قال: من قريش، قال: فأيش أنتَ؟ قال: تاجر، قال: صدَّق الله رؤياك، سيُبْعَثُ نبيٌّ من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسرّ أبو بكر حتّى بُعِثَ النبي ﷺ، فجاءه، فقال: يا محمد! ما الدليل على ما تدعي؟ قال: «**الرؤيا التي رأيتَ بالشام**»، فعانقه وقبَّل عينيه، فقال: أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأشهدُ أنّك رسول الله»[(١)].

ثم إنّ رسول الله ﷺ قال: «**ما دعوتُ أحداً إلى الإسلامِ إلّا وتوقّفَ قليلاً، ثم اعتنقَ الإسلامَ إلّا أبا بكر، فإنِّي حينَ دعوتُه أجابني وصدَّقني، وقال: أشهدُ أنّك رسولُ اللهِ! فهو الصدّيق الأكبر** رضي الله عنه».

وهذا كلّه في كتب الخصائص، ويدلّ على تشبّهه بالأنبياء في بعض أجزاء قوته العقلية.

❁ [إسلام أشراف قريش على يديه]:

ومنها: أنّه دخل في الإسلام صفوةٌ من قريش بدعوته وترغيبه، قال

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٣٠).

ابن إسحاق: فلمّا أسلمَ أبو بكر أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله، وكان أبو بكر رجلاً مألوفاً لقومه محبّباً سهلاً، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وَثِقَ به من قومه ممّن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه فيما بلغني الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمٰن بن عوف، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له وأسلموا وصلّوا[(١)].

ولا يعزبنَّ عن البالِ أنَّ هؤلاء الأشراف الذين أسلموا بدعوة أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، إنّما كان كلّ واحد منهم سيداً، ورئيساً، ومطاعاً لقبيلتهم، ومحبَّباً لديهم، فكان اعتناقُهم الإسلامَ كاسراً لشوكة الكفر، وسبباً لانتشار الإسلام، فكان عثمان بن عفّان وجيهاً في أشراف بني أمية، والزّبير في بني أسد، وسعد وعبد الرحمٰن في بني زُهرة، وطلحة في بني تَيْم بن مرة، وقد اكتفى بذكر هؤلاء محمد بن إسحاق، أما غيره فقد ذكر جماعةً كبيرةً من أمثالهم.

❁ [إنفاقه الأموال لخدمة الإسلام ونبيّه عليه الصلاة والسلام]:

ومنها: أنّه أنفق في بداية الإسلام حين كان غريباً، أربعين ألف درهم لنصرة الإسلام، وإعانة المسلمين، وخدمة النبي الكريم ﷺ.

عن هشام بن عروة عن **أبيه** قال: «أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم أنفقها كلّها على رسول الله ﷺ وفي سبيل الله»، أخرجه **أبو عمر والحاكم**[(٢)]، وله شاهد من حديث النبي ﷺ الذي روي عنه في آخر أيام حياته أنه قال: «**إنّ مِنْ أمنِّ الناسِ عليَّ في مالِهِ وصُحْبَتِهِ أبا بكر**»[(٣)]،

---

(١) انظر: «سيرة ابن إسحاق» (٢/ ١٢١). (٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٦٦)، ومسلم في «صحيحه» برقم: (٢٣٨٢).

وقال: «ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلّا وقد كافئناهُ ما خلا أبا بكرٍ، فإنَّ له عندنا يداً يكافِئه الله بها يومَ القيامةِ، وما نَفَعَنِي مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ»[١].

❁ [من أعتقه أبو بكر رضي الله عنه]:

ومنها: أنّه اشترى وفكّ سبعَ رقابٍ كانوا عند قريش، كانوا متمسّكين بدين الإسلام بكلّ قوة وجراءة، وكان سادتُهم يعذّبونهم أشدّ العذاب، وفي «**الاستيعاب**»: «وأعتقَ أبو بكر سبعةً كانوا يُعذَّبون في الله، منهم بلالٌ وعامرُ بن فُهيرة[٢]»، ورواه محمد بن إسحاق فزاد فيه: قال أبو قُحافةَ لأبي بكر: يا بُنيَّ إنِّي أراكَ تُعْتِقُ رقاباً ضعافاً، فلو أنّكَ إذا ما فعلتَ أعتقتَ رجالاً جُلْداً يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبتِ إنِّي إنّما أريدُ ما أريدُ لله عز وجل، قال: فيتحدّث أنّه ما نزل هؤلاء الآيات إلّا فيه وفيما قال له أبوه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ [الليل][٣]، وقد ذكره محمد بن إسحاق بتفصيل في قصة عدوان المشركين على المستضعفين، وذكر أسماء كلِّ فريق[٤].

❁ [أولُ خطبةٍ في التوحيد]:

ومنها: أنّه لما نزلت الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، أراد رسولُ اللهِ ﷺ تبليغ رسالة التوحيد إلى قريش، وقمع الشرك، فقال أبو بكر الصدِّيق: إنَّ قريشاً قد بلغوا في عصبيتهم الجاهلية إلى أنّهم لن يسمعوا هذه الكلمات مِنْ فيك حتّى يقوموا لإيذائك، فاجعلْ

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦١).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٦).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٩).
(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣١٧).

هذا الأمرَ إليَّ، فألقى أبو بكر الصدِّيق خطبةً عجيبةً بليغةً بإذن رسول الله ﷺ، فلم تترك قريشٌ سبيلاً للإيذاء إلّا وسلكوه، وكانت أوّلَ خطبةٍ ألقيت في الإسلام، وكان فيها من معاني الحبّ والفداء ما يطرب له الناظرون، والقصّة مذكورةٌ في «الرياض النضرة» مفصلة.

❁ [دفاعه عن النبيِّ ﷺ]:

ومنها: أنّ قريشاً كلّما أرادوا إيذاء رسول الله ﷺ كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه يجعل نفسه له جُنَّةً، ويدفع الأذى عنه، أذكر لكم اثنين وثلاث روايات:

• عن **عروة بن الزبير** قال: سألت عبد الله بن عمرو عن أشدِّ ما صَنَعَ المشركون برسول الله ﷺ، قال: رأيتُ عقبة بن أبي مُعَيطٍ جاء إلى النبيِّ ﷺ وهو يصلِّي، فوضع رداءه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فجاء أبو بكر حتّى دفعه عنه، فقال: «أتقتلونَ رجلاً أن يقولَ: ربِّيَ اللهُ، وقد جاءكم بالبيناتِ مِنْ ربِّكم؟» أخرجه **البخاري**(١).

• وعن **أنس** رضي الله عنه قال: لقد ضربوا رسول الله ﷺ حتّى غُشِيَ عليه، فقام أبو بكر رضي الله عنه، فجعل ينادي ويقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ: ربِّيَ الله؟ قالوا: مَنْ هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي قحافةَ المجنون، أخرجه **الحاكم**(٢).

• وعن **أسماء بنت أبي بكر**، أنهم قالوا لها: ما أشدُّ ما رأيتِ المشركينَ بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قُعوداً في المسجدِ الحرامِ، فتذاكروا رسولَ اللهِ ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٧٨).

(٢) انظر: «المستدرك» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٤).

كذلك، إذ دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ المسجدَ، فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شيءٍ صدّقهم، فقالوا: ألستَ تقول في آلهتهم كذا وكذا؟ قال: بلى، قال: فنشبوا به بأجمعهم، فأتى الصريخُ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبَكَ، فخرج أبو بكر حتّى دخلَ المسجد، فوجد رسول الله ﷺ والناسُ مجتمعون عليه، فقال: ويلكم! أتقتلونَ رجلاً أنْ يقولَ: ربِّيَ الله، وقد جاءكم بالبينات مِنْ ربّكم؟ قالت: فلُهوا عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، قالت: فرجع إلينا، فجعل لا يَمَسُّ شيئاً من غدائره إلّا جاءَ معه، وهو يقول: تباركتَ يا ذا الجلال والإكرام، رواه **أبو عمر في «الاستيعاب»**[1].

ومنها: أنّه دفع أذى قريش عن النبيِّ ﷺ مراراً وتكراراً بالتورية والكناية، جاء في قصّة الهجرة أنّه كلَّما سأله أحدٌ عن النبيِّ ﷺ في سفره إلى المدينة، أجاب: «هذا الرجلُ يهديني السبيل»[2].

ولـمّا نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾، أرادت زوجةُ أبي لهب إيذاءَه وإيلامَه، فأتت أبا بكر الصدِّيق، وقالت له: إنَّ صاحبَك هجاني، قال: ما يقول الشعر، أخرجه **أبو يعلى**[3].

۞ [ملازمته للنبيِّ ﷺ في شِعْبِ أبي طالب]:

ومنها: أنّه لـمّا أجمعَ المشركون على إيذاء النبيِّ ﷺ، وكتبوا صحيفةً ضدّه، كان أبو بكر يلازمه ويرافقه في حال الضيق والشدّة، وفي ذلك قال أبو طالب:

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩١١).

(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٣٣) برقم: (٢٥).

هم رجّعوا سَهْلَ بنَ بيضاءَ راضياً   وسُـرَّ أبـو بـكـرٍ بـهـا ومُـحَـمَّـدُ

كذا في سيرة ابن إسحاق[١].

❁ [هو أوّلُ مَنْ بنى مسجداً في مكة]:

ومنها: أنّه أوّل مَنْ بنى مسجداً في مكة، وأظهر إسلامه، فآذته قريشٌ، وسدُّوا عليه مسالك الحياة، حتّى أراد أبو بكر أن يهاجِرَ من مكة، فردّه ابن الدَّغنة عن الطريق، وطلب عهداً من المشركين أن لا يتعرّضوا لمثل هذا الرجل، وأعطى جواره، ثم بدا لأبي بكر أن يردَّ إلى ابن الدّغنة جوارَه، فقال: «إنِّي أردُّ إليكَ جوارك وأرضى بجوارِ اللهِ، ومن ثَمَّ أعلنَ الصلاةَ والقراءةَ»، أخرجه البخاري[٢] في حديث طويل عن عائشة ﵂.

❁ [مراهنته مع المشركين لإعلاء كلمة الله في قصة غلبة فارس على الروم]:

ومنها: أنه راهن المشركين إعلاءً لكلمة الله في قصة غلبة فارس على الروم.

• عن **ابن عبّاس** ﵄ قال: كان المسلمون يحبّون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبّون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنّهم أهل أوثان، فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ﵁، فذكر ذلك أبو بكر للنبيِّ ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: **«أما إنّهم سيُهزَمون»**، فذكر أبو بكر لهم ذلك، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهروا كان لك كذا وكذا، وإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا، فجعل بينهم أجلَ خمسِ

(١) انظر: «السيرة النبوية» (٢/ ٢٢٤).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٢٩٧).

سنين، فلم يظهروا، فذكر ذلك أبو بكر للنبيِّ ﷺ فقال: ألا جعلته أراه قال: «**دون العشرة**». قال: فظهرت الروم بعد ذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم]، قال: فغُلِبتِ الرومُ ثم غَلَبَتْ بعدُ ﴿...لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٤، ٥] قال سفيان: وسمعت أنّهم ظهروا يوم بدر، أخرجه **الحاكم**(١).

❁ [اختلاف النبي ﷺ إلى بيته كلَّ يوم]:

ومنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يختلِفُ إلى بيته رضي الله عنه طرفي النهار بكرةً وعشيّة، طوال إقامته في مكة.

• عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: «لم أعقل أبويَّ إلّا وهما يدينانِ الدين، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار بكرةً وعشيةً»، أخرجه **البخاري**(٢) في قصة الهجرة.

❁ [رعايته لاحترام النبيِّ ﷺ وحقوقه بعد تزويج عائشة رضي الله عنها]:

ومنها: أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما أنكح عائشةَ رضي الله عنها النبيَّ ﷺ بعد وفاة خديجة رضي الله عنها قام برعاية حقِّ رسولِ اللهِ ﷺ وأدبه إلى حدٍّ لا يتصوَّرُ فوقه.

• عن حبيب مولى عروة قال: لمّا ماتتْ خديجةُ حزن عليها النبيُّ ﷺ، فأتاه جبريلُ عليه السلام بعائشة في مهدٍ، فقال: يا رسول الله! هذه تذهبُ ببعض حزنك، وإنّ في هذه لخلفاً من خديجة، ثم ردّها، فكان رسول الله ﷺ يختلِفُ إلى بيت أبي بكر رضي الله عنه، أخرجه **الحاكم**(٣).

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤٤٥) برقم: (٣٥٤٠).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٧٦).

(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥) برقم: (٦٧١٦).

• وعن **عائشة** ﵂ قالت: «قدمنا المدينةَ إلى أن قالت: قال أبو بكر: يا رسول الله! ما يمنعُكَ أنْ تبنيَ بأهلك؟ قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«الصَّداقُ»**، فأعطاه أبو بكر الصّداقَ اثنتي عشرة أوقية ونشّاً، فبعث بها رسولُ اللهِ ﷺ إلينا، وبنى بي رسولُ اللهِ في بيتي هذا الذي أنا فيه»، أخرجه **الحاكم**، وأبو عمر في **«الاستيعاب»** مثله[١].

۞ [أوّلُ مَنْ صدّق بإسراءِ النبيِّ ﷺ]:

ومنها: أنّه لمّا أسري برسولِ اللهِ ﷺ ليلة المعراج، كان أبو بكر ﵁ أوّلَ مَنْ صدَّق بهذا.

• عن **عائشة** ﵂ قالت: «لمّا أُسريَ بالنبيِّ ﷺ إلى المسجد الأقصى، أصبح يتحدّث الناسُ بذلك، فارتدّ ناسٌ ممّن كانوا آمنوا به وصدّقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ﵁»[٢]، فذكرتِ الحديثَ إلى أن قالت: فقال أبو بكر: إنِّي لأصدّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، أصدِّقُه بخبرِ السماءِ في غدوةٍ أو روحةٍ؛ فلذلك سُمِّي أبو بكر الصدِّيقَ[٣]، وفي «الاستيعاب» نحو ذلك.

۞ [مصاحبته النبيَّ ﷺ في تبليغ قبائل العرب]:

ومنها: أنّه لما عرض النبيُّ ﷺ دعوته أمام قبائل العرب في الموسم، ليهتدوا بالذي جاء به من الهدى من عند الله، ويسعدوا بنصره، كان أبو بكر ﵁ يرافقُه، ويتولّى الكلامَ عنه في كلِّ مناسبة، وقد ذُكرتْ هذه القصصُ في «الرياض النضرة» عن علي المرتضى ﵁[٤].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥) برقم: (٦٧١٦)، و«الاستيعاب» (٢/ ١٢٨).
(٢) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٢/ ٢٤٦).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٧).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (٢/ ١٦).

❁ [رفيقُه في الهجرة]:

ومنها: أنّه لمّا هاجر النبيُّ ﷺ إلى المدينة المنورة صَحِبَه أبو بكر رضي الله عنه، وأتى في سفره هذا بنماذجَ عجيبة للحُبِّ والفداء، حتى نوَّه الله تعالى بشأنه فقال: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقال رسول الله ﷺ وهو يمدحه: «**حملني إلى دارِ الهِجْرَةِ**[١]»، وظلّت ألسنةُ الناسِ رطبةً بالثناء على أبي بكر رضي الله عنه، وهذه القصةُ مذكورة في «صحيح البخاري» بتفاصيلها[٢].

❁ [مواقفه في غزوة بدر]:

وفي غزوة بدر التي كانت أوّلَ غزوة في الإسلام، وأفضلَ الغزوات التي وقعت بعدها، امتاز أبو بكر الصديق رضي الله عنه بمواقفه الجليلة، وظهرت فضائله بوجوه:

الأول: أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان ثانيَ رسولِ اللهِ ﷺ في العريش[٣].

الثاني: أنّه تلقى إلهاماً من الغيب، وصوّبه رسولُ اللهِ ﷺ.

• عن **ابن عبّاس** قال: قال النبيُّ ﷺ وهو في قبةٍ: «**اللَّهُمَّ إنِّي أنشدك عهدَكَ ووعدَكَ، اللَّهُمَّ إن شئتَ لَمْ تُعْبَدْ بعدَ اليومِ**»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبُكَ يا رسولَ اللهِ! فقد ألححتَ على ربِّكَ، وهو في الدرع فخرجَ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، أخرجه **البخاري**[٤].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٦) برقم: (٤٤٤١).

(٢) «٤٥ ـ باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٦٣ ـ كتاب: مناقب الأنصار».

(٣) شبه الخيمة، يبنى للرئيس في العسكر يشرف منه عليه.

(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٩١٥).

يقول الفقير: معنى هذا أنّ أبا بكر ﷺ أُلهم أنّ هذا الدعاء الذي دعا به رسول الله ﷺ هو مقرون بالإجابة، وكان ذلك من الوقائع التي سبق فيها إلهامُ الصحابة وحيَ رسول الله ﷺ، ثم نزل الوحي وفق الإلهام، بل إنّ ذلك الإلهام هو الذي نزل وحياً على رسول الله ﷺ، ذلك لأنّ النبيَّ ﷺ تفرّس بأنّ هذا الإلهام إنّما كان من الغيب، ومن قِبَلِ مدبِّر السماوات والأرض، وهذا التفرّس هو الوحي الباطني، كما ورد في قصّة الأذان: أنّ رسول الله ﷺ أيّد رؤيا عبدَ الله بن زيد، وإلهامَ عمرَ بنِ الخطاب ﷺ، وقد اعتمد على رؤيا بعض صحابته ليلة القدر، إلى غير ذلك من الوقائع.

الثالث: ولما خرج النبيُّ ﷺ من العريش، وتوجّه لقتال قريش، جعل على ميمنة المجاهدين أبا بكر، ومعه ميكائيل عليه السلام، وعلى ميسرة المجاهدين عليَّ بنَ أبي طالب، ومعه إسرافيل عليه السلام.

عن علي ﷺ قال: «بينما أنا أميح من قليبٍ ببدر، إذ جاءت ريح شديدةٌ لم أر مثلها قط، ثم ذهبت، ثم جاءت ريح شديدة لم أر مثلها قط إلّا التي كانت قبلها، فكانت الريحُ الأولى جبريل، نزل في ألف من الملائكة مع رسول الله ﷺ، وكانت الريحُ الثانية ميكائيل، نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر عن يمينه، وكانت الريحُ الثالثة إسرافيل عليه السلام، نزل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله ﷺ، وأنا في الميسرة، فلمّا هَزَمَ اللهُ تعالى أعداءه حملني رسول الله ﷺ على فرسه، فجرت بي، فوقعت على عقبي، فدعوت الله عز وجل فأمسكني، فلمّا استويت عليها، طعنت بيدي هذه في القوم حتى اختضب هذا مني دماً، وأشار إلى إبطه»، أخرجه الحاكم[١].

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٢) برقم: (٤٤٣١).

الرابع: ولما جاء أسارى بدر، شاور رسول الله ﷺ أصحابه، فاختار مشورة أبي بكر رضي الله عنه، وشبّهه بعيسى عليه السلام، وإن كان ظهر أخيراً فضلُ مشورةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

• عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: لمّا كان يومُ بدرٍ، قال لهم رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تقولونَ في هؤلاء الأُسَارَى؟**».

فقال عبد الله بن رواحة: ائت في وادٍ كثيرِ الحطب، فأضرمْ ناراً، ثم ألقهم فيها.

فقال العباسُ رضي الله عنه: قطعَ الله رحمَكَ.

فقال عمر رضي الله عنه: قادتُهم ورؤساؤهم قاتلوك وكذّبوك، فاضربْ أعناقَهم بعدُ.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: عشيرتُكَ وقومُكَ.

ثم دخل رسولُ اللهِ ﷺ لبعض حاجته، فقالت طائفةٌ: القولُ ما قال عمرُ، فخرجَ رسول الله ﷺ، فقال: «**ما تقولون في هؤلاءِ؟ إنَّ مَثلَ هؤلاءِ كَمَثَلِ إخوةٍ لهم، كانوا مِنْ قبلهم، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾** [نوح]، **وقال موسى: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾** [يونس: ٨٨]، **وقال إبراهيم: ﴿...فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾** [إبراهيم]، **وقال عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾** [المائدة]، **وأنتم قومٌ فيكم عَيْلَةٌ**[1]**، فلا ينفلتنَّ أحدٌ منكم إلّا بفداءٍ أو بضربِ عُنُقٍ**»، أخرجه **الحاكم**[2].

---

(١) **العيلة**: الفاقة.

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٩) برقم: (٤٣١٥).

۞ [مواقفه في غزوة أُحد]:

وفي غزوة أُحد امتاز أبو بكر رضي الله عنه بنصيب أوفر من الفضائل والحسنات من وجوه متعددة:

الأول: إنّه بذل كل ما كان في وسعه من الجهود، ولم يألُ جهداً في دفع الأذى عنه ﷺ.

• قال ابن إسحاق: «فلمّا عرف المسلمون رسولَ الله ﷺ نهضوا به، ونهضَ معهم نحو الشِّعْب، معه أبو بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير بن العوام، والحارث بن الصمة رضوان الله عليهم ورهطٌ من المسلمين»[1].

• وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: «قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: لمّا جال الناسُ على رسول الله ﷺ يوم أُحد، كنتُ أوّل من فاء إلى رسول الله ﷺ، فبصرت به من بعدُ، فإذا أنا برجل قد اعتنقني من خلفي مثل الطير يريدُ رسولَ الله ﷺ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح...» الحديث، أخرجه **الحاكم**[2].

ومعنى «الجَولان» في «جال الناس» تفرُّق الناس لاشتكاك بعضهم ببعض، لا الفرار من ساحة الحرب.

الثاني: أنّ كفار قريش كانوا يحسبون لأبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ حساباً كبيراً من بين أصحابه الآخرين، لذلك نادى أبو سفيان باسم محمد، وأبي بكر، وعمر، حين أراد أن يستخبر عن أحياء جنود المسلمين وأمواتهم، إذ كان لا يخاف إلّا من هؤلاء الثلاثة.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/٨٣)، و«السيرة النبوية»، لابن إسحاق (ص١١٧).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/٢٩) برقم: (٤٣١٥).

• ومن حديث **البراء**: «أشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «**لا تجيبوه**»، فقال: أفي القوم ابنُ أبي قُحافة؟ قال: «**لا تجيبوه**»، فقال: أفي القوم ابنُ الخطّاب؟ فقال: إنّ هؤلاء قتلوا، فلو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملكْ عمرُ نفسَه، فقال: كذبتَ يا عدوَّ اللهِ! أبقى اللهُ عليكَ ما يخزيك» أخرجه **البخاري**(١).

الثالث: لمّا توجَّه رسول الله ﷺ إثر المشركين في غزوة أُحد، وقال: مَنْ يذهب إثرهم؟ كان أبو بكر من الذين استجابوا لرسول الله ﷺ، وخرجوا معه ﷺ.

• عن **عائشة** رضي الله عنها في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران]، قالت لعروة: يا ابنَ أُختي! كان أبواك منهم، الزبيرُ وأبو بكر، لمَّا أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا قال: مَنْ يذهبْ في إثرهم، فانتدبَ منهم سبعون رجلاً، كان فيهم أبو بكر والزبير، أخرجه **البخاري**(٢).

❁ [إمارة جيش في غزوة الخندق]:

وفي غزوة الخندق أمّر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه على جماعة من أصحابه، وولّاه مسؤولية الحفاظ على جانب من الخندق، وإنّ مسجد الصدّيق لدى الخندق هو الذي كان منزل الصدّيق في هذه الغزوة.

❁ [موقفه من حديث الإفك]:

ولمّا وقعت حادثةُ الإفك في غزوة المريسيع(٣)، وتحدّث المنافقون

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٤٣). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٧٧).

(٣) **المريسيع**: عين في الحجاز، وتسمّى هذه الغزوة غزوة بني المصطلق.

ما تحدّثوا من أحاديث شائنة، ووقعوا في سوء عظيم، وتوقّف بعضُ المسلمين حين سمعوا عن الصدِّيقة هذا الكذبَ والزورَ، ولم يقولوا: «سبحانك هذا بهتان عظيم»، فوقعوا في البلاء المبين، ظهرت فضائل أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه **من وجوه متعددة:**

الأول: ظهر منه انقياد تامٌّ واستسلام كامِلٌ للنبيِّ ﷺ بمناسبة هذه الحادثة المؤلمة.

• عن **عائشة** رضي الله عنها في قصة الإفك قالت: «فتشهّدَ رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «**أمّا بعدُ! يا عائشةُ فإنّه قد بلغني عنكِ كذا وكذا، فإنْ كنتِ بريئةً فسيبرّئكِ اللهُ، وإنْ كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري اللهَ، وتوبي إليهِ، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ بذنبه، ثم تابَ إلى اللهِ، تابَ اللهُ عليه**».

قالت: فلمّا قضى رسولُ اللهِ ﷺ مقالته، قلص دمعي، حتّى ما أحسُّ منه قطرة، فقلت لأبي: أجبْ عنِّي رسولَ اللهِ ﷺ فيما قال.

قال: واللهِ ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ.

فقلتُ لأمي: أجيبي عني رسولَ اللهِ ﷺ.

قالت: ما أدري ما أقولُ لرسولِ اللهِ ﷺ» أخرجه **البخاري**[(١)].

الثاني: لمّا نزلت آيةُ البراءة للصدِّيقة رضي الله عنها اشتملت على براءة رسول الله ﷺ وأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه أيضاً، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ﴾ [النور: ٢٦]، وذلك لأنّ هذا الإفكَ إن كان قد وقع حقاً (نعوذ بالله) فكان رسول الله ﷺ وأبو بكر ممّن يلام على ذلك، فإن زوج المرأة ووالدها يكونان هدفاً للّوم والسبّ في مثل هذه الأمور.

الثالث: أن أبا بكر رضي الله عنه كان ينفِقُ على مِسْطَحِ بنِ أثاثة، فلمّا قال

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٧٥٠).

لعائشة في قصة الإفك ما قال، أمسكَ عن الإنفاق عليه، فنزلت الآية: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النور: ٢٢].

• عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: قال أبو بكر الصدِّيق، وكان ينفِقُ على مِسْطَح بنِ أثاثة، لقرابته منه، وفقرِه: واللهِ لا أُنْفِقُ على مِسْطَح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشةَ ما قال، فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿...غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٢﴾ قال أبو بكر الصدِّيق: بلى واللهِ إنِّي لأحبُّ أنْ يغفرَ اللهُ لي، فرجعَ إلى مِسْطَح النفقةَ **التي** كان ينفق عليه، وقال: واللهِ لا أنزعُها منه أبداً، أخرجه **البخاري**(١).

۞ [مواقفه في الحديبية]:

وفي الحديبية ظهرت له مواقف جليلة زادته مكانةً ودرجةً بوجوه:

الأول: كلَّمَ أبو بكر عروة بن مسعود كلاماً شديداً غليظاً حتى سبّه وشتمه لإظهار قوة المسلين وشوكتهم، وقد ظهرت فائدةُ هذه الغلظة والشدّة أخيراً، فإنّ عروة بن مسعود ذكر استقامة أصحاب النبي ﷺ الكاملة في الدفاع عن نبيِّهم ﷺ أمام قريش، وذلك الذي اضطرهم إلى الصلح.

جاء في قصة الحديبية: «فقال عروةُ عند ذلك: أيْ محمّد! أرأيتَ إن استأصلتَ أمرَ قومك، هل سمعتَ بأحدٍ من العرب اجتاحَ أهله قبلك؟ وإنْ تكن الأُخرى فإنِّي واللهِ لأرى وجوهاً وإنِّي لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفرّوا ويدَعوك، فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللاتِ، أنحنُ نفرّ عنه وندعَه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يدٌ كانت لك عندي لم أُجزِكَ بها لأجبتُكَ»(٢).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤١٤١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٧٣١).

الثاني: لمّا استشاط عمرُ بنُ الخطاب ﵁ في الحديبية غضباً، وأخذته الغَيرةُ في دينِ اللهِ، وسأل أبا بكر أسئلةً، أجاب عنها أبو بكر ﵁ نفس الجواب الذي أجابه رسولُ اللهِ ﷺ حين سأله، وهذا يدلّ على نسبته الاتحادية مع رسول الله ﷺ، ومن هنا يُعلَم أنَّ علوم النبي ﷺ كانت تتجلّى في نفس الصدِّيق ﵁.

«قال عمرُ بنُ الخطّاب: فأتيتُ نبيَّ الله ﷺ، فقلتُ: ألستَ نبيَّ اللهِ حقّاً؟ قال: «**بلى**»، قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوّنا على الباطل؟ قال: «**بلى**»، قلتُ: فلِمَ نعطي الدَّنيةَ في ديننا إذاً؟ قال: «**إنِّي رسولُ اللهِ، ولستُ أعصيه، وهو ناصِري**»، قلتُ: أوليسَ كنتَ تحدِّثنا أنّا سنأتي البيتَ فنطوف به؟ قال: «**بلى، فأخبرتُكَ أنّا نأتيه العامَ**»، قال: قلتُ: لا، قال: «**فإنّكَ آتيه، ومطوِّفٌ به**»، قال: فأتيتُ أبا بكرٍ فقلتُ: يا أبا بكر! أليس هذا نبيُّ اللهِ حقّاً؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل؟ قال: بلى، قلتُ: فلم نعطي الدنيةَ في ديننا إذاً؟ قال: أيُّها الرجلُ، إنّه لرسولُ اللهِ ﷺ وليس يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسكْ بِغَرْزِهِ، فواللهِ إنَّه على الحقِّ؟ قلتُ: أليسَ كان يحدِّثنا أنَّا سنأتي البيتَ، ونطوف به، قال: بلى، أفأخْبَرَكَ أنّكَ تأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنَّك آتيه ومطوِّفٌ به، قال الزهري: قال عمر: فعملتُ لذلك أعمالاً» أخرجه **البخاري**[١].

الثالث: لمّا استشار رسولُ اللهِ ﷺ أصحابه بالحديبية في اختيار الحرب أو الصلح، اختار رأي الصدِّيق ﵁.

جاء في قصّة الحديبية: «أنّه ﷺ بعثَ عيناً له من خزاعة، وسار

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٧٣١).

النبيُّ ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط، أتاه عينُه، قال: إنَّ قريشاً جمعوا لكَ جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيشَ، وهم مقاتلوك، وصادّوك عن البيتِ، ومانعوكَ، قال: **أشيروا أيها الناس عليَّ، أترونَ أن أميلَ إلى عيالهم، وذراري هؤلاء الذين يريدونَ أن يصدّونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين، وإلّا تركناهم محروبين.**

قال أبو بكر: يا رسول الله! خرجتَ عامداً لهذا البيتِ، لا تريدُ قتلَ أحدٍ، ولا حربَ أحدٍ، فتوجَّه له، فمن صدَّنا عنه قاتلناه، قال: «**امضوا على اسمِ اللهِ**» أخرجه **البخاري**[1].

❁ [حضوره في غزوة خيبر]:

ومنها: أنّه كان مرافقاً للنبيِّ ﷺ في غزوة خيبر، وبعثه رسول الله ﷺ إلى بعض حصون خيبر، وإن كان ظهر في هذه الغزوة أخيراً مواقفُ سامية وفضائلُ كريمة لعليٍّ المرتضى رضي الله عنه.

• عن **سلمةَ بنِ الأكوع** قال: «بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر رضي الله عنه إلى بعضِ حصونِ خيبرَ، فقاتلَ وجهدَ، ولم يكن فتحٌ»، أخرجه **الحاكم**[2].

❁ [إمارته على سرية بني فزارة]:

ومنها: أنّ النبيَّ ﷺ أمّر أبا بكر على سريّة بني فَزارة.

• عن **سلمة بن الأكوع**، قال: أمّر علينا رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه، فغزونا ناساً من بني فزارة، فلمّا دنونا من الماء، أمرنا

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤١٧٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٩) برقم: (٤٣٣٨).

أبو بكر رضي الله عنه فعرّسنا، فلمّا صلينا الصبحَ، أمرنا أبو بكر رضي الله عنه فشننا الغارة، قال: فوردنا الماءَ، فقتلنا به مَنْ قتلنا، قال: فانصرف عُنُقٌ من الناسِ، وفيهم الذراري، والنساء، قد كادوا يسبقونَ إلى الجبل، فطرحنا سهماً بينهم وبينَ الجبل، فلمّا رأوا السهمَ وقفوا، فجئتُ بهم أسوقُهم إلى أبي بكر رضي الله عنه، وفيهم امرأةٌ من بني فزارة عليها قشع[1] من أَدَمٍ، معها ابنةٌ لها من أحسنِ العربِ، قال: فنفلني أبو بكر رضي الله عنه ابنتَها، قال: فَقَدِمْتُ المدينةَ، فلقيني رسولُ اللهِ ﷺ بالسوق، فقال: «**يا سلمةُ! للهِ أبوكَ، هَبْ لي المرأةَ**»، فقلتُ: واللهِ يا رسول اللهِ! ما كشفتُ لها ثوباً، وهي لك يا رسول الله! فبعث بها رسولُ اللهِ ﷺ إلى مكّة، ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين»، أخرجه **الحاكم**[2].

❁ [مكانة الصدّيق والفاروق عند النبي ﷺ]:

ومنها: أنّ النبيَّ ﷺ لمّا أراد أن يبعثَ كُتباً ورسائلَ إلى ملوك العالم، وأرسلَ لذلك جماعةً من الصحابة إلى الملوك، سأل سائلٌ: لِمَ لا يرسِلُ رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر لذلك؟ فأجاب رسول الله ﷺ بما يدلُّ على فضيلةِ أبي بكر وعمر، ومكانتهما عنده.

● عن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لقد هَمَمْتُ أنْ أبعثَ إلى الآفاقِ رجالاً يعلّمونَ الناسَ السُّنَنَ والفرائضَ، كما بعثَ عيسى ابنُ مريم الحواريينَ**».

قيل له: فأينَ أنتَ من أبي بكر وعمر؟

---

(١) الفرو الخلق.

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٨) برقم: (٤٣٣٥).

قال: «**إنّه لا غنى بي عنهما، إنّهما من الدِّينِ كالسَّمْعِ والبصر**»»، أخرجه **الحاكم**(١).

۞ [اختصاصه بالشورى في مصالح المسلمين]:

ومنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يشاوِرُ أبا بكر رضي الله عنه في أمور المسلمين، ويعمل وفق رأيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، قال: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما(٢).

• وعن **عمر** رضي الله عنه قال: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يَسْمُرُ عند أبي بكرٍ الليلةَ كذلك في الأمر من أمر المسلمين وأنا معه» أخرجه **أحمد**(٣).

• وعن **عبد الرحمٰن بن غنم**: «أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما: «**لو اجتمعتُما في مَشُورةٍ ما خالفتُكما**»»، أخرجه **أحمد**(٤).

۞ [المراد بـ«صالح المؤمنين» في سورة التحريم أبو بكر وعمر]:

ومنها: أنّه لما نزلت سورةُ التحريم بمناسبة غَيْرةِ أزواجه المطهّرات، كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما مصداقَ قول الله تعالى: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤].

• عن **أبي أمامة** قال في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أبو بكر وعمر، أخرجه **الحاكم**(٥).

وشاهِدُه حديثُ نعمان بن بشير: «استأذن أبو بكر على النبي ﷺ

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٨) برقم: (٤٤٤٨).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (١٠/ ١٠٨).
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٧٨).
(٤) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٨٠٢٣).
(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٣) برقم: (٤٤٣٣).

فسمع صوت عائشة عالياً، فلمّا دخل، تناولها ليلطمَها وقال: ألا أراكِ ترفعينَ صوتَكِ على رسولِ اللهِ ﷺ»، أخرجه أبو **داود**[١].

❁ [كتمانُه أسرار رسولِ اللهِ ﷺ]:

ومنها: أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان لا يفشي سرَّ رسولِ اللهِ ﷺ في أيّ حال، جاء في قِصّة عَرْضِ حفصةَ على عثمانَ وأبي بكر: قال أبو بكر لعمر: فإنّه لم يمنعني أن أرجعَ إليكَ فيما عرضتَ عليَّ إلا أني كنتُ علمتُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشيَ سرَّ رسول الله ﷺ» رواه **البخاري**[٢].

❁ [سَبْقُه إلى أنواع الخير]:

ومنها: أنّ أبا بكر رضي الله عنه كان سبّاقاً إلى الخيراتِ، قال عمر رضي الله عنه في قصة بشارة عبد الله بن مسعود: إن فعلتَ إنّكَ لسابقٌ بالخير[٣]، وورد مثلُ ذلك في مناسباتٍ كثيرةٍ، حتى لقّبوه بالسبّاق إلى الخير.

ومنها: أنّه لمّا قدمتْ عيرُ الشام إلى المدينة المنورة يوم الجمعة، وكان النبيُّ ﷺ يخطبُ على المنبر، خرج الناسُ من المسجد، وانفضّوا، فكان أبو بكر رضي الله عنه ممّن ثبتوا ولم يتزحزحوا عن مكانهم.

● عن **جابر** قال: «بينما النبيُّ ﷺ يخطبُ يومَ الجمعةِ قائماً، إذ قدمت عيرُ المدينة، فابتدرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حتّى لم يبقَ منهم

---

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٩٩٩).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٥٢٢).

(٣) قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أحبَّ أَنْ يقرأَ القرآنَ غضّاً كما أُنْزِلَ فليقرأه على قراءةِ ابنِ أُمِّ عَبْدٍ»**، فأتى عمرُ عبدَ اللهِ ليبشّره فوجد أبا بكر قد سبقَه، قال: إن فعلتُ إنّك لسابق بالخير، «صحيح ابن حبان» رقم: (٧٠٦٧).

إلا اثنا عشر رجلاً، فيهم أبو بكر وعمر»، أخرجه **الترمذي**[(١)].

❁ [مواقفه في فتح مكة]:

وفي فتح مكة ظهرت لأبي بكر فضائلُ ومواقفُ جليلة **بوجوه**:

الأول: أتى أبو سفيان أبا بكر قبل الفتح، وكلّمه لاستعادة الصلح الذي كان بين النبي ﷺ وقريش، ذلك لأنَّ أبا بكر كانت له وجاهة عظمى بين المسلمين.

• قال محمد بن إسحاق: «ثم خرج أبو سفيان، حتّى أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فكلَّمه، فلم يرد عليه شيئاً، ثم ذهبَ إلى أبي بكر، فكلّمه أن يكلّمَ له رسولَ اللهِ ﷺ فقال: ما أنا بفاعل، ثم أتى عمرَ بنَ الخطّاب، فكلّمه، فقال: أنا أشفعُ لكم إلى رسولِ اللهِ ﷺ؟ فواللهِ لو لم أجدْ إلّا الذرَّ لجاهدتُكم به»[(٢)].

الثاني: لما دخل النبيُّ ﷺ مكة يوم الفتح أقبل على أبي بكر وقال: «**كيفَ قال حسّان؟**»

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لمّا دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساءَ يلطمنَ وجوهَ الخيل بالخُمُرِ، فتبسّم إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال: «**يا أبا بكرٍ! كيف قال حسّانُ بنُ ثابتٍ؟**» فأنشده أبو بكر رضي الله عنه:

عَـدِمْـتُ بُـنَـيَّـتِـي إنْ لَـمْ تَـرَوْهَـا ... تُـثِـيـر الـنَّـقْـعَ مِـنْ كـنـفـي كَـداءُ
يـنـازِعْـنَ الأعـنّـةَ مُـسْـرِعَـاتٍ ... يـلـطـمـهـنَّ بـالـخُـمُـرِ الـنـساءُ

فقال رسول الله ﷺ: «**ادخلوا منْ حيثُ قال حَسّان**» أخرجه **الحاكم**[(٣)].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٣١١). (٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٩٦).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٦) برقم: (٤٤٤٢).

الثالث: اعتنق والد أبي بكر أبو قحافة يوم فتح مكة الإسلام، ولم يدرك النبيَّ ﷺ أربعةٌ متوالدون في أسرةٍ إلا أسرةُ أبي بكر رضي الله عنه.

• قال محمد بن إسحاق: «فلمّا دخلَ رسولُ اللهِ ﷺ، ودخل المسجد، أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده، فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال: «**هلّا تركتَ الشيخَ في بيته حتّى أكونَ أنا آتيه فيه**».

قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله! هو أحقُّ أن يمشيَ إليك مَنْ أَنْ تمشيَ إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسحَ صدره، ثم قال له: «**أسلم**»، فأسلم»[١] الحديث.

• وقال علي بن أبي طالب: «هذه الآية في أبي بكر؛ يعني: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف: ١٥]، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحدٍ من الصحابة المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده»، أخرجه **الواحدي**[٢].

• وعن موسى بن عقبة: «لم يدركْ أربعةٌ النبيَّ ﷺ إلّا هؤلاء: أبو قحافة، وأبو بكر، وابنه عبد الرحمٰن، وأبو عتيق ابن عبد الرحمٰن بن أبي بكر» أخرجه **الواحدي**.

۞ [إصابة رأيه في قضية أبي قتادة يوم حُنين]:

ومنها: أنَّ النبيَّ ﷺ قَبِل مشورةَ أبي بكر رضي الله عنه في قضيّة أبي قتادة في غزوة حُنين.

• عن أبي قتادة قال: «قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أقامَ بيِّنة على قتيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ**»، فقمت لألتمسَ بينةً على قتيلي، فلم أرَ أحداً يشهدُ لي،

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠٥).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٣١)، و«الوجيز»، للواحدي (١/ ٩٠٤).

فجلستُ، ثم بدا لي، فذكرتُ أمره لرسول الله ﷺ، فقال رجلٌ من جلسائه: سلاحُ هذا القتيل الذي يذكره عندي، فأرضه منِّي، فقال أبو بكر: كلا، لا تعطِه أصيبغَ من قريش، وتدعْ أسداً من أُسْدِ الله، يقاتِلُ عن اللهِ ورسولِهِ، قال: فقام رسولُ اللهِ ﷺ، فأدّاه إليّ، فاشتريتُ منه خرافاً، فكان أوّل مالٍ تأثلتُه في الإسلامِ»، أخرجه **البخاري**[1].

❁ [فضائله في غزوة الطائف]:

ومنها: أن أبا بكر رضي الله عنه امتاز بالفضائل العظيمة في غزوة الطائف من جهات متعددة:

الأولى: أنّ ابناً لأبي بكر رُميَ بسهمٍ، واستشهد بذلك.

● ذُكِر في «الاستيعاب»: «شهد عبد الله بن أبي بكر الطائف مع رسول الله ﷺ، فرمي بسهم، فدمل جرحه، حتى انتقض به، فمات منه في خلافة أبيه»[2].

الثانية: لما حاصر النبيُّ ﷺ الطائفَ، ولم يُدرِك الفتحَ، رجع منها بمشورة أبي بكر رضي الله عنه، وبعد تعبيره الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ.

● قال محمد بن إسحاق: وقد بلغني أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبي بكر بن أبي قحافة وهو محاصِرٌ ثقيفاً بالطائف: «**يا أبا بكر! إنِّي رأيتُ أنه أُهديتْ لي قعبةٌ مملوءةٌ زبداً، فنقرها ديكٌ، فهَرَاقَ ما فيها**»، فقال أبو بكر: ما أظنُّ أن تدركَ منهم يومك هذا ما تريدُ يا رسولَ اللهِ! فقال رسول الله ﷺ: «**وأنا لأرى ذلك**»[3].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٣٢١).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٣).

(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤).

❁ [مواقفه في غزوة تبوك]:

وفي غزوة تبوك ظهرت له فضائل من وجوه:

الأول: أنّه أنفق في سبيل الله ما لم ينفقه غيره من مال.

• عن **أسلم** قال: «سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدّق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«ما أبقيتَ لأهلِكَ؟»** قلتُ: مثله.

وأتى أبو بكر بكلِّ ما عنده، فقال: **«يا أبا بكر! ما أبقيتَ لأهلِكَ؟»** قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه.

قلت: والله لا أسبقه إلى شيءٍ أبداً»، أخرجه **الترمذي**(١).

الثاني: ولّاه رسول الله ﷺ تجهيز هذا الغزو، وأَمَّره على جنود المسلمين.

الثالث: نزل رسول الله ﷺ في سفره إلى تبوك بمكان مع أصحابه في الليل، وكان على بعدٍ من جنوده، فقال: «**لو اتّبعَ الناسُ أبا بكرٍ وعمرَ لاهتدوا**»، أخرجه **مسلم**، وفي ذلك قصة طويلة.

❁ [أوّلُ من أُمِّر على الحجِّ]:

ومنها: أنّ النبيَّ ﷺ ولّى أبا بكر إمارة الحج في السنة التاسعة من الهجرة، وكان أول من جعل أمير الحجّ في الإسلام، وقد وقع الناس هنا في خطأ عظيم بصدد هذا الأمر، فظنّ بعض الناس أنّ بعث علي رضي الله عنه بعد أبي بكر كان عزلاً لأبي بكر، ولكنَّ الحقيقة أن أبا بكر كان أمير

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٥).

الحج، وكان على علي تبليغُ سورةِ براءة إلى كلِّ مَنْ حضر الموسم.

• عن **محمد بن علي** أنه قال: لما أنزلت «براءة» على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه، ليقيم للنّاس الحجّ، قيل له: يا رسول الله! لو بعثتَ بها إلى أبي بكر، فقال: «**لا يؤدِّي عني إلّا رجلٌ مِنْ أهلِ بيتي**»، ثم دعا عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه، فقال له: «**اخرج بهذه القصّة مِنْ صدرِ براءةَ، وأذّن في الناسِ يومَ النحرِ، إذا اجتمعوا بمنىً، أنّه لا يدخلُ الجنَّةَ كافِرٌ، ولا يحجُّ بعدَ العامِ مُشْرِكٌ، ولا يطوفُ بالبيت عريانٌ، ومَنْ كان له عندَ رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدَّتِهِ**».

فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلمّا رآه أبو بكر بالطريق قال: أأميرٌ أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مَضَيَا، فأقام أبو بكر للناس الحجَّ، والعربُ إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يومُ النحرِ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذَّن في الناس بالذي أمره به رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: أيها الناس إنّه لا يدخلُ الجنةَ كافرٌ، ولا يحجُّ بعد العام مُشْرِكٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عريانٌ، ومَنْ كان له عند رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدّتِهِ، فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ، قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة إلى الأجل المسمّى، رواه ابن اسحاق[١].

---

(١) انظر: «تهذيب سيرة ابن هشام» (١/ ٤٠١).

• وعن **ابن عباس** رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه، وأمره أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فأتبعَه علياً، فبينا أبو بكر ببعض الطريق، إذ سمع رغاء ناقة رسول الله ﷺ، فخرجَ أبو بكر فَزِعاً، فظنّ أنه رسول الله ﷺ، فإذا علي، فدفع إليه كتابَ رسولِ اللهِ ﷺ، قد أمَّره على الموسم، وأمر علياً أن ينادي بهؤلاء الكلمات، فقام علي أيام التشريق، فنادى: «**إنّ اللهَ بريءٌ من المشركين، ورسولُه، فسيحوا في الأرضِ أربعةَ أشهرٍ، لا يحجنَّ بعدَ العامِ مشركٌ، ولا يطوفنَّ بالبيتِ عريانٌ، ولا يدخل الجنةَ إلا مؤمنٌ**»، فكان علي ينادي بها، فإذا بحَّ قام أبو هريرة فنادى، أخرجه **الحاكم**(١).

ويتجلّى ذلك واضحاً ويندفع جميع الشبهات بالخوض فيمن خطب خطب الحج، فقد ذكر الإمام النسائي بعض الخطب التى خطبها أبو بكر رضي الله عنه بهذه المناسبة في موسم الحج.

❁ [ملازمته لرسول الله ﷺ في حجة الوداع]:

ومنها: أن أبا بكر رضي الله عنه كان يرافق النبيَّ ﷺ في حجة الوداع، وكانت زمالته ﷺ مع زمالة أبي بكر.

• عن **أسماء بنت أبي بكر الصدِّيق** رضي الله عنهما قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ حُجّاجاً، وأن زمالة رسول الله ﷺ وزمالة أبي بكر واحدةٌ(٢)، فنزلنا العَرْجَ، وكانت زمالتنا مع غلام أبي بكر، قالت: فجلس رسولُ اللهِ ﷺ، وجلستْ عائشةُ إلى جنبه، وجلس أبو بكر إلى جنبِ رسولِ اللهِ ﷺ من الشقِّ الآخر، وجلستُ إلى جنبِ أبي، ننتظر

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (١٠/ ١٦٤) برقم: (٤٣٧٥).

(٢) أي: مركوبهما وأداتهما وما كان معهما في السفر، «النهاية» (ص٤٠٢).

غلامه وزمالته حتّى متى يأتينا، فاطلع الغلامُ يمشي، أخرجه **الحاكم**[١] وغيره.

۞ [إكرامُ رسولِ اللهِ ﷺ إيّاه في مرضه الذي توفّي فيه وشرّفه بإمامةِ الصلاة]:

ومنها: أنّه لما اشتدّ برسول الله ﷺ المرض، وجعل يتغشّاه الكرب، أكرمَ أبا بكر إكراماً لا يتصوَّرُ فوقه، وشرّفه بإمامةِ الصلاة في المسجد مكانَه، حتّى أدركَ الحاضرون، واستيقنوا أنّه خليفةُ رسول الله ﷺ من بعده.

قال أبو عمر في «الاستيعاب»: واستخلفه رسولُ اللهِ ﷺ على أمته من بعده، بما أظهر من الدلائل البيّنة على محبته في ذلك، وبالتعريض الذي يقومُ مقام التصريح[٢].

۞ [دفنه بجوار رسول الله ﷺ]:

وإنَّ المأثرة العظيمة التى ظهرت لأبي بكر ﷺ بعد وفاته، أنه دُفن بجوار رسول الله ﷺ، فثبت له الاقترانُ معه ﷺ، وتلك فضيلة عظيمة، كما أن اقتران ذكر النبي مع ذكر الله تعالى فضيلة عظيمة للنبي ﷺ، ذكر ذلك ابن عباس ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح].

والحقيقة أنّ الدفن بجوار النبي ﷺ فضيلةٌ عظيمةٌ جليلةٌ، امتاز بها أبو بكر وعمر من بين سائر أصحابه ﷺ.

وهذا شرحٌ لِمَا أعان أبو بكر ﷺ رسولَ الله ﷺ في تحمّل أعباء نبوّته، وهناك نكتتان يجب التنبيه عليهما:

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٦٢٣) برقم: (١٦٦٧).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٦).

۞ [اختصاص المهاجرين الأولين بأمر الخلافة ومكانة أبي بكر رضي الله عنه بينهم]:

الأولى: أنّ النبيَّ ﷺ لبث نحو عقدين في الدنيا بعد بعثته، أقام بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، وكان في أثناء إقامته بمكة يحارب الكفار والمشركين، ويدعوهم إلى الإسلام، ويصبر على أذاهم، وفي مدّة إقامته بالمدينة كان يعلّم العلوم الشرعية، ويرفع كلمة الإسلام، بالصلح تارة، وبالحرب أخرى، فكان كلٌّ من صحب النبي ﷺ، وجالسه، وكلّمه، واستفاد به أفضل ممّن لم يصحبه، ولم يجالسه، ولم يستفد منه.

كذلك من قام بنصرة النبي ﷺ في العقد الأول، وشاهد الوقائع وتأثر ببركاته ﷺ أفضل ممّن لم يتصدر إعانة، ولم يتشرّف بصحبة النبي ﷺ، لذلك فإنّ القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم تؤكّد على أهميّة المهاجرين الأولين، وتنوّه بعلوّ شأنهم، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد: ١٠].

ولذلك استحق المهاجرون الأولون الخلافةَ بعد النبي ﷺ دون غيرهم، وقد انفرد أبو بكر بذلك، وفاق جميعَ الصحابة في هذه الفضيلة.

يروي **أبو الدرداء** رضي الله عنه في قصة مغاضبة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «**هل أنتم تاركونَ لي صاحبي؟ هل أنتم تاركون لي صاحبي؟ إنّي قلتُ: يا أيها الناس! إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً فقلتم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ**»، أخرجه **البخاري**[1].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠).

[نصره النبيَّ ﷺ واعترافه بذلك]:

الثانية: قال رسول الله ﷺ في آخر زمانه في شأن أبي بكر ﵁ ما يدلّ على مكانته عند النبي ﷺ، وإسهامه العظيم في نصره، وإعانته، والقيام بخدمته.

● **يروي أبو هريرة وأبو سعيد وابن عباس وابن مسعود وجندب وغيرهم** ﵃ روايةً مستفيضةً أنّه ﷺ قال: «**ما لأحدٍ عندنا يدٌ إلّا وقد كافئناه ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يداً يكافِئُهُ الله بها يومَ القيامةِ، وما نفعني مالُ أحدٍ قطّ ما نفعني مالُ أبي بكر، ولو كنتُ متّخذاً خليلاً لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ألا وإنَّ صاحبَكُم خليلُ اللهِ**»[١].

وفي لفظ آخر: «**إنَّ مِنْ أمنّ الناسِ عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبا بكر**»[٢]، وقال جندب ﵁: «سمعتُ هذه الخطبة قبل وفاة النبي ﷺ بخمس ليالٍ»، وقال أبو سعيد الخدري ﵁: قاله النبي ﷺ بعد إخباره بوفاته بأنّ الله خيّر عبداً بين الدُّنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله[٣].

وإنّ هذه الكلمات التي وردت عن النبي ﷺ من أمثال: «**إنّ مِنْ أمنّ الناسِ**»، وغيرها من الأقوال المباركة تشير بإجمالها إلى قصصٍ تفصيليةٍ تزخر بها حياة أبي بكر ﵁، وهي تصريحٌ من النبي ﷺ بأن الله تبارك وتعالى قد قَبِلَ جهودَ أبي بكر في نصرة النبيِّ ﷺ والدفاع عنه قبولاً حسناً.

وليُعلم أن فضيلة الصدِّيق ﵁ ليست في أعماله الجليلة، بل في

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦١).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٥٤).

حَظْيِها بالقَبول لدى الله ﷻ، حتّى ظفر أبو بكر ﵁ بما كان يرجو من رضوان الله، وفاز بالدرجاتِ العُلى في الدنيا والآخرة، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء.

❁ [إخلاصه مع رسول الله ﷺ]:

أمّا مصاحبةُ الصدِّيق للنبيِّ ﷺ، وإخلاصُه في معاملاته معه، ومرافقته في العُسر واليُسر، والمنشَط والمكَره، وفي الخلوة والجلوة، ومراعاةُ النبيِّ ﷺ لأبي بكر ﵁، وإكرامُه، فقِصَصُها كثيرةٌ لا تسع لها هذه الأوراق، ولكن نظراً إلى ما قالوا: «ما لا يُدْرَكُ كلّه لا يُتْرَك كلّه» نذكر بعضاً منها:

• قال **عليّ بن أبي طالب** ﵁ حين دفن عمر بن الخطاب ﵁: «وايمُ اللهِ، إن كنتَ لأظنُّ أن يجعلَكَ الله مع صاحبيكَ، وذاكَ أنِّي كنتُ أكثر ما أَسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**جئتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»، فإنْ كنتُ لأرجو أو لأظنُّ أن يجعلَك اللهُ معهما»، أخرجه **البخاري ومسلم**[1].

• وروى **أبو هريرة** ﵁ في قصة كلام ذئبٍ وبقرةٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فإنّي أؤمنُ به وأبو بكر وعمر، وما هُمَا ثَمَّ**»، أخرجه **الشيخان**[2].

• وقال **أنس** ﵁: «إنّ رسول الله ﷺ كان يخرجُ على أصحابه من المهاجرين والأنصار، وهم جلوسٌ، وفيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٨٩) واللفظ له، و«صحيح البخاري» برقم: (٣٦٧٧).

(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٨٨) واللفظ له، و«صحيح البخاري» برقم: (٣٤٧١).

إليه أحدٌ منهم بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنّهما كانا ينظرانِ إليه، وينظر إليهما، ويتبسّمانِ إليه ويتبسّمُ إليهما»[١].

• وقال ابن عمر: «إنّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ ذاتَ يومٍ، ودخل المسجدَ، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذٌ بأيديهما وقال: «**هكذا نُبْعَثُ يومَ القيامةِ**»»، أخرجه **الترمذي**[٢].

• وقيل لعائشة رضي الله عنها: «أيُّ أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ كان أحبُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ؟ قالت: أبو بكرٍ وعمرُ»[٣]، وروى عمرو بن العاص مثله.

• وقال سعيد بن المسيب: «كان أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه من النبي ﷺ مكانَ الوزير، فكان يشاوره في جميع أموره، وكان ثانيه في الإسلام، وكان ثانيه في الغار، وكان ثانيه في العريش يومَ بدرٍ، وكان ثانيه في القبر، ولم يكن رسولُ اللهِ ﷺ يقدِّمُ عليه أحداً»، أخرجه **الحاكم**[٤].

• وقال محمد بن سيرين: «لو حلفتُ، لحلفتُ صادقاً بارّاً غيرَ شاكٍّ ولا مستثنٍ، أنّ الله تعالى ما خلق نبيَّه ﷺ ولا أبا بكر ولا عمر إلّا من طينةٍ واحدةٍ، ثم ردّهم إلى تلك الطينة»[٥].

وقد شرح الشيخ السمهودي قول ابن سيرين فقال: «يدفن الرجل في الطينِ الذي خلقت منه نطفته».

ولكن **يقول الفقير** إلى رحمة الله ـ كان الله تعالى له في الدنيا

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٦٨).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٩).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٥٧).
(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/٦٦) برقم: (٤٤٠٨).
(٥) انظر: «سبل الهدى والرشاد» (٣/٣١٦).

والآخرة ـ: إن لهذا القول معنىً آخر، وهو أنّ «يخلق في طين الرجل صفة الأصل (الأرواح)»، ومعنى هذا الأثر يشابِهُ ما ورد في الحديث: «**إنَّ الأرواحَ جنودٌ مجنّدَةٌ، فما تعارَفَ منها ائتلف**». ومعنى الحديث: أنّ أرواحهم كانت في محلٍّ واحدٍ قبل ظهورِها في أجسامِهم، وستَجْتَمِعُ بعد انتقالها من هذه الدّنيا في محلٍّ واحدٍ.

• وقال رسول الله ﷺ لبعضِ مَنْ لم يشهد بدراً ورآه يمشي بين يدي أبي بكر: «**تمشي بين يَدَيْ مَنْ هو خيرٌ منك**»، أخرجه **أبو عمر** في «**الاستيعاب**»[1].

ولما تلقّى النبي ﷺ بريدة الأسلمي في سبعين راكباً من أهل بيته، من بني سهم، قال له: «**مَنْ أنتَ؟**»، قال: أنا بُريدةُ، فالتفتَ إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: «**يا أبا بكر! برد أمرنا، وصلح**»، ثم قال لي: «**ممّن أنت؟**»، فقلت: من أسلم، قال لأبي بكر: «**سَلِمْنا**»، قال: ثم قال لي: «**مِنْ بني مَن؟**»، قلت: من بني سهم، قال: «**خرجَ سهمُكَ**»، رواه في «**الاستيعاب**»[2].

وقال يوم أُحد: «**أوجبَ طلحةُ يا أبا بكر**»[3].

واختصاص أبي بكر رضي الله عنه بمثل هذه المخاطبات من المباسطةِ والملاطفةِ فضيلةٌ لا يشاركه فيها غيره، وأمثلته كثيرةٌ لا تحصى.

[تشبّهه بالأنبياء في القوة العقلية]:

أمّا تشبّه أبي بكر رضي الله عنه بالأنبياء عليهم السلام في القوة العقلية، فاعلموا أنَّ كل من تَسْعَدُ نفسُه الناطقةُ بالفيض الرباني الإلٰهي تظهر آثاره في صور

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٥٦).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٣١).

منوّعة، ويتجلّى كل ذلك في حياة أبي بكر ﷺ بصفة خاصة.

* وللتشبّه عدة آثار:

الأول: الرؤيا الصالحة، التي تمهّد السبيل إلى السعادة، أو إلى سبب حصول نفع عام لخلق الله ﷻ، وذاك شأن الأنبياء.

أما الرؤيا التي لا تتعلّق بالسعادة، أو النفع العام، فلا علاقة لها بتشبّه الأنبياء، بل يحظى بها الكُهّان في بعض الأحيان.

وهناك مناماتٌ ورؤىً صالحة كثيرة، تزخر بها حياة أبي بكر ﷺ، مثل الرؤيا التي كانت سبباً لإسلامه، والرؤيا التي كانت سبباً لاستعمال أربعةٍ (عمرو بن العاص، وأبي عبيدة، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة) على أربعة جوانب من الشام.

وأما الرؤيا التي كانت سبباً لاستخلاف عمر ﷺ فقصّتها طويلة.

• وقد ذكر في «روضة الأحباب»: أنّ أبا بكر الصدِّيق ﷺ رأى رؤيا عند أيام الهجرة أنّ القمرَ نزل من السماء على مكة ودخل مكة، وصارت الصحراء والميادينُ منورةً به، ثم رجع القمرُ إلى السماء، ودخلت المدينة المنورة فتحركت نجومٌ كثيرة بمرافقته، ثم رجعَ القمرُ مع هذه النجوم إلى مكة، وأرضُ المدينة كانت منورةً كذلك إلا ست مائة وستين بيتاً[1]، ولنزول هذا القمر إلى مكة تنوّرت به أطرافُ الحرم، ثم رجع هذا القمر إلى المدينةِ المنورةِ ونزل في بيتِ عائشة ﷺ، ثم تشقّقت الأرضُ، وغاب فيها القمر، وصدّقت الرؤيا كما رأى أبو بكر ﷺ.

والثاني: تعبيرُه الرؤيا تعبيراً صادقاً عجيباً، حتى إنّ النبيَّ ﷺ كان يقصُّ رؤياه على الصدّيق ﷺ بعضَ الحين، ويسأله التعبير عنها.

---

(١) كانت هذه البيوت للمنافقين وكانت فيها ظلمات.

• قال ابن إسحاق في قصة الطائف: «وقد بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً: «**يا أبا بكر! إنِّي رأيتُ أني أُهديتْ لي قعبةٌ**»»[١] الحديث، وقد ذكرناه من قبل، وجاء في قصة رؤيا النبي ﷺ: ««**غنماً سوداء يتبعها غنمٌ عفر**» قال: يا أبا بكر! اعبرها، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هي العربُ، تتبعُكَ، ثم تتبعُها العجمُ، حتّى تغمرَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**هكذا عبّرها الملَك بَسَحَرٍ**»»، رواه **الحاكم**[٢].

• وقال ابن هشام في «زوائد السيرة»: حدّثني بعض أهل العلم أنه حدّث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رأيتُ كأنِّي لقمتُ لقمةً من حَيْسٍ، فالتذذتُ طعمَها، فاعترضَ في حلقي منها شيءٌ حين ابتلعتُها، فأدخل عليٌّ يده، فنزعه**»، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسولَ اللهِ! هذه سريّةٌ من سراياك، تبعثُها، فيأتيكَ منها بعضُ ما تحبُّ، ويكون في بعضها اعتراضٌ، فتبعث علياً فيسهّله[٣].

• وعن **عائشة** زوج النبيّ ﷺ قالت: «رأيتُ ثلاثةَ أقمارٍ سقطنَ في حجرتي، فقصصتُ رؤياي على أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، قالت: فلمّا توفّي رسولُ اللهِ ﷺ، ودُفِنَ في بيتها، قال لها أبو بكر: هذا أحدُ أقمارِك، وهو خيرُها»، أخرجه **مالك** في «الموطأ»[٤].

• وروي في قصة إسلام خالد بن سعيد: «أنه رأى في النوم أنه وُقِفَ به على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم به، وكأنّ أباه يدفعه فيها، ورأى رسولَ اللهِ ﷺ آخذاً بحقويه، لا يقعُ فيها، ففزع،

---

(١) انظر: «تهذيب سيرة ابن هشام» (١/ ٣٨٠).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٣٧) برقم: (٨١٩٣).
(٣) انظر: «تهذيب سيرة ابن هشام» (١/ ٣٦٣).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٧٩٣).

وقال: أحلفُ باللهِ إنَّها لرؤيا حق، ولقي أبا بكر بن أبي قحافة، فذكر ذلك له، فقال أبو بكر: أريدَ بكَ خيراً، هذا رسولُ اللهِ ﷺ، فاتبعه، وإنّك ستتبعه في الإسلامِ الذي يحجزُكَ مِنْ أن تقعَ فيها، وأبوك واقعٌ فيها، فلقي رسولَ اللهِ ﷺ، وحَسُنَ إسلامه»، أخرجه في «**الاستيعاب**»[1].

والثالث: موافقةُ فراسةِ أبي بكر فراسةَ رسول الله ﷺ، واتباعه الكامل في كلّ أمرٍ قدماً على قدم، والتأسّي بأسوته ﷺ في الأحكام والقضايا.

● عن **سعيد بن المسيب**: «أنّ رجلاً من أسْلَمَ جاء إلى أبي بكر الصدِّيق، فقال له: إنّ الآخر زنى، فقال له أبو بكر: هل ذكرتَ هذا لأحدٍ غيري، فقال: لا، فقال له أبو بكر: فتُبْ إلى الله، واستتر بسترِ اللهِ، فإنّ الله يقبلُ التوبةَ عن عبادِه، فلم تقرره نفسه، حتّى أتى عمرَ بنَ الخطاب، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمرُ مثل ما قال له أبو بكر، فلم تقرّره نفسُه حتى جاء إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال له: إنّ الآخر زنى، فقال سعيد: فأعرضَ عنه رسولُ اللهِ ﷺ ثلاثَ مرّات، كلُّ ذلك يُعْرِضُ عنه رسول الله ﷺ، حتّى إذا أكثرَ عليه، بعث رسول الله ﷺ إلى أهله، فقال: «**أيشتكي أم به جِنّةٌ**»، فقالوا: يا رسول الله! واللهِ إنّه لصحيحٌ، فقال رسول الله ﷺ: «**أبكرٌ أم ثيّبٌ؟**» فقالوا: بل ثيّبٌ يا رسول الله! فأمر به رسولَ اللهِ ﷺ، فرجم»، أخرجه **مالك**[2].

الرابع: فهم معاني ومراداتِ كلام رسول الله ﷺ الذي كان يحمل في طيّه إشاراتٍ بليغةً ومعاني نادرة عجيبة، وقد اشتهر أبو بكر في ذلك،

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٢٥).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» برقم: (٣٠٣٦).

حتى اعترف بذلك الصحابة، وقالوا: «هو أعلمُنا برسول الله ﷺ».

• ويظهر ذلك فيما روي عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في آخر أيام حياته ﷺ: «**إنّ عبداً خيّره الله**»[١]، الحديث.

• وروي عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: «لمّا أَخْرَجَ أهل مكة النبيَّ ﷺ، قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: إنا لله وإنا إليه راجعون، أخرجوا نبيّهم ليهلكوا، قال: فنزلت: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج]، قال أبو بكر الصدِّيق: فعلمتُ أنّها قتال» أخرجه **الحاكم**[٢].

الخامس: انكشافُ حقيقةِ الحوادث الخفيّةِ عليه بأدنى تأمّل، كما قال أبو بكر يوم بدر: «حسبُك مُناشدتُك على ربّك».

• وكان أبو بكر رضي الله عنه قد نحلَ عائشةَ رضي الله عنها أرضاً، وكانت لم تقبض عليها، حتّى وافاه الأجل، فقال: إن أنتِ قبضتِ على الأرضِ، فهي لكِ، وإلّا فإنّما هو اليومُ مالُ الوارثِ، وإنّما هو أخواك وأختاك، قالت: فقلتُ: يا أبتاه! هذه أسماءُ، فَمَنِ الأُخرى، فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجة أراها أنثى، ثم وُلِدتْ أمُّ كلثوم، أخرجه **مالك** في «الموطأ»[٣].

۞ [تشبُّهه بالأنبياء في القوة العملية]:

أمّا تشبّه أبي بكر بالأنبياء في القوة العملية، فأمثلته كثيرةٌ، نذكر منها بعضها:

• عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أصبحَ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٠٤).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٧٦) برقم: (٢٣٧٦).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٨٣).

منكم اليومَ صائماً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فَمَنْ تبعَ منكم اليومَ جنازةً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فَمَنْ أطعمَ مِنْكُمُ اليومَ مسكيناً؟»، قال أبو بكر: أنا، قال: «فَمَنْ عادَ منكم اليومَ مريضاً؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «ما اجتمعنَ في امرئٍ إلّا دخلَ الجَنَّةَ» أخرجه **الشيخان**[1].

• وعن **أبي هريرة** ﵁ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أنفق زوجين في سبيلِ اللهِ، نُودِيَ من أبوابِ الجَنّةِ: يا عبدَ اللهِ، هذا خيرٌ، فمن كان من أهلِ الصلاةِ، دُعِيَ من بابِ الصلاةِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الجهادِ، دُعِيَ مِنْ بابِ الجهادِ، ومَنْ كانَ مِنْ أهلِ الصّيامِ، دُعِيَ من بابِ الرَّيانِ، ومَنْ كانَ من أهلِ الصّدقةِ دُعِيَ من بابِ الصَّدَقَةِ**».

فقال أبو بكر ﵁: بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله! ما على مَنْ دُعِيَ من تلكَ الأبوابِ من ضرورةٍ، فهل يُدعى أحدٌ من تلك الأبوابِ كلِّها؟

قال: «**نعم، وأرجو أنْ تكونَ منهم**»، أخرجه **الشيخان والترمذي**[2].

• وذات يوم وجد أبو بكر ﵁ على أهل بيته بحضور من أضيافه، وحلف أن لا يطعمَ الطعام، فاضطربَ لذلك أهلُ بيته وأضيافُه أيضاً، وحلفوا جميعاً أن لا يطعموا حتّى يطعمَ، فحانت منه عناية ربانية، وبدا له أن يطعمَ ويحنثَ، وعرفَ أنَّ ذلك مِنَ الله تعالى، فتناول لقمتين أو ثلاثاً، وبارك الله في طعامه ذلك، وأظهرَ عليه أنَّ نقضَ يمينه كان من مرضاة الله ﷻ، وكان ذلك من عجيبِ صنع الله في عبادِهِ المقرّبين،

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٢٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٨٩٧) واللفظ له، و«صحيح مسلم» برقم: (١٠٢٧)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٦٧٤).

أخرج القصة بطولها **البخاري**[١].

• وفي «**الاستيعاب**»: «أنّ ثابت بن قيس بن شماس استشهد، ورآه بعضُ الصحابة في النوم، فأوصاه أن تؤخذ درعهُ ممّن كانت عنده وتباع إلى آخر القصة، وفي آخرها: وإذا قدمتَ المدينةَ على خليفةِ رسولِ اللهِ ﷺ؛ يعني: أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه فقل له: إن عليَّ من الدَّيْن كذا وكذا، وفلانٌ من رقيقي عتيقٌ وفلان، فأجاز أبو بكر وصيته بعدَ موته، قال: ولا نعلمُ أحداً أجيزتْ وصيتُه بعدَ موتِهِ غيرَ ثابتِ بن قيسٍ رضي الله عنه»[٢].

۞ [صفاء سريرته]:

أمّا صفاء سريرته الذي يسمَّى «الطريقة» في زماننا، ففي «كشف المحجوب»[٣] أنّ الشيخ الجنيد البغدادي قال: إنّ أشرفَ كلمة في التوحيد قول أبي بكر الصدِّيق: «سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلا بالعجز عن معرفته»، وقال صاحب «كشف المحجوب» في مدح أبي بكر رضي الله عنه: «إنّ الصفا صفة الصدِّيق إن أردت صوفياً على التحقيق، وللصفا أصلٌ وفرعٌ، فأصله قطعُ علاقة القلب عن غير الله، وفرعُه خلوُّ قلبه من الدنيا الخادعة، ويتّصف أبو بكر رضي الله عنه بهاتين الصفتين، فهو إمام أهل هذه الطريقة أيضاً». انتهى. وأورد الدليل على كلتا الصفتين، فذكر خطبته التي ألقاها حين وفاة رسول الله ﷺ: «ألا مَنْ كان يعبد محمّداً ﷺ فإنّ محمّداً قد مات»[٤] إلى آخرها، كدليل على صفته الأولى، وقصة

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٠٢).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦٠).

(٣) للهجويري، وهو بالفارسية، وترجم إلى العربية.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٦٨).

إنفاق جميع ماله في سبيل الله، ولما سأله رسول الله ﷺ: «**ما خلّفتَ لعيالك؟**» قال: «خلّفتُ لعيالي اللهَ ورسولَه» كدليل على صفته الثانية.

وذكر الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»: «قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: مَنْ ذاقَ من خالص محبّةِ الله تعالى شغله ذلك عن طلب الدنيا، وأوحشه عن جميع البشر»(١)، وهذا من غايةِ التحقيق في لوازم المحبّة الخاصة.

❁ [توكّله على الله]:

وكان رضي الله عنه من توكّله على الله بمكان أنّه جاء أصحابه في مرض وفاته وقالوا له: «ألا ندعو لك طبيباً ينظرُ إليك، قال: قد نظر إليّ، قالوا: فماذا قال لك؟ قال: قال: إنّي فعّالٌ لما أريد»، أخرجه **ابن أبي شيبة**(٢)، وقد مرّ أنّه بذل ذات مرة كلّ ما كان يملكه في سبيل الله توكلاً على الله، وقال: أبقيت لعيالي الله ورسوله.

❁ [ورعه]:

ويدل على غاية ورعه أنّه شربَ يوماً لبناً أتى به غلامُه، ولما تبيّنت حقيقتُه، وظهرَ أنّه من مال الكهانة، استقاء بيده، وأخرجه من فيه، كذا في «إحياء علوم الدين» وغيره.

❁ [أخذه بالحيطة في بيت المال]:

وكان يتورّعُ في بيت المال حتّى كان يردّ ماله الذي حصل عليه بنفسه، ولكنّه لم يقبض عليه، روي ذلك عن عائشة، والحسن بن علي وغيرهما بألفاظ متغايرة.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٨٨).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤٠).

[حيطته في العبادات]:

وكان يأخذ بغاية الحيطة في عبادة الله ﷻ.

عن أبي قتادة: «أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر: «**متى توتر؟**» قال: أوترُ من أوّل الليل، وقال لعمر: «**متى توتر؟**» قال: أوتر آخر الليل، فقال لأبي بكر: «**أخذَ هذا بالحزم**»، وقال لعمر: «**أخذَ هذا بالقوّةِ**»» أخرجه أبو داود ومالك، وهذا لفظ أبي داود[١].

[دعاؤه]:

وكان دعاؤه ﷺ: «اللّٰهُمَّ أرني الحقَّ حقاً، وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلاً، وارزقني اجتنابه، ولا تجعل مشتبهاً عليّ فأتبع هواي»، كذا في «الإحياء»[٢].

[كفّ لسانه]:

وكان يكفّ لسانه عمّا لا يعنيه، «فكان يضعُ حصاةً في فيه، يمنع بها نفسه عن الكلام»، كذا في «الإحياء»[٣].

- «ودخل عمر على أبي بكر الصدِّيق ﷺ وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مه، غفر الله لك، فقال أبو بكر: إنَّ هذا أوردني الموارد»، أخرجه **مالك**[٤].

وذُكرت في «إحياء علوم الدين» قصة عجيبة وهي: «ورُئي أبو بكر

(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٤٣٤).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/١٩٦).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/٣١١).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٦٢١).

الصدِّيق رضي الله عنه، فقيل له: إنك كنتَ تقولُ أبداً في لسانك: «هذا أوردني الموارد» فماذا فعل الله بك؟ قال: قلت: لا إلـٰه إلا الله، فأوردني الجنة»[١].

❁ [تواضعه]:

وقد بلغ الذروةَ العاليةَ في التواضع، حتّى «إنّه خرج يمشي من المدينة ليشيّع يزيد بن أبي سفيان، وقد ولّاه ربع الشام، فقال يزيد بن أبي سفيان: إمّا أن تركبَ، وإمّا أن أنزل، فقال أبو بكر: ما أنتَ بنازلٍ وما أنا براكبٍ، إنِّي أحتسبُ خطاي هذه في سبيل الله»، أخرجه **مالك**[٢].

❁ [شفقته على خلق الله]:

وكان شفيقاً على خلق الله، بعيداً عن ملذّات الدنيا وسفاسف النفس، قال أبو بكر رضي الله عنه: «لو أخذت شارباً لأحببتُ أن يستره الله، ولو أخذتُ سارقاً لأحببتُ أن يستره الله»، كذا في «الإحياء»[٣].

❁ [ابتغاؤه رضا ربه]:

وكان يبتغي رضوان الله، ولا يألو جهداً في ذلك، حتّى إنّه «جاء إلى رسول الله ﷺ يوماً وعنده جبرئيل، فقال جبرئيل: يا محمد! ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها في صدره بخلال؟ فقال: «**يا جبرئيل أنفقَ ماله عليَّ قبلَ الفتح**»، قال: فإنَّ الله عز وجل يقول: اقرأ عليه السلام

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٥٠٧).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٢٧).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٠٠).

وقل له: أراضٍ أنتَ عنِّي في فقرِكَ هذا أم ساخطٌ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر إنّ الله ﷻ يقرأُ عليك السلامَ، ويقولُ لكَ: أراضٍ أنتَ في فقرك هذا أم ساخِطٌ؟**» فقال أبو بكر: أسخط على ربي؟ إنّي عن ربي راضٍ، إنِّي عن ربي راضٍ، إنِّي عن ربي راضٍ»، أخرجه الواحدي والبغوي[١] بسندٍ غريب جدّاً.

❁ [نفي إرادته في مرضاة الله]:

ويدلّ عليه قوله: «واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارةِ قط، ولا طلبتُها من اللهِ في سرٍّ ولا علانية»[٢]، أخرجه **جماعة**.

❁ [زهده]:

• ويدلّ على زهده في الدّنيا وحطامِها حديثُ رافع بن أبي رافع قال: «رافقت أبا بكر، وكان له كساء فَدَكيٌّ، يخلّه عليه إذا ركب، ونلبسه أنا وهو إذا نزلنا، وهو الكساءُ الذي عيّرته به هوازنُ، فقالوا: أَذَا الخلالِ نبايعُ بعدَ رسولِ اللهِ؟»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٣].

وقال أبو بكر رضي الله عنه عند موته: «خذوا هذا الثوب، لثوبٍ عليه، قد أصابه مشق أو زعفران، فاغسلوه، ثم كفّنوني فيه مع ثوبينِ آخرينِ، فقالت عائشة: وما هذا؟، فقال أبو بكر: الحيُّ أحوجُ إلى الجديدِ من الميّتِ، وإنّما هذا للمهلة» أخرجه **مالك**[٤].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤). (٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (٣/ ١٣).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٢) برقم: (٣٤٤٣٤).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٧٦٠).

۞ [خوفه من حساب الآخرة]:

ويدلُّ على خشيته وخوفه من الله ما رواه الضحّاك، قال: «رأى أبو بكر الصدِّيق طيراً واقعاً على شجرة فقال: طوبى لك يا طيرُ! واللهِ لوددتُ أنِّي كنتُ مثلك، تقع على الشجرةِ، وتأكلُ من الثمرِ، ثم تطيرُ، وليس عليك حسابٌ ولا عذابٌ، واللهِ لوددتُ أني كنتُ شجرةً إلى جانبِ الطريق، مرَّ علي جملٌ، فأخذني، فأدخلني فاه، فلاكني، ثم ازدردني، ثم أخرجني بعراً، ولم أكن بشراً» أخرجه **ابن أبي شيبة**[(١)].

ويدل على اتعاظه بالأمور العادية ما رواه ميمون، قال: «أُتيَ أبو بكر بغرابٍ وافرِ الجناحين، فقال: ما صيدَ من صيدٍ ولا عضدَ من شجرٍ إلا بما ضيعتْ من التسبيح» أخرجه **ابن أبي شيبة**[(٢)].

۞ [بعده من الخيلاء]:

• ويدلُّ على بعده من الإعجاب بالنفس والخُيلاء ما قال عنه رسول الله ﷺ: **«مَنْ جرَّ ثوبَهُ خيلاءَ لم ينظر اللهُ إليه يومَ القيامةِ»**، فقال أبو بكر: إنَّ أحدَ شقي ثوبي يسترخي إلّا أن أتعاهدَ ذلك مِنْهُ؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنَّكَ لن تصنعَ ذلك خيلاء»** أخرجه **البخاري**[(٣)]، وفي لفظ أبي داود: **«إنّ الله نزعَ الخيلاءَ مِنْكَ»**[(٤)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩١) برقم: (٣٤٤٣٢).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤١).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦٥).

(٤) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٠٨٥).

[بكاؤه من خشية الله]:

• تقول **عائشة** رضي الله عنها: «وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً، لا يملِكُ عينيه إذا قرأ القرآنَ» أخرجه **البخاري** في قصة طويلة[١].

[نفعه لخلق الله]:

وقال إبراهيم النخعي: «كان أبو بكر سمّي الأوّاه رأفةً ورحمةً، ذُكر في الكتاب الأول: مثل أبي بكر مثل القَطْرِ أينما وقعَ نفعَ، كلاهما مذكورٌ في «الصواعق المحرقة»[٢].

[تركه السؤال]:

• عن ابن أبي مُلَيْكَةَ قال: «كان ربَّما سقطَ الخِطامُ من يد أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: فيضرِبُ بذراعِ ناقته، فينيخُها، فيأخذُه، قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولَكَهُ، فقال: إنَّ حبيبي رسولَ اللهِ ﷺ أمرني أَنْ لا أسألَ النَّاسَ شيئاً» رواه **أحمد**[٣].

[صدق النيَّة]:

• عن أبي قتادة: «أنّ النبي ﷺ قال لأبي بكر: «**مررتُ بكَ وأنتَ تقرأُ، وأنتَ تخفِضُ من صوتِكَ**»، فقال: إنِّي أسمعتُ مَنْ ناجيتُ» الحديث، أخرجه **الترمذي**[٤].

هذا ما كان علق بذاكرتي في هذا الوقت من بعض صفات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، والقليلُ نموذجُ الكثيرِ، والغَرْفةُ تنبئُ عن البحر الكبير.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٠٥).
(٢) انظر: «الصواعق المحرقة» (١/ ٢٤٢).
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٥). (٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٤٤٧).

المبحث الثاني

اهتمامه بنشر علوم النبوّة وتحمّل أعباء الخلافة

۞ [تحمُّله أعباء نشر القرآن العظيم]:

وأمّا اهتمامه بنشر القرآن العظيم، **فقد وقع ذلك على وجوه**:

الأول: أنّه كان من جملة كُتّاب الوحي، ذُكر في «الاستيعاب»: «وممّن كتب الوحيَ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي»[(١)].

الثاني: أنّه حفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلبه، صرَّح به النووي في «التهذيب»، وله شاهد قوي: وهو أنّه ﷺ أمره بأن يؤمَّ الصلاة، وقد جاء في الحديث: «**ليؤمَّكُم أقرؤكم**»[(٢)]، وفي لفظ: «**أكثرُكم قرآناً**»[(٣)]، وشاهد آخر: وهو أن أبا بكر ﷺ قرأ حين وفاة النبي ﷺ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر]، وكان أكثرُ الصحابة في غفلةٍ وذهولٍ عمّا كان في أذهانهم بهذه المناسبة الحرجة الشديدة، فلمّا تلا أبو بكر ﷺ هذه الآيات، ذكروها، حتّى كأنّهم تلقّوها عنه، وهذا يدل على ذاكرته القوية.

وكذا علمُه بالأنساب، وتواريخ العرب، ورواية حديث: «دفن الأنبياء» في ذلك الوقت الفظيع، كل ذلك يدل عليه، وله شاهد آخر: وهو أن أبا بكر ﷺ كان يقرأ بالسور الطوال مثل «سورة البقرة»، فهذا دليل صريحٌ على حفظه كتاب الله كاملاً.

ولو سلّمنا أنّه لم يحفظ القرآن كاملاً، فلا يقدح ذلك في صحّة

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٣).

(٢) انظر: «تهذيب الآثار»، للطبري (٣/ ١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٠٢).

اجتهاده؛ لأنّ حفظ القرآن عن ظهر القلب ليس من شروط الاجتهاد.

الثالث: أنّ أبا بكر ﷺ كان أوّل من سعى لجمع القرآن بين اللَّوحين، وذلك بعد طلب أبي حفص عمر بن الخطاب ﷺ لذلك، وإصراره عليه، وكان من نتيجة ذلك أن انتشر القرآن في مشارق الأرض ومغاربها.

الرابع: أنّه شرح مشكلات القرآن، وذاك يتجلّى في خطبه واضحاً جليّاً.

❁ [اهتمامه بنشر الحديث الشريف]:

أمّا اعتناؤه بنشر الحديث الشريف، **فقد تحقق بعدة وجوه**:

الأول: أنّ أبا بكر ﷺ أخذ الحديث عن مصدره.

• فقد قال لرسول الله ﷺ: «علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي، قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ إنِّي ظلمتُ نفسِي ظُلْماً كثيراً، ولا يَغْفِرُ الذنوبَ إلّا أنتَ، فاغفرْ لي مغفرةً مِنْ عندِكَ وارحمني، إنّكَ أنتَ الغفورُ الرّحيمُ**»» أخرجه **أحمد وأبو يعلى** وغيرهما[1].

• وعن **أبي هريرة** ﷺ قال: قال أبو بكر: يا رسول الله! مُرني بشيءٍ أقولُه إذا أصبحتُ وإذا أمسيتُ؟ قال: «**قُلِ: اللَّهُمَّ عالمَ الغيبِ والشهادةِ، فاطرَ السماواتِ والأرضِ، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ، أشهدُ أن لا إلـهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بِكَ مِنْ شرِّ نفسي، ومِنْ شرِّ الشيطانِ، وشِرْكِهِ**»، قال: «**قله إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ وإذا أخذتَ مَضْجَعَكَ**» أخرجه **الترمذي**[2].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٧) واللفظ له، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٢٢).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٣٩٢).

• وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: كنتُ عند رسولَ اللهِ ﷺ فأُنزلتْ هذه الآيةُ: ﴿...مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء]، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ! ألا أقرئك آيةً أُنزلتْ عليَّ؟**» قلتُ: بلى يا رسول الله! قال: «**فأقرأنيها**»، قال: فلا أعلمُ إلّا وأنّي وجدتُ انقصاماً في ظهري، حتّى تمطأت لها في ظهري، فقال رسول الله ﷺ: «**أمّا أنتَ يا أبا بكر! وأصحابُكَ المؤمنون، فتُجْزَوْنَ بذلك في الدُّنيا، حتى تلقوا اللهَ وليست لكم ذنوبٌ، وأمّا الآخرونَ فيُجْمَعُ ذلك لهم حتّى يُجْزَوْا به يومَ القيامةِ**» أخرجه **أبو يعلى**(١).

• وعن **حذيفة**، عن أبي بكر، إما حضر ذلك حذيفة من النبي ﷺ، وإمّا أخبره أبو بكر، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**الشركُ فيكمْ أَخْفَىٰ من دبيبِ النَّمْلِ**»، قال: قلنا: يا رسول الله! وهل الشركُ إلّا ما عُبِدَ من دونِ اللهِ، أو دُعِيَ مع اللهِ؟ شكّ عبد الملك، قال: «**ثكِلَتْكَ أُمُّكَ يا صدِّيقُ! الشركُ فيكم أخفى من دبيبِ النَّمْلِ، ألا أخبِرُكَ بقولٍ يذهِبُ صغارَه وكبارَه، أو صغيرَه وكبيرَه**»، قال: قلت: بلى يا رسول الله! قال: «**تقولُ كلَّ يوم ثلاثَ مرّاتٍ: اللّهُمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وأنا أعلمُ، وأَسْتَغْفِرُكَ لما لا أعلمُ، والشرْكُ أن يقول: أعطاني الله وفلانٌ، والنّدُّ أنْ يقولَ الإنسانُ: لولا فلانٍ قتلني فلانٌ**»، أخرجه **أبو يعلى**(٢) بسند غريب.

الثاني: قد روى المحدّثون نحو مائة وخمسين حديثاً عن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، وهذا العدد قليلٌ جداً بالنسبة إلى صحبته الدائمة للنبيِّ ﷺ، وكثرة حضوره في مواضع الخير كلها، ولكن هناك عدة أسباب قد حالت دون روايته عن رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ١٧).

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٣٥).

• **فمنها ما يتعلق بشخصيته:** ذلك لأنّ أبا بكر ﵁ ما لبث بعد وفاة رسول الله ﷺ إلّا عامين وبضعة أشهر، وقد قضى حياته كلها بعد وفاة النبيِّ ﷺ في القتال مع المرتدين، والمارقين عن الإسلام، ومانعي الزكاة، وفي إعداد الجيوش لقتال جنود فارس والروم، لذلك قلّت روايته، كما ترون أنّ بعض الصحابة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**إنّهم أعلمُ الناسِ**»، ولكنّهم إذ لم يعيشوا سنين طوالاً، فلم يُرْوَ عنهم إلا عدّة أحاديث مثل معاذ بن جبل ﵁ المتوفى ١٨هـ.

• **ومنها ما يتعلّق بالذين رووا عنه:** وذلك لأنَّ أكثر أصحاب أبي بكر ﵁ كانوا من الذين صَحِبوا النبيَّ ﷺ، وسمعوا منه، فلم يكونوا في حاجةٍ إلى الروايةِ عن أبي بكر ﵁، ولم تأتِ طبقةُ المخضرمين بعدُ إلّا قليلاً من مثل قيس بن أبي حازم.

• والسبب الثالث لقلّة رواية أبي بكر ﵁ قلَّةُ الوقائع والأحداث في عهده ﵁، وكلّ ما حدث من الوقائع فقد ذُكر في أكثر خطب أبي بكر ﵁، إمّا مرفوعاً وإمّا موقوفاً، وأحاديث أبي بكر ﵁ على عدة حياته.

بعضها صحيح:

فمن الصحاح أحاديث الزكاة التي أخرجها البخاري، وهي أصحّ الأحاديثِ الواردة في الزكاة، وهي التي يُعملُ ويُعتمدُ عليها.

وحديث الهجرة النبوية الشريفة المشهور «بحديث الرَّحْلِ».

وحديث: «**نحن معاشر الأنبياء، لا نرث، ولا نورث**».

وأخرج أحمد عن عبد الرزاق قال: «أهلُ مكة يقولون: أخذ ابنُ جريجٍ الصلاةَ من عطاء، وأخذها عطاءٌ من ابن الزبير، وأخذها ابنُ الزبير من أبي بكر، وأخذها أبو بكر من النبي ﷺ، ما رأيتُ أحداً أحسنَ

صلاةً من ابن جُرَيْجٍ»[١]، وإن ما ذكر في كتب السنن من صفة صلاة أهل مكة، فكلّها مذكور بهذا الطريق.

- **وبعضُها حسنٌ**، مثل حديث: «**سلوا الله العافية**»[٢].

وحديث: «**لا يدخلُ الجنّةَ سيّىء الملكةِ**»[٣].

وحديث: «**مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ**»[٤].

وحديث: «**صلاة الاستغفار**».

- وهناك عدة **أحاديث مشهورة بين الناس بطرقٍ أخرى، وغريبة** عن طريق أبي بكر رضي الله عنه:

كحديث: «**ليلة القدر**» عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر عن أبيه.

وحديث: «**الذَّهَبُ بالذَّهَب**» برواية أبي رافع.

وحديث: «**من كذبَ عليَّ متعمّداً**».

وحديث: «**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة**».

وحديث: «**ما بين منبري وبيتي روضةٌ من رياضِ الجنّةِ**».

وحديث: «**شفاعةُ رسولِ اللهِ ﷺ، وخروجُ بعضِ أهلِ النّار من النارِ بشفاعةِ الشهداء وغيرهم**».

وحديث: «**مغفرةُ مَنْ كان يسامِحُ في البيعِ**».

وحديث: «**مَنْ أوصى بإحراقِ نفسِهِ خوفاً من الله تعالى**».

وحديث: «**إنّ الميّتَ يعذّبُ ببكاءِ الحيِّ عليه**».

---

(١) انظر: «مسند أحمد» رقم: (٧٣).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٤٦).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣١).
(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٧٨).

وحديث: «**يدخلُ الجنةَ سبعون ألفاً بلا حساب**».

وحديث: «**رَجْمُ ماعزٍ الأسلمي**».

وحديث: «**السواكُ مَطْهَرَةٌ للفم**».

وحديث: «**الأئمةُ من قريش**»، وشيء كثير من هذا الجنس، روى هذه الأحاديث كلها **أحمد** و**أبو يعلى** في مسنديهما.

وأخرج **الدارمي** عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر حديث: «**كُفْرٌ باللهِ انتفاءٌ من نَسَبٍ**»(١).

❁ [إزالة مشكلات المسلمين]:

وليعلم بعد ذلك أنّ المسلمين لم يُبْتَلَوْا بمحنة، ولم يقعوا في مشكلةٍ بعد وفاة النبي ﷺ إلّا وقد حلّها أبو بكر رضي الله عنه، وأزال عن المسلمينَ جميع المشكلات والمعضلات بقوته العقلية والعملية، وأخرجهم من الحيرة والتردد، وقد وقع مثلُ ذلك مراراً، حتى تبيّن سبقُه في العلم، وفضلُ تربية رعيّته على منهاج النبوة، وظهر ذلك لكلّ ذي عينين، ونذكر هنا بعضاً من هذه المحن والمشكلات:

❁ [دفع شبهة المسلمين حين انتقل رسول الله ﷺ إلى الملأ الأعلى]:

لما انتقل النبيُّ ﷺ من الدنيا، ولحق بالرفيق الأعلى، وتسرّب إلى خواطر الناس تشويشات كثيرة، فمنهم مَنْ كان يظنّ أنّ ذلك ليس بالموت الحقيقي الذي يذوقه جميع الناس، بل إنّما هي حالة طارئة مثل حالته وقت نزول الوحي عليه، وكان بعضُهم يعتبر الموتَ منافياً لمرتبة النبوة.

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) برقم: (٢٨٦٣).

وأما المنافقون فإنّهم أرادوا في ذاك الحين أن يستأصلوا الدين، ويقتلعوه من جذوره.

في مثل هذه الحالة الخطيرة جاء أبو بكر ﷺ فدخل على رسول الله ﷺ، وهو مسجّىً بثوبٍ، ووضع فاه على جبينه، وقبّله، وتيقّن بموته وقال: وانبيّاه، واخليلاه، واصفيّاه، ثم أتى المسجد، وخطب خطبة بليغة ما سَمِعَ الناسُ مثلها.

• عن ابن عمر قال: لما قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ كان أبو بكر في ناحية المدينةِ، فجاء فدخل على رسولِ اللهِ ﷺ وهو مسجّىً، فوضع فاه على جبينِ رسولِ اللهِ ﷺ، فجعل يقبّلُه ويبكي، ويقول: «بأبي وأمي، طِبْتَ حيّاً وطِبْتَ ميتاً»، فلمّا خرج مرَّ بعمر بن الخطاب وهو يقول: ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتلَ اللهُ المنافقين، وحتّى يخزيَ الله المنافقينَ، قال: وكانوا قد استبشروا بموتِ رسولِ اللهِ ﷺ، فرفعوا رؤوسهم، فقال: «أيها الرجل! اربعْ على نفسِكَ، فإنَّ رسولَ اللهِ قد ماتَ، ألم تسمع الله يقول: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠﴾ [الزمر]، وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [الأنبياء]» قال: ثم أتى المنبر، فصعده، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس! إن كان محمّدٌ إلـٰهكم الذي تعبدونَ، فإنّ إلـٰهكم قد ماتَ، وإنْ كان إلـٰهكم الذي في السماء فإنّ إلـٰهكم لم يَمُتْ، ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، حتى ختم الآية، ثم نزل وقد استبشر المسلمون بذلك، واشتدَّ فرحهم، وأخذتِ المنافقينَ الكآبةُ.

قال عبد الله بن عمر: فوالذي نفسي بيده، لكأنّما كانت على وجوهنا

أغطيةٌ فكُشِفَتْ»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١]، وأخرج جماعة نحواً من ذلك برواية عائشة وغيرها.

۞[قضاؤه على الاختلاف في مكان دفنه ﷺ وكيفية صلاة جنازته]:

ولمّا اختلف الناس في مكان دفنه ﷺ، وكيفية صلاة جنازته، قضى أبو بكر رضي الله عنه على هذا الاختلاف، ذُكر في «**مسند أبي يعلى**»: «فلمّا فُرِغَ من جهازِ رسولِ اللهِ ﷺ يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل يُدْفَنُ مع أصحابه، فقال أبو بكر: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ما قُبِضَ نبيٌّ إلا دُفِنَ حيثُ قُبِضَ**»، فرُفِعَ فراشُ رسول الله ﷺ الذي توفّي فيه، فحُفِرَ له تحته، ثم دعا الناسَ على رسول الله ﷺ يصلّون عليه أرسالاً، الرجال، حتّى إذا فُرِغَ منهم، أَدْخَلَ النساءَ، حتى إذا فُرِغَ من النساء، أَدْخَلَ الصبيان، ولم يؤمّ الناسَ على رسولِ اللهِ ﷺ أحدٌ، فدفن رسول الله ﷺ من أوسطِ الليل، ليلةَ الأربعاء»[٢].

۞ [حدوث الاختلاف في أمر الخلافة وانعقاد الإجماع على خلافته]:

ولمّا نجم بعد وفاة النبيِّ ﷺ اختلافٌ بين المسلمين في تولية الإمارة، واجتمعَ الأنصار في سقيفة بني ساعدة لإرادة البيعة لسعد بن عبادة، وكان ذلك اختلافاً شديداً وأمراً فظيعاً كادَ أن يؤدّي إلى سلّ السيوف من أغمادها، واشتباك المسلمين بعضهم ببعض بذل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أقصى جهودهما لدفن هذا الاختلاف في عُقْرِ داره.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٢٧) برقم: (٣٧٠٢١).

(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ١٨).

وقد اختلف الرواةُ في بيان هذه القصة، فذكر بعضهم جزءاً، وترك جزءاً آخر، ولذلك نريد أن نذكر الروايات هنا حتى تتّضح الحقيقة:

• خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ردّاً على قولِ: «إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتةً فتمّت» خطبةً بليغةً ذكر فيها: «أنّ الأنصار رضي الله عنهم قالوا: يا معشر قريش! منّا أمير ومنكم أمير، فقام الحُبابُ بنُ المنذر فقال: أنا جذيلُها المحكَّكُ وعذيقُها المرجَّبُ، إن شئتم واللهِ رددناها جذعةً، فقال أبو بكر: على رِسْلِكُم، فذهبتُ لأتكلّم فقال: أنصتْ يا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا معشرَ الأنصارِ! إنّا واللهِ ما نُنْكِرَ فضلكم، ولا بلاءكم في الإسلام، ولا حقّكم الواجبَ علينا، ولكنّكم قد عرفتم أنَّ هذا الحيّ من قريش بمنزلةٍ من العربِ ليس بها غيرُهم، وأنَّ العربَ لن تجتمع إلا على رجلٍ منهم، فنحنُ الأمراءُ، وأنتمُ الوزراء، فاتقوا الله، ولا تَصْدَعُوا الإسلام، ولا تكونوا أوّل مَنْ أحدثَ في الإسلام، ألا وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين، لي ولأبي عبيدةَ بن الجرّاح، فأيُهما بايعتُم فهو لكم ثقة، قال: فواللهِ ما بقي شيءٌ كنتُ أحبُّ أن أقوله إلا وقد قاله يومئذٍ غير هذه الكلمة، فواللهِ لأنْ أقتلَ ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا في غير معصية أحبُّ إليّ مِنْ أن أكون أميراً على قوم فيهم أبو بكر.

قال: ثم قلتُ: يا معشرَ الأنصار! يا معشرَ المسلمين! إنَّ أولى الناسِ بأمرِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم من بعده ثاني اثنين إذ هما في الغار، أبو بكر السبّاق المبين، ثم أخذتُ بيده، وبادرني رجلٌ من الأنصار، فضرب على يده قبل أن أضربَ على يده، ثم ضربتُ على يده، وتتابع الناسُ، وميل على سعد بن عبادة، فقال الناس: قُتِلَ سعد، فقلتُ: اقتلوه قتله الله، ثم انصرفنا، وقد جمع الله أمرَ المسلمين بأبي بكر، فكانت لَعمر اللهِ كما قلتم، أعطى الله خيرها ووقى شرها، فمن دعا إلى مثلها فهو الذي لا بيعة له ولا لمن

بايعه»، أخرجه **البخاري وابن أبي شيبة**[١]، وهذا لفظ **ابن أبي شيبة**.

• وأما رواية **عبد الله بن مسعود** فإنه قال: «لمّا قُبِضَ رسولُ اللهِ ﷺ، قالت الأنصار: منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ، قال: فأتاهم عمر فقال: يا معاشر الأنصار! ألستم تعلمون أنّ رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلّيَ بالناس؟ قالوا: بلى، قال: فأيُّكم تطيبُ نفسُه أن يتقدّمَ أبا بكر، فقالوا: نعوذ بالله أن نتقدّم أبا بكر»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٢].

• وأما رواية عبد الله بن عون، عن محمد بن سيرين، **عن رجل من بني زُرَيقٍ** فإنه قال: لمّا كان ذلك اليوم خرج أبو بكر وعمر حتى أتيا الأنصار، فقال أبو بكر: يا معشرَ الأنصار! إنّا لا ننكر حقّكم، ولا ينكر حقّكم مؤمنٌ، وإنّا واللهِ ما أصبنا خيراً إلا ما شاركتمونا فيه، ولكن لا ترضى العربُ ولا تقرّ إلا على رجلٍ من قريشٍ؛ لأنّهم أفصحُ الناس ألسنةً، وأحسنُ الناسِ وجوهاً، وأوسطُ العرب داراً، وأكثرُ الناسِ شُجْنَةً في العربِ، فهلموا إلى عمر، فبايعوه، قال: فقالوا: لا، فقال عمر: لم؟ فقالوا: نخافُ الأثرة، قال عمر: أما ما عشتُ فلا، قال: فبايعوا أبا بكر، فقال أبو بكر لعمر: أنتَ أقوى منّي، فقال عمر: أنتَ أفضلُ منّي، فقالاها الثانية، فلما كانت الثالثة، قال له عمر: إنَّ قوتي لك مع فضلك، قال: فبايعوا أبا بكر، قال محمد: وأتى الناسُ عند بيعة أبي بكر أبا عبيدة بن الجراح فقال: أتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة؟ يعني: أبا بكر، قال ابن عون: فقلتُ لمحمد: مَنْ ثالث ثلاثة؟ قال: قول الله: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٣].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٨٣٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣١) برقم: (٣٧٠٤٣).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٢) برقم: (٣٧٠٤٤).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) برقم: (٣٧٠٥١).

• وأما رواية **أبي سعيد الخدري** فإنه قال: لما توفّي رسول الله ﷺ قام خطباءُ الأنصار، فجعل الرجلُ منهم يقول: يا معشر المهاجرين! إن رسول الله ﷺ كان إذا استعملَ رجلاً منكم قرنَ معه رجلاً منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلانِ، أحدُهما منكم والآخر منّا، قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان من المهاجرين، وإنَّ الإمامَ إنّما يكون من المهاجرين، ونحن أنصارُه، كما كنّا أنصارَ رسولِ اللهِ، فقام أبو بكر: فقال: جزاكم الله خيراً يا معشرَ الأنصار! وثبّت قائلكم، ثم قال: واللهِ لو فعلتُم غير ذلك لما صالحتكم، أخرجه **ابن أبي شيبة**[(١)].

• وفي رواية حميد بن عبد الرحمٰن: فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان، حتّى أتوهم، فتكلّم أبو بكر، ولم يترك شيئاً أُنزلَ في الأنصار ولا ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلّا وذكره، وقال: ولقد علمتُم أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «**لو سَلَكَ الناسُ وادياً وسلكتِ الأنصارُ وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار**»، ولقد علمتَ يا سعدُ أنّ رسول الله ﷺ قال وأنتَ قاعدٌ: «**قريشٌ ولاةُ هذا الأمرِ، فَبَرُّ الناسِ تبعٌ لبرّهم، وفاجِرُهم تبعٌ لفاجرهم**»، قال: فقال له سعد: صدقت! نحن الوزراء وأنتم الأمراء، أخرجه **أحمد**[(٢)].

• ولمّا بايع الناسُ في اليوم الثاني البيعةَ العامةَ على يد أبي بكر رضي الله عنه، تخلّف فيها سادةُ أهل البيت، وكان ذلك مشكلة عظيمة، أزالها الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بحسن تدبيرهما.

• أخرج **البخاري** عن الزهري قال: أخبرني **أنس بن مالك** رضي الله عنه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٠) برقم: (٣٧٠٤٠).

(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٨).

أنه سمع خطبة عمر الآخرة، حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفّي النبيّ ﷺ، فتشهد، وأبو بكر صامتٌ لا يتكلّم، قال: كنت أرجو أن يعيشَ رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريدُ بذلك أن يكون آخرهم، فإنْ يكُ محمّدٌ ﷺ قد مات، فإنّ الله تعالى قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمّداً ﷺ، وإنّ أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين، فإنّه أولى المسلمين بأموركم، فقوموا، فبايعوه، وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعةُ العامة على المنبر.

قال الزهري عن **أنس بن مالك**: سمعتُ عمر يقول لأبي بكر يومئذ: اصعدِ المنبرَ، فلم يزل به حتى صعدَ المنبر، فبايعه الناس عامة[(١)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث **أبي سعيد الخدري**: فلمّا قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم، فلم يرَ عليّاً، فسأل عنه، فقام ناسٌ من الأنصار، فأتوا به، فقال أبو بكر: ابنَ عمِّ رسولِ اللهِ ﷺ وخَتَنَهُ! أردتَ أَنْ تشقَّ عصا المسلمين؟

فقال: لا تثريبَ يا خليفة رسول الله ﷺ، فبايعه.

ثم لم ير الزّبير بن العوام، فسأل عنه، حتى جاءوا به، فقال: ابنَ عمّةِ رسول الله ﷺ وحواريه، أردتَ أن تشقَّ عصا المسلمين؟

فقال مثل قوله: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فبايعه[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** من حديث إبراهيم بن **عبد الرحمٰن بن عوف** أن

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢١٩).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٠) برقم: (٤٤٥٧).

عبد الرحمٰن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنَّ محمد بن مَسْلمةَ كسر سيفَ الزبير، ثم قام أبو بكر، فخطبَ الناسَ، واعتذر إليهم، وقال: واللهِ ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلةً قط، ولا كنتُ فيها راغباً ولا سألتُها الله عز وجل، في سرٍّ وعلانيةٍ، ولكنِّي أشفقتُ من الفتنةِ، وما لي في الإمارة من راحةٌ، ولكن قُلِّدتُ أمراً عظيماً، ما لي به من طاقة، ولا يد إلا بتقوية الله عز وجل، ولوددتُ أنْ أقوى الناس عليها مكاني اليوم.

فقبلَ المهاجرون منه ما قال، وما اعتذر به، قال علي والزبير رضي الله عنهما: ما غضبنا إلّا لأنا قد أُخّرنا عن المشاورةِ، وإنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناسِ بها بعدَ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إنّه لصاحبُ الغار، وثاني اثنين، وإنّا لنعلمُ بشرفِهِ وكبره، ولقد أمّره رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالصلاةِ بالناسِ وهو حيٌّ[1].

❁ [شرح منصب النبوّة والخلافة]:

ولـمّا استقرّ أمر الخلافة، وبايع الناسُ أبا بكر رضي الله عنه، كان أوّلُ ما ركز عليه أبو بكر رضي الله عنه عنايتَه البالغةَ أنّه شرح منصب النبوة والخلافة، وأظهر الفرقَ بينهما، وشرحَ كذلك الفرقَ بين معاملة الناس مع الأنبياء ومعاملتهم مع الخلفاء، وذكر ذلك بمناسباتٍ عِدّة، وبأساليبَ مختلفة، حتّى تبينت حقيقةُ معاملتهم مع الخليفة.

● يقول **قيس بن أبي حازم**: نادى منادي أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بعد وفاةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم بشهرٍ واحدٍ «الصلاةُ جامعةٌ»، وكانت أوّلَ صلاةٍ نودي الناسُ بها، فلمّا اجتمع الناسُ صعد أبو بكر رضي الله عنه المنبر، قال: فحمدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: يا أيُّها الناسُ! ولوددتُ أنَّ هذا كفانيه غيري، ولئن

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٠) برقم: (٤٤٢٢).

أخذتموني بسُنَّة نبيّكم ﷺ ما أطيقُها، إن كان لمعصوماً من الشيطان، وإن كانَ لينزِلُ عليه الوحي من السماءِ، أخرجه **أحمد**(١).

• وعن **أبي برزةَ الأسلمي** قال: أغلَظ رجلٌ لأبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: فقال أبو برزة: ألا أضربُ عنقَه، قال: فانتهره، وقال: ما هي لأحدٍ بعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، أخرجه **أحمد**(٢)، **وأبو يعلى** بطرقٍ مختلفةٍ وألفاظٍ متغايرة.

• وعن **عبد الله بن أبي مُلَيْكة**، قيل لأبي بكر الصدِّيق: يا خليفةَ اللهِ! فقال: بل خليفة محمد ﷺ، وأنا أرضى به، أخرجه **أحمد**(٣)، **وأبو يعلى** بطرقٍ مختلفةٍ.

• وعن **عائشة** رضي الله عنها: «أنّها تمثّلت بهذا البيت، وأبو بكر رضي الله عنه يقضي به:

وأبيضَ يُسْتَسْقَىٰ الغمامُ بِوَجْهِهِ ثمال اليتامَىٰ عصمةٌ للأراملِ

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ذاكَ واللهِ رسولُ اللهِ ﷺ» أخرجه **أحمد وأبو يعلى**(٤).

ولمّا اختلفَ الناسُ في تأويل الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فظنَّ بعضُهم أنَّ ترك مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدحُ في أمر الدين شيئاً نظراً إلى هذه الآية الكريمة، وكان ذلك خطأً كبيراً، فخطب أبو بكر رضي الله عنه يوماً وقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤونَ هَذِهِ الْآيَةَ،

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٨٠).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٤) واللفظ له، و«مسند أبي يعلى» (١/ ٥٠).
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٦٤).
(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٢٦).

وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَا وَضَعَهَا اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ**»، أخرجه **أحمد وأبو يعلى**[1] بطرقٍ مختلفة.

۞ [دفع الشبهة في قضية قتال مانعي الزكاة]:

ولمّا أشكلَ على الصحابةِ ﵃ أمرُ قتال مانعي الزكاة، وهم يقولون بكلمة الإسلام، قال أبو بكر الصدِّيق ﵁: إنَّ التأويلَ في ضروراتِ الدين مردودٌ لا يقبل.

• عن **أبي هريرة** ﵁ عن النبيِّ ﷺ قال: ««**أمرتُ أنْ أقاتِلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إلـهَ إلّا الله، فإذا قالوها، عَصَمُوا منِّي دماءَهم وأموالَهم إلّا بحقِّها، وحسابُهم على اللهِ تعالى**»، قال: فلمّا كانت الردةُ، قال عمر لأبي بكر ﵁: تقاتِلُهم وقد سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: كذا وكذا؟ قال: فقال أبو بكر ﵁: واللهِ لا أفرِّقُ بين الصّلاةِ والزكاةِ، ولأقاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بينَهما، قال: فقاتلنا معه، فرأينا ذلك رشداً» أخرجه **أحمد والبخاري**[2]، وهذا لفظ أحمد.

وفي روايةٍ: «قال عمر ﵁: فواللهِ ما هو إلّا أنِّي رأيتُ أنَّ الله قد شرحَ صدرَ أبي بكر ﵁ للقتالِ، فعرفتُ أنّه الحقّ»[3].

وبذلك أشار أبو بكر ﵁ إلى نكتتين دقيقتين:

الأولى: لفظ: «**إلا بحقّه**» يشمل الزكاة.

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٣) واللفظ له، «مسند أبي يعلى» (١/ ٧٤).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٤٠٠)، و«مسند أحمد» برقم: (٦٧).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٢٣٩).

الثانية: أنّ استثناء الصلاةِ ثابتٌ، فكذلك قاس الزكاة عليها، فإنّه لا فرق بين الصلاة والزكاة.

۞ [إصابة رأيه في إنفاذه جيش أسامة رضي الله عنه]:

وكذلك أشكل على الصحابة رضي الله عنهم بعثُ جيشِ أسامةَ بنَ زيدٍ بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ، فرأى الصدِّيقُ رضي الله عنه ما ظهر نفعه فيما بعد، وكان في ذلك موفّقاً من الله عز وجل.

• عن **أبي هريرة** قال: «والّذي لا إلـٰهَ إلا هُوَ لولا أنَّ أبا بكر استُخْلِفَ ما عُبِدَ الله، ثم قال الثانية ثم قال الثالثة، فقيل له: مَهْ، يا أبا هريرة! فقال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ وجّه أسامةَ بنَ زيدٍ في سبع مائة إلى الشام، فلمّا نزل بذي خشب، قُبِضَ النبيُّ ﷺ، وارتدّتِ العربُ حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا له: يا أبا بكر! رُدَّ هؤلاء، توجّه هؤلاء إلى الروم، وقد ارتدتِ العربُ حول المدينة، فقال: والذي لا إلـٰه إلا هو، لو جرّتِ الكلابُ بأرجلِ أزواجِ رسولِ اللهِ ﷺ ما رددتُ جيشاً وجّهه رسولُ اللهِ ﷺ، ولا حللتُ لواءً عقده رسولُ اللهِ ﷺ، فوجّه أسامة، فجعل لا يمرّ بقبيلٍ يريدونَ الارتدادَ إلا قالوا: لولا أنَّ لهؤلاءِ قوةً ما خرجَ مِثْلُ هؤلاء مِنْ عندهم، ولكن ندعهم، حتّى يلقوا الروم، فلقوهم، فهزموهم، وقتلوهم، ورجعوا سالمين، فثبتوا على الإسلام»[1]، مذكورٌ في «الصواعق» معزواً إلى **البيهقي وابن عساكر**.

ولمّا اختلفَ الناسُ في قتال أهل الردة، أُلْهم أبو بكر إلهاماً من الغيبِ، وانشرحَ لقتالهم صدره، وإلى هذا السرّ أشار بقوله: «العصمة بالسيف»، وبمناسبة هذه الفتنة الهائلة قال عمر: «يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ!

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٢/ ٦٠).

تألَّفِ الناسَ، وارفقْ بهم، فقال لي: «**أجبّارٌ في الجاهليةِ وخوَّارٌ في الإسلامِ؟ إنَّه قد انقطعَ الوحيُ، وتمّ الدِّينُ، أينقصُ وأنا حيٌّ؟!**»»، مذكور في «المشكاة»[(١)] معزواً لرَزِينٍ، ومثله قول المرتضى: «لا تفجعنا بنفسِكَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ! فأجابه بنحوٍ ممّا أجابَ عمر» مذكور في «الصواعق» وغيره.

❁ [إصابة رأيه في تأمير خالد بن الوليد على قتال المرتدين]:

ثم اختلفَ الناسُ فيمن يؤمَّر لقتال المرتدين، فروى الصدِّيق حديثاً سمعه عن النبي ﷺ في ذكر خالد بن الوليد رضي الله عنه، فجعله أميراً لقتالهم، وتمّ الفتح على يده.

• عن وحشيٍّ بن حربٍ: «أنَّ أبا بكر رضي الله عنه عقدَ لخالد بن الوليد على قتالِ أهل الردّة، وقال: إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**نِعْمَ عبدُ اللهِ وأخو العشيرةِ خالدُ بنُ الوليد، وسيفٌ من سيوفِ اللهِ، سلَّه اللهُ عز وجل على الكفّار والمنافقين**»، أخرجه **أحمد**[(٢)].

❁ [إنقاذه بعض كبار الصحابة من حديث النفس]:

وكذلك ابتُليَ بعضُ الصحابة المحققين من أمثال العشرة المبشّرين بالجنة؛ كعثمان وطلحة بحديث النفس بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ، فأنقذهم أبو بكر رضي الله عنه من هذا القلق، فقد ورد في الحديث: «أنَّ رجالاً من أصحابِ النبيِّ ﷺ حزنوا عليه بعد ما لحقَ النبيُّ ﷺ بالرفيقِ الأعلى حتّى كادَ بعضُهم يوسوس»[(٣)]، وفي بعض ألفاظ الحديث: «إنهم ابتلوا بحديثِ النفسِ»[(٤)].

---

(١) انظر: «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣١٣). (٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٤٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٢٤).

(٤) أخرجه ابن ماجه في «سننه» برقم: (٢٠٤٠).

• وفي رواية: عن محمد بن جبير بن مطعم أنّ عثمان رضي الله عنه قال: «تمنّيتُ أنْ أكونَ سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ ماذا ينجينا ممّا يلقي الشيطان في أنفُسِنا؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه وهو يروي عن النبي ﷺ: «**يُنْجِيكُم من ذلِكُم أنْ تقولوا ما أمرتُ عَمِّي أن يقولَه فلم يَقُلْه**»، أخرجه **أحمد**[(١)] **وأبو يعلى** بطرقٍ مختلفةٍ وألفاظ متغايرة، يفسِّر بعضها بعضاً.

ومعنى هذا: أنّ الصحابةَ الكرام رضي الله عنهم كانوا يلازمون صحبة النبي ﷺ صباحَ مساءَ، ليلَ نهارَ، يستظلّون بظلّه، ويستهدون بهديه، ويسترشدونه في أمور دينهم ودنياهم، فكانوا بلطيفة سرّهم وروحهم يقتبسونَ من أنوار نبيّهم ﷺ، ولمّا انتقل النبيُّ ﷺ من هذه الدار، ولحق بالرفيق الأعلى، انقطعوا عن صحبة نبيّهم ﷺ، وزالت عنهم حالتهم الخاصة، وأنكرت قلوبُهم، وابتُلوا بحديثِ النفسِ، فأرشدهم أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه الذي كان خليفةَ رسولِ اللهِ حقّاً في علم الظاهر والباطن، وعلّمهم ذكراً خاصاً ينجيهم من حديث النفس، وتلك هي حقيقةُ ما ذكر في كتب الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم، فلا يغرنّكم أقاويلُ الناسِ في ذلك، وكان ذلك أوّلَ إحياء للطريقة التي تسمّى بـ«الطريقة الصوفية»، وتحقّق ذلك على يد خليفة رسول الله ﷺ الأول أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

وأخذ سيدنا علي المرتضى رضي الله عنه صلاةَ الاستغفار عن سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، وقدّرها حقّ قدرها.

• عن سيدنا علي المرتضى قال: «كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله به بما شاء أن ينفعني منه، وإذا حدّثني غيره استحلفته، فإذا حلفَ لي صدّقتُه، وحدّثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: قال

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣٧).

رسول الله ﷺ: «**ما مِنْ عبدٍ مؤمنٍ يذنِبُ ذنباً، فيتوضَّأُ، فيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثم يصلِّي ركعتينِ، فيستغفر اللهَ تعالى إلّا غَفَرَ اللهُ لَهُ**»، أخرجه **أحمد وأبو يعلى**[1] بطرق متعددة.

[حلّ قضية ميراث النبي ﷺ]:

ولمّا أشكل على فاطمة والعباس رضي الله عنهما أمر قسمة ميراث النبي ﷺ، وسألا أبا بكر ميراثَهما من رسول الله ﷺ مستدلّين بعموم قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، كان أبو بكر رضي الله عنه في ذلك بين مشكلتين عظيمتين:

إنّ أعطاهما الميراثَ عن رسول الله ﷺ كان ذلك مخالِفاً لقاعدة الشرع، ولو لم يعطهما لكانَ ذلك كَسْراً لخواطرِ أهلِ البيتِ.

روى الصدِّيق رضي الله عنه حديثاً عن رسولِ اللهِ ﷺ، ذكر فيه أنَّ النبيَّ ﷺ لا يُورَثُ، ولم يكن النبيُّ ﷺ يملكُ أرضَ خيبر مِلْكاً خاصاً به، ثم راعى أبو بكر رضي الله عنه خاطرَ السيدة فاطمة رضي الله عنها وخاطِرَ أهل بيته مراعاةً لا يُتصوَّر فوقها، حتى زال ما كانوا يجدونه في أنفسِهم على أبي بكر رضي الله عنه.

[مشورة الزبير وبني هاشم لنزع الخلافة وقضاء أبي بكر عليه]:

ثم وقعت في تلك الأيام مشكلةٌ فوق جميع المشاكل وهي: أنَّ الزبير وجماعةً من بني هاشم اجتمعوا في بيت فاطمة رضي الله عنها، وجعلوا يتشاورون فيما بينهم لنقض الخلافة، فقام أبو بكر وعمر رضي الله عنهما بأحسن التدابير للقضاء على هذا النزاع، وأزالا بحسن ملاطفتهما ما كان يجد سيدنا علي المرتضى في نفسه.

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٦) واللفظ له، و«مسند أبي يعلى» (١/ ١١).

وقد ذكر رواةُ هذه القصة شيئاً وتركوا آخر، ولذلك نريد أن نبيّن جميعَ أجزاء القصة، حتى تتضح حقيقتُها اتّضاحاً جليّاً.

• عن زيد بن أسلم، عن أبيه **أسلم**، أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسولِ اللهِ ﷺ، كان عليٌّ والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فيشاورونها، ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرجَ، حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ! واللهِ ما مِنْ أحدٍ أحبُّ إلينا من أبيكِ، وما مِنْ أحدٍ أحبُّ إلينا بعدَ أبيكِ مِنْكِ، وايمُ اللهِ ما ذاكَ بمانعي إنِ اجتمَع هؤلاء النفر عندك، أنْ آمرَ بهم أنْ يحرَّق عليهم البيتُ، قال: فلمّا خرجَ عمر، جاءوها، فقالت: تعلمون أنّ عمرَ قد جاءني، وقد حلف بالله، لئن عدتم ليحرقنَّ عليكم البيتَ، وايمُ اللهِ، ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم، ولا ترجعوا إليّ، فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتّى بايعوا لأبي بكر، أخرجه **ابن أبي شيبة**[1].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ، أنَّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلتْ إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تسألهُ ميراثَها من رسولِ اللهِ ﷺ، ممّا أفاء الله عليه بالمدينة، وفَدَك، وما بقي من خُمسِ خيبر، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تركنا صدقةٌ، إنّما يأكلُ آلُ محمَّدٍ في هذا المالِ**»، وإنِّي واللهِ لا أغيِّرُ شيئاً من صدقة رسولِ اللهِ ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عمل به رسولُ اللهِ ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمةَ منها شيئاً، فوجدت فاطمةُ على أبي بكر في ذلك، فقال أبو بكر: والّذي نفسِي بيده، لقرابةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أصل من قرابتي،

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٢) برقم: (٣٧٠٤٥).

وأمّا الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فإنّي لم آل فيها عن الحقّ، ولم أترك أمراً رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته، أخرجه **أحمد والبخاري**[١] وغيرهما، وهذا لفظ أحمد.

وفي روايةٍ له: «إنَّ فاطمةَ بنت رسولِ اللهِ ﷺ سألتْ أبا بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ أن يقسم لها ميراثها ممّا ترك رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه، فقال لها أبو بكر رضي الله عنه: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ ما تركنا صدقةٌ**»، فغضبتْ فاطمةُ رضي الله عنها فهجرت أبا بكر رضي الله عنه، فلم تزل مهاجرته، حتى توفّيت، قال: وعاشت بعدَ وفاةِ رسولِ الله ﷺ ستةَ أشهرٍ قال: وكانت فاطمةُ رضي الله عنها تسأل أبا بكر نصيبَها ممّا تركَ رسولُ اللهِ ﷺ من خيبر، وفَدَك، وصدقتُه بالمدينةِ، فأبى أبو بكر رضي الله عنه عليها ذلك، وقال: لستُ تاركاً شيئاً كان رسولُ اللهِ ﷺ يعملُ به إلّا عملتُ به، إنّي أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره أن أزيغَ، فأمّا صدقتُه بالمدينةِ، فدفعها عمرُ إلى عليٍّ والعبّاس فغلبه عليها عليّ، وأمّا خيبر وفَدَك فأمسكهما عمر رضي الله عنه، وقال: هما صدقةُ رسولِ اللهِ ﷺ كانتا لحقوقه التي تعروه، ونوائبه، وأمرُهما إلى مَنْ ولي الأمرَ، قال: فهما على ذلك اليوم»، أخرجه **أحمد**[٢].

• وعن **عقبة بن الحارث** قال: «خرجتُ مع أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه من صلاة العصر بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ بليالٍ، وعليٌّ رضي الله عنه يمشي إلى جنبه، فمرَّ بحسن بن علي، يلعبُ مع غلمان، فاحتمله على رقبته، وهو يقول: وا بأبي، شبيه بالنبيِّ ليس شبيهاً بعلي، قال: وعليٌّ يضحكُ»، أخرجه **أحمد**[٣].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٥)، و«صحيح البخاري» برقم: (٤٢٤٠).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٥). (٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٤٠).

• وعن **عائشة** ﵂: أنّ فاطمةَ بنت النبيِّ ﷺ أرسلت إلى أبي بكر، تسأله ميراثَها من رسولِ اللهِ ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة، وفَدَك، وما بقي من خُمسِ خيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَثُ ما تركنا صدقةٌ، إنَّما يأكلُ آلُ محمّدٍ ﷺ في هذا المالِ**»، وإنِّي واللهِ لا أغيّرُ شيئاً من صدقةِ رسولِ اللهِ ﷺ عن حالِها التي كانت عليها في عهد رسولِ اللهِ ﷺ، ولأعملَنَّ فيها بما عَمِلَ به رسولُ اللهِ ﷺ، فأبى أبو بكر أن يدفعَ إلى فاطمةَ منها شيئاً، فوجدت فاطمةُ على أبي بكر في ذلك، فهجرته، فلم تكلّمْه حتى توفيت، وعاشت بعد النبيِّ ﷺ ستة أشهر، فلمّا توفيت، دفنَها زوجُها عليٌّ ليلاً، ولم يؤذِنْ بها أبا بكر، وصلّى عليها، وكان لعليٍّ من الناس وجهٌ حياةَ فاطمة، فلمّا توفيت، استنكر علي وجوه الناسِ، فالتمسَ مصالحةَ أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبايعُ تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا أحدٌ معك؛ كراهية ليحضر عمر، فقال عمر: لا والله لا تدخلَ عليهم وحدَك، فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بي، والله لآتينَّهم، فدخل عليهم أبو بكر، فتشهّدَ عليٌّ، فقال: إنّا قد عرفنا فضلك، وما أعطاك الله، ولم ننفسْ عليكَ خيراً ساقه الله إليكَ، ولكنّك استبددتَ علينا بالأمرِ، وكنا نرى لقرابتنا من رسولِ اللهِ ﷺ نصيباً حتى فاضت عينا أبي بكر، فلمّا تكلَّم أبو بكر قال: والذي نفسي بيدِهِ لقرابةُ رسولِ اللهِ ﷺ أحبُّ إليَّ أنْ أصل من قرابتي، وأمّا الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموالِ فإنِّي لم آلُ فيها عن الخير، ولم أتركْ أمراً رأيتُ رسول اللهِ ﷺ يصنعه فيها إلا صنعتُه، فقال عليٌّ لأبي بكر: موعدُك العشية للبيعة، فلمّا صلّى أبو بكر الظهر، رقي على المنبر، فتشهّدَ، وذكر شأنَ عليٍّ، وتخلّفه عن البيعة، وعُذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر، وتشهّدَ علي، فعظَّم حقَّ أبي بكر، وحدّث أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسةً على أبي بكر، ولا إنكاراً للذي فضله الله به، ولكنّا كُنّا نرى لنا

في هذا الأمر (أي: المشورة كما يدل عليه بقية الروايات) نصيباً، فاستُبِدَّ علينا، فوجدنا في أنفسنا، فسُرَّ بذلك المسلمون، وقالوا: أصبتَ، وكان المسلمون إلى علي قريباً حين راجعَ الأمرَ المعروف، رواه **البخاري**(١).

• وعن **أبي سعيد الخدري** قال: قال أبو بكر: «ألستُ أحقَّ الناسِ بها؟ ألستُ أوّلَ مَنْ أسلم؟ ألستُ صاحبَ كذا، ألستُ صاحبَ كذا؟»، رواه **الترمذي**(٢).

❁ [اهتمام أبي بكر بسنِّ قواعد الاجتهاد الشرعي]:

من أعظم ما اهتمّ به أبو بكر ﷺ أنّه سَنَّ لأمةِ محمّد ﷺ طرقاً يسلكُها المجتهدون لاستنباط الأحكام الشرعية في القضايا المستجدّة، وأرشد الناسَ إلى درجات وترتيب الأدلة الشرعية، وهذه هي الخطة التي يتبعها المجتهدون في كلّ زمان إلى يومنا هذا، وبذلك صار أبو بكر ﷺ أستاذَ جميع المجتهدين وشيخَهم، إذ إنّه هو الذي وضع القواعد الشرعية.

• عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصمُ، نظرَ في كتاب الله، فإنْ وجدَ فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإنْ لم يكن في الكتابِ، وعلم من رسولِ اللهِ ﷺ في ذلك الأمر سُنَّةً، قضى به، فإنْ أعياه خرجَ فسأل المسلمين، وقال: أتاني كذا وكذا، فهل علمتُم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قضى في ذلك بقضاء، فربّما اجتمعَ إليه النفرُ، كلُّهم يذكر من رسول الله ﷺ فيه قضاءً، فيقول أبو بكر: الحمدُ للهِ الذي جعل فينا مَنْ يحفظُ على نبيِّنا، فإنْ أعياه أنْ يجدَ فيه سُنَّةً من رسولِ اللهِ ﷺ، جمع

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٢٤٠).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٧)، و«البحر الزخار» رقم: (٢٧).

رؤوسَ النّاس وخيارَهم، فاستشارَهم، فإذا اجتمعَ رأيُهم على أمرٍ قضى به»، رواه **الدارمي**[١].

❁ [حلّ قضية ميراث الجدة]:

ولمّا أشكل على أبي بكر ﵁ أمرُ ميراث الجدة، اجتهد وبالغ في البحث عن حكم ميراث الجَدّة، حتّى ظهر له حديث عن النبي ﷺ، وانحلّت القضية.

• عن **الزهري** قال: «جاءت إلى أبي بكر جَدّة أم أب أو أم أم فقالت: إن ابن ابني أو ابن ابنتي توفي، وبلغني أنّ لي نصيباً، فما لي؟ فقال أبو بكر: ما سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال فيها شيئاً، وسأسألُ الناس، فلمّا صلّى الظهر، قال: أيُّكم سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ قال في الجَدّة شيئاً؟ فقال المغيرةُ بنُ شعبة: أنا، قال: ماذا؟ قال: أعطاها رسولُ اللهِ ﷺ سدساً، قال: أيعلمُ ذاك أحدٌ غيرك؟ فقال محمد بن مسلمة: صدق، فأعطاها أبو بكر السدس، فجاءت إلى عمر مثلها، فقال: ما أدري ما سمعتُ من رسول الله ﷺ فيها شيئاً، وسأسأل الناسَ، فحدَّثوه بحديث المغيرة بن شعبة ومحمّد بن مسلمة، فقال عمر: أيُّكما[٢] خلت به فلها السدس، فإن اجتمعتُما فهو بينكما»، رواه **مالك والدارمي**[٣]، وهذا لفظ الدارمي.

ثم اختلف الناسُ في أمر ميراث الجَدّ، هل هو بمنزلة الأب بعد وفاته، أو يكون أمرُه متردّداً، فإنّه يشبه الأبَ في جانبٍ، ويشبِه الأخَ في

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٦٩) برقم: (١٦١).

(٢) في الأصل الفارسي: «أيتكما».

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٨٧١)، و«سنن الدارمي» (٢/ ٤٥٦) برقم: (٢٩٣٩).

جانبٍ آخر، وقد اختلف الصحابةُ رضي الله عنهم في ذلك، فذهب عمر الفاروق إلى رأي، وذهب علي المرتضى إلى رأي آخر، وكذلك عبد الله بن مسعود اختار قولاً، واختار زيدُ بنُ ثابت قولاً آخر، ثم ثبت رجوعُ كلٍّ من هؤلاء عن أقوالهم أيضاً، وأرجحُ الأقوال في ذلك ما قال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه.

قال ابن عباس وابن الزبير: أمّا الذي قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو كنتُ متّخذاً أحداً خليلاً لاتخذته خليلاً، [ولكن أخوةُ الإسلام أفضل]**»؛ يعني: أبا بكر جعله أباً [يعني: الجد]، أخرج قول الأول **الدارمي**(١)، وقول الثاني **البخاري**(٢)، وقال الحسن: إنّ الجدَّ قد مضت سنته، وإن أبا بكر جعل الجدَّ أباً، ولكنّ الناسَ تحيّروا، أخرجه **الدارمي**(٣).

❁ [تفسير آية الكلالة]:

ثم إنّ قضية الكلالة أعجزت الصحابة، وعجز أكثرهم عن بيانها، يقول عقبةُ بنُ عامر الجُهني: «ما أعضل بأصحاب النبي ﷺ شيءٌ ما أعضلت بهم الكلالةُ»(٤)، فتصدّى أبو بكر رضي الله عنه لبيانها.

• عن الشعبيِّ قال: «سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إنِّي سأقولُ فيها برأيي، فإنْ كانَ صواباً فمن الله، وإن كان خطأ فمني، ومن الشيطان، أراه ما خلا الوالد والولد، فلمّا استخلِفَ عمرُ قال: إني لأستحيي اللهَ أنْ أردَّ شيئاً قاله أبو بكر»، أخرجه **الدارمي**(٥).

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥١).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٨٣٨).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥١) برقم: (٢٠٩٢).
(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢/ ٤٦٢) رقم: (٢٩٧٣).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٢) برقم: (٢٩٧٢).

❁ [تعيينُ حدِّ شاربِ الخمر]:

وكذلك تحيّر الناسُ في حدِّ شارب الخمر، إذ إنَّ النبيَّ ﷺ كان يأمر بجلد شارب الخمر، وكان يمنع الناس إذا كمُلَ من العدة ما يريد، ولم يعيّن لذلك عدداً محدّداً في حياته ﷺ، ففرض له أبو بكر رضي الله عنه أربعين جلدة.

● عن **ابن عباس** قال: «إنَّ الشُرّاب كانوا يُضرَبون على عهد رسول الله ﷺ بالأيدي، والنعال، والعصا، حتّى توفيَ رسول الله ﷺ، وكانوا في خلافة أبي بكر رضي الله عنه أكثر منهم في عهد رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: لو فرضنا لهم حدّاً، فتوخّى نحواً مما كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ، فكان أبو بكر رضي الله عنه يجلدهم أربعين حتى توفّي، الحديث أخرجه **الحاكم، والبيهقي** وغيرهما، واللفظ للحاكم[١].

❁ [إخباره عمَّن تاب من المرتدين]:

ولما هزم الله تعالى المرتدين عن الإسلام شرَّ هزيمة، وجاءوا إلى أبي بكر رضي الله عنه زرافاتٍ ووحْداناً خجلين ممّا فعلوا، كان رضي الله عنه يقول لهم قولاً عجيباً يشير إلى حالهم وصفاتهم.

● عن **طارق بن شهاب**، عن أبي بكر رضي الله عنه، قال لوفد بزاخة: «تتّبعونَ أذنابَ الإبلِ، حتّى يري اللهُ خليفة نبيِّه ﷺ والمهاجرين أمراً يعذرونكم به»، أخرجه **البخاري**[٢].

● وفي رواية **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة** قال: «لما ارتدّ من ارتدّ

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤١٧) برقم: (٨١٣٢)، و«سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٣٢٠) برقم: (١٧٣٢١).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٢١).

على عهد أبي بكر، أراد أبو بكر أن يجاهدهم، فقال عمر: أتقاتلهم وقد سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ شهدَ أنْ لا إلـهَ إلّا الله، وأنَّ محمّداً رسولُ اللهِ، حَرُمَ مالُه ودمُه إلّا بحقّه، وحسابُه على الله؟!**» فقال أبو بكر: ألا أقاتِلُ من فرّق بينَ الصلاةِ والزكاةِ، واللهِ لأقاتلنَّ مَنْ فرّق بينهما، حتى أجمعهما، قال عمر: فقاتلنا معه، فكان والله رشداً، فلمّا ظفرَ بِمَنْ ظفر به منهم، قال: اختاروا بين خطتين، إما حرب مجلية، وإما الخطة المخزية، قالوا: هذه الحرب المجلية، قد عرفناها، فما الخطة المخزية؟ قال: تشهدون على قتلانا أنهم في الجنة وعلى قتلاكم أنهم في النار، ففعلوا»، رواه **ابن أبي شيبة**[1].

۞ [نصيحته للمجاهدين]:

ولما عزم أبو بكر رضي الله عنه على بعث جيوش المسلمين إلى الشام بعد أَنْ رأى رؤيا، وأُلهم من جانب الغيب في ذلك، أمّرَ يزيدَ بنَ أبي سفيان على رُبْعِ الشام، وأوصاه عند وداعه وصايا نافعة غالية، صارت مرسوماً رسمياً، وقاعدةً مهمّة لأمراء المسلمين في كلِّ زمان ومكان، وفي كل عصر ومصر.

• عن **يحيى بن سعيد**: «أنّ أبا بكر الصدِّيق بعث جيوشاً إلى الشام، فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان أمير رُبْعٍ من تلك الأرباع، فزعموا أنَّ يزيدَ قال لأبي بكر: إمّا أن تركبَ، وإمَّا أن أنزلَ، فقال أبو بكر: ما أنت بنازلٍ، وما أنا براكبٍ، إنِّي أحتسبُ خطاي هذه في سبيل الله، ثم قال له: إنّكَ ستجدُ قوماً زعموا أنّهم حبسوا أنفسهم لله، فذرهم وما زعموا أنّهم حبسوا أنفسهم له، وستجدُ قوماً فحصوا عن

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٤).

أوساط رؤوسهم من الشعر، فاضربْ ما فحصوا عنه بالسيف، وإنِّي موصيك بعشرٍ: لا تقتلنَّ امرأةً، ولا صبياً، ولا كبيراً هَرِماً، ولا تقطعنَّ شجراً مثمراً، ولا تخرِّبَنَّ عامراً، ولا تعقرنَ شاةً ولا بعيراً إلا لمأكلة، ولا تحرقنَّ نخلاً، ولا تُغَرِّقنه، ولا تَغْلُلْ، ولا تَجْبُن»، أخرجه **مالك** في «الموطأ»[١].

● وعن يزيد بن أبي سفيان قال: قال أبو بكر رضي الله عنه حين بعثني إلى الشام: يا يزيدُ! إنّ لك قرابة خشيتُ[٢] أن تؤثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخافَ عليك، فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباةً فعليه لعنةُ اللهِ، لا يقبلُ اللهُ منه صَرْفاً ولا عَدْلاً، حتّى يدخلَه جهنَّم، ومَنْ أعطى أحداً حمى الله، فقد انتهكَ في حمى الله شيئاً بغيرِ حَقِّه، فعليه لعنةُ اللهِ**، أو قال: **تبرّأت منه ذمةُ اللهِ** عز وجل»، أخرجه **أحمد**[٣].

● وذكر **الواقدي** في كتاب «فتوح الشام» في قصة وصية أبي بكر ليزيد بن أبي سفيان عند الوداع فقال: «تقدّم يزيد بن أبي سفيان، وقال: يا خليفةَ رسول الله! أوصني، فقال: «**إذا سرتَ فلا تعنّف**»[٤]» إلى آخر الوصية.

● وذكر **الواقدي** أيضاً في قصة وصية أبي بكر لعمرو بن العاص عند وداعه وتوليته على جيش المسلمين: فقال أبو الدرداء: «كنتُ مع عمرو بن العاص في جيشه...» إلخ[٥].

بالجملة: كذلك كان رجوع الناس إلى أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٢٧). (٢) في «مسند أحمد»: «عسيت».
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢١). (٤) انظر: «فتوح الشام» (١/٣).
(٥) انظر: «فتوح الشام» (١/٨).

المسائل النازلة وهو يقوم بحلّ كل ما يشتبه الناسُ فيها، والقليل نموذجُ الكثيرِ، والغَرْفَةُ تنبئُ عن البحر الكبير.

[استخلافه عمر رضي الله عنه]:

وكان غاية نصحه رضي الله عنه للناس أنّه استخلف عند وفاته عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه من بعده، وكان هذا من أعظم فراسته.

• عن **عبد الله بن مسعود** قال: أفرسُ الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرّس في عمر فاستخلفه، والتي قالت: ﴿...ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص]، والعزيزُ حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] أخرجه أبو بكر **بن أبي شيبة والحاكم**[١].

• وعن **قيس بن أبي حازم** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب وبيده عسيب نخل، وهو يُجلس الناس، ويقول: اسمعوا لقول خليفة رسول الله ﷺ، قال: فجاء مولى لأبي بكر، يقال له: شديد، بصحيفةٍ، فقرأها على الناس فقال: يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لِمَنْ في هذه الصحيفة، فواللهِ ما آلو بكم، قال قيس: فرأيتُ عمرَ بنَ الخطّاب بعد ذلك على المنبر، رواه **ابن أبي شيبة**[٢].

[وصيته لعمر رضي الله عنه]:

وعن **زبيد بن الحارث** أنّ أبا بكر حين حضره الموتُ أرسل إلى عمر يستخلفه، فقال الناسُ: تستخلفُ علينا فظّاً غليظاً، ولو قد ولينا كان أفظَّ وأغلظ، فما تقول لربِّكَ إذا لقيته وقد استخلفتَ علينا عمر؟

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٥) برقم: (٣٧٠٥٨) واللفظ له، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٣٧٦) برقم: (٣٣٢٠).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٧).

قال أبو بكر: أبربِّي تخوّفونني؟ أقول: اللَّهُمَّ استخلفتُ عليهم خيرَ خلقِكَ.

ثم أرسلَ إلى عمر، فقال: إنِّي موصيك بوصيةٍ إنْ أنتَ حفظتها: إنّ للهِ حقّاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنّ لله حقّاً بالليل لا يقبله بالنهار، وإنّه لا يقبلُ نافلةً حتّى تؤدّى الفريضةُ، وإنّما ثقلت موازينُ مَنْ ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم في الدّنيا الحقَّ، وثقله عليهم، وحقٌّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الحقُّ أنْ يكون ثقيلاً، وإنّما خفّت موازينُ مَنْ خفّت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الباطل، وخفّته عليهم، وحقٌّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفاً، وإنّ الله ذكر أهل الجنة بصالح ما عملوا، وإنّه تجاوز عن سيئاتهم، فيقول القائل: ألا أبلغُ هؤلاءِ، وذكر أهلَ النارِ بأسوأ ما عملوا، وإنّه ردّ عليهم صالحَ ما عملوا، فيقول قائل: أنا خيرٌ من هؤلاء، وذكر آيةَ الرحمةِ وآيةَ العذابِ ليكونَ المؤمن راغباً وراهباً، لا يتمنّى على اللهِ غيرَ الحقِّ، ولا يلقي بيده إلى التهلكة، فإن أنتَ حفظت وصيّتي لم يكنْ غائبٌ أحبُّ إليك من الموتِ، وإنْ أنتَ ضيّعت وصيتي لم يكنْ غائبٌ أبغضُ إليك من الموت، ولن تعجِزَه، أخرجه **ابن أبي شيبة**[1].

وأخرج القاضي أبو يوسف في «كتاب الخراج» نحوه إلَّا أنه قال: عن زبيد بن الحارث عن ابنِ سابط؛ وساق الحديث[2].

• وعن **أسماء بنت عُمَيس** «أنّه قال له: يا ابنَ الخطّاب إنِّي إنّما استخلفتُك نظراً لما خلّفت ورائي، وقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فرأيتَ من أثرته أنفسنا على نفسه، وأهلَنا على أهلِه، حتّى إنْ كنّا لَنظلّ نهدي إلى

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) برقم: (٣٧٠٥٦).

(٢) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٠).

أهله من فضول ما يأتينا عنه، وقد صحبتني فرأيتَني إنّما اتبعتُ سبيل من كان قبلي، واللهِ ما نمتُ فحَلمتُ، ولا توهّمتُ فسهوتُ، وإنِّي لعلّي السبيلَ ما زغتُ، وإنَّ أوّل ما أحذّرك يا عمرُ نفسَك، إنَّ لكلِّ نفسٍ شهوةً، فإذا أعطيتَها تمادت في غيرِها، وأحذّرك هؤلاء النفر من أصحاب محمّدٍ ﷺ الذين قد انتفخت أجوافُهم، وطَمِحَتْ أبصارُهم، وأحبَّ كلُّ امرئ منهم لنفسِه، وإنّ لهم لخيرة عند زَلّةِ واحدٍ منهم، فإيّاك أن تكونه، واعلم أنّهم لن يزالوا منك خائفين ما خِفْتَ الله، ولك مستقيمينَ ما استقامتْ طريقتُك، هذه وصيتي وأقرأ عليك السلام»، أخرجه **أبو يوسف**[١].

❁ [نظره الدقيق وفكره العميق]:

وهناك نكتة يجب التنبيه عليها، وهي أنّ أبا بكر الصدِّيق ﷺ كان يعلم من الكتاب والسُّنَّة ما كان يعلمه غيرُه من علماء الصحابة، ولكنّه كان يفوقهم في تفهّم حقيقة الشرع وروحه، وكان يمتازُ بينهم بتفرّسه تفرّساً صادقاً في كلِّ ما يعرض لهم من أمور الدين، فلم ينزل بالمسلمين أمرٌ ولم يحتاجوا إلى مشورةٍ إلا ظهر في قلبه شعاعٌ من أشعّة الغيب الإلـٰهي، فكان يطّلع على مغزى الأمر وحقيقته، وكان هذا الشعاعُ يَرِدُ إلى قلبه، فكانت تظهر عنده الحقيقةُ في صورة العزيمةِ لا في صورة المكاشفة، وكان يبيّن ذلك في سكرٍ لا في صحوٍ، وكان لا يتكلّم إلا قليلاً، ولكنّه كان إذا تكلّم لم يكن يخطئ، ولذلك لما قال يومَ بدر لرسولِ اللهِ ﷺ وهو في العريش يدعو ربه: «حسبُكَ مناشدتُكَ ربَّك» عرف النبي ﷺ أن ذلك خبر للنصر والفتح من عند الله، وقِسْ على ذلك سائر خطبه وأحكامه، ومن هنا تتجلّى حقيقةُ تسمية «الصدّيق».

---

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١١).

أخرج **الحاكم** عن **النزال بن سَبُرَة** عن عليٍّ ﷺ، أنه قال في أبي بكر: ذاك امرؤٌ سمَّاه الله صدّيقاً على لسان جبريل ومحمد صلى الله عليهما وسلم[١].

● وقد ذكر صاحب «كشف المحجوب» عن مشايخه الصوفية أنّ الصدِّيق ﷺ اعتبره المشايخُ الأجلّةُ «إمامَ أربابِ المشاهدة» لقلّة روايته وحكايته، واعتبروا الفاروق ﷺ «إمامَ أربابِ المجاهدة» لصلابته، وأعماله الشاقة، ويشهد بذلك الحديثُ الذي ذكر فيه إسرار أبي بكر وجهر عمر في صلاة الليل.

۞ [وصاياه ـ رقائقه ـ حكمه]:

والآن نذكر على سبيل المثال طرفاً من مواعظ أبي بكر ﷺ ورقائقه وحِكَمِه.

● عن **عبد الله بن عُكيم** قال: «خطبنا أبو بكر الصدِّيق، فقال: أمّا بعدُ! فإنّي أوصيكم بتقوى الله، وأن تثنوا عليه بما هو له أهل، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإنّ الله أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

ثم اعلموا عباد الله! أنّ الله قد ارتهن بحقِّه أنفسكم، وأخذ على ذلك مواثيقكم، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي، وهذا كتابُ الله فيكم، لا تفنى عجائبُه، ولا يُطفأ نورُه، فصدّقوا بقوله، وانتصحوا كتابَهُ، واستصبروا فيه ليوم الظلمة، فإنّما خلقكم للعبادةِ، ووكّل بكم الكرامَ الكاتبين، يعلمون ما تفعلون.

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٦٥) برقم: (٤٤٠٦).

ثم اعلموا عباد الله! أنّكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم علمُه، فإن استطعتُم أن تنقضي الآجالُ، وأنتم في عمل الله، فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله، فسابقوا في مُهَلِ آجالكم قبل أن تنقضي آجالُكم، فيردُّكم إلى أسوأ أعمالِكم، فإنّ أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم، ونسُوا أنفسَهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم، فالوحاءَ الوحاءَ، والنجاءَ النجاءَ، فإنَّ وراءكم طالباً حثيثاً مَرُّهُ سريعٌ»، أخرجه **ابن أبي شيبة والحاكم**[1].

• وعن **أنس** قال: «كان أبو بكر يخطبنا، فيذكر بَدْأَ خلق الإنسان، فيقول: خُلِقَ من مجرى البول، مِنْ نَتَنٍ[2]، فيذكر حتى يتقذَّرُ أحدُنا نفسه»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[3]، وفي ذلك علاج كامل للكبر والخيلاء.

• وعن **عَرْفَجَةَ السُّلمي** قال: «قال أبو بكر: ابكوا، فإنْ لم تبكوا فتباكَوْا»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[4].

• وفي «**الإحياء**»: «عن أبي بكر الصدِّيق ﷛ أنه كان يقول في خطبته: أين الوضاة الحسنة وجوههم؟ المعجبون بشبابِهم؟ أين الملوكُ الذين بَنَوا المدائنَ؟ وحصّنوها بالحيطانِ؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضعَ بهم الدهرُ، فأصبحوا في ظلماتِ القبورِ، الوحا الوحا، ثم النجا النجا»[5].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٤١٥) برقم: (٣٤٤٧) واللفظ له، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩١) برقم: (٣٤٤٣١).

(٢) في الأصل الفارسي: «مرتين» بدل «من نتن»؛ أي: مرة من مجرى بول الرجل ومرة من مجرى بول المرأة.

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٢) برقم: (٣٤٤٣٦).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٢) برقم: (٣٤٤٣٧).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٥٦).

• وعن **مجاهد** قال: «قام أبو بكر خطيباً فقال: أبشروا، فإنِّي أرجو أن يتمَّ الله هذا الأمرَ حتى تشبعوا من الزيت والخبز»، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

وقد ألقى الخطبة المذكورة حين كان يبعث جيوش المسلمين إلى الشام، وفي هذا بشارةٌ واضحةٌ لفتح الشام، فإنَّ الزيتَ لا يوجد إلا بها.

• وعن **أسلم** مولى عمر: أنّ عمر اطّلع على أبي بكر، وهو يمدُّ لسانه، فقال: ما تصنع يا خليفة رسول الله؟ فقال: إنَّ هذا أوردني الموارِدَ، إنّ رسول الله ﷺ قال: «**ليس شيءٌ مِنَ الجَسَدِ إلّا وهو يشكو ذَرَبَ اللسانِ**»، أخرجه **أبو يعلى**[٢].

وفي «الإحياء»: «قال أبو بكر الصدِّيق: لا يحقرنَّ أحدٌ أحداً من المسلمينَ، فإنّ صغيرَ المسلمين عندَ اللهِ كبيرٌ»[٣].

وفي «الإحياء» أيضاً: «قال أبو بكر: وجدنا الكرم في التقوى، والغِنَى في اليقين، والشرف في التواضع»[٤].

• وعن **عائشة** عن أبي بكر: «كان النبيُّ ﷺ إذا أراد الأمر يقول: «**اللَّهُمَّ خِرْ لي، واخْتَرْ لي**»» أخرجه **أبو يعلى**[٥].

• وعن عروة، عن **عائشة**، أو **أسماء** أنّ أبا بكر قام مقام رسول الله ﷺ من العام المقبل الذي توفّي فيه رسولُ اللهِ ﷺ، فقال: إنِّي سمعتُ نبيَّكم ﷺ بالصيفِ عامَ الأول، في مثل مقامي هذا، ثم فاضت عيناه، ثم قال: إنِّي سمعتُ نبيَّكم ﷺ في الصيف عامَ الأوّل، في مثل مقامي، ثم فاضت عيناه، ثم قال: إنِّي سمعت نبيّكم ﷺ في الصيفِ عامَ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٣٩).
(٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٤). (٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٥).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٩). (٥) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٢٦).

الأوّل، في مثل مقامي هذا، ثم فاضت عيناه، ثم قال: إنِّي سمعت نبيّكم ﷺ في مثل مقامي هذا يقول: «**سَلُوا اللهَ العفوَ والعافيةَ، والمعافاةَ في الدُّنيا والآخرة**»، أخرجه **أحمد وأبو يعلى**[(١)].

وللحديث طرق مختلفة وألفاظ متغايرة، في بعضها قال: «**ألا إنّه لم يُقْسَمْ بينَ الناس شيءٌ أفضلُ من المعافاةِ بعدَ اليقين، ألا إنّ الصدقَ والبِرَّ في الجَنَّةِ، ألا إنَّ الكذبَ والفجورَ في النار**»[(٢)].

وفي بعضها: «**سلوا الله العفوَ والعافيةَ واليقينَ في الآخرةِ والأولى**»[(٣)].

وفي بعضها زيادة: «**ولا تقاطعوا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً كما أمركم الله**»[(٤)].

• وعن **أنس** قال: قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أُمِّ أيمن نزورها، كما كان رسولُ اللهِ ﷺ يزورها، فلمّا انتهيا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عندَ اللهِ خيرٌ لرسوله.

قال: فقالت: ما أبكي أنْ لا أكونَ أعلمُ أنّ ما عندَ اللهِ خيرٌ لرسوله، ولكنْ أبكي أن الوحيَ انقطعَ من السماءِ، قال: فهيّجتْهُما على البكاءِ، فجعلا يبكيانِ معها، أخرجه **أبو يعلى**[(٥)].

• وعن **أنس** أنّ أبا بكر دخل على النبي ﷺ وهو كئيبٌ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**ما لي أراك كئيباً؟**»، قال: يا رسول الله! كنتُ عند ابن عمٍّ لي البارحةَ فلان، وهو يكيدُ بنفسِه، قال: «**فهلّا لقّنته لا إلهَ إلّا الله؟**»،

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٢٨) برقم: (١٧٧)، و«مسند أحمد» برقم: (٦).
(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٣٩).
(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» برقم: (٦). (٤) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٦٩).
(٥) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٤٠).

قال: قد فعلتُ، يا رسولُ اللهِ! قال: «**فقالها؟**» قال: نعم، قال: «**وجبتْ له الجنّة**»، قال أبو بكر: يا رسولَ اللهِ! كيف هي للأحياء؟ قال: «**هِيَ أهدمُ لذنوبِهم، هي أهدَمُ لذنوبِهم**»، أخرجه **أبو يعلى**(١).

• وعن **زيد بن أرقم** قال: سمعتُ أبا بكر، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ الجنّةَ جَسَدٌ غُذّي بِحَرامٍ**»، أخرجه **أبو يعلى**(٢).

• وعن **أبي بكر**، عن النبيّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ الجنّة خِبٌّ، ولا سيئ الملكةِ، وإنّ أوّلَ مَنْ يقرعُ بابَ الجنّةِ المملوكُ والمملوكةُ إذا أحسنا عبادةَ ربِّهما، ونصحا لسيدِهما**»، أخرجه **أحمد وأبو يعلى**(٣) بطرق مختلفة وألفاظ متغايرةٍ.

في بعضها: «فقال رجلٌ: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أنّ هذه الأمة أكثر الأمم مملوكينَ وأيتاماً؟ قال: «**فأكرموهم كرامةَ أولادِكم، وأطعموهم ممّا تأكلون، واكسوهم مما تَلْبَسُون**»، قال: فما تنفعنا الدنيا يا رسول الله! قال: «**فرسٌ ترتبطُه في سبيلِ اللهِ، ومملوكٌ يكفيكَ، فإذا صلّى فهو أخوكَ، فإذا صلّى فهو أخوكَ**»»(٤)، وفي بعضها زيادة: «**ملعونٌ من ضارّ مُسْلِماً أو غيره**»(٥).

• وعن **أبي بكر**، سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ: ما شيّبك؟ قال: «**شيّبتني هودُ، والواقعةُ، وعمَّ يتساءلون، وإذا الشمسُ كوّرت**»، أخرجه **أبو يعلى**(٦).

• وعن **أبي بكر الصدِّيق** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ أهلَ الجنّةِ**

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٤١). (٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٥٠).
(٣) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٥٦)، و«مسند أحمد» برقم: (١٣).
(٤) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٥٧).
(٥) انظر: «شعب الإيمان» (٦/ ٣٧٦) برقم: (٨٥٨٠).
(٦) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٦٢).

لا يتبايعونَ، ولو تبايعوا ما تبايعوا إلّا بالبزِّ»، أخرجه **أبو يعلى**[١] بسندٍ غريب جداً.

ومعنى هذا الحديث: أنّ التبايعَ بالبزِّ أفضلُ أنواع التجارة، فإنّه أقربُ إلى نفع خلقِ اللهِ ﷻ، وأبعدُ عن شبهاتِ الرِّبا، وأزكى عن النجاساتِ، وأقربُ إلى المروءةِ.

• وعن **أبي بكر** عن النبيِّ ﷺ قال: **«عليكُم بلا إله إلا الله، والاستغفار، فأكثروا منهما، فإنَّ إبليسَ قال: أهلكتُ الناسَ بالذنوبِ، فأهلكوني بلا إله إلا الله، والاستغفار، فلمّا رأيتُ ذلك أهلكتُهم بالأهواءِ، وهم يحسبونَ أنّهم مهتدونَ»**، أخرجه **أبو يعلى**[٢].

• وفي «الإحياء»: قال سعيد بن المسيب: لمّا احتضر أبو بكر ﷺ أتاه ناسٌ من الصحابة فقالوا: يا خليفةَ رسول اللهِ ﷺ! زوّدنا، فإنّا نراك لما بك.

فقال أبو بكر: مَنْ قال هؤلاءِ الكلماتِ، ثم ماتَ، جعلَ اللهُ روحَه في الأُفق المبين، قالوا: وما الأفق المبين؟ قال: قاعٌ بين يدي العرشِ، فيه رياضُ الله، وأنهارٌ، وأشجارٌ، يغشاه كلَّ يوم مائة رحمةٍ، فمن قال هذا القولَ جعلَ الله روحَه في هذا المكان.

اللَّهُمَّ إنّكَ ابتدأتَ الخلقَ مِنْ غيرِ حاجةٍ بكَ إليهم، ثم جعلتهم فريقين، فريقاً للنعيمِ، وفريقاً للسعيرِ، فاجعلني للنعيمِ، ولا تجعلني للسعيرِ.

اللَّهُمَّ إنكَ خلقت الخلق فرقاً، وميّزتهم قبلَ أن تخلقَهم، فجعلتَ منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، فأسْعِدْني بطاعتِكَ، ولا تشقني بمعاصيك.

---

(١) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٦٣). (٢) انظر: «مسند أبي يعلى» (١/ ٧٧).

اللَّهُمَّ إنّك علمتَ ما تكسب كلُّ نفسٍ قبل أن تخلقَها، فلا محيصَ لها ممّا علمتَ، فاجعلني ممّن تستعمله بطاعتِكَ.

اللَّهُمَّ إنّ أحداً لا يشاءُ حتّى تشاءَ، فاجعل مشيئتك أن أشاءَ ما يقرّبني إليك.

اللَّهُمَّ إنّكَ قد قدّرتَ حركاتِ العباد، فلا يتحرّكُ شيءٌ إلا بإذنك، فاجعل حركاتي في تقواك.

اللَّهُمَّ إنّكَ خلقتَ الخيرَ والشرَّ، وجعلتَ لكلٍّ واحدٍ منهما عاملاً يعملُ به، فاجعلني من خيرِ القسمين.

اللَّهُمَّ إنّكَ خلقتَ الجنّةَ والنارَ، وجعلتَ لكلٍّ واحدةٍ منهما أهلاً، فاجعلني من سكّان جنتك.

اللَّهُمَّ إنّكَ أردتَ الهُدَى بقوم، وشرحتَ به صدورَهم، وأردتَ بقومٍ الضلالَ، وضيّقتَ به صدورَهم، فاشرحْ صدري للإيمانِ، وزيّنه في قلبِي.

اللَّهُمَّ إنّكَ دبّرتَ الأمورَ، وجعلتَ مصيرَها إليكَ، فأحيني بعدَ الموتِ حياةً طيبةً، وقرّبني إليكَ زُلفى.

اللَّهُمَّ من أصبحَ وأمسى ثقته ورجاؤه غيرُك فأنت ثقتي ورجائي، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ.

قال أبو بكر: هذا كلّه في كتاب الله ﷻ[1].

❁ [كلماته في عِظَمِ شأن الخلافة وقيامه بواجبها أحسن قيام]:

والآن نذكر كلمات تدلُّ على قيام أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه بمسؤولية الخلافة على أكملِ وجهٍ.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٧٦).

قال ﵁ في عظم شأن الخلافة الراشدة:

قالت امرأةٌ: ما بقاؤنا على هذا الأمرِ الصالحِ الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ فقال: بقاؤكم عليه ما استقامتْ بكم أئمتُكم، قالت: وأيّما الأئمة؟ قال: أما كان لقومِكَ رؤساء وأشراف، يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم مثل أولئك على الناس، أخرجه **الدارمي**(١).

وقد اعترف كبار الصحابة، وجماعةٌ كبيرة من التابعين، بتحمّله بأعباء الخلافة على أحسن وجهٍ.

عن **عبد خير** قال: سمعت عليّاً يقول: قُبِضَ رسول الله ﷺ على خيرِ ما قُبِضَ عليه نبيٌّ من الأنبياء، وأثنى عليه ﷺ. قال: ثم استُخْلِفَ أبو بكر، فعمل بعمل رسول الله ﷺ، وبسنَّته، ثم قُبض أبو بكر على خير ما قُبض عليه أحدٌ، وكان خيرَ هذه الأمة بعد نبيّها، ثم استُخْلِفَ عمر، فعمل بعملهما، وسنَّتهما، ثم قُبِضَ على خير ما قُبِضَ عليه أحدٌ، وكان خيرَ هذه الأمة بعد نبيّها وبعدَ أبي بكر، أخرجه **ابن أبي شيبة**(٢).

• وعن **عائشة**، أنها كانت تقول: توفّي رسول الله ﷺ، فنزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال لهاضها، اشرأبّ النفاقُ بالمدينة، وارتدّت العربُ، فوالله ما اختلفوا في نقطةٍ إلا طار أبي بحظّها وغنائها في الإسلام، وكانت تقول مع هذا: ومَنْ رأى عمر بن الخطاب عرف أنه خُلِقَ غناء للإسلام، كان والله أحوذياً، نسيجَ وحده، قد أعدَّ للأمور أقرانها، أخرجه **ابن أبي شيبة**(٣).

• وقال **عبد الله بن الأهتم** واعظ الشام في خطبته الطويلة: ثم قام

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٨٢) برقم: (٢١٢).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٣) رقم: (٣٧٠٥٣).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٤) رقم: (٣٧٠٥٥).

بعده أبو بكر، فسلك سنَّته، وأخذَ سبيله، وارتدتِ العربُ، أو من فعل ذلك منهم، فأبى أن يقبل منهم بعد رسول الله ﷺ إلا الذي كان قابلاً، انتزع السيوفَ من أغمادها، وأوقد النيران في شُعلها، ثم نكب بأهل الحقّ أهلَ الباطل، فلم يبرح يقطّع أوصالهم، ويسقي الأرضَ دماءهم، حتى أدخلهم في الذي خرجوا منه، وقرّرهم بالذي نفروا عنه، وقد كان أصابَ من مال الله بكراً يرتوي عليه، وحبشيةً أرضعتْ ولداً له، فرأى ذلك عند موته غصة في حلقه، فأدّى ذلك إلى الخليفة من بعده، وفارق الدنيا تقيّاً نقيّاً، على منهاج صاحبه، أخرجه **الدارمي**(١).

۞ [وفاؤه بوعود النبيِّ ﷺ وأداؤه ديونه]:

وأول ما قام به أبو بكر ﷺ أنّه اهتمّ بإنجازِ وعود النبي ﷺ وقضاء ديونه.

● عن **ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن** أنه قال: قَدِمَ على أبي بكر الصدِّيق مالٌ من البحرين، فقال: مَنْ كان له عند رسول الله ﷺ دينٌ أو عِدَةٌ فليأتني، فجاءه جابر بن عبد الله، فحفنَ له ثلاثَ حفنات، أخرجه **مالك**(٢)، وأخرج **البخاري** قصة حفنات جابرٍ بطرق مختلفةٍ.

۞ [جمعه القرآن]:

ثم إنّ أبا بكر ﷺ جمع القرآن بين اللَّوحين، واهتمّ له اهتماماً بالغاً بعد أن طلبه عمر ﷺ ذلك، وألحّ عليه، وقد ذكر البخاري: «أن عليّاً ﷺ كان يقول: رحمَ الله أبا بكر، جمعَ القرآن بين اللَّوحين»(٣).

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٥٥) برقم: (٩١).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٧٠٦).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (١/ ١٢١)، ولم أجده في «صحيح البخاري».

ﷺ [إقراره عمّال رسول الله ﷺ على ما كانوا عليه في عهد النبي ﷺ]:

وقد أقرّ أبو بكر ﷺ جميعَ العُمّال الذين استعملهم رسولُ اللهِ ﷺ، وكان من دأبه أنّه كان لا يعزلهم إلّا مَن استقال عن عمله بنفسه.

• ذُكِرَ في «الاستيعاب»: كان خالدٌ ـ يعني: ابن سعيد ـ وإخوته عمّالاً لرسولِ اللهِ ﷺ، فرجعوا عن عمالتهم حين ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ، فقال أبو بكر: ما لكم رجعتُم عن عمالَتِكم؟ ما أحدٌ أحقُّ بالعملِ من عمّال رسولِ اللهِ ﷺ، ارجعوا إلى أعمالِكم، فقالوا: نحن بنو أبي أُحَيْحَةَ، لا نعملُ لأحدٍ بعدَ رسولِ الله ﷺ أبداً، ثم مضوا إلى الشام، فقتلوا جميعاً[١].

• وفيه: كتب عبد الله بن الأرقم للنبيِّ ﷺ، ثم لأبي بكر، واستكتبه عمرُ، واستعمله على بيت المال، وعثمان بعده[٢].

• وفيه: عتّاب بن أَسِيد استعمله رسولُ الله ﷺ على مكّةَ عام الفتح، وأقرّه عليها أبو بكر، فلم يزل عليها إلى أن مات[٣].

ﷺ [رعايته لمن أمر النبيُّ ﷺ برعايته]:

وكذلك كان أبو بكر يحترِمُ ويكرِمُ كلَّ مَنْ كان رسولُ اللهِ ﷺ أمر برعايته، وكان يبالغ في ذلك.

• في «الاستيعاب»: سِنْدَر، مولى زِنْباع، مَثّلَ به مولاه، فأعتقه رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولُ اللهِ! أوصِ بي، فقال: «**أوصي بِكَ كلَّ مسلمٍ**»، فلمَّا توفي رسولُ اللهِ ﷺ، أتى سِنْدَرُ إلى أبي بكر، فقال: احفظ

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٢٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٠).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣١٤ و١/ ١٢٤).

فيَّ وصيةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فعاله أبو بكر حتّى توفي، ثم أتى بعده إلى عمر، فقال له عمر: إن شئتَ أن تقيمَ عندي أجريتُ عليك، وإلا فانظر أيُّ المواضعِ أحبُّ إليك، فأكتبُ لكَ، فاختارَ سِنْدَرُ مِصْرَ، فكتب له إلى عمرو بن العاص يحفظ فيه وصية رسولِ اللهِ ﷺ، فلمّا قدمَ على عمرو بن العاص أقطعَ له أرضاً واسعةً وداراً[1].

• وفيه: كان رسولُ اللهِ ﷺ يزورُ أمَّ أيمن، وكان أبو بكر وعمر يزورانها[2].

• وقد أوصى أبو بكر رضي الله عنه بتوقير وإكرامِ أهلِ بيت النبيِّ ﷺ، وتعظيمهم، وبالغ في الاهتمام بذلك، وقال: «ارقبوا محمّداً ﷺ في أهلِ بيته»[3]، رواه **جماعة**.

• وكان يسعى في حفظ أعراض أزواج النبي ﷺ بالغَ السعي، حتى إنّه ناقشَ في تحريم النكاح بأزواجِ النبيِّ ﷺ التي لم يدخلْ بها.

• ذكر في «الاستيعاب»: قُتيلة بنت قيس، تزوّجها رسولُ اللهِ ﷺ، وماتَ عنها قبل أن يدخلَ بها، فتزوّجها عكرمةُ بنُ أبي جهل بحضرموت، فبلغَ أبا بكر، فقال: لقد هممتُ أن أحرّقَ عليهما بيتهما، فقال له عمر: ما هي من أمّهاتِ المؤمنين، ولا دخلَ بها، ولا ضربَ عليها الحجاب[4].

وإنّ أبا بكر رضي الله عنه أوّلُ خليفةٍ قُرِّرَ له راتبٌ من بيت مال المسلمين.

• عن **عائشة** رضي الله عنها قالت: لما استُخْلِفَ أبو بكر الصدِّيق قال: لقد علمَ قومي أنّ حرفتي لم تكن تعجَزُ عن مؤونةِ أهلي، وشُغِلْتُ بأمرِ

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/٢٠٨).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/٧٩).
(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٧٥١).
(٤) «الاستيعاب» (٢/١١٦).

المسلمين، فسيأكل آل أبي بكر مِنْ هذا المال، ويحترِفُ للمسلمين فيه، أخرجه **البخاري**[١].

❁ [رأيه في قضية المرتدين: هل تجبُ عليهم ديَة مَنْ قتلوه في أيام الردة؟]:

ووقع الاختلاف بين أبي بكر وعمر ﷺ في قضية المرتدين عن الإسلام، هل تجبُ عليهم إذا تابوا ديةٌ من قتلوه في أيام الردة؟ قال البغوي: روي عن أبي بكر، أنّه قال لقوم جاؤوه تائبينَ: تدون قتلانا، ولا ندي قتلاكم، فقال عمر: لا نأخذ لقتلانا ديةً[٢].

ومذهب أبي بكر هو أصحُّ قولَي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، وقال جماعةٌ من العلماء فيهم البغوي أيضاً: أنّ عمر كان يوافِقُ رأي أبي بكر في ذلك، غير أنه رأى الإعراض عن إلزام الدية ترغيباً لهم في الثبات على الإسلام.

❁ [رأيه في تغريب الزاني البكر]:

ووقع الخلاف بين فقهاء المسلمين في تغريب الزاني البكر، فأحيا أبو بكر سُنَّة رسول الله ﷺ في تغريبه، وذهبَ أكثرُ الفقهاء وجميعُ المحدّثين إلى هذا الرأي، وعليه العملُ إلى يومنا هذا[٣].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٠٧٠).

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٢٤١).

(٣) وعند الحنفية لا يغرّب أصلاً، نعم لو غلب على ظنّ الإمام مصلحة في التغريب تعزيراً، له أن يفعله، ويؤيده ما روى عبد الرزاق ومحمد بن الحسن في «كتاب الآثار» عن علي بن أبي طالب: حسبهما من الفتنة أن ينفيا، وروى عبد الرزاق من طريقه عن ابن المسيب قال: غرّب عمرُ ربيعةَ بن أمية بن خلف في الشراب إلى خيبر فلحق بهرقل فتنصّرَ، فقال عمر: لا أغرّبُ بعده مسلماً. انظر: «مرقاة المفاتيح» (١١/ ١٥٩).

• عن **ابن عمر** أنّ رسول الله ﷺ جلدَ وغرّبَ، وأنّ أبا بكر جلدَ وغرّبَ، وأنّ عمرَ جلدَ وغرّبَ، أخرجه **البغوي** وغيره(١).

❁ [رأيه في حدِّ السارق إذا سرق ثالثاً]:

وكذلك أجمعَ علماءُ المسلمين على أنه إذا سرق الرجلُ أوّلاً قُطِعَتْ يده اليمنى، فإنْ سرقَ ثانياً قطعت رجلُه اليسرى، واختلفوا فيما إذا سرقَ ثالثاً، فذهب مالكٌ والشافعيُّ إلى أنّه تقطع يده اليسرى، ثم إذا سرقَ رابعاً تقطع رجله اليُمنى، وقال أبو حنيفة: يعزّر ويحبس، ولا قطع عليه إذا سرق بعد قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وقد استدلَّ مالكٌ والشافعي بالحديث الذي روياه في كتابيهما، واعتمدا عليه:

• مالك عن عبد الرحمٰن بن القاسم، عن **أبيه**، أنّ رجلاً من أهل اليمنِ أقطعَ اليدِ والرجلِ قَدِمَ، فنزل على أبي بكر الصدِّيق، فشكا إليه أنَّ عامل اليمن قد ظلمه، فكان يصلي من الليل، فيقول أبو بكر: وأبيك ما ليلُكَ بليل سارقٍ، ثم إنّهم فقدوا عِقْداً لأسماء بنت عُميس امرأةِ أبي بكر الصدِّيق، فجعلَ الرجلُ يطوف معهم، ويقول: اللَّهُمَّ عليكَ بِمَنْ بيّت أهلَ هذا البيتِ الصّالح، فوجدوا الحلي عند صائغٍ، زعمَ أنَّ الأقطع جاءه به، فاعترفَ به الأقطعُ، أو شُهِدَ عليه به، فأمر به أبو بكر الصدِّيق، فقطعت يده اليُسرى، وقال أبو بكر: واللهِ لدعاؤه على نفسِهِ أشدُّ عندي عليه مِنْ سرقته(٢).

• وقد سبق أنّ أبا بكر رضي الله عنه عيّن أربعين جلدة لشارب الخمر، وعليه الشافعي، قال: الأربعون الأخرى تعزيرٌ، يجوز فعله ويجوز تركه.

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٢٧٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٣٣٥).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» برقم: (٣٠٨٩).

❁ [رأيه في التفضيل على السابقة أو النسب في قسمة الفيء]:

قال البغوي رحمه الله: واختلفوا في التفضيل على السابقة والنسب عند قسمة الفيء، فذهب أبو بكر إلى التسوية بين الناس وأولي الفضل بالسابقة، حتى قال له عمر: أتجعلُ الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، وهاجروا ديارهم كمن دخلَ في الإسلامِ كرْهاً؟

فقال أبو بكر: إنّما عملوا للهِ، وإنّما أجورهم على اللهِ، وإنَّما الدنيا بلاغٌ، وكان عمر يفضِّلُ على السابقةِ والنسبِ[١].

يقول العبد الضعيف: إنّ هذا الخلافَ لم يكن في الحكم الشرعي، فإنَّ كثرة الفيء التي هي محل التفضيل بالسابقة والنسب لم تتوفر في عهد أبي بكر رضي الله عنه، لذلك يرى حياة نفوسهم بقدرٍ من الكفاف من العيش أو بميسور من الزاد، وقد توفّرت في عهد عمر، وتكاثرت تكاثراً عظيماً، فصار فيها مجالٌ لتفضيل أهل السوابق والنسب.

عن ميمون بن مهران قال: كان أبو بكر إذا أراد أن يبعثَ بعثاً ندب الناسَ، فإذا كمل له من العدة ما يريدُ جهّزهم بما كان عنده، ولم تكن الأعطيةُ فُرِضَتْ على عهد أبي بكر، أخرجه **ابن أبي شيبة**[٢].

❁ [القضاء على فتنة الردّة]:

ونجمت فتنة الردّة في آخر أيام النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغت أوجها بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، وظهرت حوادث عظيمة.

منها: أن مسيلمة الكذاب قد ادّعى النبوة، وحشد لنفسه فوجاً عظيماً من أهل اليمامة ونجد، فدعا أبو بكر رضي الله عنه المسلمين لقتاله، وأمّر

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١١/١٤١).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/٢٢٩) برقم: (١٩٥٤٦).

عليهم خالد بن الوليد، فلما اجتمع الفريقان، انهزم المسلمون في أوّل أمرهم، ولكنّهم غلبوا عليهم، وهزموهم أخيراً بجهود جماعة من الصحابة من أمثال ثابت بن قيس، وزيد بن الخطاب أخي عمر الفاروق، والبراء بن مالك، وقد استشهدوا في هذه المعركة، وقُتِلَ مسيلمة الكذاب، وتفرّقت جماعته، وكان ذلك فتحاً عظيماً للإسلام، فكأنّ ذلك كان تمهيداً وتوطئةً لقول رسول الله ﷺ في خالد بن الوليد: «**إنّه سيفٌ من سيوفِ اللهِ**».

ومنها: أنّ بني عبد القيس وجماعة من نواحي البحرين اعتنقوا الإسلام، واستقاموا عليه، فأراد بنو بكر بمشورة منذر بن ساوى أن يُغِيروا عليهم، وبلغَ ذلك أبا بكر رضي الله عنه، فدعا المسلمين إلى الجهاد، وبعثهم لقتال بني بكر، وأمّر عليهم العلاءَ بنَ الحضرمي.

وقد ظهرت كرامة باهرة على يد العلاء بن الحضرمي في الطريق، إذ استجابَ الله دعوته، وظهر الماء، فشرب المسلمون، ورووا حين غلبهم العطش، ولم يجدوا ماءً ولا سبيلاً إليه، ثم إنّهم شنوا الغارة على الكفار، وهزموهم، وحصل لهم فتحٌ عظيمٌ، وارتحلوا إلى جزيرة دارين ـ موضع بالشام ـ وظهرت على يديه كرامة أخرى حيث استجاب الله دعوته، فنقص ماءُ النهر الذي كان يفيض، فعبروه، ولم يغرق الماء أخفاف الإبل، وقد فتح الله على يديه فتحاً عظيماً، وتوجهوا إلى المنذر بن ساوى، وغلبوا عليه.

في «الاستيعاب»: كان يقال: إن العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه كان مجاب الدعوة، وإنه خاض البحر بكلمات قالها، ودعا بها، وذلك مشهورٌ عنه[1]، فظهر في هذا أن أبا بكر رضي الله عنه لم يؤمّره عليهم إلا لذاك.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٣٤).

ومنها: أنّ أهل عُمان ومَهرة الذين كانوا قد أسلموا على عهد النبي ﷺ، ارتدّوا عن الإسلام، فبعث جيفر وعبد اللذان استعملهما رسول الله ﷺ على تلك البلاد إلى أبي بكر رضي الله عنه يخبرانه بذلك، فجمع المسلمين، واستعمل حذيفةَ بنَ محصن الحميري على عمان، وعرفجة البارقي على مهرة، وأمر عكرمة الذي لم يرجع بعدُ من معركة اليمامة لإمدادهم، فلما اجتمع هؤلاء دارت رحى الحرب، وهزم المسلمون الكفّار شرّ هزيمة.

ومنها: أنَّ قبيلة كِنْدة وأهل بعض نواحي حضرموت، واليمن، كانوا اعتنقوا بالإسلام في آخر أيام هجرته ﷺ، وكان قد أمّر عليهم رسول الله ﷺ رجالاً، ولكنّهم ارتدوا بعد وفاة النبي ﷺ، فأرسل أمراءُ المسلمين خبر ذلك إلى أبي بكر، وكانوا قد تحصّنوا بالجبال، فدعا المسلمين للقتال، وبعث جنداً من المسلمين إليهم، وأمّر عليهم زياداً، ووقع بينهم قتال شديد، حتى هزمهم المسلمون بإمداد عكرمة بن أبي جهل، ورجعوا فاتحين منصورين.

• وجاء أشعث بن قيس الذي كان من رؤساء المرتدين مغلولاً أمام أبي بكر رضي الله عنه، ولمّا رأى أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه شجاعته وجراءته، وصدق توبته خلّى سبيله، وزوّجه أخته أمَّ فروة، وكان ذلك من نوادر فراسته إذ أبلى أشعث بن قيس في معارك العراق بلاءً حسناً.

• في «الاستيعاب»: عن الأشعث، قدم على رسول الله ﷺ في ثلاثين راكباً من كندة، وقالوا: يا رسول الله! نحنُ بنو آكل المرار[1]،

---

(١) المُرار: نبت لا يستطاع ذوقه من مرارته، إذا أكلته الإبل قلصت عنه مشافرها فَبَدَتْ أسنانها، ولذلك قيل لجد امرئ القيس: آكل المرار لِكَشْرٍ كان به. انظر: «العين»، للفراهيدي (٢/ ١٧١)، و«تاج العروس» (١/ ٣٤٨٣).

وأنت ابن آكل المرار، فتبسّم رسول الله ﷺ، وقال: «**نحن بنو النضر بن كنانة، لا نقفو أُمَّنا، ولا ننتفي مِنْ أبينا**»[(١)].

• وفيه أيضاً: كان في الجاهلية رئيساً مطاعاً في كندة، وكان في الإسلام وجيهاً في قومه، إلا أنّه كان ممّن ارتدَّ عن الإسلام بعد النبي ﷺ، ثم راجعَ الإسلام في خلافة أبي بكر الصدِّيق، وأتي به أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه أسيراً، قال أسلم مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كأنِّي أنظر إلى الأشعث بن قيس، وهو في الحديد، يكلِّم أبا بكر، وهو يقول: فعلتَ وفعلتَ حتى كان آخر ذلك سمعت الأشعث يقول: استبقني لحربِكَ، وزوّجني أختك، ففعل أبو بكر رضي الله عنه، قال أبو عمر: أخت أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه التي زوّجها من الأشعث بن قيس هي أمُّ فروة بنت أبي قحافة، وهي أم محمد بن الأشعث، فلمّا استخلف عمر، خرج الأشعث مع سعد إلى العراق، فشهدَ القادسية، والمدائن، وجلولاء، ونهاوند، واختطّ بالكوفة داراً في كندة، ونزلها[(٢)].

وبالجملة: فإنّ الإسلام قد عاد بنصر الله وفضله في نهاية السنة الأولى من خلافة أبي بكر رضي الله عنه إلى ما كان عليه في زمن النبي ﷺ، ودفنت فتنةُ الردّة في عقر دارها.

❁ [موقفه من قتال فارس والروم]:

وفي السنة الثانية من خلافته أكرم أبو بكر رضي الله عنه المثنى بن حارثة الشيباني، الذي كان يحارِبُ ملوك العجم، بما كان بينه وبينهم من ضغائن سالفة، وخلع عليه، وأمّره على محاربة العجم، وأعطاه الرايةَ، فظهرت فراسةُ أبي بكر رضي الله عنه وسياستُه في نصبه أميراً، إذ إنّه أصاب بذلك هدفه.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٢).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٢).

• ولما اجتمع ملوك العجم (ملوك فارس)، وتصدّوا لقتال المثنى بن حارثة بجنودهم المكثفة، أرسل أبو بكر ﷺ خالدَ بنَ الوليد لإمداده، وأمّره ـ أي: خالداً ـ ببالغ إكرامه، وإنّ إكرام السابقين لَمِنْ دأبِ الخلفاء الراشدين.

• في «**الاستيعاب**»: المثنى بن حارثة الشيباني، كان إسلامه وقدومه في وفد قومه على النبي ﷺ سنة تسع، وقد قيل: سنة عشر[١]، وذكر عمر بن شَبّة ـ عن شيوخه من أهل الأخبار ـ أنّ المثنى بن حارثة كان يغير على أهل فارس بالسواد، فبلغ أبا بكر والمسلمين خبره، فقال عمر: مَنْ هذا الذي تأتينا وقائعُه قبل معرفة نسبه؟ فقال له قيس بن عاصم: أما إنّه غيرُ خاملِ الذكرِ، ولا مجهولُ النسبِ، ولا قليلُ العددِ، ولا ذليلُ العمارةِ[٢]، ذلك المثنى بن حارثة الشيباني.

ثم إنّ المثنى قدم على أبي بكر، فقال: يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! ابعثني على قومي، فإنّ فيهم إسلاماً، أقاتِلُ بهم أهل فارس، وأكفيك[٣] أهل ناحيتي من العدو، ففعل ذلك أبو بكر، فقدم المثنى العراقَ، فقاتل وأغار على أهل فارس، ونواحي السواد حَوْلاً مجرماً[٤]، ثم بعث أخاه مسعود بن حارثة إلى أبي بكر يسأله المدد، ويقول له: إنْ أمددتني، وسمعتْ بذلك العربُ أسرعوا إليّ، وأذلَّ الله المشركين، مع أنِّي أخبرك يا خليفةَ رسولِ اللهِ! أنَّ الأعاجم تخافنا، وتتقينا.

فقال له عمر: يا خليفة رسول الله ﷺ! ابعث خالدَ بنَ الوليد مدداً للمثنى بن حارثة، يكون قريباً من أهل الشام، فإن استغنى عنه أهل الشام ألحَّ على أهل العراق، حتى يفتح الله عليه، فهذا الذي أهاجَ أبا بكر على

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٥٧).
(٢) **العمارة**: فوق البطن من القبائل.
(٣) في الأصل الفارسي: «أفتك».
(٤) **مُجرَّمٌ**: تامٌّ.

أن يبعثَ خالدَ بنَ الوليد إلى العراق[١].

• وعن أبي رجاء العطاردي قال: كتب أبو بكر الصدِّيق إلى المثنى بن حارثة: إنِّي قد وليتُ خالد بن الوليد فكن معه، وكان المثنى بسواد الكوفة، فخرج إلى خالد، فتلقّاه بالنباج[٢]، وقدم معه البصرة، وذكر قصة طويلة[٣]، في آخرها فتوح عظيمة.

• ثم غلبت على أبي بكر ﵁ فكرة فتح الشام والروم، فخطب خطبة بليغة في مجمع الصحابة، وحرّضهم على الجهاد مع المشركين والكفار، وأمرهم أن يستعدّوا لذلك، ثم إنّه أمّر أربعةً على أربعةِ مواضع، أمّر عمرو بن العاص على أجنادين بفلسطين، وبعثه إليها، وأمّر أبا عبيدة على حمص، ويزيد بن أبي سفيان على دمشق، وشُرْحبيلَ بنَ حسنة على الأردن، وأوصى بإمارة أبي عبيدة على الجنود كلها إن اجتمعت، وإذا افترقت الجنودُ فكلُّ أميرٍ يتولّى الإمارة على جنده وعلى ناحيته.

وظهرت في تلك الأيام كرامةً أخرى، وهي أنَّ قصر ملك الروم تزلزل بقول: «لا إلـٰه إلا الله، محمد رسول الله».

• ولما أراد هرقلُ قتال المسلمين، وجمع لذلك جنوداً مجنّدة، كتب أبو بكر ﵁ كتاباً إلى خالد، أمر فيه بتأمير المثنى بن حارثة على العراق، ورجوعه إلى الشام، وتولِّي الإمارة عليها، وهو يكون أميرَ الأمراءِ، فكان من نتيجة ذلك أن فُتِحَتْ دمشق واليرموك على يديه، وانهزم قيصر، فكان من فراسة أبي بكر ﵁ أن فوّض إلى خالد بن الوليد منصبَ أمير الأمراء، وأصابَ بذلك هدفه، وذكر المؤرِّخون فتحَ

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٥٧).
(٢) اسم موضع على طريق البصرة.
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٥٧).

اليرموك ودمشق في زمن عمر الفاروق رضي الله عنه[1]، فيمكن أن تكررت هذه الفتوح، والله أعلم.

ويحار من لا يدرك أغوار الأمور ويسأل: لِمَ أمّر أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد مكان أبي عبيدة؟ وعزله عمر الفاروق رضي الله عنه، وأتى بالعكس من ذلك؟

يقول العبد الفقير: إنّ أبا بكر رضي الله عنه أدركَ بفراسته أنَّ بعض الفتوح سيتمّ على يد خالد بن الوليد، وتفرّس عمر بأنَّ بعضها يتمّ على يد أبي عبيدة، فإنّ لكلِّ مقامٍ مقالاً، ولكلِّ فنٍّ رجالاً.

بالجملة: كان المثنى بن حارثة يحارِبُ العجم في جانب، وكان خالدُ بن الوليد مع أمرائه الأربعة يهزِمُ قيصر مرةً بعد مرةٍ في جانب آخر، وكان يفتحُ بلاداً جديدة، ويحصل على غنائم وأموال كثيرة باهظة، إلى أن توفي أبو بكر رضي الله عنه وأرضاه.

❁ [وصيته لاستخلاف عمر رضي الله عنه ونصيحته له]:

• أوصى أبو بكر في مرض وفاته عمرَ وصايا بليغة، تتعلّق بأمور المسلمين، وتدبير الخلافة، وأوصاه بتأمير المثنى بن حارثة لجهاد العجم، فإنّهم قد دخلهم الرعبُ باسمه، وأنفذ عمر وصيّته.

• وفي آخر أيام حياته دعا أبو بكر كاتبه عثمان بن عفان، وقال له: اكتب: «هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أمّا بعدُ، فإني قد استخلفتُ عليكم»، وما إن وصل إلى هذه الكلمة حتى أُغْمِيَ عليه، فكتب عثمان: «إني استخلفت عليكم بعدي عمرَ بنَ الخطّاب»،

---

(١) إن الحصار بدأ في عهد أبي بكر رضي الله عنه وتمَّ النصر في عهد عمر رضي الله عنه. انظر: «الفاروق»، للعلّامة شبلي النعماني (ص١٢٨).

فإنّه كان قد علم من أبي بكر استخلافه له، فلمّا أفاق سأله: ماذا كتبت؟ فقرأ عثمان كل ما كان كتب، وقرأ اسم عمر، فقال أبو بكر: جزاك الله عن الإسلام خيراً يا عثمان! ثم قال: اكتب: «فاسمعوا له وأطيعوا، فإنْ عدلَ، فذلك ظنّي وعلمي فيه، وإن جارَ، فلكلِّ امرئٍ ما اكتسب، والخيرَ أردتُ، ولا أعلمُ الغيبَ، وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

فرفع أبو بكر يديه وقال: اللَّهُمَّ إني لم أردْ بذلكَ إلّا صلاحهم، وخِفْتُ عليهم الفتنةَ، فعملتُ فيهم بما أنتَ أعلمُ به، واجتهدتُ لهم رأيي، فولّيتُ عليهم خيرَهم، وأقواهم عليهم، وأحرصَهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرِكَ ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادُك، ونواصيهم بيدِكَ، أصلحْ لهم واليهم، واجعلْه مِنْ خلفائك الراشدين، يتبعُ هَدْيَ نبيِّ الرحمة، وهَدْيَ الصالحين بعده، وأصلح له رعيّته[1]، ثم أمر بالكتاب، فخُتِمَ، ثم بعثه إلى أمراء الجنود.

ثم أحضر أبو بكر عمرَ، فقال له: إنِّي قد استخلفتُكَ على أصحاب رسول الله ﷺ.

فقال عمر: يا خليفةَ رسول الله ﷺ اعذرني في هذا الأمر، فلا حاجةَ لي إلى الخلافةِ.

فقال أبو بكر: إن لم تكن بك حاجةٌ إليها فإنّ بها حاجةٌ إليك، ثم أوصاه وصايا نافعة عن حقوق الله، وحقوق المسلمين، وقال في آخرها: فإن حفظت وصيّتي فلا يكوننّ غائبٌ أحبَّ إليك من حاضرٍ من الموتِ، ولستَ بمعجزِه[2].

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٣٩٨).

وروي عن **معيقيب** قال: كنتُ وكيلاً لنفقات أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه، لمّا استولى عليه المرضُ حضرتُهُ، فسلمتُ عليه، وكان مشغولاً بأمر الاستخلافِ، فلمّا فرغ قال: يا معيقيب كنتَ متوليّاً لنفقاتي، كيف المعاملة بيني وبينك؟ بقي لي عليك خمس وعشرون درهماً قد أحللتُها لك، قال: اسكت ولا تجعل الدين لي زادَ الآخرة، قلتُ: أيْ خليفةَ رسول الله ﷺ ما كنتُ أظنُّ في هذا المجلس أن يكون آخره بيني وبينك، وبكيتُ، فقال أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه: أي معيقيبُ لا تبكِ ولا تجزعْ واصبرْ إنِّي مسافِرٌ من الدنيا الفانية إلى الآخرةِ الباقيةِ هي أحسنُ منها وأبقى، يقول معيقيب: في ذلك الوقتِ طلبَ أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه بَرِيرَةَ وأرسَلها إلى عائشة الصدِّيقة لتأتي منها خمساً وعشرين درهماً فجاءت بها فسلّمها إليّ.

❁ [اللحظات الأخيرة من حياته]:

• وروي عن **عائشة** رضي الله عنها أنها قالت: لما اشتدّ مرضُ أبي بكر بكيتُ وأغميَ عليه فقلتُ:

مَـنْ لا يـزالُ دَمْـعُـه مُـقَـنّـعـاً ... فـإنّـه لا بـدَّ مـرة مـدفـوقُ

قالت: فأفاقَ أبو بكر، فقال: ليس كما قلتِ يا بُنيّةُ، ولكن: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق].

ثم قال: في أيّ يوم توفّي رسول الله ﷺ؟ فقلت: يوم الاثنين، قال: فأيّ يوم هذا؟ قالت: فقلت: يوم الاثنين، قال: فإنِّي أرجو من الله ما بيني وبين هذا الليل، قالت: فمات ليلة الثلاثاء، ودُفِنَ قبل أن يصبح.

وقال: في كم كفّنتم رسولَ اللهِ ﷺ؟ قالت: فقلت: كفنّاه في ثلاثةِ أثوابِ سَحُولية بيض جُدَد، ليس فيها قميصٌ ولا عمامةٌ.

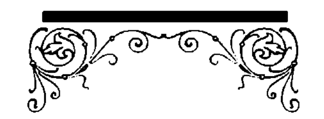
قالت: فقال لي: اغسلوا ثوبي هذا وبه ردعٌ من زعفرانٍ، واجعلوا معه ثوبين جديدين.

قالت: فقلت: إنّه خَلِقٌ، فقال: إنَّ الحيَّ أحقُّ بالجديد، والميتُ إنَّما يصيرُ إلى البلى والصديد(١).

ثم أوصى أن تغسِلَه زوجتُه أسماءُ بنت عُميس، ويعينها عبد الرحمٰن وقال: إنِّي لا أحبُّ أن يرى بدني غيرُهما، وتوفي ﷺ ليلاً، فغُسِّل وكُفِّن وفق وصيته، وصلّى عليه عمر ﷺ، وحفر له قبره في جنب رسول الله ﷺ في حجرة أم المؤمنين عائشة ﷺ، ونزل في قبره ولده عبدُ الرحمٰن وعمرُ بنُ الخطاب وعثمانُ بنُ عفّان وطلحةُ، ودفن في الليلِ، جزاه الله عن المسلمين أحسنَ الجزاء.

❁ ❁ ❁

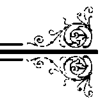
(١) انظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (١/ ٣١)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٨٤).



الفصل الثالث

الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[مآثر عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه]

 [مكانته في قريش]:

مآثر عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه:

فمنها: أنّ له مكانةً ووجاهةً خاصّة في قريش قبل الإسلام.

في «الاستيعاب»: قال الزبير ـ يعني: صاحب النسب ـ: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أنّ قريشاً كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً، وإنْ نافرهم منافر، أو فاخرهم مفاخر، بعثوه منافراً ومفاخراً، ورضوا به[١].

❁ [ساقه التدبير الغيبي إلى الإسلام]:

ومنها: أنّه ساقه التدبير الغيبي إلى الإسلام، أراده أو لم يرده، كما في البيت:

گر نيايد بخوشي موئے كشانش آريد[٢]

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٤)، «أسد الغابة» (٢/ ٣١٤).

(٢) إن لم يأتِ برضاه يؤتى به بجرّ شعره.

وكان مراداً لا مريداً، مخلَصاً لا مخلِصاً، وشتّان ما بين المرتبتين، ولم يدخل في الإسلام حتى اجتمعت أسباب قاهرة كثيرة لدخوله في الإسلام، إذ إنّه دُعي إلى الإسلام من جوانب متعدّدة، وحالفه التوفيق الرباني، فاعتنق الإسلام، وقد ذكر العلماء في هذا الصدد أموراً، فأتتهم أمور، ولذلك نورد هاهنا بعضَ الروايات على سبيل الاستشهاد حتى يتّضح الأمرُ جليّاً واضحاً.

۞ [دعاء رسول الله ﷺ لإسلامه]:

• دعا رسول الله ﷺ لإسلام عمر، فإنّه جاء في رواية **ابن عمر** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أيّدِ الدِّينَ بعمرَ بنِ الخطّاب**»[١]، وفي رواية **عائشة**: «**اللَّهُمَّ أعزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب خاصّة**»[٢]، وفي رواية مسروق عن **ابن مسعود**: «**اللَّهُمَّ أعزّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب، أو بأبي جهلِ ابنِ هشام**»، فجعل الله دعوة رسول الله ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، فبنى عليه الإسلامَ، وهدم به الأوثانَ[٣]، أخرج هذه الروايات كلها **الحاكم**.

وقال عمر رضي الله عنه: بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل، فذبحه، فصرخ به صارخ، لم أسمع صارخاً قط أشدَّ صوتاً منه، يقول: يا جليح! أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إلـٰه إلا الله، فوثب القومُ، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى، يا جليح! أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إلـٰه إلا الله، فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبيٌّ، أخرجه **البخاري**[٤].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٩) برقم: (٤٤٨٣).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٩) برقم: (٤٤٨٥).
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٩) برقم: (٤٤٨٦).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٨٦٦).

• وذكر محمد بن إسحاق: أنّ فاطمة أخت عمر بن الخطاب وزوجها سعيد بن زيد كانا قد أسلما قبل عمر رضي الله عنه، فلما بلغ ذلك عمرُ، تصدّى لهما، وأهان زوج أخته، وضرب أخته، حتى تلطّخت بالدم، فلمّا قرأ الآيات التي كانت أمامهما من سورة طه؛ لان ومال إلى الإسلام حتى قدم على رسول الله ﷺ، واعتنق الإسلام[1].

ومنها: أنه لما أسلم على يد النبيِّ ﷺ، دعا له النبي ﷺ، واستجاب الله دعوته.

• روي عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ ضرب صدر عمرَ بنِ الخطّاب بيده حين أسلم ثلاث مرات، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أخرجْ ما في صدرِه مِنْ غلٍّ، وأبدلْهُ إيماناً**»، يقول ذلك ثلاثاً، أخرجه **الحاكم**[2].

❁ [إعلان إسلامه وتحمّله الشدائد في سبيله]:

ومنها: أنّه لمّا أسلم أعلن إسلامه، فتعرّض لضروب من الآلام، ولكنّه صبر عليها، وتحمّلها مع رحابة الصدر بوجه باسم.

• قال ابن إسحاق: وحدّثني نافعٌ مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر قال: لمّا أسلم أبي عمرُ قال: أيُّ قريشٍ أنقلُ للحديث؟ فقيل له: جَميل بن معمر الجمحي، قال: فغدا عليه، قال عبد الله بن عمر: فغدوتُ أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام أعقل كلَّ ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمت يا جميل أنِّي قد أسلمتُ، ودخلتُ في دين محمد؟ قال: فوالله ما راجعه، حتى قام يجرّ رداءه، واتبعه عمر، واتبعت

---

(١) انظر: «السيرة النبوية»، لابن إسحاق (١/ ٦٢ ـ ٦٣).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩١) برقم: (٤٤٩٢).

أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، وهم في أنديتهم حول الكعبة، ألا إنّ عمرَ بنَ الخطاب قد صبأ، قال: ويقول عمر من خلفه: كذب، ولكنِّي قد أسلمتُ، وشهدتُ أنْ لا إلـه إلا الله، وأنّ محمّداً عبدُه ورسولُه، وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم، ويقاتلونه، حتّى قامت الشمسُ على رؤوسهم، قال: وطلح[١] فقعد، وقاموا على رأسه، وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أنْ لو قد كنا ثلاث مائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخٌ من قريش، عليه حلة حِبَرة وقميص موشّىً، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبأ عمر، فقال: فمه، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلّوا عن الرجل، قال: فوالله لكأنّما كانوا ثوباً كُشِطَ عنه، قال: فقلتُ لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبتِ! مَن الرجلُ الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمتَ، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك أي بني! العاصُ بن وائلٍ السهمي[٢].

• وعن **عبد الله بن عمر** قال: لمّا أسلمَ عمرُ اجتمع الناسُ عند داره، وقالوا: صبأ عمر، وأنا غلام فوق ظهر بيتي، فجاء رجل عليه قباء من ديباج، فقال: صبأ عمر فما ذاك؟ فأنا له جار، قال: فرأيتُ الناس تصدّعوا عنه، قلت: من هذا؟ قالوا: العاص بن وائل، أخرجه **البخاري**[٣].

---

(١) في الأصل الفارسي: «بلح»، وكلاهما بمعنى: أعيا.
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/٣٤٨).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٥).

۞ [كيف أمكنه تلافي ما فاته من حسنةٍ لتأخّر دخولِه الإسلامَ؟]:

وهنا نكتة يجب التنبيه عليها: وهي أنَّ عمر رضي الله عنه أسلم في السنة السادسة من بعثته ﷺ، وقد أسلم قبله أربعون رجلاً وخمس عشرة امرأةً ـ على اختلاف يسير بين حملة العلم في ذلك ـ فقد تأخّر في إسلامه من أوّل بعثته ﷺ، وفاتته السابقة إلى الإسلام، ولكنّه فاقهم جميعاً بتحمّل مسؤولية الخلافة الراشدة تحمّلاً لا يوجد له نظير، وتوسّطه بين النبي ﷺ وأمته في نشر الإسلام، وكان مفضولاً بالنسبة إلى أبي بكر رضي الله عنه في الأمر الأوّل بتأخر دخوله الإسلام، ولكنه كان شريكاً مساهماً له في الأمر الآخر، وقد بيَّن النبي ﷺ كلا الأمرين في حديث مغاضبة أبي بكر: «**هل أنتُم تاركونَ لي صاحبي، هل أنتُم تاركونَ لي صاحبي، إنِّي قلتُ: يا أيها الناس! إنِّي رسولُ اللهِ إليكم جميعاً، فقلتُم: كذبتَ، وقال أبو بكر: صدقتَ**»، أخرجه **البخاري**(١).

● وفي حديث رؤيا القليب قال: «**ثم أخذ أبو بكر، فنزع ذَنوباً أو ذَنوبين وفي نزعه ضعفٌ، واللهُ يغفِرُ له، ثم أخذها عمرُ بنُ الخطاب، فاستحالت غَرْباً، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ يفري فَريه، حتّى ضربَ الناسُ بِعَطَنٍ**»، أخرجه **الشيخان**(٢) وغيرهما.

۞ [أثر إسلامه على الدعوة ونصرة المسلمين]:

ومنها: أنّ المسلمين صاروا أعزّةً بعد إسلامه، وأعلنوا إسلامهم.

● عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما زلنا أعزّةً منذ أسلم عمرُ، أخرجه **البخاري**(٣).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٤٠).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٢)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٣).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٣).

• قال ابن إسحاق: ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش، ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله ﷺ، وردَّهما النجاشيُّ بما يكرهون، وأسلم عمرُ بنُ الخطّاب، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرامُ ما وراء ظهره، امتنع به أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ وبحمزة، حتّى عازوا[1] قريشاً، وكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنّا نقدِرُ على أنْ نصلِّيَ عند الكعبة حتّى أسلمَ عمرُ بنُ الخطاب، فلمّا أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبةِ، وصلّينا معه، وكان إسلامُ عمرَ بعد خروج مَنْ خرجَ من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة.

• قال البكائي: قال حدثني مسعر بن كدام، عن سعد بن إبراهيم، قال: قال **عبد الله بن مسعود**: إن إسلامَ عمرَ كان فتحاً، وإنَّ هجرته كانت نصراً، وإنَّ إمارته كانت رحمةً، ولقد كنا ما نصلِّي عند الكعبة حتى أسلمَ عمرُ، فلمّا أسلم قاتل قريشاً حتى صلّى عند الكعبة، وصلينا معه، أخرجه **ابن هشامٍ**[2] في زيادته على السيرة، وأخرج **الحاكم** مثله.

۞ [هجرته إلى المدينة قبل هجرة النبيِّ ﷺ وإقامة الجو المناسب لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم]:

ومنها: أنّه هاجر إلى المدينة المنورة قبل هجرة النبيِّ ﷺ إليها، وهيَّأَ جواً مناسباً لمقدمه ﷺ.

• عن **البراء بن عازب**: أوّلُ من قدم علينا مصعبُ بنُ عمير وابنُ أمِّ مكتوم، وكانا يُقرئان الناس، فقدم بلال، وسعد، وعمار بن ياسر، ثم

---

(١) في الأصل الفارسي، وفي «السيرة النبوية»، لابن كثير (٢/ ٣٢): «غاظوا» وكلاهما بمعنى واحد.

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤١).

قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ، ثم قدم النبي ﷺ، الحديث، أخرجه **البخاري**[(١)].

❁ [مواقفه في غزوة بدر]:

ومنها: أنّه ظهرت لعمرَ رضي الله عنه مآثرُ جميلة في غزوة بدر بوجوه كثيرة.

الأول: أنّه قتل خاله في هذه الغزوة ابتغاء مرضاة الله عز وجل، ولم يلاحِظْ فيه قرابته.

في «الاستيعاب»: قُتل العاص بن هشام كافراً يوم بدر، قتله عمر بن الخطاب، وكان خاله[(٢)].

الثاني: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**مَنْ لَقِيَ العبّاسَ بْنَ عبدِ المطّلبِ فلا يَقْتُلْهُ**»، فعارضه أبو حذيفة في ذلك، وظهر منه الضعف في امتثالِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ، واختلف الناسُ فيه، فتدارك النبيُّ ﷺ هذا الاختلاف بوجهين:

الأول: بالتهديد والتخويف لمن عصى أمره، واستخدم لذلك عمر بن الخطاب، فقال له: «**يا أبا حفص! أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ بالسيفِ؟**» فتحمّس عمر بهذه الكلمة، وأخذته الغيرة، وانحلّتِ القضية.

الثاني: بأخذ فدية عمِّه العباس بن عبد المطلب رغم طلب الأنصار بالعفو عنه، وترك فديته، وأخذها مراعاةً لعقولِ عامّةِ الناس.

• عن **ابن عباس**: أنّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابه يومئذٍ: «**إنِّي قد عرفتُ أنَّ رجالاً من بني هاشم وغيرَهم قد أُخْرِجُوا كرهاً، لا حاجةَ لهم**

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٢٥).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/٤٨٨).

بقتالنا، فَمَنْ لَقِيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتلْهُ، ومَنْ لَقِيَ أبا البختري بن هشام بن الحارث ابن أسد فلا يقتلْهُ، ومن لَقِيَ العبّاس بن عبد المطلب، عمَّ رسولِ اللهِ ﷺ فلا يقتلْه، فإنّه إنّما أُخْرِجَ مستكرهاً»، قال: فقال أبو حذيفة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخوتنا وعشيرتنا ونترك العباس؟ والله لئنْ لقيتُه لألحمنّه السيفَ، قال: فبلغتْ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفص!**» - قال عمر: والله إنّه لأول يوم كنّاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص - «**أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسولِ اللهِ ﷺ بالسَّيفِ؟**» فقال عمرُ: يا رسول الله! دعني فلأضربْ عنقَه بالسيفِ، فواللهِ لقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن مِنْ تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ، ولا أزالُ منها خائفاً، إلّا أن تكفّرها عني الشهادةُ، فقتل يوم اليمامةِ شهيداً، أخرجه **ابن إسحاق**[1].

الثالث: نزل الوحي الرباني موافقاً لرأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أسارى بدر حين اختلف الناسُ في أخذ الفدية منهم أو قتلهم.

• عن **ابن عباس** قال: حدّثني عمر بن الخطاب، فذكر قِصّةً إلى أن قال: فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليّاً وعمر، فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله! هؤلاء بنو العمِّ والعشيرة والإخوان، فإنِّي أرى أَنْ تأخذَ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفّار، وعسى الله أن يهديَهم فيكونون لنا عَضُداً، فقال رسول الله ﷺ: «**ما ترى يا ابن الخطاب!**» قال: قلتُ: واللهِ ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكنِّي أرى أن تمكِّنني من فلان - قريباً لعمر -، فأضربَ عنقه، وتُمكِّنَ عليّاً من عقيلٍ فيضربَ عنقه، وتمكِّن حمزة من فلان أخيه فيضربَ عنقَه، حتّى يعلمَ اللهُ أنّه ليست في قلوبنا هوادةٌ للمشركين، هؤلاء صناديدُهم وأئمتُهم وقادتُهم، فهوي

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٨).

رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، فأخذَ منهم الفداء، فلمّا كان من الغد، قال عمرُ رضي الله عنه: غدوتُ إلى النبيِّ ﷺ، فإذا هو قاعدٌ وأبو بكر، وإذا هما يبكيان، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أخبرني ماذا يبكيك أنتَ وصاحبك، فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإنْ لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائكما، فقال: قال النبيُّ ﷺ: «**الذي عَرَضَ عليَّ أصحابُكَ من الفداءِ، ولقد عُرِضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرةِ، لشجرةٍ قريبة**»، وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٦٧]، إلى قوله: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الأنفال: ٦٨]، من الفداءِ، ثم أُحلّ لهم الغنائمَ، فلمّا كان يوم أُحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء، فقُتِلَ منهم سبعون، وفرَّ أصحاب النبيِّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ، وكُسِرَتْ رباعيته، وهُشِّمتِ البيضةُ على رأسه، وسال الدمُ على وجهه، وأنزل الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إلى قوله: ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران] بأخذكم الفداء، أخرجه **أحمد**[(١)].

الرابع: جاء عميرُ بنُ وهب بعد فتح بدر إلى النبيِّ ﷺ لاستخلاص أخيه، وكان من أبطال قريش، وأكثرهم سفكاً وفتكاً، فأخذ عمر بحمالة سيفه في عنقه، ولبّبه بها كي لا يصيبه ﷺ أذىً منه، وكان ذلك لغاية حبه للنبي ﷺ.

• عن **عروة بن الزبير** في قصة عمير بن وهب: فبينا عمرُ بنَ الخطّاب في نفرٍ من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر، ويذكرون ما أكرمهم الله به، وما أراهم مِنْ عدوِّهم، إذ نظر عمرُ إلى عُمير بن وهب حين أناخَ على بابِ المسجدِ متوشِّحاً السيف، فقال: هذا الكلبُ عدوُّ الله

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٠٣ و٢١٦).

عميرُ بنُ وهب، واللهِ ما جاءَ إلّا لشرٍّ، وهو الذي حرّش بيننا، وحَزَرَنا للقومِ يوم بدر، ثم دخل عمرُ على رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: يا نبيَّ الله! هذا عدوُّ اللهِ عُمير بنُ وهب قد جاء متوشِّحاً سيفه، قال: فأدخله عليَّ، قال: فأقبل عمرُ حتّى أخذ بحمّالة سيفِه في عنقِه، فلبَّبه بها، وقال لرجالٍ ممّن كانوا معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ، فاجلسوا عنده، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنَّه غيرُ مأمونٍ، ثم دخل به على رسولِ اللهِ ﷺ، وعمرُ آخذُ بحمّالة سيفه في عنقه، قال: «**أَرْسِلْه يا عمرُ! ادنُ يا عُمير**» فدنا، الحديث بطوله، وفيه معجزةٌ، أخرجه **ابن إسحاق**[١].

❁ [مواقفه في غزوة أُحد]:

ومنها: أنّه ظهرت لعمر ﷺ في غزوة أُحد فضائلُ كثيرةٌ من وجوه:

الأول: لمّا علت عاليةٌ من قريش الجبلَ، ورسولُ الله ﷺ بالشعبِ معه نفرٌ من أصحابه، قاتلها عمرُ بنُ الخطاب ﷺ مع جماعةٍ من المهاجرين، حتّى أهبطوهم من الجبل.

• قال **ابن إسحاق**: فبينا رسولُ اللهِ ﷺ بالشعب، معه أولئك النفر من أصحابه، إذ علتْ عاليةٌ من قريش الجبلَ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنّه لا ينبغي لهم أَنْ يعلونا**»، فقاتل عمرُ بنُ الخطّاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل، ذكره في «**السيرة**»[٢].

الثاني: لمّا نادى أبو سفيان حين انصرف من أُحد وقال: «أُعل هبل» أخذته الغيرة في الله، فأعلى كلمة الله، فقال: «**اللهُ أعلى وأجل**».

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٦١)، و«الروض الأُنف»، للسهيلي (٣/ ١١٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٦).

الثالث: تبيّن في هذه الغزوة أنَّ كفار قريش إن كانوا يخافون أحداً بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر، فإنَّهم كانوا يخافون عمر بن الخطاب ويحسبون له حساباً، لذلك فإنهم ما سألوا بعد أبي بكر إلا عن عمر رضي الله عنه.

• قال **ابن إسحاق**: إنَّ أبا سفيان بنَ حرب حين أراد الانصراف أشرفَ على الجبل، ثم صرخَ بأعلى صوته، فقال: أنعمت فعال وإنّ الحربَ سجالٌ، يومٌ بيوم، اعْلُ هبل؛ أي: أظهر دينك؛ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**قمْ يا عمرُ فأجبه**»، فقال: اللهُ أعلى وأجلُّ، لا سواء، قتلانا في الجنّةِ، وقتلاكُم في النّارِ، فلمّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلمَّ إليَّ يا عمر! فقال رسولُ اللهِ ﷺ لعمر: «**ائته فانظر ما شأنه**»، فجاءه، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمرُ أقتلنا محمّداً؟ قال عمر: اللَّهُمَّ لا، وإنَّه ليسمعُ كلامك الآن، قال: أنتَ أصدقُ عندي من ابن قمئة وأبرُّ، لقول ابن قمئة لهم إنِّي قد قتلتُ محمّداً[1].

❁ [مواقفه في غزوة الخندق]:

ومنها: أنّه شهد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق، وظهرت له فيها مآثرُ عظيمة.

الأولى: ولّاه رسول الله ﷺ مسؤوليةَ الحِفاظ على جانب من الخندق، وأُسس فيه مسجدٌ باسم عمر.

الثانية: كتب أهلُ السير أنّ عمر بن الخطاب والزبير بن العوام قاتلا جماعة من الكفار، ومزقاها تمزيقاً، إذ جاء إلى عمر رضي الله عنه ضِرَار بن الخطاب، وأشهر رمحه عليه، ثم أعرضَ عنه، وقال: هذه منَّة أمنُّها عليك.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٩٣).

الثالثة: في يومٍ من أيام الخندق فاتته صلاةُ العصر بسبب اهتمامه بدفع الكفار، فتأسّف على ذلك غايةَ الأسف، فشاركه النبيُّ ﷺ وقال: «**ما صلّيتُها أيضاً**»، وهكذا عالجَ تأسفه.

● عن **جابر بن عبد الله**: أنّ عمر بن الخطاب ﷺ جاء يوم الخندق بعد ما غربتِ الشمسُ، جعل يسبُّ كفّار قريش وقال: يا رسول الله! ما كِدْتُ أَنْ أصليَ حتّى كادتِ الشمسُ تغربُ، قال النبيُّ ﷺ: «**واللهِ ما صليتُها**»، فنزلنا مع النبيِّ ﷺ بُطحانَ، فتوضَّأَ للصلاة، وتوضأنا لها، فصلّى العصرَ بعد ما غربتِ الشمسُ، ثم صلّى بعدها المغربَ، أخرجه **البخاري**[1].

❁ [مشاهده في غزوة بني المصطلق]:

ومنها: أنّه شهد غزوةَ بني المصطلق وسعى فيها بالغَ السعي من وجوه:

الأول: ذكر أهل السير أنَّ عمر كان أميراً على مقدّمة الجيش، وأَسر جاسوساً للكفار، وسأله عن أمورهم ثم قتله، فدخلهم الرعبُ بذلك.

الثاني: أن عمرَ أُمِرَ أثناء الغزوة بأن ينادي: مَنْ تلفّظ بكلمة الإسلام فهو آمنٌ.

الثالث: اشتبك جهجاه الغفاري أجيرُ عمر مع أعرابيٍّ، فلجأ الأعرابيُّ إلى عبد الله بن أبي وقال كلمةً تنبئ عن النفاق، وأخبر زيدُ بنُ أرقم بذلك رسولَ اللهِ ﷺ، وكان عمرُ موجوداً هناك، فاشتعل غضباً، وجاشت حميتُه الدينية، وأراد أن يضربَ المنافقَ، فجعل المنافقون

---

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٥٩٦).

يعتذرون ويكذّبون زيدَ بنَ أرقم، فأنزل الله تعالى في تنزيله العظيم ما صدّق به زيدَ بنَ أرقم، ووافق رأي عمر بأنَّ المنافقين أجدر بأن يهانوا في الدنيا، ويعذّبوا في الآخرة، وإنْ كان رسول الله ﷺ أعرضَ عن ذلك المنافق، ولم يعذّبه كراهية الاختلاف بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ إلخ [المنافقون: ١]، وهذه القصة مبسوطة في «**معالم التنزيل**»[1] وغيره.

الرابع: أخبر رسول الله ﷺ بهذه المناسبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نكتة مهمة تعينُ على سياسة العباد والبلاد.

• قال ابنُ إسحاق: فحدّثني عاصم بن عمر بن **قتادة** أنّ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ أتى رسولَ اللهِ ﷺ، فقال: يا رسول الله! إنّه بلغني أنّكَ تريدُ قتل عبد الله بن أبي، فيما بلغك عنه، فإن كنتَ لا بدَّ فاعلاً فمرني به، فأنا أحمِلُ إليك رأسه، فواللهِ لقد علمتِ الخزرجُ ما كان لها من رجلٍ أبرُّ بوالده مني، وإنِّي أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تدعُني نفسي أنظرُ إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس، فأقتُلَه، فأقتلُ رجلاً مؤمناً بكافرٍ فأدخلَ النار، فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفّقُ به، ونُحسِنُ صحبته ما بقيَ معنا**»، وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث، كان قومُه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنّفونه، فقال رسول الله ﷺ لعمرَ بنِ الخطّاب حين بلغه ذلك من شأنهم: «**كيف ترى يا عمرُ! أما واللهِ لو قتلته يومَ قلتَ لي اقتُلْه، لأرعدتْ له آنفٌ، لو أمرتَها اليومَ بقتلِه لقتلته**»؛ قال: قال عمر: قد واللهِ علمتُ لأمْرُ رسولِ اللهِ ﷺ أعظمُ بركةً من أمري[2].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٨/ ١٣١).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٢).

۞ [مواقفه ومشاهده في الحديبية]:

ومنها: أنّه شهد الحديبية، وظهرت له فيها فضائلُ كثيرةٌ من عدة وجوهٍ:

الأول: غلبتْه الحميةُ الدينية بالحديبية، ثم غشيتْه السكينةُ ببركةِ النبيّ ﷺ.

• قال **ابن إسحاق**: فلمّا التأم الأمرُ، ولم يبق إلّا الكتاب، وثب عمرُ بنُ الخطاب، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر! أليس برسولِ اللهِ؟ قال: بلى، قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى؛ قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى؛ قال: فعلامَ نعطي الدنيّةَ في ديننا؟ قال أبو بكر: يا عمر! الزم غرزه، فإنِّي أشهدُ أنّه رسولُ اللهِ، قال عمر: وأنا أشهدُ أنّه رسولُ اللهِ، ثم أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! ألستَ برسولِ اللهِ؟ قال: «**بلى**»؛ قال: أو لسنا بالمسلمين؟ قال: «**بلى**»؛ قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: «**بلى**»؛ قال: فعلامَ نعطي الدنيّةَ في ديننا؟ قال: «**أنا عبدُ اللهِ ورسولُه، لنْ أخالِفَ أمرَهُ، ولن يضيِّعَني**»، قال: فكان عمر يقول: ما زلتُ أتصدّقُ وأصومُ وأصلِّي وأعتقُ من الذي صنعتُ يومئذٍ مخافة كلامي الذي تكلّمتُ به، حتى رجوتُ أن يكونَ خيراً[١].

وقال ابن إسحاق: فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه، ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنّما هم المشركون، وإنّما دمُ أحدهم دمُ كلبٍ، قال: ويدني قائمَ السيف منه، قال: يقول عمر: رجوتُ أنْ يأخذَ السيفَ فيضربَ به أباه، قال: فضنَّ الرجلُ بأبيه، ونفذت القضيةُ[٢].

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/٣١٦). (٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/٣١٨).

الثاني: أنزل الله تعالى في شأنه: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦].

الثالث: لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح] حين عاد النبيُّ ﷺ إلى المدينة، تلاها رسول الله ﷺ أولاً على عمر، وأخبره بالفتح، وشرّفه بذلك بين أصحابه، إذ إنَّ رسول الله ﷺ كان يريدُ أن يطلعَ عمرَ على أحكامِ ما يصدرُ مِنَ المرءِ في حالة «الغلبة».

• أخرج **مالك**، عن زيد بن أسلم، عن **أبيه**: أنّ رسول الله ﷺ كان يسيرُ في بعض أسفاره، وعمرُ بنُ الخطاب يسيرُ معه ليلاً، فسأله عمر عن شيءٍ، فلم يجبْه، ثم سأله، فلم يجبْه، ثم سأله، فلم يجبْه، فقال عمر: ثَكِلَتْكَ أمُّك عمرُ، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مراتٍ، كلَّ ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحرّكتُ بعيري، حتى إذا كنتُ أمامَ الناس، وخشيتُ أن ينزلَ فيَّ قرآنٌ، فما نشبتُ أن سمعتُ صارخاً يصرخُ بي، قال: فقلتُ: لقد خشيتُ أن يكونَ نزلَ فيَّ قرآنٌ، قال: فجئتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فسلَّمت عليه، فقال: «**لقد أنزلت عليَّ هذه الليلة سورةٌ، لهيَ أحبُّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾.

وهناك نكتتان يجب التنبيه عليهما:

۞ [نكتة لطيفة: غلبةُ الداعية الإلـهية، والفرق بينها وبين الرؤيا]:

الأولى: المراد من «الغلبة» اختلاطُ نور الإيمان بالطبيعة والقلب، حتّى تنشأَ منهما داعيةٌ لا يمكِنُ دفعها ولا إمساكها، وبسبب تلك الداعية تسقط بعضُ آداب الشرع والعقل أيضاً، وذلك على نوعين:

الأول: الداعيةُ التي تدفقت في القلب بعد الاطلاع على نكتة تلقّاها من الشرع، وإن كانت غيرَ مرضية في ذلك الوقت، كمثل انقياد قلب أبي لبابة بعاطفة «الشفقة على خلق الله» حين أشارَ إلى بني قريظة أنّهم سيقتلهم رسولُ اللهِ ﷺ، وإنَّ داعية «الشفقة على خلق الله» وإن كانت محمودةً في سائر المواضع، ولكنّها كانت غيرَ مرضيةٍ ها هنا؛ إذ إنها كانت منافية لإعلاء كلمة الله في ذاك الحين.

الثاني: غلبة الداعية الإلـٰهية التي تتجلّى في القلب، وينزل شعاعها من المقامات الرفيعة فيه مثل شعاع البرق، وشتّان بين المرتبتين، وإنّ عمرَ الفاروق قد أظهر كلتا المرتبتين، وإنّ الداعية التي تدفقت في قلب عمر يوم الحديبية حميةً للإسلام، إنّما كانت منافيةً للمصلحة الاجتماعية، فكان يرى ضرورةَ كفّارتها، ولذلك قال: «فما زلتُ أصومُ وأتصدّقُ... إلخ»، وقال في قضية موت عبد الله بن أبي: «فتحوّلت حتى قمتُ في صدره، وقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أتصلِّي على هذا وقد قال يومَ كذا، كذا وكذا، أعدُّ أيامه» قال: «فعجبت لي وجراءتي».

فلا بدّ من معرفة الفرق بين الكلمتين، فكثيراً ما يختلِطُ بعضُهما ببعض، ويشتبهان على سالك طريق الحق، ولا يقدر عقله وذكاؤه على دفع الاشتباه، إذ إنّ ذلك ممّا تزل فيه الأقدام.

وقد وقع عمر رضي الله عنه غيرَ مرةٍ في مثل هذا الاشتباه، فدفعه النبيُّ ﷺ، وأظهر الفرق بينهما حتى برع عمر رضي الله عنه في هذا الفن، واكتمل فيه، فلم يبقَ له اشتباهٌ في مثل هذه الأمور، وحينئذٍ صار محدَّثاً كاملاً، وقد أشار النبيُّ ﷺ إشارةً خفيةً إلى ذلك حين عبر عنه بلفظ التعليق في قوله: «**لقد كان فيمن كان قبلكم محدَّثون، فإنْ يكنُ من أمتي فعمرُ**»، والله أعلم.

ولم يشتبه الأمرُ على أبي بكر رضي الله عنه في مثل هذه الغلبات ودواعي

القلب إلا قليلاً نادراً، وذلك من أسباب ترجيح وتفضيل أبي بكر على عمر رضي الله عنهما.

وليعلم هنا أنّ أمر الدواعي والغلبات يشبه الرؤيا تماماً، فإنّهما يتنزلان من المواضع السامية العالية، إلا أنّ أحدهما يظهر في حالة تعطيل الحواس وهو الرؤيا، وآخرهما يظهر في حالة الصحوة واستقرار الحواس، وهو أمر الدواعي، والرؤيا ينزل شعاعُ فيضِها على العقل أصلاً، وتأتي الدواعي والغلبات إلى القلب.

وللرؤيا عِدّةُ أقسام، منها ما هي أضغاث أحلام، ومنها ما هي تشبّحُ الأخلاق والأعمال بالصور المثالية لها، ومنها ما هي نازلةٌ من ملك الرؤيا، وهذه الأقسام يشتبِه بعضُها ببعض، ويتعذّر حلّ اشتباهها، وهكذا يقع الاشتباه في الدواعي، يشتبه بعضُها ببعض، فمنها ما هي الناشئة عن العادات والطبائع والمألوفات، ومنها ما هي منبعثة من بين نور الإيمان وطبيعة القلب، وكثيراً ما يقع الاشتباه بين النكتة التي تلقّاها القلب من الشرع، وبين الداعية والغلبة التي نزلت عليه من منبع الصدق والحق، ويتعذّر التمييز بينهما، وحين ينقطع هذا الاشتباه بعون الله عز وجل، ويتميز الحق من الباطل، يُعتمد على الدواعي والرؤيا، ولكن دون ذلك خرط القتاد.

۞ [نكتة أخرى: اهتداءُ الصحابة بأسباب عدة]:

الثانية: معلوم قطعاً أنّ الصحابة رضي الله عنهم لم يهتدوا بأنفسهم، بل إنّهم اهتدوا إلى سواء الصراط بفضل رسولهم المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عزّ من قائل: ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى]، وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يهديهم بالأمر والنهي تارةً، وبالغضب والوعيد أخرى، وبمحض الصحبة حيناً آخر، فظهر من هذا أنّ زجر النبيِّ صلى الله عليه وسلم كان أحد

أسباب الوصول إلى مرتبة السعادة، فينبغي أن يعدّ ذلك منقبة من مناقب عظيمة لأصحاب النبي ﷺ، ولذلك قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنِّي بَشَرٌ أيُّما مسلمٍ آذيتُه، أو شتمتُه، أو ضربتُه، فاجعلْهُ لَهُ رحمةً**» أو كما قال.

❁ **[شخصيته وطبيعته]**:

وإن خلقت نفس بعض الصحابة بحيث تهتدي بأصل مقصد النبي ﷺ بغير تخويف ولا تهديد، وتتمثل بمرضاة النبي ﷺ، فذلك من العنايات الخاصة من الله ﷻ، وقلَّما يُكْرِمُ أحداً بهذا الأسلوب، وقد ظهر عنف وسخط من النبي ﷺ في تربية عمر بن الخطاب رضي الله عنه غير مرة، كما ظهر حين قرأ التوراة، ولم يظهر ذلك لأبي بكر رضي الله عنه إلا قليلاً نادراً، وهذا أيضاً من أسبابِ ترجيح أبي بكر على عمر رضي الله عنهما، والله أعلم.

❁ **[مواقفه في غزوة خيبر]**:

ومنها: أنه اجتمعت له مآثرٌ جميلةٌ في غزوة خيبر بوجوه عديدة:

الأول: ذكر أهل السير أنَّ النبي ﷺ ولّاه على ميمنة العسكر في هذه الغزوة.

الثاني: كان الصحابة يتناوبون في الرِّباط والسهر على المسلمين كلَّ ليلة، فلما كانت نوبة عمر رضي الله عنه قبض على يهودي، وجاء به إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فسأله رسول الله ﷺ عن أحوال خيبر، وكان ذلك سبباً كبيراً لفتحها.

الثالث: لمّا قال رسول الله ﷺ لرجل: «**رَحِمَ اللهُ فلاناً**»، عرف عمرُ بفراسته معنى هذا الدعاء أنه سيستشهد وقال: وجبتْ ـ الشهادة ـ يا رسولَ اللهِ.

• قال **ابن إسحاق**: حدَّثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي

عن أبي الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمي أنّ أباه حدَّثه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ـ وهو عمّ سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سناناً ـ: انزل يا ابن الأكوع، فحدث لنا من هناتك، قال: فنزل يرتجزُ لرسول الله ﷺ، فقال:

واللَّهِ لولا اللَّهُ ما اهتدينا ... ولا تصدّقنا ولا صلّينا

إنّا إذا قومٌ بَغَوْا علينا ... وإنْ أرادوا فِتْنَةً أَبَيْنا

فأنزلنْ سكينةً علينا ... وثبّتِ الأقدامَ إنْ لاقينا

فقال رسول الله ﷺ: «**يرحمُكَ الله**»؛ فقال عمر بن الخطاب: وجبتْ واللهِ يا رسول الله! لو أمتعتنا به، فقُتِلَ يومَ خيبر شهيداً[1].

الرابع: كان عمر ﵁ في بعض أيام خيبر أميراً على الجيش، فجاهد واستمات في سبيل الله، ولكنّه لم يقدّر الله فتح خيبر على يديه، بل فتحت على يد علي المرتضى ﵁، وظهر في هذا فضيلة علي ﵁.

قال علي ﵁: سار النبيُّ ﷺ إلى خيبر، فلمّا أتاها بعث عمر ﵁، وبعث معه الناسَ إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم، فلم يلبثوا أن هزموا عمرَ وأصحابَه، فجاءوا يُجبِّنونه ويجبِّنهم، أخرجه **الحاكم**[2].

وقد شرح علي ﵁ معنى «الجبن» شرحاً بليغاً فقال: لما كان الاقتحام في الحرب واجباً عبر عن ترك الاقتحام بلفظ: «الجبن».

۞ [مواقفه في فتح مكة]:

وقد ظهرت له ﵁ في فتح مكة فضائلُ كثيرةٌ من وجوه:

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢٨).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٠) برقم: (٤٣٤٠).

الأول: لمّا كتب حاطبُ بن أبي بَلْتَعَةَ كتاباً إلى قريش يخبرهم بتوجّه رسول الله ﷺ إلى مكة، وكان ذلك معارِضاً لمصلحة رسول الله ﷺ، جاشت غيرته الإيمانية، فزال عنه غضبه بالتدبير النبوي، قال عمر: إنّه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضربْ عنقه، فقال: «**أليس مِنْ أهلِ بَدْرٍ؟**» فقال: «**لعلَّ اللهَ اطّلعَ إلى أهلِ بَدْرٍ فقال: اعمَلُوا ما شِئْتُم فقد وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ، أو فقد غَفَرْتُ لَكُمْ**»، فدمعت عينا عمر وقال: اللهُ ورسولُه أعلم[1].

الثاني: لمّا سأل أبو سفيان تجديد العهد وتوثيقَه مرّةً ثانية أنكر عليه عمرُ إنكاراً شديداً، وكان في ذلك موافقاً لمرضاة الله ﷻ.

الثالث: أنَّ أبا سفيان كان رئيسَ قريش، وكان المسلمون قد أصابهم الأذى منه مراراً، لذلك صمّم عمر على قتله وعدم قَبول الأمان له، وكثر فيه القيل والقال، فأدركته التربية النبوية حتى زال عنه غضبه وشدته.

• قال **ابن إسحاق** في حديث العبّاس وشفاعته لأبي سفيان: مررتُ بنارِ عمرَ بنِ الخطاب ؓ فقال: من هذا؟ وقام إليَّ، فلمّا رأى أبا سفيان على عجزِ الدابّة قال: أبو سفيان، عدوُّ الله، الحمدُ للهِ الذي أمكن منكَ بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، ثم خرج يشتدّ نحو رسول الله ﷺ، وركضتُ البغلةَ فسبقتُه بما تسبقُ الدّابة البطيئةُ الرجل البطيء، قال: فاقتحمتُ عن البغلةِ فدخلتُ على رسولِ اللهِ ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: يا رسول الله هذا أبو سفيان، قد أمكن اللهُ منه بغير عقدٍ ولا عهدٍ، فدعني فلأضربْ عنقَه، قال: قلتُ: يا رسول الله! إنِّي قد أجرته، ثم جلست إلى

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٨٣).

رسول الله ﷺ، فأخذتُ برأسه، فقلتُ: واللهِ لا يناجيه الليلةَ دوني رجلٌ، فلمّا أكثر عمرُ في شأنه، قال: قلتُ: مهلاً يا عمر! فواللهِ لو كان من بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنَّكَ قد عرفتَ أنّه من رجال بني عبد مناف، فقال: مهلاً يا عباس، فوالله لإسلامُك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطّاب لو أسلمَ، وما بي إلّا أني قد عرفتُ أنّ إسلامَكَ كانَ أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من إسلامِ الخطّابِ لو أسلم[١].

❁ [استعمله رسول الله ﷺ على صدقات المدينة]:

ومنها: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ استعمل عمرَ على صدقاتِ المدينة، فمنع العباسَ وخالدَ وابنَ جميل، والحديثُ مذكورٌ بطوله في «**صحيح البخاري**»[٢].

• وعن **عمر**: إنِّي عملتُ لرسول الله ﷺ، فأعطاني عمالةً، فقلتُ: أعطِهِ أفقرَ إليه منِّي، الحديث **أخرجه أبو داود**[٣] وغيره.

❁ [مواقفه في غزوة حنين]:

ومنها: أنّه ظهرت له في غزوة حنين أيضاً فضائلُ عظيمةٌ.

ذكر أهل السير أنّ عمر رضي الله عنه وقد سُلِّمت إليه رايةٌ من رايات المهاجرين كما تسلَّم إلى رئيسٍ من الرؤساء اليوم.

❁ [مشاهده في الطائف]:

وظهرت له فضيلةٌ عظيمةٌ في الطائفِ من وجهين:

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠١).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٤٦٨).
(٣) انظر: «سنن أبي داود» (ح: ١٦٤٩).

أحدهما: في قصة الرؤيا التي رآها رسول الله ﷺ فقال لأبي بكر: «**إنِّي رأيتُ أنّه أهديتْ لي قعبةٌ مملوءةٌ زبداً، فنقرها ديكٌ، فأهراقَ ما فيها**» فعبر بها أبو بكر أن في هذا الوقت لن يحصل فتحُ الطائف.

• وذكر ابن إسحاق: أنّ خويلةُ بنتُ حكيم بن أمية، وهي امرأةُ عثمانَ بنِ مظعون قالت: يا رسول الله! أعطني إنْ فتحَ الله عليك الطائفَ حلي باديةَ بنتِ غيلان بن مظعون بن سلمة، أو حلي الفارعة بنت عقيل، وكانتا من أحلى نساء ثقيف، فذكر لي أنّ رسول الله ﷺ قال لها: «**وإنْ كانَ لم يؤذنْ لي في ثقيفٍ يا خويلة؟**» فخرجت خويلةُ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل على رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! ما حديثُ حدّثتنيه خويلةُ، زعمتْ أنّكَ قلتَه؟ قال: «**قد قلتُه**»، قال: أَوَما أَذِنَ لك فيهم يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، قال: أفلا أؤذِّنُ بالرحيل؟ قال: «**بلى**»، قال: فأذّن عمرُ بالرحيل[1].

وثانيهما: إن ذا الخويصرة حضر قسمةَ الغنائمِ في الجعرانة، فنشأت داعيةُ القتل في قلب عمر.

• عن **عبد الله بن عمرو بن العاص**، قيل له: هل حضرتَ رسولِ اللهِ ﷺ حين كلّمه التميمي يومَ حنينٍ؟

قال: نعم، جاء رجل من بني تميم يقال له: ذو الخويصرة، فوقف عليه، وهو يعطي الناسَ، فقال: يا محمّد! قد رأيتُ ما صنعتَ في هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «**أجل، فكيفَ رأيتَ؟**»، فقال: لم أرك عدلتَ؛ قال: فغضب النبيُّ ﷺ، ثم قال: «**وَيْحَكَ إذا لم يكنِ العدلُ عندي، فعندَ مَنْ يكونُ؟**»، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! ألا أقتلُه؟، فقال: «**لا، دَعْهُ،**

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٨٤).

فإنَّه سيكونُ له شيعةٌ، يتعمّقون في الدِّينِ، حتّى يخرجوا منه كما يَخْرُجُ السهمُ من الرميةِ، ينظرُ في النصل فلا يوجدُ شيءٌ، ثم في القدحِ فلا يوجدُ شيءٌ، ثم في الفَوْقِ فلا يوجدُ شيءٌ، سبق الفَرْث والدم»، أخرجه ابن إسحاق[١].

الثالث: أنّ عمر استأذن رسول الله ﷺ وقال: إنِّي نذرتُ في الجاهليةِ أن أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام قال: «**أوفِ بنذرِكَ**»، أخرجه البخاري[٢]، وفي بعض الروايات: «**يا أخي! أشرِكْنا في دعائِكَ**»، أو «**لا تنسنا في دعائك**»[٣]، وكان ذلك شرفاً كبيراً له.

❁ [إنفاقه نصف ماله في غزوة تبوك]:

ومنها: أنه أنفق نصف ماله في سبيل الله في غزوة تبوك.

❁ [مواقفه في حجة الوداع]:

ومنها: أنّه شهد حَجَّة الوداع، واستمع إلى خُطبِ رسول الله ﷺ، وأدرك جميعَ المشاهد المباركة.

ومنها: أنّه كان يشارِكُ أبا بكر رضي الله عنه في كثيرٍ من الفضائل، وكان يشاوِرُه النبيُّ ﷺ معه.

وقد ذكرنا في مآثر أبي بكر رضي الله عنه أنّ الله تعالى أشار إليهما بلفظ: ﴿وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في سورة التحريم [٤].

ولما انفضّ القوم يوم الجمعة في المدينة المنورة (كما جاء في سورة الجمعة [١١]) كان عمرُ موجوداً في المسجد، وقد ذكرناه أيضاً في مآثر أبي بكر رضي الله عنه.

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٩٦).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٦٦٩٧).
(٣) انظر: «مسند الطيالسي» (١/ ٤).

۞ [موقفه في سقيفة بني ساعدة ومبايعته الصدِّيق]:

ومنها: أنّه بذل سعياً مشكوراً في تولية الخلافة لأبي بكر ﷺ بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ، وكان مِنْ أنصحِ القومِ له، وقد بينّاه قبل ذلك.

۞ [كان نائباً أميناً ومستشاراً وقاضياً لخليفة رسول الله ﷺ]:

ومنها: أنّه كان نائباً لأبي بكر ﷺ، ووزيرَه ومستشارَه في مهمّات الأمور، وكان قاضياً له في المدينة.

• عن **إبراهيم النخعي** قال: أوّلُ مَنْ وَلّى أبو بكر شيئاً من أمور المسلمين عمرُ بنُ الخطاب، ولّاه أبو بكر القضاء، فكان أوّلَ قاضٍ في الإسلام، وقال: اقضِ بينَ الناس، فإنِّي في شُغْلٍ، أخرجه **أبو عمر**[١].

۞ [استخلاف الصدِّيق للفاروق وإعلانه بأفضليته]:

ومنها: أنّ أبا بكر ﷺ استخلفه على المسلمين في آخرِ أيّام حياته، واعتبره أفضلَ الناسِ كلّهم، كما سبق من قبلُ.

• وكان قد أخذ بما قال رسول الله ﷺ في شأنه في الحديث الذي روي عن **جابر بن عبد الله** قال: قال عمرُ لأبي بكر: يا خيرَ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ! فقال أبو بكر: أمّا إنّكَ إنْ قلتَ ذاك فلقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: **«ما طلعتِ الشمسُ على رجلٍ خيرٍ مِنْ عُمَرَ»**، أخرجه **الترمذي**[٢].

ومعنى هذا أنّ عمر سيكون خيرَ الناس في زمن من الأزمان، وهذه قضيةٌ مطلقة عامةٌ، وكان عمرُ يعتبِرُ الصدِّيقَ أفضل الأمة، وأبو بكر يعتبره كذلك، وكان يقول: إنّه أقوى الناسِ وخيرَهم، وعمرُ كان يعترِفُ بذلك لأبي بكر ﷺ.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٥٦).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٦٨٤).

هذا ما وفقني الله تعالى لذكر مناقب عمر وشرح إعانة رسول الله ﷺ وخليفته أبي بكر رضي الله عنه.

❁ [سياسته في رعيته]:

ولمّا تولّى عمر الخلافةَ ساس الرعيّة سياسةً، لم يتيسّر مثلُها لخليفة قبلَه ولا بعدَه.

❁ [أوّلياته]:

في «الاستيعاب»: وليَ الخلافةَ بعد أبي بكر، بويع له بها يوم مات أبو بكر رضي الله عنه باستخلافٍ له سنة ثلاث عشرة، فسارَ أحسنَ سيرة، وأنزل نفسه من مالِ اللهِ بمنزلة رجلٍ من الناس، وفتحَ الله له الفتوحَ بالشام والعراق ومصر، ودوّن الدواوين في العطاء، ورتّبَ الناسَ فيه على سوابقهم.

كان لا يخاف في الله لومة لائم، وهو الذي نوّر شهرَ الصوم بصلاة الإشفاع[١] فيه.

وأرّخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس إلى اليوم، وهو أوّل من سُمِّي أميرَ المؤمنين، وهو أوّل من اتخذ الدِّرَّة، وكان نقشُ خاتمه «كفى بالموتِ واعظاً يا عمر»[٢].

❁ [الجهاد والفتوح في عهد عمر]:

والآن نذكر شيئاً من تفاصيل الجهاد وكثرة الفتوح والغنائم في عهده، كان عمرُ في السنة الثالثة عشرة من الهجرة يخطبُ كلَّ يوم،

---

(١) صلاة التراويح. وسميت صلاة الإشفاع لأنها تصلى شفعاً شفعاً؛ أي: مثنى مثنى.

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٤).

ويحرِّضُ الناسَ على الجهاد مع الأعاجم، ويندبهم إليه، وكانت لدولة الأعاجم هيبةٌ في نفوس العرب، لكثرة عَددهم وعُددهم، ولذلك كانوا متقاعسين في ذلك، لِمَا كان لها من العزّة والشوكة والمَنَعة، وجنود مجندةٌ، وخزائنُ كثيرة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، وأوّلُ من نشأت في قلبه داعيةُ الجهادِ مع الأعاجم أبو عبيد الثقفي، وكان من كبار التابعين، ثم تتابعت جماعة بعد جماعة لقتال الكفار والمشركين، وكان فيهم سليط بن قيس الذي كان ممن شهد بدراً، ولكنّ عمر رضي الله عنه أمّر أبا عبيد على المسلمين رغم حضور الصحابة تقديراً لاستجابة دعوته في أول الأمر، إذ كان أولهم انتداباً للحرب مع الأعاجم، ولكنّه أمره أن يستشيرَ الصحابة في أمور المسلمين، وأن لا يقطعَ أمراً بدونهم، وقال: لا يمنعني تأمير سليط إلّا أنه متعجّلٌ متسارع في الحرب لشجاعته وجراءته، فأخاف عليه أن يفتنَ الناسَ ويهلكهم.

وتوجّه المثنى بن حارثة الشيباني وأبو عبيد الثقفي مع جنود المسلمين إلى العراق، وبعث ملك فارس رستم فرُّخ زاد وجابان مع عسكر جرّار لقتال المسلمين، ولمّا التقت الفئتان دارت حربٌ عظيمة بينهما، وقاتلوا قتالاً شديداً حتى أسفرت الحرب عن انهزام المشركين، وأصاب المسلمون أموالاً كثيرة وغنائم لا تحصى.

وما إنْ قسّمت الغنائم حتى أتى قائد العجم «نرسي» الذي كان ابن خالة كسرى مع جند عظيم، وبعث رستم لإمداده جاليوس مع عدة عظيمة وجند كبير، فعاجله أبو عبيد قبل أن يجتمع هو وجاليوس بجيوشهما، فقاتله حتى هزمه شرَّ هزيمة، وأخذ خزائنه وأمواله الكثيرة، ثم توجه إلى جاليوس وقاتله، فهزمه أيضاً، وحصل على غنائم كثيرة، ثم إنه بعث بخمس الغنائم والسبايا إلى دار الخلافة، وقسّم البقية على المجاهدين.

ولما سمع أهل فارس بهزيمتهم حزنوا حزناً شديداً، وأخذتهم الغيرة، فأرسل ملك فارس بهمن جاذويه مع ثلاثين ألف مقاتل وثلاثين فيلاً، وكان فيها «الفيل الأبيض» الذي كان مباركاً لديهم، وكانوا يتبركون به منذ زمن برويز، وكانوا يعتقدون أنّه لم يبعث في معركة إلا وغلبوا فيها على أعدائهم، وأخرج معهم كذلك رايتهم «درفش كاويان»، وهي العلم الأكبر لهم، وكانوا لا يخرجونه إلّا في الأمور العظام، وكانوا يعتقدون معه النصر والفتح، وبعث رستم جنداً كثيفاً لإمدادهم، وقاتل أبو عبيد قتالاً شديداً، وكان قد عبر جسر فرات، وزلزل المسلمون في بداية الحرب زلزالاً شديداً، وتضعضعوا قليلاً، وكسر أحد من المسلمين الجسر، كي لا يبقى لهم سبيلٌ إلى العودة، وترجّل أبو عبيد مع جماعة من المسلمين، وجالدوهم بالسيوف، وطفقوا يقطّعون خراطيم الأفيال بسيوفهم البتَّارة، ووثب أبو عبيد على الفيل الأبيض، وقطع خرطومه أيضاً، وما لبث أن رجع إلى جيشه، ولكنه زل في الطريق وسقط على الأرض، وخبط الفيل الأبيض، فألقى رجله عليه، فمات شهيداً، وتتابع سبعةُ رجال، كلُّهم كان يأخذ اللواء بيده، ويقتل شهيداً، حتّى أخذه المثنى بن حارثة، وخاض الحربَ بجراءة نادرة، وحكمة فائقة، وتقاعد الكفّار قليلاً، فانتهز المسلمون هذه الفرصة، وعادوا إلى الجسر، وأصلحوه فعبروه.

وقد استشهد في هذه الحرب أربعة آلافٍ من المسلمين، فحزن عليهم عمر حزناً شديداً، وكادت هِمم المسلمين تفتر حتى جاءتهم الرحمة من الله، إذ وقع الاختلاف الشديد في جيوش رستم، وصاروا فريقين، فزالت شوكتهم، وتقاعسوا عن الحرب لأيام عديدة.

وقال أكثر المؤرِّخين: فتحت دمشق في السنة الرابعة عشر، وقال بعضهم: في السنة الثالثة عشر حين وفاة أبي بكر رضي الله عنه.

وبالجملة: بعث هرقل قائداً يقال له: ماهان مع جيش عظيم لإمداد أهل دمشق، وتحصّن الكفّار في حصونهم، وجعلوا يعدّون لقتال المسلمين كلَّ عدة، فكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر رضي الله عنه يخبره بذلك، فأرسل عمر إليه كتاباً أمر فيه: أن يرحل أولاً إلى دمشق، ويبعث في كل ناحية جنداً من المسلمين ليتشاغلَ أهلُها عنها، ولا يتوغلوا في قتالها حتى تفتح دمشق، وخرج ماهان مع جيوشه من دمشق، واستعدَّ للقتال، وخرج أبو عبيدة بن الجراح إليه، فلمَّا التقت الفئتان اشتعلت نيران الحرب، واقتتلوا قتالاً شديداً، حتّى هزم المسلمون المشركين والكفار، فهرب بعضهم إلى هرقل، وتحصّن بعضُهم في قلعة دمشق، فحاصرها أبو عبيدة وخالد بن الوليد حصاراً شديداً، ومضت عليه أيام عديدة.

ووُلد لبطريق دمشق مولودٌ في تلك الأيام، فاحتفلوا بميلاده، واشتغلوا باللعب واللهو عن حراسة القلعة، وتركوا مواقفهم، فاغتنم أبطالُ المسلمين هذه الفرصة، وتسوّروا جدرانها، وكانوا قد اتخذوا حبالاً كهيئة السلالم وأوهاقاً، فرموا بها، ووصلوا السور مكبّرين، ونزلوا فقتلوا حرّاس أبواب القلعة، وفتحوها للمسلمين، ووقع قتال شديد حتى فتحت دمشق من جهة خالد عنوةً، ومن جهة أبي عبيدة صلحاً.

وفي هذه السنة قَدِمَ جرير بن عبد الله البَجَلي من اليمن إلى عمر رضي الله عنه، فعبّأ عمر رضي الله عنه جيشاً عظيماً فيه أربعة آلاف من رجال بجيلة وكندة وقبائل العرب الأخرى، وأمّره عليهم، وبعثه إلى العراق لمدد المثنى بن حارثة، ولكنَّ جريراً وقومَه استنكفوا قليلاً أن يقاتلوا تحت راية

المثنى بن حارثة، فألف عمر ﷺ قلوبهم، ونفلهم ربع الخمس على نصيبهم من المال، وكتب إلى المثنى بن حارثة كتاباً أمر فيه بإجلال وتكريم جرير بن عبد الله؛ لأنّه قد صحبَ النبيَّ ﷺ.

ولمّا سمع العجمُ بهذا الخبر جمعوا لقتال المثنى وجرير جيوشاً عظيمة، وأمّروا عليهم مهران الهمذاني، فكتب المثنى إلى عمر يخبره بذلك، فعبّأ عمر من كل قبيلة جماعةً لمدده، وأمرهم بالمبادرة إلى ميدان الجهاد متأهّبين، وجمع المثنى أيضاً جموعاً من بلاده، ولمّا التقت الفئتان جاء مهران الهمذاني ركضاً، وهو راكب فرساً أحمر، عليه كور من الحرير، ورمى غلام من أهل الذمة إليه سهماً، فأصاب هدفه، وسقط مهران على الأرض، ووقعت هزيمة منكرة على جنود الأعاجم بفضل الله ونصره، وكانت تلك المعركةُ عجيبةً ونادرةً في التاريخ، وسُمِّيَ هذا اليوم بيوم الأعشار؛ لأن مائة من المسلمين قتل كلَّ واحد منهم عشرةً من الكفار والمشركين، وأصابوا من الأموال والغنائم والسبي ما لم يصيبوه من قبل.

ثم أراد المثنى بن حارثة أن يهجم على الخنافس، فخلّف بسر بن الخصاصية بالعراق، وتوجّه إلى الخنافس مع ما به من جرح أصيب به في حرب الجسر، وكانت هناك سوقٌ كبيرة، كان يجتمع بها كبار التجار من الكافرين مرّةً في السنة، فأغار المثنى عليهم فجأة، وأصاب من الغنائم شيئاً كثيراً، ثم توجه إلى بغداد، وكانت بها أيضاً سوق كبيرة، كان الناس يجتمعون فيها كلَّ سنة، فصبّحهم في أسواقهم، ووضع السيف فيهم، وأمر المثنى أصحابه أن لا يأخذوا إلا الذّهب والفضة والحلي والجواهر وثياب الحرير وأغلى الأشياء، وحمل كل ذلك على ألف بعير، وعاد سالماً غانماً.

❁ [نكتة لطيفة: ظهور «الفرقان الأكبر» بين الكفر والإسلام]:

وفي السنة الخامسة عشر والسادسة عشر ظهر الفرقان الأكبر بين الكفر والإسلام بفضل جهود عمر رضي الله عنه، وبهذا اتّضح وجه تسمية عمر رضي الله عنه بـ«الفاروق».

وهناك نكتتان يجب التنبيه عليهما:

❁ [أنجز عمر ما بشّر به النبيُّ ﷺ من فتح فارس والروم]:

الأولى: لقد ثبت بالتواتر المعنوي أنّ رسول الله ﷺ أخبر بفتح فارس والروم، وأنَّ المسلمين يصيبون منهما الغنائم الكثيرة، قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح: ٢٨]، وقال: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١]، بعد ما قال: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ [الفتح: ٢٠].

ويعرف المتعمّق في هذه الآيات أنّ المراد بـ«مغانم كثيرة» أموال حنين التي حصلت لهم في زمن النبي ﷺ، والمراد بـ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ مال خيبر، والمراد بـ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا﴾ غَنَائِمُ فارس والروم.

قال ابن عباس والحسن ومقاتل: هي فارس والروم، ما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، كانوا خولاً لهم(١) حتّى قدروا عليها بالإسلام.

وكذلك يدرِكُ المتأمّل في آية: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، أنَّ المراد بـ﴿أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ فارس والروم، قال ابن عباس ومجاهد والحسن: هم فارس والروم.

---

(١) أتباعاً لهم.

• وجاء في **الصحيحين**: «**رأيتُ كأنَّما وُضِعَ في يديَّ مفاتيحُ خزائنِ الأرضِ**».

وجاء في الحديث الذي رواه **الشيخان**: «**إذا هلكَ كسرى فلا كِسْرَى بعدَه، وإذا هلكَ قيصرُ فلا قَيْصَرَ بعده**»[١].

• وروي في باب الرمي عن **عُقبة بن عامر** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**ستُفْتَحُ عليكم الروم، ويكفيكم الله، فلا يَعْجَزْ أحدُكم أَنْ يلهوَ بِأَسْهُمِهِ**»، أخرجه مسلم[٢].

وهذه كلها نعم من الله، ووجوه هذه الأمور معجزة باهرة لرسول الله ﷺ، وكانت بعثته تضمن فتح فارس، إذ إنّه تعالى قال: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْۚ﴾ [الجمعة: ٣]، والمراد بهم: فارس.

وإنّ الله تعالى أَرَاد زوال دولة فارس والروم، وجعل النبيَّ ﷺ آلةً له وجارحةً، ولكنّ رسول الله ﷺ لحق بالرفيق الأعلى قبل أن يتمّ ذلك، فألقى الله في روع عمر قتالَ الكفّار والأعاجم، ومحاربة فارس والروم، فاستولى ذلك عليه، وغلب على أحشائه، وملك على قلبه وعقله، وانعكست أشعة هذا النور في قلوب المجاهدين، فاجتمعوا وجاهدوا واجتهدوا، حتى فتحوا وحصلوا على مغانم أكثر من جهودهم وجهادهم، وهكذا ظهر صدق قوله: «**ابعث جيشاً نبعث خمسة مثله**»[٣].

۞ [نكتة أخرى: اهتمام عمر بفتح فارس والروم من عدة جهات]:

الثانية: إن عمر رضي الله عنه بالغ في الاهتمام بفتح فارس والروم من وجوهٍ كثيرة:

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣١٢٠)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٩١٨).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٩١٨).
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٨٦٥).

الأول: كان يدعو الله لذلك في صلاته دائماً، ويتضرّع في الدعاء، وكان يبذلُ كلّ جهده وطاقته فيه، قال النووي في «الأذكار»: جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنّه قنت في الصبح بعد الركوع، فقال: اللَّهُمَّ إنا نستعينُكَ ونستغفرُك ولا نكفرُكَ، ونؤمِنُ بك، ونخلَعُ من يفجُرُكَ، اللَّهُمَّ إيّاكَ نعبدُ، ولكَ نصلِّي ونسجدُ، وإليكَ نسعى ونَحْفِد، نرجو رحمتَكَ، ونخشى عذابَكَ، إنَّ عذابَكَ الجدُّ بالكفّارِ ملحق، اللَّهُمَّ عذّب الكفرةَ الذين يصدّونَ عن سبيلِكَ، ويكذّبونَ رُسُلَكَ، ويقاتِلُونَ أولياءك، اللَّهُمَّ اغفرْ للمؤمنينَ والمؤمناتِ، والمسلمينَ والمسلماتِ، وأصلحْ ذاتَ بينهم، وألّفْ بين قلوبهم، واجعل في قلوبهم الإيمانَ والحكمةَ، وثبتهم على مِلّةِ رسولِكَ ﷺ، وأوزِعْهُم أن يُوْفُوا بعهدِكَ الذي عاهدتَهم عليه، وانصرْهُم على عدوِّك وعدوِّهم، إلهَ الحقِّ، واجعلنا منهم[١].

الثاني: كان يحرِّضُ الناسَ على الجهاد، ويلقي خُطباً بليغة في فضائل الجهاد والحثّ عليه، وكان يشعل فيهم جمراتِ القتال مع الكفّار والمشركين، ويروي أحاديثَ النبيِّ ﷺ في ذلك.

الثالث: أنه كان لا يألو جهداً في تجهيز المجاهدين، ويهتم بتعبئة الجيش بالغ الاهتمام.

أخرج **مالك عن يحيى بن سعيد**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان يحمِلُ في العام الواحد على أربعينَ ألف بعير، يحمِلُ الرجلَ إلى الشام على بعير، ويحمل الرجلين إلى العراق على بعير، فجاءه رجلٌ من أهل العراق، فقال: احملني وسحيماً، فقال له عمر بن الخطاب: نشدتك الله، أَسُحَيْمٌ زِقٌّ؟ قال: نعم[٢].

---

(١) انظر: «الأذكار»، للنووي (١/ ٦٠). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٨٧).

الرابع: يرتّب الجيوشَ، ويعيّن مكان الجهاد وجبهات القتال، وكان هو الذي يختارُ الصلحَ أو الحربَ.

۞ [إزالة الدولة الساسانية]:

أما زوال دولة الساسانيين فإنّه تحقق حين رأى صناديدُ فارس أنّ المسلمين لا يزالون يتقدّمون، ويفتحون بلاداً بعد بلادٍ، فاضطربوا وفكروا كثيراً، حتى عزلوا ملكة فارس، وملّكوا عليهم «يزدجرد» الذي كان من أشجع أولاد كسرى، واشتروا أسلحة وآلات الحرب للقتال، بخزائن كسرى التي كانت لا تُعَدُّ ولا تحصى، وجمعوا جيوشاً جبارة، وعيّنوا عليهم رستم فرخزاد قائداً للمعركة، وأقام يزدجرد في المدائن، ليرسل أدوات الحرب وشجعان الفرس لإمداد رستم بين الفينة والأخرى، وكتب المثنى بن حارثة إلى عمر يخبره بذلك كله، فكتب عمرُ إلى كلِّ عامل من عمّاله، يأمره ببعث كلِّ مَنْ كان له سلاحٌ أو فرسٌ وهو من أهل النجدة والشجاعة من أهل ناحيته إلى المدينة المنورة من غير تأخير، فلمّا اجتمع هؤلاء أمّر عليهم سعدَ بنَ أبي وقّاص، وأوصاه وصايا بليغة نافعة، حثّ فيها على التقوى، والصبر على المكاره، والاستقامة في مواقف الحرب، وأمر المجاهدين بأن لا يخرجوا عن رأيه، وكتب إلى المثنى وجرير بأن يكونا تحت راية سعد رضي الله عنه، ويعتبراه أمير الأمراء في العراق، وكان عمر رضي الله عنه موفقاً كل التوفيق من الله تبارك وتعالى في اختيار سعد بن أبي وقاص أميراً للعراق، وكان ذلك من حكمة الله البالغة، إذ كان المثنى بن حارثة قد كبرت سنّه، فلو لم يصل سعد إلى العراق لكان يخشى الفتور في حرب العراق.

وتوقّفَ سعدٌ في الطريق قليلاً لشدّة القرّ، فبعث عمر رضي الله عنه الأبطال الباسلين مرة بعد مرة لإمداد سعد، حتّى إنّه لم يترك في العرب أحداً من

أشراف القبائل ومن أهل الشجاعة وأهل الرأي إلا وبعثه إلى العراق، فاجتمع ثلاثون وبضع ألف مجاهد مع سعد بن أبي وقاص،كان فيهم ألف من الصحابة ﷺ، وتسعة وتسعون ممّن شهدوا بدراً.

وفي ذلك الحين كتب سعد رسالة إلى عمر يخبر فيها بعزمه القتالَ مع كثرة العدد والعُدد وذكر فيها تفاصيلها، فكتب إليه عمر: لا يقع في خاطرك اضطرابٌ منهم، ولا تخف من كثرة العدو وعتاده، وأنْ تثقَ باللهِ ولطفه، وتوكّل عليه بتأييده، وقال: إذا عبّأتَ صفوف الجيش، فصف لنا منازلهم، واذكر تفاصيله حتّى كأنّي أنظرُ إليهم بعينيَّ، فكتب سعد إليه كيفية تعبئة جيشه، فلمّا اطلع عمر على خطته مدحه، وأمره أن يبعث أولاً إلى رستم وأصحابه وفداً يتّصف بكمال الحسب والنسب وطلاقة اللسان ورزانة العقل، وفصاحة اللسان، يدعونهم إلى الإسلام، فأنفذ سعد أمره، وكان المغيرة بن شُعبة ممّن بعثه سعد لذلك.

أخرج الحاكم عن إياس بن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: لما كان يوم القادسية بعث بالمغيرة بن شعبة إلى صاحب فارس، فقال: ابعثوا معي عشرة، فبعثوا، فشدَّ عليه ثيابه، ثم أخذ حجفة، ثم انطلق حتى أتوه، فقال: ألقوا لي ترساً، فجلس عليه، فقال العلج: إنكم معاشر العرب! قد عرفتم الذي حملكم على المجيء إلينا، أنتم قوم لا تجدون في بلادكم من الطعام ما تشبعون منه، فخذوا نعطيكم من الطعام حاجتكم، فإنا قوم مجوس، وإنا نكره قتلكم، إنكم تنجسون علينا أرضنا، فقال المغيرة: والله ما ذاك جاء بنا، ولكنا كنا قوماً نعبد الحجارة والأوثان، فإذا رأينا حجراً أحسن من حجر ألقيناه، وأخذنا غيره، ولا نعرف ربّاً حتى بعث الله إلينا رسولاً من أنفسنا، فدعانا إلى الإسلام فاتبعناه، ولم نجئ للطعام، إنا أمرنا بقتال عدونا ممن ترك

الإسلام، ولم نجئ للطعام، ولكنا جئنا لنقتل مقاتلتكم، ونسبي ذراريكم، وأما ما ذكرت من الطعام، فإنا لعمري ما نجد من الطعام ما نشبع منه، وربما لم نجد رياً من الماء أحياناً، فجئنا إلى أرضكم هذه فوجدنا فيها طعاماً كثيراً وماء كثيراً، فوالله لا نبرحها حتى تكون لنا أو لكم، فقال العلج بالفارسية: صدق، قال: وأنت تفقأ عينك، ففقئت عينه من الغد، أصابته نشابة[١].

يقولون: إن يزدجرد قدّم إليه هدية كما هو العادة في ترحيب الوفود، ولكنه أراد إهانة الوفد، فأعطاهم وقراً من تراب، وتفاءل المسلمون بذلك، فقالوا: نفتح بلاده، فإنه هو الذي قدّم إلينا تراب بلاده، وبعد ذلك نشر سعد بن أبي وقاص بعوثاً وسرايا في أطراف بلاده وأكنانه ليشنوا الغارة على نواحي بلاد العجم وينهبونها الغنائم.

والقصة تبيّن توجُّه رستم مع قوته وأبهته التامة إلى عسكر الإسلام، وبنى جسراً على النهر وعبره، وعيّنَ يزدجرد على كلِّ ناحية رجلاً يبلّغه خبر رستم بأسرع ما يمكن، وكان سعدٌ مصاباً بالدماميل والبثرات، فكان لا يستطيع أن يركب ويخوض المعركة بين الصفوف، فجلس على قصر مرتفع، وأحضر جماعةً من الركبان والراجلين تحت قصره لإيصال توجيهاته وأوامره إلى قادة الجيش، ودعا سعد قادة الجيش إلى مجلسه، وأوصاهم نصائح غالية بليغة، وذكّرهم بوعد الله الذي وعدهم لفتح فارس، وقال لهم: إنْ قاتلتم بمهجكم وأرواحكم في سبيل الله جمعَ اللهُ لكم خيرَي الدنيا والآخرة، وإن جبنتم تذهب ريحُكم ظاهراً ومعنىً، وأمر أميرَ كلّ قوم أن يحثَّ قومه بهذه الكلمات، وحرّض الشعراء على قرض أشعارٍ توقد فيهم جمرات الشجاعة، وأمر القرّاء بتلاوة سورة الأنفال،

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥١٠) برقم: (٥٩٠١).

وما إن تلا القرّاء آياتٍ من سورة الأنفال إلّا ونزلت عليهم السكينة، وقال سعد: الزموا مواقفكم حتى تصلّوا الظهر، وهو وقت يُستجابُ فيه الدعاء، وتهبُّ فيه رياحُ النصر، وقال: فإذا صليتم الظهر فإنِّي مكبِّرٌ تكبيرةً، فكبّروا، واستعدّوا للقتال، وإذا كبّرتُ الثانيةَ فتهيؤوا، ولتستتمّ عدّتكم، ثم إذا كبّرتُ الثالثةَ فكبّروا، ولينشّط فرسانكم الناس، ليبرزوا ويطاردوا، فإذا كبّرتُ الرابعةَ فازحفوا جميعاً، حتّى تخالطوا عدوَّكم وقولوا: لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله العلي العظيم.

واستمرّت المعركةُ ثلاثةَ أيام وليلةً، وفي اليوم الرابع جاءهم النصر من الله، وظهر الفرقانُ الأكبر، وسمّي كلُّ يوم من هذه الأيام باسم مناسب له، كـ«يوم أرمات» و«يوم أغواث» و«يوم عماس» و«ليلة الهرير»[1].

❁ [يوم أرمات]:

أما يوم أرمات فقد خرج جميع صناديد العجم بأبّهة عجيبة، مكلّلين بتيجانٍ غالية على رؤوسهم، ومناطقَ ثمينة على خواصرهم، وراكبينَ الخيول العريقة، صافّين صفوفهم، ومعهم رماةٌ قادرون على فيلة، يتبعها الرجّالة لحمايتها، وجعلوهم في مقدمة الجيش.

وأما نهجُ العربِ فسذاجتُهم معروفةٌ، ولكنّهم أتوا بالعجائب بفضل الله ﷻ؛ إذ برز غالبُ بن عبد الله الأسدي وعاصم بن عمرو التميمي أولاً في ميدان المعركة، فخرج رجلٌ من رؤساء العجم يقال له: الهرمزان إلى غالب بن عبد الله، وآخر إلى عاصم بن عمرو، فطعن غالب

(١) هذه الأيام الأربعة كلها وقعت في سنة أربع عشرة من الهجرة. انظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٤١٥ ـ ٤١٩).

الهرمزان، وألقاه على الأرض، وأسره، وأتى به سعداً، وهجم عاصم على عدوه، فهرب منه، إذ علم أنّه ليس بكفؤ له، فطارده عاصم، واتبعه حتى إذا خالط صفّهم التقى بفارس آخر، معه بغله، فاستاقه عاصم وبغله ورحله، فأعطاه سعد إياه وبغله.

وبرز ثانياً رجلٌ من العجم لا يخطئ رميته، فبارز عمرو بن معديكرب، فرماه عمرو بنشّابة، فتنكّب بها، وسقط على الأرض، فأسرع إليه عمرو، وضرب عنقه، وأخذ منطقته الغالية، ورحله الثمين.

ثم برز ثالثاً مهران حاكم أذربيجان راكباً فرساً سريعاً وهو يقول: اليوم ندقّ العرب دقاً كما قال رستم، فالتفت إليه رجل ممّن يليه وقال: «إن شاء الله»، فقال: «إن شاء الله أو لم يشأ» فطعنه منذر بن حسان الضبي في جنبه أثناء القتال، فسقط على الأرض، فأراد منذرٌ أن يضربَ عنقه، فترجّل، لكن انذعر فرسه، فتشاغل فيه، فخرج جرير بن عبد الله البجلي من ميمنة الجنود، وأسرع إليه، وقتله، فلما رأى المنذر صريعه قد قُتل، أراد أن يأخذ سلبه، فرفعت هذه القضية إلى سعد، فأعطاه منطقته، وأعطى جريراً سلبه الباقي، وكان ثمن منطقته ثلاثين ألفاً، وثمن باقي سلبه عشرة آلاف.

ولمّا رأى العجمُ كلّ ذلك وجّهوا فيلتهم، وحمل أصحابُ الفيلة على المسلمين، وفرّقوا جنودهم، وكان الهجومُ مركّزاً على استئصال قوم بَجِيلة، إذ كان جرير بجلي قد قتل مهران، ودارت رحى الحرب على بَجِيلة، وكادوا أن يهلكوا، فأمر سعدُ طُليحة الأسدي أن يسرع إليهم بقومه، وينصرهم، فلمّا أتاهم خرج إليه عظيم من عظماء العجم للمبارزة، فما لبث طليحةُ أن طعنه برمحه، وقتله، ثم أقبل مع قومه على أصحاب الفيلة، ورموهم رمياً، فهرب أكثرهم، وقال الأشعث بن قيس

الكندي: يا معشرَ كندة! للهِ دَرُّ بني أسد، أيّ فري يفرون، وأنتم تنتظرون، وعلى الرُّكب جثاةٌ تنظرون، فتحوّل موقف كندة من الدفاع إلى الهجوم، فأزالوا مَنْ أمامهم من المجوس، وردّوهم إلى الوراء.

وبعد ذلك هجم على المسلمين الجالينوس وذو الحاجب، وهما قائدان من قادة الفرس بجنودهما وفيلتهما، والمسلمون كانوا ينتظرون التكبيرة الرابعة من سعد، فكبَّر سعدٌ الرابعة، فزحف المسلمون جميعاً، وهجموا على الأعاجم قائلين: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، ورحى الحرب تدور على أسد وبَجِيلة وكِنْدة، فاستشهد كثير منهم، وأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو التميمي رسولاً وقال: أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟ فأمر عاصم رماة من تميم وأسد، فرموها، وأخذوا بأذنابها، وقطعوا وُضُنها، فلمّا قطعت وضنها سقط ركبانها، وهرب الأعداءُ إلى مواقفهم، واشتغل سعدٌ بدفن الشهداء، ونقل الجرحى إلى النساء، لتمريضهم، والقيام على علاجهم.

۞ [يوم أغواث]:

كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي عبيدة أمير الأمراء وهو في الشام أن يرتّب جيشاً ويبعثه مدداً لسعد في القادسية تحت إمرة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، من حسن الحظ أنَّ القعقاع بن عمرو، وكان على مقدّمة جيش هاشم بن عتبة أتى إلى ميدان القتال بألف وخمس مائة مقاتل صبيحة يوم أغواث، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطّعوا أعشاراً، ويدخلوا في جيش الإسلام تباعاً، كلّما دخل عشرةٌ في استعداد تام، تبعتها عشرة أخرى كذلك، حتى يدخلوا جميعاً، فلمّا رأى المسلمون أمدادهم تشجّعوا، ونشطوا في قتال أعدائهم.

ودخل القعقاع بن عمرو ـ الذي كان رئيساً للكتيبة الأولى ـ في

جيش الإسلام، وحرّض المسلمين على قتال الكفار، ونادى: مَنْ يبارز؟ فخرج إليه ذو الحاجب، ولمّا علم القعقاع بذي الحاجب نادى: يا لثأرات أصحاب الجسر، إذ إنّ ذا الحاجب هو الذي أصاب المسلمين يوم الجسر، فاجتلدا، وما لبث أن قتله القعقاع، ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه رجلان، أحدهما البندوان والآخر الفَيْرُزان، وقد كان انضم إلى القعقاع الحارث بن ظبيان، فبارز القعقاع الفَيرزان، فضربه، فأذرى رأسه، وبارز ابن ظبيان البندوان، فضربه، فأذرى رأسه، وأوقع كل ذلك جنود كسرى في حيرة واضطراب وتشتّت وانهزام.

وذكر الرواة: أنّ القعقاع حمل يومئذٍ ثلاثينَ حملة على عسكر الكفّار، كلّما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها، وفي ذلك الوقت قام بعض أذكياء المسلمين بتهيئة الإبل، وألبسوها جلالاً واسعة لتظهر في مظهر مُخيفٍ ينفّر خيولَ العجم، فألبسوها وجلّلوها، ووضعوا لها البراقع في وجوهها، وهجموا بها على خيول الفرس، ففعلوا بهم كما فعلوا بالمسلمين يوم أرماث، ولقي الفرسُ من الإبل أعظم مما لقي المسلمون من الفيلة.

وقاتل الفريقان أشدَّ القتال حتى انتصف النهار، فتوقّفا قليلاً، ثم حَمِيَ وطيس المعركة بعد صلاة الظهر.

وذكر الرواة: أنّ أبا مِحْجَن الثقفي قد كان حبسه سعد في قَصْرِه لشرب خمر[1]، ولمّا رأى أبو محجن شِدّةَ القتال جاشت غيرته

(١) هكذا ذكر الواقدي، ومنه أخذ المؤرّخون، ولكنْ كُتُبَ التاريخ الموثوق بها لم تذكر شربه الخمر، بل ذكرت أشعاره التي يتغنّى فيها بالخمر، وهي:

إذا متُّ فادفُنّني إلى جَنْبِ كَرْمَةٍ ... تُرَوّي عظامِي بَعْدَ مَوْتي عُرُوْقُها

ولا تَدْفُنَّنِي في الفَلاةِ فَإنَّنِي ... أخافُ إذا ما مِتُّ أَنْ لا أذوقَها =

الإسلامية، وأتى إلى أُمِّ ولد سعد وقال لها: هل لكِ إلى خيرٍ؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلِّين عني وتعيرينني البلقاء؟ فللّه عليّ إنْ سلّمني الله أن أرجعَ إليكِ حتّى أضعَ رجليَّ في قيدي، ففعلت، وأطلقته، فأسرع إلى ساحة القتال، وحمل على الأعاجم حملةً شديدةً، وجعل يقصِفُ الأعداء قصفاً منكراً، فتعجّبَ الناسُ منه كثيراً، حتى ظنَّ بعضُهم أنّه الخضر يشهد الحروبَ مدداً للمسلمين، وقال بعضُهم: إنّه مَلَكٌ نزل مدداً لهم.

ولما ظهر على سعد حالُ أبي محجن الثقفي قال له: اذهب، فما أنا أحبسك، فقال له أبو محجن: لا جرم، واللهِ لا أقربُ هذا القبيحَ أبداً[1].

❁ [يوم عِمَاس]:

أمر القعقاع أصحابه بأن يزحفوا سِرّاً، ويقدموا في النهار تباعاً على عشرة فِرَق، حتّى يظنَّ الناسُ أنْ جاءهم هاشم وجنوده مدداً لهم، ففعلوا، وكان من فضل الله على المسلمين أنّه ما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم بن عتبة وجنوده، واتخذ هاشمٌ أيضاً هذا التخطيط، فصنع بتفريق جيشه كما صنع القعقاع بن عمرو، فتضاعفت طمأنينةُ المسلمين، وقال هاشم وأصحابه: أول القتال المطاردةُ، ثم المراماةُ، ثم المطاعنةُ، ثم الهجومُ العام، ثم المصارعةُ وحمل هاشم مع أصحابه على ميمنة العجم، وفرّقوا صفوفها، ودخلوا فيها.

= وذكر الطبري: أنَّ سلمى لما قالت له: يا أبا مِحْجَن! في أيِّ شيءٍ حبسك هذا الرجلُ؟ قال: أما واللهِ، ما حبسني بحرامٍ أكلتُه ولا شربتُه، ولكنِّي كنتُ صاحِبَ شرابٍ في الجاهلية، وأنا امرؤ شاعرٌ، يدبُّ الشعرُ على لساني، يبعثه على شفتي أحياناً فيُساءُ لذلك ثنائي، ولذلك حبسني، «تاريخ الطبري» (٢/٤١٦).

(١) وفي «تاريخ الطبري»: واللهِ لا أجيبُ لساني إلى صفةِ قبيحٍ أبداً.

وقام عمرو بن معديكرب يحثُّ أصحابه على القتال، وحمل معهم على قلب جيش الكفار، وقتل كثيراً منهم، وحمل عليه فرسان الفرس فجأة حتى طار غبار شديد، وستر عمرو بن معديكرب وقتل فرسه، فأخذ عمرو برِجْل فرسِ رَجُلٍ من أهل فارس، فحرّكه الفارسي، فاضطرب الفرس، فنزل عنه الفارسي، وتمكن عمرو من لجامه فركبه، وخرج من جنود الكفار سالماً.

وفي ذلك الوقت خرج رجل من العجم يعدو على فرسه، حتى إذا كان بين الصفين نادى: من يبارز؟ فخرج رجل من المسلمين ضعيف قصير القامة صغير الجثة، فضربه العجمي، وأسقطه من الفرس، ونزل هو عن فرسه أيضاً، وجلس على صدره ليقتله، إذ جاءه نصر من الله، فحاص الفرس حيصة، وهو مشدود بخاصرته، فلما حاص فرسه جذب العجميَّ من صدره، فقام المسلم، وأسرع إليه بسيفه وقتله، ولما شاهد المسلمون هذه الكرامة دخلت الطمأنينةُ في قلوبهم، ونشطوا في قتال أعدائهم.

ولمّا رأى الكفّار هذه الأحوال على هذا المنوال عبّؤوا الأبطال وأفيالهم من جديد، وجعلوا جنودَهم فرقتين، وأخرجوا فيلتهم، وقاتلوا المسلمين، وقدّموا الفيل الأبيض في الفرقة الأولى، وكانت بإزاء القعقاع بن عمرو وعاصم، وقدّموا في الثانية الفيل الأجرب، قد واجهت هذه الجماعة جمال بن مالك الأسدي، فتوجّه القعقاع وعاصم بأمر سعد رافعين رمحيهما إلى الفيل الأبيض، وجمالُ بن مالك الأسدي إلى الفيل الأجرب مع صاحبه الآخر، وانضم إلى كل واحد منهما جماعة، ورموا ركبان الفيلة، وفرقوهم، وأطعن الفُرسان الأربعُ في عيون الفيلين،

الأبيض والأجرب، فولّى الفيلان رافعين أصواتهما، وهاربين إلى عسكر الكفّار، فتفرّق الجيشُ، وانقشعت في لحظة هذه السحابة السوداء تماماً، فكبّر المسلمون، واشتغلوا بالحرب والضرب، وحمي وطيس المعركة إلى الليل.

۞ [ليلة الهرير]:

وأوقد الفريقان بعد العشاء النار، وكان القتالُ في تلك الليلة أكثر شدةً وعنفاً ممّا سبق، ولكن الله ألقى في قلوب المسلمين صبراً عظيماً، واجتلد الفريقان، وارتفعت أصواتُ الناسِ حتّى لا يُسْمَعُ صوتُ سعدٍ ولا صوت رستم، وقامت الحرب على ساق حتى الصباح.

وفي نصف الليل أقبل سعدٌ على الدعاء، وتضرّع إلى الله ﷻ، وأُلهِم سعد من الغيب أنّهم الأعلون، وأنّ الغلبة لهم، وبشّر سعد المسلمين بهذا على الصباح، وحثّهم على الثبات والصبر، ودخلت قلوبهم السكينة، وأخذت نصيحةُ سعد من قلوب المسلمين أحسنَ مأخذ، وجعلت تهبُّ ريح النصر الرباني، وتنزّلت رحمةُ الله في الظهيرة، وكان المسلمون يرمون السهام إلى أعدائهم وهي تصل إليهم ولا تخطئهم، أما ما يرمي الكفار من السهام إلى المسلمين فهي تخطئهم وتذهب سدىً، وأصاب المسلمون إبلاً وخيلاً كثيراً، واستمرّوا في القتال حتى بلغوا رستماً، فقطع هلالُ بن علقمة رأسَ رستم، وعلّقه على الرمح ونادى: ألا إنّي قتلت رستماً، فلمّا سمع العجمُ هذا الخبر، وتحقق لهم قتلُ رستم رجعوا مغلوبين ومخذولين إلى نهاوند، وتعقّبهم المسلمون وطاردوهم، فقتل منهم عددٌ كثير لا يمكن إحصاؤه، ولما أُتي بجسد رستم إلى سعد شكر الله تعالى لرؤية هذه الكرامة، ثم فتح

المسلمون حِصْنَ القادسية[١].

واجتمعت فلول المنهزمين وهم ثلاثون ألفاً في مكان، فبعث لهم سعد جنداً من المسلمين ففرّقهم، وكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رسالةً يخبره بالفتح، ففرح عمر والمسلمون جميعاً، وحمدوا الله تعالى، وبعد هبوب نسيم الفتح في قلعة القادسية وعند تفريق اجتماع الكفار بلغ عدد القتلى في هذه المعركة مائة ألف من الكفّار، واستشهد من المسلمين عشرة آلاف وخمس مائة قبل ليلة الهرير، وقد بلغ ستة آلاف من المسلمين إلى الدرجة العليا من الشهادة عند فتح قلعة القادسية، ثم بعث سعدٌ بِخُمْسِ الغنائم إلى دار الخلافة، وقسّم البقية على المجاهدين.

❁ [فتح المدائن]:

ولمّا اطمأنّ المسلمون المجاهدون، وأخذوا من الراحة نصيبهم أمر عمر بن الخطاب سعداً بالتوجّه إلى فتح المدائن[٢]، فجهّز سعدٌ جيشاً، وتوّجه نحو المدائن، وفتح بعض البلاد المجاورة عنوةً، وبعضها صلحاً أثناء ذلك، وكانت طائفة تقطنُ في بابل فتفرقت بعد المحاربة، وكان مع سعدٍ ستون ألف فارس.

فلمّا سمعَ يزدجرد بتوجّه سعد إلى المدائن أجمع على قتاله، ولكنّه لم يؤمّر أحداً على جنده إلا وكان يأبى ذلك خوفاً من سعد، فاضطر إلى أن يسكن جانب الشرق من دجلة، وترك جانب الغرب لسعد، وقطع الجسر، وضمّ السفن إليه، واقتحم المسلمون دجلة متوكّلين على الله،

---

(١) وقعت غزوة القادسية يوم الاثنين من المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة، وكانت وقعة القادسية وقعةً عظيمةً لم يكن بالعراق أعجبُ منها. انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٦١٨ و٦٢٩).

(٢) كان فتح المدائن في سنة ست عشرة من الهجرة، «البداية والنهاية» (١٠/ ٨).

وركبوا اللجةَ الزاخرةَ، وعبروها، لم يفقدوا شيئاً، ولم يغرق منهم أحدٌ، وهرب يزدجرد بأغلى متاعه وخفيفه قاصداً حلوان، وبعث سعد القعقاع لمطاردته، وأمّر عمرو بن مقرن على جمع الغنائم، وقد ذكر المؤرِّخون ما أصاب المسلمون من غنائم المدائن، وما أصاب القعقاع في منزل يزدجرد، بِبَسْطٍ وتفصيل، يتعذّر إحصاؤه هنا.

وبالجملة: فإنَّ جنود الأعاجم عند ما انهزمت، وتمزّق شملُها نزل ملكهم يزدجرد بحلوان، واجتمع جندٌ عظيم من العجم في مدينة جلولاء بقيادة مهران الرازي، وتعاهدوا أنْ لا يهربَ منهم أحد، وانضمت إليهم فلول المنهزمين، وأخبر سعد أميرَ المؤمنين عمر رضي الله عنه بذلك، فأمر الفاروق رضي الله عنه ببعث اثني عشر ألفاً من المجاهدين إلى جلولاء بقيادة هاشم بن عتبة.

وخلاصة القول: إن المسلمين قاتلوا الفرس وجنود العجم ثمانين مرة، وأخيراً انهزم الكفار، ووصلت إلى أيدي المسلمين غنائمُ كثيرة.

ولمّا علم يزدجرد بكلِّ ذلك غادر حلوان، وتوجّه إلى الريّ، وأقام جنداً في حلوان، وكتب هاشم إلى سعد يخبره بذلك، فكتب إليه سعد أن لا يألو جهداً في فتح حلوان، ولم تمضِ أيامٌ حتى فُتِحَتْ حلوان(١).

۞ [طلب عمر سعد بن أبي وقاص وتحشيد يزدجر الجنود]:

ثم طلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص إليه سنة عشرين، وذلك لأنّ بعض الناس اشتكى إلى عمر في أمر سعد، فخاف أن يَحْدُثَ اختلافٌ بين الناس فيه، ولمّا علم يزدجرد بذلك، انتهز الفرصة، وحثَّ الناس على قتال المسلمين، فاجتمع عنده جمعٌ عظيم من

(١) كان فتح حلوان سنة ست عشرة من الهجرة، «البداية والنهاية» (١٠/ ٢٥).

أهل الرَّي، وخراسان، وهمذان، ونهاوند، وذكر الرواة: أنه قد تحشّد له مائة وخمسون ألف مقاتل، وأمرهم يزدجرد أن يتوجّهوا إلى العراق، وأمّر عليهم الفَيْرُزان.

۞ [تأمير النعمان بن مقرن والقضاء على الدولة الساسانية]:

ولمّا بلغ ذلك عمر، أمر النعمان بن مقرن بتعبئة الجيش للاستعجال لقيام الحرب معهم، وأرسل إلى جيوش الكوفة أن يتبعوا أوامره، وقال عمر ـ عند تولية النعمان ـ: إن استشهد النعمانُ، فعلى الناس حذيفةُ بنُ اليمان.

وبالجملة: لمّا تقدّم النعمان بجيشه حال بينه وبين أعدائه وادي ذو خطر، أمامه حسك شائك يتعسر اجتيازه، وبعث النعمان المغيرة بن شعبة إلى الفَيْرُزان قائد الفرس أولاً، ليدعوه إلى الإسلام، فلمّا دعاه أبى، واسترسل في كلامه، فرجع المُغيرة، ورأى المسلمون أن يتقهقروا قليلاً بناء على أنّ الحرب خَدعة، ليعتقِدَ الفرسُ أنّ المسلمين جعلوا يهربون ويتراجعون ضعفاً، فخرج الفرسُ من حصونهم، وجاوزوا الحسك الشائك، ليطاردوا المسلمين على زعمهم، ففاجأهم المسلمون، ووضعوا السيوف فيهم، وقد كان النعمان بن مقرن دعا الله ﷻ الشهادة في سبيله، فنالها، وانتصر المسلمون، وانهزم الفرس، وهرب الفَيْرُزان، فتبعه القعقاع، ولحقه، وقضى عليه، وأصاب المسلمون سبايا كثيرة وغنائم عظيمة، وتسمّى هذه المعركة فتح الفتوح[1]، إذ لم يكن للفرسِ بعدَها

(١) كانت وقعة نَهاونْد وفتحُها في سنة إحدى وعشرين على المشهور، وهي وقعة عظيمة جدّاً، لها شأن رفيع ونبأ عجيب، وكان المسلمون يسمّونها فتح الفتوح، قال ابن إسحاق والواقدي: كانت وقعة نهاوند في سنة إحدى وعشرين، وقال سيف: كانت في سنة سبع عشرة، وقيل: في سنة تسع عشرة، والله أعلم، «البداية والنهاية» (١٠/ ١١١).

اجتماع وتحشّد، وملك المسلمون بلادهم، وانقرضت الدولة الساسانية بكاملها، والحمد لله رب العالمين.

هذه خلاصةُ ما ذكره المؤرِّخون من فتوح العراق وحوادثها الهامة.

[زوال الدولة البيزنطية الرومية من بلاد الشام]:

وأمّا زوال الدولة البيزنطية الرومية في الشام فقد تمَّ في عهد عمر رضي الله عنه عند ما فُتحت دمشق، وعيّن أبو عبيدة رضي الله عنه أمراء الإسلام لفتح بلاد الشام، وفتح أكثرَ البلاد المجاورة لدمشق على يد يزيد بن أبي سفيان، ومعاوية، كما فُتحت بيسان على يد شرحبيل بن حسنة، وطبرية على يد أبي الأعور صلحاً، وفتح خالد بن الوليد بعلبك عنوةً، ثم توجّه أبو عبيدة وخالد إلى حمص التي كانت معسكراً لهرقل، فبعث هرقل قائداً من قوّاده يسمّى توذر بجيش عظيم لقتالهما، وبعث قائداً آخر يقال له: سنش مدداً له، وعبّأ أبو عبيدة جيشاً بإزاء سنش، وهيأ خالد جنداً بإزاء توذر، ثم بدا لتوذر أن يترك سنش على القتال وحده، ويتوجّه هو إلى دمشق وما حولها من البلدان التي فتحها المسلمون لإخراج المسلمين منها، فلما رحل إلى دمشق خرج لقتاله يزيد بن أبي سفيان، واشتبك معه، وما إن تمّ الاصطدام حتى أسرع إليه خالد بن الوليد، وضرب جيش توذر من الخلف، فحاصرهم المسلمون، وقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم، وهرب منهم جماعة، فتبعها المسلمون وقتلوها، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة، وقاتلا جنود سنش، فانهزمت شرَّ هزيمة.

[وقعة حمص]:

ثم توجه المسلمون إلى حمص[١]، وأمّر عليها هرقل بِطْرِيقاً

---

(١) كانت وقعة حمص الأولى في سنة خمس عشرة من الهجرة، «البداية والنهاية» (٩/ ٦٤٩).

للحفاظ عليها، وجعل «الرها» مقرّ عسكره، وبعث جُنداً من أهل الجزائر مدداً لجنود حمص.

ومن حُسن حظ المسلمين أنّ جماعة ممن بعثهم سعد بعد القادسية إلى بلاد مختلفة لفتحها وجمع غنائمها، وصلت إلى الجزائر، ولمّا علم بذلك جيش هرقل الذي كان بعثه لإمداد أهل حمص، فترت عزائمه، ودخل في قلوبهم الجزع والجبن، فانصرف عن مدد البطريق، وغادر حمص، ولم يصل المسلمون إلى حمص لشدّة البرد، فلما انسلخ فصل الشتاء أجمعوا على فتحها، ويقال: إنّ عسكر الإسلام لما كبّروا بالكلمة الطيبة: «الله أكبر» ارتجت منها مدينة حمص، وانهدمت بيوت أهل حمص، ثم لمّا كبّروا مرّةً أُخرى وقع زلزال شديد أشد من الأول.

وبالجملة دخل رعبٌ عظيم في قلوبهم من هذه الحادثة، فصالحوا المسلمين، وأعطوا الجزية، وأدّى أبو عبيدة بخمس الجزية إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأسكن في حمص جماعة من القبائل ممن أسلموا فيها.

❁ [فتح اللاذقية وقنسرين وحلب[١]]:

وكتب عمر إلى أبي عبيدة: أن تجمع أهل النجدة من نواحي الشام وإني سوف أرسل إليكم بعوثاً وسرايا فعليكم أن تستعدّوا لفتح ما بقي من البلاد، فتوجّه أبو عبيدة إلى الجهاد، وفتح البلاد، وأمّر على حمص

(١) كان فتح اللاذقية في سنة خمس عشرة من الهجرة، وكان لها باب عظيم يفتحه جمعٌ من الناس، وكانت وقعة قنسرين في السنة المذكورة أيضاً، وصالح عمرو بن العاص أهل حلب وأنطاكية على الجزية في سنة ست عشرة من الهجرة، وفتح سائر بلاد قنسرين عنوةً. انظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٤٢٤)، و«البداية والنهاية» (٩/ ٦٥٠ و١٠/ ٣٠).

عبادة بن الصامت، وتقدّم يفتح بلداً بعد بلد حتّى وصل إلى اللاذقية، فوجد بابها محكماً منيعاً، لا يمكن فتحه ولا كسره، فحسب قول: الحرب خدعة قرّر القيام بعسكره على أرض بعيدة من المدينة، وحفر خندقاً حول الجيش، ثم أنزل جيشاً مجنداً متوارياً في الخندق وارتحل منها، فلمّا علم أهل اللاذقية بارتحال جنود المسلمين، ورأوا المعسكر خالياً من الجنود، فتحوا الباب، فخرج الأبطال المسلمون من الخندق بغتةً، واقتحموا الباب، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى صالحَ أهلها المسلمين.

ثم توجّه خالد بن الوليد إلى قنّسرين، وعليها رجل من الروم، يقال له: ميناس، فقاتله قتالاً شديداً، وقتل ميناس مع جماعته، فحاصرها المسلمون وفتحت صلحاً.

۞ [فتح قيسارية وأجنادين(١)]:

ثم بعث أبو عبيدة جنوداً متفرّقة في أطراف حلب، ففُتِحت صلحاً، وصالح أهلُ أنطاكية المسلمين بعد القتال، وأسكنَ أبو عبيدة جماعةً عظيمةً من المسلمين فيها، ويئس هرقلُ من الشام، وتوجّه إلى القسطنطينية، وعمل للدفاع عن البلاد المجاورة للقسطنطينية، منها قيسارية وأجنادين، فكتب الفاروقُ ﷺ إلى أبي عبيدة: أن يبعثَ معاويةَ مع خمسة آلاف راكب إلى قيسارية، وعمرَو بن العاص إلى أجنادين، وكان حاكمُ أجنادين أرطبونَ، والأرطبون: هو الفطِن الذكي الداهية بلغة

(١) فتحت قيسارية وأجنادين في سنة خمس عشرة من الهجرة، «البداية والنهاية» (٩/ ٦٥٢ و٦٥٣)، وقيسارية تقع على ساحل بحر الشام، وتعدّ ضمن مناطق فلسطين، هي اليوم منطقة خربة، لكنّها كانت آنذاك من أشهر المدن، وكما يقول البلاذري: كان فيها ثلاث مائة سوق، «الفاروق» (ص١٦٢).

الروم، فقال الفاروق رضي الله عنه: رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، وبلغ معاويةُ قيسارية بفضل من الله، وهزم خمسين ألف مقاتل أو أكثر، وطارد عمرو بن العاص أرطبون الروم، فهرب إلى بيت المقدس.

ولمّا رأى هرقلُ أنّ المسلمين ما زالوا يتقدمون، وينتصرون، ويطاردونه من أرضه، اختار ثلاثة نفر من رؤسائه، وأعطاهم مالاً كثيراً، وأعدَّ جمعاً عظيماً لقتال المسلمين بقيادة ماهان، فلمّا بلغ الخبر أبا عبيدة جمع أمراء المسلمين، وشاورهم في مقدمات الحرب، وبعث رسولاً إلى عمر، يخبره ويستشيره في ذلك، واتفقوا على إخراج قبائل المسلمين من حمص وإيصالهم إلى دمشق، فإنّ أهل حمص لا يؤمن عليهم، فكتب إليه عمر بما يقوّي عزائمه، وبعث ثلاثة آلاف مقاتل مدداً له.

• أخرج **مالك**[1] عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم، وما يتخوّف من أمرهم، فكتب إليه عمر: أمّا بعدُ! فإنّه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجاً، وإنّه لن يغلبَ عسرٌ يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران].

ولم يرضَ عمرُ رضي الله عنه بخروج المسلمين من حمص وتركها خالية منهم، وقال: إن لم ير المسلمون في ذلك إلّا هذا الرأي، فسوف لا يضرهم، إن شاء الله.

وبالجملة التقى الفريقان على ساحل اليرموك، ووقعَ قتالٌ شديد، لا يقدر القلم على شرحه وبيانه، وقاتل خالد بن الوليد قتالاً شديداً حتّى

---

(١) «موطأ مالك» رقم: (٨٥٤).

انكسرت سبعةُ أسياف في يديه، وبعد مجاهدة طويلة وقتال عظيم انتصر المسلمون، ووضعوا السيوف في الهاربين.

وذكر المؤرِّخون أنَّ عدد القتلى بلغ سبعين ألفاً، وأصاب المسلمون سبياً كثيراً وغنائمَ لا تحصى، وأرسل خُمسَ الغنائم إلى دار الخلافة، وقسم البقيّة على المجاهدين.

❁ [حصار بيت المقدس]:

ولما هرب أرطبون الروم إلى بيت المقدس ولاذ به تبعه عمرو بن العاص وحاصره، وفي أثناء ذلك بعث عمرو بن العاص رجلاً كان يتكلّم الرومية، وأمره أن يغرب ويتنكر، ولا يخبر أحداً بمعرفته بالروميةَ، فلمّا جاءه الرسول سمعه يقول: إنّ فتح القدس لن يتمّ على يد عمرو بن العاص، وأنّه ليس بصاحبها، فسأله القوم، مِنْ أينَ علمتَ أنّه ليس بصاحبها؟ قال: صاحبُها رجلٌ في اسمه ثلاثة أحرف، وهو من الأربعة الذين يتمُّ الفتح على أيديهم، وذكر أرطبون صفات الفاروق رضي الله عنه، فكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر، فسافر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القدس، واهتمّ لذلك اهتماماً عظيماً.

❁ [خروج عمر بن الخطاب لفتح القدس]:

في «تاريخ اليافعي»: نزل عمر رضي الله عنه على بيت المقدس، وكان المسلمون قد حاصروا تلك المدينة المباركة، وطال حصارهم، فقال لهم أهلها: لا تتعبوا، فلن يفتحها إلا رجل نحن نعرفه، له علامة عندنا، فإن كان إمامكم به تلك العلامة سلّمناها له من غير قتال، فأرسل المسلمون إلى عمر يخبرونه بذلك، فركب رضي الله عنه راحلته، وتوجّه إلى بيت المقدس، وكان معه غلام له يعاقِبُه في الركوب نوبةً بنوبةٍ، وقد تزود شعيراً وتمراً

وزيتاً، وعليه مرقعةٌ، لم يزل يطوي القفار الليلَ والنهارَ إلى أن قرب من بيت المقدس، فتلقّاه المسلمون، وقالوا له: ما ينبغي أن يرى المشركون أميرَ المؤمنين في هذه الهيئة، ولم يزالوا به حتى ألبسوه لباساً غيرها، وأركبوه فرساً، فلمّا ركبَ وجدّ به الفرس، داخله شيءٌ من العجب، فنـزل عن الفرس، ونزعَ اللباس ولبس المرقعة، وقال: أقيلوني، ثم سار في هذه الهيئة إلى أن وصل، فلمّا رآه المشركون من أهل الكتاب كبّروا، وقالوا: هذا هو، وفتحوا له الباب[١].

وبالجملة: فإنّ عمرَ رضي الله عنه كتب إلى عمّاله في الشام أن يستخلفوا على أعمالهم مَنْ يثق بهم، ويوافوه بالجابية، وهي تبعد عن القدس قدر خمسة منازل، فكان أوّلَ من وصل إلى الجابية أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان، ثم جاء أمراءُ الأجناد واحداً تِلْوَ الآخر، ليسعدوا بلقاء أمير المؤمنين، وتوجّه عمر إلى بيت المقدس، وهرب أرطبون إلى مصر، ودخل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بيت المقدس بقدومه الميمون[٢]، وأعلن عن شعائر الإسلام.

❁ [فتح حمص]:

وفي السنة السابعة عشر انضمّ هرقل إلى أهل الجزائر، وضمّ إليه جماعةٌ ممن لم يسلموا عن طواعيتهم ورضاهم، وأعدّ جيشاً فيه نحو مائة ألف راكب، وتوجّه إلى الشام، أولاً قصد حمص، فإنّها دار الحكومة، وأخبر أبو عبيدة بذلك عمر رضي الله عنه، فأمر عمر رضي الله عنه جميع عمّال بلاد الإسلام ببعث جيش من كلِّ بلدة إلى أبي عبيدة مدداً له، وكتب إلى

(١) انظر: «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان» (١/ ٣٣).

(٢) فتح بيت المقدس سنة خمس عشرة من الهجرة، وقيل: سنة ست عشرة في ربيع الأول، «الكامل في التاريخ» (١/ ٤٢٧).

سعد بن أبي وقاص ببعث القعقاع بن عمرو مع أربعة آلاف راكب مدداً له، وأرسل إلى أبي عبيدة يأمره بالإقامة في حمص، وأن لا يتقدّم على القتال، وخرج أمير المؤمنين عمر ﷺ من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة، حتى نزل الجابية، ولم ينتظر خالد بن الوليد الأمداد، وراح إلى أبي عبيدة وأصرّ عليه في الخروج إليهم وقتالهم، واستقرّ الرأي على القتال، فوقع احتدام شديد بين الفريقين قبل قدوم أمداد المسلمين، وافتتح المسلمون بفضل الله حمص، وانتصروا، وانهزم الكفار، وأصاب المسلمون سبايا وغنائم كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى، وصارت مملكةُ الشام لأبي عبيدة خاليةً من الخطر، ولكنّ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لم يعجبه رأي خالد بن الوليد في قتال الكفار قبل قدوم أمداد المسلمين؛ إذ كان فيه شِبْهُ ضنٍّ بالغنائم والسبايا، وشيء من الإعجاب بنفسه، لذلك عزله(١).

❁ [فتح مصر والإسكندرية(٢)]:

وكان أرطبون إذ ذاك يحثّ أهل الشام على قتال المسلمين متحصّناً في مصر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص بالتوجّه إلى مصر، ومطاردة أرطبون، فتوجّه عمرو بن العاص إلى مصر امتثالاً لأمره، وقاتل أرطبون قتالاً شديداً، حتى قتله مع أكثر رؤساء جيشه، ثم توجه إلى الإسكندرية، وفتحها صلحاً.

---

(١) انظر: «الإصابة» في أحوال خالد بن الوليد، و«الفاروق» (ص١٥٧)، و«كتاب الخراج»، لأبي يوسف (ص٨٧). قلت: عزل عمر خالداً قبل معركة فحل وبعد وفاة أبي بكر سنة ١٣هـ.

(٢) قال سيف: فتحت مصر في ربيع الأول من سنة ست عشرة، وقال غيره: فتحت مصر في سنة عشرين، وفتحت الإسكندرية في سنة خمس وعشرين بعد محاصرة ثلاثة أشهر عنوةً، وقيل: صلحاً على اثني عشر ألف دينار. «البداية والنهاية» (١٠/ ٩٤).

واستمرّ المسلمون يفتحون بلاد الكفار يوماً فيوماً، وزالت دولة الروم في الشام، والحمد لله رب العالمين، هذه خلاصة ما ذكره المؤرِّخون في فتوح الشام.

۞ [البلاد التي فتحت في عهد عمر رضي الله عنه]:

ثم ازداد الإسلام انتشاراً وازدهاراً بفتوح أخرى؛ كفتح الأهواز(١) على يد أبي موسى الأشعري، وفتح أذربيجان(٢) بجهود المغيرة بن شعبة، وفتح نهاوند(٣) صلحاً، وفتح دِينَور وهمذان عنوةً بسعي حذيفة بن اليمان، وفتح طرابلس الغرب(٤) بجهود عمرو بن العاص، وقد بدأت سلسلة فتح خراسان(٥) وأطراف من قسطنطينية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذكرُ كلِّ ذلك يطول.

---

(١) كان فتح الأهواز في سنة سبع عشرة، وقيل: سنة ست عشرة من الهجرة. «البداية والنهاية» (١٠/ ٥١).

(٢) كان فتح أذربيجان في سنة ثنتين وعشرين من الهجرة، قاله ابن إسحاق، يقال: إنه صالحهم على ثمانمائة ألف درهم، وقال أبو عبيدة: فتحها حبيب بن مسلمة الفهري بأهل الشام عنوةً، ومعه أهل الكوفة، فيهم حذيفة، فافتتحها بعد قتالٍ شديدٍ، والله أعلم، «البداية والنهاية» (١٠/ ١٧٠).

(٣) تُسمَّى هذه الوقعة فتح الفتوح، وانقرضت بعدها الدولة الساسانية بكاملها، كما ذكر.

(٤) فتحت الدِّينَوَر وهمذان عنوةً في سنة اثنتين وعشرين من الهجرة، وهمذان لم تكن تفتح قبل ذلك، يقال: افتتحها جرير بن عبد الله بأمر المغيرة، ويقال: افتتحها المغيرة سنة أربع وعشرين، وفتحت طرابلس الغرب في سنة اثنتين وعشرين، ويقال: في السنة التي بعدها. انظر: «البداية والنهاية» (١٠/ ١٧٠، ١٧١).

(٥) كان فتح خراسان في سنة اثنتين وعشرين، وقيل: ثماني عشرة من الهجرة، «الكامل في التاريخ» (١/ ٤٦٣).

❁ [نكتة لطيفة: أراد الله أن يُظهِرَ هذا الدِّين على وجه الأرض فتحققت هذه الإرادةُ بزوال دولتي قيصر وكسرى على يد عمر وانتشر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها]:

من وراء هذه الفتوح العظيمة والاهتمامات العمريّة يدرك العاقل الفطن اللبيب نكتة مهمة، وهي: أنّ الله تبارك وتعالى قد أراد من فوق السماوات، إظهار الدين المحمدي على وجه الأرض، وظهرت هذه الإرادة الربانية فعلاً، وجرت في الأرض كما يجري الماء إلى مجراه، فاقتضت هذه الإرادة زوال دولتي كسرى وقيصر أولاً، حتى يحل هذا الدين المرضي محلّ ديانتيهما، وتنتشر دولة الإسلام في جميع أطراف البلاد، وعندما ظهر هذا الفرقان الأكبر على يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعلاً، فبهذه القوة الغريبة يظهر الدين المحمدي على جميع الأرض.

عن جبير بن حية قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار، يقاتلون المشركين، فأسلم الهرمزان، فقال: إنِّي مستشيرك في مغازيَّ هذه، قال: نعم، مثلُها ومثلُ مَنْ فيها من الناس من عدوِّ المسلمين مثل طائر، له رأسٌ، وله جناحان، وله رجلان، فإن كُسِرَ أحدُ الجناحين، نهضت الرجلان بجناح والرأس، فإن كُسِرَ الجناحُ الآخر نهضت الرجلان والرأس، وإن شُدِخَ الرأسُ، ذهبت الرجلان والجناحان والرأس، فالرأسُ كسرى، والجناحُ قيصر، والجناح الآخر فارس، فَمُرِ المسلمين فلينفروا، أخرجه **البخاري**[(١)].

وما كان سعي عمر رضي الله عنه في هذا الصدد إلا وسيلة لظهور إرادة الله في الأرض، ونعم ما قال الشاعر الفارسي:

(١) «صحيح البخاري» (ح: ٣١٥٩).

اين همه مستي وبيهوشي نه حد باده بود
با حريفان هر چه كرد آن بسيار است

ما معناه: أن هذا الانتعاش والسُّكر الذي يخامِرُ النشوان ليس لمجرّد الخمر، بل إنّه أتى من ورائها النظرة المتعشة التي تراقبه من وراء جدار وخلف ستار، ويدل على ذلك قرائن كثيرة، منها: أنّ دولة كسرى وقيصر وجنودهما المجندة قد زالت وانكسرت بأيدي المسلمين الذين ما كانوا يحملون عدةً ولا عتاداً مثلها، بعد أن استمرّت لأربعة قرون، وكانت توافرت لديها أنواع وألوان من أسلحة الحرب، وآلات القتال، وكان فيهم فرسان وأبطال محنكون، فزوال هذه الدولة القوية بأيدي المسلمين الذين كانوا يحملون معهم أسباباً ساذجة لم يكن إلا حادثة كبرى، ومعجزة عظيمة، لم يتحقّق مثلُها قبل عمر ﷺ في التاريخ الماضي، ولا في المستقبل، لا في أيام الإسكندر ذي القرنين، ولا في عهد تركمان الجنكيزية ولا في أيام التيمورية.

❁ [فتوحات عمر آيةٌ من آيات الله لا يوجد لها نظيرٌ قبله ولا بعده]:

ولا يخفى على مَنْ له إلمامٌ بالتاريخ أنّ رجلاً وإن كان ذا حظ عظيم، وتوافرت لديه كلُّ أنواع الوسائل، وأسباب الفتح، تتوقف فتوحه عند حدٍّ وغايةٍ، لكن الفتوح التي تحققت في زمن عمر بن الخطاب ﷺ لم تعرف لها نهاية، ولا توقفت عند حد، أضف إلى ذلك الفرق الكبير والبون الشاسع الذي يوجد بين المسلمين العرب الذين ما كانوا يعرفون سياسة الحكم وقوانين الدولة وتدريب الجنود وبين دولتي كسرى وقيصر، ولذلك ما كان يخطر في قلوب العرب أن يجترؤوا على قتال جنود كسرى وقيصر قبل ذلك.

وكان عمر رضي الله عنه قد علّم الناس الفروسية، ورتَّب الجيوش، وأزال عن قلوب المسلمين الخوف والذعر من فرسان الأعاجم، والذين قاتلوا من بعده من المسلمين إنّما قاتلوا بجنود محنّكة مدرّبة، أرسى قواعدها، ونظّم أصولها عمر رضي الله عنه في عهده، فشتّان ما بينهما، وكان يأتيه النصر من الله في عهده كما تنزل الأمطارُ من السماء.

• أخرج **الحاكم** عن **حذيفة** رضي الله عنه قال: كان الإسلامُ في زمانِ عمرَ كالرجلِ المُقْبِلِ لا يزدادُ إلا قرباً، فلمّا قُتِلَ عمرُ كان كالرَّجُلِ المُدْبِرِ لا يزدادُ إلا بعداً[(١)].

۞ [بقاء شعائر الإسلام في البلاد التي فُتحت في عهد عمر]:

والقرينة الثانية: أنّ البلاد التي فُتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد راجت فيها الشعائر الإسلامية وعمَّت خلال مدة قليلة، وخالطت أهلَها حلاوةُ الإسلام، واستناروا بنور الإيمان، واصطبغوا بصبغته ظاهراً وباطناً، واستمرّوا عليه إلى يومنا هذا، أمّا البلاد التي فتحت بعده فالإسلامُ يقوى فيها حيناً، ويضعُفُ حيناً آخر، والذين قدم آباؤهم إلى الهند، فأولادُهم هم العمدةُ في الإسلام، أمّا غيرُهم من المسلمين، فإسلامهم ضعيفٌ، وأما حال أهل تركية والحبشة وإفريقية فإسلامهم ضعيفٌ كذلك، وهذا ممّا لا يخفى على من يطلع على دقائق التاريخ.

فالحاصل: أنّ العناية الربانية جعلت جهودَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيلةً لنشر الإسلام، هذا وصفٌ جعله جارحة وواسطة للفيض الرباني، وهذا فضل لعمر رضي الله عنه ليس فوقه فضلٌ.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٩٠) برقم: (٤٤٨٨).

۞ [خصائص فتوحات عمر]:

وإنّ الذين يعرفون سياسة المدن، ويطّلعون على أحوال الملوك وسياستهم، يدركون أنّ عمرَ ﵁ لم يألُ جهداً في رعاية الأمور، وسياسة البلاد، فكأنّ نفسَه كانت مرآة يتجلّى فيها الفيض الرباني، والتجلّي لا يكون أبداً إلا بقدر المتجلّى له، وقد أشار إليه هذا العاجز الفقير في هذا البيت:

كأنبوبٍ لِرَحْمَتِهِ تَعَالى ... وما الأنبوبُ إلّا قَيْسُ ماءِ

ولا يخفى على مَنْ يتصفّح التاريخ أنّ أعداء الإسلام الذين حاربهم عمر ﵁، ما فرّطوا في جمع الجنود، وما أخطأوا في أصول القتال، حتى تُحمَل هزيمتهم عليه، ولكنّ الله تبارك وتعالى قد أزهق الباطل، وكسر شوكته، وأخفق جهود الكفار، وجعلها سدىً على يد عمر بن الخطاب ﵁، «إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل».

وإن أحال جاهلٌ هذه الفتوحَ العظيمةَ إلى الأوضاع الفلكية، فكذلك كل نبي وولي، تُحال جميع أمورهم إلى هذه الأوضاع الفلكية على زعمه، ولا ينقص ذلك من مرتبتهم، فالكلّ يعترف بمنّتهم على العالم.

[قصص من حكومته وسياسته]

والآن نورد لكم أمثلة ونماذج لسياسة عمر بن الخطاب ﵁:

منها: أنّه لمّا تولّى الخلافة كان يتأدّب غاية التأدُّبِ بالنسبة للصدِّيق، حتّى إنّه جلس من المنبر، حيث كان أبو بكر يضعُ قدميه، وكان الناسُ يهابونه أشدّ الهيبة، فألقى أمامَ الناسِ خطبةً بليغةً تشتمل على اللين والمرونة، والملاطفة العامة، حتّى تزولَ هيبتُه عنهم.

• عن **جامع بن شدّاد عن أبيه** قال: أوّلُ كلام تكلَّمَ به عمرُ أنْ قال: «اللَّهُمَّ إنِّي ضعيفٌ فقوِّني، وإنِّي شديدٌ فليِّنِّي، وإنِّي بخيلٌ فَسَخِّني» أخرجه **ابن أبي شيبة**[1].

❁ [مرسومه السياسي]:

• في «**الرياض**»: قال **ابنُ شهاب** وغيره من أهل العلم: أوّلُ ما ابتدأ به عمر من أمره حين جلسَ على المنبر، أنّه جلس حيث كان أبو بكر يضعُ قدميه، وهو أول درجة، ووضع قدميه على الأرض، فقالوا: لو جلستَ حيثُ كان أبو بكر يجلِسُ، قال: حسبي أن يكون مجلسي حيث كانت تكونُ قدما أبي بكر.

• قالوا: وهاب الناسُ عمرَ هيبةً عظيمةً حتى ترك الناسُ المجالس بالأفنية، قالوا: ننتظر ما رأى عمر.

• وقالوا: بلغَ مِنْ أبي بكر أنّ الصبيان كانوا إذا رأوه يسعون إليه، ويقولون: يا أبتِ، فيمسحُ رؤوسهم، وبلغَ من هيبةِ عمرَ أنَّ الرجال تفرّقوا من المجالسِ هيبة، حتّى ينتظروا ما يكونُ من أمره.

قالوا: فلمّا بلغ عمرُ أنّ الناسَ هابوه، أمر فَصِيحَ في الناس «الصلاةُ جامعةٌ» فحضروا، ثم جلسَ من المنبر حيث كان أبو بكر يضعُ قدميه، فلمّا اجتمعوا قامَ قائماً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

بلغني أنّ الناسَ قد هابوا شِدّتي، وخافوا غِلْظتي، وقالوا: قد كان عمرَ يشتدُّ علينا ورسولُ اللهِ ﷺ بين أظهُرِنا، ثم اشتدّ علينا وأبو بكر والينا دونَه، فكيف إذا صارتِ الأمورُ إليه؟ ومن قال ذلك فقد صدقَ، قد

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٦٥) برقم: (٢٩٥١١).

كنتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ فكنتُ عبدَه وخادِمَه، وكان ممّن لا يبلغُ أحدٌ صفتَه من اللّينِ والرحمةِ، وقد سمّاه الله بذلك، ووهب له اسمينِ من أسمائه: رؤوف رحيم، فكنتُ سيفاً مسلولاً حتى يغمدَني أو يدعَني فأمضي، حتّى قُبِضَ رسول الله ﷺ وهو عنّي راضٍ والحمدُ للهِ، وأنا أسعدُ بذلك.

ثم ولي أمرَ المسلمين أبو بكر، فكان ممّن لا ينكرون دعته وكرمه ولينه، فكنتُ خادِمَه وعونه، أخلِطُ شدّتي بلينه، فأكون سيفاً مسلولاً حتّى يغمدَني أو يدعَني فأمضي، فلم أزل معه كذلك، حتى قُبِضَ وهو عنّي راضٍ والحمدُ لله، وأنا أسعدُ بذلك.

ثم إنّي قد ولِّيتُ أمورَكم أيها الناس! واعلموا أنّ هذه الشدةَ قد أضعفت، ولكنّها إنّما تكون على أهلِ الظلم والتعدّي على المسلمين، فأمّا أهلُ السلامة والدِّين والفضلِ فأنا ألينُ لهم مِنْ بعضِهم لبعضٍ، ولستُ أدعُ أحداً يظلِمُ أحداً، ويتعدّى عليه، حتّى أضعَ خدَّه على الأرضِ وأضعُ قدمي على الخدِّ الآخر حتى يُذْعِنَ للحقِّ، ولكم عليَّ أيها الناسُ خصالٌ، أذكرها لكم، فخذوني بها، لكم عليَّ أن لا أخبِّئَ شيئاً من خراجكم ممّا أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع عندي أن لا يخرج إلّا بحقّه، ولكم علي أن أردَّ عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، ولكم عليَّ أن لا ألقيكم في المهالك، وإذا رغبتُم في البعوث فأنا أبو العيال حتّى ترجعوا إليهم، أقولُ قولي هذا، وأستغفرُ الله لي ولكم.

۞ [التعامل مع الناس والاهتمام بخدمتهم وإصلاحهم]:

قال سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمٰن: فوفّى والله عمر، وزاد في الشدّة في مواضعها، واللينَ في مواضعه، وكان أبا العيال حتّى إنّه كان ليمشي إلى المغيَّبات، فيسلِّم على أبوابهن، ثم يقول: ألكنَّ

حاجةٌ إذا كنتنَّ تردنَ أشتري لكنَّ شيئاً من السوق، فإنِّي أكره أن تُخْدَعْنَ في البيع والشراء، فيرسلنَ معه بجواريهنّ، فيدخل السوقَ، وإنَّ وراءه من جواري الناسِ وغلمانهم ما لا يُحْصَىٰ، فيشتري لهم حوائجهم، ومَنْ كان ليس عندها منهنّ شيءٌ اشترى لها من عنده، وإذا قدم الرسولُ مِنْ بعض البعوثِ يبلغهنّ هو بنفسِهِ بكتبِ أزواجهنَّ ويقول لهنَّ: إنَّ أزواجكنَّ في سبيلِ اللهِ، وأنتم في بلدِ رسولِ اللهِ ﷺ، إن كان عندكنَّ مَنْ يقرأ وإلا فادنينَ من الباب حتّى أقرأ لكنَّ، ثم يقول: رسولُنا يخرجُ يومَ كذا وكذا، فاكتبنَ حتَّى نبعثَ بكتبكنَّ، ثم يدور عليهنَّ بالقراطيس والدوَىٰ، فمن كتبَ منهنَّ أخذ كتابها، ومَنْ لم تكتب قال: هذا قرطاسٌ ودواة، ادني من الباب فأملي عليَّ، فيمرُّ على كذا وكذا باباً فيكتبُ لأهله، ثم يبعث بكتبهنَّ.

وإذا كان في سفر نادى الناسَ في المنزل عند الرحيل: ارحلوا أيها الناس، فيقول القائل: أيها الناس! هذا أميرُ المؤمنين قد ناداكم، فقوموا، فاسقوا، وارحلوا، ثم ينادي الثانيةَ: الرحيل، فيقول الناس: اركبوا، فقد نادى أمير المؤمنين الثانية، فإذا استقلّوا، قاموا فرحّل بعيره، وعليه غرارتان، **إحداهُما**: فيها سويق، **والأخرى**: فيها تمرٌ، وبين يديه قربةٌ فيها ماءٌ، وخلفه جفنة، كلّما نزل جعل في الجفنة من السويق وصبَّ عليه من الماء وبسط شناره، قال: والشنار مثل النطع الصغير، من جاء يخاصم أو يستقي أو يطلب حاجة، قال له: كُلْ مِنْ هذا السويق والتمر، ثم يرحل، فيأتي المكانَ الذي رحل الناس منه، فإن وجدَ متاعاً ساقطاً أخذه، وإن وجدَ أحداً به عرجة أو عرض لدابته أو بعيره تكاء أزاله[1] وساق به، فيتبع آثارَ الناس كذلك، فما سقط من متاعٍ أخذَه، ومن

(١) قوله: «تكاء أزاله» كذا في الأصل، وفي «الرياض النضرة»: «تكارى له».

أصابته عرجة تخلّف عليه، فإذا أصبح الناس في المساء من الغد لم يفقد أحدٌ متاعاً له سقط منه إلا قال: حتّى يأتيَ أمير المؤمنين، فيطلع عمر، وإنَّ جمله مثل المشجب ممّا عليه من المتاع، فيأتي هذا فيقول: يا أميرَ المؤمنين! إداوتي، فيقول: وهل يغفل الرجل الحليم عن إداوته التي يشربُ فيها ويتوضَّأ للصلاة منها؟ أوكلّ ساعة أبصر ما يسقط، أوكل ليلة أكلأ عيني من النوم، ثم يرفع إليه إداوته ويقول: هذا قوسي، وهذا رشاي، أو ما وقع منهم فيعنّفهم، ثم يدفعُ ذلكَ إليهم.

• ولمّا بلغ الشام تلقوه ببرذون وثياب بيض، فكلّموه أنْ يركبَ البرذون، ليراه العدو، وليكونَ ذلك أهيبَ له عندهم، ويلبَسَ البياضَ، ويطرحَ الفرو الذي عليه فأبى، ثم ألحّوا عليه، فركب البرذون بفروه وثيابه، فهملجَ به البرذون، وخطامُ ناقته بعدُ في يده، فنزل وركب راحلته وقال: لقد غيّر بي هذا حتّى خفتُ أن أنكِرَ نفسي.

ذكر ذلك كله أبو حذيفة إسحاق بن بشر في «فتوح الشام»، وخرّج ابنُ بشرٍ خطبته إلى آخرها وجلوسه على المنبر فقط[1].

ومنها: أنّه رضي الله عنه طلَّق زوجةً له يحبُّها، في «الإحياء»: أنَّ عمرَ رضي الله عنه لمّا وَلِيَ الخلافة كانت له زوجةٌ يحبّها، فطلّقها خيفةَ أن تشيرَ عليه بشفاعةٍ في باطل فيطيعَها ويطلبَ رضاها[2].

۞ [أهم قواعده في تعيين الولاة وبيان واجباتهم]:

ومنها: أنّه ألقى خطبةً ذكر فيها مسؤوليات وواجبات أمرائه وعمّاله على البلاد والأمصار:

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٤٢).

• عن **معدان بن أبي طلحة** من جملة خطبة عمر، قال: اللَّهُمَّ إنّي أشهدُك على أمراء الأمصار، فإنّي بعثتُهم يعلّمون الناسَ دينَهم، وسُنَّةَ نبيّهم، ويقسمون فيهم فيئهم، ويعدلون عليهم، وما أشكل عليهم يرفعونه إليَّ، أخرجه **مسلم وأحمد**(١).

• وعن **أبي فراس** من جملة خطبة عمر: ألا إنِّي واللهِ ما أُرسِلُ عمالي إليكم ليضرِبوا أبشارَكم، ولا ليأخذوا أموالَكم، ولكنْ أرسِلُهم إليكم ليعلّموكم دينَكم وسنَّتكم، فمن فُعِلَ به شيءٌ سوى ذلك فليرفعه إليَّ، فوالّذي نفسِي بيده إذاً لأُقِصَّنَّه منه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أميرَ المؤمنين! أو رأيتَ إن كان رجلٌ من المسلمين غدا على رعية، فأدّبَ بعض رعيته أئنَّك لمقتصُّه منه؟

قال: إي والذي نفسُ عمرَ بيده إذاً لأُقِصَّنَّه منه، وقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقصّ من نفسه، ألا! لا تضربوا المسلمينَ فتذلّوهم، ولا تجمّروهم فتفتنوهم، ولا تمنعوهم حقوقَهم فتكفروهم، ولا تنزلوهم الغياضَ فتضيعوهم، أخرجه **أحمد**(٢).

قوله: «ولا تجمّروهم»؛ تجمير الجيش: جمعهم في الثغور، وحبسهم عن العود إلى أهليهم، وقوله: «ولا تنزلوهم الغياض»؛ الغياض: جمع غيضة، وهي الشجر الملتف؛ يعني: إذا نزلوها تفرّقوا فيها فتمكن منهم العدو.

يقول العبد الفقير: هذه كناية عن ارتكاب عمل تكاد تخفى على الناس مصلحته؛ لأن معنى «الغيضة» مكان الخفاء والتستر.

وخُطبُ عمرَ رضي الله عنه تدل على ذلك بكلٍّ صراحة ووضوح.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٣٤١) واللفظ له، «صحيح مسلم» برقم: (٥٦٧).

(٢) «مسند أحمد» (١/ ٤١) برقم: (٢٨٦).

۞ [التطوير العمراني في عهد عمر وإنشاء مدينة البصرة والكوفة]:

ومنها: ذكر في «**روضة الأحباب**»: أنّ ألفاً وستاً وثلاثين بلداً فتح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع توابعه من القرى والأرياف، وأنشئت أربعةُ آلاف مسجدٍ، وتسع مائة منبر، وخرّبت أربعة آلاف كنيسة.

ومنها: أنّه رضي الله عنه بنى مدينة «البصرة» على ساحل النهر، وأقام هناك جماعة من الغزاة والمجاهدين، لكي لا يهجمَ عليهم العدو من فارس أو الهند، فإنّه كان موضع ورودِ مراكبِ العجم والهند.

ومنها: أنّه بنى مدينة «الكوفة»، وأقام فيها المسلمين بعد ما سكنوا المدائن، فأصيبوا بأمراض من وخومتها، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر يخبره بذلك، فكتب عمر إليه: أن ينظر فلاةً في جنب البحر، ويتّخذها مكاناً لهم، ولا يحول بينها وبين عمر جسر أو نهر، فأرسل سعدٌ رجالاً في أطراف الأرض، ليبحثوا عن مكان برّي بحري، فأجمعوا على موضعٍ سُمِّي بعدُ الكوفة، وكان قد أمر أولاً ببناء البيوت من القصب واللبن، كي لا تدخل فيهم حياةُ الترف والنعيم، ويعيشوا غرباء أو عابري سبيل، ويكونوا مستعدين للقتال في كل وقت.

ولكنْ لمّا وقع الحريقُ في البلدة أمر ببناء البيوت المشيّدة من الآجرّ، ولمّا سكن المسلمون الكوفة زال عنهم المرض، وعادوا أقوياء أصحّاء كما كانوا من قبلُ.

۞ [وضعه التاريخ]:

ومنها: أنّ عمر رضي الله عنه وضع تقويماً جديداً، وبناه على هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ليستقيمَ تاريخُ الأمور، فإنّهم كانوا يذكرون في رسائلهم وكتبهم الشهور ولا يذكرون فيها السنين، فكان يشتبه عليهم التاريخ، وإنّ هذا

التقويمَ الذي وضعه عمر هو الذي راجَ في كلِّ مكان، ولا زال رائجاً إلى يومنا هذا.

۞ [عزل خالد وسعد وعدم حدوث الفتنة به]:

ومنها: أنّه لما حثّ خالدُ بن الوليد أبا عبيدة على أن يخرج من محاصرة حمص، ويقاتل الكفار، ولا ينتظر الأمداد التي كانت تأتيه من كلِّ جانب كره ذلك عمر رضي الله عنه، إذ كان ذلك إعجاباً ببسالته، أو ضنّاً بالغنائم، أو استخفافاً بأمر الخليفة، وكلّ ذلك ممّا كان يعتبره عمر من الخصال الذميمة التي تسبّب الهزيمة في غالب الأحيان، وإن ظهر بهذه المناسبة فضل من الله، وانتصر المسلمون.

ولما أعطى خالد بن الوليد رضي الله عنه شاعراً أنشد قصيدة في مدحه عشرةَ آلافٍ، كرهه عمر إذ كان ذلك رسماً فاسداً، وعزله عن حكومة قنسرين، واستقدمه المدينة المنورة، ولم يولّه إمارةً إلى آخر أيام حياته، وكتب إلى أبي عبيدة أن يدعوه إليه من قنسرين، ويأمر أحداً بخلع عمامته أمام أعيان العسكر ويسأله: مِنْ أين أنفقتَ عشرةَ آلافٍ؟ من بيت المال؟ أو حصلتها من دفينة الجاهلية؟ فإن كان من أحدهما فخيانةٌ، وإن كان من مال نفسه فإسرافٌ وتبذيرٌ، وهكذا كان.

والعجب أنّ خالد بن الوليد أتى بما أُمر، ولم يضجر، ولم يأبَ، رغم شجاعته النادرة، وبطولته الفائقة، ولم تكرهه قلوب الأمراء والمجاهدين أيضاً، وهذا من خصائص هيبة عمر رضي الله عنه.

ثم إنّ عمر رضي الله عنه كتب إلى أمراء البلاد: إنّه لم يعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة، بل لأجل أنّه كان تحدّث نفسه أنّ هذه الفتوح العظيمة تتحقق بفضل شجاعته، والحق أن ذلك من الله، وأن الأمر كلّه لله.

ولما عزل عمر رضي الله عنه سعداً عن حكومة العراق، وذلك لأجل خلافٍ نشب ضده، لم تقع أيُّ فتنةٍ ذلك الحين، وصرّح عمر رضي الله عنه أنّه لم يعزلْه عن عجز ولا عن خيانة صدرت منه، ذلك لكي لا تسقطَ عدالتُه عندَ الناس.

ومنها: أنه رضي الله عنه أتى مكة المكرمة ذات مرة للعمرة، فاعتنى بتوسعة المسجد الحرام، وأمر حين عودته منها بغرس الأشجار، وبناء المنازل، وإصلاح الآبار اليابسة، وحفر الآبار الجديدة فيما بين مكة والمدينة حتى يسافِرَ الحُجّاج بكلِّ راحة، ولا يواجهوا المشقّات في السفر.

في «الاستيعاب»: لما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث أربعة من قريش، فنصبوا أعلامَ الحرم، مخرمة بن نوفل، وأزهر بن عبد عوف، وسعيد بن يربوع، وحُوَيْطب بن عبد العزى[١].

❁ [توسعة المسجد النبوي]:

ومنها: أنّه زاد في مسجد الرسول ﷺ، وأعاد بناءه بالجريد وخشب النخل واللبن كما كان في عهد النبي ﷺ.

• فقد **أخرج البخاري**: أن المسجدَ كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشبُ النخلِ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً[٢].

• ثم أمر أن يبسط الحصيرُ فيه، عن **عبد الله بن إبراهيم** قال: أول من ألقى الحصيرَ في مسجد النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان الناس

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٤٦).

إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، فأمرَ بالحصير فجيء به من العقيقِ، فبُسِطَ في مسجدِ النبيِّ ﷺ، أخرجه **ابن أبي شيبة**[١].

❁ [اهتمامه البالغ بدفع القحط والجدب عام الرمادة]:

ومنها: أنّه لمّا أصابتِ الناسَ مجاعةٌ شديدةٌ عام الرمادة، عالجَها عمر رضي الله عنه بتدبيرات مناسبة.

أولاً: قسّم كل ما كان في بيت المال على الفقراء والمساكين.

وثانياً: نهى عن الاحتكار.

وثالثاً: كتب إلى أمراء الأمصار بإرسالِ الطعام من بلدهم إلى المدينة المنورة، فأرسل أبو عبيدة من الشام أربعة آلافِ بعيرٍ، وعمرو بن العاص مائةَ سفينةٍ عن طريق البحر، حتى استوى سعرُ المدينة وسعرُ مصر.

وكان عمر رضي الله عنه قد أوجب على نفسه عام الرّمادة أن لا يذوق لحماً ولا سمناً، ولا يشرب لبناً حتى يأكلَ الناسُ.

❁ [تعيين الولاة في كلِّ بلدة كبيرة، وإنشاء المؤسسات المستقلة من المالية والقضائية وما إلى ذلك]:

ومنها: أنّه عيَّن الولاة في الكوفة والبصرة وغيرهما من المدن، وعيَّن فيها قضاةً على حدة، ومسؤولين عن بيت المال على حدة كذلك، وهذا ممّا لم يُسْبَقْ إليه، وفائدة ذلك أنها إن ظهرت من أحدهم خيانة فيعارضه آخر، فتستقيم الأمور كلها.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٦٣) برقم: (٣٥٩٠٨).

[تدوين دواوين المسلمين وتقسيم أعطياتهم]:

ومنها: أنّه أسس إدارةً لفرض العطايا للمسلمين، ودوّن الدواوين، وراعى في ذلك دقائق الأمور، من القرب من رسول الله ﷺ، وقاعدة «الرجل وسابقته» و«الرجل وبلاؤه» و«الرجل وعياله»، والمتنبّه لدقائق الأمور يعلم أنّ ذلك مما تتحيّر فيه الألباب.

• أخرج **البيهقي** عن **الشافعي** أنه قال: أخبرني غيرُ واحد من أهل العلم والصدق من أهل المدينة ومكة من قبائل قريش ومن غيرهم وكان بعضُهم أحسنَ اقتصاصاً للحديث من بعض، وقد زاد بعضُهم على بعض في الحديث: أنّ عمر رضي الله عنه لمّا دوّن الدواوين قال: ابدأ ببني هاشم، ثم قال: حضرتُ رسولَ اللهِ ﷺ يعطيهم وبني المطّلب، فإذا كانت السنُّ في الهاشمي قدّمه على المطلبي، وإذا كانت في المطلبي قدّمه على الهاشمي، فوضع الديوان على ذلك، وأعطاهم عطاءَ القبيلةِ الواحدةِ.

ثم استوت له عبد شمس ونوفل في جِذْم النسب، فقال: عبد شمس إخوة النبيِّ ﷺ لأبيه وأمه دون نوفل، فقدّمهم، ثم دعا بني نوفل يتلونهم، ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار، فقال في بني أسد بن عبد العزى: أصهارُ النبيِّ ﷺ، وفيهم أنهم من المطيّبين، وقال بعضهم: هم من حِلْفِ الفضول، وفيهما كان رسول الله ﷺ، وقد قيل: ذكر سابقة فقدّمهم على بني عبد الدار، ثم دعا بني عبد الدار يتلونهم.

ثم انفردت له زهرة فدعاها تِلْوَ عبد الدار، ثم استوت له تيم ومخزوم، فقال في بني تيم: إنّهم من حلف الفضول والمطيّبين، وفيهما كان رسول الله ﷺ، وقيل: ذكر سابقة، وقيل: ذكر صهراً، فقدّمهم على مخزوم، ثم دعا مخزوماً يتلونهم.

ثم استوت له سَهْمٌ وجُمَح وعدي بن كعب، فقيل له: ابدأ بعدي،

فقال: بل أقر نفسي حيث كنت، فإنّ الإسلام دخل وأمرنا وأمر بني سهم واحدٌ، ولكن انظروا بني جمح وسهم، فقيل: قدّمْ بني جُمَح، ثم دعا بني سهم، وكان ديوان عدي وسهم مختلطاً كالدعوة الواحدة، فلمّا خلصت إليه دعوته، كبّر تكبيرةً عالية، ثم قال: الحمدُ للهِ الذي أوصل حظي من رسوله.

ثم دعا بني عامر بن لؤي، قال الشافعي: فقال بعضُهم: إنَّ أبا عبيدة بن عبد الله بن الجراح الفهري لما رأى مَنْ تقدّم عليه، قال: أَكُلّ هؤلاء تدعو أمامي، فقال: يا أبا عبيدة! اصبر كما صبرتَ، أو كلّم قومك، فمن قدّمك منهم على نفسِهِ لم أمنعه، فأمّا أنا وبنو عدي فنقدّمُكَ إن أحببتَ على أنفسنا[١].

قال الشافعي عند ذلك: الناسُ عبادُ اللهِ، فأولاهم أن يكون مقدَّماً أقربهم لخيرة الله لرسالاته، مستودع أمانته، وخاتم النبيين، وخير خلق ربِّ العالمين محمد ﷺ[٢].

• قال القاضي أبو يوسف رحمه الله تعالى في «كتاب الخراج»: وحدّثني **ابنُ أبي نجيح** قال: قدم على أبي بكر ﵁ مالٌ، فقال: مَنْ كان له عندَ النبيِّ ﷺ عِدَةٌ فليأت.

فجاءه جابر بن عبد الله، فقال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لو جاءَ مالُ البحرينِ أعطيتُك هكذا وهكذا وهكذا**، يشير بكفيه، فقال له أبو بكر ﵁: خذ، فأخذ بكفّيه ثم عدّه فوجده خمسمائة، فقال: خُذْ إليها ألفاً، فأخذ ألفاً.

---

(١) انظر: «سنن البيهقي» (ص/ ٣٦٤) برقم: (١٢٨٥١).

(٢) انظر: «سنن البيهقي» (ص/ ١٣١) برقم: (٤٢٠٩).

ثم أعطى كلَّ إنسان كان رسولُ اللهِ ﷺ وعده شيئاً، وبقيت بقيةٌ من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير، والحرّ والمملوك، والذكر والأنثى، فخرج على سبعة دراهم وثلث لكلِّ إنسانٍ.

فلمّا كان العامُ المقبل، جاء مالٌ كثيرٌ هو أكثرُ من ذلك، فقسمه بين الناس، فأصاب كلُّ إنسانٍ عشرون درهماً.

قال: فجاء ناسٌ من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله، إنّكَ قسمت هذا المال فسوّيتَ بين الناس، ومِنَ الناس أناسٌ لهم فضل وسوابق وقدمٌ، فلو فضّلتَ أهل السوابق والقِدَمِ والفضلِ بفضلهم.

قال: فقال: أمّا ما ذكرتُم من السوابقِ والقِدَمِ والفضلِ فما أَعْرَفُني بذلك، وإنَّما ذلك شيءٌ ثوابُه على اللهِ جلّ ثناؤه، وهذا معاشٌ فالأسوةُ خيرٌ من الأَثَرَةِ.

فلمّا كان عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه، وجاءت الفتوحُ، فضّل، وقال: لا أجعلُ مَنْ قاتلَ رسولَ اللهِ ﷺ كمن قاتلَ مَعَهُ، ففرضَ لأهل السوابق والقِدَمِ من المهاجرين والأنصار مِمَّنْ شهد بدراً خمسةَ آلاف خمسة آلاف، ولمن لم يشهدْ بدراً أربعةَ آلافٍ أربعةَ آلافٍ، وفرض لِمَنْ كان له إسلامٌ كإسلامِ أهل بدر دون ذلك، أنزلهم على قدر منازلهم[1].

يقول العبد الضعيف: إنّ هذا الخلافَ ليس في حكم الشرع، بل إنّه اختلافُ الحكمِ بسبب اختلافِ الحالِ، وتبدُّل الحالِ لما ذكرنا سابقاً.

• أخرج القاضي أبو يوسف في «كتاب الخراج» عن **أبي جعفر** أنّ عمرَ لمّا أراد أن يفرضَ للناس، وكان رأيُه أخيرَ من رأيهم، قالوا: ابدأ

---

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص٥٠).

بنفسِكَ، قال: لا، فبدأ بالأقربِ من رسولِ اللهِ ﷺ، ففرضَ للعبّاس، ثم لعليٍّ حتى والى بين خمس قبائل، حتّى انتهى إلى بني عدي بن كعب.

• وأخرج أيضاً عن **الشعبي** عمّن شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لمّا فتحَ الله عليه، وفتحَ فارس والروم، جمعَ أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: ما ترون؟ فإنِّي أرى أنْ أجعلَ عطاءَ الناس في كل سنة، وأجمعَ المال، فإنَّه أعظمُ للبركة.

قالوا: اصنع ما رأيت، فإنك إن شاءَ الله موفّقٌ.

قال: ففرض الأُعطيات، فدعا باللوح فقال: بمن أبدأ؟

فقال له عبد الرحمٰن بن عوف: ابدأ بنفسِكَ.

فقال: لا واللهِ، ولكن أبدأ ببني هاشم رَهْطِ النبيِّ ﷺ، فكتب مَنْ شهدَ بدراً من بني هاشم ـ من مولىً أو عربي ـ لكلِّ رَجُلٍ منهم خمسةَ آلافٍ خمسةَ آلافٍ، وفرض للعبّاسِ بنِ عبد المطلب اثني عشر ألفاً، ثم فرض لمن شهد بدراً من بني أُمية بن عبد شمس، ثم الأقرب فالأقرب إلى بني هاشم، وفرض للبدريين أجمعين ـ عربيّهم ومولاهم ـ خمسةَ آلاف خمسة آلاف، وفرض للأنصار أربعةَ آلاف أربعةَ آلاف، فكان أوّلُ أنصاري فرضَ له محمّدَ بن مسلمة، وفرض لأزواج النبيِّ ﷺ عشرةَ آلاف عشرةَ آلاف، وفرض لعائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها اثني عشر ألفاً، وفرض لمهاجرة الحبشة أربعة آلاف لكلِّ رجلٍ منهم، وفرضَ لعمر بن أبي سلمة لمكانِ أُمِّ سلمة أربعةَ آلاف، فقال محمَّد بن عبد الله بن جحش: لم تفضِّلُ عمرَ علينا؟ ألهجرة أبيه؟ فقد هاجر آباؤنا وشهدوا بدراً، فقال عمر رضي الله عنه: أفضِّله لمكانه من رسولِ اللهِ ﷺ، فليأتِ الذي يستعتِبُ بأمِّ مثل أُمِّه أعتبه، وفرض للحسن والحسين خمسةَ آلافٍ خمسةَ آلافٍ لمكانهما من رسول الله ﷺ.

ثم فرض للناس ثلاثمائةٍ ثلاثمائةٍ، وأربعمائةٍ أربعمائةٍ، للعربي والمولى، وفرضَ لنساء المهاجرين والأنصار ستمائةٍ ستمائةٍ، وأربعمائةٍ أربعمائةٍ، وثلاثمائةٍ ثلاثمائةٍ، ومائتينِ مائتينِ، وفرضَ لأناسٍ من المهاجرين والأنصار في ألفين ألفين(١).

• وأخرج أيضاً عن **السائب بن يزيد** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب، يقول: واللهِ الذي لا إلـٰه إلا هو، ما مِنْ أحدٍ إلّا وله في هذا المالِ حقٌّ أعطيه أو منعه؛ وما أحدٌ أحقُّ به من أحدٍ إلَّا عبدٌ مملوك، وما أنا فيه إلّا كأحدِكُم؛ ولكنّا على منازلنا من كتابِ اللهِ تعالى، وقسمنا من رسول الله ﷺ، فالرجلُ وبلاؤه في الإسلام، والرجلُ وقدمه في الإسلام، والرجلُ وغناه في الإسلام، والرجل وحاجته في الإسلام، واللهِ لئن بقيتُ ليأتينَّ الراعيَ بجبل صنعاء حَظُّه من هذا المالِ، وهو مكانه، قبل أن يحمّرَ وجهه؛ يعني: في طلبه، قال: وكان ديوان حمير على حدة، وكان يفرض لأمراء الجيوش والقرى في العطاء ما بين تسعة آلاف وثمانية آلاف وسبعة آلاف على قَدْرِ ما يصلحهم من الطعام، وما يقومون به من الأمور.

قال: وكان يفرِضُ للمنفوس إذا طرحته أُمّه مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتين، فإذا بلغ زاده. قال: ولما رأى المال قد كثر، قال: لئن عشت إلى هذه الليلة من قابلٍ لألحقنّ أخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاءِ سواء، قال: فتوفي رحمه الله قبل ذلك(٢).

• قال: وحدثني أبو معشر قال: حدثني **عمر مولى عفرة وغيره** قال: لمّا جاءت عمرَ بنَ الخطاب الفتوحُ، وجاءته الأموال، قال: إنّ أبا

---

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص٥٣١). (٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص٥٦).

بكر رأى في هذا المال رأياً، ولي فيه رأيٌ آخر، لا أجعلُ مَنْ قاتل رسولَ اللهِ ﷺ كمن قاتلَ مَعَه.

ففرض للمهاجرين والأنصار ممّن شهد بدراً خمسةَ آلاف خمسةَ آلاف، وفرض لمن كان إسلامُه كإسلامِ أهل بدر ولم يشهد بدراً أربعةَ آلاف أربعةَ آلاف.

وفرض لأزواج النبيِّ ﷺ اثني عشر ألفاً، اثني عشرة ألفاً، إلا صفية وجويرية، فإنّه فرض لهما ستة آلاف ستة آلاف، فأبتا أن تقبلا، فقال لهما: إنّما فرضت لهنّ للهجرة، فقالتا: لا إنّما فرضت لهنّ لمكانهن من رسول الله ﷺ، وكان لنا مثله، فعرف ذلك عمر، ففرض لهما اثني عشر ألفاً، اثني عشر ألفاً.

وفرضَ للعباس عمِّ رسول الله ﷺ اثني عشر ألفاً، وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف، وفرض لعبد الله بن عمر ـ ابنه ـ ثلاثة آلاف، فقال: يا أبت! لم زدته علي ألفاً؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي، وما كان له ما لم يكن لي، فقال: إنَّ أبا أسامة كان أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من أبيك، وكان أسامةُ أحبُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ منك.

وفرض للحسن وللحسين خمسةَ آلاف خمسةَ آلاف، ألحقهما بأبيهما لمكانهما من رسول الله ﷺ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار ألفين ألفين، فمرّ به عمر بن أبي سلمة، فقال: زيدوه ألفاً، فقال له محمد بن عبد الله بن جحش: ما كان لأبيه ـ أبي سلمة ـ ما لم يكن لآبائنا! وما كان له ما لم يكن لنا، فقال: إنِّي فرضتُ له بأبيه أبي سلمة ألفين، وزدته بأُمِّه أمِّ سلمة ألفاً، فإن كانت لك أمٌّ مثل أمِّ سلمة زدتُكَ ألفاً.

وفرض لأهل مكة والناس ثمانمائة ثمانمائة، فجاءه طلحة بن

عبيد الله بأخيه عثمان، ففرض له ثمانمائة، فمرّ به النضر بن أنس، فقال عمر: افرضوا له ألفين، فقال طلحةُ: جئتك بمثله ففرضت له ثمانمائة وفرضتَ لهذا ألفين، فقال: إنّ أبا هذا لقيني يوم أُحدٍ، فقال: ما فعلَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقلتُ: ما أراه إلّا قد قُتِلَ، فسلَّ سيفَه فكسرَ غِمْدَهُ، وقال: إنْ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ قد قُتِلَ فإنّ الله حيٌّ لا يموتُ، فقاتل حتّى قُتِلَ، و[أبو] هذا يرعى الشاء في مكان كذا وكذا، فعمل عمر بهذا [مدة] خلافته[1].

يقول العبد الضعيف: لعلَّ عمرَ فرض في سنةٍ كذا وفي سنةٍ أخرى كذا وكذا لبعض الناس، وهذا هو طريقُ الجمع بين الروايات المختلفة، والله أعلم.

۞ [مسح سواد العراق وتعيين الخراج]:

ومنها: أنّه أرسل عثمان بن حُنيف وحُذيفة بن اليمان لمسح سواد العراق، وعيّن على كلِّ قطعة خراجاً، وهو الذي يؤخذ إلى يومنا هذا.

• قال أبو يوسف: حدثني السري بن إسماعيل عن **عامر الشعبي** رضي الله عنه: أنّ عمر رضي الله عنه مسحَ السوادَ، فبلغ ستة وثلاثين ألف ألف جريب، وأنه وضعَ على جريب الزرع درهماً وقِفّيزاً، وعلى الكرم عشرة دراهم، وعلى الرطبة خمسة دراهم، وعلى الرجل اثني عشر درهماً، وأربعة وعشرين درهماً، وثمانية وأربعين درهماً[2]، زاد أبو يوسف عن بعض مشايخه أيضاً: وعلى جريب النخل ثمانيةً، وعلى جريب القصب ستة، وهكذا ذكر أبو يوسف أرضَ الشام، والجزيرة، وسائر البلاد الإسلامية، وذِكْرُ ذلك يطول.

---

(١) انظر: «كتاب الخراج» (٦/ ٤٥٢).

(٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص٤٢).

وهناك نكتةٌ لا بدّ من ذكرها: وهي أنَّ عمر رضي الله عنه فرضَ الخراج على كلِّ بلدةٍ وِفْقَ حالها، (ولذلك نجد الاختلاف بين الروايات).

۞ [فرض شروط مختلفة في الصلح مع الكفّار حسب مصالحهم]:

ومنها: أنّه كان إذا صالحَ قوماً اشترط عليهم شروطاً مناسبة لهم، ولذلك يوجد الاختلاف بين الآثار.

• قال أبو يوسف: حدّثني عبد الله بن سعيد عن حذيفة[1] أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا صالحَ قوماً اشترط عليهم أن يؤدّوا من الخراج كذا وكذا، وأن يُقَرّوا ثلاثة أيام، وأن يهدوا الطريق، ولا يمالئوا علينا عدواً، ولا يؤووا لنا مُحْدِثاً، فإذا فعلوا ذلك، فهم آمنون على دمائهم ونسائهم وأبنائهم وأموالهم، ولهم بذلك ذمةُ الله وذمةُ رسوله ﷺ، ونحن برآء من معرّة الجيش[2].

۞ [تجهيز جيوش المجاهدين]:

ومنها: أنّه كان يقومُ بتعبئة الجيش وإعداده إعداداً تاماً.

• قال أبو يوسف: وحدّثني شيخ لنا قديمٌ قال: حدّثني أشياخي قالوا: كان لعمرَ بنَ الخطّاب أربعةَ الآف فرس مسوّمةٍ في سبيل الله، فإذا كان في عطاء الرَّجل خفّة أو كان محتاجاً أعطاه الفرس، وقال: إن أعييته أو ضيعته من علفٍ وشربٍ فأنت ضامنٌ، فإن قاتلت عليه فأصيب أو أصبت فليس عليك شيء[3].

• وأخرج مالك عن **يحيى بن سعيد** أنّ عمر بن الخطاب كان

---

(١) وفي «كتاب الخراج»: «حدثني عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد عن جده».
(٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص٤٦). (٣) «كتاب الخراج» (ص٤٧).

يحمِلُ في العام الواحد على أربعين ألف بعير، الحديث[١].

❁ [أدخل أموالَ ملوكِ الجاهلية في بيت مال المسلمين ليمنحها من يحتاج إليها]:

ومنها: أنّه أدخلَ أموال ملوك الجاهلية في بيت المال ليقطع منها للمحتاجين إليها.

قال أبو يوسف: وحدّثني بعضُ أهل المدينة من المشيخة القدماء قال: وجد في الديوان: أنّ عمر اصطفى أموال كسرى، وآل كسرى، وكلَّ مَنْ فرّ عن أرضه، وقُتِلَ في المعركة، وكل مغيض ماءٍ أو أجمة، فكان يقطعُ من هذه لِمَنْ أقطع[٢].

❁ [استعمل رجالاً على البحر لأخذ الخمس]:

ومنها: أنّه كان يستعمِلُ على البحرِ رجالاً يحصلون على الخمس.

• قال أبو يوسف رحمه الله: حدّثني الحسن بن عمارة عن عمرو بن دينار، عن طاوس، عن **عبد الله بن عباس**: أنّ عمر بنَ الخطاب رضي الله عنه استعمل يعلى بن أُمية على البحر، فكتب إليه في عنبرةٍ وجدها رجلٌ على الساحل، يسأله عنها وعمّا فيها، فكتب إليه عمر: «إنّه سيّب من سيّب الله، فيها وفيما أخرجَ الله جلّ ثناؤه من البحر الخمس» قال: وقال عبد الله بن عباس: «وذلك رأيي»[٣].

يقول العبد الضعيف: اختلف الفقهاء في هذه القضية، فلو أنَّ ملكاً ألجأته الحاجةُ إلى جمع الأموال في بيت المال فعمل على هذا فجائز،

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٨٧). (٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص٦٨).
(٣) انظر: «كتاب الخراج» (ص٨٢).

وإليه ذهب أبو يوسف، وهذا هو الحُكم في العسل، واللوز، والجوز، والفستق، والزيتون وغيرها، وإن أخذ العشر فجائزٌ أيضاً، وهذا أفضل من الوقوع في المظالم.

❁ [كان لا يولِّي إلا الأكْفاء والعدول الأمناء، ولا يدَّخر وسعاً في نُصحهم]

ومنها: أنّ عمر رضي الله عنه كان يستعمِلُ العدول الأمناء على البلاد، وكان يبالِغُ في النصح لهم بالخير، ويتعهّدهم كذلك، وإليكَ بعض الروايات في ذلك:

قال أبو يوسف: وحدثني المجالد بن سعيد عن عامر، عن المحرر بن أبي هريرة، عن **أبيه**: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا أصحاب رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال: إذا لم تعينوني فمن يُعينني؟ قالوا: نحنُ نعينك، فقال: يا أبا هريرة! ائت البحرين وهَجَر أنتَ العام، قال: فذهبتُ فجئته في آخر السنة بغرارتين فيهما خمسمائة ألف، فقال له عمر رضي الله عنه: ما رأيتُ مالاً مجتمعاً قط أكثر من هذا، فيه دعوة مظلومٍ أو مال يتيم أو أرملة؟ قال: قلت: لا والله، بئس واللهِ الرجُل أنا إذنً إن ذهبتَ أنتَ بالمهنا وأنا أذهبُ بالمُؤنة[١].

• قال: وحدثني محمد بن أبي حميد قال: حدثنا **أشياخنا** أنّ أبا عُبيدة بن الجراح قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: دنَّست أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر: يا أبا عبيدة إذا لم أستعن بأهل الدّين على سلامةِ ديني، فبمن أستعين؟

قال: أما إن فعلتَ فأغنهم بالعمالةِ عن الخيانةِ، يقول: إذا

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٤).

استعملتهم على شيء فأجزل لهم في العطاءِ والرزقِ لا يحتاجون[١].

• قال: وحدّثني عبد الملك بن سليمان عن **عطاء** قال: كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله أن يوافوه بالموسم، فوافوه، فقال: يا أيها الناس! إنِّي بعثتُ عمّالي هؤلاء ولاة بالحقّ عليكم، ولم أستعملهم ليُصيبوا مِنْ أبشارِكم، ولا من دمائكم، ولا من أموالكم، فمن كانت له مظلمةٌ عند أحدٍ منهم فليقم، قال: فما قام مِنَ الناس يومئذٍ إلا رجل واحد.

فقال: يا أميرَ المؤمنين، عامِلُكَ ضربني مائة سوطٍ.

فقال عمر: أتضربه مائة سوطٍ؟ قُمْ فاستقِدْ منه.

فقام إليه عمرو بن العاص فقال له: يا أمير المؤمنين! إنّك إنْ تفتحْ هذا على عمّالِكَ كَبُرَ عليهم، وكانت سُنَّةً يأخذ بها مَنْ بعدك.

فقال عمر: ألا أقيدُه منه وقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقِيدُ من نفسِهِ؟ قُمْ فاستقِدْ.

فقال عمرو: دعنا إذاً فلنرضه.

قال: فقال: دونكم، قال: فأرضوه بأن اشتريتَ منه بمائتي دينار، كلَّ سوطٍ بدينارين[٢].

• قال أبو يوسف: وحدثني عبد الله بن الوليد عن عاصم بن أبي النجود، عن **عمارة بن خزيمة بن ثابت** قال: كان عمرُ رضي الله عنه إذا استعمل رجلاً أشهدَ رهطاً من الأنصار وغيرهم، واشترط عليه أربعاً: أن لا يركبَ برذوناً، ولا يَلْبَسَ ثوباً رقيقاً، ولا يأكل نقياً، ولا يغلق باباً دونَ حوائج الناس، ولا يتّخذ حاجباً، قال: فبينما هو يمشي في بعض طُرقِ المدينة إذْ هتفَ به رجلٌ: يا عمر! أترى هذه الشروط تنجيك من الله

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٢). (٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٦).

تعالى، وعامِلُكَ عياض بن أم غنم على مصر وقد لَبِسَ الرقيقَ، واتّخذ الحاجبَ؟ فدعا محمد بن مَسْلمةَ، وكان رسوله إلى العمال فبعثه وقال: ائتني به على الحالِ التي تجده عليها، قال: فأتاه فوجد على بابه حاجباً، فإذا عليه قميصٌ رقيقٌ، قال: أجب أميرَ المؤمنين. فقال: دعني أطرح علي قبائي، فقال: لا، إلّا على حالِكَ هذه، قال: فَقَدِمَ به عليه، فلمّا رآه عمر قال: انزع قميصَكَ، ودعا بمدرعةِ صوفٍ وبريضة من غنمٍ وعصا فقال: البس هذه المدرعةَ، وخُذ هذه العصا، وارعَ هذه الغنم، واشرب واسقِ مَنْ مرَّ بك، واحفظ الفضلَ علينا، أسمعتَ؟ قال: نعم، والموتُ خيرٌ من هذا. فجعل يردّدها عليه ويردّد: الموتُ خيرٌ من هذا، فقال عمر: ولِمَ تكره هذا وإنّما سُمِّيَ أبوك غانماً؛ لأنّه كان يرعى الغنم، أترى يكون عندك خيرٌ؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: انزع، وردّه على عمله، فلم يكن له عامِلٌ يشبهه(١).

• قال أبو يوسف: حدَّثنا الأعمش عن إبراهيم قال: كان عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه إذا بلغه أنّ عامِلَه لا يعودُ المريضَ، ولا يدخل على الضعيف نزعه(٢).

• قال: وحدثني عبيد الله بن أبي حميد عن **أبي المليح** قال: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أنْ سوِّ(٣) بينَ الناس في مجلسك وجاهك، حتّى لا ييأس ضعيفٌ مِنْ عدلِكَ، ولا يطمع شريفٌ في حَيْفِكَ(٤).

• قال: وحدثني شيخ من علماء أهل الشام قد أدرك الناس عن **عروة بن رويم** قال: كتب عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه إلى أبي عبيدة بن

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٧).
(٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٧).
(٣) في الأصل الفارسي: «أن آس».
(٤) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٧).

الجراح وهو بالشام: أمّا بعدُ، فإنّي كتبتُ إليك بكتاب لم آلك ونفسي خيراً، الزم خمسَ خلالٍ يَسْلَمْ لك دينُكَ وتحظى بأفضل حظّكَ: إذا حضركَ الخصمان فعليك بالبينات العدول والأيمان القاطعة، ثم أدنُ الضعيف؛ حتى ينبسطَ لسانه ويجترئ قلبه، وتعهّد الغريب، فإنّه إذا طال حبسه ترك حاجته، وانصرف إلى أهله، وإنّ الذي أبطلَ من لم يرفع به رأساً، واحرصْ على الصلح ما لم يستبن لك القضاءُ، والسلام[1].

● قال: وحدثني محمد بن إسحاق قال: حدثني من سمع **طلحة بن معدان اليعمري** قال: خطبنا عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم صلّى على النبي ﷺ وذكر أبا بكر فاستغفر له، ثم قال:

أيُّها الناس إنّه لم يبلغ ذو حقٍّ في حقّه أن يطاعَ في معصية الله، وإنِّي لا أجدُ هذا المالَ يصلحه إلّا خلال ثلاث: أن يؤخذ بالحقّ، ويعطى في الحقّ، ويمنع من الباطل، وإنّما أنا ومالكم كوليِّ اليتيم إنِ استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروفِ، ولستُ أدعُ أحداً يظلِمُ أحداً ولا يعتدي عليه حتّى أضعَ خدّه على الأرض، وأضعُ قدمي على الخد الآخر حتّى يذعنَ للحقِّ، ولكم عليَّ أيها الناس خصال أذكرُها لكم، فخذوني بها: لكم عليَّ أن لا أجتبي شيئاً من خراجكم، ولا ممّا أفاء الله عليكم إلّا من وجهه، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي أن لا يخرجَ منِّي إلا في حقه، ولكم عليَّ أن أزيدَ أعطيتكم وأرزاقكم إن شاء الله، وأسدّ ثغورَكم، ولكم عليَّ أن لا ألقيكم في المهالكِ ولا أجمركم في ثغوركم، وقد اقتربَ منكم زمانٌ قليلُ الأمناء، كثيرُ القرّاء، قليلُ الفقهاء، كثيرُ الأمل، يعمل فيه أقوام للآخرين، يطلبون به دنيا عريضة، تأكلُ دينَ صاحبها كما تأكلُ النارُ الحطبَ، ألا كلُّ مَنْ أدركَ ذلك منكم فليتّقِ الله ربَّه وليصبر.

---

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٨).

يا أيها الناس! إنّ الله عظّم حقه فوق حقّ خلقه، فقال فيما عظم من حقه: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، ألا وإنّي لم أبعثكم أمراء ولا جبّارين، ولكن بعثتُكم أئمةَ الهدى يُهتدَى بكم، فأدروا على المسلمين حقوقهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تجمِّروهم فتفتنوهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفَهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم، وقاتلوا بهم الكفّار طاقتهم، فإذا رأيتُم بهم كلالة فكفّوا عن ذلك، فإنَّ ذلك أبلغُ في جهادِ عدوكم.

أيها الناس! إنّي أشهدكم على علماء الأمصار أنّي لم أبعثهم إلا ليفقّهوا الناسَ في دينهم، ويقسموا عليهم فيئهم، ويحكموا بينهم، فإنْ أشكل عليهم شيءٌ رفعوه إليَّ.

قال: وكان عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه يقول: لا يصلحُ هذا الأمر إلّا بشدةٍ في غير تجبّر، ولينٍ في غير وَهْنٍ[١].

قال: وحدثني عبيد الله بن أبي حميد عن أبي المليح بن أبي **أسامة الهذلي** قال: خطب عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه فقال: أيُّها الناس إنَّ لكم علينا حقَّ النصيحةِ بالغيب، والمعونةِ على الخير، أيُّها الرعاء! إنّه ليس مِنْ حلم أحبُّ إلى الله ولا أعمُّ نفعاً من حِلْم إمامٍ ورفقه، وليس مِنْ جهلٍ أبغضُ إلى اللهِ وأعمُّ ضرراً مِنْ جهلِ إمامٍ وخرقه، وإنّه مَنْ يأخذ بالعافية فيما بين ظهرانيه يعطَ العافيةَ من فوقه[٢].

• وفي «**الاستيعاب**»: توفّي يزيدُ بن أبي سفيان واستخلف أخاه معاوية على عمله، فكتب إليه عمرُ بعهده على ما كان يزيدُ يلي من عمل

(١) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣٧).
(٢) انظر: «كتاب الخراج» (ص١٣).

الشام، ورزقه ألفَ دينار في كلِّ شهر، وقال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية: هذا كسرى العرب، وكان قد تلقّاه معاويةُ في موكبٍ عظيم، فلمّا دنا منه قال له: أنتَ صاحبُ الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: مع ما يبلغني عنكَ من وقوفِ ذوي الحاجاتِ ببابك قال: مع ما يبلغك من ذلك، قال: ولم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرضٍ جواسيسُ العدوِّ بها كثيرةٌ، فيجب أن نظهرَ من عزِّ السلطانِ ما نرهبهم به، فإن أمرتني فعلتُ، وإن نهيتني انتهيتُ.

فقال عمر لمعاوية: ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، إن كان ما قلت حقاً إنه لرأيُ أريبٍ، وإن كان باطلاً إنّه لخدعة أديبٍ.

قال: فمرني يا أمير المؤمنين! قال: لا آمرك ولا أنهاك.

فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! ما أحسنَ ما صدر الفتى عمّا أوردته فيه.

قال: لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه[1].

• وفيه: استعمل أبو بكر الصدِّيق يعلى بن أمية على بلاد حلوان في الردة، ثم عمل لعمر على بعض اليمن، فحمى لنفسه حِمىً، فبلغ ذلك عمر، فأمره أن يمشيَ على رجليه إلى المدينة، فمشى خمسةَ أيّامٍ أو ستةً إلى صعدة، وبلغه موتُ عمرَ فركب[2].

• وفيه: النعمان بن عدي العدوي ولّاه عمر ميسان، ولم يولِّ عمرُ بن الخطاب رجلاً من قومه عدوياً غيره، وأرادَ امرأته على الخروج معه إلى ميسان، فأبت عليه، فأنشد النعمانُ أبياتاً كثيرةً، وكتب بها إليها وهي:

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٤٤٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٣).

فَمَنْ مُبْلِغُ الحسناءِ أنَّ حَلِيلَها ... بِمَيْسَانَ يُسْقَىٰ في زجاجٍ وحَنْتَمِ
إذا شِئْتُ غَنَّتْنِي دَهَاقِينُ قريةٍ ... وصنّاجةٌ تَحْدو علىٰ كُلِّ مَيْسَمِ
إذا كُنْتَ نَدْمانِي فبالأكبَرِ اسْقِنِي ... ولا تَسْقِنِي بالأَصْغَرِ المُتَثَلِّمِ
لَعَلَّ أميرَ المؤمنينَ يسوؤهُ ... تنادمُنا في الجَوْسَقِ المتهدِّمِ

فبلغ ذلك عمرَ فكتبَ إليه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ الآية [غافر: ١، ٣].

أما بعدُ، فقد بلغني قولُكَ:

لَعَلَّ أميرَ المؤمنينَ يسوؤهُ ... تنادُمُنا في الجَوْسَقِ المتهدِّمِ

وايمُ اللهِ لقد ساءني ذلك، وعزله، فلمّا قَدِمَ عليه سأله، فقال: واللهِ ما كانَ مِنْ هذا شيءٌ، وما كان إلا فضلَ شِعْرٍ وجدته، وما شربتها قط، فقال: أظنُّ ذلك، ولكن لا تعملُ لي على عملٍ أبداً(١).

❁ [أجلس رجالاً على الطرقات لأخذِ الزكاة من المسلمين والعُشر من الحربيين]:

ومنها: أنّه أجلس رجالاً على الطرق لأخذِ الزكاة من المسلمين، والعُشر من الحربيين.

• قال **أبو يوسف**: وحدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر قال: سمعت أبي يذكر قال: سمعت **زياد بن حدير** قال: إنّ أوّل مَنْ بعث عمر بن الخطاب على العشور إلى هاهنا أنا، قال: فأمرني أنْ لا أفتّشَ أحداً، وما مرّ عليّ من شيءٍ أخذتُ من حسابِ أربعينَ درهماً درهماً من

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٤٧).

المسلمين، وأخذتُ من أهل الذمّةِ من عشرينَ واحداً وممّن لا ذمة له العُشرَ، قال: وأمرني أن أغلِظَ على نصارى بني تغلب، قال: إنّهم قومٌ من العرب، وليسوا مِنْ أهلِ الكتاب فلعلّهم يُسْلِمُون. قال: وكان عمرُ قد اشترطَ على نصارى بني تغلب أن لا ينصّروا أولادَهم[1].

• قال: وحدّثنا السري بن إسماعيل عن عامر الشعبي، عن **زياد بن حدير الأسدي**: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعثه على عشور العراق والشام، وأمره أن يأخذ من المسلمين ربعَ العشر، ومن أهل الذمة نصفَ العشر، ومن أهل الحربِ العشرَ، فمرَّ عليه رجل من بني تغلب من نصارى العرب ومعه فرس، فقوّموها بعشرين ألفاً، فقال: أعطني الفرس وخذ مني تسعةَ عشرَ ألفاً، أو أمسك الفرسَ وأعطني ألفاً، قال: فأعطاه ألفاً وأمسك الفرس، قال: ثم مرَّ عليه راجعاً في سَنَته فقال له: أعطني ألفاً أخرى، فقال له التغلبي: كلّما مررتُ بكَ تأخذ منّي ألفاً؟ قال: نعم، قال: فرجع التغلبي إلى عمر بن الخطاب، فوافاه بمكّة وهو في بيت، فاستأذن عليه، فقال: مَنْ أنت؟ فقال: رجلٌ من نصارى العرب، وقص عليه قصته، فقال له عمر: كُفيت، ولم يزده على ذلك، قال: فرجع التغلبي إلى زياد بن حدير، وقد وطّنَ نفسه على أن يعطيه ألفاً أخرى، فوجد كتاب عمر قد سبق إليه: مَنْ مَرَّ عليك فأخذتَ منه صدقة فلا تأخذ منه شيئاً إلى مثل ذلك اليوم من قابل، إلّا أن تجدَ فضلاً، قال: فقال الرجل: قد والله كانت نفسي طيبة أن أعطيك ألفاً، وإني أشهِدُ الله أنّي بريءٌ من النصرانية، وإنّي على دين الرجل الذي كتب إليك هذا الكتاب[2].

---

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ١٤٣).

(٢) «كتاب الخراج» (ص١٦٢).

ومنها: أنَّه جعل تجّار دار الحرب مستأمنين، وأذن لهم أن يدخلوا في دار الإسلام، ويُعامَلوا مع المسلمين البيع والشراء.

• قال أبو يوسف: وحدّثنا عبد الملك بن جريج عن **عمرو بن شعيب** أنّ أهل منبج ـ من أهل الحرب ـ وراء البحر كتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «دعنا ندخلُ أرضكَ تجّاراً وتعشّرنا»، قال: فشاور عمرُ أصحاب رسول الله ﷺ في ذلك، فأشاروا عليه به، فكانوا أوّل من عُشِّرَ من أهل الحرب(١).

۞ [وصيته للإحسان إلى أهل الذمة]:

ومنها: أنه كان يوصي بِحُسْنِ المعاملة مع أهل الذمة.

• قال **أبو يوسف**: وحدّثني **حصين بن عمرو بن ميمون** عن عمر رضي الله عنه أنه قال: أوصي الخليفةَ مِنْ بعدي بأهل الذمّةِ خيراً أن يوفّي لهم بعهدهم وأن يقاتِلَ مِنْ وَرَائِهِم، وأن لا يكلّفوا فوقَ طاقتهم(٢).

• قال: وحدثنا هشام بن عروة عن **أبيه** أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بطريق الشام وهو راجعٌ في مسيره من الشام على قومٍ قد أقيموا في الشمس يُصَبّ على رؤوسهم الزيت، فقال: ما بالُ هؤلاءٍ؟ فقالوا: عليهم الجزيةَ لم يؤدّوها، فهم يعذّبون حتى يؤدّوها، فقال عمر: فما يقولون وما يعتذرون به في الجزية؟ قالوا: يقولون لا نجدُ، قال: فدعوهم، لا تكلّفوهم ما لا يطيقون، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا تعذِّبوا الناسَ، فإنّ الذين يعذّبونَ الناسَ في الدنيا يُعَذِّبهم اللهُ يومَ القيامةِ**»، وأمر بهم فخلي سبيلهم(٣).

---

(١) «كتاب الخراج» (ص١٦١).
(٢) «كتاب الخراج» (ص١٦١).
(٣) «كتاب الخراج» (ص١٤٨).

• قال: وحدثني عمر بن نافع عن **أبي بكر** قال: مرّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بباب قوم، وعليه سائلٌ يسأل، شيخٌ كبيرٌ ضريرُ البصرِ، فضرب عضده من خلفه وقال: مِنْ أيِّ أهل الكتابِ أنتَ؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجأك إلى ما أرى؟ قال: الجزيةُ والحاجةُ والسنُّ، قال: فأخذ عمر بيده، وذهبَ به إلى منزله فرضخَ له بشيءٍ من المنزل، ثم أرسلَ إلى خازنِ بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءَه، فواللهِ ما أنصفناه أَنْ أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزيةَ وعن ضربائِهِ، قال أبو بكر: أنا شهدتُ ذلك مِنْ عمرَ، ورأيت ذلك الشيخ[١].

ومنها: أنَه كان يتصفَّح مجالسَ الناس، ويراقبهم، كي لا تنشب فتنةٌ بين المسلمين.

• قال أبو يوسف: وحدّثني إسرائيل عن سماك بن حرب عن **أبي سلامة** قال: ضرب عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه رجالاً ونساء ازدحموا على حوض، قال: فلقيه عليٌّ فسأله فقال: إنِّي أخافُ أن أكون قد هلكت، فقال عليٌّ رضي الله عنه: إن كنتَ ضربتهم على غِشٍّ وعداوةٍ فقد هلكت، وإن كنتَ ضربتهم على نُصْحٍ وإصلاحٍ فلا بأسَ، إنما أنت راعٍ، إنّما أنت مؤَدِّبٌ[٢].

❁ [نهى الشعراء عن هجو أحد من الناس]:

ومنها: أنّه نهى الشعراء عن هَجْوِ أحدٍ من الناس نهياً تامّاً.

في «الاستيعاب»: هجا شاعرٌ[٣] الزبرقانَ بقوله:

---

(١) «كتاب الخراج» (ص١٤٩).
(٢) «كتاب الخراج» (ص١٣٥).
(٣) هو الحطيئة.

دَعِ المكارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا   واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

فشكاه الزبرقان إلى عمر، فسأل عمرُ حسّانَ بنَ ثابت عن قوله هذا، فقضى أنّه هجوٌ له وضِعَةٌ منه، فألقاه عمر بن الخطاب لذلك في مطمورةٍ حتى شفع له عبد الرحمٰن بن عوف والزبير، فأطلقه بعد أن أخذ عليه العهد، وأوعده ألّا يعود لهجاء أحدٍ أبداً[١].

۞ [معرفته الدقيقةُ بطباع النّاس وأخلاقهم، وذلك من أركان الخلافة الأساسية]:

ومنها: أنّه رضي الله عنه كان يملكُ ذكاءً نادراً، وحاسّةً عجيبةً، يعرف بها أخلاقَ الرجال، ومبلغَ أقدارهم، وكفاءاتهم، ودرجاتهم في القوة والهمة، ويعرفُ لكلِّ أحد بتعيين عليها، وكانت له ملكةٌ كاملةٌ لتشخيص كل واحد، وهذا من كرامات عمر رضي الله عنه، وهذا هو الركن الأعظم لخلافته،وما تكلّم بكلمةٍ لأحد إلّا وظهرت له كما رأى وتكلّم.

• في «**الاستيعاب**»: كتب عمر إلى النعمان بن مقرن: استشر واستعن في حربك بطليحة وعمرو بن معد يكرب، ولا تولّهما من الأمر شيئاً، فإنَّ كلَّ صانع هو أعلمُ بصناعته[٢].

• وفيه: **كعب بن سور** كان جالساً عند عمر بن الخطاب، فجاءت امرأةٌ فقالت: ما رأيتُ رجلاً قط أفضلَ من زوجي، إنّه ليبيتُ ليله قائماً، ويظلُّ نهارَه صائماً في اليوم الحار ما يفطر، فاستغفر لها عمر، وأثنى عليها، وقال: مثلك أثنى بالخير وقاله، فاستحيتِ المرأةُ، وقامت راجعةً، فقال كعب بن سور: يا أميرَ المؤمنين! هلّا أعديتَ المرأة على زوجِها إذ جاءتك تستعديكَ، فقال: أكذلك أرادت؟ قال: نعم.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٨).   (٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٧٤).

قال: ردوا عليَّ المرأة. فردت، فقال لها: لا بأسَ بالحقِّ أن تقوليه، إنّ هذا يزعمُ أنك جئتِ تشتكينَ أنه يجتنبُ فراشك، قالت: أجل إنِّي امرأة شابة، وإنِّي أبتغي ما تبتغي النساء، فأرسل إلى زوجها، فجاء، فقال لكعب: اقضِ بينهما فقال: أميرُ المؤمنين أحقُّ بأن يقضي بينهما، فقال: عزمتُ عليك لتقضينَّ بينهما، فإنك فهمتَ من أمرهما ما لم أفهم، قال: فإنِّي أرى أنَّ لها يوماً من أربعة أيام، كأنّ لزوجها أربعَ نسوةٍ، فإذا لم يكن له غيرها، فإنّي أقضي له بثلاثة أيام ولياليهنّ يتعبّد فيهنَ، ولها يوم وليلة، فقال عمر: واللهِ ما رأيك الأوّلُ بأعجبَ من الآخر، اذهب فأنت قاضٍ على أهلِ البصرةِ[1].

• وفيه: قدم النعمانُ بن مقرن المدينةَ من عند سعد بفتح القادسية، ووردَ حينئذٍ على عمر اجتماعُ أهل أصبهان وهمذان والري وأذربيجان ونهاوند، فأقلقه ذلك، وشاور أصحابَ النبيِّ ﷺ، فقال له علي بن أبي طالب: ابعث إلى أهل الكوفة فيسيِّر ثلثاهم، ويبقي ثلثهم على ذراريهم، وابعث إلى أهل البصرة. قال: فمن أستعملُ عليهم، أشر علي؟ فقال: أنت أفضلُنا رأياً وأعلمُنا، فقال: لأستعملنَّ عليهم رجلاً يكون لها، فخرج إلى المسجد، فوجد النعمان بن مقرن يصلِّي فيه، فسرحه وأمّره، وكتب إلى أهل الكوفة بذلك.

• وقد روي أنه قال: إن قُتِلَ النعمان فحذيفة، وإن قتل حذيفة فجرير، فخرج النعمان ومعه حذيفة والزبير والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس وعبد الله بن عمر، كلّهم تحت رايته، وهو أميرُ الجيش، ففتح الله عليه أصبهان، فلمّا أتى نهاوند كان أوّلَ صريعٍ، وأخذ الرايةَ حذيفةُ، ففتح الله عليهم، وكانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين، وكان قتل

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٠٩).

النعمان بن مقرن يومَ جمعةٍ، ولمّا جاء نعيه عمر بن الخطاب خرج فنعاه إلى الناس على المنبر، ووضع يده على رأسه يبكي[١].

وهذا من أصحِّ الروايات، وفي رواية أخرى: أنّ النعمان كان عاملاً على الكوفة فمن هنا أمّره عمرُ بنُ الخطاب على الجيش.

● وفي «**الاستيعاب**» [في ترجمة] عبد الله بن الأرقم: قال **مالك**: بلغني أنه ورد على رسول الله ﷺ كتابٌ، فقال: مَنْ يجيب عني؟ فقال عبد الله بن الأرقم: أنا، فأجابَ عنه، وأتى به إليه، فأعجبه وأنفذه، وكان عمرُ حاضراً، فأعجبه ذلك من عبد الله بن الأرقم، فلم يزل ذلك له في نفسه يقول: أصابَ ما أراده رسول الله ﷺ، فلمّا ولي عمر استعمله على بيت المال[٢].

● وروى أشهب عن **مالك** أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: ما رأيتُ أحداً أخشى لله من عبد الله بن الأرقم، قال: وقال عمر لعبد الله بن الأرقم: لو كان لك مثل سابقة القوم ما قدّمتُ عليكَ أحداً[٣].

● وفيه: بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عبد الله بن مسعود إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وكتب إليهم: إنِّي قد بعثتُ إليكم بعمار بن ياسر أميراً وعبد الله بن مسعود معلّماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي، وقال فيه عمر: كُنَيِّفٌ مُلِئَ علماً[٤].

● وفيه: عن **ابن عباس** قال: بينا أنا أمشي مع عمر يوماً إذ تنفس

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٤٧٥).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٢٦٠).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٢٢٠).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٣٠٤).

نفساً ظننتُ أنه قد قضبت أضلاعُه، فقلت: سبحان الله، والله ما أخرجَ منك هذا يا أميرَ المؤمنين إلا أمرٌ عظيمٌ. فقال: ويحك يا ابن عباس! ما أدري ما أصنعُ بأمة محمدٍ ﷺ.

قلت: ولِمَ وأنتَ بحمدِ اللهِ قادرٌ أن تضع ذلك مكان الثقة؟

قال: إني أراك تقول: إن صاحبك أولى الناس بها؛ يعني: عليّاً رضي الله عنه.

قلت: أجل والله، إنّي لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره.

قال: إنّه كما ذكرتَ ولكنّه كثيرُ الدعابةِ، فقلتُ: فعثمان؟ قال: فوالله لو فعلتُ لجعلَ بني أبي مُعَيْطٍ على رقابِ الناس، يعملون فيهم بمعصيةِ اللهِ، واللهِ لو فعلتُ لفعل، ولو فعل لفعلوه، فوثب الناسُ عليه فقتلوه.

فقلت: طلحة بن عبيد الله؟ قال: الأكيسع هو أزهى مِنْ ذلك، ما كان الله ليراني أولّيه أمرَ أُمّةِ محمّد ﷺ وهو على ما هو عليه من الزهو.

قلت: الزبير بن العوام؟ قال: إذاً يلاطِمُ الناسَ في الصاع والمُدّ.

قلت: سعد بن أبي وقاص؟ قال: ليس بصاحب ذلك، ذاك صاحِبُ مِقْنَبٍ يقاتِلُ به.

قلت: عبد الرحمٰن بن عوف؟ قال: نعم الرجل ذكرتَ، ولكنّه ضعيفٌ عن ذلك، والله يا ابن عباس! ما يصلحُ لهذا الأمر إلا القويُّ في غير عُنْفٍ، اللينُ في غيرِ ضَعْفٍ، الجوادُ في غيرِ سَرَفٍ، الممسكُ في غيرِ بُخْلٍ. قال ابن عباس: كان عمر واللهِ كذلك[1].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٥).

• وفيه: ذُمَّ معاويةُ عند عمر يوماً، فقال: دعونا مِنْ ذَمِّ فتَى قريش من يضحك في الغضب، ولا ينال ما عنده إلّا على الرضا، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلّا من تحت قدميه[١].

• وفيه: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار الصحابة في رجل يوجهه إلى العراق، فأجمعوا جميعاً على عثمان بن حنيفٍ وقالوا: إن تبعثه على أهم من ذلك فإنّ له بصراً وعقلاً ومعرفةً وتجربةً، فأسرع عمرُ إليه، فولاه مساحةَ أرض العراق، فضربَ عثمانُ على كلِّ جريب من الأرض يناله الماءُ غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً، فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموتَ عمرُ بعام مائة ألفِ ألفِ ونيفاً[٢].

• وفيه أيضاً: كان عتبةُ بنُ غزوان أوّلَ مَنْ نزلَ البصرةَ من المسلمين، وهو الذي اختطّها، وقال له عمر لمّا بعثه إليها: يا عتبةُ! إنّي أريدُ أن أوجّهكَ لتقاتِلَ بلد الحيرة، لعلَّ الله سبحانه يفتحُها عليكم، فَسِرْ على بركة الله تعالى ويُمْنِهِ، واتّق الله ما استطعتَ، واعلم أنّكَ ستأتي حومةَ العدوِّ، وأرجو أن يعينك الله عليهم ويكفيكهم، وقد كتبتُ إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة للعدو، وذو مكايدة شديدة، فشاوره، وادعُ إلى الله عز وجل، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن يدِ مذلةٍ وصغار، وإلا فالسيفُ في غير هوادة، واستنفر مَنْ مررتَ به من العرب، وحثَّهم على الجهاد، وكابد العدو، واتّقِ الله ربك، فافتتح عتبةُ بن غزوان الأُبلّة ثم اختطّ مسجد البصرة[٣].

• وفيه من **حديث الشعبي**: أنّ عدي بن حاتم قال لعمر بن

(١) «الاستيعاب» (/ ٤٤٥).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣١٧).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣١٥).

الخطاب إذ قدم عليه: ما أظنّك تعرفني، فقال: كيف لا أعرفُكَ؟ وأوّلُ صدقةٍ بيضت وجهَ رسولِ اللهِ ﷺ صدقةُ طي، أعرفك آمنتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووفّيتَ إذ غدروا[١].

۞ [لا يستعين على أمور المسلمين بغيرهم ولا يضع الثقة فيهم]:

ومنها: أنّه كان ينهى عن وضع الثقة في الكفّار في أعمال المسلمين أشدَّ النهي.

• في **«الرياض النضرة»**: إنّ أبا موسى قدم على عمر ومعه كاتب نصراني فرفع كتابه، فأعجب عمر، ولم يعلم أنّه نصراني، فقال لأبي موسى: أين كاتبك هذا حتّى يقرأ الكتابَ على الناس؟ فقال أبو موسى: يا أميرَ المؤمنين! إنّه لا يدخلُ المسجدَ. قال: لم؟ أجنبٌ هو؟ قال: لا، ولكنّه نصراني، فانتهره عمر وقال: لا تدنوهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرموهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنوهم وقد خوَّنهم الله، وقد نهيتُكم عن استعمال أهل الكتاب، فإنّهم يستحلّون الرشا[٢].

وفي رواية: إنّ عمرَ قال لأبي موسى: ائتني برجلٍ ينظر في حسابنا، فأتاه بنصراني فقال: لو كنتُ تقدّمت إليك لفعلت وفعلت، سألتُك رجلاً أُشْرِكه في أمانتي، فأتيتني بِمَنْ يخالِفُ دينه ديني[٣].

۞ [اهتمامه بتفقّد أحوال الرعية]:

ومنها: أنّ عمر رضي الله عنه كان يطوف في الناس، وقد تولّى هو نفسه العَسَس[٤]، وفي اختيار هذا الأمر فائدتان:

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٦).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٧١).

(٣) «الرياض النضرة» (١/ ١٧١).

(٤) **العَسَس**: الطواف بالليل.

الأولى: للاطلاع على أحوال الرعية، ولو وقع خلل في مكان ما لتداركه بالعمل، وقد كان الملوك العادلون يعينون لهذه الفائدة رجال المخابرات والكتبة لمعرفة الأحوال والأخبار.

والثانية: لحرس الضعفاء عن السارقين والقطاع، وقد كان يعيّن الأمراء والملوك العادلون العسس(١) والشرط لهذه المصلحة، كذلك كان الملوك يقرّرون لبعض المصالح أشخاصاً كان عمر بن الخطاب يتولّى بنفسه لها، وذلك لكي يطلع على كلّ صغيرٍ وكبيرٍ من الأمور، فكان يضع أصولاً وقواعد في ضوئه، فمن ذلك قصة تعهّد نساء الغزاة، واتباعه خلف القافلة، وقد ظهرت له عجائب في عسسه وطوافه، نذكرها في ضمن اثنتين أو الثلاث من الحكايات.

• عن زيد بن أسلم عن **أبيه** قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ﷺ إلى السوق، فلحقت عمرَ امرأةٌ شابةٌ، فقالت: يا أمير المؤمنين! هلك زوجي، وترك صبيةً صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرعٌ ولا ضرعٌ، وخشيتُ أن تأكلهم الضبعُ، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبيةَ مع النبيِّ ﷺ، فوقف معها عمرُ ولم يمضِ، ثم قال: مرحباً بنسبٍ قريبٍ، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقةً وثياباً، ثم ناولها بخطامه، ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتّى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أميرَ المؤمنين! أكثرت لها؟ قال عمر: ثكلتك أمك، والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه، أخرجه **البخاري**(٢).

(١) جمع العاس، الذين يطوفون بالليل ويحرسون ويكشفون أهل الريبة.

(٢) «صحيح البخاري» (ح: ٤١٦٠ و٤١٦١).

• وفي «**الرياض النضرة**»: عن **ابن عمر** قال: قدمت رفقةٌ من التجار، فنزلوا المصلى، فقال عمر لعبد الرحمٰن: هل لك أن تحرسهم الليلة من السرق؟ فباتا يحرسانهم، ويصليان ما كتب الله لهما، فسمعَ عمرُ بكاء صبي، فتوجّه نحوه، فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صبيك، ثم عاد إلى مكانه فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلما كان من آخر الليل، سمع بكاءه، فأتى إلى أمه وقال: ويحك! إنِّي لأراكِ أمَّ سوء، ما لي لا أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة؟ قالت: يا عبد الله! قد أبرمتني منذُ الليلة، إني أربعه على الفطام فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأنّ عمرَ لا يفرض إلا للمفطم، قال: فكم له؟ قالت: كذا وكذا شهراً، قال: لا تعجليه، فصلّى الفجر وما يستبين الناسُ، ثم غلبه البكاءُ، فلما سلَّم قال: يا بؤساً لعمر، كم قتل من أولاد المسلمين، ثم أمرّ منادياً ينادي أن لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنّا نفرضُ لكلِّ مولودٍ في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكلِّ مولودٍ في الإسلام، أخرجه صاحب «الصفوة»[1].

• وفيه: عن **عروة بن رويم** قال: بينما عمرُ بنُ الخطّاب يتصفّح الناسَ، يسألهم عن أمراء أجنادهم إذ مرَّ بأهل حمص، فقال: كيف أنتم وكيف أميركم؟ قالوا: خيرُ أميرٍ يا أمير المؤمنين إلا أنّه قد بنى عليَّة يكون فيها، فكتب كتاباً وأرسل بريداً وأمره: إذا جئت باب عليته فاجمع حطباً وأحرق باب عليته، فلمّا قدم، جمعَ حطباً وأحرقَ باب العلية، فدخل عليه الناس، وذكروا أن هٰهنا رجلاً يحرق باب عليتك فقال: دعوه فإنّه رسولُ أمير المؤمنين، ثم دخل عليه، فناوله الكتاب، فلم يضع الكتابَ من يده حتى ركب، فلمّا رآه عمر قال: احبسوه عني في الشمس

---

(١) «الرياض النضرة» (ص١٨٣).

ثلاثةَ أيام، فحُبِسَ عنه ثلاثاً، حتّى إذا كان بعد ثلاث قال: يا ابن قرط! الحقني إلى الحَرّة ـ وفيها إبلُ الصدقة وغنمُها ـ حتى إذا جاء الحَرّة ألقى عليه نَمِرَة وقال: انزع ثيابَكَ، واتّزر بهذه، ثم ناوله الدلو فقال: اسق هذه الإبل، فلم يفرغ حتى لَغِبَ[١]، فقال: يا ابن قرط! متى كان عهدك بهذا؟ قال: ملياً يا أمير المؤمنين، قال: فلهذا بنيت العلية، وأشرفتَ بها على المسلمين والأرملة واليتيم، ارجع إلى عملك ولا تعد[٢].

• وفيه: عن **أنس بن مالك**: بينما أمير المؤمنين عمر يعس ذات ليلة إذ مرَّ بأعرابي جالس بفناء خيمة، فجلس إليه يحدّثه، ويسأله، ويقول له: ما أقدمك هذه البلاد؟ فبينما هو كذلك إذ سمع أنيناً من الخيمة فقال: مَنْ هذا الذي أسمع أنينه؟ فقال: أمرٌ ليس من شأنك، امرأة تمخض، فرجع عمر إلى منزله وقال: يا أم كلثوم! شدي عليك ثيابك واتبعيني، قال: ثم انطلق حتى انتهى إلى الرجل، فقال له: هل لكَ أن تأذن لهذه المرأة أن تدخلَ عليها فتؤنسها، فأذن لها فدخلتْ، فلم يلبث أن قالت: يا أميرَ المؤمنين! بشّر صاحبك بغلام، فلمّا سمع قولها أميرَ المؤمنين وثبَ من حينه[٣]، فجلس بين يديه، وجعل يعتذِرُ إليه فقال: لا عليك!! إذا أصبحتَ فائتنا، فلمّا أصبح أتاه، ففرض لابنه في الذرية وأعطاه[٤].

• وفيه: عن **ابن عمر** أنّ عمرَ لمّا رجع من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس، ليعرِفَ أخبارهم، فمر بعجوزٍ في خبائها[٥] فقصدها فقالت: يا هذا ما فعل عمر؟ قال: هو ذا قد أقبل من الشام، قالت: لا جزاه الله

---

(١) أي: تعب.
(٢) «الرياض النضرة» (ص١٨٣).
(٣) في الأصل الفارسي: «من جنبه».
(٤) «الرياض النضرة» (ص١٨٤).
(٥) في الأصل الفارسي: «فقصدها».

عنّي خيراً، قال: ويحكِ! ولم؟ قالت: لأنّه واللهِ ما نالني من عطائه منذ ولي إلى يومنا هذا دينارٌ ولا درهمٌ، فقال: ويحك ما يدري عمر حالك وأنت في هذا الموضع؟ فقالت: سبحان الله ما ظننت أن أحداً يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها، قال: فأقبل عمر وهو يبكي ويقول: وا عمراه! وا خصوماه! كلٌّ واحد أفقه منك يا عمر، ثم قال لها: بكم تبيعيني ظلامتك منه، فإنِّي أرحمه من النار، قالت: لا تهزأ بنا يرحمُكَ الله، قال لها عمر: ليس بهزء، فلم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين ديناراً، فبينا هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما فقالا: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين! فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت: واسوأتاه! شتمتُ أمير المؤمنين في وجهه، فقال لها عمر: لا عليك يرحمك الله، قال: ثم طلب عمرُ قطعةَ جلدٍ يكتب فيه فلم يجد، فقطع قطعة من فروة كان لبسها وكتب: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي إلى يومنا بخمسة وعشرين ديناراً، فما تدّعي عند وقوفي في المحشر بين يدي الله عز وجل فعمر منه بريء، شهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود» ثم دفع الكتابَ إلى عليٍّ وقال: إذا أنا تقدمتك فاجعلها في كفني[(١)].

• وفيه: عن **الأوزاعي** أنّ عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل، فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً، ثم خرج، ودخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوزٍ عمياء مقعدة فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنّه معاهدي منذ كذا وكذا بما يصلحني ويُخْرِجُ عنّي الأذى! فقال طلحة: ثكلتك أمك! أعثرات عمر تتبع؟ أخرجه **صاحب الصفوة والفضائلي**[(٢)].

---

(١) «الرياض النضرة» (ص١٨٤).
(٢) «الرياض النضرة» (ص١٨٤).

• وفيه: روي أنّه كان يطوفُ ليلةً في المدينة فسمعَ امرأة تقول:

ألا طالَ هذا الليلُ وازوَرَّ جانِبُه ... وليس إلى جَنْبِي خَليلٌ أُلاعِبُهْ
فواللَّهِ لولا اللَّهُ تُخْشَىٰ عَوَاقِبُهْ ... لَزَعْزَعَ مِنْ هذا السَّرِيرِ جَوانِبُهْ
مخافةُ ربِّي والحياءُ يردّني ... وأُكْرِمُ بعلي أَنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهْ
ولكنَّني أخشى رَقِيباً مُوَكّلاً ... بِأَنْفُسِنا لا يَفْتُرُ الدَّهْرَ كاتِبُهْ

فسأل عمر نساءً: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ فقلن: شهرين، وفي الثالث يقلّ الصبر، وفي الرابع ينفد الصبر، فكتب إلى أمراء الأجناد: أن لا تحبسوا رجلاً عن امرأته أكثر من أربعة أشهر[١].

• وفيه عن **الشعبي** قال: سمع عمر امرأة تقول:

دَعَتْنِي النفسُ بعدَ خروجِ عَمْرٍو ... إلى اللذَّاتِ تَطَّلِعُ اطّلاعا
فقلتُ لها: عَجِلْتِ فَلَنْ تُطاعِي ... ولو طالَتْ إقامتُهُ رباعَا
أُحاذِرُ أن أطيعكَ سبّ نفسِي ... وَمخزاةً تُجَلِّلُنِي قِنَاعَا

فقال لها عمر: ما الذي يمنعك من ذلك؟ قالت: الحياءُ وإكرام زوجي، قال عمر: إنّ في الحياء لهنات ذات ألوان؛ من استحيا استخفى، ومن استخفى اتقى، ومن اتّقى وقى. أخرجه **ابن أبي الدنيا**[٢].

• وفي «**الإحياء**»: روي أنّ عمر كان يعسُّ في المدينة ذاتَ ليلةٍ فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة، فلمّا أصبح قال للناس: أرأيتُم لو أنَّ إماماً رأى رجلاً وامرأةً على فاحشة فأقام عليهما الحدَّ، ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنّما أنتَ إمامٌ، فقال علي: ليس لك ذلك، إذاً يقام الحدُّ عليك، إن الله تعالى لم يأمن على هذا الأمر أقلَّ من أربعة شهداء، ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم، ثم سألهم، فقال القومُ مثل مقالتهم الأولى، وقال

(١) «الرياض النضرة» (ص١٨٥).
(٢) «الرياض النضرة» (ص١٨٥).

علي مثل مقالته، قال الغزالي: وهذا مشيرٌ إلى أنَّ عمر كان متردِّداً في هذه المسألة[١].

• وفيه: عن **عبد الرحمٰن بن عوف** رضي الله عنه قال: خرجت[٢] مع عمر رضي الله عنه ليلةً في المدينة، فبينما نحن نمشي إذ ظهرَ لنا سراج، فانطلقنا نؤمُّه، فلما دنونا منه إذا بابٌ مغلق على قوم لهم أصواتٌ ولغط، فأخذ عمرُ بيدي وقال: أتدري بيتُ من هذا؟ قلت: لا، فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شِرْبٌ، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢]، فرجع عمر رضي الله عنه وتركهم[٣].

• وفيه: روي أنّ عمر كان يعسُّ بالمدينة الليلَ، فسمع صوتَ رجل في بيت يتغنّى، فتسوّر عليه، فوجد رجلاً عنده امرأة وخمر، فقال: يا عدو الله! أظننتَ أنّ الله تعالى يستركَ وأنتَ على معصيته؟ فقال: وأنتَ يا أمير المؤمنين فلا تعجل، إنْ أكُ عصيتُ الله في واحدةٍ فأنتَ عصيتَه في ثلاثٍ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾، وقد تَجَسَّسْتَ، وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد تَسوَّرتَ عَلَيَّ، وقال تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ [النور: ٢٧]، وقد دَخلتَ بَيتِيَ بغير أذنٍ ولا سلامٍ، فقال عمر: هل عندكم من خيرٍ إنْ عفوتُ عنك؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين! لئن عفوتَ عنّي لا أعودُ لمثلها أبداً، فعفا عنه[٤].

• وذكر في «**روضة الأحباب**»: عن **أسلم** مولى عمر بن الخطاب: بينا أنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعسُّ بالمدينة إذ أعيا، فاتكأ على

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٦).
(٢) في الأصل الفارسي: «حرست».
(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٠٩).
(٤) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١١٠).

جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأةٌ ضعيفة تقول لابنتها: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فقالت: يا أمتاه! وما علمت ما كان مِنْ عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان مِنْ عزمته؟ قالت: إنه أمرَ منادياً فنادى: لا يشابُ اللبنُ بالماءِ، فقالت لها: يا ابنتاه! قومي إلى اللبن، فامذقيه بالماء، فإنّكِ في موضع لا يراكِ عمرُ، ولا منادي عمر، فقالت الصبية: واللهِ ما كنتُ لأطيعه في الملأ، وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كلَّ ذلك، فقال: يا أسلم! علّم الباب، واعرف الموضعَ، ثم مضى في عسّه، فلما أصبح قال: يا أسلم! امض إلى الموضع، فانظر مَنْ القائلةُ؟ ومن المقولُ لها؟ وهل لهم مِنْ بعلٍ؟ فأتيتُ الموضعَ، فإذا أَيْمٌ لا بعل لها، وإذا تِيكَ أمُّها، وإذا ليس لهم رجل، فأتيتُ عمرَ بنَ الخطاب، فأخبرته، فدعا عمرُ ولدَه، فجمعهم، فقال: هل فيكم مَنْ يحتاجُ إلى امرأةٍ أزوّجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحدٌ إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمٰن: لي زوجةٌ، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي، فزوّجني، فبعثَ إلى الجارية، فزوّجها من عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت الابنةُ ابنةً، وولدت الابنةُ عمرَ بنَ عبد العزيز[1].

• وروي عن **عبد الله بن بريدة الأسلمي** قال: بينما عمر بن الخطاب يعسُّ ذاتَ ليلة في سوق المدينة إذا امرأة تقول:

ألا سبيلٌ إلى خَمْرٍ فأشربُها ... أَمْ هَلْ سبيلٌ إلى نَصْرِ بنِ حَجّاجِ؟

فلمّا أصبح سأل عن نصر بن حجاج مَنْ هو؟ قالوا: إنّه شاب من بني سُليم، رشيقُ القدِّ، صبيحُ الوجه، حَسنُ الشعر، فأمر عمرُ الحلّاق

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٢٥٣).

أن يحلقَ رأسه، ثم نظر إليه فإذا جماله بقي كما كان، فأعطى له شيئاً من بيت المال، وأمره بالخروج من المدينة[١].

ثم إنه ظهرت منه خيانةٌ بعد، فثبت أنّ عمر رضي الله عنه كان قد أدرك بفراسته ذلك قبل الخيانة.

• وروي عن **عبد الرحمٰن بن عوف** قال: زارني عمر بن الخطاب في بيتي فقلتُ له: لماذا طلبتني؟ قال: جاء الخبرُ إليَّ أنّ في الوقتِ جاءت خارجَ المدينة أهلُ القافلة، ناموا نوماً عميقاً من كلال السفر، فقم معي لنحرسهم فبلغنا إلى رأس تلٍّ، وكنّا يقظان إلى الصباح[٢].

• وروي عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: رحم الله على قبر عمر، لقد رأيته عام الرمادة، وإنّه ليحمل على ظهره جرابين من الخبز، وعُكّة زيتٍ في يده، وكان أسلم رفيقه في حمله فصرتُ رفيقه، حتى انتهينا إلى صرار[٣]، فإذا صرم نحو من عشرين بيتاً من بني محارب، فقال عمر: ما أقدمكم؟ قالوا: الجوعُ، قال: فأخرجوا لنا جلد الميتة مشوياً، كانوا يأكلونه، ورمة العظام مسحوقةً، كانوا يسفّونها، فرأيتُ عمر طرح رداءه، ثم اتّزر، فما زال يطبخُ لهم حتّى شبعوا، وأرسل أسلمَ إلى المدينة، فجاء بأبعرةٍ محملةٍ عليها الأطعمة والكسوة، وقسمها بينهم، وهؤلاء الناس قد رجعوا إلى بيوتهم مرفّة الحال ومقضي الأوتار[٤].

• **ومنها**: أنّه لم يقصّر في المحافظة على بيت المال دقيقةً.

• ذكر في «**روضة الأحباب**»: أنّ الأحنف بن قيس قدم على عمر بن

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٨٥). (٢) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٠١).

(٣) صرار: بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق، وقيل: موضع بالمدينة. «معجم البلدان» (٣/ ٨٦).

(٤) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣١٤)، و«الرياض النضرة» (١/ ١٨٢).

الخطاب في وفدٍ من العراق، قدموا عليه في يوم صائفٍ شديدِ الحرِّ، وهو محتجزٌ بعباءة، يَهْنَأُ بعيراً من إبل الصدقة، فقال: يا أحنف! ضع ثيابكَ وهلمَّ، وأعِنْ أميرَ المؤمنينِ على هذا البعير، فإنَّه من إبلِ الصدقة، فيه حقُّ اليتيم والأرملةِ والمسكين، فقال رجلٌ: يغفرُ اللهُ لكَ يا أميرَ المؤمنين! فهلّا تأمرُ عبداً من عبيدِ الصدقة فيكفيكَ هذا؟ فقال عمر: يا ابنَ فلانة! وأيُّ عبدٍ هو أعبدُ منِّي ومن الأحنفِ بن قيسٍ هذا، إنّه مَنْ وَلِيَ أمرَ المسلمين فهو عبدٌ للمسلمين، يجب عليه لهم ما يجب على العبدِ لسيده من النصيحة وأداءِ الأمانةِ[1].

• وفي «**الرياض**»: عن **أبي بكر العنسي** قال: دخلتُ مع عمر وعثمان وعلي مكان الصدقة، فجلس عثمانُ في الظلِّ يكتب، وقام عليٌّ على رأسه يملي عليه ما يقول عمر، وعمر قائم في الشمس في يومٍ شديدِ الحرِّ، عليه بردتان سوداوان، مؤتزرٌ بواحدة وقد وضع الأخرى على رأسه، وهو يتفقّد إبلَ الصدقة، يكتبُ ألوانَها وأسنانَها، فقال علي لعثمان: أما سمعتَ قولَ ابنةِ شعيب في كتاب الله ﷻ: ﴿...يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص] وأشار إلى عمر وقال: هذا القوي الأمين، أخرجه **المخلص وابن السمان** في «الموافقة»[2].

• وفيه: عن محمّد بن علي بن الحسين عن **مولى لعثمان بن عفان** قال: بينما أنا مع عثمان في مال له في العالية في يوم صائفٍ إذ رأى رجلاً يسوق بكرين، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر، فقال عثمان: ما على هذا؟ لو أقام بالمدينةِ حتى يبرد، ثم يروح، ثم دنا الرجل فقال: انظر مَنْ هذا؟ فنظرتُ فقلت: أرى رجلاً معمَّماً بردائه يسوق بكرين، ثم

---

(١) انظر: «كنز العمال» (٥/ ٧٦١).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٥).

دنا الرجل فقال: انظر فنظرتُ فإذا هو عمر بن الخطاب، فقلت: هذا أميرُ المؤمنين، فقام عثمان، فأخرجَ رأسه من الباب فإذا لفح السموم، فأعاد رأسه حتى إذا حاذاه قال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: بكران من إبل الصدقة تخلّفا، وقد مُضِي بإبل الصدقة، فأردتُ أن ألحقهما بالحمى، وخشيتُ أن يضيعا، فيسألني الله عنهما، فقال عثمان: يا أميرَ المؤمنين! هلمّ إلى الماء والظلّ نكفيك قال: عُدْ إلى ظِلِّك، فقلت: عندنا مَنْ يكفيك، فقال: عُدْ إلى ظلِّكَ، ومضى، فقال عثمان: مَنْ أحبَّ أن ينظر إلى القوي الأمين فلينظر إلى هذا، أخرجه **الشافعي** في «مسنده»[1].

• وفي «**الإحياء**»: روي أنّ عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين، فقال: وددتُ لو أنّ امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت امرأته عاتكة: أنا أجيدُ الوزنَ، فسكت عنها، ثم أعاد القول، فأعادت الجواب، فقال: لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحينَ بها عنقكِ فأصيبُ بذلك فضلاً على المسلمين[2].

• **وفيه**: روي عن عبد الله بن عمر وعبيد الله أنهما اشتريا إبلاً فبعثاها إلى الحمى، فرعته إبلهما حتى سَمِنَتْ[3]، فقال عمر رضي الله عنه: أرعيتماها في الحمى؟ فقالا: نعم فشاطرهما[4].

• **وفيه**: كان عمرُ يقسم مالَ بيتِ المال يوماً، فدخلت ابنةٌ له، وأخذت درهماً من المال، فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة

---

(١) «مسند الشافعي» (١/ ٣٩٠)، و«الرياض النضرة» (ص١٨٥).
(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤١٤).
(٣) في الأصل الفارسي: «فرعت فيه حتى سمنت».
(٤) «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٥٩).

من أحد منكبيه، ودخلت الصبية إلى بيت أهلها تبكي، وجعلت الدرهم في فيها، فأدخل عمر أصبعه فأخرجه مِنْ فيها، وطرحه على الخراج، وقال: أيها الناس! ليس لعمرَ ولا لآلِ عمرَ إلا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم[1].

• **وفيه**: كسحَ أبو موسى الأشعري بيتَ المال فوجد درهماً، فمر بنيٌّ لعمر ﷺ فأعطاه إياه، فرأى عمرُ ذلك في يد الغلام فسأله عنه، فقال: أعطانيه أبو موسى، فقال: يا أبا موسى! ما كان في أهل المدينة بيتٌ أهونُ عليك من آل عمر، أردتَ أن لا يبقى من أُمّةِ محمَّدٍ ﷺ أحدٌ إلا طلبنا بمظلمةٍ، وردَّ الدرهمَ إلى بيت المال[2].

• ومن كتاب «**تنبيه الغافلين**»: عن **علي** قال: رأيتُ عمرَ على كتفه قتب يعدو به بالأبطح، فقلت: يا أميرَ المؤمنين! أين تسيرُ؟ قال: بعيرٌ ندَّ من الصدقة، أطلبه، فقلت له: لقد أذللتَ الخلفاء من بعدِك، قال: لا تلمني يا أبا الحسن! فوالذي بعث محمّداً بالنبوة لو أنَّ عناقاً ذهبت بشاطئ الفرات لأخذَ بها عمرُ يومَ القيامةِ؛ أنّه لا حرمة لوالٍ ضيّع المسلمين، ولا لفاسقٍ ردع المؤمنين.

• **وفيه**: عن عمر أنّه أُتِيَ بزيت من الشام، وكان الزيتُ في الجفان؛ يعني: في القصاع، وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح، وعنده ابنٌ له شعراني قاعد، فلمّا فرغت جفنته مسح بقيتها برأسه، فنظر إليه عمر، فقال: أرى شعرك شديدَ الرغبة على زيت المسلمين، ثم أخذ بيده فانطلق به إلى الحجّام فجزَّ شعره فقال: هذا أهونُ عليك.

ومنها: أنّه كان يتفحّص أحوال المسلمين، فإذا رأى خللاً أصلحه.

---

(١) «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٨٦).
(٢) «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٨٦).

في «**الرياض النضرة**»: أنّ رجلاً من الموالي خطب إلى رجل من قريش أخته، وأعطاها مالاً جزيلاً، فأبى القرشيُّ تزويجها، فقال له عمر: ما منعك أن تزوّجه فإنّ له صلاحاً وقد أحسن عطية أختك؟ فقال القرشي: يا أميرَ المؤمنين! إن لنا حسباً، وإنه ليس لها بكفؤ، فقال عمر: لقد جاءك بحسب الدنيا والآخرة؛ أمّا حسب الدنيا فالمالُ، وأمّا حسب الآخرة فالتقوى، زوّج الرجلَ إن كانت المرأةُ راضيةً، فراجعها أخوها فرضيت، فزوّجها منه[١].

- وعن **ابن عمر** قال: كتب عمر بن الخطاب فيمن غاب من الرجال من أهل المدينة عن نسائهم أن يردوهم، فليرجعوا إليهنّ، أو يطلقوهنّ، أو ليبعثوا إليهنّ بالنفقة، فمن طلّق بعث نفقة ما ترك، أخرجه **الأبهري**[٢].

- وأخرج **مالك**: أنّ عمر بن الخطاب كان يذهبُ إلى العوالي كلَّ يوم سبت، فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه وضع عمله عنه[٣].

۞ [احترامه ومحبّته لأهل بيت رسول الله ﷺ وأقربائه]:

ومنها: أنّه كان شديدَ الإكرام لآل رسول الله ﷺ، والإحسان إليهم، ورعاية حقوقهم.

- في «**الرياض**»: عن **الزهري** قال: كان عمرُ إذا أتاه مالُ العراق أو خُمسُ العراق، لم يدع رجلاً من بني هاشم عَزْباً إلا زوَّجه، ولا رجلاً ليس له خادمٌ إلا أخدمه[٤].

- **وفيه**: عن **محمد بن علي** قال: قدمتْ على عمرُ حُلَلٌ من

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٥).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٨٥).
(٣) «موطأ مالك» برقم: (٣٥٩٤).
(٤) «الرياض النضرة» (١/ ١٦١).

اليمن، فقسمها بين المهاجرين والأنصار، ولم يكن فيها شيءٌ يصلح على الحسن والحسين، فكتب إلى صاحب اليمن أن يعمل لهما على قدرهما، ففعل، وبعث بهما إلى عمر، فلبساها، فقال عمر، لقد كنت أراها عليهم، فما يهنأني حتّى رأيتُ عليهما مثلها[١].

• **وفيه**: عن **الحسين بن علي** بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: أتيت على عمر بن الخطاب وهو على المنبر فصعدتُ إليه فقلت له: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك، فقال عمر: ليس لأبي منبرٌ، وأخذني فأجلسني معه، فجعلتُ أقلِّب حصاً بيدي، فلمّا نزل انطلق بي إلى منزله، فقال لي: من علّمك؟ فقلت: واللهِ ما علّمني أحدٌ، فقال: يا بني! لو جعلت تغشانا، قال: فأتيتُه يوماً وهو خالٍ بمعاوية، وابنُ عمرَ بالباب، فرجع ابن عمر فرجعتُ معه، فلقيني بعد، قال: لم أرك، فقلت: يا أمير المؤمنين! إنِّي جئتُ وأنت خالٍ بمعاوية، وابنُ عمرَ في الباب، فرجع ابن عمر فرجعتُ معه، قال: أنتَ أحقُّ بالإذن من ابن عمر، إنّما أنبت ما في رؤوسنا الله عز وجل، ثم أنتم[٢].

• **وفيه**: عن **عبيد بن حنين** قال: جاء الحسن والحسين يستأذنان على عمر، وجاء عبد الله بن عمر، فلم يؤذن لعبد الله، فرجع، قال: فقال الحسن أو الحسين: إذا لم يؤذن لعبد الله لا يؤذنُ لنا، فبلغ عمر، فأرسل إليه فقال: يا ابن أخي! ما ردّك؟ قال: قلت: إذا لم يأذن لعبد الله بن عمر لم يؤذن لي، فقال: يا ابن أخي! فهل أنبتَ الشعرَ على الرأس غيرُكم[٣] ـ أي: وصلنا إلى هذا ببركة جَدِّك ﷺ ـ.

• **وفيه**: عن **المنذر بن سعد** أنَّ أزواج النبيِّ ﷺ استأذنّ عمر في

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٦١).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٦١).

(٣) «الرياض النضرة» (١/ ١٦٢).

الحجِّ، فأبى أن يأذنَ لهنَّ، حتى أكثرن عليه، فقال: سآذن لكنَّ بعد العام، وليس هذا من رأيي، فقالت زينب بنت جحش: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام حجة الوداع: «**إنَّما هي هذه الحجة، ثم ظهورُ الحصر**»، فخرجن غيرها، فأرسل معهنّ عثمانَ بنَ عفان وعبدَ الرحمٰن بن عوف، وأمرهما أن يسير أحدهما بين أيديهن، والآخر خلفهنّ، ولا يسايرهنّ أحدٌ، فإذا نزلن فأنزلوهن شِعْباً، ثم كونا على باب الشعب لا يدخلنَّ عليهنَّ أحدٌ، ثم أمرهما إذا طِفْنَ بالبيتِ لا يطوفُ معهنَّ أحدٌ إلا النساء، فلما هلك عمر غلبنَ مَنْ بعده[١].

• **وفيه**: عن **ابن أبي نجيح** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الذي يحافِظُ على أزواجي بعدي فهو الصّادِقُ البارُّ**»، فقال عمر: مَنْ يحجَّ مع أمهات المؤمنين؟ فقال عبد الرحمٰن: أنا! فكان يحجُّ بهنَّ، وينزِلُهنَّ الشِّعْبَ الذي ليس فيه منفذٌ، ويجعل على هوادجهن الطيالسة[٢].

• **وفيه**: عن **أبي وائل** أنَّ رجلاً كتب إلى أُمِّ سلمة يحرّجُ عليها في حقٍّ له، فأمر عمر بن الخطاب بجلده ثلاثينَ جلدةً، أخرجه **سفيان بن عيينة**[٣].

• **وفيه**: عن **أسلم** أنَّ عمر فضَّل أسامة بن زيد على ابنه عبد الله بن عمر، فلم يزل الناسُ بعبد الله حتّى كلَّم أباه في ذلك، فقال: تفضِّلُ عليَّ مَنْ ليس أفضل مني، وفرضتَ له في ألفين، وفرضتَ لي في ألف وخمسمائة، ولم يسبقني إلى شيءٍ؟ فقال عمر: فعلتُ ذلك لأنَّ زيداً كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من عمر، وكان أسامةُ أحبَّ إلى رسول الله من عبد الله[٤].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٦٢).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٦٢).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ١٦٢).
(٤) «الرياض النضرة» (١/ ١٦١).

• **وفيه**: عن **ابن عباس** قال: لمّا فتح الله المدائنَ على أصحاب رسول الله ﷺ في أيّام عمر أمرهم بالأنطاع فبُسِطت في المسجد، وأمر بالأموالِ فأُفرغت عليها، ثم اجتمع أصحابُ رسولِ الله ﷺ، فأوَّلُ مَنْ بدرَ إليه الحسن بن علي فقال: يا أميرَ المؤمنين! أعطني حقِّي ممّا أفاء الله على المسلمين، فقال له: بالرحب والكرامة، وأمر له بألف درهم ثم انصرف، فبدرَ إليه الحسينُ بن علي فقال: يا أمير المؤمنين! أعطني حقي ممّا أفاء الله على المسلمين فقال له: بالرحب والكرامة، وأمر له بألف درهم، فبدر إليه ابنه عبد الله بن عمر فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني حقي مما أفاء الله على المسلمين، فقال له: بالرحب والكرامة، وأمر له بخمسمائة درهم! فقال: يا أمير المؤمنين! أنا رجل مشتد، أضربُ بالسيف بين يدي رسول الله ﷺ، والحسن والحسين طفلان يدرجان في سكك المدينة، تعطيهم ألفاً ألفاً وتعطيني خمسمائة؟ قال: نعم! اذهب فأتني بأب كأبيهما، وأمٍّ كأمهما، وجَدٍّ كجدهما، وجدَّةٍ كجدتهما، وعَمٍّ كعمهما، وخالٍ كخالِهما وخالةٍ كخالتِهما، فإنّك لا تأتيني به، أمّا أبوهما فعلي المرتضى، وأمّا أمهما ففاطمة الزهراء، وجدّهما محمد المصطفى ﷺ، وجدّتهما خديجة الكبرى، وعمّهما جعفر بن أبي طالب، وخالهما إبراهيم بن رسول الله ﷺ، وخالتاهما رُقَيَّة وأمُّ كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ[1].

• وفي «**الاستيعاب**»: خرج عمرُ من المسجدِ ومعه الجارود العبدي، فإذا بامرأةٍ برزت على ظهر الطريق، فسلَّم عليها عمر، فردت عليه السلام وقالت: هيهات يا عمر! عهدتُك وأنتَ تسمّى عُميراً في سوق عكاظ، ترعى الضأن بعصاك، فلم تذهبِ الأيّامُ حتى سُمِّيت عمر،

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٦٢).

ثم لم تذهب الأيّامُ حتى سمّيت أميرَ المؤمنين، فاتّقِ الله في الرعية، واعلم أنّه من خاف الوعيدَ قرب عليه البعيدُ، ومن خافَ الموتَ خشي الفوتَ، فقال الجارودُ: قد أكثرتِ أيتُها المرأة على أمير المؤمنين! فقال عمر: دعها، أما تعرفها! هذه خولةُ بنت حكيم امرأة عُبادة بن الصامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، فعمر أحقُّ واللهِ أن يسمعَ لها(١).

• **وفيه**: روي أنّ جاريةً لصفية أتت عمرَ بنَ الخطّاب فقالت: إنّ صفية تحبُّ السبتَ، وتصل اليهودَ، فبعث إليها عمر فسألها فقالت: أمّا السبت فإنِّي لم أحبه منذُ أبدلني اللهُ به يومَ الجمعةِ، وأمّا اليهود فإنّ لي فيهم رَحِماً وأنا أصلُها. قال: ثم قالت للجارية: ما حملك على ما صنعتِ؟ قالت: الشيطانُ. قالت: اذهبي فأنتِ حرّة(٢).

• **وفيه**: أرسل عمرُ بنُ الخطاب إلى الشفاء بنت عبد الله العدوية أنِ اغدي عليَّ، قالت: فغدوت عليه، فوجدت عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص ببابه، فدخلنا فتحدَّثنا ساعةً، فدعا بنمط، فأعطاها إياه، ودعا بنمطٍ دونه، فأعطانيه، قالت: فقلتُ: تربت يداكَ يا عمرُ! أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنتُ عمِّك دونها، وأرسلتَ إليَّ، وجاءتك من قِبَلِ نفسِها، فقال: ما كنتُ رفعتُ ذلك إلا لك، فلمّا اجتمعتما ذكرتُ أنها أقرب إلى رسول الله ﷺ منك(٣).

❁ [اهتمامه بحفظ أصل الدين عن مظانّ التحريف والتبديل]:

ومنها: أنّه كان يجتهد في حفظ أصل الدين عن مظانِّ التحريف والتبديل.

---

(١) «الاستيعاب» (٢/ ٩١).
(٢) «الاستيعاب» (٢/ ١٠٥).
(٣) «الاستيعاب» (٢/ ١٠٦).

• أخرج **الدارميُّ** عن **سليمان بن يسار** أنَّ رجلاً يقال له: صَبِيْغ قدم المدينة، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر، وقد أعدَّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عبد الله صَبِيْغ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه، وقال: أنا عبد الله عمر، فجعل له ضرباً حتى دمَّى رأسه، قال: يا أمير المؤمنين! حَسْبُكَ، قد ذهبَ الذي كنتُ أجد في رأسي(١).

• وعن **نافع** مولى عبد الله أنَّ صَبِيْغَ العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين، حتّى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، فلمّا أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ قال: في الرَّحْل، قال عمر: أبصر أيكون ذهب فتصيبك مني به العقوبة الموجعة، فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدثةً، فأرسل عمر إلى رطائب من جريد، فضربه بها حتّى ترك ظهره دبِرة، ثم تركه حتّى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له، قال: فقال صبيغ: إن كنتَ تريدُ قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنتَ تريدُ أن تداويني فقد والله برأتُ، فأذنَ له إلى أرضه، فكتب إلى أبي موسى الأشعري أنْ لا يجالِسَه أحدٌ من المسلمين، فاشتدَّ ذلك على الرجل، فكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر أنْ قد حسُنتْ هيئته، فكتب عمر أن ائذن للنّاسِ بمجالسته(٢).

هذه نبذةٌ من سياسة عمر ﷺ، والقليلُ نموذجُ الكثيرِ والغَرْفَةُ تنبئ عن البحر الكبير.

ولو نظر منصف في معاني هذه الكلمات وأمثالها وسبر أغوارَها لوجد أنَّ حلاوةَ الإيمان، وصدقَ النيَّةِ، والشفقةَ على خلق الله، والخشيةَ

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٦٦) برقم: (١٤٤).
(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (١/ ٦٧) برقم: (١٤٨).

من الله مدبِّر السماوات والأرض، والعقلَ الوافر، والكفايةَ الكاملة، كلَّ ذلك يترشَّحُ من كلِّ كلمة من كلماته، كما تترشح قطرات الماء من قطن مبلول:

وعلى تَفَنُّنِ واصِفِيهِ بِوَصْفِهِ يَفْنَىٰ الزَّمَانُ وَفِيهِ مَا لَمْ يُوصَفِ

۞ [نبوغه وسَعَة نظره في علم الأحكام]:

أمّا نبوغُهُ في علم الأحكام الذي يسمى الفقه الإسلامي فلا يمكن ذكره ببسط وتفصيل.

۞ [عمر أفقهُ الأمة بلا اختلاف]:

إذ إنه أفقه الأمة بلا منازع؛ وإنَّ النبيَّ ﷺ قد أشار إلى تلقّي الناس عنه الأحكام الفقهية، وصرَّح بذلك الصحابةُ والتابعون، ووقع ذلك في الظاهر.

۞ [إجماع الأمة على فقهه]:

وإنَّ فقه عمر بالنسبة إلى فقه فقهاء الصحابة الآخرين كمصحفه بين سائر مصاحف الصحابة؛ إذ إنَّ كل ما وافق مصحفه فقد تواترت قراءته، وما خالفه فقراءته شاذَّة، كذلك كل ما وافق فقهه فذلك الحقُّ القويم والجادة المستقيمة للدين التي يسلكها جماهيرُ الناس، والذي خالفه فشاذ، فإن كان هناك حديثٌ قويٌّ أو قياسٌ جليٌّ يؤيّده، يؤخذ به، وإلا فلا.

وإن مثل فقهه بالنسبة إلى فقه جميع المجتهدين من أهل السُّنَّة كمثل المتن بين شروحه، وما دام لم يبسط الكلام في هذا الأمر يكون مجملاً في غاية الإجمال، ويحتمَل أن يعتبره أهل العصر مبالغة شديدة.

۞ [شهادة رسول الله ﷺ بأنه أعلم]:

• وأما إخبار النبي ﷺ بأنه أعلم الأمة، وتفويضُ نواصيها إليه، فهذا متواترٌ بالمعنى، فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله جعلَ الحقَّ على لسانِ عمرَ وقلبِه**»، أخرجه **الترمذي** برواية **ابن عمر**، و**أبو داود** برواية **أبي ذر**[١].

• وقال ﷺ: «**لقد كانَ فيما كانَ قبلكم من الأُمم ناسٌ محدَّثون مِنْ غيرِ أن يكونوا أنبياءَ، فإنْ يَكُنْ في أُمَّتي أحدٌ فإنَّه عُمَرُ**»، أخرجه **الشيخان** من حديث **أبي هريرة**، و**مسلم والترمذي** من حديث **عائشة**[٢].

• وقال ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ يُعْرَضُونَ عليَّ، وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغُ الثدي، ومنها ما دونُ ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمرُ بنُ الخطاب وعليه قميصٌ يجرُّه**»، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: «**الدِّينُ**»، أخرجه **البخاري ومسلم والترمذي والنسائي** برواية **أبي سعيد**[٣].

• وقال ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدحٍ من لبنٍ، فشربتُ منه حتّى إنِّي لأرى الرِّيّ يخرجُ من أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمرَ بنَ الخطّاب**»، قالوا: فما أوّلته، قال: «**العِلْمُ**»، أخرجه **الشيخان والترمذي** من حديث **ابن عمر**[٤].

• وقال ﷺ: «**اقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي أبي بكرٍ وعمرَ**»، أخرجه

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٢)، و«سنن أبي داود» برقم: (٢٩٦٢).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٨٩)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٨)، و«سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٣).

(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٢٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٠)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٢٨٥)، و«سنن النسائي» برقم: (٥١١).

(٤) «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٠٦)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩١)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٢٨٤).

الترمذي وجماعة من حديث **ابن مسعود وحذيفة**(١).

❁ [شهادة الصحابة والتابعين بطول باعه في العلم]:

• وأما شهادة الصحابة والتابعين بذلك، فقد أخرج **الدارمي** عن حذيفة قال: إنّما يفتي الناسَ ثلاثةٌ، رجلٌ إمامٌ، ورجلٌ يعلم ناسخَ القرآنِ من المنسوخ، قالوا: يا حذيفةُ! ومَنْ ذلك؟ قال: عمرُ بنَ الخطاب، أو أحمقٌ متكلِّفٌ(٢).

• وأخرج **الدارمي** عن **عمرو بن ميمون** قال: ذهب عمرُ بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم، فقال: ذهبَ عمرُ بتسعةِ أعشارِ العلم(٣).

❁ [مكانة عمر في الفقه بالنسبة إلى سائر الصحابة]:

وإنَّ فقهه بين فقه غيره من فقهاء الصحابة كمصحفه بين سائر مصاحفهم.

• فقد أخرج **الحاكم** عن **الشعبي** أنه قال: القضاءُ في ستة نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، ثلاثةٌ بالمدينة، وثلاثةٌ بالكوفة، فبالمدينة عمرُ وأُبيٌّ وزيدُ بن ثابت، وبالكوفة عليٌّ وعبدُ الله وأبو موسى(٤).

• وأخرج **الحاكم** عن الشعبي عن **مسروق** قال: انتهى علمُ أصحاب النبيِّ ﷺ إلى هؤلاء النفر: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي الدرداء، وأبي موسى الأشعري(٥).

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٢).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٧٣) برقم: (١٧٢).

(٣) «سنن الدارمي» (١/ ١١٢) برقم: (٣٥٥).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٢٧) برقم: (٥٩٥٩).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٢٧) برقم: (٥٩٦٠).

• وأخرج **الحاكم** عن **الشعبي** قال: يؤخذ العلمُ عن ستةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ، فكان عمرُ، وعبدُ الله، وزيد، يُشْبِهُ علمُ بعضهم بعضاً، فكان يقتبِسُ بعضُهم من بعضٍ[1].

• وأخرج **محمد بن الحسن** في «كتاب الآثار» عن أبي حنيفة عن الهيثم عن **الشعبي** قال: كان ستةٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ يتذاكرون الفقه، بينهم علي بن أبي طالب، وأُبيّ، وأبو موسى، على حدة. وعمر، وزيد، وابن مسعود رضي الله عنهم أجمعين.

وشرح هذا الإجمال أنَّ علمَ عمر رضي الله عنه انتشر في بلاد الإسلام، وأخذَ عنه جميعُ المسلمين، أمّا علم علي المرتضى رضي الله عنه فلم ينتشر إلا في الكوفة، ولمّا كان أكثرُ أصحاب علي رضي الله عنه من رجال الجنود، لذلك لم ينقّح علمُه، ولم ينتشر في الناس.

• أخرج **مسلم** عن **طاوس**: أُتي ابنُ عبّاس بكتابٍ فيه قضاء علي رضي الله عنه، فمحاه إلا قدر، وأشار سفيان بن عيينة بذراعه[2].

• وأخرج **مسلم** عن **ابن أبي مليكة** قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتبَ لي كتاباً، ويخفي عني، فقال: ولد ناصح، أنا أختارُ له الأمورَ اختياراً وأخفي عنه، قال: فدعا بقضاءِ علي، فجعل يكتبُ منه أشياء، ويمرُّ به الشيءُ فيقول: واللهِ ما قضى بهذا عليٌّ إلا أن يكونَ ضلَّ[3].

• وأخرج **مسلم** عن **أبي إسحاق** قال: لمّا أحدثوا تلك الأشياء بعد عليٍّ رضي الله عنه قال رجلٌ من أصحاب علي: قاتلهم الله؛ أيُّ علمٍ أفسدوا[4].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٨٣) برقم: (٥٨٠٦).
(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٧).
(٣) «صحيح مسلم» برقم: (٧).
(٤) «صحيح مسلم» برقم: (٧).

• وأخرج **مسلم** عن **المغيرة** قال: لم يكن يصدقُ على عليٍّ رضي الله عنه في حديثٍ عنه إلا مِنْ أصحاب عبد الله بن مسعود[١].

وقد انتقل معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى جوار رحمة ربه في آخر عهد عمر الفاروق رضي الله عنه، ولم يبقَ له حديثٌ يروى عنه ـ أي: كثير ـ، وكذلك لا يوجد لأُبي بن كعب حديثٌ إلا ما يتعلَّق بالقراءة والتفسير، وإنَّ أبا موسى الأشعري رغم تضلّعه من العلوم ما كان يفتي في كثير من القضايا، ويقول: «لا تسألوني ما دام هذا الحَبْرُ ـ يعني: عبد الله بن مسعود ـ فيكم»[٢].

• وإن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنه رغم نبوغه، وسعة علمه، خالفَ جميع المجتهدين في خمسينَ قضية أو أكثر.

• أخرج **الدارمي** عن **إبراهيم** قال: خالفَ ابنُ عبّاسٍ أهلَ القبلةِ في امرأة وأبوين، جعل للأمِّ الثلث من جميع المال[٣].

وكذلك كان رأيه مخالفاً لرأي جميع المجتهدين في قضية العَوْلِ، ومتعة الحج، ومتعة النساء، وبيع الصرف، وهذا ممّا لا يخفى على المشتغلين بالحديث وعلومه، وشكٌّ في كثيرٍ من القضايا كما في مسألة غسل القدمين والطلاق الثلاث دفعةً واحدةً، ثم إنّه قد اشتبهت أقواله، ونُقِلَ رجوعُه عن أكثر رواياته.

• وإن **عبد الله بن مسعود** كان يوافِقُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه كثيراً، وقد صرَّح بذلك حيث قال: كان عمرُ إذا سلك طريقاً وجدناه سهلاً[٤].

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٧).
(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٦٧٣٦).
(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٥) برقم: (٢٨٧٨).
(٤) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢/ ٤٤٣) برقم: (٢٨٦٥).

وقال أيضاً: لو أنَّ الناس سلكوا وادياً وشِعْباً وسلك عمرُ وادياً وشِعباً سلكتُ وادي عمرَ وشِعبه(١).

- وكان **زيد بن ثابت** يتتبعه أيضاً في أكثرِ المسائل.
- أما **عبد الله بن عمر** فكان يتقاعَدُ عن الخوض في الاجتهاد فيما يشتبه من الأمور.

ولا يوجد **لعائشة** ﵂ أحكامٌ في جميع أبواب الفقه.

۞ [منزلة المجتهدين من الأمة بالنسبة إلى عمر]:

أمّا كون المجتهدين منه بمنزلة المجتهدين المنتسبين من المجتهد المستقل، وإن تتبعتم آثار الصحابة اتّضحَ الأمر؛ لأنّ المجتهد المستقل يرتّب الدلائل، ويقرِّرُ قواعد الاستنباط، والجمع بين الدليلين المتعارضين، والمجتهد المنتسب يأخذُ كلَّ ذلك عنه، كذلك عمر الفاروق ﵁ قرَّر قواعدَ عظيمةً في الأمور المختلفة، وأخذها عنه جميعُ المجتهدين، ووضعوا قواعد على منوالها.

وإنَّ المجتهد المستقلّ يفصّل الأمور في كلِّ باب، ويحرر جملةً صالحةً في المسائل المهمة ـ وهو يلقي الضوء على عِلّة الحكم في هذه المسائل ـ بعد هذا فإنَّ المجتهدين المنتسبين يأخذون جزءاً من تفسير القرآن الكريم وجزءاً من السُّنَّة النبوية وآثار السلف ولغة العرب وقواعد الاستنباط، ويفكرون في التي فصلها المجتهدُ المستقلّ؛ فإن وجدوا في مسألة من مسائل الكتاب والسُّنَّة نصّاً مع المفهوم المخالف والموافق أو وجدوا آية أو حديثاً موافقاً لتلك المسألة فهو المرادُ.

وإن لم يجدوا، ووجه المسألة ظاهرٌ يأخذون به، وإن وجدوا دليلاً

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠٣) رقم: (٦٩٨٤).

قوياً من الكتاب والسُّنَّة وقياساً جلياً وإجماعَ الأمة خلافُ ذلك يتركون الاتباع؛ لأنَّ في هذه الحالة يجب عليهم أن يأخذوا بدليل قوي.

وإن لم يجدوا هناك نصّاً مخالفاً وَوَجْهُ المسألةِ غيرُ ظاهرٍ يتوقفون في ذلك، أو يعتمدون على قول المجتهد المستقل، على اختلافٍ في ذلك، بناءً على اختلافهم في مسألة أخرى، وهي أنَّ المجتهد هل يجوزُ له تقليد المجتهد الآخر إذا كان أفضلَ منه وأعلم؟ ففيه قولان: المشهور: لا يجوز، والصواب الذي لا يجوز غيره عند استقراء صنيع الأوائل: يجوز، قال الشافعي: قولُ الأئمةِ أبي بكر وعمر وعثمان، وقال في القديم: وعليٌّ إذا صرنا إلى التقليد أحبُّ إلينا.

وكلّ من يتعمّق في صنيع الإمام مالك والإمام أبي حنيفة في اجتهاداتهما لا يتوقّف ولا يتردّد في هذا الأمر، ثم إنها إذ عرضت مسائل لا يوجد فيها كلامٌ صريحٌ عن المجتهد المستقل، يستدلّ فيها بعض الناس بالأدلة الشرعية، ويأخذ بها على طريقة استدلال المجتهد المستقل، وهو الذي يدعى بـ«المجتهد المنتسب المطلق» بينما يستنبِطُ البعضُ الأحكامَ من قول المجتهد المستقل من فحوى خطابه، أو من طردِ عِلّةِ الحكم أو غيره، وذلك يدعى بـ «المجتهد المنتسب المقيَّد».

وقد درس مجتهدو المذاهب المختلفة بعدَ إحكامِ ما يتعلَّقُ بالفقه من الكتابِ والسُّنَّةِ، والإتقانِ في علم العربية، وقواعدِ الجمع بين المختلفين في المسائل التي فصَّلها عمر الفاروق ﷺ، فأخذوا بكثير منها، وأنكروا بعضَها، واختلفوا في بعضها الآخر.

ثم إنَّهم اتخذوا طريق الاستنباط من الكتاب والسُّنَّة في القضايا المستجدّة حيناً، وعملوا على اجتهادِ المجتهد المستقلّ في كثير من الأمور حيناً آخر، ولكن لا يدرك هذه الحقيقة كلُّ حافٍ ومنتعلٍ، فإنَّها

مسألة دقيقة، وكلُّ مَنْ كان كتابُ «شرح الوقاية» و«الهداية» مبلغَ علمِه، فإنَّه لا يدركُ هذا السرَّ الدقيق، كما قال شاعر فارسي:

كسے در صحن كاچي قليه جويد أضاعَ العُمْرَ في طَلَبِ المُحَالِ

ما معناه: كلُّ مَنْ طلبَ القديدَ في إناءِ بائعِ الخضراوات، فإنَّه قد أضاعَ العمرَ في طلبِ المُحالِ.

۞ [لا يمكن الخوض في أدلّة الشرع بدون توسّط عمر]:

فليس من الممكن أنْ لا يكونَ عمرُ الفاروق ﷺ وسيطٌ في أمور الشرع، كما لا يمكن الخوضُ في الأدلة الشرعية بدون توسطه، ولكن هذا التوسط يكون بمنزلة توقّف المجتهد المنتسب على قول المجتهد المطلق، لا كما يتبع المقلِّد المحض الإمامَ المجتهد، ولها قرائن كثيرة تؤدي بالرجلِ العاقل المنصفِ إلى تصديقها.

۞ [ذهب المجتهدين جميعاً إلى ما ذهب إليه عمر في أهم مباحث الفقه]:

ومن تلك القرائن: أننا نرى المجتهدين من الشافعية يختلفون فيما بينهم في قضايا عديدة، ولكنّهم كلّهم يتبعون إمامهم الشافعي في حلِّها، ولذلك يقال لهم: «أصحاب الشافعي» رغم اختلافهم فيما بينهم.

كذلك نجدُ المجتهدين يتبعون عمر الفاروق ﷺ في أهم مسائل الفقه، وهي أكثر من ألف مسألة تقريباً، ولذلك يقال لهم: «مجتهدو أصحاب الحديث»، ولا يسمون «الباطنية» ولا «الظاهرية» ولا «أصحاب الرأي».

۞ [أسبابُ اختلاف المجتهدين في المسائل الجزئية]:

ثم إنَّ اختلافهم في المسائل الجزئية إنَّما وقع لأمور عِدّة، وهي كما يلي:

- إما أنَّ أثرَ عمر الفاروق رضي الله عنه كان خبراً واحداً وصلَ إلى واحدٍ دون آخر.
- أو لأجل اختلاف الرواة عن عمر، فحكم واحدٍ بصحة روايةٍ، وحكم الآخر بصحّةِ رواية أخرى.
- أو لأجل أنَّ كلامه كان يحتمل وجهين، فحَمَله واحد على أمرٍ، وحمَله غيرُه على آخر.
- أو لأجل أنَّ قول عمر كان عند مجتهدٍ معارِضاً لحديثٍ صحيحٍ أو قياسٍ جليٍّ فتركه، وهذا هو طريق المجتهد المنتسب، وتمكّن مجتهدٌ آخر من دفع التعارُضِ، والجمع بين الدلائل، فلم يترك قوله.

وهذه الأمور مذكورة واضحة في نصوص المجتهدين، وسنذكر منها بعضَها.

- أو لأجل أنَّ المسألة ما كانت منصوصةً من قِبَلِ عمر، فسلك كلٌّ على طريقته، ورأىٰ رأيه.
- أو لأجل اختلافهم في الاستنباط مِنْ قول عمر.

۞ [اتّبع المجتهدون مذهبَ عمر في الجمع والتطبيق بين مختلف الروايات أو ترجيح بعضها على بعض]:

والقرينة الثانية: أننا نجد كثيراً من المسائل التي رأى فيها عمرُ رأياً، وكان موافِقاً للأحاديث الصريحة المرفوعة التي ترويها جماعة عن جماعة، وهي أكثر من أن تُحصى، وكذلك يوجد كثير من المسائل التي

لم يرد فيها حديث صريح، ولكن في الكتاب والسُّنَّة إشارةٌ إلى ما يوافق مذهب عمر رضي الله عنه، أو وجد خبر واحد من غير أن يرويه جماعة عن جماعة، واتّبع فيه جميع المجتهدين مذهبَ عمر رضي الله عنه.

وهناك كثيرٌ من المسائل التي وردت فيها الأحاديث المختلفة، فأتى عمر رضي الله عنه بالجمع والتطبيق بينها، فاتّبعه المجتهدون بعده، كما في مسألة فسخ الحج بالعمرة، ومسألة غسل القدم، وبيع الصرف، والمتعة.

وقد يوجد كثيرٌ من المسائل التي لم يرِدْ فيها حديثٌ، ولم يعارِضْ قولُ عمر نصاً من الكتاب والسُّنَّة ولا قياساً جليّاً، واتّسع المجال للقياس والرأي، ولكنَّهم رغم ذلك يتبعون قول عمر، ويجتمعون عليه، كما أن الشاعر يدرك بفراسته أنَّ قصيدة فلانية قد سارت على منوال قصيدة فلانية أخرى، وإن لم يصرح بذلك الشاعر الذي قرض هذه القصيدة، ففي هذه الصورة فراسةٌ قويةٌ لمتتبعي الآثار لو لم يبذلوا جهداً في تقليد عمر في المسألة المذكورة لفهمها لم يقلدوها.

❁ [انعقاد الإجماع في مسائل عمر الفقهية]:

القرينة الثالثة: أنَّ الأصل الثالث من أصول الشريعة الإجماعُ، وإن الإجماعَ الذي يتصوّره أهلُ زماننا: «أنه ما أجمع عليه أفرادُ الأمة كلها، ولم يشذ منهم فردٌ واحدٌ نصّاً من كل واحد منهم»، فإنَّما هو ضربٌ من الخيال وأمرٌ محال، فإنه ليست هناك أيُّ مسألةٍ إلا وقد اختُلِفَ فيها، إلا أنَّ الإجماعَ الذي يقع كثيراً إنّما هو إجماعُ أهل الحلّ والعقد، الذين يفتون في بلاد الإسلام، وهذا هو الذي يظهر في المسائل التي صرَّحَ بها عمر رضي الله عنه، فإنها قد أجمع عليها أهلُ الحلّ والعقد.

ويُعتبَر من مثل هذا الإجماع إفتاءُ جماعةٍ كبيرةٍ وسكوت الباقين، وتلو هذا الاختلاف على قولين اثنين، فيه حكمٌ لنفي القول الثالث

بالاتفاق، ويلحق به اتفاق أهل الحرمين والخلفاء بحكم حديثٍ: «**إنَّ الدِّينَ ليأرِزُ إلى الحِجَازِ كما تَأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها**»[1]، وحديث: «**عليكم بسُنَّتِي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرّاشدينَ المهديينَ مِنْ بعدي، وعَضُّوا عليها بالنواجِذِ**[2]»، وإن ذلك مما يلزم اتباعه.

وإنَّ هذه الإجماعات لم تنعقِد ولم تتمَّ إلا بعد اهتمام عمر رضي الله عنه بذلك، ونصّ فتواه، كما ظهر في مسألة الغُسل بعد الإكسال، وأربع تكبيرات في صلاة الجنازة.

وكنتُ أفكِّر منذ عِدّةِ سنوات أن أدوّن مذهب عمر الفاروق رضي الله عنه، وكنت أتعجَّبُ من عدم اعتناء أسلافنا العظام بهذا الجانب المهمّ، إذ إني أرى في تدوينه فوائد جليلة عظيمة لجميع المسلمين من العامة والخاصة، والخاصة هم الفقهاء والمحدثون، وإنَّ اتفاق السلف على أمر، والتوارث عليه أصل عظيم في الفقه، وما ورد من نصوص عمر رضي الله عنه ومناظراته إنَّما هو أصلٌ في هذا الباب، ويمكن أن يدوَّن في كتاب ضخم يشتمل على أكثر أبواب الفقه، فهي فائدةُ الفقهاءِ.

وأمّا المحدّثون فإن العمدة في فن الحديث معرفة الطرق المتعاضدة للحديث، لو جُمعت هذه الأحاديثُ التي هي موقوفةٌ على عمر في الظاهر، ولكنّها مرفوعةٌ حكماً في كتاب، لكان جامعاً في السنن، ويمكن الاستنباط والاستخراج منها بعد ضمِّ شواهدها ومتابعاتها، فهذه فائدةُ المحدّثين.

أمّا فائدة العامة من الناس، فإنهم سيعرفون حقَّ المعرفة أنَّ مذاهب

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٢٦٣٠).

(٢) انظر: «شرح مشكل الآثار»، للطحاوي (٣/ ١٨٣) برقم: (٩٩٨).

المجتهدين ليست إلا شعباً مختلفة للشريعة الواحدة، ولا يدور بخَلَدهم أنَّ هذه المذاهب المتعددة تبنى على أديان متعددة، بل إنّما هي فروع مختلفة لأصل واحد وهو الإسلام، ثم لا يقلِقُ بالَهم اختلافُ الأئمة في مسائل الدين، وأحكام الإسلام، ويعتبرون حُجّة الإسلام قائمةً عليهم، ويدركون أهمية الأعمال الجليلة التي قام بها عمر رضي الله عنه في سبيل نشر الدين المتين، وتبليغ الشريعة الغرّاء في مختلف أقطار الأرض، ويقدروا جهود عمر رضي الله عنه حق قدرها، ويعطوا كل ذي حق حقه.

هذه كانت أمنيتي منذ زمن طويل، ولكنها كانت مغمورة من قبل، ولمّا بلغتُ إلى هذا الجزء من هذا الكتاب، جاشت في نفسي تلك الأمنيةُ القديمةُ ولم يملك قلبي دفعها، لذلك أذكر الآن مذهبَ عمر الفاروق رضي الله عنه مع قلّة الأسباب وتشتتِ البال، والله هو الموفق والمعين.

❁ ❁ ❁




[مذهبُ الخليفة الأوّاب الناطقِ بالصدق والصّواب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيِّه الذي لا نبيَّ بعده.

أما بعد: فيقول العبد الضعيف الراجي رحمة الله الكريم، ولي الله بن عبد الرحيم، تغمده الله تعالى برحمته: هذا ما وفَّقني الله عز وجل له من تدوين مذهب الخليفة الأوّاب، الناطق بالصدق والصواب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، والمذاهبُ الأربعةُ منه بمنزلةِ الشروح من المتونِ، والمجتهدون من صاحبه بمنزلة المجتهدين المنتسبين من المجتهد المستقل، واللهُ هو الموفِّق والمعين.

❁ أدلة الشرع أربعة:

• أخرج **الدارمي** عن **شريح** أنَّ عمر بن الخطاب كتب إليه: إن جاءك شيءٌ في كتاب الله فاقضِ به، ولا يلفتك عنه الرجالُ، فإن جاءك ما ليس في كتابِ اللهِ فانظرْ سُنَّة رسولِ اللهِ فاقض به، فإن جاءك ما ليس في كتابِ اللهِ، ولم يكن فيه سُنَّةٌ من رسولِ الله ﷺ فانظرْ ما اجتمع عليه الناسُ فَخُذْ به، فإن جاءك ما ليس في كتابِ اللهِ، ولم يكنْ فيه سُنَّةٌ من رسولِ اللهِ ﷺ، ولم يتكلَّم فيه أحدٌ قبلك فاختر أيَّ الأمرين شئتَ، إنْ شئتَ أن تجتهدَ رأيك، ثم تقدّم فتقدّم، وإن شئت أن تأخر

فتأخّر، ولا أرى التأخُّر إلَّا خيراً لك[١].

❁ تخصيص عام الكتاب بالسُّنَّة، وتفسير مجمل الكتاب بالسُّنَّة:

• أخرج **الدارميُّ** عن عمر بن الأشجع أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنّه سيأتي ناسٌ يجادلونكم بشبهاتِ القرآن، فخذوهم بالسنن، فإنَّ أصحاب السنن أعلمُ بكتابِ اللهِ[٢].

❁ لا يؤخذ الحديثُ إلّا عن ثقة:

• أخرج **مسلم** عن **أبي عثمان النهدي** قال عمرُ بنُ الخطاب: بحسب المرءِ من الكذبِ أن يحدِّثَ بكلِّ ما سمع[٣].

• وأخرج **البيهقي** عن **ابن عمر** قال: كان عمرُ يأمرنا أنْ لا نأخذَ إلا عن ثقة[٤].

❁ إجازة خبر الواحد الصدوق وإن كان خلاف القياس:

ذكر الشافعي عن عمر رضي الله عنه قصصاً:

منها: أنَّ رأيه كان أن يحكم في الأصابع بديَّات مختلفة؛ لاختلافها في المنافع والجمال، فلم يتبع رأيه حين وجد في كتاب عمرو بن حزم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**وفي كُلِّ إصبعٍ ممَّا هنالكَ عَشْرٌ من الإبلِ**[٥]».

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٧١) برقم: (١٦٧).
(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١١٩).
(٣) «صحيح مسلم» برقم: (٥).
(٤) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٢٦).
(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» (٥/ ١٢٤٤) برقم: (٣١٣٩)، والنسائي في «سننه» (٨/ ٦٠) برقم: (٤٨٥٧).

ومنها: أنَّ رأيه كان أنَّ الديةَ للعاقلةِ، ولا ترثُ المرأةُ من ديةِ زوجِها شيئاً، حتى أخبره الضحّاك بنُ سفيان أنَّ رسول الله ﷺ كتب إليه: أن يَورِثَ امرأةَ أشيم الضبابي من ديته(١).

ومنها: حديثُ عمر في الجنين، وقبوله خبر حمل بن مالك بن النابغة، وقوله: لو لم نسمع هذا لقضينا بغير هذا.

وأخذ بخبر عبد الرحمٰن بن عوف في الرجوع من أرض الوباء.

ثم أورد الشافعي في المسألة إشكالاً، وقال: لِمَ لَمْ يكتف عمر بن الخطاب بخبر الواحد في غير ما مسألة حتى طلب رجلاً؟.

وأجاب: بأنّه في بعض المواضع طلب راوياً آخر؛ لأنه لم يأمن غلط الراوي الأول، وقلّة ضبطه، وفي بعض المواضع طلب اشتهاراً وإن كان خبر الواحد موجباً للحكم، فخبر الاثنين أشفى للخاطر وأقمع للشبهة كما صرَّح هو بنفسه في قصة أبي موسى.

الإجماع:

• أخرج **الشافعي** عن عمر خطبته بالجابية، وفيها عن النبيِّ ﷺ: «**مَنْ سره بحبوحة الجنّةِ فليلزمِ الجماعةَ**»، واحتجَّ بهذا على القول بالإجماع(٢).

شرط القياس:

• أخرج **الدارقطني** في جملةِ ما كتبَ عمرُ إلى أبي موسى الأشعري في «أدب القضاء»: «الْفَهْمَ الْفَهْمَ فِيمَا يَخْتَلِجُ فِي صَدْرِكَ، مِمَّا لَمْ يَبْلُغْكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، اعْرِفِ الأَمْثَالَ وَالأَشْبَاهَ، ثُمَّ قِسِ الأُمُورَ

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ١٠).

(٢) «مسند الشافعي» (٣/ ٧٥).

عِنْدَ ذَلِكَ، فَاعْمَدْ إِلَى أَحَبِّهَا إِلَى اللهِ وَأَشْبَهِهَا بِالْحَقِّ فِيمَا تَرَى»[١].

قوله: «**مما لم يبلغك**» إشارةٌ إلى شرط محلِّ القياس، **قوله**: «**اعرف الأمثال والأشباه**» بيان المقيس عليه، **قوله**: «**أحبها إلى الله وأشبهها بالحق**» بيان العلّة، وكونها مؤثرةً بشهادة الشرع.

۞ كراهية السؤال فيما لم ينزل:

• أخرج **الدارمي** عن **ابن عمر** أنّه سُئِلَ عن شيء فقال: لا تسألْ عمَّا لم يكن، فإنِّي سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب يلعنُ مَنْ سألَ عمَّا لم يكن[٢].

• وأخرج **الدارمي** عن عَمْرو عن طاوس قال: قال عمرُ على المنبر: أحرّجُ باللهِ على رجلٍ سأل عمّا لم يكن، فإنَّ اللهَ قد بَيَّنَ ما هو كائِنٌ[٣].

قوله: «بيَّنَ ما هو كائن»؛ يعني: تكفّل أنْ يلهِمَ الصوابَ في النازلةِ، وهذا مرفوعٌ في الحقيقة.

• أخرج **الدارمي** عن **وهب بن عمرو الجمحي** حدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لا تَعْجَلُوا بالبليةِ قبل نزولها، فإنَّكم إنْ لا تَعْجَلُوها قبلَ نزولِهَا لا ينفكُّ المسلمونَ وفيهم إذ هِيَ نزلتْ مَنْ إذا قال وُفِّقَ وسُدِّدَ، وإنَّكُم إنْ تَعْجَلُوها تَخْتَلِفُ بكمُ الأهواءُ، فتأخذوا هكذا وهكذا**»، وأشار بين يديه وعن يمينه وعن شماله[٤].

---

(١) «سنن الدارقطني» (٤/ ٢٠٦).
(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٦٢) برقم: (١٢١).
(٣) «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٤).
(٤) «سنن الدارمي» (١/ ٦١) برقم: (١١٦).

يُفْهَمُ من الحديث المرفوع معنى **قوله**: «**بيَّن ما لم يكن**» كما ذكرنا، ويحتمل معنى آخر، وهو أنَّ الكتاب والسُّنَّة اشتملا على جميع الأحكام إجمالاً، أشار الشافعيُّ إلى هذا في بعض كلامه.

• وأخرج **الدارمي** عن ابن **محيريز**: **ما نصنع بالمسائل، إنّه لا يذهب العلمُ ما قُرِئَ القرآن**[1].

كراهية الجدال في العلم:

• أخرج **الدارمي** عن **مجاهد** قال عمرُ: إيّاكَ والمكايلة؛ يعني: في الكلام[2]، ويحتمِلُ وجهاً آخر، وهو ذَمُّ القياس إذا لم يكن جامعاً لشروطِهِ.

كتاب الصلاة

الطهارةُ شرطُ الصلاة.

• روى **أبو بكر** عن **المستورد** قال عمر: لا تُقْبَلُ صلاةٌ بغيرِ طُهُورٍ[3]، هو مرفوعٌ من طرق شتّى.

صفة الوضوء:

• أبو حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، عن **الأسود بن يزيد** عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: أنّه توضّأ، فغسلَ يديه مثنى، وتمضمض مثنى، واستنشقَ مثنى، وغسلَ وجهه مثنى، وغسل ذراعيه

---

(١) «سنن الدارمي» (١/ ٦٣) برقم: (١٢٨).

(٢) «سنن الدارمي» (١/ ٧٧) برقم: (١٩٧).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٤) برقم: (٣٣).

مثنى، مُقْبِلاً ومُدْبِراً، ومسحَ رأسَه مثنى، وغسلَ رجليه مثنى[١].

• **أبو بكر**: عن **الأسود بن يزيد**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب توضأ، فأدخل أصبعيه في باطنِ أُذنيه وظاهرهما فمسحهما[٢].

• **أبو بكر**: عن **قرظة**: سمعتُ عمرَ يقول: الوُضوءُ ثلاثٌ ثلاثٌ، وثنتانِ تُجْزِئانِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحسن**، عن عمر قال في المضمضةِ، والاستنشاقِ، وغسلِ الوجه، وغسلِ اليدين والرجلين: اثنتانِ تجزئانِ، وثلاثٌ أفضلُ[٤].

• أبو بكر: عن **المصعب بن سعد**: مَرَّ عُمَرُ على قومٍ يتوضَّؤون فقال: خللوا[٥].

• **أبو بكر**: عن زياد بن علاقة، عن **ابن غرباء**، أنّ عمر بن الخطاب رأى رجلاً غَسَلَ ظاهرَ قدميه، وترك باطنَهما فقال: لِمَ تركتَهما للنّارِ؟[٦].

• **أبو بكر**: عن **أبي قلابة**: أنّ عمرَ رأى رجلاً يصلِّي، قد تركَ على ظهرِ قدمه مثل الظفر، فأمره أن يعيدَ وضوءَه وصلاتَه[٧].

وعن **عبد الله بن عمر** مثله، إلا أنّه قال: فأمرَهُ أنْ يغسلَ اللمعةَ، ويعيدَ الصلاة.

---

(١) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٣) برقم: (١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٥) برقم: (١٧٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٧) برقم: (٦٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٧) برقم: (٦٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٩) برقم: (٨٥).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٦) برقم: (١٨٨).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٥) برقم: (٤٤٧).

قلت: اختلفوا في الولاءِ لأجلِ الروايتين، والصحيحُ أنَّ الأولَ مبهمٌ، والثاني مفسّرٌ.

• **الشافعي**: عن عمر، عن النبيِّ ﷺ: «**الأعمالُ بالنيَّات**»[١]، الحديث، احتجَّ به على أنَّ النيَّة فرضٌ، قال البويطي: قال الشافعي: يدخلُ في حديثِ: «**الأعمال بالنيَّات**» ثلثُ العلم[٢].

ما يوجب الوضوء:

• **مالك والشافعي** وغيرهما، عن **زيد بن أسلم**: أنّ عمر بن الخطاب قال: إذا نامَ أحدُكم مضطجعاً فليتوضَّأ[٣].

العِلّةُ عند الشافعي: نومُ مَنْ لم يتمكَّنْ مقعدتَه من الأرضِ، وعند الحنفيةِ: نومُ مستندٍ أو متكيءٍ على شيءٍ بحيث لو أُزِيْلَ لسقط.

• **أبو بكر**: عن **جابر بن عبد الله** قال: أكلتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ ومع أبي بكر وعمر وعثمان خُبْزاً ولحماً، فصلّوا ولم يتوضؤوا[٤].

• أخرج **الشافعي** من مذهب عمر وابن مسعود: لا يَتَيَمَّمُ الجُنُبُ، إنّهما يريان القُبلةَ وشبهها من الملامسة الناقضةِ للوضوء[٥].

وروى حديثاً: أنّ عمرَ صلّى ركعةً، ثم زلت يده على ذكره، فأشار أن امكثوا، ثم خرجَ فتوضَّأ، فأتمَّ لهم ما بقيَ من الصلاة[٦]، وفي المسألتينِ نظرٌ طويلٌ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (١).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢/ ١٤) برقم: (٢٠٨٨).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٥٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٥١) برقم: (٥٢١).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ٣٢٤) برقم: (٢٧٣).
(٦) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (١/ ١٣١) برقم: (٦٢١).

• **مالك والشافعي**: عن زيد بن أسلم عن **أبيه** أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنِّي لأجده ينحدِرُ منِّي ـ يعني: المذي ـ مثل الخريزة، فإذا وجدَ أحدُكم ذلك فليغسِلْ فرجَهُ، وليتوضَّأ وضوءَه للصلاةِ[١].

• **أبو بكر**: عن **طلق بن حبيب**: رأى عمرُ بنُ الخطّاب رجلاً حَكَّ إبطه أو مَسَّه، فقال له: قُمْ فاغسل يديَكَ أو تطهَّر[٢].

قال محمد؛ يعني: ابن سيرين: لا أدري ما هذا؟

قلتُ: معناه استحبابُ التنظيفِ.

❁ أدب الخلاء:

• أخرج **البغوي** وغيرُه وهو من مشاهير الحديث عن عمر قال: رآني النبي ﷺ وأنا أبولُ قائماً، فقال: «**يا عمر! لا تَبُلْ قائماً**»[٣].

• **أبو بكر**: عن **يسار بن نُميرٍ** قال: كان عمرُ إذا بالَ مسحَ ذكرَهُ بحائطٍ أو بحجرٍ ولم يمسه ماء[٤].

قلت: أجمعَ على ذلك علماءُ أهل السُّنَّة، وليس فيها حديثٌ مرفوعٌ، وإنَّما هو مذهب عمر قياساً على الاستنجاء من الحائط، أطبق على تقليده العلماء.

❁ المسح على الخفين:

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **سالم بن عبد الله** بن عمر رضي الله عنهم قال: اختلف عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم في المسح على

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢١)، «المدونة الكبرى» (١/ ١١٩).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٥٤) برقم: (٥٦٥).
(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (١٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٥٦) برقم: (٥٨٥).

الخفين، فقال سعد: أمسح، وقال عبد الله: ما يعجبني، فأتيا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقصَّا عليه القصة، فقال عمر: عمّك أفقه منك[١].

مالك والشافعي وغيرهما نحواً من ذلك، وهو من المشاهير.

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن إبراهيم، عن **حنظلة**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: المسحُ على الخُفّينِ للمقيمِ يوماً وليلةً، وللمسافرِ ثلاثةَ أيّامٍ بلياليهنَّ إذا لبستَهُما وأنتَ طاهِرٌ.

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب**: كتب إلينا عمرُ بنُ الخطّاب في المسح على الخفّين ثلاثة أيامٍ ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلةً للمقيم.

• **الشافعي** في مذهبه القديم: عن **زيد بن الصلت**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: إذا أدخلتَ رجليكَ في الخُفّينِ وأنتَ طاهرٌ فامسح عليهما ما بدا لك، وإليه ذهبَ الشافعيُّ في القديم، ثم رجع وقال بالتوقيتِ، قال البيهقيُّ: أرى أنَّ عمرَ جاءه الثبت في التوقيتِ فرجعَ إليه.

صفة الغسل:

• **أبو بكر**: عن **عكرمة بن خالد** قال: كان عُمَرُ إذا أجنبَ غسل سفليه، ثم توضّأ وضوءَه للصلاةِ، ثم أفرغَ عليه الماء[٢].

• **أبو بكر**: عن **عاصم**: سُئِلَ عمرُ عن غسْلِ الجنابة، فقال: توضَّأْ وضوءَك للصلاةِ[٣].

• **أبو بكر**، عن **فضيل بن عمرو**، قال عمرُ: إذا اغتسلتَ من الجنابةِ فتمضمض ثلاثاً فإنّه أبلغ[٤].

---

(١) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ١٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٦٤) برقم: (٦٨٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٦٥) برقم: (٦٨٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٦٨) برقم: (٧٣٧).

ما يوجب الغسل:

• **مالك والشافعي** بطرق متعددة: أنّ عمرَ وجدَ في ثوبه احتلاماً فاغتسلَ وأعادَ الصلاة.

• **أبو بكر**: عن **رُفاعة بن رافع** قال: بينا أنا عند عمر بن الخطاب إذ دخل عليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا زيدُ بنُ ثابتٍ يفتي الناسَ في المسجدِ برأيه في الغُسل من الجنابة، فقال عمر: عليَّ به، فجاءه زيدٌ، فلما رآه عمر قال: أيْ عدوَّ نفسِه! قد بلغتَ أن تفتيَ الناسَ برأيك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! باللهِ ما فعلتُ، لكنِّي سمعت من أعمامي حديثاً فحدَّثت به من أبي أيوب ومن أُبي بن كعب ومن رُفاعة بن رافع، فأقبل عمرُ على رُفاعة بن رافع فقال: وقد كنتم تفعلون ذلك إذا أصابَ أحدُكم من المرأةِ فأكسلَ لم يغتسل؟ فقال: قد كُنّا نفعلُ ذلك على عهد رسول الله ﷺ، فلم يأتنا مِنَ الله تحريمٌ، ولم يكن من رسول الله ﷺ فيه نهيٌ، قال: أَوَ رسولُ اللهِ يعلمُ ذاك؟ قال: لا أدري، فأمر عمرُ بجمع المهاجرين والأنصار، فجمعوا له، فشاورهم، فأشارَ الناسُ أَنْ لا غُسْلَ في ذلك إلّا ما كانَ من معاذٍ وعلي، فإنّهما قالا: إذا جاوزَ الختانُ الختانَ فقد وَجَبَ الغُسْلُ، فقال عمر: هذا وأنتُم أصحابُ بدر وقد اختلفتم، فَمَنْ بعدكم أشدُّ اختلافاً، قال: فقال علي: يا أميرَ المؤمنين! إنّه ليس أحدٌ أعلمَ بهذا من شأن رسول الله ﷺ من أزواجه، فأرسل إلى حفصة فقالت: لا علم لي بهذا، فأرسل إلى عائشة فقالت: إذا جاوزَ الخِتَانُ الختانَ فقد وَجَبَ الغُسْلُ، فقال عمر: لا أسمعُ برجل فعل ذلك إلا أوجعتُه ضَرْباً[1].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** قال: قال عمر: لا أُوتَىٰ برجل

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٨٥) برقم: (٩٤٧).

فعله؛ يعني: جامعَ، ثم لم يُنْزِلْ ولم يغتسِلْ إلا نهكتُهُ عقوبةً[١].

• **أبو بكر**: عن **أبي جعفر** قال: اجتمع المهاجرون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي أنَّ ما أوجبَ الحدَّينِ الجلدَ والرجمَ أوجبَ الغُسْلَ[٢].

حكم الجنب:

• **أبو بكر عن عبيدة**: قال عمر: لا يقرأُ الجُنُب القرآنَ[٣].

• **أبو بكر**: عن **قتادة** قال: خرج عمر من الخلاء، فقرأ آيةً من كتابِ اللهِ، فقيل له: أتقرأُ وقد أحدثتَ؟ قال: أفيقرأُ ذلك مسيلمةُ؟ وفي رواية: مسيلمةُ أفتاكَ ذلك؟[٤].

• **أبو بكر**: عن **سلمان بن ربيعة** قال: قال لي عمرُ: يا سلمانُ! إذا أتيتَ أهلكَ، ثم أردتَ أن تعودَ، كيف تصنعُ؟ قال: قلتُ: كيف أصنع؟ قال: توضَّأ بينهما وُضوءاً[٥].

• **مالكٌ والشافعيُّ** وغيرهما: ذكر عمرُ بنُ الخطّاب لرسولِ اللهِ ﷺ أنّه تصيبُه الجنابةُ من الليلِ، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**توضَّأْ واغْسِلْ ذَكَرَكَ ثُمَّ نَمْ**»[٦].

دخول الحمَّام:

• **أبو بكر**: عن **حفص** قال عمر: لا يرى الرجلُ عورةَ الرَّجُلِ[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٨٥) برقم: (٩٤٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٨٥) برقم: (٩٤١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٩٧) برقم: (١٠٨٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٩٨) برقم: (١١٠٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٧٩) برقم: (٨٧٠).
(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٢٩٠).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٠٠) برقم: (١١٣١).

• **أبو بكر**: عن **قتادة**: كتب عمرُ لا يدخلُ أحدٌ الحمام إلا بمئزرٍ[١].

• **أبو بكر**: عن **علي بن أبي عائشة** قال: كان عمرُ رجلاً أهلبَ، فكان يحلقُ عنه الشعر، وذُكِرَتْ له النُّورَةُ، فقال: النورةُ من النعيمِ[٢].

❁ حكم المياه:

• **أبو بكر**: عن **عكرمة**: أنَّ عمرَ سُئِلَ عن ماءِ البحرِ، فقال: وأيُّ ماءٍ أنظفُ منه؟![٣].

الشافعي عن **عمرو بن دينار**: أنَّ عمرَ بن الخطّاب ورد حَوْضَ مجنّة، فقيل له: إنّما ولغَ الكلبُ فيه آنفاً، فقال عمر: إنَّما ولغَ بلسانِهِ، فشربَ أو توضَّأ[٤].

مالك نحواً من ذلك، محمولٌ عند الحنفية على الغدير الكبير، وعند الشافعي على القُلّتين لحديثٍ مرفوع في ذلك.

• **أبو بكر**: عن زيد بن أسلم، عن **أبيه**: أن عمرَ كان له قُمْقُمٌ يسخَّن له فيه الماء[٥].

• **أبو بكر**: عن **قتادة**: قال عمرُ: ليس حَيْضُها في فيها[٦]؛ يعني: سُؤْرَ الحائضِ.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٠٤) برقم: (١١٧٥).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٠٥) برقم: (١١٩٢). **الأهلب**: كثير شعر البدن.
النورة: بضم النون حَجَرُ الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره تستعمل لإزالة الشعر.

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٢١) برقم: (١٣٨١).

(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٢/ ٧٩) برقم: (٤٩١).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١) برقم: (٢٥٤).

(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٩) برقم: (٣٦٤).

• **الشافعي والبخاري** وغيرهما: أنَّ عمرَ توضَّأَ من ماءٍ جِيءَ به من عندِ نصرانية.

❁ تطهير الأنجاس:

• **أبو بكر**: عن ابن سيرين، عن **عائشة**، عن عمر قال: يُغْسَلُ البولُ مرّتينِ[(١)].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن الصلت**: أنَّ عمرَ غسل ما رأى من الجنابةِ، ونضحَ ما لم يَرَهْ[(٢)].

مالك والشافعي نحواً من ذلك.

• **أبو بكر**: عن **خالد بن أبي عزّة** قال: سأل رجلٌ عمرَ بنَ الخَطّاب فقال: إنِّي احتلمتُ على طِنْفِسَةٍ فقال: إنْ كان رطباً فاغْسِلْهُ، وإن كان يابساً فاحْكُكْهُ، وإنْ خَفِيَ عليك فارشُشْهُ[(٣)].

بنى مالكٌ مذهبَه على الأَوَّل، وحمله الشافعيُّ على الندبِ، وأبو حنيفةَ على غَسْلِ رطبه وحَكِّ يابسه.

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم**: أنَّ عمر قال: طهورُ المَسْكِ دِباغُه[(٤)].

• **مالك**: أُوقِظَ عمرُ لصلاةِ الصبحِ حين طُعِنَ، فصلّى وجرحُه يَثْعَب دماً[(٥)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١١٧) برقم: (١٣٤٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٤٥) برقم: (٣٩٧١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٨٤) برقم: (٩٢٨). الطنفسة: السجادة.
(٤) انظر: «الآثار»، لأبي يوسف (٣/ ٥٨) برقم: (١٠٢١). المَسْكُ: الجلد.
(٥) أخرجه مالك في «الموطأ» برقم: (١١٧).

• **أبو بكر**: عن **أنس بن مالك**: أنّ عمر بن الخطاب رأى رجلاً يصلِّي وعليه قُلُنْسُوَةٌ، بطانتُها من جلودِ الثعالب، قال: فألقاها عن رأسِهِ وقال: ما يدريكَ، لعلَّه ليس بذكيٍّ[١].

قلت: فيه حُجَّةٌ للشافعي في أنَّ الشعرَ لا يَقْبَلُ الدِّباغَ.

۞ التيمم:

• **أبو بكر**: عن **الأسود**، عن عمر: لا يتيمَّمُ الجُنُبُ، وإن لم يَجِد الماءَ شهراً[٢].

وروي من وجوه: أنّ عمّاراً ذكر عِنْدَه قصة التمعُّكِ، وقول النبي ﷺ: «**إنّما يكْفيكَ أَنْ تَفْعلَ هكذا**»، الحديثَ، فلم يَقْنَعْ بقولِهِ[٣].

قلت: ترك الفقهاءُ الأربعةُ قولَ عمر؛ لأنّهم وجدوه مخالفاً لما صحَّ عن النبيِّ ﷺ من مسند عمران بن حُصين وأبي ذر وعمرو بن العاص وغيرِهم أَمْرُهُ للجُنُبِ بالتيمُّمِ إذا لم يجدِ الماءَ.

وتتبعت أنا، فوجدتُ أنَّ النبيَّ ﷺ رآهم اختلفوا في تأويل الآيتين آيةِ المائدة وآيةِ النساء، فصوَّبَ كِلَا التأويلين، وتركَ كُلَّ مُؤَوِّلٍ على تأويلِه.

وعمر بن الخطاب أجلُّ مِنْ أن يخفى عليه هذا الحديثُ، وأتقى لله من أن يبلغَه هذا الحديثَ ثم لا يقولُ به إلّا لمعنىً فهمه عن النبيِّ ﷺ.

أخرج **النسائي** عن **طارق**: أنَّ رجلاً أجنبَ فلم يصلِّ، فأتى النبيَّ ﷺ فذكرَ ذلك له فقال: أصبتَ، فأجنبَ رجلٌ آخر فتيمَّمَ وصلّى

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٦٢) برقم: (٦٤٧٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٤٥) برقم: (١٦٦٧).
(٣) انظر: «الاستذكار» (١/ ٣٠٣).

فأتاه فقال نحو ما قال للآخر؛ يعني: أصبتَ[١].

وأشار الشافعي إلى أن عمر وابن مسعود كانا يحملان الملامسة على اللمس باليد، فكانت الآيتانِ ساكتتانِ عندهما من التيمم عن الجنابة.

❁ مواقيت الصلاة:

• **مالك** عن **نافع** مولى عبد الله بن عمر: أنّ عمرَ بنَ الخطّاب كتب إلى عُمّاله: إنّ أهمَّ أمركم عندي الصلاةُ، فَمَنْ حفظَها، وحافظَ عليها، حَفِظَ دينه، ومن ضيَّعها فهو لِمَا سواها أضيعُ، ثم كتب: أنْ صلّوا الظهر إذا كان الفيءُ ذراعاً، إلى أنْ يكون ظِلُّ أحدكم مثله، والعصرَ والشمسُ مرتفعةٌ بيضاءُ نقيةٌ قدر ما يسيرُ الرّاكِبُ فرسخين أو ثلاثةً قبل غروبِ الشمسِ، والمغربُ إذا غربتِ الشمسُ، والعشاءُ إذا غابَ الشفقُ إلى ثُلُثِ الليلِ، فمَنْ نامَ فلا نامَتْ عينُه، فَمَنْ نامَ فلا نامتْ عينُه، فَمَنْ نامَ فلا نامتْ عينُه، والصبحُ والنجومُ باديةٌ مشتبِكَةٌ[٢].

• **مالك** عن عمِّه أبي سهيل عن **أبيه**: أنّ عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري: أنْ صَلِّ الظهرَ إذا زاغتِ الشمسُ، والعصرَ والشمسُ بيضاءُ نقيةٌ قبل أن تدخلَها صفرةٌ، والمغربُ إذا غربتِ الشمسُ، وأخّر العشاءَ ما لم تَنَمْ، وصلِّ الصبحَ والنجومُ باديةٌ مشتبِكَةٌ، واقرأ فيها بسورتين طويلتين من المفصَّلِ[٣].

وفي رواية: عن هشام بن عروة عن أبيه: وأن صلِّ العشاء ما بينك وبين ثلث الليل، فإن أخّرت فإلى شَطْرِ الليل[٤].

---

(١) أخرجه النسائي في «سننه» برقم: (٣٢٤).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٠).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١١).

• مَالِك عَنْ عَمِّهِ أَبِي سُهَيْلِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ أَرَى طِنْفِسَةً لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تُطْرَحُ إِلَى جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْغَرْبِيِّ فَإِذَا غَشِيَ الطِّنْفِسَةَ كُلَّهَا ظِلُّ الْجِدَارِ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَصَلَّى الْجُمُعَةَ، قَالَ مَالِكٌ: ثُمَّ يَرْجِعُ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ فَيَقِيلُ قَائِلَةَ الضَّحَاءِ[١].

• **مالك والشافعي**: عن **عبد الله بن عامر** يقول: صلّينا وراء عمر بن الخطاب ﵁ الصبحَ، فقرأ فيها سورة يوسف وسورة الحج قراءةً بطيئةً، فقلتُ: واللهِ لقد كانَ إذاً يقومُ حين يطلعُ الفجرُ قال: أجل[٢].

• **أبو بكر**: عن **أبي البختري** قال: كان عمرُ ينصرِفُ من الهجير في الحَرِّ، ثم ينطلِقُ المنطلِقُ إلى قباء فيجدهم يصلّون[٣].

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن سابط** أنَّ عمرَ قال لأبي محذورة: إنّكَ بأرضٍ شديدةِ الحَرِّ، فأبردْ بالصّلاةِ، ثم أبردْ بها[٤].

• **أبو بكر**: عن منذر قال عمر: أبردوا بالظهر، فإنَّ شِدّةَ الحَرِّ من فَيْحِ جَهَنَّمَ[٥].

• **أبو حنيفة**: عن حماد، عن **إبراهيم**، عن عمر بن الخطاب: أبردوا بالظهرِ عن فَيْحِ جهنّم[٦].

• **الشافعي**: عن **رجل من الصحابة** قال: لَقِيَني عمرُ بنُ الخطّاب بالزَّوْراءِ، فسألني: أينَ تذهبُ؟ فقلت: للصلاةِ، فقال: خلفت فأسرع،

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٧).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧١)، و«مسند الشافعي» (ح: ١٠٦٣).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٨٥) برقم: (٣٢٧٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٨٦) برقم: (٣٢٧٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٨٧) برقم: (٣٢٨٨).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٨٧) برقم: (٣٢٨٧).

فذهبتُ إلى المسجد فصلّيت، ثم رجعتُ، فوجدت جاريتي قد احتبست من الاستقاء، فذهبتُ إلى بئر رُومة، فجئتْ بها والشمسُ صالحةٌ[١].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** قال: كان عمرُ يكتُبُ إلى أمراءِ الأنصارِ أنْ لا تنتظروا بصلاتكم اشتباكَ النجومِ[٢].

• **أبو بكر**: عن **سويد بن غفلة**: قال عمرُ: عجّلوا العشاءَ قبل أنْ يكسلَ العامِلُ، وينامَ المريض[٣].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** عن عمر قال: إذا كان يومُ الغَيْمِ فعجِّلوا العصرَ، وأخِّروا الظهرَ[٤].

الحديث بعد العشاء:

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم**، عن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال: أجدبُ الجدبِ الحديثُ بعد صلاةِ العشاءِ إلا في صلاةٍ أو قراءةِ قرآنٍ[٥].

• **أبو بكر**: عن سلمان؛ يعني: **ابن أبي ربيعة** قال: قال لي عمر: يا سلمانُ! إنِّي أذمُّ لكَ الحديثَ بعد صلاةِ العتمةِ[٦].

• **أبو بكر**: عن **أبي بكر بن موسى**: أنّ أبا موسى أتى عمر بن الخطاب بعد العشاء، فقال له عمرُ بنُ الخطاب: ما جاء بك؟ قال: جئتُ أتحدَّثُ إليكَ، قال: هذه الساعة؟ قال: إنّه فقهٌ، فجلس عمر،

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٢/ ٣٢٣) برقم: (٦٨٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٨٩) برقم: (٣٣٢٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٩٢) برقم: (٣٣٥٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٦) برقم: (٦٢٨٧).
(٥) انظر: «كتاب الآثار»، لمحمد (ح١٤٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٧٨) برقم: (٦٦٧٩).

فتحدّثا ليلاً طويلاً[١].

❁ حضور الجماعة:

• **أبو بكر**: عن **أبي عبد الرحمٰن**، عن عمر: لأنّ أصليهما في جماعةٍ أحبُّ إليَّ من أن أحيي ما بينهما[٢]؛ يعني: الصبحَ والعشاءَ.

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان إذا رأى غلاماً في الصفِّ أخرجه[٣].

• **أبو بكر**: عن **أبي مجلز** قال: أُقيمتِ الصلاةُ، وصُفَّتِ الصفوفُ، فابتدر[٤] رجلٌ لعمر، فكلَّمه، فأطالا القيامَ، والقومُ صفوفٌ[٥].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيَّب**: أنَّ عمرَ رأى رجلاً يصلِّي ركعتين والمؤذِّنُ يقيم، فانتهره، وقال: لا صلاةَ والمؤذِّنُ يقيمُ، إلا الصلاةَ التي تقامُ لها الصلاةُ[٦].

• **أبو بكر**: عن **أبي عثمان النَّهدي** قال: رأيتُ الرجلَ يجيءُ وعمرُ بنُ الخطابِ في صلاة الفجر، فيصلِّي الركعتين في جانبِ المسجد، ثم يدخلُ مع القومِ في صلاتهم[٧].

• **أبو بكر**: عن نُعيم قال: قال عمرُ: إذا كان بينه وبين الإمامِ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٧٩) برقم: (٦٦٩٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٩٣) برقم: (٣٣٥٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦٣) برقم: (٤١٦٨).
(٤) في «المصنف»: «فاندرأ».
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦٣) برقم: (٤١٧٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٢١) برقم: (٤٨٤٥).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٥٧) برقم: (٦٤١٤).

طريقٌ أو نهرٌ أو حائطٌ فليس معه[١].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: كانت امرأةٌ لعمرَ تشهد صلاةَ الصبحِ والعشاءِ في جماعةٍ في المسجدِ، فقيل لها: لم تخرجينَ وقد تعلمينَ أنَّ عمرَ يكره ذلك ويغارُ؟ قالت: فما يمنعه أنْ ينهاني؟ قالوا: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «**لا تَمْنَعُوا إماءَ اللهِ مَساجِدَ اللهِ**»[٢].

• **الشافعي**: أنّه تقدّم أعجميٌّ فأخّره المِسْوَرُ بنُ مخرمةَ، فسأله عمر فقال: أمير المؤمنين! إنَّ الرجل كانَ أعجميَّ اللسان، وكان في الحجِّ فخشيتُ أن يسمعَ بعضُ الحاجِّ قراءته، فيأخذ بعجمَتِهِ، فقال: هنالك ذهبتَ بها؟ فقال: نعم، فقال: قد أصبتَ[٣].

• **مالك والشافعي**: عن **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة** أنّه قال: دخلتُ على عمرَ بنِ الخطاب بالهاجرةِ، فوجدتُه يسبِّحُ، فقمتُ وراءَهُ، فقرّبني حتّى جعلني حذاءَه عن يمينِهِ، فلمّا جاءَ يرفأُ تأخّرتُ، فصففنا وراءه[٤].

• **أبو حنيفة**: عن حماد، عن **إبراهيم**: أن عمر بن الخطاب جعلهما خلفَه، فصلّى بين أيديهما؛ يعني: المأمومين[٥].

• **أبو بكر**: عن **يسار بن نُمير**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان يقول: ابدأوا بطعامِكُم، ثم افرغوا لصلاتِكُم[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٥) برقم: (٦١٥٥).
(٢) انظر: «جامع الأحاديث»، للسيوطي (٢٨/ ١٦٣).
(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٣/ ٨٩) برقم: (٣٨٢٧).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٥٢٣). ويرفأ هو مولى عمر.
(٥) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ١٢٦) برقم: (٩٥).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨٤) برقم: (٧٩٢١).

• **مَالِك**: عَنْ **زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ**: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمْ وَهُوَ ضَامٌّ بَيْنَ وَرِكَيْهِ[1]؛ يعني: الحاقِبَ.

❁ سنَّة الأذان:

أخرج **البخاريُّ** وغيره عن **ابن عمر**: كان المسلمون حين قدموا المدينةَ يجتمعون فيتحيَّنون الصلاةَ، ليس ينادَىٰ لها، فتكلّموا يوماً في ذلك، فقال بعضُهم: اتّخِذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضُهم: بل بوقاً مثل قَرْنِ اليهود، فقال عمر: أولا تبعثونَ رجلاً ينادِي بالصلاةِ[2].

وفي حديثِ رؤيا عبدِ اللهِ بنِ زيدٍ فيما رواه **الدارمي** وغيره: قال عمر: والّذي بعثَكَ بالحقِّ لقد رأيتُ مثل ما رأى[3].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن أبي الهذيل العنزي**: قال عمر: لو لا أن يكونَ سنَّة لأذَّنتُ[4].

• **الشافعي**: عن **عمر** أنّه قال: عَجِّلوا الأذانَ بالصُّبحِ، يُدْلِجُ المُدْلَجُ[5].

• **أبو داود**: عن مؤذِّنٍ لعمر يقال له: مسروحٌ، فأمره عمر أن يرجع فينادي: ألا إنَّ العبدَ قد نام[6].

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٥٥١).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٠٤).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٢٨٦) برقم: (١١٧٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٥٧) برقم: (٤١٠٥).
(٥) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (١/ ٣٨٤)، و«معرفة السنن والآثار» (٢/ ٢٣٢).
(٦) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٥٣٢).

قلت: في المسألة قولان، ذهب الشافعيُّ إلى الأول، وأبو حنيفة إلى الثاني، ويمكن الجمع باختلاف الأحوال، فإذا كان الإمام قد تقدّم إلى الناس أن فلاناً يؤذِّنُ بليلٍ جازَ قبل الصبح وإلّا لا، لوجودِ التباس في الثاني، وعدمه في الأول.

• **مالك**: أنّ عمرَ علّم مؤذنه أن يقولَ: الصلاةُ خيرٌ من النوم، الصلاةُ خيرٌ من النوم[١].

• **أبو بكر**: عن **مجاهد** أنّ أبا محذورة قال: الصلاةَ الصلاةَ، فقال عمر: ويحك أمجنونٌ أنتَ؟ أما كان في دعائك الذي دعوتنا ما نأتيك حتى تأتينا[٢].

• **أبو بكر**: عن **أبي الزبير** مؤذّنِ بيتِ المقدس: جاءنا عمر بن الخطاب، فقال: إذا أذّنْتَ فترسَّل، وإذا أَقَمْتَ فاحْدِرْ[٣]، وفي رواية البغوي: فاحْذِمْ، ومعناه: الحدرُ أيضاً، وهو قطعُ التطويلِ.

❁ المساجد:

البغوي: عن **سالم بن عبد الله**: بنى عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه رحبةً إلى جنب المسجد، فسمّاها البُطيحاء، وقال: مَنْ أراد أن يلغط، أو ينشد شعراً، أو يرفعَ صوتاً، فليخرج إلى هذه الرحبة[٤].

مالك نحواً من ذلك.

• **البغوي**: عن **سعيد بن المسيَّب** قال: مَرَّ عمرُ في المسجدِ

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٠٧) برقم: (٣٥٤١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ١٩٥) برقم: (٢٢٣٤).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (٢/ ٣٧٣).

وحسّانُ ينشد الشعر، فلحظ إليه ـ شَزِراً ـ، فقال: كنتُ أنشِدُ فيه وفيه مَنْ هو خيرٌ مِنْكَ، ثم التفتَ إلى أبي هريرة فقال: أُنْشِدُكَ باللهِ أسمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**أَجِبْ عنِّي، اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدْسِ؟**» قال: نعم[١].

• **أبو بكر**: عن سعد بن إبراهيم عن **أبيه**: سمع عمرُ بنُ الخطاب رجلاً رافعاً صوته في المسجد فقال: أتدري أينَ أنت؟![٢].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر**: أنّ عمرَ نهى عن اللّغطِ في المسجد، وقال: إنَّ مسجدنا هذا لا تُرْفَعُ فيه الأصواتُ[٣].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان يجمِّرُ المسجدَ في كلِّ جمعة[٤].

• **أبو بكر**: عن **المُطّلب بن عبد الله بن حَنْطَب**: أنّ عمرَ بنَ الخطاب أتى مسجد قُباء على فرس له، فصلّى فيه، ثم قال: يا يَرْفَأ! ائتني بجريدةٍ قال: فأتاه بجريدةٍ، فاحتجزَ عمرُ بثوبه، ثم كَنَسَهُ[٥].

• **أبو بكر**: عن **سيار بن معرور** قال: رأى عمرُ قوماً يصلّون على الطريق، فقال: صلّوا في المسجد[٦].

• **أبو بكر**: عن **أنس** قال: رآني عمر وأنا أصلِّي، فقال: القبرَ أمامَك فنهاني[٧].

---

(١) «شرح السُّنَّة» (٢/ ٣٧٤)، وانظر: «صحيح البخاري» (ح: ٣٢١٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨٢) برقم: (٧٩٠٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨٢) برقم: (٧٩٠٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤١) برقم: (٧٤٤٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٤٩) برقم: (٤٠١٦).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٦٩) برقم: (٧٧٤٥).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥٣) برقم: (٧٥٧٦).

• **أبو بكر**: عن **المعرور بن سويد** أنّه رجعَ مع عمر في حجته فرأى عمرُ الناسَ يبتدرون، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مسجدٌ صلّى فيه رسولُ اللهِ ﷺ فقال: هكذا هلكَ أهلُ الكتاب، اتّخذوا آثارَ أنبيائهم بِيَعاً، مَنْ عرضتْ له منكم فيه الصلاةُ فليصلِّ، ومَنْ لم تَعْرِضْ له منكم فيه الصلاةُ فلا يصلِّ[(١)].

• **أبو بكر**: عن **نافع** قال: بلغَ عمرُ بنُ الخطّاب أنَّ أُناساً يأتون الشجرةَ التي بويع تحتها، فأمرَ بها فَقُطِعَتْ[(٢)].

أبو بكر ومسلم: عن **معدان بن أبي طلحة اليَعْمُري** أنّ عمر بن الخطاب قال: أيُّها الناسُ! إنّكم تأكلون شجرتين، لا أراهما إلا خبيثتين، هذا الثومُ وهذا البصلُ، لقد كنتُ أرى الرجلَ على عهد رسولِ اللهِ ﷺ يوجد ريحُه منه، فيؤخذ بيدِهِ حتى يُخْرَجَ به إلى البقيعِ، فمن كان آكلهما لا بدّ له فليُمِتْهما طَبْخاً[(٣)].

• **أبو بكر**: كُتِبَ إلى عمر من نجران: لم يجدوا مكاناً أنظفَ ولا أجودَ من بَيْعَةٍ؟ فكتب: انضحوها بماءٍ وسِدْرٍ وصلّوا فيها[(٤)].

• **أبو بكر**: عن معاوية بن قرة عن **أبيه** قال: رآني عمرُ وأنا أصلي بين أسطوانتين، فأخذ بقفائي فأدناني إلى سترة فقال: صلِّ إليها[(٥)].

• **أبو بكر**: عن رجلٍ يقال له: همدان، وكان بريدَ أهل اليمن إلى

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥١) برقم: (٧٥٥٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥٠) برقم: (٧٥٤٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٤٩) برقم: (٧٦٥٨)، «صحيح مسلم» (ح: ٨٧٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٢٣) برقم: (٤٨٦١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٦) برقم: (٧٥٠٢).

عمرَ قال: قال عمر: المصلُّونَ أحقُّ بالسواري من المتحدّثين إليها[١].

• **أبو بكر**: عن **ابن الزُّبير** يقول: سمعتُ عمرَ يقول: صلاةٌ في هذا المسجدِ أفضلُ من مائةِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرام[٢].

• **أبو بكر**: عن إسماعيل بن عبد الرحمٰن: أنَّ عمرَ صلَّى في مكانٍ فيه دِمَنٌ[٣]؛ يعني: مرابِضُ الغنم.

❁ ما يلبسه المصلي:

• أخرج **البخاري** عن **أبي هريرة** قال: قام رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فسأله عن الصلاةِ في الثوب الواحدِ، فقال: «**أَوَ كُلّكُم يجدُ ثَوْبَيْنِ؟**» ثم سأل رجلٌ عمرَ فقال: إذا وسّع الله فأَوْسِعُوا، جمعَ رجلٌ عليه ثيابه، صلّى رجلٌ في إزارٍ ورِداءٍ، في إزارٍ وقميصٍ، في إزارٍ وقباءٍ، في سراويلَ ورداءٍ، في سراويل وقميصٍ، في سراويلَ وقباءٍ، في تبّانٍ وقباءٍ، في تِبّانٍ وقميصٍ ـ قال: وأحسبه ـ قال: في تبّانٍ ورداءٍ[٤].

• **أبو بكر**: عن **معوّذ**، صلّى بنا عمرُ في ثوبٍ واحدٍ ليس عليه غيره[٥].

• **أبو بكر**: عن **ابن عُمَرَ**: أنَّ عمر بن الخطاب رأى رجلاً يصلّي مُلْتَحِفاً فقال: لا تشبّهوا باليهود، مَنْ لم يَجِدْ منكم إلّا ثوباً واحداً فليتزرْ بِهِ[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٧) برقم: (٧٦١٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٨) برقم: (٧٥١٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٣٨) برقم: (٣٨٨٦).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٧٦) برقم: (٣١٧٣).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٧٨) برقم: (٣١٩٦).

• **أبو بكر**: عن **أبي هريرةَ** قال: قال عمرُ: تصلِّي المرأةُ في ثلاثةِ أثوابٍ[١]. **قلت**: معناه تستر جميع البدن.

• **البيهقي**: عن **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه رأى أمةً مختمرةً، متجلببةً فقال: لا تشبَّهوا الإماء بالمُحْصناتِ[٢].

• **أبو بكر**: عن **أنس** قال: رأى عمرُ أمةً متقنِّعةً فضربها، وقال: لا تتشبّهينَ بالحرائرِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن عامر** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطّاب يصلي على عبقري[٤].

• **أبو بكر**: إنَّ عُمَرَ اشترى الحُصْرَ يفرشُها في المسجدِ.

استقبال القبلة:

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: قال عمرُ: ما بَيْنَ المشرقِ والمغربِ قبلةٌ[٥]، زاد في رواية: استقبلت البيت.

مالك نحواً من ذلك.

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: رأيتُ عمرَ ركز عَنَزَةً وصلَّى إليها، والظُّعُنُ تمرُّ بين يديه[٦].

• **البيهقي**: عن **غضيف بن الحارث الكندي** قال: سألتُ عمرَ بنَ الخطاب قلتُ: إنا نبدو فنكونُ في الأبنيةِ، فإن خرجتُ قَرَرْتُ، وإن

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٦) برقم: (٦١٦٨).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار» (٣/ ٢٤٢) رقم: (١٠٥٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤١) برقم: (٦٢٣٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٥٢) برقم: (٤٠٤٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٤٠) برقم: (٧٤٣١).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٤٨) برقم: (٢٨٤٩).

خرجتْ امرأتي قَرّتْ، فقال عمر: اقطع بينك وبينها ثوباً، ثم ليصلِّ كلُّ واحدٍ منكما[١].

قلت: تمسّك به الحنفيةُ في قولهم بفسادِ صلاةِ الرجل إذا حاذته امرأةٌ في صلاةٍ مشتركةٍ تحريمةً وأداءً، وأجاب الشافعيُّ فقال: ليس بمعروفٍ عن عمر، وليس فيه أنها في صلاةٍ واحدةٍ، لكن استُحِبَّ ذلك قطعاً لمادة الفتنة.

۞ صفة الصلاة:

• **مالك والشافعي**: أنّ عمر كان يأمرُ رجالاً بتسويةِ الصفوف، فإذا جاءوا فأخبروه أنّ الصفوفَ قد استوت كبَّر[٢].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: سمعتُ عمرَ افتتح الصلاةَ وكبَّر، فقال: سبحانك اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، وتبارك اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلـهَ غيرُك، ثم تعوّذ[٣].

• **أبو حنيفة**: عن حماد، عن **إبراهيم**: أنّ ناساً من أهل البصرة أتوا عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه، لم يأتوه إلّا ليسألوه عن افتتاحِ الصلاةِ، قال: فقام عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فافتتحَ الصلاة وهم خلفه، ثم جهر فقال: سبحانَكَ اللَّهُمَّ وبحمدِكَ، وتبارَكَ اسمُكَ، وتعالى جَدُّكَ، ولا إلـه غيرُكَ، قال محمد بن الحسن: وإنّما جهر بذلك رضي الله عنه ليعلّمهم ما سألوه عنه[٤].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢/ ٣١٢) برقم: (٣٥١٤). قرّت من القرّ، وهو البرد.

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٢/ ٣٩١) برقم: (٧٤٤).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢١٤) برقم: (٢٤٥٦).

(٤) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٩٦) برقم: (٧١).

• **أبو بكر والبيهقي**: عن **الأسود** أنّ عمر كان يرفع يديه في الصلاة حَذْوَ منكبيه[(١)].

• **أبو بكر**: عن **عباية بن ربعي** قال: قال عمرُ: لا تُجْزِئُ صلاةٌ لا يُقْرَأُ فيها بفاتحةِ الكتابِ وآيتين فصاعداً[(٢)].

الشافعي في القديم: إنّ عمر بن الخطاب صلّى فلم يقرأ، فقال لهم: كيفَ كان الركوعُ والسجودُ؟ قالوا: حسناً، قال: فلا بأسَ إذاً[(٣)].

• **أبو حنيفة**: عن حماد، عن **إبراهيم**: أنّ عمر صلّى المغربَ فلم يقرأ، فأعادَ الصلاةَ[(٤)].

قلت: كان الشافعيُّ يقول في القديم: إن القراءةَ سنَّةٌ، ثم رجع، وقال: فريضةٌ، وحمل قِصّةَ ترك الإعادةِ على أنه ترك السورةَ.

• **مالك والشافعي**: عن **أنس** كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان يفتتحون القراءةَ بالحمد لله رب العالمين، زاد في رواية: «وكان لا يقرأ بسم الله الرحمٰن الرحيم»[(٥)].

• **أبو بكر وأصحابُ «السنن»**: عن عبد الله بن مغفل عن **أبيه** قال: صلّيتُ خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقول ذلك، إذا قرأت فقل: الحمدُ للهِ ربِّ العالمين[(٦)].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: صلّيتُ خلف عمر سبعينَ صلاةً، فلم

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢١١) برقم: (٢٤٣١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٧) برقم: (٣٦٢٤).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٣/ ٤٥٨) برقم: (١٢٣٥).
(٤) انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٢/ ١٢٥).
(٥) «المدونة الكبرى» (١/ ١٦١)، و«مسند الشافعي» (ح: ١٤٦)، وانظر: «سنن أبي داود» برقم: (٧٨٢)، و«سنن الترمذي» برقم: (٢٤٦).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٥٩) برقم: (٤١٢٨).

يجهر فيها ببسم الله الرحمٰن الرحيم[١].

• **أبو بكر**: عن سعيد بن عبد الرحمٰن بن أبزى عن أبيه: أنَّ عمر جهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم[٢].

قلت: روى عنه أهل المدينة وأهلُ الكوفة والبصرةِ تركَ الجهر بالبسملة، وروى عنه أهلُ مكة الجهرَ، فوقع الفقهاءُ في الترجيح، فذهب الشافعيُّ إلى ترجيح الجهر بها، وعلى قياس قول محمّد في دعاء الافتتاح أنّه جهرَ في بعض الأوقات ليعلّمهم أنَّ البسملةَ سُنَّةٌ، والأوجه عندي أنَّ عمرَ كان تعلّم من النبي ﷺ في قصته مع هشام بن حكيم أنَّ القرآن نزل على سبعةِ أحْرُفٍ، كلّها كافٍ شافٍ، وكان يرى أنَّ الابتداء بالبسملة على أنّها جزءٌ من الفاتحةِ حرفٌ صحيحٌ، وتركَها على أنّها إنّما يسنُّ البداية بها في كتابةِ القرآنِ والتلاوةِ خارجَ الصلاةِ حرفٌ صحيح أيضاً، والابتداءُ بها على أنها ليست من الفاتحة حرفٌ صحيح أيضاً، فعمل بهذه الأحرف في الأوقات.

• **البيهقي**: عن **يزيد بن شريك** أنّه سأل عمرَ عن القراءة خلف الإمام، فقال: اقرأ بفاتحة الكتاب، قلتُ: وإن كنتُ أنتَ؟ قال: وإن كنتُ أنا، قلتُ: وإن جهرتَ؟ قال: وإن جهرتُ[٣].

قلت: روى أهل الكوفة عن أصحاب عمر الكوفيين أنَّ المأموم لا يقرأ شيئاً، والجمعُ أنّ القبيح في الأصل أنْ ينازَعَ الإمامُ في القرآن، وقراءة المأموم قد يفضي إلى ذلك، ثم إنّ اشتغالَ المأموم بمناجاة ربه مطلوبٌ، فتعارضت مصلحةٌ ومفسدةٌ، فمن استطاع أن يأتيَ بالمصلحة

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦١) برقم: (٤١٤٨).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦٢) برقم: (٤١٥٧).

(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢/ ١٦٧) برقم: (٢٧٥٦).

بحيث لا تخدشها مفسدةٌ فليفعل، ومن خافَ المفسدةَ ترك، والله أعلم.

• **أبو بكر**: عن **الأحنف** قال: صلّيتُ خلف عمرَ الغداةَ، فقرأ يونس وهوداً ونحوهما[١].

• **وعن زيد بن وهب** أنّ عمر قرأ في الفجر بالكهف، وعن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: سمعتُ عمرَ يقرأُ في الفجر بسورة يوسف قراءةً بطيئةً[٢].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن شدّاد** قال: سمعتُ نشيجَ عمرَ وأنا في آخرِ الصفوفِ في صلاة الصبح وهو يقرأ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦][٣].

• **مالك والشافعي**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كتبَ إلى أبي موسى الأشعري: أنْ صلِّ الصبحَ والنجومَ باديةٌ مشتبكة، واقرأ فيها بسورتين طويلتين من المُفَصَّل[٤].

وعن علقمة بن وقاص مثله.

قلت: فيه دليلٌ على أنَّ البكاءَ إذا كان للآخرةِ لا يفسِدُ الصلاةَ.

• **أبو بكر**: عن **أبي المتوكل الناجي**: أنّ عمر قرأ في الظهرِ بقاف والذاريات[٥].

• **أبو بكر**: عن زُرارةَ بن أوفى قال: أقرأني أبو موسى كتابَ عمر

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٠) برقم: (٣٥٤٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٢) برقم: (٣٥٦٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٢/ ٣٤٣) برقم: (٧٠٣)، و«المدونة الكبرى» (١/ ١٥٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٣) برقم: (٣٥٧٤).

إليه: أَنِ اقرأْ بالناس في المغربِ بآخرِ المُفَصَّل[١].

● **أبو بكر**: عن عمرو بن ميمون أن عمر قرأ في المغرب بـ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾، و﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾[٢].

● **أبو بكر**: عن **زرارة بن أوفى** قال: أقرأني أبو موسى كتاب عمر إليه: أنِ اقرأْ بالناسِ في العشاء بوَسَطِ المفصَّلِ[٣].

● **أبو بكر**: عن **أبي رافع** قال: صلَّيْتُ مع عمرَ العشاءَ فقرأ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[٤].

● **أبو بكر**: عن **المعرور بن سويد** قال: خرجنا مع عمر حُجّاجاً، فصلى بنا الفجر فيقرأ بـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾، و﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾[٥].

وعن **عمرو بن ميمون** قال: صلّى بنا عمرُ الفجرَ في السفرِ فقرأ بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[٦].

● **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم**، أنّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه أَمَّ أصحابه في صلاة الصبح، فقرأ بهم في الركعة الأولى بـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثانية بـ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ قال محمّد: وبه نأخذُ، ونراه مجزئاً، ولكنّا نستحبُّ للإمام إذا صلّى الصبح وهو مقيمٌ أن يطيلَ فيها القراءةَ[٧].

● **أبو بكر**: عن **يحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب**: أنَّ عمرَ قرأ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٤) برقم: (٣٥٩٤).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٥٨) رقم: (٣٦١٣).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٥٩) رقم: (٣٦٣١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٦) برقم: (٣٦١٦).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦٦) رقم: (٣٧٠٢).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٢٢) برقم: (٣٥٨٣).
(٧) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٢٣٩) برقم: (١٨٦).

بـ«آل عمران» في الركعتين الأُولَيين من العشاء، قطعها؛ يعني: فيهما[١].

• **الشافعي**: عن **أبي عثمان النهدي** قال: سمعتُ من عمر بن الخطاب نغمة من «قاف» في الظهر[٢].

قلت: احتجَّ به الشافعيُّ على أنَّ الإخفاء في موضعه والجهرَ في موضعه ليس بواجبٍ، وللحنفية أنْ يقولوا: إسماعُ كلمةٍ أو كلمتينِ لا يخرِجُ من الإخفاءِ.

• **أبو بكر**: عن **أبي رافع**: كان عمرُ يقرأ في صلاة الصبح بمائةٍ من البقرة، ويتبِعُها بسورةٍ من المثاني أو من صدور المفصل[٣].

قلت: فيه حجةٌ على أنَّ الركعةَ الأولى من الصبح أطولُ من الثانية.

• **أبو بكر والبخاري**: عن **جابر بن سَمُرَة**: حين شَكَوْا سعداً، فدعاه عمر، فقال سعدٌ: إني لأصلِّي بهم صلاةَ رسولِ اللهِ ﷺ، إنِّي لأركدُ بهم في الأُولَيين، وأحذِفُ عنهم في الأُخريين، قال عمرُ: ذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاق[٤].

• **أبو بكر**: عن **أبي عثمان**: أنّ عمر كان يصلِّي الظهرَ عند زوالِ الشمسِ، ويطيلُ أولَ ركعةٍ[٥].

قلت: فيه حجةٌ للشافعيِّ في استحبابِ إطالة الركعة الأولى في كل صلاة.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٢٤) برقم: (٣٧١٤).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٣/ ٤٦١) برقم: (١٢٣٧).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٢) برقم: (٣٥٦٣).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٧٠) برقم: (٧٧٥٧)، و«صحيح البخاري» (ح: ٧٥٨).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٧٠) برقم: (٧٧٦٠).

• **مالك والشافعي**: عن **عروة**: أنّ عمر بن الخطاب قرأ سجدةً وهو على المنبر، فنزل، فسجد، وسجدوا معه، ثم قرأ الجمعةَ الأخرى، فتهيّأ الناسُ للسجود، فقال: أيها الناس على رِسْلِكُم، إنَّ الله لم يكتبْها علينا، إلا أن نشاء، فقرأها، فلم يسجدْ، ومنعهم أن يَسْجُدُوا(١).

• **أبو بكر**: عن **أبي قلابة والحسن** قالا: قال عمر: ليس في المُفَصّل سجدةٌ. **قلت**: كأنّه ينفي تأكّدَ سُنِّيَتِها.

• **أبو بكر**: عن **حصين بن سَبُرَة** قال: صلّيت خلف عمر، فقرأ في الركعة الأولى بسورة يوسف، ثم قرأ في الثانية بالنجم فسجدَ، ثم قام فقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ ثم ركع(٢).

• **أبو بكر**: عن **أبي رافع الصائغ** قال: صلّى بنا عمرُ صلاةَ العشاءِ الآخرةِ، فقرأ في إحدى الركعتين الأُوليين: ﴿۩ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ فسجد، وسجدنا معه(٣).

• **أبو بكر**: عن **ابنِ عمرَ** عن عمرَ أنّه سجدَ في الحجِّ سجدتين(٤).

• **أبو بكر**: عن **ابن عباس** قال: إنّه رأى عمرَ بنَ الخطاب يسجدُ فيها(٥)؛ يعني: في ﴿ص﴾.

• **أبو بكر**: عن **عروة** قال: قال عمر: إنِّي لأحسبُ جزيةَ البحرين وأنا في الصلاةِ(٦).

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٣/ ٢١٣) برقم: (٥٥٨٧)، و«موطأ مالك» (ح: ٤٣٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣١٢) برقم: (٣٥٦٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٦٩) برقم: (٤٢٣٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٧٢) برقم: (٤٢٨٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٧١) برقم: (٤٢٦٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨٦) برقم: (٧٩٥٠).

• **أبو بكر**: عن **أبي عثمان النهدي** قال: قال عمر: إنِّي لأجهِّزُ جيوشي وأنا في الصلاةِ[١].

• **أبو بكر والترمذي والشافعي**: عن علقمة والأسود عن **عبد الله** قال: كان النبي ﷺ يكبِّر في كل رفعٍ ووضعٍ وقيامٍ وقعودٍ وأبو بكر وعمر[٢].

• **البغوي والبيهقي**: أنَّ عمر روى عن النبيِّ ﷺ رفعَ اليدينِ في الركوعِ والقومةِ منه[٣].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: صلّيت مع عمرَ فلم يرفع يديه في شيءٍ من صلاته إلّا حينَ افتتَحَ الصلاةَ[٤].

قلت: تكلَّم الشافعيةُ والحنفيةُ في ترجيح الروايات، كلٌّ على حَسَبِ مذهبه، والأوْجَهُ عندي أنَّ عمرَ رأى رفعَ اليدين عند الركوع والقومةِ منه مستحبّاً، فكان يفعلُ تارةً ويتركُ أخرى، كما بيَّن هو بنفسه في سجودِ التلاوة.

• **الشافعي**: عن **أبي عبد الرحمٰن السُّلمي** قال: قال عمر بن الخطاب: قد سُنَّتْ لكمُ الركبُ فخذوا بالركبِ[٥].

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم**: أنَّ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه كان يجعلُ كفّيه على ركبتيه[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨٦) برقم: (٧٩٥١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢١٦) برقم: (٢٤٧٦).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ١٤٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢١٤) برقم: (٢٤٥٤).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٣/ ٧) برقم: (٨٤٥).
(٦) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ١٢٦) برقم: (٤٥).

قلت: واحتجَّ به إبراهيم وأبو حنيفة من بعده على تركِ التطبيق.

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم بن ميسرة** قال: بلغني أنّ عمر كان يقول في الركوعِ والسجودِ قَدْرَ خمس تسبيحات: سبحان الله وبحمده[١].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: كان عمرُ إذا رفع رأسَه من الركوع قال: سمعَ الله لمن حَمِدَه، قبل أن يقيمَ ظهره[٢].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** أنَّ عمر كان يقعُ على ركبتيه[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** عن عمر قال: وُجّه ابنُ آدم للسجودِ على سبعةِ أعضاء: الجبهةِ والراحتينِ والركبتينِ والقدمينِ[٤].

• **أبو بكر**: عن **أبي هند الشامي** قال: قال عمرُ: إذا سجدَ أحدُكم فليباشر بكفّيه الأرضَ[٥].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** عن عمر قال: إذا لم يستطعْ أحدُكم أن يسجدَ على الأرضِ من الحرِّ والبردِ فليسجدْ على ثوبِهِ[٦].

• **الشافعي**: عن **الحسن** قال: كان النبيُّ ﷺ وأبو بكر وعمر يَقْنُتُونَ في الصبحِ بعد الركعةِ[٧].

• **أبو بكر**: عن **أبي مالك الأشجعي** قال: قلتُ لأبي: يا أبت! صلّيت خلف النبي ﷺ وخلفَ أبي بكر وعمر وعثمان، فهل رأيتَ أحداً

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٢٤) برقم: (٢٥٦٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٢٣) برقم: (٢٥٥٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٣٦) برقم: (٢٧٠٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٣٤) برقم: (٢٦٨٠).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٣٩) برقم: (٢٧٤٣).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٤١) برقم: (٢٧٦٨).
(٧) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٣/ ٢٠٢) برقم: (١٠٢٠).

منهم يقنتُ؟ فقال: يا بنيّ! هي مُحْدَثَةٌ[١].

• **أبو بكر**: عن الأسود عن **عمرو بن ميمون**: أنَّ عمر بن الخطاب لم يقنتْ في الفجرِ[٢].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** قال: ربّما قنتَ عمرُ في صلاةِ الفجرِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي** قال: قال عبد الله: لو أنّ الناسَ سلكوا وادياً وشِعباً، وسلكَ عمرُ وادياً وشِعباً سلكت وادي عمر وشِعْبه، ولو قنتَ عمرُ قنتَ عبدُ الله[٤].

• **أبو بكر**: عن **أبي عثمان** قال: كان عمرُ يقنتُ بنا بعدَ الركوعِ، ويرفعُ يديه حتّى يبدو ضبعاه، ويَسْمَعُ صوته مَنْ وراء المسجد[٥].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قنتَ في صلاةِ الصُّبح قبل الركوع[٦].

• **أبو بكر**: عن أبي عثمان النهدي وعبيد بن عمير مثله.

قلت: وقعَ القومُ في الترجيح بضبط الرواة وكثرتهم، فاختلفوا، ومذاهبُهم في القنوتِ وتركِه، وأنّه قبل الركوع أو بعدَه مشهورةٌ، والأوجه عندي أن يُحْمَل اختلافُ الحكايات على اختلافِ الأحوال، فكان النبيُّ ﷺ وأصحابُه إذا أحزنهم أمرٌ قنتوا، وإلّا تركوا، فمن قنتَ تارةً،

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠١) برقم: (٦٩٦١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠١) برقم: (٦٩٦٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠٤) برقم: (٧٠٠٦).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠٣) برقم: (٦٩٨٤). وعبد الله هو ابن مسعود.
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠٧) برقم: (٧٠٤١).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٠٥) برقم: (٧٠١٨).

ولم يقنت أخرى فقد أصابَ، ومن قنتَ دائماً، ورأى أنّ الأمور دائمةً تترى فقد أصابَ، ومن لم يقنت أبداً فقد أصابَ؛ لأنّه ليس بسُنَّةٍ راتبةٍ، وإنّما هو للأمور العظام، قال سفيان الثوري: إنْ قنتَ في الصُّبْحِ فحسنٌ، واختار هو تركَ القنوتِ، وقال أحمد وإسحاق: لا يُقْنَتُ في صلاةِ الفجرِ إلا عندَ نازلةٍ بالمسلمين، فيدعو الإمامُ لجيوشِ المسلمينَ.

• **أبو بكر ومحمد بن الحسن**: عن **حملة بن عبد الرحمٰن** قال: قال عمر: لا صلاةَ إلا بتشهدٍ[1].

ولفظ محمد بن الحسن: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّاب: لا تجوزُ الصلاةُ إلا بتشهدٍ.

• **مالك والشافعي**: عن عبد الرحمٰن بن عبد القاري أنّه سمع عمر بن الخطاب وهو على المنبر يعلّمُ الناسَ التشهد يقول: قولوا: التحيّاتُ للهِ، الزاكياتُ للهِ، الطيباتُ الصلواتُ للهِ، السلامُ عليكَ أيها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاته، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين، أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه[2].

ولفظ البغوي: الطيباتُ للهِ، والصلواتُ لله.

قال **الشافعي**: هذا الذي علّمنا من سبقَنا بالعلم من فقهائنا صغاراً، ثم سمعناه بإسنادِه، وسمعنا ما خالفَه، فلم نسمع إسناداً أثبتَ عندنا منه، وهذا مذهبُه في القديم، ثم قال في الجديد: انتهى إلينا مِنْ حديثِ أصحابنا حديثٌ نثبته عن النبيِّ ﷺ فصرنا إليه.

• **الترمذي والبغوي**: قال عمر بن الخطاب: إنَّ الدعاءَ موقوفٌ بين

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٥٤) برقم: (٨٧١٣)، و«كتاب الآثار» رقم: (١٨٣).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٠)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٩١٣).

السماء والأرض، لا يصعد منه شيءٌ حتى تصلّيَ على نبيِّكَ ﷺ[(١)].

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن ميمون** عن عمر: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذُ باللهِ من الجُبْنِ والبُخْلِ وعذابِ القبرِ، وفتنةِ الصَّدْرِ[(٢)].

قلت: جاء في بعضِ الأحاديث أنّه كان يتعوَّذُ بهؤلاء الكلمات قبل التسليم.

• **أبو بكر**: عن **الحسن** أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يسلّمون تسليمةً واحدةً[(٣)].

• **الشافعي**: عن ابن مسعود رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يسلم عن يمينه السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، وعن يساره السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ، ورأيتُ أبا بكر وعمر يفعلان ذلك[(٤)].

قلت: اختلفوا في ذلك، والأَوْجَه عندي أنَّ الخروجَ من الصلاةِ بتسليمةٍ واحدةٍ جائزٌ من غير كراهية، والتسليمتان أحبُّ وأكملُ، وكان عمرُ يفعل هذا مرةً، وذلك أخرى، كفعله في سجدةِ التلاوةِ.

• **البيهقي**: عن **ابن عباس** أنَّ عمرَ سألهم فقال عبدُ الرحمٰن بن عوف: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**وإذا شكَّ في الاثنتين والثلاث، فليجعلْها اثنتينِ، وإذا شكَّ في الثلاثِ والأربعِ فليجعلْها ثلاثاً، حتّى يكونَ الوهمُ في الزيادةِ**»[(٥)]، فأخذ به عمر.

• **الشافعي ومسلم**: عن **يعلى بن أمية** قال: قلتُ لعمر بن

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٤٨٦)، و«شرح السُّنَّة» (٣/ ١٨٧، ٥/ ٢٠٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٠) برقم: (١٢٠٣١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٢٦٧) برقم: (٣٠٦٤).
(٤) «معرفة السنن والآثار» (٣/ ١٥٦).
(٥) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢/ ٣٣٩) برقم: (٣٦٤٣).

الخطاب: إنّما قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ الآية [النساء: ١٠١]، فقد أمن الناس، فقال: عجبتُ ممّا عجبتَ منه، فسألتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «**صدقةٌ تصدَّقَ الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته**»[(١)].

• **مالك والشافعي**: أن **ابن المسيَّب** قال: من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر أتم الصلاة[(٢)].

ثم خرّج الشافعيُّ وجه المسألة من حديث عمر أنَّه لم يرخِّصْ للمجوسِ واليهودِ والنصارى أن يقيموا بالمدينةِ أكثرَ من ثلاثِ ليالٍ.

• **البيهقي**: عن سالم بن عبد الله عن **أبيه**: أنَّ عمر بن الخطاب كان إذا قدمَ مكة صلَّى بهم ركعتين، ثم يقول: يا أهلَ مكة! أتمُّوا صلاتَكم، فإنا قومٌ سَفَرٌ[(٣)].

مالك نحواً من ذلك.

• **أبو بكر**: عن **الأسود** عن عمر أنّه صلّى بمكة ركعتين ثم قال: إنّا قومٌ سَفَرٌ، فأتموا الصلاة[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن أبي ليلى** عن عمر قال: صلاةُ السفرِ ركعتان، والجمعةُ ركعتان، والعيدان ركعتان، تمامٌ غير قصرٍ على لسانِ محمد ﷺ[(٥)].

• **أبو بكر**: عن اللجلاج قال: كُنّا نسافِرُ مع عمر بن الخطاب

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٤٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (٦٨٦).
(٢) انظر: «موطأ مالك» رقم: (٥٠١)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي برقم: (٥٢٤٠).
(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٣/ ١٢٦) برقم: (٥١١١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٣٦) برقم: (٣٨٦١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٠٣) برقم: (٨١٥٦).

فيسير ثلاثة أميال، فيتجوز في الصلاةِ ويفطِرُ[(١)].

قلت: معناه: إذا خرجَ من المصر يريدُ مسافةً بعيدة فمشى ثلاثة أميال يَقْصُرُ.

• **الشافعي**: يذكر عن عمر أنه كتب: أنَّ الجمعَ بين الصلاتين من الكبائرِ [إلّا مِنْ عُذْرٍ][(٢)].

قلت: احتجَّ به الحنفيةً على أنْ لا جمعَ بين الصلاتين في السفر، وأجابَ الشافعيُّ بأنه مرسل، ولو صحَّ فالسفرُ والمطرُ عذرٌ، كيف لا؟ وقد صحَّ أن النبيَّ ﷺ جمع في تبوك، وعمر أعلمُ باللهِ ورسولِهِ مِنْ أن يمنعَ ذلك.

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن الحارث** بن أبي ضرار عن عمر بن الخطاب في الرجل إذا رعفَ في الصلاةِ قال: ينفتِلُ فيتوضَّأ، ثم يرجع فيصلِّي، ويعتدّ بما مضى[(٣)].

قلت: عند الحنفية محمولٌ على أنَّ الرعاف ناقِضٌ للوضوء، ومن سبقه الحدثُ توضّأ وبنى، وعند الشافعي في القديم على أنَّ الرعاف ليس بناقض، والوضوءُ هو غَسْلُ الدمِ، ومن أصابه من غيرِ اختيارِه نجسٌ في بدنه أو ثوبه دفعَ عنه النجس وبنى، ثم شكَّ في ذلك في مذهبه الجديد.

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** قال: صلّى عمرُ صلاةً عند البيتِ فقرأ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، فجعل يومئ إلى البيت ويقول: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش][(٤)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٠٢) برقم: (٨١٣٧).

(٢) «كتاب الأم» (٧/ ١٩٣)، «معرفة السنن والآثار» (٥/ ٢٧).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٣) برقم: (٥٨٩٩).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٣٥) برقم: (٨٤٩١).

قلت: فيه حجةٌ على جواز الإشارة المفهمة في الصلاة.

۞ النوافل:

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن رافع**: أنَّ عمر بن الخطاب كان يكبِّرُ في العيدين ثنتي عشرة، سبعاً في الأولى، وخمساً في الآخرة[(١)].

• **الشافعي**: عن **جعفر بن محمد**، أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كبَّروا في العيدين والاستسقاء سبعاً وخمساً، وصلّوا قبلَ الخُطبةِ، وجهروا بالقراءة[(٢)].

قلت: ذهب أهلُ الكوفةِ إلى أنَّ تكبيراتِ العيدينِ أربعٌ، كتكبيرات الجنائز، روي ذلك عن أبي موسى وغيره، والأوجه عندي أنَّ مرادَ الشرع إكثار التكبير في هذين اليومين بقوله تعالى: ﴿...وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة]، ولقوله في سورة الحج: ﴿...لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾، فمن أتى في كلِّ ركعةٍ بثلاثِ تكبيراتٍ فقد أصابَ؛ لأنَّ الثلاثَ أقلُّ حدِّ الإكثار، ومن كبَّر سبعاً وخمساً فقد أصاب وذكر الله أكثرَ.

• **أبو بكر**: عن **عبد الملك بن عمير** قال: حُدِّثْتُ عن عمرَ أنّه كان يقرأ في العيد ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾، و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾﴾[(٣)].

قلت: هو مرفوعٌ رواه ابن عباس.

• **مالك والشافعي**: أن **عمر بن الخطاب** سأل أبا واقد الليثي ما

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٩٥) برقم: (٥٧١٨).
(٢) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٣٢٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٩٧) برقم: (٥٧٣١).

كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ بـ: ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾، و﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[١].

• **الشافعي**: عن **ابن عمر** وغيره: أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يُصَلون في العيد قبلَ الخطبةِ[٢].

• **الشافعي**: عن **عبد الله بن عامر**: صلّى عمرُ بنُ الخطاب في المسجدِ في يومٍ مطير[٣].

• **الشافعي**: عن **ابن المسيب**: استسقى عمرُ بنُ الخطاب فكان أكثر دعائه الاستغفار[٤].

• **الشافعي**: زُلزلتِ الأرضُ في عهد عمر بن الخطاب، فلما علّمناه صلَّى وقد قام خطيباً، فحضَّ على الصدقة، وأمر بالتوبة[٥].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي** أن عمر خرج يستسقي فصعدَ المنبر فقال: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾ [نوح]، ﴿... ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠﴾، ثم نزل فقيل له: يا أمير المؤمنين! لو استسقيتَ فقال: لقد طلبتُ بمجاديحِ السماءِ التي يُسْتَنْزَلُ بها القَطْرُ[٦].

قلت: قال أبو حنيفة: لا يسنُّ الصلاة في الاستسقاءِ، وقال الشافعي: ثبت من حديثِ عبد الله بن زيد وابن عباس أنّه ﷺ صلّى،

---

(١) «موطأ مالك» رقم: (٦١٨)، «كتاب الأم» (١/ ٢٣٧).
(٢) «مسند الشافعي» (ص٤٧٩).
(٣) «الحاوي في فقه الشافعي» (٢/ ٤٨٦).
(٤) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٥/ ٤٨٦).
(٥) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٥/ ٤٦٢).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٦١) برقم: (٢٩٤٨٥).

وروي ذلك من حديث جعفر بن محمد عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر.

والأوجه عندي أن من دعا ولم يصل فقد أصاب أصل الاستسقاء، وقد فعل ذلك النبيُّ ﷺ وعمر، ومن صلّى ودعا، فقد أصابَ الأكملَ والأفضلَ، فإنّ الدعاء أرجى في حُرْمَةِ الصلاة، وقد ثبت عن النبي ﷺ وعمر.

• **مالك**: عن **عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاري** أنه قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب ليلةً في رمضان إلى المسجد، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرقونَ، يصلِّي الرجلَ لنفسِه، ويصلِّي الرجلُ فيصلي بصلاته الرهطُ، فقال عمرُ: إنِّي أرى لو جمعتَ هؤلاء على قارىءٍ واحدٍ لكانَ أمثلَ، ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعبٍ، قال: ثم خرجتُ معه ليلةً أُخرى والناسُ يصلُّون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعمتِ البدعةُ هذه، والتي ينامون عنها أفضلُ مِنَ التي يقومون، يريدُ آخرَ الليل، وكان الناسُ يقومون أوله[١].

قلتُ: معناه أنّه بدعة مستحبةٌ من جهة اجتماعِ الناسِ عليها، وإنْ كانت سُنَّةً في الأصل.

• **مالك والشافعي**: عن **السائب** أمر عمرُ بنُ الخطاب أُبَيَّ بنَ كعب وتميماً الداري أن يقوما للنّاسِ بإحدى عشرة ركعة[٢].

• **مالك**: عن **يزيد بن رومان** أنّه قال: كان الناسُ يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة[٣].

• **أبو بكر**: عن ابن عباس عن عمر قال: لقد علمتم أن

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٧٨)، و«صحيح البخاري» (ح: ٢٠١٠).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٧٩).

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٨٠).

رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «**اطلبوها في العشر الأواخر وتراً**»[١].

• **أبو بكر**: عن حبيب قال عمر: ما بقي من الليل خير مما ذهب[٢]، ومثله عن السائب وعن ابن عباس كليهما عن عمر.

• **أبو بكر**: عن أبي عثمان قال: دعا عمرُ القرّاء في رمضان، فأمر أسرعَهم قراءةً أن يقرأ ثلاثين آية، والوسط خمساً وعشرين آية، والبطيءَ عشرين آية[٣].

• **أبو بكر**: قيل لابن عمر: أتصلِّي الضُّحى؟ قال: لا، قيل: صلَّاها عمر؟ قال: لا، قيل: صلّاها أبو بكر؟ قال: لا، قيل: صلّاها النبي ﷺ؟ قال: لا إخال[٤].

• **البغوي**: عن **ابن عمر**: كان ابنُ عمر إذا سئل عن سُبْحَةِ الضحى قال: لا آمر بها ولا أنهى عنها، ولقد أصيبَ عثمانُ وما أدري أحداً يصليها، وإنَّها لَمِنْ أحبِّ ما أحدثَ الناسُ إليَّ[٥].

• **أبو بكر**: عن **جابر بن عبد الله** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لأبي بكر: «**متى تُوتِرُ؟**» قال: مِنْ أوَّل الليلِ بعدَ العتمة قبل أنْ أنامَ، وقال لعمر: «**متى تُوتِرُ؟**» قال: مِنْ آخرِ الليل، قال لأبي بكر: «**أخذتَ بالحَزْمِ**»، وقال لعمر: «**أخذتَ بالقوَّةِ**»[٦].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: قال عمرُ بنُ الخطاب: لأن أوترَ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٥٠) برقم: (٨٦٧٠).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٩٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٦٢) برقم: (٧٦٧٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٧١) برقم: (٧٧٧٣).
(٥) «شرح السُّنَّة» (٤/ ١٣٨).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٨٠) برقم: (٦٧٠٨).

بليلٍ أحبُّ إليَّ من أن أحيي ليلتي، ثم أوتِرُ بعد ما أُصبحُ[(١)].

• **أبو بكر**: عن **مكحول** عن عمرُ بن الخطّاب أنه أوترَ بثلاثِ ركعات، لم يفصل بينهنَّ بسلامٍ[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **أنس بن سيرين** عن عمر كان يقرأ بالمعوّذتين في الوتر[(٣)].

• **أبو بكر**: عن **القاسم** زعموا أنَّ عمر كان يوتِرُ بالأرض[(٤)].

• **أبو بكر**: عن الأسود بن يزيد: أن عمر قنت في الوتر قبل الركوع[(٥)].

• **أبو بكر**: عن **عطاء**: عمرُ أوّلُ من قنت، قلتُ: النصف الآخر أجمع؟ قال: نعم.

قلت: اختلفوا في ذلك، والأَوْجَهُ أنَّ القنوتَ في الوتر دعاءٌ، فمن قنتَ دائماً فقد أصابَ، ومن قنتَ النِّصْفَ الآخرَ من رمضان فقد أخذ بالمهمّ، فإنَّ الدعاءَ في تلك الأيام أرجى للإجابةِ.

• **أبو بكر**: عن **عمر بن عمر بن محمد بن حاطب** أنَّ عمرَ لقيه عظيمٌ من عظماء العجم، فأرادَ أن يسجدَ له فقال له عمرُ: ارفعْ رأسَكَ، السجدةُ للواحدِ القهّارِ[(٦)].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** عن عمر قال: ﴿...وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾ [الطور]

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٨٥) برقم: (٦٧٧٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٩٠) برقم: (٦٨٣١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٩٤) برقم: (٦٨٧٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٩٧) برقم: (٦٩١٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٩٦) برقم: (٦٩٠٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٦١) برقم: (٨٧٨٣).

ركعتان قبل الفجر، ﴿...وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝٤٠﴾ [ق] ركعتان بعد المغرب[١].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن جبير** قال: قال عمرُ في الركعتين قبل الفجر: هما أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النعم[٢].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيِّب** قال: رأى عمرُ رجلاً اضطجع بعد الركعتينِ فقال: أحصبوه[٣].

قلت: يعني: ما كان النبيُّ ﷺ يفعله على وَجْهِ العبادة، بل على وَجْهِ العادة ودفع الملال.

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن عتبة** قال: رأيتُ عمرَ يصلِّي أربعاً قبل الظهر[٤].

• **أبو بكر**: عن المسيب بن رافع عن **رجلٍ** أنَّ عمر قرأ في الأربع قبل الظهر بـ: ﴿ق﴾[٥].

• **أبو بكر**: عن عون بن عبد الله عن **أبيه** قال: صليتُ مع عمرَ أربعاً قبل الظهر[٦].

قلت: يحتمل أنّها صلاة الزوال وهو الأغلبُ على الظنِّ، ويحتمل أنّها راتبةُ الظهر.

• **أبو بكر**: عن أبي تميمة الهجيمي عن **ابن عمر** قال: صلّيت مع

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٥٨) برقم: (٨٧٥٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٩) برقم: (٦٣٢٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٥٤) برقم: (٦٣٨٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٧) برقم: (٥٩٤٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٨) برقم: (٥٩٥٨).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٨٣) برقم: (٤٤٠٤).

النبيِّ ﷺ ومع أبي بكر وعمر وعثمان فلا صلاةَ بعد الغداةِ حتَّى تطلعَ الشمسُ[١].

• **أبو بكر**: عن **ابن عباس** قال: رأيتُ عمرَ يضرِبُ على الركعتين بعدَ العصرِ[٢].

• **مالك**: عن السائب بن يزيد أنه رأى عمر بن الخطاب يضرب المنكدر على الصلاة بعد العصر[٣].

• **أبو حنيفة**: عن حماد عن **إبراهيم**: أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر لم يصلوها؛ يعني: الصلاة قبل المغرب.

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب**: أنَّ عمر بن الخطاب رأى رجلاً صلَّى ركعتين بعد غروب الشمس وقبل الصلاة، فجعلَ يلتفتُ، فضربه بالدِّرة حين قضى الصلاةَ وقال: لا تلتفتْ، ولم يعِبِ الركعتين[٤].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر**: صلّيتُ مع رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلا صلاةَ قبلها ولا بعدَها في السفرِ، ولو تطوّعتُ لأتممتُ[٥].

• **أبو بكر**: عن **سالم** أنَّ النبيَّ ﷺ وعمرَ كانا يتطوَّعان في السفر[٦].

قلت: وجه الجَمْعِ أنَّ الأول في الرواتبِ، والثاني في التهجُّدِ.

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٣٢) برقم: (٧٣٣٨).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٣٢) برقم: (٧٣٤١).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٤/ ١٥٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٩٥) برقم: (٤٥٣٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٣٤) برقم: (٣٨٢٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٣٣٥) برقم: (٣٨٤٨).

• **البيهقي**: أنَّ عمرَ رضي الله عنه أتاه فتحٌ، أو أبصرَ رجلاً به زمانة فسجد(١).

• **أبو بكر**: قال **منصورٌ**: وبلغني أنَّ أبا بكر وعمر سجدا سجدةَ الشكرِ(٢).

• **أبو بكر**: عن **عباد بن منصور** أنَّ عمرَ صلَّى مُحْتَبِياً(٣).

• **الشافعي**: أنَّ عمر بن الخطاب دخلَ المسجدَ، فصلَّى ركعةً، فقيل له: صليتَ ركعة؟ فقال: إنّما هي تطوعٌ، من شاء زادَ، ومن شاءَ نقص(٤).

قلت: احتجَّ به الشافعيُّ على أنَّ الأمرَ في التطوُّعِ واسعٌ.

• **أبو بكر**: عن **حميد بن عبد الرحمٰن** قال: قال عمر: مَنْ فاته شيءٌ من قراءته بالليل، فصلَّى ما بينه وبين الظهر فكأنَّما صلى بالليل(٥).

• **أبو بكر**: عن إبراهيم عن سليمان بن مسهر عن **خرشة** قال: كان عمرُ يكره أن يصلِّيَ خلفَ صلاة مثلها(٦).

• **مالك**: عن زيد بن أسلم عن **أبيه**: أنَّ عمر بن الخطاب كان يصلِّي من الليل ما شاء الله، حتَّى إذا كان مِنْ آخر الليل أيقظَ أهله للصلاة، يقول لهم: الصلاةَ الصلاةَ، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه](٧).

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٢/ ٣٧١) برقم: (٣٧٥٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٢٨) برقم: (٨٤١٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٠٤) برقم: (٤٦٤٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٤/ ٢٤٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤١٦) برقم: (٤٧٨١).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٢) برقم: (٥٩٩٨).
(٧) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٨٩).

• **مالك**: أنه بلغه أن **عبد الله بن عمر** كان يقول: صلاةُ الليلِ والنهارِ مثنى مثنى، يسلِّمُ من كلِّ ركعتين[(١)].

• **أبو بكر**: أنَّ نفراً من أهلِ العراقِ قَدِمُوا على عمر، فسألوه عن صلاةِ الرّجلِ في بيته، فقال عمر: ما سألني عنها أحدٌ منذ سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عنها فقال: «**صلاةُ الرجلِ في بيته نورٌ، فنوِّرُوا بيوتَكُم**»[(٢)].

۞ الجمعة:

• **البيهقي**: أنَّ أبا هريرة كتبَ إلى عمر ﷺ يسأله عن الجمعةِ وهو بالبحرين؟ فكتبَ إليهم: أن أَجْمِعُوا حيثُ ما كنتم[(٣)].

• **الشافعي**: معناه: في أيِّ قريةٍ كنتم، لا يريدُ البَدْوَ.

• **أبو بكر**: عن **يحيى بن أبي كثير** قال: حُدّثتُ عن عمر بن الخطاب أنّه قال: إنّما جعلتِ الخطبةُ مكانَ الركعتين، فإن لم يدرك الخطبةَ فليصلِّ أربعاً[(٤)].

قلت: أظنُّ هذا الحرفَ الأخير من كلام يحيى بن أبي كثير، خرَّجه من قولِ عمرَ، وليس عليه العملُ، ولكن معنى كلامه أنَّ الخطبة شرطُ الجمعةِ لا تصحُّ بدونها.

• **مالك وأبو بكر**: في قوله: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]، قرأها عمر بن الخطاب فامضوا إلى ذكر الله[(٥)].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٩٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٦١) برقم: (٦٤٦٠).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٥/ ٥١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٦٠) برقم: (٥٣٢٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١/ ٤٨٢) برقم: (٥٥٥٩)، و«موطأ مالك» (ح: ٢٢٠).

قلت: معناه: فسرها كذلك.

• **الشافعي**: عن **أبي هريرة**، عن النبيِّ ﷺ وأبي بكر وعمر أنَّهم كانوا يخطبون يومَ الجمعةِ خطبتينِ على المنبرِ قياماً، يفصلونَ بينهما بجلوسٍ[(١)].

• **مالك والشافعي**: عن **السائب بن يزيد** قال: كان الأذانُ الأولُ يوم الجمعةِ حتى يخرجَ الإمامُ، فيجلس على المنبر في عهد النبيِّ ﷺ، وأبي بكر، وعمر[(٢)].

• **مالك والشافعي**: أنهم كانوا في زمان عمر بن الخطاب يصلّونَ يوم الجمعة حتّى يخرجَ عمر، فإذا خرجَ عمرُ، وجلسَ على المنبر، وأذّن المؤذنون جلسوا يتحدّثون، حتى إذا سكتَ المؤذنون، وقام عمر، سكتوا، فلم يتكلَّمْ أحدٌ[(٣)].

• **الشافعيُّ**: أنَّ عمرَ رأى رجلاً عليه هيئةُ السفر، فسمعه يقول: لولا أنَّ اليومَ يومُ جمعةٍ لخرجتُ، فقال له عمر: اخرج، فإنَّ الجمعةَ لا تَحْبِسُ عن سفرٍ[(٤)].

• **مالك**: عن ابن شهابٍ، عن **سالم بن عبدِ اللهِ** أنَّه قال: دخلَ رجلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ المسجدَ يومَ الجمعةِ وعمرُ بنُ الخطابِ يخطبُ، فقال عمرُ: أيةُ ساعةٍ هذه؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! انقلبتُ من السوقِ فسمعتُ النداء، فما زدتُ على أَنْ توضأتُ، فقال عمر: والوضوء

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٥/ ٩٣)، و«كتاب الأم» (١/ ١٩٩).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٥/ ١١٠).

(٣) انظر: «موطأ مالك» رواية محمد بن الحسن (١/ ٣٣٦) برقم: (٢٢٧)، و«كتاب الأم» (١/ ١٩٧).

(٤) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٤٦)، و«كتاب الأم» (١/ ١٨٩).

أيضاً، وقد علمتَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يأمرُ بالغُسْلِ[١].

❁ الجنائز:

• **أبو بكر**: عن **الحسن**، قال عمر: احضروا موتاكُم، وذكّروهم لا إلـه إلا الله، فإنَّهم يرونَ ويُقالُ لهم[٢].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** أو غيره قال: قال عمرُ: لقِّنوا موتاكُم لا إلـه إلا الله، وأَغْمِضُوا أعينَهم إذا ماتوا[٣].

• **البيهقي**: عن **ابن عمر** قال: صدر المسلمون فمرُّوا بامرأةٍ بالبيداء ميتةً، وأخفاها رجلٌ يقال له: كُليبٌ، فقام عمر على المنبر، فتوعَّدَ الناسَ فقال: لو أعلمُ أنَّ أحداً مرَّ بها فلم يُخْفِها لفعلتُ به وفعلتُ، وسأل ابن عمر فقال: لم أرها، ثم قال: لعلَّ اللهَ أن يرحمَ كُليباً، فطُعِنَ معه غَداةَ طُعِنَ[٤].

• **أبو بكر**: عن **أبي تميمة الهُجيمي** أنَّ عمرَ بن الخطاب كتبَ إلى أبي موسى الأشعري: أن اغسلْ موتاكَ بالسِّدْرِ وماءِ الرَّيْحان[٥].

• **أبو بكر**: عن **مسروق** قال: ماتت امرأةٌ لعمرَ فقال: أنا كنتُ أولى بها إذا كانت حيةً، فأمّا الآن فأنتُم أولى بها[٦].

• **أبو حنيفة**: أخبرني رجلٌ، عن **الحسن**، عن عمر بن

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٦). والرجل هو عثمان بن عفان رضي الله عنه.
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٤٦) برقم: (١٠٨٥٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٤٨) برقم: (١٠٨٨٢).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٧٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٥٠) برقم: (١٠٩٠٨).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٥٦) برقم: (١٠٩٨٤).

الخطاب رضي الله عنه أنه قال: الأبُ أحقُّ بالصلاة على الميتِ من الزوج[(١)].

قلت: احتجَّ به أبو حنيفة، وخالفَ إبراهيمَ والشعبيَّ في قولهما: الزوجُ أحقُّ من الأبِ.

• **أبو بكر**: عن نافع عن **ابن عمر** قال: كُفِّنَ عُمَرُ وحُنِّطَ وغُسِّلَ، زاد في رواية: إلا أنه قال: كان مِنْ أفضلِ الشهداءِ[(٢)].

قلتُ: عند الحنفية عِلّةُ الغَسْلِ الارتثاثُ، وعند الشافعيّ أنّه لم يُقْتَلْ في المعركةِ.

• **أبو بكر**: عن **ابن مغفّل** قال: قال عمرُ: لا تحنّطوني بمِسْكٍ[(٣)].

قيل: إنما كره المسك لأنه من الميتة، وليس عليه العمل عند الجمهور؛ لأن الشرع استثنى المسك من جملة الميتات، فاستحسنه.

قلتُ: والأَوْجَهُ عندي أنَّ المِسْكَ طيِّبٌ طاهِرٌ، إلا أنَّ عمرَ لم يَسْتَحْسِنْ أن يكونَ حَنُوطُهُ منه تورّعاً؛ لأنه قد اجتمع فيه دليلا الإباحة والتحريم، وإن كان دليلُ الإباحةِ أقوى، والطيب سواهٌ كثير.

• **أبو بكر**: عن **راشد بن سعد** قال: قال عمر: يكفَّنُ الرجلُ في ثلاثةِ أثوابٍ، لا تعتدوا ﴿...إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة][(٤)].

• **أبو بكر**: عن **راشد بن سعد** عن عمر قال: تُكَفَّنُ المرأةُ في خمسةِ أثوابٍ: في الدرع، والخمار، والرداء، والإزار، والخِرْقة[(٥)].

---

(١) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٣٣٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٥٩) برقم: (١١٠١١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٦١) برقم: (١١٠٣٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٦٢) برقم: (١١٠٥٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٦٥) برقم: (١١٠٨٩).

• **أبو بكر**: عن **ابن مغفل** قال: قال عمر: لا تتبعني بِمَجْمَرٍ[(١)].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قَالَ: رَأَيْتُ النبيَّ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **يحيى بن أبي راشد** قال: قال عمرُ لما حضرته الوفاةُ لابنه: إذا خرجتُم بي فأسرعوا بي المشيَ[(٣)].

• **أبو بكر**: عن ابن مغفل قال: قال عمر: لا تتبعني امرأةٌ.

• **أبو حنيفة**: عن حماد، عن **إبراهيم**، أنَّ الناسَ كانوا يصلّونَ على الجنائز خمساً وستاً وأربعاً، حتّى قُبِضَ النبي ﷺ، ثم كبَّروا بعد ذلك في ولاية أبي بكر رضي الله عنه، حتى قُبِضَ أبو بكر رضي الله عنه، ثم ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ففعلوا ذلك في ولايته، فلمّا رأى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: إنّكم معشرَ أصحابِ محمَّدٍ ﷺ متى ما تختلفون يختلِفُ مَنْ بعدكم، والناسُ حديثُو عهدٍ بالجاهلية، فأجمعوا على شيءٍ يجتمع عليه مَنْ بعدكم، فأجمع رأيُ أصحاب محمّدٍ ﷺ أن ينظروا آخر جنازة كبَّر عليها النبيُّ ﷺ حين قُبِضَ، فيأخذونَ به فيرفضونَ به ما سوى ذلك، فنظروا فوجدوا آخرَ جنازةٍ كبَّر عليها رسولُ اللهِ ﷺ أربعاً[(٤)].

• **البيهقي**: عن **سعيد بن المسيب**، عن عمر بن الخطاب، أنّه قال: كلُّ ذلك قد كان: أربعاً، وخمساً، فاجتمعنا على أربع[(٥)].

• **أبو بكر**: عن **أبي وائل** قال: جَمَعَ عمرُ الناسَ، فاستشارهم في

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٧٢) برقم: (١١١٦٩).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٧٦) برقم: (١١٢٢٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٨٠) برقم: (١١٢٦٦).
(٤) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٣١٠).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٢١٦).

التكبير على الجنازة، فقال بعضُهم: كبَّر رسولُ اللهِ ﷺ خمساً، وقال بعضهم: كبَّر سبعاً، وقال بعضُهم: كبَّر أربعاً، قال: فجمعهم على أربع تكبيراتٍ كأطولِ الصلاة[١].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم**: اختلفَ أصحابُ رسول الله ﷺ في التكبير على الجنازة، ثم اتفقوا بعدُ على أربعِ تكبيراتٍ[٢].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** قال: كان عمرُ يقول في الصلاة على الميت إنْ كانَ مساءً قال: اللَّهُمَّ أمسى عبدُكَ، وإن كان صباحاً قال: اللهمَّ أصبحَ عبدُك، قد تخلّى من الدنيا، وتركها لأهلِها، واستغنيتَ عنه، وافتقرَ إليك، كان يشهدُ أن لا إلـٰه إلا أنتَ، وأنَّ محمّداً عبدُك ورسولُك، فاغفر له ذنبه[٣].

• **أبو بكر**: عن **جابر** قال: ما باحَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر في الصلاةِ على الميت بشيءٍ[٤].

قلت: يعني: لم يوقّتوا بشيءٍ من الدعاء.

• **أبو بكر**: عن **عروة** قال: ما صُلِّي على أبي بكر إلّا في المسجدِ[٥].

• **مالك**: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صُلِّيَ عليه في المسجدِ[٦].

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن أَبْزَىٰ** قال: ماتت زينبُ بنتُ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٩٥) برقم: (١١٤٤٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٩٦) برقم: (١١٤٤٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٩٨) برقم: (٢٩٧٨١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٩٩) برقم: (٢٩٧٨٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٤) برقم: (١١٩٦٧).
(٦) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٢٦٤).

جحش فكبَّر عليها عمرُ أربعاً، ثم سأل أزواجَ النبيِّ ﷺ مَنْ يدخِلُها قبرَها؟ فقلن: مَنْ كان يدخلُ عليها في حياتِها[١].

• **أبو بكر**: إنَّ عمرَ انتظرَ ابنَ أمِّ عبد في الصلاةِ على عُتبةَ بن مسعود[٢].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: لُحِدَ لرسولِ اللهِ ﷺ ولأبي بكر وعمر[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: أوصى عمرُ أن يُجْعَلَ عُمْقُ قبره قامةً وبسطة[٤].

• **أبو بكر**: عن أبي مدرك الأشجعي عن عمرَ أنّه كان يقولُ إذا أَدْخَلَ الميتَ قبرَه قال: اللَّهُمَّ أسلمه إليكَ المال والأهل والعشيرة، والذنبُ عظيمٌ فاغْفِرْ له[٥].

• **أبو بكر**: عن إسماعيل بن محمّد بن سعيد عن **ابن السباق** أنَّ عمر دَفَنَ أبا بكر ليلاً، ثم دخل المسجدَ فأوترَ بثلاثٍ[٦].

• **أبو بكر**: عن **أبي وائل** قال: ماتت أمي وهي نصرانيةٌ، فأتيتُ عمر فذكرتُ ذلك له فقال: اركب دابةً وسِرْ أمامها[٧].

• **أبو بكر**: عن عمرو ـ وهو **ابن دينار** ـ قال: ماتت امرأةٌ بالشام وفي بطنِها ولدٌ من مسلمٍ، وهي نصرانيةٌ، فأمر عمرُ أن تدفنَ مع

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٥) برقم: (١١٦٥١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٩) برقم: (١١٥٨٢)
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٤) برقم: (١١٦٣٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٦) برقم: (١١٦٦٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٩) برقم: (١١٦٩٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٨٩) برقم: (٦٨٢٢).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٢) برقم: (١١٨٤٤).

المسلمينَ من أجل ولدها[١].

• **أبو بكر**: عن عامر؛ يعني: **الشعبي**: أنَّ عمرَ صلَّى على عظامٍ بالشام[٢].

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم** قال: أخبرني مَنْ رأى قبر النبيِّ ﷺ وقبرَ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مسنَّمةً ناشزةً من الأرض، عليها فلقٌ من مدرٍ أبيضَ[٣].

• **أبو بكر**: عن **هلال بن يساف** يحدِّثُ عن عمر بن الخطاب أنه خطبَ بمنىً على جبلٍ فقال: لا تسبُّوا الأمواتَ، فإنَّ ما يُسَبُّ به الميت يؤذىٰ به الحَيُّ[٤].

• **أبو بكر والبخاري** وغيرهما: عن **أبي الأسود الدؤلي** قال: قدمتُ المدينةَ، وقد وقع بها مرضٌ، فجلستُ إلى عمر بن الخطاب، فمرَّتْ بهم جنازةٌ، فأثني على صاحبِها خيراً، فقال عمر: وجبتْ، ثم مُرَّ بأخرى، فأثني عليها شراً، فقال عمر: وجبتْ، فقال أبو الأسود: فقلت: وما وجبتْ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: قلت كما قال رسول الله ﷺ: «**أيُّما مسلم شهدَ له أربعةٌ بخيرٍ أدخلَه اللهُ الجنَّةَ**»، فقلنا: وثلاثة؟ قال: «**وثلاثةٌ**»، فقلنا: واثنان؟ قال: «**واثنان**»، ثم لم نسأله عن الواحدِ[٥].

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن ميمون** عن عمرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يتعوَّذُ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٨) برقم: (١١٨٩٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٨) برقم: (١١٩٠٣).
(٣) انظر: «الآثار»، لمحمد بن الحسن (١/ ٣٢٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٦) برقم: (١١٩٨٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٧) برقم: (١١٩٩٦)، و«صحيح البخاري» (ح: ١٣٦٨).

باللهِ من الجبنِ، والبُخْلِ، وعذابِ القبرِ، وفتنةِ الصَّدْرِ[١].

● **أبو بكر**: عن **ابن عمر** عن عمرَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**الميتُ يعذَّبُ في قبرِه بالنياحَةِ**»[٢].

● **البيهقي**: عن ابن عباس عن عمر نحواً من ذلك.

● **أبو بكر**: عن نافع عن **عبد الله** أنَّ حفصة بكت على عمر، فقال: مهلاً، يا بنيةُ! ألم تعلمي أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الميتَ لَيُعَذَّبُ ببكاءِ أهلِهِ عليه**»[٣].

● **أبو بكر**: عن **أبي عثمان** قال: أتيتُ عمرَ بنعي النعمان بن مقرن، فوضعَ يده على رأسِهِ، وجعل يبكي[٤].

● **أبو بكر**: عن **شقيق** قال: لمّا ماتَ خالدُ بنُ الوليدِ، اجتمعن نسوةُ بني المغيرة يبكينَ عليه، فقيل لعمر: أرسل إليهنَّ فانْهَهُنَّ لا يبلغك عنهنَّ شيءٌ تكرهه، قال: فقال عمر: وما عليهنَّ أن يُهْرِقْنَ من دموعهنَّ على أبي سليمان ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَةٌ[٥].

كتاب الزكاة

● **مالك**: أنَّه قرأ كتابَ عمر بن الخطاب في الصدقة، قال: فوجدتُ فيه بسم الله الرحمٰن الرحيم، هذا كتابُ الصدقةِ في أربع وعشرين من الإبلِ فدونها الغنمُ، في كلِّ خمسٍ شاةٌ، وفيما فوق ذلك

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٠) برقم: (١٢٠٣١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٦٠) برقم: (١٢٠٩٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٦١) برقم: (١٢١١٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٧) برقم: (٣٣٩٠٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٨٦) برقم: (١١٣٤٢).

إلى خمسٍ وثلاثينَ ابنةُ مَخَاضٍ، فإن لم تكنْ ابنة مخاضٍ فابنُ لبونٍ ذَكَرٍ، وفيما فوقَ ذلك إلى خمسٍ وأربعينَ بنتَ لبونٍ، وفيما فوقَ ذلك إلى ستينَ حَقّةٌ طروقةُ الفحلِ، وفيما فوقَ ذلك إلى خمسٍ وسبعينَ جذعةٌ، وفيما فوق ذلك إلى تسعينَ ابنتا لبونٍ، وفيما فوق ذلك إلى عشرين ومائةٍ حقتان طروقتا الفحلِ، فما زاد على ذلك من الإبل ففي كلِّ أربعين بنتُ لبونٍ، وفي كلِّ خمسين حقةٌ.

وفي سائمةِ الغنم إذا بلغت أربعينَ إلى عشرين ومائة شاةٌ، وفيما فوق ذلك إلى مئتين شاتان، وفيما فوق ذلك إلى ثلاثمائة ثلاثُ شياه، فما زاد على ذلك ففي كلِّ مائة شاةٌ، ولا يخرج في الصدقة تيسٌ، ولا هرمةٌ، ولا ذاتُ عوارٍ، إلَّا ما شاء المصدّقُ، ولا يجمع بين مُفْتَرِقٍ، ولا يفرّق بين مجتمع خشيةَ الصدقةِ، وما كان من خليطينِ فإنَّهما يتراجعان بينهما بالسوية.

وفي الرِّقةِ إذا بلغت خمسَ أواقٍ ربعُ العُشْرِ[1].

• **الشافعي**: عن أنس بن عياض، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عن **ابن عمر** [أن] هذا كتابُ الصدقةِ، فيه: في كلِّ أربع وعشرين من الإبل مثل ما قال مالك[2].

قلت: قد شرحنا هذا الكتاب في «المسوَّى شرح الموطأ» على المذهبين، مذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي.

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: كتب عمرُ إلى أبي موسى: فما زاد على المئتين ففي كلِّ أربعينَ درهماً درهمٌ[3].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٨٨٩).
(٢) «كتاب الأم» (٢/ ٥)، «مسند الشافعي» (١/ ١١٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٥٦) برقم: (٩٨٦٤).

قلت: معناه عند أبي حنيفة لا يؤخذ في أقلّ من الأربعين إذا زاد على مئتين، وعند الشافعيِّ هذا بيانُ الكَسْرِ ببيان مخرجه.

• **مالك والشافعي**: عن **سفيان بن عبد الله الثقفي**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب بعثه مصدّقاً، فكان يعد على الناس بالسخل، فقالوا: أتعد علينا بالسخل، ولا تأخذ منه شيئاً؟ فلمّا قدم على عمر بن الخطاب ذكر له ذلك، فقال عمر: نعم نعدّ عليهم بالسخلة، يحملها الراعي، ولا نأخذُها ولا نأخذُ الأكولةُ، ولا الربى، ولا الماخض، ولا فحل الغنم، ونأخذ الجذعةَ والثنيةَ وذلك عدل بين غذاء الغنم وخياره[١].

قال مالك: والسخلة: الصغيرة حين تُنْتِجُ، والربى: التي قد وضعت فهي تربّي ولدها، والماخِضُ: هي الحامل، والأكولة: هي شاة اللحم التي تُسمَّن لتؤكل[٢].

• **أبو بكر**: قال عمرُ: إذا أوقف الرجلُ عليكم غنمه، فاصدعوها صدعين، ثم اختاروا من النصف الآخر[٣].

• **أبو بكر**: عن مجاهد عن **ابن عمر**[٤] قال: ليس في الخضراواتِ زكاةٌ[٥].

• **الشافعي**: عن **عمرو بن دينار** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: ابتغوا في أموالِ اليتامى، لا تستهلكها الزكاةُ[٦].

---

(١) «موطأ مالك» رقم: (٥٣٢)، «المدونة الكبرى» (١/ ٣٧٥)، «معرفة السنن والآثار» (٦/ ٣٨٤).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٠٩).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٦٨) برقم: (٩٩٨٨).

(٤) كذا في «المصنف»، وفي «السنن الكبرى»، للبيهقي: «عن عمر» وهو الظاهر.

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٧٢) برقم: (١٠٠٣٥).

(٦) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٠٤).

• **أبو بكر**: عن الزهري ومكحول عن عمر نحواً من ذلك.

• **البيهقي**: سُئِلَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: أَعَلَى المملوكِ زكاةٌ؟ فقال: لا، فقيل: على مَنْ هي؟ فقال: على مالِكِهِ[١].

• **الشافعي**: عن **ابن شهاب**: إنَّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يكونا يأخذان الصدقةَ بنسيئةٍ[٢]، ولكن يبعثان عليها في الخِصْب والجَدْبِ، والسِّمَنِ والعُجْفِ؛ لأنَّ أخذَها في كلِّ عام من رسول الله ﷺ سُنَّة[٣].

• **قال الشافعي في القديم**: وقد روي عن عمر: أنَّه أخَّر الصدقةَ عامَ الرمادةِ، ثم بعث مصدِّقاً فأخذ عقالين عقالين، وليس بالثابت[٤].

• **الشافعي**: قد كانت النواضحُ على عهد رسول الله ﷺ ثم خلفائه، فلم أعلمْ أحداً روى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخذَ منها صدقة، ولا أحداً من خلفائه، ولا أشك إنْ شاء الله أن قد كان يكونُ للرَّجُلِ الخمس وأكثر[٥].

• **مالك والشافعي**: عن **سليمان بن يسار** أنَّ أهل الشام قالوا لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: خُذْ مِنْ خيلنا ورقيقنا صدقةً، فأبى، ثم كتب إلى عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فأبى، فكلَّموه أيضاً، فكتبَ إلى عمرُ بنُ الخطاب، فكتب إليه عمر بن الخطاب، إن أحبوا فخذها منهم، وارددها عليهم، وارزق رقيقَهم، قال مالك: أي اردها على فقرائهم[٦].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ١٠٨) برقم: (٧١٤٢).
(٢) كذا في الأصل، وفي «السنن الكبرى» (٤/ ١١٠): «منسأة» وكذا في «المعرفة» (٦/ ٤١٥)، وفيه أيضاً (١١/ ١٤٣)، و«كتاب الأم»: «مثناة»، والله أعلم بالصواب.
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٤١٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٤١٥).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٤٣٥)، و«كتاب الأم» (٢/ ٢٣).
(٦) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ١١٨) برقم: (٧٢٠٤).

• **أبو بكر**: عن شبل عن عمر نحواً من ذلك.

• **الشافعي**: عن السائب بن يزيد أنَّ عمرَ أمرَ أن يؤخذ من الفرس شاتين أو عشرة أو عشرين درهماً[١].

• **أبو بكر**: إنَّ عمرَ كان يأتي بصدقةِ الخيلِ[٢].

قلت: وَجْهُ الجمع أنَّهم بذلوا صدقةَ خيلهم ورقيقهم طوعاً من غير أن تكون واجباً عليهم، فقبل عمر ذلك.

كذلك جمعَ الشافعيُّ وغيره وقال: سمعتُ بعضَ مَنْ لا يقولُ بنصاب خمسة أوسقٍ يقول: قد قام بالأمرِ بعد النبيِّ ﷺ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأخذوا الصدقات في البلدان أخذاً عاماً زماناً طويلاً، فما روي عنهم أنهم قالوا: ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة، ما رواه عن النبي ﷺ إلا أبو سعيد الخدري، ثم أجاب الشافعي بما حاصله: أن الحديث صحيح من رواية أبي سعيد وجابر، موجودٌ في كتاب عمرو بن حزم، فوجب العمل به، ولم يذكر عن الأئمة أنَّ الحديث ظهر في زمانهم فتكلموا فيه.

قلت: بل ذكر مالكٌ سُنَّة أهل المدينة على ما روينا عن أبي سعيد.

• **البيهقي**: عن **مطر الأنصاري**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يخرص العرايا، ولا أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما[٣].

قلت: الأَوْجَهُ عندي أنَّ المُرادَ بالعرايا ما دون خمسة أوسق، وسيأتيك من حديث مالك والشافعي في البيوع ما يشهد لذلك.

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٦/ ٤٤٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٨١) برقم: (١٠١٤٣).
(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ١٢٣) برقم: (٧٢٣٣).

• **الشافعي في القديم**: عن **بشير بن يسار**: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يبعث أبا خيثمة خارِصاً يخرِصُ النخل، فيأمره إذا وجد القومَ في حائطهم يخرصونه أن يدعَ لهم ما يأكلونه[١].

• **البيهقي**: عن **عثمان بن عطاء الخراساني** أنَّ عمر بن الخطاب قال: فيه العشر ـ يعني الزيتون ـ إذا بلغ خمسةَ أوسقٍ، من عصيره أُخذَ عُشْرُ زيته[٢].

• **البيهقي**: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده** قال: جاء هلال أحدُ بني متعان إلى رسول الله ﷺ بعشورِ نحلٍ له، وسأله أن يحميَ وادياً يقال له: سلبة، فحماه له، فلمَّا وليَ عمرُ كتب سفيان بن وهب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ذلك، فكتب عمر: إنْ أدّى إليك ما كانَ يؤدِّي إلى رسولِ اللهِ ﷺ من عشورِ نحله، فاحمِ له سلبة، وإلَّا فإنَّما هو ذبابُ غيثٍ يأكلُه مَنْ شاءَ[٣].

قلت: هذا مفسّر ليس بعده اشتباهٌ في العسل.

• **الشافعي**: عن أبي عمرو بن حماس، أن **أباه** قال: مررت بعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عُنقي أدمة أحملها، فقال عمر رضي الله عنه: ألا تؤدي زكاتَكَ يا حماس؟ فقلتُ: يا أمير المؤمنين، ما لي غيرَ هذه التي على ظهري وأُهبة[٤] في القرظ، فقال: ذاك مالٌ فضع، قال: فوضعتُها

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار» (٦/ ٤٦٤).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار» (٦/ ٤٧٤)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ١٢٥) برقم: (٧٢٤٧).

(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ١٢٦) برقم: (٧٢٥١).

(٤) **الإهاب**: الجلد من البقر والغنم والوحش ما لم يدبغ، والجمع القليل: أهبة، «لسان العرب» (١/ ٢١٧).

بين يديه، فحسبها فوجدها قد وجبتْ فيها الزكاةُ، فأخذَ منها الزكاة(١).

• **مالك والشافعي**: عن **عائشة** زوج النبي ﷺ أنها قالت: مُرَّ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه بغنمٍ من الصدقة، فرأى فيها شاةً حافلاً ذاتَ ضرع عظيم، فقال عمر: ما هذه الشاةُ؟ فقالوا: شاةٌ من الصدقةِ، فقال عمر: ما أعطى هذه أهلُها وهم طائعون، لا تفتنوا الناسَ، لا تأخذوا حزرات المسلمين، نكِّبوا عن الطعام(٢).

• **مالك**: عن **زيد بن أسلم** عن أبيه أنّه قال: سمعتُ عمرَ بن الخطاب وهو يقول: حملت على فرس عتيق في سبيل الله، وكان الرجل الذي هو عنده قد أضاعه، فأردتُ أن أشتريه منه، وظننت أنه بائعه برخص، فسألتُ عن ذلك رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «**لا تَشْتَرِه وإنْ أعطاكَهُ بِدِرْهَمٍ واحِدٍ، فإنَّ العائدَ في صَدَقَتِهِ كالكَلْبِ يعودُ في قَيْئِهِ**»(٣).

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن البيلماني** قال: قال أبو بكر الصدِّيق فيما يوصي به عمر: مَنْ أدى الزكاة إلى غير وُلاتها، لم تقبل منه صدقتُه ولو تصدّق بالدُّنيا جميعاً(٤).

• **أبو بكر**: عن **محمد** ـ يعني: ابن سيرين ـ قال: كانت الصدقةُ تدفع إلى النبيِّ ﷺ ومن أمر به، وإلى أبي بكر ومن أمر به، وإلى عمر ومن أمر به، وإلى عثمان ومن أمر به، فلمّا قتل عثمانُ اختلفوا، فمنهم من رأى أن يدفعها إليهم، ومنهم من رأى أن يقسمها هو، الحديث(٥).

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٩٧).
(٢) انظر: «موطأ مالك» (ح: ٥٣٣)، و«مسند الشافعي» (١/ ٩٨)، و«كتاب الأم» (٢/ ٥٦).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٨٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٨٥) برقم: (١٠٢٠٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٨٥) برقم: (١٠١٩٥).

• **أبو بكر**: عن **عبد الملك بن أبي بكر** أخبره أنَّ عمر قال لرجل: إذا حُلْتَ فاحسُبْ دَينَك وما عندَك، فاجمعْ ذلك جميعاً، ثم زكِّه[(١)].

• **أبو بكر**: عن عمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠]، قال: هم زَمْنَى أهلِ الكتابِ[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** أنَّ عمر كان يأخذ العَروض في الصدقة من الوَرِقِ وغيرها[(٣)]، زاد في رواية: ويعطيها في صنفٍ واحدٍ ممَّا سمَّى الله تعالى[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاري** وكان على بيت المال في زمنِ عمر، فكان إذا خرجَ العطاءُ جمع عمرُ أموالَ التجارة، فحسب عاجلَها وآجلَها، ثم يأخذ الزكاةَ من الشاهدِ والغائبِ[(٥)].

• **أبو بكر**: عن **طارق** أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب كان يعطيهم العطاءَ ولا يزكيه[(٦)].

قلتُ: أمّا قوله: «**لا يزكيه**»، فمعناه: لا يأخذُ من العطاء زكاةً؛ لأنَّه لم يَحُلْ عليه الحولُ من حين قبضه، وأمّا قوله: «**ثم يأخذ الزكاة**»، فمعناه: يأخذُ زكاةَ أموال التجارة التي حالَ عليها الحولُ في أيديهم من مالِ العطاءِ، قوله: «**فحسب عاجلها وآجلها**»؛ يعني: ما كان له دَيناً مؤجّلاً أو معجّلاً على أحدٍ أو موجوداً في يده.

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٨٩) برقم: (١٠٢٥٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٠١) برقم: (١٠٤٠٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٠٤) برقم: (١٠٤٣٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٠٥) برقم: (١٠٤٤٨).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٠٧) برقم: (١٠٤٦٦).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٠٧) برقم: (١٠٤٦٨).

● **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: قال عمرُ: إذا تحوّلت الصدقةُ إلى غير الذي تصدّق عليه فلا بأسَ أن يشتريها(١).

● **أبو بكر**: عن **زياد بن حدير** قال: بعثني عمر على العشور، وأمرني أن لا أفتِّشَ أحداً(٢).

● **أبو بكر**: عن **زياد بن حدير** قال: بعثني عمرُ على السوادِ، ونهاني أن أعشّرَ مسلماً(٣).

قلت: العشورُ على أهلِ الحربِ، ونصفُ العُشْرِ على أهل الذمّة، وربعُ العشرِ زكاةُ المسلمين.

● **أبو بكر**: عن **جماعة** أنَّ عمر بن الخطاب صالحَ نصارى بني تغلب على أن تضعَّفَ عليهم الزكاةُ مرتين(٤).

● **أبو بكر**: عن **الحسن**: أنَّ صاعَ عمر ثمانيةُ أرطالٍ(٥).

● **البيهقي** وغيره: أنَّ صاعَ النبيِّ وخلفائه خمسةُ أرطالٍ وثلثُ رطل(٦).

قلت: أهلُ البلدِ أعرفُ بصاعهم.

● **أبو بكر**: عن الشعبي أنَّ غلاماً من العرب وجد سَتُّوقة فيها عشرة آلافٍ، فأتى بها عمرَ، فأخذَ منها خُمُسها ألفين، وأعطاه ثمانيةَ آلافٍ(٧).

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤١٠) برقم: (١٠٥٠٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤١٦) برقم: (١٠٥٧٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤١٦) برقم: (١٠٥٧٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤١٦) برقم: (١٠٥٨١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٢٢) برقم: (١٠٦٤٣).
(٦) انظر: «شرح معاني الآثار» (٢/ ٥١).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٤٣٦) برقم: (١٠٧٧١).

كتاب الصيام

• **البيهقي**: عن **ابن أبي ليلى**: كان الرجلُ إذا أفطرَ فنامتِ امرأتُه لم يأتها، وإذا نامَ ولم يَطْعَمْ، لم يَطْعَمْ إلى مثلِها من القابلةِ، حتّى جاء عمرُ بن الخطاب يريدُ امرأته، فقالت: إنِّي قد نمتُ، فقال: إنما تعتلِّين، فوقعَ بها، وجاء رجلٌ من الأنصار فأراد أن يطعمَ، فقالوا: حتى نسخِّنَ لك شيئاً، فنام، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾، إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ﴾ [البقرة: ١٨٧][(١)].

قال **أبو بكر**: هشيم عن مجالد عن الشعبي عن **علي**، أنّه كان يخطب إذا حضر رمضان فيقول: ألا لا تقدموا الشهرَ، إذا رأيتُمُ الهلالَ فصوموا، وإذا رأيتُمُ الهلالَ فأفطروا، فإن أغمِيَ عليكم فأتمُّوا العدة[(٢)].

قال **أبو بكر**: هشيم عن مجالد عن الشعبي عن **مسروق** عن عمر مثل ذلك، ألا لا تقدموا الشهر.

• **البيهقي**: روى مجالد عن **الشعبي**: أنَّ عمرَ وعلياً رضي الله عنهما كانا ينهيان عن صومِ اليومِ الذي يُشَكُّ فيه مِنْ رمضان[(٣)].

• **أبو بكر**: عن **سويد بن غفلة** قال: سمعتُ عمرَ يقول: شهرٌ ثلاثونَ وشهرٌ تسعٌ وعشرون[(٤)].

• **أبو بكر والبيهقي**: عن **أبي وائل** قال: أتانا كتابُ عمر: أنَّ الأهلةَ بعضُها أكبرُ من بعض، فإذا رأيتُم الهلالَ نهاراً فلا تفطروا حتّى

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٧/ ٩٥).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٨٥) برقم: (٩٠٢٩).

(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ٢٠٩) برقم: (٧٧٤٧).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٣٣) برقم: (٩٦١١).

يشهدَ رجلانِ مسلمانِ أنَّهما أهلَّاه بالأمس[١].

• **أبو بكر**: عن ابن **أبي ليلى** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أجازَ شهادةَ رجلٍ في الهلال[٢].

• **الشافعي**: عن عاصم بن عمر، عن **أبيه** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا أدبرَ النهارُ، وأقبلَ الليلُ، وغربتِ الشمسُ، فقد أفطرَ الصائمُ**»[٣].

أبو بكر والبخاري ومسلم نحواً من ذلك.

• **مالك والشافعي**: عن زيد بن أسلم عن أخيه **خالد بن أسلم**: أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب أفطرَ ذاتَ يومٍ في رمضان في يوم ذي غيمٍ، ورأى أنّه قد أمسى، وغابتِ الشمسُ، فجاءه رجلٌ فقال: يا أميرَ المؤمنين! قد طلعتِ الشمسُ، فقال عمرُ: الخطبُ يسيرٌ وقد اجتهدنا[٤].

قال مالك والشافعي: قضاء يوم مكانه.

• **أبو بكر**: عن **حنظلة** قال: شهدتُ عمرَ بنَ الخطاب في رمضان، وقُرِّبَ إليه شرابٌ، فشربَ بعضُ القوم وهم يرونَ أنَّ الشمسَ قد غربتْ، ثم ارتقى المؤذّنُ فقال: يا أميرَ المؤمنين! واللهِ للشمسُ طالعةٌ، لم تغربْ، فقال عمر: منعنا الله من شرِّك مرتين أو ثلاثة، يا هؤلاء مَنْ كان أفطرَ فليصُمْ يوماً مكانَ يومٍ، ومن لم يكن أفطرَ فليتمَّ حتَّى تغربَ الشمسُ[٥].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣١٩) برقم: (٩٤٦٠)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ٢١٢) برقم: (٧٧١).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٢٠) برقم: (٩٤٦٥).

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٧/ ١٣٧).

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٠٧١)، و«مسند الشافعي» رقم: (٤٧٧)، و«كتاب الأم» (٢/ ٩٦).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٨٦) برقم: (٩٠٤٥).

• **وأخرج**: البيهقي ذلك من طرق ثم قال: مَنْ قال في هذا الحديث لا يقضى، لا يصحُّ قوله؛ لأنَّ العدد أولى بالحفظ من الواحد.

• **أبو بكر**: عن الحسن قال: قال عمر: إذا شكَّ الرجلانِ في الفجر فليأكلا حتى يستيقنا[١].

قلت: وذلك لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

• **أبو بكر**: عن جابر بن عبد الله عن عمر بن الخطاب قال: هَشَشْتُ يوماً إلى المرأةِ فقبّلتها وأنا صائمٌ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بماءٍ وأنتَ صائمٌ**»، قلت: لا بأسَ، قال: «**ففيم؟**»[٢].

• **الشافعيُّ**: عن جابر بن عبد الله نحواً من ذلك.

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمرَ نهى عن القبلةِ للصَّائمِ[٣].

قلتُ: فالأوَّلُ يدلُّ على جوازِ الصومِ مع القُبْلَةِ، والثاني على الكراهيةِ التنزيهيَّة.

• **أبو بكر**: عن **عطاء** قال: قال عمرُ رضي الله عنه: لا تزالُ هذه الأُمَّةِ بخيرٍ ما عجَّلُوا الفِطْرَ[٤].

• **الشافعيُّ**: عن **حميد بن عبد الرحمٰن** أنَّ عمرَ وعثمان رضي الله عنهما كانا يصلِّيان المغربَ حين ينظرانِ إلى اللَّيْل الأسودِ، ثم يفطران بعد الصلاةِ،

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٨٨) برقم: (٩٦٦).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣١٥) برقم: (٩٤٠٦).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» رقم: (٩٥٠٢).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٩٨) برقم: (٩٢٠٦).

وذلك في رمضان[١].

• **أبو بكر**: عن حميد نحواً من ذلك إلا أنه قال: ويفطران قبل أن يصليا.

• **أبو بكر**: عن **ابن المسيب** قال: كَتَبَ عمرُ بن الخطاب إلى أُمرائِهِ أنْ لا تكونوا من المسوِّفين لفطركم، ولا تنتظروا بصلاتكم اشتباكَ النجومِ[٢].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي** قال: قال عمرُ: ليس الصيامُ من الطعامِ والشرابِ وَحْدَهُ، ولكنَّه مِنَ الكَذِبِ والباطلِ واللَّغْوِ والحَلْفِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن القاسم**: كان عمرُ لا يَصُومه؛ يعني: يومَ عاشوراء.

• **أبو بكر**: عن **أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث**: أن عمر أرسل إلى عبد الرحمٰن بن الحارث مساء ليلة عاشوراء أن تسحّر وأصبِحْ صائماً[٤].

• **أبو بكر**: عن **ابن عباس** عن عمر قال: لقد علمتُم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في ليلةِ القدرِ: «**اطلبوها في العَشْرِ الأواخِرِ**»[٥].

أبو بكر: عن **زِرٍّ**: كان عمرُ وحذيفةُ وناسٌ من أصحاب النبي ﷺ لا يشكّون فيها ليلة سبع وعشرين[٦].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ٢٣٨) برقم: (٧٩١٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٧٧) برقم: (٨٩٤٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٧٢) برقم: (٨٨٨٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣١٢) برقم: (٩٣٦٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٢٤) برقم: (٩٥١٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٢٤) برقم: (٥١٤). أي: ليلة القدر، وزر هو زِرّ بن حبيش.

• **أبو بكر**: عن قيس عن **أبيه** عن عمر قال: لا بأسَ بقضاءِ رمضان في العشر؛ يعني: عشرَ ذي الحجة[١].

• **أبو بكر**: عن **أبي عمرو الشيباني** قال: بلغَ عمرُ أن رجلاً يصومُ الدهر فعلاه بالدِّرة[٢].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** أنَّ عمر سردَ الصومَ قبل موته بسنتين[٣].

• **أبو بكر**: عن **نافع** قال: قال عمر: لو أدركني النداءُ وأنا بين رجليها لصمتُ، أو قال: ما أفطرتُ[٤].

• **أبو بكر**: عن **قطبة بن مالك** أنَّ عمرَ رأى قوماً اعتكفوا في المسجد، وقد ستروا، فأنكره وقال: ما هذا؟ قالوا: إنما نستره على طعامنا، قال: فاستروه، فإذا طعمتم فاهتكوه[٥].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** قال: كتبَ إلينا عمرُ أنَّ المرأةَ لا تصومُ تطوّعاً إلا بإذن زوجها[٦].

• **أبو بكر**: عن **عوف بن مالك الأشجعي** قال: قال عمر: صيامُ يومٍ من غيرِ رمضان وإطعام مسكينَ يَعْدِلُ صيامَ يومٍ من رمضان[٧].

قلت: هذا في الذي أفطر رمضان بعذرٍ، وأخَّر قضاءه بغيرِ عذرٍ، حتى مضى رمضان آخر، وعليه الشافعي.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٢٤) برقم: (٩٥١٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٢٨) برقم: (٩٥٥٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٧٤) برقم: (٨٩٠٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٣٠) برقم: (٩٥٨٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٣٦) برقم: (٩٦٥٤).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٤١) برقم: (٩٧١٠).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٤٤) برقم: (٩٧٤٦).

• **أبو بكر**: عن **خرشة بن الحر** قال: رأيتُ عمرَ يضرِبُ أكفَّ الناس في رجب حتى يضعوها في الجفان، ويقول: كلوا فإنَّما هو شهرٌ كان يعظِّمه أهلُ الجاهليةِ[1].

• **أبو بكر**: عن **أبي عبيد** مولى بن أزهر قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب، فبدأ بالصلاةِ قبل الخُطبةِ، وقال: إنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن صوم هذين اليومين، أمَّا يوم الفطر فيومُ فطركم من صيامكم، وأمّا يومُ الأضحى فكلوا فيه من لَحْمِ نسككم[2].

• **أبو بكر**: عن **زياد بن حدير** قال: ما رأيتُ أحداً أدومُ سِوَاكاً وهو صائمٌ من عمر بن الخطاب[3].

كتاب الحج

• **أبو بكر**: عن **شيخ** قال: قال عمر بن الخطاب: مَنْ حجَّ هذا البيت لا يريدُ غيرَه، خَرَجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه[4].

• **أبو بكر**: عن **مجاهد** قال: بينما عمرُ جالساً عند البيت إذ قدم رجالٌ من العراقِ حُجّاجاً، فطافوا بالبيت، وسَعَوْا بين الصفا والمروة، فدعاهم عمر فقال: أَنَهَزَكُم إليه غيرُه؟ فقالوا: لا، فقال: أنقبتم؟ قالوا: نعم، فقال: أدبرتم؟ قالوا: نعم، قال: إمّا لا، فاستأنفوا العمل[5].

• **أبو بكر**: عن **موسى بن سعيد** قال: قال عمرُ: تلقَّوْا الحاجَّ

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٤٥) برقم: (٩٧٥٨).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٣٤٦) برقم: (٩٧٦٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ٢٩٥) برقم: (٩١٥٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٠) برقم: (١٢٦٤٢).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٠) برقم: (١٢٦٤٤).

والعمّارَ والغُزاةَ فَلْيَدْعوا لكم قبل أن يتدنَّسُوا[(١)].

• **أبو بكر**: عن **مجاهد** قال: قال عمرُ: يُغْفَرُ للحاجِّ، ولمن استغفرَ له الحاجُّ بقية ذي الحجة، والمحرم، وصفر، وعشر من شهر ربيع الأول[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب**: أنَّ عمرَ بن أبي سلمة استأذن عمر بن الخطاب أن يعتمرَ في شوّال، فأذنَ له، فاعتمر، ثم قَفِلَ إلى أهله ولم يحجَّ[(٣)].

• **البيهقي**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: إنَّ السبيلَ الزادُ والراحلةُ[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **مَيَّة بنت محرز** قالت: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب يقول: أحجّوا هذه الذرية، ولا تأكلوا أرزاقَها، وتدعوا أرباقَها في أعناقِها، قيل: الذريةُ هاهنا النساء[(٥)].

• **البغوي**: روي أنَّ عمرَ أَذِنَ لأزواجِ النبيِّ ﷺ في آخر حجة حجها، فبعث معهنَّ عثمانَ بنَ عفان وعبدَ الرحمٰن بن عوف[(٦)].

قلت: اختلفوا في المرأةِ، أتخرجُ من غَيْرِ مَحْرَمٍ؟ فاحتجَّ الشافعيُّ بهذا على أنّه يجوز خروجُها من غير مَحْرَمٍ إذا كانَ مَعَها نسوةٌ ثقاتٌ.

وللنفاةِ أن يقولوا في الأثر: إنَّه جعلَ معهنَّ عثمانَ وعبدَ الرحمٰن

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢١) برقم: (١٢٦٥١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٢) برقم: (١٢٦٥٧).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٤١).
(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٤/ ٣٣١) برقم: (٨٤٢٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢١٠) برقم: (١٣٥٣٠).
(٦) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٨٦٠).

بمعنى محافظتهنَّ وتوقيرهنَّ وإن كان معهن مَحارِمهنَّ، والله أعلم.

• **البخاري**: عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: لمّا فُتِحَ هذان المصران أتوا عمر، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ حَدَّ لأهلِ نجد قرناً، وهو جور عن طريقنا، وإنّا إن أردنا قرناً شقَّ علينا، قال: فانظروا حَذْوَها من طريقكم، فحدَّ لهم ذاتَ عِرْقٍ[١].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** أنَّ عمران بن حصين أحرمَ من البصرة، فقَدِمَ على عمر، فأغلظَ له، فقال: يتحدَّثُ الناسُ أنَّ رجلاً من أصحاب النبيِّ ﷺ أحرمَ من الأمصار[٢].

• **أبو بكر**: عن **مسلم بن سلمان**، أنَّ رجلاً أحرمَ من الكُوفَةِ، فرآه عمر سيئَ الهيئةِ، فأخذَ بيده، وجعلَ يدورُ به في الحلقِ، ويقول: انظروا إلى ما صنعَ هذا بنفسِهِ، وقد وسَّع الله عليه[٣].

قلت: معناه: الكراهية للمقتدَى ولمن خِيفَ عليه أن يفوت حقوق الإحرام.

• **أبو بكر**: عن **أسلم** مولى عمر: أنَّ عمر وجدَ ريحَ طيبٍ وهو بذي الحُليفة، فقال: ممَّن هذا؟ فقال معاوية: مِنِّي، فقال: أمنك لعمري؟ قال: يا أميرَ المؤمنين! لا تعجل عليَّ، فإنَّ أمَّ حبيبة طيبتني، وأقسمتْ عليَّ، قال: وأنا أُقْسِمُ عليك لترجعنَّ إليها فلتغسلنَّه عنكَ كما طيَّبَتْكَ، قال: فرجع إليها حتّى لحقهم ببعض الطريق[٤].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: وجد عمرُ بنُ الخطاب ريحاً عند

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٥٣١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٦) برقم: (١٢٦٩٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٢٦) برقم: (١٢٦٩٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٠٧) برقم: (١٣٥٠٠).

الإحرامِ فتوعَّد صاحبها، فرجع فألقى ملحفةً كانت عليه يعني مطيبةً[١].

قلت: لم يأخذ بهذا أهلُ الفقه لما صحَّ عندهم من حديث عائشة كأنِّي أنظرُ إلى وبيص الطِّيبِ في مَفْرَقِ رسولِ اللهِ ﷺ بعد ثلاثٍ من إحرامه، أخرجه **الشيخان**[٢].

قلت: والأوجه أن يقال: استدامةُ الطيب على البدن يجوز؛ لأنَّ الدرن يكدّره، وعلى الثوبِ لا يجوزُ؛ لأنَّ الطيب يبقى في الثوبِ كما كان أول حالة.

• **أبو بكر**: عن **المِسْوَرِ بن مَخْرَمَة** قال: كانت تلبيةُ عمرَ: لبيكَ اللَّهُمَّ لبيكَ، لبيك لا شريكَ لكَ لبيكَ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملك، لا شريكَ لكَ، لبيكَ مرغوباً ومرهوباً إليك، لبيكَ ذا النعماء والفضل الحَسَنِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **القاسم** قال: قال عمر: يا أهلَ مكة! ما لي أراكم مدهنين والحاجُّ شُعثاً غُبْراً، إذا رأيتُم هلالَ ذي الحجة فأهلّوا[٤].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** قال: قدم عمر بمكة، فطاف، ثم سعى، ثم أحَلَّ، فمكث أربعاً أو خمساً، ثم أهلَّ بالحجِّ في العشر، ثم جاء مرَّةً أخرى، فأقام حلالاً، حتّى إذا كان يومُ الترويةِ أهلَّ بالحجِّ حين انبعثَ به بعيرُه منطلِقاً إلى مِنىً[٥].

قلت: وَجْهُ الجمعِ أنَّ الأولَ استحبابٌ لحاضري مكة خاصة.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٠٨) برقم: (١٣٥١٠).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٩١٨)، و«صحيح مسلم» برقم: (١١٩٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٠٤) برقم: (١٣٤٧٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٦٨) برقم: (١٥٠١٢).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٦٨) برقم: (١٥٠١٤).

• **أبو بكر**: عن **محمد بن سيرين** قال: أفرد أصحاب رسول الله ﷺ الحجَّ بعده، وهم كانوا لسُنَّتِه أشدُّ اتباعاً، أبو بكر وعمر وعثمان(١).

• **أبو بكر**: عن **الأسود**: أنَّ أبا بكر وعمر جرّدا(٢).

• **أبو بكر**: عن **أبي وائل** قال: خرجنا حُجّاجاً ومعنا الصُّبَي بن معبد قال: فأحرم بالحجِّ والعمرة، قال: فقدمنا على عمر، فذكر ذلك له فقال: هُدِيْتَ لسُنَّة نبيّك ﷺ(٣).

• **أبو بكر**: عن طاوس عن **ابن عباس** قال: تمتَّعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وأول مَنْ نهى عنها معاويةُ(٤).

• **أبو بكر**: عن **ابن عباس** قال: سمعتُ عمرَ يقول: لو اعتمرت ثم اعتمرت ثم حججت فتمتعت(٥).

أبو حنيفة، عن حماد، عن **إبراهيم**، عن عمر بن الخطّاب: أنّه إنّما نهى عن الإفراد، فأما القِرانُ فلا(٦)، قال محمّد: يعني بقوله: «نهى عن الإفرادِ»: إفراد العمرة.

• **أحمد بن حنبل**: عن **أبي سعيد** قال: خطبَ عمرُ ﷺ الناسَ فقال: إنَّ الله ﷻ رخَّصَ لنبيِّه ﷺ ما شاء، وإنَّ نبيَّ اللهِ ﷺ قد مضى لسبيلِه، فأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ كما أمركم الله ﷻ(٧).

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٩٠) برقم: (١٤٣٠٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٩٠) برقم: (١٤٣٠٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٨٩) برقم: (١٤٢٨٩)
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» رقم: (١٣٨٨).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٢٨) برقم: (١٣٧٠٠).
(٦) انظر: «الآثار»، لأبي يوسف (١/ ٤٨٨) برقم: (٤٧٢).
(٧) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٠٤).

• **أحمد بن حنبل**: عن **جابر بن عبد الله**: تمتّعنا مع رسولِ اللهِ ﷺ ومع أبي بكر، فلمّا ولي عمرُ رضي الله عنه خطبَ الناس فقال: إنَّ القرآنَ هو القرآنُ، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ هو الرسولُ، كانتا متعتان على عهد رسولِ اللهِ ﷺ، إحداهما: متعةُ الحجِّ، والأخرى: متعةُ النساءِ، معناه ليستا بعده[1].

• **مالك وأبو بكر**: عن **ابن عمر**، قال عمر: افصلوا بين حَجِّكم وعمرتكم، فإنَّ ذلك أتمُّ لحجِّ أحدكم، وأتمُّ لعمرته أن يعتمرَ في غير أشْهُرِ الحجِّ[2].

قلت: وهذا أشدَّ المواضع التي اختُلِفَ فيها على عمر، والأَوْجَهُ عندي أنَّ كلَّ كلام له مَحْمَلٌ، وكان عمرُ يختار الإفرادَ، ويرخّص في التمتع والقِرَان، أمّا قول ابن عباس: «تمتَّعَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمر»؛ فمعناه: تقديم طوافِ القُدومِ قبل طوافِ الإفاضة، وجعل السعي عقيبَ طوافِ القدومِ. وأمّا قوله: «رخص لنبيِّه ما شاء فهو فسخ الحج بالعمرة» فذلك خاصٌّ بزمانِ النبوة، أراد بذلك النبيُّ ﷺ هدمَ مذهب الجاهلية من قولهم: العمرةُ في أشهر الحجِّ من أفجرِ الفجورِ. وأمّا الإفرادُ الذي نهى عنه فهو تركُ طوافِ القدومِ.

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أمرَ الصُّبَي بن مَعْبَدٍ حيثُ أو حينَ قَرَنَ أنْ يَذْبَحَ كبشاً[3].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: قال عمرُ: إذا اعتمر في أشهرِ الحج، ثم أقام، فهو متمتّعٌ، فإن رجعَ فليس بمتمتّعٍ[4].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣٦٩).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٥٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٤٣) برقم: (١٣٨٥٦).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٥٦) برقم: (١٣٠٠٦).

• **أبو بكر**: عن **يحيى بن الجزار** قال: سُئِلَ عمرُ عن العمرة، وهو بمكة مِنْ أينَ يعتمِرُ؟ فقال: ائتِ عليَّ بنَ أبي طالب فاسأله، فقال: فأتيتُه، فقال: مِنْ حين أبدأتَ؛ يعني: من ميقاتِ أرضِهِ، قال: فأتى عمر فأخبره، فقال: ما أجدُ لكَ إلّا ما قال عليُّ بنُ أبي طالب[١].

• **أبو بكر**: سئل عمرُ عن العمرةِ بعد الحجِّ، فقال: هي خيرٌ من لا شيء[٢].

قلت: معناه: أنَّ العمرة من الميقات أفضلُ بكثيرٍ من العمرة من التنعيم ونحوه، والعمرةُ في غير أشهرِ الحجِّ أفضل بكثيرٍ من العمرةِ في أشهرُ الحجِّ.

• **أبو بكر**: عن **وهب بن الأجدع** أنَّه سمع عمرَ يقول: إذا قَدِمَ الرجلُ حاجّاً فليطفْ بالبيتِ سبعاً، ثم يصلِّي عند المقامِ ركعتين[٣].

• **الشافعي**: عن حنظلة عن **طاوس** يقول: سمعتُ عمرَ يقول: أقلّوا الكلام في الطواف، فإنّما أنتُم في صلاةٍ[٤].

• **الشافعي**: عن عبد الله بن أبي يزيد، عن **أبيه**، سأل عمرُ شيخاً من بني زهرة، فقال: أخبرني عن بناء البيت، فقال: إنَّ قريشاً كانت تَقَوّتْ لبناء البيت، فعجزوا، فتركوا بعضها في الحِجْرِ، فقال عمر: صدقت[٥].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٤٩) برقم: (١٢٩٤٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٥٧) برقم: (١٣٠١٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٧١) برقم: (١٥٠٣٢).
(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٥/ ٨٥) برقم: (٩٠٧٦).
(٥) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ١٣٠) برقم: (٦٢٥)، و«كتاب الأم» (٢/ ١٧٦)، و«معرفة السنن والآثار» (٨/ ٢١٨).

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن عامر بن ربيعة** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رَمَلَ ما بين الحَجَرِ إلى الحَجَرِ[١].

• **أحمد بن حنبل**: عن زيد بن أسلم عن **أبيه** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه يقول: فيما الرملانُ الآن والكشفُ عن المناكب وقد أطأ الله الإسلام، ونفى الكفرَ وأهلَه؟ ومع ذلك لا ندعُ شيئاً كُنّا نفعلُه على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ[٢].

• **أبو بكر**: عن **سويد بن غفلة** أنَّ عمر التزمَ الحَجَرَ وقبّلَه[٣].

• **أبو بكر**: عن **عابس بن ربيعة** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطّاب استلم الحَجَرَ وقبَّله، وقال: لولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقبِّلُكَ ما قبَّلتُكَ[٤].

• **أبو بكر**: عن **يعلى بن أمية** قال لي عمرُ: أمَا رأيتَ رسولَ اللهِ ﷺ لم يستلمْ منها إلّا الحَجَرَ؟ قلتُ: بلى، قال: فما لكَ به أسوةٌ حسنةٌ؟ قلت: بلى[٥].

• **أبو بكر**: عن **وهب بن الأجدع** أنَّه سمع عمر يقول: يبدأ بالصفا، ويستقبِلُ البيتَ، ثم يكبِّرُ سبعَ تكبيراتٍ، بين كلِّ تكبيرتين حمدُ الله، وصلاةٌ على النبي ﷺ، ومسألةٌ لنفسه، وعلى المروةِ مثلُ ذلك[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٥٦) برقم: (١٤٨٨٩).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣١٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٣٩) برقم: (١٤٧٢٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٤٢) برقم: (١٤٧٥١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٦٦) برقم: (١٤٩٩١).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٨٢) برقم: (١٤٧١٦).

• **أبو بكر**: عن **بكر** قال: سعيتُ مع عمرَ في بَطْنِ المسيل[١].

• **أبو بكر**: عن **ابن سابط** أنَّ عمرَ كان يجعلُ الذي كأنّه مبرك بعير على فخذه الأيمن؛ يعني: في المروة[٢].

• **أبو بكر**: عن حزام بن هشام عن **أبيه** أنَّ عمرَ كان يلبِّي على الصفا والمروة، ويشتدّ صوتُه، ويُعْرَفُ صوته بالليل، ولا يرى وجهه[٣].

• **أبو بكر**: عن **عروة** أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ كانا يقدمان وهما مهلّان بالحجِّ، فلا يحلّ منهما حرامٌ إلى يوم النحر[٤].

• **أبو بكر**: عن **الأسود**، عن عمر، أنّه جمعَ بينَ الظهرِ والعَصْرِ بعرفات، ثم وقف[٥].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** عن عمر أنّه صلَّاهما بِجَمْعٍ[٦].

• **أبو بكر**: عن **أبي عثمان النهدي** أنّه صلَّى مع عمر المغربَ دون جمعٍ[٧].

قلت: فالأوّل هو الأفضلُ المختارُ، والثاني بيانُ أنْ لو تركَ رجلٌ الجمعَ، وصلّى كلّ صلاةٍ في وقتها المعهودِ جازَ.

• **أبو بكر**: عن ابن أبي نجيح، عن **أبيه** قال: سئل ابن عمر عن صوم يوم عرفة، فقال: حججتُ مع النبيِّ ﷺ فلم يصمه، وحججتُ مع

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥١) برقم: (١٣٩٣٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢١١) برقم: (١٣٥٣٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٧٢) برقم: (١٥٠٥٢).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٨١) برقم: (١٥١٣١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٠١) برقم: (١٤٤٠٩).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٦٢) برقم: (١٤٠٣٦).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٦١) برقم: (١٤٠٢٣).

أبي بكر فلم يصمه، وحججتُ مع عمر فلم يصمه، وحججتُ مع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه، ولا آمر به، ولا أنهى عنه[١].

• **أحمد بن حنبل**: عن **عمرو بن ميمون** قال: صلَّى بنا عمرُ بجمعٍ الصبحَ، ثم وقف وقال: إنَّ المشركينَ كانوا لا يفيضونَ حتّى تطلعَ الشمسُ، وإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خالفَهم، ثم أفاضَ قبل أن تَطْلعَ الشمسُ[٢].

• **مالك**: عن عبد الله بن دينار عن **عبد الله بن عمر**: إنَّ عمر بن الخطاب خطبَ الناسَ بعرفة، وعلَّمهم أمرَ الحجِّ، وقال لهم فيما قال: إذا جئتم منىً، فمن رمى الجمرةَ، فقد حلَّ له ما حرم على الحاجِّ إلا النساء والطيب، لا يمسّ أحدٌ نساءً ولا طيباً حتى يطوفَ بالبيتِ[٣].

• **مالك**: في رواية أخرى مثله إلّا أنّه قال: مَنْ رمى الجمرةَ، ثم حلقَ أو قصَّر ونحرَ هدياً إن كان معه فقد حلَّ، الحديث.

قلت: ترك الفقهاءُ قوله: «والطيب» لما صحَّ عندهم من حديث عائشة وغيرها: أنَّ النبيَّ ﷺ تطيَّبَ قبل طوافِ الإفاضةِ.

• **أبو بكر**: عن محمّد بن إسحاق قال: سأل **أبي عكرمة** وأنا أسمع عن الإهلال متى ينقطع؟ فسمعته يقول: أهلّ رسولُ اللهِ ﷺ حتّى رمى الجمرةَ، وأبو بكر وعمر[٤].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** قال: كان عمرُ يحجُّ فلا يذبحُ شيئاً حتّى يرجع[٥].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٩٥) برقم: (١٣٣٨٠).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٨٤).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٤٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٩) برقم: (١٣٩٩٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٧٩) برقم: (١٤١٩٠).

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن ميمون** قال: حججتُ مع عمر سنتين، إحداهُما في السنة التي أصيبَ فيها، كلُّ ذلك يلبِّي حتى يرميَ جمرة العقبة من بطن الوادي[١].

• **أبو بكر**: عن **الأسود** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب يرمي جمرةَ العقبةِ من فوقها، قيل: معناه: يرمي أعلى شيءٍ فيها، والأَوْجَهُ عندي: أنّ الأوّل للاستحبابِ، والثاني للجواز[٢].

• **مالك**: عن نافع عن **ابن عمر** أنَّ عمرَ بن الخطاب ﷺ قال: مَنْ ضفرَ رأسَه لإحرامٍ فليحلقْ، لا تشبَّهوا بالتلبيدِ[٣].

• **مالك**: عن **سعيد بن المسيب**: أنّ عمرَ بن الخطاب قال: مَنْ عَقَصَ رأسَه أو ضَفَرَ أو لبَّدَ فقد وجبَ عليه الحلاقُ[٤].

• **مالك**: عن نافع عن **عبد الله بن عمر**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: لا يبيتنَّ أحدٌ من الحاجِّ لياليَ منىً من وراء العقبة[٥].

• **مالك**: عن **نافع** أنَّه قال: زعموا أنّ عمر بن الخطاب كان يبعثُ رجالاً يُدخِلون الناسَ من وراءِ العقبة[٦].

• **أبو بكر**: عن جعفر عن **أبيه** أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يمشون إلى الجمار[٧].

• **أبو بكر**: عن **السائب** قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب رأى رجلاً

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٨) برقم: (١٣٩٩١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٩٩) برقم: (١٣٤١٥).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٤٨٩). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٤٩٠).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٢٤). (٦) «موطأ مالك» رقم: (٨٠٦).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٣٢) برقم: (١٣٧٣٦).

يقود بامرأته على بعير، يرمي الجمرة، قال: فعلاه بالدِّرة إنكاراً لركوبها[١].

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ عمرَ بنَ الخطّاب كان يقفُ عند الجمرتين الأُوليين وقوفاً طويلاً حتى يمل القائم[٢].

• **أبو بكر**: عن **سلمان بن ربيعة** قال: نظرنا عمرَ، فأتى الجمرة الثالثةَ، فرماها، ولم يقف عندها[٣].

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنّه بلغه أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب خرج الغد من يوم النحرِ، حين ارتفعَ النهارُ شيئاً، فكبَّر فكبَّر الناسُ بتكبيره، ثم خرجَ الثانيةَ من يومه ذلك بعد ارتفاع النهار، فكبَّر فكبَّر الناسُ بتكبيره، ثم خرجَ الثالثةَ حين زاغتِ الشمسُ، فكبَّر فكبَّر الناس بتكبيره، حتى يتّصلَ التكبيرُ ويبلغَ البيتَ، فيُعْلَمُ أنَّ عمرَ قد خرجَ يرمي[٤].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** أنَّ عمرَ رخَّص للرعاءِ أن يبيتوا أعلى منى[٥].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن مسعود**: صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ بمنى ركعتين، ومع أبي بكر ركعتين، ومع عمر ركعتين[٦].

• **أبو بكر**: عن **عمران بن حصين**، وعن ابنِ عمرَ وعن أنسٍ نحواً من ذلك.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٣٢) برقم: (١٣٧٤٤).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٢٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٩٧) برقم: (١٣٤٠٤).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥١٤).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٧١) برقم: (١٤١١٢).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٧) برقم: (١٣٩٨٢).

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن شعيب** أنَّ عمرَ جمع بمنىً[١].

• **أبو بكر**: عن **الزهري** أنَّ عمر صلّى بالحصبةِ للجمعةِ، ولم يجمِّعْ؛ يعني: صلَّاها ظهراً[٢].

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن دينار**: أنَّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا يحصبون[٣].

• **مالك**: عن **ابن عمر** أنَّ عمر بن الخطاب قال: لا يَصْدُرَنَّ أحدٌ من الحاجِّ حتّى يطوفَ بالبيتِ، فإنَّ آخرَ النُّسكِ الطوافُ بالبيتِ[٤].

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ردَّ رجلاً مِنْ مرِّ الظهرانِ لم يكنْ ودَّعَ البيتَ، حتى ودَّع[٥].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** قال: طافَ عمرُ بنُ الخطاب بعد الفجرِ، ثم ركبَ حتى إذا أتى ذاتَ طوى نزلَ، فلمّا طلعتِ الشمسُ وارتفعتْ صلَّى ركعتينِ، ثم قال: ركعتانِ مكانَ ركعتين[٦].

• **أبو بكر وأبو داود**: عن **الحارث بن عبد الله** بن أوس الثقفي قال: سألتُ عمرَ بنَ الخطاب عن المرأةِ تطوفُ بالبيتِ ثم تحيضُ، قال: ليكن آخرُ عهدها الطوافَ بالبيتِ، فقال الحارث: كذلك أفتاني رسول الله ﷺ، فقال عمر: أربت عن يديك، سألتني عن شيءٍ سألتُ عنه رسولَ اللهِ ﷺ كيما أخالفُ؟![٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٦٢) برقم: (٧٦٧١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٣) برقم: (١٣٩٤٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٩١) برقم: (١٣٣٤٣).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٨٢٣).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٣٦٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٨٢) برقم: (١٣٢٥٩).
(٧) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٥٤٧٨).

• **أبو بكر**: عن **القاسم بن محمد** في امرأةٍ زارتِ البيتَ يومَ النحرِ، ثم حاضت قبلَ النفرِ، فقال: يرحمُ اللهُ عمرَ، كان أصحابُ محمّدٍ ﷺ يقولون: قد فرغتِ، إلا عمر فإنّه كان يقول: يكونُ آخرُ عهدِها بالبيت[١].

قلت: ترك أهلُ العلم قولَ عمر هاهنا لما ثبت عندهم من قصة صفية وغيرها، والأَوْجَهُ عندي أنَّها يسنُّ لها أن تقيمَ بمكة حتى تودِّعَ البيتَ إلا عند حاجةٍ لا تجدُ منها بداً.

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** أنَّ عمرَ نهى أن يحرمَ المُحْرِمُ في الثوب المصبوغِ بالورس والزعفران[٢].

• **مالك**: عن **أبي غطفان بن طريف** المري أخبره: أن أباه طريفاً تزوَّجَ امرأةً وهو محرم، فردَّ عمرُ بنُ الخطاب نكاحَه[٣].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: كُنّا نكون بالخليج من البحر بالجَحْفَةِ، فنغامِسُ فيه، وعمرُ ينظرُ إلينا، فما يعيبُ ذلك علينا ونحنُ محرمون[٤].

• **مالك**: عن **عطاء بن أبي رباح**: أنَّ عمر بن الخطاب قال ليعلى بن أُمية وهو يصبُّ على عمر بن الخطاب ماءً، وهو يغتسِلُ: اصبب على رأسي، اصبب فلن يزيدَه الماءُ إلا شعثاً[٥].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان لا يرى بأساً

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٧٣) برقم: (١٣١٧٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٤٢) برقم: (١٢٨٦٧).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٦٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٤٢) برقم: (١٢٨٥٨).
(٥) «موطأ مالك» رقم: (١١٥٥).

بلحم الطير إذا صِيدَ لغيره؛ يعني: في الإحرام[١].

• **أبو حنيفة**، عن أبي سلمة، عن رجل من آل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: مررتُ بأهل البحرين، فسألوني عن لحم الصيْدِ يصيده الحلالُ، هل يصلحُ للمحرم أن يأكلَه؟ قال: فأفتيتُهم بأكلِه، وفي نفسي منه شيءٌ، فقدمتُ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسألني عن ذلك، فأخبرته بالذي قلتُ، فقال: لو قلتَ غيرَ هذا ما أفتيتَ بين اثنين ما بقيتَ[٢].

• **مالك**: عن **ربيعة بن عبد الله** بن الهدير: أنّه رأى عمرَ بنَ الخطاب يقرّد بعيراً له في طينٍ بالسقيا وهو مُحْرِم[٣].

• **مالك**: عن أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب قضى في الضبع بكبش، وفي الغزال بعنز، وفي الأرنب بعناق، وفي اليربوع بجفرة[٤].

• **مالك**: عن عبد الملك بن قرير عن **محمد بن سيرين**: أنَّ رجلاً جاء إلى عمرَ بنِ الخطاب، فقال: إنِّي أجريتُ أنا وصاحب لي فرسين، نستبقُ إلى ثغرةِ ثنيةٍ، فأصبنا ظبياً ونحن مُحْرِمان، فماذا ترى؟ فقال عمر لرجل إلى جنبه: تعال حتّى أحكمَ أنا وأنت، قال: فحكما عليه بعنز، فولّى الرجلُ وهو يقول: هذا أميرُ المؤمنين لا يستطيعُ أن يحكمَ في ظبيٍ حتّى دعا رجلاً يحكم معه، فسمعَ عمرُ قولَ الرجل، فدعاه فسأله، هل تقرأ سورةَ المائدة؟ قال: لا، قال: فهل تعرفُ هذا الرجل الذي حكم معي؟ فقال: لا، فقال: لو أخبرتني أنك تقرأ سورةَ المائدةِ لأوجعتُكَ

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٣٠٧) رقم: (١٤٤٦٥).
(٢) «الآثار»، لأبي يوسف (٢/ ١٩). (٣) «موطأ مالك» رقم: (١٣٠٩).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٦٢)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١٢٣).

ضرباً، ثم قال: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وهذا عبدُ الرحمٰن بن عوف[١].

• **مالك**: عن **زيد بن أسلم**: أنَّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أميرَ المؤمنين! إنِّي أصبتُ جرادات بسوطي وأنا مُحْرِمٌ، فقال له عمر: أطعم قبضةً من طعامٍ[٢].

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد**: أنَّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب، فسأله عن جراداتٍ قتلَها وهو محرمٌ، فقال عمر لكعب: تعال حتى نحكمَ، فقال كعبٌ: درهمٌ، فقال عمر لكعب: إنَّك لتجدُ الدراهمَ، لتمرةٌ خيرٌ من جرادةٍ[٣].

• **أبو بكر**: عن الحكم عن **شيخ من أهل مكة** أنَّ حماماً كان على البيتِ، فخرَّت على يد عمرَ، فأشار بيده، فطار، فوقع على بعض بيوت أهلِ مكة، فجاءت حيةٌ فأكلته، فحكم عمر على نفسه شاةً[٤].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ رجلاً أتى عمر متمتِّعاً، قد فاته الصومُ في العشرِ، فقال له: اذبح شاةً، قال: ليس عندي، قال: سلْ قومَكَ، قال: ليس ها هنا أحدٌ من قومي، قال: أعطه يا مُعَيْقِيبُ ثَمَنَ شاةٍ[٥].

• **أبو بكر**: عن **مجاهد** عن عمر قال: من اهتدى هدياً تطوّعاً، فعطب، نحره دون الحرمِ، ولا يأكلْ منه، وإن أكلَ منه فعليه البَدَلُ[٦].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٦٣). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٧٢).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٥٧٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٧٨) برقم: (١٣٢٢٠).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٥٤) برقم: (١٢٩٨٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٠٧) برقم: (٣٦٣٣٧).

• **أبو بكر**: عن **ابن أبي مليكة** قال: قال عمرُ: لا تُقِيمُوا بعدَ النفرِ إلا ثلاثاً[(١)].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد أنه قال: أخبرني **سُليمان بن يسار**: أنَّ أبا أيوب الأنصاري خرجَ حاجّاً حتى إذا كان بالنازية من طريق مكة أضلَّ رواحله، وإنّه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر، فذكر ذلك له، فقال عمر: اصنع كما يصنعُ المعتمِرُ، ثم قد حللتَ، فإذا أدركك الحجُّ قابلاً، فاحْجُجْ وأهدِ ما استيسر من الهدي[(٢)].

• **مالك**: عن نافع عن **سليمان بن يسار** أنَّ هبار بن الأسود جاء يوم النحر، وعمرُ بنُ الخطّاب ينحرُ هديه، فقال: يا أميرَ المؤمنين! أخطأنا العِدّةَ، كُنّا نرى أنّ هذا اليومَ يومُ عرفة، فقال عمر: اذهب إلى مكة، فطف أنتَ ومَنْ معكَ، وانحروا هدياً إنْ كان معكم، ثم احلقوا أو قصِّروا، وارجعوا، فإذا كان عامَ قابلٍ فحُجُّوا، وأهدوا، فَمَنْ لم يجد فصيامُ ثلاثةِ أيّامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رجع[(٣)].

• **أبو بكر**: عن **عطاء بن السائب** قال: كان عمرُ يأمرُ رجلاً فيحدو[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **أسلم** قال: سمع عمرُ بنُ الخطّاب رجلاً بفلاة من الأرض، وهو يحدو بغناءِ الركبان، فقال عمر: إنّ هذا من زادِ الرّاكبِ[(٥)].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن عامر** قال: خرجتُ مع عمر، فما رأيتُه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ١٨٦) برقم: (١٣٣٠٣).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٤٢٨). (٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٤٢٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٣) برقم: (١٣٩٥٢).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٥٤) برقم: (١٣٩٥٦).

مضطرباً فسطاطاً حتى رجع، قلتُ له أو قيل: بأيِّ شيءٍ كان يستظلّ؟ قال: يطرحُ النطعَ على الشجرةِ فيستظلُّ به[١].

كتاب البيوع

• **مالك**: قال عمر بن الخطاب: لا يبع في سوقنا إلّا مَنْ قد تفقَّه في الدِّينِ[٢].

قلت: معناه وجوبُ علم أحكام البيوع على مَنْ يباشِرُ التجارة.

• **الشافعي**: عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: بلغَ عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه أنَّ رجلاً باع خمراً فقال: قاتلَ اللهُ فلاناً باعَ الخمر، أمَا عَلِمَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**قاتَلَ اللهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشحومُ فجمَّلوها فباعوها**»[٣].

• **الشافعي**: عن رواية الزعفراني عنه أنَّ عمر قال: البيِّعان بالخيارِ ما لم يتفرَّقا[٤].

• **الشافعي**: أنَّ عمرَ قال: البيعُ صفقةٌ أو خيارٌ، ثم ضعَّفه الشافعي جداً قال: وتأويله إنْ صحَّ البيعُ صفقة، بعدها تفرّقٌ أو خيارٌ.

قلت: ويحتمل أن يكون معناه: البيعُ إمّا صفقةٌ نافذةٌ، أو خيارٌ قاطعٌ للبيع.

• عن **الشعبي** قال: أخذ عمرُ بنُ الخطّاب فرساً من رجلٍ على

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٨٥) برقم: (١٤٢٥٤).
(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٤٨٧).
(٣) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٨٣) رقم: (١٣٨٤)
(٤) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ١٣٨) برقم: (٦٦٦).

سَوْمٍ، فحمل عليه رجلاً فعطبَ عنده، فخاصمه الرجلُ، فقال: اجعل بيني وبينك رجلاً، فقال الرجل: فإنِّي أرضى بِشُرَيْحِ العراقي، فَأَتَوْا شريحاً، فقال شريحٌ لعمر: أخذته صحيحاً سليماً، وأنتَ له ضامنٌ، حتى تردَّه صحيحاً سالماً، فأَعْجَبَ عمرَ بنَ الخطاب، فعيّنه قاضياً[1].

قلت: احتجَّ الشافعيُّ بهذه القصة على أنَّ المأخوذ بسومِ الشراءِ مضمونٌ.

• **مالك**: عن زيد بن أسلم عن **عطاء بن يسار**: أنَّ معاوية بن أبي سفيان باع سقايةً من ذهب أو وَرِقٍ بأكثر من وزنها، فقال له أبو الدرداء: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ ينهى عن مثل هذا إلا مِثلاً بمثلٍ، فقال له معاوية: ما أرى بمثل هذا بأساً، فقال أبو الدرداء: مَنْ يعذرني من معاوية؟ أنا أخبره عن رسولِ اللهِ ﷺ، ويخبرني عن رأيه، لا أساكِنُكَ بأرضٍ أنتَ بها، ثم قدم أبو الدرداء على عمر بن الخطاب، فذكر ذلك له، فكتبَ عمرُ بنُ الخطّاب إلى معاوية أن لا تبيعَ ذلك إلا مثلاً بمثلٍ، وزناً بوزنٍ[2].

• **مالك**: عن نافع عن **عبد الله بن عمر** أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب قال: لا تبيعوا الذهبَ بالذهبِ إلا مثلاً بمثلٍ، ولا تشِفوا بعضها على بعضٍ، ولا تبيعوا الوَرِق بالوَرِقِ إلا مثلاً بمثلٍ، ولا تشفوا بعضَها على بعضٍ، ولا تبيعوا الوَرِقَ بالذهبِ أحدهما غائبٌ والآخر ناجزٌ، وإن استنظركَ إلى أنْ يلجَ بيته فلا تُنْظِرْهُ، إني أخافُ عليكم الرماءَ، والرماءُ هو الربا[3].

• **مالك**: عن **عبد الله بن دينار** عن ابن عمر نحواً من ذلك[4].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٩/ ١٥٠).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٣٦). (٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٣٧).

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٣٨).

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **مالك بن أوس** بن الحدثان النصري: أنّه التمسَ صرفاً بمائة دينار، قال: فدعاني طلحةُ بن عبيد الله، فتراوضنا، حتى اصطرفَ منِّي، وأخذ الذهبَ يقلِّبها في يده، ثم قال: حتى يأتيني خازني من الغابة، وعمر بن الخطاب يسمعُ، فقال عمر: واللهِ لا تفارِقَه حتّى تأخذ منه، ثم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الذهبُ بالوَرِقِ ربا إلا هاءَ وهاءَ، والبُرُّ بالبُرِّ ربا إلا هاءَ وهاءَ، والتَّمْرُ بالتَّمْرِ ربا إلا هاءَ وهاءَ، والشعيرُ بالشعيرِ ربا إلا هاءَ وهاءَ**»(١).

• **ابن ماجه**: أنَّ عمرَ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ توفي ولم يبيِّنِ الربا، فدعوا الربا والريبة، هذا أو نحوه.

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** قال: قال عمرُ: لا تسلِّموا في فراخٍ حتى يبلغَ.

قلت: معناه عند **مالك** وغيره النهيُ عن بيع الزرع حتى يشتدَّ الحبُّ، ومثلُه بيعُ التمرِ حتّى يبدوَ صلاحُه، الإسلامُ هنا الاشتراءُ قبل وجودِ المبيع، ومعناه عند **أبي حنيفة**: النهي عن السَّلَمِ قبل وجود المُسْلَمِ فيه.

• **مالك**: عن نافع عن **عبد الله بن عمر** أنَّ عمرَ بن الخطاب قال: من باعَ عبداً وله مالٌ، فمالُه للبائعِ إلّا أن يشترطه المبتاعُ(٢).

وروي مثل ذلك عن ابن عمر عن النبيِّ ﷺ، وصحَّح البخاريُّ كلتا الروايتين، قاله البيهقي.

• **مالك**: عن **نافع**: أنَّ حكيمَ بن حزام ابتاعَ طعاماً أمرَ به عمرُ بنُ الخطاب للناسِ، فباع حكيمٌ الطعامَ قبل أن يستوفيه، فبلغ ذلك عمرَ بنَ

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٤٥). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٢٦٤).

الخطاب، فردَّ عليه، وقال: لا تَبعْ طعاماً حتّى تستوفِيَهُ(١).

• **مالك**: عن ابن شهاب أنَّ **عبيد الله بن عبد الله** بن عتبة بن مسعود أخبره: أنَّ عبدَ الله بن مسعود ابتاعَ جاريةً من امرأته زينب الثقفية، واشترطتْ عليه أنَّكَ إن بعتَها فهي لي بالثّمن الذي تبيعها به، فسأل عبدَ الله بن مسعود عن ذلك عمر بن الخطاب، فقال عمر بن الخطاب: لا تَقْرَبْها وفيها شرطٌ لأحدٍ(٢).

• **البغوي**: عن **ابن أبي أوفى**: كنا نسلِفُ في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنه في الحنطةِ والشعيرِ والزبيبِ والتمرِ إلى قومٍ ما هو عندهم(٣).

• **مالك**: عن يونس بن يوسف عن **سعيد بن المسيب**: أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ مرَّ بحاطب بن أبي بلتعة وهو يبيعُ زبيباً له بالسوق، فقال له عمرُ بنُ الخطاب: إمّا أن تزيدَ في السعر، وإمّا أن ترفعَ من سوقنا(٤).

• **الشافعي**: عن **القاسم بن محمد**، عن عمر رضي الله عنه: أنه مرَّ بحاطب بسوق المصلى، وبين يديه غرارتانِ فيهما زبيبٌ، فسأله سعرهما، فسعر له مدّين لكلِّ درهم، فقال له عمر: قد حُدّثتُ بعيرٍ مقبلةٍ من الطائف، تحمل زبيباً، وهم يعتبرون بسعرك، فإمَّا أن ترفعَ في السعر، وإمّا أن تدخل زبيبك البيتَ، فبعته كيف شئتَ، فلمّا رجع عمر حاسبَ نفسه، ثم أتى حاطباً في داره، فقال له: إنَّ الذي قلت ليس بعزمةٍ منّي، ولا قضاء، إنّما هو شيءٌ أردتُ به الخيرَ لأهل البلد، فحيث شئتَ فبع وكيف شئتَ فبع(٥).

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٥٩). (٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (٨/ ١٧٤).

(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٩١٤٥).

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٩٩).

(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٩/ ٤٧٥).

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ عمر بن الخطاب قال: لا حكرةَ في سوقنا، لا يعمدُ رجالٌ بأيديهم فضولٌ من أذهابٍ إلى رزقٍ من أرزاقِ اللهِ، نزل بساحتنا فيحتكرونه علينا، ولكنْ أيّما جالبٍ جلبَ على عمودِ كبدِه في الشتاءِ والصيفِ، فذلك ضيفُ عمر، فليبعْ كيفَ شاءَ، وليمسِكْ كيف شاءَ[١].

• **مالك والبغوي**: أنَّ عمر بن الخطاب خطبَ، فقال: أمّا بعدُ! أيُّها الناسُ إنَّ الأسيفعَ أسيفعَ جهينة رضي من دينه وأمانته بأنْ يُقالَ: سبق الحاجُّ وإنّه ادّان معرضاً، فأصبحَ قد دِينَ به، فَمَنْ كان له عليه دينٌ فليأتنا بالغداةِ، نقسم ماله بين غرمائه، وإيَّاكم والدَّين، فإنَّ أوّله هَمٌّ وآخِرُه حربٌ[٢].

• **مالك**: أنه بلغه أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب قال في رجل أسلفَ رجلاً طعاماً على أن يعطيَه إيّاه في بلدٍ آخر، فكره ذلك عمرُ بنُ الخطّاب وقال: فأينَ الحَمْلَ[٣].

• **مالك**: عن زيد بن أسلم عن **أبيه** في قصة خروج عبد الله وعبيد الله إلى العراق، وإسلاف أبي موسى إيّاهما، واشترائهما بذلك المال متاعاً، وربحهما في ذلك المال، قال عمر: أكلُّ الجيشِ أسلفَه مثل ما أسلفكُما؟ قالا: لا، فقال عمر بن الخطاب: ابنا أميرِ المؤمنين، فأسلفكما، أدِّيا المالَ وربحَه، فأمّا عبدُ اللهِ فسكت، وأمّا عبيد الله فقال: ما ينبغي لك يا أميرَ المؤمنين هذا، لو نقصَ هذا المالُ أو هلكَ لَضَمِنّاه، فقال عمر: أدِّياه، فسكت عبد الله، وراجعه عبيد الله، فقال رجلٌ من

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٩٨).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨٤٦)، و«شرح السُّنَّة» (٨/ ١٩٠).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٥١٠).

جلساءِ عمر: يا أميرَ المؤمنين! لو جعلتَه قراضاً، فقال عمر: قد جعلتُه قراضاً، فأخذ عمرُ رأسَ المالِ ونصفَ ربحه، وأخذَ عبدُ الله وعبيدُ الله ابنا عمر بن الخطاب نصفَ ربحِ المالِ[١].

قال المزنيُّ: وَجْهُ جعل عمر نصفَ ربحِ ابنيه للمسلمينَ عندي أنَّهما أجابا قول عمر عن طِيبِ أنفسهما[٢].

• **البخاري والبغوي**: أنَّ عمرَ عاملَ الناسَ على أنّه إن جاء عمر بالبذر من عنده فله الشطر، وإن جاؤوا بالبذر فلهم كذا[٣].

• **البغوي**: أنَّ **الصعب بن جُثامة** قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لَا حِمَى إلَّا للهِ وَرَسُوْلِهِ**»[٤].

قال الزهري: وقد كان لعمر بن الخطاب حمىً، بلغني أنّه كان يحميه لإبل الصدقة[٥].

• **مالك والشافعي**: عن زيد بن أسلم عن **أبيه**: أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب استعملَ مولىً له يدعى هنيّاً على الحمى، فقال: يا هني! اضمم جناحَكَ عن الناسِ، واتَّقِ دعوةَ المظلومِ، فإنَّ دعوةَ المظلوم مجابةٌ، وأدخل ربَّ الصُّريمةِ وربَّ الغُنيمة، وإيَّاك ونَعَمَ ابنَ عفَّانٍ ونَعَمَ ابنَ عوفٍ، فإنَّهما إنْ تهلك ماشيتُهما يرجعانِ إلى المدينة إلى زرعٍ ونخلٍ، وإنَّ ربَّ الصريمةِ وربَّ الغُنيمة إن تهلِكْ ماشيتُه يأتني ببنيه، فيقول: يا أميرَ المؤمنين! يا أميرَ المؤمنين! أفتارِكُهم أنا، لا أبا لكَ، فالماءُ والكلأُ أيسرُ عليَّ من الذَّهَبِ والوَرِقِ، وايم اللهِ إنَّهم ليرونَ أنِّي قد

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٥٣٤).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ١٣٩).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٣٢٧)، باب: (٨)، و«شرح السُّنَّة» (٨/ ٢٥٨).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٥٣٨).
(٥) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٥٣٨).

ظلمتُهم، إنَّها لبلادُهم ومياهُهم، قاتلوا عليها في الجاهليةِ، وأسلموا عليها في الإسلامِ، والَّذي نفسي بيده لولا المالُ الذي أَحْمِلُ عليه في سبيلِ اللهِ ما حميتُ عليهم من بلادِهِم شبراً[١].

• **البغوي**: روي أَنَّ عُمَرَ حَمَى السَّرِفَ وَالرَّبَذَةَ[٢].

قلت: وجه التطبيق عند الشافعيِّ والجمهور أنَّ الحمى لمصلحةِ نفسِه حرامٌ، ولِنَعَمِ بيتِ المال ولمصلحةِ ضعفةِ المسلمينَ جائزٌ، وهو معنى قوله ﷺ: **«لا حِمَى إلا للهِ وَرَسُوْلِهِ»**.

• **البغوي**: روي عن عمرَ بنَ الخطّاب أنَّه أقطعَ، واشترطَ العمارةَ ثلاث سنين[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحكم** قال: قال عمر: مَنْ ملكَ ذا رَحِمٍ محرم فهو حُرٌّ[٤].

• **أبو بكر**: عن **الزهري** قال: قضى أبو بكر وعمر: إن لم يجز فلا شيءَ له؛ يعني: الهبة[٥].

• **أبو بكر**: عن **عكرمة بن خالد المخزومي**: أنَّ رجلاً كاتبَ عبده على غلامينِ يصنعانِ مثل صناعته، فارتفعا إلى عمر بن الخطاب، فقال: إن لم يجئك بغلامين يصنعان مثل صناعته فَرُدَّهُ إلى الرقّ[٦].

• **أبو بكر**: عن **أنس** قال: أتانا كتابُ عمرَ ونحن بأرضِ فارس أن لا تبيعوا السيوف فيها حلقة فضة بالدَّراهم[٧].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٨٢٢)، و«مسند الشافعي» برقم: (١٧٨١).
(٢) «شرح السُّنَّة» (٨/ ٢٧٤)
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (٨/ ٢٧٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٧٦) برقم: (٢٠٠٧٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٨٠) برقم: (٢٠١٢٣).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٨٢) برقم: (٢٠١٤٩).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٨٥) برقم: (٢٠١٨٤).

• **أبو بكر**: عن حزام بن هشام الخزاعي عن **أبيه** قال: شهدتُ عمرَ بنَ الخطاب باعَ إبلاً من إبلِ الصدقة فيمن يزيد[١].

• **أبو بكر**: عن **مجاهد عن أبي عياض** قال: قال عمرُ: إذا مررتَ ببستانٍ فَكُلْ، ولا تتَّخذ خبنةً[٢].

• **أبو بكر**: عن **عبيد الله** قال: قال عمرُ: من احتكرَ طعاماً، ثم تصدَّقَ برأسِ ماله والربح، لم يكفَّرْ عنه[٣].

• **الشافعي**: إن أنس بن مالك كاتبَ غلاماً له على نجومٍ إلى أجلٍ، فأراد المكاتبُ تعجيلَها ليُعْتَقَ، وامتنع أنسٌ عن قبولها، وقالَ: لا آخذها إلّا عند محلِّها، فأتى المكاتِبُ عمرَ بنَ الخطّاب، فذكر ذلك له، فقال عمر: إنَّ أنساً يريدُ الميراثَ، فأمره عمرُ بأخذِها منه، وأعتقَه[٤]، ذكره البيهقي في باب «إذا أتاه بحقِّه قبل محلّه ولا ضَرَرَ عليه في أخذِه».

• **البيهقي**: عن **أبي العوام البصري** قال: كتبَ عمرُ إلى أبي موسى الأشعري: والصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلّا صُلْحاً أحلَّ حراماً، أو حرَّمَ حلالاً[٥].

• **الشافعي**: إنَّ عمر بن الخطاب أعطى مالَ يتيمٍ مضاربةً[٦].

• **البيهقي**: عن **ابن عمر** أنَّ عمر بن الخطاب قال: أيما رجلٍ أكرى كراءً، فجاوز صاحبُه ذا الحُليفة فقد وجبَ كراؤه، ولا ضمانَ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٨٦) برقم: (٢٠٢٠١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٩٤) برقم: (٢٠٣٠٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٣٠١) برقم: (٢٠٣٩١).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٩/ ٤٩١).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ٨٥).
(٦) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ١٣٤)، و«كتاب الأم» (٧/ ١٠٨).

عليه، يريد ـ والله أعلم ـ قبضه ما اكترى، فيكون عليه الكراء حالاً، ولا ضمانَ عليه فيما اكترى إذا لم يتعدَّ[١].

• **مالك والشافعي**: عن **ابن عمر** أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب قال: مَنْ أحيا أرضاً ميتةً فهي له[٢].

• **مالك والشافعي**: إنَّ الضحاك بنَ خليفة ساق خليجاً له من العريض، فأرادَ أن يمرَّ به في أرض محمد بن مَسْلمة، فأبى محمَّدٌ، فقال له الضحّاك: لم تمنعني وهو لك منفعةٌ؟ تشربُ به أولاً وآخراً، ولا يضرُّكَ، فأبى محمَّدٌ، فكلَّم فيه الضحاكُ عمرَ بنَ الخطاب، فدعا عمرُ بنُ الخطّاب محمدَ بنَ مَسْلَمَةَ، فأمره أن يخلّي سبيله، فقال محمّدٌ: لا، فقال عمر: لِمَ تمنعْ أخاكَ ما ينفعُه وهو لك نافعٌ؟ تسقي به أولاً وآخراً، وهو لا يضرّك، فقال محمد: لا واللهِ، فقال عمر: واللهِ ليمرنَّ به ولو على بطنِكَ[٣].

الشافعي عن **ابن عمر**: أنَّ عمر قال: يا رسولَ اللهِ! إني أصبتُ من خيبرَ مالاً، لم أصبْ مالاً قط أعجبَ إليَّ، أو أعظمَ عندي منه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: إن شئتَ حبَّستَ أصلَه، وسبَّلتَ ثمرَه، فتصدَّق به عمرُ، أنه لا يباعُ أصلُها، ولا يوهَبُ، ولا يُورَثُ، وتصدَّق بها في الفقراءِ، وفي القُربى، وفي الرقابِ، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف، لا جناحَ على مَنْ وليها أنْ يأكلَ منها بالمعروفِ، أو يطعمَ صديقاً غير

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ١٢٣) برقم: (١١٤٥١)، و«معرفة السنن والآثار» (١٠/ ١٥٠).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٥٢)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١١٣)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٠٣).

(٣) «موطأ مالك» رقم: (٢٧٦٠)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١١٦)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٣٠).

متموّلٍ فيه، وفي روايةٍ: غير متأثّلٍ مالاً[١].

• **مالك والشافعي**: عن **مروان بن الحكم** أنّ عمر بن الخطاب قال: من وهبَ هِبَةً لصلةِ رحم، أو على وَجْهِ صدقةٍ، فإنّه لا يرجعُ فيها، ومن وهبَ هبةً يرى أنّه إنّما أرادَ بها الثواب، فهو على هبته، يرجعُ فيها إنْ لم يرضَ منها[٢].

• **مالك والشافعي**: عن معاوية بن عبد الله بن بدر الجهني أنّ أباه أخبره: أنّه نزل منزلَ قومٍ بطريق الشام، فوجدَ صُرّةً فيها ثمانون ديناراً، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، فقال له عمرُ: عرِّفها على أبوابِ المساجدِ، واذكُرْها لمن يَقْدِمُ من الشام سنةً، فإذا مضتِ السَّنةُ فشأنُكَ بها[٣].

زاد في روايةٍ: فإن عرفتَ فذلك، وإلّا فهيَ لك، وأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أمرنا بذلك.

• **مالك**: عن **ابن شهاب** يقول: كانت ضوّالُ الإبل في زمانِ عمرَ بن الخطاب إبلاً مؤبّلة، تناتِجُ، لا يمسّها أحدٌ، حتى إذا كان زمانُ عثمان بن عفان أمرَ بتعريفها، ثم تباعُ، فإذا جاءَ صاحبُها أُعطيَ ثمنَها[٤].

• **مالك والشافعي**: عن ابن شهاب عن **سُنين أبي جميلة** رجلٌ من بني سُلَيْم: أنّه وجدَ منبوذاً في زمان عمر بن الخطاب، فجاء به إلى عمر بن الخطاب فقال: ما حملك على أخذ هذه النسمة؟ قال: وجدتُها

(١) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ٢٣٢).

(٢) «موطأ مالك» رقم: (١٢٤٤)، و«كتاب الأم» (٤/ ٦١).

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨٠٣)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١٠٢)، و«كتاب الأم» (٤/ ٦٩).

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨١٠).

ضائعةً، فأخذتُها، فقال له عريفه: يا أمير المؤمنين! إنّه رجلٌ صالحٌ، قال: أكذلك؟ قال: نعم، قال عمر: اذهب فهو حُرٌّ، ولك ولاؤه، وعلينا نفقته؛ يعني: لك ولاؤه؛ أي: نصرتُه، والقيامُ بحفظِهِ[١].

كتاب النكاح

• **أبو بكر**: عن **طاوس**، قال عمر لأبي الزوائد: ما يمنعُكَ من النكاح إلا عَجْزٌ أو فجورٌ[٢].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم بن محمد** بن المنتشر قال: قال عمر: ابتغوا الغنى في الباءة[٣].

• **الشافعي**: بلغنا أنَّ عمر بن الخطاب قال: ما رأيتُ مثل مَنْ ترك النكاحَ بعد هذه الآية: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢][٤].

• **أبو بكر**: عن هشام عن **أبيه** قال: قال عمر: لا تُكْرِهوا فتياتكم على الرجلِ الدَّميم من الرجالِ، فإنهنَّ يحببن من ذلك ما تحبّون[٥].

• **أبو بكر**: عن **عاصم**، قال عمرُ بنُ الخطاب: عليكم بالأبكارِ من النساءِ، فإنهنَّ أعذبُ أفواهاً، وأصحُّ أرحاماً، وأرضى باليسيرِ[٦].

• **أبو بكر**: عن **محمد بن سيرين** قال: قال عمر بن الخطاب: ما

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٣٣)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١٨)، و«كتاب الأم» (٤/ ٧١).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٣) برقم: (١٥٩١٠).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» رقم: (١٦١٦٢).

(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٢٠٧)، و«كتاب الأم» (٥/ ١٤٤).

(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٤٩) برقم: (١٧٦٦٧).

(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٢) برقم: (١٧٦٩٤).

بقي فيَّ من أخلاق الجاهلية شيءٌ إلا إنّي لستُ أبالي أيَّ المسلمين نكحت، وأيّهم أنكحت[١].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم بن محمد** بن طلحة قال: قال عمر: لأمنعنَّ فروجَ ذواتِ الأحسابِ من النساءِ إلا من الأَكْفَاءِ[٢].

قلت: وجه التطبيق أنَّ الكفاءةَ حقُّ الزوجة ووليِّها، لئلا يلزمهما العار، فإن أسقطا حقَّهما لرعايةِ مصلحةٍ دينية فذلك محبوبٌ مندوبٌ إليه.

• **أبو بكر**: عن عبد الرحمٰن بن معبد أنَّ عمر بنَ الخطاب ردَّ نكاح امرأةٍ نكحت بغيرِ إذن وليّها[٣].

• **أبو بكر**: عن طاوس عن عمر قال: لا نكاحَ إلّا بوليٍّ[٤].

• **أبو بكر**: عن **عَمْرو بن أبي سفيان** قال: قال عمرُ: لا تُنْكَحُ المرأةُ إلا بإذنِ وليها، وإن نكحت عشرةً، أو بإذنِ سلطانٍ[٥].

• **أبو بكر**: عن **طاوس** قال: أُتِيَ عمرُ بامرأةٍ قد حملتْ، فقالت: تزوَّجني فلانٌ، فقال: إني تزوَّجتها بشهادةٍ من أمي وأختي، ففرَّق بينهما، ودرأ عنهما الحدَّ، وقال: لا نكاحَ إلّا بوليٍّ[٦].

• **أبو بكر**: عن **عكرمة بن خالد** قال: جمعت الطريقُ ركباً، فجعلتِ امرأةٌ منهم ثيِّب أمرَها إلى رجلٍ من القومِ غيرَ وليِّها، فأنكحَها رجلاً، قال: فجلد عمرُ الناكحَ والمنكِحَ، وفرَّق بينهما[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٢) برقم: (١٧٦٩٩).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٢) برقم: (١٧٧٠٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٤) برقم: (١٥٩٢٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٦) برقم: (١٥٩٣٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٥) برقم: (١٥٩٢٩).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٥) برقم: (١٥٩٣٢).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٦) برقم: (١٥٩٤٢).

• **أبو بكر**: عن **بكر**: تزوَّجتِ امرأةٌ بغيرِ وليٍّ ولا بيِّنةٍ، فكُتِب إلى عمر، فكتبَ أن تجلد مائة، وكتب إلى الأمصار: أيّما امرأةٍ تزوَّجتْ بغيرِ وليٍّ فهي بمنزلةِ الزانية[١].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** قال: قال عمرُ: تُسْتَأْمَرُ اليتيمةُ في نفسِها، فرضاها أن تسكتَ[٢].

• **مالك والشافعي**: عن **سعيد بن المسيّب** أنه قال: قال عمرُ بنُ الخطاب: لا تُنْكَحُ المرأةُ إلّا بإذنِ وليها، أو ذي الرأي من أهلِها، أو السلطانِ[٣].

• **مالك والشافعي**: عن أبي الزّبير: أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب أُتِيَ بنكاحٍ لم يَشْهَدْ عليه إلا رجلٌ وامرأةٌ، فقال: هذا نكاحُ السرِّ، ولا أجيزُهُ، ولو كنتُ تقدّمتُ فيه لرجمتُ[٤].

• **الشافعي**: عن **الحسن وسعيد بن المسيب** أنَّ عمرَ رضي الله عنه قال: لا نكاحَ إلا بوليٍّ وشاهدَيْ عَدْلٍ[٥].

قال الشافعي: والذي روى الحجاج بن أرطأة عن عطاء، عن عمر، أنّه أجاز شهادةَ النساءِ مع الرجلِ في النكاحِ مُنْقَطِعٌ، والحجَّاجُ لا يُحْتَجُّ به[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٥٦) برقم: (١٥٩٤٦).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٦٠) برقم: (١٥٩٨٥).

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩١٥)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٢٢).

(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٦٠)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٤١٩)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٣٥).

(٥) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ١٢٦) برقم: (١٣٥٠٥).

(٦) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٢٦٩).

• **الشافعي وأحمد بن حنبل**: في خطبة عمر بالجابية قوله: ولا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ، فإنَّ الشيطانَ ثالثُهما[١].

• **أبو بكر**: عن **حميد بن عبد الرحمٰن** قال: قال عمرُ: ألا لا يلجُ رجلٌ على امرأةٍ إلا وهيَ ذات محرمٍ منه، قيل: حَمُوها؟ قال: ألا إنَّ حموها الموتُ[٢].

• **البيهقي**: روينا عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه كتبَ إلى أبي عبيدة بن الجراح ﷺ: أمّا بعدُ؛ فإنَّه بلغني أنّ نساءً من نساء المسلمين يدخُلْنَ الحماماتِ، ومعهنّ نساءُ أهلِ الكتاب، فامنَعْ ذلك وحُلْ دونَهُ[٣].

وفي رواية: فإنّه لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن باللهِ واليوم الآخر أن تنظرَ إلى عورتها إلا أهلُ ملّتها[٤].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** قال: قال عمرُ: أيَّما عبدٌ نكحَ حُرَّةً فقد أعتقَ نصفَهُ، وأيّما حُرٌّ نكحَ أَمَةً فقد أرَّقَ نصفَه[٥].

• **أبو بكر**: عن عمر أنّه نهى أن يتزوَّجَ العربي الأَمَةَ[٦].

• **أبو بكر**: عن شقيق قال: تزوَّجَ حذيفةُ يهوديةً، فكتبَ إليه عمر أن خلِّ سبيلها، فكتب إليه: إنْ كانت حراماً خليتُ سبيلَها، فكتب إليه: إنِّي لا أزعمُ أنّها حرامٌ، ولكنِّي أخافُ أن يُغاظوا المؤمنات منهنَّ[٧].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١١٤)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٢٢٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٤٨) برقم: (١٧٦٥٦).
(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٩٥) برقم: (١٣٣٢٠).
(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٩٥) برقم: (١٣٣٢١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٦٦) برقم: (١٦٠٦٥).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٢) برقم: (١٧٧٠٠).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٧٤) برقم: (١٦١٦٣)، وفيه: «أن تعاطَوا =

أبو حنيفة، عن حمّاد، عن إبراهيم، عن **حذيفة بن اليمان**، أنَّه تزوَّجَ يهوديةً بالمدائن، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنْ خلِّ سبيلَها؛ فكتبَ إليه: أحرامٌ هي يا أميرُ المؤمنين؟ فكتب إليه: أعزمُ عليكَ أنْ لا تضعَ كتابي حتّى تخليَ سبيلَها، فإنِّي أخافُ أن يقتديَ بك المسلمون، فيختاروا نساءَ أهلِ الذمَّةِ لجمالهنَّ، وكفى بذلك فتنةً لنساءِ المسلمين(١).

• **أبو بكر**: عن عُبيد الله بن عبد الله عن **أبيه** قال: سُئِلَ عمرُ عن جَمْعِ الأُمِّ وابنتها من مِلْكِ اليمينِ، فقال: لا أحبُّ أن أجيزَهما جميعاً(٢).

• **أبو بكر**: عن **أبي نضرة** قال: جاء رجلٌ إلى عمر فقال: إن لي وليدة وابنتها، وإنّهما قد أعجبتاني، أفأطأهما؟ قال: آيةٌ أحلّت وآيةٌ حرَّمت، أما أنا فلم أكن أقربَ هذا(٣).

قلت: نازع البغوي في ذلك فقال: قوله: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ﴾ [النساء: ٢٣]، أخصّ في هذا الحكم من قوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾؛ لأن الآية الأولى في بيانِ ما حُرِّم علينا، وقوله: ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ﴾ [النساء: ٣] في الأمر بحُسْنِ الائتمارِ، ومثل ذلك لا يعمُّ.

والأوجه عندي: أنَّ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ [النساء: ٢٣]، في سياق المنكوحات، إنَّما أُريدَ به الجمع

= الموسسات منهنّ»، وكذا في «سنن سعيد بن منصور» (ح: ٦٩٢)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ١٧٢).

(١) انظر: «كتاب الآثار»، لمحمد بن الحسن رقم: (٤١٥).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٨١) برقم: (١٦٢٤٤).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٨٢) برقم: (١٦٢٥٠).

بالنكاح؛ لأنّه معلومٌ أنَّ الجمع في البيت والجمع في الملك من غير وطء ليس بمحرَّم، فلا بدَّ للجمع المنهي عنه من مَحَلٍّ، وما هو إلّا النكاحُ في سياق الآية، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦] في بيان ما أحلَّ الله، فكأن عمرُ بنُ الخطاب أراد أنّ آيةَ ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟﴾، حَرَّمَتْ من طريقِ القياسِ الجلي الإماءَ على المنكوحات، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ﴾، أحلَّتْ من جهةِ العموم، والله أعلم.

• **أبو بكر**: عن **عبد الرحمٰن بن غنم** عن عمر قال: لها شرطها، قال رجل: إذاً يُطَلِّقْنَنَا، فقال عمر: إنَّ مقاطعَ الحقوقِ عندَ الشَّرْط[١].

• **البيهقي**: روينا عن عمر بن الخطاب في رَجُلٍ تزوَّجَ امرأةً، وشرط لها أَنْ لا يخرجَها، قال: فوضع عنه عمرُ بنُ الخطاب ﷺ الشرطَ، وقال: المرأةُ مع زوجِها[٢].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** قال: كتبَ إلينا عمرُ أنَّ الأعرابي لا ينكح المهاجرة حتى يخرجَها من دارِ الهجرةِ[٣].

قلت: ذهبَ الأوزاعيُّ وأحمد وإسحاق إلى الأول، فإذا أراد أن يخرجَها أُمِرَ بالطلاقِ، و[ذهب] أبو حنيفة والشافعي إلى الثاني، والأوَّلُ أوثقُ من حديث عمر.

• **الشافعي**: عن **عبد الله بن عُتبة** عن عمر بن الخطّاب ﷺ أنه قال: ينكح العبدُ امرأتينِ، ويطلِّقُ تطليقتين، وتعتدُّ الأمةُ حيضتينِ، فإن لم

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٩٩) برقم: (١٦٤٤٩).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار» (١٢/ ٣٨).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٧) برقم: (١٧٣٤٤).

تكن تحيضُ فشهرين، أو شهراً ونصفاً[١].

• **أبو بكر**: عن **الحكم** قال: أجمعَ أصحابُ رسول الله ﷺ على أنَّ المملوك لا يجمعُ من النساءِ فوق اثنتينِ[٢].

• **مالك والشافعي**: عن ابنِ شهابٍ عن **سعيد بن المسيب** وعن **سليمان بن يسار**: أنَّ طُليحة الأسدية كانت تحت رُشَيْد الثقفي، فطلّقها، فنُكِحَتْ في عدتها، فضربها عمرُ بنُ الخطاب، وضربَ زوجَها بالمخفقة ضرباتٍ، وفرَّق بينهما، ثم قال عمر بن الخطاب: أيّما امرأةٍ نُكِحَتْ في عدَّتها، فإنْ كان زوجُها الذي تزوَّجها لم يدخلْ بها فرَّق بينهما، ثم اعتدت بقيةَ عدتها من زوجِها الأول، ثم كان الآخِرُ خاطباً من الخُطّاب، وإن كان دخلَ بها فرِّق بينهما، ثم اعتدَّتْ بقيةَ عدّتها من الأول، ثم اعتدّت من الآخرِ، ثم لا يجتمعانِ أبداً، وقال سعيد بن المسيب: ولها مهرُها بما استحلَّ منها[٣].

قال البيهقي[٤]: قال الشافعيُّ في القديم: لا يجتمعانِ أبداً، ثم رجعَ، وذكر **الثوريُّ** في «جامعه»: أنَّ عمرَ رجع عن ذلك.

• **مالك**: عن **أبي الزبير المكي**: أنَّ رجلاً خطبَ إلى رجلٍ أخته، فذكر أنَّها قد كانت أحدثت، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فضربه، أو كادَ يضربه، ثم قال: ما لَك وللخبرِ[٥].

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» رقم: (١٤٤٣)، و«السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٤٢٥) برقم: (١٥٢٢٨).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٦٥) برقم: (١٦٠٤٤).

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٦١)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٤٥٧)، و«كتاب الأم» (٥/ ٢٣٣).

(٤) «معرفة السنن والآثار» (١٢/ ٤٦٢).

(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٠١٣).

• **أبو بكر**: عن **طارق بن شهاب** أنَّ رجلاً أرادَ أن يُزوِّجَ ابنته فقالت: إنِّي أخشى أن أفضحَك، إنِّي قد بغيتُ، فأتى عمر فقال: أليستْ قد تابتْ؟ قال: نعم! قال: فزوِّجْها[١].

قلت: تمسَّكَ به مَنْ قال بجواز نكاح الزّانية، وفيه نظرٌ؛ لأنه يحتمل أن لا يكون زناها معلوماً بالبيِّنة، ولا رآها الزوجُ على تلك الحالة، فهذه حالةٌ عمياء، والأصلُ هو استصحابُ البراءةِ، فلقول عمر بن الخطاب مصدرٌ غيرَ هذا الذي زعموه، والحديث الثاني تأويله: أنَّ المنهيَّ عنه هو نكاحُ الزانيةِ غيرِ التائبةِ، فإذا تابتْ فالتائِبُ مِنَ الذنبِ كمن لا ذَنْبَ له.

• **أبو بكر**: عن **الحسن** أنَّ رجلاً تزوَّجَ امرأةً فأسرَّ ذلك، فكان يختلِفَ إليها في منزلها، فرآه جارٌ لها، يدخلُ عليها، فقذفه بها، فخاصمه إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أميرَ المؤمنين! هذا كان يدخلُ على جارتي[٢] ولا أعلمُه تزوَّجها، فقال له: ما تقول؟ فقال: تزوَّجتُ امرأةً على شيء دونٍ، فأخفيتُ ذلك، قال: فَمَنْ شهدكم؟ قال: أشهدتُ بعضَ أهلِها، قال: فدرأ الحدَّ عن قاذفه، وقال: أعلنوا هذا النكاحَ، وحصِّنوا هذه الفروج[٣].

• **أبو بكر**: عن **محمد بن سيرين** قال: نُبِّئْتُ أنَّ عمرَ ﵁ كان إذا سمع صوتاً أنكره، وسأل عنه، فإن قيل: عرس أو ختان، أقرَّه[٤].

• **البغوي**: روي أنَّ عمر وعثمان دُعِيَا إلى طعامٍ فأجابا، فلمّا

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٤١) برقم: (١٦٩٣٨).
(٢) في «المصنف»: «على جارية».
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٩٥) برقم: (١٦٣٩٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٩٥) برقم: (١٦٤٠٢).

خرجا، قال عمرُ لعثمان: لقد شهدتُ طعاماً وددتُ أنِّي لم أشهده، قال: وما ذاك؟ قال: خشيتُ أن يكونَ جُعِلَ مباهاةً[١].

• **أبو بكر والبغوي**: عن **أبي العجفاء السّلمي** عن عمر قال: لا تُغالوا في مهور النِّساء، فإنّها لو كانت مَكْرُمَةً في الدنيا، أو تقوى عند الله، لكان أحقَّكم بها محمدٌ ﷺ وأولاكم، ما زوَّجَ بنتاً من بناته، ولا تزوَّج شيئاً من نسائه إلّا على اثنتي عشر أوقية[٢].

• **أبو بكر**: عن **ابن سيرين** أنَّ عمرَ رخّصَ أن تصدق المرأةُ ألفين[٣].

• **الشافعي**: عن **محمد بن سيرين** أنَّ الأشعثَ بن قيس صحب رجلاً، فرأى امرأته، فأعجبته، فتُوفّي في الطريقِ، فخطبها الأشعثُ بن قيس، فأبت أن تتزوَّجه إلّا على حكمها، فتزوَّجها على حكمها، ثم طلّقها قبل أن تحكم، فقال: احكمي، فقالت: أحكّم فلاناً وفلاناً، رقيق كانوا لأبيه من تلادِه، فقال: احكمي غيرَ هؤلاء، فأبت، فأتى عمر رضي الله عنه، فقال: يا أميرَ المؤمنين! عجزتُ ثلاثَ مرّات، قال: ما هنّ؟ قال: عشقتُ امرأةً، قال: هذا ما لَمْ تملكْ، قال: ثم تزوَّجْتُها على حُكْمِها، ثم طلَّقتها قبل أن تَحْكُمَ، فقال عمر رضي الله عنه: امرأةٌ من المسلمين، قال الشافعيُّ رحمه الله: يعني عمر رضي الله عنه: لها مهرُ امرأةٍ من المسلمين[٤].

---

(١) «شرح السُّنَّة» (٩/ ١٤٤).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٩٢) برقم: (١٦٣٧١)، و«شرح السُّنَّة» (٩/ ١٢٤).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٩٤) برقم: (١٦٣٩٣).

(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٢٤٧) برقم: (١٤٢٠٤)، و«معرفة السنن والآثار» (١٢/ ٣١).

• **أبو بكر**: عن **النخعي** عن عمر نحو ذلك إلا أنه قال: أَرْضِها أَرْضِها[١].

• **أبو بكر**: عن ابن سيرين نحو ذلك إلا أنه قال: لها مهر نسائها[٢].

• **مالك والشافعي**: عن سعيد بن المسيب: أنَّ عمر بن الخطاب قضى في المرأةِ إذا يتزوَّجها الرجل أنها إذا أرخيت الستورُ فقد وجبَ الصَّداقُ[٣].

كان الشافعي في القديم يقول بقول عمر، ويقول: عمرُ أعلمُ بكتابِ اللهِ، وقد يجوزُ أن يكونَ إنَّما أراد الله بالتي طُلِّقت قبل أن تُمَسَّ التي لم يخلُ بها وتخلي بينه وبين نفسِها، ثم رجعَ في الجديدِ إلى أنَّ المهرَ إنّما يجبُ كاملاً بالمسيس، واعتمدَ على ظاهر الكتاب[٤].

قلت: يمكِنُ الجمعُ بين قول عمر وبين ظاهر الكتاب، فنقول: إذا تصادقا على أنّه لم يمسّها، فالقولُ بظاهرِ الكتاب، وإن قالت: مسَّني، وقال: لم أمسّها، فإن أُرخيت الستورُ صُدِّقت بيمينِها، وإن لَمْ تُرْخَ الستورُ صُدِّقَ بيمينه؛ لأنَّ الظاهر مع هذه في المسألة الأولى، ومع هذا في الثانية، فأظنُّ هذا معنى قول عمر.

• **الشافعي**: عن **طاوس**: أنَّ أبا الصهباء قال لابن عباس: إنّما كانت الثلاثُ على عهدِ رسول الله ﷺ تجعلُ واحدةً وأبي بكر، وثلاثٌ من إمارةِ عمر، فقال ابن عباس: نعم[٥].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» رقم: (١٧٤٩١).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» رقم: (١٧٤٩٤).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٣١)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٣٣).
(٤) «معرفة السنن والآثار» (١٢/ ٤٩).
(٥) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ١٩٢).

• **مسلم**: عن طاوس عن **ابن عباس** قال: كان الطلاقُ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ وأبي بكر وسنتين من خلافةِ عمرَ طلاقُ الثلاثِ واحدةٌ، فقال عمر بن الخطاب: إنَّ الناسَ قد استعجلوا أمراً كانتْ لهم فيه أناةٌ، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاهُ عليهم[1].

قلتُ: في هذا الحديثِ إشكالٌ قويٌّ؛ لأنَّ النسخَ لا يتصوَّر بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ، وانقطاعِ الوحي، فحكى البغويُّ[2] للعلماءِ ثلاثَ تأويلات: .

أحدها: معناه قولُ الرجل: «أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ، أنتِ طالقٌ» إنْ قصدَ الإيقاعَ بكلِّ لفظةٍ، تقعُ الثلاثُ، وإن قصدَ التوكيدَ فواحدةٌ، كانوا في الزمن الأول يصدّقون في أنّهم أرادوا واحدةً، فلمّا رأى عمر في زمانه أموراً أنكرها ألزمهم الثلاثَ.

ثانيها: معناه: طلاقُ الرجلِ لغيرِ المدخولِ بها أنتِ طالقٌ ثلاثاً لفظاً واحداً، ذهبَ أصحابُ عبد الله بن عباس أنّها واحدة، وقول عمر وعليه جمهور أهل العلم: إنها ثلاثٌ.

ثالثها: معناه: أنتِ بتةٌ، كان عمرُ رآها واحدة، فلمّا تتابع الناس ألزمهم الثلاث.

والأوجه عندي: أنَّ معناه أن قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يعدَّ (أنتِ طالقٌ ثلاثاً) مرَّةً واحدةً؛ لأنه أرسل الكلمةَ دفعةً واحدةً.

والثاني: أن ينظرَ إلى المعنى، كأنّه أراد أن يقول: أنتِ طالقٌ، ثم

---

(١) «صحيح مسلم» رقم: (١٤٧٢).
(٢) «شرح السُّنَّة» (٩/ ٢٢٩).

يقول: أنتِ طالقٌ، ثم يقول: أنتِ طالقٌ، فاختصر كلامه، وقال: أنتِ طالقٌ ثلاثاً، فهو دفعةٌ واحدة في الظاهر، ثلاث دفعاتٍ في المعنى.

فكأنّ الناسُ في زمان النبيِّ ﷺ لم ينكشفْ لهم الأمر، ولا سألوا النبيَّ ﷺ عن ذلك، فكانوا كثيراً ما يذهبون إلى الاحتمالِ الأوَّل، وكذلك في زمان الصدِّيق، فلمّا كان عمرُ ورفعت إليه المسألةُ، أفتاهم بالمعنى الثاني، وصرَّح بذلك، ولم يدعْ محلّاً لخلافٍ، ولِمَا قلنا نظائرُ كثيرة، فسَّرها أهلُ العلمِ كنحو ما فسّرنا، منها حديثُ بيع أمهاتِ الأولاد في زمان النبيِّ ﷺ، وأبي بكر، ثم نهى عمر عنه.

• **الشافعي**: عن **المطلب بن حنطب** أنّه طلَّق امرأته البتةَ، ثم أتى عمرَ بنَ الخطاب ﷺ، فذكر ذلك له، فقال له عمر: ما حملك على ذلك؟ فقال: قد قلته، فتلا عمر: ﴿...**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا** ﴿٦٦﴾﴾ [النساء]، قال: ما حملك على ذلك؟ قال: قد قلته، قال عمر: أمسكْ عليكَ امرأتك؛ فإنَّ الواحدةَ لا تبتُّ[1].

• **الشافعيُّ**: عن **سليمان بن يسار** أنَّ رجلاً من بني زُرَيْقٍ طلَّق امرأته البتَّةَ، فقال عمر: ما أردتَ بذلك؟ قال: أتراني أقيمُ على حرامٍ والنساءُ كثيرٌ، فأحلفَه فحلفَ، قال الشافعي: أراه قال: فردَّها عليه[2].

قال الشافعي: معنى قوله: «قلته» خرجَ مني بلا نيّة، وتلاوةُ عمر الآيةَ أنّه لو طلَّق ولم يذكر النيّةَ كان خيراً، فإنَّها كلمةٌ محدَثةٌ، فلمّا أخبره أنّه لم يرد به زيادةً على الطلاق ألزمه واحدةً.

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمر بن

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٢٦٨)، و«كتاب الأم» (٥/ ١٣٨)، و«معرفة السنن والآثار» (١٢/ ١٧٩).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٢/ ١٨٠)، و«كتاب الأم» (٥/ ١٣٨).

الخطاب قال: أيّما امرأةٍ فقدتْ زوجَها، فلم تدرِ أينَ هو، فإنّها تنتظر أربعَ سنين، ثم تعتدُّ أربعةَ أشهرٍ وعشراً، ثم تحلّ[(١)].

قال مالك: وأدركتُ الناس ينكرون الذي قال بعضُ الناس على عمر بن الخطاب أنه قال: يخيَّر زوجُها الأول إذا جاء في صداقها، أو في امرأته.

• قال **مالك**: وبلغني أنَّ عمر بن الخطاب قال في المرأةِ، يطلِّقُها زوجُها وهو غائبٌ عنها، ثم يراجِعُها، فلا يبلغُها رجعتُهُ، وقد بلغَها طلاقُه إيّاها، فتزوَّجت: إنّه إن دخلَ بها زوجُها الآخر، أو لم يدخلْ بها، فلا سبيلَ لزوجِها الأول الذي كان طلّقها إليها[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قالا في امرأةِ المفقودِ: تربَّص أربع سنين، وتعتدّ أربعةَ أشهرٍ وعشراً[(٣)].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمر وعثمان بن عفّان قالا: إنْ جاءَ زوجُها خيِّرَ بين امرأته وبين الصَّداقِ الأول[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي**، سئل عمرُ عن رجلٍ غابَ عن امرأته، فبلغها أنّه ماتَ، فتزوَّجت، ثم جاء الزوجُ الأول، فقال عمر: يخيَّرُ الزوجُ الأول بين الصداقِ وامرأته، فإنِ اختارَ الصداق، تركها مع الزوج الآخر، وإن شاء اختارَ امرأته.

وقال عليٌّ: لها الصداقُ بما استحلَّ الآخر من فرجها، ويفرّقُ بينه وبينها، ثم تعتدّ ثلاث حِيَضٍ، ثم تُرَدُّ على الأول[(٥)].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١٣٤). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١٣٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٢١) برقم: (١٦٧١٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٢٢) برقم: (١٦٧٢٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٢٢) برقم: (١٦٧٢٤).

قلتُ: لم يأخذ به الشافعيُّ في الجديد، وقال: كيف يؤخذ بعض الحديث، ويترك بعضُه، يعرِّضُ بمالك.

والأوجه عندي أنَّ المفقود له وجهان؛ يدخل بهما حاله في عموماتِ الشرع:

أحدهما: أنّه فوَّت الإمساك بالمعروف، فوجب عليه التسريحُ بالإحسان، فلمّا أنْ قصَّر في التسريحِ نابَ الشرعُ عنه، كما ينوبُ القاضي في بيع مالِ الماطلِ.

وثانيهما: أنَّه ميتٌ في ظاهرِ الحالِ، ونحن نحكمُ بالظاهرِ.

وعلى الأوّلِ قولُ مالكٍ أصوبُ؛ لأنَّه محكومٌ عليه بالتفريق بينه وبين زوجته، فكان كالمُطلِّق لها، فلا ترجعُ إليه، إلّا أنّ عدَّتها كعدة المتوفَّى عنها زوجُها؛ لأنَّ الزوجَ الغائب بمنزلة الميّتِ، وله نظائر كامرأةِ المجنونِ وامرأة المُعْسِرِ.

وعلى **الثاني** حكمُه بمنزلةِ مَنْ بلغَها نَعْيُ زوجِها، فاعتدَّتْ، ثم تزوَّجتْ، ثم حضر الزوجُ، فكان بناء فرقتها على خبرٍ كاذبٍ، فرد عليها ما زعمتْ، وأظنُّ أنّ عمرَ قد وجَّهَ الحكمَ إلى الأمرين بمنزلة القولين للمجتهد، فإنْ ذهبَ القاضي إلى الأول، فالأمرُ على قضاء مالك، وإن ذهبَ إلى الثاني فالأمرُ على ما روى أكثرهم عن عمر، والله أعلمُ بحقيقة الحال.

• **مالك**: عن **القاسم بن محمد**: أنّ رجلاً جعل امرأته عليه كظهر أمه إنْ هو تزوّجها، فأمره عمر بن الخطاب إن هو تزوَّجها أن لا يقربها حتى يكفِّرَ كفّارةَ المظاهِرِ(١).

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٠٥٧).

قلتُ: تعلّق به الحنفيةُ في مسألة إضافةِ الطلاق بالملك قبل أن يتزوَّج، ولعلَّ عمر بن الخطاب أجازَها مجازَ اليمين، فالبون بين الطلاق والظهار ظاهرٌ.

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد، وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثي، عن **سعيد بن المسيب** أنّه قال: قال عمر بن الخطاب: أيّما امرأةٍ طُلِّقَتْ فحاضتْ حيضةً أو حيضتينِ، ثم رفعتها حيضتُها، فإنّها تنتظِرُ تسعةَ أشهرٍ، فإنْ بانَ بها حملٌ فذلك، وإلّا اعتدَّتْ بعد التسعةِ أشهر ثلاثةَ أشهرٍ، ثم حَلَّتْ(١).

• **مالك**: عن **أبي هريرة** يقول: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّابِ يقولُ: أيّما امرأةٍ طلَّقها زوجُها تطليقةً أو تطليقتين، ثم تركَها حتّى تَحِلَّ وتنكحَ زوجاً غيره، فيموتُ عنها، أو يطلّقها، ثم ينكحُها زوجُها الأول، فإنَّها تكون عنده على ما بقيَ من طلاقها(٢).

• **مالك**: عن **عبد الله بن عمر** أنَّ عمرَ بن الخطاب قال: أيّما وليدةٍ ولدت من سيّدها، فإنّه لا يبيعُها، ولا يهبُها، ولا يورثُها، وهو يستمتع بها، فإذا ماتَ فهي حُرَّةٌ(٣).

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ عمرَ بنَ الخطّابِ أتته وليدةٌ قد ضربَها سيِّدها بنارٍ، أو أصابها بها فأعتقَها(٤).

قلتُ: ويشهَدُ له حديثُ النبيِّ ﷺ في قضية سندر مولى زنباع، ويشهد له المعقول؛ لأنَّ العبدَ ذو جهتين، مالٌ في بعض الحقوق، ونفسٌ في بعضِها، ولذلك جازت مكاتبته، فلمّا ظلمَ السيِّدُ عبدَه، وتجاوز

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١٦٢). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١٨٠).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨٧١). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨٧٢).

حكمَ الله فيه، ظهرت جهةُ كونه نَفْساً، وكمنت جهةُ كونه مالاً، فوجبتِ الديةُ، ثم عُوِّضَ عنها العِتْق؛ لأنَّ العِتْقَ يقعُ عوضاً عن المال، تولَّى الشرعُ ذلك كما تولَّى في وضع الدية، حيث امتنع القِصاصُ.

• **أبو حنيفة**، عن حماد، عن **إبراهيم**، عن عمر بن الخطاب في الرجل يُنْعَىٰ إلى امرأتِهِ فتتزوَّج، ثم يقدم الأول، قال: يخيَّرُ الأول، فإن شاء امرأته، وإن شاء الصَّداق(١).

• **محمد بن الحسن**: بلغنا عن عمر وعلي وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وحذيفة أنهم لم يجعلوا بيعَها طلاقها(٢).

• **أبو حنيفة**: عن حماد عن **إبراهيم** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتته امرأةٌ فقالت: طلَّقني زوجي، فحضتُ حيضتين، ودخلتُ في الثالثة حتى انقطعَ دمي، ودخلتُ مغتسلي، فوضعتُ ثوبي فأتاني فقال: قد راجعتُك قبل أن أفيضَ عليَّ الماء، فقال عمر رضي الله عنه لعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما: قُلْ فيها، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أُراه أملكُ برجعتها؛ لأنّها حائضٌ بعدُ لم تحلَّ لها الصلاة، قال عمر رضي الله عنه: وأنا أرى ذلك فردّها على زوجِها وقال: كُنَيِّفٌ مملوءٌ علماً(٣).

• **أبو حنيفة**: عن حماد عن **إبراهيم** أنَّ أبا كنف طلَّقَ امرأته تطليقةً، ثم غابَ، فأشهد على رجعتها، ولم يبلغْها ذلك، حتّى تزوَّجت، فجاء وقد هُيِّئَتْ لِتُزَفَّ إلى زوجِها، فأتى عمر بن الخطاب فذكرَ ذلك له، فكتب إلى عامله: أنْ أدركَها، فإنْ وجدتَها ولم يَدْخُلْ بها، فهو أحقُّ بها، وإن وجدْتَها قد دخلَ بها فهي امرأته، قال: فوجدها ليلةَ البناءِ،

---

(١) «كتاب الآثار»، لمحمد بن الحسن رقم: (٤٤٥).
(٢) «كتاب الآثار» رقم: (٤٨٣). (٣) انظر: «كتاب الآثار» رقم: (٤٨٣).

فوقعَ عليها وغدا إلى عامل عمر، فأخبر فعلم أنّه جاءَ بأمرٍ بَيِّنٍ(١).

وبهذا الإسناد: عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يقول: إذا طلَّقَ الرجلُ امرأته، ثم أشهدَ على رجعتها قبل أن تنقضيَ عدتُها، ولم يُعْلِمْها حتّى انقضتْ عدتها وتزوَّجت، فإنّه يفرَّق بينها وبين زوجِها الآخر(٢).

• **أبو حنيفة**: عن إسماعيل بن مسلم المكي عن **الحسن** عن عمر بن الخطاب أنَّ امرأةً أتته، فأخبرته أنَّ زوجها لا يصلُ إليها، فأجّله حولاً، فلمّا انقضى الحولُ، ولم يصل إليها، خيّرها، فاختارت نفسَها، ففرَّق بينهما عمرُ، وجعلها تطليقةً بائنةً(٣).

• **أبو بكر**: عن **أبي قلابة** عن عمر قال: إذا أُعْتِقَتِ الأمةُ، فلها الخيارُ ما لم يطأها زوجُها(٤).

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ أبا بكر وعمر كانا يَكْرَهانِ العزل، ويأمرانِ الناسَ بالغُسْلِ منه(٥).

• **أبو بكر**: عن **مكحول** قال: قلت للزهري: أما علمتَ أنَّ عمر حتّى انقضاء أجله، وابن مسعود بالعراق حتى انقضاء أجله، وعثمان بن عفان كانوا يستبرؤون الأمةَ بحيضةٍ، حتى كان معاوية، فكان يقول: حيضتان، فقال الزهري: وأنا أزيدك عبادةَ بن الصامتِ(٦).

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن عبيد** بن عمير قال: باع عبدُ الرحمٰن بن

---

(١) انظر: «كتاب الآثار» رقم: (٤٨٤). (٢) انظر: «كتاب الآثار» رقم: (٤٨٥).
(٣) انظر: «كتاب الآثار» رقم: (٤٩٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٠٦) برقم: (١٦٥٣٨).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥١١) برقم: (١٦٦٠٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥١٣) برقم: (١٦٦٢٥).

عوف جاريةً له، كان يقعُ عليها قبل أن يستبرئها، فظهر بها حملٌ عند الذي اشتراها، فخاصمه إلى عمر، فقال عمرُ: كنتَ تقع عليها؟ قال: نعم! قال: فَبِعْتَها قبل أن تستبرئها؟ قال: نعم! قال: ما كنتَ لذلكَ بخليقٍ! فدعا القافة، فنظروا إليه فألحقوه به[١].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** عن عمر قال: المتلاعنانِ يفرّق بينهما ولا يجتمعانِ أبداً[٢].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: لما فُتِحَتْ تُسْتَر، أصاب أبو موسى سبايا، فكتبَ إليه عمر أن لا يقعَ أحدٌ على امرأةٍ حتى تضعَ، ولا تشاركوا المسلمينَ في أولادِهم، فإنَّ الماءَ تمامُ الولدِ[٣].

• **أبو بكر**: عن **قُبيصة بن ذُؤيب** قال: قال عمر: حصنوهنَّ أو لا تحصنوهنَّ، لا تلدُ امرأةٌ منهنَّ على فراشِ أحدِكُم إلا ألحقتُه به؛ يعني: السراري[٤].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي** عن عمر قال: إذا أقرَّ بولده مرةً واحدةً، فليس له أنْ ينفِيَه[٥].

• **أبو بكر**: عن سليمان بن يسار: أنَّ عمرَ بن الخطاب رُفِعَ إليه خصيٌّ تزوَّجَ امرأةً ولم يُعْلِمْها، ففرَّق بينهما[٦].

• **أبو بكر**: عن هشام بن عروة عن رجلٍ حدَّثه: أنَّ امرأةً سألت

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥١٦) برقم: (١٦٦٥٧).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٩) برقم: (١٧٣٦٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٢٩) برقم: (١٧٤٦٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٤٤١) برقم: (١٧٤٩٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٣٩) برقم: (١٧٥٦٤).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٤٧) برقم: (١٧٦٤٦).

ابنها أن يزوِّجها، فكره ذلك، وذهب إلى عمر، فذكرَ ذلك له، فقال عمر: اذهب، فإذا كان غداً أتيتُكم، قال: فجاءَ عمرُ فكلَّمها، ولم يكثِرْ، ثم أخذ بيدِ ابنها، فقال له: زوِّجها، فوالذي نفسُ عمرَ بيده لو أنَّ حَنْتَمةَ بنتَ هاشم ـ يعني عمر: أُمَّ نفسِه ـ سألتني أن أزوِّجَها، لزوَّجتُها، فزوَّجَ الرجلُ أُمَّه[١].

• **أبو بكر**: عن **حارثة بن مضرب** قال: قال عمرُ: استعينوا على النساءِ بالعُرِي، إنَّ إحداهنَّ إذا كَثُرَتْ ثيابُها، وحَسُنَتْ زينتُها، أعجبَها الخروجُ[٢].

• **أبو بكر**: عن **أنس** قال: كان عمرُ إذا أُتِيَ برجلٍ قد طلَّقَ امرأته ثلاثاً في مجلسٍ أوجعه ضرباً، وفرَّق بينهما[٣].

• **أبو بكر**: عن **زيد بن وهب** أنَّ رجلاً بطَّالاً كان بالمدينة، طلَّق امرأته ألفاً، فرجعَ إلى عمر، فقال: إنَّما كنتُ ألعبُ، فعلا عمرُ رأسَه بالدِّرةِ، وفرَّق بينهما[٤].

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن شعيب** قال: وجدنا في كتاب عبد الله بن عمرو عن عمر: إذا عبثَ المجنونُ بامرأته طَلَّق عليه وليُّه[٥].

• **أبو بكر**: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده** قال: كتبتُ إلى عمر في رجلٍ مجنونٍ يُخافُ أن يقتلَ امرأته، فكتبَ إليَّ أن أجّله سنةً يتداوى[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٤٧) برقم: (١٧٦٥٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٣) برقم: (١٧٧١١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٦١) برقم: (١٧٧٩٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٦٢) برقم: (١٧٨٠١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٧٣) برقم: (١٧٩٢٩).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٧٣) برقم: (١٧٩٣٤).

• **أبو بكر**: عن **أبي لبيد** أنَّ عمر أجازَ طلاق السكران بشهادةِ نسوةٍ[١].

• **أبو بكر**: عن **عطاء** قال: أُتِيَ ابنُ مسعودٍ في رجلٍ قال لامرأته: حَبْلُكِ على غارِبِكِ، فكتبَ ابنُ مسعود إلى عمر، فكتب عمرُ: مُرْه فليوافيني بالموسم، فوافاه بالمَوْسِمِ، فأرسلَ إلى عليٍّ، فقال له عليٌّ: أُنْشِدُكَ باللهِ ما نويتَ؟ قال: امرأتي، قال: ففرَّق بينهما[٢].

• **أبو بكر**: عن الأوزاعي عن **رجلٍ** عن عمرَ بنِ الخطاب أنه لم يره شيئاً؛ يعني: طلاق المكره[٣].

• **أبو بكر**: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده** أنَّ رجلاً تزوَّج امرأةً على خالتها، فضربه عمرُ، وفرَّقَ بينهما[٤].

• **أبو بكر**: إنَّ غلاماً فجرَ بجاريةٍ، فظهرَ بالجاريةِ حَمْلٌ، فرُفِعَا إلى عمر بن الخطاب، فاعترفا، فجلدهما، وحَرِصَ أن يجمعَ بينهما، فأبى الغلامُ[٥].

• **أبو بكر**: عن **عاصم بن عمرو البجلي** قال: خرجَ ناسٌ من أهل العراق، فلمّا قدموا على عمر قال لهم: ممّن أنتُم؟ قالوا: من أهل العراق، قال: فبإذنٍ جئتُم؟ قالوا: نعم! فسألوا عما يحلُّ للرجل من امرأته وهي حائضٌ، فقال: سألتموني عن خصال ما سألني عنهنَّ أحدٌ بعدَ أنْ سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «**أمّا ما للرجلِ من امرأتِهِ وهي حائضٌ**

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٧٦) برقم: (١٧٩٨٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٧٨) برقم: (١٧٩٨٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٢) برقم: (١٨٠٣٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٢٦) برقم: (١٦٧٧١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٢٧) برقم: (١٦٧٧٨).

فله ما فوقَ الإزارِ»[١].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: قال عمر: لا رضاعَ بعد الفصالِ[٢].

• **أبو بكر**: عن **ابن عمر** قال: قال عمر: لو تقدّمتُ فيها لرجمتُ؛ يعني: المتعة[٣].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيّب** أنه قال: رحمَ اللهُ عمرَ! لولا أنّه نهى عن المتعة صار الزنا جِهَاراً[٤].

• **أبو بكر**: عن **قبيصة بن جابر** عن عمر قال: لا أوتى بمحلِّلٍ ولا محلَّلٍ له إلا رجمتُهما[٥].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيَّب** أنَّ عمر استشار علي بن أبي طالب رضي الله عنه وزيدَ بن ثابت، قال زيد: قد حلّت، وقال علي: أربعة أشهر وعشراً، قال زيدٌ: أرأيتَ إن كانت نسيئاً، قال علي: فآخر الأجلينِ، قال عمر: لو وضعت ذا بطنِها، وزوجُها على نعشِهِ، لم يدخل حفرته، لكانت قد حلّت[٦].

• **أبو بكر**: عن **سالم** قال: سمعتُ رجلاً من الأنصار يحدّثُ عن ابن عمر يقول: سمعتُ أباك يقول: لو وضعتِ المتوفَّى عنها زوجُها ذا بطنِها، وهو على السرير فقد حلّتْ[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٣٢) برقم: (١٦٨٣٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٠) برقم: (١٧٠٥٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥١) برقم: (١٧٠٦٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥١) برقم: (١٧٠٧٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٢) برقم: (١٧٠٨٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٤) برقم: (١٧٠٩٨).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٤) برقم: (١٧٠٩٦).

• **أبو بكر**: عن **معاوية بن قرة عن أبيه** قال: قال عمر: ما استفادَ رجلٌ أو قال عبدٌ بعدَ إيمانٍ باللهِ خيراً من امرأةٍ حسنةِ الخُلُقِ، ودودٍ ولودٍ.

وما استفادَ رجلٌ بعدَ الكفرِ باللهِ شرّاً من امرأةٍ سيئةِ الخُلُقِ، حديدةِ اللسانِ.

ثم قال: إنَّ منهنَّ غُنْماً لا يُحْذَى منه، وإن منهنَّ غُلّاً لا يُفْدَىٰ منه[(١)].

• **أبو بكر**: إنَّ رجلاً من بني تيم الله كان جمع بين أُختين في الجاهلية، فلم يفرّق بين واحدةٍ منهما، حتى كان في خلافةِ عمرَ، وأنه رُفِعَ شأنُه إلى عمر، فأرسل إليه، فقال: اختر إحداهما، واللهِ لئن قربتَ الأخرى لأضربنَّ رأسَكَ[(٢)].

• **أبو بكر**: عن **مسروق** قال: جاء رجلٌ إلى عمر فقال: إنّي جعلتُ أمرَ امرأتي بيدِها، فطلَّقتْ نفسَها ثلاثاً، فقال عمر لعبد الله: ما تقول؟ فقال عبد الله: أراها واحدةً، وهو أمْلَكُ بها، فقال عمر: وأنا أيضاً أرى ذلك[(٣)].

• **أبو بكر**: عن **علقمة** عن عبد الله أنَّ رجلاً جعل أمرَ امرأته بيدها، فطلّقت نفسَها ثلاثاً، قال: هي واحدةٌ، ثم لقي عمر، فقال: نِعْمَ ما رأيتَ[(٤)].

• **أبو بكر**: عن **زاذان** قال: كُنّا جلوساً عند عليٍّ، فسُئِلَ عن

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٩) برقم: (١٧١٤٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٦٣) برقم: (١٧١٧٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٦) برقم: (١٨٠٧٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٧) برقم: (١٨٠٨٦).

الخيار، فقال: سألني عنها أميرُ المؤمنين عمرُ فقلتُ: إنِ اختارتْ نفسَها فواحدةٌ بائنةٌ، وإن اختارت زوجَها فواحدةٌ، وهو أحقُّ بها، فقال: ليس كما قلت، إن اختارتْ نفسَها فواحدةٌ، وهو أحقُّ بها، وإن اختارتْ زوجَها فلا شيءَ، وهو أحقُّ بها، فلم أجد بُدّاً من متابعةِ أمير المؤمنين، فلمّا وليتُ وأُتيتُ في الفروج، رجعتُ إلى ما كنتُ أعرفُ، فقيل له: رأيكما في الجماعةِ أحبُّ إلينا من رأيك في الفُرقةِ، فضحك عليٌّ وقال: أما إنّه أرسلَ إلى زيدِ بنِ ثابتٍ فسأله فقال: إن اختارتْ نفسَها فثلاث، وإن اختارتْ زوجَها فواحدةٌ بائنةٌ[(١)].

• **أبو حنيفة**: عن حماد عن **إبراهيم** أنَّ عروة بن المغيرة ابتلي بها، وهو أميرُ الكوفة، فأرسل إلى شُريحٍ، وقال: قل في رجلٍ قال لامرأته: أنتِ طالقٌ البتةَ، فقال: قال فيها عمر: واحدةٌ، وهو أَمْلَكُ بها، وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: هي ثلاثٌ، قال: قل فيها أنتَ، قال: قد قالا فيها، قال: أعزمُ عليك إلّا قلتَ فيها، قال شريح: أرى قوله: أنتِ طالقٌ، طلاقاً قد خرجَ، وأرى قولُه البتةَ بدعةً، أقفُ عندَ بدعتِهِ، فإن نوى ثلاثاً فثلاث، وإن نوى واحدة فواحدة بائن، وهو خاطب[(٢)].

• **أبو بكر**: عن عمر وعبد الله أنّهما قالا: أمرُكِ بيدكِ، واختاري سواء[(٣)].

• **أبو بكر**: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده** أنَّ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان قالا: أيّما رجلٍ ملّك امرأته أمرَها، أو

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٨) برقم: (١٨٠٩٧).
(٢) «كتاب الآثار» رقم: (٤٩٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٩) برقم: (١٨١٠٥).

خيّرها، فافترقا من ذلك المجلس، فلم تُحْدِثْ فيه شيئاً، فأمرُها إلى زوجِهَا[١].

• **أبو بكر**: عن **المطلب بن حنطب** عن عمر أنّه جعل البتّةَ تطليقةً، وزوجُها أملكُ بها[٢].

• **أبو بكر**: عن حميد بن هلال وغيره عن عمر نحواً من ذلك.

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** عن عمر وعبد الله قالا في الخلية: تطليقة، وهو أملكُ برجعتها[٣].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** عن عمر وعبد الله في البَرِيّةِ قالا: تطليقةٌ، وهو أملكُ بها[٤].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** عن عمر وعبد الله: في البائنِ تطليقةٌ، وهو أملكُ برجعتها[٥].

• **أبو بكر**: عن المنهال بن عمرو عن **نعيم بن دجاجة** في رجلٍ طلَّقَ امرأته تطليقتينِ، ثم قال: أنت عليَّ حرجٌ، فقال عمر: ما هِيَ بأهونهنَّ[٦].

• **أبو بكر**: عن **الضحّاك** أنَّ أبا بكر وعمر وابن مسعود قالوا: من قال لامرأته: هي عليَّ حرامٌ، فليست عليه بحرامٍ، وعليه كفّارة يمينٍ[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٨٩) برقم: (١٨١١١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٢) برقم: (١٨١٣٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٣) برقم: (١٨١٥٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٣) برقم: (١٨١٥٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٤) برقم: (١٨١٦٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٥) برقم: (١٨١٧٤).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٧) برقم: (١٨٢٠٠).

• **أبو بكر**: عن **الحسن** قال: قالت امرأةٌ لزوجها: أراحني الله منك، قال حميد: أو نحواً من هذا، قال: فقال: نعم، فنعم، فنعم، قال: فأتى عمرَ بنَ الخطاب فذكر ذلك له، فقال عمر: تريدُ أن أتحملَها عنك؟ هِيَ بكَ هِيَ بك[١].

• **أبو بكر**: عن **سالم والقاسم وعبيد الله بن عبد الله بن عمر** قالوا: قال عمرُ: إنَّما الطلاقُ بيدِ مَنْ يَحِلُّ له الفرجُ؛ يعني: أنَّ العبدَ إذا أَذِنَ له مولاه في النكاحِ، فالطّلاقُ بيدِ العبدِ لا بيدِ المَوْلىٰ[٢].

• **أبو بكر**: عن **يزيد بن علقمة** أنَّ رجلاً من بني تغلب يقالُ له: عبادة بن النعمان، وكان تحته امرأةٌ من بني تميم، فأسلمتْ، فدعاه عمرُ، فقال: إما أن تُسْلِمَ وإما أن أنزعَها منكَ، فأبىٰ أن يُسْلِمَ، فنزعها منه عمر[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحسن** عن عمر أنّه قال: كذبةٌ، في الرجلِ له امرأةٌ فسئل: ألك امرأة؟ فيقول: لا[٤].

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن شعيب**: كان عمر [وأُبيّ] وأبو الدرداء ومعاذ يقولون: ترجع إليه ما بقي؛ يعني: الرجلُ يطلّقُ امرأته تطليقتين، أو تطليقة فتزوّج، ثم ترجع إليه، على كم تكونُ عِنْدَهُ؟[٥].

• **أبو بكر**: عن **أبي هريرة** عن عمر قال: على ما بقي من الطلاقِ[٦].

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٩) برقم: (١٨٢٢٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٩٩) برقم: (١٨٢٢٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٠٦) برقم: (١٨٣٠٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١١١) برقم: (١٨٣٦١).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١١٢) برقم: (١٨٣٧٩).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١١٢) برقم: (١٨٣٨٤).

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيب** عن عمر قال: أربعٌ جائزاتٌ على كلِّ حالٍ: العِتْقُ والطلاقُ، والنكاحُ، والنّذْرُ[١]؛ يعني: سواء كان جادّاً أو هازلاً.

• **أبو بكر**: عن **كثير** مولى ابن سمرة أن عمر أُتي بامرأة ناشز، فقال لزوجها: اخلعْها[٢].

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن شهاب الخولاني**: شهدتُ عمرَ بنَ الخطاب أُتي في خُلعٍ كان بين رَجُلٍ وامرأته فأجازه[٣]؛ يعني: يجوزُ الخُلْعُ دونَ السلطان.

• **أبو بكر**: عن **عبد الله بن رباح** أنَّ عمر قال: اخلعها بما دون عِقَاصِها[٤].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب: لا ندعُ كتابَ ربنا وسُنَّةَ نبيِّنا لقولِ المرأةِ، المطلقةُ ثلاثاً لها السُّكنى والنفقةُ[٥].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي**: في الرّجلِ طلَّق امرأته، فجاء آخر فتزوَّجها في العدّة، قال عمر: يفرَّقُ بينهما، وتَكْمُل عدتها الأُولى، وتستأنفُ مِنْ هذا عِدّةً جديدةً، ويجعل الصَّداقُ في بيتِ المال، ولا يتزوّجها الثاني أبداً، ويصيرُ الأوّل خاطباً[٦].

• **أبو بكر**: عن **إبراهيم بن ميسرة** عن عمر قال: لا يقربُها حتّى

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١١٤) برقم: (١٨٤٠٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١١٧) برقم: (١٨٤٢٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٢٠) برقم: (١٨٤٦٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٢٥) برقم: (١٨٥٢٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٣٧) برقم: (١٨٦٦٢).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٤٨) برقم: (١٨٧٩٣).

ينظرَ هل بها حبلٌ أو لا[١]؛ يعني: الأَمَةَ إذا زوَّجها مولاها فماتَ الزَّوجُ.

• **أبو بكر**: عن **سعيد والحسن** قالا: أجّلَ عمرُ بنُ الخطّاب العنين سنةً، فإن استطاعَها، وإلّا فرَّق بينهما، وعليها العدةُ[٢].

• **أبو بكر**: عن **سعيد بن المسيّب** قال: رَدَّ عمرُ نسوةَ المتوفَّى عنهنّ أزواجهنَّ من البيداءِ، فمنعهنَّ من الحجِّ[٣].

• **أبو بكر**: عن **الحكم** قال: كان عمرُ وعبدُ الله يقولان: لا تنتقِلُ؛ يعني: المتوفَّى عنها زوجُها[٤].

• **الشافعي عن مالك**: أنّه بلغه أنه كُتِب إلى عمر بن الخطاب من العراق: أنّ رجلاً قال لامرأته: حَبْلُكِ على غاربك، فكتب عمر بن الخطاب إلى عامله أنْ مُرْهُ يوافيني بمكة في الموسم، فبينما عمرُ يطوفُ بالبيتِ إذ لقيه الرجلُ، فسلَّم عليه، فقال: مَنْ أنتَ؟ فقال: أنا الذي أمرتَ أن أُجلبَ عليك، فقال عمر: أنشدك بربِّ هذه البنية؛ هل أردتَ بقولِكَ: «حَبْلُكِ على غاربك» الطلاقَ؟ فقال الرجلُ: لو استحلفتني في غير هذا المكان ما صدقتُك، أردتُ الفراق، فقال عمر: هو ما أردتَ[٥].

• **البيهقي**: عن الثوري عن حماد عن **إبراهيم** عن عمر بن

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٤٩) برقم: (١٨٧٩٧).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٤٩) برقم: (١٨٨٠٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٥٤) برقم: (١٨٨٥٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ١٥٦) برقم: (١٨٨٦٩).
(٥) انظر: «كتاب الأم» (٧/ ٢٣٦)، و«موطأ مالك» (٤/ ١٠٧).

الخطاب ﷺ أنه كان يقولُ: في الخلية والبرية والبتة والبائنة واحدة، وهو أحقّ بها[١].

• **البيهقي**: عن الثوري عن حماد عن **إبراهيم** أنَّ عمرَ وابنَ مسعود ﷺ كانا يقولان: إذا خيَّرها، فاختارت نفسَها، فهي واحدةٌ، وهو أحقُّ بها، وإن اختارت زوجَها فلا شيء[٢].

• **الشافعي تعليقاً والبيهقي مسنداً**: روي عن عمر بن الخطاب: أنَّ رجلاً تدلّى يشتارُ عسلاً في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، فجاءته امرأته، فوقفتْ على الحبل، فحلفت: لتقطعنّه أو لتطلقني ثلاثاً، فذكَّرها الله والإسلامَ، فأبت إلّا ذلك، فطلّقها ثلاثاً، فلمّا ظهر، أتى عمر بن الخطاب ﷺ فذكر له ما كان منها إليه ومنه إليها، فقال: ارجع إلى أهلِكَ، فليس هذا بطلاقٍ[٣].

• **البيهقي**: روي عن عمر: ليس الرجلُ بأميرٍ على نفسِهِ اذا جوعت أو أوثقت أو ضربت[٤].

• **الشافعي**: عن **ابن المسيب** كان عمرُ يقول: إذا مضتْ أربعةُ أشهر فهي تطليقةٌ، وهو أملكُ بردِّها، ما دامت في عدّتها[٥].

• **الشافعي**: عن عبيد الله بن أبي يزيد، عن **أبيه** قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى شيخ من بني زُهرة، فسأله عن ولاد الجاهلية، فقال: أمّا النطفةُ فمن فلان، وأمّا الولد فهو على فراشِ فلان، فقال

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٣٤٣) برقم: (١٤٧٨٦).
(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٣٤٥) برقم: (١٤٨٠٢).
(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٣٥٧) برقم: (١٤٨٧٦).
(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٣٥٨) برقم: (١٤٨٨٤).
(٥) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٣٧٨) برقم: (١٥٠٠٠).

عمر: صدقت، ولكنْ قضى رسولُ اللهِ ﷺ بالولدِ للفراشِ[١].

• **مالك والشافعي**: عن **عبد الله بن عمر**: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال: إنِّي كانت لي وليدةٌ، وكنتُ أطؤها، فعمدتُ امرأتي إليها، فأرضعتها، فدخلت عليها، فقالت: دونك فقد والله أرضعتها، فقال عمر: أَوْجِعْهَا، وأتِ جاريتك، فإنما الرضاعة رضاعة الصغير[٢].

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ عمر بن الخطاب وهبَ لابنه جاريةً، فقال: لا تمسَّها فإني قد كشفتُها[٣].

• **قال أبو حنيفة**: النظرُ إلى الفرجِ يُحَرَّمُ، وقال الشافعي: لا، قال البيهقيُّ: ويشبه أن يكونَ الجِماعُ هو المرادُ بالكشف، فإنَّ أهلَ المروءات يكنّون عن الجماعِ بمثل هذا.

• **البيهقي** من طريق **سفيان الثوري**: كتب عاملٌ لعمر بن الخطاب: أنَّ ناساً من قِبلنا يدعون السامرة، يسبتون يوم السبت، ويقرؤون التوراة، ولا يؤمنون بيوم البعث، فما ترى يا أميرَ المؤمنين في ذبائحهم؟ قال: فكتب: هم طائفةٌ من أهل الكتاب، ذبائِحُهم ذبائحُ أهلِ الكتاب[٤].

• **الشافعي**: عن عمر رضي الله عنه قال: ما نصارى العرب بأهل كتاب، وما تحلُّ لنا ذبائحهم، وما أنا بتاركهم حتّى يُسْلِمُوا، أو أضربَ أعناقهم[٥].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٢/ ٣٦٥)، و«مسند الشافعي» رقم: (٩٣١)، و«كتاب الأم» (٦/ ١٩٧).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٢٤٨)، و«كتاب الأم» (٥/ ٢٩).

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٧٨).

(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ١٧٣) برقم: (١٣٧٦٧).

(٥) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٩/ ٢٨٤) برقم: (١٨٩٥١)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٠٣١، ١٥٩٣)، و«كتاب الأم» (٢/ ٢٣٢).

• **مالك والشافعي**: عن **عروة بن الزبير** أنَّ خولة بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت: إنَّ ربيعة بن أمية استمتع بامرأة مولدة، فحملت منه، فخرجَ عمرُ يجرُّ رداءه فزعاً، فقال: هذه المتعة، ولو كنتُ تقدّمتُ فيها لرجمتُ[1].

• **الشافعي**: عن **ابن سيرين**: أنّ امرأةً طلّقها زوجُها ثلاثاً، وكان مسكين أعرابي يقعد بباب المسجد، فجاءته امرأةٌ فقالت: هل لك في امرأةٍ تنكِحُها، فتبيتُ معها الليلةَ، وتصبِحُ فتفارقها؟ فقال: نعم، فكان ذلك، فقالت له امرأته: إنّكَ إذا أصبحتَ فإنّهم سيقولونَ لك: فارِقْها فلا تفعلْ ذلك، فإنِّي مقيمةٌ لك ما ترى، واذهبْ إلى عمر ﵁، فلمّا أصبحت، أتوه وأتوها، فقالتْ: كلّموه، فأنتم جئتُم به، فكلَّموه فأبى، فانطلقَ إلى عمرَ ﵁، فقال: الزم امرأتك، فإن رابوك بريبةٍ فَأْتني، وأرسل إلى المرأة التي مشت لذلك، فنكَّلَ بها، ثم كان يغدو على عمر ويروح في حلّةً، فيقول: الحمد لله الذي كساك يا ذا الرقعتين حلةً تغدو فيها وتروحُ[2].

• **الشافعي**: عن مجاهد عن عمر نحواً من ذلك.

• **الشافعي**: عن جعفر بن محمد، عن **أبيه**، أنّ عليّاً وعمر قالا: لا يَنْكِحُ المحرمُ ولا يُنْكَحُ، فإنْ نَكَحَ فنكاحُه باطِلٌ[3].

• **مالك والشافعي**: عن **ابن المسيب** أنّه قال: قال عمر بن الخطاب ﵁: أيّما رجلٍ تزوّجَ امرأةً وبها جنونٌ أو جذامٌ أو بَرَصٌ،

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٩٤)، و«مسند الشافعي» (١/ ٢٨٦)، و«كتاب الأم» (٧/ ٢٣٥).

(٢) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٢٠٩) برقم: (١٣٩٧٥).

(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٤٤٩).

فمسَّها، فلها صدَاقُها كاملاً، وذلك لزوجها غرمٌ على وليها[١].

• **البيهقي**: عن إبراهيم بن سعد، عن **أبيه**، أنَّ عمر ﵁ كتب إلى بعض عماله: أنِ أعطِ الناسَ على تعليمِ القرآن، فكتبَ إليه: إنَّكَ كتبتَ إليَّ أنْ أعطِ الناسَ على تعليم القرآن فيعلمه مَنْ ليسَ فيه رغبة إلا رغبة في الجعل، فكتب إليه: أَنْ أعطهم على المروءةِ والصحابةِ[٢].

• **أبو حنيفة**: عن يزيد بن عبد الرحمٰن، عن **الأسود**، أنّه أعتق مملوكاً بينه وبين إخوة له صغار، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب، فأمره أن يقوّمه ويرجئه حتى تدرك الصبيةُ، فإن شاءوا أُعتقوا، وإن شاءوا ضمنوا[٣].

• **مالك**: أنّه بلغه أنَّ عمر بن الخطاب أو عثمان بن عفان قضى أحدُهما في امرأةٍ غرَّت رجلاً بنفسها، وذكرتْ أنّها حرة، فتزوَّجها، فولدت له أولاداً، فقضى أن يفدي ولده بمثلهم[٤].

• **مالك**: عن سليمان بن يسار عن **عبد الله بن أبي أمية**: أنَّ امرأةً هلكَ عنها زوجُها، فاعتدَّت أربعةَ أشهرٍ وعشراً، ثم تزوَّجت حين حلّتْ فمكثت عند زوجِها أربعةَ أشهرٍ ونصفَ شهرٍ، ثم ولدت ولداً تاماً، فجاء زوجُها إلى عمرَ بنِ الخطاب، فذكر ذلك له، فدعا عمر نسوةٌ من نساء الجاهليةِ قدماء، فسألهنَّ عن ذلك، فقالت امرأةٌ منهن: أنا أخبرك عن هذه المرأة، هلك عنها زوجُها حين حملتْ منه، فأهريقت عليه الدماء، فحشَّ ولدُها في بطنها، فلمّا أصابها زوجُها الذي نكحها، وأصابَ الولد

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٧/ ٢١٤) برقم: (١٤٠٠٠).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٢/ ١٥).
(٣) انظر: «كتاب الآثار»، لمحمد رقم: (٦٧٢).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٣٩).

الماءُ، تحرّكَ الولدُ في بطنها، فصدقها عمر بن الخطاب وفرَّق بينهما، وقال عمر: أما إنّه لم يبلُغْني عنكما إلّا خيرٌ، وألحق الولد بالأول[(١)].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سليمان بن يسار**: أنَّ عمر بن الخطاب كان يليطُ أولادَ الجاهليةِ بمن ادَّعاهم في الإسلام، فأتى رجلان، كلاهما يدّعي ولدَ امرأةٍ، فدعا عمر بن الخطاب قائفاً، فنظر إليهما، فقال القائفُ: لقد اشتركا فيه، فضربه عمر بن الخطاب بالدِّرة، ثم دعا المرأة، فقال: أخبريني خبرك، فقالت: كان هذا لأحد الرجلين يأتيني وهي في إبلٍ لأهلِها فلا يفارِقُها، حتى يظنَّ وتظنَّ أنه قد استمرَّ بها حبلٌ، ثم انصرف عنها، فأهريقت عليه دماء، ثم خلفَ عليها هذا؛ تعني: الآخر، فلا أدري مِنْ أيِّهما هو؟ قال: فكبَّر القائفُ، فقال عمر للغلام: والِ أيهما شئتَ[(٢)].

• **مالك**: عن ابن عمر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما بالُ رجالٍ يطؤون ولائدهم، ثم يعزلوهنَّ، لا تأتيني وليدةٌ يعترِفُ سيّدُها أنْ قد ألمَّ بها إلا ألحقت به ولدَها، فاعزلوا بعد أو اتركوا[(٣)].

كتاب أحكام الخلافة والقضاء

الدارقطني: كتبَ عمرُ بنُ الخطّاب إلى أبي موسى الأشعري: **أمّا بعدُ**: فإنَّ القضاءَ فريضةٌ محكَمَةٌ، وسُنَّةٌ متَّبعةٌ، فافهمْ إذا أُدْلِيَ إليك بحجةٍ، وأنفذِ الحقَّ إذا وَضَحَ، فإنَّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له، وآسِ بينَ النَّاسِ في وجهِكَ ومجلسِكَ وعدلِكَ حتّى لا ييأسَ الضعيفُ من عدلِكَ، ولا يطمعُ الشريفُ في حَيْفِكَ.

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٣٧).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٣٨). قوله: (يليط) يلحق.

(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٤٦).

البَيِّنةُ على مَنِ ادَّعىٰ، واليمينُ على مَنْ أَنْكَرَ، والصُّلْحُ جائزٌ بينَ المسلمينَ إلا صُلْحاً أحلَّ حراماً أو حَرَّم حلالاً، لا يمنعنَّكَ قضاءٌ قضيتَه بالأمسِ، فراجعتَ فيه نفسَكَ، وهُديتَ فيه لرشدِكَ أن تراجعَ الحقَّ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ، ومراجعةُ الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطلِ.

الفهمَ الفهمَ فيما يَخْتَلِجُ في صدرِكَ ممّا لم يبلغكَ في الكتابِ أو السُّنَّةِ، اعرف الأمثالَ والأشباهَ، ثم قِسِ الأمورَ عندَ ذلكَ، فاعْمَدْ إلى أحبِّها عندَ اللهِ، وأشبَهِها بالحقِّ فيما ترى، واجعل لِمَنِ ادَّعىٰ بيِّنةً أمداً ينتهي إليه، فإنْ أحضرَ بيِّنةً، أَخَذَ بحقِّهِ، وإلا وَجَّهْتَ القضاءَ عليه، فإنَّ ذلك أَجْلَىٰ للعمى، وأبلغَ في العُذْرِ.

المسلمونَ عدولٌ بعضُهم على بعضٍ إلا مجلودٌ في حَدٍّ، أو مجرَّبٌ في شهادةِ زورٍ، أو ظنينٌ في ولاءٍ أو قرابةٍ، إنَّ الله تولَّى مِنْكُمُ السرائرَ، ودرأَ عنكُم بالبيناتِ.

وإياكَ والقلقَ والضجرَ والتأذِّي بالناسِ، والتنكُّر للخصومِ في مواطنِ الحقِّ التي يُوجِبُ اللهُ بها الأجرَ، ويَحْسُنُ بها الذُّخْرُ، فإنَّه من يُصلحْ نيَّتَه فيما بينه وبين اللهِ ولو على نفسِهِ يَكْفِهِ اللهُ ما بينَه وبينَ الناسِ، ومَنْ تزيَّنَ للناسِ بما يعلمُ اللهُ منه غيرَ ذلكَ يُشِنْهُ اللهُ، فَمَا ظَنُّكَ بثوابِ غيرِ اللهِ عز وجل وعاجِلِ رزقِهِ، وخزائنِ رحمته، والسلامُ عليك[1].

الشرح: يقال: «**أدلى دلوه**» أرسلها، ودلّاها أخرجها، و«**الظنين**» بالظاء: المتّهم، وبالضاد: البخيل، والأول المقصود، **والقلق**: ضيق الصدر، ورجل قلق: سيء الخلق، **وأغلق الأمر** إذا لم ينفسح، **وغلق الرهن**: إذا لم يجد مخلصاً، **والشين**: العيب.

(١) انظر: «سنن الدارقطني» (٤/٢٠٦) برقم: (١٥).

• **البغوي**: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: أنْ لا يقضي إلّا أميرٌ، فإنّه أهيبُ للظالِم، ولشاهدِ الزُّورِ(١).

• **البغوي**: قال عمرُ لابن مسعود: أمَا بلغني أنَّك تقضي ولستَ بأميرٍ، قال: بلى، قال: فولِّ حارها مَنْ تولَّى قارها(٢).

• **البغوي**: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: إيّاك والضجرة، والغضب، والغلق، والتأذّي بالناس عند الخصومة، وإذا جلسَ عندكَ الخصمانِ، فرأيتَ أحدهما يتعمَّدُ الظلم، فأوجعْ رأسَه(٣).

• **البغوي**: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: لا يمنعنَّك قضاءٌ قضيتَه، ثم راجعتَ فيه نفسَك فهُديتَ لرشدِهِ أن تنقضَه، فإنَّ الحقَّ قديمٌ لا ينقضُه شيءٌ، والرجوعُ إلى الحقِّ خيرٌ من التمادي في الباطلِ(٤).

قال البغوي: هذا إذا تبيَّنَ له الخطأ بنص كتابٍ، أو سُنَّةٍ، أو إجماعٍ، فأمّا إذا قضى باجتهادٍ، ثم تغيَّرَ اجتهادُه إلى غيرِهِ، فلا ينقضُه، ولا يقضى بعدَه فيها بما تغيَّر إليه اجتهاده.

• **البغوي**: عن **الزهري** قال: كان مجلسُ عمرَ مغتصّاً من القرّاء، شباباً كانوا أو كهولاً، فربَّما استشارهم فيقول: لا يمنعنَّ أحدَكم أن يشيرَ برأيه؛ فإنَّ العلمَ ليس على قِدَمِ السن ولا حداثته، ولكنَّ الله يضعه حيثُ يشاء(٥).

• **البغوي**: قال عمر بن الخطاب: إنَّ أناساً كانوا يُؤْخَذُون بالوحي في عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ، وإن الوحي قد انقطعَ، وإنّما نأخذُكم الآنَ بما

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٩٤)، و«مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٢٨).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٩٤)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٢٩).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٩٥)، «مصنف عبد الرزاق» (١١/ ٣٢٨).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ١١٤).
(٥) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ١٢٠).

ظهرَ لنا من أعمالِكُم، فمَنْ أظهرَ لنا خيراً أمناه، وقرَّبناه، وليس إلينا من سريرته شيءٌ، اللهُ يُحاسِبُه في سريرته، ومَنْ أظهرَ لنا سوءاً لم نأمنه، ولم نصدّقه، وإن قال: إنَّ سريرتَه حسنةٌ[١].

• **البغوي**: روي عن **سعيد بن المسيب**: أنَّ عمر بن الخطّاب لمّا جلد الثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة استتابهم، فرجعَ اثنان، فقبل شهادتهما، وأبى أبو بكرة أن يرجعَ، فردَّ شهادته، ويقال: إنَّ عمرَ قال لأبي بكرة: تُبْ نقبلْ شهادتَكَ، أو إنْ تَتُبْ قبلتُ شهادتَك[٢].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سعيد بن المسيب**: أنَّ عمَرَ بنَ الخطاب اختصم إليه مسلمٌ ويهودي، فرأى عمرُ أن الحقَّ لليهودي، فقضى له، فقال له اليهودي: واللهِ لقد قضيتَ بالحقِّ، فضربه عمرُ بنُ الخطاب بالدِّرة، ثم قال: وما يدريك؟ فقال له اليهودي: إنّا نجدُ أنّه ليس قاض يقضي بالحقِّ، إلا كان عن يمينه مَلَكٌ، وعن شماله مَلَكٌ يسدِّدانه ويوفِّقانِه للحقِّ ما دام مع الحقِّ، فإذا تركَ الحقَّ عَرَجا وتركاه[٣].

• **مالك**: عن **ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن** أنّه قال: قدم على عمر بن الخطاب رجلٌ من أهل العراق، فقال: لقد جئتُك لأمرٍ ما له رأسٌ ولا ذنبٌ، فقال عمر: ما هو؟ قال: شهاداتُ الزُّور ظهرتْ بأرضنا، فقال عمرُ: أو قد كان ذلك؟ قال: نعم، فقال عمر: واللهِ لا يؤسر رجلٌ في الإسلامِ بغيرِ العدول[٤].

• **مالك**: أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: لا تجوزُ شهادةُ خصمٍ ولا ظنين[٥].

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ١٢٧).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ١٣١).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٦٦٣).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٦٦٦).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٦٦٧).

• **مالك**: عن عمرو بن يحيى المازني عن **أبيه** أنّه قال: كان في حائطِ جده ربيعٌ لعبد الرحمٰن بن عوف، فأراد عبد الرحمٰن بن عوف أن يحوّله إلى ناحية من الحائط، هي أقربُ إلى أرضه، فمنعه صاحب الحائط، فكلَّم عبد الرحمٰن بن عوف عمرَ بنَ الخطاب في ذلك، فقضى لعبد الرحمٰن بن عوف بتحويله(١).

قلت: كان عمرُ يريدُ أنّ المنعَ فيما لا يتعلّق به ضررُ مشاحة ومكابرة لا يتبع، وإنَّما الخصوماتُ التي يقضى فيها ما فيه نفع وضرر معتدٌّ به عند العقلاء.

• **مالك**: عن هشام بن عروة عن أبيه عن **يحيى بن عبد الرحمٰن** بن حاطب: أنَّ رقيقاً لحاطب سرقوا ناقةً لرجل من مُزينة، فانتحروها، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب، فأمر عمرُ كثير بن الصلت أن يقطعَ أيديهم، ثم قال عمر: أراك تُجيعَهم، ثم قال عمر: واللهِ لأغرمنَّكَ غُرماً يشقُّ عليك، ثم قال للمزني: كم ثمنُ ناقتك؟ فقال المزني: قد كنتُ واللهِ أمنعها من أربعمائة درهم، فقال: أعطه ثمان مائة درهم.

قال مالك: وليس على هذا العمل عندنا في تضعيف القيمة(٢).

قلت: أصلُ ذلك أنَّ عمر كان يعزِّرُ بالمال، وفي ذلك أحاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة.

• **مالك**: عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن **عبد الرحمٰن بن عبد القاريّ** أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: ما بالُ رجالٍ ينحلون أبناءهم نحلاً ثم يمسكونها، فإن مات ابنُ أحدهم، قال: مالي بيدي، لم أعطه أحداً، وإنْ مات هو قال: هو لابني، قد كنتُ أعطيته إيّاه، مَنْ نحلَ

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٦١). **والربيع**: جدول الماء.
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٦٨).

نحلةً فلم يَحُزْها الذي نَحَلَها حتّى يكونَ إنْ ماتَ لورثته فهي باطلٌ»[١].

• **مالك**: عن داود بن الحصين عن **أبي غطفان بن طريف المري**: أنَّ عمر بن الخطاب قال: مَنْ وهبَ هبةً لصلةِ رَحِم أو على وَجْهِ صدقةٍ، فإنَّه لا يرجعُ فيها، ومن وَهَبَ هِبةً يرى أنه إنّما أرادَ بها الثوابَ، فهو على هبته يرجعُ فيها إذا لم يرض منها[٢].

• **مالك**: عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه: أنّ **عمرو بن سُليم الزرقي** أخبره أنّه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنّ هاهنا غلاماً يفاعاً لم يحتلم من غسان، ووارثه بالشام، وهو ذو مال، وليس له هاهنا إلا ابنةُ عمٍّ له، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فَلْيُوصِ لها، فأوصى لها بمالٍ، يقال له: بئر جشم، قال عمرو بن سليم: فبيعَ ذلك المالُ بثلاثين ألف درهم، وابنة عمِّه التي أوصى لها هي أُمُّ عمرو بن سُليم الزُّرقي[٣].

• **مالك**: عَنْ **عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ** بْنِ دَلَافٍ الْمُزَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ جُهَيْنَةَ كَانَ يَسْبِقُ الْحَاجَّ فَيَشْتَرِي الرَّوَاحِلَ، فَيُغْلِي بِهَا، ثُمَّ يُسْرِعُ السَّيْرَ فَيَسْبِقُ الْحَاجَّ فَأَفْلَسَ، فَرُفِعَ أَمْرُهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: أَمَّا بَعْدُ! أَيُّهَا النَّاسُ! فَإِنَّ الْأُسَيْفِعَ أُسَيْفِعَ جُهَيْنَةَ رَضِيَ مِنْ دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ بِأَنْ يُقَالَ: سَبَقَ الْحَاجَّ، أَلَا وَإِنَّهُ قَدْ دَانَ مُعْرِضاً فَأَصْبَحَ قَدْ دِينَ بِهِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ عَلَيْهِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا بِالْغَدَاةِ نَقْسِمُ مَالَهُ بَيْنَهُمْ، وَإِيَّاكُمْ وَالدَّيْنَ، فَإِنَّ أَوَّلَهُ هَمٌّ، وَآخِرَهُ حَرْبٌ[٤].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٨٤). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٩٠).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٨٢٠). (٤) «موطأ مالك» رقم: (٢٨٤٧).

كتاب الحدود

• **مالك**: عن عبد الرحمٰن بن محمد بن عبد الله بن عبد القاريِّ عن **أبيه** أنه قال: قَدِمَ على عمرَ بنَ الخطاب رجلٌ من قِبَل أبي موسى الأشعري، فسأله عن الناس، فأخبره، ثم قال له عمر: هل كان فيكم من مُغَرِّبةٍ خبر؟ فقال: نعم، رجلٌ كفرَ بعد إسلامه، قال: فما فعلتُم به؟ قال: قرّبناه فضربنا عنقه، فقال عمر: أفلا حبستموه ثلاثاً، وأطعمتموه كلَّ يوم رغيفاً واستتبتموه، لعلَّه يتوب، ويراجع أمرَ الله؟ ثم قال عمر: اللَّهُمَّ إنِّي لم أحضرْ ولم آمرْ ولم أرضَ إذ بلغني[1].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن **عبد الله بن عباس** أنّه قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطّاب يقول: الرجم في كتابِ اللهِ حقٌّ على مَنْ زنى مِنَ الرجالِ والنساءِ إذا أحصنَّ إذا قامت البيِّنةُ أو كان الحبلُ أو الاعترافُ[2].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سعيد بن المسيّب** في قصة وفاة عمر أنه قال: إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حَدَّيْن في كتابِ اللهِ، فقد رجمَ رسولُ اللهِ ﷺ، ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أنْ يقولَ الناسُ: زادَ عمرُ بنُ الخطاب في كتاب الله تعالى لكتبتُها: الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتةَ، فإنا قد قرأناها[3].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن سليمان بن يسار عن **أبي واقد الليثي**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أتاه رجل وهو بالشام، فذكر له أنه وجد مع امرأته رجلاً، فبعث عمرُ بنُ الخطاب أبا واقد الليثي إلى امرأته، يسألها

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٢٨). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٤٢).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٤٤).

عن ذلك، فأتاها، وعندها نسوةٌ حولها، فذكر لها الذي قال زوجُها لعمر بن الخطاب، وأخبرها أنّها لا تؤخذُ بقوله، وجعل يلقّنها أشباه ذلك، لتنزعَ، فأبت أن تنزعَ، وتمَّت على الاعتراف، فأمرَ بها عمر، فرُجِمَتْ[١].

• **مالك**: عن **نافع** أنَّ عبداً كان يقومُ على رقيق الخمس، وأنّه استكره جاريةً من ذلك الرقيق، فوقعَ بها، فجلده عمرُ بنُ الخطاب، ونفاه، ولم يجلد الوليدةَ لأنّه استكرهها[٢].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أنَّ **عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي** قال: أمرني عمرُ بنُ الخطّاب في فتيةٍ من قريش، فجلدنا ولائدَ من ولائدِ الإمارة، خمسينَ خمسينَ في الزنا[٣].

• **مالك**: عن أبي الزناد عن **عبد الله بن عامر بن ربيعة**: أدركتُ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان والخلفاء هلمَّ جراً، فما رأيت أحداً جلدَ عبداً في فريةٍ أكثرَ من أربعين[٤].

• **مالك**: عن أبي الرجال عن أُمّه **عمرة بنت عبد الرحمٰن**: أنَّ رجلينِ استبّا في زمان عمر بن الخطاب، فقال أحدُهما للآخر: ما أبي بزانٍ ولا أمي بزانية، فاستشار في ذلك عمر بن الخطاب، فقال قائلٌ: مدح أباه وأمه، وقال آخرون: قد كان لأبيه وأمه مدحٌ غير هذا، نرى أن تجلده الحدَّ، فجلده عمر بن الخطاب الحدَّ ثمانين[٥].

• **مالك**: عن **ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن** أنَّ عمر بن الخطاب قال

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٤٣).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٥٤).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٥٥).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٦٠).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٦٤).

لرجلٍ خرجَ بجاريةٍ لامرأته معه في سفر، فأصابَها، فغارتِ امرأتُه، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فسأله عن ذلك، فقال: وهبتْها لي، فقال عمر: لتأتيني بالبينةِ أو لأرمينَّكَ بالحجارة، قال: فاعترفت امرأته أنّها وهبَتْها له[1].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **السائب بن يزيد**: أنَّ عبد الله بن عمرو بن الحضرمي جاء بغلام له إلى عمر بن الخطاب، فقال له: اقطع يدَ غلامي هذا فإنّه سرقَ، فقال له عمر: ماذا سرق؟ فقال: سرق مرآة لامرأتي، ثمنُها ستونَ درهماً، فقال عمر: أرسله فليس عليه قطعٌ، خادِمَكم سرقَ متاعكم[2].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **السائب بن يزيد** أنّه أخبره: أنَّ عمر بن الخطاب خرجَ عليهم فقال: إنِّي وجدتُ من فلانٍ ريحَ شراب، فزعم أنه شرب الطلاء، وأنا سائِلٌ عمَّا شرب، فإن كان يسكر، جلدته، فجلده عمرُ الحدَّ تاماً[3].

• **مالك**: عن **ثور بن زيد الديلي** أن عمر بن الخطاب استشار في الخمر، يَشْرَبُها الرجلُ، فقال له علي بن أبي طالب: نرى أنْ تَجْلِدَهُ ثمانين، فإنّه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى، أو كما قال، فجلد عمرُ في الخمر ثمانين[4].

• **البغوي**: في قِصّةِ جلد الوليد بن عقبة في الخمر، فقال علي: جلد النبيُّ ﷺ أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سُنَّةٌ، وهذا أحبُّ إليّ؛ يعني: الأربعين[5].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٧١). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١٠٥).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١١٦). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١١٧).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٢٣٠)، و«شرح السُّنَّة» (١/ ٦٣٩).

• **مالك**: عن **ابن شهاب** أنّه سُئِلَ عن حدِّ العبدِ في الخمرِ فقال: بلغني أن عليه نصفَ حدِّ الحُرِّ في الخمر، وأنَّ عمرَ بنَ الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمر قد جلدوا عبيدَهم نصفَ حدِّ الحُرِّ في الخمرِ[١].

• **مالك**: عن داود بن الحصين، عن واقد بن عمرو بن سعد بن معاذ أنه أخبره عن **محمود بن لبيد الأنصاري**: أنّ عمر بن الخطاب حين قدم الشام شكا إليه أهلُ الشام وباءَ الأرضِ وثقلها وقالوا: لا يصلحنا إلا هذا الشرابُ، فقال عمر: اشربوا العسل، فقالوا: لا يصلحنا العسل، فقال رجلٌ من أهل الأرض: هل لك أن نجعل لك من هذا الشراب شيئاً لا يُسْكِرُ؟ قال: نعم، فطبخوه حتّى ذهب منه الثلثان وبقي الثلث، فأتوا به عمرَ فأدخل عمر فيه إصبعه، ثم رفع يده فتبعها يتمطط، فقال: هذا الطلاء، هذا مثل طلاء الإبل، فأمرهم عمر أن يشربوه، فقال له عبادة بن الصامت: أحللتها والله، فقال عمر: كلا والله، اللَّهُمَّ إنِّي لا أحلُّ لهم شيئاً حرمته عليهم، ولا أحرِّمُ عليهم شيئاً أحْلَلْتُه لهم[٢].

• **البغوي**: روي أنّ رجلين تشاتما عند أبي بكر فلم يقل لهما شيئاً، وتشاتما عند عمر فأدَّبهما في الجراحِ.

• **مالك**: أنَّه بلغه أنَّ عمر بن الخطاب قوَّم الديةَ على أهل القرى، فجعلها على أهل الذهب ألفَ دينارٍ، وعلى أهل الورِقِ اثني عشر ألف درهم[٣].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **عراك بن مالك وسليمان بن يسار** أنَّ رجلاً من بني سعد بن ليث أجرى فرساً، فوطئ على إصبع رجل من

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١١٨). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١٣٤).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١٤١).

جهينة، فنُزِيَ منها، فمات، فقال عمر بن الخطاب للذي ادُّعِيَ عليهم: أتحلفونَ باللهِ خمسينَ يميناً، ما ماتَ منها؟ فأبوا وتحرَّجوا، وقال للآخرين: أتحلفون أنتم؟ فأبوا، فقضى عمر بن الخطاب بشطر الدية على السعديين، قال مالك: وليس العمل على هذا[1]، وقال الشافعي نحواً من ذلك.

قلت: إنَّ البداية، أمّا بالمدعى عليهم فأظنُّ أن عمر بن الخطاب كان عنده أنّه يجوزُ أن يبدأ بهؤلاء وهؤلاء، فالبدايةُ بالمدعى عليهم هو القياسُ، والبداية بالمدعين محوَّلٌ عن القياس احتياطاً لأمر القتل.

وأمّا قضاؤه بنصف الدية على السعديين فيجري فيه ما قال البغوي في حديث جرير بن عبد الله: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ سريةً إلى خثعم، فاعتصم ناسٌ منهم بالسجودِ، فأُسرعَ فيهم القتلُ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فأمر بنصف العقل[2]... الحديث، فقال: أمر بنصف الدية استطابةً لأنفس أهليهم أو زجراً للمسلمين في ترك التثبت عند وقوع الشبهة[3].

والأوجه عندي: أنّه على طريق الصلح، يشهد له كتاب عمر إلى أبي عبيدة: واحرص على الصلح إذا لم يستبن لك القضاءُ.

• **مالك**: عن زيد بن أسلم عن مسلم بن جندب عن **أسلم** مولى عمر بن الخطاب: أنَّ عمر بن الخطاب قضى في الضرس بجمل، وفي الترقوة بجمل، وفي الضلع بجمل[4].

• **مالك**: عن **ابن شهاب** أن عمرَ بنَ الخطاب نَشَدَ الناس بمنىً: مَنْ كان عنده علم من الدية أن يخبرَني، فقام الضحاك بن سفيان الكلابي

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١٥٠). (٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٢٤٤).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٠/ ٢٤٦). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣١٩٩).

فقال: كتب إليَّ رسولُ اللهِ ﷺ أن أورِّث امرأة أشيم الضبابي من دية زوجها، فقال له عمر بن الخطاب: ادخل الخباءَ حتى آتيك، فلمّا نزل عمر بن الخطاب أخبره الضحاك، فقضى بذلك عمرُ بنُ الخطاب، قال ابن شهاب: وكان قَتْلُ أشيمَ خطأً[١].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **عمرو بن شعيب** أنَّ رجلاً من بني مدلج يقال له: قتادة، حذف ابنه بالسيف، فأصابَ ساقه، فنُزِيَ في جرحه فماتَ، فقدم سراقةُ بن جُعْشم على عمر بن الخطاب، فذكر ذلك له، فقال له عمر: اعدُدْ على ماءِ قُدَيد عشرين ومائة بعيرٍ حتّى أقدم عليك، فلمّا قدم إليه عمر بن الخطاب أخذ من تلك الإبل ثلاثينَ حقة وثلاثين جذعة وأربعين خلِفة ثم قال: أين أخو المقتول؟ قال: هأنذا، قال: خذها، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليسَ للقاتلِ شيءٌ**»[٢].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمر بن الخطاب قتل نفراً، خمسة أو سبعة برجل واحد، قتلوه قتلَ غيلةٍ، وقال عمر: لو تمالأ عليه أهلُ صنعاء لقتلتهم جميعاً[٣].

• **البيهقي**: روينا عن عمر بن الخطاب أنّه قتل ثلاثةَ نفرٍ بامرأة، أقادهم بها[٤].

• **الشافعي**: أخبرنا محمد بن الحسن، أخبرنا أبو حنيفة، عن حماد، عن **إبراهيم**، أنَّ رجلاً من بكر بن وائل قتلَ رجلاً من أهل الحيرة، فكتب فيه عمر بن الخطاب أن يدفعَ إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عَفَوْا، فدفع الرجل إلى ولي المقتول إلى رجل

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٢٢٨). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٢٢٩).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٢٤٦).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣٤٩).

يقال له: حنين من أهل الحيرة، فقتله، فكتبَ عمر بعد ذلك: إن كان الرجلُ لم يُقْتَلْ فلا تقتلوه، فرأوا أنَّ عمرَ أراد أن يُرضيهم من الدية[١].

وناظر الشافعيُّ في ذلك بكلام مبسوط، وكان فيما قال: قلنا: أفرأيتَ لو كتب أنِ اقتلوه وقُتِلَ ولم يرجعْ عنه، أكان يكونُ في أحدٍ مع النبيِّ ﷺ حجة؟ قال: لا، قلنا: أرأيتَ لو لم يكن فيه عن النبيِّ ﷺ شيءٌ، يقيمُ الحجّة عليك به، ولم يكن فيه إلّا ما قال عمر، أكان عمر يحكمُ بحكمٍ، ثم يرجعُ عنه إلّا عن علمٍ بلغه هو أَوْلى من قوله؟ فقوله حينَ رجع أَوْلى أن تصيرَ إليه، قال: فلعلَّه أرادَ أن يرضيه بالدية، قلنا: فلعلَّه أرادَ أن يخيفه بالقتلِ، ولا يقتله، قال: ليس هذا في الحديث، قلنا: وليس ما قلتَ في الحديث.

• **البيهقي**: روينا عن مكحول في قتل عبادة بن الصامت نبطياً وقول عمر: اجلس للقصاص، فقال زيد بن ثابت: أتقيدُ عبدَك من أخيك؟ فترك عمرُ القَوَدَ، وقضى عليه بالدية، قال: وروينا في مثل هذه القصة، فقال أبو عبيدة بن الجراح: أرأيتَ لو قتل عبداً له أكنتَ قاتله به؟ فصمت عمر بن الخطاب[٢].

• **الشافعي** منقطعاً والبيهقي موصولاً: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده**: أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحرَّ بقتل العبد[٣].

• **البيهقي**: عن **الأحنف بن قيس**، عن عمر وعلي، في الحُرِّ يقتلُ العبدَ؟ قالا: ثمنه بالغاً ما بلغ[٤].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٢٣)، و«كتاب الأم» (٧/ ٣٢١).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٢٧).

(٣) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٨/ ٣٤) برقم: (١٥٧١٤)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٤١٣) برقم: (٢٧٥١٥).

(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٤١).

• **البيهقي**: في قصة المدلجي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن **جده** قال عمر: لولا أنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يقادُ الأبُ من ابنِهِ**» لقتلتك، هلمَّ ديته، فأتاه بها، فدفعها إلى ورثته، وتركَ أباه[١].

• **البيهقي**: عن **عرفجة**، عن عمر مرفوعاً: «**ليس على الوالد قَوَدٌ من ولدِهِ**»[٢].

• **البيهقي**: قال البخاري في الترجمة: ويذكر عن عمر: تقادُ المرأةُ من الرجلِ في كلِّ عمدٍ يبلغُ نفسه فما دونها من الجراح[٣].

• **البيهقي**: روينا عن عمر بن الخطاب، فيما كتب عمر بن عبد العزيز: يقادُ المملوك من المملوكِ في كلِّ عمدٍ يبلغ نفسه فما دون ذلك[٤].

• **البيهقي**: روينا عن عمر بن الخطاب ما دلَّ على وجوب القصاص بالضرب بالعصا وغيره إذا كان مثله يقتل[٥].

• **البيهقي**: روينا عن **ابن شهاب**، أنَّ أبا بكر الصدِّيق، وعمرَ بنَ الخطاب، وعثمان بن عفان، أعطوا القَوَدَ من أنفسهم فلم يستقد منهم، وهم سلاطين[٦].

• **الشافعي**: عن ابن شهاب وعن **مكحول وعطاء** قالوا: أدركنا الناسَ على أنَّ دية المسلم الحر على عهد رسول الله ﷺ مائة من الإبل،

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٤٤).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٤٥).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٤٦).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٤٦).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٥٦).
(٦) انظر: «السنن الصغرى»، للبيهقي (٢/ ٣٩٣).

فقوَّم عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الدية على أهل القرى ألفَ دينارٍ، أو اثني عشر ألف درهم، ودية الحرة المسلمة إذا كانت من أهل القرى خمسمائة دينار أو ستة آلاف درهم، فإذا كان الذي أصابها من الأعراب فديتها خمسون من الإبل، ودية الأعرابية إذا أصابها الأعرابيُّ خمسون من الإبل، لا يكلف الأعرابي الذهب ولا الوَرِق[١].

• **محمد بن الحسن**، أنا أبو حنيفة، عن الهيثم، عن عامر الشعبي، عن **عَبيدةَ السَّلماني** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه فرض الدية على أهل الوَرِقِ عشرة آلاف درهم، وعلى أهل الذَّهب ألفَ دينار، وعلى أهل الإبل مائةً من الإبل، وعلى أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الحلل مئتي حلة، وعلى أهل الغنم ألفي شاة[٢].

قال **محمد**: وبهذا كلّه نأخذ، وكان أبو حنيفة يأخذُ من ذلك بالإبل والدراهم والدنانير.

• **الشافعي**: قال **محمد بن الحسن**: بلغنا عن عمر بن الخطاب، أنه فرض على أهل الذهب ألف دينار في الدية، وعلى أهل الورق عشرة آلاف درهم، حدثنا بذلك أبو حنيفة، عن الهيثم، عن الشعبي، عن عمر بن الخطاب، وزاد: على أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الإبل مائة من الإبل، وعلى أهل الغنم ألفي شاة[٣].

قال محمد بن الحسن: وَقَالَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ: إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَرَضَ الدِّيَةَ عَلَى أَهْلِ الْوَرِقِ اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وساق الكلام إلى أن قال: ونحن فيما نظنُّ أعلم بفريضة عمر بن الخطّاب من

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٣٤٧)، و«كتاب الأم» (٦/ ١٠٥).
(٢) انظر: «الآثار»، لأبي يوسف (٣/ ٨).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٣٤).

أهل المدينة؛ لأنَّ الدراهم على أهل العراق، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَقَدْ صَدَقَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَرَضَ الدِّيَةَ اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَلَكِنَّهُ فَرَضَهَا اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَزْنَ سِتَّةٍ[١].

• **البيهقي**: أخبرنا الثوري عن مغيرة الضبي، عن **إبراهيم** قال: كانت الديةُ الإبل فجعلت الإبل الصغير والكبير كل بعير مائة وعشرين درهماً وزن ستة، فذلك عشرة آلاف درهم[٢].

قال الشافعي: فقلتُ، لمحمد بن الحسن: أفتقولُ إنّ الدية اثنا عشر ألف درهم وزن ستة؟ فقال: لا، فقلتُ: فمِنْ أين زعمت، إن كنت أعلم بالدية من أهل الحجاز؛ لأنَّ عمرَ قضى فيها بشيءٍ لا تقضي به، قال: لم يكونوا يحسنون، قلت: أفتروي شيئاً تجعله أصلاً في الحكم، وأنت تزعمُ أنَّ من روي عنه لا يعرفُ ما قضى به[٣].

• **الشافعي**: أخبرنا محمد، أخبرنا أبو حنيفة، عن حماد، عن **إبراهيم النخعي**: أنَّ عمر بن الخطاب، أُتي برجل قد قَتَلَ عمداً، فأمر بقتله، فعفا بعضُ الأولياء، فأمرَ بقتله، فقال ابن مسعود: كانت النفسُ لهم جميعاً، فلما عفا هذا أحيا النفس، فلا يستطيعُ أن يأخذَ حقه حتى يأخذ غيره، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تجعل الديةَ عليه في ماله وترفع حصة الذي عفا، فقال عمر: وأنا أرى ذلك[٤].

• **البيهقي**: عن الأعمش، عن **زيد بن وهب** قال: وجد رجلٌ عند امرأته رجلاً، فقتلها، فرُفِعَ ذلك إلى عمر بن الخطاب، فوجد عليها

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٣٥).
(٢) «معرفة السنن والآثار» (١٣/ ٢٣٦).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٣٩)، و«كتاب الأم» (٧/ ٣٠٧).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٧٨)، و«كتاب الأم» (٧/ ٣٢٩).

بعض إخوتها، فتصدَّق عليه بنصيبه، فأمر عمر لسائرهم بالدية[١].

• **البيهقي**: روي عن عمر: أنَّ رجلاً رفع إليه، قتل رجلاً، فقالت أختُ المقتول وهي امرأةُ القاتل: قد عفوتُ عن حصتي من زوجي، فقال عمر: عُتِقَ الرجلُ من القتل[٢].

• **البيهقي**: روي عن عمر أنه قال: عَمْدُ الصبي وخطؤه سواءٌ[٣]؛ يعني: للعمدِ حكمُ الخطأ.

• **البيهقي**: عن **أبي فراس** قال: خطبنا عمرُ بنُ الخطاب، فقال: إنِّي لم أبعث عمّالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، فمن فُعِلَ به غير ذلك فليرفعه إليَّ أقصُّه منه، قال عمرو بن العاص: لو أنَّ رجلاً أدّب بعضَ رعيته أتقصَّه منه؟ قال: إي، والذي نفسي بيده لأقصنَّه منه، وقد رأيتُ النبيَّ ﷺ اقتصَّ من نفسه[٤].

• **البيهقي**: عن **عطاء** عن عمر قال: لا أقيد من العظام؛ يعني: غير السن[٥].

• **البيهقي**: روينا عن عمر وعلي أنّهما قالا: مَنْ قتله حد فلا عقل له، وقالا: الذي يموتُ في القصاص لا ديةَ له[٦].

• **البيهقي**: عن **مجاهد**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قضى فيمن قتل في الحرم، أو في الشهر الحرام، أو هو محرم، بالدية وثلث الدية[٧].

---

(١) «معرفة السنن والآثار» (١٣/ ١٨٠).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٨٠).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٨٨) برقم: (٥٠٩٥).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٩٣).
(٥) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٩٥) برقم: (٥١٠٠).
(٦) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٠٥).
(٧) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢١٦).

• **الشافعي**: قرأنا على مالك أنّا لم نعلم أحداً من الأئمة في القديم والحديث قضى فيما دون الموضحة بشيء، زاد أبو سعيد في روايته: وهو ـ والله يغفر لنا وله ـ يروي عن إمامين عظيمين من المسلمين عمر وعثمان أنّهما قضيا فيما دون الموضحة بشيء مؤقّت[1]، ثم قيل: يحتمل أنّهما قضيا بطريق الحكومة، والله أعلم.

• **البيهقي**: روي عن عمر، أنّه قال: الأسنانُ سواءٌ، الضرس والثنية، وكأنّه رجع إليه[2].

• **البيهقي**: عن **سعيد بن المسيّب**: كان عمرُ يفاوِتُ بين الأصابع، حتّى وجد كتاب آل عمرو بن حزم يذكرون أنّه من رسول الله ﷺ، وفيما هنالك من الأصابع عشر عشر[3].

قال الشافعي: ولم يقبلوا كتابَ آل عمرو بن حزم حتّى ثبت عندهم أنّه كتابُ رسولِ الله ﷺ.

قلت: والأصل في تقدير الديات كتاب رسول الله ﷺ الذي روي عن عمرو بن حزم، وقد أثبته عمر بن الخطاب وأخذ به.

• **الشافعي**: عن محمد عن محمد بن أبان عن حماد عن **إبراهيم** عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنهما قالا: عَقْلُ المرأةِ على النصف من دية الرجل[4].

• **الشافعي**: أخبرنا فضيل بن عياض، عن منصور بن المعتمر، عن

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٤٨)، و«مسند الشافعي» رقم: (١١٦٧).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٦٦).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٧٤).
(٤) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٨/ ٩٦) برقم: (١٦٠٨٨)، و«كتاب الأم» (٧/ ٣١١).

ثابت الحداد، عن **ابن المسيب**: أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قضى في دية اليهودي والنصراني بأربعة آلاف، وفي دية المجوسي بثمان مائة درهم[١].

• **الشافعي**: يروى عن عمر بن الخطاب وعلي في العبدِ يقتل فيه قيمته بالغة ما بلغت[٢].

• **الشافعي**: عن الثوري، عن حماد، عن **إبراهيم**: أنَّ الزبير وعلياً اختصما في موالي لصفية إلى عمر بن الخطاب، فقضى بالميراثِ للزبير والعقل على علي[٣].

• **البيهقي**: عن **الشعبي**، أنَّه قال: جعل عمرُ بن الخطّاب ﷺ الدية في ثلاث سنين، ثلثي الدية في سنتين، وثلث الدية في سنة[٤].

• **الشافعي**: عن سفيان، عن عمرو، عن **طاوس**، أنّ عمر بن الخطّاب ﷺ قال: أذكّر اللهَ امرءاً سمعَ من النبيِّ ﷺ في الجنين شيئاً، فقام حمل بن مالك بن النّابغة، فقال: كنتُ بين جاريتين لي، فضربت إحداهما الأخرى بِمِسْطَحٍ فألقت جنيناً ميّتاً، فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرّة، فقال عمر ﷺ: إنْ كدنا أن نقضيَ في مثل هذا برأينا[٥].

• **البيهقي**: عن شهر بن حوشب: أن عمر صاح بامرأةٍ، فأسقطت، فأعتقَ عمرُ غرّةً[٦].

• **البيهقي**: عن **زيد بن أسلم** أنَّ عمر بن الخطاب قوَّم الغرةَ

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٢٨٨).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣٠٣).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣١٠).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣١٦).
(٥) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٣٤٨).
(٦) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣٣٠).

خمسين ديناراً[١].

• **الشافعي**: حدثنا سفيان، عن منصور، عن **الشعبي**: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب في قتيل وُجِدَ بين خيوان ووادعة أن يقاسَ ما بين القريتين، فإلى أيّهما كان أقرب أخرجَ إليه منهم خمسين رجلاً، حتّى يوافوه مكةَ، فأدخلهم الحِجْرَ، فأحلفهم، ثم قضى عليهم بالدية، فقالوا: ما وفت أموالنا أيماننا، ولا أيماننا أموالنا، قال عمر رضي الله عنه: كذلك الأمر[٢].

قال **الشافعي**: وقال غير سفيان، عن عاصم الأحول، عن **الشعبي**: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حقنتم بأيمانكم دماءكم، ولا يطلُّ دم مسلم.

ثم ضعَّف الشافعيُّ الحديثَ جداً، وقال: إنّما هو عن الشعبي عن الحارث الأعور، والحارثُ الأعور كذّابٌ، ثم قال الشافعي: سافرت إلى خيوان ووادعة أربعة عشر سفراً أسألهم عن حكم عمر بن الخطاب في القتيل، وأحكي لهم ما روي عنه، فقالوا: إنَّ هذا شيءٌ ما كان ببلدنا قط، قال الشافعي: والعربُ أحفظُ شيءٍ لأمرٍ كان[٣].

• **الشافعي**: عن **سعيد بن المسيب** أنَّ عمر بن الخطاب كان يقول: الديةُ للعاقلة، ولا ترثُ المرأة من ديةِ زوجها شيئاً، حتى أخبره الضحّاك بن سفيان أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كتب إليه: أن يورِّث امرأةَ أشيم الضبابي من ديةِ زوجها، فرجعَ إليه عمر[٤].

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٨/ ١١٦) برقم: (١٦٢٠٦).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ٣٤٦).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٣/ ١٠٧).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١/ ١٠)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٠٠٢)، و«كتاب الأم» (١/ ١٥١).

• **الشافعي**: عن سفيان، عن **عمرو بن دينار**، أنّه سمع بجالة يقول: كتب عمر رضي الله عنه: أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرةٍ، قال: فقتلنا ثلاث سواحر[١].

قسمة الغنيمة والفيء والصدقات

• **الشافعي**: عن **طارق بن شهاب** قال: أمدَّ أهلُ الكوفة أهلَ البصرة، وعليهم عمّار بن ياسر، فجاءوا وقد غَنِموا، فكتبَ عمر: إنَّ الغنيمة لمن شهدَ الوقعة.

قال: وروي أنَّ عمر كتب إلى سعد في جيش لَحِقَ به بعد ما غنم أن يقسم له، إن جاءوا قبل أن يدفنَ القتلى[٢]، ثم ضعَّفه.

• **الشافعي والبخاري وغيرهما**: عن الزهري، عن **مالك بن أوس بن الحدثان**، قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب والعبّاسَ وعليّ بن أبي طالب يختصمانِ إليه في أموالِ النبيِّ ﷺ، فقال عمر: كانت أموالُ بني النضير ممّا أفاءَ الله على رسوله، ممّا لم يوجِفْ عليه المسلمون بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت لرسولِ الله ﷺ خالصةً دون المسلمين، فكان رسولُ اللهِ ﷺ ينفقُ منها على أهله نفقةَ سنةٍ، فما فَضَلَ جعله في الكراعِ والسلاحِ عدة في سبيل الله... الحديث بطوله[٣].

• قال الشافعي في مسألة «السلب للقاتل»: عارَضنا معارضٌ فذكر

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٣٨٣).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٧١).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (ح: ٢٦٨٩)، و«صحيح مسلم» (ح: ٣٣٠١)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٥٢٩)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٢٩)، و«معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ٤٩٧).

أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنّا كنا لا نخمّسُ السلبَ، وإنَّ سلبَ البراء قد بلغ شيئاً كثيراً، ولا أُراني إلا خامسه، ثم أجاب بأنَّ هذه الرواية ليست من رواياتنا، وإنْ سلّمنا فإذا ثبتَ عن رسولِ الله ﷺ بأبي هو وأمي شيءٌ، لم يَجُزْ تركه، ولم يستثنِ النبيُّ ﷺ قليلَ السلب ولا كثيره[1]، ثم قد قضى سعدٌ في زمانه بالسلب الكثير للقاتل.

قلت: وبعد هذا كلّه فإنّما مفادُ تلك الرواية أنَّ السلب لا يخمَّس وهو للقاتل إلّا إذا كان شيئاً كثيراً جداً خلاف العادة المعهودة، ففيه إثبات أن السلب للقاتل لا يخمّس.

بقي البحث في الاستثناء فقط، ولعلَّ عمر خصَّ بالمعتاد؛ لأنّه بمنزلةِ الحقيقة العرفية، والله أعلم.

● **محمد بن الحسن** عن أبي حنيفة، عن عبد الله بن داود، عن **المنذر بن أبي حمصة** قال: بعثه عمر إلى جيش في مصر فأصابوا غنائم، فقسم للفارس سهمين، وللراجل سهماً، فرضي بذلك عمر.

قال محمد: وهذا قول أبي حنيفة، ولسنا نأخذُ بهذا، ولكنّا نرى للفارس ثلاثةَ أسهم، سهماً له وسهمين لفرسه، وروى أبو يوسف عن أبي حنيفة نحواً من ذلك ثم قال: كان أبو حنيفة يأخذُ بهذا الحديث، ويجعلُ للفرس سهماً، وللرجل سهماً، وما جاء من الآثار في الأحاديث أنَّ للفرس سهمين وللرجل سهماً أكثرَ من ذلك إسحاقُ، والعامة عليه.

● قال أبو يوسف: محمَّد بن السائب الكلبي حدثني عن أبي صالح عن **ابن عباس** أنَّ الخمس كان في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم، لله وللرسول سهم، ولذي القُربى سهمٌ، ولليتامى والمساكين وابن

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار» (١١/ ١٥٠).

السبيل ثلاثةُ أسهم، ثم قسمه أبو بكر الصدِّيق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين رضي الله تعالى عنهم على ثلاثةِ أسهمٍ، وسقط سهمُ الرسولِ، وسهم ذوي القربى، وقسم على الثلاثة الباقين.

ثم قسمه علي بن أبي طالب على ما قسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان.

• وقد روي لنا عن **عبد الله بن عباس** أنّه قال: عرض علينا عمرُ بنُ الخطاب أن يزوّج من الخمس أيِّمَنا، ويقضي منه عن مُغْرَمنا، فأبينا إلّا أن يسلّمه لنا، وأبى ذلك علينا[١].

• **أبو يوسف**: أخبرني محمد بن إسحاق عن أبي جعفر قلت له: ما كان رأي علي فيه؟.

قال: كان رأيه فيه رأي أهل بيته، ولكنّه كره أن يخالِفَ أبا بكر وعمر[٢].

• **أبو يوسف**: حدثني محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن **أبيه** قال: سمعتُ علياً يقول: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إن رأيتَ أن تولّيني حقنا من الخُمْسِ، فأقسمه حياتك، كيلا ينازعنيه أحدٌ بعدك، فافعل، قال: ففعل ذاك، قال: فولّانيه رسولُ اللهِ ﷺ، فقسمته في حياته ﷺ، ثم ولّانيه أبو بكر رضي الله عنه، فقسمته في حياته، ثم ولّانيه عمر رضي الله عنه، فقسمته في حياته، حتّى كان آخرَ سنة من سني عمر، فأتاه مالٌ كثير، فعزل حقنا، ثم أرسل إليَّ فقال: خذه، فاقسمه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! بنا عنه العام غنىً، وبالمسلمين إليه حاجةٌ، فَرُدَّه عليهم تلك السنة، ثم لم يدعنا

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢١).
(٢) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢١).

إليه أحدٌ بعد عمر، حتى قمت مقامي هذا، فلقيني العباس بعد خروجي من عند عمر رضي الله عنه، فقال: يا علي! لقد حرمتنا الغداةَ شيئاً لا يَرِدُ علينا أبداً إلى يوم القيامة[١].

• **أبو يوسف**: حدثني محمد بن إسحاق عن **الزهري**: أنَّ نجدة كتب إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله عن سهم ذوي القربى، لمن هو؟

فكتب إليه ابن عباس: كتبت إلي تسألني عن سهم ذوي القربى، لمن هو؟ وهو لنا، وإنَّ عمرَ بنَ الخطاب دعانا إلى أن ينكحَ منه أيّمَنا، ويُقْضَى منه عن مُغْرَمِنا، ويخدمَ منه عائلتنا، فأبينا إلّا أن يسلمه لنا، وأبى ذلك علينا[٢].

أبو يوسف: حدثني **عطاء بن السائب** أنَّ عمر بن عبد العزيز بعث بسهم الرسول وسهم ذوي القربى إلى بني هاشم.

قال أبو يوسف: كان أبو حنيفة وأكثرُ فقهائنا يرون أن يقسمه الخليفةُ على ما قسمه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي رضي الله تعالى عنهم.

• **الشافعي**: قال بعضُ الناس: ليس لذوي القربى من الخُمْسِ شيءٌ، قال ابن عيينة: روي أنَّ محمد بن إسحاق قال: سألتُ أبا جعفر محمَّد بن علي ما صنع عليٌّ في الخمس؟ فقال: سلك به طريقَ أبي بكر وعمر، وكان يكره أن يؤخذ عليه خلافُهما[٣].

قلت: يريد القائل أنّه كالإجماع على سقوط سهمهم، ثم ردَّ الشافعي عليه بكلام مبسوط، وكان ممّا قال، فقيل له: هل علمتَ أنَّ

---

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢٢).
(٢) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢٢).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٩٢).

أبا بكر قسم على الحُرِّ والعبد، وسوَّى بين الناس، وقسم عمر، فلم يجعل للعبد شيئاً، وفضل بعضَ الناس على بعضٍ، وقسم علي فلم يجعل للعبدِ شيئاً وسوّى بين الناسِ؟ قال: نعم، قلتُ: أفتعلمه خالفهما؟ قال: نعم، قلت: أوتعلم أنَّ عمر قال: لا تباعُ أُمَّهات الأولاد، وخالفَه عليٌّ؟ قال: نعم، قلتُ: أوتعلمُ علياً خالفَ أبا بكر في الجد؟ قال: نعم، ثم قال الشافعيُّ: أخبرنا عن جعفر بن محمد عن أبيه: أنَّ حسناً وحسيناً وابن عباس وعبد الله بن جعفر سألوا عليّاً نصيبهم من الخمس، فقال: هو لكم حقٌّ، ولكنِّي محارِبٌ معاوية، فإن شئتم تركتم حقّكم فيه.

قال في الجديد: فأخبرتُ بهذا الحديث عبدَ العزيز بن محمد، فقال: صدق، هكذا كان جعفرُ يحدّثه، أفما حدثكه عن أبيه عن جده؟ قلتُ: لا، قال: ما أحسبه إلّا عن جده، قال الشافعي: أجعفرٌ أعرفُ بحديث أبيه أم ابن إسحاق، قال: بل جعفر، ثم قال الشافعيُّ: أخبرنا إبراهيم بن محمد، عن مطر الوراق، ورجل لم يسمه، كلاهما عن الحكم بن عتيبة، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: لقيتُ عليّاً عند أحجار الزيت، فقلتُ له: بأبي أنتَ وأمي، ما فعل أبو بكر وعمر في حَقِّكُم أهلَ البيت من الخُمْس؟ فقال عليٌّ: أما أبو بكر فلم يكن في زمانه أخماس، وما كان فقد أوفاناه، وأمّا عمرُ فلم يزل يعطيناه، حتّى جاءه مال السوس والأهواز، أو قال: الأهواز ومال فارس، أنا أشك؛ يعني: الشافعي، فقال في حديث مطر أو حديث الآخر، فقال: في المسلمين خلّةٌ، فإن أحببتُم تركتم حقّكم، فجعلناه في خلةِ المسلمين، حتّى يأتينا مالٌ فأوفيكم حقّكم منه، فقال العباس لعلي: لا تطمِعْهُ في حقنا، فقلت له: يا أبا الفضل! ألسنا أحقُّ مَنْ أجاب أمير المؤمنين، ورفع خلة المسلمين؟ فتوفي عمر قبل أن يأتيه مالٌ، فيقضيناه، وقال

الحكم في حديث مطر أو الآخر: إنَّ عمر قال: لكم حق، ولا يبلغ علمي إذا كثر أن يكون لكم كلّه، فإن شئتم أعطيتُكم منه بقدر ما أرى لكم، فأبينا عليه إلّا كلّه، فأبى أن يعطيَنا كلّه[١].

• **البيهقي**: عن **ابن عباس**: أنَّ نجدة الحروري كتب إليه في سهم ذوي القربى، نحواً مما ذكر أبو يوسف، ثم قال الشافعي في رواية أبي عبد الله، عن أبي العباس عنه: قال: فكيف يقسم سهم ذوي القربى؟ وليست الرواية فيه عن أبي بكر وعمر متواطئة؟

قال الشافعي: قلتُ: هذا قولُ مَنْ لا عِلْمَ له، هذا الحديثُ يثبت عن أبي بكر أنّه أعطاهموه، وعمر حتى كثر المالُ، ثم اختلف عنه في الكثرة، وقلتُ: أرأيتَ مذهبَ أهل العلم في القديم والحديث: إذا كان الشيءُ منصوصاً في كتاب الله، مبيَّناً على لسان رسول الله ﷺ أو فعلَه، أليسَ يستغنى به عَنْ أن يُسألَ عمّا بعده، ويُعْلَمُ أنَّ فرض الله على أهل العلم اتباعه؟ قال: بلى، قلتُ: أفتجد سهمَ ذوي القربى مفروضاً في آيتين من كتاب الله، مبيَّناً على لسان رسول الله ﷺ، وفِعْلُه ثابتٌ بما يكون من أخبار الناس من وجهين: **أحدهما**: ثقة المخبرين به، واتّصال خبرِهم، وأنَّهم كلّهم أهل قرابة لرسول الله ﷺ، الزهري من أخواله، وابن المسيّب من أخوال أبيه، وجبير بن مطعم ابنُ عمه، وكلّهم قريبٌ منه في جِذْم النسب، وهم يخبرونك مع قرابتهم وشرفهم أنَّهم مخرجون منه، وأنَّ غيرهم مخصوصٌ به دونهم، ويخبِرُك جبيرٌ أنّه طلبه هو وعثمان، فمتى تجدُ سُنَّةً أثبت بفرض الكتاب، وصحَّةِ المُخْبِرِ، [وهذه الدلالات] من هذه السنة التي لم يعارِضْها عن رسولِ اللهِ ﷺ معارِضٌ بخلافها[٢].

---

(١) انظر: «مسند الشافعي» (١/ ٣٢٥)، و«معرفة السنن والآثار» (١١/ ٩٢ ـ ٩٤).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٩٦)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٤٨، ١٤٩).

قلت: هذا كلامُ الفريقين فتأمَّلْ فيه جداً.

والأَوْجَه عندي: أنَّ عمر بن الخطاب كان يرى سهمَ ذوي القربى ثابتاً ماضياً بعد رسول الله ﷺ، ولم يكن يرى أنَّ لهم خُمْس الخُمس كاملاً، بل كان يرى ذلك إلى الإمام يعطيهم باجتهاده، كما روى أبو يوسف والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس، وليس للشافعي حديثٌ صريحٌ يدل على أنَّ النبيَّ ﷺ وخلفاءه كانوا يعطون ذوي القربى خُمْسَ الخمس، لا ينقصون منه، ولا لأبي يوسف نصٌّ صريحٌ صحيحٌ أنَّ أبا بكر وعمر أسقطا سهم ذوي القربى بالكلية، والكلبيُّ ضعيفٌ عند أهل الحديث، لا شكَّ في ذلك، ووجه التطبيق بين الروايتين المختلفتين في العلّة التي عرضها عمرُ على عليٍّ في ترك سهمهم، أنَّ الأمرين صحيحٌ، حَطَّ نصيبهم ممّا كانوا يزعمون أنّه حقهم، وحثّهم على بذل ما لهم من الحق عنده إلى الفقراء في أيام الحاجة.

• **أبو يوسف** رَحِمَهُ اللهُ: حدثني بعض مشايخنا، عن **يزيد بن أبي حبيب** أنَّ عمرَ رضي الله عنه كتب إلى سعد حين افتتحَ العراق: أمّا بعدُ: فقد بلغني كتابُك، تذكر أنَّ الناسَ سألوك أن تقسمَ بينهم مغانمهم، وما أفاء الله عليهم، فإذا جاءك كتابي هذا فانظر ما أجلبَ الناسُ عليك به إلى العسكر من كراعٍ ومالٍ، فاقسمه بَيْنَ مَنْ حضرَ من المسلمين، واترك الأرضينَ والأنهارَ لعمّالها، ليكونَ ذلك في أعطيات المسلمين، فإنّك إن قسمتها بين مَنْ حضر، لم يكن لمن بعدهم شيءٌ، وقد كنتُ أمرتك أن تدعو من لقيتَ إلى الإسلام، فمن أسلمَ واستجابَ لك قبل القتال، فهو رجلٌ من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وله سهمٌ في الإسلام، ومن أجابَ لك بعد القتال، وبعد الهزيمة، فهو رجلٌ من المسلمين،

ومالُه لأهل الإسلام؛ لأنّهم قد أحرزوه قبلَ إسلامه، فهذا أمري وعهدي إليك[1].

أبو يوسف: حدثني **غير واحد** من علماء أهل المدينة قالوا: لمّا قدم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه جيشُ العراقِ من قبل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، شاور أصحابَ محمَّد ﷺ في تدوين الدواوين، وقد كان اتَّبع رأي أبي بكر في التسوية بين الناس، فلمَّا جاء فتحُ العراقِ، شاورَ الناسَ في التفضيل، ورأى أنّه الرأي، فأشار عليه بذلك مَنْ رآه، وشاورهم في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين مِنْ أرضِ العراق والشام، فتكلَّم قومٌ فيها، وأرادوا أن يَقْسِمُوا لهم حقوقهم وما فتحوا، فقال عمر رضي الله عنه: فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدونَ الأرض بعلوجهم قد اقْتُسِمَتْ، ووُرِثَت عن الآباء وحِيزَتْ، ما هذا برأي.

فقال له عبدُ الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: فما الرأي؟ ما الأرضُ والعلوج إلَّا ممَّا أفاء الله عليهم.

فقال عمر: ما هو إلا كما تقولُ، ولستُ أرى ذلك، واللهِ لا يفتح بعدي بلدٌ فيكون فيه كبيرُ نيلٍ، بل عسى أن يكون كَلّاً على المسلمين، فإذا قسمتُ أرضَ العراق بعلوجها، وأرضَ الشام بعلوجِها، فما يَسدُّ به الثغور؟ وما يكونُ للذرية والأراملِ بهذا البلدِ وبغيره من أرض الشام والعراق؟.

استشار عمر الصحابة في قسمة الأرض المفتوحة، فأكثروا على عمر رضي الله عنه وقالوا: لا تقف[2] ما أفاءَ الله علينا بأسيافنا على قومٍ لم يحضروا، ولم يشهدوا، ولأبناءِ القومِ ولأبناءِ أبنائهم ولم يحضروا، فكان

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢٧).
(٢) كذا في الأصل، وفي «كتاب الخراج»: «أتقف».

عمر ﷺ لا يزيد على أن يقول: هذا رأيي، قالوا: فاستشر، قال: فاستشار المهاجرين الأوَّلين، فاختلفوا، فأما عبد الرحمٰن بن عوف ﷺ فكان رأيه أن تُقْسَمَ لهم حقوقهم، ورأى عثمانُ وعليٌّ وطلحةُ وابنُ عمر ﷺ رأيَ عمر، فأرسل إلى عشرة من الأنصار: خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج، من كبرائهم وأشرافهم، فلمّا اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال:

إنِّي لم أزعجكم إلا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملتُ من أموركم، فإنِّي واحدٌ كأحدكم، وأنتم اليوم تقرُّون بالحق، خالفني من خالفني، ووافقني من وافقني، ولستُ أُريدُ أن تتبعوا هذا الذي هو هواي، معكم من اللهِ كتابٌ ينطقُ بالحقِّ، فواللهِ لأن كنتُ نطقتُ بأَمْرٍ أريده ما أريدُ به إلَّا الحق.

قالوا: قل: نسمعُ يا أميرَ المؤمنين.

قال: قد سمعت كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أنِّي أظلمهم حقوقهم، وإنِّي أعوذُ بالله أنْ أركبَ ظلماً، لئن كنتُ ظلمتُهم شيئاً، هو لهم، وأعطيتُه غيرَهم، لقد شقيتُ، ولكن رأيتُ أنَّه لم يبقَ شيءٌ يفتح بعد أرضِ كسرى، وقد غنَّمنا اللهُ أموالهم وأرضهم وعلوجَهم، فقسمت ما غنموا من أموالٍ بين أهله، وأخرجتُ الخمس، فوجهته على وجهه، وأنا في توجيهه، وقد رأيتُ أَنْ أحبسَ الأرضين بعلوجها، وأضعَ عليهم فيها الخراجَ، وفي رقابهم الجزيةَ، يؤدّونها، فتكونُ فيئاً للمسلمين، المقاتلة والذرية ولمن يأتي من بعدهم، أرأيتُم هذه الثغور لا بدَّ لها من رجال يلزمونها، أرأيتُم هذه المدنُ العظامُ كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بدَّ لها مِنْ أن تُشْحَنَ بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم، فمِنْ أينَ يُعْطَى هؤلاء إذا قُسِّمَتِ الأرضون والعلوج؟

فقالوا جميعاً: الرأي رأيكَ، فنِعْمَ ما قلتَ وما رأيتَ، إن لم تُشْحَنْ هذه الثغورُ وهذه المدنُ بالرجال، وتجري عليهم ما يتقوون به، رجعَ أهلُ الكفر إلى مدنهم.

فقال: قد بانَ لي الأمر، فمن رجل له جزالة وعقل يضعُ الأرض مواضعها، ويضعُ على العلوجِ ما يحتملون؟

فاجتمعوا له على عثمانَ بنِ حُنيفٍ وقالوا: تبعثه إلى أهمِّ من ذلك، فإن له بصراً وعقلاً وتجربة، فأسرع إليه عمر، فولّاه مساحةَ أرضِ السوادِ، فأدت جبايةُ سواد الكوفة قبل أن يموتَ عمر رضي الله تعالى عنه بعام مائة ألفِ ألفِ درهم، والدرهم يومئذ درهم ودانقان ونصف، وكان وزنٌ الدرهم يومئذٍ وزن المثقال(١).

• قال: وحدثني الليث بن سعد عن حبيب بن **أبي ثابت** قال: إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ وجماعة من المسلمين أرادوا عمرَ بنَ الخطاب ﵁ أن يَقْسِمَ الشام، كما قسم رسولُ اللهِ ﷺ خيبر، وأنّه كان أشد الناس عليه في ذلك الزبيرُ بن العوام، وبلالُ بن رباح، فقال عمرُ ﵁: إذن أتركُ مَنْ بعدكم من المسلمين لا شيءَ لهم، ثم قال: اللَّهُمَّ اكفني بلالاً وأصحابه، قال: فرأى المسلمونَ أنَّ الطاعونَ الذي أصابهم بعمواس كان عن دعوةِ عمر، قال: وتركهم عمر ﵁ ذمة يؤدّون الخراجَ للمسلمين(٢).

• **قال: وحدثني محمد بن إسحاق عن الزهري**: أن عمر بن الخطاب ﵁ استشار الناسَ في السواد حين افْتُتِحَ، فرأى عامتهم أن يقسمَه، وكان بلالُ بنُ رباح من أشدّهم في ذلك، وكان رأي عمر ﵁

---

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٢٨ ـ ٢٩).
(٢) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٣٠).

أن يتركه ولا يقسمه، فقال: اللَّهُمَّ اكفني بلالاً وأصحابه، ومكثوا في ذلك يومينِ أو ثلاثةً أو دون ذلك، ثم قال عمر رضي الله عنه: إنِّي قد وجدتُ حجةً، قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحشر] حتى فرغ من شأن بني النضير، فهذه عامةٌ في القرى كلها، ثم قال: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر]، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]، ثم لم يرضَ حتّى خلط بهم غيرَهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر]، فهذا فيما بلغنا ـ والله أعلم ـ للأنصار خاصة، ثم لم يرضَ حتّى خلط بهم غيرَهم، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم، فقد صار هذا الفيءُ بين هؤلاء جميعاً، فكيف نقسمه لهؤلاء، وندعُ مَنْ تخلَّف بعدهم بغير قسمٍ، فأجمع على تركه وجمع خراجه[١].

● **قال أبو يوسف**: والذي رأى عمر رضي الله عنه ـ من الامتناع من قسمة الأرضينَ بين من افتتحها عند ما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ـ

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٣١ ـ ٣٢).

توفيقٌ من اللهِ، كان له فيما صنع، وفيه كانتِ الخيرةُ لجميع المسلمين، وفيما رآه مِنْ جمعِ خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عمومُ النفع لجماعتهم؛ لأنَّ هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق، لم تُشْحَنِ الثغور، ولم تَقْوَ الجيوشُ على السير في الجهاد، ولما أمن برجوعِ أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة ومن المرتزقة، والله أعلمُ بالخيرِ حيثُ كان[1].

• **قال الشافعي**: الدورُ والأرضونُ ممَّا تصالحوا عليه وقف للمسلمين تستغلُّ، ويقسّم الإمام غلّتها في كلِّ عام، قال: وأحسب ما ترك عمرُ رضي الله عنه من بلاد أهل الشرك هكذا، أو شيئاً استطاب أنفس من ظهر عليه بخيل وركاب فتركوه، كما استطابَ رسولُ اللهِ ﷺ أنفس أهل سبي هوازن، فتركوا حقوقهم.

قال: وفي حديث جرير بن عبد الله، عن عمر: أنه عوَّضه من حقه، وعوض امرأة من حقها بميراثها من أبيها، كالدليل على ما قلتُ، ويشبه قول جرير عن عمر: لولا أنِّي قاسمٌ مسؤولٌ لتركتكم على ما قسم لكم، أن يكون قسم لهم بلاد صلح مع بلاد إيجاف، فرد قسم الصلح، وعوَّض من بلاد الإيجاف بالخيل والركاب[2].

قلتُ: والأَوْجَه عندي أنَّ الفرس والروم كانوا متسلّطين على مُلّاك الأرض، يأخذون منهم الخراجَ، ولم يكونوا مُلّاك الأرض وزرّاعها، ولا ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، فقاتل المسلمون أولئك المتغلّبين، حتى دفعوهم عن سوادِ الشام والعراقِ، وأمّا ملاك الأرض وعلوجُها الذين كانوا يزرعونها، ويسكنونها، وورثوها عن آبائهم،

(١) انظر: «كتاب الخراج»، لأبي يوسف (١/ ٣٢).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٢٣).

فأكثرُهم صالحوا المسلمين، والتزموا الخراجَ، وبعضُهم ظاهروا الرومَ والفرس، وقاتلوا معهم، فاشتبه الأمرُ على الناس، فظنَّ عوامهم أنَّ الأراضي مغنومةٌ لوجود المقاتلة في الجملة، وفطنَ الخواص بأنَّ المقاتلة إنَّما كانت مع المتسلّطين المتغلبين، وأمّا أهل الأرض الذين هم مُلّاكُها وسكّانُها، فإنَّ أكثرَهم صالحوا المسلمين، وافتتحها المسلمون صلحاً من غير إيجاف خيل ولا ركاب، وإنَّما أوجفوا على غيرهم ممَّن تغلبَ عليهم، فلذلك تلا عمر آية الفيء في هذه المسألة.

وأما القليل منهم الذين قاتلوا المسلمينَ على أراضيهم مع جنود فارس والروم، فأراضيهم مغنومة، استطاب نفوسهم عنها عمر بن الخطاب حين أراد إيقاف السواد، فمن لم يطب نفساً عوَّضه، وإن كان الأمرُ على ما ذهبَ إليه أبو يوسف فسواد العراق والشام محوَّل عن سنن الأموال المغنومة، مخصوصٌ من عموم قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنفال: ٤١]، بإجماع الصحابة، وبما فهموا من حديث النبيِّ ﷺ ومقتضى كلامه في فتح فارس والروم، وأمَّا غيرها من البلاد، فعلى ما قال الشافعي على نوعين:

أحدهما: ما أفاء الله تعالى من غير إيجاف خيل ولا ركاب، ويجعل خزانةً للغزاة، كما صنع رسول الله ﷺ بنصف خيبر، الذي أصابه من غير إيجاف، وكما صنع بالنضير وفَدَك.

والثاني: ما أفاء الله تعالى بإيجاف الخيل والركاب، فيقسم عليهم، كما صنع رسول الله ﷺ بنصف خيبر الذي أصابه عنوةً، وهذا الذي ذهبنا إليه مدلولُ ظاهرِ ما رواه مالك والشافعي عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر: لولا آخِرُ المسلمين ما فُتِحَتْ مدينةٌ إلا قسمتها كما قسم

رسولُ اللهِ ﷺ خيبر[١].

• **الشافعي** تعليقاً: عن **جرير بن عبد الله** عن عمر: لولا أنِّي قاسمٌ مسؤول لتركتكم على ما قسم لكم[٢]، فبهذه الرواية يتعيَّنُ حملها على المفتوح عنوةً، فإنَّ رسول الله ﷺ ما قسم عليهم إلا المفتوح عنوةً، ولكن ظهرت لعمرَ وجمهور الصحابةِ مصلحةٌ اقتضت ترك قسمة المفتوح عنوةً، وجعله خزانةً للغزاة، وعدةً للسلاح والكراع.

• **الشافعي**: عن الزهري، عن **مالك بن أوس**، أنَّ عمر رضي الله عنه قال: ما أحدٌ إلا وله في هذا المالِ حقٌّ، أُعْطِيَه أو مُنِعَهُ، إلَّا ما ملكتْ أيمانكم.

• **الشافعي**: عن محمد بن المنكدر، عن **مالك بن أوس**، عن عمر رضي الله عنه نحوه وقال: لئن عشتُ ليأتينَّ الراعي بسرو حِمْيَرَ حقَّه[٣].

ثم أوَّل الشافعي كلامَ عمر، فقال: معناه: ما أحدٌ من أهل الفيء الذين يغزون إلا وله حقٌّ في مال الفيء أو الصدقة، قال: والذي أحفظ عن أهل العلم أنَّ الأعرابَ لا يُعْطَوْنَ من الفيء.

قلت: الأوجه عندي أنَّ الاختلافَ بين عمل النبي ﷺ وأبي بكر، وبين عمل عمر في قَسْم الفيء منشأه اختلافُ قلَّةِ الفيء وكثرته، وقد أشار عمر إلى أنَّ آية الفيء شملت جميعَ المسلمين، لم تترك منهم شيئاً، ولكنَّ المرعِي في التقسيم تقديمُ الأحوجِ فالأحوجِ.

• **البيهقي**: عن **حارثة بن مضرب العبدي** قال: قال عمر: إني

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ٣٥).

(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٢٣)، و«مسند الشافعي» رقم: (١٦٤٢)، و«كتاب الأم» (٤/ ٢٩٧).

(٣) انظر: «مسند الشافعي» (٣/ ٣٨١).

أنزلتُ نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ، وإن افتقرتُ أكلتُ بالمعروف[١].

• **الشافعي**: عن **الأحنف بن قيس**، أنَّ عمر قيل له في أَمَةٍ مرت، فقال: إنَّها لا تحلّ لي، إنَّها من مال الله، وقال: أخبركم بما أستحلُّ من مال الله، أو قال: بما يَحِلُّ لي، أستحلُّ منه حُلتين، حلةَ الشتاء، وحلةَ القيظ، وما أحجُّ عليه وأعتمرُ، وقوتي وقوتَ عيالي كقوتِ رجلٍ من قريشٍ، لا مِنْ أغنيائهم، ولا من فقرائهم، ثم أنا بعدُ رجلٌ من المسلمين، يصيبني ما أصابَهم[٢].

• **الشافعي**: أخبرنا **غير واحد** من أهل العلم أنَّه لما قدم على عمر بن الخطاب بما أُصيبَ بالعراق، قال له صاحب بيت المال: أنا أدخله بيت المال، قال: لا وربِّ الكعبة، لا يؤوي تحت سقف بيتٍ حتى أقسمَه، فأمر به فوُضِعَ في المسجد، ووضعت عليه الأنطاعُ، وحرسه رجالٌ من المهاجرين والأنصار، فلمَّا أصبحَ غدا معه العباس بن عبد المطلب وعبد الرحمٰن بن عوف، أخذ بيد أحدِهما، أو أحدهما أخذ بيده، فلمَّا رأوه كشفوا الأنطاع عن الأموال، فرأى منظراً لم يرَ مثله، رأى الذهب فيه، والياقوت، والزبرجد، واللؤلؤ يتلألأ، فبكى، فقال له أحدُهما: إنّه والله ما هو بيوم بكاء، ولكنَّه يومُ شكرٍ وسرورٍ، فقال: إنِّي واللهِ ما ذهبتُ حيث ذهبتَ، ولكنَّه واللهِ ما كَثُرَ هذا في قومٍ قط إلا وقعَ بأسهم بينهم، ثم أقبل على القبلة، ورفع يديه إلى السماء وقال: اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بك أنْ أكون مستدرَجاً، فإنِّي أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأعراف].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١١٥).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١١٦).

ثم قال: أين سراقة بن جُعْشم؟ فأتي به أشعر الذراعين دقيقهما، فأعطاه سواري كسرى، فقال: البسهما، ففعل، فقال: قل: الله أكبر، قال: الله أكبر، قال: قل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقةَ بن جُعْشم، أعرابياً من بني مُدْلج، وجعل يقلِّب بعض ذلك بعضاً، فقال: إنَّ الذي أدّى هذا لأمينٌ، فقال له رجل: أنا أخبرك، أنتَ أمينُ الله، وهم يؤدّون إليك ما أديتَ إلى الله، فإذا رتعتَ رتعوا قال: صدقتَ، ثم فرقه.

قال **الشافعي**: وإنما ألبسهما سراقة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال لسراقة ونظر إلى ذراعيه: كأنِّي بك قد لبستَ سواري كسرى. قال: ولم يجعل له إلا سوارين.

• قال **الشافعي**: أخبرنا الثقةُ من أهل المدينة قال: أنفقَ عمرُ بنُ الخطاب على أهل الرمادة حتّى وقعَ مطرٌ، فترحَّلوا، فخرجَ عمر إليهم راكباً فرساً ينظرُ إليهم، وهم يترحَّلون بظعائنهم، فدمعت عيناه، فقال له رجلٌ من بني محارب بن خصفة: أشهدُ أنهنَّ لم يحسرنَ عنك، ولست بابن أمة، فقال له عمر: ويلك، ذلك لو كنتُ أنفقتُ عليهم من مالي، أو مالِ الخطّابِ، إنما أنفقتُ عليهم من مال الله عز وجل[1].

• **الشافعي**: عن أبي جعفر **محمد بن علي**: أنَّ عمرَ رضي الله عنه لمّا دون الدواوين قال: بمن ترون أنْ أبدأ؟ فقيل له: ابدأ بالأقرب فالأقرب بك، قال: بل أبدأ بالأقربِ فالأقربِ برسول الله ﷺ[2].

• **قال الشافعي**: أخبرني **غيرُ واحد** من أهل العلم من قبائل قريش:

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ٣٥٧) برقم: (١٢٨١٢)، و«معرفة السنن والآثار» (١١/ ١٢٠ ـ ١٢٢)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٥٧).

(٢) انظر: «مسند الشافعي» (٣/ ٣٨٣)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٨٥).

أن عمرَ بنَ الخطاب لما كثر المال في زمانه، أجمعَ على أن يدوِّنَ الدواوين، فاستشارَ، فقال: بمن ترون أن أبدأ؟ فقال له رجل: ابدأ بالأقرب فالأقرب بك، قال: ذكرتموني، بل أبدأُ بالأقربِ فالأقربِ برسول الله ﷺ، فبدأ ببني هاشم[1].

• **قال الشافعي**: وأخبرني **غيرُ واحدٍ** من أهل العلم والصدق من أهل المدينة ومكة من قبائل قريش ومن غيرهم، وكان بعضُهم أحسنَ اقتصاصاً للحديث من بعض، وقد زادَ بعضُهم على بعض في الحديث: أنَّ عمر رضي الله عنه لمّا دوَّنَ الدواوين قال: أبدأُ ببني هاشم، ثم قال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيهم، وبني المطلب، فإذا كانتِ السنّ في الهاشمي قدمه على المطلبي، وإذا كانت في المطلبي قدمه على الهاشمي، فوضع الديوان على ذلك، وأعطاهم عطاءَ القبيلةِ الواحدةِ، ثم استوت له عبد شمس ونوفل في جذم النسب، فقال: عبد شمس إخوة النبيِّ ﷺ لأبيه وأمه دون نوفل، فقدَّمهم.

ثم دعا بني نوفل يتلونهم، ثم استوت له عبد العزى وعبد الدار، فقال في بني أسد بن عبد العزى: أصهار النبي ﷺ، وفيهم أنَّهم من المطيّبين، وقال بعضهم: هم من حلف الفضول، وفيهما كان رسول الله ﷺ، وقد قيل: ذكر سابقة فقدَّمهم على بني عبد الدار.

ثم دعا بني عبد الدار يتلونهم، ثم انفردت له زهرة فدعاها تتلو عبد الدار، ثم استوت له بنو تيم ومخزوم، فقال في تيم: إنهم من حلف الفضول والمطيبين، وفيهما كان رسول الله ﷺ، وقيل: ذكر سابقة، وقيل: ذكر صهراً، فقدمهم على مخزوم.

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٣٠)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٥٨).

ثم دعا مخزوماً يتلونهم، ثم استوت له سهمٌ، وجُمَحٌ، وعدي بن كعب، فقيل: ابدأ بِعَدِيٍّ، فقال: بل أقرُّ نفسي حيثُ كنت، فإنَّ الإسلامَ دخلَ وأمرُنا وأمرُ بني سهم واحد، ولكن انظروا بني جُمَح، وسهم، فقيل: قدّم بني جمح.

ثم دعا بني سهم، وكان ديوان عدي وسهم مختلطاً كالدعوة الواحدة، فلما خلصت إليه دعوته كبَّر تكبيرة عالية، ثم قال: الحمد لله الذي أوصل إليَّ حظي من رسوله.

ثم دعا بني عامر بن لؤي، قال الشافعي: فقال بعضُهم: إنَّ أبا عبيدة بن الجراح الفهري لمَّا رأى مَنْ يتقدَّم عليه قال: أكل هؤلاء تدعو أمامي؟ فقال: يا أبا عبيدة، اصبر كما صبرتُ، أو كَلِّمْ قومك، فمن قدَّمك منهم على نفسه لم أمنعه، فأمَّا أنا وبنو عدي فنقدّمك إن أحببتَ على أنفسنا، قال: فقدم معاوية بعد بني الحارث بن فهر، ففصل بهم بين بني عبد مناف وأسد بن عبد العزى، وشجر بين بني سهم وعدي شيءٌ في زمان المهدي، فافترقوا، فأمر المهدي ببني عدي فقُدِّمُوا على سَهْمٍ وجُمَحَ، للسابقة فيهم.

• **قال الشافعي**: وإذا فُرِغَ من قريش قُدِّمَتِ الأنصارُ على قبائل العرب كلِّها لمكانها من الإسلام.

• **قال الشافعي**: الناسُ عبادُ اللهِ، فأولاهم أن يكونَ مقدَّماً أقربهم لخيرةِ اللهِ لرسالاتِهِ، ومستودَعِ أمانتِهِ، وخاتَمِ النبيينِ، وبِخَيْرَةِ خَلْقِ ربِّ العالمين محمَّدٍ ﷺ[1].

• **الشافعي**: روى ليث بن أبي سليم، عن **عطاء**، عن عمر بن

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٣١)، و«كتاب الأم» (٤/ ١٥٨، ١٥٩).

الخطاب في هذه الآية؛ يعني: آية الصدقات قال: أيّما صنفٍ من هذا أعطيتَه أجزأك.

ثم ضعَّفه فقال: وهذا منقطِعٌ بين عطاء وعمر، وليثٌ غير قوي، والله أعلم[١].

وفي الحديث المرفوع: **«إنَّ اللهَ لم يَرْضَ بحكم نبيٍّ، ولا غيرِه في الصدقاتِ حتّى حكم هُوَ فيها، فجزّأها ثمانيةَ أجزاءٍ»**[٢].

قلت: معنى قوله ﷺ: **«جزّأها ثمانيةَ أجزاءٍ»**، شرعها لثمانيةَ أصنافٍ، وليس فيه تسويةُ الأقسامِ، ولا أنَّه يجبُ تقسيمُ كلِّ صدقة إلى ثمانية أجزاء، والله أعلم.

● **الشافعي**: عن يحيى بن عبد الله بن مالك، عن **أبيه**، أنَّه سأله: أرأيتَ الإبل التي كان يَحْمِلُ عليها عمرُ الغزاةَ وعثمانُ بعده؟ قال: أخبرني أبي أنَّها إبل الجزية التي كان بعثَ بها معاويةُ وعَمْرُو بن العاص[٣].

احتجَّ به الشافعيُّ على أنه ليس لأهل الفيء في الصدقة حقٌّ، وفيه نظرٌ لما روى الشافعي: أنَّ عديَّ بنَ حاتم جاء أبا بكر الصدِّيق، أحسبه قال: بثلاث مائةٍ من الإبل من صدقاتِ قومه، فأعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيراً، وأمره أن يلحقَ بخالد بن الوليد بِمَنْ أطاعَهُ من قومِهِ، فجاءه بزهاء ألفِ رجلٍ، وأبلى بلاءً حسناً[٤].

قلت: أوّله الشافعي: بأنَّه سهمُ المؤلفة قلوبهم، الذين يعطَوْن من الصدقات، لمعنى الإعانةِ على أخذ الصدقات.

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٤٧).
(٢) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٤٦).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٥٦)، و«كتاب الأم» (٢/ ٩٢).
(٤) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٧٩)، و«كتاب الأم» (٢/ ٨٥).

والأَوْجَهُ عندي أنه أعطاهم على أنَّهم من الغزاةِ لقوله تعالى في آية الصدقات: ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦٠].

• قال **الشافعي**: أخبرنا الثقة من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي يحيى، عن **سعيد بن أبي هند** قال: بعث عبد الملك بن مروان بعض الجماعة بعطاء أهلِ المدينة، وكتبَ إلى والي اليمامةِ أنْ يحملَ من اليمامة إلى المدينةِ ألفَ ألفَ درهم، يتمُّ بها عطاءهم، فلمّا قدمَ المال إلى المدينة أبوا أن يأخذوه، وقالوا: أتُطْعِمُنا أوساخَ الناس، وما لا يصلحُ لنا، لا نأخذه أبداً؟

فبلغ ذلك عبد الملك فردَّه، وقال: لا يزالُ في القوم بقية ما فعلوا هكذا.

قال: قلت لسعيد بن أبي هند: ومن كان يومئذٍ يتكلَّم؟

قال: أولهم سعيد بن المسيب، وأبو بكر بن عبد الرحمٰن، وخارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة في رجالٍ كثير.

قال الشافعي: وقولهم: «**لا يصلح لنا**» ؛ أي: لا يحلُّ لنا أنْ نأخذَ الصدقة، ونحن أهل الفيء، وليس لأهلِ الفيء في الصدقةِ حقٌّ، ولا يُنْقَلُ عن قومٍ إلى غيرهم[1].

قلت: والأوجه عندي: أنَّهم ردوا ما كان باسم الحاجة والفقر دون اسم الغزو، وذلك أنهم ما كانوا يريدون الخروج للجهاد يومئذٍ.

• **مَالِك**: عنِ **ابْنِ شِهَابٍ** قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ الْبَحْرَيْنِ، وَأَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَخَذَهَا مِنْ مَجُوسِ فَارِسَ، وَأَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَخَذَهَا مِن الْبَرْبَرِ[1].

---

(١) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١١/ ١٥٧)، و«كتاب الأم» (٢/ ٩٢).

• **مَالِك**: عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ **أَبِيهِ**: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ**»(١).

• **مَالِك**: عَنْ نَافِعٍ عَنْ **أَسْلَمَ** مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ضَرَبَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَرْبَعَةَ دَنَانِيرَ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرِقِ أَرْبَعِينَ دِرْهَماً، مَعَ ذَلِكَ أَرْزَاقُ الْمُسْلِمِينَ وَضِيَافَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ(٢).

• **مالك**: عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ **أَبِيهِ** أَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنَّ فِي الظَّهْرِ نَاقَةً عَمْيَاءَ، فَقَالَ عُمَرُ: ادْفَعْهَا إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَنْتَفِعُونَ بِهَا، قَالَ: فَقُلْتُ: وَهِيَ عَمْيَاءُ، فَقَالَ عُمَرُ: يَقْطُرُونَهَا بِالْإِبِلِ، قَالَ: فَقُلْتُ: كَيْفَ تَأْكُلُ مِنْ الْأَرْضِ؟ قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: أَمِنْ نَعَمِ الْجِزْيَةِ هِيَ أَمْ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ؟ فَقُلْتُ: بَلْ مِنْ نَعَمِ الْجِزْيَةِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَرَدْتُمْ وَاللهِ أَكْلَهَا، فَقُلْتُ: إِنَّ عَلَيْهَا وَسْمَ الْجِزْيَةِ فَأَمَرَ بِهَا عُمَرُ فَنُحِرَتْ، وَكَانَ عِنْدَهُ صِحَافٌ تِسْعٌ، فَلَا تَكُونُ فَاكِهَةٌ وَلَا طُرَيْفَةٌ إِلَّا جَعَلَ مِنْهَا فِي تِلْكَ الصِّحَافِ، فَبَعَثَ بِهَا إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَكُونُ الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ إِلَى حَفْصَةَ ابْنَتِهِ مِنْ آخِرِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ نُقْصَانٌ كَانَ فِي حَظِّ حَفْصَةَ، قَالَ: فَجَعَلَ فِي تِلْكَ الصِّحَافِ مِنْ لَحْمِ تِلْكَ الْجَزُورِ، فَبَعَثَ بها إِلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَرَ بِمَا بَقِيَ مِنْ لَحْمِ تِلْكَ الْجَزُورِ، فَصُنِعَ، فَدَعَا عَلَيْهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ(٣).

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٦٨). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٦٩).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٧٠)، و«كتاب الأم» (٢/ ٨٠).

قلت: احتجَّ به الشافعيُّ على أنَّ عمرَ كان يَسِمُ وسمين، وسم جزية، ووسم صدقة.

• **مالك**: عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن **أبيه**: أنَّ عمر بن الخطاب كان يأخذُ من النبط من الحنطةِ والزيتِ نصفَ العشر، يريد بذلك أن يكثرَ الحمل إلى المدينة، ويأخذَ من القِطْنِيَّة العشرَ(١).

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **السائب بن يزيد** أنَّه قال: كنتُ غلاماً عاملاً مع عبد الله بن عتبة بن مسعود على سوقِ المدينةِ في زمان عمر بن الخطاب، فكنا نأخذُ من النبط العشرَ.

• **مالك**: أنّه سأل **ابن شهاب** على أيِّ وجهٍ كان يأخذُ عمر بن الخطاب من النبطِ العشرَ؟ فقال ابن شهاب: كان ذلك يُؤْخَذُ منهم في الجاهلية، فألزمهم ذلك عمر(٢).

• **مالك والشافعي**: عن **زيد بن أسلم** أنه قال: شربَ عمر بن الخطاب لبناً فأعجبه، فسأل الذي سقاه من أينَ هذا اللبن؟ فأخبره أنّه وردَ على ماءٍ قد سمّاه، فإذا نَعَمٌ من نَعَمِ الصدقة وهم يسقون، فحلبوا لي من ألبانها، فجعلته في سقائي، فهو هذا، فأدخلَ عمرُ بنُ الخطاب يده فاستقاءه(٣).

احتجَّ به الشافعي: على أنَّ الوالي ليس له في الصدقةِ نصيبٌ.

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٧٦).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٧٨).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩٢٤)، و«معرفة السنن والآثار» (١١/ ١٧٠)، و«كتاب الأم» (٢/ ٨٤).

الفرائض

• **الدارمي**: عن **مورّق العجلي** قال: قال عمر بن الخطاب: تعلموا الفرائضَ، واللحنَ، والسُّننَ، كما تعلَّمون القرآن[١].

• **الدارمي**: عن **إبراهيم** قال: قال عمر: تعلَّموا الفرائض، فإنّها من دينكم[٢].

• **البيهقي**: روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: أنّه خطبَ الناسَ بالجابيةِ، فقال: مَنْ أرادَ أن يسألَ عن الفرائضِ فليأتِ زيدَ بنَ ثابت[٣].

قلت: فيه كرامةٌ لعمر ﵁؛ لأنَّ الفرائضَ على هذا التفصيل والبيان لم يرو إلا عن زيد بن ثابت، وإسنادُ أهل المدينة إليه عن أبي الزناد عن خارجة بن زيد عن أبيه، علَّق مالكٌ روايته ونسبه إلى أهل المدينة.

• **الدارمي**: عن **إبراهيم** قال: قال عبد الله: كان عمر إذا سلك بنا طريقاً وجدناه سهلاً، فإنَّه قال في زَوْجٍ وأبوين: للزوج النصف، وللأم ثلثُ ما بقي[٤].

• **الدارمي**: عن **إبراهيم** عن عبد الله قال: كان عمرُ إذا سلك بنا طريقاً اتبعناه فيه، وجدناه سهلاً، وإنه قضى في امرأة وأبوين من أربعة، فأعطى المرأةَ الربعَ، والأمَّ ثلثَ ما بقي، والأب سهمين[٥].

---

(١) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤١) رقم: (٢٨٥٠).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤١) برقم: (٢٨٥١).
(٣) انظر: «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (١٠/ ٣٣٢).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) برقم: (٢٨٦٥).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٤) برقم: (٢٨٧٢).

• **الدارمي**: عن **إبراهيم**: في زوجٍ وأمٍّ وإخوةٍ لأبٍ وأُمٍّ وإخوةٍ لأُمٍّ قال: كان عمرُ وعبدُ الله وزيدُ يشركون، وقال عمر: لم يزدهم الأبُ إلا قُرْباً[(١)].

• **الدارمي**: عن **أبي سعيد الخدري، والبخاري عن ابن عباس وعبد الله بن الزبير**: أنَّ أبا بكر الصدِّيق جعل الجَدَّ أباً[(٢)].

• **الدارمي**: عن **الشعبي** قال: كان عمرُ يقاسِمُ بالجدِّ مع الأخ والأخوين، فإذا زادوا أعطاه الثلثَ، وكان يعطيه مع الولدِ السدسَ[(٣)].

• **الدارمي**: عن **يحيى بن سعيد**: أنَّ عمرَ كان كتب ميراثَ الجدِّ حتى إذا طُعِنَ دعا به، فمحاه، ثم قال: سترونَ رأيكم فيه[(٤)].

• **الدارمي**: عن **مروان بن الحكم**: أنَّ عمرَ بن الخطاب لمّا طُعِنَ استشارهم في الجَدِّ، فقال: إني كنتُ رأيتُ في الجدِّ رأياً، فإنْ رأيتُم أن تتبعوه، فاتبعوه، فقال له عثمان: إنْ نتّبع رأيكَ فإنَّه رَشَدٌ، وإن نتّبع رأي الشيخِ، فلنعمَ ذو الرأي كانَ[(٥)].

• **الدارمي**: عن **الزهري** قال: جاءتْ إلى أبي بكر جدةٌ أمُّ أبٍ أو أُمُّ أُمٍّ، فقالت: إنَّ ابن ابني أو ابن ابنتي توفي، وبلغني أنَّ لي نصيباً، فما لي؟ فقال أبو بكر: ما سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال فيها شيئاً، وسأسألُ الناسَ، فلمَّا صلَّى الظهر قال: أيُّكم سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ قال في الجدَّةِ شيئاً؟ فقال المغيرةُ بن شعبة: أنا، قال: ماذا قال؟ قال:

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٦) برقم: (٢٨٨٢).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥٠) برقم: (٢٩٠٣).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥٢) برقم: (٢٩١٥).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٩) برقم: (٢٨٩٩).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥٢) برقم: (٢٩١٦). الشيخ أبو بكر الصديق.

أعطاها رسولُ اللهِ ﷺ سُدُساً، قال: أيعلمُ ذاك أحدٌ غيرك؟ فقال محمد بن مسلمة: صدق، فأعطاها أبو بكر السُّدس.

فجاءت إلى عمر مثلها، فقال: ما أدري، ما سمعتُ من رسولِ اللهِ ﷺ فيها شيئاً، وسأسألُ الناسَ، فحدَّثوه بحديث المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة، فقال عمر: أيكما خلت به فلها السدس، فإن اجتمعتما فهو بينكما(١).

• **الدارمي**: عن **الشعبي** قال: سئل أبو بكر عن الكلالة، فقال: إنِّي سأقول فيها برأيي، فإنْ كان صواباً فَمِنَ الله، وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان، أراه ما خلا الولدَ والوالدَ، فلمّا اسْتُخْلِفَ عُمَرُ قال: إنِّي لأستحيي اللهَ أنْ أردَّ شيئاً قاله أبو بكر(٢).

• **الدارمي**: عن **عاصم بن عمر** بن قتادة الأنصاري أخبره: أنَّ عمر بن الخطاب التمسَ مَنْ يرث ابن الدحداحة، فلم يجد وارثاً، فدفعَ مالَ ابنِ الدحداحةِ إلى أخوالِ ابن الدحداحة(٣).

• **الدارمي**: عن الشعبي عن **زياد** قال: أُتِيَ عمرُ في عمٍّ لأمّ، وخالة، فأعطى العمَّ للأم الثلثين، وأعطى الخالةَ الثلث(٤).

• **الدارمي**: عن **الحسن**: أنَّ عمر بن الخطاب أعطى الخالةَ الثلثَ والعمَّةَ الثلثين(٥).

• **الدارمي**: عن الضحاك بن قيس أنَّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قضى

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٥٦) برقم: (٢٩٣٩).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٢) برقم: (٢٩٧٢).

(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٢) رقم: (٢٩٧٦).

(٤) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٣) رقم: (٢٩٧٨).

(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٣) برقم: (٢٩٧٩).

في أهل طاعون عمواس ـ أوّل طاعون في الإسلام ـ أنَّهم إذا كانوا من قِبَلِ الأب سواءٌ، فبنو الأمِّ أحقُّ بالمال، وإذا كان بعضُهم أقرب من بعضٍ بأبٍ فهم أحقُّ بالمال(١).

• **الدارمي**: عن سليمان بن يسار أخبره عن **محمد بن الأشعث**: أنَّ عمةً له توفيت يهوديةً باليمن، فذُكِرَ ذلك لعمر بن الخطاب فقال: يرثُها أقربُ الناسِ إليها مِنْ أهلِ دينِها(٢).

• **الدارمي**: عن **ابن شهاب** مثله(٣).

• **الدارمي**: عن **إبراهيم** قال: قال عمر بن الخطاب: أهلُ الشركِ لا نرثُهم ولا يرثونا(٤).

• **الدارمي**: عن **الشعبي** أنَّ أبا بكر وعمر قالا: لا يتوارَثُ أهلُ ملَّتينِ(٥).

• **الدارمي**: عن **أنس بن سيرين** قال: قال عمرُ بنُ الخطاب: لا يتوارثُ ملتان شتى، ولا يَحْجِبُ مَنْ لا يَرِثُ(٦).

• **الدارمي**: عن **الشعبي** عن عمر وعلي وزيد، قال: وأحسبه قد ذكر عبد الله أيضاً قالوا: الولاءُ للكبر، يعنون بالكبر ما كانَ أقربَ بأبٍ أو أُمٍّ(٧).

---

(١) انظر: «السنن الكبرى»، للبيهقي (٦/ ٢٣٩) برقم: (١٢١٥٤).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٥) برقم: (٢٩٨٨).
(٣) «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٥) رقم: (٢٩٨٩).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٥) برقم: (٢٩٩٠).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٥) برقم: (٢٩٩٢).
(٦) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٦٦) برقم: (٢٩٩٧).
(٧) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٧٠) برقم: (٣٠٢٢).

• **الدارمي**: عن الشعبي عن عمر وعلي وزيد قالوا: الدية تورَثُ كما يورَثُ المالُ خطأه وعمدُه[١].

• **الدارمي**: عن **الشعبي** قال: قال عمر: لا يَرِثُ قاتلُ خطأٍ ولا عَمدٍ[٢].

• **الدارمي**: عن **الشعبي** قال: كَتَبَ عمرُ بن الخطاب إلى شُريحٍ أنْ لا يورِّثَ الحميلَ إلا ببيِّنةٍ، وإن جاءتْ به في خرقتها[٣].

• **الدارمي**: عن أبي عثمان قال: قال عمر: الصدقةُ والسائبةُ ليومهما[٤].

قلت: يعني: إذا أعتقَ بهاتين اللفظتين، فهما معتقانِ في الحالِ، ليسا من المدبّرين.

• **الدارمي**: عن يحيى عن **سعيد** أن عمر قال: أيّما حُرٍّ يتزوَّجُ أَمَةً فقد أرقَّ نصفَه، وأيّما عبدٍ تزوَّج حُرَّةً فقد أعتقَ نصفَه، قال أبو محمد: يعني: الولد[٥].

• **الدارمي**: عن **إبراهيم** عن عمر وعلي وزيد أنَّهم قالوا: الولاءُ للكبر، ولا يورّثون النساء مِنَ الولاءِ إلَّا ما أعتقن أو كاتبنَ[٦].

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٧٢) برقم: (٣٠٤١).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٧٩) برقم: (٣٠٨٥).

(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٨٠) برقم: (٣٠٩٥). **الحميلُ**: الطفل المنبوذ يحمله قومٌ فيربّونه، والمسبيُّ يحمل من بلدٍ إلى بلد.

(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٨٤) برقم: (٣١١٩).

(٥) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٨٦) برقم: (٣١٣٥).

(٦) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٨٨) برقم: (٣١٤٥).

• **الدارمي**: عن الشعبي عن علي وعمر وزيد قالوا: الوالدُ يجرُّ ولاء ولدِهِ[(١)].

• **الدارمي**: عن إبراهيم قال: قال عمرُ: إذا كانتِ الحرَّةُ تحت المملوكِ فولدتْ له غلاماً فإنَّه يُعْتَقُ بعتقِ أُمِّه، وولاؤه لموالي أُمّه، فإذا أُعتق العبدُ جَرَّ الولاءَ إلى موالي أبيه[(٢)].

• **الدارمي**: عن **العلاء بن زياد**: أنَّ رجلاً سأل عمر بن الخطاب فقال: إن وارثي كلالة، أفأوصي بالنصف؟ قال: لا، قال: فالثلث؟ قال: لا، قال: فالربع؟ قال: لا، قال: فالخمس؟ قال: لا، حتى صار إلى العشر فقال: أَوْصِ بالعُشْرِ[(٣)].

قلت: معناه ما روي عن الشعبي: إنّما كانوا يوصون بالخُمْس والربع وكان الثلثُ منتهى الجامِحِ.

• **الدارمي**: عن **عبد الله بن أبي ربيعة** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب قال: يُحْدِثُ الرجلُ في وصيته ما شاءَ، ومِلاكُ الوصيةِ آخرُها[(٤)].

من أبواب شتى

• **مالك**: عن **ابن شهاب** أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يَجْتَمِعُ دينانِ في جزيرةِ العربِ**».

قال مالك: قال **ابن شهاب**: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب

(١) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٩١) برقم: (٣١٦٤).
(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٩٢) برقم: (٣١٧٢).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٥٠٠) برقم: (٣١٩٨).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٥٠٢) برقم: (٣٢١١).

حتى أتاه الثلجُ واليقينُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**لا يَجْتَمِعُ دينانِ في جزيرةِ العَرَبِ**»، فأجلى يهودَ خيبر.

قال **مالك**: وقد أجلى عمرُ بنُ الخطاب يهودَ نجران وفَدَك، فأمَّا يهود خيبر فخرجوا منها، ليس لهم من الثمر ولا من الأرض شيءٌ، وأما يهود فَدَك، فكان لهم نصف الثمر ونصف الأرض؛ لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان صالحهم على نِصْفِ الثمر ونصفِ الأرض، فأقامَ لهم عمرُ نصفَ الثمر ونصفَ الأرض قيمةً من ذهبٍ ووَرِقٍ وإبلٍ وحبالٍ وأقتابٍ، ثم أعطاهم القيمةَ وأجلاهم منها[1].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن عبد الرحمٰن بن القاسم: أن **أسلم** مولى عمر بن الخطاب أخبره أنَّه زار عبد الله بن عيَّاش المخزومي، فرأى عنده نبيذاً، وهو بطريق مكَّة، فقال له أسلم: إنَّ هذا الشرابَ يحبّه عمر بن الخطاب، فحمل عبد الله بن عياش قدحاً عظيماً فجاء به إلى عمر بن الخطاب، فوضعه في يديه، فقرَّبه عمرُ إلى فيه، ثم رفع رأسه، فقال عمرُ: إنَّ هذا لشرابٌ طيِّبٌ، فشربَ منه، ثم ناوله رجلاً عن يمينه، فلمّا أدبرَ عبد الله ناداه عمر بن الخطاب، فقال: أأنتَ القائِلُ: لمكةُ خيرٌ من المدينة؟ فقال عبد الله: فقلت: هي حرمُ الله وأمنُهُ، وفيها بيتُه، فقال عمر: لا أقولُ في بيتِ اللهِ ولا في حرمِهِ شيئاً، ثم قال عمر: أأنتَ القائل: لمكةُ خيرٌ من المدينةِ؟ قال: فقلت: هي حَرَمُ اللهِ وأمنُهُ، وفيها بيتُه، فقال عمر: لا أقول في حَرَمِ اللهِ ولا في بَيْتِهِ شيئاً، ثم انصرف[2].

• **مالك**: عن **ابن شهاب** عن عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب، عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٢٤).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٢٧).

عبد الله بن عباس: أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب خرجَ إلى الشامِ حتّى إذا كان بسَرْغٍ، لقيه أمراءُ الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أنَّ الوباءَ قد وقعَ بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عمرُ بنُ الخطاب: ادعُ لي المهاجرينَ الأوَّلين، فدعاهم، فاستشارهم، وأخبرهم أنَّ الوباء قد وقع بالشام، فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمرٍ، ولا نرى أن ترجعَ عنه، وقال بعضُهم: معك بقيةُ الناسِ، وأصحابُ رسولِ الله ﷺ، ولا نرى أن تُقَدِّمهم على هذا الوباء، فقال عمر: ارتفعوا عنِّي.

ثم قال: ادعُ لي الأنصارَ، فدعوتُهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادعُ لي مَنْ كانَ ها هنا من مشيخةِ قريشٍ من مهاجرةِ الفتحِ، فدعوتُهم، فلم يختلِفْ عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أنْ ترجعَ بالناسِ، ولا تقدّمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس، إنِّي مصبحٌ على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيركَ قالها يا أبا عبيدة، نعم نفرُّ من قدرِ اللهِ إلى قدرِ اللهِ، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ فهبطتَ وادياً، له عدوتان، إحداهُما مخصبةٌ والأخرى جدبةٌ، أليس إنْ رعيتَ الخصبةَ رعيتها بقدرِ اللهِ، وإنْ رعيتَ الجدبةَ رعيتَها بقدر الله، فجاء عبدُ الرحمٰن بنِ عوفٍ، وكان غائباً في بعضِ حاجته، فقال: إنَّ عندي مِنْ هذا علماً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتُم به بأرضٍ، فلا تَقْدموا عليه، وإذا وقعَ بأرض، وأنتُمْ بها، فلا تخرجوا فراراً مِنْهُ**»، قال: فَحَمَدَ اللهَ عمرُ، ثم انصرفَ[1].

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٢٩).

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **عبد الله بن عامر بن ربيعة**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب خرجَ إلى الشام، فلمَّا جاء سرغاً، بلغه أنَّ الوباء قد وقعَ بالشام فأخبره عبدُ الرحمٰن بنُ عوفٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إذا سمعتُم به بأرضٍ فلا تقدموا عليه، وإذا وقعَ بأرضٍ وأنتُم بها فلا تخرجوا فِرَاراً منه**»، فرجع عمر بنُ الخطاب من سرغٍ[1].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **سالم بن عبد الله**: أن عمر بن الخطاب إنّما رجع بالناس من سرغٍ عن حديث عبد الرحمٰن بن عوف.

• **مالك**: أنه قال: بلغني أنَّ عمر بن الخطاب قال: لبيتٌ بركبةَ أحبُّ إليَّ من عشرةِ أبياتٍ بالشام.

قال مالك: يريدُ لطولِ الأعمارِ والبقاءِ، ولشدَّة الوباء بالشام[2].

• **مالك**: عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن **مسلم بن يسار الجُهني**: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف]، فقال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسولُ الله ﷺ يُسأل عنها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الله تباركَ وتعالى خَلَقَ آدمَ، ثم مَسَحَ ظهرَهُ بيمينِهِ، فاستخرجَ مِنْهُ ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنَّةِ، وبعملِ أهلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ**» .

«**ثم مَسَحَ ظَهْرَه فاستخرجَ منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاءِ للنارِ، وبعَمَلِ أهلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ**».

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٣١).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٣٣). قال ابن عبد البر: الركبة وادٍ من أودية الطائف.

فقال رجل: يا رسول الله! ففيم العمل؟

قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ إذا خَلَقَ العبدَ للجنَّةِ استعملَه بعملِ أهلِ الجنَّةِ، حتَّى يموتَ على عملٍ مِنْ أعمالِ أهلِ الجنَّةِ، فيُدْخِلَهُ به الجنَّةَ، وإذا خَلَقَ العبدَ للنارِ استعملَه بعملِ أهلِ النَّارِ، حتَّى يموتَ على عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فيُدخلَه به النارَ**»[١].

• قال **محمد**: أخبرنا أبو حنيفة، عن عبد الأعلى التيمي، عن **أبيه** أنَّ عمر بن الخطاب خطبَ الناسَ بالجابية فقال في خطبته: إنَّ الله يضلُّ مَنْ يشاءُ، ويهدي من يشاءُ.

فقال قس من تلك القسوس: ما يقول أميركم هذا؟

قالوا: يقول: إن اللهَ يضلُّ مَنْ يشاءُ ويهدي مَنْ يشاءُ.

فقال القس: برقست اللهُ أعدلُ أنْ يضلَّ أحداً، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فبعث إليه فقال: بل الله أضلَّك، ولولا عهدك لضربتُ عنقك[٢].

• **أخرج الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الطلحي** في «كتاب الحجة في بيان المحجة»: عن **عبد الله بن الحارث** بن نوفل قال: لمَّا قدم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه الجابية، قام يخطبُ الناسَ وعنده الجاثليق يترجِمُ له ما يقول عمر رضي الله عنه، فلمّا قال عمر: مَنْ يضلِلِ اللهُ فلا هاديَ له، وفي رواية: يضلّ الله مَنْ يشاءُ ويهدي مَنْ يشاءُ، نفض الجاثليق ثوبه كهيئة المنكرِ لذلك، فقال عمر: ما يقول؟ فكرهوا أن يذكروا له الذي أنا بذلك[٣]. ثم عادَ عمر فقال ذلك، ففعل الجاثليق،

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٣٧).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ١٥٣). قوله: (برقست) كذا فليحرر.

(٣) (٢/ ٦١). قوله: (الذي أنا بذلك) كذا فليحرر.

فقال عمر ﷺ: ما يقول؟ فقيل: يا أمير المؤمنين يزعمُ أنَّ الله لا يضلّ أحداً، فقال عمر: كذبتَ يا عدوَّ الله! بل اللهُ خلقكَ وهو أضلَّكَ، وهو يُدْخِلُكَ النارَ إنْ شاء الله، أمَا واللهِ لولا عقدٌ لك لضربتُ عنقكَ، إنَّ الله ﷻ حِينَ خَلَق الخلقَ خَلَقَ أهلَ الجنَّةِ، وما هُمْ عاملونَ، وخلقَ أهلَ النارِ وما يَعْمَلُون، ثم قال: هؤلاءِ لهذِهِ، وهؤلاءِ لِهَذِهِ، فقال عبدُ الله بنُ الحارث: فتفرَّق الناسُ وهم لا يختلفون في القَدَرِ.

• **وأخرج أيضاً**: عن **سعيد بن المسيب** قال: قام عمرُ بنُ الخطاب في الناسِ، فقال: أيها الناسُ! ألا إنَّ أصحابَ الرأي أعداءُ السُّنَّة، أعيتهم الأحاديثُ أن يحفظوها، وتفلّتت منهم أن يعوها، واستحيوا إذا سألهم الناسُ أن يقولوا: لا ندري، فعاندوا السُّنَنَ برأيهم، فضلوا وأضلوا كثيراً، والذي نفسُ عمرَ بيده ما قَبَضَ اللهُ نبيَّه، ولا رفعَ الوحي عنهم، حتَّى أغناهم عن الرأي، ولو كان الدِّينُ يؤخذُ بالرأي لكانَ أسفلُ الخفِّ أحقَّ بالمسحِ من ظهره، فإياكَ وإياهم، ثم إياكَ وإياهم[1].

• **وأخرج**: عن عامر بن سعد، عن **أبيه** قال: وقف عمر بن الخطاب بالجابية فقال: قام رسول الله ﷺ فينا فقال: «**مَنْ أرادَ بُحبوحةَ الجنَّةِ فعليه بالجماعةِ، فإنَّ الشيطانَ مع الفذِّ**». قال أهل اللغة: بحبوحة الجنة وسطُها، والفذّ: الفرد[2].

وقال أبو القاسم تعليقاً: قال عمر بن الخطاب ﷺ على المنبر: إنَّ هذا القرآن كلامُ اللهِ[3].

• **وأخرج**: عن **الحسن** قال: جاء أعرابيٌّ إلى عمرَ فقال: يا أمير المؤمنين علّمني الدين، قال: تشهدُ أن لا إلـه إلا الله، وأنَّ محمداً

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٢١). (٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٢٥).
(٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٣٦٠).

رسولُ اللهِ، وتقيمَ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتحجَّ البيتَ، وتصومَ رمضانَ، وعليك بالعلانيةِ، وإيّاك والسرّ، وكلَّ ما يُستحيا منه، فإنَّكَ إن لقيتَ اللهَ فقل: أمرني بهذا عمر[١].

• **وأخرج**: عن **عمرو بن ميمون** عن عمر بن الخطاب: أنَّ رسول الله ﷺ كان يتعوَّذُ من عذابِ القبرِ[٢].

• **وأخرج**: عن **أبي شهم** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيفَ أنتَ إذا كنت في أربعةِ أذرُعٍ في ذراعينِ، ورأيت منكراً ونكيراً؟**».

قال: قلت: يا رسولَ اللهِ، وما منكر ونكير؟

قال: «**فتَّانا القبرِ، يبحثانِ الأرض بأنيابهما، ويطآنِ في أشعارِهما، أصواتُهما كالرعدِ القاصِفِ، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطِفِ، معهما مِرْزبةٌ لو اجتمعَ عليها أهلُ منىً، لم يطيقوا رفعَها، هي أيسرُ عليهما من عصايَ هذِهِ**».

قال: قلت: يا رسول الله، وأنا على حالي هذه؟

قال: «**نعم**»، قلت: إذن أكفيكهما[٣].

• **وأخرج**: عن **طارق بن شهاب**، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بُعِثْتُ داعياً ومبلِّغاً، وليسَ إليَّ من الهُدى شيءٌ، وخُلِقَ إبليسُ مزيّناً وليسَ إليهِ من الضلالةِ شيءٌ**»[٤].

• **وأخرج**: عن **أبي هريرة** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٥٠)، «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١١٦) برقم: (١٦٦).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٨٧). (٣) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٥١٤).

(٤) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٦).

رسول الله ﷺ: «**لا تجالِسُوا أهلَ القدرِ، ولا تفاتِحُوهُم**»[١].

• **أحمد بن حنبل** قال: حدّثنا هُشيم أخبرنا علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن **ابن عباس** قال: خطبَ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ، وقال هشيم: مرة خطبنا فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، فذكر الرَّجْمَ، فقال: لا تُخْدَعَنَّ عنه، فإنَّه حَدٌّ من حدودِ اللهِ تعالى، ألا إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد رجمَ، ورجمنا بعدَه، ولولا أنْ يقول قائلونَ: زاد عمرُ في كتاب الله ما ليس منه، لكتبتُه في ناحيةٍ من المُصْحَفِ شهدَ عمرُ بنُ الخطاب ﷺ ـ وقال هُشيمٌ مرة: وعبد الرحمٰن بن عوف وفلان وفلان ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قد رجمَ ورجمنا مِنْ بعدِه، ألا وإنَّه سيكونُ مِنْ بعدِكم قومٌ يكذّبون بالرجمِ وبالدجَّالِ وبالشفاعةِ وبعذابِ القبرِ، وبقومٍ يُخْرَجُونَ من النارِ بعد ما امتحشوا[٢].

• **مالك**: أنه بلغه أنَّ عمر بن الخطاب قال: إنِّي لأحبُّ أن أنظرَ إلى القارئ أبيضَ الثيابِ[٣].

• **مالك**: عن أيوب بن أبي تميمة عن **ابن سيرين** قال: قال عمر بن الخطاب: إذا أوسعَ الله عليكم فأوسعوا على أنفسِكُم، جمع رجل عليه ثيابه[٤].

• **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه قال: قال **أنس بن مالك**: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة، وقد رقع بين كتفيه برقع ثلاث، لبَّدَ بعضَها فوقَ بعضٍ[٥].

• **مالك**: عن نافع عن **عبد الله بن عمر** أن عمر بن الخطاب رأى

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٨).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٥٦).
(٣) «موطأ مالك» رقم: (٣٣٧٤).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٧٥).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٠٠).

حُلَّةً سيراءَ تباع عند بابِ المسجد فقال: يا رسول الله! لو اشتريت هذه الحلة فلبستها يومَ الجمعةِ، وللوفدِ إذا قدموا عليك، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّما يلبَسُ هذه مَنْ لا خلاقَ له في الآخرةِ**»، ثم جاء رسولُ الله ﷺ منها حُلَلٌ، فأعطى عمرَ بنَ الخطاب منها حُلَّةً، فقال عمرُ: يا رسولَ اللهِ! أكسوتنيها وقد قلتَ في حُلّةِ عطاردٍ ما قلتَ، فقال رسول الله ﷺ: «**لم أَكْسُكَها لِتَلْبَسها**»، فكساها عمرُ أخاً له مشرِكاً بمكة[١].

● **مالك**: أنه بلغه: أنَّ عمرَ بنَ الخطاب وعليَّ بن أبي طالب وعثمان بن عفان كانوا يشربون قياماً[٢].

● **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب كان يأكلُ خبزاً بسمنٍ، فدعا رجلاً من أهل البادية، فجعلَ يأكل ويتبع باللقمةِ وَضْرَ الصحفةِ، فقال عمر: كأنَّك مقفرٌ، فقال: والله ما أكلتُ سمناً ولا رأيتُ أكلاً به منذ كذا وكذا، فقال عمر: لا آكلُ السمنَ حتَّى يحيا الناسُ من أوَّل ما يحيون[٣].

● **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن **أنس بن مالك** أنه قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين يُطْرَحُ له صاعٌ من تمرٍ، فيأكلَه حتّى يأكلَ حشفَها[٤].

● **مالك**: عن عبد الله بن دينار عن **عبد الله بن عمر** أنه قال: سُئِلَ عمر بن الخطاب عن الجراد، فقال: وددتُ أنَّ عندي قفعةً نأكل منه[٥].

● **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنَّ عمر بن الخطاب قال: إياكم واللحمَ، فإنَّ له ضراوةً كضراوةِ الخَمْرِ[٦].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٩٩).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٢٣).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٤١).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٤٢).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٤٣).
(٦) «موطأ مالك» رقم: (٣٤٥٠).

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أدرك جابرَ بن عبد الله ومعه حمال لحم، فقال: ما هذا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! قرمنا إلى اللحم فاشتريتُ بدرهمٍ لحماً، فقال عمر: أما يريدُ أحدُكم أن يطويَ بطنه عن جارِه أو ابن عمِّه؟ أين تذهبُ عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾[1] [الأحقاف: ٢٠].

• **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن **أنس بن مالك**: أنَّه سمع عمرَ بنَ الخطاب وسلَّم عليه رجلٌ، فرد عليه السلام، ثم سأل عمرُ الرجلَ: كيفَ أنتَ؟ فقال: أحمدُ إليكَ الله، فقال عمر: ذلك الذي أردتُ منك[2].

• **مالك**: عن **ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن** عن غير واحد من علمائهم: أنَّ أبا موسى الأشعري جاء يستأذِنُ على عمر بن الخطاب، فاستأذن ثلاثاً، ثم رجعَ، فأرسل عمرُ بنُ الخطاب في أثره، فقال: ما لكَ لم تدخل؟ فقال أبو موسى: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإن أُذِنَ لكَ فادخلْ، وإلّا فارجعْ**».

فقال عمرُ: ومَنْ يعلمُ هذا؟ لئن لم تأتني بمَنْ يعلمُ ذلك لأفعلنَّ بكَ كذا وكذا، فخرجَ أبو موسى حتّى جاء مجلِساً في المسجدِ يقال له: مجلسُ الأنصارِ، فقال: إنِّي أخبرتُ عمرَ بنَ الخطاب أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإنْ أُذِنَ لكَ فادخلْ وإلا فارجعْ**»، فقال: لئن لم تأتني بمن يعلمُ هذا لأفعلنَّ بك كذا وكذا، فإنْ كانَ سمعَ ذلك أحدٌ منكم فليقم معي، فقالوا لأبي سعيد الخدري: قُمْ معه، وكان أبو سعيد أصغرَهم، فقام معه، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فقال

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٥١).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٣٢).

عمر بن الخطاب لأبي موسى: أما إنِّي لم أتهمْكَ، ولكن خشيتُ أن يتقوَّلَ الناسَ على رسولِ الله ﷺ[(١)].

• **مالك**: عن زيد بن أسلم عن **عطاء بن يسار**: أنَّ رسولَ الله ﷺ أرسلَ إلى عمر بن الخطاب بعطاء فردَّه عمرُ، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**لِمَ رَدَدْتَهُ؟**» فقال: يا رسول الله! أليس أخبرتنا أنَّ خيراً لأحدِنا أن لا يأخذَ مِنْ أحدٍ شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «**إنَّما ذلكَ عن المسألةِ، فأمَّا ما كانَ مِنْ غيرِ مسألةٍ، فإنَّما هو رزقٌ يرزقكَهُ اللهُ**»، فقال عمر بن الخطاب: أما والذي نفسي بيده لا أسألُ أحداً شيئاً، ولا يأتيني شيءٌ من غيرِ مسألةٍ إلا أخذته[(٢)].

• **مالك**: عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن **ابن أبي مليكة**: أنَّ عمر بن الخطاب مرَّ بامرأةٍ مجذومةٍ، وهي تطوفُ بالبيتِ فقال لها: يا أمةَ اللهِ! لا تؤذي الناسَ، لو جلستِ في بيتكِ، فجلستْ، فمرَّ بها رجل بعد ذلك، فقال لها: إنَّ الذي كان قد نهاكِ قد ماتَ، فاخرجي، فقالت: ما كنتُ لأطيعَه حيّاً وأعصيه ميتاً[(٣)].

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد** أنَّ عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمُكَ؟ فقال: جمرة، فقال: ابنُ مَنْ؟ فقال: ابنُ شهاب، قال: ممَّن؟ قال: من الحُرْقةِ، قال: أين مسكنُكَ؟ قال: بحرَّةِ النارِ، قال: بأيِّها؟ قال: بذاتِ لظىً، قال عمر: أدركْ أهلكَ فقد احترقوا، قال: فكان كما قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه[(٤)].

• **مالك**: أنَّه بلغه: أنَّ عمر بن الخطاب أرادَ الخروجَ إلى العراق، فقال له كعبُ الأحبار: لا تخرجْ إليها يا أمير المؤمنين! فإنَّ بها تسعة

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٤٠). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٦٦٠).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٠٣). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٧٠).

أعشارِ السحر، وبها فسقةُ الجنِّ، وبها الداءُ العضالُ[١].

• **مالك أنّه بلغه**: أنَّ أَمَةً كانت لعبد الله بن عمرَ بنِ الخطاب، رآها عمرُ بنُ الخطاب، وقد تهيأت بهيئةِ الحرائرِ، فدخل على ابنته حفصة، فقال: ألم أرَ جاريةَ أخيكِ تجوسُ الناسَ، وقد تهيأت بهيئةِ الحرائرِ، وأنكرَ ذلك عمرُ[٢].

• **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن **أنس بن مالك** قال: سمعتُ عمر بن الخطاب وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين، بخ بخ، واللهِ يا ابنَ الخطابِ لتتقينَّ الله، أو ليعذبنَّكَ[٣].

• **البغوي**: توضَّأ عمر من ماء في جرّةٍ نصرانيَّة[٤].

• **البغوي**: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كلوا الجُبْنَ ممّا يصنع أهل الكتاب[٥].

• **البغوي**: قال عمر وابن عباس: الذكاةُ في الحَلْقِ واللبَّةِ، وزاد عمر: ولا تعجلوا الأنفسَ أن تزهق[٦]، معناه: لا تسلخْها بعدَ ذبحِها ما لم يفارِقْها الروحُ.

• **البغوي**: قال عمر بن الخطاب: لا تنخلوا الدقيقَ فإنّه كلّه طعامٌ[٧].

• **البغوي**: قَالَ عُمَرُ عَامَ الرَّمَادَةِ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُنْزِلَ عَلَى أَهْلِ كُلِّ بَيْتٍ مِثْلَ عَدَدِهِمْ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لا يَهْلِكُ عَلَى نِصْفِ بَطْنِهِ[٨].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٧٧). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٩٨).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٦٣٨)، و«موطأ مالك» برواية محمد رقم: (٩٢٥).
(٤) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٢٠٠). (٥) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٢٠٠).
(٦) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٢٢١). (٧) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٢٩٢).
(٨) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٣٢١).

• **البخاري وغيرُه**: عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: خطب عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: إنّه قد نزل تحريمُ الخمرِ وهي من خمسةِ أشياء: العنبُ، والتمرُ، والحنطةُ، والشعيرُ، والعسلُ، والخمر ما خامَرَ العقلَ، وثلاثٌ وددتُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجدُّ والكلالةُ وأبوابٌ من أبوابِ الربا[1].

• **البغوي**: قال **السائب بن يزيد**: إنَّ عمرَ قال: إنِّي وجدتُ من فلان ريحَ شرابٍ، فزعم أنّه شَرِبَ الطلاء، وأنا سائلٌ عمّا شرب، فإن كان يُسْكِرُ، جلدته، فجلده الحدَّ تاماً[2].

• **البغوي**: رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِشَابٍّ يَمَسُّ إِزَارُهُ الأَرْضَ: ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ[3].

• **البغوي**: أنَّ عمر بن الخطاب رأى على رجل ثوباً معصفراً فقال: دعوا هذه البرّاقات للنساءِ[4].

البخاري وغيره: عن **عبد الله بن الزبير** قال: سمعتُ عمرَ بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَلْبَسُوا الحريرَ، فإنَّه مَنْ لَبِسَهُ في الدّنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ»**[5].

• **البغوي**: عن **أَبِي عُثْمانَ النَّهْدِيِّ**، يَقُولُ: أَتَانَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَنَحْنُ بآذَرْبِيجَانَ مَعَ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَد، أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنِ الحَرِيرِ إِلا هَكَذَا، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى[6].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٥٨٨).
(٢) «شرح السُّنَّة» (١١/ ٣٥٣).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١١).
(٤) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٢٣).
(٥) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٥٨٣٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٠٦٩).
(٦) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٢).

• **البغوي**: عَنْ **سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ**: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ خَطَبَ بِالْجَابِيَةِ، فَقَالَ: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ لُبْسِ الْحَرِيرِ، إِلا مَوْضِعَ أُصْبُعَيْنِ، أَوْ ثَلاثٍ، أَوْ أَرْبَعٍ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: رَخَّصَ عُمَرُ فِي مَوْضِعِ أُصْبُعٍ وَأُصْبُعَيْنِ وَثَلاثٍ وَأَرْبَعٍ مِنْ أَعْلامِ الْحَرِير[١].

• **البغوي**: عَنِ **ابْنِ عُمَرَ**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى عُمَرَ قَمِيصاً أَبْيَضَ، فَقَالَ: أَجَدِيدٌ قَمِيصُكَ هَذَا، أَمْ غَسِيلٌ؟ قَالَ: بَلْ غَسِيلٌ، فَقَالَ: الْبَسْ جَدِيداً، وَعِشْ حَمِيداً، وَمُتْ شَهِيداً[٢].

• **البغوي**: عَنِ **الْحَسَنِ** قَالَ: خَطَبَ عُمَرُ وَهُوَ خَلِيفَةٌ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ فِيهِ اثْنَتَا عَشْرَةَ رُقْعَةً[٣].

• **البغوي**: عن **أبي عثمان النهدي** يقول: أتانا كتابُ عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد، أمّا بعدُ! فاتزروا، وارتدوا، وانتعلوا، وألقوا الخِفافَ، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإيّاكم والتنعمَ وزيَّ العجمِ، وعليكم بالشَّمْسِ، فإنّها حَمّامُ العربِ، وتمعددوا واخشوشنوا واخشوشبوا واخلولقوا، واقطعوا الركب، وانزوا نزواً، وارموا الأغراض.

وفي رواية: وانزوا على ظهور الخيل نزواً، واستقبلوا بوجوهكم الشمس، فإنها حماماتُ العربِ.

قوله: «تمعددوا»، قيل: هو من التمعدد بمعنى الغلظ، يقال للغلام إذا شب وغلظ: تمعدَدَ، وقيل: معناه: تشبهوا بعيش معدٍّ، وكانوا أهل

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٢).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٤٢).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٤٥).

غلظ وقشف، يقول: كونوا مثلهم، ودعوا التنعّم وزي العجم، وقوله: «واخشوشنوا»، أراد الخشونة في الملبس والمطعم، قوله: «واخشوشبوا» بالباء فهو من الصلابة، يقال: اخشوشب الرجل إذا كان صلباً، ويروى بالجيم من الجشب وهي الخشونة في المطعم(١).

• **البغوي**: عن **ابن سيرين** أنَّ عمر بن الخطاب رأى على رجل خاتماً من ذهب، فأمره أن يلقيَه، فقال زيادٌ: يا أمير المؤمنين! إنَّ خاتمي من حديدٍ، قال: ذلك أنتنُ وأنتنُ(٢).

• **البغوي**: عَنِ **ابْنِ عُمَرَ**، قَالَ: اتَّخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ، وَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ بَعْدُ فِي يَدِ عُثْمانَ، حَتَّى وَقَعَ بَعْدُ فِي بِئْرِ أَرِيسَ، نَقْشُهُ: مُحمَّدٌ رَسُولُ اللهِ(٣).

• **البغوي**: أنَّ عمرَ بنَ الخطّاب كان يتطيَّبُ بالمسكِ.

وروي: أنه أوصى في غسله أنْ لا يقربوه مِسْكاً.

وكان الحسنُ يكره المِسْك للميت، ولا يكرهه للحي(٤).

• **البغوي**: سُئِلَ **أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ**: هَلْ خَضَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: لَمْ يَشِنْهُ الشَّيْبُ، وَلَكِنْ خَضَبَ أَبُو بَكْرٍ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ، وَخَضَبَ عُمَرُ بِالْحِنَّاءِ(٥).

• **البغوي**: عَنْ **أَنَسٍ**: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَتَنَوَّرُ، فَإِذَا كَثُرَ شَعْرُهُ حَلَقَهُ، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَنَوَّرْ وَلا أَبُو بَكْرٍ

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٤٦، ٤٧).
(٢) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٥٩).
(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٥٧).
(٤) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٨٦).
(٥) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٩٠).

وَلا عُمَرُ وَلا عُثْمَانُ(١).

• **البغوي**: عَنْ **جُبَيْرِ بْنِ نُضَيْرٍ** قَالَ: قُرِئَ عَلَيْنَا كِتَابُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِالشَّامِ: لا يَدْخُلُ الرَّجُلُ الْحَمَّامَ إِلا بِمِئْزَرٍ، وَلا تَدْخُلُهُ الْمَرْأَةُ إِلا مِنْ سَقَمٍ، وَاجْعَلُوا اللَّهْوَ فِي ثَلاثَةِ أَشْيَاءَ: الْخَيْلِ، وَالنِّسَاءِ، وَالنِّصَالِ(٢).

• **البغوي**: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِرَجُلٍ مِنَ النَّصَارَى، صَنَعَ لَهُ طَعَاماً بِالشَّامِ وَدَعَاهُ: إِنَّا لا نَدْخُلُ كَنَائِسَكُمْ مِنْ أَجْلِ الصُّوَرِ الَّتِي فِيهَا(٣).

• **البغوي**: عن أيوب عن **نافع** قال: بلغَ عمرُ أنَّ صفية امرأة عبد الله بن عمر سترتْ بيوتها بقِرامٍ أو غيره أهداه لها عبدُ الله بنُ عمرَ، فذهب عمرُ وهو يريد أن يهتِكَهُ، فبلغهم فنزعوه(٤).

• **البغوي**: أن صفوان بن أمية تزوج، فدعا عمرَ بنَ الخطاب إلى بيته، وإذا بيته قد سُتِرَ بهذه الأدم المنقوشة، فقال عمر: لو كنتم جعلتُم مكان هذا مسوحاً كان أحملَ للغبارِ من هذا(٥).

• **البغوي**: أنَّ عمرَ بن الخطاب شكا إليه رجل ما تلقى امرأتُه من إهراقها الدمَ، فقال رجل: لو كان يحلّ لي منها ما يحلّ لك لقطعته، فقال عمر: بأي شيء؟ فقال: هو ذا عرق، فلو كُوِيَ ذهبَ فبرأت، فقال عمر: ولا يذهبه غيرها؟ قال: لا، قال عمر: البسوها ثوباً وشقوا الموضع الذي يريد، وعالجها(٦).

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١١٤). (التنوُّر): استعمال النورة وهي خليط من الكلس والزرنيخ يستعمل لإزالة الشعر.

(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٣٤).

(٤) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٣٥).

(٥) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٣٥).

(٦) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٥٢).

• **البغوي**: روي عن عمر أنّه قال: تعلَّموا من النجومِ ما تعرفونَ به القِبْلَة والطريق، ثم أمسكوا[١].

• **البغوي**: كتب عمرُ إلى أبي موسى الأشعري: أمّا بعدُ! فإني كنت آمركم بما أمركم به القرآنُ، وأنهاكم عمّا نهاكم عنه محمَّدٌ ﷺ، وآمركم باتِّباع الفقه والسُّنَّة، والتفهم في العربية، وإذا رأى أحدُكم رؤيا فقَصَّها على أخيه فليقل: خيراً لنا وشرّاً لأعدائنا[٢].

• **البغوي**: عن **قتادة** قال: جاء رجلٌ إلى عمر بن الخطاب فقال: إنِّي رأيتُ كأنِّي أعشبتُ ثم أجدبتُ، ثم أعشبتُ ثم أجدبتُ، فقال له عمر: أنتَ رجلٌ تؤمنُ ثم تكفُرُ، ثم تؤمِنُ ثم تكفُرُ، ثم تموتُ كافراً، فقال الرجل: لم أر شيئاً، فقال عمر: قد قُضِيَ لك ما قُضِيَ لصاحب يوسف[٣].

• **البغوي**: قال أيوب عن **نافع** أو غيره قال: كان عمّالُ عمر إذا كتبوا إليه بدأوا بأنفسهم، قال: ووجد زيادٌ كتاباً من النعمان بن مقرن إلى عبد الله عمر أمير المؤمنين، فقال زياد: ما كان هؤلاء إلا أعراباً[٤].

• **البغوي**: عن تميم بن سلمة قال: لمّا قدم عمرُ الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح، فأخذ بيده، فقبَّلها، قال تميمٌ: كانوا يرون أنها سُنَّة[٥].

• **البغوي**: قال حميد بن زنجويه: يكره التسمِّي بأسماءِ الملائكة مثل جبرئيل وميكائيل؛ لأنَّ عمر بن الخطاب قد كَرِهَ ذلك، ولم يأتنا عن أحدٍ من الصحابة ولا التابعين أنَّه سمى ولداً باسم أحدٍ منهم[٦].

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٨٣).
(٢) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨).
(٣) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٢١٥).
(٤) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٢٧٨).
(٥) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٢٩٢).
(٦) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٣٦).

• **البغوي**: عن الشعبي عن **مسروق** قال: سألني عمرُ رضي الله عنه مسروقُ ابنُ مَنْ؟ قلت: مسروقُ بن الأجدع، قال: الأجدع اسم شيطان، أنت مسروق بن عبد الرحمٰن[١].

• **البغوي**: أنَّ رجلاً خطبَ فأكثر، فقال عمر: إنَّ كثيراً من الخُطب من شقاشق الشيطان، شبه الذي يتفيهق في كلامه، ولا يبالي بما قال من صدق أو كذب بالشيطان[٢].

• **البغوي**: كان عمرُ لا ينكِرُ [من الغناء] النصب والحُداء ونحوهما[٣].

وهذا آخر ما يسَّر الله تعالى لنا من تدوين مذهب أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في هذه الحالة، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله على خير خلقه محمدٍ وآله وأصحابه أجمعين.

وكل ما ذكرنا بصدد فقه عمر رضي الله عنه فهو غيضٌ من فيض، ومختصر جداً بالنسبة إلى مذهبه، ولو بحثنا في فقهه، وأصول فقهه التي توجد في الكتب الأخرى لزدنا على ذلك ثلثين، ولو تكلَّمنا عن الروايات، وقمنا بترجيح بعضها على بعض، وذكرنا كلام السلف في ذلك، لكان ذلك في مجلدٍ ضخم، ولا يمكن ذلك في هذه العجالة والحالة التي تحيط بنا، ولكنَّ هذا الجزءِ القليل من فقه عمر رضي الله عنه يسلِّط الضوءَ جليّاً على ما ذكرنا من قبل بأن كلّاً من الأئمة المجتهدين «مجتهد منتسب مطلق» بالنسبة إلى عمر، فإنّه مجتهد مستقلٌّ، والمذاهبُ الأربعةُ شرحٌ لمذهب عمر؛ إذ إن مذهب عمر مَتْنٌ، وغيرُه من المذاهب شرحٌ له، ولا يتجلَّى ذلك إلا لمن كان له قلبٌ لم يخالِطْه التعصّبُ، أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٤٦).
(٢) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٦٣، ٣٦٤).
(٣) «شرح السُّنَّة» (١٢/ ٣٨٣).

۞ [نكتتان حول اجتهاد الشيخين رضي الله عنهما]:

ولما تمَّ هذا المبحث بحمد الله وحسن توفيقه، نرى من المصلحة أن نضيفَ إلى ذلك نكتتين، بعد استقراءٍ تام والتتبع على مجموعةٍ من الأحاديث والآثار استخرجناهما:

۞ [نكتة لطيفة: خصائص أسلوب الاجتهاد والإفتاء في عهد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما]:

فالأولى: أنَّ الناس كانوا في زمن النبي ﷺ عيالاً على نبيِّهم في جميع أنواع العلوم الرسمية والتجريبية، وكانوا دائماً يقتبسون من مشكاةِ النبوّة، ويستضيؤون من أشعة أنواره ﷺ، فكانت أنظارُهم لا ترى إلا نور وجهه، وأسماعهم لا تشنف إلّا صوته ﷺ، وكانوا يسألونه ﷺ في كلّ ما يعرض لهم من قضايا الجهاد، والصلح، وعقد الجزية، والأحكام الفقهية، وعلوم الزهد والإحسان والتزكية، كأنهم خُلقوا اليوم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، وقد زالت عندهم أهميّةُ كلّ ما كانوا يعلمونه قبل بعثة النبي ﷺ، كما زال صدقه في ضوء العلوم الربانية التي كانت تنزل أشعتُها من لدن حكيم عليم، فكانوا لا ينتظرون في باب المعارف والعلوم إلا ما يخبره النبي الصادق المصدوق.

ولمّا جاء عهدُ الخلافة الخاصّة إلى الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما كانا يميّزانِ ويفرّقانِ في مجالس متعددة منصبَ النبوّةِ ومنصبَ الخلافةِ، بالجملة طريقُ المشاورةِ في المسائل الاجتهادية، وتتبع الأحاديث من مظان الاجتهاد صارت واضحةً.

وكانا يشاوران أصحاب النبي ﷺ في القضايا الاجتهادية، ويتتبعانِ الأحاديثَ، فانفتح بذلك بابُ المشورةِ، وتتبع الأحاديث، فكان الناسُ إذ

عزمَ الخليفة على قضية، ورأى حلّاً لها لا يجدونَ مجالاً للعدول عن ذلك، ولا كانوا يحيدونَ عنه، بعد العثور على رأي الخليفة، ولذلك ما حدث في ذلك الحين اختلاف المذاهب وتشتت الآراء، إذ كانوا كلّهم على رأي واحد ومذهبٍ واحدٍ، وهو رأي الخليفة ومذهبه، وكانت المهمّات الدينية من رواية الأحاديث، وإصدار الفتاوى، وإلقاء المواعظ تقتصر على الخليفة، أو مَنْ ينوبُ عنه بإذنه، وقال النبيُّ ﷺ: «**لا يَقُصُّ إلا أميرٌ أو مأمورٌ أو مُخْتَالٌ**[1]»، وقال عمر في الفتاوى والقضاء: «ولِّ حارّها مَنْ تولى قارّها[2]».

ولمّا آلَ أمرُ المسلمين إلى **سيدنا علي المرتضى** رضي الله عنه بحكم القضاء والقدر من الله، تفرّقتِ الأمةُ، وخرج أكثرُ البلدان عن طاعة الخليفة، فأخذت الحَيْرةُ بالعلماء والفقهاء، وكانوا ينتظرون تنظيمَ الخلافة بأقرب وقت، ولمّا انقرضت الخلافةُ الخاصةُ بالكلية، وظهرت الخلافة العامة، وجُمع شملُ المسلمين، اشتغل العلماءُ بإفادة المسلمين في كلِّ بلد.

فكان **ابنُ عباس** يفتي في **مكة**، ويروي الأحاديث، ويفسّر القرآن، وكانت **عائشة الصدّيقة** وعبد الله بن عمر يرويانِ الأحاديثَ في **المدينة المنورة**، وكان تلاميذهما وأولادهما وأقاربهما يأخذون عنهما الفقه.

وكان **أبو هريرة** رضي الله عنه في أغلب الأوقات يكثِرُ رواية الأحاديث، وفقهاء **المدينة** كانوا يأخذونها عنه، وكان أبو سعيد الخدري وجابر وغيرهما يروون الأحاديث على قدر الحاجة.

وكان **أنس وعمران بن حصين** يرويان الأحاديث في البصرة،

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٣٥٦٥).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٧٠٧)، وأبو داود في «سننه» برقم: (٤٤٨٠).

والبراء بن عازب يروي الأحاديث، وأصحاب عبد الله بن مسعود في الكوفة اشتغلوا بالفقه.

بينما كان **عبد الله بن عمرو بن العاص** وأبو الدرداء وأبو أمامة الباهلي وغيرهم يروون الأحاديث في الشام.

وبالجملة: فإنَّ أحداً من الصحابةِ أو التابعين جلسَ في كلِّ مدينة، وأخذَ الناس عنه بحكم «**أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم**[(١)]»، ذلك لأنَّ الخليفةَ المنصوبَ ما بقي له الإمامة والتقدم على سائر الأمة في الفقه، ولا في الورع والتقوى، كما كان في عهد الخلافة الراشدة، ولم يعتنِ الخلفاءُ بإفادةِ الناس فقهاً وإحساناً وتزكيةً كما كان الخلفاء الراشدون يعتنون بذلك، لذلك وقعَ الاختلافُ في الفتاوى في ذاك الحين، ولم يقف البعضُ على رأي البعض الآخر، وإن اطلع فما وجدَ سبيلاً لتبادُلِ الرأي والنقاش حوله، وإن تيسّر ذلك فلم يمكن إزالةُ الشبه ومزيل الاختلاف إلى الاتفاق، وكلّ واحد بقيَ على رأيه، وكثرت أحاديث الآحاد، يروي فيها فردٌ عن فردٍ.

وإن تتبعتم الآثار وجدتم أحاديثَ علماء الصحابة الذين انتقلوا إلى جوار رحمة الله قبل انقراض الخلافة الخاصة قليلةً، والذين عاشوا بعد أيام الخلافة الخاصة؛ فإنهم رووا الأحاديث بعد انتهاء الخلافة الخاصة، وأكثر أحاديثهم مرسلة، ويروي صحابي عن صحابي، ولكنّه لا يذكر اسمَ الصحابي الذي أخذ عنه اختصاراً، ولذلك أرسله، ولكنَّ مراسيلَ الصحابةِ متصلة حكماً.

أخرج مسلم: عن معاوية بن أبي سفيان أنَّه قال: عليكم من

---

(١) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٨٠)، و«الوافي بالوفيات» (٢/ ٣٦٢).

الأحاديث بما كان في زمان عمر بن الخطاب، فإنّه كانَ يخيفُ الناسَ في الله ﷻ أو كما قال[١].

وروي عن ابن مسعود أنّه قال: مَنْ كان مستناً فليستنَّ بمن قد مات، فإنَّ الحيَّ لا يؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقَها علماً، وأقلّها تكلّفاً، اختارهم الله لصحبة نبيِّه، ولإقامةِ دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهم وسيرهم، فإنَّهم كانوا على الهُدى المستقيم[٢].

ومعلومٌ أنَّ عبد الله بن مسعود انتقل إلى جوار ربه تعالى في آخر أيّامِ خلافة عثمان ذي النورين ﷺ، وقال الشافعيُّ: إذا صرنا في التقليد فقولُ الأئمةِ أبي بكر وعمر وعثمان ـ قال في القديم: ـ وعليٌّ أحبُّ إلينا من قولِ غيرهم.

والصحابةُ وإن كانوا كلّهم عدولاً، ورواياتهم مقبولة، وكلّ ما ثبت عنهم بواسطة الصادقين فالعملُ عليه لازمٌ، ولكنْ شتّان بين ما ظهر في زمن عمر بن الخطاب من الحديثِ والفقه، وما ظهر بعدَه من مثل هذه الأعمال، كما قال شاعر فارسي:

آسمان نسبت بعرش آمد فرود ورنه عاليست پيش خاك تود

ما معناه: إنَّ السماءَ وإن كانت دونَ العرشِ، ولكنها فوقَ الأرضِ بكثيرٍ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (١٠٣٧).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

❁ [نكتة أخرى: إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه شرح الفرق بين سنن الهدى وسنن الزوائد، وأكّد على الاعتناء بأحاديث الأحكام]:

النكتة الثانية: قد علم باستقراء تام أنَّ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه نظراً دقيقاً في التفريق بين أحاديث تبليغ أحكام الشرع، وبين أحاديث تكميل أفراد البشر، فكان لا يكثر من رواية أحاديث شمائل النبي ﷺ وسنن الزوائد في اللباس والعادات، وذلك لوجهين:

الأول: أنها ليست من العلوم التكليفية الشرعية، وإن صرفت العناية الزائدة برواية سنن الزوائد تختلط سنن الزوائد وسنن الهدى بعضها ببعض، ويحتمل أن يكون اشتغال الناس بسنن الزوائد يؤدّي إلى الغفلة عن الاشتغال بسنن الأحكام أحياناً.

الثاني: أنَّ الذين سعدوا بصحبة النبي ﷺ كانوا في زمن عمر في عدد كثير، فلم تكن لهم حاجة إلى تعلّم هذه الأمور.

• **أخرج الدارمي**: عن الشعبي عن **قرظة** قال: بعث عمر بن الخطاب رهطاً من الأنصار إلى الكوفة، فبعثني معهم، فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار ـ وصرار ماء في طريق مكة ـ فجعل ينفض الغبار عن رجليه، ثم قال: إنّكم تأتونَ الكوفة، فتأتون قوماً لهم أزيزٌ بالقرآن فيأتونكم، فيقولون: قدم أصحاب محمد، فيأتونكم، فيسألونكم عن الحديث، فأقلّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم، قال أبو محمد ـ هو الدارمي ـ: معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله ﷺ ليس السنن والفرائض[1].

قلت: والأَوْجَهُ عندي أنَّ معناه: الحديث عن الشمائل والعادات

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٩٧) برقم: (٢٨٠).

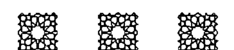
ممّا لم يتعلَّق به حكمٌ شرعي، أو معناه: الحديثُ على سبيل الظنّ فيما لم يتثبت فيه، ولم يجتهد في حفظه عند التحمل والأداء.

وكذلك لم يهتمَّ عمرُ ﷺ اهتماماً زائداً برواية ألفاظ الأدعية التي وردت لأوقات خاصّة وبمناسبات خاصّة، كأنّه كان يعتقدُ أصلَ فضيلة هذه الأدعية في مخّها، وهو الإنابة إلى الله، والتوجّه إليه، ومنشأه الشكر لله، والحمد له، والتوكل عليه.

• **أخرج أبو داود**: عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**من أكلَ طَعاماً ثمَّ قال: الحمدُ للهِ الذي أَطْعَمَني هذا الطعامَ، ورزقنيه مِنْ غيرِ حَوْلٍ منِّي ولا قوَّةٍ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ.**

وَمَنْ لَبِسَ ثوباً فقال: الحمدُ لله الذي كَساني هذا، ورزقنيه مِنْ غيرِ حَوْلٍ منِّي ولا قوةٍ، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تأخَّر»[١].

فكأنَّ عمر بنُ الخطاب ﷺ لم يعتبر أفضليةَ مثل هذه الأدعية إلا في الإعراض عن الأسباب، والتوكّل على الله، الذي هو مسبب الأسباب، لا في ألفاظها وحروفها الخاصة، كأن تشريع هذه الكلمات المباركة تختص بالأبرار، ويلزم الاعتناء بأصلها ومخّها، وهو التوكّل على الله للسابقين المقربين.



(١) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٤٠٢٣).



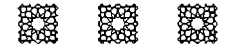

[بيان المقامات والكرامات والحكم والإفادات للخليفة الأوّاب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وأرضاه]

[وفيه مقدمتان]:

أمّا توسع الفاروق الأعظم في علوم الإحسان واليقين الذي اشتهر اليوم بعلم التصوف والسلوك، وطول باعه في معرفة أسراره وسبر أغواره، فذاك ممّا يتعذّر استيعابه، فالجدير بنا أن نذكر بعض أهم مباحث هذا الفن، ونرتِّبه في رسالة مستقلة، ويُعلم منه **فائدتان**:

الأولى: معرفة مكانة عمر رضي الله عنه في هذا.

والثانية: أنّ هذا العلم إنّما هو متوارث عن الخلفاء، وليس من البدعة التي ظهرت في العصر المتأخّر في شيء كما ظنّ مَنْ لا نصيب له في علوم الحديث.



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله مُخرج العلوم من معادنها، ومفيضُ الفهوم من أماكنها، ومحيي النفوس بها حياةً طيبةً، ومرقّيها بذلك إلى ما قدّر لها من مرتبة، وأشهدُ أن لا إلـٰه إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، صلَّى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيقول الفقير ولي الله عفي عنه:

هذا **بيانُ المقامات والكرامات والحِكَم والإفادات للخليفة الأوّاب**، الناطق بالحق والصواب، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، وإنّي أبيّنها بالشرح والتفصيل بقدر ما وُفّق هذا العبد الضعيف لتدوينها، والله المستعان، وعليه التكلان.

وقبل الخوض في المقصود نريد أن نذكر مقدَّمتين تمهيداً لذلك.

[المقدمة الأولى: في حقيقة التصوف وهي على ثلاثة أصول]

المقدمة الأولى: إنّ حقيقة التصوف الذي يسمّى «الإحسان» في مصطلح الشرع تحمل أصولاً ثلاثة:

❁ [الأصل الأول: حصول اليقين بأعمال الخير]:

الأصل الأول: حصول اليقين بأعمال الخير، مثل الصلاة، والصيام، والذكر، وتلاوة القرآن، والمراد باليقين ها هنا اليقين الخاص الذي يحصل لصلحاء هذه الأمة بالموهبة الربانية، يسمَّى في اصطلاح

الصوفية بنسبة حضور القلب، وليس المراد به ذلك اليقين الذي يحصل للإنسان بالاستدلال والتقليد.

ومعلومٌ قطعاً أنَّ جميع المسلمين يقومون بأعمال الخير وفق استعداداتهم، ولكنَّهم لا يبلغون مرتبة اليقين، اللَّهُمَّ إلا طائفة قليلة من المؤمنين المخلصين، فظهر من ذلك أن هناك شروطاً لبلوغ درجة اليقين مع الاشتغال بأعمال الخير، فلنبدأ الكلام في تعيين وتحقيق هذه الأمور.

بعد الخوض في تعيين وتحقيق هذه الأمور وصلنا إلى أنها تندرج في ثلاث كليات:

الأولى: الإخلاص في العمل، وهو في مرتبة الشرط لقُبول الأعمال.

الثانية: الإكثار من أعمال الخير مثل قيام الليل، وصلاة الضحى، وأذكار الغدوة والروحة، وهو باعتبار الكمية.

الثالثة: الكيفية الخاصة، وهي: الخشوع لله، وحضور القلب، وترك حديث النفس، واختيار حياةٍ مذكِّرَةٍ بالخشوع واشتغال بأذكار مقوية لهذه الكيفية، وقد فَسَّر القرآنُ والحديثُ «الإحسانَ» في هذه الكليات الثلاث، قال النبي ﷺ: «**إنّما الأعمالُ بالنيَّات**»[1]، وقال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٧ ـ ١٩]، وقال ﷺ: «**الإِحْسَان أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّك تَرَاهُ، فَإِن لم تكن تراه فإنه يراك**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (١).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٥٠).

❁ [الأصل الثاني: المقامات المتولّدة من بين طبيعة القلب واليقين]:

والأصل الثاني: توليدُ «المقامات» بين اليقين وطبيعة القلب والنفس، والمقامات المعتمد عليها عشرة، كما بيّنها شيخ هذا الفن أبو طالب المكي[1]، وهي: التوبة، والزهد، والصبر، والشكر، والرجاء، والخوف، والتوكل، والرضا، والفقر، والمحبة.

وإنما خلق قلبُ الإنسان ونفسه بحيث يكون دائماً مطيةً لهذه الأحوال المتضادة، ولكنَّها تكونُ في أول الأمر متعلقة بالأمور الدينية والدنيوية، فإنَّ الخوف ربَما يكون من العدو، أو من هلاك الأموال والأولاد، والرجاء يتعلَّق بكثرة الأموال والأولاد، والجاه، والاعتماد على أسباب الدنيا، ولكنْ إذا استولى اليقينُ على جِبِلّةِ الإنسان وسيطر على قلبه من كلِّ جهة فلا جرَمَ أنّ الرجاء والخوف يتعلّق بالله وأمره ومواعيده، ويكون اعتمادُه على مسبب الأسباب لا على الأسباب، إلى غير ذلك.

ولا تحسبنّ أنّ هذه المقامات تنحصر في هذه العشرة المذكورة آنفاً، بل إنها لأكثر من ذلك؛ كصدق اليقين، والشدّة في أمر الله، والتواضع، وأمثالها، وقد ذكِر في القرآن والسُّنَّة كثيرٌ من المقامات التي يطول ذكرها هنا، وقد بشّر النبيُّ ﷺ بعضَ الصحابة ببعض المقامات كـ«الصدّيقية» و«المحدّثية» و«الشهيدية» و«الحوارية»، وربما يختلِطُ الصبر بغلظة القلب، والتوكُّل بالتهوُّر، وهلم جرّاً، ولذلك يذكر الصوفية المحققون علاماتٍ وخواصَّ تميّز هذا عن ذاك.

---

(١) صاحب كتاب «قوت القلوب».

وأنا أذكر لكم في هذا الصدد ما يغنيكم عن كلامٍ طويلٍ في ذلك.

إن ما يتولّد من اليقين ـ المذكور من قبلُ ـ ومن بين حالة القلب والنفس يُسمّى «المقام»، فإن لم يكن الإنسانُ متحلّياً بهذا اليقين، فجميع صفاته طبيعية، لا «مقامات السلوك»، وإنْ كان ممّن غلبه اليقين فلننظر: هل كانت هذه الصفاتُ موجودةً بكيفياتها ووضعِها قبل حصول اليقين، أم لا؟ فإن كانت موجودةً من قبلُ، فليس من «المقامات» في شيءٍ، وإن لم تكن موجودةً من قبلُ، فهذه الصفات هي التي تُسمّى «مقامات السلوك»، وهذه النكتةُ الدقيقةُ تكفي العاقل اللبيب إن شاء الله تعالى.

۞ [الأصل الثالث: ظهور الخوارق على يديه والعناية بتربية رعيته]:

والأصل الثالث: إنّ اليقين إذا دخل قلبَ الإنسان، وغلب على باطنه، واستولى عليه، فلا يقول إلا باليقين، ولا يعمل إلا باليقين، فحينئذٍ توجد المقاماتُ العالية في صدره، ويستقيمُ في هذا الفن، وتظهر منه أحوالٌ يطيرُ بها صيته بين أفراد البشر، وهو على نوعين:

الأول: الكرامات الخارقة للعادة.

والثاني: تربية المريدين.

وقد أظهر عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلَّ ذلك قولاً وفعلاً، وبلغ إلى أعلى درجات هذا الفنّ، وإنه لأعلمُ الأمة بعلم الإحسان، قام بتربية أمة محمد ﷺ بعده، صحابةً كانوا أو تابعين، وأفاد الناسَ كلّهم، الغائبين والحاضرين، فإنّه أرشدَ الحاضرين خطاباً، وقام بتربية الغائبين كتاباً.

ولا يمكن استيعابُ هذا المبحث في هذا الكتاب، ولكن نذكر شيئاً منها اقتداءً بما قالوا: ما لا يدرك كله لا يترك كله.

[المقدمة الثانية: في بيان الفرق بين كرامات ومقامات مشايخ الصوفية وبين كرامات ومقامات عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

المقدّمة الثانية: هناك فرقٌ كبير وبونٌ شاسعٌ بين كرامات ومقامات الصوفية، وكرامات ومقامات عمر الفاروق رضي الله عنه.

فإنّ مقامات مشايخ الصوفية لا تُعْرَفُ إلا بالقرائن المحفوظة، فإذا رأينا إنساناً لا يضطرب في مقام الجزع والقلق اللذين يضطربُ فيهما الناسُ عامةً، وإذا جربنا ذلك على إنسانٍ مراراً وتكراراً، حكمنا أنّه بلغَ مقام الصبر، أو يخبر هو بنفسه أنّه «بلغ هذا المقام» بعد أن شعر بذلك من وجدانه، فكلا الأمرين كثيراً ما يكون مظنّةٌ للمزلّة.

فربما تختلط المقاماتُ الفاضلةُ بالصفات الطبيعية، ويظهر بعضُها في ثوب بعض، ولذلك نرى أنَّ معرفة المقامات والكرامات لأفراد مخصوصين فنّ ظنّي يُبنى على حُسْنِ الظنِّ بالرجل، واعتراف الناقلين بذلك.

أمّا مقامات عمر الفاروق رضي الله عنه فإنّها ثبتت بنصٍّ من المُخْبِرِ الصادق عليه أكمل الصلوات وأَيْمَنُ التحيات، وقد بشّره النبي ﷺ بهذه المقامات، وهذه المباحثُ تُثْبِتُ بنقلٍ مستفيض به يجب الإيمان المجمل، وبه تثبت الحجة.

وكلّ ما نريد أن نكتبَ في هذا المبحث فإنّه شرح لهذا الإجمال، وفروعٌ لهذه الأصول، وسنذكر أولاً النصوص المستفيضة، ثم نخوضُ في تفاصيلها وبواطنها.

إنّ النفس الناطقة لها قوتان: قوة عاملة، وقوة عاقلة، وتهذيب القوة العاملة إذا بلغت إلى مرتبة الكمال صارت «عصمة»، وتهذيب القوة العاقلة

إذا بلغت إلى مرتبة الكمال صارت «وحياً»، والأمة عاجزة عن الوصول إلى الكمال في هاتين القوتين، ولكنّ هناك نموذجاً ونائباً لكلٍّ واحدةٍ منهما، وإذا اجتمع في شخصٍ هذان النائبان تظهر منه ثمرات كثيرة، فيصير هذا الشخص مرشدَ الخلائق، وخليفةَ النبيِّ، ومظهراً لرحمة الله ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

وإن النائب عن الوحي: إنّما هو «المحدّثية» و«موافقة الوحي»، و«الكشف الصادق»، و«الفراسة النادرة».

والنائب عن العصمة: إنما هو فرار الشيطان من ظل ذلك الإنسان الكامل.

ويثمر اجتماعُ هاتين الخصلتين الشهادة والنيابة عن النبي ﷺ في إفادة الناس وإرشادهم عن جدارةٍ واستحقاقٍ في الدنيا، والفوز العظيم والدرجات العلى في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»، رواه **أبو هريرة وعائشة**[1] بطرقٍ صحيحةٍ مستفيضةٍ، وفي بعض طرق حديث **أَبِي هُرَيْرَةَ**: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ**»[2].

ورواه **عقبة بن عامر** بلفظ آخر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو كان بعدي نبيٌّ لكان عمرَ بنَ الخطّاب**»، أخرجه **أحمد والترمذي**[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩)، ومسلم في «صحيحه» رقم: (٦٣٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٨٦)، واللفظ له، «مسند أحمد» برقم: (١٧٤٠٥).

• وقال **علي** رضي الله عنه: إنّ عمرَ ليقول القولَ فينزل القرآنُ بتصديقه(١).

• وقال **ابن عمر**: ما اختلف أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ في شيءٍ، فقالوا وقال عمر، إلا نزل القرآنُ بما قال عمر(٢).

• وعن **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسان عمرَ وقلبِه**»(٣)، أخرجه الحفاظ من حديث **أبي هريرة وابن عمر**.

• **وفي موقوفِ عليٍّ** قال: كُنّا نرى ونحنُ متوافرون أصحابُ محمّد ﷺ أنَّ السكينةَ تنطِقُ على لسانِ عمرَ(٤).

• وقال رسول الله ﷺ: «**يا عمرُ! ما لقيَكَ الشيطانُ سالِكاً فجّاً إلا سلكَ فجّاً غيرَ فَجِّكَ**»(٥)، أو كما قال. رواه الحفاظ من حديث **سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وبُرَيدة الأسلمي**.

• **وفي موقوف علي** رضي الله عنه: كنا لنرى أنَّ شيطانَ عمرَ يهابه أَنْ يأمرَ بالخطيئةِ(٦).

• ورويت عن ابن مسعود وسعد وغيرهما موافقاته للقرآن.

• وجاء في الحديث المشهور برواية جماعة من الصحابة وهلم جَرّاً: أنّ النبيَّ ﷺ بَشّرَ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه بالشهادة، وسمّاه شهيداً في حديث العشرة والثلاثة، وغير ذلك.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).
(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٩٢١٣)، و«سنن الترمذي» (ح: ٣٦١٥).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣)، و«مصنف عبد الرزاق» رقم: (٢٠٣٨٠).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣)، و«صحيح البخاري» (ح: ٣٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (٤٤١٠)، و«مسند أحمد» رقم: (١٣٩٢).
(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).

• وقال ﷺ: **«أرأفُ أُمَّتي بِأُمَّتي أبو بكر، وأقواها في أمرِ اللهِ عمرُ»**، رواه أبو عمر في «الاستيعاب» من حديث **أنس، وأبي سعيد، ومحجن، أو أبي محجن**[١].

• وقال ﷺ: **«منزلتُهما من أهلِ الجنّةِ كمنزلةِ الكَوْكَبِ الدُّريِّ من أهلِ الأرضِ»**، أو كما قال، رواه **أبو داود** وغيره من حديث **أبي سعيد**[٢].

• وقال ﷺ في حديثِ تَكَلُّم الذئب: **«أؤمنُ به أنا وأبو بكرٍ وعمرُ»**، وما هما ثَمّ[٣].

• ورأى النبي ﷺ بيتَه في الجنة، وظهرت فضيلتُه على المسلمين في قِصّة رؤيا اللبن والقميص.

• وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ»**، رواه **الترمذي**[٤] وغيره من حديث **ابن مسعود، وحُذيفة**.

• وقال ﷺ: **«لا تصيبُكم فتنةٌ ما دامَ هذا فيكم»**[٥]، رواه الحفاظ من حديث **أبي ذر، وحذيفة، وعبد الله بن سلام**.

• ومن طرق حديث **حذيفة** ما وجد في **«الصحيحين»**: **«إنّ بينكَ وبين الفتنةِ باباً مغلقاً»**، إلى غير ذلك من فضائلَ لا تُحصى، وهي **من متواتراتِ الدّين بالتواتر المعنوي**.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٦).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» (ح: ٣٩٨٩)، و«مسند أحمد» رقم: (١٠٧٧٤).

(٣) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٤/ ٩٧).

(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٦٢).

(٥) انظر: «المعجم الأوسط»، للطبراني (٤/ ٤٧٨) برقم: (٢٠١٩).




الفصل الأول

العلم

- المبحث الأول: في بيان حِكَمِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- المبحث الثاني: في جنس من مقامات اليقين.
- المبحث الثالث: في جنس آخر من مقامات اليقين.
- المبحث الرابع: في مكاشفات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفراسته، وما رأى المسلمون فيه من المزايا الصالحة.
- المبحث الخامس: فيما نطق به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من دقائق مقامات السلوك.
- المبحث السادس: في تثقيف أمير المؤمنين عمر رعيته على منوال تربية النبي ﷺ أمته.
- المبحث السابع: في بقاء سلسلة الصحبة الصوفية المبتدأة من النبي ﷺ إلى يومنا هذا بواسطة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

❁ ❁ ❁

[المبحث الأول]

[في بيان حِكَم عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

[أقواله: في بيان أهميّة العلم]:

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناسُ عليكم بالعلمِ، فإنَّ للهِ سبحانه رداءً يحبّه، فمن طلبَ باباً مِنَ العلم ردّاه اللهُ عز وجل بردائِهِ، فإنْ أذنبَ ذنباً استعتبه ثلاثَ مرّاتٍ لئلا يسلبه رداءَه[١].

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: موتُ ألفِ عابدٍ قائمِ الليلِ، صائمِ النهارِ، أهونُ مِنْ موتِ عالمٍ، بصيرٍ بحلالِ اللهِ وحرامِهِ[٢].

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: مَنْ حدَّثَ حديثاً فَعُمِلَ به، فَلَهُ مثلُ أجرِ مَنْ عَمِلَ ذلك العملَ[٣].

• **أبو الليث**: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ الرجلَ ليخرجُ من منزلِهِ وعليه من الذنوبِ، مثل جبالِ تِهامةَ، فإذا سمعَ العالمَ خافَ، واسترجعَ عن ذنوبه، وانصرفَ إلى منزلِهِ، وليس عليه ذنبٌ، فلا تفارقوا مجالسَ العلماءِ، فإنَّ اللهَ عز وجل لم يخلقْ على وجهِ الأرضِ تربةً أكرمَ من مجالسِ العلماء[٤].

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: إنّ أخوفَ ما أخافُ على هذه الأمةِ المنافقَ العليمَ، قالوا: وكيفَ يكونُ منافقاً عليماً؟ قال: عليمُ اللسانِ جاهلُ القلبِ[٥].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٧).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ١٠).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٤٩).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٦٣).

• **الغزالي**: قال عمر ﷺ: إذا رأيتُم العالمَ محبّاً للدنيا، فاتهموه على دينكم، فإنَّ كلَّ مُحِبٍّ يخوضُ فيما أحبَّ[١].

• **الغزالي**: قال عمر ﷺ: لا تتعلّمِ العلمَ لثلاثٍ، ولا تتركْهُ لثلاثٍ، لا تتعلّمه لتماري به، ولا لتباهي به، ولا لترائي به، ولا تتركه حياءً من طلبه، ولا زهادةً فيه، ولا رضاً بالجهلِ به[٢].

• **الغزالي**: قال عمر: تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلمِ السكينةَ والوقارَ والحِلْمَ[٣].

• **الغزالي**: قال عمر ﷺ: لا تكونوا جبابرةَ العلماءِ، فلا يفي علمُكم بجهلِكم[٤].

• **الغزالي**: عن عمر ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما اكتسبَ رجلٌ مثلَ فضلِ عقلٍ يهدي صاحبَه إلى هدًى، ويردُّه عن ردًى، وما تَمَّ إيمانُ عبدٍ ولا استقامَ دينُه حتَّى يَكْمُلَ عقلُه**»[٥].

• **الغزالي**: عن عمر ﷺ أنه قال لتميم الداري: ما السؤددُ فيكم؟ قال: العقلُ، قال: صدقتَ، سألت رسولَ اللهِ ﷺ كما سألتُكَ فقال لي كما قلتَ، ثم قال: «**سألت جبرئيل، ما السؤددُ؟ فقال: العقلُ**»[٦].

• **البخاري** في ترجمة باب: قال عمر: تعلّموا قبل أن تسودوا[٧]، معناه ينبغي للإنسانِ أن يبادِرَ بطلبِ العلمِ الثروةَ والسؤددَ، فإنَّ النفسَ أمّارةٌ بالسوءِ، والدُّنيا شاغلةٌ للأوقاتِ.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٦٤).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣١٧).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨١).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨٩).
(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٨٩).
(٧) انظر: «صحيح البخاري» كتاب: العلم باب: (١٥).

• **البغوي والغزالي**: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلّموا مِنَ النجومِ ما تهتدون به في البرِّ والبحرِ ثم أمسكوا[١].

• **السَّهروردي**: عن عمر أنّه قرأ قوله تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَأَبًّا﴾ [عبس: ٢٧ ـ ٣١] ثم قال: هذا كلُّه قد عرفناه، فما الأبّ؟ [قال: وبيد عمر عصاه فضربَ بها الأرضَ]، ثم قال: هذا هو لعمرُ اللهِ التكلّفُ، فخذوا أيَّها الناسُ ما بُيِّنَ لكم منه، فما عرفتُم اعملوا به، وما لَمْ تعرفوا فَكِلُوا علمه إلى الله[٢].

• **أبو طالب [المكي]**: قال ابن مسعود لمّا مات عمر رضي الله عنه: إنِّي لأحسبُ أنّه ذهب بتسعةِ أعشارِ العلمِ؛ فقيل: تقول هذا وفينا أجلّة الصحابة؟ فقال: لستُ أعني العلمَ الذي تريدون، إنّما أعني العلمَ باللهِ تعالى[٣].

• **أبو طالب**: عن عمر: كم من عالمٍ فاجرٍ وعابدٍ جاهلٍ، فاتقوا الفاجرَ من العلماءِ، والجاهلَ من المتعبّدينَ[٤].

• **أبو طالب**: عن عمر قال: اتّقوا كلَّ منافقٍ عليمِ اللسانِ، يقول ما تعرفونَ، ويعملُ ما تُنكرونَ[٥].

۞ [أقواله: في] التعبّد:

• **مالك**: إنّ عمر بن الخطاب كتبَ إلى عُمّاله: إنّ أهمَّ أمركم عندي الصلاةُ، فَمَنْ حفظَها وحافظَ عليها حَفِظَ دينَه، ومن ضيَّعها فهو لِمَا سواها أضيعُ[٦].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٣١)، و«شرح السُّنَّة» (١٢/ ١٨٣).
(٢) انظر: «عوارف المعارف» (ص١٤٤).
(٣) انظر: «قوت القلوب» (١/ ١٩٩).
(٤) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٢٠١).
(٥) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٢٠١).
(٦) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٩).

• **مالك**: دخل رجل على عمر بن الخطاب من الليلةِ التي طُعِنَ فيها، فأيقظَ عمرَ لصلاةِ الصبحِ، فقال عمرُ: نعم، ولا حظَّ في الإسلامِ لمن ترك الصلاةَ، فصلّى عمر، وجُرْحُه يَثْعَبُ دماً[١].

• **مالك**: قال عمر: لأنْ أشهدَ صلاةَ الصبحِ في الجماعةِ أحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أقومَ ليلَةً[٢].

• **أبو طالب والسَّهروردي**: قال عمر رضي الله عنه على المنبر: إنّ الرجلَ ليشيبُ عارضاه في الإسلامِ، وما أكملَ للهِ صلاةً، قيل: وكيفَ ذاك؟ قال: لا يُتِمُّ خشوعَها وتواضعَها وإقبالَه على اللهِ فيها[٣].

• **مسلم وغيره**: عن عقبة بن عامر، عن عمر رفعه: «**مَنْ تَوَضَّأَ وَأَسْبَغَ الوضوءَ، ثم يقولُ: أشهدُ أنْ لا إلـهَ إلّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمَّداً عبدُ اللهِ ورسولُه، إلّا فُتِحَتْ له أبوابُ الجَنَّةِ الثمانية**»[٤].

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: تفقّدوا إخوانَكم في الصلاةِ، فإذا فقدتموهم، فإنْ كانوا مرضى فعودوهم، وإن كانوا أصحّاء فعاتبوهم[٥].

• **الغزالي**: كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما: ذِكرُ ربِّنا، فيُقْرَأُ عنده، حتى يكادَ وقتُ الصلاةِ أن يتوسّطَ، فيقال: يا أميرَ المؤمنين! الصلاةَ الصلاةَ، فيقول: أولسنا في صلاةٍ[٦].

• **الغزالي**: كان عمر رضي الله عنه يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أستغفرُكَ لظلمي وكفري، فقيل له: هذا الظلمُ فما بال الكُفْرِ؟ فتلا قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢][٧].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١١٧).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٤٣٢).
(٣) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٩).
(٤) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٤).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٠٠).
(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٨٩).
(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٩٦).

• **المحبّ الطبري**: عن سعيد بن المسيَّب قال: كان عمرُ يحبُّ الصلاةَ في كبدِ الليلِ؛ يعني: وَسَطَ الليل[١].

• **مالك**، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يصلي من الليلِ ما شاءَ الله، حتى إذا كان من آخرِ الليل، أيقظَ أهلَه للصلاةِ، يقولُ لهم: الصلاةَ الصلاةَ، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه: ١٣٢][٢].

• **المحبّ الطبري**: عن عبد الله بن ربيعة قال: صلّيتُ خلفَ عمر الفجرَ، فقرأ سورةَ الحجِّ وسورةَ يوسف قراءةً بطيئةً[٣].

• **المحبّ الطبري**: عن ابن عمر قال: ما مات عمرُ حتّى سردَ الصومَ[٤].

• **المحبّ الطبري**: عن جعفر الصادق قال: كان أكثرُ كلامِ عمرَ «الله أكبر»[٥].

• **الغزالي**: قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: إنَّ الأعمالَ تَباهَتْ، فقالت الصدقةُ: أنا أفضلكنَّ[٦].

• **أبو طالب**: كان عمرُ رضي الله عنه يعطي أهلَ البيتِ القطيعَ من الغنمِ العشرةَ فما فوقَها[٧]؛ يعني: إغناءُ المحتاجِ أفضلُ.

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: الحاجُّ مغفورٌ له، ولمن يستغفِرُ له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول[٨].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٨٩).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢).
(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٧).
(٧) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٣٤).
(٨) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٥٠).

• **أبو الليث**: قال عمر: مَنْ أتى هذا البيتَ، لا يريدُ إلّا إيّاه، فطافَ به طوافاً، خرجَ مِنْ ذنوبه كيوم ولدتُه أمُّه[١].

• **أبو طالب**: روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: لأنْ أُذْنِبَ سبعينَ ذنباً بركبةٍ[٢] أحبُّ إليَّ من أن أذنبَ ذنباً واحداً بمكة[٣].

• **أبو طالب والغزالي**: كان عمرُ رضي الله عنه يقول للحُجّاجِ إذا حَجُّوا: يا أهلَ اليمنِ يمنكم، ويا أهلَ الشامِ شامكم، ويا أهلَ العراقِ عراقكم[٤] ـ أي: تذكَّروهم بالدعاء ـ.

• **أبو طالب**: إن عمرَ أهدى بختيّةً، فطلبت منه بثلاث مائة دينار، فسأل النبي ﷺ أن يبيعها ويشتري بثمنها بدناً، فنهاه عن ذلك وقال: «**بل أهدِها**»[٥].

• **أبو الليث**: قال عمر: المساجدُ بيوتُ اللهِ في الأرضِ، وحقٌّ على المزور أن يكرمَ زائرَه[٦].

• **أبو الليث**: كان عمرُ يقول إذا دخلَ شهرُ رمضان: مرحباً بمطهِّر، مرحباً بمطهِّر، خيرٌ كلّه، صيامُ نهاره، وقيامُ ليله، النفقةُ فيه كالنفقةِ في سبيلِ اللهِ[٧].

• **أبو بكر**: عن أبي عثمان قال: قال عمرُ: الشتاءُ غنيمةُ العابدِ[٨].

---

(١) انظر: «تنبيه الغافلين» (٤٩٠).
(٢) موضع بالحجاز.
(٣) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٤٥).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٥٣)، «قوت القلوب» (٢/ ٤٩).
(٥) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٤٣).
(٦) انظر: «تنبيه الغافلين» (٣٠٤).
(٧) انظر: «تنبيه الغافلين» (٣٢١).
(٨) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧).

• **أبو بكر**: عن رجل يقال له: ميكائيل، شيخٌ من أهل خراسان قال: كان عمرُ إذا قامَ من الليلِ قال: قد ترى مقامي، وتعرفُ حاجتي، فأرجعني من عندِك يا اللهُ بحاجتي مُفْلِحاً مُنْجحاً مستجيباً مستجاباً لي، قد غفرتَ لي ورحمتَنِي، فإذا قضى صلاته قال: اللَّهُمَّ لا أرى شيئاً من الدُّنيا يدومُ، ولا أرى حالاً فيها يستقيمُ، اللَّهُمَّ اجعلني أنطقُ فيها بعلم، وأصمتُ فيها بِحِلْم، اللَّهُمَّ لا تكثرْ لي من الدنيا فأطغى؟ ولا تقلّ لِّي منها فأنسى، فإنَّه ماً قلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى[١].

• **أبو بكر**: عن عمر أنه كان يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك أن تأخذَني على غرةٍ، أو تذرني في غفلةٍ، أو تجعلني من الغافلين[٢].

• **أبو الليث**: قال عمر: بلغني أنّ الدعاء بين السماءِ والأرضِ معلَّقٌ لا يصعدُ منه شيءٌ حتّى يصلَّى على نبيّكم[٣].

• **محمد**[٤] قال: أخبرنا أبو حنيفة قال: حدّثنا أبو جعفر محمد بن علي قال: جاءَ عليُّ بنُ أبي طالب إلى عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنهما حين طُعِنَ فقال: رحمَكَ الله، فواللهِ ما في الأرضِ أحدٌ كنتُ ألقى الله بصحيفته أحبَّ إليَّ منك.

۞ [أقواله: في] آفات اللسان:

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: إنّ شقاشقَ الكلامِ من شقاشقِ الشيطانِ[٥].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٨٢) برقم: (٣٤٤٩٣).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٥) برقم: (٣٤٤٥٢).

(٣) انظر: «تنبيه الغافلين» (٤٠٩).

(٤) هو: محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة، ولكن لم أجد روايته، وقد روي نحوه في كتب التاريخ. انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٤٥٣).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٢٠).

• **الغزالي**: قال عمر ﷺ: أما في المعاريضِ ما يكفي الرجال عن الكذب[١]؟!

• **الغزالي**: كان معاذٌ عاملاً لعمر ﷺ، فلمّا رجع من أمره قالت له امرأته: ما جئتَ به ممّا يأتي به العمّال إلى أهلِهم؟ وما كان قد أتاها بشيءٍ؟ فقال: كان معي ضاغطٌ ـ يعني: الله ـ، قالت[٢]: كنتَ أميناً عندَ رسولِ اللهِ ﷺ وعندَ أبي بكر ﷺ، فبعث عمرُ معك ضاغطاً؟! وقامت بذلك بين نسائها، واشتكت عمرَ، فلمّا بلغه ذلك دعا معاذاً، وقال: بعثتُ معك ضاغطاً؟! قال: لم أجِدْ ما أعتذِرُ به إليها إلّا ذلك، فضحك عمرُ ﷺ، وأعطاه شيئاً وقال: أَرْضِهَا به[٣].

• **الغزالي**: كان ابن أبي عذرة يخلعُ النساءَ اللاتي يتزوّج بهنّ، فطارت له في الناس من ذلك أحدوثةٌ يكرهها، فلمّا علم بذلك أخذ بيد عبدِ الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك باللهِ هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني، قال: فإنّي أنشدك بالله، قالت: نعم، فقال لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمرَ ﷺ فقال: إنكم لتحدثون أني أظلمُ النساءَ وأخلعهن، فاسأل ابن الأرقم، فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة، فجاءت هي وعمتها فقال: أنت التي تحدّثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى، إنّه ناشدني، فتحرّجت أن أكذبَ، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحبُّ أحدنا فلا تحدّثه بذلك، فإن أقلّ البيوت الذي يُبنى على الحبّ، ولكنّ الناس يتعاشرون

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٥).

(٢) أي: فهمت المرأة أن عمر هو الذي قرر عليه ضاغطاً.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٥).

بالإسلام والإحسانِ[١].

• **الغزالي**: قال عمر ﷺ: المدحُ هو الذبحُ[٢].

• **الغزالي**: أثنى رجلٌ على عمر ﷺ فقال: أتهلكني وتهلك نفسك[٣]؟!

• **أبو الليث**: روى مالك بن دينار عن أحنف بن قيس، قال لي عمر: يا أحنفُ مَنْ كَثُرَ ضَحِكُه قلّتْ هيبتُه، وَمَنْ مزحَ استخفَّ به الناسُ، ومن أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ به، ومن كَثُرَ كلامُه كَثُرَ سقطُه، ومَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قلَّ حياؤه، ومَنْ قلَّ حياؤه قلَّ وَرَعُهُ، ومَنْ قلَّ ورعُه ماتَ قلبُه، [ومَنْ ماتَ قلبُه كانتِ النارُ أولى به][٤].

• **أبو الليث**: قال عمر: كفى بالمؤمن من الغي ثلاثٌ، يعيبُ على الناسِ بما يأتي به، ويبصِرُ من عيوبِ الناسِ ما لا يبصرُ من عيوبِ نفسِه، ويؤذي جليسَه فيما لا يعنيه[٥].

❁ [أقواله: في] آفات القلب:

• **الغزالي**: كان عمر ﷺ إذا خطب قال في خطبته: أفلحَ منكم مَنْ حُفِظ من الطمعِ والهوى والغضبِ[٦].

• **الغزالي**: قال مالك بن أوس بن الحدثان: غضبَ عمرُ على رجلٍ وأمر بضربه، فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين! ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف] فكان عمر يقول: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ فكان يتأمّل في الآية، وكان وقّافاً عند كتاب الله

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٣٣).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٢).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٣).
(٤) انظر: «تنبيه الغافلين» (٢٠١).
(٥) انظر: «تنبيه الغافلين» (٣٨١).
(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٥٦).

مهما تلي عليه، كثيرَ التدبُّرِ فيه، فتدبَّر فيه، وخلَّى الرجل[١].

• **الغزالي**: روي أنَّ عمرَ غضبَ يوماً، فدعا بماءٍ، فاستنشق وقال: إنّ الغضبَ من الشيطانِ، وهذا يذهِبُ الغضب[٢].

• **أبو بكر والغزالي**: قال عمرُ ﷺ: إنَّ العبدَ إذا تواضعَ للهِ رفع اللهُ حكمتَه، وقال: انتعشْ رفعَكَ الله، وإذا تكبّرَ، وعدا طورَه، وهَصَهُ اللهُ في الأرضِ[٣] وقال: اخْسَأْ أَخْسَأَكَ اللهُ، فهو في نفسِهِ كبيرٌ، وفي أعينِ الناسِ حقيرٌ، حتى إنّه لأحقرُ عندَهم من الخنزير[٤].

• **الغزالي**: استأذن رجلٌ عمرَ أنْ يعظَ الناسَ إذا فرغَ من صلاةِ الصبح فمنعه، فقال: أتمنعُني مِنْ نُصْحِ الناس؟ فقال: أخشى أن تنتفخَ حتَّى تبلغَ الثريا[٥].

• **أبو طالب**: قال عمر ﷺ لرجلٍ: مَنْ سيّدُ قومِكَ؟ قال: أنا، قال: لو كنتَ كذلك لم تَقُلْ[٦].

• **الغزالي**: قال الأصبغ بن نباتة قال: كأنِّي أنظرُ إلى عمر ﷺ معلّقاً لحماً في يده اليسرى، وفي يده اليمنى الدِّرة، يدورُ في الأسواق حين دخل رحله[٧].

• **الغزالي**: حمل عمرُ ﷺ قربةً على عنقِهِ، فقال له أصحابه: يا أميرَ المؤمنين ما حملَكَ على هذا؟ قال: إنَّ نفسي أعجبتني فأردتُ

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٦٣). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٦٤).

(٣) أي: رماه رمياً شديداً كأنه غمزه إلى الأرض. «النهاية» (ص٩٩٢).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٨)، واللفظ له، «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٦) برقم: (٣٤٤٦١). والوهص: شدة الوطء، يقال: وهصه الله كأنه رمى به وغمزه في الأرض.

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٣). (٦) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٢٤١).

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤٢).

أنْ أذلَّها[١].

• **الغزالي**: قال زيدُ بنُ وهب: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوقِ وبيده الدِّرة، وعليه إزارٌ فيه أربعَ عشرةَ رقعةً، بعضُها من أدمٍ[٢].

• **الغزالي**: قال عمر في خطبةٍ له: اعلموا أنْ لا شيءَ أحبُّ إلى الله ولا أعزُّ من حِلْم إمامٍ ورِفْقِهِ، وليسَ جهلٌ أبغضَ إلى الله، ولا أعظمَ ضرراً من جهلِ إمامٍ وخرقِهِ، واعلموا أنّه مَنْ يأخذْ بالعافيةِ فيمن بينَ ظهرانيه يُرْزَقِ العافيةَ فيمن هو دونه[٣].

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه لرجل: عليك بعمل العلانية، قال: يا أميرَ المؤمنين! وما عَمَلُ العلانية؟ قال: ما إذا اطّلعَ عليك غيرُك لم تستحْيِ منه[٤].

• **أبو الليث**: روي عن عمر أنّه قال: رأسُ التواضعِ أَنْ تبدأَ بالسلامِ على مَنْ لقيتَ من المسلمين، وأنْ ترضى بالدُّوْنِ مِنَ المجلسِ، وأنْ تكره أَنْ تُذْكَرَ بالبرِّ والتقوى[٥].

• **أبو الليث**: عن قيس بن أبي حازم قال: لمّا قَدِمَ عمرُ الشامَ، تلقّاه عظماؤها وكبراؤها، فقيل له: اركبْ هذا البرذونَ يراكَ الناسُ، فقال: إنَّكُم ترونَ هذا الأمر من ها هنا، وإنَّما الأمرُ من ها هنا، وأشارَ بيدِهِ إلى السماءِ، خلّوا سبيلي[٦].

• **أبو الليث**: روي أنَّ عمر جعلَ بينه وبين غلامِهِ مناوبةً، فكان

(١) «المجالسة وجواهر العلم»، للدينوري رقم: (٤١٧).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤٢).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٧٤).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٦).
(٥) انظر: «تنبيه الغافلين» (١٨٦).
(٦) انظر: «تنبيه الغافلين» (١٨٧).

عمرُ يركبُ الناقةَ، ويأخذُ الغلامُ بزمامِها، فيسيرُ مقدارَ فرسخٍ، ثم ينزلُ، ويركبُ الغلامُ، ويأخذُ عمرُ بزمامِ الناقةِ، ثم يسيرُ مقدارَ فرسخٍ، فلمّا قربَ من الشامِ، كانتْ نوبةُ ركوبِ الغلامِ، فركبَ الغلامُ، وأخذ عمرُ بزمامِ الناقةِ، فاستقبله الماءُ في الطريقِ، فجعل عمرُ يخوضُ الماءَ وهو آخذُ بزمامِ الناقةِ، فخرجَ أبو عبيدة بنُ الجرّاح، وكان أميراً على الشام، فقال: يا أميرَ المؤمنين! إنَّ عظماءَ الشامِ يخرجونَ إليك، فلا يَحْسُنُ أن يروكَ على هذه الحالةِ، فقال عمرُ: إنَّما أعزنا الله بالإسلام، فلا نبالي مِنْ مقالةِ الناسِ(١).

• **أبو الليث**: قال عمر: إنَّ مِنْ صلاحِ دينِكَ أَنْ تعرفَ ذنبَكَ، وإنَّ من صلاح شُكْرِكَ أن تعرفَ تقصيرَك.

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: إنَّ الطمعَ فقرٌ، واليأسَ غنًى، وإنَّه مَنْ يئسَ عما في أيدي الناس وقنعَ استغنى عنهم(٢).

• **الغزالي**: قال عمرو بن الأسود العنسي: لا ألبسُ مشهوراً أبداً، ولا أنامُ بليلٍ على دثارٍ أبداً، ولا أركبُ على مأثور أبداً، ولا أملأُ جوفي من طعام أبداً، فقال عمر: مَنْ سرّه أن ينظرَ إلى هدي رسول الله ﷺ فلينظر إلى عمرو بن الأسود(٣).

• **أبو طالب**: عن عمرَ لو أنَّ رجلاً صام النهارَ، لا يفطِرُ، وقامَ الليلَ، وتصدّقَ، وجاهدَ، ولم يحبَّ في اللهِ عز وجل، ويبغض فيه، ما نفعَه ذلك شيئاً(٤).

• **أبو طالب**: كان عمر بن الخطاب يقول: رحمَ اللهُ امرءاً أهدى

---

(١) انظر: «تنبيه الغافلين» (١٨٧ ـ ١٨٨). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٢٦).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣٢٦). (٤) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٨٤).

إلى أخيه عيوبَه[١].

• **أبو بكر**: عن ابن شهاب قال: قال عمرُ: لا تعترضْ لما لا يعنيكَ، واعتزلْ عدوّكَ، واحذرْ صديقَك إلا الأمينَ من الأقوامِ، ولا أمينَ إلّا مَنْ خشيَ الله، ولا تصحبْ الفاجرَ، فتعلّم من فجورِهِ، ولا تُطْلِعْهُ على سرِّكَ، واستشر في أمرِكَ الذين يخشونَ الله[٢].

❁ التوبة:

• **الغزالي**: عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: الطابعُ معلَّقٌ بقائمةِ العرشِ، فإذا انتُهِكَتِ الحرماتُ، واستُحلَّتِ المحارمُ، أرسلُ اللهُ الطابعَ، فيطبعُ على القلوبِ بما فيها[٣].

• **أبو بكر وأبو طالب والسهروردي وجماعة**: قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسَبوا، وزنوها قبل أن تُوْزَنوا، وتزيَّنوا للعرضِ الأكبرِ على الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة][٤].

زاد أبو طالب: وإنّما خفَّ الحسابُ في الآخرةِ على قومٍ حاسَبوا أنفسَهم في الدُّنيا، وثَقُلَتْ موازينُ قومٍ في الآخرةِ، وَزَنُوْا أنفسَهم في الدُّنيا، وحق لميزانٍ لا يُوْضَعُ فيهِ إلّا الحقّ أنْ يكونَ ثقيلاً[٥].

• **أبو طالب**: روينا أنّ عمر رضي الله عنه: أنّه أخَّر صلاةَ المغربِ ليلةً

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٧٦).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٥).
(٤) انظر: «قوت القلوب» (١/ ١٠٤) واللفظ له، «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٦) برقم: (٣٤٤٥٩).
(٥) انظر: «قوت القلوب» (١/ ١٠٤).

حتّى طلعَ نجمٌ فأعتقَ رقبةً[١].

• **أبو بكر**: عن عونِ بن عبدِ اللهِ بن عُتبة قال: قال عمر: جالسوا التوّابين فإنَّهم أرقُّ شيءٍ أفئدةً[٢].

• **أبو بكر**: عن النعمان بن بشير، سئل عمر عن التوبةُ النصوحُ، فقال: التوبةُ النصوحُ أن يتوبَ العبدُ من العملِ السيِّئِ ثم لا يعودُ إليه أبداً[٣].

• **أبو الليث**: قال عمرُ للأحنف بن قيس: مَنْ أجهلُ الناسِ؟ قال الأحنف: مَنْ باعَ آخرته بدنياه، وقال عمر: ألا أنبِّئك بأجهلِ مِنْ هذا؟ من باعَ آخرته بدنيا غيره.

• **أبو الليث**: روي عن عمر أنّه دخلَ على النبيِّ ﷺ فوجده يبكي، فقال: يا رسول الله! ما يبكيك؟ فقال: «**أخبرني جبريل أنَّ الله تعالى يستحي من عبدٍ يشيبُ في الإسلامِ أن يعذّبه، أفلا يستحي الشيخُ مِنَ اللهِ أنْ يذنبَ بعدَ ما شابَ في الإسلام**».

• **أبو بكر**: عن النعمان بن بشير قال: سئل عمرُ عن قول الله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ [التكوير]، قال: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار[٤].

❁ ذم الدنيا واستحباب التقلُّل والتخشُّن:

• **أبو بكر**: عن شقيق قال: كتب عمر: أنَّ الدُّنيا خَضِرةٌ حلوةٌ،

(١) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٣٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٦) برقم: (٣٤٤٦٥).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٩) برقم: (٤٣٤٩١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٩) برقم: (٣٤٤٩٢).

فمن أخذها بحقِّها كان قمِناً أن يباركَ له فيها، ومَنْ أخذَها بغيرِ ذلك كان كالآكلِ الذي لا يشبعُ[(١)].

• **أبو بكر**: عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف قال: لمّا أتي عمرُ بكنوز آل كسرى فإذا من الصفراءِ والبيضاءِ ما يكادُ أن يحارَ منه البصر، قال: فبكى عمرُ عند ذلك، فقال عبدُ الرحمٰن: ما يبكيكَ يا أميرَ المؤمنين؟ إنَّ هذا اليومَ يومُ شكرٍ وسرورٍ وفرحٍ، فقال عمر: ما كَثُرَ هذا عندَ قومٍ إلّا ألقى الله بينهم العداوةَ والبغضاءَ[(٢)].

• **أبو بكر**: عن سعيد بن أبي بردة قال: كتب عمر إلى أبي موسى: أمّا بعدُ، إنَّ أسعدَ الرعاةِ مَنْ سعدتْ به رعيتُه، وإنَّ أشقى الرعاةِ عندَ اللهِ مَنْ شقيتْ به رعيتُه، وإيّاكَ أن ترتعَ فيرتعَ عمّالك، فيكونَ مثلُكَ عندَ اللهِ مثل البهيمةِ، نَظَرَتْ إلى خُضرةٍ من الأرضِ فرتعتْ فيها، تبتغي بذلك السِّمن، وإنما حتفُها في سِمَنِها، وعليكَ السلامُ[(٣)].

• **أبو بكر**: عن يسار بن نمير قال: واللهِ ما نخلتُ لعمرَ الدقيقَ قط إلا وأنا له عاص[(٤)].

• **أبو بكر**: عن الحسنِ قال: ما ادّهنَ عمرُ حتّى قُتِلَ إلّا بسمنٍ أو إهالةٍ أو زيتٍ مقتَّتٍ[(٥)].

• **أبو بكر**: عن يونسَ قال: كان الحسنُ ربَّما ذكر عمرَ فيقول: واللهِ ما كان بأوَّلهم إسلاماً، ولا بأفضَلِهم نفقةً في سبيل الله، ولكنَّه غلبَ

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٣) برقم: (٣٤٤٤٦).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٤) برقم: (٣٤٤٤٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٥) برقم: (٣٤٤٥٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ١٤٩) برقم: (٣٤٤٥٦).

الناسَ بالزهدِ في الدُّنيا، والصرامةِ في أمرِ اللهِ، ولا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ(١).

● **أبو بكر**: عن عطاء الخراساني قال: احتبس عمرُ بنُ الخطّاب على جلسائه، فخرجَ إليهم مِنَ العشي، فقالوا: ما حَبَسَكَ؟ فقال: غسلتُ ثيابي، فلمّا جفّتْ خرجتُ إليكم(٢).

● **أبو بكر**: عن سفيان قال: كتب عمرُ إلى أبي موسى: إنّكَ لن تنالَ الآخرةَ بشيءٍ أفضل مِنَ الزُّهدِ في الدُّنيا(٣).

● **أبو بكر**: عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى قال: قدم على عمر ناس من العراق، فرأى كأنهم يأكلون تعذيراً، فقال: ما هذا يا أهل العراق؟ لو شئت أن يُدَهْمَقَ لي كما يُدَهْمَقُ لكم لفعلتُ، ولكنا نستبقي من دنيانا ما نجده في آخرتنا، أما سمعتم الله قال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠](٤).

● **أبو بكر**: عن عروة قال: لما قدم عمر الشام كان قميصه قد تجوّب عن مقعده، قميص سنبلاني غليظ، فأرسل به إلى صاحب أذرعاتٍ أو أَيْلَةَ، قال: فغسله ورقعه، وخيط له قميص قطري، فجاء بهما جميعاً فأُلقي إليه القطريُّ، فأخذه عمر فمسَّه فقال: هذا أَلينُ، فرمى به إليه، وقال: أَلقِ إليَّ قميصي، فإنّه أنشفُهما للعرقِ(٥).

● **أبو بكر**: عن ابنِ عمرَ قال: كان عمر بن الخطاب يؤتى بخبزِه

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٥) برقم: (٣٤٤٥٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٦٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧٠).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧١). الدهمقة: لين الطعام وطيبه ورقته، «غريب الحديث» (٣/ ٢٦٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧٢).

ولحمِه ولبنِه وزيتِه وبقله وخلِّه، فيأكلُ، ثم يمصُّ أصابعَه، ويقول هكذا، فيمسحُ يديه بيديه ويقول: هذه مناديلُ آلِ عمرَ[(١)].

● **أبو بكر**: عن حبيب قال: قدمَ أُناسٌ من العراقِ على عمرَ وفيهم جريرُ بن عبد الله، قال: فأتاهم بجفنةٍ قد صنعت بخبزٍ وزيتٍ، قال: فقال: هلمَّ قد أرى ما تقدمون إليه، فأيُّ شيءٍ تريدون حلواً وحامضاً، وحارّاً وبارداً، وقذفاً في البطون[(٢)].

● **أبو بكر**: عن حبيب عن بعض أصحابه عن عمرَ أنّه دُعِيَ إلى طعامٍ، فكانوا إذا جاؤوا بلونٍ خلطَه بصاحبِهِ[(٣)].

● **أبو بكر**: عن أنس قال: غلا السعرُ، أو غلا الطعام بالمدينة على عهد عمر، فجعلَ يأكلُ الشعيرَ فاستنكره بطنه، فأهوى بيده إلى بطنِهِ، فقال: واللهِ ما هُوَ إلا ما تَرَىٰ حتَّى يوسِّعَ اللهُ على المسلمين[(٤)].

● **أبو بكر**: عن يحيى بن سعيد، عن عبد الله بن عامر قال: خرجتُ مع عمر، فما رأيتُه مضطرباً فسطاطاً حتى رجعَ، قال: قلتُ: بأيِّ شيءٍ كان يستظلُّ؟ قال: يطرحُ النطعَ على الشجرةِ يستظلُّ بِهِ[(٥)].

● **أبو بكر**: عن بشير بن عمرو قال: لمّا أتى عمرُ بنُ الخطاب الشامَ أُتِيَ ببرذون، فركب عليه، فلمَّا هزَّه نزلَ عنه، وضربَ وجهه، وقال: قَبَّحَكَ الله، وقبّحَ مَنْ علّمكَ هذا[(٦)].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٧٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٧٩).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٨٣).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٨٥).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٩) برقم: (٣٤٤٨٧).

• **أبو طالب**: كتبَ عمرُ بنُ الخطّاب إلى أمراءِ الأجنادِ: اخلولِقُوا واخشوشِنُوا[١].

• **أبو طالب**: قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما كُنّا نعرفُ الأشنان على عهد رسول الله ﷺ، وإنّما كانت مناديلُنا بواطِنُ أرجلنا، كنا إذا أكلنا الغمرَ مسحنا بها[٢].

• **الغزالي**: قال عمرُ ﷺ: إيّاكم والبطنةَ، فإنَّها ثِقَلٌ في الحياة، ونتنٌ في المماتِ[٣].

• **الغزالي**: بلغَ عمرُ ﷺ أنَّ يزيدَ بن أبي سفيان يأكلُ أنواعَ الطعام، فقال عمرُ لمولًى له: إذا علمتَ أنّه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فأعلَمه فدخَل عليه، فقرّب عشاؤه، فأتوه بثريدِ لحمٍ، فأكلَ معه عمرُ، ثم قرّبَ الشواءَ، وبسطَ يزيدُ يدَه، وكفَّ عمرُ يدَه، وقال: اللهَ اللهَ يا يزيدُ بن أبي سفيان! أطعامٌ بعدَ طعامٍ؟ والذي نفسُ عمرٍ بيده؛ لئن خالفتُم عن سنَّتهم ليخالِفَنَّ اللهُ بكم عن طَريقِهم[٤].

• **الغزالي**: قال عمرُ لسلمانَ وقد قَدِمَ عليه: ما الذي بلغك عنّي ممّا تكرهه؟ فاستعفى، فألحَّ عليه فقال: بلغني أنَّ لكَ حلتين تلبَسُ إحداهما بالنهارِ، والأُخرى بالليل، وبلغني أنّكَ تجمعُ بين إدامين على مائدةٍ واحدةٍ، فقال عمر ﷺ: أمّا هذان فقد كُفيتهما، فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا[٥].

• **أبو الليث**: عن حفصة أنّها قالت لعمرَ: إنَّ الله تعالى قد أكثرَ لكَ من الخيرِ، ووسّعَ في الرزقِ، فلو أكلتَ طعاماً أطيبَ من طعامِكَ،

---

(١) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٤٠).
(٢) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ٧٩).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٨٣).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٩١).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣١).

ولبستَ ثوباً ألينَ من ثوبِك؟ قال: سأخاصِمُكَ إلى نفسِك، فلم يزل يذكّرها ما كان فيه رسولُ اللهِ ﷺ وكانت فيه معه حتّى أبكاها، ثم قال: إنّه كان لي صاحبانِ سلكا طريقاً، فإن سلكتُ طريقاً غير طريقهما سلكَ بي طريقاً غير طريقهما، وأنّي واللهِ سأصبرُ على عيشِهما الشديدِ لعلّي أدرِكُ معهما عيشهما الرخيَّ(١).

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد أنّ عمر بن الخطاب قال: إيّاكم واللحمَ، فإنَّ له ضراوةً كضراوةِ الخمرِ(٢).

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد أنَّ عمرَ بنَ الخطاب أدرك جابرَ بنِ عبد الله ومعه حمالُ لحمٍ فقال: ما هذا؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين! قَرِمْنا إلى اللحمِ، فاشتريتُ بدرهمٍ لحماً، فقال عمر: أما يريدُ أحدُكم أن يطويَ بطنه عن جاره أو ابن عمه؟ أين تذهبُ عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠](٣).

• **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك أنه قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين يُطْرَحُ له صاعٌ من تمر فيأكلَهُ حتّى يأكلَ حشفَها(٤).

• **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه قال: قال أنس بن مالك: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنينِ، وقد رقّعَ بين كتفيه برقاعٍ ثلاثٍ لبّدَ بعضَها فوق بعضٍ(٥).

❁ ❁ ❁

المبحث الثاني

في جنس من مقامات اليقين

أشير إليه في قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله ﷺ: «**من أحبَّ للهِ وأبغضَ للهِ [وأعطى للهِ، ومنعَ للهِ]، فقد استكملَ الإيمانَ**»(١).

وقول عمر رضي الله عنه: لو أنّ رجلاً صامَ النهارَ لا يفطِرُ، وقامَ الليلَ، وتصدَّق وجاهدَ، ولم يحبَّ في اللهِ عز وجل، ويبغضَ في اللهِ، ما نفعَه ذلك شيئاً(٢).

وحقيقة هذا الجنس أنْ يستوليَ نورُ اليقين على القوة العاملة، فيأتي على البهيمية والسبعية، فيسخّرهما، ويأخذ بتلابيبهما، فمن ذلك: الشدة لأمر الله، ومن ذلك: الشفقة على خلق الله، ومن ذلك: الوقوف عند كتاب الله، والورع في الشبهات والزهد في اللذات وغير ذلك.

وقد أخبرنا النبي ﷺ بثبوت هذا الجنس له، حيثُ قال: «**رحمَ اللهُ عمرَ، يقول الحقَّ وإنْ كان مرّاً، تَرَكَهُ الحقُّ وما لَهُ صديقٌ**»(٣)؛ يعني: صديقاً من أصدقاء الدُّنيا وإلّا فطالبو الحقِّ أحبوه حباً شديداً، وقد تواترت الأخبار بثبوتِ ذلك لعمر.

[الشدة لأمر الله]:

● **فمن ذلك**: قوله في حديث إيلاء النبي ﷺ من نسائه، [يا رباح!

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» برقم: (٤٦٨١).
(٢) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٨٤).
(٣) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٧١٤).

استأذنْ لي عندكَ على رسول الله ﷺ]، فإنِّي أظنُّ أنَّ رسول الله ﷺ ظنَّ أنِّي جئتُ من أجلِ حفصةَ، واللهِ لئنْ أمرني رسولُ اللهِ ﷺ بضربِ عنقِهَا لأضربنَّ عنقَها، ورفعتُ صوتي[(١)]، الحديث من رواية **مسلم** وغيره.

• **ومن ذلك**: قوله في قِصّةِ إسلام أبي سفيان، ومراجعة العباس في أمره، وقول العباس: مهلاً يا عمر! فواللهِ لو كانَ من رجالِ بني عدي بن كعب ما قلتَ هذا، ولكنَّكَ قد عرفتَ أنَّه من رجال بني عبد مناف: فقال: مهلاً يا عباس! فواللهِ لإسلامكَ يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطّابِ لو أسلمَ، وما لي إلّا أنِّي قد عرفتُ أنَّ إسلامَكَ كان أحبَّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من إسلامِ الخطّابِ[(٢)]، الحديث من رواية محمد بن إسحق.

• **ومن ذلك**: قوله في قصة كسعة رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ومقالة المنافق في ذلك قولاً شديداً: يا رسول الله! دعني أضربُ عنقَ هذا المنافق، فقال: **«دعه، لا يتحدّثُ الناسُ أنَّ محمداً يقتلُ أصحابَه»**[(٣)]، الحديث من رواية **مسلم**.

• **ومن ذلك**: قوله في حديث ابن صياد: ذرني يا رسولَ اللهِ حتَّى أقتلَه، فقال رسول الله ﷺ: **«إن يَكُنْ الذي تَرَىٰ فلنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ»**[(٤)]، الحديث من رواية **الشيخين**.

• **ومن ذلك**: قوله في قصة حاطب بن أبي بَلْتَعَةَ وكتابته إلى قريش بخبر النبيِّ ﷺ: يا رسولَ اللهِ أمكنِّي من حاطبٍ، فإنَّه قد كفرَ، فأضربَ

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٤٧٩).
(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٠١)، و«السيرة النبوية»، لابن كثير (٣/ ٥٤٨).
(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (٢٥٨٤).
(٤) «صحيح البخاري» (١٣٥٤)، «صحيح مسلم» برقم: (٢٩٢٤).

عنقَه، فقال رسولَ اللهِ ﷺ: «**يا ابنَ الخطّابِ، ما يدريكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ، فَذرفتْ عَيْنَا عُمَرَ**»[١]، الحديث من رواية **الشيخين** عن **علي** وغيره.

• **ومن ذلك**: قوله في حديث ذي الخُوَيْصِرة وقوله: يا رسول الله! اعدل، فقال عمرُ بنُ الخطاب ﷺ: يا رسولَ اللهِ! ائذن لي فيه أضربْ عنقَه، قال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ، فإنَّ له أصحاباً يَحْقِرُ أحدُكُم صلاتَه مع صلاتِهِم، وصيامَهُ معَ صيامِهِم، يقرؤون القرآنَ لا يجاوِزُ تراقِيَهُم، يمرقون من الإسلامِ كما يمرقُ السَّهْمُ من الرميّةِ**»[٢]، الحديث من رواية **الشيخين**.

ومن ذلك: قوله في غزوة بدر حين قال النبيُّ ﷺ: «**إنِّي قد عرفتُ أنَّ رجالاً مِنْ بني هاشم وغيرِهم قد أُخْرِجُوا كُرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُم أحداً من بني هاشم فلا يَقْتُلْهُ، ومَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بْنَ عبد المُطَّلبِ فلا يَقْتُلْهُ، [فإنّه إنّما أُخَرِجَ مُسْتَكْرَهاً]**»، فقال أبو حذيفة: أنقتلُ آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا، ونتركُ العباس، واللهِ لئن لقيتُه لألحمنَّهُ السيفَ، فبلغتْ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال لعمر بن الخطاب: «**يا أبا حفصٍ!**» ـ قال عمرُ ﷺ: وإنّه لأوّلُ يوم كنّاني فيه رسولُ اللهِ ﷺ بأبي حفص ـ: «**أَيُضْرَبُ وَجْهُ عمِّ رسولِ اللهِ ﷺ بالسيفِ؟**»، فقال عمر: يا رسول الله! دَعْني فلأضربْ عنقَه بالسيفِ، فواللهِ لقد نافقَ[٣]، الحديث من رواية ابن إسحاق.

• **ومن ذلك**: إقامةُ الحد على ابنه أبي شحمة واسمه عبد الرحمٰن، لم يأخذه عند ذلك رأفة في دين الله، وهذا من أعجب الوقائع، واختلفت

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٩٨٣).
(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» برقم: (١٠٦٤).
(٣) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/٦٣٨).

الرواياتُ في صورتها، ونحنُ نذكر ها هنا روايتين، كما ذكر المحب الطبري:

عن مجاهد قال: تذاكرنا الناسَ في مجلسِ ابن عباس، فأخذوا في فضل أبي بكر، ثم في فضل عمر، فلما سمع ابنُ عبّاس ذكر عمر بكى بكاء شديداً حتى أغميَ عليه، فقال: رحمَ الله رجلاً قرأ القرآن، وعمل بما فيه، وأقامَ حدودَ اللهِ كما أمر، لا تأخذه في الله لومة لائم، لقد رأيتُ عمرَ وقد أقام الحَدَّ على ولده فقتله فيه.

فقيل له: يا بن عم رسول الله! حدّثنا كيف أقام عمر الحد على ولده؟

فقال: كنتُ ذاتَ يوم في المسجدِ وعمرُ جالسٌ، والناسُ حولَه، إذ أقبلت جارية فقالت: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين! فقال عمر: وعليكِ السلامُ ورحمة الله ألكِ حاجة؟ فقالت: نعم خُذْ ولدك هذا مِنِّي، فقال عمر: إنِّي لا أعرفُكِ، فبكتِ الجاريةُ، وقالت: يا أميرَ المؤمنين! إن لم يكن ولدك من ظهرك فهو ولد ولدك، فقال: أيُّ أولادي؟ قالت: أبو شحمة، فقال: أبحلالٍ أم بحرامٍ؟ فقالت: من قبلي بحلالٍ، ومن جهته بحرام، قال عمر: وكيف ذاك؟ اتقي الله ولا تقولي إلا حقاً، قالت: يا أميرَ المؤمنين! كنت مارَّةً في بعض الأيام إذ مررتُ بحائط لبني النجار إذ أتى ولدك أبو شحمة يتمايل سُكراً، وكان شربَ عند نسيكة اليهودي، قالت: ثم راودني عن نفسي، وجرّني إلى الحائط، ونال مني ما ينالُ الرجل من المرأة، وقد أغمي عليَّ، فكتمتُ أمري عن أهلي وجيراني حتى أحسست بالولادة، فخرجت إلى موضع كذا وكذا، ووضعتُ هذا الغلام، وهممتُ بقتله، ثم ندمت على ذلك، فاحكم بحكم الله بيني وبينه.

فأمرَ عمر منادياً فنادى، فأقبل الناسُ يهرعون إلى المسجد، ثم قام عمر، فقال: لا تتفرقوا حتى آتيكم، ثم خرجَ ثم قال: يا ابن عباس أسرع معي، فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال: هاهنا ولدي أبو شحمة؟ فقيل له: إنّه على الطعام، فدخل عليه وقال: كُل يا بني! فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا، قال ابن عباس: فلقد رأيتُ الغلام وقد تغيَّر لونه، وارتعد، وسقطت اللقمة من يده، فقال له عمر: يا بني! من أنا؟ قال: أنت أبي وأمير المؤمنين، قال: أفلي حق طاعة أم لا؟ قال: لك طاعتان مفترضتان؛ لأنك والدي وأمير المؤمنين، قال عمر: بحق نبيِّك وبحقّ أبيك هل كنتَ ضيفاً لنسيكة اليهودي فشربتَ الخمرَ عنده فسكرتَ؟ قال: لقد كان ذلك وقد تبت، قال[1]: «رأسُ مالِ المؤمنِ التوبةُ»، قال: يا بني: أنشدك الله! هل دخلتَ حائط بني النجّار فرأيتَ امرأة فواقعتها؟ فسكت وبكى، قال عمر: لا بأسَ يا بني اصدق، فإنَّ الله يحبُّ الصادقين، قال: قد كان ذلك وأنا تائب نادم، فلمّا سمع ذلك منه عمر قبض على يده ولببه وجرَّه إلى المسجد، فقال: يا أبتِ لا تفضحني، وخذ السيف وقطِّعْني إرباً إرباً، قال: أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ثم جرَّه وأخرجه إلى بين يدي أصحاب رسول الله ﷺ في المسجد وقال: صدقت المرأةُ، وأقرّ أبو شحمة بما قالت.

وكان له مملوكٌ يقال له أفلحُ، فقال: يا أفلح خذ ابني هذا إليك، واضربه مائة سوطٍ، ولا تقصّر في ضربه، فقال: لا أفعل، وبكى، فقال: يا غلام إنّ طاعتي طاعةُ الرسول ﷺ، فافعل ما آمرُك به، قال: فنزع

---

(١) قوله: «وقد تبت، قال» كذا في الأصل، وفي «الرياض النضرة»: «وقد ثبت أن النبي ﷺ قال».

ثيابه، وضجَّ الناسُ بالبكاءِ والنحيبِ، وجعل الغلامُ يشيرُ إلى أبيه يا أبتِ ارحمني، فقال له عمرُ وهو يبكي: ربُّك يرحمُك، وإنَّما أفعلُ هذا كي يرحمَك ويرحمَني.

ثم قال: يا أفلحُ اضربْ، فضربه وهو يستغيث، وعمر يقول: اضربه حتى بلغ سبعين، فقال: يا أبت! اسقني شربةً من ماءٍ، فقال: يا بنيَّ إن كان ربك يطهرك فيسقيك محمّدٌ ﷺ شربةً لا تظمأُ بعدها أبداً، يا غلام! اضربه، فضربه حتى بلغ ثمانين، فقال: يا أبت السلامُ عليكَ، فقال: وعليكَ السلام، إنْ رأيتَ محمّداً فأقرأه منّي السلام، وقل له: خلّفتَ عمرَ يقرأ القرآن، ويقيمُ الحدودَ، يا غلام! اضربه، فلما بلغ تسعين انقطع كلامُه، وضعفَ، فرأيتُ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ قالوا: يا عمرُ انظر كم بقي؟ فأخّره إلى وقتٍ آخر، فقال: كما لم يؤخّرِ المعصيةَ، لا تؤخّر العقوبةُ.

وجاء الصريخ إلى أمّه فجاءت باكيةً صارخةً، وقالت: يا عمر! أحجُّ بكلِّ سوطٍ حجةً ماشيةً، وأتصدّقُ بكذا وكذا درهماً، فقال: إنَّ الحجَّ والصدقةَ لا ينوب عن الحد، يا غلام! تمِّم الحدّ. فضربه، فلمّا كان آخرُ سوطٍ سقط الغلام ميتاً، فصاح وقال: يا بنيَّ محّصَ الله عنك الخطايا، ثم جعلَ رأسه في حِجْره، وجعلَ يبكي، ويقول: بأبي مَنْ قتله الحقُّ، بأبي مَنْ ماتَ عن انقضاءِ الحدّ، بأبي مَنْ لم يرحمه أبوه وأقاربه، فنظرَ الناس إليه فإذا هو قد فارقَ الدنيا، فلم يَرَ يومٌ أعظم منه، وضج الناس بالبكاء والنحيب.

فلما كان بعد أربعين يوماً أقبل علينا حذيفةُ بنُ اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المنام، وإذا الفتى معه، وعليه حلتان خضراوان، فقال رسول الله ﷺ: أقرِئ عمر مني السلام

وقل له: هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود، وقال الغلام: يا حذيفةُ! أقرِئ أبي مني السلام وقل له: طهَّرك الله كما طهرتني، أخرجه ابن أبي شيرويه الدَّيلمي في كتابه «المنتقى».

وخرّجه غيره مختصراً بتغيير اللفظ، وقال فيه: كان لعمر ابنُ يقال له: أبو شحمة. فأتاه يوماً فقال له: إنِّي زنيتُ، فأقم عليَّ الحدَّ، قال: زنيتَ؟! قال: نعم، حتى كرر عليه ذلك أربعاً، قال: وما عرفتَ التحريمَ؟ قال: بلى، قال: معاشرَ المسلمين حدّوه[1]، فقال أبو شحمةَ: معاشرَ المسلمين من فعل فعلي في جاهلية أو إسلام فلا يحدّني، فقام علي بن أبي طالب وقال لولده الحسن فأخذ بيمينه وقال لولده الحسين فأخذ بيساره، ثم ضربه ستة عشر سوطاً فأغمي عليه، ثم قال: إذا وافيتَ ربك فقل: ضربني الحدَّ مَنْ ليس لك في جبينه حَدٌّ.

ثم قام عمر حتى أقام عليه تمام المائة سوط، فماتَ من ذلك، فقال: أنا أوثر عذابَ الدنيا على عذابِ الآخرة، فقيل: يا أمير المؤمنين! ندفنه من غير غسلٍ ولا كَفَنٍ كمن قُتِلَ في سبيل الله؟ قال: بل نغسّله ونكفّنه وندفنه في مقابر المسلمين، فإنّه لم يمت قتلاً في سبيل الله، وإنّما مات محدوداً[2].

● وعن عمرو بن العاص قال: بينا أنا في منزلي بمصر إذ قيل: هذا عبد الرحمٰن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك، فقلتُ: يدخلان. فدخلا وهما منكسران، فقالا: أقم علينا حدّ اللهِ، فإنّا أصبنا البارحةَ شراباً وسكرنا، قال: فزجرتُهما وطردتُهما، فقال عبد الرحمٰن: إن لم تفعله خبرت والدي إذا قدمت عليه، قال: فعلمتُ أني إنْ لم أقم عليهما الحد غضب علي عمر وعزلني، قال: فأخرجتُهما إلى صحن الدار

---

(١) في «الرياض النضرة»: «خذوه».
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٦٨).

فضربتهما الحدَّ، ودخل عبد الرحمٰن بن عمر إلى ناحية بيت في الدار، فحلق رأسه، وكانوا يحلقون من الحدود، واللهِ ما كتبتُ لعمر بحرفٍ ممّا كان حتّى إذا كتابه جاءني، فيه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، من عند عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص، عجبتُ لك يا ابنَ العاص وجرءتك عليَّ وخلافك عهدي فما أراني إلّا عازلك، تضرب عبد الرحمٰن في بيتك، وتحلق رأسه في بيتك، وقد عرفتَ أنَّ هذا يخالفني، وإنّما عبد الرحمٰن رجلٌ من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين، ولكن قلت: هو ولد أمير المؤمنين، وعرفتُ أنّه لا هوادة لأحدٍ من الناس عندي في حق، فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب، حتى يعرفَ سوءَ ما صنعَ، فبعث به كما قال أبوه.

وكتب إلى عمر يعتذر إليه أني ضربته في صحن داري، وبالله الذي لا يُحْلَفُ بأعظم منه إنِّي لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي.

وبعثَ بالكتاب مع عبد الله بن عمر فقدم بعبد الرحمٰن على أبيه فدخل وعليه عباءة، ولا يستطيع المشي من سوء مركبه، فقال: يا عبد الرحمٰن فعلتَ وفعلتَ، فكلّمه عبد الرحمٰن بن عوف وقال: يا أمير المؤمنين قد أقيمَ عليه الحدُّ؛ فلم يلتفت إليه، فجعل عبد الرحمٰن يصيحُ ويقول: إنِّي مريضٌ، وأنتَ قاتلي قال: فضربه الحد ثانية، وحبسه فمرضَ ثم مات[١].

قلت: قال أبو عمر في «الاستيعاب»: وعبد الرحمٰن بن عمر الأوسط هو أبو شحمة، وهو الذي ضربه عمرو بن العاص بمصر في الخمر، ثم حمله إلى المدينة فضربه أبوه أدب الوالد، ثم مرض ومات

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٦٧).

بعد شهر، هكذا يرويه معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه، وأما أهل العراق فيقولون: إنّه مات تحت سياط عمر وذلك غلط، وقال الزبير: أقام عليه عمر حدّ الشراب فمرض ومات[١].

• **ومن ذلك**: إقامة الحدّ على قدامة بن مظعون خال ابن عمر وحفصة، لم يأخذه عند ذلك رأفة في دين الله، ولم يخف لومةَ لائم، نذكره كما ذكره المحبّ الطبري، وأبو عمر عن عبد الله بن عامر بن ربيعة وكان من أكبر بني عدي، وكان أبوه شهدَ بدراً مع النبيِّ ﷺ، قال: استعمل عمر قدامة بن مظعون على البحرين، وكان شهد بدراً مع النبيِّ ﷺ، وهو خال ابن عمر وحفصة زوج النبي ﷺ، قال: فقدم الجارود من البحرين فقال: يا أمير المؤمنين! إنّ قدامة بن مظعون قد شرب مسكراً، وإنِّي إذا رأيتُ حداً من حدود الله حَقٌّ عليَّ أن أرفعه إليك.

فقال له عمر: من يشهدُ على ما تقول؟ فقال: أبو هريرة، فدعا عمر أبا هريرة فقال: علامَ تشهدُ يا أبا هريرة؟ فقال: لم أره حين شربَ، وقد رأيتُه سكراناً يقيءُ، فقال عمر: لقد تنطّعت أبا هريرة في الشهادة.

ثم كتب عمر إلى قدامة وهو بالبحرين يأمره بالقدوم عليه، فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة، كلَّم الجارودُ عمر فقال: أقم على هذا كتاب الله، فقال عمر: أشهيدٌ أنت أم خصم؟ فقال الجارود: أنا شهيدٌ، فقال: قد كنتَ أدّيت شهادتك، فسكتَ الجارود، ثم قال: لتعلمنَّ أني أنشدك الله، فقال عمر: أما واللهِ لتملكن لسانك أو لأسوءَنَّك، فقال الجارود: أما والله ما ذاك بالحقِّ أن يشربَ ابنُ عمّك وتسوءني، فأوعده عمر، فقال أبو هريرة وهو جالس: يا أميرَ المؤمنين، إن كنت تشك في

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٥٤).

شهادتنا فسل بنت الوليد امرأة ابن مظعون، فأرسل عمر إلى هند ينشدها بالله، فأقامت هند على زوجها قدامة الشهادةَ، فقال عمر: يا قدامة إني جالدك، فقال قدامة: واللهِ لو شربتُ كما يقولون ما كان لك أن تجلدني يا عمر، قال: ولِمَ يا قدامة؟ قال: إن الله عز وجل قال: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة]، فقال عمر: إنّك أخطأت التأويلَ يا قدامة، إذا اتقيتَ اجتنبت ما حرَّمَ الله.

ثم أقبل عمر على القوم فقال: ما ترون في جلد قدامة؟ قالوا: لا نرى أن تجلده وهو مريض، فسكتَ عمرُ عن جلده أياماً، ثم أصبحَ يوماً وقد عزم على جلده، فقال لأصحابه: ماذا ترون في جلد قدامة؟ فقالوا: لا نرى أن تجلده ما دام وجعاً، فقال عمر: إنّه والله لأن يلقى الله تحت السياط أحب إليَّ أن ألقى الله وهو في عنقي، إني واللهِ لأجلدنه، ائتوني بسوط، فجاءه مولاه أسلم بسوط دقيق صغير، فأخذه عمر فمسحه بيده ثم قال لأسلم: قد أخذتك دقرارة أهلك، ائتوني بسوط غير هذا، فجاءه أسلم بسوط تام، فأمر عمر بقدامة، فجلد، فغاضب قدامةُ عمرَ وهجره، فحجَّا وقدامةُ مهاجرٌ لعمر، حتى قفلوا من حجهم، ونزل عمر بالسقيا، ونام بها، فلمّا استيقظ قال: عجلوا عليَّ بقدامة، انطلقوا فأتوني به، فوالله إني لأرى في النوم أنه جاءني آت، فقال لي: سالِمْ قدامةَ، فإنّه أخوك، فلما جاءوا قدامة أبى أن يأتيه، فأمر عمرُ بقدامة فجُرَّ إليه جراً، حتى كلَّمه عمر، واستغفرَ له، فكان أول صلحهما، خرَّج البخاري منه إلى قوله: وهو خال ابن عمر وحفصة، وتمامه خرَّجه الحميدي[1].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٠).

قلت: الدقارير: العادات السوء، جمع دقرارةٍ، كذا ضبط في «الدر النثير».

• **ومن ذلك**: إيثاره في العطاء أقارب رسول الله ﷺ وأهل السوابق من المهاجرين والأنصار على أقاربه، أخرج أبو عمر في «الاستيعاب»: أرسل عمر بن الخطاب إلى الشفاء بنت عبد الله العدوية أن اغدي عليَّ. قالت: فغدوتُ عليه فوجدتُ عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص ببابه، فدخلنا فتحدّثنا ساعةً، فدعا بنمط فأعطاها إياه، ودعا بنمط دونه، فأعطانيه، قالت: فقلتُ: تربتْ يداك يا عمرُ! أنا قبلها إسلاماً، وأنا بنت عمّكَ دونها، وأرسلت إليَّ، وجاءتك مِنْ قبل نفسِها. فقال: ما كنتُ رفعتُ ذلك إلا لك، فلما اجتمعتما ذكرتُ أنّها أقربُ إلى رسول الله ﷺ منك[1].

ومن ذلك:

۞ رحمته وشفقته على المؤمنين:

• **أبو حنيفة**: عن علي بن الأقمر، قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطعم الناس بالمدينة، وهو يطوفُ عليهم بيده عصا، فمرَّ برجل يأكل بشماله، فقال: يا عبد الله! كُلْ بيمينك، فقال: يا عبد الله! إنَّها مشغولة، قال: فمضى ثم مرَّ به وهو يأكل بشماله، فقال: يا عبدَ اللهِ! كُلْ بيمينك، قال: يا عبد الله! إنَّها مشغولةٌ ـ ثلاث مرات ـ، قال: وما شغلَها؟ قال: أصيبتْ يومَ مؤتة، قال: فجلس عمرُ عنده يبكي، فجعل يقول له: من يوضِّئك؟ مَنْ يغسِلْ رأسك وثيابك؟ مَنْ يصنع كذا وكذا؟ فدعا له بخادم، وأمر له براحلة وطعامٍ وما يصلحه وما ينبغي له، حتى

(١) انظر: «الاستيعاب» (٢/١٠٦).

رفع أصحاب محمد ﷺ أصواتهم يدعون الله لعمر مما رأوا من رقّته بالرجل، واهتمامه بأمر المسلمين[(١)].

• **البخاري**: عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق، فلحقتْ عمرَ امرأةٌ شابّةٌ فقالت: يا أمير المؤمنين! هلك زوجي، وترك صبيةً صغاراً، والله ما ينضجون كراعاً، ولا لهم زرعٌ ولا ضرعٌ، وخشيت أن تأكلهم الضبع، وأنا بنت خفاف بن إيماء الغفاري، وقد شهد أبي الحديبيةَ مع النبيِّ ﷺ، فوقف معها عمر، ولم يمضِ، ثم قال: مرحباً بنسب قريب، ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطاً في الدار، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاماً، وحمل بينهما نفقة وثياباً، ثم ناولها بخطامه ثم قال: اقتاديه، فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير، فقال رجل: يا أمير المؤمنين! أكثرت لها، قال عمر: ثكلتك أمك، والله إنِّي لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصناً زماناً، فافتتحاه، ثم أصبحنا نستفيء سهمانهما فيه[(٢)].

• **المحب الطبري**: عن زيد بن أسلم عن أبيه أنّ عمر بن الخطاب طافَ ليلةً، فإذا بامرأةٍ في جوف دارٍ لها حولها صبيان يبكون، وإذا قِدْرٌ على النار قد ملأتها ماءً، فدنا عمر من الباب، فقال: يا أمةَ اللهِ! لأي شيء بكاءُ هؤلاء الصبيان؟ فقلت: بكاؤهم من الجوعِ، قال: فما هذه القدْر التي على النار؟ قالت: قد جعلتْ فيها ماءً أعلّلهم بها حتى يناموا، وأُوهمهم أنَّ فيها شيئاً.

فجلس عمر يبكي، ثم جاء إلى دار الصدقة، وأخذ غرارة، وجعل فيها شيئاً من دقيقٍ، وسمنٍ، وشحمٍ، وتمرٍ، وثيابٍ، ودراهمَ، حتّى ملأ

---

(١) انظر: «كتاب الآثار» رقم: (٨٦٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤١٦٠). **الضبع**: المجاعة.

الغرارة ثم قال: أيْ أسلمَ، احمل عليَّ، قلت: يا أميرَ المؤمنين! أنا أحمِلُه عنك، قال: لا أمَّ لكَ يا أسلمُ، أنا أحمله لأنِّي المسؤول عنه في الآخرةِ، قال: فحمله على عاتقه، حتّى أتى به منزلَ المرأةِ، وأخذ القِدْرَ، وجعلَ فيها دقيقاً وشيئاً من شحمٍ وتمرٍ، وجعل يحرّكه بيده وينفخ تحت القدر ـ وكانت لحيته عظيمةً، فرأيتُ الدخان يخرجُ من خلال لحيته ـ حتى طبخَ لهم، ثم جعلَ يغرِفُ لهم بيده ويطعمهم حتّى شبعوا ثم خرجَ[1].

• **المحب الطبري**: أنَّ عمر كان يصوم الدَّهْرَ، وكان زمان الرمادة إذا أمسى أُتي بخبزٍ قد ثُرِدَ بالزيت إلى أنْ نَحَرَ يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناسَ، وغرفوا له طيبها، فأُتِيَ به، فإذا فِدْرٌ من سنام ومن كبد، فقال: أيْ هذا؟ فقالوا: يا أميرَ المؤمنين من الجزور التي نحرنا اليوم، قال: بخٍ بخٍ! بِئسَ الوالي أنا! أكلتُ طيِّبَها، وأطعمتُ الناسَ كراديسَها، ارفعْ هذه الجفنة، هاتِ لنا غيرَ هذا الطعام، فأُتي بخبزٍ وزيتٍ، فجعل يكسِرُ بيدِهِ، ويثرِدُ ذلك الخبز، ثم قال: ويحكَ يا **يرفا**! احمل هذه الجفنة حتى تأتيَ بها أهل بيتٍ بثمغ، فإنّي لم آتهم منذ ثلاثة أيام، أحسبهم مُقْفِرين، فضعها بين أيديهم[2].

شرح: **الرمادة**: الهلاك، يشير والله أعلم إلى زمن القحط. **والفِدَر**: القطع، جمع فِدْرة، وهي القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. **وثمغ**: اسمُ مالٍ معروف لعمر[3].

• وروي أنّه عام الرمادة لما اشتدَّ الجوع بالناس، وكان لا يوافقه الشعيرُ والزيتُ ولا التمرُ، وإنّما يوافقه السمن، فحلفَ لا يأتدِمَ بالسمن

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨١).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٢).

حتّى يفتحَ على المسلمين عامه هذا، فصار إذا أكل خبزَ الشعيرِ والتمرِ بغيرِ أدمٍ يقرقرُ بطنُه في المجلس، فيضع يده عليه ويقول: إن شئتَ قرقر وإن شئتَ لا تقرقر، ما لكَ عندي أُدمٌ حتّى يفتحَ الله على المسلمين[١].

• وروي أنّ زوجته اشترت له سمناً فقال: ما هذا؟ قالت: مِنْ مالي ليس من نفقتك، قال: ما أنا بذائقِهِ حتى يحيا الناسُ[٢].

• **المحب الطبري**: عن أبي هريرة قال: خرجَ عمرُ عامَ الرمادةِ، فرأى نحواً من عشرين بيتاً من محارب، فقال عمرُ: ما أقدمكم؟ قالوا: الجهدُ، قال: وأخرجوا لنا جلدَ ميتةٍ مشوياً كانوا يأكلونه، ورمة العظام يسحقونها ويسفّونها، قال: فرأيتُ عمرَ طرح رداءه، ثم نزل يطبخُ لهم، ويطعم حتى شبعوا، ثم أرسلَ أسلمَ إلى المدينةِ، فجاءه بأبعرةٍ، فحملهم عليها ثم كساهم، ثم لم يزل يختلِفُ إليهم وإلى غيرهم حتّى رفعَ الله ذلك[٣].

• **المحب الطبري**: عن ابن عمرَ قال: قدمتْ رفقةٌ من التجار، فنزلوا المصلّى، فقال عمر لعبد الرحمٰن بن عوف: هل لكَ أَنْ تحرسهم الليلةَ من السرق؟ فباتا يحرسانهم، ويصلّيان ما كتبَ الله لهما، فسمع عمرُ بكاءَ صبيٍّ، فتوجّه نحوه، فقال لأمه: اتقي الله وأحسني إلى صَبِيِّكِ، ثم عاد إلى مكانه، فسمع بكاءه، فعاد إلى أمه، فقال لها مثل ذلك، ثم عاد إلى مكانه، فلمّا كان من آخر الليلِ سمعَ بكاءه، فأتى إلى أمه وقال: ويحكِ! إني لأراكِ أمَّ سوءٍ، ما لي لا أرى ابنك لا يقرُّ منذُ الليلة؟ قالت: يا عبدَ اللهِ! قد أبرمتني منذُ الليلة، إنِّي أربعه على الفطامِ فيأبى، قال: ولم؟ قالت: لأنَّ عمر لا يفرِضُ إلا للمفطَم، قال: فكم له؟

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٢).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٢).

قالت: كذا وكذا شهراً، قال: لا تعجليه، فصلّى الفجرَ، وما يستبينُ الناس ثم غلبه البكاءُ، فلمّا سلّمَ قال: يا بؤسى لعمر، كَمْ قتلَ مِنْ أولادِ المسلمين، ثم أمرَ منادياً ينادي أن لا تعجلوا صبيانكم على الفطام، فإنّا نفرضُ لكلِّ مولودٍ في الإسلام، وكتب بذلك إلى الآفاق أن يفرض لكلِّ مولودٍ في الإسلام.

شرح: **أبرمتني**: أضجرتني. **أربعه**: أحبسه وأمرّنه. **البؤسى**: خلاف النعمى[1].

• **المحب الطبري**: عن أنس بن مالك: بينما أميرُ المؤمنين عمر يعسُّ ذاتَ ليلةٍ إذ مرَّ بأعرابي جالسٍ بفناءِ خيمةٍ، فجلس إليه يحدّثه ويسأله ويقول له: ما أقدمَكَ هذه البلاد؟ فبينما هو كذلك، إذ سمع أنيناً من الخيمةِ فقال: مَنْ هذا الذي أسمعُ أنينه؟ فقال: أمرٌ ليس من شأنك، امرأةٌ تمخضُ، فرجعَ عمرُ إلى منزله، وقال: يا أمَّ كلثوم شدّي عليك ثيابَكِ واتبعيني، قال: ثم انطلقَ حتى انتهى إلى الرجلِ، فقال له: هل لك أن تأذنَ لهذه المرأة أن تدخلَ عليها فتؤنسها، فأذنَ لها، فدخلتْ، فلم تلبث أن قالت: يا أميرَ المؤمنين! بشّر صاحِبكَ بغلامٍ، فلمّا سمعَ قولها: أميرَ المؤمنين، وثبَ من جنبه، فجلس بين يديه، وجعل يعتذِرُ إليه، فقال: لا عليكَ! إذا أصبحتَ فائتنا، فلمّا أصبح أتاه ففرضَ لابنه في الذرية وأعطاه[2].

ومن ذلك:

۞ خشيتُه مِنَ اللهِ تعالى وكونه وقّافاً عند كتاب الله تعالى:

ومعنى وقوف الإنسان عند كتاب الله أنّه إذا هجس في نفسه داعية

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٣). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٤).

غضبٍ أو شهوةٍ، ثم زُجِرَ بكتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ انزجر، وتلاشت الداعية، واضمحلّت من ساعته، كأنْ لم يكن، ويتكرّر ذلك حتّى يكونَ ملكة راسخةً.

• **البخاري**: عن **ابن عباس** قال: استأذن الحرُّ بنُ قيس بن حصن لعمّه عيينة بن حصن على عمر، فأذن له، فلمّا دخلَ قال: يا ابن الخطاب واللهِ ما تعطينا الجزل، وما تحكم بيننا بالعدل، فغضبَ عمرُ حتى همَّ أنّ يوقعَ به، فقال الحرّ: يا أمير المؤمنين! إن الله عز وجل قال لنبيّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف] وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر حين قرأها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله[1].

• **الشيخان**: عن **عمر** قال: سمعني النبيُّ ﷺ وأنا أقول «وأبي»، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ ينهاكم أَنْ تحلفوا بآبائكم**»، قال عمرُ: فواللهِ ما حلفتُ بها منذُ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ نهى عنها ذاكراً ولا آثراً[2].

• **المحب الطبري**: عن عبد الله بن عباس قال: كان للعباس ميزابٌ على طريق عمر، فلبس عمرُ ثيابه يوم الجمعة، وقد كان ذُبح للعباس فرخان، فلمّا وافى الميزاب صبَّ ماءً بدمِ الفرخينِ، فأصابَ عمر، فأمر عمرُ بقلعِهِ، ثم رجعَ عمر، فطرح ثيابه، ولبس ثياباً غيرَ ثيابه، ثم جاء فصلّى بالناس، فأتاه العباس وقال: واللهِ إنّه للموضع الذي وضعه رسول الله ﷺ، فقال عمر للعباس: وأنا أعزمُ عليك لما صعدتَ على ظهري حتّى تضعَه في الموضعِ الذي وضعه رسول الله ﷺ، ففعل ذلك العباس[3].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٨٦)، و«الرياض النضرة» (١/ ١٥٩).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٦٦٤٧)، «صحيح مسلم» برقم: (١٦٤٦) واللفظ له.
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٦٠).

• **الشيخان**[١]: عَنْ أَبِي وَائِلٍ **شقيقِ بنِ سلمة** قَالَ: جَلَسْتُ مع شَيْبَةَ على الكرسيّ في الكعبة فقَالَ: لقد جَلَسَ هذا المَجْلِسَ عمرُ، فقال: لقد هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدَعَ فِيهَا صَفْرَاءَ وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا قَسَمْتُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فقُلْتُ: مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ، قَالَ: لِمَ؟ قُلْتُ: لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ، قَالَ: هُمَا الْمَرْءانِ يُقْتَدَى بِهِمَا.

وفي رواية: قال عمر: لا أخرجُ حتى أقسمَ مالَ الكعبةِ، قال: قلتُ: ما أنتَ بفاعلٍ، قال: بلى لأفعلنَّ، قال: قلتُ: ما أنتَ بفاعلٍ، قال: لم؟ قلتُ: لأنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قد رأى مكانه وأبو بكر رضي الله عنه وهما أحوجُ منكَ إلى المالِ، فلم يخرجاه، فقام هو فخرجَ[٢].

• **المحب الطبري**: روي أنّ **عمر** خرج ليلةً ومعه عبد الله بن مسعود فإذا هو بضوء نار فاتّبع الضوءَ حتّى دخل داراً، فإذا شيخٌ جالس وبين يديه شرابُ وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمرُ، فقال: ما رأيتُ كالليلة أقبحَ من شيخ ينتظر أجله، فرفعَ الشيخُ رأسه، وقال: بل ما صنعتَ يا أمير المؤمنين أقبحُ، إنّك تجسَّستَ وقد نهى الله تعالى عن التجسس، وإنّكَ دخلتَ بغير إذنٍ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك، فقال عمر: صدقتَ، ثم خرجَ عاضّاً على ثوبه، ويقول: ثَكِلَتْ عمرَ أمُّه إنْ لم يَغْفِرْ له ربُّه، قال: وهجر الشيْخ مجالسَ عمر حيناً، ثم إنّه جاءه شبيهَ المستحيي فقال له: ادن مني، فدنا منه فقال له: والذي بعث محمداً بالحقِّ ما أخبرتُ أحداً من الناس بالذي رأيتُ مِنْكَ ولا ابن مسعود وكان معي، فقال الشيخ: وأنا والذي بعثَ محمّداً بالحقِّ ما عدتُ إليه إلى أن جلستُ هذا المجلس[٣].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٧٢٧٥).
(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (٢٠٣١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧)، و«حياة الصحابة» (٣/ ٢٧٧).

• **المحب الطبري**: عن **عبد الله بن عامر** قال: رأيتُ عمرَ أخذ تبنَةً من الأرض فقال: ليتني كنتُ هذه التبنة، ليتني لم أخلقْ، ليت أُمّي لم تلدني، ليتَني لم أكُ شيئاً، ليتني كنت نسياً منسياً[١].

• **المحب الطبري**: عن **مجاهد** قال: كان عمرُ يقول: لو ماتَ جَدْيٌ بطفِّ الفراتِ لخشيتُ أن يطالبَ اللهُ به عمر.

شرح الطف: اسم موضع بناحية الكوفة، فلعلَّه المراد، وأضيف إلى الفرات لكونه قريباً منه[٢].

• **المحب الطبري**: عن عبد الله بن عيسى قال: كان في وجه عمر خطان أسودان من البكاء[٣].

• **المحب الطبري**: عن الحسن قال: كان عمرُ يبكي في وِرْدِهِ حتّى يخرّ على وجهه، ويبقى في بيته أياماً يُعادُ[٤].

• **المحب الطبري**: عن أبي جعفر قال: بينما عمرُ يمشي في طريق من طرق المدينة إذ لقيه علي ومعه الحسن والحسين رضي الله عنهم فسلَّم عليه عليٌّ، وأخذ بيده، فاكتنفاهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما قال: فعرض لعمرَ من البكاء ما كان يعرض له، فقال له علي: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: ومن أحقُّ منّي بالبكاء يا علي! وقد وُلِّيتُ أمرَ هذه الأمة، أحكمُ فيها، ولا أدري أمسيءٌ أنا أم مُحْسِنٌ؟ فقال له علي: واللهِ إنّكَ لتعدلُ في كذا، وتعدِلُ في كذا، قال: فما منعه ذلك من البكاء، ثم تكلَّم الحسن بما شاء الله، فذكر من ولايته وعدله، فلم يمنعه ذلك، فتكلّم الحسين بمثل كلام الحسن فانقطع بكاؤه عند انقطاعِ كلام

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٦).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٦).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٦).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٦).

الحسين، فقال: أتشهدان بذلك يا ابني أخي؟ فسكتا، فنظرا[١] إلى أبيهما فقال علي: اشهدا وأنا معكما شهيد[٢].

• **المحب الطبري**: عن عبيد بن عمير قال: بينما عمر بن الخطاب يمرّ في الطريق، فإذا هو برجل يكلّم امرأةً، فعلاه بالدِّرة، فقال: يا أمير المؤمنين! إنّما هي امرأتي، فقام عمر، فانطلق، فلقي عبد الرحمٰن بن عوف، فذكر ذلك له، فقال له: يا أمير المؤمنين إنّما أنتَ مؤدِّبٌ، وليس عليك شيءٌ، وإن شئت حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كانَ يومُ القيامةِ نادى منادٍ: ألا لا يرفعنَّ أحدٌ مِنْ هذه الأُمّةِ كتابَه قبل أبي بكر وعمر**»[٣].

وفي رواية: فقال له: فَلِمَ تقف مع زوجتك في الطريق تعرّضان المسلمين إلى غيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين! الآن قد دخلنا المدينة، ونحن نتشاور أين ننزلُ، فدفعَ إليه الدِّرةَ، وقال: اقتص مني يا عبد الله! فقال: هي لك يا أمير المؤمنين، فقال: خذ واقتص منِّي، فقال بعد ثلاث: هي للهِ، قال: الله لك فيها[٤].

• **المحب الطبري**: عن عمر وقد كلَّمه عبد الرحمٰن بإشارة عثمان وطلحة والزبير وسعد في هيبته وشدته، وأنّ ذلك ربّما يمنع طالب الحاجة من حاجته فقال: واللهِ لقد لِنْتُ للناسِ حتّى خشيتُ اللهَ في اللينِ، واشتددتُ حتّى خشيتُ اللهَ في الشدة، فأينَ المخرجَ؟ وقام يجرُّ رداءه وهو يبكي[٥].

• وروي عنه أنه قرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾، حتى بلغ: ﴿وَإِذَا

---

(١) في «الرياض النضرة»: «فنظر».
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).

ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ [التكوير: ١ ـ ١٠]، فخرَّ مغشياً عليه وبقي أياماً يعاد[١].

● **أبو عمر**: رُوينا عن عمر رضي الله عنه أنه قال حين احتضر ورأسه في حجر ابنه عبد الله:

ظلومٌ لنفسي غيرَ أنِّي مسلمٌ   أصلِّي الصلاةَ كلَّها وأصومُ[٢]

● **الغزالي**: مرَّ عمرُ يوماً بدار إنسان وهو يصلّي ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع، فلمّا بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطور]، نزل عن حماره، واستند إلى حائط، فمكث زماناً، ورجع إلى منزله، ومرض شهراً يعودوه الناسُ، ولا يدرون ما مرضه[٣].

● **ومن ذلك:**

۞ محاسبته مع نفسه، وانتصافه من نفسه، وتواضعه للمؤمنين، وقبول النصح منهم، واعترافه على نفسه مما يدلُّ قطعاً على أن سَوْرَةَ نفسِه منكسرةٌ بنور اليقين:

● **مالك**: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن **أنس بن مالك** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب وخرجت معه حتّى دخل حائطاً فسمعته وهو يقول وبيني وبينه جدار، وهو في جوف الحائط: عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ بخ، واللهِ لتتقينَّ اللهَ يا ابنَ الخطّاب أو ليعذبنَّك[٤].

● **المحب الطبري**: روي أنّ عمر كان يقول: ما صنعت اليوم؟

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٧).   (٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٨).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٦/ ١١٩).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٦٣٨)، و«الرياض النضرة» (١/ ١٧٨)، و«محاسبة النفس»، لابن أبي الدنيا (ص٤).

صنعت كذا، صنعت كذا، ثم يضرب ظهره بالدِّرة[١].

• **المحب الطبري**: روي أنّ عمر كان إذا قيل له: اتق الله، فرح وشكر قائله، وكان يقول: رحمَ اللهُ امرءاً أهدى إلينا عيوبنا[٢].

• وعن **طارق بن شهاب** قال: قدم عمر بن الخطاب الشام، فلقيه الجنود، وعليه إزارٌ وخفّان وعمامة، وهو آخذٌ برأس راحلته، يخوض الماء قد خلع خفيه، وجعلهما تحت إبطه، قالوا له: يا أمير المؤمنين! الآنَ تلقاك الجنودُ وبطارقةُ الشام، وأنتَ على هذه الحال، قال عمر: إنّا قومٌ أعزّنا اللهُ بالإسلامِ، فلا نلتمسُ العزَّ من غيره[٣].

• وعن **عبد الله بن عمر** أنّ عمر حمل قربةً على عاتقه، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين! ما حملك على هذا؟ قال: إنَّ نفسِي أعجبتني فأردتُ أن أذلَّها[٤].

• وعن **زيد بن ثابت** قال: رأيتُ على عمر مرقعةً، فيها سبع عشرة رقعة، فانصرفتُ إلى بيتي باكياً، ثم عدتُ في طريقي، فإذا عمر وعلى عاتقه قربةُ ماءٍ، وهو يتخلَّلُ الناسَ، فقلت: يا أمير المؤمنين! فقال لي: لا تتكلّم وأقول لك، فسرتُ معه، حتى صبّها في بيت عجوز، وعدنا إلى منزله، فقلت له في ذلك فقال: إنّه حضرني بعد مضيِّك رسول الروم ورسول الفرس فقالوا: لله درك يا عمر! قد اجتمع الناس على علمك وفضلك وعدلك، فلمّا خرجوا من عندي تداخلني ما يتداخل البشر، فقمت، ففعلت بنفسي ما فعلت[٥].

• وعن محمد بن عمر المخزومي عن **أبيه** قال: نادى عمر بالصلاة

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٨).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٩).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٩).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٩).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٩).

جامعة، فلما اجتمع الناس وكثروا، صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وصلّى على محمد ﷺ ثم قال: أيها الناس! لقد رأيتَني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزوم، فيقبضنَ لي من التمر والزبيب، فأظلُّ يومي، وأي يوم، ثم نزل، قال عبد الرحمٰن بن عوف: يا أميرَ المؤمنين! ما زدتَ على أن قميت نفسك ـ يعني: عبت ـ قال: ويحكَ يا ابنَ عوفٍ! إني خلوت بنفسي فحدثتني، قالت: أنتَ أميرَ المؤمنين، فمن ذا أفضل منك؟ فأردتُ أن أعرّفها نفسها(١).

• وروي عنه أنّه قال ـ في انصرافه من حجته التي لم يحجَّ بعدها ـ: الحمد لله، ولا إلٰه إلا الله، يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنتُ بهذا الوادي ـ يعني ـ ضجنان أرعى إبلاً للخطاب، وكان فظّاً غليظاً، يتعبني إذا عملتُ، ويضربني إذا قصّرتُ، قد أصبحتُ وأمسيتُ وليس دون الله أحدٌ أخشاه(٢).

• وروي أنه قال يوماً على المنبر: يا معاشر المسلمين! ماذا تقولون لو ملتُ برأسي إلى الدنيا كذا؟ ـ وميّلَ رأسَه ـ فقام إليه رجل، فسلَّ سيفه وقال: أجل! كنا نقول بالسيف كذا ـ وأشار إلى قطعه ـ فقال: إياي تعني بقولك؟ قال: نعم إياكَ أعني بقولي، فنهره عمر ثلاثاً وهو ينهر عمر، فقال عمر: رحمك الله! الحمدُ للهِ الذي جعلَ في رعيتي من إذا تعوّجتُ قوّمني(٣).

• وعن محمد بن الزبير عن شيخ التقت ترقوتاه من الكبر يخبره أنّ عمر استفتي في مسألةٍ، فقال: اتبعوني حتى انتهى إلى علي بن أبي طالب فقال: مرحباً يا أمير المؤمنين! فذكر له المسألة فقال: ألا أرسلت إليَّ؟

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٩).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).

فقال: أنا أحقُّ بإتيانك[١].

• وروي أنّ عمرَ جاءه بردٌ من اليمن، وكان من جيّد ما حُمِلَ إليه، فلم يدرِ لمن يعطيه من الصحابة، إن أعطاه واحداً غضبَ الآخر ورأى أن قد فضَّله عليه، فقال عند ذلك: دلّوني على فتًى من قريش نشأ نشأةً حسنةً، فسمّوا له المِسْوَر بن مخرمة؛ فدفع الرداء إليه، فنظر إليه سعدٌ، فقال له: ما هذا الرداء؟ قال: كسانيه أمير المؤمنين، فجاء معه إلى عمر فقال له: تكسوني هذا الرداء وتكسو ابن أخي مسور أفضل منه؟ فقال له: يا أبا إسحاق! إنِّي كرهتُ أن أعطيه رجلاً كبيراً فيغضب أصحابه، فأعطيته من نشأ نشأةً حسنةً، لا يتوهّم أني أفضله عليكم، قال سعد: فإنّي قد حلفتُ لأضربنَّ بالرداء الذي أعطيتني رأسك، فخضع له عمر رأسه وقال له: يا أبا إسحاق! وليرفق الشيخ بالشيخ[٢].

• وعن **أسير بن جابر** قال: كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن يسألهم أفيكم أويس بن عامر؟ حتّى أتى على أويس فقال: أنتَ أويسُ بن عامر؟ قال: نعم! قال: من مرادٍ، ثم من قرنٍ؟ قال: نعم! قال: فكان بك برصٌ فبرئتَ منه إلّا موضع درهم؟ قال: نعم! قال: ألكَ والدةٌ؟ قال: نعم! قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يأتي عليكم أويسُ بنُ عامرٍ مع أمدادِ أهلِ اليمنِ من مرادٍ، ثم مِنْ قرنٍ كان به بَرَصٌ فبرئَ منه إلّا موضعُ درهمٍ، له والدةٌ هو لها بَرٌّ، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه، فإن استطعتَ أن يستغفرً لك فافعل، فاستغفرْ لي، فاستغفرَ له**»، فقال له عمر: أين تريد؟ قال: الكوفة، قال: ألا أكتبُ لك إلى عاملها؟ قال: أكونُ في غبراءِ الناس أحبُّ إلي، قال: فلمّا كان من العام المقبل حجَّ رجلٌ من أشرافهم، فوافق عمرُ، فسأله عن أُويس، فقال: تركتُه رثَّ

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠).

البيتِ قليلَ المتاعِ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وذكر الحديث، ثم قال له: «**فإن استطعتَ أن يستغفرَ لك فافعلْ**»، فأتى أويساً فقال: استغفر لي، فقال: أنتَ أحدثُ عهدٍ بسفرٍ صالحٍ، فاستغفر لي، قال: استغفر لي، قال: أنتَ أحدثُ عهدٍ بسفرٍ صالحٍ فاستغفر لي، قال: لقيتَ عمر؟ قال: نعم، فاستغفرَ له، ففطنَ له الناسُ، فانطلقَ على وجهه[(١)].

● **أبو عمر**: خرج عمر من المسجدِ، ومعه الجارود العبديّ، فإذا بامرأةٍ برزتْ على ظهر الطريق، فسلّمَ عليها عمر، فردَّت عليه السَّلام وقالت: هيها يا عمر، عهدتُك وأنت تسمّى عُميراً في سوق عكاظ، ترعى الضأنَ بعصاكَ، فلم تذهبِ الأيامُ حتّى سمِّيت عمر. ثم لم تذهب الأيامُ حتى سمِّيت أميرَ المؤمنين، فاتقِ اللهَ في الرعية، واعلم أنّه مَنْ خافَ الوعيدَ قربَ عليه البعيدُ، ومن خاف الموتَ خُشِيَ عليه الفوتُ. فقال الجارود: قد أكثرتِ أيتُها المرأةُ على أمير المؤمنين. فقال عمر: دعها، أما تعرفها؟ هذه خولة بنت حكيم امرأة عبادة بن الصّامت التي سمع الله قولها من فوق سبع سماواتٍ، فعمر والله أحقّ أن يسمع قولها[(٢)].

● **المحب الطبري**: عن **زيد الأيامي** قال: كتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى عمر بن الخطاب: **أما بعد**: فإنّا عهدناكَ وشأنُ نفسِك لكَ مهمٌّ، فأصبحتَ اليومَ وقد ولّيت أمرَ هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلسُ بين يديك الشريفُ والوضيعُ، والصديقُ والعدوُّ، ولكلٍّ حصته من العدل، فانظرْ كيفَ أنتَ عندَ ذلك يا عمرُ، وإنّا نحذّركَ ما حُذِّرتِ الأممُ قبلك، ونحذِّرك يوماً تعنو فيه الوجوهُ، وتوجلُ فيه

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٠)، و«صحيح مسلم» (ح: ٦٤٣٩).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٢/ ٩١).

القلوبُ، وتنقطِعُ فيه الحججُ لعزّةِ ملكٍ قاهرٍ، هم له داخرون، وينتظرون قضاءه، ويخشون عقابه، وإنّه كان يذكر لنا أنّه سيأتي على الناسِ زمانٌ، يكونون فيه إخوان العلانية أعداءَ السريرة، وإنّا نعوذُ بالله ﷻ أن ينزلَ كتابنا منك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا، وإنما كتبنا به إليك نصيحةً لك، والسلام.

فكتب إليهما عمر: **أما بعد**: فإنّه قد أتاني كتابكما، فكتبتما إليَّ أنكما عهدتماني وشأنُ نفسي إليَّ مهم، وما يدريكما، وكتبتُما إليّ أنّي ولّيتُ أمر هذا الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يدي الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكلٍّ حصته من العدل، وإنّه لا حول ولا قوة عند عمر إلا بالله ﷻ، وكتبتُما تحذراني ما حذرت الأمم من قبل، وإنّما هو اختلافُ الليل والنهار، وآجالُ الناسِ يبليان كلَّ جديدٍ، ويقرّبان كلَّ بعيدٍ، ويأتيان بكلِّ موعودٍ، حتّى تَصِّيرَ الناسَ أعمالُهم إلى الجنة أو إلى النار[1]، فيجزي اللهُ كلَّ نفسٍ بما كسبت، إنّ الله سريعُ الحساب، وكتبتما: أنه كان يذكر لكما أنه سيأتي على الناسِ زمانٌ يكونون فيه إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم أولئك، وليس هذا زمان ذاك، إنّما ذلك إذا ظهرتِ الرغبةُ والرهبةُ، فكان رغبة الناس بعضُهم إلى بعضٍ في إصلاح دنياهم، وكان رهبة الناس بعضهم من بعض في إصلاح دنياهم، وكتبتما إليَّ تعيذاني بالله أن ينزلَ كتابَكُما منّي سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما، وإنّما كتبتما إليَّ نصيحةً، وإني قد صدّقتكما فتعاهداني منكما بكتابٍ، فإنّه لا غناءَ عنكما[2].

• **أبو بكر**: عن يحيى بن عيسى عن الأعمش عن إبراهيم عن

(١) في الأصل الفارسي: «حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار».

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).

همام عن **حذيفة** قال: دخلتُ على عمر وهو قاعد على جذعٍ في داره، وهو يحدّثُ نفسه، فدنوتُ منه، فقلتُ: ما الذي أهمك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال: هكذا بيده، وأشارَ بها، قال: قلتُ: ما الذي يهمك؟ واللهِ لو رأينا منك أمراً ننكره لقوّمناك، قال: اللهَ الذي لا إلـه إلا هو لو رأيتُم مني أمراً تنكرونه لقوّمتموني؟ فقلت: آللهَ الذي لا إلـه إلا هو لو رأينا منك أمراً ننكره لقوّمناك، قال: ففرح بذلك فرحاً شديداً، وقال: الحمدُ للهِ الذي جعلَ فيكم أصحاب محمّدٍ من الذي إذا رأى مني منكراً قوّمني[1].

• **أبو القاسم القشيري**: قسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحُلَل بين الصحابةِ من غنيمةٍ، فبعث إلى معاذٍ حلةً ثمينةً، فباعها واشترى ستة أعبد، وأعتقهم، فبلغ عمر ذلك، فكان يقسم الحلل بعده، فبعث إليه حلة دونها تلك، فعاتبه معاذ، فقال له عمر: لا معاتبةَ؛ لأنّك بعتَ الأولى، فقال معاذ: وما عليكَ، ادفع إليَّ نصيبي، وقد حلفتُ لأضربنَّ بها رأسكَ، فقال عمر: ها رأسي بين يديك، وقد يرفُقُ الشيخُ بالشيخِ[2].

• **ومن تواضعه**: إحالة القرآن والعلم على جماعةٍ، وقوله: لولا فلان لهلك عمر لجماعةٍ.

• **الحاكم**: موسى بن علي بن رباح اللخمي، عن **أبيه**، أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطبَ الناسَ فقال: مَنْ أرادَ أن يسأل عن القرآنِ فليأتِ أُبي بن كعب، ومن أرادَ أن يسأل عن الحلال والحرام فليأتِ معاذَ بنَ جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني، فإنَّ الله تعالى جعلني

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٩) برقم: (٣٤٤٨٨).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٧٠).

خازناً[١]، وزاد في رواية: ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيدَ بنَ ثابت[٢].

• وروي أن عمر أمرَ برجم حامل، فقال معاذٌ: إن يكن لك عليها سبيلٌ فلا سبيل لك على ما في بطنها، فرجع عن حكمه وقال: لو لا معاذ لهلك عمر[٣].

• وروي أن عمر أمر برجم امرأة فقال علي: أما سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول: «**إنّ القلمَ رُفِعَ عن ثلاثةٍ: عن المجنونِ حتّى يفيقَ، وعن الصبيِّ حتّى يحتلمَ، وعن النائمِ حتّى يستيقظَ**»، قال: بلى، فما ذلك؟ قال: إنها مجنونة بني فلان، فقال: لولا علي لهلك عمر.

• وروي أنّ عمرَ أُتي برجل قد قَتَلَ عمداً، فأمر بقتله، فعفا بعضُ الأولياء، فأمر بقتله، فقال عبد الله بن مسعود: كانت النفسُ لهم جميعاً، فلمّا عفا هذا أحيا النفسَ، فلا يستطيعُ أن يأخذَ حقّه حتّى يأخذَ غيره، قال: فما ترى؟ قال: أرى أنْ تجعلَ[٤] الديةَ عليه في ماله، وترفعَ عنه حِصَّةَ الذي عفا، فقال عمر رضي الله عنه: وأنا أرى ذلك[٥].

• وقال لابن مسعود في بعض القضايا: كُنيِّفٌ مُلِئَ علماً[٦].

• ورجع إلى قول معاذ: ليس بين الأبِ وابنه قصاصٌ، وإلى قول زيد بن ثابت في قصة قتل عبادة بن الصامت نبطياً: أتقتلُ أخاك في

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٤) برقم: (٥١٨٧).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٦) برقم: (٥١٩١).

(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٥٤٣) برقم: (٢٨٨١٢).

(٤) في الأصل الفارسي: «أن تحمل».

(٥) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٨/ ٦٠) برقم: (٥١٨٥٣)، و«معرفة السنن والآثار» (١٣/ ١٧٨).

(٦) «المعجم الكبير» رقم: (٩٦١٩).

عِوَضِ عبدك؟ فرجعَ إلى غير ذلك، من صور لا تحصى حتى قال يوماً: ألا لا تغالوا في مهور النساء، فقالت امرأةٌ: أنأخذُ بقولك أم بقول الله تعالى وتبارك: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾؟ [النساء: ٢٠] فنزل عمر من المنبر وقال: كُلُّ الناسِ أعلمُ من عمر حتّى العجائز.

ومن ذلك:

۞ تركه لذة العيش مع قدرته وعرض الناس عليه ذلك مما يدل قطعاً على أن نفسه لا تنقاد للشهوات:

والزهد زهدان، زهدٌ يتقدّم على نور اليقين، ليكونَ تمهيداً له ومعيناً على حصوله، وزهدٌ ينتجه نورُ اليقين بمنزلة العاشق لا يجدُ طعم الطعام، والمتفكر جداً لا يجدُ في كثير من المطاعم والملابس لذّتها، ولهذه النكتة بسطنا حكاياتِ الزهد في الفصلين جميعاً.

• **المحب الطبري**: عن **عطية بن فرقد**، أنّه دخل على عمر وهو يكدِمُ كعكاً شامياً، ويتفوّق لبناً حازراً، فقلتُ: يا أمير المؤمنين! لو أمرت أن يصنع لك طعام ألينُ مِنْ هذا؟ فقال: يا ابنَ فرقد أترى أحداً من العرب أقدرُ على ذلك منّي؟ فقلت: ما أجدُ أقدرَ على ذلك منك يا أمير المؤمنين، فقال عمر: سمعتُ الله عيّر أقواماً فقال: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][١].

شرح: **الكدم**: العض، **والتفوق**: الشرب شيئاً فشيئاً من فوّقت الفصيل إذا سقيته فواقاً فواقاً، **والفواق**: قدر ما بين الحلبتين، **والحازر**: بالحاء المهملة اللبن الحامض[٢].

• وعن عمر أنه كان يقول: لو شئتُ لدعوتُ بصلاءٍ وصنابٍ

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).

وصلائقَ وكراكرَ وأسنمةٍ وأفلاذٍ كثيرةٍ من لطائف اللذات، ثم قال: ولكنّي لا أدعو بها، ولا أقصدُ قصدها لئلا أكون من المتنعمين[١].

شرح: **الصلاء** ـ بالكسر والمد ـ: الشوي، **والصناب**: الخردل المعمول بالزيت، وهو صناع يؤتدم به، **والصلائق**: الرقاق واحدتها صليقة، وقيل: هي الحملان المشوية من صلقت الشاة إذا شويتها، ويروى بالسين المهملة وهو كل ما سلق من البقول وغيرها، **والكراكر**: جمع كركرة وهي الثفنة التي في زور البعير وهي إحدى الثفنات الخمس، **والأفلاذ**: جمع فلذة وهي القطعة، وكأنّه أراد قطعاً من أنواع شتى[٢].

• وعنه أنّه كان يقول: واللهِ ما يمنعنا أن نأمرَ بصغار المِعْزَى فَتُسْمَطَ لنا، ونأمُرُ بلُبابِ الحنطةِ فيُخْبَزُ لنا، ونأمرُ بالزبيبِ فيُنْبَذُ لنا، فنأكلُ هذا، ونشربُ هذا، إلا أنّا نستبقي طيباتنا؛ لأنّا سمعنا الله تعالى يقول يذكر أقواماً: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][٣].

• وعنه أنّه اشتهى سمكاً طرياً فأخذ يرفأ راحلته، فسار ليلتين مقبلاً وليلتين مدبراً، واشترى مِكْتلاً فجاء به، وقام يرفأ إلى الراحلة يغسلها من العرقِ، فنظرها عمر فقال: عذّبتَ بهيمةً من البهائم في شهوةِ عمر! والله لا يذوقُ عمرُ ذلكَ[٤].

• وروي أنه كان يداوِمُ على أكل التمر، ولا يداوم على أكل اللحم ويقول: إيّاكم واللحم، فإنّ له ضراوة كضراوةِ الخمرِ؛ أي: إنّ له عادة نزّاعة إليها كعادةِ الخمرِ.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).

تقول فيه: ضَرِيَ بالكسر به ضِراً وضراوة وضراءً إذا اعتاده[١].

• وعن **حفصة** قالت: دخل عليَّ عمر، فقدّمتُ إليه مرقةً باردةً، وصببتُ عليها زيتاً، فقال: إدامانِ في إناءٍ واحدٍ، لا أذوقه أبداً حتى ألقى الله[٢].

• وعن **ابن عمر** قال: دخل أميرُ المؤمنين عمر، ونحن على مائدة، فأوسعتُ له عن صدر المجلس، فقال: بسم الله، ثم ضربَ بيده في لقمةٍ فلقمَها ثم ثنّى بأخرى، ثم قال: إنِّي لأجد طعمَ دسمٍ غير دسمِ اللحمِ.

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين إنِّي خرجتُ إلى السوق أطلبُ السمين لأشتريه، فوجدته غالياً، فاشتريت بدرهم من المهزول، وجعلت عليه بدرهم سمناً.

فقال عمر: ما اجتمعا عند رسول الله ﷺ إلا أكل أحدهما، وتصدّق بالآخر، فقال عبد الله: يا أميرَ المؤمنين ولن يجتمعا عندي أبداً إلا فعلتُ ذلك[٣].

• وعن **قتادة** قال: كان عمرُ بنُ الخطاب يلبَسُ وهو أمير المؤمنين جبةً من صوفٍ مرقّعةً بعضُها من أدم، ويطوف في الأسواق، على عاتقه الدِّرة، يؤدِّبُ الناسَ بها، ويمرُّ بالنكث والنوى فيلتقطه، ويلقيه في منازل الناس لينتفعوا به[٤].

شرح النكث: الغزل المنقوض من الأخبية والأكسية ليغزل ثانية[٥].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).

• وعن **أنس** قال: لقد رأيتُ بين كتفي عمرَ أربعةَ رقعٍ في قميصٍ له[١].

• وعن **الحسن** قال: خطبَ عمرُ الناسَ وهو خليفةٌ وعليه إزارٌ فيه اثنتا عشرة رقعة[٢].

• وعن **عامر بن ربيعة** قال: خرجَ عمرُ حاجّاً من المدينة إلى مكة إلى أنْ رجعَ، فما ضربَ فسطاطاً ولا خباءً إلا كان يلقي الكساءَ والنطعَ على الشجرة، ويستظلُّ تحتها[٣].

• وعن **عمر** أنّه كان يقول: واللهِ ما نعبأُ بلذّاتِ العيشِ، ولكنّا نستبقي طيباتنا لآخرتنا، وكان ﷺ يأكلُ خبزَ الشعيرِ، ويأتدِمُ بالزيتِ، ويلبَسُ المرقوعَ، ويخدِمُ نفسَه[٤].

• وعن **الأحنف بن قيس** قال: أخرجنا عمرُ في سريةٍ إلى العراق، ففتحَ اللهُ علينا العراقَ وبلدَ فارس، وأصبنا فيها من بياضِ فارسَ وخراسان فحملناه معنا، واكتسينا منها، فلمّا قدمنا على عمر أعرضَ عنّا بوجهه، وجعل لا يكلّمنا، فاشتدّ ذلك علينا، فشكونا إلى عبد الله بن عمر فقال: إنّ عمرَ زهدَ في الدّنيا، وقد رأى عليكم لباساً لم يلبسه رسولُ اللهِ ﷺ ولا الخليفةُ من بعدِه.

فأتينا منازلنا، فنزعنا ما كان علينا، وأتيناه في البزة التي يعهدها منّا، فقام فسلَّم علينا رَجُلاً رَجُلاً، واعتنقَ رجُلاً رجُلاً، حتّى كأنّه لم يرنا، فقدّمنا إليه الغنائم، فقسمها بيننا بالسويةِ، فعرضَ في الغنائم شيءٌ من أنواع الخبيص من أصفر وأحمر، فذاقه عمر، فوجده طيِّبَ الطعم، طيِّبَ الريح، فأقبل علينا بوجهه، وقال: يا معشرَ المهاجرين والأنصار! ليقتلنَّ منكم الابنُ أباه، والأخُ أخاه على هذا الطعام، ثم أمرَ به فحُمِلَ

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).
(٤) «الرياض النضرة» (١/ ١٧٣).

إلى أولاد مَنْ قُتِلَ من المسلمين بين يدي رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، ثم إنَّ عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيئاً[(١)].

● وروي: أنّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ اجتمعوا في المسجد زهاء خمسين رجلاً من المهاجرين فقالوا: ما ترونَ إلى زهدِ هذا الرجل وإلى جُبّته، وقد فتحَ الله على يديه ديار كسرى وقيصر، وطرفي الشرق والغرب، ووفود العرب والعجم يأتونه، فيرون عليه هذه الجبة، قد رقّعها اثنتي عشرة رقعة، فلو سألتموه معاشرَ أصحاب محمد أن يغيّر هذه الجبة بثوبٍ ليِّنٍ فيهاب منظره، ويغدى عليه بجفنة من الطعام، ويراحُ عليه بجفنةً يأكلها مَنْ حضره من المهاجرين والأنصار، فقال القوم بأجمعهم: ليس لهذا القول إلّا علي بن أبي طالب فإنّه صهره، فكلّموه فقال: لستُ بفاعلٍ ذلك، ولكن عليكمُ بأزواجِ النبيِّ ﷺ، فإنّهنّ أمهات المؤمنين يجترئن عليه.

قال الأحنف بن قيس: فسألوا عائشةَ وحفصةَ وكانتا مجتمعتين، فقالت عائشة: أسأله عن ذلك، وقالت حفصة: ما أراه يفعل، وسيتبيّنُ لك، فدخلتا عليه، فقربهما وأدناهما، فقالت عائشة: أتأذنُ لي أنْ أكلّمك؟ قال: تكلَّمي يا أمَّ المؤمنين! فقالت: إنَّ رسول الله ﷺ قد مضى إلى جنة ربه ورضوانه، لم يرد الدنيا ولم ترده، وكذلك مضى أبو بكر على أثره، وقد فتح الله عليك كنوزَ كسرى وقيصر، وديارَهما، وحُمِلَ إليك أموالهما، وذلل لك طرفَ المشرق والمغرب، ونرجو من الله تعالى المزيدَ، ورسُلُ العجم يأتونك، ووفودُ العربِ يردون إليك، وعليك هذه الجبةُ قد رقّعتها اثنتي عشرة رقعة، فلو غيّرتها بثوبٍ لينٍ يُهابُ فيه منظرك، ويغدى عليك بجفنة من طعام، ويُراحُ عليك بأخرى، تأكل أنتَ ومَنْ حضرك من المهاجرين والأنصار.

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٧٤).

فبكى عمر عند ذلك بكاء شديداً ثم قال: سألتُكِ باللهِ؛ هل تعلمين أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ شبعَ من خبز بُرٍّ عشرةَ أيام أو خمسةً أو ثلاثةً، أو جمعَ بين عشاء وغداء حتّى لحق بالله؟ قالت: لا، قال: أنشدُكِ بالله، هل تعلمينَ أنَّ رسول الله ﷺ ما قرب إليه طعام على مائدةٍ في ارتفاع شبر من الأرض، إلّا كان يأمُرُ بالطعامِ، فيوضعُ على الأرضِ، ويأمرُ بالمائدةِ فترفع؟ قالت: اللَّهُمَّ نعم، ثم قال لهما: أنتُما زوجتا رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين، ولكما على المؤمنين حقٌّ وعليَّ خاصة، ولكن أتيتماني ترغّبانني في الدنيا، وإنِّي لأعلمُ أنَّ رسول الله ﷺ لبس جبة من صوف، فربّما حكَّ جسمَه من خشونتها، أتعلمان ذلك؟ قالتا: نعم، قال: فهل تعلمان أنّ رسول الله ﷺ كان يرقد على عباءةٍ على طاقٍ واحدٍ، وكان له مسح في بيتك يا عائشةُ يكونُ بالنهار بساطاً، وبالليل فراشاً، ينامُ عليه، ويرى أثر الحصير في جنبه؟

ألا يا حفصةُ أنتِ حدّثتني أنّكِ ثنيتِ المسحَ له ليلةً، فوجدها لينةً، فرقد عليه، فلم يستيقظ إلا بأذانِ بلالٍ، فقال لك يا حفصة: **«ماذا صَنَعْتِ؟ ثنيتِ المَهْدَ حتَّى ذهبَ بيَ النومُ إلى الصباحِ، ما لي وما للدّنيا، وما لي شغلتموني بِلِيْنِ الفراشِ»**، يا حفصةُ: أما تعلمينَ أنَّ رسول الله ﷺ كان مغفوراً له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، ولم يزل جائعاً ساهراً راكعاً ساجداً باكياً متضرّعاً آناء الليل والنهار إلى أن قبضه الله تعالى إلى رحمته ورضوانه؟ لا أَكَلَ عمرُ طيباً، ولا لبسَ ليناً، فله أسوة بصاحبيه، ولا جمعَ بين أدمين إلا الماء والزيت، ولا أكلَ لحماً إلا في كل شهر، فخرجتا من عنده، فأخبرتا أصحاب رسول الله ﷺ، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله ﷻ(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٥).

المبحث الثالث

في جنس آخر من مقامات اليقين

وهو المشار إليه بقول النبيِّ ﷺ: «**لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يكُ في أُمّتي أحدٌ فإنه عمر**»[(١)]، وقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ جعلَ الحقَّ على لسانِ عمر**»[(٢)]، وقول علي: كُنّا نرى ونحنُ متوافرون أصحابَ محمّدٍ ﷺ أنّ السكينة تَنطِقُ على لسان عمر[(٣)].

وحقيقةُ هذا الجنس انقيادُ القوة العاقلة لنور اليقين، واضمحلالها تحت صولة اليقين، وتشبيهها بالملأ الأعلى، وقد تواترتِ الأخبارُ بثبوتها لعمر تواتراً معنوياً.

[موافقة رأيه الوحيَ]

فمن أجلّ هذه المقامات موافقةُ رأيه الوحي ممّا قد فهم باجتهاده شيئاً فنزل القرآنُ وجاء الحديث موافقاً لما فهم، وقد اشتهر ذلك عنه، وأثبت ذلك هو لنفسه، وكان يعتقِدُ ذلك من نفسه، ويشكر الله تعالى على ذلك.

۞ [حقيقة موافقة رأيه الوحي]:

ويجب التنبيه ها هنا على نكتة: وهي أنّه لا يلزمُ في الموافقةِ أن ينزل القرآنُ ويردَ الحديثُ على وفق رأيه لفظاً بلفظٍ وحرفاً بحرفٍ، ولكنّ اللازم أن يفهم عمر باجتهاده شيئاً، ويثبت القرآن والسُّنَّة أصل ذلك، فإن

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» برقم: (٣٦٨٩).
(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» برقم: (٣٦٨٢).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).

أفادا فائدةً زائدةً لم يكن أدركها عمرُ لم يقدح ذلك في موافقته.

❁ [نزول آية الحجاب]:

بيان ذلك أنّ عمر كان يطلب من النبي ﷺ أن يحجبَ نساءه، فلا يأذن لهنّ أن يخرجنَ إلى البراز ونحوه، فنزل الحجابُ، ولم يمنعهنّ من الخروج إلى البراز، وأعلم النبيّ ﷺ لفظاً أو دلالةً أنّ الأصل المرضي حَجْبُهُنّ على ما قال، ولكن دفعُ الحرجِ أصلٌ في الشرع، وفي منعهنّ حرجٌ، فهذا الأصلُ الذي أفاده النبي ﷺ لم يفهمه عمر، ولا يقدحُ ذلك في كون مسألةِ الحجاب من الموافقات.

• **البخاري**: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ ـ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ ـ فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِلنَّبِي ﷺ: احْجُبْ نِسَاءَكَ، فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَفْعَلُ، فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِي ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً، وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً، فَنَادَاهَا عُمَرُ: أَلَا قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ، حِرْصاً عَلَى أَنْ يَنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ الْحِجَابِ[١].

وفي رواية له: عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**قَدْ أُذِنَ أَنْ تَخْرُجْنَ فِي حَاجَتِكُنَّ**»؛ يعني: الْبَرَازَ[٢].

❁ [نـزول آيـة: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ و﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ﴾]:

• **مسلم**: عن **ابن عمر** قال: قال عمر: وافقتُ ربِّي في ثلاثٍ: في

(١) انظر: «صحيح البخاري» (١/ ٢٦٦) برقم: (١٤٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (١٤٧).

مقامِ إبراهيم، وفي الحجابِ، وفي أسارى بدر[١].

• **البخاري ومسلم**: عَنْ **أَنَس بن مالك** قَالَ: قَالَ عُمَرُ: وَافَقْتُ ربي فِي ثَلَاثٍ ـ أَوْ: وَافَقَنِي فِي ثَلَاثٍ ـ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ من مَقَام إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَلَوْ حجبتَ أمهات المؤمنين؟ فأنزل الله آية الحجاب [الأحزاب: ٥٣]، وبلغني شيءٌ من معاتبة أمهات المؤمنين، فقلت: لتكفن عن رسول الله ﷺ أو ليبدلنه الله أزواجاً خيراً منكنَّ، حتى انتهيت إلى إحدى أمهات المؤمنين فقالت: يا عمر! أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهنَّ أنتَ؟ فأنزل الله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ﴾ [التحريم: ٥][٢].

۞ [نزول آية: ﴿...، وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾]:

• **مسلم**: عن **ابن عباس** أن عمر حدَّثه قال: لما اعتزل رسول الله ﷺ نساءه وكان قد وجد عليهنّ فاعتزلهنّ في مشربةٍ من خزانته.

قال عمر: فدخلتُ المسجدَ فإذا الناسُ ينكتون بالحصى، ويقولون: طلَّق رسولُ اللهِ ﷺ نساءه، فقلتُ: لأعلمنَّ هذا اليوم، وذلك قبل أن يؤمر نبيُّ الله ﷺ بالحجابِ، فدخلتُ على عائشة بنت أبي بكر فقلت: يا ابنة أبي بكر! بلغ من أمركِ أن تؤذيَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ قالت: ما لي ومالك يا ابن الخطاب، عليكَ بعيبتِكَ.

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٩).

(٢) «الرياض النضرة» (١/ ١٤٠)، وانظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٤٨٣)، و«صحيح مسلم» برقم: (٢٣٩٩).

فأتيتُ حفصةَ بنتَ عمر فقلت: يا حفصة! واللهِ لقد علمتُ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لا يحبُّكِ، ولولا أنا لطلّقك، قال: فبكتْ أشدَّ بكاءٍ.

قال: فقلتُ لها: أينَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ قالت: هو في خزانته، قال: فذهبتُ فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أسكفة الغرفةِ مدلياً رجليه على نقيرٍ؛ يعني: جذعاً منقوراً، قلت: يا رباح! استأذنْ لي على رسولِ اللهِ ﷺ، فنظرَ رباحٌ إلى الغرفة، ثم نظر إليَّ فسكت، قال: فرفعتُ صوتي، فقلتُ: استأذن يا رباح على رسول الله ﷺ، فإنِّي أظنُّ أن رسول الله ﷺ يظنُّ أني إنّما جئتُ من أجل حفصة، والله لئن أمرني رسولُ اللهِ ﷺ أن أضربَ عنقَها لضربتُ عنقَها.

قال: فنظرَ رباحٌ إلى الغرفةِ، ونظر إليَّ ثم قال هكذا؛ يعني: أشار بيده أَنِ ادخل، فدخلتُ، فإذا هو مضطجعٌ على حصيرٍ، وعليه إزاره فجلس، وإذا الحصيرُ قد أثَّر في جنبه، وقلّبتُ عيني في الخزانة، فإذا ليسَ فيها شيءٌ من الدنيا غير قبضتين من شعير، وقبضة من قرظ نحو الصاعين، وإذا أفيق معلق أو أفيقان، قال: فابتدرتْ عيناي، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما يبكيكَ يا ابنَ الخطّابِ؟**»، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! ما لي لا أبكي وأنتَ صفوةُ اللهِ ورسولِه وخيرته من خلقِه، وهذه الأعاجم كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنتَ هكذا؟ فقال: «**يا ابنَ الخطّاب! أما ترضى أنْ تكونَ لنا الآخرةُ ولهم الدنيا؟**» قلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ! فأحمد الله، قلّما تكلّمتُ في شيء إلا أنزل الله تصديقَ قولي من السماء، قال: قلتُ: يا رسول الله! إن كنتَ طلّقتَ نساءك، فإنّ الله ﷻ معك وجبريل وأنا وأبو بكر والمؤمنون، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ [التحريم: ٤]، قال: فما أخبرت ذلك نبي الله ﷺ، وأنا أعرفُ الغضبَ في وجهه حتّى رأيت وجهه يتهلّل، وكشر فرأيتُ ثغره وكان مِنْ أحسنِ الناس ثغراً، فقال: إنِّي لم أطلقهنَّ،

قلتُ: يا نبيَّ الله! فإنّهم قد أشاعوا أنّكَ قد طلّقتَ نساءك، فأخبرهم أنّك لم تطلقهنَّ، قال: إنْ شئتَ فعلتَ، فقمتُ على باب المسجدِ، فقلت: ألا إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يطلّقْ نساءَه، فأنزل الله عز وجل في الذي كان من شأنه وشأنهم: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، قال عمر: فأنا الذي استنبطه منهم[(١)].

❁ [نزول آية: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية، ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ﴾ الآية]:

● **أحمد بن حنبل**: عن **ابن مسعود**، قد فضل الناسَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأربع، بذكره الأسرى يوم بدر، أمرَ بقتلهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال]، وبذكره الحجاب، أمر نساء رسول الله ﷺ أن يحتجبنَ فقالت له زينب: وإنّكَ لتغارُ علينا يا ابنَ الخطّاب والوحيُ ينزِلُ في بيوتنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وبدعوة النبي ﷺ له: «**اللّهُمَّ أيّد الإسلامَ بعمرَ**»، وبرأيه في أبي بكر، كان أوّلَ الناسِ بايعه[(٢)].

● **المحب الطبري**: عن **طلحة بن مصرف** قال: قال عمر: يا رسول الله! أليس هذا مقام إبراهيم أبينا؟ قال: «**بلى**»، قال عمرُ: فلو اتخذته مصلًّى؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ [البقرة: ١٢٥][(٣)].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٠).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٤٣٦٢)، و«الرياض النضرة» (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٣٩).

❁ [نزول آية الأنفال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [٦٧]]:

مسلم وأحمد بن حنبل: عن **ابن عباس** عن عمر قال: لمّا كنا يوم بدر قال رسول الله ﷺ: «**ما ترونَ في هؤلاءِ الأَسَارى؟**».

فقال أبو بكر: يا رسول الله! بنو العمّ وبنو العشيرة والإخوان، غير أنّا نأخذُ منهم الفداء، فيكونُ لنا قوةً على المشركين، وعسى الله أن يهديَهم إلى الإسلام، ويكونوا لنا عضداً.

قال: «**فما ترى يا ابن الخطاب؟**».

قلت: يا رسول الله! ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكنّ هؤلاء أئمةُ الكفر وصناديدُهم، فتقرّبهم فنضربَ أعناقَهم.

قال: فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ، وأخذَ منهم الفداءَ، فلمّا أصبحتُ غدوتُ على رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هو وأبو بكر قاعدانِ يبكيانِ، قلتُ: يا نبيَّ الله! أخبرني من أيِّ شيءٍ تبكي أنتَ وصاحبُك؟ فإنْ وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإلا تباكيتُ لبكائكما.

فقال: «**لقد عُرِضَ عليَّ عذابُكم أدنى من هذه الشجرة**» لشجرةٍ قريبةٍ حينئذ، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧][1].

• **أحمد بن حنبل**: عن **أنس بن مالك** قال: استشار النبيُّ ﷺ الناسَ في الأسارى يوم بدر، فقال: «**إنّ اللهَ قد أمكنَكم منهم**»، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله! اضربْ أعناقَهم، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٣٩) واللفظ له، «صحيح مسلم» برقم: (١٧٦٣)، «مسند أحمد» برقم: (٣٦٣٢).

ثم عاد رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيُّها الناسُ إنّ اللهَ قد أمكنَكُم منهم، وإنّما هم إخوانُكم بالأمسِ**»، فقامَ عمر فقال: يا رسولَ اللهِ! اضربْ أعناقَهم، فأعرضَ عنه النبيُّ ﷺ.

ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك، فقام أبو بكر الصدِّيق فقال: يا رسول الله! نرى أنْ تعفوَ عنهم، وأن تقبلَ منهم الفداءَ، قال: فذهبَ عن وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ ما كان فيه من الغمِّ، فعفا عنهم، وقبِلَ منهم الفداءَ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨][١].

۞ [نزول آية: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية]:

• **البخاري ومسلم**: عن **ابن عمر** قال: لمّا مات عبدُ اللهُ بن أُبي ابن سَلولٍ جاء ابنُه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيَه قميصَه يكفّنه فيه، وسأله أن يصلِّيَ عليه، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ ليصلِّيَ عليه، فقامَ عمرُ، فأخذَ ثوبَ النبي ﷺ وقال: أتصلي عليه، وقد نهاك الله أَنْ تصلِّيَ عليه؟ فقال: «**إنما خيَّرني فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ [التوبة: ٨٠]، **وسأزيدُه على السبعين**»، قال: إنّه منافق، فصلّى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤][٢].

• **البخاري**: عن **ابن عباس** عن عمر أنّه قال: لمّا ماتَ عبدُ اللهِ بنُ أُبي ابنُ سلول دُعِيَ له رسول الله ﷺ ليصلّي عليه، فلمّا قام رسولُ اللهِ ﷺ وثبتُ إليه، فقلت: يا رسولَ الله! أتصلّي على ابن أُبيٍّ، وقد قال يوم كذا

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ١٣٩)، وانظر: «مسند أحمد» برقم: (١٣٥٥٥).

(٢) «الرياض النضرة» (ص١٤١)، وانظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٧٧٤) واللفظ له، «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧٠).

كذا وكذا؟ أعدّدُ عليه قوله، فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «**أَخِّرْ عَنِّي يا عمرُ**»، فلمّا أكثرتُ عليه قال: «**أما إنِّي خيّرتُ فاخترتُ، لو أعلمُ أنِّي إذا زِدْتُ على السبعينَ يُغْفَرُ له لزدتُ عليها**»، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، ثم انصرف، فلم يمكثْ إلّا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤، ٨٥]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ يومئذ(١).

۞ [نزول آية: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾]:

• **المحب الطبري**: عن **أنس بن مالك** قال: قال عمرُ: وافقتُ ربِّي في أربع، قلتُ: يا رسول الله! لو اتخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مصلًّى، وقلتُ: يا رسول الله! لو اتخذتَ على نسائك حجاباً، فإنَّه يدخلُ عليك البَرُّ والفاجِرُ، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وقلت لأزواج النبي ﷺ: لتنتهنَّ أو ليبدلنّه اللهُ أزواجاً خيراً منكنَّ، ونزل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، فقلت: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وفي رواية فقال ﷺ: «**تزيدُ في القرآنِ يا عمرُ؟**»، فنزل جبريل بها وقال: إنّها تمامُ الآيةِ(٢).

• **المحب الطبري**: عن رجلٍ من الأنصار أنَّ النبيَّ ﷺ استشار عمر في أمر عائشة حين قال لها أهلُ الإفكِ ما قالوا، فقال: يا رسول الله من زوّجكما؟ فقال: «**الله تعالى**»، قال: أفتظنُّ أنَّ ربَّكَ دلَّس عليك فيها؟

---

(١) «الرياض النضرة» (ص١٤١)، وانظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٦٧١).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤١).

سبحانك هذا بهتان عظيم، فأنزل الله ذلك على وفق ما قال عمر(١).

۞ [نزول آية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية]:

• **المحب الطبري**: عن **علي**: انطلق عمر إلى اليهود فقال: إنِّي أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون وصف محمد في كتابكم؟ قالوا: نعم! قال: فما يمنعكم من اتباعه؟ قالوا: إنّ الله لم يبعثَ رسولاً إلّا كان له من الملائكة كفيلٌ، وإنَّ جبريل هو الذي يكفل محمداً، وهو الذي يأتيه، وهو عدُّونا من الملائكة، وميكائيل سِلْمُنا، فلو كان هو الذي يأتيه اتبعناه.

قال: فإنّي أشهدُ أنّه ما كان ميكائيل ليعادي سلم جبريل، وما كان جبريل ليسالمَ عدوَّ ميكائيل، قال: فمر نبي الله فقالوا: هذا صاحبك يا ابن الخطاب! فقام إليه، وقد أنزل الله عليه: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]، إلى قوله: ﴿عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(٢).

۞ [نزول آية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ الآية [البقرة: ٢١٩]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية [المائدة: ٩٠]]:

• **المحب الطبري**: وهو في (جامع الترمذي) وغيره: إنّ عمر كان حريصاً على تحريم الخمر فكان يقول: اللَّهُمَّ بيّن لنا في الخمر، فإنّها تُذهبُ المالَ والعقلَ، فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فدعا رسولُ الله ﷺ عمر، فتلاها عليه، فلم يرَ فيها بياناً، فقال: اللَّهُمَّ بيّنْ لنا في الخمرِ بياناً شافياً، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢).

تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]، فدعا رسول الله ﷺ عمر، فتلاها عليه، فلم يرَ فيها بياناً، ثم قال: اللَّهُمَّ بيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية [المائدة: ٩٠]، فدعا رسول الله ﷺ عمر، فتلاها عليه، فقال عمر عند ذلك: انتهينا يا رب انتهينا(١).

❁ [نزول آية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ﴾ الآية [النور: ٥٨]]:

• **المحب الطبري**: عن **ابن عباس**: أنّ النبيَّ ﷺ أرسل غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب وقتَ الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر على حالٍ كره عمر رؤيته عليها، فقال: يا رسول الله! وددتُ لو أنَّ الله أمرنا ونهانا في حالِ الاستئذان، فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية(٢).

❁ [نزول آية: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾]:

• **المحب الطبري**: لما نزل قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣، ١٤] بكى عمر وقال: يا رسول الله! وقليل من الآخرين، آمنا برسول الله ﷺ، وصدّقناه، ومن ينجو منّا قليلٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]، فدعا رسول الله ﷺ عمر فقال: «**لقد أنزلَ اللهُ فيما قلتَ فجعلَ ثلّةً من الأوّلينَ وثلّةً من الآخرين**».

❁ [كان كلامه موافقاً لما جاء في التوراة]:

• **المحب الطبري**: عن طارق بن شهاب قال: جاء رجلٌ يهوديٌّ

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢).

إلى عمر بن الخطاب فقال: أرأيتَ قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فأينَ النار؟ فقال لأصحاب محمد ﷺ: أجيبوه، فلم يكن عندهم فيها شيءٌ، فقال عمر: أرأيتَ النهارَ إذا جاء أليسَ يملأ السماوات والأرض؟ قال: بلى! قال: فأين الليلُ؟ قال: حيثَ شاءَ الله عز وجل، قال عمر: فالنار حيثُ شاءَ الله عز وجل، قال اليهودي: والذي نفسُك بيدِه يا أميرَ المؤمنين إنَّها لفي كتابِ اللهِ المنزلِ كما قلتَ[1].

- روي أنّ **كعب الأحبار** قال يوماً عند عمر: ويلٌ لملك الأرض من ملك السماء، فقال عمر: إلّا مَنْ حاسبَ نفسَه، فقال كعبٌ: والذي نفسي بيده إنَّها لتابعتها في كتاب الله عز وجل التوراة، فخرَّ عمرُ ساجداً لله تعالى[2].

- **المحب الطبري**: عن **ابن عمر** أنّه قال: ما اختلفَ أصحابُ رسول الله ﷺ في شيء فقالوا وقال عمر إلّا نزلَ القرآنُ بما قال عمر[3].

- وعن **علي** أنّ عمر ليقولُ القولَ فينزِلُ القرآنُ بتصديقه[4].

- **وعنه**: كنا نرى أنّ في القرآنِ لكلاماً من كلامه ورأياً من رأيه[5].

[حكم الأذان كان موافقاً لرأيه]:

ومن ذلك: قوله في الأذان: أَوَلا تبعثون رجلاً ينادي بالأذان، فاستقرَّ الأمرُ على ذلك بعد رؤيا عبد الله بن زيد، وأصلُ القصة في «الصحيحين» وغيرهما.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٢).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).
(٤) انظر: الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٤٣).

• **وأخرج محمد بن إسحاق وأحمد وأبو داود والترمذي والدارمي**، في حديث **عبد الله بن زيد**، قال: فسمع عمر بن الخطاب ذلك ـ يعني: الأذان ـ وهو في بيته، فخرج يجرُّ رداءَه، وهو يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثلَ الذي رأى، فقال رسول ﷺ: «**فللَّهِ الحمدُ**»[(١)].

• **المحب الطبري**: عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري قال: حدثني **أبي** قال: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها، فأصابَ الناسَ مخمصة، فاستأذنَ الناسُ رسولَ اللهِ ﷺ في نحر بعض ظهورهم، فهمّ رسول الله ﷺ أن يأذنَ لهم، فقال عمر بن الخطاب: أرأيتَ يا رسولَ اللهِ إذا نحرنا ظهرَنا، ثم لقينا عدوّنا غداً ونحن جياعٌ رِجالٌ؟!

قال رسول الله ﷺ: «**فما ترى يا عمرُ؟**».

قال: أرى أن تدعو الناسَ ببقايا أزوادِهم، ثم تدعو فيها بالبركة، فإنَّ الله ﷻ سيطعمنا بدعوتك إن شاء الله تعالى، قال: فكأنَّما كان على رسول الله غطاءٌ فكُشِفَ.

قال: فدعا بثوبٍ، ثم أمرَ به فبُسِطَ، ثم دعا بالناس ببقايا زادهم، قال: فجاءوا بما كان عندهم، قال: فمن الناس من جاء بالجفنةِ من الطعامِ أو الحِثْيةِ، ومنهم من جاء بمثل البيضةِ، قال: فأمرَ به رسولُ اللهِ ﷺ فوُضِعَ على ذلك الثوب، ثم دعا فيه بالبركة، ثم تكلّم بما شاء الله ﷻ، ثم نادى في الجيش، ثم أمرهم، فأكلوا، وأطعموا، وملئوا آنيتهم ومزاودهم، ثم دعا بركوةٍ فوُضِعَتْ بين يديه، ثم دعا بشيءٍ من ماءٍ فصب فيه ثم مجَّ فيها، وتكلّم بما شاء الله أن يتكلَّمَ به، وأدخلَ كفّيه فيها، فأقسمُ باللهِ لقد رأيتُ أصابعَ رسولِ اللهِ ﷺ تتفجّرُ منها بينابيع

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (ح: ١٨٩)، و«سنن أبي داود» (ح: ٤٩٩)، واللفظ له، «مسند أحمد» رقم: (١٦٤٧٨).

الماء، ثم أمرَ الناسَ، فشربوا، وملئوا قربهم وإداواتهم، قال: ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذُه ثم قال: «**أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وحدَه، لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمّداً عبدُه ورسولُه، لا يلقى اللهَ بهما أحدٌ إلا دخلَ الجنّة**»[١].

• **المحب الطبري**: عن **أبي موسى** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ ومعي نفر من قومي فقال: «**أبشِروا وبشّروا مَنْ وراءَكم أنّه مَنْ شهدَ أنْ لا إلـه إلا الله صادقاً بها دخلَ الجنة**»، فخرجنا من عند النبي ﷺ نبشّرُ الناسَ، فاستقبلنا عمر بن الخطاب، فرجع إلى النبي ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله! إذاً يتكل الناس، فسكت رسول الله ﷺ[٢].

• **مسلم**: عن **أبي هريرة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ، فأعطاني نعليه، وقال: «**اذهبْ بنعليَّ هاتين، فَمَنْ لقيتَهُ مِنْ وراءِ الحائطِ يَشْهَدُ أنْ لا إلـهَ إلّا الله مستيقناً بها قلبُه، فبِشّرْهُ بالجنَّة**»، فكانَ أوَّلُ مَنْ لقيتُ عمرَ فقال: ما هاتان النعلانِ يا أبا هريرة؟ فقلتُ: هاتان نعلا رسولِ اللهِ ﷺ بعثني بهما مَنْ لقيته يشهدُ أن لا إلـه إلا الله مستيقناً بها قلبُه بشَّرته بالجنّة، فضربَ بيدِه بين ثديي فخررتُ لأَسْتِي، فقال: ارجعْ يا أبا هريرة! فرجعتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأجهشتُ بالبكاء، وركبني عمرُ، فإذا هو على أثري، فقلتُ: لقيتُ عمرَ، وأخبرتُه بالذي بعثتني به، فضربَ بين ثدييّ ضربةً خررت لأَسْتِي، وقال: ارجعْ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا عمر! ما حملَكَ على ما صنعتَ؟**»، فقال: يا رسولُ اللهِ! أبعثت أبا هريرة بنعليكَ مَنْ لقيَ يشهدُ أن لا إلـه إلا الله مستيقناً بها قلبُه بشرتَه بالجنّة؟ قال: «**نعم**»، قال: فلا تفعل، فإنِّي أخافُ أن يتّكِلَ الناسُ عليها، فخلّهم

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٨).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٨).

يعملون، فقال رسول الله ﷺ: «**فخلّهم**»[١].

• **أبو داود**: عن **أبي رمثة** قال: صلَّيتُ مع النبيِّ ﷺ، وقد كان معه رجلٌ قد شهدَ التكبيرة الأولى من الصلاة، فصلّى رسولُ اللهِ ﷺ، ثم سلّمَ، فقام الرجلُ الذي أدركَ معه التكبيرةَ الأولى يشفعُ، فوثبَ عمرُ إليه، فأخذَ بمنكبه، فهزّه ثم قال: اجلسْ، فإنّه لم يهلكْ أهلُ الكتابِ إلا أنه لم يكنْ بين صلاتِهم فصل، فرفع النبي ﷺ بصره وقال: «**أصابَ اللهُ بكَ يا ابنَ الخطّاب**»[٢].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٥٩) واللفظ له، «صحيح مسلم» برقم: (٣١).

(٢) انظر: «سنن أبي داود» برقم: (١٠٠٧) «الرياض النضرة» (١/١٥٩) واللفظ له.

المبحث الرابع

في مكاشفات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وفراساته، وما رأى المسلمون فيه من المزايا الصالحة

ومعظم هذا الفصل داخلٌ في جنس انقياد القوة العاقلة لنور اليقين، لكنّا أفردناه لعِظَمِ خطره، وما ألحقنا به غيره.

[نداؤه في خطبته: يا سارية الجبل]

• **المحب الطبري**: عن عمرو بن الحارث قال: بينا عمرُ يخطبُ يوم الجمعة إذ ترك الخطبة، ونادى: يا ساريةَ الجبلَ مرتين أو ثلاثاً، ثم أقبل على خطبته، فقال ناسٌ من أصحاب رسولِ اللهِ ﷺ: إنّه لمجنون، ترك خطبته ونادى: يا ساريةَ الجبلَ، فدخل عليه عبد الرحمٰن بن عوف، وكان يبسطُ عليه، فقال: يا أميرَ المؤمنين! تجعلُ للنّاسِ عليك مقالاً، بينما أنتَ في خطبتك إذ ناديتَ: يا ساريةَ الجبلَ، أيْ شيءٍ هذا؟ فقال: واللهِ ما ملكتُ ذلك حين رأيتُ ساريةَ وأصحابَه يقاتلون عند جبلٍ، ويؤتون منه ممّن بين أيديهم ومن خلفهم، فلم أملكْ أنْ قلتُ: يا ساريةَ الجبلَ، ليلحقوا بالجبل، فلم تمضِ أيّامٌ حتى جاء رسولُ ساريةَ بكتابه: إنَّ القومَ لقونا يومَ الجمعةِ، فقاتلناهم من حين صلينا الصبحَ إلى أن حضرت الجمعةُ، وذرَّ حاجِبُ الشمس، فسمعنا صوتَ منادٍ ينادي: الجبل مرتين فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا، حتّى هزمهم الله تعالى[١].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٥).

[بعث الكتاب إلى النيل وامتثاله به]

• ويروى: أنّ مصرَ لمّا فُتحت أتى أهلُها عمرو بن العاص وقالوا له: إنَّ هذا النيلَ يحتاجُ في كلِّ سنةٍ إلى جاريةٍ بكرٍ من أحسن الجواري فنلقيها فيه، وإلا فلا يجري، وتخربُ البلادُ وتقحط، فبعث عمرو إلى أمير المؤمنين عمر يخبره بالخبر، فبعث إليه عمر: الإسلامُ يجبُّ ما قبله، ثم بعثَ إليه بطاقةً قال فيها:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، إلى نيل مصر من عبد الله عمر بن الخطاب، **أمّا بعد!** فإن كنتَ تجري بنفسِكَ فلا حاجةَ بنا إليك، وإن كنتَ تجري باللهِ فاجْرِ على اسم الله، وأمرَهُ أن يلقيَها في النيل، فجرى في تلك الليلة ستةَ عشرَ ذراعاً، وزاد على كلِّ سنة ستةَ أذرعٍ، وفي رواية: فلمّا ألقي كتابُه في النيل جرى، ولم يعدْ يقفُ[1].

[سماع الأعراب من الغمامة بعد صلاة الاستسقاء: أتاك الغوث أبا حفص]

• وعن **خوات بن جبير** قال: أصاب الناسُ قحطٌ شديدٌ على عهد عمر، فأمرهم بالخروج إلى الاستسقاء، فصلّى بهم ركعتين، وخالف بين طرفي ردائه، فجعل اليمينَ على اليسارِ، واليسارَ على اليمين، ثم بسط يديه وقال: اللَّهُمَّ إنّا نستغفرك ونستعينك، فما برح حتّى مطروا، فبينما هم كذلك إذ قدم الأعرابُ، فأتوا عمرَ، فقالوا: يا أمير المؤمنين! بينا نحن في بوادينا في يوم كذا في ساعة كذا إذ أظلّتنا غمامةٌ، فسمعنا فيها صوتاً وهو يقول: أتاكَ الغوثُ أبا حفص! أتاكَ الغوثُ أبا حفص[2].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٥).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٥).

[فراساته ومناماته]

• **وروي**: أنّه عسَّ ليلةً من الليالي، فأتى على امرأةٍ وهي تقول لابنتها: قومي وامْذُقِي اللبنَ بالماء، فقالت: لا تفعلي، فإنَّ أمير المؤمنين نهى عن ذلك، قالت: ومن أين يدري هو؟ فقالت: فإنْ لم يعلم هو، فإنّ ربَّ أمير المؤمنين يرى ذلك، فلمّا أصبحَ عمرُ قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا، فإنّ هناك صبية، فإن لم تكن مشغولة فتزوّجْ بها، لعلَّ الله أن يرزقك منها نسمةً مباركةً، فتزوّجَ عاصمٌ بتلك الابنة فولدت له أمَّ عاصم بنت عاصم، فتزوّجها عبد العزيز بن مروان فولدت له عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه(١).

• ولما دخل أبو مسلم الخولاني المدينة من اليمن، وكان الأسود بن قيس الذي ادعى النبوة باليمن عرضَ عليه أن يشهدَ أنَّه رسول الله، فأبى، فقال: أتشهدُ أنَّ محمداً رسول الله؟ قال: نعم! قال: فأمر بتأجيج نار عظيمة، وألقي فيها أبو مسلم، فلم تضرّه، فأمر بنفيه من بلاده، فقدم المدينةَ، فلمّا دخل من باب المسجد قال عمر: هذا صاحبكم الذي زعم الأسودُ الكذّابُ أنّه يحرقه فنجاه الله منها، ولم يكن القوم، ولا عمرُ سمعوا قضيته ولا رأوه، ثم قام إليه واعتنقه، وقال: ألستَ عبدَ الله بن ثوبٍ؟ قال: بلى! فبكى عمرُ ثم قال: الحمدُ للهِ الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ شبهاً بإبراهيم الخليل عليه السلام(٢).

• وروي: عن عمر أنّه أبصرَ أعرابياً نازلاً من جبل، فقال: هذا رجلٌ مصابٌ بولده، قد نظمَ فيه شعراً لو شاءَ لأسمعكم، ثم قال: يا أعرابيُّ! مِنْ أينَ أقبلت؟ فقال: مِنْ أعلى هذا الجبل، قال: وما

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٥). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٥).

صنعتَ فيه؟ قال: أودعته وديعةً لي، قال: وما وديعتُك؟ قال: بنيٌّ لي هلك، فدفنته فيه، قال: فأسمعنا مَرْثَيَتَكَ فيه. فقال: وما يدريكَ يا أمير المؤمنين؟ واللهِ ما تفوّهتُ بذلك، وإنّما حدّثتُ به نفسي، ثم أنشد:

يا غائباً ما يؤوبُ مِنْ سفرِهْ ... عاجَلَهُ مَوْتُه عَلىٰ صِغَرِهْ
يا قُرَّةَ العَيْنِ كنتَ لي أَنَساً ... في طولِ لَيْلِي نَعَمْ وفي قِصَرِهْ
ما تقعُ العينُ حينَ ما وَقَعَتْ ... في الحَيِّ مِنِّي إلّا على أَثَرِهْ
شربتَ كأساً أبوك شارِبُهُ ... لا بدَّ مِنْهُ لَهُ على كِبَرِهْ
يشربُها والأنامُ كلُّهم مَنْ كا ... نَ في بَدْوِهِ وَفِي حَضَرِهْ
فالحمدُ للَّهِ لا شريكَ لَهُ ... في حُكْمِهِ كانَ ذا وفي قَدَرِهْ
قَدَّرَ مَوْتاً على العِبَادِ فَمَا ... يَقْدِرُ خَلْقٌ يزيدُ في عُمُرِهْ

قال: فبكى عمر حتى بلَّ لحيته ثم قال: صدقتَ يا أعرابي[(١)].

• وعن **ابن عباس** قال: تنفّس عمرُ ذاتَ يوم تنفساً ظننت أن نفسه خرجتْ فقلتُ: واللهِ ما أخرجَ هذا مِنْكَ إلا همٌّ، قال: هم! والله هم شديد، إنّ هذا الأمرَ لم أجدْ له موضعاً ـ يعني: الخلافة ـ فذكرتُ له علياً وطلحة والزبير وعثمان وسعداً وعبد الرحمٰن بن عوف، فذكر في كل واحد منهم معارِضاً، وكان ممّا ذكر في عثمان أنه كَلِفٌ بأقاربه، قال: لو استعملتُهُ استعملَ بني أمية أجمعين، وحمل بني أبي مُعَيْطٍ على رقابِ الناسِ، واللهِ لو فعلتُ لفعلَ، واللهِ لو فعلَ ذلك لسارتْ إليه العربُ حتى تقتله، والله لو فعلتُ لفعلَ، واللهِ لو فعل لفعلوا[(٢)].

• وروي: أنَّ عمر ﷺ كتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يقول له: وَجِّهْ نضلةَ بنَ معاويةَ الأنصاري إلى حلوان العراق،

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٦). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٦).

ليغزوَ على ضواحيها، فبعث سعدٌ نضلةَ في ثلثمائة فارسٍ، فخرجوا حتّى أَتَوْا حَلوان العراق، فأغاروا على ضواحيها، وأصابوا غنيمةً وسبياً، فأقبلوا يسوقونها حتى أرهقهم العصرُ، وكادتِ الشمسُ تغربُ، فألجأ نضلةَ السبيُّ والغنيمةُ إلى سفح الجبل، ثم قام، فأذّن، فقال: الله أكبر الله أكبر، فإذا مجيبٌ من الجبل يجيبه: كبرت كبيراً يا نضلةُ، ثم قال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، قال: كلمة الإخلاص يا نضلة، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: هو الذي بشرنا به عيسى ابن مريم، وعلى رأس أمته تقومُ الساعة، فقال: حيَّ على الصلاة، فقال: طوبى لِمَنْ مشى إليها وواظب عليها، قال: حيَّ على الفلاح، قال: أفلحَ مَنْ أجابَ، قال: الله أكبر الله أكبر لا إلٰه إلا الله، قال: أخلصت كلمةَ الإخلاصِ كلّه يا نضلةُ، حرم الله بها جسدك على النار، فلمّا فرغ من أذانه، قاموا فقالوا: مَنْ أنتَ يرحمُكَ الله؟ مَلَكٌ أنتَ أم مِنَ الجنِّ أو طائفٌ من عبادِ اللهِ؟ قد أسمعتنا صوتَكَ فأرنا صورتك، فإنَّ الوفدَ وفدَ رسولِ اللهِ ﷺ، ووفدَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: فانفلقَ الجبلُ عن هامته كالرحا، أبيض الرأس واللحية، عليه طِمْرانِ من صوفٍ، قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، مَنْ أنتَ يرحمك الله؟ قال: زريت بن برثملا، وصي العبد الصالح عيسى ابن مريم، أسكنني هذا الجبل، ودعا لي بطول البقاء إلى حين نزوله من السماء، فاقرئوا عمرَ منّي السلام، وقولوا: يا عمر! سدِّدْ وقارب، فقد دنا الأمرُ، وأخبروه بهذه الخصال التي أخبركم بها: يا عمر! إذا ظهرت هذه الخصالُ في أُمّةِ محمد فالهربَ الهربَ: إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم، وانتموا إلى غير مواليهم، ولم يرحم كبيرُهم صغيرَهم، ولم يوقّر صغيرُهم كبيرَهم، وتُرِكَ المعروف، فلم يؤمَرْ به، وتُرِكَ المنكر فلم يُنْهَ عنه، ويتعلّم عالِمُهم العلمَ

ليجلب به الدنانيرَ والدراهمَ، وكان المطرُ قيظاً، والولدُ غيضاً، وطوّلوا المنارات، وفضّضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرُّشا، وشيّدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدّين بالدنيا، وقطعت الأرحام، وبَيْعَ الحكمُ، وأُكِلَ الربا، وصار الغنى عزاً، وخرجَ الرجلُ من بيته فقام إليه مَنْ هو خيرٌ منه، فسلّموا عليه، وركبَ النساءُ السروجَ.

ثم غاب عنهم فلم يروه، فكتبَ نضلةُ بذلك إلى سعد، وكتب سعد بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر: سِرْ أنتَ ومَنْ معك من المهاجرين والأنصار حتى تنزلوا بهذا الجبل، فإن لقيته فأقرئه منّي السلام، فخرجَ سعدٌ في أربعة آلاف من المهاجرين والأنصار حتى نزلوا ذلك الجبل، ومكث أربعينَ يوماً ينادي بالصلاة، فلا يجدون جواباً ولا يسمعون خطاباً[(١)].

● وروي: أنّ عمرَ بعث جنداً إلى مدائن كسرى، وأمّر عليهم سعد بن أبي وقاص، وجعل قائدَ الجيش خالد بن الوليد، فلمّا بلغوا شطّ دجلة، ولم يجدوا سفينةً، تقدّمَ سعدٌ وخالدٌ فقالا: يا بحرُ! إنك تجري بأمر الله، فبحرمةِ محمّدٍ ﷺ وبعدلِ عمر خليفة رسول الله إلا خلّيتنا والعبور، فعبر الجيشُ بخيله وجماله إلى المدائن، ولم تبتلَّ حوافرها[(٢)].

● وروي: أنّه قال يوماً وقد انتبه من نومه وهو يمسحُ عينيه: مَنْ ترى الذي يكون من ولد عمر، يسير بسيرة عمر، يردّدها مراراً، وأشار بذلك إلى عمر بن عبد العزيز، وهو ابن بنت ابنه عاصم[(٣)].

● وروي: أنّه قال لرجلٍ من العرب: ما اسمُكَ؟ قال: جمرة، قال: ابن من؟ قال: ابن شهاب، قال: ممّن؟ قال من الحُرقة، قال: أين

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٥٦ ـ ١٥٧).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٥٧). (٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٥٧).

مسكنك، قال: الحَرّة، قال فبأيها؟ قال: اللظى، قال عمرُ: أدركْ أهلَكَ فقد احترقوا، فسارع الرجلُ فوجدهم كما قال عمر[١].

• وعن **علي** رضي الله عنه: أنّه رأى في منامه كأنّه صلّى الصبحَ خلف النبي ﷺ، واستند رسولُ اللهِ ﷺ إلى المحراب، فجاءت جاريةٌ بطبق رطب، فوضع بين يدي رسول الله ﷺ، فأخذ منها رطبةً، وقال: يا علي تأخذ هذه الرطبة؟ فقلتُ: نعم، يا رسول الله! فمدَّ يده، وجعلها كذا في فمي، ثم أخذ أُخرى، وقال لي مثل ذلك، فقلت: نعم، فجعلها في فمي، فانتبهتُ وفي قلبي شوقٌ إلى رسول الله ﷺ وحلاوة الرطب في فمي، فتوضأتُ، وذهبتُ إلى المسجد، فصليتُ خلفَ عمر، واستند إلى المحراب، فأردتُ أنْ أتكلّم بالرؤيا، فمن قبل أن أتكلّم جاءت امرأةٌ، ووقفت على باب المسجد، ومعها طبقُ رُطَبٍ، فوُضِعَ بين يدي عمر، فأخذ رطبة وقال: تأكلُ هذه يا علي؟ قلت: نعم، فجعلها في فمي، ثم أخذَ أُخرى، وقال لي مثل ذلك فقلتُ: نعم، ثم أخذَ أُخرى كذلك، ثم فرق على أصحاب رسول الله ﷺ يمنةً ويسرةً، وكنت أشتهي منه زيادة، فقال: يا أخي لو زادكَ رسولُ اللهِ ﷺ ليلتك لزدناك، فعجبتُ، وقلتُ: قد أطلعه الله على ما رأيتُ البارحة، فنظر إليَّ وقال: يا علي! المؤمنُ ينظرُ بنورِ اللهِ، قلت: صدقتَ يا أميرَ المؤمنين، هكذا رأيتُه، وكذا وجدتُ طعمه ولذته من يدك كما وجدتُ طعمه ولذّته من يد رسول الله ﷺ[٢].

• وعن **علي** قال: كنا نقول: إنَّ ملكاً ينطِقُ على لسان عمر[٣].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٧).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٤).

• وعن **ابن عمر** أنه كان إذا ذُكِرَ عمرُ قال: لله تِلادُ عمر، لقلَّ ما رأيتُه يحرّك شفتيه بشيءٍ قط إلا كان[١].

• **وعنه** قال: ما سمعتُ عمرَ يقول لشيء إنِّي لأظنَّه كذا إلا كان كما يظن، بينما عمر جالسٌ إذا مرَّ به رجلٌ جميلٌ فقال: لقد أخطأ ظني، أو أن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ بالرجل، فدُعِيَ له، فقال له عمر: لقد أخطأ ظني، أو أنّكَ على دينك في الجاهلية، أو لقد كنتَ كاهنهم، فقال: ما رأيتُ كاليوم يُستقبَلُ به رجلٌ مسلمٌ، فقال: أعزمُ عليك إلّا ما أخبرتني، قال: كنتُ كاهنهم في الجاهلية، قال: فما أعجبُ ما جاءتك به جنّيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق جاءتني أعرفُ فيها الفزع فقالت: ألم تر الجنَّ وإبلاسَها، وبأسَها من بعد إيناسها، ولحوقُها بالقلاص أحلاسها، قال عمر: صدق، فبينما أنا نائم عند آلهتهم إذ أتى رجلٌ بعجل فذبحه، فصرخ به صارخٌ، لم أسمع صارخاً قط أشدَّ صوتاً منه يقول: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إلـه إلا الله، فوثب القومُ، قلت: لا أبرحُ حتّى أعلمُ ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إلـه إلا الله، فقمت فما نشبنا أن قيل: هذا نبيٌّ[٢].

• وعن **عبد الله بن مَسْلمة** قال: دخلنا على عمرَ معشر وفد مُذْحِجٍ، وكنتُ من أقربهم منه مجلساً، فجعلَ عمرُ ينظر إلى الأشتر، ويصوِّبُ فيه نظرَه، ثم قال لي: أمنكم هذا؟ فقلت: نعم، قال: قاتله الله، وكفى الله أمّةَ محمّد ﷺ شرّه، واللهِ إنِّي لأحسبُ منه للمسلمين يوماً عصيباً، قال: فكان ذلك منه بعد عشرين سنة.

• وفي رواية عند غيره: أنّ عمر كان في المسجد، ومعه ناسٌ،

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٤). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٤).

إذ مرَّ رجلٌ فقيل له: أتعرفُ هذا؟ فقال: قد بلغني أنَّ رجلاً أتاه الله ﷻ بظهر الغيب بظهور[(١)] النبيِّ ﷺ اسمه سواد بن قارب، وإنِّي لم أره، وإن كان حياً فهو هذا، وله في قومه شرفٌ وموضعٌ، فدعا الرجل فقال له عمر: أنت سوادُ بن قارب الذي أتاه الله بظهر الغيب بظهور[(٢)] رسول الله ﷺ، ولك في قومك شرفٌ ومنزلةٌ؟ فقال: نعم، يا أمير المؤمنين! قال: فأنت على ما كنتَ عليه من كهانتك، فغضبَ الرجلُ غضباً شديداً، وقال: يا أمير المؤمنين! والله ما استقبلني بهذا أحدٌ منذ أسلمتُ، قال عمر: سبحان الله! ما كُنّا عليه من الشرك أعظمُ ممّا كنتُ عليه من كهانتك.

أخبرني عما كان يأتيك به رئيّك بظهور النبي ﷺ فقال: نعم يا أمير المؤمنين! بينما أنا ذاتَ ليلةٍ بين النائم واليقظان، إذ أتاني جنّيٌّ فضربني برجلِهِ، وقال: قم يا سواد بن قارب! وافهم إن كنتَ تفهم، واعقل إن كنتَ تعقلُ، قد بُعِثَ رسولٌ من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله وإلى عبادته ثم أنشأ يقول:

عَجِبْتُ للجِنِّ وتَحْسَاسِهَا ... وشَدِّها العِيْسَ بِأَحْلاسِهَا
تَهْوِي إلى مَكَّةَ تَبْغِي الهُدَىٰ ... ما خَيِّرُ الجِنِّ كأَنْجَاسِهَا
فَٱرْحَلْ إلى الصَّفْوَةِ من هَاشِمٍ ... واسمُ بِعَيْنَيْكَ إلى راسِهَا

ثم أتاني في ليلة ثانية وثالثة يقول لي مثل قوله الأول، وينشدني أبياتاً، فوقعَ في نفسي حُبُّ الإسلام، ورغبتُ فيه، فلما أصبحتُ شددتُ

---

(١) كذا في «الرياض النضرة»، وفي «المعجم الكبير»، للطبراني (٦/ ٢٠٥): «أتاه رئيّه بظهور. . .» إلخ، وهو الظاهر، والله أعلم.

(٢) كذا في «الرياض النضرة»، وفي «المعجم الكبير» (٦/ ٦٠٥)، و«معجم أبي يعلى» رقم: (٣٢٣): «أنت الذي أتاك رئيك بظهور. . .» إلخ، وهو الظاهر، والله أعلم.

على راحلتي فركبتُها، وانطلقتُ متوجّهاً إلى مكة، فأُخْبِرتُ أنَّ النبيَّ ﷺ قد هاجر إلى المدينة، فقدمتُ المدينة، فسألتُ عن النبي ﷺ، فقيل لي: في المسجد، فأتيتُ المسجدَ، فعقلتُ ناقتي، فقال: «ٱدْنُ!» فلم يزل يدنيني حتى قمتُ بين يديه، فقال: «هاتِ»، فقصصتُ عليه القصة وأسلمتُ، ففرحَ رسولُ اللهِ ﷺ بمقالتي وأصحابه، حتى رئي الفرحُ في وجوههم، قال: فوثب إليه عمرُ والتزمه، وقال: لقد كنتُ أحبُّ أَنْ أسمعَ هذا الحديثَ منك، فأخبرني عن رئيِّك هل يأتيكَ اليوم؟ قال: أما منذُ قرأتُ القرآنَ فلم يأتني، ونِعْمَ العِوَضُ كتابُ اللهِ[1].

• **أبو عمر**: قَصَّ حابسٌ بنُ سعد الطائي رؤياه على عمر، فرأى في المنام كأنَّ الشمسَ والقمرَ يقتتلانِ ومع كلّ واحدٍ منهما كواكب، فقال له عمر رضي الله عنه: مع أيهما كنتَ؟ قال: مع القمر، قال: لا تلي لي عملاً أبداً إذ كنتَ مع الآيةِ الممحوّةِ، فقتل وهو مع معاوية بصفّين[2].

• **أبو عمر**: عن **سعيد بن المسيب**: أنّ زيدَ بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفّي زمن عثمان بن عفان، فسجِّي بثوب، ثم إنّهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلّم، فقال: أحمد أحمد في الكتاب الأوّل، صدق صدق أبو بكر الصدِّيق الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله كان ذلك في الكتاب الأول، صدق صدق عمرُ بنُ الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدق صدق عثمانُ بنُ عفّان على منهاجهم، مضت أربع سُنين وبقيت اثنتان، أتت الفتنُ، وأكل الشديدُ الضعيفَ، وقامت الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيس وما بئر أريس.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٨٣).

ثم هلكَ رجلٌ من بني خطمة فسجّي بثوبٍ فسمعوا جلجلة في صدره ثم تكلّم فقال: إن أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ[١].

• **أبو عمر**: ذكر لعمر بن الخطاب امرأةً توفّيت بالبيداء، فجعل الناسُ يمرّون عليها ولا يدفنونها حتّى مرَّ عليها كليبٌ فدفنها، فقال عمر رضي الله عنه: إنّي لأرجو لكليبٍ بها خيراً[٢]، زاد البيهقيُّ: فأصيبَ حين أصيبَ عمرُ.

• **أبو عمر**: النعمان بن مقرن قدم المدينة من عند سعد رضي الله عنه بفتح القادسية وورد حينئذٍ على عمر اجتماع أهل أصبهان وهمذان والري وأذربيجان ونهاوند، فأقلقه ذلك، وشاور أصحاب النبي ﷺ فقال له علي بن أبي طالب: ابعث إلى أهل الكوفة فيسيرُ ثلثاهم ويبقى ثلثهم على ذراريهم، وابعث إلى أهل البصرة. قال: فمن أستعمل عليهم، أَشِرْ عليَّ، فقال: أنتَ أفضلُنا رأياً وأعلمنا، فقال: لأستعملنَّ عليهم رجلاً يكون لها، فخرجَ إلى المسجدِ، فوجدَ النعمان بن مقرن يصلِّي فيه فسرَّحه وأمره، وكتب إلى أهل الكوفة بذلك[٣].

• **وقد روي أنه** قال: إنْ قُتِلَ نعمانُ فحذيفةُ، وإن قُتِلَ حذيفةُ فجريرٌ، ففتح الله عليه أصبهان، فلمّا أتى نهاوند، كان أول صريع، وأخذ الراية حذيفةُ، ففتح الله عليهم، فلما جاء نعيه عمرَ بنَ الخطاب خرجَ فنعاه إلى الناس على المنبر، ووضع يده على رأسه يبكي[٤].

• **أبو عمر**: كان ربيعةُ بنُ خلف قد رأى رؤيا، فقصَّها على عمر بن الخطاب فقال: رأيتُ كأنّي في وادٍ مُعْشِبٍ، ثم خرجتُ منه إلى وادٍ مُجْدِبٍ، ثم انتبهتُ وأنا في الوادي المجدب، فقال عمر: تؤمِنُ ثم تكفر

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٣).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤١٣).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٧٥).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٧٥).

ثم تموتُ وأنتَ كافِرٌ، فقال: ما رأيتُ شيئاً، فقال عمر: قضي لك كما قضي لصاحبي يوسف، قالا: ما رأينا شيئاً، فقال يوسف: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف: ٤١]، ثم إنّه شربَ خمراً، فضربه عمرُ بنُ الخطّاب الحد، ونفاه إلى خيبر، فلحقَ بأرض الروم فتنصَّر[١].

• **أبو عمر**: عن **عوف بن مالك الأشجعي** أنّه رأى في المنام كأنّ الناسَ جُمِعُوا، فإذا فيهم رجلٌ فرعهم، فهو فوقهم بثلاثة أذرع، فقلت: مَنْ هذا؟ فقالوا: عمر، قلت: لم؟ قالوا: لأنّ فيه ثلاث خصال: إنّه لا يخافُ في الله لومة لائم، وإنّه خليفةٌ مستخلَفٌ، وشهيدٌ مستشهدٌ، قال: فأتى إلى أبي بكر فقصَّها عليه، فأرسل إلى عمر فدعاه ليبشره، قال: فجاء عمر، فقال لي أبو بكر: اقصص رؤياك، قال: فلما بلغت «خليفة مستخلف» زبرني عمر، وانتهرني، وقال: اسكت، تقول هذا وأبو بكر حي، قال: فلما كان بعدُ، وولي عمر، مررتُ بالمسجد، وهو على المنبر، قال: فدعاني، وقال: اقصص رؤياك فقصصتها، فلما قلت: إنه لا يخافُ في الله لومة لائم، قال: إنِّي لأرجو أن يجعلني الله منهم، قال: فلما قلت: خليفة مستخلف، قال: قد استخلفني الله، فسله أن يعينني على ما ولَّاني، فلمّا ذكرتُ: شهيد مستشهد قال: أنّى لي بالشهادة وأنا بين أظهركم، تغزون ولا أغزو، ثم قال: بلى يأتي الله بها أنّى شاء[٢].

• **أبو عمر**: عن **عرفجة الأشجعي** قال: صلى بنا رسولُ اللهِ ﷺ صلاةَ الفجرِ، ثم جلس، فقال: «**وُزِنَ أصحابنا الليلةَ، وُزِنَ أبو بكر فوزن، ثم وُزِنَ عمرُ فوزن، ثم وُزِنَ عثمان فخفَّ، وهو رجلٌ صالحٌ**»[٣].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد عن **سعيد بن المسيب** أنه سمعه

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢١٧).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٨).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٧).

يقول: لما صدر عمر بن الخطاب من منًى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه، واستلقى، ثم مدَّ يديه إلى السماء، فقال: اللَّهُمَّ كبرتْ سنِّي، وضعفتْ قوَّتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غيرَ مضيِّعٍ ولا مفرِّطٍ، ثم قدم المدينةَ، فخطبَ الناس، فقال: أيها الناسُ قد سُنّت لكم السننُ، وفُرِضَتْ لكم الفرائضُ، وتُرِكْتُم على الواضحةِ، إلا أن تضلّوا بالناس يميناً وشمالاً، وضَرَبَ بإحدى يديه على الأُخرى.

ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائلٌ: لا نجد حدّين في كتاب الله، فقد رجمَ رسولُ اللهِ ﷺ ورجمنا، والذي نفسِي بيده، لولا أن يقولَ الناسُ: زاد عمرُ بنُ الخطّاب في كتاب الله تعالى لكتبتُها: «الشيخُ والشيخةُ إذا زنيا فارجموهما البتةَ»، فإنّا قد قرأناها، قال مالك: قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتّى قُتِلَ عمرُ رحمه الله تعالى[1].

• **مسلم: عن معدان بن أبي طلحة** أنَّ عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبيَّ الله ﷺ وذكر أبا بكر، قال: إنِّي رأيت كأنَّ ديكاً نقرني ثلاثَ نقراتٍ، وإنِّي لا أراه إلا حضورُ أجلي، وإن أقواماً يأمرونني أن أستخلفَ، وإنَّ الله لم يكنْ ليضيِّعَ دينه ولا خلافته، ولا الذي بعث به نبيَّه ﷺ، فإنْ عجل بي أمر، فالخلافةُ شورى بين هؤلاء الستة، الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وإنِّي قد علمتُ أنَّ أقواماً يطعنون في هذا الأمر، أنا ضربتُهم بيدي هذه على الإسلام، فإن فعلوا ذلك فأولئك أعداء الله الكفرة الضُّلال[2]، الحديث.

• **أبو عمر**: قال: أصاب الناسُ قحطٌ في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا،

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٤٤). (٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٥٦٧).

قال: فأتاه النبيُّ ﷺ في المنام، وقال: إيتِ عمر، فمُرْه أن يستسقيَ للناس، فإنّهم سيسقون، وقل له: عليك الكيسَ بالكيسَ، فأتى الرجلُ عمرَ فأخبره، فبكى عمرُ، وقال: يا ربِّ، ما آلو إلا ما عجزتُ عنه، يا ربِّ ما آلو إلا ما عجزتُ عنه[١].

• **أبو عمر**: مسعود بن أسود البلوي استأذن عمرَ في غزو إفريقية فقال عمر: إفريقية غادرةٌ، ومغدورٌ بها[٢].

• **أبو عمر**: في قصة ضرب عمر قدامة بن مظعون حدَّ الشرب، فغاضبَ عمر قدامة، وهجره، فحجَّ عمرُ ﵁ وقدامة معه مغاضباً له، فلمّا قفلا من حجّهما، ونزل عمر بالسُّقيا، نام، فلمّا استيقظ من نومه قال: عجِّلوا عليَّ بقدامة، فواللهِ لقد أتاني آتٍ في منامي فقال: سالِمْ قدامةَ، فإنّه أخوك، فعجّلوا عليَّ به، فلمّا أتوه أبى أن يأتيَ، فأمر به عمر ﵁ إنْ أبى أن يجرّوه إليه، فكلّمه عمر، واستغفر له، فكان ذلك أوّل صُلحهما[٣].

• **أبو عمر**[٤]: سماك بن مخرمة الأسدي، وسماك بن عبيد العبسي وسماك بن خرشة الأنصاري، قدم هؤلاء الثلاثة على عمر بن الخطاب ﵁ في وفودِ أهل الكوفة بالأخماس، فاستنسبهم فانتسبوا له: سماك وسماك وسماك فقال: بارك الله فيكم، اللَّهُمَّ اسمكْ بهم الإسلام، وأيّد بهم، فهؤلاء الثلاثة أوّل من وليَ مسالحَ من أرض همذان وأرض الديلم.

• **أبو عمر**: سهيل بن عمرو، أسر يوم بدر كافراً، وكان خطيبَ قريش، فقال عمر: يا رسول الله! انزع ثنيته فلا يقومُ عليك خطيباً أبداً، فقال ﷺ: **«دَعْهُ فَعَسَىٰ أنْ يقومَ مقاماً تَحْمِده»**.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٣٥).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٩٥).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٩٧).

فلمّا ماجَ أهل مكة عند وفاة النبي ﷺ، وارتدّ من ارتدّ من العرب، قام سهيل بن عمرو خطيباً فقال: والله إنِّي أعلمُ أنَّ هذا الدِّين سيمتدّ امتدادَ الشمس في طلوعها إلى غروبها، فلا يغرنّكم هذا من أنفسِكُم؛ يعني: أبا سفيان، فإنّه ليعلمُ من هذا الأمر ما أعلمُ، ولكنّه قد جثم[1] على صدره حَسَدُ بني هاشم، وأتى في خطبته بمثل ما جاء به أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمدينة، فكان ذلك معنى قول رسول الله ﷺ فيه لعمر[2].

• **أبو عمر**: جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: هاهنا يا سهيل، هاهنا يا حارث، فينحّيهما عنه، فجعل الأنصار يأتون، فينحيهما عنه كذلك، حتى صارا في آخر الناس، فلمّا خرجا من عند عمر قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو: ألم ترَ ما صنعَ بنا؟ فقال له سهيل: إنّه الرجلُ لا لومَ عليه، ينبغي أن نرجعَ باللومِ على أنفسنا، دُعِيَ القومُ فأسرعوا، ودُعِينا فأبطأنا، فلمّا قاموا من عند عمر أتياه فقالا له: يا أميرَ المؤمنين قد رأينا ما فعلتَ بنا اليوم، وعلمنا أنّا أُتينا من قبل أنفسنا، فهل من شيء نستدرِكُ به ما فاتنا من الفضل؟ فقال: لا أعلمُ إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام فماتا بها[3]، فلم يبق من ولد سهيل إلّا ابنة له تركها بالمدينة فاختة بنت عتبة بن سهيل، فقدم بها على عمر، فزوّجها من عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وقال: زوجوا الشريد الشريدة ففعلوا، فنشر الله منها عدداً كثيراً[4].

• في «الصواعق»: **أخرج ابن عساكر**، عن **طارق بن شهاب** قال:

---

(١) وفي «الاستيعاب»: «قد ختم».
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/٢٠٢).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/٢٠٣).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/٢٠٣).

إنْ كانَ الرجلُ ليحدِّثُ عمرَ بالحديثِ فيكذب الكذبة، فيقول: احبس هذه، ثم يحدّثه بالحديث، فيقول له: احبس هذه، فيقول له: كلّما حدَّثتك حق إلا ما أمرتني أنْ أحبسه[١].

• **وأخرج أيضاً**، عن **الحسن** قال: إنْ كانَ أحدٌ يعرِفُ الكذبَ إذا حُدِّث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب[٢].

• وأخرج **البيهقي** في «الدلائل» عن **أبي عذبة الحمصي** قال: أخبر عمر فأخبره أنّ أهل العراق قد حصبوا أميرهم، فخرج غضبان، فصلّى لنا الصلاةَ، فسها فيها [حتّى جعلَ الناسُ يقولون: سبحان الله، سبحان الله]، فلمّا سلّم قال: اللَّهُمَّ إنّهم قد لبّسوا عليّ، فألبسْ عليهم وعجّلْ عليهم بالغلام الثقفي، يحكم فيهم بحكم الجاهلية، لا يقبل مِنْ محسنهم، ولا يتجاوزُ عن مسيئهم، قال ابن لهيعة: وما ولد الحجاجُ يومئذٍ[٣].

• [**وأخرج** عن **عبد الله بن مسعود** قال: ركبَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فرساً فركضه] فانكشفت فخذه، فرأى أهل نجران على فخذه شامةً سوداءَ فقالوا: هذا الذي نجدُ في كتابنا أنّه يخرِجُنا من أرضنا[٤].

• وقال له كعب الأحبار: إنّا لنجدُكَ في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنعُ الناسَ أن يقعوا فيها، فإذا مِتَّ لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٨٢). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٨١).
(٣) انظر: «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٠٤).
(٤) انظر: «المعجم الكبير» (١/ ٦٥) رقم: (١٥١)، و«طبقات الكبرى» (٣/ ٣٢٦)، و«تاريخ الخلفاء» (ص٥٧).
(٥) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٣٣٢).

• في «كتاب طبقات الشافعية» للشيخ عبد الوهاب السبكي نقلاً عن إمام الحرمين رحمه الله في كتابه الشامل: إنّ الأرض زلزلتْ في زمن عمر رضي الله عنه فحمد الله، وأثنى عليه، والأرض ترجفُ وترتجُّ، ثم ضربها بالدِّرة وقال: أقرّي، ألم أعدِلْ عليك؟! فاستقرّت من وقتها[١].

• وفيه أيضاً: أنَّ ناراً كانت تخرجُ من كهفٍ في جبلٍ، فتحرِقُ ما أصابت، فخرجت في زمن عمر، فأمر أبا موسى الأشعري أو تميماً الداري أن يدخلها الكهف، فجعل يحبسها[٢] بردائه، حتّى أدخلها الكهف، فلم تخرج بعدُ[٣].

• وفيه أيضاً: أنّه عرضَ جيشاً يبعثه إلى الشام، فعرضت له طائفةٌ فأعرضَ عنهم، ثم عرضت عليه ثانياً، فأعرضَ عنهم، ثم عرضت ثالثاً فأعرضَ عنهم، فتبيَّن بالآخرةِ أنّه كان فيهم قاتِلُ عثمان أو قاتِلُ علي[٤].

• وذكر في «كشف المحجوب» أنّ رجلاً من العجم قدم المدينة وأراد عمر، فقال له الناس: لعلَّه نائمٌ في وادٍ، فأتاه، فوجده نائماً على الأرضِ، ودرّته تحت رأسه، فقال: إنَّ كلَّ البلاء في الأرض لأجل هذا الرجل، فقتلُه أولى وأيسر، وسلَّ السيفَ من غمده، فظهر أسدان، وتقدّما إليه، فجعل الرجلُ يصيحُ، فاستيقظَ عمر، فأخبره الخبر وأسلمَ.

• ذكر في «شواهد النبوة»: خرج جيشٌ في زمن عمر رضي الله عنه نحو الجبل، فانتهوا إلى نهر ليس عليه جسرٌ، فقال أميرُ ذلك الجيش لرجل

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٤٢).
(٢) في «الطبقات»: «فجعل يذُبّها».
(٣) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٤٤).
(٤) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ٢٤٥).

من أصحابه: انزل فابغنا مخاضةً نجوزُ فيها، وذلك في يومٍ باردٍ شديدِ البردِ، فقال الرجلُ: إنّي أخافُ إن دخلتُ الماءَ أن أموتَ، فأكرهه، فقال: يا عمراه يا عمراه، ثم لم يلبث أنْ هلكَ، فبلغ ذلكَ عمرُ ﷺ وهو في سوق المدينة فقال: يا لبيكاه، وبعث إلى أمير ذلك الجيش فنـزعه، وقال له: لولا أخافُ أن تكونَ سُنَّةً بعدي لضربتُ عنقك، فأعط أهلَه ديته، اخرج فلا أراك[1]، ثم قال عمر ﷺ: إنّ قتلَ مسلمٍ واحدٍ أكبرُ جريمة من إهلاك الأعداء.

• وذكر في «شواهد النبوة» أيضاً: سمع الناس أبياتاً يوم أصيب عمر ﷺ ولم يُر قائلها:

لِيَبْكِ على الإسلام مَنْ كانَ باكياً ... فَقَدْ أَوْشَكُوا هلكى وما قَدِمَ العَهْدُ
وأدبـرتِ الـدُّنـيـا وأدْبَـرَ خَـيْـرُهَـا ... وَقَدْ ملَّها مَنْ كانَ يؤمنُ بالوَعْدِ[2]

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «تاريخ المدينة» (٣/ ٨١٣)، و«حياة الصحابة» (٢/ ٢٣٣)، و«كنز العمال» (١٥/ ٨١).

(٢) انظر: «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٣/ ٨٥١)، و«تاريخ دمشق» (٢٨/ ٢٥٤)، و«المعجم الكبير» (١/ ٢٦).

المبحث الخامس

فيما أنطق الله به أمير المؤمنين عمر من دقائق مقامات السلوك، وشرح الصوفية كلامَه ذلك في كتبهم

الإخلاص في العمل

• روى الحفّاظ من حديث يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن **علقمة بن وقاص الليثي** قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّما الأعمالُ بالنيَّاتِ، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، فهجرتُهُ إلى اللهِ ورسولِهِ، ومَنْ كانتْ هجرتُهُ إلى دُنيا يصيبُها، أو إلى امرأةٍ يتزوَّجُها، فهجرتُه إلى ما هاجرَ إليه**»[1].

قال بعض العلماء: هذا الحديث ربع العلم.

• **مالك**: عن **يحيى بن سعيد**، أنّ عمر بن الخطاب قال: كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خُلقه، والجرأةُ والجبنُ غرائزُ، يضعها الله حيثُ شاء، فالجبان يفرّ عن أبيه وأمه، والجريءُ يقاتل عمّا لا يؤوب به إلى رحله، والقتلُ حَتْفٌ من الحتوفِ، والشهيدُ مَنِ احتسبَ نفسَه على الله[2].

• **أحمد بن حنبل**: عن **أبي العجفاء السُّلمي** قال: سمعتُ عمرَ يقول: ألا لا تغالوا صداقَ النّساء، فذكر الحديث بطوله إلى أن قال:

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٤)، و«سنن البيهقي الكبرى» (١/ ٢٩٨) برقم: (١٣٢١).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٨١).

وأخرى تقولونها لمن قُتِلَ في مغازيكم أو ماتَ: قتل فلانٌ شهيداً، ومات فلان شهيداً، ولعلَّه أن يكون قد أوْقَر عَجُزَ دابته، أو دَفَّ راحلتِه ذهباً، أو وَرِقاً يلتمس التجارة، لا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ أو ماتَ في سبيلِ اللهِ فهو في الجَنَّةِ**»[1].

• **أحمد بن حنبل**: عن **أبي فراس** قال: خطبَ عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أيُّها الناس ألا إنّا إنّما كنا نعرفكم إذ بين ظهرانينا النبيُّ ﷺ، وإذ ينزلُ الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخبارِكم، ألا وإنّ النبيَّ ﷺ قد انطلق وقد انقطعَ الوحي، وإنّما نعرفكم بما نقول لكم، مَنْ أظهر منكم خيراً ظننا به خيراً، وأحببناه عليه، ومن أظهر منكم لنا شرّاً ظننا به شراً، وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا إنّه قد أتى عليَّ حينٌ وأنا أحسبُ أنَّ من قرأ القرآن يريدُ الله وما عنده، فقد خيِّل إليّ بأخَرَةٍ إلا أن رجالاً قد قرؤوه يريدون به ما عند الناس، فأَرِيدوا اللهَ بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم[2].

• **أبو طالب**[3]: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أفضلُ الأعمالِ أداءُ ما افترضَ الله تعالى، والورعُ عمّا حرم الله تعالى، وصدق النيَّة فيما عند الله عز وجل.

• **أبو طالب**: عن **سعيد بن أبي بردة** عن كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: أنه من خلصت نيّته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس، ومن تزيّن للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك، نساه الله تعالى[4]، فما ظنك؟[5].

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٨٥). (٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٢٨٦).
(٣) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٠١).
(٤) في «قوت القلوب»: «شانه الله تعالى». (٥) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٠٢).

• **أبو طالب**: عن عمر أنّه قال: لقد خشينا أن يَدْخُلْنا خوفُ الرياءِ في تسعة أعشار الرياء.

فسّره أبو طالب قال: يعني بذلك: أنّه تركَ كثيراً من الأعمال خشية دخول الرياء، وذلك دخول في الرياء بترك الأعمال من أجل الرياء.

المراقبة

• **مسلم**: في حديث جبريل عن عمر أنّ السائل قال: ما الإحسان؟ فقال النبي ﷺ: «**الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنّكَ تراه، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فإنّه يَرَاكَ**»[1].

الاستقامة

• **أبو طالب**: كان عمرُ رضي الله عنه إذا تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣]، يقول: قد قالها الناسُ ثم رجعوا، فمن استقامَ على أمرِ اللهِ في السرِّ والعلانية والعُسْرِ واليُسْرِ، ولم يخف في اللهِ لومةَ لائم، وقال مرّةً: استقاموا ـ واللهِ ـ لربِّهم، ولم يروغوا روغان الثعالب[2].

الصبر

• **الغزالي**: وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: عليك بالصبر، واعلم أنَّ الصبرَ صبران، أحدُهما أفضلُ مِنَ الآخر، الصبرُ في المصائبِ حَسَنٌ، وأفضلُ منه الصبرُ عمّا حَرّمَ اللهُ تعالى، واعلمْ أنَّ الصبرَ مِلاكُ الإيمانِ، وذلك بأنَّ التقوى أفضلُ البِرِّ،

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٨). (٢) انظر: «قوت القلوب» (١/ ١٢٦).

والتقوى بالصبر[١].

• **الغزالي**: كان عمرُ ﷺ يقول: نِعْمَ العدلان، ونعمتِ العلاوةُ للصابرين؛ يعني بالعدلين: الصلاة والرحمة، وبالعلاوة: الهدى، وأشار به إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧][٢].

الشكر

• **أبو عمر**: روي عن عمر ﷺ أنّه قال في انصرافه من حجّته التي لم يحجَّ بعدها: الحمد لله، ولا إلـٰه إلا الله، يعطي مَنْ يشاءَ ما يشاء، لقد كنتُ بهذا الوادي؛ يعني: ضجنان أرعى إبلاً للخطاب، وكان فظاً غليظاً يُتْعِبُني إذا عملتُ، ويضرِبُني إذا قصّرتُ، وقد أصبحتُ وأمسيتُ، وليس بيني وبين الله أحدٌ أخشاه، ثم تمثل:

لا شيءَ ممّا ترى تَبْقَىٰ بَشَاشَتُه ... يَبْقَىٰ الإلـٰهُ ويودى المالُ والولَدُ
لـم تغنِ عن هِرْمِزٍ يوماً خَزَائِنُهُ ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرِّياحُ له ... والجِنَّ والإنسُ فيما بينها تَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانت لعزَّتِهَا ... مِنْ كلِّ أوبٍ إليها وافدٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ مِنْ وِرْدِهِ يوماً كَمَا وَرَدُوْا[٣]

❁ [ذكره أربع نعم على كل حادث ابتلي به]:

• **الغزالي**: قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما ابتليتُ ببلاءٍ إلّا كان لله تعالى عليَّ فيه أربع نعم: إذ لم يكنْ في ديني، وإذ لم يكنْ أعظمَ منه، وإذ لم أكنْ أُحْرَمُ الرضا به، وإذ أرجو الثوابَ عليه[٤].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٤). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٥/ ٣٨٦).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٨). (٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٣٣).

الخوف من عذاب الآخرة

• **أبو عمر**[(١)]: روِّينا عن عمر رضي الله عنه أنّه قال حينَ احتضر ورأسه في حِجْرِ ابنه عبد الله:

ظلومٌ لنفسِي غَيْرَ أنِّي مُسْلِمٌ   أصلِّي الصلاةَ كلَّها وأصومُ

• **البخاري**: عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمة قال: لمّا طُعِنَ عمرُ جعل يَأْلَمُ، فقال له ابن عباس وكأنّه يجزّعه: يا أميرَ المؤمنين! ولئن كان ذاك لقد صحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه، وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكرٍ رضي الله عنه فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَهُ وهو عنكَ راضٍ، ثم صحبتَ صحبتهم، فأحسنتَ صحبتهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون.

قال: أمّا ما ذكرتَ من صُحبةِ رسول الله ﷺ ورضاه، فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى، منّ به عليَّ، وأمّا ما ذكرتَ من صحبة أبي بكر ورضاه، فإنّما ذاك منٌّ من الله جلَّ ذكره، منَّ به عليَّ، وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلِكَ وأجل أصحابك، والله لو أنّ لي طِلاعُ الأرض ذهباً لافتديتُ به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه[(٢)].

• **الغزالي**: لما قرأ عمر: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ فانتهى إلى قوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١ ـ ١٠] خرَّ مغشياً عليه[(٣)].

• **الغزالي**: مرَّ عمر يوماً بدارِ إنسانٍ وهو يصلِّي ويقرأُ سورةَ الطور فوقف يستمع، فلمّا بلغ قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ﴾ [الطور: ٧] نزل عن

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٦/ ١١٩).

حمارِه، واستندَ إلى حائطٍ، فمكثَ زماناً، ورجع إلى منزله، ومرض شهراً يعوده الناسُ، ولا يدرونَ ما مرضه[١].

الخوف من العقوبة في الدنيا

• **أحمد بن حنبل**: عن **فروخ مولى عثمان** أنّ عمر رضي الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين خرجَ إلى المسجد، فرأى طعاماً منثوراً، فقال: ما هذا الطعام؟ فقالوا: طعامٌ جُلِبَ إلينا، قال: بارك الله فيه وفيمن جلبه، قيل: يا أمير المؤمنين! فإنّه قد احتُكِرَ، قال: ومن احتكره؟ قالوا: فروخ مولى عثمان، وفلانٌ مولى عمر، فأرسل إليهما، فدعاهما، فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟

قالا: يا أميرَ المؤمنين! نشتري بأموالنا ونبيعُ.

فقال عمرَ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنِ احْتَكَرَ على المسلمينَ طعامَهم ضربَهُ اللهُ بالإفلاسِ أو بجذامٍ**».

فقال فروخ عند ذلك: يا أمير المؤمنين! أعاهد الله وأعاهدك أنْ لا أعودَ في طعام أبداً، وأمّا مولى عمر، فقال: إنما نشتري بأموالنا ونبيع، قال أبو يحيى: فلقد رأيتُ مولى عمر مجذوماً[٢].

الخوف من الطبع

• **الغزالي**[٣]: قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: الطابَعُ معلّقٌ بقائمة العرشِ، فإذا انتُهكتِ الحُرُماتُ، واستُحلّتِ المحارمُ، أرسلَ الله الطابع، فيطبع على القلوب بما فيها.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٦/ ١١٩). (٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٣٥).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٥).

الهيبة من الله عز وجل

• **الغزالي**: أخذ عمر يوماً تبنةً من الأرض، قال: يا ليتَني كنتُ هذه التبنة، يا ليتني لم تلدني أمي[١].

الجمع بين الرجاء والخوف

• **الغزالي**: قال عمرُ رضي الله عنه: لو نودي: ليدخل النارَ كلُّ الناسِ إلا رجلاً واحداً لرجوتُ أنْ أكونَ أنا ذلك الرجل، ولو نودِي: ليدخلَ الجنةَ كلُّ الناسِ إلّا رجلاً واحداً لخشيتُ أنْ أكونَ أنا ذلك الرجل[٢].

علامة الخوف من الله عز وجل

• **الغزالي**: قال عمر رضي الله عنه: مَنْ خافَ اللهَ لم يشفِ غيظه، ومن اتقى الله لم يصنعْ ما يريدُ، ولولا يومُ القيامة لكانَ غيرَ ما ترون[٣].

❁ العبودية من غير خوفٍ ولا رجاء:

• **أبو طالب**: قال عمر رضي الله عنه: رحمَ الله صهيباً لو لَمْ يخفِ اللهَ تعالى لم يَعْصِهْ[٤]، قال أبو طالب: يعني: ترك المعاصي للمحبة لا لخوف ولا لرجاءٍ.

❁ فوائد الزهد:

• **الغزالي**: قال عمرُ رضي الله عنه: الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد[٥].

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٠).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٦٤).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٦/ ١١٩).
(٤) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٣١٣).
(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٣١٩).

۞ الآفات المتولدة من جمع المال:

• **أبو طالب**: مرّ عمرُ رضي الله عنه ببيتٍ عالٍ فقال: أبتِ الدراهمُ إلّا أن تخرِجَ رؤوسها[١].

۞ المحاسبة:

• **الغزالي**: قال عمرُ رضي الله عنه: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتهيئوا للعرض الأكبر[٢].

• **الغزالي**: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري: حاسِبْ نفسَك في الرخاء قبل حساب الشدّةِ[٣].

• **الغزالي**[٤]: قال عمر لكعب الأحبار: كيف تجدنا في كتاب الله؟ قال: ويل لديّان الأرض من ديّان السماء؛ فعلاه بالدرة وقال: إلا من حاسبَ نفسه، فقال كعب: واللهِ يا أميرَ المؤمنين! إنّها إلى جنبها في التوراة، ما بينهما حرف إلّا من حاسب نفسه.

۞ رؤية التقصير في العمل:

• **البخاري**: عن أَبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: قال لي عبد الله بن عمر: هل تدري ما قال أبي لأبيك؟ قال: قلت: لا، قال: فإنَّ أبي قال لأبيكَ أبي موسى: هل يسرُّكَ إسلامنا مع رسول الله ﷺ وهجرتنا معه، وشهادتنا معه، وعملنا كلّه معه برد لنا، وإن كل عمل عملناه بعده نجونا منه، كفافاً رأساً برأس، فقال أبوك لأبي: لا والله، قد جاهدنا بعد رسول الله ﷺ وصلينا، وصمنا، وعملنا خيراً كثيراً، وأسلم

---

(١) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٣٦٢). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤٨٢).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤٨٢).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ٤٨٢)، و«الرياض النضرة» (ص١٧٦).

على أيدينا بشر كثير، وإنّا لنرجو ذلك، فقال أبي: ولكنّي ـ والذي نفس عمر بيده ـ لوددتُ أنّ ذلك بردٌ لنا، وأنّ كل شيء عملناه بعدُ، نجونا منه كفافاً رأساً برأسٍ، فقلتُ: إنَّ أباك واللهِ كان خيراً من أبي(١).

❁ التوكّل:

• **أحمد بن حنبل**: عن **أبي تميم الجيشاني** يقول: سمعتُ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه، يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لو أنَّكُم كنتُم توكَّلون على اللهِ حقَّ توكُّله، لرزقَكم كما يَرْزُقُ الطيرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وتَرُوْحُ بطاناً**»(٢).

❁ التسبّب بالأسباب مع إثبات التوكل:

• **مالك**: في قصة سرغ حين استقرّ رأي عمر على الرجوع من الشام من أجل الوباء، قال أبو عبيدة: أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرُّ مِنْ قدرِ اللهِ إلى قدرِ اللهِ، أرأيتَ لو كان لك إبلٌ فهبطتَ وادياً له عَدْوَتان، إحداهما مُخصِبةُ، والأخرى جَدْبَةٌ، أليس إن رعيتَ الخصبةَ رعيتَها بقدرِ الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله(٣)؟!

❁ لا ردّ ولا كدّ:

• **أحمد بن حنبل**: عن **عبد الله بن عمر** قال: سمعت عمر يقول: كان النبيُّ ﷺ يعطيني العطاء، فأقول: أعطِهِ أفقرَ إليه منّي حتّى أعطاني مرةً مالاً فقلتُ: أعطه أفقر إليه منّي، فقال النبيُّ ﷺ: «**خُذْهُ، فتموَّله،**

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩١٥).

(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣٧٠). (٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٢٩).

وتصدَّقْ به، فما جاءكَ مِنْ هذا المالِ وأنتَ غير مشرفٍ ولا سائل فَخُذْهُ، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسَك»[١].

❁ نفي الإرادة:

● **أبو طالب**: روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أُبالي على أيِّ حالٍ أصبحتُ وأمسيتُ من شدّةٍ أو رخاءٍ[٢].

❁ فضل الأخوّة في الله عز وجل:

● **أبو طالب**: عن عمر وابنه، دخل لفظ أحدهما في الآخر: لو أنَّ عبداً صفّ بين قدميه عندَ الركنِ والمقامِ يعبدُ الله عز وجل عمرَه، يصومُ نهارَه، ويقومُ ليلَه، ثم لقيَ الله عز وجل وليس في قلبه موالاةٌ لأولياء الله عز وجل، ولا معاداةٌ لأعدائه لما نفعه ذلك شيئاً[٣].

● **أبو طالب**: عن عمر أنَّ أحدهم ليشيبُ في الإسلام ولم يوالِ في اللهِ ولياً، ولم يعادِ فيه عدوّاً وذلك نقصٌ كبير.

● **أبو طالب**: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما أُعطي عبدٌ بعد الإسلام خيراً من أخ صالح[٤].

● **أبو طالب**: قال عمر: إذا رأى أحدُكم ودّاً من أخيه فليتمسّك به، فقلَّما يصيب ذلك[٥].

❁ ترك التفوّق على الإخوان:

● **أبو طالب**: أتت برودٌ من اليمن إلى عمر رضي الله عنه، فقسمها على

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٣٦).
(٢) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٤٣١).
(٣) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٨٤).
(٤) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٧٨).
(٥) انظر: «قوت القلوب» (٢/ ١٧٨).

أصحاب رسول الله ﷺ بُرْداً بُرْداً، ثم صعدَ المنبرَ يوم الجمعة، فخطب الناسَ في حلّةٍ منها ـ والحلّةُ عند العرب ثوبان من جنس واحد، وكان ذلك من أحسن زيّهم ـ فقال: ألا اسمعوا، ألا اسمعوا، ثم وعظ، فقام سلمانُ فقال: واللهِ لا نسمعُ، واللهِ لا نسمعُ، قال: وما ذاك؟ قال: لأنّك قد أعطيتنا ثوباً ثوباً، ورحتَ في حلّة فقد تفضّلت علينا بالدنيا، فتبسم ثم قال: عَجِلْتَ يا أبا عبد الله، رحمَكَ الله، إني كنتُ غسلت ثوبي الخلق، فاستعرت بردَ عبد الله بن عمر، فلبسته مع بردي، فقال سلمان: قلِ الآنَ حتى نسمع[1].

۞ استكشاف عيوبه من إخوانه:

• **أبو طالب**: روينا أنَّ عمر ﷺ خطب الناسَ فقال: أنشدُ الله عبداً علمَ فيّ عيباً إلّا أخبرني به، فقام شابّ فقال: فيك عيبان اثنان قال: وما هما رحمك اللّه؟ قال: تذيّل بين البردين، وتجمعُ بين الأدمين، قال: فما ذيّل بين البردين، وما جمع بين الأدمين حتى لقي الله ﷻ[2].

۞ قبول قول الناصح وإن شدّد:

• **أبو عمر**: قسم عمر المال الذي بعث به إليه أبو موسى، وكان ألف ألف درهم، وفضلت منه فضلةٌ، فاختلفوا عليه حيث يضعها، فقام خطيباً، فحمد الله، وأثنى عليه وقال: أيها الناس! قد بقيت لكم فضلةٌ بعد حقوق الناس، فما تقولون فيها؟ فقام صعصعةُ بنُ صوحان، وهو غلام شاب فقال: يا أميرَ المؤمنين إنّما تشاور الناسَ فيما لم ينزل الله فيه قرآناً، أمّا ما أنزل الله به من القرآن ووضعه مواضعه فضعه في مواضعه

---

(١) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٣٥٧). (٢) انظر: «قوت القلوب» (١/ ٣٥٧).

التي وضع الله تعالى فيها، فقال: صدقتَ، أنتَ منِّي وأنا مِنْكَ[١].

● **السهروردي**: قال عمرُ في مجلس فيه المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخّصتُ في بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين؟ فسكتنا، فقال ذلك مرتين أو ثلاثاً، لو ترخّصت لكم في بعضِ الأمورِ ماذا كنتم فاعلين؟ قال بِشْرُ بنُ سعد: لو فعلتَ ذلك لقوّمناك تقويمَ القدح، فقال عمر: أنتُم اذاً أنتم.

❁ الملاطفة مع الإخوان:

● **الغزالي**: لقي أبو عبيدةَ عمرَ بنَ الخطاب ﷺ، فصافحه، وقبّل يدَه، وتنحيا يبكيان[٢].

● **السهروردي**: إنّ عمر سابقَ زبيراً فسبقه الزبير، فقال: سبقتُكَ وربِّ الكعبة، ثم سابقه مرةً أخرى فسبقه عمر فقال: سبقتُكَ ورب الكعبة.

❁ ترك المجاورة عند خوف الفتنة:

● **الغزالي**: كتب عمر إلى عماله: مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا[٣].

❁ حفظ أنفاس المشايخ:

● **أبو طالب والغزالي**: كتب عمر رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد: احفظوا ما تسمعون من المطيعين، فإنّهم تتجلى لهم أمور صادقة[٤].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/٢١٦). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/٤٩).
(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/٥٨).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/٢٢٨)، «قوت القلوب» (١/١٩٠).

❁ حبُّ النبي ﷺ:

• **المحب الطبري**: عن عبد الله بن هشام قال: كنّا عند النبيِّ ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال له عمر: يا رسولَ اللهِ! لأنتَ أحبُّ إليَّ من كلِّ شيءٍ إلا نفسي، فقال النبيُّ ﷺ: «**والَّذِي نفسي بيدِهِ، لا تكونُ مؤمناً حتَّى أكونَ أحبَّ إليك من نفسِكَ**»، فقال له عمر: فإنّه الآن، واللهِ لأنتَ أحبُّ إليَّ من نفسِي، فقال النبيُّ ﷺ: «**الآنَ يا عمرُ**»[١].

❁ حفظ الله المؤمن إذا صدقت نيَّته:

• **أبو بكر**: عن **عاصم بن عمر** قال: كان عمر يقول: يحفظ الله المؤمن، كان عاصم بن ثابت بن الأقلح نذر أن لا يمسَّ مشركاً، ولا يمسّه مشرك، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منهم في حياته[٢].

❁ الصدق في الأحوال والكذب فيها:

• **أبو بكر**: عن أبي نعامة، عن **حجير بن ربيعة**[٣] قال: قال عمر: إنّ الفجور هكذا، وغطّى رأسه إلى حاجبيه، ألا إنَّ البر هكذا، وكشف رأسه[٤]، معناه أنَّ الحال الصادقةَ لا يزالُ كل حينٍ تتزايدُ آثارها، والحالُ الكاذبةُ كلَّ حينٍ تتناقص آثارها.

❁ تفاوت مراتب الأعمال بحسب تفاوت الأحوال:

• **أحمد بن حنبل**: عن **فَضالة بن عُبيد** يقول: سمعتُ عمر بن

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧٣).

(٣) كذا في «المصنف»، والظاهر: «حجير بن الربيع». انظر: «تهذيب الكمال» رقم: (١١٣٨).

(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٨٢).

الخطاب ﷺ أنّه سمع رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**الشهداءُ ثلاثةٌ، رجلٌ مؤمِنٌ جيّدُ الإيمان، لقي العدوَّ، فصدقَ اللهَ حتَّى قتلَ، فذلك الذي يرفَعُ إليه الناسُ أعناقَهم يوم القيامة**»، ورفع رسولُ اللهِ ﷺ رأسَه حتى وقعت قلنسوته أو قلنسوة عمر، «**ورجلٌ مؤمِنٌ جيّدُ الإيمانِ، لقيَ العدوَّ، فكأنّما يضربُ ظهرَه بشوكِ الطلحِ، أتاه سهمٌ غَرِبٌ فقتله، هو في الدرجةِ الثانيةِ، ورجلٌ مؤمنٌ جيِّدُ الإيمانِ، خلَطَ عملاً صالحاً، وآخرَ سيئاً، لقي العدوَّ، فصدقَ اللهَ حتَّى قُتِلَ، فذلك في الدّرجة الثالثة**»[١].

۞ لبس المرقع:

• **مالك**[٢]: عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنّه قال: قال **أنس بن مالك**: رأيتُ عمرَ بنَ الخطاب وهو يومئذٍ أميرُ المدينة وقد رقّع بين كتفيه بِرقعٍ ثلاثٍ، لبّدَ بعضَها فوقَ بعضٍ.

• وذكر في «**كشف المحجوب**» عن عمر قال: خيرُ الأثوابِ أيسرُها مؤونةً.

۞ [الشفقة على خلق الله]:

• **أبو الليث**: روى الشعبيُّ عن عمر أنّه قال: إنّ الله تعالى لا يرحمُ مَنْ لا يرحم، ولا يغفر لمن لا يغفرُ، ولا يتوبُ على مَنْ لا يتوبُ.

۞ الوجد:

تقدّمَ أنَّ عمر مرّ بدارِ إنسانٍ وهو يصلِّي ويقرأُ سورةَ الطور، فوقف يستمع . . . الحديث.

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٤٦). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٠٠).

❁ الغلبة:

وهي قسمان: غلبةُ وجدانٍ معنًى، وغلبةُ داعيةٍ إلٰهيةٍ.

● **أبو عمر**: قال عمرُ لأخيه زيدٍ يومَ أُحد: خذ درعي، قال: إنِّي أريدُ مِنَ الشهادة ما تريدُ، فتركاها جميعاً(١).

● **الكلاباذي**: غلب على عمر رضي الله عنه حميةُ الإسلام حين اعترضَ على رسول الله ﷺ لمّا أرادَ أن يصالحَ المشركين عامَ الحديبية، فوثب حتى أتى أبا بكر رضي الله عنه قال: أليسَ برسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: بلى، قال: ألسنا بالمسلمين؟ قال: بلى، قال: أليسوا بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلى ما نعطي الدنيةَ في ديننا؟ فقال أبو بكر: الزمْ غرزه، فإنِّي أشهدُ أنه رسولُ اللهِ ﷺ، فقال عمر: أنا أشهدُ أنّه رسول الله ﷺ، ثم غلبَ عليه ما يجدُ حتّى أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقال له مثل ما قال لأبي بكر، وأجابه النبي ﷺ كما أجابه أبو بكر رضي الله عنه، حتى قال: «**أنا عبدُ اللهِ ورسولُه لن أخالِفَ أمره، ولن يضيّعني**» قال: وكان عمرُ يقول: فما زلتُ أصومُ، وأتصدّقُ، وأعتقُ، وأُصلِّي مِنَ الذي صنعتُ يومئذٍ مخافةَ كلام الذي تكلَّمتُ به حتى رجوتُ أن يكون خيراً(٢).

وكاعتراضه عليه ﷺ حين صلّى على عبد الله بن أُبي قال عمر: فتحوّلتُ حتّى قمتُ في صدره وقلتُ: يا رسولَ اللهِ! أتصلي على هذا وقد قال يوم كذا كذا وكذا، يعدّ أيامه حتى قال: «**تأخَّرْ عني يا عمر! إنِّي خُيِّرتُ فاخترتُ**» وصلّى عليه، فعجبت لي وجرأتي على رسول الله.

❁ السماع:

● **أبو عمر**: عن خوّاتِ بن جبير قال: خرجنا حُجّاجاً مع عمر بن

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٤).
(٢) أخرجه البخاري نحوه (ح: ٢٥٢٩).

الخطاب، فسرنا في ركبٍ فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمٰن بن عوف، فقال القومُ: غننا من شعر ضِرَارٍ، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغنِّ من هنيات فؤاده؛ يعني: من شعره، قال: فما زلتُ أغنّيهم حتّى كان السَّحَرُ، فقال عمر: ارفع لسانك يا خوّات، فقد أسحرنا[1].

● ذكر في «روضة الأحباب»: عن **جابر بن عبد الله** رضي الله عنه قال: عسسنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذاتَ ليلةٍ بالمدينة حتى انتهينا إلى خيمةٍ فيها نويرةُ تقدُ أحياناً وتطفأ أحياناً، وإذا فيها صوتٌ حزينٌ، قال: أقيموا مكانكم، ومضى حتى انتهى إلى الخيمةِ، فسمع وفهمنا، وإذا عجوزٌ تقول:

علـى مُـحَـمَّـدٍ صـلاةُ الأَبْـرَار صلّى عليه المُصْطَفُوْنَ الأَخْيَار
قد كنتَ قوّاماً بكيَّ الأَسْحَار يا ليتَ شِعْرِي والمَنايا أُطوَار
وهَـلْ تَـجْـمَـعُـنِـي وحَـبِـيْـبِـي الـدَّار

فبكى عمرُ رضي الله عنه حتّى ارتفع صوته، وقال: ردّي عليَّ الكلمات التي قلتِ آنفاً، فلمّا بلغت آخره قال: أسألك أن تدخليني معكما، قالت: وعمرُ فاغْفِرْ له يا غَفّار[2].

❁ ❁ ❁

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٣٥).
(٢) انظر: «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١/ ٣٨٧)، و«حياة الصحابة» (٣/ ١٩٦).

المبحث السادس

في تثقيف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رعيتَه على منوال تربية النبي ﷺ أمته

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وهذا التثقيفُ يكونُ تارةً أمراً بالواجب أو المندوب، ونهياً عن الحرام أو المكروه، وتارةً إرشاداً إلى تهذيب الباطن من الرذائل، وتحليته بالفضائل، وتارةً بتأثير مجرّد الصحبة، ويكون تارةً خطاباً للحاضرين، وتارةً كتاباً للغائبين، وقد اعتنى النبيُّ ﷺ بتهذيب عمر بن الخطاب كثيراً.

[قول النبيّ ﷺ حين راجع العباس بن عبد المطلب في أخذ الصدقات مراجعة شديدة: «أما شعرت يا ابن الخطاب! أنّ عمَّ الرجل صنو أبيه»]

فمن ذلك: قول النبيِّ ﷺ حين راجعَ العباس بن عبد المطلب في أخذِ الصدقات مراجعةً شديدةً: «**أما شعرتَ يا ابنَ الخطّاب! أَنَّ عمَّ الرجل صنوَ أبيه**»[1].

• **ومن ذلك:** ما روى الدارميُّ عن جابر أَنَّ عمر بن الخطاب أتى رسولَ اللهِ ﷺ بنسخةٍ من التوراة، فقال: يا رسولَ اللهِ! هذه نسخةٌ من التوراة، فسكت، فجعلَ يقرأُ ووجه رسولِ اللهِ يتغيَّر، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكلُ، ما ترى بوجه رسول الله ﷺ، فنظرَ عمرُ إلى وجه رسولِ اللهِ ﷺ فقال: أعوذُ باللهِ من غضب الله، ومن غضبِ رسولِه،

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٩٨٣).

رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيّاً، فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسُ محمّدٍ بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه وتركتموني لَضَلَلْتُم عَنْ سواءِ السبيل، ولو كان موسى حيّاً، وأدركَ نبوّتي لاتّبعني**»(١).

• **البخاري**: عن **أبي الدرداء** رضي الله عنه قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ إذ أقبلَ أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتّى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «**أمّا صاحبُكم فقد غامرَ**»، فسلّم، وقال: إنِّي كان بيني وبين ابن الخطاب شيءٌ، فأسرعتُ إليه، ثم ندمتُ، فسألته أن يغفرَ لي فأبى عليّ، فأقبلتُ إليكَ فقال: يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكر! ثلاثاً، ثم إنَّ عمرَ نَدِمَ، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبيِّ ﷺ، فسلم، فجعلّ وجه النبيِّ ﷺ يتمعَّرُ حتّى أشفقَ أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسولَ الله! واللهِ أنا كنتُ أظلمُ (مرتين)، فقال النبيُّ ﷺ: «**إنّ اللهَ بعثني إليكُم، فقلتُم: كَذَبْتَ، وقال أبو بكر: صَدَقَ، وواساني بنفسِهِ ومالِهِ، فهل أنتم تاركونَ لي صاحِبي**» (مرتين)، فما أُوذيَ بعدها(٢).

• **البخاري**: عن **ابن أبي مُلَيكة** قال: كاد الخيّران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، رفعا أصواتهما عند النبيِّ ﷺ حين قدمَ عليه ركبُ بني تميم، فأشارَ أحدُهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشارَ الآخرُ برجلٍ آخر، قال نافعٌ: لا أحفظُ اسمَه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردتُ خلافك، فارتفعتْ أصواتُهما في ذلك، فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ الآية [الحجرات: ٢]، قال ابنُ الزبير: فما كان عمرُ يُسمعُ رسولَ اللهِ ﷺ بعد هذه الآية حتى

---

(١) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٢٦) برقم: (٤٣٥).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٦١).

يستفهمَه، ولم يذكر ذلك عن أبيه؛ يعني: أبا بكر[١].

• **السهروردي**: بإسناده عن أبي هريرة أنّ النبيَّ ﷺ أُتي بطعامٍ وهو بِمَرِّ الظهرانِ، فقال لأبي بكر وعمر: «**كُلا**»، فقالا: إنّا صائمان فقال: «**ارحلوا لصاحِبَيْكم، اعملوا لصاحبيكم، ادنوا فكُلا**»؛ يعني: إنّكما ضعفتُما بالصومِ عن الخدمة، فاحتجتما إلى مَنْ يخدمكما، فكلا واخدما أنفسكما.

[تمييز النبيّ ﷺ له بين الغلبتين، وتعريفه إياه الفرق بينهما حتى حذق في التمييز، وصار محدّثاً كاملاً]

ومن ذلك: تمييز النبيِّ ﷺ له بين الغلبتين، وتعريفه إياه الفرق بينهما، حتى حَذِقَ في التمييز، وصار محدثاً كاملاً، وقد تقدم بعض ذلك وتثقيفه رضي الله عنه رعيته متواتر المعنى.

• **مسلم**[٢]: عن أبي هريرة قال: بينما عمرُ بنُ الخطّاب يخطب الناسَ يوم الجمعة إذ دخل عثمانُ بنُ عفان، فعرَّض به عمر، فقال: ما بالُ رجالٍ يتأخّرون بعد النداء، فقال عثمان: يا أميرَ المؤمنين! ما زدت حينَ سمعتُ النداءَ أنْ توضأتُ ثم أقبلتُ، فقال عمر: والوضوءَ أيضاً؟ ألم تسمعوا رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا جاءَ أحدُكُم إلى الجمعةِ فَلْيَغْتَسِلْ**».

• **أبو بكر**: عن **عمرو بن ميمون الأَوْدي** أنّ عمر بن الخطاب لما حُضِرَ قال: ادعوا لي علياً، وطلحة، والزبير، وعثمان، وعبد الرحمٰن بن عوف، وسعداً، قال: فلم يكلِّم أحداً منهم إلّا علياً وعثمان، فقال: يا

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٨٤٥).
(٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٨٤٥).

عليُّ! لعلَّ هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك، وما آتاكَ الله من العلم والفقه، فاتّقِ الله، وإنْ ولِّيتَ هذا الأمرَ فلا ترفعنَّ بني فلان على رقابِ الناسِ، وقال لعثمان: يا عثمانُ! إنَّ هؤلاء القوم لعلَّهم يعرفون لك صِهْرَك من رسولِ اللهِ ﷺ وسنّك وشرفك، فإنْ أنتَ وُلِّيتَ هذا الأمر فاتّقِ الله، ولا ترفعْ بني فلانَ على رقابِ الناس، فقال: ادعوا لي صُهيباً، فقال: صلِّ بالناسِ ثلاثاً، وليجتمع هؤلاء الرهط فليخلوا، فإن أجمعوا على رجل، فاضربوا رأسَ مَنْ خالفهم[1].

• **أحمد بن حنبل**: عن الزهري قال: حدّثني **ربيعة بن دراج**: أنّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه سبّحَ بعد العصر ركعتين في طريق مكة، فرآه عمر رضي الله عنه فتغيّظ عليه، ثم قال: أما واللهِ لقد علمتُ أنّ رسولَ اللهِ رضي الله عنه نهى عنهما[2].

• **أبو بكر**: عن **أسلم** بإسنادٍ صحيح على شرط الشيخين، أنّه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فيشاورونها، ويرتجعون في أمرهم، فلمّا بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتّى دخل على فاطمة، فقال: يا بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ! واللهِ ما مِنْ أحدٍ أحبُّ إلينا من أبيكِ، وما مِنْ أحدٍ أحبُّ إلينا بعد أبيك مِنْكِ، وايمُ اللهِ ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أَنْ آمرَ بهم أن يحرّق عليهم البيتَ، قال: فلمّا خرج عمر جاؤوها، فقالت: تعلمونَ أنَّ عمر قد جاءني، وقد حلفَ باللهِ لئن عدتم ليحرقنَّ عليكم البيتَ، وايم الله ليمضينَّ لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فروا رأيكم، ولا ترجعوا إليَّ، فانصرفوا عنها، فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٤٣٦) برقم: (٣٧٠٦٠).
(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٠١).

لأبي بكر[١].

• **مالك**: عن **أسلمَ** مولى عمر بن الخطاب أنَّ عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرمٌ، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة! فقال طلحة: يا أمير المؤمنين! إنّما هو مدر، فقال عمر: إنّكم أيها الرهطُ أئمةٌ يقتدي بكم الناسُ، فلو أنَّ رجلاً جاهِلاً رأى هذا الثوب لقال: إنَّ طلحةَ بن عبيد الله كان يلبَسُ الثيابَ المصبغة في الإحرام، فلا تلبَسوا أيّها الرهطُ شيئاً من هذه الثياب المصبغة[٢].

• **أحمد بن حنبل**: عن **جابر بن عبد الله** قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه يقول لطلحة بن عبيد الله: ما لي أراك قد شعثتَ واغبررتَ منذ توفّي رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، لعلّك ساءك يا طلحةُ إمارةُ ابنِ عمّك؟ قال: معاذَ اللهِ إنِّي لأجدركم أنْ لا أفعلَ ذلك، إنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنِّي لأعلمُ كلمةً لا يقولُها أحدٌ عند حضرةِ الموتِ إلّا وَجَدَ روحَهُ بها روحاً حين تخرجَ من جَسَدِهِ، وكانت له نوْراً يومَ القيامَةِ**»، فلم أسأل رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمرُ رضي الله عنه: فأنا أعلمُها، قال: فللَّهِ الحمدُ، فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمّه: لا إلـٰه إلا الله، قال طلحةُ: صدقتَ[٣].

• **مالك**: عن عبد الله بن عباس في قصة سَرْغ: فنادى عمرُ بنُ الخطاب، إنِّي مصبحٌ على ظهرٍ، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفراراً مِنْ قَدَرِ اللهِ، فقال عمرُ: لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدة! نعم نفرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إلى قدرِ اللهِ، أرأيتَ لو كانَ لكَ إبلٌ فهبطتَ وادياً له عدوتانِ، إحداهما

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٢) برقم: (٣٧٠٤٥).

(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١١٦٤).

(٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (١٨٧).

مخصِبةٌ والأُخرى جَدبةٌ، أليسَ إنْ رعيتَ الخصبةَ رعيتَها بقدرِ اللهِ، وإن رعيتَ الجدبةَ رعيتَها بقدرِ اللهِ[١].

• **مالك**: كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر يذكر له جموعاً من الروم، وما يتخوّف مِنْ أمرهم، فكتب إليه عمر بن الخطاب: أما بعدُ، فإنّه مهما ينزلُ بعبدٍ مؤمنٍ من منزلِ شِدّةٍ يجعلُ اللهُ بعدَهُ فرجاً، وإنَّه لن يَغْلِبَ عسرٌ يسرين، وإنَّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠][٢].

• **المحب الطبري**: عن **عروة بن رويم اللخمي** قال: كتب ابن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح كتاباً يقرؤه على الناس بالجابية، أمّا بعدُ: فإنّه لا يقيمُ أمرَ اللهِ في الناس إلا حصيفُ العقدة، بعيدُ الغرة، ولا يطلعُ الناسُ منه على عورةٍ، ولا يحنقُ في الحقِّ على جرّةٍ[٣]، ولا يخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ، والسلامُ عليكَ.

وفي رواية: «ولا يحابي في الحق على قرابةٍ» مكان: «ولا يحنق في الحق على جرة».

شرح: **حصيف العقدة**: أي: مستحكمها، واستحصف الشيء استحكم، والحصيف: الرجل المُحْكَمُ العقل، وكنى بذلك عمر عن الاشتداد في دين الله، وقوة الإيمان.

والغرة: الاعتماد[٤].

• **المحب الطبري**: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٣٢٩). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٦٢١).

(٣) أي: لا يحقد على رعيته، **والحنق**: الغيظ، **والجرّة**: ما يخرجه البعير في جوفه ويمضغه، «النهاية» (ص٢٣٨).

(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/١٨٦).

الجراح، **أمّا بعدُ**: فإنّي كتبتُ إليك كتاباً لم آلك ونفسي فيه خيراً: الزم خمسَ خلالٍ يسلمْ لكَ دينُك، وتُحظَ بأفضل حظِّك: إذا حضرك الخصمانِ فعليك بالبيّناتِ العدولِ، والأيمانِ القاطعةِ، ثم أدْنِ الضعيفَ حتّى ينبسطَ لسانُه، ويجترئَ قلبُه، وتعاهدِ الغريبَ، فإنّه إذا طالَ حبسُه تركَ حاجته، وانصرفَ إلى أهلِه، وإنّما الذي أبطلَ حقَّه مَنْ لم يرفعْ به رأساً، واحرصْ على الصلح ما لم يتبيّنَ لك القضاء، والسلام عليك(١).

• **أبو بكر**: عن **عبيد الله بن عبد الله بن عمر** قال: باعَ عبد الرحمٰن بن عوفٍ جاريةً له كان يقعُ عليها قبل أن يستبرئها، فظهرَ بها الحملُ عند الذي اشتراها، فخاصمه إلى عمر، فقال عمرُ: كنتَ تقعُ عليها؟ قال: نعم، قال: فبعتَها قبل أن تستبرئها؟ قال: نعم، قال: ما كنتَ لذلك بخليقٍ، فدعا القافة، فنظروا إليه فألحقوه به(٢).

• **أحمد بن حنبل**: عن **عباية بن رفاعة** قال: بلغ عمرُ رضي الله عنه أنَّ سعداً لمّا بنى القصر، قال: انقطع الصويت، فبعث إليه محمّد بن مَسْلمة، فلمّا قدمَ أخرجَ زنده، وأورى نارَه، وابتاعَ حطباً بدرهم، وقيل لسعدٍ: إنَّ رجلاً فعل كذا وكذا، فقال: ذاك محمّدُ بنُ مسلمةٍ، خرجَ إليه، فحلف باللهِ، ما قاله، فقال: نؤدي عنك الذي تقوله، ونفعل ما أمرنا به، فأحرق البابَ، ثم أقبلَ يعرِضُ عليه أن يزوّده، فأبى، فخرجَ، فقدم على عمر رضي الله عنه، فهجر إليه، فسار ذهابه ورجوعه تسعَ عشرةَ، فقال: لولا حُسْنُ الظنِّ بك لرأينا أنّك لم تؤدِّ عنا، قال: بلى، أرسل يقرأ السلام، ويعتذر، ويحلف بالله: ما قاله، قال: فهل زوّدك شيئاً؟ قال: لا، قال: فما منعك أن تزوّدني أنتَ؟ قال: إنِّي كرهت أنْ آمر لك

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥١٦) برقم: (١٦٦٥٧).

فيكون لك البارِدُ، ويكون لي الحارُ، وحولي أهل المدينة قد قتلهم الجوعُ، وقد سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يشبعُ الرجلُ دونَ جارِه**»[(١)].

• **المحب الطبري**: عن **سفيان بن عيينة** أنّ سعد بن أبي وقاص كتب إلى عمر وهو على الكوفة يستأذنه في بناء منزلٍ يسكنه، فكتب إليه: ابنِ ما يستركُ من الشمسِ، ويكنّكَ من الغيثِ[(٢)].

• **الدارمي**: عن **سليمان بن حنظلة** قال: أتينا أُبي بن كعب لنتحدَّثَ إليه، فلمّا قام قمنا ونحنُ نمشي خلفَه، فرهقنا عمر، فتبعه، فضربه عمر بالدِّرة، قال: فاتقاه بذراعيه فقال: يا أميرَ المؤمنين! ما تصنع؟ قال: أو ما ترى فتنةً للمتبوع مذلةً للتابع[(٣)].

• **الدارمي**: عن محمّد قال: قال عمرُ لابن مسعود: ألم أنبأ أو أنبئتُ أنك تفتي ولستَ بأميرٍ، ولِّ حارَّها مَنْ تولّى قارّها[(٤)].

• **الدارمي**: عن **تميم الداري** قال: تطاولَ الناسُ في البناءِ في زمن عمر فقال عمرُ: يا معشرَ العربِ الأرضَ الأرضَ، إنَّه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوّده قومه على الفقه كان حياةً له ولهم، ومَنْ سوّده قومه على غير فقهٍ كان هلاكاً له ولهم[(٥)].

• **الحاكم**: عن عبد اللهِ رضي الله عنه قال: لمّا قُبِضَ النبيُّ ﷺ واستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، وكان رسولُ اللهِ ﷺ بعثَ معاذاً إلى اليمن، فاستعمل أبو بكر رضي الله عنهما عمرَ على الموسم، فلقي معاذاً بمكة ومعه رقيقٌ، فقال: ما

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣٩٠).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٤٣).
(٤) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٧٣).
(٥) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ٩١).

هؤلاء؟ فقال: هؤلاء أهدوا لي، وهؤلاء لأبي بكر، فقال له عمر: إني أُرى لك أن تأتيَ بهم أبا بكر، قال: فلقيه من الغد، فقال: يا ابنَ الخطاب، لقد رأيتَني البارحةَ وأنا أنزو إلى النارِ، وأنتَ آخذٌ بحجزتي، وما أراني إلّا مطيعك، قال: فأتى بهم أبا بكر، فقال: هؤلاء أهدوا لي، وهؤلاء لك، قال: فإنا قد سلّمنا لك هديتك، فخرجَ معاذٌ إلى الصلاة، فإذا هم يصلّون خلفه، فقال معاذ: لمن تصلون؟ قالوا: لله عز وجل، فقال: فأنتم له، فأعتقهم[1].

• **أبو حنيفة**: عن حذيفة بن اليمان أنّه تزوج يهوديةً بالمدائن، فكتب إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنْ خلِّ سبيلَها، فكتب إليه: أحرامٌ هي يا أمير المؤمنين؟ فكتب إليه أعزمُ عليك أن لا تضعَ كتابي حتَّى تخلّيَ سبيلها، فإنِّي أخاف أن يقتديَ بك المسلمون، فيختاروا نساء أهل الذمة لجمالهنَّ، وكفى بذلك فتنةً لنساء المسلمين.

• **أبو بكر**: عن سعيد بن أبي بردة قال: كتب عمرُ إلى أبي موسى: **أمّا بعدُ!** إنَّ أسعدَ الرعاة مَنْ سعدتْ به رعيتُه، وإنَّ أشقى الرعاةِ عندَ اللهِ مَنْ شقيتْ به رعيتهُ، وإيَّاكَ أن ترتعَ فيرتعَ عمّالُكَ، فيكون مثلك عند الله مثل البهيمةِ، نظرتْ إلى خضرةٍ من الأرضِ فرتعتْ فيها، تبتغي بذلك السِّمَنَ، وإنّما حتفُها في سِمَنِها، وعليك السلام[2].

• **أبو بكر**: عن **سفيان** قال: كتب عمرُ إلى أبي موسى: إنَّكَ لن تنال الآخرةَ بشيءٍ أفضل من الزهدِ في الدنيا[3].

• **الدارقطني**: أنَّ عمر بنَ الخطاب كتب إلى أبي موسى الأشعري:

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٥) برقم: (٥١٩٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٤) برقم: (٣٤٤٤٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٧) برقم: (٣٤٤٧٠).

أمّا بعد! فإنَّ القضاءَ فريضةٌ محكمةٌ، وسنَّةٌ متبعةٌ، فافهم إذا أدلي إليك بحجةٍ، وأنفذ الحقَّ إذا وضحَ، فإنّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له، وآسِ بينَ الناسِ في وجهِكَ ومَجْلِسِكَ وعَدْلِكَ، حتّى لا ييأسَ الضعيفُ مِنْ عدلكَ، ولا يطمعَ الشريفُ في حَيْفِكَ.

البيِّنُة على مَنِ ادّعى، واليمينُ على مَنْ أنكرَ. والصلحُ جائزٌ بين المسلمين، إلّا صُلحاً أَحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً.

لا يمنعكَ قضاءٌ قضيتَه بالأمسِ راجعتَ فيه نفسَك، وهُدِيْتَ فيه لِرُشْدِكَ أنْ تراجِعَ الحقَّ، فإنَّ الحقَّ قديمٌ، ومراجعةُ الحَقِّ خيرٌ من التمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما يختلِجُ في صدرِكَ، ممّا لم يبلغْكَ في الكتابِ أو السُّنَّةِ.

اعرفِ الأمثالَ والأشباهَ، ثم قِسِ الأمورَ عندَ ذلك، فاعمدْ إلى أحبِّها إلى اللهِ ﷻ، وأشبهها بالحقِّ فيما ترى.

واجعل لمن ادّعى بينةً أمداً ينتهي إليه، فإن أَحْضَرَ بينةً أَخَذْتَ له بحقِّهِ، وإلّا وجهتَ القضاءَ عليه، فإنَّ ذلك أجلى للعمى، وأبلغَ في العُذْرِ.

المسلمون عدولٌ بعضُهم على بعضٍ إلا مجلوداً في حَدٍّ، أو مجزياً في شهادة زورٍ، أو ظنيناً في ولاءٍ أو وراثةٍ، إنَّ الله تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم بالبيناتِ.

وإياك والقلق والضجر، والتأذّي بالناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجبُ اللهُ بها الأجرَ، ويحسن بها الذخرَ، فإنّه مَنْ يُصْلِحْ نيتَه فيما بينه وبين الله؛ ولو على نفسِه، يَكْفِهِ الله ما بينه وبينَ الناسِ، ومَنْ تزيّنَ للناسِ بما يعلمُ اللهُ منه غيرَ ذلك يُشِنْهُ الله، فما ظنُّكَ

بثوابِ غيرِ اللهِ عز وجل في عاجلِ رزقه، وخزائنِ رحمته، والسلامُ عليكَ[١].

• **وروي**: أنَّه كَتَبَ إلى أبي موسى الأشعريّ: **أمّا بعد!** فإنّ للناسِ نُفْرةً عن سُلطانهم، فأعوذُ باللهِ أن تدركَني وإيّاكَ عمياءُ مجهولةٌ، وضغائنُ محمولةٌ، وأهواءٌ مُتّبعةٌ، ودُنْيا مُؤْثَرةٌ، فأقِمِ الحدودَ، واجلسْ للمظالم، ولو ساعةً من نهار.

وإذا عَرَضَ لك أمرانِ أحدهُما للهِ، والآخرُ للدُّنيا، فابدأ بأمرِ الآخرةِ، فإنّ الدُّنيا تفنى، والآخرةُ تَبقَى، وكُن مِنْ مالِ اللهِ على حَذَرٍ، وأخِفِ الفُسّاقَ، واجعلهم يداً يداً، ورِجلاً رِجلاً.

وإذا كانت بين القبائلِ ثائرةٌ وتَدَاعَوْا: يا لفلانٍ يا لفلانٍ، فإنّما تلك نَجْوَى الشيْطان، فاضربْهم بالسَّيف حتّى يَفِيئوا إلى أمرِ اللهِ، وتكونَ دعوتُهم إلى اللهِ، وإلى الإسلامِ.

وقد بلغَ أميرَ المؤمنين أنَّ ضَبَّةَ تدْعُو: يا لضَبَّةَ[٢] وإنِّي واللهِ أعلمُ أنَّ ضَبَّةَ ما ساقَ اللهُ بها خيراً قطّ، ولا مَنَعَ بها مِنْ سوءٍ قطّ، فإذا جاءك كتابي هذا فانهَكْهُم ضرباً عقوبةً حتّى تفرقوا إنْ لم يَفْقَهُوا، وأَلْصِقْ بغَيلانَ بن خَرشَة مِنْ بينهم.

وعُدْ مَرضَى المسلمين، واشهَدْ جنائزَهم، وافتَحْ لهم بابك، وباشرْ أمورَهم بنفسِك، فإنّما أنتَ رجلٌ منهم، غيرَ أنّ اللهَ قد جعَلكَ أثقلَهم حِمْلاً.

وقد بلغني أنّه قد فشا لكَ ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسِكَ ومَطعَمِكَ ومركبِكَ ليس للمسلمين مثلُها، فإيّاك يا عبدَ اللهِ أنْ تكونَ بمنزلةِ البهيمةِ التي مرّتْ بوادٍ خَصِيبٍ، فلم يكنْ لها هِمَّةٌ إلّا السِّمَنُ، وإنّما حَظُّها من

---

(١) انظر: «سنن الدارقطني» (٤/٢٠٦). (٢) قبيلة.

السِّمَن لغيرِها، واعلم أنّ للعاملِ مَرَدّاً إلى اللهِ، فإذا زاغَ العامِلُ زاغتْ رعيَّتُه، وإنّ أشقَى الناسِ مَن شقِيَتْ به نفسُه ورعيَّتُه، والسلام[١].

• **أبو بكر**: عن الضحَّاك قال: كتبَ عمرُ بنُ الخطاب إلى أبي موسى الأشعري: **أما بعد!** فإنَّ القوةَ في العمل أَنْ لا تؤخِّروا عملَ اليومِ لغدٍ، فإنّكم إذا فعلتُم ذلك تداركتْ عليكم الأعمالُ، فلم تدروا أيها تأخذَون، فأضعتم.

فإذا خُيّرتُم بين أمرينِ أحدُهما للدنيا والآخرُ للآخرة، فاختاروا أمرَ الآخرةِ على أمر الدنيا، فإنَّ الدنيا تفنى، وإنّ الآخرةَ تبقى.

كونوا مِنَ الله على وجلٍ، وتعلّموا كتابَ اللهِ، فإنه ينابيعُ العلم، وربيعُ القلوبِ[٢].

• واستكتب **أبو موسى الأشعري** نصرانياً فكتب إليه عمر: اعزله، واستعمل حنيفياً، فكتبَ إليه أبو موسى: أنّ من غنائه وخيره كيتَ وكيتَ، فكتبَ إليه عمر رضي الله عنه: ليس لنا أن نأتمِنهَم وقد خوّنهم الله، ولا أن نرفعَهم وقد وضعهم الله، ولا أن نستصحِبهَم في الأمرِ، وقد وترهم الإسلامُ، ولا أن نعزّهم وقد أمرنا بأنْ يعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم صاغرون، فكتب إليه أبو موسى: أنَّ البلدَ لا تصلحُ إلا به، فكتب إليه عمر رضي الله عنه: ماتَ النصرانيُّ[٣]، والسلام[٤].

• وكتب إلى **معاوية**: **أما بعد!** فإنِّي لم آلكَ في كتابي إليك خيراً، إياكَ والاحتجابَ دون الناس، وادْنُ للضعيفِ، وأدنه حتى ينبسطَ لسانهُ، ويجترئَ قلبُه، وتعهّدِ الغريبَ، فإنّه إذا طال حبسُه، وضاق أذنه تركَ

---

(١) «المجالسة وجواهر العلم» (٤/ ٤١) رقم: (١١٩٨)، وانظر: «البيان والتبيين» (١/ ٢٠٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٩٧) برقم: (٣٥٢٩٥).
(٣) والظاهر: لو مات النصراني.
(٤) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٠).

حقَّه، وضعفَ قلبه[١].

• وكتب إلى **سعد بن أبي وقّاص**: يا سعدَ سعدَ بني أُهيْب، إنّ الله إذا أحبَّ عبداً حبّبه إلى خلقِهِ، فاعتبِرْ منزلتَك مِنَ اللهِ بمنزلتِكَ من الناسِ، واعلَمْ أنّ ما لَكَ عندَ اللهِ مثلُ ما للهِ عندك[٢].

• وسألَ رجلاً عن شيءٍ، فقال: اللهُ أعلمُ.

فقال عمر رضي الله عنه: قد شقينا إنْ كُنّا لا نعلم أنَّ اللهَ أعلمُ، إذا سئل أحدُكم عن شيءٍ لا يعلمه فليقل: لا أدري[٣].

• ودخل عمر على ابنه عبدَ الله، فوجد عنده لحماً عبيطاً[٤] معلّقاً، فقال: ما هذا اللحمُ؟ قال: اشتهيتُ فاشتريتُ، فقال: أو كلّما اشتهيتَ شيئاً أكلتَه؟ كفى بالمرء شرَهاً أن يأكلَ كلَّ ما اشتهاه[٥].

• مرَّ عمرُ رضي الله عنه على مزبلةٍ، فتأذّى بريحها أصحابُه، فقال: هذه دنياكم التي تحرصونَ عليها[٦].

• ومن كلامه للأحنف: يا أحنفُ! مَنْ كَثُرَ ضَحِكُه، قلَّت هيبتهُ، ومن مزَح استُخِفَّ به، ومن أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامُه كَثُرَ سَقَطُه، ومن كَثُرَ سَقَطُهُ قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ وَرَعُه، ومن قلَّ وَرَعُه ماتَ قلبُه[٧].

• وقال لابنه **عبد الله**: يا بني! اتّقِ اللهَ يَقِكَ، وأقرضِ اللهَ يُجْزِكَ، واشكره يَزْدكَ، واعلمْ أنَّه لا مالَ لِمَنْ لا رِفْقَ له، ولا جديدَ لِمَنْ لا خَلَقَ

---

(١) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٠).
(٢) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ٧٨).
(٣) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٠).
(٤) **العبيط**: الطري غير النضيج، «النهاية» (ص٥٨٩).
(٥) انظر: «كنز العمال» (١٢/ ٨٤٠).
(٦) انظر: «كنز العمال» (٣/ ٧١٦).
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٦١).

له، ولا عَمَلَ لِمَنْ لا نيَّةَ لَهُ[١].

• وكتب عمرُ رضي الله عنه إلى عَمْرِو بن العاص ـ وهو عامله على مصر ـ: **أمّا بعدُ!** فقد بلغني أنّه قد ظهرَ لك مالٌ من إبلٍ وغنمٍ وخدمٍ وغلمانٍ، ولم يكن لكَ قَبْلَهُ مالٌ، ولا ذلك مِنْ رزقِكَ، فأنَّى لكَ هذا؟ ولقد كان لي من السابقينَ الأوّلينَ مَنْ هُوَ خيرٌ منك، ولكنّي استعملتك لغنائك، فإذا كان عملُكَ لَك وعلينا، بِمَ نؤثركَ على أنفسِنا؟ فاكتُب إليّ: مِنْ أينَ ما لَكَ؟ وعجّل، والسلام[٢].

فكتبَ إليه عمرو بن العاص: قرأتُ كتابَ أمير المؤمنين، ولقد صدقَ، فأمّا ما ذكره من مالي، فإنِّي قَدِمْتُ بلدةً الأسعارُ فيها رخيصةٌ، والغزو فيها كثيرة، فجعلتُ فضولَ ما حصلَ لي من ذلك فيما ذكره أميرِ المؤمنين، واللهِ يا أميرَ المؤمنين! لو كانت خيانتُكَ لنا حلالاً ما خُنّاكَ حيث ائتمنتنا، فاقصر عنّا عناءك، فإنّ لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن العملِ لكَ، وأمّا مَنْ كانَ عندكَ لكَ من السابقين الأولين فهلّا استعملتهم، فواللهِ ما وقفتُ لك باباً[٣].

فكتب عمر: **أمّا بعدُ!** فإنّي لستُ من تسطيرِكَ وتشقيقِكَ الكلامَ في شيءٍ، وإنّكم معشرَ الأمراء، أكلتُم الأموالَ، وأخلدتُم إلى الأعذارِ، وإنّما تأكلونَ النّارَ، وتورّثون العارَ، وقد وجهتُ إليك محمّدَ بنَ مسلمة، ليشاطِرَكَ على ما في يديك، والسلام.

فلمّا قدمَ عليه محمّد اتّخذ له طعاماً، وقدّمه إليه، فأبى أن يأكلَ، فقال: ما لكَ لا تأكلُ طعامَنا، قال: إنَّك عملتَ لي طعاماً هو تقدمةٌ للشرّ، ولو كنتَ عملت لي طعام الضيف لأكلتَه، فأبعد عنِّي طعامَكَ،

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٤٥)، و«عيون الأخبار» (١/ ١٠٦).

(٢) انظر: «الأوائل»، للعسكري (١/ ٤٨). (٣) انظر: «الأوائل»، للعسكري (١/ ٤٨).

وأحضرني مالكَ، فلمّا كانَ الغدُ أحضره ماله، فجعل محمّد يأخذ شطراً، ويعطي عمرواً شطراً، فلمّا رأى عمرو ما حاز محمّدٌ من المالِ، قال: يا محمّدُ أقول، قال: قل ما تشآء، قال: لعنَ اللهُ يوماً كنتُ فيه والياً لابن الخطاب، واللهِ لقد رأيتُه ورأيتُ أباه، وأنَّ على كلّ واحدٍ منهما عباءة قطرانية، موزراً بها ما تبلغُ مآبِضَ ركبتيه، وعلى عنقِ كلِّ واحدٍ منهما حزمةٌ من حطب، وأنَّ العاص بنَ وائل لفي مزرّراتِ الديباجِ، فقال محمّد: إيهاً يا عمرو! فعمرُ واللهِ خيرٌ منك، وأمّا أبوك وأبوه ففي النار، واللهِ لولا ما دخلتَ فيه من الإسلام، لألفيت معتقلاً شاةً، يسرُّك غزرها[1]، ويسؤك بكؤها[2]، قال: صدقت، فاكتم عليَّ، قال: أفعل[3].

• **أحمد بن حنبل**[4]: عن ابن عباس: ذكر لعمر ﷺ أن سَمُرةَ باع خمراً، قال: قاتلَ اللهُ سَمُرَةَ، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«لَعَنَ اللهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشحومُ، فجمّلوها فباعوها»**.

• **أحمد بن حنبل**: عن **عياض الأشعري** قال: شهدتُ اليرموك وعلينا خمسةُ أمراء: أبو عبيدة بن الجراح، ويزيدُ بن أبي سفيان، وابن حسنة، وخالد بن الوليد، وعياض، وليس عياض هذا بالذي حدث سماكاً، قال: وقال عمر ﷺ: إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة، قال: فكتبنا إليه أنه قد جاش إلينا الموتُ، واستمددناه، فكتبَ إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدّوني، وأني أدلّكم على مَنْ هو أعزَّ نصراً وأحضر جنداً الله ﷻ فاستنصروه، فإنَّ محمداً ﷺ قد نُصِرَ يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم، ولا تراجعوني، قال:

---

(١) **غزُر غزْراً وغزارةً وغُزْراً الماءُ وغيرُه**: كثُر، وغزرت الناقة: كثر درُّها.
(٢) بكُؤَ بُكُوءاً، **بكؤتِ الناقة**: قلّ لبنُها. (٣) انظر: «الأوائل» للعسكري (١/ ٤٨).
(٤) انظر: «مسند أحمد» رقم: (١٧٠).

فقاتلناهم، فهزمناهم، وقتلناهم أربع فراسخ[١].

• **الغزالي**[٢]: بلغ عمر ﷺ أن يزيدَ بنَ أبي سفيان يأكل أنواع الطعام، فقال عمر لمولى له: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني، فأعلمه فدخل عليه، فقرب عشاؤه، فأتوه بثريد لحم، فأكل معه عمر، ثم قرب الشواء، وبسط يزيدُ يده، وكفَّ عمر يده، وقال: الله الله يا يزيدُ بنُ أبي سفيان! أطعامٌ بعدَ طعامٍ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سُنَّتهم، ليخالفَنَّ بكم عن طريقهم.

• **أبو عمر**: قال عمر ـ إذ دخل الشام ورأى معاوية ـ: هذا كسرى العرب، وكان قد تلقّاه معاويةُ في موكب عظيم، فلما دنا منه قال له: أنتَ صاحبُ الموكب العظيم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: مع ما يبلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات ببابك؟ قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا؟ قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة. فنحب أن نظهِرَ من عزِّ السلطان ما نرهبهم به، فإنْ أمرتني فعلتُ، وإن نهيتني انتهيتُ، فقال عمر لمعاوية: ما أسألك عن شيء إلّا تركتني في مثل رواجب[٣] الضرس، إن كانَ ما قلتَ حقّاً إنّه لرأيُ أريبٍ، وإنْ كان باطلاً إنَّه لخدعة أديب، قال: فمرني يا أمير المؤمنين، قال: لا آمرك ولا أنهاك، فقال عمرو: يا أميرَ المؤمنين، ما أحسنَ ما أصدر الفتى عما أوردته فيه، قال: لِحُسْنِ مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه[٤].

• **المحب الطبري**[٥]: عن **أبي عوانة** قال: كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى عبد الله بن عمر: **أما بعد!** فإنّه مَنِ اتقى الله وقاه،

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٣٤٤). (٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٩١).
(٣) واحدها راجبة: ما بين عُقَد الأصابع من داخل. «النهاية» (ص٣٤٦).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤٤٥). (٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٧).

ومن توكَّلَ عليه كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ولتكن التقوى عماد عملك وجلاء قلبك، فإنَّه لا عمل لمن لا نية له، ولا مالَ لمن لا رِفْقَ له، ولا جديدَ لمن لا خَلَقَ له.

وروي أنه قال في خطبة: يا معشرَ المهاجرين! لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا، وأرباب الإمرة والولاية، فإنّه مسخطةٌ للرب[١]، إياكم والبطنة، فإنَّها مكسلةٌ عن الصلاة، مفسَدَةٌ للجسد، مورثةٌ للسقم، وإن الله تبارك وتعالى يبغِضُ الحَبْرَ السمين، ولكن عليكم بالقصدِ في قوتكم، فإنه أدنى من الإصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، وإنه لن يهلك عبدٌ حتّى يؤثر شهوته على دينه[٢].

• وقال عمر ﷺ: تعلّموا أنّ الطمعَ فقرٌ، وأنّ اليأسَ غنًى، ومَنْ يَئِسَ من شيءٍ استغنى عنه[٣]، والتؤدةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلا ما كان من أمرِ الآخرة[٤].

• وقال: مَنِ اتقى اللهَ لم يشفِ غيظَه، ومَنْ خافَ الله لم يفعل ما يريدُ، ولولا يوم القيامة لكانَ غيرَ ما ترون[٥].

• وروي أنَّ عمر خطب فقال: **أمّا بعدُ!** فإنّي أوصيكم بتقوى الله الذي يبقى ويفنى ما سواه، والذي بطاعته ينفع أولياءه، وبمعصيته يضرّ أعداءه، إنّه ليس لهالكٍ هلكَ عُذْرٌ في تعمّدِ ضلالةٍ حَسِبَها هدًى، ولا تركِ حقٍّ حَسِبَه ضلالةً، قد ثبتتِ الحجةُ، ووضحتِ الطريقةُ، وانقطعَ العذرُ، ولا حُجّةَ على اللهِ ﷻ.

---

(١) انظر: «الجوع»، لابن أبي الدنيا (١/ ١١٦).
(٢) انظر: «إصلاح المال» (١/ ٣٤٧)، و«الجوع» (١/ ١١٧).
(٣) انظر: «تاريخ المدينة» (٢/ ٧٦٧)، و«ربيع الأبرار» (١/ ٤٨٧).
(٤) انظر: «كنز العمال» (٣/ ١٢٣٠). (٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣/ ٣٧٤).

ألا إنَّ أحقَّ ما تعاهدَ الراعي من رعيته أنْ يتعاهدَهم بالذي للهِ تعالى عليهم مِنْ وظائف دينهم الذي هداهم به، وإنَّما علينا أن نأمركم بالذي أمركم الله به مِنْ طاعته، وننهاكم عما نهاكم الله عنه مِنْ معصيته، وأنْ نقيمَ أمرَ الله في قريبِ الناسِ وبعيدِهم، ولا نبالي على مَنْ مال الحق ليتعلّم الجاهلُ، ويتّعظ المفرّط، ويقتدي المقتدي.

وقد علمتُ أنَّ أقوى ما يتمنّون في أنفسِهم ويقولون: نحن نصلّي مع المصلين، ونجاهِدُ مع المجاهدين، ألا إنّ الإيمانَ ليس بالتمنّي، ولكنّه بالحقائق، مَنْ قامَ على الفرائض، وسدّد نيته واتّقى الله فذلكم الناجي، ومن زادَ اجتهاداً وجدَ عند الله مزيداً، وإنَّما المجاهدون الذين جاهدوا أهواءهم، والجهادُ اجتناب المحارم، ألا إنَّ الأمرَ جدّ، وقد يقاتِلُ أقوامٌ لا يريدون إلَّا الأجر، وإنّ الله يرضى منكم باليسير، وأثابكم على اليسير الكثيرَ.

الوظائفَ الوظائفَ؛ أدّوها تؤدّكم إلى الجنة، السُّنَّةَ السُّنَّةَ؛ الزموها تُنْجِكم من البدعة. تعلّموا ولا تعجزوا، فإنّه من عَجَزَ تكلّف، وإنَّ شرارَ الأمورِ مُحْدَثاتها، وإنّ الاقتصادَ في السُّنَّة خيرٌ من الاجتهاد في الضلالةِ، فافهموا ما توعظون به، فإنَّ الجريب من جرب دينه، وإنّ السعيدَ مَنْ وُعِظَ بغيره، وعليكم بالسمع والطاعة، فإنّ الله قضى لهما بالعزة، وإياكم والتفرّق والمعصية، فإن الله قضى لهما بالذلّة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم[١].

• **المحب الطبري**: عن **سالم بن عبد الله** بن عمر قال: كان عمر إذا نهى الناس عن أمر دعا أهله فقال: إنِّي نهيتُ الناسَ عن كذا وكذا، وإنّما ينظرُ الناسُ إليكم نظرَ الطيرِ اللحمَ، فإن وقعتم وقعَ الناسُ، وإن

(١) انظر: «كنز العمال» (١٦/ ١٩١).

هِبْتُم هابَ الناسُ، وإنَّه واللهِ لا يقعُ أحدٌ منكم في شيءٍ نَهَيْتُ الناسَ عنه إلا أضعفُ له العقوبةَ لمكانه منِّي[(١)].

• **المحب الطبري**: عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال: كنّا نلزمُ عمرَ نتعلّم منه الورع[(٢)].

• **الغزالي**: سأل عمرُ عن أخٍ كان آخاه، فخرجَ إلى الشام، فسأل عنه بعضَ مَنْ قدم عليه وقال: ما فعل أخي؟ قال: ذلك أخو الشيطان، قال: مَهْ، قال: إنّه قارفَ الكبائر حتّى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذنّي، فكتب عند خروجه إليه، بسم الله الرحمٰن الرحيم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ [غافر: ١ ـ ٣]، ثم عاتبه تحت ذلك وعذله، فلمّا قرأ الكتابَ بكى وقال: صدق الله، ونصحَ لي عمر، فتابَ، ورجع[(٣)].

* * *

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧١).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٧٨).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٢).

المبحث السابع

في بقاء سلسلة الصحبة الصوفية المبتدأة من النبيِّ ﷺ إلى يومنا هذا بواسطة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

• ولنذكر هاهنا سلسلةَ أهل العراق، فإنّهم أكثر المسلمين اعتناءً بسلسلة الصحبة الصوفية، ولنقدّم هاهنا نكتةً لا بدّ من استحضارها، وهي: أنّ الناسَ في زمن الصحابة والتابعين وأتباعهم لم يكن ارتباط التلامذةِ بمشايخهم بالبيعةِ ولا بالخرقةِ، إنما كان ذلك بالصُّحبة، وما كانوا يقتصرون على شيخٍ واحدٍ ولا سلسلةٍ واحدةٍ، بل كان كل واحد منهم يصحب مشايخ كثيرةً، ويرتبِطُ بسلاسل متعددةٍ، فلا تكادُ سلاسلهم ترتقي إلى واحدٍ بعينه من الصحابة إلا أن يخصّ سلسلةً بالاعتناء من جهة اعترافهم بأثر صحبةِ واحدٍ منهم في نفوسهم أو شهرتهم بأنّهم أصحاب فلان، بحيث يصيرُ ذلك كالسِّمَةِ لهم، أو طول صحبتهم مع واحدٍ منهم.

• أخبرني شيخنا أبو طاهر، عن الشيخ حسن العجمي المكي، قال: سألتُ شيخي الشيخ عيسى المغربي فقلتُ له: يكونُ للطالب شيخٌ يأخذ منه، فهل له أن يدخل على شيخٍ آخرَ؟

قال: الأبُ واحدٌ، والأعمامُ شتَّى.

• وإذا تمهّدت هذه النكتة فاعلم أنّ عبد الله بن مسعود من كبار الصحابة، ومن بشّره النبيُّ ﷺ ببشارات عظيمة، واستخلفه من أمته بعده في قراءة القرآن، والفقه، والموعظة، وكان من أكرم الصحابة بصحبة النبي ﷺ وخدمته، وكان يُعْرَفُ في الصحابة بصاحب السواد، وصاحب السواك والمطهرة، وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ فيما رواه ابن عبد البر من طريق سفيان الثوري في حديث العشرة المبشرة، وقال: «**خذوا القرآن**

من أربعةٍ، من ابن أم عبد»، فبدأ به ثم ذكر آخرين[١]، وقال: «**تمسكوا بعهد ابن أم عبد**»، وقال: «**رضيت لكم ما رضيه ابن أم عبد، وسخطتُ لكم ما سخط ابن أم عبد**»، وقال له: «**أنتَ من أهل هذه الآية**: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣]»، رواه الترمذي[٢].

• وشهد له حذيفة ـ فيما روى أبو عمر ـ، عن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: قلتُ لحذيفةَ: أخبرنا برجل قريب السمت والهدي والدَلِّ من رسولِ اللهِ ﷺ، حتّى نلزمه، فقال: ما أعلمُ أحداً أقربَ سمتاً ولا هدياً ولا دَلّاً من رسول الله ﷺ حتّى يواريَه جدارُ بيته من ابن أم عبد[٣].

• وشهد له عمر في كتابه إلى أهل الكوفة حيثُ كتبَ إليهم: إنّي قد بعثتُ إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلّماً ووزيراً، وهما من النجباء، من أصحاب رسول الله ﷺ، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتُكم بعبد الله بن مسعود على نفسي.

• وقال فيه عمر: كُنَيِّفٌ مُلِئَ علماً[٤]، إلى غير ذلك من مناقب لا تحصى.

• وهو مع ذلك صحب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وشهد بتأثير صحبته في نفسه.

• **أبو عمر**: قال **ابن مسعود**: لو وضع علم أحياء العرب في كفة ميزانٍ، ووُضِعَ عِلْمُ عمرَ في كفّةٍ، لرجحَ عِلْمُ عمر، ولقد كانوا يرون أنه ذهبَ بتسعةِ أعشار العلم، ولمجلسٌ كنتُ أجلسه مع عمر أوثقُ في نفسي

(١) «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٠٥).
(٢) «سنن الترمذي» (ح: ٣٨٥٠).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٠٤).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٠٤).

مِنْ عمل سنة[1].

• وهو القائل: لو سلكَ الناسُ وادياً، وسلكَ عمرُ شعباً، لسلكتُ شِعْبَ عمرَ.

• أبو عمر: لما مات عتبة بن مسعود بكى عليه أخوه عبد الله، فقيل له: أتبكي؟ قال: نعم، أخي في النسب، وصاحبي مع رسول الله ﷺ، وأحبُّ الناس إليَّ إلا ما كان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2].

• ولعبد الله بن مسعود أصحابٌ، يُعرفون بأصحاب عبد الله بن مسعود، ليس لهم سمةٌ إلا هذا، صحبوه طويلاً، وأجلّوه جميلاً، وأثنوا عليه جزيلاً، منهم: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد النخعي، وعمرو بن ميمون الأَوْدي، وربيع بن خُثيم.

ولهؤلاء أصحاب يُعرفون، ليس لهم سمةٌ إلا أصحاب عبد الله، منهم: إبراهيم النخعي، وأبو إسحاق السَّبِيْعي، والأعمش، ومنصور، صَحِبهم سفيانُ الثوري طويلاً، وأخذ عنهم جزيلاً، وكذلك الفُضيل بن عياض.

وصحب سفيانَ الثوري جماعةٌ، منهم داود بن نصر الطائي، وإبراهيم بن أدهم البلخي.

صَحْبُ داود الطائي معروفون، صحبه السَّرِي السقطي، صحبه الجنيد البغدادي، وسلسلته أشهر من أن تحتاج إلى بيان، ولنذكر بعض ما تيسر لنا من زهديات عبد الله وأصحابه، وسيرته، وسيرهم، وكراماتهم.

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٥٥).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/٣١٦).

[زهديّات عبد الله وسيرته وسيره وأصحابه وكراماتهم]

أخرج أبو بكر بن أبي شيبة حِكَم عبد الله، ومواعظه، منها هذه التي نذكرها:

• عن **ابن مسعود** قال: بِحَسْبِ المَرْءِ من العلمِ أَنْ يخافَ الله، وبحسبه من الجهلِ أن يُعْجَبَ بعمله[١].

• وقال: من أرادَ الآخرةَ أضرَّ بالدنيا، ومن أرادَ الدُّنيا أضرَّ بالآخرةِ، يا قوم! فأضروا بالفاني للباقي[٢].

• وقال: مَنِ استطاعَ منكم أن يجعلَ كنزه في السماء حيث لا يأكله السوسُ، ولا يناله السَّرقُ، فليفعل، فإنَّ قلبَ الرجل مع كنزه[٣].

• أوصى ابنَه عبد الرحمٰن فقال: أوصيك بتقوى الله، وليسعك بيتك، واملك عليكَ لسانك، وابكِ على خطيئتِكَ[٤].

• وقال: لوددتُ أنّي أعلمُ أنّ اللهَ غفرَ لي ذنباً من ذنوبي، وأنّي لا أبالي أيَّ ولدِ آدمَ ولدني[٥].

• وقال: إنَّ الجنةَ حُفَّت بالمكاره، وإنَّ النارَ حُفَّت بالشهواتِ، فمن اطلعَ بحجابٍ واقع ما وراءه[٦].

• وقال: مَثَلُ المحقّراتِ من الأعمالِ مِثْلَ قوم نزلوا منزلاً ليس به

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥١٩).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥١٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥٢٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥٢٥).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥٢٦).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥٢٧).

حَطَبٌ ومعهم لحمٌ، فلم يزالوا يلقطون حتّى جمعوا ما أنضجوا به لحمهم[١].

• وقال: لا تعجبوا بحمدِ الناسِ وبذمهم، فإنَّ الرجلَ يعجِبُكَ اليوم ويسوءك غداً، ويسوءك اليومَ ويعجِبُكَ غداً، وإنَّ العبادَ يغيّرون، والله يغفرُ الذنوبَ يومَ القيامة، واللهُ أرحمُ بعبادِهِ يومَ تأتيه من أُمٍّ واحدٍ فرشت له في أرض فيٍّ، ثم قامت تلتمِسُ فراشه بيدها، فإن كانت لدغةٌ كانت بها وإن كانت شوكة كانت بها[٢].

• وقال: وددتُ أني من الدنيا فردٌ كالغادي الراكب الرائح[٣].

• وقال: كفى بخشيةِ الله علماً، وكفى بالاغترارِ به جهلاً[٤].

• وقال: والذي لا إلـٰهَ غيره ما أصبحَ عند آل عبد الله شيءٌ يرجون أن يعطيَهم الله به خيراً، أو يدفع عنهم به سوءاً، إلا أنَّ الله قد علمَ أنَّ عبدَ الله لا يشرِكُ به شيئاً[٥].

• وقال: والذي لا إلـٰهَ غيره ما يضرُّ عبداً يصبِحُ على الإسلام ويمسي عليه ماذا أصابه من الدنيا[٦].

• فرض أصحابُ ابن مسعود البرد، فجعلُ الرجل يستحيي أن يجيءَ في الثوبِ الدون أو الكساءِ الدون، فأصبحَ أبو عبد الرحمٰن في عباية، ثم أصبحَ فيها، ثم أصبحَ في اليوم الثالث فيها[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٣) برقم: (٣٤٥٢٨).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٢).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٣).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٤).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٥).

• وقال: إني لا أخافُ عليكم في الخطأ، ولكنّي أخاف عليكم في العمد، إنّي لا أخافُ عليكم أن تستقلّوا أعمالكم، ولكني أخاف عليكم أن تستكثروها[١].

• وقال: دعوا الحكاكات فإنها الإثم[٢].

• وقال: المؤمنُ يرى ذَنْبَهُ كأنّه صخرةٌ يخافُ أن تقعَ عليه، والمنافِقُ يرى ذَنْبَهُ كَذُبابٍ وَقَعَ على أنفِهِ، فطارَ فذهبَ[٣].

• وقال: قولوا خيراً تُعْرَفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، ولا تكونوا عجلاً مذاييع بذراً[٤].

• وقال: لو وقفتُ بين الجنّةِ والنارِ فقيلَ لي: نخيّركَ مِنْ أيهما تكونُ أحبَّ إليكَ أو تكونَ رماداً لاخترتُ أنْ أكونَ رماداً[٥].

• وقال: لا تفتروا فتهلكوا[٦].

• وقال: وددتُ أني صولحت على تسع سيئات وحسنة[٧].

• وقال: المؤمنُ مَأْلَفٌ، ولا خيرَ فيمن لا يَأْلَفُ ولا يُؤْلَفُ[٨].

• وقال: إنَّ الله يعطي الدُّنيا مَنْ يحبُّ ومَنْ لا يُحِبُّ، ولا يعطي الإيمانَ إلّا من يُحِبُّ، فإذا أحبَّ اللهُ عبداً أعطاه الإيمان[٩].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٤) برقم: (٣٤٥٣٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٠).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤١).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٢).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٣).
(٨) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٤).
(٩) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٥).

• قال: يعرض الناسُ يوم القيامة على ثلاثةِ دواوين: ديوانٌ فيه الحسنات، وديوان فيه النعيم، وديوان فيه السيئات، فيقابل بديوان الحسنات ديوان النعيم، فيستفرغ النعيمُ الحسنات، وتبقى السيئات، مشيئتها إلى الله تعالى، إن شاء الله عذّب وإن شاء غفر[١].

• وقال: تعلّموا تعلموا، فإذا علمتم فاعملوا[٢].

• وقال: لا يشبه الزي الزي حتى تشبه القلوب[٣].

• وقال: إنّ من رأس التواضعِ أنْ ترضى بالدونِ من شرفِ المجلسِ، وأَنْ تبدأَ بالسلام مَنْ لقيتَ[٤].

• وقال: أنتم أكثرُ صياماً، وأكثرُ صلاةً، وأكثرُ اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيراً منكم.

قالوا: لِمَ يا أبا عبد الرحمٰن؟

قال: كانوا أزهدَ في الدّنيا، وأرغبَ في الآخرة[٥].

• وقال: إنّما هذه القلوب أوعيةٌ، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره[٦].

• وكان يقول في خطبته: إنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وأوثقَ العرى كلمةُ التقوى، وخيرَ الملل ملةُ إبراهيم، وأحسنَ القصص هذا القرآن، وأحسنَ السنن سُنَّةُ محمّدٍ ﷺ، وأشرفَ الحديثِ ذكرُ الله، وخيرَ

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) رقم: (٣٤٥٤٨).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٥) برقم: (٣٤٥٤٩).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٦) برقم: (٣٤٥٥٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٦) برقم: (٣٤٥٥١).

الأمور عزائمُها، وشرَّ الأمور محدثاتُها، وأحسنَ الهدي هَدْيُ الأنبياء، وأشرفَ الموتِ قتلُ الشهداء، وأغرَّ الضلالةِ الضلالةُ بعد الهدى، وخيرَ العلمِ ما نفعَ، وخيرَ الهدي ما اتُّبعَ، وشرَّ العمى عمى القلب، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى، وما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى، ونفسٌ تنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تحصيها، وشرَّ العزلة عند حضرةِ الموت، وشرَّ الندامة ندامةُ يوم القيامة.

ومن الناسِ مَنْ لا يأتي الصلاةَ إلا دبرياً، ومِنَ الناس مَنْ لا يذكرُ اللهَ إلا مُهاجِراً، وأعظمُ الخطايا اللسانُ الكذوبُ، وخيرُ الغنى غنى النفس، وخيرُ الزادِ التقوى، ورأسُ الحكمةِ مخافةُ اللهِ، وخيرُ ما أُلقِي في القلبِ اليقينُ، والرَّيبُ من الكُفْرِ، والنَّوْحُ مِنْ عمل الجاهليةِ، والغلولُ من حرِّ جهنّم، والكنز كيٌّ من النارِ، والشعرُ مزاميرُ إبليس، والخمرُ جِماعُ الإثمِ، والنساءُ حبائل الشيطانِ، والشبابُ شعبةٌ من الجنون، وشرُّ المكاسب كسبُ الربا، وشرُّ المآكلِ أكلُ مالِ اليتيم، والسعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره، والشقيُّ مَنْ شقي في بطنِ أمه، وإنّما يكفي أحدكم ما قنعتْ به نفسُه، وإنّما يصير إلى موضع أربع أذرع.

والأمرُ بآخره، وأملكُ العمل به خواتمه، وشرُّ الروايا روايا الكذب، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ، وسبابُ المؤمن فسوقٌ وقتالهُ كفرٌ، وأكلُ لحمِهِ من معاصِي الله، وحرمةُ ماله كحرمة دمِهِ، ومن يَتألَّ على الله يكذّبه، ومن يستغفر يغْفِرِ اللهُ له، ومن يعفُ يَعْفُ الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبرْ على الرزايا يعقبه الله، ومن يعرفِ البلاءَ يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكِره، ومن يستكْبِر يضعه الله، ومن يبتغي السُّمعةَ يسمّع الله به، ومن ينوي الدّنيا تعجزه، ومن يطع الشيطان يعصِ الله، ومن يعصِ الله يعذّبه[1].

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠٦/٧) برقم: (٣٤٥٥٢).

• وقال: اتقوا اللهَ حقَّ تقاته، وحقّ تقاته أن يُطاعَ فلا يُعْصى، وأن يذكرَ فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَرَ فلا يُكْفَرُ.

وإيتاءُ المال على حبه أن تؤتَيه وأنتَ صحيحٌ شحيحٌ، تأملُ العيشَ، وتخافُ الفقرَ، وفضلُ صلاةِ الليلِ على صلاةِ النهارِ كفضلِ صدقة السرِّ على صدقة العلانيةِ[1].

• وقال: لا تنفعُ الصلاةُ إلّا مَنْ أطاعها ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فقال عبد الله: ذِكْرُ اللهِ العبدَ أكبر من ذكر العبدِ لربِّه[2].

• قال: كفى بالمرء مِنَ الشقاءِ أو من الخَيْبَةِ أن يبيتَ وقد بال الشيطانُ في أذنه، فيصبحُ ولم يذكر الله[3].

• وقال: ما أصبحَ اليوم أحدٌ من الناسِ إلا وهو ضيفٌ، وماله عاريةٌ، فالضيفُ مرتَحِلٌ والعاريةُ مؤدّاةٌ[4].

• وقال: موسّعٌ عليه في الدنيا موسّعٌ عليه في الآخرة، مقتورٌ عليه في الدنيا مقتورٌ عليه في الآخرة، مستريحٌ ومُستراحٌ منه[5].

• وقال: التوبةُ النصوحُ أن يتوبَ، ثم لا يعودُ[6].

• وقال: أنِّي لأمقتُ الرجلَ أن أراه فارغاً ليس فيه شيءٌ من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة[7].

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٦) برقم: (٣٤٥٥٣).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٧) برقم: (٣٤٥٥٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٧) برقم: (٣٤٥٥٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٧) برقم: (٣٤٥٥٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٧) برقم: (٣٤٥٥٩).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٧) برقم: (٣٤٥٦٠).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٨) برقم: (٣٤٥٦٢).

• أبو بكر: عن مسروق قال: أُتي عبدُ اللهِ بشرابٍ، فقال: أَعْطِهِ علقمةَ، قال: إنِّي صائمٌ، ثم قال: أعطِ الأسودَ، فقال: إنِّي صائمٌ حتى مرَّ بكلّهم، ثم أخذه فشربه، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٧][١].

❁ [أقوال الربيع بن خُثَيم]:

• **أبو بكر**[٢]: عن **أبي يعلى** قال: كان الربيع بن خُثَيم إذا مرّ بالمجلس يقول: قولوا خيراً، وافعلوا خيراً، ودُوموا على صالحةٍ، ولا تقسَ قلوبكم، ولا يتطاول عليكم الأمدُ، ولا تكونوا كالّذين قالوا: سَمِعْنا، وهم لا يسمعون.

• **أبو بكر**: عن **أبي يعلى** قال: كان الربيعُ إذا قِيْلَ له: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكلُ أرزاقنا، وننتظِرُ آجالنا[٣].

• **أبو بكر**: عن **أبي يعلى** عن ربيع قال: أحبُّ مناشدةَ العبدِ ربَّه، يقول: ربِّ قضيتَ على نفسِكَ الرحمة، قضيتَ على نفسِكَ كذا، وما رأيتُ أحداً يقول: ربِّ قد أديتُ ما عليَّ فأدّ ما عليك[٤].

• **أبو بكر**: عن **بكر بن ماعز** قال: قال الربيع بن خُثَيم: يا بكر! اخزن عليك لسانك إلَّا ممّا لك ولا عليك، فإنّي اتهمتُ الناسَ على ديني، أطع اللهَ فيما علمتَ، وما استؤثر به عليك فَكِلْه إلى عالِمِه؛ لأنا عليكم في العَمْدِ أخوفُ منّي عليكم في الخطأ، وما خيركم اليوم بخيره،

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٩) برقم: (٣٤٥٧٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٥) برقم: (٣٤٨٤٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٥) برقم: (٣٤٨٤١).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٥) برقم: (٣٤٨٤٢).

ولكنّه خيرٌ من آخرَ شرٌّ منه، ما تتبعون الخير كل اتباعه، ولا تفرون من الشر حقَّ فراره، ما كلَّ ما أنزل الله على محمد ﷺ أدركتم، ولا كلُّ ما تقرؤون تدرون[١].

• [أبو بكر] عن ابن سيرين عن الربيع بن خُثَيم قال: أقلّوا الكلام إلا بتسعٍ: تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتحميد، وسؤالك الخير، وتعوّذك من الشر، وأمرك بالمعروف، ونهيك عن المنكر، وقراءة القرآن[٢].

• أبو بكر: عن الشعبي قال: ما جلس الربيع بن خُثَيم في مجلس منذ تأزّر بإزارٍ، قال: أخافُ أن يُظْلَمَ رجلٌ فلا أنصرُه، أو يفتريَ رجلٌ على رجل فأكلّف عليه الشهادةَ، ولا أغضُّ البصرَ، ولا أهدي السبيلَ، أو تقع الحامل فلا أحملُ عليها[٣].

❁ [أقوال مسروق رحمه الله]:

• أبو بكر: عن سعيد بن جبير عن مسروقٍ قال: ما مِنَ الدُّنيا شيءٌ آسَى عليه إلا السجود لله[٤].

• أبو بكر: عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال: إنَّ المرءَ لحقيقٌ أن تكون له مجالسُ، يخلو فيها، يذكر فيها ذنوبه، فيستغفر منها[٥].

• أبو بكر: عن الأعمش عن مسروق قال: إنَّ أحسنَ ما أكونُ ظناً حين يقول الخادِمُ: ليس في البيتِ قفيزٌ من قمحٍ ولا درهمٍ[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٥) برقم: (٣٤٨٤٦).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٦) برقم: (٣٤٨٥٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٦) برقم: (٣٤٨٥٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٨) برقم: (٣٤٨٦٧).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٨) برقم: (٣٤٨٧٠).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٨) برقم: (٣٤٨٧١).

• **أبو بكر**[١]: عن **أبي الضحى** عن مسروق قال: أقربُ ما يكونُ العبدُ إلى اللهِ وهو ساجِدُ.

• **أبو بكر**: عن **هلال بن يساف** قال: قال مسروق: مَنْ سَرَّه أَنْ يعلمَ علمَ الأولين والآخرين، وعلمَ الدنيا والآخرة، فليقرأ سورةَ الواقعة[٢].

• **أبو بكر**: عن **عامر** أنّ رجلاً كان يجلس إلى مسروق، يعرف وجهه ولا يسمّي اسمه، قال: فشيَّعه، قال: فكان في آخر مَنْ ودّعه فقال: إنك قريعُ القراء وسيدهم، وإنّ زينك لهم زينٌ، وشينك لهم شينٌ، فلا تحدِّثنَ نفسك بفقرٍ ولا طول عمر[٣].

• **أبو بكر**: عن **مسلم** عن مسروق قال: بحسب المرء من الجهل أن يُعجَبَ بعلمه، وبحسبه من العلم أن يخشى الله[٤].

• **أبو بكر**: عن **مسلم** عن مسروق قال: كان رجلٌ بالبادية، له كلب وحمار وديك، قال: فالديك يوقظهم للصلاة، والحمار ينقلون عليه الماء، وينتفعون به، ويحمِلُ لهم خباءهم، والكلب يحرسهم، فجاء ثعلبٌ، فأخذ الديك، فحزنوا لذهاب الديك، وكان الرجلُ صالحاً، فقال: عسى أن يكونَ خيراً، قال: فمكثوا ما شاء الله، ثم جاء ذئب، فشقَّ بطنَ الحمارِ، فقتله، فحزنوا لذهابِ الحمار، فقال الرجل الصالح: عسى أن يكون خيراً، ثم مكثوا بعد ذلك ما شاء الله، ثم أصيبَ الكلبُ، فقال الرجل الصالح: عسى أن يكون خيراً، فلمّا أصبحوا نظروا، فإذا هو قد سُبِيَ مَن حولهم، وبقوا هم، قال: فإنّما أخذوا أولئك بما كان

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٨) برقم: (٣٤٨٧٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٨) برقم: (٣٦٠٢٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٩) برقم: (٣٤٨٧٤).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٩) برقم: (٣٤٨٧٦).

عندهم من الصوتِ والجَلَبة، ولم يكن عند أولئك شيءٌ يجلب، قد ذهب كلبهم وحمارهم وديكهم[١].

[مُرةَ]:

• **أبو بكر**: عن **حُصين** قال: أتينا مُرةَ نسأل عنه، فقالوا: مرة الطبيب، فإذا هو في عليّةٍ له، قد تعبّدَ فيها ثنتي عشرة سنة[٢].

[الأسود]:

• **أبو بكر**: عن **الأعمش** عن عمارة عن الأسود قال: ما كان إلا راهباً من الرهبان[٣].

• **أبو بكر**: عن **الشعبي** قال: سُئِلَ عن الأسود، فقال: كان صوَّاماً حَجّاجاً قوّاماً[٤].

[علقمة]:

• **أبو بكر**: عن أبي السفر عن **مرة** قال: كان علقمةُ من الربَّانيين[٥].

• **أبو بكر**: عن **أبي معمر** قال: دخلنا على عمرو بن شُرَحْبِيل، فقال: انطلقوا بنا إلى أشبه الناسِ سَمْتاً وهدياً بعبد الله، فدخلنا على علقمة[٦].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٤٩) برقم: (٣٤٨٧٧).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٠) برقم: (٣٤٨٨١).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٠) برقم: (٣٤٨٨٥).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٠) برقم: (٣٤٨٨٦).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥١) برقم: (٣٤٨٩٣).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥١) برقم: (٣٤٨٩٦).

❁ [عمرو بن ميمون]:

• **أبو بكر**: عن **أبي إسحاق** عن عمرو بن ميمون قال: كان يقال: بادروا بالعمل أربعاً: بالحياةِ قبل الممات، وبالصحّةِ قبل السقم، وبالفراغِ قبل الشغل، ولم أحفظ الرابعةَ[١].

• **أبو بكر**: عن **أبي إسحاق** قال: حجَّ عمرو بن ميمون ستين مِنْ بين حجة وعمرة[٢].

• **أبو بكر**: عن **أبي أفلح** قال: كان عمرو إذا لقيَ الرجلَ من إخوانه قال: رزق الله البارحة من الصلاة كذا، ورزق الله البارحة من الخير كذا وكذا[٣].

❁ [إبراهيم النخعي]:

• **الذهبي**: قال **الأعمش**: كنتُ عند إبراهيم وهو يقرأُ في المصحفِ، فاستأذنَ رجلٌ، فغطّى المصحفَ وقال: لا يظنُّ أنني أقرأ فيه كلَّ ساعةٍ.

• **الذهبي**: عن هنيدةَ امرأة إبراهيم، أنّ إبراهيم كان يصومُ يوماً ويفطِرُ يوماً[٤].

• وجاء من غير وجهٍ عن إبراهيم النخعي أنَّه كان لا يتكلّم إلا أن يُسْأَلَ[٥].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٦) برقم: (٣٤٩٤١).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٧) برقم: (٣٤٩٤٤).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٥٧) برقم: (٣٤٩٤٨).
(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٢٣).
(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٢٥).

• **الذهبي**: قال **الأعمش**: كان إبراهيمُ يتوقّى الشهرةَ، ولا يجلِسَ إلى الأسطوانة[١].

❁ [الأعمش]:

• **الذهبي**: عن **عيسى بن يونس**: لم نر نحنُ ولا القرن الذين كانوا قبلنا مثل الأعمش، وما رأيتُ الأغنياءَ والسلاطينَ عند أحدٍ أحقرَ منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته[٢].

• **وقال يحيى القطان**: كان من النسّاك، وكان علّامة الإسلام[٣].

• **وقال وكيع**: كان الأعمشُ قريباً من سبعين سنة، لم تفته التكبيرةُ الأولى، واختلفتُ إليه قريباً من سنتين ما رأيتهُ يقضي ركعة[٤].

• **وقال الحربي**: ما خلفَ الأعمشُ أعبدَ منه، وكان رضي الله عنه صاحب سُنّة[٥].

❁ [سفيان الثوري]:

• **الذهبي**: قال **عبد الرحمٰن بن مهدي**: ربّما كنا نكونُ عند سفيان، فكأنّه قد أوقف للحساب، فلا يجترئُ أحدٌ أن يسأله، فيعرض بذكر الحديث، فإذا جاء الحديثُ ذهبَ ذلك الخشوع، فإنَّما هو حديثاً حدثنا[٦]، وما عاشرت رجلاً أرقّ منه، كنتُ أرمقه في الليل، ينهض مرعوباً ينادي: النّار، النّار، شغلني ذكرُ النّار عن النوم والشهوات[٧].

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (١/ ٧٤)، وانظر: «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» (١/ ٥١).
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠٠). (٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٣٢).
(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ٤٠١)، واللفظ له، «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٢٨).
(٥) انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٣/ ٦٨).
(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٥٦).
(٧) انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٣/ ٢٢٣).

• وقال **الوليد بن مسلم**: أخبرني عطاء الخفّاف قال: ما لقيتُ سفيان إلّا باكياً، فقلتُ: ما شأنك؟ قال: أخافُ أنْ أكونَ في أمّ الكتاب شقياً[(١)].

وقال علي بن الفضيل: رأيتُ الثوري ساجداً حول البيت، فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه[(٢)].

❁ [الفضيل بن عياض]:

• **ابن الأثير**: الفُضيل بن عياض من ذوي الطبقات العالية، وأولي القيم الغالية، روى عن منصور وعطاء بن السائب والأعمش[(٣)].

• وقال شيخ الإسلام (وهو أبو إسماعيل عبد الله الأنصاري): قال الفضيل بن عياض: إنني عبدتُ اللهَ على حُبٍّ له عبادةً ليس لي بغيرها صبرٌ.

❁ [داود الطائي]:

• **الذهبي**: سئل داود الطائي عن مسألةٍ فقال: أليس المحاربُ إذا أرادَ أن يلتقيَ الحربَ يجمع له آلته؟ فإذا أفنى عمره في جمع الآلة فمتى يحارب؟ إنَّ العلمَ آلةُ العمل، فإذا أفنى عمَره فيه فمتى يعمل[(٤)].

❁ [معروف الكرخي]:

• وقال شيخ الإسلام: إنَّ معروفاً من أجلّة المشايخ القدامى،

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٣/ ٢٢٣).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣/ ١٧٤).
(٣) انظر: «جامع الأصول» (١٢/ ٧٧٤). (٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣/ ٣١٧).

وكان متّصفاً بالزهد، والورع، والفتوة، وهو من أصحاب داود الطائي.

❁ [أبو الحسن السَّري السقطي]:

• **أبو القاسم القشيري**[١]: أبو الحسن السري بن السقطي، خال الجنيد وأستاذه، وكان تلميذ معروف الكرخي، وكان أوحد زمانه في الورع والأحوال السنية وعلوم التوحيد.

• **أبو القاسم القشيري**: أنَّ السريَّ السقطي كان يكون في السوق، وهو من أصحاب معروف الكرخي، فجاءه معروفٌ يوماً، ومعه صبي يتيم، فقال: اكسِ هذا اليتيم، قال السري: فكسوته، ففرحَ به معروفٌ، وقال: بغَّض الله إليك الدنيا، وأَراحَكَ ممّا أَنتَ فيه، فقمتُ من الحانوت وليس شيءٌ أبغضَ إليَّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركاتِ دعاء معروف[٢].

❁ [إبراهيم بن أدهم]:

• وقال شيخ الإسلام: إنَّ إبراهيم بن أدهم كان من أهل بلخ ومن أبناء ملوكها، تابَ إلى اللهِ وهو شابٌّ، خرجَ مرّةً للصيد، فسمع منادياً ينادي: يا إبراهيم! إنّكَ لم تخلق لهذا، فتنبّه بذلك، ودخل في زمرة الصالحين، وسلك مسلكَ الزهد والورع والتوكل على الله تعالى، وسافر إلى مكة، وصحب سفيان الثوري والفضيل بن عياض وأبا يوسف الغسولي.

❁ [الحسن البصري]:

وقال الفقير عُفِي عنه: ولمّا انقرض كبارُ أصحاب عبد الله بن

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٩).
(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١/ ٩).

مسعود قام الحسنُ البصري بهذا الشأن، وكان له أصحاب يقال لهم: أصحاب الحسن البصري.

• **الذهبي**: كانت أمُّ سلمة رضي الله عنها تبعث أم الحسن في حاجة فيبكي، فتسلّيه بثديها، وأخرجته إلى عمر، فدعا له وقال: اللَّهُمَّ فقهه في الدين وحبِّبه إلى الناس[(١)].

• وقال **بلال بن أبي بردة**: واللهِ ما رأيتُ أحداً أشبَهَ بأصحابِ محمد ﷺ من هذا الشيخ؛ يعني: الحسن[(٢)].

• **وقال حميد بن هلال**: قال لنا أبو قتادة: أكرموا هذا الشيخ، فما رأيتُ أحداً أشبه رأياً بعمرَ منه؛ يعني: الحسن[(٣)].

• **الذهبي**: قال **مطر**: كان أبو الشعثاء رجلَ أهلِ البصرة، فلمّا ظهرَ الحسن جاء رجلٌ كأنّما كانَ في الآخرة، فهو يخبِرُ عمّا رأى وعاين[(٤)].

• وقال **الأصبغ بن زيد**: سمعتُ العوّام بن حوشب يقول: ما أُشَبِّهُ الحسنَ إلا بنبيٍّ أقام في قومه ستين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل[(٥)].

• وقال **مجالد**: عن الشعبي قال: ما رأيتُ الذي كان أسودَ من الحسن[(٦)].

• **الذهبي**: قال حوشب عن الحسن يقول: واللهِ يا ابنَ آدم، لئن

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٦٥).
(٢) انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/ ٢٩٦).
(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٣).
(٤) انظر: «التفسير والمفسرون»، للذهبي (٣/ ١١).
(٥) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٦/ ١٠٥)، واللفظ له، «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٢).
(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٣).

قرأتَ القرآنَ ثم آمنتَ به، ليطولنَّ في الدُّنيا حزنك، وليشتدنَّ في الدنيا خوفك، وليكثرنَّ في الدنيا بكاؤك[١].

وقال **جعفر بن سليمان**: حدّثنا إبراهيم بن عيسى اليشكري قال: ما رأيتُ أحداً أطولَ حزناً من الحسن، ما رأيتُه إلّا حسبته حديث عهد بمصيبةٍ[٢].

• **الذهبي**: قال حفص بن غياث سمعتُ الأعمشَ قال: ما زال الحسنُ يعي الحكمةَ حتّى نطقَ بها، وكان إذا ذُكِرَ الحسن عند أبي جعفر محمد بن علي قال: ذاكَ يشبه كلامُه كلامَ الأنبياء[٣].

• **وقال جعفر بن سليمان**: حدّثنا هشام بن حسان: سمعتُ الحسنَ يحلف بالله، ما أعزّ أحدٌ الدرهمَ إلّا أذلّه الله[٤].

• **الذهبي ومسلم**: عن **قتادة**: واللهِ ما حدّثنا الحسنُ عن بدري واحد مشافهةً[٥].

• **الذهبي**: كان الحسن يدلِّسُ، فيقول عن فلان، ولم يسمع منه[٦].

• **أبو عمر**: في ترجمة عبد الله بن مغفل، كان من أصحاب الشجرة، ثم تحوّلَ عنها إلى البصرة، أروى الناس عنه الحسن، قال الحسن: كان عبدُ الله بن مغفل أحدُ العشرة الذين بعثهم إلينا عمر، يفقهون الناس، وكان من نقباء أصحابه[٧].

• **الذهبي**: عن الحسن عن عبد الله بن مغفل قال: إني لممّن يرفع

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٥). (٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٥).
(٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٥). (٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٧٦).
(٥) انظر: «صحيح مسلم»، باب: (٥)، و«تهذيب الكمال»، للمزي (٦/ ١٢٢) واللفظ له.
(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٧٠). (٧) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٠٥).

أغصان الشجرة عن وجه رسول الله ﷺ وهو يخطب[١].

❁ [أيوب السختياني]:

• **الذهبي**: قال الحسن ونظر إلى أيوب: هذا سيّدُ الفتيان، وقال مرةً: أيوبُ سيّدُ شبابِ أهل البصرة[٢].

• **وقال شعبة**: حدّثنا أيوب وكان سيّدَ الفقهاء، ما رأيتُ مثله ومثل يونس، وابن عون[٣].

• **وقال سعيد بن عامر عن سلام**: كان أيوب السختياني يقومُ الليل، ويخفي ذلك، فإذا كان عند الصبح، رفع صوته، كأنه قام تلك الساعة[٤].

وقال ابنُ عون: لمّا ماتَ محمد بن سيرين قلنا: مَنْ ثَمَّ؟ فقال: أيوب[٥].

• وعن **عبد الواحد بن زيد** قال: كنت مع أيوب السختياني على حراء، فعطشتُ عطشاً شديداً، حتّى رأى ذلك في وجهي، فقال: ما بك؟ قلت: العطش قد خفت على نفسي، قال: تستر علي؟ قلت: نعم، فاستحلفني، فحلفتُ أن لا أخبر عنه ما دام حياً، فغمز برجله على حراء، فنبع الماء، وشربت حتى رويت، وحملت معي من الماء[٦].

• **الذهبي**: عن أيوب السختياني، وهو من شيوخ سفيان، قال: ما لقيتُ كوفياً أفضّله على سفيان[٧].

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» رقم: (١٤٨٩) واللفظ له، «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٨٣).
(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٨). (٣) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩).
(٤) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٧). (٥) انظر: «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٣١).
(٦) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٣). (٧) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٣٧).

❁ [حبيب بن محمد بن العجمي]:

• **الذهبي**: حبيب بن محمد بن العجمي كان رجلاً تاجراً يعير الدراهم، فمرّ ذات يوم بصبيان يلعبون، فقال بعضُهم: قد جاء آكل الربا! فنكسَ رأسه، وقال: يا ربِّ أفشيت سري إلى الصبيان، فرجع فلبس دُرَّاعةً من شعر، وغل يده، ووضع ماله بين يديه، وجعل يقول: يا رب إني أشتري نفسي منك بهذا المال فأعتقني، فلمّا أصبحَ تصدّق بالمال كلّه، وأخذ في العبادة، فلم يُرَ إلا صائماً، أو قائماً، أو ذاكراً، فمرّ ذاتَ يومٍ بأولئك الصبيان الذين كانوا عيّروه بأكل الربا، فلما نظروا إليه، قال بعضهم: اسكتوا، فقال بعضهم لبعض: اسكتوا، فقد جاء حبيب العابد، فبكى، وقال: كلٌّ مِن عندك.

فبلغَ مِنْ فضله أنه كان يقال: إنه مستجاب الدعاء، وأتاه الحسن هارباً من الحجّاج، فقال: يا أبا محمد! احفظني، الشرط على أثري، فقال: استحيتُ لك يا أبا سعيد! ليس بينك وبين ربك من الثقة ما تدعو فيسترك، ادخل البيت، فدخل ودخل الشرط على أثره، فلم يروه فذكروا ذلك للحجاج فقال: بلى، قد كان في بيته، ولكنَّ الله طمس أعينكم[١].

• وقال المعتمر عن أبيه قال: ما رأيتُ أحداً قطّ أعبدَ من الحسن، وما رأيتُ أصدقَ يقيناً من حبيب أبي محمد[٢].

• وقال ضمرة عن السري بن يحيى: كان حبيبُ يُرى بالبصرة يوم التروية، وبعرفة عشية عرفة[٣].

• ويروى أنَّ حبيباً دعا على رجل فسقط ميتاً.

---

(١) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٥/ ٣٩٠).
(٢) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٥/ ٣٩١).
(٣) انظر: «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» (١/ ١٥٤).

قال الفقير عفي عنه: كان الناسُ بعد الحسن وأصحابه يصحبون أصحاب عبد الله، ويصحبون أصحاب الحسن، يأخذون عن الفريقين كليهما، إلى أن قام الجُنيد وأقرانُه، فأحكموا السلسلة الصوفية بالصحبة والخرقة، وكان فيهم المرقّعات، والسماع، والكلام على الناس، والإشارات والإشراقات، ومذاهبهم مبسوطةٌ في «قوت القلوب» وغيره.

ونشأ من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سلاسِلُ أخرى، انقرضت بعد زمان، منها: أنّ عبد الله بن عمر صَحِبَ النبيَّ ﷺ، وصحب بعده أباه، وانتفع به، وثقفه أبوه كما أحبَّ، صحبه سالِمٌ ابنه، ونافعٌ مولاه، صحب سالماً الزهريُّ، وحنظلةُ، وصحب نافعاً مالكٌ، وعبيد الله، وجماعة.

ومنها: أسلم مولى عمر، صحب عمر بن الخطاب طويلاً، صحبه ابنه زيد بن أسلم.

۞ [أقوال ابن عمر]:

وهذه أقوال ابن عمر، نقلناها من «مصنف أبي بكر».

- **أبو بكر:** عن ابن عمر قال: لا يصيبُ أحدٌ من الدنيا إلّا نقص من درجاته عند الله، وإن كان عليه كريماً[١].

- وقال: لا يكونُ رجلٌ من أهل العلم حتى لا يحسد مَنْ فوقه، ولا يحقِرَ من دونه، ولا يبتغي بعلمه ثمناً[٢].

- وقال: لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتى يعدّ الناسَ حمقى في دينه[٣].

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٢٨).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٥٦٢٩).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٠).

• وقال: يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة رآها قط، فيقول لها: من أنت؟ فتقول له: أنا التي كنت معك في الدنيا، لا أفارقك حتى أدخلك الجنة[١].

• وقال: ما وضعت لبنة ولا غرست نخلة منذ قبض رسول الله ﷺ[٢].

• وقال لحمران: لا تلقينَّ الله بذمةٍ لا وفاءَ بها، فإنه ليس يوم القيامة دينارٌ ولا درهمٌ، إنّما يجازى الناسُ بأعمالهم[٣].

• وكان يقول: إني ألفيت أصحابي على أمر، وإني إن خالفتهم خشيت أن لا ألحق بهم[٤].

❁ [سيَر ابن عمر]:

وهذه سير ابن عمر، نقلناها من مصنف أبي بكر.

• **أبو بكر**: عن **جابر** قال: ما منّا أحدٌ أدرك الدنيا إلّا مال بها، ومالت به، غير عبد الله بن عمر[٥].

• كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظنَّ أنّ به شيئاً من تتبعه آثار النبي ﷺ[٦].

• كان ابن عمر يكره أن يصلي إلى أميال صنعها مروان من حجارة[٧].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٢).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٣).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٧).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٨).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٦) برقم: (٣٤٦٢٧).
(٦) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٣).
(٧) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٧) برقم: (٣٤٦٣٥).

• عن **نافع** قال: كان ابنُ عمر يعمل في خاصّة نفسه بالشيء لا يعمل به في الناس[(١)]، وكان في طريق مكة يقول برأس راحلته، يثنيها ويقول: لعلَّ خفّاً يقعُ على خفٍّ؛ يعني: خفَّ راحلةِ النبي ﷺ[(٢)].

• ودخل ابن عمر في أناسٍ من أصحابه على عبد الله بن عامر بن كريز وهو مريضٌ يزورونه، فقالوا له: أبشر، فإنّكَ قد حفرت الحياض بعرفات، يشرعُ فيها حاجُّ بيت الله، وحفرتَ الآبارَ بالفلوات، قال: وذكروا خصالاً من خصال الخير، قال: فقالوا: إنا لنرجو لك خيراً إن شاء الله، وابنُ عمرَ جالسٌ لا يتكلّم، فلما أبطأ عليه الكلام قال: يا أبا عبد الرحمٰن! ما تقول؟ فقال: إذا طابت المكسبةُ زكتِ النفقةُ، وستردُ فتعلمَ[(٣)].

• مرَّ ابن عمر في خربة ومعه رجل فقال: اهتف، فهتفَ، فلم يجبه ابن عمر، ثم قال له: اهتف، فأجابه ابن عمر: ذهبوا وبقيت أعمالُهم[(٤)].

❁ [سالم بن عبد الله بن عمر]:

• **الذهبي**: عن **ابن المسيب** قال: كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به، وكان سالم أشبه ولد عبد الله به[(٥)].

• **الذهبي**: عن ميمون بن مهران قال: دخلتُ على ابن عمر، فقوّمت كلَّ شيء في بيته، فما وجدته يسوى مائة درهم، ثم دخلتُ مرة أخرى، فما وجدت ما يسوى ثمن طيلسان، ودخلت على سالم من

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٨) برقم: (٣٤٦٤٤).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٩) برقم: (٣٤٦٤٨).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٩) برقم: (٣٤٦٥٣).
(٤) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١١٩) برقم: (٣٤٦٥٤).
(٥) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٥٩).

بعده، فوجدته على مثلِ حالِ أبيه[١].

• **الذهبي**: دخل سالمٌ على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظة رثة، فلم يزل سليمانُ يرحّب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أخريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبسَ ثياباً فاخرةً أحسنَ من هذه، يدخل فيها على أمير المؤمنين! قال: وعلى المتكلّم ثيابٌ سريةٌ، لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيتُ هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيتُ ثيابك هذه رفعتْكَ إلى مكان خالي ذاك[٢].

• قال أحمد وإسحاق: أصحّ الأسانيدِ الزهريُّ عن سالمٍ عن أبيه.

❁ [زيد بن أسلم]:

• **الذهبي**: قال أبو حازم لعبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: لقد رأينا في مجلسِ أبيك أربعينَ حَبْراً فقيهاً، أدنى خصلة منا التواسي بما في أيدينا[٣].

• وكان أبو حازم يقول: اللَّهُمَّ إنّكَ تعلم أنّي أنظرُ إلى زيدٍ فأذكر بالنظر إليه القوة على عبادتك[٤]، كان زيدٌ يقول: ابنَ آدم! اتّقِ الله يحبُّك الناسُ وإلّا كرهوا[٥].

❁ [أبو حازم]:

• قال أبو حازم: انظر كلَّ عملٍ كرهتَ الموت من أجله، فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٦٠). (٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٦١).
(٣) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (١٠/ ١٥).
(٤) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (١٠/ ١٦).
(٥) انظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (١٠/ ١٦).

• وقال: يسيرُ الدُّنيا يشغَلُ عن كثير الآخرة[١].

وقال: شيئان إذا عملتَ بهما، أصبتَ خير الدنيا والآخرة، لا أطول عليك، قيل: ما هما؟ قال: تحمِلُ ما تكره إذا أحبه الله، وتترك ما تحبُّ إذا كرهه الله[٢].

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الفصل، وبتمامه تمّت مقامات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٨).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٩٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

[كلمات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سياسة المُلك، وتدبيرِ المنازل، ومعرفة الأخلاق]

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد! فهذه كلماتُ أميرِ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سياسةِ الملك، وتدبيرِ المنازل، ومعرفةِ الأخلاق، أحببنا أن لا يخلوَ كتابُنا عنها، وإن كانت يسيرةً بالنسبةِ إلى ما نُقِلَ عنه في هذه الأبواب.

• **البخاري وأبو بكر**، واللفظ لأبي بكر: قال عمر: أوصي الخليفةَ من بعدي بتقوى الله، والمهاجرين الأولين أن يعرفَ لهم حقّهم، ويعرف لهم حرمتَهم.

وأوصيه بأهل الأمصار خيراً، فإنهم رِدْءُ الإسلام، وغيظ العدو، وجباةُ الأموالِ أن لا يؤخذ منهم فيئهم إلا عن رضاً منهم.

وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوؤوا الدار والإيمان أن يقبلَ من محسنهم، ويتجاوزَ عن مسيئهم.

وأوصيه **بالأعراب** خيراً فإنّهم أصلُ العرب، ومادةُ الإسلام، أنْ يؤخذَ من حواشي أموالهم، فتردَّ على فقرائهم.

وأوصيه **بذمة الله وذمة رسوله** أن يوفي لهم بعهدهم، وأن لا يُكَلَّفوا إلا طاقتهم(١).

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٠٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٥) برقم: (٣٧٠٥٩).

• **أبو بكر**: عن جارية بن قدامة السعدي قال: حججتُ العام الذي أصيبَ فيه عمر، قال: فخطبَ فقال: إنِّي رأيتُ أنَّ ديكاً نقرني نقرتين أو ثلاثاً، ثم لم تكن إلا جمعة أو نحوها حتَّى أصيبَ، قال: فأذن لأصحاب رسول الله ﷺ، ثم أذنَ لأهل المدينة، ثم أذنَ لأهل الشام، ثم أذن لأهل العراق، فكُنّا آخرَ من دخل عليه، وبطنه معصوب ببرد أسود، والدماء تسيلُ، كلّما دخلَ قومٌ بكوا وأثنوا عليه، فقلنا له: أوصنا ـ وما سأله الوصية أحدٌ غيرنا ـ فقال: عليكم بكتاب الله، فإنّكم لن تضلّوا ما اتبعتموه، وأوصيكم **بالمهاجرين**، فإنّ الناس يكثرون ويقلون، وأوصيكم **بالأنصار** فإنّهم شِعْبُ الإيمان الذي لجأ إليه، وأوصيكم **بالأعراب**، فإنّهم أصلكم ومادتكم، وأوصيكم **بذمتكم**، فإنّها ذمة نبيّكم، ورزق عيالكم، قوموا عني، فما زادنا على هؤلاء الكلمات[١].

• **أبو بكر**: عن المِسْور بن مَخْرَمة قال: سمعتُ عمر وإن إحدى أصابعه في جرحه، هذه أو هذه أو هذه، وهو يقول: يا معشر قريش! إنِّي لا أخافُ الناسَ عليكم، إنَّما أخافكم على الناس، إنِّي قد تركتُ فيكم ثنتين، لن تبرحوا بخيرٍ ما لزمتموهما: العدلُ في الحُكْمِ، والعَدْلُ في القِسْمِ، وإنِّي قد تركتُكم على مثل مخرفةِ النعمِ إلا أن يتعوّج قومٌ فيعوج بهم[٢].

• **أبو بكر**: عن حسن بن محمد قال: قال عمر لعثمان: اتّق الله، وإن ولّيتَ شيئاً من أمور الناس، فلا تَحْمِلْ بني أبي مُعَيْطٍ على رقاب الناس، وقال لعلي: اتّقِ الله، وإن ولّيتَ شيئاً من أمور الناس، فلا

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٧) برقم: (٣٧٠٦٣).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٨) برقم: (٣٧٠٦٦).

تحمل بني هاشم على رقاب الناس[١].

• وقد روي في وصيته الخليفة من بعده روايات شتَّى، أشبعها فيما أرى ما وجدت في بعض كتب التاريخ.

• أوصى عمرُ الخليفةَ مِنْ بعده فقال:

أوصيك بتقوى الله، لا شريك له، وأوصيك **بالمهاجرين الأولين** خيراً، أنْ تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك **بالأنصار** خيراً؛ فاقبل من محسنهم، وتجاوزْ عن مسيئهم، وأوصيك **بأهل الأمصار** خيراً؛ فإنّهم رِدْء العدو، وجباة الفيء، لا تحمل فيئهم إلى غيرهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك **بأهل البادية** خيراً؛ فإنّهم أصلُ العرب، ومادّةُ الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم، فيردَّ على فقرائهم، وأوصيك **بأهل الذمة** خيراً أن تقاتلَ من ورائهم، ولا تكلّفهم فوق طاقتهم، إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً أو عن يدٍ وهم صاغرون.

وأوصيك بتقوى الله، وشدّة الحذر منه، ومخافة مقته؛ أن يطّلع منك على ريبةٍ، وأوصيك أن تخشى الله في الناسِ، ولا تخشى النّاسَ في اللهِ.

وأوصيكَ بالعدلِ في الرّعية، والتفرّغ لحوائجهم ولا تغرّ ثغورهم، ولا تعين غنيهم على فقيرهم، فإنّ في ذلك ـ بإذن الله ـ سلامة لقلبك، وحطّاً لذنوبك، وخيراً في عاقبة أمرك.

وأوصيك أن تشتدّ في أمر الله، وفي حدوده، والزجر عن معاصيه، على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحدٍ الرأفة والرحمة في أحد منهم حتى تنهك منه مثل جرمه، واجعل الناسَ سواءً عندك، سواء

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٩) برقم: (٣٧٠٧١).

لا تبالي على مَنْ وَجَبَ الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والأثرة والمحاباة، فيما ولاك الله ممّا أفاء الله على المؤمنين، فتجورَ فَتَظْلِمَ، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسَعه الله عليك، فإنّك في منزلة من منازل الدنيا، وأنت إلى الآخرة جِدُّ قريب، فإن صدقت في دنياك عفةً وعدلاً فيما بسط لك اقترفت رضواناً وإيماناً، وإن غلبك عليه الهوى، ومالت بك شهوةٌ، اقترفت به سخط الله ومعاصيه.

وأوصيك ألا ترخّص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة، وقد أوصيتكَ وخصصتكَ، ونصحتُ لك، أبتغي بذلك وجه الله والدارُ الآخرة، ودللتُك إلى ما كنتَ دالّاً عليه نفسي، فإن عملت بالذي وعظتُك، وانتهيتَ إلى الذي أمرتُكَ به، أخذتَ منه نصيباً وافراً، وحظاً وافياً، وإن لم تقبَلْ ذلك، ولم تعملْ، ولم تتركْ معاظمَ الأمور عند الذي يرضى الله به سبحانه عنك، يكن ذلك بك انتقاصاً، ويكن رأيك فيه مدخولاً؛ فالأهواءُ مشتركة، ورأسُ الخطيئة إبليسُ الداعي إلى كلِّ هلكة، قد أضلَّ القرونَ السابقة قبلك، وأوردهم النارَ، ولبئس الثمنُ أنْ يكونَ حظّ أمره من دنياه موالاة عدو الله، الداعي إلى معاصيه.

اركب الحقّ، وخض إليه الغمرات، وكنْ واعظاً لنفسِك.

وأنشدك الله لمّا ترحّمت إلى جماعة المسلمين، فأجللتَ كبيرَهم، ورحمتَ صغيرَهم، ووقّرت عالِمَهم، ولا تقربهم فيه سواءً، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها فتفقرهم، ولا تجمّرهم في البعوث فتقطع نسلهم، ولا تجعل الأموالَ دُولةً بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابَك دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفَهم، هذه وصيّتي إياك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام[١]، والله على كل شيء شهيد.

---

(١) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ١٣٣) واللفظ له، و«نثر الدر» (١/ ١١٧).

• **المحب الطبري**: كتب عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح، **أمّا بعدُ**: فإنّه لا يقيمُ أمرَ الله في الناسِ إلا حصيفُ العقدة، بعيدُ الغرة، ولا يطلع الناسُ منه على عورةٍ، ولا يحنقُ في الحقِّ على جرة، ولا يخافُ في الله لومةَ لائمٍ[1].

• **المحب الطبري**[2]: كتب عمرُ إلى أبي عبيدة، **أمّا بعدُ**: فإنّي كتبتُ إليكَ كتاباً لم آلك ونفسي فيه خيراً: الزم خمسَ خلالٍ يسلمْ لكَ دينُك، وتحظَ بأفضل حظِّكَ: إذا حضرك الخصمان فعليكَ بالبيّنات العدول، والأيمانِ القاطعةِ، ثم أَدْنِ الضعيفَ حتّى ينبسطَ لسانهُ، ويجترئَ قلبهُ، وتعاهدِ الغريبَ، فإنَّه إذا طالَ حبسُه تركَ حاجتَه، وانصرفَ إلى أهلِهِ، وإنّما الذي أبطل حقّه مَنْ لم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح ما لم يتبيّن لك القضاء، والسلام عليك.

• وروي أنّ عمر كتب إلى أبي موسى: **أمّا بعدُ!** فإنّ للناسِ نفرة عن سلطانهم، فأعوذُ بالله أن تدركَنِي وإيّاكَ عمياءُ مجهولةٌ، وضغائنُ محمولةٌ، وأهواءٌ متَّبعةٌ، ودنيا مؤثرة؛ أقم الحدودَ، واجلس للمظالم، ولو ساعةً من نهار، وإذا عرضَ لك أمران: أحدهما لله، والآخر للدنيا، فابدأ بِعمل الآخرة، فإنَّ الدنيا تفنى، والآخرةُ تبقى، وكن من مال الله ﷻ على حَذَرٍ، وأَخِفِ الفسّاقَ، واجعلهم يداً يداً، ورجلاً رجلاً، وإذا كانت بين القبائل ثائرةٌ، يا لفلان! يا لفلان! فإنما تلك نجوى الشيطان، فاضربهم بالسيف حتى يفيئوا إلى أمر الله، وتكون دعواهم إلى الله وإلى الإسلام[3].

قوله: (واجعلهم يداً يداً ورجلاً رجلاً)؛ أي: فرّقهم، ولا تتركهم بحيث يتعاونون عليك.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).

(٣) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٦) واللفظ له، «العقد الفريد» (١/ ٢٥).

• وكتب إلى معاوية: إيّاكَ والاحتجابَ دون الناس، وادنُ للضعيف، وأدنه حتّى ينبسط لسانه، ويجترئَ قلبه، وتعهّدِ الغريبَ، فإنه إذا طال حبسه ضاقَ صدرُه وضعفَ قلبُه، وترك حقه[١].

• **أبو بكر**: عن **معاوية بن قرة** عن أبيه قال: قال عمر: ما استفادَ رجلٌ ـ أو قال: عبد ـ بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حسنة الخلق، ودودٍ، ولودٍ، وما استفادَ رجلٌ بعد الكفر باللهِ شرّاً من امرأة سيئة الخلق، حديدة اللسان، ثم قال: إنَّ منهنَّ غنماً لا يحذى منه، وإنَّ منهنَّ غلّاً لا يفدى منه[٢].

• **أبو بكر**: عن **سَمُرَة بن جندب** قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول:

النساءُ ثلاثةٌ: امرأةٌ هينةٌ ليّنةٌ، عفيفةٌ مسلمة، ودودٌ ولودٌ، تعين أهلها على الدهر، ولا تعين الدهرَ على أهلها، وقلَّ ما تجدها.

ثانيةٌ: امرأةٌ عفيفةٌ مسلمةٌ، إنَّما هي وعاء للولد، ليس عندها غير ذلك.

ثالثة: غل قمل، يجعلها الله في عُنِقَ مَنْ يشاء، ولا ينزعها غيرُه.

الرجال ثلاثة: رجلٌ عفيفٌ، مسلمٌ عاقلٌ، يأتمر في الأمور إذا أقبلت، فإذا وقعت خرج منها برأيه، ورجلٌ عفيفٌ مسلمٌ، ليس له رأي، فإذا وقع الأمرُ، أتى ذا الرأي والمشورة، فشاوره، واستأمره، ثم نزل عند أمره، ورجلٌ جائرٌ حائرٌ، لا يأتمِرُ رشداً، ولا يطيع مرشداً[٣].

---

(١) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٠).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٩) برقم: (١٧١٤٢).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٥٥٩) برقم: (١٧١٤٧).

• **أبو الليث**: عن **مكحول** أنَّ عمر كتب إلى أهل الشام: أَنْ علّموا أولادَكم السباحة، والرماية، والفروسية، ومروهم بالاختفاء بين الأعراض.

• **أبو الليث**: عن **عمر** قال: جاءتِ امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسولُ اللهِ! ما حقُّ الزوج على المرأةِ؟ فقال: «**لا تمنعه نفسَها وإن كانت على ظهر قتبٍ، ولا تصومُ يوماً إلّا بإذنه إلّا رمضانَ، فإن فعلتْ كان الأجرُ له، والوزرُ عليها، ولا تَخْرُجُ إلّا بإذنه، فإن خرجتْ لعنَتْها ملائكةُ الرحمةِ، وملائكةُ العذابِ حتّى ترجعَ**».

• **أبو الليث**: ذكر في الخبر أن رجلاً جاء إلى عمر يشكو من زوجته، فلمّا بلغَ بابه سمع امرأته أم كلثوم تطاولت عليه، فقال الرجل: إنِّي أريد أن أشكو إليه وبه من البلوى مثل ما بي، فرجعَ فدعاه عمرُ فسأله، فقال: إنِّي أريدُ أن أشكو إليك زوجتي، فلمّا سمعتُ من زوجتك ما سمعتُ، رجعت، فقال: إنِّي أتجاوزُ عنها لحقوقٍ لها عليّ: **أولها**: أنَّها ستر بيني وبين النار، فليسكن بها قلبي عن الحرام، **والثاني**: أنها خازنة لي، إذا خرجتُ من منزلي تكونُ حافظةً لمالي، **والثالث**: أنها قصّارةٌ لثيابي، **والرابع**: أنَّها ظِئْرٌ لولدي، **والخامس**: أنّها خبازة وطبَّاخةٌ لي، فقال الرجل: إن لي مثل ذلك فأتجاوزُ عنها.

• **الغزالي**[1]: شهد عند عمر رضي الله عنه شاهدٌ فقال: ائتني بمن يعرفك، فأتاه برجل فأثنى عليه خيراً، فقال عمر: أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا؛ فقال: كنتَ رفيقه في السفر الذي يُسْتَدَلُّ به على مكارم الأخلاق؟ فقال: لا، قال: فعاملتَه بالدينار والدرهم الذي يستبينُ به وَرَعُ الرجلِ؟ قال: لا، قال: أظنُّك رأيتَه قائماً في المسجد

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٣٠).

يهمهم بالقرآن، يخفضَ رأسه طوراً، ويرفعه أخرى؟ قال: نعم، فقال: اذهب فلست تعرفه. وقال للرجل: اذهب فائتني بمن يعرفك.

وكان يقول: ليتَ شعري متى أشفي غيظي؟ أحين أقدر فيقال: لو عفوتَ، أم حين أعجل فيقال: لو صبرتَ(١).

• ورأى أعرابياً يصلي صلاةً خفيفةً، فلمّا قضاها قال: اللَّهُمَّ زوجني الحور العين، فقال عمر: أسأتَ النقد، وأعظمتَ الخطبة(٢).

• وقيل له: كان الناسُ في الجاهليةِ، يدعون على مَنْ ظلمهم، فيستجابُ لهم، ولسنا نرى ذلك الآن، قال: لأنّ ذلك كان الحاجز بينهم وبين الظلم، وأمّا الآن فالساعةُ موعدهم، والساعةُ أدهى وأمرّ(٣).

• **ومن كلامه**: مَنْ عرّض نفسَه للتهمة فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ به الظنَّ، ومن كتم سِرّه كانت الخيرةُ بيده.

وضع أمرَ أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبُك عليه.

ولا تظنَّنَّ بكلمةٍ خرجت مِنِ امرئٍ مسلم شراً وأنتَ تجدُ لها في الخيرِ مخرجاً.

وعليك بإخوان الصدق، فَكِسْ في اكتسابهم، فإنّهم زينةٌ في الرخاء، عِدّةٌ في البلاء.

ولا تهاون في الحلف بالله فيهينك(٤).

• قال عمر: لا تعترضْ فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ

---

(١) انظر: «عيون الأخبار» (١/ ١٢٣)، و«نثر الدر» (١/ ١١٠).

(٢) انظر: «ربيع الأبرار» (١/ ١٥٦)، و«نثر الدر» (١/ ١١١).

(٣) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٢).

(٤) انظر: «لباب الآداب»، لأسامة بن منقذ (١/ ٥). قوله: (فَكِسْ) من الكياسة.

من خليلك إلا الأمين، فإنَّ الأمينَ من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحبِ الفاجرَ فيعلمك من فجوره، ولا تُفْشِ إليه سرَّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله[١]، وكفى بك عيباً أن يبدو لك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك فتؤذي جليسك بما تأتي مثله[٢].

• وقال: إنّ ممّا يصفِي لك ودَّ أخيك ثلاثاً: إذا لقيته أن تبدأه بالسلام، وأن تدعوه بأحبِّ أسمائه إليه، وأن توسِّعَ له في المجلس[٣].

• وقال: إني أحبُّ للرجلِ أن يكونَ في أهلِه كالصبي، فإذا احتيجَ إليه كان رجلاً[٤].

• بينا عمر بن الخطاب يمشي ورجلٌ يخطو بين يديه ويقول: أنا ابن بطحاء مكة كداها وكداءها، فقال عمر: إن يكن لك دين فلك كرم، وإن يكن لك عقل فلك مروءة، وإن يكن لك مال فلك شرف، وإلا فأنتَ والحمارُ سواء[٥].

• وقال: يا معشرَ المهاجرين! لا تكثروا الدخول على أهل الدنيا وأرباب الإمرة والولاية فإنَّه سخطةٌ للرب[٦]، وإياكم والبِطنة، فإنّها مكسلة عن الصلاة، مفسدةٌ للجسد، مؤرثةٌ للسقم، وإنّ الله يبغِضُ الحَبْرَ السمين، ولكن عليكم بالقصدِ في قُوْتِكُم، فإنّه أدنى من الإصلاح، وأبعد من السرف، وأقوى على عبادة الله، ولن يهلك عبدٌ حتّى يؤثر شهوته

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٤) برقم: (٣٤٤٥٠).
(٢) انظر: «تعليق من أمالي ابن دريد» (١/ ٢٢).
(٣) انظر: «الزهد والرقائق»، لابن المبارك (١/ ٣٧١).
(٤) انظر: «تعليق من أمالي ابن دريد» (١/ ٢٤).
(٥) انظر: «المقاصد الحسنة» (١/ ١٦٨).
(٦) انظر: «كنز العمال» (٣/ ١٢٥٧).

على دينه[١].

• وقال: تعلّموا أنّ الطمع فقرٌ، وأنَّ اليأسَ غنًى، ومن يَئِسَ من شيء استغنى عنه[٢]، والتؤدةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ، إلا ما كان من أمر الآخرة[٣].

• وقال: من اتقى الله لم يشفِ غيظه، ومن خافَ الله لم يفعل ما يريدُ، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون[٤].

• وقال: إنِّي لأعلمُ أجودَ الناس وأحلمَ الناس، أجودهم مَنْ أعطى مَنْ حرمه، وأحلمهم من عفا عمَّن ظلمه.

• وكتب إلى ساكني الأمصار: **أما بعد!** فعلّموا أولادكم العَوْمَ والفروسة، وروّوهم ما سار من المثل، وحَسُنَ من الشّعر[٥].

• وقال: لا تزالُ العربُ أعزةً ما نزعت في القوس، ونزت في ظهور الخيل.

• وقال وهو يذكر النساء: أكثروا لهنّ مِنْ قول (لا)، فإنّ (نعم) يغريهن على المسألةِ[٦].

• وقال: ما بالُ أحدكم يثني الوسادة عند امرأةٍ مغربة؟ إنَّ المرأةَ لحم على وضمٍ إلّا ما ذبّ عنه[٧].

• وقال مرةً: قد أعياني أهلُ الكوفة، إن استعملتُ عليهم لَيْناً استضعفوه، وإن استعملتُ عليهم شديداً شكوه، ولوددتُ إن وجدت رجلاً قوياً أميناً أستعمله عليهم، فقال له رجلٌ: أنا أدلّك على الرجل

---

(١) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١١).
(٢) انظر: «ربيع الأبرار» (١/ ٤٨٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٢٣٤) برقم: (٣٥٦١٩).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣/ ٣٧٤).
(٥) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ١٧٤).
(٦) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ٢٦٣).
(٧) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ١٧٩).

القوي الأمين، قال: مَنْ هو؟ قال: عبد الله بن عمر، قال: قاتلك الله، واللهِ ما أردتَ بها، لاهاً الله[١]، لا أستعمله عليها ولا على غيرها، وأنتَ فقم، فاخرج، فمذ الآن لا أسميك إلّا المنافق، فقام الرجل فخرج.

• وكتب إلى سعد بن أبي وقاص: أنْ شاوِرْ طليحةَ بنَ خويلد وعَمْرَو بن معديكرب، فإنَّ كلَّ صانعٍ هو أعلمُ بصنعته، ولا تولّهما من الأمرِ شيئاً[٢].

• وغضب عمر رضي الله عنه على بعض عماله، فكلَّم امرأةٌ من نساء عمر في أن تسترضيَه له، فكلّمته فيه، فغضب، وقال: وفيم أنتِ من هذا يا عدوةَ الله! إنّما أنت لعبةٌ نلعبُ بكِ، ونغر بكن.

• ومن كلامه: أَشْكُو إلى الله جَلَدَ الخائن وَعَجْزَ الثِّقَةِ[٣].

• قال عمرو بن ميمون: رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يُصَابَ بأيام واقفاً على حُذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنيف، وهو يقول لهما: أتخافان أن تكونا حمَّلتما الأرض ما لا تطيقه؟، فقالا: لا إنّما حمَّلناها أمراً هي له مطيقة، فأعاد عليهما القول: انظرا أن تكونا حمَّلتما الأرض ما لا تطيقه؟ فقالا: لا، فقال عمر: إن عشتُ لأدعنَّ أراملَ العراقِ لا يحتجنَ بعدي أبداً إلى رجلٍ، فما أتت عليه رابعةٌ حتى أصيب[٤].

• كان عمر إذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً، وأشهد عليه رهطاً

---

(١) انظر: «موسوعة الخطب والدروس» (٩/ ٢٩٤).
(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٢٥/ ١٧٢).
(٣) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٦/ ٣٢٣).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» رقم: (٣٧٠٠).

من المسلمين أن لا يركب برذوناً، ولا يأكل نقيّاً، ولا يلبس رقيقاً، ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين ثم يقول: اللَّهُمَّ اشهد[١].

• وقال عمر: أيَّما عامل من عمالي ظلَمَ أحداً، ثم بلغتني مظلمته، فلم أغيّرها، فأنا ظلمتُه[٢].

• وقال الأحنف بن قيس، وقد قدم عليه فأحبسه عنده حولاً: يا أحنفُ، إنِّي قد خبرتك، وبلوتُكَ فرأيتُ علانيتك حسنةً، وإنِّي أرجو أن تكونَ سريرتُك مثل علانيتِكَ، وإن كنا لنتحدث أنه إنما يهلِكُ هذه الأمةَ كلُّ منافقٍ عليم[٣].

• كان عمرُ رضي الله عنه جالساً في المسجدِ فمرّ به رجلٌ، فقال: ويلٌ لك يا عمر من النار، فقال: قرّبوه إليّ، فدنا منه، فقال: لم قلتَ ما قلتَ؟ قال: تستعمل عمّالك، وتشترط عليهم، ثم لا تنظر: هل وفوا لك بالشروط أم لا، قال: وما ذلك؟ قال: عامِلُكَ على مصر اشترطت عليه، فتركَ ما أمرتَ به، وارتكبَ ما نهيتَه عنه، ثم شرح له كثيراً من أمره.

فأرسل عمر رجلين من الأنصار، فقال: اذهبا إليه فاسألا، فإن كان كُذِبَ عليه فأعلماني، وإن رأيتما ما يسوؤكما فلا تملكاه من أمره شيئاً حتى تأتيا به، فذهبا فسألا عنه فوجداه قد صُدِقَ عليه، فجاءا إلى بابه، فاستأذنا عليه، فقال حاجبه: إنّه ليس عليه اليوم إذن، قالا: ليخرجنَّ إلينا أو لنحرِّقنَّ عليه بابه، وجاء أحدهُما بشعلةٍ من نار، فدخل الآذنُ فأخبره فخرجَ إليهما، قالا: إنّا رسولا عمر إليك لتأتيَه، قال: إنَّ لنا حاجةً تمهلانني لأتزوَّد؛ وقالا: إنَّه عزم علينا أن لا نمهلك. فاحتملاه، فأتيا به

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٤٦١) برقم: (٣٢٩٢٠).
(٢) انظر: «كنز العمال» (١٢/ ٨٧٢).
(٣) انظر: «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/ ١٣٩).

عمر، فلمّا أتاه سلّمَ عليه فلم يعرفه، وقال: من أنتَ؟ ـ وكان رجلاً أسمر، فلمّا أصابَ من ريف مصر ابيضَّ وسَمِنَ ـ فقال: عاملك على مصر أنا فلان، قال: ويحك ركبتَ ما نُهيتَ عنه، وتركتَ ما أُمرتَ به، واللهِ لأعاقبنّكَ عقوبةً أبلغ إليك فيها. ائتوني بكساءٍ من صوف، وعصاً وثلاث مائة شاة من غنم الصدقة، فقال: البس هذه الدُّرّاعة، فقد رأيتُ أباكَ فهذه خيرٌ من دُرَّاعته، وخذ هذه العصا فهي خيرٌ من عصا أبيك، واذهب بهذه الشاء فارعها في مكان كذا، وذلك في يوم صائفٍ، ولا تمنع السائلة من ألبانها شيئاً إلَّا آل عمر، فإنِّي لا أعلمُ أحداً من آل عمر أصابَ من ألبان غنم الصدقة ولحومها شيئاً، فلمّا ذهب ردَّه، وقال: أفهمت ما قلت؟ فضرب بنفسه الأرض، وقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع هذا، فإن شئت فاضرب عنقي، قال: فإن رددتُكَ فأيُّ رجل تكون، قال: واللهِ لا يبلغك بعدها إلّا ما تحبُّ، فردَّه، فكان نِعْمَ الرجل.

● وقال عمر رضي الله عنه: لأنزعنَّ فلاناً من القضاء حتَّى أستعملَ عوضه رجلاً إذا رآه الفاجر فرِقه[1].

● خطب عمرُ رضي الله عنه في الليلة التي دفن فيها أبو بكر رضي الله عنه، فقال: إنّ الله تعالى نهجَ سبيلَه، وكفانا به وله، فلم يبقَ إلّا الدّعاء والاقتداء، الحمدُ للهِ الذي ابتلاني بكم، وابتلاكم بي، وأبقاني بعدَ صاحبي، وأعوذ بالله أَنْ أذلَّ وأضلَّ، فأعادي له وليّاً، وأوالي له عدواً، ألا وإنِّي وصاحبي كنفر ثلاثة، قفلوا من طيبة، فأخذ أحدُهم مهلةً إلى داره وقراره، فسلك أرضاً مضيئةً متشابهةَ الأعلام، فلم يَزُلْ عن الطريق، ولم يحرم السبيل، حتّى أسلمه إلى أهله ثم تلاه الآخر، فسلك سبيله، واتّبع

(١) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (١٠/١٠٨).

أثره فأفضى إليه سالماً، ولقي صاحبه، ثم تلاهما الثالث، فإن سلك سبيلهما، واتبع أثرهما، أفضى إليهما ولاقاهما، وإنّ زَلَّ يميناً وشمالاً لم يجامعهما أبداً.

ألا وإنَّ العربَ جملُ آنف، وقد أعطيتُ خطامه، ألا وإنِّي حامله على المحجة ومستعين بالله عليه، ألا وإنِّي داعٍ فأمنوا، اللَّهُمَّ إنِّي شحيحٌ فسخِّني، اللَّهُمَّ إنِّي غليظٌ فليّني، اللَّهُمَّ إنِّي ضعيفٌ فقوِّني، اللَّهُمَّ أوجبْ لي بموالاتِكَ وأوليائِكَ بولايتِكَ ومعونتِكَ، وأبرئ من الآفات بمعاداة أعدائك، فتوّفني من الأبرار، ولا تحشرني في زمرة الأشقياء، اللَّهُمَّ لا تكثر لي من الدُّنيا فأطغى، ولا تقلل لي فأنسى، فإن ما قلَّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى.

• وفد على عمر رضي الله عنه قومٌ من أهل العراق منهم جرير بن عبد الله، فأتاهم بجفنة، قد صبغت بخلٍّ وزيت، قال: خذوا فأخذوا أخذاً ضعيفاً، فقال: ما بالكم تقرمون قرم الشاة الكسيرة، أظنّكم تريدون حلواً وحامضاً، وحاراً وبارداً، ثم قذفاً في البطون[1]، ولو شئتُ أن أدهمِقَ لكم لفعلت، ولكنا نستبقي من دنيانا ما نجده في آخرتنا، ولو شئنا أن نأمر بصغار الضأن فتسمّطُ، ولباب الخبز فيخبزُ، ونأمر بالزبيب فينتبذ لنا في الأسعان، حتّى إذا صار مثل عين اليعقوب أكلنا هذا، وشربنا هذا، لفعلتُ، واللهِ إنِّي لا أعجزُ عن كراكرَ وأسنمةَ وسلاتى وصنآب لكن الله تعالى قال لقوم عيّرهم أمراً فعلوه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية [الأحقاف: ٢٠][2].

وإنِّي نظرتُ في هذا الأمر فجعلتُ إن أردت الدنيا أضررت بالآخرة، وإن أردتُ الآخرةَ أضررتُ بالدنيا، وإذا كان الأمر هكذا

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٢٥).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١/ ٢٥).

فأضروا بالفانية[١].

• **ومن كلامه**: الرجال ثلاثةٌ: الكامل، ودون الكامل، ولا شيء:

فالكامِلُ ذو الرأي، يستشير الناسَ، فيأخذُ آراء الرجال إلى رأيه. ودون الكامل ذو الرأي يستبدّ به، ولا يستشيرُ. واللاشيء مَنْ لا رأي له، ولا يستشيرُ.

والنساء ثلاثٌ: امرأة تعينُ أهلها على الدهر، ولا تعين الدهر على أهلها، وقلَّ ما تجدُها. وامرأة وعاءٌ للولد ليس فيه غيره، والثالثة غلّ قمل يجعلها الله في رقبة مَنْ يشاء، ويفكه إذا يشاء.

• لما أَخْرَجَ عمرُ ﷺ الحطيئةَ من حبسه، قال له: إيّاك والشعر، قال: لا أقدرُ على تركه، يا أميرَ المؤمنين! مأكلةُ عيالي، ونملةٌ تدبُّ على لساني، قال: فشبِّبْ بأهلِكَ، وإيّاكَ وكلَّ مدحةٍ مجحفةٍ، قال: وما المجحفةُ؟ قال: يقول: إنّ بني فلان خيرٌ من بني فلان: امدح ولا تفضِّلْ أحداً، قال: أنتَ واللهِ يا أمير المؤمنين! أشعرُ مني[٢].

• قال ابن عباس: قلتُ لعمر: يا أمير المؤمنين إنِّي في خِطبة فأشر عليَّ، قال: ومن خطبت؟ قلت: فلانة ابنة فلان، قال: النسب كما تحبُّ، وكما قد علمتَ، ولكن في أخلاق أهلها دقةٌ، لا تعدمك أن تجدها في ولدك، قلت: فلا حاجةَ لي إذاً فيها.

• وقال ابن عباس: كنتُ عند عمر ﷺ، فنفسَ نفسَاً ظننتُ أنَّ أضلاعَه قد انفرحت، فقلتُ له: ما أخرَج هذا النفسَ منك يا أمير المؤمنين إلا همٌّ شديد!

---

(١) انظر: «الزهد»، لأحمد بن حنبل (٢/ ١٩١).

(٢) انظر: «كنز العمال» (٣/ ١٤٠٨).

قال: إي والله يا ابن عباس! إنّي فكرتُ فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمرَ بعدي، ثم قال: لعلَّك ترى صاحبَك[١] لها أهلاً؟ قلتُ: وما يمنعه من ذلك مع جهاده، وسابقته، وقرابته، وعلمه، قال: صدقتَ، لكنّه امرؤ فيه دعابة[٢]، قلتُ: فأينَ أنت عن طلحة؟ قال: ذو البأو، بأصبعه المقطوعة، قلت: فعبد الرحمٰن؟ قال: رجل ضعيف، لو صار الأمرُ إليه، لوضعَ خاتمه في يد امرأته، قلت: فالزبير؟ قال: صاحِبُ شكس، نفس يلاطم في البقيع في صاعٍ من بُرٍّ، قلت: فسعد بن أبي وقاص؟ قال: صاحبُ سلاح ومقنب، قلت: فعثمان؟ قال: أوه ثلاثاً، واللهِ لئنْ وليها ليحملنَّ بني أبي مُعَيْطٍ على رقاب الناس، ثم لتنهض إليه العربُ فلتقتله.

ثم قال: يا ابن عباس! إنه لا يصلحُ لهذا الأمر إلا حصيف العقدة، قليلُ الغرة، لا تأخذه في الله لومة لائم، يكون شديداً في غير عنف، ليناً في غير ضعف، سخيّاً من غير سرفٍ، ممسكاً في غير وكف[٣].

• قال ابن عباس: فكانت واللهِ هي صفاتُ عمر، قال: ثم أقبل عليَّ بعدَ أنْ سكتَ هنيهةً، وقال: إنّ الله وليها أن يحملهم على كتاب ربهم وسُنَّة نبيّهم بصاحبك، أما إنهم إن ولّوه أمرهم حملهم على المحجة البيضاء، والصراط المستقيم[٤].

• جاء عُيينةُ بن حصن والأقرع بن حابس إلى أبي بكر فقالا: يا خليفةَ رسولِ اللهِ ﷺ! إنَّ عندنا أرض سبخة ليس فيها كلاء ولا منفعة، إن رأيتَ أن تقطعناها؟ لعلَّنا نحرثها ونزرعها، ولعلَّ الله أن ينفعَ بها بعدَ

---

(١) يقصد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. (٢) انظر: «عمر بن الخطاب» (١/ ٢١٠).
(٣) انظر: «تاريخ المدينة» (٣/ ٨٨٠). (٤) انظر: «عمر بن الخطاب» (١/ ٢١٠).

اليوم، فقال أبو بكر لمن حوله من الناس: ما ترون؟ قالوا: لا بأس، فكتب لهما بها كتاباً، وأشهد فيه شهوداً، وعمر ما كان حاضراً، فانطلقا إليه ليتشهد في الكتاب، فوجداه قائماً يهنأ بعيراً، فقالا: إنَّ خليفة رسول الله ﷺ كتبَ لنا هذا الكتاب، وجئناك لتشهدَ على ما فيه، أفتقرأ أم نقرأه عليك؟ قال: أعلى الحال التي تريان إن شئتما فاقرءاه، وإن شئتما فانتظرا حتى أفرغَ، قالا: بل نقرأه عليك.

فلما سمع ما فيه أخذه منهما، ثم تفل فيه، فمحاه فتذمَّرا، وقالا له مقالةً سيئةً، فقال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يتألَّفُكما والإسلامُ يومئذٍ ذليلٌ، وإنّ الله قد أعزّ الإسلام، فاذهبا فاجهدا جهدكما لا أرعى الله عليكما إن رعيتما.

فجاءا إلى أبي بكر وهما يتذمّران، فقالا: واللهِ ما ندري أنتَ أميرٌ أم عمر؟ فقال: بل هو لو كان شاء، وجاء عمر رضي الله عنه، وهو مغضَبٌ حتّى وقف على أبي بكر، فقال: أخبرني عن هذه الأرض التي أقطعتها هذين، أهي لك خاصة أم بين المسلمين عامة؟

فقال: بل هي بين المسلمين عامة.

فقال: فما حملك على أن تخصَّ بها هذين بها دون جماعة المسلمين؟

قال: استشرت الذين حولي، فأشاروا بذلك.

فقال: أفكل المسلمين أوسعتهم مشورةً ورضاً؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه: قد كنتُ قلتُ لك: إنك أقوى على هذا الأمر مني، ولكنك غلبتني[١].

---

(١) انظر: «كنز العمال» (٣/ ٩١٤).

• وقال عمر رضي الله عنه في خلافته: لئن عشتُ إن شاء الله لأَسِيرَنَّ في الرعية حولاً، فإنِّي أعلمُ أنَّ للناس حوائج تقتطع دوني، أمَّا عمالهم فلا يرفعونها إليّ، وأما هم فلا يصلون إليّ، أسيرُ إلى الشأم، فأقيم بها شهرين، ثم أسيرُ إلى الجزيرة، فأقيمُ بها شهرين، ثم أسيرُ إلى مصر، فأقيم بها شهرين، ثم أسيرُ إلى البحرين، فأقيمُ بها شهرين، ثم أسيرُ إلى الكوفة، فأقيمُ بها شهرين، ثم أسيرُ إلى البصرة، فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا[١].

• وقال **أسلم**: بعثني عمر رضي الله عنه بإبل من إبل الصدقة إلى الحمى، فوضعتُ جهازي على ناقة منها كريمة، فلمّا أردتُ أن أصدرها، قال: اعرضها علي، فعرضتُها عليه، فرأى متاعي على ناقة حسناء، فقال: لا أمَّ لكَ، عمدت إلى ناقةٍ تغني أهل بيت من المسلمين، فهلا ابن لبون بوّالاً أو ناقةً شصوصاً[٢].

• وقيل لعمر رضي الله عنه: إن هاهنا رجلاً من أهل الأنبار نصرانياً له بصر بالديوان، لو اتخذته كاتباً، فقال عمر: لقد اتخذتُ إذاً بطانة من دون المؤمنين[٣].

• وقال ـ وقد خطبَ الناس ـ: والذي بعثَ محمّداً بالحقِّ، لو أنّ جملاً هلكَ ضياعاً بشطِّ الفرات، خشيتُ أَنْ يسأل الله عنه آلُ الخطّاب، قال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: يعني: بآل الخطاب نفسُه، ما يعني غيره[٤].

• وكتب عمر إلى أبي موسى: إنّه لم يزل للناسِ وجوهٌ، يرفعون حوائجهم من الأمر، فأكرمْ مَنْ قبلك من وجوه الناس، وبحسب المسلم

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧١).
(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٢).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٢).
(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٢).

الضعيفِ مِنْ بين القومِ أن يُنْصَفَ في الحُكْمِ وفي القسم(١).

• أتى أعرابيٌّ عمرَ رضي الله عنه، فقال: إنَّ ناقتي لها نقباً ودبراً فاحملني، فقال له: واللهِ ما ببعيرِكَ نقبٌ ولا دبرٌ، فقال:

أقسمَ باللَّهِ أبو حَفْصٍ عمر ما مسَّها مِنْ نَقْبٍ ولا دَبَرْ
فاغفرْ له اللَّهُمَّ إنْ كانَ فَجَرْ

فقال عمر: اللَّهُمَّ اغفر لي، ثم دعا الأعرابيَّ فحمله(٢).

• جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه، وكانت بينهما قرابةٌ، يسأله، فزبره وأخرجَه، فكُلِّم فيه، وقيل: يا أمير المؤمنين! يسألُكَ، فزبرته، وأخرجته، قال: إنّه سألني من مالِ اللهِ، فما معذرتي إنْ لقيته ملكاً خائناً فلولا سألني من مالي قال: فأرسلَ إليه بعشرةِ آلافٍ(٣).

• وكان يقول في عمّاله: اللَّهُمَّ إنِّي لم أبعثهم ليأخذوا أموالهم، ولا ليضربوا أبشارهم، مَنْ ظلمه أميرُه فلا إمرةَ عليه دوني(٤).

• بينا عمرُ رضي الله عنه ذاتَ ليلةٍ يعسُّ سمعَ صوتَ امرأةٍ من سطح وهي تنشدُ:

تطاوَلَ هذا الليلُ وازورَّ جانِبُه وليسَ إلى جَنْبِي خليلٌ ألاعِبُهْ
فواللَّهِ لولا اللَّهُ لا شيءَ غيرُه لزعزعَ مِنْ هذا السرير جوانبُهْ
مخافةَ ربِّي والحياءُ يصدّني وأُكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَاكِبُهْ

فقال عمر: لا حول ولا قوة إلّا بالله، ماذا صنعتَ يا عمرُ بنساء المدينة، ثم جاء فضرب البابَ على حفصة ابنته، فقالت: ما جاء بك في هذه الساعة، قال: أخبريني كم تصبرُ المرأةُ المغيّبة عن أهلها؟ قالت:

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٢).
(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٢).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٣).
(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٣).

أقصاه أربعة أشهر، فلمّا أصبحَ كتب إلى أمرائه في جميع النواحي: أن لا تَجُمَّرَ البعوثُ، وأن لا يغيبَ رجلٌ عن أهله أكثرَ من أربعة أشهر.

• وروى **أسلم** قال: كنتُ مع عمر رضي الله عنه يعسُّ بالمدينة، إذا سمع امرأةً تقول لبنتها: قومي يا بنية إلى ذلك اللبن فامذقيه، فقالت: أوما علمتِ ما كانَ من عزمةِ أمير المؤمنين بالأمس؟ قالت: وما هو؟ قالت: إنّه أمرَ منادياً فنادى أنْ لا يشابَ اللبنُ بالماءِ، فقالت: فإنَّك بموضعٍ لا يراكِ عمرُ، ولا منادي عمر، فقالت: ما كنتُ لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاءِ، وعمرُ يسمعُ كلَّ ذلك، فقال: يا أسلم! اعرف الباب.

ثم مضى في عسسه، فلمّا أصبح، قال: يا أسلمُ! امض إلى الموضع، فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لها من بعل؟

قال أسلم: فأتيتُ الموضعَ فنظرتُ فإذا الجاريةُ أيمٌ، وإذا بنتٌ لها، وليس لهما رجل، فأخبرته، فجمعَ عمرُ وَلَدَه، فقال: هل تريدون أن تزوجوا امرأة فأزوّجه امرأةً صالحةً فتاةً، ولو كان في أبيكم حركةً إلى النساء لم يسبقه أحدٌ إليها، فقال عاصم ابنه: أنا، فبعثَ إلى الجارية، فزوّجها ابنه عاصماً، فولدت له بنتاً هي المكنّاة أمَّ عاصم، وهي أمُّ عمر بن عبد العزيز بن مروان[1].

• حجَّ عمر رضي الله عنه فلما كان بضجنان، قال: لا إلـٰه إلا الله العلي العظيم، المعطي ما يشاء لمن يشاء، أذكر وأنا أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مَدْرَعَةِ صوفٍ، وكان فظاً يُتْعِبني إذا عملتُ، ويضربني إذا قصّرتُ، وقد أمسيتُ اليومَ وليس بيني وبين الله أحد، ثم تمثلَّ:

لا شيءَ ممّا ترى تَبْقَى بشاشتهُ   يبقى الإلـٰهُ ويودي المالُ والولدُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٢٥٣).

لم تُغنِ عن هِرْمزٍ يوماً خزائنهُ والخلدُ قد حاولتْ عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له والإنسُ والجنُّ فيما بينها يَرِدُ
أينَ الملوكُ التي كانتْ منازِلُه مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إليها راكبٌ يَفِدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كَذِبٍ لا بدَّ من وِرْدِهِ يوماً كَمَا وَرَدُوْا[١]

● وسَمَعَ عمرُ منشداً ينشدُ قولَ طَرَفة:

فلولا ثلاثٌ هُنَّ مِنْ عيشةِ الفتى وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَىٰ قامَ عُوَّدِي
فمنهنَّ سَبقي العاذلاتِ بِشُرْبَةٍ كُمَيْتٍ متى ما تُعَل بالماءِ يُزْبِدِ
وكرِّي إذا نادى المضافُ مجنَّباً كَسِيدِ الغَضَا نبَّهتْهُ المُتَوَرِّدِ
وتقصيرُ يومُ الدجنِ والدُّجْنُ مُعْجِبٌ بِبَهْكَنَةٍ تحتَ الطِرَافِ المُعَمَّدِ[٢]

فقال: وأنا؛

لولا ثلاثٌ هنَّ مِنْ عيشةِ الفَتَى وجدِّك لَمْ أَحْفِل متى قام عُوَّدي

أجاهِدُ في سبيل الله، وأنا أضعُ وجهي في الترابِ للهِ، وأنا أجالِسُ قوماً يلتقطون طيِّبَ القولِ كما يُلْتَقَطُ طيِّبُ الثمر[٣].

● وروى عبدُ الله بن بُريدة قال: كان عمر ﷺ ربما يأخذ بيد الصبي، فيقول: ادعُ لي فإنّكَ لم تذنبْ بعدُ.

● وكان عمرُ ﷺ كثيرَ المشاورةِ، كان يشاوِرُ في أمور المسلمين حتّى المرأة.

● قال عمر ﷺ يوماً والناسُ حوله: واللهِ ما أدري أخليفةٌ أنا أم مَلِكٌ، فإنْ كنتُ ملكاً فلقد وُرِّطتُ في أمر عظيم، فقال له قائل: يا أمير

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣١٦).
(٢) انظر: «زهر الأكم في الأمثال والحكم» (١/ ١٤٣). و«شرح المعلّقات» للزوزني (٥٦، ٥٧).
(٣) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ١٧٨).

المؤمنين! إنَّ بينهما فرقاً، وإنّك إنْ شاء الله لعلى خير.

قال: كيف قلت؟

قال: إنَّ الخليفةَ لا يأخذ إلّا حقاً، ولا يضعه إلّا في حق، وأنتَ بحمد الله كذلك، والمَلِكُ يعسِفُ الناسَ، ويأخذ مالَ هذا، فيعطيه هذا، فسكتَ عمر[١]، وقال: أرجو أن أكونه.

• وروى الحسن قال: كان رجلٌ لا يزال يأخذ من لحية عمر شيئاً، فأخذ يوماً من لحيته، فقبض على يده، فإذا فيها شيءٌ، فقال: إنَّ الملقُ من الكذب.

• انقطع شسعُ نعلِ عمرَ فاسترجع وقال: كلَّ ما ساءك فهو مصيبةٌ.

• وقف أعرابي على عمر ﷺ فقال له:

يا ابنَ الخطاب جُزيتَ الجَنَّه　　أُكْسُ بنيّاتِي وأُمَّهُنَّهْ

[وكُنْ لنا مِنَ الزَّمان جُنَّه]　　أُقْسِمُ باللَّهِ لَتَفْعَلَنَّهْ

فقال: إن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

إذاً أبا حَفْصٍ لأمضينَّهْ

قال: إذا مضيتَ يكونُ ماذا؟ قال:

تكونُ عَنْ حالي لَتُسأَلَنَّهْ　　يومَ تكونُ الأعْطيَاتُ جَنَّهْ

والواقفُ المسؤولُ بَيْنَهُنَّه[٢]　　إمَّا إلى نارٍ وإمَّا جَنَّهْ

فبكى عمر، ثم قال لغلامه: أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله لا أملكُ ثوباً غيره[٣].

• سمع عمر ﷺ صوتَ بكاء في بيت، فدخل وبيده الدِّرة، فمال

---

(١) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/٣٠٦).　　(٢) في الأصل الفارسي: «يبهتنه».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٤/٣٤٩)، و«أدب الدنيا» (ص٢٤٥).

عليهم ضرباً حتى بلغَ النائحة فضربَها حتى سقطَ خمارَها، ثم قال لغلامه: اضرب النائحة، ويلك اضربها فإنَّها نائحة، لا حرمةَ لها، إنّها لا تبكي بشجوكم، إنّها تهريقُ دموعها على أخذِ دراهمكم، إنّها تؤذي أمواتكم في قبورهم، وتؤذي أحياءكم في دورهم، إنَّها تنهى عن الصبرِ، وقد أمر الله به، وتأمرُ بالجزعِ، وقد نهى الله عنه(١).

• **ومن كلامه**: من اتّجرَ في شيءٍ ثلاثَ مرّات فلم يصب فيه، فليتحوّل عنه إلى غيره(٢).

• قال عمر رضي الله عنه: إنَّ الخرقَ في المعيشةِ أخوفُ عندي عليكم من العيالِ، إنّه لا يبقى مع الفسادِ شيءٌ، ولا يقلّ مع الإصلاحِ شيءٌ(٣).

• وكان يقول: أدِّبوا الخيلَ، وانْتَضِلُوا، واقعُدوا في الشَّمْسِ، ولا يجَاوِرَنَّكم الخنازيرُ، ولا يُرفَعنَّ فيكم صَليبٌ، ولا تأكلوا على مائدة يُشْرَبُ عليها الخمرُ، ويرفع عليها الصليبُ، وإيّاكُم وأخلاقَ العجَم، ولا يحلُّ لمؤمنٍ أن يدخُلَ الحمَّامَ إلّا مؤتزراً، ولا لامرأةٍ أن تدخلَ الحمّامَ إلا مِن سُقْمٍ؛ وإذا وضَعَتِ المرأة خمارَها في غير بيتِ زوجها فقد هتكت السترَ بينها وبين الله تعالى(٤).

• وكان يكره أن يتزيَّ الرجالُ بزيِّ النساء، وأنْ لا يزالُ الرجلُ مكتحلاً مدّهناً، وأن يحفَّ لحيته وشاربه كما تحفُّ المرأة.

• سمع عمر سائلاً يقول: من يعشِّي السائل؟ فقال: عَشُّوا سائلكم، ثم جاء إلى دار إبل الصدقة يعشّيها، فسمع صوته مرةً أخرى،

---

(١) انظر: «تاريخ المدينة» (٣/ ٧٩٩).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٥/ ٨) برقم: (٢٣٢١٣).
(٣) انظر: «موسوعة الخطب والدروس» (ص: ٢).
(٤) انظر: «البيان والتبيين» (١/ ٢٧٢).

فقال: من هذا السائل؟ ألم آمركم أن تعشّوه قالوا: قد عشيناه، فأرسل إليه عمر، وإذا معه جراب مملوءٌ خبزاً قال: فإنك لستَ سائلاً، إنّما أنتَ تاجرٌ، تشتري لإبلك، فأخذَ بطرف الجراب، فنبذه بين يدي الإبل.

• ونظرَ عمرُ رضي الله عنه إلى شابٍّ قد نكّس رأسه خشوعاً، فقال له: يا هذا، ارفع رأسك، فإنَّ الخشوعَ لا يزيدُ على ما في القلب، فمن أظهر للخَلْقِ خشوعاً فوق ما في قلبه فإنَّما أظهرَ نفاقاً[(١)].

• **ومن كلامه**: أحبُّكم إلينا ما لم نركم أحسنكم اسماً، فإذا رأيناكم، فأحبُّكم إلينا أحسنكم خُلْقاً، فإذا بلوناكم، فأحبُّكم إلينا أعظمُكم أمانةً، وأصدقُكم حديثاً[(٢)].

• وكان يقول: لا تنظروا إلى صلاة امرئٍ ولا صيامه، ولكن انظروا إلى عقله وصدقه.

• **ومن كلامه**: إنَّ العبدَ إذا تواضع لله رفعه الله حكمته، وقال له: انتعش نعشك الله، فهو في نفسه صغيرٌ، وفي أعين الناس عظيمٌ، وإذا تكبَّر وعتا وَهَصَه الله إلى الأرض، وقال: اخسأ أخسأك الله، فهو في نفسه عظيمٌ، وفي أعين الناسِ حقيرٌ، حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير[(٣)].

• وقال: الإنسانُ لا يتعلّم العلمَ لثلاث، ولا يتركه لثلاث: لا يتعلمه ليماري به، ولا ليباهي به، ولا ليرائي به؛ ولا يتركه حياءً من طلبه، ولا زهادةً فيه، ولا رضًى بالجهل بدلاً منه[(٤)].

• وقال: تعلّموا أنسابكم تصلوا أرحامكم[(٥)].

---

(١) انظر: «موسوعة الخطب والدروس» (/ ٢).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤/ ٢٢٩). (٣) انظر: «كنز العمال» (٣/ ١٢٤٠).
(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣١٧).
(٥) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (١/ ١٦٦) برقم: (٣٠٢).

• وقال: إنِّي لا أخافُ عليكم أحدَ الرجلين: مؤمناً تبيَّن إيمانه، وكافراً قد تبيّن كفرهُ، ولكن أخافُ عليكم منافقاً يتعوّذُ بالإيمانِ، ويعمل بغيره[١].

• **ومن كلامه**: إنَّ الرجفَ من كثرة الزنا، وإن قحوطَ المطرِ من قُضاة السوء، وأئمةِ الجور[٢].

• وقال في النساء: استعينوا عليهن بالعُرْي، فإنّ إحداهنَّ إذا كثرت ثيابُها، وحسنت زينتُها أعجبَها الخروجُ[٣].

• **ومن كلامه**: إنَّ الجِبْتَ السحرُ، والطاغوتُ الشيطانُ، وإنَّ الجبنَ والشجاعةَ غرائزُ تكونُ في الرجلِ، يقاتِلُ الشجاعُ عمّن لا يعرف، ويفرُّ الجبانَ عن أُمّه، وإنَّ كرمَ الرجل دِينُه، وحَسَبَه خلقهُ، وإنْ كان فارسياً أو نبطياً[٤].

• وقال: تفهَّموا العربيةَ فإنّها تزيدُ في العقل، وتزيدُ في المروءة.

• وقال: ما يمنعكم إذا رأيتم السفيه يخرق أعراض الناس أن تعرَّبوا[٥] عليه؟ قالوا: نخافُ لسانه، قال: ذلك أدنى أن تكونوا شهداء[٦].

• ورأى رجلاً عظيمَ البطنِ فقال: ما هذا؟ قال: بركةٌ مِنَ الله، قال: بل عذابٌ من اللهِ[٧].

---

(١) انظر: «كنز العمال» (١٠/ ٢٦٩).
(٢) انظر: «المطر والرعد والبرق» (١/ ٥٧).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٤/ ٥٣) برقم: (١٧٧١١).
(٤) انظر: «سنن سعيد بن منصور» (٢/ ٢٠٨).
(٥) عرّب عليه فعله: أي: قبّحه عليه. (٦) انظر: «كنز العمال» (٣/ ٦٨٢).
(٧) انظر: «حديث محمد بن عبد الله الأنصاري» (١/ ٥٤).

• وقال: إذا رُزِقْتَ مودةً من أخيك فتشبّث بها ما استطعتَ.

• وقال لقوم يحصدون الزرع: إنَّ الله جعلَ ما أخطأتْ أيديكم رحمةً لفقرائكم، فلا تعوذوا فيه.

• وقال: ما ظهرت قطُّ نعمةٌ على أحدٍ إلا وجدتَ له حاسداً، ولو أنَّ امرءاً كان أقومَ من قدحٍ لوجدتَ له غامراً.

• وقال: إياكم والمدح، فإنه الذبح[(١)].

• وقال لقبيصة بن ذؤيب: أنتَ رجلٌ حديثُ السنِّ فصيحٌ، وأنه يكون في الرجل تسعةُ أخلاقٍ حسنة، وخلقٌ واحدٌ سيِّءٌ، فيغلب الواحدُ التسعةَ فتوقَّ عثراتِ السيئات.

• وقال: بحسب امرئٍ من الغي أن يؤذيَ جليَسه، أو يتكلّف ما لا يعنيه، ويعيبَ الناسَ بما يأتي مثله، ويظهر له منهم ما يخفي عليه من نفسِه[(٢)].

• وقال: احترسوا من الناسِ بسوءِ الظنِّ[(٣)].

• وقال في خطبةٍ له: لا يعجبنّكم من الرجلِ طنطنته، ولكنّه من أدى الأمانةَ، وكفَّ عن أعراضِ الناسِ، فهو الرجلُ[(٤)].

• وقال: الراحةُ في مهاجَرةِ خلطاءِ السوءِ[(٥)].

• وقال: إنّ لؤماً بالرجلِ أنْ يرفعَ يدَه من الطعامِ قبل أصحابه[(٦)].

---

(١) انظر: «تهذيب الآثار»، للطبري (١/ ١٢٤).
(٢) انظر: «شعب الإيمان» (٤/ ٢٥٧).
(٣) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (١٠/ ١٢٩).
(٤) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢٨٨).
(٥) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٩٨) برقم: (٣٤٤٧٧).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧/ ٣٩١).

• وأثنى رجل على آخر عند عمر رضي الله عنه، فقال له: أعاملته؟ قال: لا، قال: أصحبته في السفر؟ قال: لا، قال: فأنتَ إذاً لقائلٌ ما لا تعلم.

• وقال: لأن أموتَ بين شعبتي رحلي أسعى في الأرضِ، أبتغي من فضلِ اللهِ كفاف وجهي، أحبُّ إليَّ مِنْ أن أموتَ غازياً.

• وكان عمر رضي الله عنه قاعداً والدِّرَّة معه، والناس حوله، إذا أقبل الجارود العامري، فقال رجلٌ: هذا سيّدُ ربيعة، فسمعَها عمرُ ومَنْ حوله وسمعها الجارودُ، فلمّا دنا منه خَفَقَه بالدِّرَّة، فقال: ما لي ولك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ويلكَ لقد سمعتَها؟ قال: وسمعتُها فَمَهْ؟ قال: خشيتُ أن تخالط القومَ، وفي قلبِكَ مِنْ هذا أمرٌ، فأحببتُ أَنْ أطأطئ[(١)] منك[(٢)].

• وقال: من أحبَّ أن يصلَ إلى المَطْلَب فليصل إخوانَ أبيه من بعده[(٣)].

• وقال: إنَّ أخوفَ ما أخافُ أن يقولَ المرءُ برأيه، فمن قال: إني عالمٌ فهو جاهِلٌ، ومن قال: إنِّي في الجنةِ فهو في النار[(٤)].

• وخرج للحجِّ فسمع غناء راكب، فقيل: يا أمير المؤمنين! ألا تنهى عن الغناء وهو محرمٌ، فقال: دعوه، فإنّ الغِناء زادُ الراكب[(٥)].

---

(١) طأطأ الرأس وغيره: خفضه.
(٢) انظر: «الصمت» (٢/ ١٣٠) برقم: (٦٠٥).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٤٤).
(٤) انظر: «المطالب العالية»، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٨/ ٤٦٩).
(٥) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٥/ ٦٨) برقم: (٨٩٦٤)، و«أرشيف ملتقى أهل الحديث» (٢/ ١٣٨٦٥).

• وقال: يُثْغِرُ الغلامُ لسبع، ويحتلِمُ لأربع عشرة، وينتهي طوله لإحدى وعشرين، ويكمل عقله لثمان وعشرين، ويصيرُ رجلاً كاملاً لأربعين[١].

• وكتب إلى أبي موسى، وهو بالبصرة: بلغني أنّكَ تأذنُ للناس بالجمِّ الغفير، فإذا جاءك كتابي هَذَا، فأذن لأهلِ الشرفِ، وأهلِ القرآنِ، والتقوى، والدين؛ فإذا أخذوا مجالسهم فأذن للعامة[٢].

ولا تؤخِّرْ عملَ اليومِ لغدٍ، فتدارك عليك الأعمال فتضيع، وإيّاكَ واتباعَ الهوى، فإنَّ للناس أهواءَ متبعة، ودنيا مؤثَرةٌ، وضغائنَ محمولةٌ[٣].

حاسب نفسَك في الرخاء قبل حسابِ الشّدة، فإنّه من حاسبَ نفسَه في الرخاء قبل حسابِ الشدّة، كان مرجعُه إلى الرضا والغِبْطة، ومن ألهته حياتُه، وشغلتْه أهواؤه، عاد أمره إلى الندامة والحسرة[٤].

إنّه لم يقم أمرُ الله في الناس إلا حصيفُ العقدة، بعيدُ الغرة، لا يحنق في الحق على جرة[٥]، ولا يطَّلعُ منه الناسُ على عورة، ولا يخاف في الحق لومة لائم[٦].

الزم أربعَ خصالٍ يسلمْ لك دينُك، وتحظَ بأفضل حظك: إذا حضرك الخصمان فعليك بالبيِّناتِ العدولِ والأيمانِ القاطعة، ثم أَدْنِ الضعيف حتى ينبسطَ لسانه، ويجترئَ قلبُه، وتعاهدِ الغريب، فإنّه إذا طال

---

(١) انظر: «غرر الخصائص الواضحة» (١/ ٤٣)، و«البصائر والذخائر» (١/ ٢٣١)، و«المحدث الفاصل بين الراوي والواعي»، للرامهرمزي (١/ ٥٧).
(٢) انظر: «أَخْبَارُ القُضَاةِ» (١/ ٢٨٦).
(٣) انظر: «الزهد» (١/ ٣٦١).
(٤) انظر: «شعب الإيمان» (٧/ ٣٦٦) برقم: (١٠٦٠١).
(٥) أي: لا يحقد على رعيته، «النهاية» (ص١٣٨).
(٦) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٤).

حبسه ترك حاجته، وانصرفَ إلى أهله، واحرص على الصلح ما لم يتبيّنَ لك القضاء، والسلام عليك[١].

• وكان رجل من الأنصار لا يزالُ يهدي لعمر فَخِذَ جزوراً إلى أن جاءه ذات يوم مع خصم له، فجعل في أثناء الكلام يقول: يا أمير المؤمنين! افصل القضاء بيني وبينه كما يفصل فخذ الجزور، قال عمر: فما زال يردّدها حتى خفت على نفسي، فقضيتُ عليه، ثم لم أقبل له هديةً فيما بعدُ ولا لغيره.

• وكتب إلى عماله: **أما بعدُ**، فإيّاكم والهدايا، فإنها من الرّشا[٢].

وكان عمر يقول: اكتبوا عن الزاهدين في الدنيا ما يقولون، فإن الله ﷻ وكَّل بهم ملائكة واضعةً أيديهم على أفواههم، فلا يتكلمون إلا بما هيَّأه الله لهم.

وروى أبو جعفر الطبري في «تاريخه»: كان عمر ﷺ يقول: جرِّدوا القرآن، ولا تفسّروه، وأقِلُّوا الرواية عن رسول الله ﷺ، وأنا شريككم[٣].

قلت: معناه لا تكتبوا في المصحف غير القرآن من تفسيره وشرح غريبه، ولا ترووا من الحديث إلّا ما اعتمدتم على صحته وقت التحمُّل ووقت الأداء، ولا يوجد مثل ذلك إلا قليل، فلا يبالي الراوي لقلة روايته وليحذر رواية ما لا يعتمد على صحته.

وقال أبو جعفر: وكان عمر ﷺ إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء جمع أهله، فقال: إني نهيت الناس عن كذا وكذا، وأن الناس ينظرون

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ١٨٦).
(٢) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (٦/ ٣٣).
(٣) انظر: «عمر بن الخطاب» (١/ ١٧٢) واللفظ له، «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٣).

إليكم نظر الطير؛ يعني: إلى اللحم، فأقسم بالله لا أجد أحداً منكم يفعل إلا أضعفت عليه العقوبة.

قال أبو جعفر: وكان عمر رضي الله عنه شديداً على أهل الريب وفي حق الله صليباً حتى يستخرجه، وليناً سهلاً فيما يلزمه حتى يؤديه، وبالضعيف رحيماً[(١)].

وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن نفراً من المسلمين كلَّموا عبد الرحمٰن بن عوف، فقالوا: كلّم لنا عمر بن الخطاب فقد أخشانا حتّى والله لا نستطيع أن نديمَ إليه أبصارنا، فذكر عبد الرحمٰن له ذلك، فقال: أوقد قالوا ذلك، واللهِ لقد لنتُ لهم حتى تخوّفتُ الله في أمرهم، ولقد تشددتُ عليهم حتّى خفتُ الله في أمرِهم، وايم اللهِ لأنا أشدُّ منهم فرقاً منهم لي[(٢)].

• وروى راشد بن سعد أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُتي بمالٍ، فجعل يقسم بين الناس، فازدحموا عليه، فأقبل سعد بن أبي وقاص يزاحم الناسَ حتّى خلص إليه، فعلاه عمر بالدرة وقال: إنك أقبلتَ لا تهابنَّ سلطانَ اللهِ في الأرض، فأحببتُ أن أعلمك أنَّ سلطان الله لنْ يهابَكَ[(٣)].

• قالت الشفا ابنة عبد الله ـ ورأت فتياناً من النساك يقتصدون في المشي ويتكلمون رويداً ـ ما هؤلاء؟ فقيل: نساك، فقالت: كان عمر بن الخطاب هو الناسِكُ حقّاً، وكان إذا تكلّم أسمع، وإذا مشى أسرعَ، وإذا ضربَ أوجعَ[(٤)].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٦).
(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٧٦).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٠).
(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٠).

● أعان عمر رضي الله عنه رجلاً على حمل شيء، فدعا له الرجل، وقال: أعانك بنوك يا أمير المؤمنين! فقال: بل أغناني الله عنهم[(١)].

● ومن كلامه: القوةُ في العملِ أنْ لا تؤخِّر عملَ اليوم لغد، والأمانةُ أن لا تخالفَ سريرتُك علانيتك، والتقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه[(٢)].

● وقال عمر رضي الله عنه: كنا نعدُّ القرض بخلاً، إنّما كانت المواساة[(٣)].

● أتى رهط إلى عمر رضي الله عنه، فقالوا: يا أمير المؤمنين! كثرتِ العيالُ، واشتدّتِ المؤونة، فزدنا في أُعطياتنا، فقال: فعلتموها، جمعتم بين الضرائر، واتّخذتم الخدمَ في مال الله، أما لوددتُ أنِّي وإيّاكم في سفينتين في لجّة البحر تذهب بنا شرقاً وغرباً، فلن نعجز الناس أن يؤتوا رجلاً منهم، فإن استقام اتبعوه، وإن جنف قتلوه، فقال طلحة: وما عليك لو قلتَ إن اعوجّ عزلوه، فقال: القتلُ أرهبُ لمن بعده، احذروا فتى قريش، فإنَّ كريمها الذي لا ينامُ إلا على الرضا، ويضحك عند الغضب، ويتناول ما فوقه من تحته[(٤)].

● وروى الأحنف قال: أتى عبد الله بن عمير إلى عمر وهو يقرض للناس، فقال عمر: حس وأقبل عليه، فقال: من أنت؟ قال عبد الله بن عمير، وكان أبوه استشهد يوم حنين، فقال: يا يرفا أعطه ستمائة دينار، فأعطاه ست مائة فلم يقبلها، ورجع إلى عمر فأخبره، فقال عمر: يا يرفا أعطه ست مائة وحلة، فأعطاه فلبس الحلّة التي كساه عمر، ورمى ما كان عليه، فقال: خذ ثيابك هذه، فلتكن في مهنة أهلك وهذه لزينتك[(٥)].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٠).
(٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٠).
(٣) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨١).
(٤) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٠).
(٥) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٧).

• وروى إياسُ بن سلمة عن أبيه قال: مرَّ عمر في السوق، ومعه الدرة فخفقني خفقةً فأصاب طرف ثوبي، فقال: أمطِ عن الطريق، فلمّا كان في العام المقبل لقيني، فقال: يا سلمة! أتريدُ الحج؟ قلت: نعم، فأخذ بيدي، فانطلق بي إلى منزله، فأعطاني ستمائة درهم، وقال: استعن بها على حجّك، واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك، قلت: يا أمير المؤمنين! ما ذكرتها، قال: وأنا ما نسيتها[١].

• وخطب عمر بن الخطاب ﷺ فقال:

أيها الرعية إنّ لنا عليكم حقّ النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، إنّه ليس من حلم أحبُّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام ورفقه، وليس من جهلٍ أبغضُ إلى الله ولا أعمُّ ضراً من جهلِ إمام وخُرقه.

أيها الرعية! إنّه من يأخذ بالعافية بين ظهرانيه يرزقه الله العافية من فوقه[٢].

• وروى المغيرة بن سويد قال: خرجنا مع عمر في حجة حجها فقرأ بنا في الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾، و﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١﴾، فلمّا فرغ رأى الناسَ يبادرون إلى المسجد هناك، فقال: ما بالهم، فقالوا: مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ، فالناسُ يبادرون إليه، فناداهم، فقال: هكذا هلكَ أهلُ الكتاب قبلكم، اتّخذوا آثارَ أنبيائهم بيعاً، من عرضت له صلاةٌ في المسجدِ فليصلِّ، ومن لم يعرض له صلاة فليمضِ[٣].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠). (٢) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠).
(٣) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٢/ ١٥١) برقم: (٧٥٥٠).

• وأتى رجلٌ من المسلمين إلى عمر، فقال: إنا لما فتحنا المدائن أصبنا كتاباً فيه علم من علوم الفرس، وكلام معجب، فدعا بالدِّرة فجعل يضربه بها، ثم قرأ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣]، ويقول: ويلك، أقصصٌ أحسنُ من كتاب الله؟ إنّما هلك مَنْ كان قبلكم؛ لأنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم، وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا، وذهب ما فيهما من العلم.

• وجاء رجل إلى عمر، فقال: إن صبيغاً التميمي[١] لقينا يا أمير المؤمنين! فجعل يسألنا عن تفسير حروف من القرآن، فقال: اللَّهُمَّ أمكنِّي منه، فبينا عمر يوماً جالس يغدِّي الناس إذ جاءه صبيغ، وعليه ثياب وعمامة، فتقدّم وأكل، حتى إذا فرغ، قال: يا أمير المؤمنين! ما معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ١، ٢]، قال: ويحك أنت هو؟!، فقام إليه، فحسر عن ذراعيه، فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته، فإذا له ضفيرتان، فقال: والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربتُ رأسك، ثم أمر به فجعل في بيت، ثم كان يخرجه كلَّ يوم فيضربه مائة، فإذا برأ أخرجه فضربه مائةً أخرى، ثم حمله على قتب، وسيّره إلى البصرة، وكتب إلى أبي موسى يأمره أن يحرّم على الناس مجالسته، وأن يقوم في الناس خطيباً، ثم يقول: إنَّ صَبِيغاً قد ابتغى العلم فأخطأه، فلم يزل وضيعاً في قومه وعند الناس حتى هلك، وقد كان من قبل سيد قومه.

• وقال عمر على المنبر: ألا إنّ أصحابَ الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها، فأفتوا بآرائهم، فضلّوا وأضلّوا، ألا إنّ لنا أن نقتديَ ولا نبتديَ، ونتبع ولا نبتدع، إنّه ما ضلَّ متمسّكٌ بالأثر[٢].

---

(١) هو: صَبِيْغ بن عسل.

(٢) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ٦٤).

• وروى الليث بن سعد، قال: أتي عمر ﵁ بفتى أمرد، قد وُجِدَ قتيلاً ملقًّى على وجه الطريق، فسأل عن أمره واجتهد، فلم يقف له على خبر، فشقَّ عليه، فكان يدعو ويقول: اللَّهُمَّ أظفرني بقاتله، حتى إذا كان رأس الحول أو قريباً من ذلك، وُجِدَ طفلٌ مولودٌ ملقًّى في موضع ذلك القتيل، فأتي به عمر، فقال: ظفرتُ بدم القتيل، إن شاء الله تعالى، فدفع الطفل إلى امرأة، وقال لها: قومي بشأنه، وخذي منا نفقته، وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدتِ امرأةً تقبله وتضمّه إلى صدرها فأعلميني مكانها، فلمّا شبَّ الصبي جاءت جارية، فقالت للمرأة: إن سيدتي بعثتني إليك لتبعثي إليها بهذا الصبي، فتراه وترده إليك، قالت: نعم، اذهبي به إليها، وأنا معك، فذهبت بالصبي، حتى دخلت على امرأة شابة، فأخذت الصبيَّ، فجعلت تقبّله وتفدّيه وتضمّه إليها، وإذا هي بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ، فجاءت المرأة وأخبرت عمر، فاشتمل على سيفه وأقبل إلى منزلها، فوجد أباها متكئاً على الباب، فقال له: ما الذي تعلم من حال ابنتك؟ قال: أعرف الناس بحق الله وحق أبيها، مع حُسن صلاتها وصيامها، والقيام بدينها، فقال: إنِّي أحبُّ أن أدخل إليها وأزيدها رغبة في الخير، فدخل الشيخ، ثم خرج فقال: ادخل يا أمير المؤمنين! فدخل وأمر أن يخرجَ كل من في الدار إلا أباها، ثم سألها عن الصبي، فلجلجت، فقال: لتصدقيني، ثم انتضى السيف.

فقالت: على رسلك يا أمير المؤمنين فوالله لأصدقَنَّكَ، إن عجوزاً كانت تدخل علي فاتخذتها أماً، وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة، وأنا لها بمنزلة البنت، فمكثت كذلك حيناً، ثم قالت: إنه قد عرض لي سفر، ولي بنت أتخوّفُ عليها بعدي الضيعة، وأنا أحبُّ أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري.

ثم عمدت إلى ابن لها أمرد، فهيأته وزينته كما تزين المرأة وأتتني

به، ولا أشك أنه جارية، فكان يرى مني ما ترى المرأة من المرأة، فاغتفلني يوماً وأنا نائمة فما شعرت به حتى علاني وخالطني، فمددت يدي إلى شفرة كانت عندي فقتلته، ثم أمرت به فألقي حيثُ رأيتَ، فاشتملت منه على هذا الصبي، فلمّا وضعته ألقيته في موضع أبيه، هذا والله خبرهما على ما أعلمتك؛ فقال عمر ﷺ: صدقتِ، بارك الله فيك، ثم أوصاها ووعظها وخرج[١].

• وروى إسماعيل بن خالد، قال: قيل لعثمان: ألا تكون مثل عمر قال: لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم.

• ذكرت عائشةُ عمرَ، فقالت: كان أحوذيّاً، نسيجَ وحده، قد أعد للأمور أقرانها.

• جاء عبد الله بن سلام بعد أن صلّى الناس على عمر، فقال: إن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه فلا تسبقوني بالثناء عليه، ثم قال: نِعم أخو الإسلام كنتَ يا عمرُ، جواداً بالحقِّ، بخيلاً بالباطل، ترضى حين الرضا، وتسخط حين السخط، لم تكن مدّاحاً، ولا معياباً، طيّب الظَّرْفِ، عفيفَ الطرف[٢].

• **وذكر أبو جعفر الطبري في تاريخه بعض خطب عمر:**

• فمنها خطبة خطب بها حين ولي الخلافة وهي بعد حمد الله والثناء عليه وعلى رسوله:

يا أيها الناس، إنّي قد ولِّيتُ عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم؛ وأقواكم عليكم؛ وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم؛

(١) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ٦٥).
(٢) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ٦٧).

ما تولّيت ذلك منكم، ولكفى عمر فيها مجرى العطاء موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف آخذها، ووضعها أين أضعها، وبالسير فيكم كيف أسير، فربي المستعان، فإنَّ عمرَ أصبحَ لا يثقُ بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده.

• ثم خطب فقال: إنّ الله عز وجل قد ولّاني أمرَكم، وقد علمتُ أنفعَ ما بحضرتكم لكم، وإنّي أسأل الله أن يعينني عليه، وأن يحرسني عنده كما حرسني عند غيره، وأن يلهمني العدل في قسمكم كالذي أمر به، وإني امرؤ مسلم، وعبد ضعيف إلا ما أعان الله عز وجل.

ولن يغير الذي ولِّيتُ من خلافتكم من خلقي شيئاً إن شاء الله، إنّما العظمةُ لله عز وجل، وليس للعباد منها شيء، فلا يقولَنَّ أحدٌ منكم: إنَّ عمر تغيرّ منذ ولي، أعقل الحق من نفسي، وأتقدّم وأبيّن لكم أمري، فأيما رجل كانت له حاجةٌ أو مظلمةٌ أو عتبٌ علينا في خلق فليؤذنّي، فإنَّما أنا رجل منكم، فعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرماتكم وأعراضكم، وأعطوا الحقّ من أنفسكم، ولا يحمل بعضكم بعضاً على أن تحاكموا إليَّ، فإنّه ليس بيني وبين أحد من الناس هوادةٌ، وأنا حبيبٌ إليَّ صلاحُكم، عزيزٌ عليَّ عنتُكم، وأنتم أناسٌ عامّتكم حُضَّرٌ في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع، إلا ما جاء الله به إليه، وإنّ الله عز وجل قد وعدكم كرامة كثيرة، وأنا مسؤول عن أمانتي وما أنا فيه، ومطلع على ما يحضرني بنفسي إن شاء الله، لا أَكِلُه إلى أحد، ولا أستطيعُ ما بعد منه إلا بالأمناء وأهل النصحِ منكم للعامة، ولستُ أجعل أمانتي إلى أحدٍ سواهم إن شاء الله.

• وخطب عمر رضي الله عنه مرة أخرى، فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم:

أيها الناسُ إنّ بعضَ الطمع فقرٌ، وإنَّ بعضَ اليأس غنًى، وإنّكم تجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون، وأنتم مؤجلون في دار غرور.

وقد كنتم على عهد رسول الله ﷺ تؤخذون بالوحي، فمن أسرَّ شيئاً أُخذ بسريرته، ومن أعلن قبيحاً أُخذ بعلانيته، فأظهروا لنا أحسن أخلاقكم، واللهُ أعلمُ بالسرائر، فإنّه من أظهر لنا شيئاً وزعم أنَّ سريرته حسنة لم نصدقه، ومن أظهر لنا علانية حسنة ظننا به حسناً.

واعلموا أنّ بعضَ الشحِّ شعبةٌ من النفاق، فأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون.

أيها الناس! أطيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولا تُلبسوا نساءكم القُباطي، فإنّه إن لم يشف فإنّه يصف.

أيها الناس! إني واللهِ لوددتُ أن أنجو كفافاً لا لي ولا عليَّ، وإني لأرجو إنْ عُمّرتُ فيكم يسيراً أو كثيراً أن أعمل بالحق فيكم إن شاء الله، وألا يبقى أحد من المسلمين وإن كان في بيته إلا أتاه حقُّه ونصيبهُ من مال الله، وإن لم يعمل إليه نفسه، ولم ينصب إليه بدنه.

وأصلحوا أموالكم التي رزقكم الله، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، واعلموا أن القتل حتف من الحتوف، يصيب البَرَّ والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه، وإذا أراد أحدكم بعيراً فليعمد إلى الطويل العظيم فليضربه بعصاه، فإن وجده حديد الفؤاد فليشتره.

• وخطب عمر رضي الله عنه مرّةً أُخرى فقال: إنّ الله سبحانه وبحمده قد استوجبَ عليكم الشكر، واتّخذَ عليكم الحجج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا عن غير مسألة منكم له ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قادراً أن يجعلَكم

لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون، ثم جعل لكم سمعاً وبصراً، ومن نعم الله عليكم نعم عمَّ بها بني آدم، ومنها نعم اختصّ بها أهل دينكم.

ثم صارت تلك النعم خواصها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسمتم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وقد حُكِّم حقها إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلَفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمةٌ مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام، وأهله يتجرون لكم، يستضعفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعباً، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله ﷻ، ونزلت بساحتهم مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسدّ الثغور، بإذن الله مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام والله المحمود، ومع الفتوح العظام في كل بلد، فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين، وذكر الذاكرين، واجتهاد المجتهدين مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطاع أداء حقها، إلا بعون الله ورحمته ولطفه.

فنسأل الله الذي لا إلـه إلا هو الذي أبلانا هذا أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارعة إلى مرضاته، واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستتموا نعم الله عليكم وفي مجالسكم مثنى وفرادى، فإن الله ﷻ قال

لموسى: ﴿أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقال لمحمد ﷺ: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: ٢٦].

فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق تؤمنون بها وتستريحون إليها مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة وأعظم الناس بالله جهالة، فلو كان هذا الذي استسلامكم به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرياء، وإن تشحوا على الله تصبكم منه غربلة ما، إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، أو من شاء أن يجمع له ذلك منكم فأذكّركم اللهَ الحائلَ بين قلوبكم إلّا ما عرفتم حق الله، فعملتم له، ويسّرتم أنفسَكم على طاعته، وجمعتم مع السرور بالنعم خوفاً لزوالها ولانتقالها ووجلاً منها ومن تحويلها، فإنه لا شيءَ أسلبُ لنعمة من كفرانها، وإنّ الشكرَ أمنٌ للعزِّ، ونماءٌ للنعمة، واستجلابٌ للزيادة، وهذا على ما في أمركم ونهيكم واجب إن شاء الله(١).

● وروى أبو عبيدة معمر بن المثنَّى في كتاب «مقاتل الفرسان»، قال: كتب عمر إلى سليمان بن ربيعة الباهلي أو إلى النعمان بن مقرن: إن في جندك رجلين من العرب عمرو بن معديكرب وطلحة بن خويلد، فأحضرهما الناسَ، وآذنهما، وشاورهما في الحرب، وابعثهما في الطلائع، ولا تولّهما عملاً من أعمال المسلمين، فإذا وضعت الحرب أوزارها فضعهما حيث وضعا أنفسهما، قال: وكان عمرو ارتد وطليحة تنبّأ.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤).

• وروى أبو عبيدة أيضاً في هذا الكتاب، قال: قدم عمرو بن معديكرب والأجلح بن وقاص الفهمي على عمر، فأتياه وبين يديه مال يوزن، فقال: متى قدمتما؟ قالا: يوم الخميس، قال: فما حبسكما عني؟ قالا: شغلنا المنزل يوم قدمنا، ثم كانت الجمعة، ثم غدونا عليك اليوم، فلمّا فرغ من وزن المال نحاه وأقبل عليهما، فقال: هيه، فقال عمرو بن معديكرب: يا أمير المؤمنين! هذا الأجلحُ بن وقّاص الشديد المرّة، البعيد الغرة، الوشيك الكرة، واللهِ ما رأيتُ مثله حين الرجال صارع ومصروع، واللهِ لكأنّه لا يموت، فقال عمر للأجلح وعرف الغضب في غضنة وجهه[1]: هيه يا أجلح، فقال الأجلح: يا أمير المومنين! تركت الناسَ خلفي صالحين، كثيراً نسلُهم، دارّةً أرزاقُهم، خصباً بلادُهم، أجرياء على عدوِّهم، ما كلأ عدوهم عنهم فيمتع الله بك، فما رأينا مثلك إلّا من سبقك، فقال: ما منعك أن تقول في صاحبك مثل ما قال فيك؟ قال: ما رأيتُ في وجهك، قال: لقد أصبتَ، أما إنّكَ لو قلتَ فيه مثل الذي قال فيك لأوجعتكما ضرباً وعقوبةً، فإذا تركتك لنفسك فسأتركه لك، واللهِ لوددتُ لو سلمتْ لكم حالكم، ودامتْ عليكم أمورُكم، أما إنه سيأتي عليك يوم تعضه وينهشك، وتهرّه وينبحك، ولست له يومئذٍ وليس لك، فإنْ لا يكنْ بعهدكم فما أقربه منكم.

۞ [قصة مجيء الهرمزان إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه]:

• لما أُسِرَ الهرمزان صاحب الأهواز وتُسْتُر، وحُمل إلى عمر ومعه رجال من المسلمين، فيهم الأحنف بن قيس وأنس بن مالك فأدخلوه المدينة في هيئة، وعليه تاجُه المذهّب، وكسوته، فوجدوا عمر نائماً في

---

(١) **الوجه الغضِن**: هو الوجه الذي فيه تكسّر وتجعّد من شدة الهم والكرب الذي نزل به، «النهاية» (ص٦٧٣).

جانب المسجد، فجلسوا عنده ينتظرون انتباهه، فقال الهرمزان: وأين عمر؟ قالوا: هوذا، قال: فأين حراسه وحجابه؟ قالوا: لا حارس له ولا حاجب، قال: فينبغي أن يكون نبيّاً، قالوا: إنه يعمل عمل الأنبياء، واستيقظ عمر، فقال: الهرمزان؟ قالوا: نعم، قال: لا أكلمه حتى لا يبقى من حليه شيء، فرموا بالحلية، وألبسوه ثوباً ضعيفاً، فقال عمر: يا هرمزان! كيف وبالُ الغدر؟ وقد كان صلحُ المسلمين مرّة ثم نكث، فقال: يا عمر! أنا وإيّاكم في الجاهلية، كنا نغلبكم إذ لم يكن الله معكم ولا معنا، فلمّا كان الله معكم غلبتمونا، قال: فما عذرك في انتقاضك مرّةً بعد أخرى؟ قال: أخاف إن قلت أن تقتلني، وقال: لا بأس عليك فأخبرني، فاستسقى ماءً، فأخذه وجعلت يده ترعد، قال: ما لك؟ قال: أخافُ أن تقتلني وأنا أشربُ، قال: لا بأس عليك حتّى تشربه، فألقاه عن يده، فقال: يا هذا ما لك؟ أعيدوا عليه الماء، ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش، قال: كيف تقتلني وقد أمَّنتني، قال: كذبتَ، قال: لم أكذب، فقال أنس: صدق يا أمير المؤمنين! قال: ويحك يا أنس! أنا أؤمن قاتلَ مجزأة بن ثور والبراء بن مالك، واللهِ لتأتينّي بالمخرج أو لأعاقبنّك، قال: إنك قلت: لا بأسَ عليك حتّى تخبرني، ولا بأس عليك حتى تشربَ، فقال له ناس من المسلمين مثل قول أنس، فأقبل على الهرمزان وقال: تخدعني واللهِ، لا تخدعني إلا أن تسلم، فأسلم، ففرض له في ألفين وأنزله المدينة.

❁ [قصة عمير بن سعد الأنصاري مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه]:

• بعث عمرُ عميرَ بنَ سعدٍ الأنصاري عاملاً على حمص، فمكث حولاً لا يأتيه خبرُه، ثم كتبَ إليه بعدَ الحول، إذا أتاك كتابي هذا فأقبل واحمل ما جبيتَ من مال المسلمين، فأخذ عمير جرابه، وجعل فيه زاده،

وقصعةً وعلَّق إداوة، وأخذ عَنَزته، وأقبل ماشياً من حمص حتى دخل المدينة، وقد شحب لونه، واغبرّ وجهه، وطالَ شعره، فدخل على عمر فسلَّم، فقال عمر: ما شأنك يا عميرُ؟

قال: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيحَ البدن، طاهرَ البدن معي الدنيا أجرُّها بقرنيها.

قال: وما معك؟ فظنّ عمر أنَّه قد جاء بمال قال: معي جرابي أجعل فيه زادي، وقصعتي آكل فيها، واغسل منها رأسي وثيابي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعنزتي أتوكأ عليها، وأجاهِدُ بها عدواً إن عرض لي.

قال عمر: أفجئت ماشياً؟ قال: نعم، لم يكن لي دابة، قال: أفما كان في رعيتك أحدٌ يتبرّع إليك بدابةٍ تركبها؟ قال: ما فعلوا ولا سألتهم ذلك، قال عمر: بئس المسلمون خرجت من عندهم، قال عمير: اتق الله ولا تقل إلّا خيراً، قد نهاك الله عن الغيبة وقد رأيتُهم يصلّون.

قال عمر: فماذا صنعت في إمارتك؟ قال: وما سؤلك؟ قال عمر: سبحان الله! قال: أما أنيّ لو لا أخشى أن أعمل ما أخبرتُكَ، أتيتُ البلدَ، فجمعتُ صلحاءَ أهله، فولّيتهم جبايته، ووضعته في مواضعه، ولو أصابك منه شيء لأتاك، قال: أفما جئتَ بشيءٍ؟ قال: لا، فقال: جددوا لعمير مهداً، قال: إنّ ذلك لشيء لا أعمله بعدُ لكَ ولا لأحدٍ بعدك، واللهِ ما كدتُ أسلمُ بل لم أسلم، قلت لنصراني معاهَدٌ: أخزاك الله، فهذا ما عرضتني له يا عمر، إنّ أشقى أيامي ليوم صحبتكَ.

ثم استأذنه في الانصراف، فأذن له، ومنزله بقُباءٍ بعيداً عن المدينة، فأمهله عمر أياماً ثم بعث رجلاً، يقال له: الحارث، فقال: انطلق إلى عمير بن سعد، هذه مائة دينار، فإنّ وجدت عليه أثراً فاقبل بها، وإن رأيت

حالاً شديدةً فادفع إليه هذه المائة، فانطلق الحارث فوجد عميراً جالساً يفلّي قميصاً له إلى جانب حائط فسلَّم عليه، فقال عمير: انزل رحمك الله، فنزل، فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة، قال: كيف تركتَ أميرَ المؤمنين؟ قال: صالحاً، قال: كيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين، أليس عمرُ يقيمُ الحدود؟ قال: بلى، ضرب ابناً له على فاحشةٍ فماتَ من ضربه، فقال عمير: اللَّهُمَّ أعن عمر فإنِّي لا أعلمه إلا شديداً حُبُّه لك.

قال: فنزل به ثلاثة أيام، وليس لهم إلا قرص من شعير كانوا يخصونه كلّ يوم به، ويطوون حتى نالهم الجهد، فقال له عمير: إنك قد أجعتنا، إنْ رأيتَ أن تتحول عنا فافعل، فأخرجَ الحارث الدنانير فدفعها إليه، وقال: بعث بها أمير المؤمنين، فاستعن بها، فصاح وقال: ردَّها لا حاجةَ لي فيها، فقالت المرأةُ: خذها ثم ضعها في مواضعها، فقال: ما لي شيءٌ أجعلُها فيه، فشقت أسفل درعها فأعطته خرقة فشدها فيها، ثم خرجَ فقسمها كلَّها بين أبناء الشهداء والفقراء.

فجاء الحارثُ إلى عمر فأخبره، فقال: رحم الله عميراً، ثم لم يلبث أن هلك، فعظم مهلكه على عمر، وخرج مع رهط من أصحابه ماشين إلى بقيع الغرقد، فقال لأصحابه: ليتمنَّ كلُّ واحدٍ منّا أمنية، فكل واحدٍ تمنّى شيئاً، وانتهت الأمنية إلى عمر، فقال: وددتُ أنَّ رجلاً مثل عمير بن سعد أستعينُ به على أمور المسلمين.

۞ [أقوال عمر بن الخطاب رضي الله عنه]:

• ومن كلام عمر رضي الله عنه: إياكم وهذه المجازر، فإنّ لها ضراوة[1] كضراوة الخَمرِ.

---

(١) أي: عادةً.

• وقال: إياكم والراحةَ، فإنّها غفلة.

• وقال: السِّمَنُ غفلة.

• وقال: لا تُسْكِنوا نساءَكم الغرف، ولا تعلموهنّ الكتابة، واستعينوا عليهن بالعري، وعودوهن قول: لا، فإنّ «نَعَم» يجرئهن على المسألة.

• وقال: أتبيّنُ عقلَ الناسِ في كلِّ شيء، حتى في علّته، فإذا رأيته يتوفى على نفسه الصبر عن شهوته، ويحتمي من مطعمه ومشربه، عرفت ذلك في عقله، وما سألني رجل عن شيء قط إلا تبيّن لي عقله في ذلك.

• وقال: إنّ للناس حدوداً ومنازلَ، فأنزلوا كلَّ رجلٍ منزلته، وضعوا كلَّ إنسانٍ في حده، واحملوا كل امرئ بفعله على قدره.

• وقال: اعتبروا عزيمة الرجل بحميته، وعقله بمتاع بيته.

قال أبو عثمان الجاحظ: لأنه ليس من العقل أن يكون فرشه لبداً[1] ومرفقته[2] طبرية.

• وقال: من يئسَ من شيءٍ استغنى عنه، وعِزُّ المؤمن استغناؤه عن الناس.

• وقال: لا يقومُ بأمر الله إلّا مَنْ لا يصانع، ولا يُضارِع، ولا يتبع المطامع.

• وقال: لا تضعفوا همتكم، فإنِّي لم أرَ شيئاً أقعد برجلٍ عن مكرمةٍ من ضعف همته.

• ووعظ رجلاً فقال: لا يلهك الناسُ عن نفسك، فإنَّ الأمورَ إليك تصل دونهم، ولا تقطع النهارَ سادراً، فإنّه محفوظٌ عليك، فإذا

---

(١) **اللِّبْد**: البساط من صوف.　　(٢) **المرفقة**: المخدّة.

أسأتَ فأحسنْ، فإنِّي لم أرَ شيئاً أشدَّ طلباً، ولا أسرعَ إدراكاً من حسنة حديثة لذنبٍ قديمٍ.

• وقال: احذر من فلتاتِ الشبابِ، وكلّ ما أورثك النبزَ، وأعلقك القلبَ، فإنّه إن يعظم بعده شأنك يشتدّ على ذلك ندمك.

• وقال: كلُّ عملٍ كرهتَ من أجله الموتَ فاتركه، ثم لا يضرك متى مت.

• وقال: أقلل من الدُّنيا تعش حراً، وأقلل من الذّنوبِ يَهُنْ عليك الموتُ، وانظر في أيِّ نصاب تضع ولدك، فإنَّ العرق دساس.

• وقال: ترك الخطيئة أسهلُ من معالجة التوبة، وقال: احذروا النعمةَ حذركم المعصية، وهي أخوفُهما عليكم عندي.

• وقال: احذروا عاقبة الفراغ، فإنّه أجمعُ لأبواب المكروه من السكر، وقال: أجودُ الناسِ مَنْ جاد على مَنْ لا يرجو ثوابه، وأحلمهم من عفا بعد القدرة، وأبخلهم من بخل بالسلام، وأعجزهم من عجز في دعائه.

• وقال: رُبَّ نظرةٍ زرعت شهوةً، ورُبَّ شهوةٍ أورثت حزناً دائماً.

• وقال: ثلاثُ خصالٍ من لم تكن فيه لم ينفعه الإيمان: حلم يرد به جهل الجاهل، وورعٌ يحجزه عن المحارم، وخُلقٌ يداري به الناس.

• وذكر أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى في كتاب «مقاتل الفرسان»: أنّ سعدَ بن أبي وقاص أوفدَ عمرو بن معد يكرب بعد فتح القادسية إلى عمر، فسأله عمر عن سعد: كيف تركته، وكيف رضا الناس عنه؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هو لهم كالأب يجمعُ لهم جَمْعَ الذرّة[1]،

---

(١) **الذَرَّة**: صغار النمل.

أعرابي في نمرته[١]، أسدٌ في تامورته[٢]، نبطي في جبايته، يقسِمُ بالسوية، ويعدل في القضية، وينفِرُ في السرية، وكان سعدٌ كتب يثني على عمرو، فقال عمر: لكأنَّما تعاوضتما الثناءَ، كتبَ يثني عليك، وقدمتَ تثني عليه، فقال: لم أثن إلا بما رأيتَ، قال: دَعْ عنك سعداً، وأخبرني عن مدجج[٣] قومك، قال: في كلٍّ فضلٌ وخيرٌ، قال: ما قولك في علة بن خالد؟ قال: أولئك فوارس أعراضنا، أحثّنا طلباً، وأقلّنا هرباً، قال: فسعد العشيرة؟ قال: أعظمنا خميساً، وأكبرنا رئيساً، وأشدنا شريساً، قال: فالحارث بن كعب؟ قال: حِكَّةٌ لا ترام، قال: فمراد؟ قال: الأتقياء البررة، والمساعير الفجرة، ألزمنا فراراً، وأبعدنا آثاراً، قال: فأخبرني عن الحرب، قال: مُرَّةُ المذاق، إذا قَلَصَتْ عن ساق، مَنْ صبرَ فيها عُرِفَ، ومن ضعفَ عنها تَلِفَ، وإنّها لكما قال الشاعر:

الحربُ أوّلُ ما تكونُ فتيةً ... تَسْعَىٰ بزينتِهَا لِكُلِّ جَهُوْلِ
حتّى إذا اشتعلتَ وشَبَّ ضِرَامُها ... عادتْ عجوزاً غيرَ ذاتِ حليلِ
شَمْطَاءُ[٤] جَزّتْ رأسَها وتنكّرت ... مكروهةً للشمِّ والتقبيلِ

قال: فأخبرني عن السلاح، قال: سل عمّا شئتَ منه، قال: الرمح؟ قال: أخوك وربما خانك، قال: النبل؟ قال: منايا تخطئ وتصيبُ، قال: الترس؟ قال: ذاك المِجَنُّ، وعليه تدورُ الدوائِرُ، قال: الدِّرْعُ؟ قال: مثقلةٌ للراكب، متعبةٌ للراجل، وإنَّها لحصن حصين، قال: السيفُ؟ قال: هناكَ فارغَبْ لأمِّكَ الهبل[٥]، قال: بل أمك، قال:

---

(١) النمِرة: شملة أو بردة من صوف فيها خطوط بيض وسود.
(٢) التامورة: عرين الأسد.
(٣) من عليه سلاح تام.
(٤) من خالط بياض رأسها سوادٌ.
(٥) الهبل: الثُّكْلُ، والثكل: فقد الولد.

بل أمي، والحمى أضرعتني لك[١].

• عرض سليمان بن ربيعة الباهلي جنده بأرمينيَّة، فكان لا يقبل من الخيل إلا عتيقاً، فمرَّ عمرو بن معد يكرب بفرس غليظ، فردّه، وقال: هذا هجينٌ[٢]، قال عمرو: إنّه ليس بهجين، ولكنّه غليظ، قال: بل هو هجين، فقال عمرو: إنَّ الهجينَ ليعرِفُ الهجينَ، فكتب بكلمته إلى عمر، فكتب إليه: **أما بعد!** يا ابنَ معدِ يكرب، فإنّك القائل لأميرك ما قلتَ، فإنّه بلغني أنَّ عندك سيفاً تسمّيه الصمصامة، وإنَّ عندي سيفاً أسميه مصمماً، وأقسمُ بالله لئن وضعته بين أذنيك لا يقلعُ حتى يبلغ قحفك[٣]، وكتب إلى سليمان بن ربيعة يلومه في حلمه عنه[٤].

• وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في «تاريخه»: روى عبد الرحمٰن بن أبي زيد عن عمران بن سوادة الليثي، قال: صليت الصبح مع عمر، فقرأ سبحان وسورة معها، ثم انصرفَ، وقمتُ معه، فقال: أحاجة؟ قلت: حاجة، قال: فالحَقْ، قال: فلحقتُ، فلمّا دخل أذن لي، فإذا هو على رمالِ سريرٍ ليس فوقه شيءٌ، فقلت: نصيحة، فقال: مرحباً بالناصح غدوّاً وعشيّاً، قلتُ: عابت أمتك أو قال: رعيتك أربعاً، قال: فوضع الدرة ثم ذقّنَ عليها، هكذا روى ابن قتيبة، وقال أبو جعفر: فوضع رأسَ دِرّته في ذقنه، ووضع أسفلها على فخذه، وقال: هاتِ.

قال: ذكروا أنّك حرّمتَ المتعةَ في أشهر الحج، وزاد أبو جعفر

(١) في «القاموس» (ص٦٦٧): **والحمى أضرعتني للنوم**: يضرب في الذُّل عند الحاجة.
(٢) **الهجين من الخيل**: الذي ولدته برذونة من حصان عربي.
(٣) **القحِف**: العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة. «لسان العرب» (٩/ ٢٥٧)، «القاموس» (ص٧٥٩).
(٤) «الأغاني» (١٥/ ٢٣٤).

وهي حلالٌ، ولم يحرّمها رسولُ اللهِ ﷺ ولا أبو بكر رضي الله عنه.

فقال: أجل إنّكم إذا اعتمرتم في أشهر حجّكم رأيتموها مجزئةً من حجكم، ففرغ حجكم، وكانت قائبةَ قوبِ عامها[١]، والحجُّ بهاء من بهاء الله وقد أصبتُ.

قال: وذكروا: أنّك حرّمت متعةَ النساء، وقد كانت رخصةً من الله، نستمتع بقبضة، ونفارق عن ثلاث.

قال: إن رسول الله ﷺ أحلّها في زمان ضرورةً، ورجع الناسُ إلى السعة، ثم لم أعلم أحداً من المسلمين عادَ إليها ولا عَمِلَ بها، فالآن مَنْ شاء نكح بقبضة، وفارق عن ثلاث بطلاق وقد أصبتُ.

قال: وذكروا أنّكَ أعتقتَ الأمة إن وضعت ذا بطنها، بغير عتاقة سيدها.

قال: ألحقت حرمةً بحرمةٍ، وما أردتُ إلّا الخير، وأستغفر الله.

قلت: وشكوا منك عنف السياق، وشدة النهر للرعية.

قال: فنزع الدرة، ثم مسحها حتى أتى على سيورها، قال: وأنا زميل محمد ﷺ في غزاة قرقرة الكدر، ولم؟ فواللهِ إنِّي لأرْتِعُ فأُشبع، وأسقي فأروي؟ وإنِّي لأضربُ العروض[٢]، وأزجرَ العجول، وأؤدِّبْ قدري، وأسوق خطوتي، وأرد اللفوت[٣]، وأضم العنود[٤]، وأكثر الزجر، وأقل الضرب، وأشهر العصا، وأدفع باليد، ولولا ذلك لأعذرت.

---

(١) يقال: قيبت البيضة فهي مقوبة: إذا خرج فرخها منها، **فالقائبة**: البيضة، القوب: الفرخ، ضرب هذا مثلاً لخلوِّ مكة من المعتمرين في باقي السنَة، «النهاية» (ص٧٧٦).

(٢) **العَروض**: من الإبل الذي يأخذ يميناً وشمالاً ولا يلزم المحجة، «النهاية» (ص٦٠٦).

(٣) **اللفوت**: الناقة الضجور عند الحلب، «القاموس» (ص١٤٧).

(٤) **العنود**: البعير يحور عن الطريق ويعدل، «القاموس» (ص٢٧٤).

قال أبو جعفر: فكان معاوية إذا حدث بهذا الحديث يقول: كان والله عالماً برعيتهم[١].

• قال له حذيفة: إنك تستعين بالرجل الذي ذي قوة، وبعضهم يرويه بالرجل الفاجر، فقال: أستعمله لأستعينَ بقوته، ثم أكون على قفائه[٢].

• قال: فرقوا عن المنية، واجعلوا الرأس رأسين، ولا تلثوا بدار معجزة، وأصلحوا مثاويكم، وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم، واخشوشنوا وتمعددوا[٣].

• وكتب إلى خالد بن الوليد: إنَّه بلغني أنّكَ دخلت حمَّاماً بالشام، وأنَّ من بها من الأعاجم أعدوا لك دَلوكاً عُجن بخمرٍ، وإنِّي أظنكم ـ آل المغيرة ـ ذرء النار[٤].

• الدلوك ما تدلك به كالسَّحور والفَطور ونحوهما، وذرء النار: خلق النار.

• قال عام الرمادة: لقد هممتُ أن أجعلَ مع كلِّ أهل بيت من المسلمين مثلهم، فإنّ الإنسانَ لا يهلكُ على نِصْفِ شبعه، فقال له رجل: لو فعلتَ يا أمير المؤمنين! ما كنتَ فيها ابنَ ثأداء[٥].

قلت: يريدُ أنّ الإنسان إذا اقتصر على نصف شبعه لم يهلك جوعاً.

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).
(٢) انظر: «كنز العمال» (٥/ ٧٧١).
(٣) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٤).
(٤) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٤).
(٥) ابن ثأداء: أي: ابن أمة؛ يعني: ما كنت لئيماً، وقيل: ضعيفاً عاجزاً، «النهاية» (ص١١٩)، «لسان العرب» (٣/ ١٠١).

• ورأى جارية متكمكمة[١] فسأل عنها فقالوا: أمة آل فلان، فضربها بالدرة ضربات، وقال: يا لكعاء[٢] أتشبّهينَ بالحرائر[٣].

• وسمع رجلاً يتعوّذ من الفتن، فقال له عمر: قل: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الضغاطة، أتسأل ربك أن لا يرزقك مالاً ولا ولداً، قال: أراد قول الله تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨][٤].

• وقال: ما بال رجالٍ لا يزالُ أحدُهم كاسراً وسادةً عند امرأة مغزية يتحدّث إليها، وتتحدّث إليه، عليكم بالجُنّةِ، فإنها عفاف، إنّما النساءُ لحم على وضم إلا ما ذُبَّ عنه[٥].

• قال ابن قتيبة: خطب عمر رضي الله عنه فقال: إنَّ أخوفَ ما أخاف عليكم أن يؤخذَ الرجلُ المسلمُ البريءُ عند الله، فيدسّر كما يدسّر الجزور، ويشاط لحمه كما يشاطُ لحم الجزور، ويقال: عاص وليس بعاص، فقال عليّ كرم الله وجهه: وكيف ذاك؟ ولما تشتدّ البليةً، وتظهر الحمية، وتسبى الذرية، وتدقهم الفتنُ دق الرحا ثِفَالها[٦].

• وفي حديثه قال: لا تنظروا إلى صلاة الرجل وصيامه، ولكن من إذا حدّثَ صدق، وإذا اؤتُمِنَ أدّى، وإذا أشفى ورع[٧].

---

(١) كمكمت الشيء: إذا أخفيته، وتكمكم في ثوبه: تلفف فيه، وقيل: أراد متكمِّمة، من الكُمَّة: القلنسوة شبَّه قناعها بها، «النهاية» (ص٨١٢).

(٢) **اللّكع عند العرب**: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، يقال للرجل: لُكَع، وللمرأة لَكاع، ولَكْعاء لغة في لَكاع. «النهاية» (ص٨٢٤).

(٣) انظر: «كنز العمال» (٦/ ١٠٥٢).

(٤) انظر: «غريب الحديث»، لأبي عبيد (٣/ ٣٥٠).

(٥) انظر: «غريب الحديث»، لأبي عبيد (٣/ ٣٥٢).

(٦) انظر: «نثر الدر» (١/ ١١٥)، **الثفال** ـ بالكسر ـ: جلدة تبسط تحت رحى اليد ليقع عليها الدقيق. «النهاية» (ص١١٤).

(٧) انظر: «سنن البيهقي الكبرى» (٦/ ٢٨٨) رقم: (١٢٤٧٣).

• وخطب الناسَ، فقال: يا أيها الناس! لينكحَ الرجلُ منكم لُمّتَه من النساء، ولتنكح المرأةُ لمّتَها من الرجال[١].

• وفي حديثه: أنه استعمل رجلاً على اليمن، فوفد عليه، وعليه حلة مشهرة، وهو مرجّل دهين، فقال: أهكذا بعثناك؟ ثم أمر بالحلة فنزعت، وألبس جبةً صوف، ثم سأل عن ولايته، فلم يذكر إلا خيراً، فرده على عمله، ووفد عليه بعد ذلك فإذا هو أشعث مغبّر عليه أطلاس[٢]، فقال: لا، ولا كل هذا، إنّ عاملنا ليس بالشعث ولا بالعافي، كلوا واشربوا وادهنوا، إنكم لتعلمون الذي أكره من أمركم[٣].

• وقال: تعلَّموا السُّنَّة والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن[٤].

• ومرَّ على راع فقال: يا راعي! عليك الظلف، لا ترمض فإنك راعٍ، وكلُّ راعٍ مسؤولٌ[٥].

• وفي حديثه: إنَّ مِنَ الناسِ مَنْ يقاتِلُ رياءً وسمعة، ومنهم من يقاتلُ وهو ينوي الدنيا، ومنهم مَنْ ألحمه القتال فلم يجد بُدّاً، ومنهم من يقاتل صابراً محتسباً، أولئك هم الشهداء[٦].

• وفي حديثه: أنّه أرسلَ إلى أبي عبيدة رسولاً، فقال له حين

---

(١) انظر: «الفائق في غريب الحديث والأثر» (١/ ٤١٦)، **اللُّمة**: المثل في السن والتِّرب.

(٢) أي: ثياب وسخة. انظر: «النهاية» (ص٥٦٦).

(٣) انظر: «غريب الحديث»، لابن قتيبة (١/ ٣١٦).

(٤) انظر: «شرح الآجرومية» (١/ ٢)، و«أساس البلاغة» (ص٤٢١).

(٥) انظر: «غريب الحديث»، لابن قتيبة (١/ ٦٠٨)، **الظَّلَف** ـ بفتح الظاء واللام ـ: الغليظ الصلب من الأرض ممّا لا يبين فيه أثر، وقيل: الليّن منها ممّا لا رمل فيه ولا حجارة، أمره أن يرعاها في الأرض التي هذه صفتها لئلا تَرْمَضَ بِحَرِّ الرَّمْلِ وخشونة الحجارة فتتلف أظلافها. «النهاية» (ص٥٨١).

(٦) انظر: «غريب الحديث»، لابن قتيبة (١/ ٢٩١).

رجع: كيفَ رأيتَ أبا عبيدة؟ فقال: رأيتُ بللاً من عيش، يقصر من رزقه، ثم أرسل إليه، وقال للرسول حين قدم: كيفَ رأيته؟ قال: حفوفاً[(١)]، فقال: رحمَ الله أبا عبيدة بسطنا له فبسط، وقبضنا له فقبض[(٢)].

• وفي حديثه: أنّه رئي في المنام، فسئل عن حاله، فقال: كاد يثلّ[(٣)] عرشي، لولا أنّي صادفتُ ربِّي رحيماً[(٤)].

• وفي حديثه: أنه قال لأبي مريم الحنفي: لأنا أشدُّ بغضاً لك من الأرضِ للدم، قالوا: كان عمر عليه حفيظاً؛ لأنّه كان قاتل زيد بن الخطاب أخيه، فقال: أينقصني ذلك مِنْ حقِّي شيئاً؟ قال: لا، قال: فلا ضَيْرَ[(٥)].

• وفي حديثه: إنّ اللبن يشبّه عليه، قال: معناه أنّ الطفل ربّما نزعَ به الشبه إلى الظِّئْرِ من أجلِ لبنها، فلا تسترضعوا إلّا مَنْ ترضون أخلاقها.

• وفي حديثه: اغزوا، والغزو حلوٌ خَضِرٌ قبل أن يكون ثماماً، ثم يكون رماماً، ثم يكون حطاماً[(٦)].

• وفي حديثه: عجبتُ لتاجرِ هَجَرٍ[(٧)]، وراكب البحر[(٨)].

---

(١) **الحُفُوف**: عيش سوءٍ وقلة مال، «القاموس» (ص٧٢٠).

(٢) انظر: «الفائق في غريب الحديث والأثر» (١/ ٤١).

(٣) أي: يُهْدم ويكسر.

(٤) انظر: «غريب الحديث»، لابن قتيبة (١/ ٢٩٥).

(٥) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١٠٧).

(٦) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١٠٧)، **الثمام**: نبت ضعيف قصير لا يطول، **والرمام**: البالي، والحطام: المتكسّر المتفتت، المعنى: اغزوا وأنتم تنصرون وتوفرون غنائمكم قبل أن يهن ويضعف ويكون كالثمام. «النهاية» (ص١٢٨)..

(٧) **هجر**: اسم بلد معروف بالبحرين. «النهاية» (ص١٠٠١).

(٨) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١٠٨).

• وفي حديثه: أنّ نائلاً مولى عثمان قال: سافرتُ مع مولاي وعمر في حجٍّ أو عمرةٍ، فكان عمر وعثمان وابن عمر لفّاً[(١)]، وكنت أنا وابن الزبير في شببة معنا لفّاً، فكنّا نتمازَحُ ونترامى بالحنظل، فما يزيدنا عمر على أن يقول لنا: كذاك لا تذعروا علينا[(٢)]، فقلنا لرباح بن المعترف: لو نصبتَ لنا نَصْبَ[(٣)] العرب، فقال: أقول مع عمر، فقلنا: افعل وإن نهاك فانته، ففعل ولم يقل عمر شيئاً، حتى إذا كان في وجه السحر ناداه، يا رباح، إيهاً، اكفف فإنّها ساعةُ ذكرٍ[(٤)].

• وفي حديثه: أنّه كتبَ في الصدقة إلى بعض عمّاله كتاباً فيه: ولا تحبس الناسَ أولهم على آخرهم، فإنَّ الرجن[(٥)] للماشيةِ عليها شديدٌ، ولها مهلكٌ، وإذا وقف الرجلُ عليك غنمه فلا تغتم من غنمه، ولا تأخذ من أدناها، وخذ الصدقةَ من أوسطها، وإذا وجبَ على الرجلِ سِنٌّ لم تجدها في إبله فلا تأخذ إلا تلك السنّ من شروى[(٦)] إبله، أو قيمة عدل، وانظر ذوات الدَّرِّ والماخض، فتنكّب عنها، فإنّها ثمال حاضرتهم[(٧)(٨)].

• وفي حديثه: أنّه كان يلتقِطُ النكثَ[(٩)] والنوى من الطريق، فإذا

---

(١) **اللف**: الحزب والطائفة، من الالتفات، وجمعه ألفاف. «النهاية» (ص٨٣٩). .

(٢) أي: لا تنفِّروا إبلنا علينا، وقوله: «وكذلك»؛ أي: حسبكم. «النهاية» (ص٣٢٧).

(٣) **النَّصْب**: ـ بالسكون ـ: ضرب من أغاني العرب شبه الحُداء. «النهاية» (ص٩١٨).

(٤) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١٠٩).

(٥) **الرجن**: الإقامة بالمكان. «النهاية» (ص٣٥٠).

(٦) **الشروى**: المِثل.

(٧) **ثمال حاضرتهم**: أي: غياثهم وعِصمتهم، والثمال ـ بالكسر ـ: الملجأ والغياث. «النهاية» (ص١٢٧).

(٨) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١٠٩).

(٩) **النكث** ـ بالكسر ـ: الخيط الخلق من صوف أو شعر أو دبر. «النهاية» (ص٩٤٠).

مرَّ بدار قوم ألقاها فيها، وقال: ليأكل هذا داجنتكم[١]، وانتفعوا بباقيه[٢].

• وفي حديثه: ثلاثٌ من الفواقر[٣]: جار مقامة، إن رأى حسنةً دفنها، وإن رأى سيئةً أذاعها، وامرأةٌ إن دخلت عليها لسنتك، وإن غبت عنها لم تأمنها، وإمامٌ إن أحسنتَ لم يرضَ عنك، وأن أسأتَ قتلك[٤].

• وفي حديثه: من حظِّ المرءِ نفاقُ أيِّمه[٥] وموضع خفه[٦].

• وفي حديثه: إنَّ العباسَ بن عبد المطلب سأله عن الشعراء، فقال: امرؤ القيس سابِقُهم، خسفَ لهم عينَ الشعر، فافتقر عن معانٍ عورٍ أصح بصر[٧].

• **البغوي**، عن **أبي عثمان النهدي** يقول: أتانا كتاب عمر بن الخطاب ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد: **أمّا بعدُ!** فاتزروا وارتدوا، وانتعلوا، وألقوا الخفاف، وألقوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإيّاكم والتنعّم، وزي العجم، وعليكم بالشمس، فإنّها حمّامُ العرب، وتَمَعْدَدُوا، واخْشَوْشِنُوا، واخْشَوْشِبُوا، واخْلَوْلِقُوا، وأعطوا الركب أسنتها، وانْزُوا نَزْواً، وارموا الأغراضَ، وفي رواية: وانزوا على ظهور الخيل نزواً، واستقبلوا بوجوهكم الشمس، فإنّها حماماتُ العرب.

(١) **الداجن**: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم. «النهاية» (ص٢٩٨).
(٢) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١١٠).
(٣) أي: الدواهي، واحدتها: فاقرة، «النهاية» (ص٧١٣).
(٤) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١١٠).
(٥) أي: من حظه وسعادته أن تخطب إليه نساؤه من بناته وأخواته، ولا يكسدن كساد السلع التي لا تنفق. «النهاية» (ص٩٣٤).
(٦) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١١٠).
(٧) انظر: «شرح نهج البلاغة» (١٢/ ١١١).

قوله: «**تمعددوا**» قيل: هو من الغِلَظِ، يقال للغلام إذا شب وغلظ: تمعدد، وقيل: معناه: تشبهوا بعيش معد، وكانوا أهل غلظ وقشف، يقول: كونوا مثلهم، ودعوا التنعم وزي العجم، وقوله: «**واخشوشنوا**» أراد الخشونة في الملبس والمطعم، وقوله: «**واخشوشبوا**» بالباء فهو من الصلابة، يقال: اخشوشب الرجل: إذا كان صلباً، ويروى بالجيم من الجشب، وهو الخشونة في المطعم[(١)].

• **أبو عمر**: في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] من سَرّه أن يكونَ من تلك الأمم فليؤدِّ شرط الله فيها[(٢)].

• **أبو عمر**: إنّما ننتسب إلى معد، وما بعد لا ندري ما هو[(٣)].

• **أبو عمر**: حمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أُسيد بن حُضير من بني عبد الأشهل، حتى وضعه بالبقيع، وصلّى عليه، وأوصى إلى عمر بن الخطاب، فنظر عمر في وصيته فوجد عليه أربعة آلاف دينار، فباع نخله أربع سنين بأربعة آلاف، وقضى دينه[(٤)].

• **أبو عمر**: كان لأمية بن الأسكر الجندعي ابنان، ففرَّا منه، وكان أحدهما يسمّى كلاباً، فبكاهما بأشعار له، وكان شاعراً فردَّهما عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وحلف عليهما ألا يفارقاه أبداً حتى يموت[(٥)].

• **أبو عمر**: قال الشاعر في جرير بن عبد الله البجلي:

لولا جريرٌ هلكتْ بَجِيْله نِعْمَ الفتى وبِئْسَتِ القَبِيْلَه

فقال عمر بن الخطاب: ما مُدِحَ من هجا قومه.

---

(١) انظر: «شرح السُّنَّة» (١٢/٤٦).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/٤).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/٩).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٠).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/٣٤).

● وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة[١].

● أبو عمر: قدم جرير بن عبد الله على عمر بن الخطاب من عند سعد بن أبي وقاصٍ، فقال له: كيف تركتَ سعداً في ولايته؟

فقال: تركته أكرم الناس مقدرةً، وأحسنهم معذرةً، هو لهم كالأم البرة، يجمع لهم كما تجمع الذرة، مع أنه ميمون الأثر، مرزوق الظفر، أشد الناس عند البأس، وأحب قريش إلى الناس.

قال: فأخبرني عن حال الناس.

قال: هم كسهام الجعبة، منها القائم الرائش، ومنها العضل الطائش، وابن أبي وقاص ثقّافها، يغمز عضلها، ويقيم ميلها، والله أعلم بالسرائر يا عمر.

قال: أخبرني عن إسلامهم.

قال: يقيمون الصلاة لأوقاتها، ويؤتون الطاعة لولاتها، فقال عمر: الحمد لله إذا كانت الصلاة أوتيت الزكاة، وإذا كانت الطاعة كانت الجماعة[٢].

● **أبو عمر**: مرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحسان وهو ينشِدُ الشعر في مسجد رسول الله ﷺ فقال: أتنشدُ الشعرَ أو قال مثل هذا الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ؟ فقال له حسان: قد كنتُ أنشِدُ وفيه مَنْ هو خير منك[٣].

● **أبو عمر**: حاطب بن أبي بَلْتَعة، انتحر رقيقُه ناقةً لرجل من مزينة

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٧٠).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٧١).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٠٢).

فقال عمر: أراكَ تجيعهم، وأضعف عليه القيمةَ على جهة الأدب والردع(١).

• **أبو عمر**: قصّ حابسُ بن سعدٍ الطائي رؤياه على عمر، فرأى في المنام كأنّ الشمس والقمر يقتتلان، ومع كلّ واحد منهما كواكب، فقال له عمر ﷺ: مع أيهما كنت؟ قال: مع القمر، قال: لا تلي لي عملاً أبداً إذ كنتَ مع الآيةِ الممحوّةِ، فقتل وهو مع معاوية بصفين(٢).

• **أبو عمر**: الحر بن قيس، قدم عليه عمّه فقال لابن أخيه: ألا تدخلني على هذا الرجل؟ فقال: إني أخاف أن تتكلم بكلام لا ينبغي، فقال: لا أفعل، فأدخله على عمر، فقال: يا ابن الخطاب، والله ما تقسم بالعدل، ولا تعطي الجزل، فغضب عمر غضباً شديداً حتى همَّ أن يوقع به، فقال له ابن أخيه: يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻ يقول في محكم كتابه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، قال: فخلّى سبيله عمر، وكان وقافاً عند كتاب الله ﷻ(٣).

• **أبو عمر**: كتب عمرو بن العاص إلى عمر ليمده بثلاثة آلاف فارس، فأمده بخارجة بن حذافة، والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود(٤).

• **أبو عمر**: سأل عمرُ خبّاباً عمّا لقي من المشركين، فقال: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، فنظر فقال: ما رأيتُ كاليوم! قال خبّابٌ: لقد أوقدت لي نار، وسحبت عليها، فما أطفأها إلّا وَدْكُ ظهري(٥).

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٩٣). (٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٨٣).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٨٧). وعمه هو عيينة بن حصن كما تقدم.
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٢٣). (٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٣٠).

● **أبو عمر**: **خوّات بن جبير** قال: خرجنا حُجّاجاً مع عمر بن الخطّاب، فسرنا في ركب فيهم أبو عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمٰن بن عوف، فقال القومُ: غَنِّنا من شعر ضرار، فقال عمر: دعوا أبا عبد الله فليغنِّ من هُنَيَّات فؤاده؛ يعني: من شعره، قال: فما زلتُ أغنّيهم حتى كان السَّحرُ، فقال عمر: ارفع لسانك يا خوّاتُ فقد أَسْحَرْنا[١].

● **أبو عمر**: استشهد زيدُ بنُ الخطّاب يومَ اليمامة فحزن عليه عمرُ حزناً شديداً، قال عمر: ما هبّت الصِّبا إلّا وأنا أجدُ منها ريحَ زيدٍ، وقال متمّم بن نُويرة لعمر: لو أنَّ أخي ذهبَ على ما ذهبَ عليه أخوك ما حزنتُ عليه، فقال عمر: ما عزّاني أحدٌ بأحسن ممّا عزّيتني به.

● وقال عمر لما نُعِي عليه أخوه زيدٌ: رحم الله أخي، سبقني إلى الحُسنيين، أسلمَ قبلي، واستشهد قبلي[٢].

● **أبو عمر**: هجا شاعِرٌ الزبرقان بقوله:

دَعِ المَكَارِمَ لا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ... واقعدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكاسِي

فشكاه الزبرقان إلى عمر، فسأل عمرُ حسّانَ بنَ ثابت عن قوله هذا، فقضى أنّه هجوٌ له، وضِعَةٌ منه، فألقاه عمر بن الخطاب لذلك في مطمورةٍ، حتّى شفع له عبد الرحمٰن بن عوف والزبير، فأطلقه بعد أن أخذ عليه العهد، وأوعدَه ألّا يعود لهجاء أحد أبداً[٣].

● أبو عمر: قال عمر يوماً للبيد بن ربيعة: يا أبا عقيل! أنشدني شيئاً من شعرك، فقال: ما كنتُ لأقولَ شعراً بعد أنْ علّمني اللهُ البقرة

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٣٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٦٧). والشاعر هو الحطيئة.

وآلَ عمران، فزاده عمرُ في عطائه خمسمائة، وكان ألفين[١].

• أبو عمر: **مالك** قال: بلغني أنَّه وردَ على رسولِ اللهِ ﷺ كتابٌ، فقال: من يجيبُ عني؟ فقال عبد الله بن الأرقم: أنا، فأجاب عنه، وأتى به إليه، فأعجبه وأنفذه، وكان عمر حاضراً، فأعجبه ذلك من عبد الله بن الأرقم، فلم يزل ذلك له في نفسه يقول: أصابَ ما أراده رسول الله ﷺ، فلّما ولي عمرُ استعمله على بيت المال، وكان عمرُ يقول: ما رأيتُ أحداً أخشى لله من عبد الله بن الأرقم، وقال عمر له: لو كان لك مثل سابقةِ القومِ ما قدّمتُ عليك أحداً[٢].

سار عمر رضي الله عنه في بعض حجّاته، فلما أتى وادي محسِّر ضرب فيه راحلته حتى قطعه وهو يرتجز:

إليكَ تَعْدُو قَلِقاً وَضِيْنُها مُخَالِفاً دِيْنَ النَّصَارَىٰ دِيْنُها
معترِضاً في بَطْنِهَا جَنِيْنُهَا قَدْ ذَهَبَ الشحمُ الذي يَزِيْنُهَا[٣].

• وبعث عمر بن الخطاب عبد الله بن مسعود إلى الكوفة مع عمار بن ياسر وكتب إليهم: إنّي قد بعثتُ إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباءِ من أصحاب رسول الله ﷺ من أهلِ بدرٍ، فاقتدوا بهما، واسمعوا من قولهما، وقد آثرتُكم بعبد الله بن مسعود على نفسي.

• **وقال عمرُ** في عبدِ اللهِ بن مسعود: كُنَيِّفٌ مُلِئَ علماً[٤].

• **أبو عمر**: وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه يحبُّ ابنَ عباس ويقرّبه ويدنيه، ويشاوره مع أجلّة الصحابة، وكان عمرُ يقول: ابنُ عباس فتى

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٤١٥).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٠).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٦٩).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٠٤).

الكهول، له لسانٌ سؤول، وقلبٌ عَقُول[١]، وكان عمرُ يدعوه للمعضلات مع اجتهادِ عمر ونظره للمسلمين[٢].

• **أبو عمر**: كان معاويةُ خالفَ عبادةَ بن الصامت في شيءٍ أنكره عليه من الصرف، فأغلَظَ له معاويةُ في القول، فقال له عبادة: لا أساكِنُكَ بأرضٍ واحدةٍ أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارجع إلى مكانك، فقبّحَ الله أرضاً لستَ فيها ولا أمثالك، وكتب إلى معاوية لا إمرةَ لكَ على عُبادة[٣].

• **أبو عمر**: كان عروةُ بنُ مسعود الثقفي، قال رسول الله ﷺ فيه: **«مثله في قومه مثل صاحب يَس في قومه»**، وقال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه شعراً يرثيه[٤].

• **أبو عمر**: كان عُتبةُ بنُ غزوان أوّلَ من نزل البصرة من المسلمين، وهو الذي اختطّها، وقال له عمر لما بعثه إليها: يا عتبةُ، إنّي أريدُ أن أوجِّهك لتقاتِلَ بلد الحيرة، لعلَّ الله سبحانه يفتحها عليكم، فسِر على بركة الله تعالى ويمُنه، واتّق الله ما استطعت، واعلم أنك ستأتي حومة العدو، وأرجو أن يُعينك الله عليهم ويكفيكهم، وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدّك بعرفجة بن هرثمة، وهو ذو مجاهدة للعدو، وذو مكايدة شديدة، فشاوره وادعُ إلى الله عز وجل، فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزيةُ عن يد مذلة وصغار، وإلا فالسيفُ في غير هوادة، واستنفر من مررتَ به من العرب، وحثّهم على الجهادِ، وكابد العدو، واتق الله ربك، فافتتح عتبةُ بن غزوان الأُبلّة، ثم اختط البصرة[٥].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٨٤).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٨٥).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٣).
(٤) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٨).
(٥) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣١٥).

• أبو عمر: قال الشعبي: كان أبو بكر شاعراً، وكان عمر شاعراً، وكان علي أشعرَ الثلاثة[١].

• أبو عمر: في حديث الشعبي أنّ عدي بن حاتم قال لعمر بن الخطاب إذ قدم عليه: ما أظنّك تعرفني، فقال: كيفَ لا أعرفك؟ وأوَّل صدقة بيّضت وجه رسول الله ﷺ صدقةُ طي، أعرفك آمنتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووفيتَ إذ غدروا[٢].

• أبو عمر: ولّى عمرُ سعيدَ بنَ عامر الجُمَحي بعضَ أجناد الشام، فبلغ عمرَ أنّه يصيبه لمم، فأمره بالقدوم عليه، وكان زاهداً، فلم ير معه إلا مزوداً وعكازاً وقدحاً، فقال له عمر: ليس معك إلا ما أرى؟ فقال له سعيد: وما أكثر من هذا؟ عكاز أحمل بها زادي، وقدح آكل فيه، فقال له عمر: أبك لمم؟ قال: لا، قال: فما غشيةٌ بلغني أنها تصيبك؟ قال: حضرتُ خُبيبَ بن عدي حين صُلِبَ، فدعا على قريش وأنا فيهم، فربما ذكرتُ ذلك فأخذتني فترةٌ يغشىٰ عليَّ، فقال له عمر: فارجع إلى عملك، فأبى وناشده إلَّا أعفاه، فقيل: إنَّه أعفاه، وقيل: إنه لمّا مات أبو عبيدة ومعاذ ويزيد بن أبي سفيان ولى عمر سعيد بن عامر حمص فلم يزل عليها حتى مات[٣].

• **أبو عمر**: جاء الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو إلى عمر بن الخطاب فجلسا وهو بينهما، فجعل المهاجرون الأولون يأتون عمر فيقول: هاهنا يا سهيل، هاهنا يا حارث، فينحيهما عنه، فجعل الأنصار يأتون، فينحيهما عنه كذلك، حتى صارا في آخر الناس، فلمّا خرجا من عند عمر، قال الحارث بن هشام لسهيل بن عمرو: ألم تر ما صنع بنا؟

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٨٠).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٦).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٨٨).

فقال له سهيلٌ: إنّه الرجل لا لومَ عليه، ينبغي أن نرجع باللوم على أنفسنا، دُعي القوم فأسرعوا، ودُعينا فأبطأنا.

فلمّا قاموا من عند عمر أتياه فقالا له: يا أميرَ المؤمنين! قد رأينا ما فعلتَ بنا اليوم، وعلمنا أنّا أُتينا من قِبَلِ أنفسنا، فهل من شيءٍ نستدرِكُ به ما فاتنا من الفضل؟

فقال: لا أعلمُ إلا هذا الوجه، وأشار لهما إلى ثغر الروم، فخرجا إلى الشام فماتا بها، فلَمَ يبق من ولد سهيل أحدٌ إلا بنته فاختة بنت عتبة بن سهيل فقدم بها على عمر، فزوّجها عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وقال: زوجوا الشريدَ الشريدةَ، ففعلوا فنشر الله منهما عدداً كثيراً[(١)].

• **أبو عمر**: كسا أصحابُ رسول الله ﷺ الحُلل، ففضلت عنده حلة فقال: دلوني على فتًى هاجَرَ هو وأبوه؟ فدلوه على عبد الله بن عمر فقال: لا، ولكن سليط بن سليط، فكساه إياها[(٢)].

وهذا آخر ما أردنا إيراده من حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٠٣).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ١٩٥).

المبحث السادس

في توسّطه بين النبي ﷺ وأمته في نشر القرآن

أمّا توسّط عمر رضي الله عنه بين النبي ﷺ وأمته في نشر القرآن وتبليغه، فهذا أمرٌ واضح، إذ إنَّ عمر رضي الله عنه قد قام في خدمة القرآن بدور لا يتصور لغيره من الأفراد، وإنّه لا يقرأ القرآن أحدٌ من المسلمين اليوم إلا وعلى رقبته منَّة عظيمة لعمر رضي الله عنه، فمن عرف ذلك فقد يكون مستعدّاً شكراً لله تعالى، ومن لم يعرف، أو عرف وكتم ذلك تعصّباً، فإنه قد كفر بنعمة ربه سبحانه وتعالى، فإنه ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الناسَ لَمْ يَشْكُرِ الله**».

ومعلومٌ لدى الجميع أنّ النبيَّ ﷺ انتقل إلى الرفيق الأعلى ولم يكنِ القرآنُ جُمع في مصحف واحد، فكانت سورُ القرآن وآياته متفرقة مكتوبة في أوراق، وهي لدى أصحاب النبي ﷺ، وإن أردتَ مثالاً لذلك فانظر إلى كاتب أو شاعر أنه كتب مقالات، أو نظم أبياتاً، ولكنّه لم يدوِّن ذلك في كتاب واحد، حتى إنه انتقل إلى جوار رحمة الله، ومقالاته أو أبياته منتشرةٌ في أوراق مختلفة، فأوشكت على الضياع والفناء كالعصافير تطير ثم تغيب، لولا أنَّ تلميذاً رشيداً من تلاميذه شمّر عن ساعد الجد، واهتمّ اهتماماً بليغاً بجمع المقالات أو الأبيات، وتصحيحها وتدوينها في كتاب واحد، فلا نبالغُ إذا قيل: إنّ هذا التلميذ قد أحيا آثاره، وجمع كتابه، وصانه عن الضياع والهلاك.

❁ [أول من فكّر في جمع القرآن]:

وإنّ أوّل شخص ألقى الله في رُوعه، وجعله جارحة له لجمع القرآن لإتمام مراد الله تعالى من قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ

لَحَٰفِظُونَ﴾ الآية [الحجر: ٩]، و﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ الآية [القيامة: ١٧]، إنما هو الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

❁ [طلبه من أبي بكر لجمع القرآن وإصراره عليه]:

• عن **زيد بن ثابت** رضي الله عنه قال: أرسلَ إليَّ أبو بكر مقتلَ أهل اليمامة، فإذا عمرُ بنُ الخطاب عنده، قال أبو بكر رضي الله عنه: إنّ عمرَ أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ يومَ اليمامة بقرّاءِ القرآن، وإنِّي أخشى أن يستحرَّ القتل بالقراء بالمواطن، فيذهبَ كثيرٌ من القرآن، وإنِّي أرى أن تأمرَ بجمع القرآن.

قلت لعمر: كيفَ تفعلُ شيئاً لم يفعلْه رسول الله ﷺ؟

قال عمر: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرحَ الله صدري لذلك، ورأيتُ في ذلك الذي رأى عمر.

قال زيد: قال أبو بكر: إنّك رجلٌ شابٌّ عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبَّعِ القرآنَ، فاجمعه، فوالله لو كلّفوني نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقلَ عليَّ ممَّا أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله؟ قال: هو واللهِ خيرٌ.

فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، أخرجه **البخاري**[1].

• وعن **أنس بن مالك** حدَّثه أنّ حذيفةَ بنَ اليمان قدم على عثمان، وكانِ يغازِي أهل الشام في فتح أرمينيَّة وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٩٧٦).

حذيفةَ اختلافُهم في القراءة، فقال حذيفةُ لعثمان: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلافَ اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصةُ إلى عثمان، فأمرَ زيدَ بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحفَ في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلِّ أُفقٍ بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلِّ صحيفة أو مصحف أن يحرّق، أخرجه **البخاري**[1].

• وقال **البغوي** في «شرح السُّنَّة» في شرح قول رَسُول اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نزلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**»[2]: وكان الأمرُ على هذا حياة رسول الله ﷺ، وبعدها كانوا يقرؤون بالقراءة التي أقرأهم رسول الله ﷺ، ولقنهم بإذن الله ﷻ إلى أن وقع الاختلافُ بين القراء في زمان عثمان بن عفان، واشتدّ الأمر فيه، حتى أظهرَ بعضهم إكفار بعضٍ والبراءة منه، وخافوا الفرقة، فاستشار عثمان رضي الله عنه الصحابة في ذلك، فجمع الله تعالى الأمة بحسن اختيار الصحابة على مصحف واحد، هو آخر العرضات من رسول الله ﷺ.

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أمر بِكَتْبِهِ جمعاً بعد ما كان مفرّقاً في الرقاع بمشورة الصحابة حين استحرّ القتل بقراء القرآن يوم اليمامة،

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٩٨٧).
(٢) انظر: «شرح السُّنَّة» (١/ ٣٠٢).

فخافوا ذهابَ كثير من القرآن بذهاب حملته، فأمر بجمعه في مصحف واحدٍ، ليكونَ أصلاً للمسلمين يرجعون إليه، ويعتمدون عليه، فأمر عثمانُ بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعاً لمادة الخلاف، وكان ما يخالف الخطّ المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نُسِخَ ورُفِعَ منه باتفاق الصحابة عليه، والمكتوب بين اللوحين هو المحفوظ من الله عز وجل للعباد، وهو الإمام للأمة، وليس لأحد أن يعدوَ في اللفظ إلى ما هو خارج من رسم الكتابة والسواد، فأمّا القراءةُ باللغات المختلفة ممّا يوافق الخط والكتاب فالفسحة فيها باقية، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها بنقل العدول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قرأ به القراء المعروفون بالنقل الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم.

- روي عن خارجة بن زيد بن ثابت قال: القراءةُ سنَّةٌ، وأراد به والله أعلم أنّ اتباع مَنْ قبلنا في الحروفِ وفي القراءةِ سُنَّة متبعةٌ، لا يجوز فيه مخالفة المصحف الذي هو إمام، ولا مخالفة القراءة التي هي مشهورةٌ، وإن كان غير ذلك سائغاً في اللغة.

اجتمعت الصحابة والتابعون فَمَنْ بعدهم على هذا أنّ القراءة سنَّةٌ ليس لأحد أن يقرأ حرفاً إلا بأثرٍ صحيحٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم موافق لخط المصحف، أخذه لفظاً وتلقيناً.

❁ [اعتناؤه بتصحيحه أعواماً]:

وبعد جمع القرآن في مصحف واحد بالغ عمرُ رضي الله عنه في الاهتمام بتصحيحه أعواماً، فكان يذاكِرُ الصحابة ويشاورهم، فإذا انبلج له الحق، وكان موافقاً للمكتوب، أبقاه، ونهى الناسَ عن غيره، وإذا ظهر من الحق ما يخالِفُ المكتوب فكان يمحو إلّا ما ظهر له من الحقّ، ونذكر هنا مثالين لذلك:

عن عمر بن الخطاب أنّه مرَّ برجل وهو يقول: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ إلى آخر الآية [التوبة: ١٠٠]، فوقف عليه عمر فقال: انصرف، فلمّا انصرف قال له عمر: من أقرأك هذه الآية؟ قال: اقرأنيها أُبي بن كعب، فقال: انطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فإذا هو متكئٌ على وسادة يرجِّل رأسه، فسلَّم عليه، فرد السلام، فقال: يا أبا المنذر! قال: لبيك، قال: أخبرَني هذا أنّكَ أقرأته هذه الآية، قال: صدق، تلقيتُها من رسول الله ﷺ، قال عمر: أنتَ تلقيتها من رسول الله؟ قال: نعم أنا تلقيتُها من رسول الله ﷺ ثلاثَ مرّات، كلٌّ ذلك يقوله، قال في الثالثة وهو غضبان: نعم والله لقد أنزلها الله على جبريل، وأنزلها جبريل على محمد فلم يستأمر فيها الخطّابُ ولا ابنه، فخرجَ عمر وهو رافعٌ يديه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر، أخرجه الحاكم[1].

ومعنى الحديث أنّ عمر رضي الله عنه كان يقرأ: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ بدون واو العطف، فلما ظهر له الحق بعد مذاكرة أُبي بن كعب أثبتها في ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾.

• وعن **أبي إدريس**، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنّه كان يقرأ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٦]، فبلغ ذلك عمر، فاشتدَّ عليه، فبعث إليه وهو يهنأ ناقةً له، فدخل عليه، فدعا ناساً من أصحابه فيهم زيدُ بنُ ثابت فقال: مَنْ يقرأُ منكم سورةَ الفتح فقرأ زيد على قراءتنا اليوم، فغلظ له عمر فقال له أُبي: أأتكلّم؟ فقال: تكلّم، فقال: لقد علمتَ أني كنتُ أدخل على النبي ﷺ ويقرئني وأنتم

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٤٥) برقم: (٥٣٢٩).

بالباب، فإن أحببتَ أَنْ أُقرئ الناسَ على ما أقرأني أقرأتُ، وإلا لم أقرئ حرفاً ما حييتُ، قال: بل أقرئ الناس، أخرجه **الحاكم**(١).

ومعنى هذا الحديث أن ألفاظ «ولو حميتم كما حموا» ليست قراءة متواترة، بل إنها قراءة شاذة، فلذلك لم يدخلها في القرآن.

۞ [حثّه قرّاء الصحابة على تعليم القرآن]:

ثم إنّ عمرَ رضي الله عنه أمر أصحابَ النبي ﷺ بتعليم القرآن، وأمر عامة الناسَ بأن يأخذوه منهم، وبالغَ في الاعتناء بذلك.

• عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس فقال: من أراد أن يسأل عن القرآنِ فليأتِ أُبيَّ بنَ كعب(٢)، الحديث، أخرجه **الحاكم**.

• وعن **عبد الرحمٰن بن عبدٍ القاري** في قصة التراويح: فَجَمَعَهُمْ عَلَى أُبَي بْنِ كَعْبٍ(٣)، الحديث، أخرجه **الشيخان**.

• وعن عمر رضي الله عنه أنه قال: عليٌّ أقضانا، وأُبيٌّ أقرؤنا، وإنا لندع بعضَ ما يقول أُبي، وأُبي يقول: أخذتُ عن رسولِ اللهِ ﷺ ولا أدعه، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] أخرجه **الحاكم**(٤).

• وعن **حارثة بن مضرب** قال: قرأتُ كتاب عمر إلى أهل الكوفة: **أمّا بعدُ!** فإني بعثتُ إليكم عمّاراً أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله ﷺ، فأطيعوا لهما،

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٤٥) برقم: (٢٨٩١).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٠٦) برقم: (٥١٩١).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٢٠١٠).
(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٤٤) برقم: (٥٣٢٨).

واقتدوا بهما، فإنّي قد آثرتُكم بعبد الله على نفسي أثرة، أخرجه **أبو عمر**[١].

• وعن **قيس بن مروان** ـ في قصة طويلة ـ أنّ عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سرَّهُ أن يقرأَ القرآنَ رطباً كما أُنْزِلَ فليقرأه على قراءةِ ابنِ أُمِّ عبدٍ**»، أخرجه **أحمد**[٢].

• في «**شرح السُّنَّة**»[٣]: والقرّاء المعروفون أسندوا قراءتهم إلى الصحابة، فعبد الله بن كثير ونافع أسندوا إلى أُبي بن كعب، وعبد الله بن عامر أسند إلى عثمان بن عفان، وأسند عاصم إلى علي وعبد الله بن مسعود وزيد، وأسند حمزة إلى عثمان وعلي، وهؤلاء قرؤوا على النبي ﷺ.

• وعن أحمد بن محمد بن القاسم بن أبي بردة قال: سمعت **عكرمة بن سليمان** يقول: قرأتُ على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين، فلمّا بلغت ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ قال لي: كبِّر كبِّر عند خاتمة كل سورة حتى تختم، وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك، وأخبره مجاهد أنَّ ابن عباس أمره بذلك، وأخبره ابنُ عبّاس أنّ أُبيَّ بنَ كعب أمره بذلك، وأخبره أُبي بن كعب أن النبي ﷺ أمره بذلك، أخرجه **الحاكم**[٤].

• وعن الشافعي أنه قال: ثنا إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين قال: قرأتُ على شبل، وأخبر شبل أنّه قرأ على عبد الله بن كثير، وأخبر

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٥٢).
(٢) انظر: «مسند أحمد بن حنبل» برقم: (١٧٥).
(٣) «شرح السُّنَّة» (٤/ ٥١٨).
(٤) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٣٤٤) برقم: (٥٣٢٥).

عبد الله أنه قرأ على مجاهد، وأخبر مجاهدٌ أنه قرأ على ابن عباس، وأخبر ابنُ عباس أنّه قرأ على أُبي بن كعب، وقال ابن عباس: قرأ أُبي على النبي ﷺ، قال الشافعي: وقرأت على إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين. أخرجه **الحاكم**(١).

• وعن **الأعمش** قال: قرأتُ القرآن على يحيى بن وثاب ثلاثينَ مرة، وقرأ يحيى على علقمة، وقرأ علقمة على عبد الله، وقرأ عبد الله على رسول الله ﷺ: (والرجز فاهجر)(٢)، بكسر الراء، أخرجه **الحاكم**.

۞ [تحريضه المسلمين على تعلّم اللغة العربية وقواعدها]:

ثم إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمرَ عامّةَ المسلمين بأنْ لا يأخذوا القرآنَ إلّا ممّن يسنده إلى النبيِّ ﷺ بسندٍ صحيحٍ، وكان يقرأ قراءة طويلة في صلاة الفجر، ينوي بذلك أن يستمعَ المسلمون إلى قراءته القرآن، وأن تكونَ لهم في هذا الباب مهارةٌ وذوقٌ سليم، ثم إنّه حثّ المسلمين على تعلّم اللحن؛ يعني: النحو، والإعراب، واللغة، ليفهموا محاورة العرب.

• عن **مورّق العجلي** قال: قال عمرُ بنُ الخطاب: تعلّموا الفرائضَ، واللحنَ، والسنن، كما تعلّمون القرآن(٣)، أخرجه **الدارمي**.

• في «الكشّاف» في تفسير قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٣]، وحكي أنّ أعرابياً سمع رجلاً يقرؤها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه بريء، فلبَّبه الرجلُ إلى عمر، فحكى الأعرابيُّ قراءته، فعندها أمر عمرُ رضي الله عنه بتعلُّمِ العربية(٤).

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٥٠) برقم: (٢٩٠٥).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٢٧٥) برقم: (٢٩٩١).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤١). (٤) انظر: «الكشاف» (٢/ ٣٩٤).

هذا بعض ما قام به عمر رضي الله عنه من جهود مشكورة في حفظ القرآن العظيم.

❁ [جهوده في تفسير القرآن العظيم]:

أما تفسيره فقد ظهر على يديه على درجة عالية.

• **فمنها**: أَنَّه أنزل كثير من الآيات وفق رأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ذكرناه من قبل في فصل.

• **ومنها**: أنه كان يتوسّط بين النبي ﷺ وأمته في كثير من الأسئلةِ التي تدورُ حول بعض الآيات، فصارت من أسباب نزول القرآن:

• عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤]، كبر ذلك على المسلمين، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرّجُ عنكم، فانطلق فقال: يا نبيَّ الله! إنّه كبر على أصحابك هذه الآية، فقال: إنَّ اللهَ لم يفرضْ الزكاةَ إلّا ليطيّبَ ما بقيَ من أموالكم، وإنّما فرض المواريثَ، وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم، قال: فكبَّر عمر، ثم قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبِرُكَ بخيرِ ما يكنِزُ المرءُ، المرأةُ الصالحةُ، إذا نظرَ إليها سرّته، وإذا أمرَها أطاعته، وإذا غابَ عنها حفظته**»، أخرجه **الحاكم**(١).

• **ومنها: تفسير آيات كثيرة من مشكلات القرآن.**

• عن **مسلم بن يسار الجهني**: أنّ عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآيــة: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال عمر بن الخطاب: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ **يسأل**

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (١/ ٥٦٧) برقم: (١٤٨٧).

عنها، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ اللهَ خلقَ آدمَ، ثم مسحَ ظهرَه بيمينِهِ، فأخرجَ منه ذريةً فقال: خلقتُ هؤلاءِ للجنّةِ، وبعمل أهل الجنّةِ يعملون، ثم مسحَ ظهرَه فاستخرجَ منه ذريةً فقال: خلقتُ هؤلاءِ للنَّارِ وبعملِ أهلِ النّارِ يعملون».

فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ ففيم العملُ؟

قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ اللهَ إذا خلقَ العبدَ للجنّةِ استعملَه بعملِ أهلِ الجنّةِ حتّى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ الجنّةِ فيدخلُه الجنَّة، وإذا خلقَ العبدَ للنارِ استعملَه بعملِ أهلِ النّارِ، حتى يموتَ على عملٍ من أعمالِ أهلِ النارِ فيدخلَه اللهُ النّارَ»، أخرجه الترمذي(١).

• وعن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: إنّما قال الله: ﴿أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ [النساء: ١٠١]، وقد أَمِنَ الناسُ فقال عمر: عجبتُ ممّا عجبتَ منه، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «صدقةٌ تصدّقَ اللهُ بها عليكُم فاقبلوا صدقته»، أخرجه الترمذي(٢).

• وعن عبيد بن عمير: أنّه سمعه يقول: سألَ عمرُ أصحابَ النبيِّ ﷺ قال: ففيم ترون أُنزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦] فقالوا: اللهُ أعلمُ، فغضبَ فقال: قولوا: نعلمُ أو لا نعلمُ.

فقال ابن عباس: في نفسي منها شيءٌ يا أمير المؤمنين!

فقال عمر: قل يا ابنَ أخي! ولا تحقّر نفسَك.

قال ابن عباس: ضربتْ مثلاً لعمل.

فقال عمر: أيُّ عمل؟

فقال: لعمل.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٧٥).

(٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٣٤).

فقال عمر: رجلٌ غني يعمَلُ الحسناتِ، ثم بعثَ الله له الشياطينَ، فعملَ بالمعاصي حتّى أغرقَ أعماله كلَّها، أخرجه **الحاكم**(١).

• وعن **عكرمة** عن ابن عبّاس ﵄ قال: إنَّ الشُّرَّابَ كانوا يُضْرَبون على عهد رسول الله ﷺ بالأيدي والنعال والعصا، حتى توفي رسول الله ﷺ.

وكانوا في خلافة أبي بكر ﵁ أكثرَ منهم في عهد رسولِ اللهِ ﷺ، فقال أبو بكر ﵁: لو فرضنا لهم حدّاً، فتوخى نحواً مما كانوا يضربون في عهد رسول الله ﷺ، فكان أبو بكر ﵁ يجلدهم أربعين حتى توفي.

ثم قام من بعده عمر، فجلدهم كذلك أربعين، حتى أُتي برجل من المهاجرين الأولين وقد كان شَرِبَ، فأمر به أن يجلد، فقال: لِمَ تجلدني؟ بيني وبينك كتاب الله ﷻ، فقال عمر ﵁: في أي كتاب الله تجدُ أني لا أجلدُك؟ فقال: إنّ الله تعالى يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ﴾ [المائدة: ٩٣]، فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا، ثم اتقوا وأحسنوا، شهدتُ مع رسول الله ﷺ بدراً والحديبية والخندق والمشاهد، فقال عمر ﵁: ألا تردُّون عليه ما يقول؟ فقال ابن عباس: إنّ هذه الآياتِ أنزلتْ عذراً للماضين، وحجّةً على الباقين؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠] ثم قرأ حتى أنفذ الآية الأخرى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ﴾ [المائدة: ٩٣]. فإن الله ﷻ قد نهى أن يشرب الخمر، فقال عمر ﵁: صدقت، فماذا ترون؟ فقال عليٌّ ﵁: نرى أنه إذا شرب سكرَ، وإذا سكرَ هذى،

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٣١١) برقم: (٣١١١).

وإذا هذى افترى، وعلى المفتري ثمانون جلدةً، فأمر عمر رضي الله عنه فجلد ثمانين، أخرجه **الحاكم**[١].

• وعن **جعفر بن سليمان** قال: سمعت أبا عمران الجوني يقول: مر عمر بن الخطاب بدير راهبٍ فناداه: يا راهب! يا راهب! قال: فأشرف عليه، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي قال: فقيل له: يا أمير المؤمنين! ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله عز وجل في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٣ ـ ٥] فذلك الذي أبكاني، أخرجه **الحاكم**[٢].

❁ [نكتة مهمة]:

وفي آخر هذا المبحث لا بدّ من معرفة نكتة مهمة، وهي أنّ مرضيَّ الشارع عدمُ الخوض في تفسير آيات الصفات جزماً، مثل «الوجه» و«اليد»، وكذلك لا يجوز تعيين المراد على وجه الجزم في الآيات والأحكام المجملة لئلا تقع الأمة في حرج؛ حتى إنّ النبيَّ ﷺ كان يكره السؤال في ذلك.

• في «المشكاة» عن **سعد بن أبي وقّاص** قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ أعظمَ المسلمينَ جُرماً مَنْ سألَ عن شيءٍ لم يحرّمْ على الناسِ، فَحُرِّمَ من أجلِ مسألتِهِ»**[٣]، **متفق عليه**.

وبما أنّ القرآن أُنزل على لسان قريش في القرن الأول، ولم تختلط لغتهم مع لغة غيرهم من أهل العراق واليمن والشام؛ لأنّه ما كان

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤١٧) برقم: (٨١٣٢).

(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٢/ ٥٦٧) برقم: (٣٩٢٥).

(٣) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٣٣).

الاختلاط فيما بينهم، فما كانت الحاجةُ إلى شرح الغريب من الكلمات، وكانت أسبابُ النزول لا تحتاجُ إلى البحث في التفسير؛ لأنّ أكثرهم يعرفونها، وما كانوا يرون الخوضَ في أمورٍ لا صلة لها بالآيات واجباً عليهم، فإنّهم كانوا يعتقدون أنّ العبرة لعموم النظم لا بسبب النزول، ولا كانوا يستحسنون بيان القصص الإسرائيلية، ولذلك لم يعتنِ النبيُّ ﷺ ببيان هذا المبحث.

مع ذلك فإنّ بيان القرآن كان من منصب النبوة، قال تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، ولهذه الأسباب لم يكثر الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب التكلم في هذه المباحث.

❁ ❁ ❁

المبحث السابع

في اعتنائه بنشر الأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام

أما توسّط الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين النبي صلى الله عليه وسلم وأمته في نشر الأحاديث النبوية، فقد وقع بوجهٍ لا يتصور فوقه.

وهناك نكتتان لا بدّ من التنبيه عليهما في هذا المبحث:

❁ [أربع طبقات للرواة من الصحابة بالنسبة إلى قلّة الرواية وكثرتها]:

الأولى: إنّ الصحابة رضي الله عنهم على أربع طبقات بالنسبة إلى كثرة الروايات وقلّتها.

١ ـ **المكثرون من الصحابة**: وهم الذين يبلغ عددُ مروياتهم ألفاً فصاعداً.

٢ ـ **المتوسِّطون من الصحابة**: وهم الذين يبلغ عدد مروياتهم خمس مائة حديث فصاعداً.

٣ ـ الذين يبلغ عددُ مروياتهم أربعينَ حديثاً إلى ثلاث مائة أو أربع مائة فصاعداً، وقد جاء في الحديث: «**مَنْ حَفِظَ على أُمّتي أربعينَ حديثاً حُشِرَ مع العلماء**»[1] أو كما قال.

٤ ـ **المقلّون**: وهم الذين لم يبلغ عدد مروياتهم أربعين حديثاً.

---

(١) قال النووي في مقدمة أربعينه: واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، قال الشبرخيتي في شرح الأربعين: قال ابن حجر: وجمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علّة قادحة.

وقال جمهورُ أصحاب الحديث:

• إنّ المكثرين من الصحابة ثمانية، أبو هريرة، وعائشة الصدِّيقة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأنس، وجابر، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم.

• ومن المتوسّطين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأبا موسى الأشعري، والبراء بن عازب، وأمثالهم، فإنَّ كلّ واحد منهم يبلغ عدد مروياتهم خمس مائة حديث فصاعداً دون الألف.

ولهذا الفقير بحثٌ في هذه المقدمة: وهو أنَّ أكثر روايات الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب، وعلي المرتضى، وعبد الله بن مسعود رويت موقوفةً ظاهراً، ومرفوعةً حقيقةً بوجوه عديدة في باب الفقه والإحسان والحكمة، وأيضاً توجد أحياناً في رواياتهم إشاراتٌ خفيّةٌ تشير إلى أنها مرفوعةٌ وِفْقَ أصول الحديث عند مهرة هذا الفن؛ لأن كثير من الأحاديث الموقوفة في حكم الأحاديث المرفوعة، فأصبحوا من المكثرين.

ولهذه المقدمة شواهدُ كثيرة، ولكنّ بيانَها يقتضي تفصيلاً زائداً، ووقتاً واسعاً، والفَطِنُ العاقلُ اللبيبُ المتضلّع من علوم الحديث وأصوله، والمطلع على قواعد الحديث التي ذكرها ابن حجر في «شرح نخبة الفكر» لَيعرف تماماً أنّ أكثرَ الأحاديث الموقوفة لهؤلاء الأفاضل من الصحابة مرفوعة أصلاً.

الثانية: إنَّ بعضَ الصحابة من أمثال عبد الله بن عباس، وأبي هريرة، يروون الأحاديث بصيغ: «قال رسول الله ﷺ»، و«عن النبي ﷺ»، و«أمر النبي ﷺ»، و«نهى النبي ﷺ»، و«أُمرنا بكذا»، و«نُهينا عن كذا»، و«من السُّنَّة كذا»، والحقيقة أنّ هذه الأحاديث لم يكونوا سمعوها من النبي ﷺ،

بل من كبار أصحاب النبي ﷺ، فكانوا يذكرون هذه الواسطة تارة، ويتركونها أُخرى طلباً للاختصار.

• ولعلَّكم وجدتم اختلافَ الرواة عن ابن عباس، فذاك يعود إلى إسناده أو ترك إسناده، فمثلاً يروي راوٍ «عن ابن عباس عن ميمونة عن النبي ﷺ»، ويروي آخر «عن ابن عباس عن النبي ﷺ»، ويروي آخر «عن ابن عباس عن الفضل بن عباس عن النبي ﷺ»، ويروي البعض «عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ»، وذلك لأجلِ الإسنادِ وتركه، وكلاهما جائزٌ.

فظهر من ذلك أنّ مرويات أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود كثيرة في كتب السُّنَّة، ولكن لا يعرفُها إلا اللبيبُ الفَطِنُ.

وبالجملة: فإنّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه روى كثيراً من أمهات الأحاديث، وهي موجودةٌ في مختلف الكتب حتى الآن.

❁ [بعثه علماء الصحابة في بلاد الإسلام لرواية الأحاديث]:

ثم إنّه بعثَ علماء الصحابة في مختلف البلاد الإسلامية، وأمرهم بالإقامة هناك، ورواية الأحاديث عن النبي ﷺ.

• عن **حارثة بن مضرب** قال: قرأتُ كتابَ عمر إلى أهل الكوفة، **أمّا بعدُ**؛ بعثت إليكم عماراً أميراً، وعبدَ الله بن مسعود معلماً ووزيراً... الحديث.

• وفي «**الاستيعاب**»: قال الأوزاعي: أوّل من وَلِيَ قضاء فلسطين عبادة بن الصامت، وكان معاويةُ قد خالفه في شيءٍ أنكره عليه عبادةُ في الصرف ـ بيع الصرف ـ، فأغلظ له معاويةُ في القول، فقال له عبادة: لا أساكنك بأرض واحدة أبداً، ورحل إلى المدينة، فقال له عمر: ما

أقدمك؟ فأخبره، فقال: ارجعْ إلى مكانك فقبّحَ اللهُ أرضاً لستَ فيها ولا أمثالُك، وكتب إلى معاوية لا إمرةَ لكَ على عُبادة[١].

• وعن **الحسن** قال: كان عبد الله بن مغفل أحدَ العشرة الذين بعثهم إلينا عمر يفقهّون الناس، ذكره في «**الاستيعاب**»[٢].

• وعن **الحسن** عن أبي موسى أنّه قال حين قدم البصرة: بعثني إليكم عمرُ بنُ الخطاب ﷺ، أعلّمكم كتابَ ربِّكم، وسنَّتكم، وأنظّفُ طرقكم، أخرجه **الدارمي**[٣].

• **ثم إنّه** ﷺ أكّد على رواة الأحاديث عدم التساهل في رواية الأحاديث؛ لأنه أمر خطير:

• عن مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن عن غير واحد من علمائهم، أن أبا موسى الأشعري جاءَ يستأذِنُ على عمر بن الخطاب، فاستأذن **ثلاثاً**، ثم رجع، فأرسل عمر بن الخطاب في أثره، فقال: ما لك لم تدخل؟ فقال أبو موسى: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإنْ أُذِنَ لكَ فادْخُلْ وإلّا فارْجِعْ**».

فقال عمر: ومن يعلم هذا؟ لئن لم تأتني بمن يعلم ذلك لأفعلنَّ بك كذا وكذا.

فخرج أبو موسى حتى جاء مجلساً في المسجد، يقال له مجلس الأنصار، فقال: إني أخبرت عمر بن الخطاب أنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**الاستئذانُ ثلاثٌ، فإنْ أُذِنَ لكَ فادْخُل وإلّا فارْجِعْ**»، فقال: لئن لم تأتني بمن يعلمُ هذا لأفعلن بك كذا وكذا، فإن كان سمعَ ذلك أحدٌ منكم

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٣).
(٢) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٠٥).
(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٤٩).

فليقم معي، فقالوا لأبي سعيد الخدري: قُمْ معه، وكان أبو سعيد أصغرهم، فقام معه، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب، فقال عمر بن الخطاب لأبي موسى: أما إنِّي لم أتهمك، ولكن خشيتُ أَنْ **يتقوَّلَ** الناسُ على رسولِ اللهِ ﷺ[١]، رواه في «**الموطأ**».

• وأخرج **أحمد**[٢]، عن **معاوية بن أبي سفيان** أنه قال: عليكم من الأحاديث بما كان في زمن عمر بن الخطاب، فإنه كان يخيفُ الناسَ في الله عز وجل، أو كما قال.

وفتش عن كثير من الأحاديث حتّى يستخرجَها ممّن يرويها.

• عن **المغيرة بن شعبة** قال: نشد عمرُ الناس: أسمع من النبي ﷺ أحدٌ منكم في الجنين؟

فقام المغيرة بن شعبة، فقال: قضى فيه عبداً أو أمةً، فنشد الناسَ أيضاً، فقام المقضي له، فقال: قضى النبيُّ ﷺ لي به عبداً أو أمة، فنشد الناس أيضاً، فقام المقضيُّ عليه فقال: قضى النبي ﷺ علي غرةَ عبدٍ أو أمةٍ فقلتُ: أتقضي عليَّ فيه فيما لا أكل، ولا شرب ولا استهل، ولا نطق إن تُطلَّه فهو أحقُّ ما يُطلُّ، فهوى النبي ﷺ إليه بشيء معه، فقال: أشعرٌ؟ فقال عمر: لولا ما بلغني من قضاء النبي ﷺ لجعلته دية بين ديتين، أخرجه **الدارمي**[٣].

• **وقام بتصحيح كثيرٍ من الروايات، وألقى الضوء على ذلك على وجه الإجمال:**

• أخرج **أحمد**، عن **ابن عباس** قال: خطَب عمرُ بنُ الخطاب

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٤٢).

(٢) انظر: «مسند أحمد بن حنبل» (٤/ ٩٩). (٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١٦١).

وكان من خطبته: وإنّه سيكونَ من بعدكم قومٌ يكذّبون بالرجم، وبالدجال، وبالشفاعة، وبعذاب القبر، وبقومٍ يخرجون من النارِ بعد ما امتُحِشُوا[(١)].

ثم إنه قام بترويج كثير من السنن بالعمل عليها، لذلك فإنّكم قرأتم في كثير من الأحاديث «فعلَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ وأبو بكر وعمر».

فالحاصل: أنّ عمر رضي الله عنه قد قام بجهد عظيم، وسعي بالغ في هذا الباب، وبلغ منتهاه في ذلك، حتّى قال في خطبته الأخيرة: «تركتُكم على طريقةٍ واضحةٍ، ليلها كنهارها إلا أن تضلّوا هكذا وهكذا»، وشهد بذلك كبارُ الصحابة والتابعين.

● عن **ابن مسعود** أنه قال في مسائل: كان عمرُ إذا سلك بنا طريقاً وجدناه سهلاً، أخرجه **أبو بكر والدارمي**[(٢)].

● وعن **عمرو بن ميمون** قال: ذهب عمر بثلثي العلم، فذكر لإبراهيم فقال: ذهب عمر بتسعة أعشار العلم، أخرجه **الدارمي**[(٣)].

كنت أطلت في بيان مباحث مآثر الفاروق الأعظم رضي الله عنه في هذا الكتاب، لكن اندرجت فيه فوائدُ جمة، ولكن لا يخلو ذكرها عن فوائد جمّة، ولذا لا يعتبر تطويلاً زائداً.

❁ [خلاصة مآثر عمر رضي الله عنه]:

والآن نلخّص خلاصةَ مآثر عمر رضي الله عنه في ضمن نكتتين:

---

(١) انظر: «مسند أحمد بن حنبل» برقم: (١٥٦).

(٢) انظر: «سنن الدارمي» (٢/ ٤٤٣) واللفظ له، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٤١) برقم: (٣١٠٦١).

(٣) انظر: «سنن الدارمي» (١/ ١١٢).

الأولى: أنّ الله تبارك وتعالى قد جمع في شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه جميعَ الصفات والصلاحيات التي يُحْمَدُ عليها الإنسان شرعاً، بالإضافة إلى تلك الخصال التي أدركها فيه من أوتي العلم اللدني من صفة الفاروق بين الحقّ والباطل، التي وجدت فيه بعلو همته في كل باب ومثل التخلق بأخلاق الله عز وجل، وغير ذلك من الصفات التي مما يطولُ ذكرُها، يدركها عامّةُ الناس بالقطع ويكونون مضطرين بالاعتراف بها في شأن الفاروق الأعظم رضي الله عنه، وجميع صفات الخير التي عليها مناطُ المدح في الشرع قد جُمعت في شخصية عمر الفاروق رضي الله عنه:

وليس على اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ   أنْ يجمَعَ العالَمَ في واحدِ

وتصوّروا في أذهانكم رجالاً كانوا أئمة الهدى وقدوة المسلمين، يهتدون بهديهم، ويعتبرونهم أسوةً لهم، ويلهجون بالثناء عليهم، وقد ذكرتْ أحوالُهم في كتب التاريخ، بأنهم سوف لا يخرجون عن عدة أصناف من الناس، وهم:

١ ـ **الملوك العادلون**، الذين يجاهدون مع أعداء الله لإعلاء كلمة الله، وقد فتحوا البلاد، ونشروا الإسلام، وضربوا الجزية والخراج على المشركين، وأقاموا الحدود، وقاموا بإحياء علوم الدين، وانتشر الدين على أيديهم وشعر المسلمون بالأمان كأنّهم في ظل الكهف.

٢ ـ **والفقهاء المحققون**، الذين اشتغلوا بحلّ مشكلات الفتاوى والأحكام، واستفاد الناسُ بهم في أمور دينهم، واختاروا تقليدهم في المسائل الدينية مثل الفقهاء الأربعة: أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله.

٣ ـ **والمحدثون الثقات**: الذين حفظوا أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وميّزوا

بين الصحيح والسقيم، مثل: الإمام البخاري والإمام مسلم وأمثالهما.

٤ ـ **والمفسِّرون الكبار**: الذين قاموا بتفسير القرآن العظيم، وشرح لطائفه وأسراره، وذكر أسباب النزول، وفاقوا في ذلك أقرانَهم، مثل: الواحدي والبغوي والبيضاوي وغيرهم.

٥ ـ **والقرّاء الكبار**: الذين حفظوا أصولَ قراءة القرآن، وقضوا حياتهم في تجويده، وتعليمه للناس؛ كالإمام المقرئ نافع، وعاصم وغيرهما.

٦ ـ **والمشايخ الصوفية**: الذين أخرجوا الناس بصحبتهم من أودية الضلالة إلى النجاة، وصدرت عنهم كرامات عجيبة، وظهرت على أيديهم الكراماتُ، وظهرت على قلوبهم مكاشفاتٌ صادقةٌ، مثل: الشيخ عبد القادر الجيلاني، وخواجه نقشبند وغيرهما.

٧ ـ **والحكماء الأذكياء**: الذين قاموا بشرح الدين، وذكر حكمه بأسلوب سائغ مؤثّر، يأخذ بمجامع القلوب، كالشيخ جلال الدين الرومي ومصلح الدين السعدي الشيرازي.

وهناك أمورٌ وصفاتٌ جديرة بالثناء والمدح، يذكرها الشعراء في قصائدهم، ويثنون بها الناس، مثل الشجاعة والبسالة والسخاء، ولا يذكرها الراسخون في علم الدين.

فتصوّروا قلبَ الفاروق الأعظم عمر بن الخطاب ﵁ كبناء واسع فسيح، له أبواب مختلفة، على كل باب شخصٌ جالسٌ، لا يوجد له نظير في كماله وصفاته.

فعلى باب جالس مثل الإسكندر ذو القرنين مع صلاحياته النادرة، هو فاتح الدنيا مع السياسة فيها، جامع الجنود، وكسر جيوش الأعداء، وعلى بابٍ جالس مثل [كسرى] أنوشروان بعدله، ورفقه، ولينه، وشفقته

على الرعية، وإغاثة الملهوف، (وإن كان في هذا المثال قلة أدب بالنسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه).

وعلى بابٍ الإمام أبو حنيفة أو الإمام مالك جالسان مع فتاواه، وصلاحياته الفقهية.

ويجلس على بابٍ شيخٌ كاملٌ جالس يرشِدُ الناس بأنفاسه الزكية، من أمثال السيد عبد القادر أو الشيخ بهاء الدين النقشبندي.

وعلى بابٍ محدِّثٌ ثقة جالس كدرجة أبي هريرة أو ابن عمر.

ويجلس على بابٍ قارئ مثل نافع أو عاصم.

وعلى بابٍ جالِسٌ مثل حكيم عبقري من أمثال مولانا جلال الدين الرومي، أو الشيخ فريد الدين العطار.

وقد أحاط الناسُ بهذا البناء الفسيح، يسألون أصحابَ الفنون عن حاجاتهم، وهم يقضون لهم حوائجهم، فهذه المراتب كلّها كانت في عمر الفاروق رضي الله عنه، فهي مرتبة ليست فوقها مرتبة إلا النبوّة.

الثانية: معلوم قطعاً أنّ الإسلام لم يكن ظهر على وجه الأرض قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، والعالم مملوء بالكفر، ومحشو بأنواع المفاسد، وكان الناسُ لا يعرفون القرآن والدين، ولا أحكام الشرع المتين.

والآن قد ظهر الإسلام، وعمَّت أحكامه في كل جانب، ودخلت بلاد كثيرة في الإسلام تسمّى بدار الإسلام، فكان محمّدٌ صلى الله عليه وسلم هو الذي وضع أول لبنة لهذا الصرح الإسلامي العظيم، وكان أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه «واسطة أولى» لهذه الجهود المضنية لنشر الإسلام في الآفاق، إذ إنّه هو الذي قاتل المرتدين عن الإسلام، وصدق عليه قول الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهو الذي حرّضَ على جهاد الروم وفارس، ورتب جنوداً مجندة، وصدق عليه قوله تعالى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ

شَدِيدٍ﴾ [الفتح: ١٦]، وهو الذي جمع القرآن، وظهر على يديه وعد الله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧].

وجاء دور عمر بن الخطاب فأكمل ما كان بدأه أبو بكر رضي الله عنه من أعمال جسام، وأمور عظام، وفصّل ما كان مجملاً، وظهرت على يديه علوم إسلامية من علم الفقه، والتصوف، والتزكية، والحكمة، وزالت دولةُ كسرى وقيصر في عهده، وانتظمت البلاد، وسُنّت القوانين للبلاد بأمره.

ففي المرتبة الأولى مِنّةُ النبيِّ ﷺ ثابتةٌ على رقاب المسلمين، وفي المرتبة الثانية في هذه الأمور منّةُ الشيخين عليهم، وبما أنَّ هذه الأمور قد توارثت بين المسلمين، ودخلت في عاداتهم وهم لا يبحثون عن هذه المنّة، ولا يعرفون قدر هذه النعمة، كما أنَّ الزُرّاع والفلّاحين أو التجّار لا يعرفون فضل أسلافهم الذين قد سنّوا لهم طريق الزراعة أو التجارة، ولذلك لا يدركون دقة وأهمية هذه السنن والطرق، لمعرفتهم منذ زمان، يقول في ذلك مولانا جلال الدين الرومي:

سر زشكر دين ازان برتافتي كز پدر ميراث ارزان يافتي

مرد ميراثے چه داند قدر مال رستمے جان كند ومجّان يافت زال

گر نبودے كوشش احمد تو هم مي پرستيدي چون اجدادت صنم

ما معناه: إنّكَ لا تلقي على منة الإسلام بالاً، ولا تحسب له حساباً؛ لأنّك ورثته كابراً عن كابرٍ، ولا يعرفُ أهميةَ المال مَنْ ورثه عن أبيه، إنَّما يعرفها من حصل عليه بكدِّ اليمينِ، وعَرَقِ الجبين، ولولا فَضْلُ محمّدٍ ﷺ لكنتُ من الذين يخضعون رؤوسهم أمام الأشجار والأحجار، ويسجدون للأصنام والأوثان.

[لمحات أخيرة من حياته وشهادته]

وبعد اللتيا والتي نذكرُ وفاةَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإجماع المسلمين على خلافة عثمان ذي النورين رضي الله عنه.

• أخرج **أبو بكر ابن أبي شيبة** قال: حدّثنا محمد بن بشر، حدثنا محمد بن عمرو، حدثنا أبو سلمة، ويحيى بن عبد الرحمٰن بن حاطب وأشياخ قالوا: رأى عمرُ بنُ الخطّاب في المنام فقال: رأيتُ ديكاً أحمر نقرني ثلاثَ نقراتٍ بين الثنة والسرّة، قالت أسماءُ بنت عميس أم عبد الله بن جعفر: قولوا له: فليوصِ، وكانت تَعْبُرُ الرؤيا، فلا أدري أبلغَه ذلك أم لا، فجاءه أبو لؤلؤة الكافر المجوسي عبد المغيرة بن شعبة، فقال: إنّ المغيرة قد جعل علي من الخراج ما لا أطيقُ، قال: كم جعل عليك؟ قال: كذا وكذا، قال: وما عملُكَ؟ قال: أجوِّب الأرحاءَ، قال: وما ذاك عليك بكثير، ليس بأرضنا أحدٌ يعملها غيرك، ألا تصنع لي رحًى؟ قال: بلى والله لأجعلنَّ لك رحًى يسمع بها أهل الآفاق، فخرجَ عمرُ إلى الحجِّ، فلما صدر اضطجع بالمحصّب، وجعل رداءه تحت رأسه، فنظر إلى القمر فأعجبه استواؤه وحسنه، فقال: بدأ ضعيفاً، ثم لم يزل اللهُ يزيده وينميّه حتى استوى، فكان أحسنَ ما كان، ثم هو ينقص حتى يرجعَ كما كان، وكذلك الخلق كله، ثم رفع يديه فقال: اللَّهُمَّ إنَّ رعيتي قد كثرتْ وانتشرتْ فاقبضني إليك غيرَ عاجزٍ ولا مضيّعٍ، فصدر إلى المدينة، فذُكِرَ له أنَّ امرأةً من المسلمين ماتت بالبيداء مطروحة على الأرضِ يمرّ بها الناس لا يكفّنها أحد، ولا يواريها أحد، حتى مر بها كليب بن بكير الليثي، فأقامَ عليها حتى كفّنها وواراها، فذكر ذلك لعمر فقال: مَنْ مرَّ عليها من المسلمين؟ فقالوا: لقد مرَّ عليها عبد الله بن عمر فيمن مرَّ عليها من المسلمين، فدعاه وقال: ويحك! مررت على

امرأة من المسلمين مطروحة على ظهر الطريق، فلم توارها ولم تكفنها؟ قال: ما شعرت بها ولا ذكرها لي أحد، فقال: لقد خشيتُ أن لا يكون فيك خير، فقال: من واراها وكفنها؟ قالوا: كليب بن بكير الليثي، قال: والله لحري أن يصيبَ كليبٌ خيراً، فخرج عمر يوقظ الناس بدرته لصلاة الصبح، فلقيه الكافر أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات بين الثنة والسرة، وطعن كليبَ بن بكيرٍ فأجهزَ عليه، وتصايحَ الناس، فرمى رجل على رأسه ببرنسٍ، ثم اضطبعه إليه، وحُمِلَ عمر إلى الدار، فصلّى عبد الرحمٰن بن عوف بالناس، وقيل لعمر: الصلاة، فصلى وجرحه يَثْعَبُ، وقال: لا حظَّ في الإسلام لِمَنْ لا صلاةَ له، فصلّى ودمه يَثْعَبُ، ثم انصرفَ الناسُ عليه، فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنّه ليس بك بأس، وإنا لنرجو أن ينسئَ اللهُ في أثرك، ويؤخّرك إلى حين، أو إلى خير.

فدخل عليه ابنُ عباس وكان يعجب به، فقال: اخرج فانظر مَنْ صاحبي؟ ثم خرج فجاء فقال: أبشر يا أمير المؤمنين! صاحِبُكَ أبو لؤلؤة المجوسي عبدُ المغيرة بن شعبة، فكبّر حتّى خرجَ صوته من الباب، ثم قال: الحمدُ للهِ الذي لم يجعله رجلاً من المسلمين، يحاجني بسجدة سجدها لله يومَ القيامة.

ثم أقبل على القوم فقال: أكان هذا عن ملأ منكم؟ فقالوا: معاذَ الله، واللهِ لوددنا أنّا فديناك بآبائنا، وزدنا في عمرك مِنْ أعمارنا، إنّه ليس بك بأس.

قال: أي يرفا، ويحَكَ، اسقني، فجاءه بقدح فيه نبيذ حلو فشربه، فألصقَ رداءَه ببطنه، قال: فلمّا وقع الشرابُ في بطنه خرجَ من الطعناتِ، قالوا: الحمدُ لله، هذا دم استكن في جوفِكَ، فأخرجه الله من جوفك، قال: أي يرفا، ويحك، اسقني لبناً، فجاءه بلبنٍ فشربه فلمّا وقع في

جوفه خرجَ من الطعناتِ، فلمّا رأوا ذلك علموا أنّه هالِكٌ، قالوا: جزاك الله خيراً، قد كنت تعملُ فينا بكتابِ الله، وتتّبع سُنَّةَ صاحبيك، لا تعدلُ عنها إلى غيرها، جزاك الله أحسن الجزاء.

قال: بالإمارةِ تغبطونني، فواللهِ لوددتُ أني أنجو منها كفافاً لا علي ولا لي، قوموا فتشاوروا في أمركم، أمِّروا عليكم رجلاً منكم، فمن خالفه فاضربوا رأسه.

قال: فقاموا وعبد الله بن عمر مسنده إلى صدره، فقال عبد الله: أتؤمّرون وأميرُ المؤمنين حي؟ فقال عمر: لا، وليصلِّ صهيبٌ ثلاثاً، وانتظروا طلحة، وتشاوروا في أمركم، فأمّروا عليكم رجلاً منكم، فإن خالفكم أحدٌ فاضربوا رأسه.

قال: اذهب إلى عائشة فاقرأ عليها مني السلام، وقل: إنّ عمر يقول: إنْ كان ذلكَ لا يضرُّ بِكَ، ولا يضيّقُ عليك فإنّي أحبُّ أن أدفنَ مع صاحبيَّ، وإن كان يضرُّ بِكَ، ويضيّقُ عليك فلعمري لقد دُفِنَ في هذا البقيع من أصحاب رسول الله ﷺ وأمهات المؤمنين مَنْ هو خيرٌ من عمر.

فجاءها الرسول فقالت: إن ذلك لا يضرُّ ولا يضيّقُ علي، قال: فادفنوني معهما، قال عبد الله بن عمر: فجعل الموت يغشاه وأنا أمسكه إلى صدري، قال: ويحك ضع رأسي بالأرض، قال: فأخذته غشيةٌ فوجدتُ من ذلك، فأفاق فقال: ضع رأسي بالأرض، فوضعتُ رأسَه بالأرض فعفره بالتراب فقال: ويلُ عمر وويل أمّه إن لم يغفر اللهُ له.

قال محمد بن عمرو: وأهل الشورى: علي وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمٰن بن عوف[1].

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٣٩) برقم: (٣٧٠٧٤).

• وأخرج **البخاري**[١]: حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﵁ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامٍ بِالْمَدِينَةِ وَقَفَ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ وَعُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ، قَالَ: كَيْفَ فَعَلْتُمَا؟ أَتَخَافَانِ أَنْ تَكُونَا قَدْ حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ؟ قَالَا: حَمَّلْنَاهَا أَمْراً هِيَ لَهُ مُطِيقَةٌ، مَا فِيهَا كَبِيرُ فَضْلٍ، قَالَ: انْظُرَا أَنْ تَكُونَا حَمَّلْتُمَا الأَرْضَ مَا لَا تُطِيقُ، قَالَ: قَالَا: لَا، فَقَالَ عُمَرُ: لَئِنْ سَلَّمَنِي اللهُ لأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَداً.

قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةَ أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرَ فِيهِنَّ خَلَلاً تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ، أَوِ النَّحْلَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي ـ أَوْ أَكَلَنِي ـ الْكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِيناً وَلَا شِمَالاً إِلَّا طَعَنَهُ حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُساً، فَلَمَّا ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً.

فَلَمَّا انْصَرَفُوا، قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ. انظر: مَنْ قَتَلَنِي؟ فَجَالَ سَاعَةً، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: غُلَامُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنَعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ،

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٧٠٠).

لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفاً، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الإِسْلَامَ، قَدْ كُنْتَ أَنْتَ وَأَبُوكَ تُحِبَّانِ أَنْ تَكْثُرَ الْعُلُوجُ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ «الْعَبَّاسُ» أَكْثَرَهُمْ رَقِيقاً، فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ فَعَلْتُ؛ أَي: إِنْ شِئْتَ قَتَلْنَا، قَالَ: كَذَبْتَ، بَعْدَ مَا تَكَلَّمُوا بِلِسَانِكُمْ، وَصَلَّوْا قِبْلَتَكُمْ وَحَجُّوا حَجَّكُمْ.

فَاحْتُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ، فَانْطَلَقْنَا مَعَهُ، وَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ تُصِبْهُمْ مُصِيبَةٌ قَبْلَ يَوْمَئِذٍ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: لَا بَأْسَ، وَقَائِلٌ يَقُولُ: أَخَافُ عَلَيْهِ، فَأُتِيَ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ، ثُمَّ أُتِيَ بِلَبَنٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جوفه، فَعَرفوا أَنَّهُ مَيِّتٌ، فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَجَاءَ النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ.

وَجَاءَ رَجُلٌ شَابٌّ، فَقَالَ: أَبْشِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللهِ، لَكَ مِنْ صُحْبَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدَم فِي الإِسْلَام مَا قَدْ عَلِمْتَ، ثُمَّ وُلِّيتَ فَعَدَلْتَ، ثُمَّ شَهَادَة، قَالَ: وَدِدْتُ أَنَّ ذَلِكَ كَفَافٌ لَا عَلَيَّ وَلَا لِي.

فَلَمَّا أَدْبَرَ، إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الأَرْضَ، قَالَ: رُدُّوا عَلَيّ الْغُلَامَ قَالَ: ابْنَ أَخِي ارْفَعْ ثَوْبَكَ، فَإِنَّهُ أَنْقَى لِثَوْبِكَ، وَأَتْقَى لِرَبِّكَ.

يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ! انْظُرْ مَا عَلَيّ مِنَ الدَّيْنِ، فَحَسَبُوهُ فَوَجَدُوهُ سِتَّةً وَثَمَانِينَ أَلْفاً أَوْ نَحوَهُ، قَالَ: إِنْ وَفِي لَهُ مَالُ آلِ عُمَرَ، فَأَدِّهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَإِلَّا فَسَلْ فِي بَنِي عَدِيّ بْنِ كَعْبٍ، فَإِنْ لَمْ تَفِ أَمْوَالُهُمْ فَسَلْ فِي قُرَيْشٍ، وَلَا تَعْدُهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ، فَأَدِّ عَنّي هَذَا الْمَالَ، انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ فَقُلْ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ السَّلَامَ، وَلَا تَقُلْ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنِّي لَسْتُ الْيَوْمَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَمِيراً، وَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَنْ يُدْفَنَ مَع صَاحِبَيْهِ، فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَوَجَدَهَا قَاعِدَةً تَبْكِي، فَقَالَ: يَقْرَأُ عَلَيْكِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ السَّلَامَ، وَيَسْتَأْذِنُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ صَاحِبَيْهِ، فَقَالَتْ: كُنْتُ أُرِيدُهُ لِنَفْسِي، وَلأُوثِرَنَّ بِهِ الْيَوْمَ عَلَى نَفْسِي، فَلَمَّا أَقْبَلَ قِيلَ: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَدْ جَاءَ، قَالَ: ارْفَعُونِي، فَأَسْنَدَهُ رَجُلٌ إِلَيْهِ،

فَقَالَ: مَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: الَّذِي تُحِبُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَذِنَتْ، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا كَانَ شَيْءٌ أَهَمَّ إِلَيَّ مِنْ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنَا قَضَيْتُ فَاحْمِلُونِي ثُمَّ سَلِّمْ فَقُلْ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَإِنْ أَذِنَتْ لِي فَأَدْخِلُونِي، وَإِنْ رَدَّتْنِي فرُدُّونِي إِلَى مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ، وَجَاءَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ حَفْصَةُ وَالنِّسَاءُ تَسِيرُ مَعَهَا، فَلَمَّا رَأَيْنَاهَا قُمْنَا، فَوَلَجَتْ عَلَيْهِ فَمكثتْ عِنْدَهُ سَاعَةً، وَاسْتَأْذَنَ الرِّجَالُ، فَوَلَجَتْ دَاخِلاً لَهُمْ، فَسَمِعْنَا بُكَاءَهَا مِنَ الدَّاخِلِ، فَقَالُوا: أَوْصِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اسْتَخْلِفْ، قَالَ: مَا أَجِدُ أحداً أَحَقَّ بِهَذَا الأَمْرِ مِنْ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ أَوِ الرَّهْطِ الَّذِينَ تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهْوَ عَنْهُمْ رَاضٍ، فَسَمَّى عَلِيّاً، وَعُثْمَانَ، وَالزُّبَيْرَ، وَطَلْحَةَ، وَسَعْداً، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَالَ: يَشْهَدُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ - كَهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ لَهُ - فَإِنْ أَصَابَتِ الإِمْرَةُ سَعْداً فَهْوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ منْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ.

وَقَالَ: أُوصِي الْخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَيَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْراً، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَأَنْ يُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِأَهْلِ الأَمْصَارِ خَيْراً فَإِنَّهُمْ رِدْءُ الإِسْلَامِ، وَجُبَاةُ الْمَالِ، وَغَيْظُ الْعَدُوِّ، وَأَنْ لَا يُؤْخَذَ مِنْهُمْ إِلَّا فَضْلُهُمْ عَنْ رِضَاهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَعْرَابِ خَيْراً، فَإِنَّهُمْ أَصْلُ الْعَرَبِ وَمَادَّةُ الإِسْلَام أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ حَوَاشِي أَمْوَالِهِمْ، وَتُرَدَّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ، وَلَا يُكَلَّفُوا إِلَّا طَاقَتَهُمْ.

فَلَمَّا قُبِضَ خَرَجْنَا بِهِ، فَانْطَلَقْنَا نَمْشِي فَسَلَّمَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: يَسْتَأْذِنُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، قَالَتْ: أَدْخِلُوهُ، فَأُدْخِلَ، فَوُضِعَ هُنَالِكَ مَعَ صَاحِبَيْهِ.

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ دَفْنِهِ اجْتَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: اجْعَلُوا أَمْرَكُمْ إِلَى ثَلَاثَةٍ مِنْكُمْ، فَقَالَ الزُّبَيْرُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَلِيّ، فَقَالَ طَلْحَةُ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عُثْمَانَ، وَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ جَعَلْتُ أَمْرِي إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَيُّكُمَا تَبَرَّأَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ فَنَجْعَلُهُ إِلَيْهِ، وَاللهُ عَلَيْهِ وَالإِسْلَامُ لَيَنْظُرَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِي نَفْسِهِ؟ فَأُسْكِتَ الشَّيْخَانِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَفَتَجْعَلُونَهُ إِلَيّ، وَاللهُ عَلَيَّ أَنْ لَا آلُوَ عَنْ أَفْضَلِكُمْ؟ قَالَا: نَعَمْ.

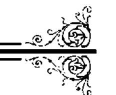
فَأَخَذَ بِيَدِ أَحَدِهِمَا، فَقَالَ: لَكَ قَرَابَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالْقَدَمُ فِي الإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ، فَاللهُ عَلَيْكَ لَئِنْ أَمَّرْتُكَ لَتَعْدِلَنَّ، وَلَئِنْ أَمَّرْتُ عُثْمَانَ لَتَسْمَعَنَّ وَلَتُطِيعَنَّ، ثُمَّ خَلَا بِالآخَرِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ، قَالَ: ارْفَعْ يَدَكَ يَا عُثْمَانُ، فَبَايَعَهُ، فَبَايَعَ لَهُ عَلِيّ، وَوَلَجَ أَهْلُ الدَّارِ فَبَايَعُوهُ.

❁ ❁ ❁



الفصل الرابع

في مناقب عثمان ذي النورين رضي الله عنه



المبحث الأول

في مناقبه ومآثره

[نسبه وسبب تسميته بذي النورين]

• **فمنها**: أنه كان نجيب الطرفين في قريش.

• في «الاستيعاب» وغيره: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي.

وأمّه أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمُّ أروى هي البيضاءُ أمُّ حكيم بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ[1].

• **ومنها**: أنه كان غنياً وجيهاً، جواداً سخياً، ذا حياءٍ قبل الإسلام، قيل في وجه التسمية بذي النورين: كان له سخاءان، سخاء قبل الإسلام وسخاء بعده، كذا في «الرياض»[2].

۞ [كان يتصف بالفطرة السليمة قبل إسلامه]:

• **ومنها**: أنّه كان على فطرةٍ سليمةٍ مستقيمةٍ قبل الإسلام، إذ كان

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣١٩).

(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٠).

يبتعد عن أمور الجاهلية، وهذا يدلُّ على تشبهه بالأنبياء في أصل الفطرة.

• ذكر في «**الاستيعاب**» في ترجمة أبي بكر رضي الله عنه: أنه كان قد حرّم الخمر في الجاهلية هو وعثمان رضي الله عنهما[1].

• وفي «**الرياض**»: عنه رضي الله عنه أنه قال: ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ، ولا سرقتُ[2].

• **ومنها**: أنّه لما بُعِثَ النبيُّ ﷺ ودعاه إلى الله، ابتدر إليه، واعتنق بالإسلام قبل أبي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمٰن بن عوف بيوم، بإرشادٍ من أبي بكر رضي الله عنه، وكان من السابقين الأولين الذين اكتمل عددُهم أربعينَ بدخول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الإسلام، كذا في «**الرياض**».

۞ [تزويج النبي ﷺ إياه بنتيه]:

• **ومنها**: أنّه زوّجه النبيُّ ﷺ فلذة كبده بنته الكريمة بعد إسلامه، وكان ﷺ مبتهجاً مسروراً لِحُسْنِ معاملته مع بنته رُقَيّة.

۞ [اختصاصه بالهجرتين]:

• **ومنها**: أنّه كان أوّل من هاجر في سبيل الله مع زوجه بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام، فإنّه كان هاجر إلى الحبشة مع زوجته رُقَيَّة حين تصدى الكفار والمشركون لإيذاء المسلمين في مكة المكرمة، وكان النبيُّ ﷺ ينتظر ويستبطئ خبرهما.

• في «**الرياض**»: عن أنسٍ قال: أوّلُ من هاجر إلى أرض الحبشة عثمان، وخرج معه بابنة رسول الله ﷺ، فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرُهما، فجعل يتوكَّفُ الخبر، فقدمت امرأةٌ من قريش من أرض الحبشة

---

(١) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٩٩). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٢).

فسألها فقالت: رأيتُهما، فقال «**على أيِّ حال رأيتِهما؟**» قالت: رأيتُهما وقد حملها على حمار من هذه الدواب وهو يسوقُها، فقال النبيُّ ﷺ: «**صحَبُهما اللهُ! إنْ كانَ عثمانُ لأوّل مَنْ هاجرَ إلى اللهِ ﷻ بعدَ لوطٍ**»[١].

• أخرج **الحاكم** عن عبد الرحمٰن بن إسحاق عن أبيه عن سعد في هذه القصة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا أبا بكرٍ! إنّهما لأوّل مَنْ هاجر بعد لوطٍ وإبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام**»[٢].

• **ومنها**: أنّه قدم من الحبشة إلى المدينة قبل جعفر وأصحاب السفينة بعد هجرة النبيِّ ﷺ إليها، إذ ثبتَ أنَّ عثمان رضي الله عنه كان مشتغلاً بتمريض زوجته رُقية بنت رسول الله ﷺ في وقعةِ بدرٍ، ولذلك لم يشهدها، وإنَّ أصحابَ السفينةِ قدموا المدينة بعد خيبر.

• أخرج **البخاريُّ** في حديث عبيد الله بن عدي بن الخيار؛ قال عثمان: **أما بعدُ!** فإنّ الله بعثَ محمّداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنتُ ممّن استجابَ للهِ ورسوله ﷺ وآمنتُ بما بعثَ به محمّد ﷺ، وهاجرتُ الهجرتين الأُوليين، وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ، ورأيتُ هديه[٣]، وفي رواية: ونلتُ صهرَ رسولِ اللهِ ﷺ، وبايعتُه، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتى توفّاه الله تعالى[٤]، ثم أبو بكر، ثم عمر مثله؛ الحديث.

۞ [حضوره في جميع المشاهد والغزوات إلا غزوة بدر لعذر]:

• **ومنها**: أنه لمّا فرض الجهادَ كان ممّن شهدَ جميعَ الغزوات مع رسول الله ﷺ إلا غزوة بدر.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٢).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٠) برقم: (٦٨٤٩).
(٣) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٧٢).
(٤) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٢٧).

• **ومنها**: لما وقعت غزوةُ بدر تركه النبيُّ ﷺ في المدينة لتمريض رُقَيّة وقال: لكَ أجرُ وغنيمةُ بدرٍ، من هذه الناحية كأنّه شارك البدريين.

• عن ابن عمر: وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ النَّبِي ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْراً وَسَهْمَهُ**»، أخرجه **البخاري**[(١)].

۞ [لقد عفا الله عنه إذ فرّ يوم أُحد]:

• **ومنها**: أنّه لمّا وقعت غزوةُ أُحدٍ، وقد استزلّ الشيطانُ بعضَ أصحابِ النبيِّ ﷺ، فتهرّبوا عن مشهد الخير، وكان عثمانُ منهم، تداركتهم رحمةُ الله ﷻ، وعفا الله عنهم، وقد صرَّح القرآنُ بذلك كي لا يطعن فيهم طاعنٌ، عن ابن عمر: أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ فَأَشْهَدُ أَنَّ اللهَ عَفَا عَنْهُ، أخرجه **البخاري**[(٢)].

وزاد غيره وتلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

۞ [مواقفه في الحديبية]:

• **ومنها**: أنّه لمّا أراد رسولُ اللهِ ﷺ بالحديبية أن يبعثَ أحداً من المسلمين إلى مكة لتسلية المستضعفين من المسلمين فيها، لم يرَ أحداً حريّاً بذلك سوى عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه إليهم، فقدم عثمان رضي الله عنه مكة، وبالغَ في إجلال ومحبّة رسولِ اللهِ ﷺ إذ لم يطفْ بالبيتِ لما أن رسول الله ﷺ لم يطفْ به.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٦٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٦٦).

• في «**الرياض**»: عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: اشتدّ البلاءُ على مَنْ كان في أيدي المشركين من المسلمين قال: فدعا رسولَ اللهِ ﷺ عمر، فقال: يا عمرُ هل أنتَ مبلِّغٌ عنّي إخوانك من أسراء المسلمين؟

قال: بأبي أنتَ والله ما لي بمكة [من][(١)] عشيرةٍ، غيري أكثر عشيرةً مني، قال: فدعا عثمان فأرسلَ إليهم، فخرج عثمانُ على راحلةٍ حتّى جاء عسكرَ المشركين، فعتبوا به، وأساءوا له القول، ثم أجاره أبان بن سعيد بن العاص ابنُ عمه، وحمله على السرج، وردف خلفه، فلمّا قدم قال: يا ابنَ عم طُفْ، قال: يا ابن عمٍّ! إنّ لنا صاحباً لا نبتدعُ أمراً، هو الذي يكون يعمله فنتبعَ أثره، قال: يا ابنَ عمٍّ ما لي أراك متحشفاً، أسبلَ، قال: وكان إزاره إلى أنصاف ساقيه، قال له عثمان: هكذا إزرة صاحبِنا، فلم يدع أحداً بمكة من المسلمين إلّا أبلغهم ما قال رسولُ اللهِ ﷺ[(٢)].

• وعن **إياس بن سلمة** عن أبيه أنّ النبيَّ ﷺ بايع لعثمان إحدى يديه على الأخرى، فقال الناسُ: هنيئاً لأبي عبد الله الطواف بالبيت آمناً، فقال النبيُّ ﷺ: «**لو مكثَ كذا ما طافَ حتَّى أطوفَ**»[(٣)].

ومنها: أنّه بعثه رسولُ اللهِ ﷺ إلى مكّة بمناسبة الحديبية للصلح وتسلية الضعفاء من المسلمين، ولمّا انتشر خبرُ قتله، الذي أدى إلى بيعة الرضوان، ضربَ رسولُ اللهِ ﷺ بيده اليمنى على يده اليسرى، وقال: «**هذه يدي وهذه يدُ عثمان**»، فكان ذلك شرفاً كبيراً لعثمان ﷺ، ولذلك اعتبره الناس من أهل بيعة الرضوان.

• عن **ابن عمر**: وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ، فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ

---

(١) زدناه من «حياة الصحابة»، للكاندهلوي (٣/ ٢١٧).

(٢) «الرياض» (٤/ ٢٢).

(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٨).

بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ، وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «**هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ**»، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «**هَذِهِ لِعُثْمَانَ**»[1].

• **ومنها**: أنّه لمّا توفيت زوجته رُقَيّة بنت رسول الله ﷺ حزن على ذلك كثيراً، فزوّجه رسولُ اللهِ ﷺ بنتَه أمَّ كلثوم، وكان ذلك له شرفاً لا يعادله في ذلك أحد.

• أخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ لقيَ عثمان بن عفان وهو مغمومٌ، فقال: «**ما شأنُكَ يا عثمانُ؟**» قال: بأبي أنتَ يا رسول الله وأمي، هل دخلَ على أحدٍ من الناسِ ما دخلَ عليَّ، توفيت بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ رحمها الله، وانقطعَ الصهرُ فيما بيني وبينك إلى الأبدِ، فقال رسول الله ﷺ: «**أتقولُ ذلكَ يا عثمانُ وهذا جبريلُ عليه الصلاة والسلام يأمرني عن أمرِ اللهِ عز وجل أنْ أزوِّجَكَ أختَها أمَّ كلثوم على مِثْلِ صداقها، وعلى مثل عدتها**»، فزوّجه رسولُ اللهِ ﷺ إياها[2]، وفي رواية غير الحاكم: «**على مثل صداقها وعلى مثل صحبتها**»[3].

• **ومنها**: أنّه لمّا توفّيت أمُّ كلثوم قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لو كان لي عِدّةُ بناتٍ لزوجتُها عثمانَ واحدةً بعدَ واحدةٍ إلى كذا وكذا**».

• في «**الرياض**»: عن عليٍّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لو كان عندي أربعون بنتاً لزوّجتُ عثمانَ واحدةً بعد واحدةٍ حتّى لا يبقى منهنّ واحدةٌ**»[4].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٦٦).
(٢) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٤) برقم: (٦٨٦٠).
(٣) انظر: «سنن ابن ماجه» برقم: (١١٠).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٢).

❁ **[تجهيزه جيش العسرة]:**

• **ومنها**: أنّه لما حثَّ النبيُّ ﷺ أصحابَه على تجهيز جيش العسرة، كان نصيبُه في ذلك أوفى وأكمل.

قال عثمان في خطبة يوم الدار[(١)]: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ نظرَ في وجوه القوم، فقال: «**مَنْ يُجَهِّزُ هؤلاء غفرَ اللهُ له**»؛ يعني: جيشَ العسرةِ، فجهزتُهم، حتى لم يفقدوا عِقالاً ولا خِطاماً، فقالوا: اللَّهُمَّ نعم[(٢)]، روي ذلك من حديث **الأحنف بن قيس وأبي عبد الرحمٰن السلمي، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن** وغيرهم، أخرجَ بعضها **البخاري والترمذي**، وبعضها غيرهم.

• وعن عبد الرحمٰن بن خَبّاب قال في هذه القصة، فأنا رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ ينزلُ عن المنبر، وهو يقول: «**ما علىٰ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ هذه، ما على عثمانَ ما عَمِلَ بعد هذه**»، أخرجه **الترمذي**[(٣)].

• وعن **عبد الرحمٰن بن سَمُرَة** في هذه القصة، قال رسول الله ﷺ: «**ما ضرَّ عثمانُ ما عَمِلَ بعد اليوم**» مرتين، أخرجه **الترمذي**[(٤)].

❁ **[اشترى بئر رومة وجعلها للمسلمين]:**

• **ومنها**: أنّه اشترى بئر رُوْمَةَ، فجعلها وقفاً للمسلمين.

قال عثمان في خطبة يوم الدار: أذكّركم باللهِ هل تعلمونَ أنّ بئرَ رُوْمَةَ لم يكن يَشْرَبُ منها أحدٌ إلّا بثمن، فابتعتُها فجعلتُها للغني والفقير

---

(١) عبارة عن الأيام التي حُصر فيها عثمان في بيته. انظر: تفصيله في «الكوكب الدري» (٤/٤١٢).

(٢) انظر: «سنن النسائي» برقم: (٣١٨٢).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٠).

(٤) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠١).

وابن السبيل؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم[١]، روى ذلك عنه الأحنف بن قيس وأبو سلمة وأبو عبد الرحمٰن السلمي وغيرهم؛ وبعض الروايات في **البخاري**.

[توسعة المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام]:

• **ومنها**: أنّه قام بتوسعة المسجد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام.

قال عثمان في خطبة يوم الدار: أنشدكم بالله الذي لا إلـٰه إلا هو أتعلمونَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**مَنِ ابتاعَ مِرْبَدَ بني فلانٍ غَفَرَ اللهُ له**»، فابتعتُه بعشرينَ ألفاً أو بخمسة وعشرين ألفاً؟ فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ له: قد ابتعتُه فقال: «**اجعله في مسجدِنا وأَجْرُهُ لكَ**»[٢]، روى ذلك الأحنفُ بنُ قيس وأبو سلمة وأبو عبد الرحمٰن السلمي وغيرهم.

[جهازه جيش العسرة في غزوة تبوك]:

• **ومنها**: أنّه لمّا أصيبَ الناسُ في غزوة تبوك بالمخمصة الشديدة، عالجَ ذلك عثمان رضي الله عنه، وهيّأ للمسلمين ما يحتاجون إليه.

عن **سالم** بن عبد الله بن عمر في حديث طويل: ثم كان من جهازه جيشَ العُسرةِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ غزا غزوة تبوك، فلم يلقَ في غزاة من غزواته ما لقي فيها من المخمصة والظمأ وقلّةِ الظهر، فبلغَ ذلك عثمان، فاشترى قوتاً وطعاماً وأدماً وما يصلحُ لرسول الله ﷺ ولأصحابه، فجهّز إليه عيراً، فنظرَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى سوادٍ قد أقبلَ قال: «**هذا قد جاءكم الله بخيرٍ**»، فأنيختِ الركابُ، ووضعَ ما عليها من الطعام والأدم وما يصلح لرسول الله ﷺ وأصحابه، فرفع يديه إلى

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٩).

(٢) انظر: «صحيح ابن حبان» (١٥/ ٣٦٢).

السماءِ، وقال: «**اللَّهُمَّ إنِّي قد رضيتُ عن عثمانَ فارضَ عنه**» ثلاث مرات، ثم قال لأصحابه: «**يا أيها الناس ادعوا لعثمان**»، فدعا له الناسُ جميعاً مجتهدين ونبيّهم ﷺ[(١)].

❁ [كان من كُتّاب الوحي]:

ومنها: أنّه كان يكتبُ الوحي وما لا يريدُ رسول الله ﷺ إفشاءَهَ من الرسائل في غالب الأحيان.

• في «**الرياض**»: عن عائشة قالت: واللهِ لقد كان قاعداً عند نبيِّ الله ﷺ، وإنّ رسول الله ﷺ لمسندٌ ظهره إليَّ، وإنَّ جبريلَ ليوحي إليه القرآنَ، وإنّه ليقول له: اكتب يا عُثيمُ[(٢)].

• وفي «**الرياض**» أيضاً في قصة قتله: أنّهم لما قطعوا يده بالسيف قال: أما واللهِ إنَّها لأوّل كفٍّ خَطّتِ المُفَصّلَ[(٣)].

قلت: إنّما خصَّ المفصلَ بالذكر؛ لأنّه أول ما نزل من القرآن.

❁ [أول من خَبَّصَ الخَبيصَ في الإسلام]:

ومنها: أنّه أوّل من خبَّص الخبيصَ لرسول الله ﷺ وأصحابه، واستمال بذلك قلوبهم للدعاء له.

• في «**الرياض**»: عن ليثِ بن أبي سالم قال: أوّل من خبّص الخبيص في الإسلام عثمانُ بن عفان، قدمت عليه عِيْرٌ تحمل الدقيق والعسل فخلط بينهما، وبعث به إلى رسول الله ﷺ إلى منزل أم سلمة، فلمّا جاء رسول الله ﷺ قُدّمت بين يديه، فأكلَ فاستطابه، فقال: «**مَنْ**

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٧).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢٠٩).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١١).

بعثَ بهذا؟» فقالت: عثمانُ يا رسولَ اللهِ بعث به قال: «**اللَّهُمَّ إنّ عثمانَ يراضيكَ فارضَ عنه**».

• وعن **عبد الله بن سلام** قال: قدمتْ عيرٌ من طعامٍ، فيها جمل لعثمان بن عفان، عليه دقيقُ حوارى وسمنٌ وعسلٌ، فأتي بها النبي ﷺ، فدعا فيها بالبركة، ثم دعا ببرمةٍ فنُصبتْ على النّارِ، وجعل فيها من العسل والدقيق والسمن، ثم عصدَ حتّى نضجَ أو كادَ ينضجُ، ثم أنزل فقال رسول اللهِ ﷺ: «**كلوا، هذا شيءٌ تسمِّيه فارسُ الخبيصَ**»[1].

❁ [اعتناؤه بأهل بيت النبي ﷺ عند المخمصة]:

ومنها: أنه لمّا مكثَ آلُ محمّد ﷺ زماناً، ما طعموا شيئاً، أقلق ذلك عثمانُ رضي الله عنه، فأزالَ هذه المشكلة.

• في «**الرياض النضرة**»: عن عائشةَ قالت: مكثَ آلُ محمّدٍ ﷺ أربعة أيام ما طعموا شيئاً، حتى تضاغَوا صبياننا، فدخل رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا عائشةُ هل أصبتُم بعدي شيئاً؟**» فقلت: من أينَ إنْ لم يأتنا الله عز وجل به على يديك، فتوضَّأ وخرج **مسحباً** يصلي هاهنا مرةً وهاهنا مرةً يدعو.

قالت: فأتى عثمانُ من آخر النهار، فاستأذن فهممتُ أن أحجبَه، ثم قلت: هو رجلٌ من مكاثير الصحابة، لعلَّ الله عز وجل إنّما ساقه إلينا ليجري على يديه خيراً، فأذنتُ له فقال: يا أمتاه أينَ رسولُ اللهِ ﷺ؟ فقلتُ: يا بُني! ما طعمَ آلُ محمّد من أربعة أيام شيئاً، دخل رسولُ اللهِ ﷺ متغيراً ضامرَ البطن، فأخبرته بما قال لها وبما ردّت عليه، قالت: فبكى عثمانُ بنُ عفَّان وقال: مقتاً للدنيا.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٠).

ثم قال: يا أمَّ المؤمنين ما كنتِ بحقيقةٍ أن ينزل بكِ؛ يعني: هذا، ثم لا تذكرينه لي ولعبد الرحمٰن بن عوف ولثابت بن قيس في نظائرنا من مكاثير الناس.

ثم خرجَ فبعث إلينا بأحمالٍ من الدقيقِ وأحمالٍ من الحنطة، وأحمالٍ من التمرِ وبمسلوخ وبثلاث مائة درهم في صُرّةٍ ثم قال: هذا يبطئ عليكم، ثم بعث بخبزٍ وشواءٍ كثير، فقال: كلوا أنتم وضعوا لرسول الله ﷺ حتّى يجيءَ، ثم أقسمَ عليَّ أن لا يكونَ مثلُ هذا إلا أعلمتُه.

قالت: ودخلَ رسول الله ﷺ فقال: «**يا عائشةُ! هل أصبتُم بعدي شيئاً؟**» قلت: يا رسولَ اللهِ! قد علمتُ أنك إنّما خرجتَ تدعو الله ﷻ وقد علمتُ أنّ الله ﷻ لن يرُدّك عن سؤالك، قال: «**فما أصبتم؟**» قلتُ: كذا وكذا حمل بعير دقيقاً، وكذا وكذا حمل بعير حنطة، وكذا وكذا حمل بعير تمراً، وثلثمائة درهم في صرة، ومسلوخاً وخبزاً وشواء كثيراً، فقال: «**ممّن؟**» فقلت: من عثمان بن عفان، قالت: وبكى وذكر الدّنيا بمقتٍ، وأقسم عليَّ أن لا يكون مثل هذا إلا كلّمته، قالت: فلم يجلس النبيُّ ﷺ حتّى خرج إلى المسجد ورفع يديه، وقال: «**اللَّهُمَّ قد رضيتُ عن عثمانَ فارضَ عنه**» ثلاث مرات[1].

۞ [لقد دعا له النبيُّ ﷺ غير مرة]:

ومنها: أنّه دعا له رسول الله ﷺ في مناسبات عدة، وبالغ في الاهتمام بذلك:

- في «الرياض»: عن **أبي سعيد الخدري** قال: رمقتُ رسولَ اللهِ ﷺ

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٠).

من أوّل الليلِ إلى أنْ طلعَ الفجرُ يدعو لعثمان بن عفان يقول: «**اللَّهُمَّ عثمانَ رضيتُ عنه، فارضَ عنه**»(١).

• وعن **يوسف بن سهل** بن يوسف الأنصاري عن أبيه عن جده قال: خطبَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال في خطبته: «**اللَّهُمَّ ارضَ عن عثمانَ بنِ عفّان**»(٢).

• وعن **جابر بن عطية** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**غفرَ اللهُ لكَ يا عثمانُ ما قدّمَت وما أخّرتَ، وما أسررتَ وما أعلنتَ وما أخفيتَ وما أبديتَ، وما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ**»، خرّجه **البغوي** في «معجمه» وخرّجه ابن عرفة العبدي وقال: «**وما كانَ وما هو كائن**»(٣).

❁ [حفظه القرآن]:

وإن الله تبارك وتعالى قد كتبَ لذي النورين من الأعمال المقرِّبة إلى الله ﷻ نصيباً أوفر، وحظاً أوفى، إذ حفظ القرآنَ كاملاً في زمن النبيِّ ﷺ، وكان حفظُه قوياً.

في «الرياض»: من حديث **أبي ثور الفهمي** عن عثمان: ولقد جمعتُ القرآنَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ(٤).

• وقال أبو عمر عن محمد بن سيرين وعثمان بن عبد الرحمٰن التيمي وغيرهما أنه قال: كان عثمانُ يحيي الليلَ كلَّه بركعةٍ يجمع فيها القرآنَ(٥).

• وكان يهتمّ بالطهارة والوضوء بالغَ الاهتمام، وتلقّى من النبي ﷺ

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٠).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٠).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٠).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).
(٥) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).

صفةَ الوضوء وفضائله بوجه خاص، كما قرأتم في حديث **حمران** وجماعة عن **عثمان** في «**الصحيحين**».

• وأخرج **مسلم** في بعض طرق هذا الحديث: قال ابن شهاب: وكان علماؤنا يقولون: هذا الوضوءُ أسبغُ ما يتوضّأ به أحدٌ للصلاة[١]، وفي بعض طرقها: قال حُمْرَانُ بْنُ أَبَانَ قَالَ: كُنْتُ أَضَعُ لِعُثْمَانَ طَهُورَهُ، فَمَا أَتَى عَلَيْهِ يَوْمٌ إِلَّا وَهُوَ يُفِيضُ عَلَيْهِ نُطْفَةً[٢]؛ يعني: يغتسل بماء قليل كلَّ يومٍ.

• وكان يبالِغُ في الاهتمام بالصيامِ وقيام الليلِ.

عن مولاة لعثمان قالت: كان عثمانُ يصومُ الدّهرَ[٣].

• وعن الزبير بن عبد الله، عن **جدته**، قالت: كان عثمانُ يصومُ الدّهرَ، ويقومُ الليلَ إلا هجعةً من أوّله، ذكره في «**الرياض**»[٤].

۞ [إعانته المسلمين عام الرمادة]:

• وكان يحظى بأوفرِ نصيبٍ وأعلى درجةٍ في الإنفاق في سبيل الله، وله في ذلك عجائبُ.

• عن **ابن عباس** قال: قحط الناسُ في زمان أبي بكر، فقال أبو بكر: لا تمسون حتى يفرجَ الله عنكم.

فلمّا كان من الغد جاءَ البشيرُ إليه قال: قدمت لعثمانَ ألفُ راحلةٍ بُرّاً وطعاماً، قال: فغدا التجّار على عثمان، فقرعوا عليه البابَ، فخرجَ إليهم وعليه مُلاءةٌ قد خالفَ بين طرفيهما على عاتقه، فقال لهم: ما تريدون؟

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٢٦). (٢) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٢٣١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥). (٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).

قالوا: قد بلغنا أنه قد قدم لك ألفُ راحلةٍ بُرّاً وطعاماً، بعنا حتّى نوسّع به على فقراء المدينة.

فقال لهم عثمان: ادخلوا، فدخلوا، فإذا ألفُ وقرٍ قد صُبَّ في دار عثمان، فقال لهم: كم تُربحوني على شرائي مِنَ الشام؟

قالوا: العشرة اثني عشر.

قال: قد زادوني.

قالوا: العشرة أربعة عشر.

قال: قد زادوني.

قالوا: العشرة خمسة عشر.

قال: قد زادوني، قالوا: مَنْ زادك ونحنُ تجّارُ المدينة؟

قال: زادني بكلِّ درهم عشرةً، عندكم زيادة؟

قالوا: لا!

قال: فأُشْهِدُكم معشرَ التجار أنَّها صدقةٌ على فقراء المدينة.

قال عبد الله: فبتُّ ليلتي فإذا أنا برسولِ اللهِ ﷺ في منامي وهو على برذون أشهب يستعجِلُ، وعليه حلةٌ من نور، وبيده قضيبٌ من نور، وعليه نعلان شراكُهما من نور، فقلتُ له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد طال شوقي إليك، فقال ﷺ: «**إنِّي مبادِرٌ لأنَّ عثمانَ تصدّقَ بألفِ راحلةٍ، وإنّ الله تعالى قد قبِلَها منه، وزوّجه بها عروساً في الجنة، وأنا ذاهبٌ إلى عُرسِ عثمان**»[1].

- **وكان يكثِرُ من إعتاق الرقاب.**

- في «الرياض»: عن عثمان قال: ولا أتت جمعةٌ إلا ولنا عِتْقُ

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٦).

رقبةٍ منذُ أسلمتُ إلا أنْ لا أجدَ تلك الجمعة فأجمعها في الجمعةِ الثانيةِ[١].

- **وكان سبَّاقاً إلى الحج والعمرة.**
- مالك: أنه بلغه أنَّ عثمان ربما كان يعتمِرُ فلا يحطُّ رحله حتى يرجعَ[٢].

۞ [سبقته في صلة الأرحام على الأقران]:

وكان يستبِقُ كذلك إلى صلة الأرحام.

- قالت عائشةُ: ولقد قتلوه وإنّه لَمِنْ أوصلهم للرحم، وأتقاهم لربّه، أخرجه أبو عمر[٣].
- وقال علي بن أبي طالب نحواً من ذلك.

[مآثره المتعددة وأحواله الرفيعة]

وقد منحه الله ﷻ أحوالاً رفيعة في الإحسان والسلوك:

۞ [خوفه من الله]:

فمن خوفه:

- في «المشكاة»: عن **عثمان** ؓ أنّه إذا وقفَ على قبرٍ بكى حتّى تبلَّ لحيتُه، فقيل له: تُذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا، فقال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّ القبرَ أوّلُ منـزلٍ من منازل الآخرةِ، فإن نجا منه فما بعده أيسرُ منه، وإنْ لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه**».

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣/ ٢٣١) برقم: (١٣٧٢٩).
(٣) انظر: «الاستيعاب» (١/ ٣٢٠).

قال: وقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما رأيتُ منظراً قطُّ إلا والقبرُ أفظعُ منه**»، رواه **الترمذي وابن ماجه**[١].

• في «**الرياض**» عن **أبي الفرات** قال: كان لعثمانَ عبدٌ فقال له: إني كنتُ عركتُ أذنك، فاقتصّ مني، فأخذَ بأذنه، ثم قال عثمان: اشدد، يا حبّذا قصاصٌ في الدنيا، لا قصاصٌ في الآخرة.

• وروي عنه أنه قال: لو أنّي بين الجنّةِ والنارِ لا أدري إلى أيتهما يؤمَرُ بي لاخترتُ أنْ أكونَ رماداً قبل أن أعلمَ إلى أيتهما أصير[٢].

۞ [عزوفه عن شهوات الدنيا]:

• ومن عزوفه عن شهواتِ الدّنيا عن شُرَحْبِيلِ بن مسلم قال: كان عثمانُ يُطْعِمُ الناسَ طعامَ الإمارةِ، ويأكلُ الخلَّ والزيتَ.

• وعن **عبد الله بن شداد** قال: رأيتُ عثمان يومَ الجمعة يخطبُ وهو يومئذٍ أمير المؤمنين، وعليه ثوبٌ قيمتُه أربعة دراهم أو خمسة دراهم.

• وعن **الحسن** وقد سأله رجلٌ: ما كان رداءُ عثمان؟ قال: قِطْريّ[٣]، قال: كم ثمنه؟ قال: ثمانية دراهم، قال: ما كان قميصه؟ قال: سنبلاني[٤]، قال: كم ثمنه؟ قال: ثمانية دراهم، قال: ونعلاه معقبتان مخصرتان[٥] لهما قبالان، ذكر هؤلاء الأحاديث الثلاثة في «**الرياض**»[٦].

---

(١) انظر: «مشكاة المصابيح» (١/ ٢٩). (٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٦).

(٣) ضرب من البرود.

(٤) قميص سنبلاني منسوب إلى بلد بالروم. «القاموس» (ص٩١٥).

(٥) **نعل مخصّرة**: مستدقة الوسط، «القاموس» (ص٣٤٧).

(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٦).

❁ [ورعه]:

• من ورعه عن **حماد بن زيد** قال: رحمَ اللهُ أميرَ المؤمنين عثمان، حوصر نيفاً وأربعين ليلةً لم تبدُ منه كلمةٌ يكون لمبتدعٍ فيها حجة، ذكره في **«الرياض»**(١).

❁ [تواضعه]:

• من تواضعه في **«الرياض»**: عن **الحسن** قال: رأيتُ عثمانَ نائماً في المسجد ورداؤه تحتَ رأسه، فيجيءُ الرجلُ فيجلِسُ إليه، ثم يجيء الرجلُ فيجلسُ إليه، فيجلس كأنّه أحدهم(٢).

وفي رواية: رأيتُ عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحدٌ، وهو أمير المؤمنين(٣).

وفي رواية: رأيتُ عثمانَ يقيلُ في المسجدِ ويقومُ وأثر الحصا في جنبه فيقول الناسُ: هذا أمير المؤمنين(٤).

• وعن **علقمة بن وقاص**: أنّ عمرو بن العاص قام إلى عثمان وهو يخطبُ الناسَ فقال: يا عثمانُ، إنّكَ قد ركبتَ بالناس الهنابير(٥) وركبوها منك، فَتُبْ إلى اللهِ ﷻ وليتوبوا، قال: فالتفت إليه عثمان وقال: وأنت هناك يا ابن النابغة، ثم رفع يديه، واستقبل القبلة وقال: أتوب إلى الله تعالى! اللَّهُمَّ إنِّي أوّلُ تائبٍ إليك(٦).

❁ [شفقته على رعيته]:

• ومن شفقته على رعيته في «الرياض»: عن **سليمان بن موسى**:

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢١٦).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢١٦).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢١٦).
(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢١٦).
(٥) الرمال المشرفة.
(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/٢١٦).

أنّ عثمان بن عفان دُعِيَ إلى قوم كانوا على أمر قبيح، فخرجَ إليهم، فوجدهم قد تفرّقوا، ورأى أمراً قبيحاً، فحمد الله إذ لم يصادفهم، وأعتق رقبة[١].

❁ [حُسن معاشرته]:

• ومن حُسْنِ معاشرته لأهله وخدمته في «**الرياض**»: عن جدّةِ الزبير بن عبد الله، مولاةٍ لعثمان قالت: كان عثمانُ لا يوقِظُ أحداً من أهله من الليل إلّا أنْ يجدَه يقظان فيدعوه، فيناوله وضوءه[٢].

❁ [أدبه]:

• في «**الرياض**» عن **أبي ثور الفهمي** قال: قدمتُ على عثمان، فبينما أنا عنده فخرجتُ فإذا وفدُ أهل مصر قد رجعوا، فدخلتُ عليه فأعلمته، قال: كيفَ رأيتهم؟ قلت: رأيتُ في وجوههم الشرّ، وعليهم ابن عدس البلوي، فصعد ابن عدس منبر رسول الله ﷺ، فصلّى بهم الجمعة، وتنقّص عثمان في خطبته، فدخلتُ عليه فأخبرته بما قام فيهم، فقال: كذب والله ابن عدس، لولا ما ذكر ما ذكرت ذلك، إنِّي والله لرابعُ أربعةٍ في الإسلام، وأنكحني رسولُ اللهِ ﷺ ابنته، ثم توفيت، فأنكحني ابنته الأخرى؛ ما زنيتُ ولا سرقتُ في الجاهلية ولا في الإسلام، ولا تغنيت ولا تمنيت منذ أسلمتُ، ولا مسستُ فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولقد جمعتُ القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ، ولا أتت جمعةٌ إلا ولنا عتق رقبة منذ أسلمت، إلا أن لا أجد تلك الجمعة فأجمعها في الجمعة الثانية[٣].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٧).
(٢) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٧).
(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).

❁ [صبره رضي الله عنه]:

● ومن صبره في «الرياض»: عن **عبد الرحمٰن بن مهدي** قال: كان لعثمان شيئان ليسا لأبي بكر وعمر، صبره نفسه حتى قُتل مظلوماً، وجمعه الناسَ على المصحف[1].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١١).

المبحث الثاني

في ذكر مقاماته وخوارقه ورقائقه وجهوده في سبيل إحياء علوم الدين

ومن مقاماته التي نصَّ رسول الله ﷺ على إثباتها له:

[الحياء]

● أخرج **مسلم** من حديث **عائشة** في قصة: «**ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكةُ**»؛ يعني: عثمان[١].

● وفي حديثٍ طويلٍ يجمَعُ مناقب جمع من الصحابة: «**وأصدقُهم حياءً عثمان**»[٢].

ومعنى **الحياء**: انقياد القلب لما يتجلّى فيه من نور الإيمان، ويصدق عليه قول رسول الله ﷺ المذكور، فإنّه كلّما ظهرت له أسباب تحرك البهيمية والشهوانية، لم يلتفت إليها عثمان، وأتى بما أمره الله عز وجل، وتنشأ هذه الصفة في الإنسان إذا انتهى عن محارم الله بفضل نور الإيمان، وهو الذي عبَّر عنه النبيُّ ﷺ بلفظِ: «**الحياء**».

[شهادته]

● روي عن عثمان من طرق متعددة في خطبته يوم الدار: أذكّركم باللهِ هل تعلمون أنَّ حِراء حين انتفضَ قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**اثبت حراء! فليسَ عليك إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ**»[٣]، روى عنه ناقلو خطبته تلك

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» برقم: (٣٤٠١). (٢) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٩٠).

(٣) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٩).

أبو سلمة وأبو عبد الرحمٰن السلمي وثمامة بن حزن القشيري وغيرهم، وروى ذلك جماعة من الصحابة.

[كونه رفيقاً للنبي ﷺ في الجنة]

• أخرج **الحاكم** عن زيد بن أسلم، عن **أبيه**، قال: شهدتُ عثمان يوم حُصِرَ في موضع الجنائز، فقال: أنشدك الله يا طلحةُ أتذكرُ يومَ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في مكان كذا وكذا، وليس معه من أصحابه غيري وغيرك، فقال لك: يا طلحةُ، إنّه ليس من نبيٍّ إلا وله رفيقٌ من أمته معه في الجنة، وأنّ عثمان رفيقي ومعي في الجنّة، فقال طلحة: اللَّهُمَّ نعم[١]، قال **الحاكم**: صحيح.

والمراد بـ«الرفيق» مَنْ هو أشبه بالنبيِّ ﷺ خُلُقاً وعملاً، فإنّما «الحواري» من ينصر الرسول ويعينه في مشاهد القتال، و«الرفيق» من يشبهه في الأعمال والأخلاق.

أخرج **الحاكم** عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن المطلب بن عبد الله عن **أبي هريرة**، قال: دخلتُ على رُقَيّة (ح)[٢] ومن طريق وهب بن منبه، عن أبي هريرة ﷺ قال: دخلتُ على رُقَيَّة بنت رسولِ اللهِ ﷺ وبيدها مشطٌ، فقالت: خرج رسولُ اللهِ ﷺ من عندي آنفاً، فرجّلتُ رأسه، فقال لي: «**كيفَ تجدينَ عُثمان؟**» قالت: فقلت: بخير، قال: «**أكرميه، فإنّه مِنْ أشبه أصحابي بي خُلُقاً**»[٣].

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٤) برقم: (٤٥٣٧).
(٢) ح: أي: تحويل السند؛ أي: ذكر طريق آخر له.
(٣) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢) برقم: (٦٨٥٤).

وفي الحديثِ إشكالٌ ظاهر: وهو أنّ أبا هريرة إنّما جاء بعد خيبر، وقد توفّيت رقيةُ حين جاء البشيرُ بفتح بدر، لكنّ للحديث أصلٌ، روي من طرق متعددة، وقال الحاكم: ولا شكَّ أنَّ أبا هريرة روى هذا الحديث عن متقدِّمٍ من الصحابة أنّه دخل على رُقيّة، لكنّي طلبت جهدي، فلم أجده في الوقت.

• **قلت**: وفي حديثٍ آخر: أنَّ النبيَّ ﷺ قام إليه واعتنقه، وقال: «**هو كفوي**»، معنى الكفو ههنا هو معنى الرفيق.

❁ [كونه يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه]:

• أخرج **الحاكم**[1]، عن **ابن عباس** رضي الله عنهما، عن أُمِّ كلثوم بنت النبي ﷺ؛ أنَّها قالت: يا رسولَ اللهِ زوجي خيرٌ أو زوج فاطمة؟ قالت: فسكتَ النبيُّ ﷺ، ثم قال: «**زوجُكِ ممَّن يُحِبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**»، فولّت فقال لها: «**هلمِّي ماذا قلتُ؟**» قالت: قلتَ: «**زوجي ممّن يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ ورسولُه**»، قال: «**نعم، وأزيدُك: دخلتُ الجنّةَ فرأيتُ منزلَه، ولم أرَ أحداً من أصحابي يعلوه في منزلِهِ**».

أقول: ذلك من ثواب صبره على البلوى.

فالحاصل: أن النبيَّ ﷺ قد صرَّح بهذه المقامات العالية لعثمان رضي الله عنه، وذلك لعلوِّ كعبه في هذه المقامات واضطلاعه منها بعد أن امتزجت بلحمه ودمه، وغلبت على باطنه، وكلُّ عملٍ من أعماله وأحواله يشهدُ بذلك، ويدلُّ عليه.

---

(١) انظر: «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٤) برقم: (٦٨٦٢).

[كراماته]

• ومن كراماته في «**الرياض**»:

روي أنّ رجلاً دخل على عثمان وقد نظرَ امرأة أجنبية، فلمّا نظر إليه قال: هاء! أيدخل عليَّ أحدُكم وفي عينيه أثرُ الزِّنا؟

فقال له الرجل: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ؟

قال: لا! ولكن قولُ حقٍّ وفراسةُ صِدْقٍ(١).

• وعن **نافع** أنَّ جهجاه الغفاري تناول عصا عثمان وكسرها على ركبته، فأخذته الأكِلَةُ(٢) في رجلِهِ(٣).

• وعن **أبي قلابة** قال: كنتُ في ربعة بالشام إذ سمعتُ صوتَ رجل يقول: يا ويلاه النار! قال: فقمتُ إليه وإذا رجلٌ مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكباً لوجهه، فسألتُه عن حاله، فقال: إنِّي قد كنتُ ممّن دخلَ على عثمان الدار، فلمّا دنوتُ منه صرخت زوجته فلطمتُها، فقال: ما لكَ قطعَ الله يديكَ ورجليكَ وأعمى عينيك وأدخلك النارَ، فأخذتني رِعْدَةٌ عظيمة، وخرجتُ هارباً، فأصابني ما ترى، ولم يبقَ من دعائه إلا النار قال: فقلت له: بُعْداً لكَ وسُحْقاً(٤).

• وعن **مالك** أنّه قال: كان عثمانُ مَرَّ بِحُشِّ كوكب(٥) فقال: إنّه سيدفن هاهنا رجلٌ صالحٌ، فكان أوّلَ من دفن فيه(٦).

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٤).

(٢) **الأكِلة**: داء في العضو يأتكل منه، «القاموس» (ص٨٦٥).

(٣) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٤).

(٤) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٤).

(٥) **حشّ كوكب**: بستان بظاهر المدينة خارج البقيع. «النهاية» (ص٢١٠).

(٦) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).

• وفي «**الصواعق**»: عن **يزيد بن أبي حبيب** قال: بلغني أنّ عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان جُنّوا[(١)].

• وكان عثمانُ رضي الله عنه في أيام خلافته يعظُ الناس وينصحهم بنصائح مؤثّرة، ويلقي حكماً من باب تهذيب الأخلاق وغيره على الحاضرين، وأنقل فصلاً من حكمه من كتاب «روضة الأحباب».

• من تلك الكلمات المباركات قوله: **تاجروا الله تربحوا.**

• **ومنها**: قوله: العبوديةُ محافظةُ الحدود، والوفاءُ بالعهود، والرضا بالموجود، والصبرُ عن المفقود.

• **ومنها**: بادروا آجالكم بخيرِ ما تقدرون عليه.

• **ومنها**: ألا إنّما الدّنيا طُويت على الغرور، فلا تغرنّكم الدنيا، ولا يغرنّكم بالله الغرور.

• **ومنها**: هَمُّ الدنيا ظلمةٌ، وهمُّ الآخرةِ نورٌ.

• **ومنها**: الهديةُ من العاملِ إذا عزل كالهدية منه إذا عمل.

• **ومنها**: خيرُ الناسِ مَنْ عُصِمَ واعتصمَ بكتاب الله.

• **ومنها**: من علاماتِ العارفِ أنْ يكونَ قلبُه مع الخوف والرجاء، ولسانُه مع الحمد والثناء، وعيناه مع الحياء والبكاء، وإرادته مع الترك والرضاء.

• **ومنها**: من علامات المتقي أنّه يرى الناسَ قد نجوا، ويرى نفسَه قد هلكت.

• **ومنها**: قوله: مِنْ أضيعِ الأشياءِ عمرٌ طويلٌ لا يتزوّدُ صاحبه لسفر الآخرة.

---

(١) انظر: «الصواعق المحرقة» (١/ ٣٢٧).

●ومنها: مَنْ كانت الدُّنيا سجنه، فالقبرُ راحته.

● وقوله: لو طهرت قلوبُكم ما شبعتْ من كلامِ اللهِ تعالى.

[اعتناؤه بإحياء علوم الدين]

لإحياء علوم الدين حظٌّ وافرٌ لذي النورين رضي الله عنه:

فمنها: خدماته وجهوده في نشر القرآن العظيم، وهو على خمسة أنواع:

الأول: أمرَ بإحضار جميع نسخ القرآن التي كان الناس قد كتبوها في الصحائف والأوراق وفق ترتيبهم وتلفظهم، ومحاها، وأبقى صحيفة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما التي كان قد بالغَ عمرُ رضي الله عنه في الاعتناء بتصحيحه أعواماً، وكانت عندَ أمِّ المؤمنين حفصة رضي الله عنها، فطلبها، وأمر بنسخ نُسَخٍ عديدة وفقها، وأرسلها إلى مختلف البلاد، وأكّد على الكُتّاب أن لا يكتبوا القرآن إلّا على لغة قريش، وأمر أمراء البلاد أن ينقلوا عنها، وبذلك زال اختلافُ الناس، وتميّزت القراءةُ المشهورةُ عن القراءة الشاذة، واتفق المسلمون على مصحفٍ واحدٍ، ولولا جهودُ عثمان رضي الله عنه في ذلك لاختلف الناس في القرآن كما اختلفت الأمم قبلهم.

● أخرج **البخاري**[(١)]: عن **أنس بْنِ مَالِكٍ** حَدَّثَهُ أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ قَدِمَ عَلَى عُثْمَانَ، وَكَانَ يُغَازِي أَهْلَ الشَّأْمِ فِي فَتْحِ إِرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، فَأَفْزَعَ حُذَيْفَةَ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ لِعُثْمَانَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكْ هَذِهِ الأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٤٩٨٧).

فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَى حَفْصَةَ: أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ.

فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ.

وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ.

الثاني: علّمَ جماعة من قراء التابعين، وسلسلة قراءتهم باقيةٌ حتى الآن:

في «شرح السُّنَّة»: القرّاء المعروفون أسندوا قراءتهم إلى الصحابة، فعبد الله بن كثير ونافع أسندا إلى أُبي بن كعب، وعبد الله بن عامر أسند إلى عثمان بن عفان، وأسندَ عاصمٌ إلى علي وعبد الله بن مسعود وزيد، وأسند حمزة إلى عثمان وعلي، وهؤلاء قرؤوا على النبي ﷺ.

الثالث: أنّه كان يقرأ في الصلوات قراءةً طويلةً مثل الشيخين، كي يتلقّى عنه المسلمون قراءته، ويجعلوا قراءاتهم وفق قراءته.

أخرج **مالك** أن القرافصة بن عمير الحنفي قال: ما أخذتُ سورةَ يوسف إلا من قراءة عثمان بن عفان إيّاها في الصبح من كثرة ما كان يردِّدها لنا[١].

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٢).

الرابع: اشتغل بكتابة القرآن في أول نزوله، وكل من جاء بعده اعتمد على المتقدم، وذلك قوله: «أَوَّلُ يدٍ خطّتِ المفصّلَ».

الخامس: وكانت له يدٌ طولى في معرفة تفسير القرآن، متى أنزل وفيم أنزل.

• أخرج **الترمذي** عن **ابن عباس** قال: قلتُ لعثمان بن عفان: ما حملكم أَنْ عمدتم إلى الأنفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم؟ ووضعتموها في السبع الطُّول ما حملكم على ذلك؟

فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ ممَّا يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السورُ ذواتُ العدد، فكان إذا نزل عليه الشيءُ دعا بعض من كان يكتبُ، فيقول: ضعوا هؤلاء الآياتِ في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وإذا نزلت عليه الآيةُ فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفالُ من أوائل ما أنزلتْ بالمدينة، وكانت براءةُ من آخر القرآن، وكانت قصّتها شبيهة بقصتها، فظننت أنّها منها، فقُبِضَ رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمٰن الرحيم، فوضعتها في السبع الطُّوَل[١].

• **وأخرج أبو بكر ابن أبي شيبة**: عن محمد بن سيرين قال: أشرف عليهم عثمان من القَصْرِ فقال: ائتوني برجل أتاليه كتاب الله، فأتوه بصعصعة بن صَوْحان، وكان شاباً، فقال: ما وجدتم أحداً تأتوني غير هذا الشاب، قال: فتكلّم صعصعةُ بكلام، فقال له عثمان: اتل،

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» برقم: (٣٠٨٦).

فقال صعصعة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فقال: ليست لك ولا لأصحابك، ولكنها لي ولأصحابي، ثم تلا عثمان: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾، حتى بلغ: ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١][1].

• **وأخرج أبو بكر ابن أبي شيبة**، في قصة مناظرته مع وفد مصر، فقالوا: ادعُ بالمصحف، فدعا بالمصحفِ، فقالوا: افتح السابعةَ، وكانوا يسمّون سورة يونس السابعة، فقرأها حتى إذا أتى على هذه الآية: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]، قالوا: أرأيت ما حميت من الحمى، آللهُ أذنَ لك به أم على الله تفتري؟ فقال: أمضه، أنزلت في كذا وكذا، وأمّا الحمى فإنّ عمر حمى الحِمَى قبلي لإبل الصدقة، فلمّا وليت زادت إبل الصدقة، فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصدقة، أمضه، فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول: أمضه، نزلت في كذا وكذا[2].

❁[اعتناؤه بنشر الأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام]:

وأما جهوده في نشر الأحاديث النبوية على صاحبها الصلاة والسلام:

• **فمنها**: يوجد في الكتب المعتبرة الموجودة في أيدي الناس مائة وأربعون حديثاً مسنداً عن النبي ﷺ، رويت عنه بواسطة كبار الصحابة أو التابعين، وقد بشر رسولُ اللهِ ﷺ لمن جمع أربعين حديثاً ونشر ذلك بأنه يحشر في العلماء الحفاظ، فما ظنك بمن حفظ مائة وأربعين حديثاً.

---

(١) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٥) برقم: (٣٧٦٥٩).

(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢٠) برقم: (٣٧٦٩٠).

وكان عثمان ﷺ كلّما ذكر فضائل الأعمال في خطبه يأخذ بمجامع القلوب، ويوثّر على نفوس السامعين.

أخرج **البخاري** عَنْ **أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي** عَنْ عُثْمَانَ ﷺ عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، قَالَ: وَأَقْرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي إِمْرَةِ عُثْمَانَ حَتَّى كَانَ الْحَجَّاجُ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا[١].

وكان يهتم بالعمل بأحاديث الفضائل بالغ الاهتمام، أخرج **أحمد** عن **عطاء بن فروخ** مولى القرشيين: أنَّ عثمان ﷺ اشترى من رجل أرضاً، فأبطأ عليه فلقيه، فقال له: ما منعك من قبض مالك؟

قال: إنك فتنتني، فما ألقى من الناسِ أحداً إلا وهو يلومني.

قال: أو ذلك يمنعك؟

قال: نعم.

قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**أدخلَ اللهُ ﷻ الجَنَّةَ رَجُلاً كان سَهْلاً مُشْتَرِياً وبائعاً وقاضياً ومُقْتَضِياً**»[٢].

● وأخرج **أحمد** عن **محمود بن لبيد**: أنّ عثمان أرادَ أن يبنيَ مسجد المدينة، فكره الناسُ ذاك، وأحبوا أن يدعوه على هيئته، فقال عثمان: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ بنى مسجداً للهِ ﷻ بَنَىٰ اللهُ له بيتاً في الجَنَّةِ مثلَه**»[٣].

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» برقم: (٥٠٢٧).

(٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٤١٠). (٣) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٠٦).

❁ [إصداره الفتاوى والأحكام في خلافته]:

وكان الناسُ في خلافته يستفتونه، ويرفعون إليه القضايا، فكان يفتي ويقضي بين الناس، ولا يسعني أنْ أذكرَ جميع التفاصيل عن فتاواه وأحكامه الصادرة منه ﵁ في هذا الكتاب، ولذلك نكتفي بذكر بعض المسائل في هذا الباب.

وردت الأحاديثُ المختلفة في باب في الوضوء ممّا مست النار، واختلف أصحاب النبي ﷺ فيه، فكشف عثمان ذو النورين ﵁ وبيَّن أن العمل على الوضوء ممّا مستِ النارُ متروكٌ.

• أخرج **أحمد**: عن شيخ من ثقيف عن عمّه أنّه رأى عثمان بن عفان ﵁ جلسَ على الباب الثاني من مسجد رسول الله ﷺ، فدعا بكتف فتعرقها ثم قام فصلى، ولم يتوضّأ، ثم قال: جلستُ مجلسَ النبي ﷺ، وأكلتُ ما أكلَ النبيُّ ﷺ، وصنعتُ ما صنعَ النبيُّ ﷺ[١].

• وأخرج **أحمد**: عن سعيد بن المسيب يقول: رأيتُ عثمان قاعداً في المقاعد، فدعا بطعام ممّا مسّته النارُ فأكله، ثم قام إلى الصلاة فصلّى، ثم قال عثمان: قعدتُ مقعدَ رسولِ اللهِ ﷺ، وأكلتُ طعامَ رسولِ اللهِ ﷺ، وصلّيتُ صلاةَ رسولِ اللهِ ﷺ[٢].

• وأخرج **أحمد** عن **رباح** قال: زوّجني مولاي جاريةً روميةً، فوقعت عليها، فولدت لي غلاماً أسود مثلي، فسميته عبدَ الله، ثم وقعت عليها فولدت لي غلاماً أسودَ مثلي، فسميته عُبيدَ الله، ثم طَبِنَ[٣] لها

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٤٤١). (٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٠٥).
(٣) طَبِن لكذا طبانةً فهو طبنٌ؛ أي: هجم على باطنها وخبر أمْرها وأنها ممن تواتيه على المراودة. «النهاية» (ص٥٥٩).

غلامٌ رومي، قال: حسبته قال: لأهلي رومي، يقال له: يوحنس، فراطنها بلسانه؛ يعني: بالرومية، فوقع عليها، فولدت له غلاماً أحمر، كأنه وزغة من الوزغان، فقلت لها: ما هذا؟ فقالت: هذا من يوحنس، قال: فارتفعنا إلى عثمان بن عفان، وأقرا جميعاً، فقال عثمان: إن شئتم قضيتُ بينكم بقضية رسول الله ﷺ، إن رسول الله ﷺ قضى أنَّ الولدَ للفراش قال: حسبته، قال: وجلدهما[1].

• في تحقيق سيدنا عثمان رضي الله عنه أنّ استلام الركن الشامي والركن العراقي ليسَ من السُّنَّة.

أخرج **أحمد** عن **يعلى بن أمية** قال: قال يعلى: طفتُ مع عثمان، فاستلمنا الركن، قال يعلى: فكنتُ ممّا يلي البيت، فلما بلغنا الركن الغربي الذي يلي الأسود، جررتُ بيده ليستلم فقال: ما شأنُكَ؟ فقلت: ألا تستلم؟ قال: فقال: ألم تطفْ مع رسولِ اللهِ ﷺ؟ فقلت: بلى، قال: أرأيتُه يستلمُ هذين الركنين الغربيين؟ قلتُ: لا، قال: أفليسَ لك فيه أسوةٌ حسنةٌ؟ قلت: بلى، قال: فانفذ عنك[2].

• **وبيّن كذلك أن لبس المعصفر لا يجوز للرجال:**

• أخرج **أحمد** عن **أبي هريرة** قال: راحَ عثمانُ إلى مكة حاجّاً، ودخلتُ على محمّد بن جعفر بن أبي طالب امرأته فبات معها، حتّى أصبحَ، ثم غدا وعليه ردع[3] الطيبِ، وملحفة معصفرةٌ مفدمة[4]، فأدرك الناسَ بملل[5] قبل أن يروحوا، فلمَّا رآهُ عثمانُ انتهر وأفف، وقال: أتلبس المعصفرَ وقد نهى عنه رسولُ اللهِ ﷺ، فقال له علي بن أبي

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥٠٢). (٢) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥١٢).
(٣) ردع: لطخ وأثر. (٤) مشبعة حمرة.
(٥) موضع بين مكة والمدينة على سبعة عشر ميلاً من المدينة. «النهاية» (ص٨٨٣).

طالب: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم ينهه ولا إيّاكَ إنَّما نهاني[١].

• **مالك**: عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن مالك بن أبي عامر أنَّ عثمان بن عفان كان يقولُ في خطبته، قل ما يدع ذلك إذا خطب: إذا قام الإمامُ يخطبُ يومَ الجمعةِ، فاستمعوا وأنصتوا، فإنَّ للمنصتِ الذي لا يسمعُ من الحظ مثل ما للمنصت السامع، فإذا قامت الصلاةُ فاعدلوا الصفوف، وحاذوا بالمناكب، فإنَّ اعتدال الصفوف من تمامِ الصلاة، ثم لا يكبر حتى يأتيه رجالٌ قد وكلهم بتسوية الصفوف، فيخبرونه أنْ قد استوت، فيكبر[٢].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم، عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة الأنصاري؛ أنه قال: جاء عثمانُ بنُ عفّان إلى صلاة العشاء، فرأى أهل المسجد قليلاً، فاضطجع في مؤخّر المسجد ينتظِرُ الناسَ أن يكثروا، فأتاه ابنُ أبي عمرة، فجلسَ إليه، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال له: ما معك من القرآن؟ فأخبره، فقال له عثمان: مَنْ شهدَ العشاءَ فكأنّما قامَ نصفَ ليلةٍ، ومَنْ شهدَ الصبحَ فكأنّما قامَ ليلةً[٣].

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ الهلال رؤي في زمان عثمان بن عفان بعشي فلم يفطر عثمانُ حتّى أمسى وغابتِ الشمس[٤].

• **مالك**: عن نافع عن نبيه بن وهب أخي بني عبد الدار أنَّ عمر بن عُبيد الله أرسل إلى أبان بن عثمان وأبان يومئذ أميرُ الحاج، وهما محرمان: إنّي قد أردتُ أن أُنْكِحَ طلحةَ بن عمر ابنةَ شيبة بن جبير، وأردت أن تحضرَ، فأنكر ذلك عليه أبانُ وقال: سمعتُ عثمانَ بنَ عفان يقول: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَنْكَحُ المُحْرِمُ ولا يُنْكِحُ،**

---

(١) انظر: «مسند أحمد» برقم: (٥١٧).
(٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٤٥).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٤٣٣).
(٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٠٠٤).

ولا يَخْطُبُ على نفسِهِ، ولا على غيره»[١].

• **مالك**: عن عبد الله بن أبي بكر عن عبد الرحمٰن بن عامر بن ربيعة قال: رأيتُ عثمانَ بنَ عفان بالعَرْج وهو محرمٌ في يوم صائف، قد غطّى وجهه بقطيفةٍ أرجوان، ثم أُتي بلحمِ صيدٍ فقال لأصحابه: كلوا فقالوا: أو لا تأكلُ أنتَ؛ فقال: إنِّي لستُ كهيئتكم، إنَّما صِيْدَ من أجلي[٢].

• **مالك**: عن ابن شهاب عن **قبيصة بن ذؤيب**: أنَّ رجلاً سأل عثمانَ بنَ عفّان عن الأختين من ملك اليمين هل يجمع بينهما؟ فقال عثمان: أحلّتهما آيةٌ وحرّمتهما آيةٌ، فأمّا أنا فلا أحبُّ أن أصنعَ ذلك، قال: فخرجَ من عنده فلقيَ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: لو كان لي من الأمر شيءٌ، ثم وجدتُ أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً، قال ابن شهاب: أراه علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٣].

• **مالك**: عن **ابنِ شهابٍ**، عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: وكان أعلمهم بذلك.

• وعن **أبي سلمة** بن عبد الرحمٰن بن عوف: أنّ عبد الرحمٰن بن عوف طلَّق امرأته البتّةَ وهو مريضٌ، فورّثها عثمانُ بن عفان منه بعد انقضاءِ عدتها[٤].

• **مالك**: عن **عبد الله بن الفضل** عن الأعرج: أنَّ عثمان بن عفان ورّث نساءً من مكمّل منه، وكان طلقهنَّ وهو مريضٌ[٥].

• **مالك**: عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن يحيى بن حبان قال:

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٦٨). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٢٩٠).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (١٩٧٤). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١١٣).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١١٤).

كانت عند جَدّي حِبّان امرأتان هاشمية وأنصارية، فطلّق الأنصارية وهي ترضِعُ، فمرّت بها سنةٌ، ثم هلك عنها ولم تحض، فقالت: أنا أرثه لم أحض، فاختصمتا إلى عثمان بن عفان، فقضى لها بالميراث، فلامت الهاشميةُ عثمانَ، فقال: هذا عمل ابنُ عمك، هو أشار علينا بهذا؛ يعني: عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه[1].

• **مالك**: عن أبي الزناد عن سليمان بن يسار: أن نُفيعاً مكاتباً كان لأمِّ سلمة زوج النبي ﷺ أو عبداً لها، كانت تحته امرأة حرة فطلقها اثنتين، ثم أرادَ أن يراجعَها، فأمره أزواج النبي ﷺ أن يأتيَ عثمان بن عفان، فيسأله عن ذلك، فلقيه عند الدرج آخذاً بيدِ زيد بن ثابت فسألهما فابتدراه جميعاً فقالا: حرمتْ عليكَ، حرمتْ عليكَ[2].

• **مالك**: عن **عبد الله بن أبي بكر** بن محمد بن عمرو بن حزم عن عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام عن أبيه أنه أخبره: أنّ العاص بن هشام هلك وترك بنين له ثلاثة، اثنان لأم، ورجل لعلة، فهلك أحدُ اللذين لأم، وترك مالاً ومواليَ، فورثه أخوه لأبيه وأمه ماله وولاء مواليه، ثم هلك الذي ورثَ المال وولاء الموالي، وترك ابنه وأخاه لأبيه، فقال ابنُه: قد أحرزتُ ما كان أبي أحرز من المال وولاء الموالي، وقال أخوه: ليسَ كذلك، إنَّما أحرزت المال، وأمّا ولاء الموالي فلا، أرأيتَ لو هلك أخي اليوم ألستُ أرثه أنا؟ فاختصما إلى عثمان بن عفان، فقضى لأخيه بولاء الموالي[3].

• **مالك**: أنه بلغه عن جده مالك بن أبي عامر أنَّ عثمان بن عفان قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: **«لا تبيعوا الدينارَ بالدينارينِ،**

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١١٦). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢١٢٥).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٩٠٧).

ولا الدرهمَ بالدرهمينِ»[١].

• **مالك**: أنّه بلغه أنَّ عمرُ بنَ الخطاب أو عثمانَ بنَ عفان قضى أحدُهما في امرأةٍ غرّت رجلاً بنفسها، وذكرت أنها حرة، فتزوّجها، فولدت له أولاداً، فقضى أن يفديَ ولدَه بمثلهم[٢].

• **مالك**: أنّه بلغه أنّ عثمان بن عفان أُتي بامرأةٍ قد ولدت في ستة أشهر، فأمر بها أن ترجمَ، فقال له علي بن أبي طالب: ليس ذلك عليها، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فالحمل يكونُ ستةَ أشهر، فلا رجمَ عليها، فبعث عثمانُ بنُ عفان في أثرها، فوجدها قد رجمت[٣].

• **مالك**: عن **عبد الله بن أبي بكر**، عن أبيه، عن عمرة بنت عبد الرحمٰن: أنَّ سارقاً سرق في زمان عثمان أُترجّة، فأمر بها عثمان بن عفان أن تقوّم فقوّمت بثلاثة دراهم من صرف اثني عشر درهماً بدينار، فقطع عثمانُ يده[٤].

• **مالك**: عن عمّه **أبي سهيل بن مالك**، عن أبيه أنه سمع عثمان بن عفان وهو يخطب وهو يقول: لا تكلّفوا الأمةَ غيرَ ذات الصنعة الكسبَ، فإنّكم متى كلفتموها ذلك كسبت بفرجها، ولا تكلّفوا الصغيرَ الكسبَ، فإنّه إذا لم يجد سَرَقَ، وعفُّوا إذ أعفّكم الله، وعليكم من المطاعمِ بما طاب منها[٥].

ولقد راج كثير من سنن النبي ﷺ بين المسلمين لأجل عمله عليها.

---

(١) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٣٣٥). (٢) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٢٧٣٩).
(٣) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٤٥). (٤) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٠٧٦).
(٥) انظر: «موطأ مالك» برقم: (٣٥٩٥).

• في «**الرياض**»: عن عبد الرحمٰن بن يزيد قال: أفضتُ مع ابن مسعود من عرفة، فلمّا جاء مزدلفة صلّى المغرب والعشاء، كل واحد منهما بأذان وإقامة، وجعل بينهما العشاء ثم نام، فلمّا قال قائل: طلع الفجرُ صلى الفجرَ، ثم قال: إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنّ هاتين الصلاتينِ أُخّرتا عن وقتهما في هذا المكان**»، المغرب والعشاء، فإن الناس لا يأتون هاهنا حتى يعتموا، وأمّا الفجر فهذا الحينُ، ثم وقف فلمّا أسفر قال: إنْ أصابَ أمير المؤمنين السُّنَّة دفع، قال: فما فرغ عبدُ اللهِ حتّى دفع عثمانُ.

• وعن **أبي شريح الخزاعي** قال: كسفت الشمسُ في عهد عثمان بن عفان، وبالمدينة عبد الله بن مسعود، قال: فخرجَ عثمانُ، فصلى بالناس تلك الصلاة ركعتين، وسجد سجدتين في كلّ ركعة، قال: ثم انصرف ودخل داره، وجلس عبد الله إلى حجرة عائشة، وجلسنا إليه، فقال: إنّ رسول الله ﷺ كان يأمرُ بالصلاةِ عند كسوف الشمس والقمر، فإذا رأيتموه قد أصابهما فافزعوا إلى الصلاةِ، فإنّها إن كانت الذي تحذرون كانت وأنتم على غير غفلةٍ، وإن لم تكن كنتُم قد أصبتُم خيراً واكتسبتموه، خرّجهما **أحمد**[١].

❁ ❁ ❁

(١) انظر: «الرياض النضرة» (١/ ٢١٥).

المبحث الثالث

في ذكر فتوحات عثمان ذي النورين رضي الله عنه

أما الفتوح التي تمَّت في عهد عثمان ذي النورين رضي الله عنه فإنها على قسمين:

الأول: تجديدُ فتح بعض البلاد الذي نقضَ أهلُ البلدِ عهده بعد وفاةِ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحاولَ عثمانُ رضي الله عنه محاولةً بليغةً في فتحه مرة ثانية، كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه المرتدين عن الإسلام في أول عهد خلافته.

- فمن تلك البلاد همذان، إذ نقضَ أهلها العهد، ففتحت مرة ثانية على يد المغيرة بن شعبة.

وكذلك نقض أهل الري العهدَ، ففتحت على يد أبي موسى الأشعري والبراء بن عازب.

ولما رفع أهل الإسكندرية رايةَ الخلاف فنقصت رايتهم بسعي عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ولما غدر أهل أذربيجان ضيّق عليهم الوليد بن عقبة الخناق، واضطرهم على الصلح، وكذلك فتحت بعض البلاد المجاورة لأذربيجان، كما أرسل عثمان رضي الله عنه الوليد بن عقبة وسلمان بن ربيعة إلى أرمينية، فرجعا منها بأموال كثيرة وغنائم لا تحصى.

وأرسل عثمان بن أبي العاص إلى بلاد كازرّون ونواحيها، ففتحها صلحاً.

وأرسل عثمانَ بن أبي العاص من هنا هرم بن حبان إلى «دزسفيد» ففتحها رغم تدبّر أهلها ودهائهم.

الثاني: البلاد التي تمَّ فتحها في عهد خلافة عثمان رضي الله عنه.

• فمنها: **فتح إفريقية**، على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وقد ولّاه عثمان رضي الله عنه الإمارة على بلاد مصر لفتح إفريقية، وأعطاه خمسَ الخمسِ للغنائم التي حصلت بجهوده الجبارة، وكان جرجير حاكمُ إفريقية في ذلك الوقت من قبل قيصر الروم، وكانت له إمارةٌ على بلاد طرابلس وطنجة، فلما جن جنونه، وتصدى لقتال المسلمين، أعدَّ لذلك عدَّة عظيمةً، وجمع مائة وعشرين ألف فارس.

ولما بلغ إلى عثمان أميرُ المؤمنين كثرةَ جيش العدو أرسل لإمداد عبد الله بن سعد جيشاً عظيماً، فيهم كبارُ الصحابة من أمثال عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وقد أعدَّ عبد الله بن سعد أيضاً جنداً كثيفاً من المجاهدين في مصر، فتقدّموا كلّهم إلى إفريقية، ودارت رحى الحرب أربعين يوماً، وكانوا كلهم يقاتلون من الصباح إلى نصف النهار، ثم يعودون إلى معسكرهم.

ولمّا رأى عثمان رضي الله عنه أنَّ ميدان القتال يبعد عن بلاد المسلمين، أرسل عبد الله بن الزبير مع جيش عظيم لإمداد المسلمين، وبلغ هؤلاء بسرعة مدهشة إلى ميدان القتال، وقد مضى على الحرب أربعون يوماً، فكبَّر المسلمون بقدومهم، وتهللت وجوههم بشراً، وسأل عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن سعد حين لم يره في جند من المسلمين، فقالوا: إنّ جرجير قد أعلن بمائة ألف دينار من ذهب، وتزويج ابنته لمن جاء برأس عبد الله بن سعد، ولذلك اختفى عن أعين الناس، فأشار عليه عبد الله بن الزبير أن يعلنَ هو أيضاً بمثل ذلك لمن يأتي برأس جرجير، فأعلن بذلك، وقد أدّى ذلك إلى أن تزلزلت أقدامُ جرجير في ساحة القتال، فكان جرجيرُ حين سمع هذا الإعلان يقاتِلُ من وراء الجنود، وكان ينزل بعيداً عن ساحة القتال.

ثم إنّ ابن أبي سرح أعدّ جنداً عظيماً، وهيأ له أسباب الحرب والقتال بمشورة ابن الزبير، وأمره بالإقامة في الخيام، واستمرَّ هو في القتال بكل جد واجتهاد، ولم يمسك عن القتال في حَرِّ الظهيرة، كي لا يرجع الأعداء إلى خيامهم، حتى إذا بلغ الإعياءُ مبلغه، وتعب الفريقان كل التعب، رجع ابن أبي سرح في المساء، وفي ذلك الحين خرج الجندُ الذي كان أعدّه ابن أبي سرح من خيامه، ووقع على أعدائه مثل الصقور على غفلة منهم، فانهزموا شرّ هزيمة، وقُتل جرجير بيد عبد الله بن الزبير، ثم نزل جند الإسلام على بلدة «شبيطلة» التي كانت عاصمة بلاد إفريقية، وفتحها في وقت قليل وخضع أهلها للمسلمين وصالحوهم.

يقولون: كان نصيبُ الرّاجل في هذه الغزوة من الغنائم ألف دينار، وسهم الفارس ثلاثة آلاف دينار، ومنح عبدُ الله بن سعد بن أبي سرح عبدَ الله بن الزبير مالاً كثيراً وبنتَ جرجير وفق وعده، وسميت هذه الحرب بـ«حرب العبادلة»، فإنّه كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أميراً على قلب الجنود، وعبد الله بن عمر على ميمنتها، وعبد الله بن الزبير على ميسرتها، وعبد الله بن عباس على مقدمتها.

وبعد فتح إفريقية بعث ابن أبي سرح عبد الله بن نافع بن حصين وعبد الله بن نافع بن عبد القيس إلى المغرب، ودارت الحرب هناك، وبعد قتال شديد انهزم المشركون، فكان عبد الله بن نافع بن الحصين ولّاه أمير المؤمنين الإمارة على الأندلس، وهكذا دخل الإسلام في المغرب.

- **ومنها**: فتح جزيرة قبرس وما حولها:

طلب معاويةُ بن أبي سفيان من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ركوبَ البحر، والهجوم عن طريقه على ما يقعُ من القرى والأمصار حوله، فإنّه

لا يمكن القتالُ معهم إلّا عن طريق البحر، وقد كان معاوية رضي الله عنه قد طلب ذلك من عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عهده، ولكنّه لم يجبه إلى ذلك لهول ركوب البحر، وعدم المعرفة بتفاصيل الجنود التي كانت عليه، وأيضاً كانت قوةُ قيصر باقيةً لم تذهب هيبتها، ولكنّ عثمان رضي الله عنه قد وافق على ذلك وكتب إليه: أنْ لا يجبِرَ الناسَ على ذلك، ويختار منهم من شاء بنفسه، ولا يأخذ منهم بالاقتراع، بل يخيّرهم، مَنْ شاء يخرجُ معكم.

فأعدّ معاوية بن أبي سفيان جنداً عظيماً بعد الموافقة، وتوجّه إلى البلاد التي كانت تقع حول البحر، وكان أبو ذر الغفاري وعبادة بن الصامت وزوجه أم حرام وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم في الجيش، وأوّل ما أصاب المسلمون من بركة ركوب البحر أنّهم رأوا سفناً مملوءة بالهدايا والتحف إلى حاكم جزيرة قبرس من قسطنطين بن هرقل فقبضوا عليها.

الحاصل: حمل المسلمون خمسينَ حملة في البحر والبر، وتقدّموا وزحفوا وأصابوا سبايا كثيرة، حتى تمّت المصالحة بينهم وبين المسلمين في هذه الجزيرة على مال عظيم يؤدونه إلى المسلمين كلَّ عام، ثم فتحوا جزيرة رودس، ولم يكن ما أصابَ المسلمون في هذه الجزيرة من الغنائم والسبايا أقل مما أصابوه في جزيرة قبرس، ورجع المسلمون بكثير من الغنائم والسبي، وبعثوا بالخمس إلى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، فعلم من ذلك أنّ عثمان رضي الله عنه لم يأذن بركوب البحر إلا لأجل أنه كان من مرضاة الله سبحانه وتعالى.

• أخرج **البخاري**، عَنْ **أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه قَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ حَرَامٍ أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ يَوْماً فِي بَيْتِهَا، فَاسْتَيْقَظَ وَهْوَ يَضْحَكُ، قلتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يُضْحِكُكَ قَالَ: «**عَجِبْتُ مِنْ قَوْمٍ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ،**

كَالْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «**أَنْتِ منهُمْ**»، ثُمَّ نَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَهوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثاً، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَيَقُولُ: «**أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ**»، فَتَزَوَّجَ بِهَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَخَرَجَ بِهَا إِلَى الْغَزْوِ، فَلَمَّا رَجَعَتْ قُرِّبَتْ دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا، فَوَقَعَتْ فَانْدَقَّتْ عُنُقُهَا[١].

• وأخرج **البخاري** أيضاً: عن **عُمَيْرَ بْنَ الأَسْوَدِ الْعَنْسِي**، حَدَّثَهُ أَنَّهُ أَتَى عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ وَهوَ نَازِلٌ فِي سَاحِلِ حِمْصَ، وَهوَ فِي بِنَاءٍ لَهُ، وَمَعَهُ أُمُّ حَرَامٍ، قَالَ عُمَيْرٌ: فَحَدَّثَتْنَا أُمُّ حَرَامٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا**»، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: «**أَنْتِ فِيهِمْ**»، ثُمَّ قَالَ النَّبِي ﷺ: «**أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ**»، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا**»[٢].

• **ومنها: فتح فارس وخراسان،** على يد عبد الله بن عامر بن كُريز:

لمّا اشتكى أهلُ البصرة أبا موسى الأشعري رضي الله عنه عزله أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وأمّر عبد الله بن عامر مكانه، ثم بلغ أمير المؤمنين أنَّ أهل فارس نقضوا العهد، وقتلوا أميرهم عبيد الله بن عامر، واجتمعوا في اصطخر في جمع عظيم، واتخذوها معسكراً لهم.

فكتب إلى عبد الله بن عامر أن يرحل إلى فارس مع جيش البصرة وعمان، فلما اجتمع هؤلاء في حدود اصطخر اقتتلوا قتالاً شديداً، وكان على ميمنة عسكر الإسلام أبو بَرْزَةَ الأسلمي، وعلى الميسرة مَعْقِلِ بن

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٢٨٩٤). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٢٩٢٤).

يسار، وكان عمران بن حصين على ركاب الخيل، وكان هؤلاء الثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وبعد قتالٍ شديدٍ انتصر المسلمون، وفتحوا قلعة اصطخر، وهرب جندُ فارس، ثم رحل عبد الله بن عامر مع قوة وهيبة ووقار إلى دراب جرد إذ كان نَقَضَ أهلُها العهدَ، وفتحها بدون مشقة.

ثم توجّه إلى مدينة «جور» التي قال عنها بعض المؤرِّخين: إنها مدينة فيروزآباد شيراز، وقال بعضُهم: إنّها من أعمال كرمان، وفتحها بعد قتال.

ثم عاد إلى اصطخر، فإنّ أهلها نقضوا العهد مرة ثانية، فحاصرها ونصب المنجنيق، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وفتحها المسلمون عنوةً، وقُتل كثير من رؤساء فارس، وخضع أهلُها أمامَ المسلمين طائعين أو مكرهين، وبعث المسلمون بخبر الفتوحات والخُمْسِ إلى دار الخلافة.

ثم استأذن عبد الله بن عامر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بعد مدة لغزوة خراسان فنوَّه بعزمه، فأعدّ لذلك جنداً عظيماً، ورحل إلى خراسان عن طريق كرمان، وبعثَ مجاشع بن مسعود وغيره إلى الذين نقضوا العهد كي يحاصروهم إلى أن يتمّ الفتح، وتوجّه إلى خراسان، وكان الأحنف بن قيس على مقدّمة هذا الجيش، ورحل إلى قهستان، وقاتل أهلها قتالاً شديداً، إلى أن اضطرهم إلى اللجوء في الجبال والقلاع، ثم إنّهم صالحوا المسلمين على ست مائة ألف درهم.

وبعث إلى نواحي خراسان مثل جوين وبيهق وباخرز وإسفرايين ونَسا وأبيورد جيوشَ المسلمين، ففتحوا بعضَها عنوةً، وبعضها صلحاً.

وفي ذلك الحين صالح حاكم طوس عبد الله بن عامر على ست مائة

ألف درهم، ثم هجم على نيسافور وطال حصارها، حتى دلَّ حاكم طوس على مجرى الماء في النهر الذي كان تحته، فسدّه عبد الله بن عامر، فلقي أهلُها قلقاً واضطراباً، حتى اضطروا إلى الصلح على ألف ألف درهم، وقال بعض المؤرِّخين: فتحها المسلمون عنوةً، وأقام المسلمون هنالك مدة طويلة.

وبعث عبد الله بن عامر جنداً إلى سرخس، فقاتل أهلُها قتالاً شديداً، حتى صالحوهم على تأمين مائة رجل منهم، وعدّ حاكم سرخس نفسه منهم، فإنّه هو الأحرى بالأمن، ولكن المسلمين لم يقبلوا هذا الدليل إذ كان مائة رجل منهم مخصوصين سواه من قبل، فقتلوه، وبعث جنداً إلى هراة، واجتهد حاكمُها في الصلح قبل أن يصل جندُ المسلمين، فعاهد المسلمين على مال كثير من قِبَل هراة ونواحيها، ثم قبل حاكم مرو مالاً يؤدونه إلى المسلمين، ثم بعث الأحنفَ بن قيس إلى جرجان وطالقان وفارياب ففتحها، وتوجّه إلى بلخ، فصالح أهلها، وعاد عبد الله بن عامر مع الأموال والغنائم الكثيرة.

• **ومنها**: غزوة قسطنطين عن طريق البحر، فإنه لما فتح المسلمون إفريقية، وغلبوا على المدن التي كانت تقع حول البحر أخذت قسطنطين الغيرة، وجاش جيشَ المرجل، فهيّأ جنداً كثيفاً، وأراد أن يعبر البحرَ، فتوجّه معاويةُ من الشام وعبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر لمطاردته، والتقى الجمعان في البحر، وأخذوا في الضرب بالسيوف، وأخذ الجيوب، وشق الحناجر، واقتتلوا قتالاً شديداً، وقُتِل كثير من جند الروم، فهرب قسطنطين، وظهر اختلافه مع قومه، فاشتغل به حتّى راح إلى موعده من عذاب جهنم، وتحقّق وعد الله ورسوله: «**إذا هلكَ قيصرُ فلا قيصرَ بعده**»، والحمد لله رب العالمين.

❁ [مرسومه السياسي وتعامله مع الرعية]:

أما القيام بأمور الخلافة ومهام الحكم فكان عثمان رضي الله عنه موفَّقاً في ذلك كلَّ التوفيق، ويعرفُ كلُّ من طالع كتبَ التاريخ والسير أنه كان يدير أمورَ حكومته على أحسن وجه، اللَّهُمَّ إلّا بعضَ النقمات التي كانوا ينقمون منه في أيام البلوى والفتنة العظيمة، إذ كانوا يوجهون إليه الشكاوي ويطلقون عليه الألسنة، ولذلك نريدُ أن نفصّل الكلام في ذلك حتّى يزولَ الخفاء، وينكشفَ الغطاء عن هذا الأمر، فإنه قد بقي خافياً عن أعين الناس.

• أخرج **أبو عمر** في «الاستيعاب»: عن **مبارك بن فضالة** قال: سمعتُ الحسن يقول: سمعتُ عثمانَ يخطب، وهو يقول: يا أيها الناس، ما تنقمون عليَّ، وما مِنْ يومٍ إلّا وأنتم تقسمون فيه خيراً.

قال **الحسن**: وشهدت منادياً ينادي: يا أيها الناس اغدوا على أعطياتكم، فيغدون ويأخذونها وافية، يا أيها الناس اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافية، حتى واللهِ سمعتْهُ أذناي يقول: اغدوا على كسواتكم فيأخذون الحُلَل، واغدوا على السَّمْن والعسل، قال الحسن: أرزاق دارّةٌ، وخيرٌ كثيرٌ، وذات بين حسن، ما على الأرض مؤمنٌ يخافُ مؤمناً إلا يودّه وينصره ويألفه، فلو صبرَ الأنصارُ على الأثرة لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق، ولكنّهم لم يصبروا، وسلوا السيفَ مع مَنْ سل، فصار عن الكفار مغمداً، وعلى المسلمين مسلولاً إلى يوم القيامة[1].

• وإنّ أول قضيةٍ نشبت في أوائل خلافة عثمان رضي الله عنه أنَّ عبيد الله بن عمر قتلَ جماعةً ممن كان إسلامُهم ضعيفاً من أمثال الهرمزان، وجماعة

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٠).

من النصارى من أمثال جُفينة، ظنّاً منه بأنّهم اشتركوا في قتل عمر بن الخطاب ﷺ، ورفعت هذه القضية إلى عثمان في بداية خلافته، واختلفت الآراءُ في ذلك، وعمَّ الاضطرابُ، فأدّى عثمان ﷺ مبلغاً عظيماً من خالصِ ماله إلى أولياء المقتولين، ودفع هذه القضية الشائكة التي كانت أحدثت خلافاً بين المسلمين، وليس هناك حلٌّ أفضل من ذلك عقلاً ودرايةً.

• ولما أراد عثمان ﷺ فتح إفريقية، واستولت عليه هذه الإرادة، عزل عمرَو بن العاص، وأمّر عبد الله بن سعد بن أبي سرح على مصر، ومنحه خُمْسَ خُمْسِ الفيء الذي أصابه بجهده وجهاده، فاعترض عليه المعترضون، ونازعوه فيه، مع أنه لم يرد بذلك إلا الخير الكثير والنفع العظيم، إذ إنّه لم يتمّ فتح إفريقية إلا بجهد بالغ وسعي عظيم بذله عبد الله بن سعد بن أبي سرح.

وقس على ذلك عزل أبي موسى الأشعري، واستعمال عبد الله بن عامر على البصرة، إذ أدّى ذلك إلى فتح خراسان.

• ولما نجمَ الاختلافُ بعد وفاة عبد الرحمٰن بن عوف في قضية الكنز وجمع الأموال، نهى عثمان ﷺ أبا ذر ﷺ عن خرق إجماع المسلمين، وطلبه من الشام إلى المدينة المنورة حين تصاعد هذا الخلافُ، وتفاقمَ الأمرُ.

ولمّا رأى عثمان ﷺ أن ذلك لا يجدي نفعاً، أجلاه إلى الربذة، وليس في هذا الأمر ما لا يليقُ بشأنه، فإنَّ القضية الإجماعية هي ما تمسّك به عثمان ﷺ، إذ إنَّ الأمر الذي يؤدي إلى خرق القواعد المقررة في الدين، لا يستبعد فيه الإجلاء.

• عن أبي ذر أنّه جاء يستأذنُ على عثمان بن عفان ﷺ، فأذن

له وبيده عصاه، فقال عثمان رضي الله عنه: يا كعب! إنّ عبد الرحمٰن توفى وترك مالاً فما ترى فيه، فقال: إن كان يصلُ فيه حقَّ الله فلا بأسَ عليه، فرفع أبو ذر عصاه فضربَ كعباً وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما أحبُّ لو أنَّ لي هذا الجبلَ ذهباً أُنفْقُه ويتقبّل مني أذر خلفي منه سِتَّ أواقٍ**»، أنشدك الله يا عثمانُ! أسمعتَه ثلاث مرات؟ قال: نعم، رواه **أحمد**[١].

• وأخرج **البخاري** عن **زيد بن وهب** قال: مررتُ بالربذة، فإذا أنا بأبي ذر رضي الله عنه فقلتُ له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنتُ بالشام، فاختلفتُ أنا ومعاويةُ في الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان رضي الله عنه يشكوني، فكتب إليَّ عثمانُ أن أقدم المدينة، فقدمتها فكثر عليّ الناسُ حتّى كأنّهم لم يروني قبل ذلك، فذكرتُ ذاك لعثمان فقال لي: إن شئتَ تنحيتَ فكنت قريباً، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمّروا عليَّ حبشياً لسمعتُ وأطعتُ[٢].

• وأخرج **البخاري** عن **الأحنف بن قيس** قال: جلستُ إلى ملإٍ من قريش، فجاء رجلٌ خشنُ الشعر والثيابِ والهيئةِ، حتى قام عليهم، فسلّم ثم قال: بشّر الكانزينَ برضفٍ يحمى عليه في نارِ جهنّم، ثم يوضع على حُلمةِ ثدي أحدِهم حتى يخرجَ من نغْضِ كتفِهِ، ويوضعُ على نغض كتفه حتى يخرجَ من حُلمةِ ثديه يتزلزلُ.

ثم ولّى فجلسَ إلى سارية، وتبعته وجلستُ إليه، وأنا لا أدري مَنْ هو؟ فقلت له: لا أرى القومَ إلا قد كرهوا الذي قلتَ.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٥٣).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (١٤٠٦).

قال: إنّهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي ـ قلتُ: من خليلُك تعني؟ قال: النبيُّ ﷺ ـ: «**يا أبا ذر! أتبصِرُ أُحُداً**»، قال: فنظرتُ إلى الشمس ما بقي من النهار وأنا أُرى أنّ رسولُ اللهِ ﷺ يرسلني في حاجةٍ له، قلتُ: نعم، قال: «**ما أحبُّ أنّ لي مِثْلَ أُحدٍ ذهباً أنفقُه كلّه إلا ثلاثةَ دنانيرَ**»، وإنَّ هؤلاءِ لا يعقلون، إنّما يجمعونَ الدُّنيا، [قلت: ما لك ولإخوتك من قريش لا تعتريهم وتصيب منهم، قال:](١) لا واللهِ لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دينٍ حتّى ألقى الله(٢).

• **ومن حُسنِ سياسة الملّة أنّه زاد أذاناً ثالثاً ليوم الجمعة:**

• أخرج **البيهقي** عن **السائب بن يزيد**: أنّ الأذان كان أول الجمعة حين يجلسُ الإمام على المنبر في عهد رسول الله ﷺ وعهد أبي بكر وعمر، فلمّا كان خلافة عثمان رضي الله عنه، وكثر الناسُ، أمر بالأذان الثالث، فأذّن به على الزوراء، فثبتَ الأمرُ على ذلك(٣).

• **ومنها**: أنّه أمر بتوسعة المسجد الحرام، واشترى لذلك بيوتاً، وضمَّها إليه، ونازعه في ذلك جماعةٌ فحبسهم.

يقول العبد الفقير إلى رحمة الله: إنّ تلك الجماعة قد كانت عقدت بيعِ بيوتهم، وكان البيعُ قد تمَّ على يد عثمان رضي الله عنه، ولكنّهم حين رأوا زيادةَ رغبةِ الخليفةِ إليها أنكروا بيعَها رغبةً في ازدياد ثمنها، فحبسهم عثمانُ رضي الله عنه، فإنَّ البيع كان قد تمَّ، إذ لا يُتصوّر أنَّ عثمان رضي الله عنه قد

---

(١) هذه الفقرة لم ترد في «صحيح البخاري»، بل وردت في «صحيح مسلم» (ح: ١٦٥٦).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (١٤٠٨).

(٣) «سنن البيهقي الكبرى» (٣/ ٢٠٥) برقم: (٥٥٣٥).

أخذها منهم سلباً وظلماً، وإلّا لم يكن لهم أن يرضوا به، والله أعلم بالصواب.

• ثم أمر ببناء معالم الحرم من جديد، واتخاذ «جدّة» ميناءَ البحر.

• **ومنها: أنّه جمع الأمةَ على مصحفٍ واحدٍ، وهو مصحف عمر رضي الله عنه، وكان ذا همةٍ عاليةٍ في ذلك:**

• روي عن حماد بن سلمة أنّه كان يقول: كان عثمانُ أفضلَهم يوم ولّوه، وكان يوم قتلوه أفضلَ منه يوم ولّوه، وكان في المصحفِ كأبي بكر في الردّةِ.

• **ومنها: أنه قام بتوسعة المسجد النبوي في المدينة المنورة وترصيص بنيانه:**

• أخرج **البخاري** عن **عبد الله بن عمر** رضي الله عنهما أنّ المسجدَ كان على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن، وسقفه الجريد، وعمُدُه خشبُ النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيّره عثمانُ، فزاد فيه زيادةً كثيرةً، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصَّة، وجعل عمده من حجارةٍ منقوشةٍ، وسقّفه بالساج[(١)].

•وأخرج **البخاري** عن **عبيد الله الخولاني**: أنّه سمع عثمان بن عفان يقول عند قول الناس فيه حين بنى مسجدَ الرسول ﷺ: إنّكم أكثرتم، وإني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**مَنْ بنى مسجداً** ـ (قال بكير: حسبت أنه قال) ـ **يبتغي به وَجْهَ اللهِ بنى الله له مثله في الجَنّةِ**»[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٤٤٦).

(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٥٠).

[نشوب البلوى والفتن واعتراضات مخالفيه]

أمّا بيان البلوى والفتن التي نشأت في زمانه واعتراضات مخالفيه، والردّ عليها، وإظهار قبح ما ارتكبه الفاسقون الفاجرون في شأنه، فذاك يُبنى على مقدمة، وهي:

❁ [قد أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ عثمانَ يدورُ مع الحقِّ حيثُ دار]:

إنّ رسولَ اللهِ ﷺ قد بيّن في أحاديثه المشهورة التي رواها رجال عن رجال: أنّ الاختلاف سيحدثُ بمقتضى الحكمة الربانية في أمر عثمان ذي النورين رضي الله عنه، وأنَّ الناسَ سيقتلونه وهو على الحقِّ، ومخالفوه على الباطل، وقد أوضحَ النبيُّ ﷺ هذا الأمرَ بكل وضوحٍ تتمّ به الحجة، ولا يبقى بعده عذرُ الجهلِ بأمر الله لأحدٍ من المخالفين، فلو وقع من الفتنة شيءٌ في زمانه لما نقص ذلك من مرتبته، وعلى المخالفين دائرة السوء.

• فمن حديث **أبي موسى** في «**الصحيحين**»: أنَّ النبيَّ ﷺ قال في المرة الثالثة لعثمان: «**افتح له، وبشرّه بالجنة على بلوى تصيبه**»(١).

• ومن حديث **أبي هريرة وابن عباس** في رؤيا رجل رأى فيها ظلة تنطفُ سمناً وعسلاً وسبباً واصلاً من السماء إلى الأرض، فأخذ به النبيُّ ﷺ وعلا، ثم رجلٌ آخر، ثم رجلٌ آخر، ثم آخر، ثم انقطع بالثالثِ، ثم وُصِلَ له فَعَبَرَه الصدِّيقُ بما يدل على ابتلاء الثالث(٢).

• ومن حديث **ابن عمر** قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فقال: «**يُقْتَلُ فيها هذا مظلوماً**» لعثمان، أخرجه **الترمذي**(٣).

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٣). (٢) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٩٣).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٨).

• ومن حديث **عائشة**: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا عثمانُ! إنّه لعلَّ اللهَ يقمّصُكَ قميصاً، فإنْ أرادوكَ على خَلْعِهِ فلا تَخْلَعْهُ لهم**»، أخرجه **الترمذي**[١].

• ومن حديث **مرة بن كعب** حين قام خطيباً: فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ ما قمتُ، وذكر الفتن فقرّبها، فمرَّ رجلٌ مقنّعٌ في ثوبٍ، فقال: «**هذا يومئذٍ على الهُدَىٰ**»، فقمتُ إليه فإذا هو عثمان بن عفان، قال: فأقبلتُ عليه بوجهه فقلتُ: هذا؟ قال: «**نعم**»، أخرجه **الترمذي**[٢]، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

• ومن **حديث جابر** قال: أُتِي رسولُ اللهِ ﷺ بجنازةِ رجلٍ ليصلّي عليه، فلم يصلِّ عليه، فقيل: يا رسول الله! ما رأيناك تركتَ الصلاةَ على أحدٍ قبلَ هذا؟ قال: «**إنّه كان يبغضُ عثمانَ فأبغضه الله**»، أخرجه **الترمذي**[٣].

• ومن حديث عثمان يوم الدار: إنّ رسول الله ﷺ قد عَهِدَ إليّ عهداً فأنا صابرٌ عليه[٤].

• ومن حديث **كعب بن عُجْرة** قال: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقرّبها، فمرّ رجلٌ مقنّعٌ رأسُه، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا يومئذٍ على الهُدى**»، فوثبتُ، فأخذتُ بضبعي عثمان، ثم استقبلتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلت: هذا؟ قال: «**هذا**»، أخرجه **ابن ماجه**[٥].

• وفي «**الرياض**»: عن **أبي حبيبة** قال: سمعتُ **أبا هريرة**، وعثمانُ محصورٌ، استأذن في الكلام فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إنّها**

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٥).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٤).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٩).
(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١١).
(٥) «سنن ابن ماجه» برقم: (١١١).

تكونُ فتنةٌ واختلافٌ أو اختلافٌ وفتنةٌ»، قلنا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأمين وأصحابِهِ**»، وأشارَ إلى عثمان بن عفان[١].

• وفي «**الرياض**»[٢]: عن **كعب** قال: والذي نفسي بيده إنّ في كتاب الله المنزل على محمّد ﷺ: أبو بكر الصدّيق، عمر الفاروق، عثمان الأمين، فاللهَ اللهَ يا معاويةُ في أمر هذه الأمة. ثم نادى الثانية: إنّ في كتاب الله المنزل، ثم أعادَ الثالثة.

• وفي «**الرياض**»: عن **أبي قلابة** قال: كنتُ في رفقةٍ بالشام إذ سمعتُ صوتَ رجلٍ يقول: يا ويلاه النار! قال: فقمتُ إليه، وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين من الحقوين، أعمى العينين، منكباً لوجهه، فسألتُه عن حاله، فقال: إنِّي قد كنتُ ممّن دخلَ على عثمانَ الدار، فلما دنوتُ منه صرختْ زوجتُه فلطمتُها، فقال: ما لكَ قطعَ اللهُ يديك ورجليك، وأعمى عينيك، وأدخلك النار، فأخذتني رِعْدةٌ عظيمةٌ، وخرجت هارباً، فأصابني ما ترى، ولم يبق من دعائه إلا النار، قال: فقلت له: بعداً لك وسُحقاً[٣].

• وفي «**الرياض**»: عن **علي بن زيد** بن جدعان قال: قال لي سعيد بن المسيب: انظر إلى وجه هذا الرجل، فنظرتُ فإذا هو مسوّد الوجه، فقلت: حسبي الله، قال: إنّ هذا كان يسبُّ علياً وعثمان، فكنت أنهاه فلا ينتهي، فقلت: اللَّهُمَّ إنَّ هذا يسبُّ رجلينِ قد سبقَ لهما ما تعلمُ، اللَّهُمَّ إن كان يسخِطُكَ ما يقولُ فيهما فأرني فيه آيةً، فاسودّ وجهه كما ترى[٤].

• وعن **كثير بن الصلت** قال: أغفى عثمانُ بنُ عفان في اليوم الذي

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٣).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٣).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٤).
(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٢١٧).

قُتِلَ فيه، فاستيقظَ فقال: لولا أن يقولَ الناسُ: تمنّى عثمان الفتنةَ لحدثتكم، قال: قلنا: أصلحك الله فحدّثنا، فلسنا نقولُ ما يقولُ الناسُ فقال: إنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ في منامي هذا فقال: «**إنّكَ شاهدٌ معنا الجمعةَ**» أخرجه **الحاكم**(١).

• ومن حديث **عبد الله بن حوالة الأسدي** عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ نجا من ثلاث فقد نجا**»، قالوا: ماذا يا رسول الله! قال: «**موتي، وقتل خليفة مصطبرٍ بالحقِّ بعطبه، ومن الدّجَالِ**»، أخرجه **الحاكم**(٢) وصححه.

• وعن **ابن عمر** ﷺ أنّ عثمان أصبَح فحدّث فقال: إنِّي رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام الليلةَ فقال: «**يا عثمانُ! أفطر عندنا**»، فأصبحَ عثمانُ صائماً، فقتل من يومه رضي الله تعالى عنه، أخرجه **الحاكم**(٣).

• وعن **ابن عباس** ﷺ قال: كنتُ قاعداً عند النبيِّ ﷺ إذا أقبل عثمانُ بنُ عفان ﷺ، فلمّا دنا منه قال: «**يا عثمانُ تقتل وأنتَ تقرأُ سورة البقرة، فتقعُ مِنْ دمك على** ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ **وتُبْعَثُ يومَ القيامة أميراً على كلِّ مخذول، يَغْبِطُكَ أهلُ المشرق والمغربِ، وتشفَعُ في عددِ ربيعةَ ومضر**»(٤)، أخرجه **الحاكم**.

• وعن النعمان بن بشير عن **عائشة** قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا عثمانُ! إن ولّاك اللهَ هذا الأمرَ يوماً، فأرادك المنافقون أن تخلعَ قميصَكَ الذي قمّصك الله فلا تخلعْهُ**»، يقول ذلك ثلاث مرات، قال النعمان: فقلتُ لعائشة: ما منعك أن تُعْلِمي الناسَ بهذا؟ قالت: أُنسيتُه

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٦) برقم: (٤٥٤٢).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٠٨) برقم: (٤٥٤٨).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٠) برقم: (٤٥٥٤).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٠) برقم: (٤٥٥٥).

واللهِ، أخرجه **ابن ماجه**(١).

• وعن قيس بن أبي حازم عن **عائشة** قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «**وددتُ أنّ عندي بعضَ أصحابي**»، قلنا: يا رسول الله ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكتَ، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكتَ، قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «**نعم**»، فجاء فخلا به، فجعل النبيُّ ﷺ يكلّمه، ووجه عثمان يتغيَّر، قال قيسٌ: فحدّثني أبو سهلة مولى عثمان أنَّ عثمان بن عفان قال يومَ الدار: إنَّ رسول الله ﷺ عهد إليَّ عهداً، فأنا صائرٌ إليه، وقال علي في حديثه: وأنا صابرٌ عليه، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم، أخرجه **ابن ماجه**(٢).

وفي «**الاستيعاب**»: قصَّ زرارة بن عمرو النخعي على رسول الله ﷺ رؤياه، فكان فيما قصَّ أنْ قالَ: رأيتُ ناراً خرجت من الأرض، فحالت بيني وبين ابن لي، فقال النبيُّ ﷺ: «**وأمّا النارُ فإنّها فتنةٌ تكونُ بعدي**»، قال: وما الفتنةُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**يَقْتُلُ الناسُ إمامَهم ويشتجرون اشتجارَ أطباقَ الرأس**، وخالف بين أصابعه، **دمُ المؤمن عندَ المؤمنِ أحلى من العَسَلِ، يحسب المسيءُ أنّه مُحْسِنٌ، إن مت أدركَتْ ابنك، وإن مات ابنك أدركَتْكَ**»، قال: فادعُ الله ألّا تدركني، فدعا له(٣).

• **والآن نوردُ لكم أقوال كبار الصحابة ﷺ التي وردت تطبيقاً لحديثِ خير الأنام عليه الصلاة والسلام حتّى لا تبقى شبهةٌ في ذلك:**

• فمن أقوال الإمام المرتضى علي بن أبي طالب ﷺ ما أخرج

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١/ ٤١) برقم: (١١٢).
(٢) «سنن ابن ماجه» (١/ ٤٢) برقم: (١١٣).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ١٥٣).

الحاكم من طريق الحسن عن قيس بن عباد قال: شهدتُ علياً رضي الله عنه يوم الجمل يقول كذا:

اللَّهُمَّ إني أبرأَ إليكَ من دمِ عثمان، ولقد طاشَ عقلي يومَ قُتِلَ عثمان، وأنكرتُ نفسي، وأرادوني على البيعةِ فقلتُ: والله إنِّي لأستحيي من اللهِ أن أبايعَ قوماً قتلوا رجلاً قال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أستحيي ممّن تستحي منه الملائكةُ**»، وإنِّي لأستحيي مِنَ الله أن أبايَعَ وعثمانُ قتيلٌ على الأرضِ لم يدفنْ بعدُ، فانصرفوا.

فلمّا دُفِنَ رجعَ الناسُ إليَّ، فسألوني البيعةَ فقلتُ: اللَّهُمَّ إنِّي مشفِقٌ ممّا أقدم عليه، ثم جاءت عزيمةٌ فبايعت، فلقد قالوا: يا أميرَ المؤمنين! فكأنّما صدع قلبي فقلت: اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لعثمانَ حتّى ترضى[1].

• ومن طريق الحاطبي عبد الرحمٰن بن محمد عن أبيه في قصة طويلة، قال **محمد بن حاطب**: فقمتُ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين إنا قادمون المدينةَ، والناسُ سائلونا عن عثمان، فماذا تقول فيه؟

قال: فتكلّم عمّارُ بنُ ياسر ومحمّد بن أبي بكر فقالا وقالا فقال لهما علي: يا عمّار ويا محمّد تقولان إنّ عثمان استأثر وأساء الإمرة وعاقبتم والله فأسأتم العقوبةَ، وستقدمون على حَكَمٍ عدلٍ يحكُم بينكم.

ثم قال: يا محمّد بن حاطب إذا قدمتَ المدينة وسُئِلْتَ عن عثمان فقل[2]: كان واللهِ ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ﴿ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

• ومِن حديث هارون بن عنترة عن **أبيه** قال: رأيتُ علياً رضي الله عنه

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١١) برقم: (٤٥٥٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١١) برقم: (٤٥٥٧).

بالخَوَرْنق وهو على سريره، وعنده أبان بن عثمان فقال: إنِّي لأرجو أن أكونَ أنا وأبوك من الذين قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾(١) [الحجر: ٤٧].

• ومن طريق **حصين الحارثي** قال: جاء عليُّ بن أبي طالب إلى زيد بن أرقم ﵄ يعودُه، وعنده قومٌ؛ فقال علي: اسكنوا أو اسكتوا فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتكم، فقال زيد: أنشدك الله أنت قتلت عثمان؟

فأطرق عليٌّ ساعةً ثم قال: والذي فلقَ الحبّةَ وبرأ النسمةَ، ما قتلته ولا أمرتُ بقتله(٢).

• ومن أقوال السيد المجتبى الحسن بن علي ما أخرجه **أبو يعلى** أنه قام خطيباً فقال: أيها الناس رأيتُ البارحةَ في منامي عجباً! رأيتُ الربَّ تعالى فوقَ عرشه، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ حتّى قام عند قائمةٍ من قوائم العرش، فجاء أبو بكر فوضع يده على منكبِ رسولِ اللهِ، ثم جاء عمرُ فوضعَ يده على منكب أبي بكر، ثم جاء عثمانُ فكان بيده رأسُه فقال: ربِّ سَلْ عبادَك فيم قتلوني؟ قال: فانثعبَ مِنَ السماءِ ميزابان من دمٍ في الأرضِ قال: فقيل لعلي: ألا ترى ما يحدِّثُ به الحسن؟ قال: يحدث بما رأى(٣).

• وأخرج الحاكمُ عن **قتادة** قال: رأيتُ الحسنَ بنَ علي ﵄ خرجَ من دار عثمان جريحاً(٤).

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٣) برقم: (٤٥٦٣).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٤) برقم: (٤٥٦٧).
(٣) «مسند أبي يعلى» (١٢/ ١٣٧) برقم: (٦٧٦٧).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٤) برقم: (٤٥٦٧).

• **ومن أقوال أحد العشرة المبشرة سعيد بن زيد:**

عن قيس قال: سمعتُ سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في مسجدِ الكوفة يقول: واللهِ لقد رأيتَني وإنّ عمر لموثقي على الإسلام قبل أن يسلمَ عمر، ولو أنَّ أُحُداً ارفضّ للذي صنعتم بعثمان لكان، رواه **البخاري**[(١)].

• ومن أقوال **فقيه الأمة عبد الله بن مسعود**، وقد توفي قبل مقتل عثمان، ولكنه ألقي على لسانه:

أخرج **أبو بكر** عن أبي سعيد مولى ابن مسعود قال: قال عبد الله: واللهِ لئن قتلوا عثمانَ لا يصيبوا منه خَلَفاً[(٢)].

• ومن أقوال صاحب سرّ رسول الله ﷺ **حذيفة بن اليمان** ما أخرجه **أبو بكر** عن جندب الخير قال: أتينا حذيفة حين سار المصريون إلى عثمان فقلنا: إنّ هؤلاء قد ساروا إلى هذا الرجل، فما تقول؟ قال: يقتلونه واللهِ، قال: قلنا: فأينَ هو؟ قال: في الجنّةِ واللهِ، قال: قلنا: فأينَ قتلته؟ قال: في النّارِ واللهِ[(٣)].

• ومن أقوال عالم الكتابين **عبد الله بن سلام** ما أخرج **أبو بكر** عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن أبيه قال: لا تسلّوا سيوفكم، فلئن سللتموها لا تُغْمَدُ إلى يوم القيامة[(٤)].

• وما أخرجه **أبو بكر** أيضاً عن بشر بن شغاف في كلام طويل عن **عبد الله بن سلام** قال: أما إنِّي قد قلتُ لهم: لا تقتلوا عثمان، دعوه،

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٨٦٢).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٣).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٦) برقم: (٣٧٦٦٧).

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٩) برقم: (٣٧٦٨٨).

فواللهِ لئن تركتموه إحدى عشرة ليلة ليموتنَّ على فراشه موتاً فلم يفعلوا، فإنّه لم يقتل نبيٌّ إلا قتل به سبعون ألفاً من الناس، ولم يقتل خليفةٌ إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً[١].

• وما أخرجه **أبو عمر** في «الاستيعاب» أنه قال: لقد فتحَ الناسُ على أنفسهم بقتلِ عثمانَ بابَ فتنةٍ لا ينغلِقُ عنهم إلى قيام الساعة[٢].

• ومن أقوال **زاهد الأمة أبي ذر** ما أخرجه **أبو بكر** أنه قال: لو أمرني عثمانُ أن أمشي على رأسِي لمشيتُ[٣].

• ومن أقوال **كاتب الوحي زيد بن ثابت**، ما أخرجه **أبو بكر** عن زيد بن علي قال: كان زيدُ بن ثابت ممّن بكى على عثمان يومَ الدّارِ[٤].

• ومن أقوال **حافظ الحديث على هذه الأمة أبي هريرة**، ما أخرجه **أبو بكر** عن محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذئب يقول: قال أبو هريرة: والله لو تعلمونَ ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، واللهِ ليقعنَّ القتلُ والموتُ في هذا الحي من قريش حتّى يأتيَ الرجلُ الكنا، قال أبو أسامة: يعني: الكناسة فيجدُ بها نعلَ قرشي[٥].

• ومن أقوال **حبر هذه الأمة عبد الله بن عباس** ما ذكره أبو عمر في «الاستيعاب» قال: لو اجتمعَ الناسُ على قتلِ عثمانَ لرمُوا بالحجارةِ كما رُمِيَ قومُ لوطٍ[٦].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٥٦) برقم: (٣٧٩٠٣).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢٣) برقم: (٣٧٧٠٠).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢٤) برقم: (٣٧٧٠٤).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢٥) برقم: (٣٧٧١٦).
(٦) «الاستيعاب» (١/ ٣٢٣).

[لمحات أخيرة من حياته وشهادته]

وبعد هذا التمهيد نلقي الضوءَ على الأسباب التي أدّت إلى اختلاف الناسِ على عثمان، وإقدامهم على قتله، مع بيان الرواياتِ التي وردت بهذه المناسبة، حتى يتّضحَ أصلُ القصة:

● أخرج **أبو بكر** عن ابن عون عن **الحسن** قال: أنبأني وثّاب ـ وكان ممن أدركه عتق أمير المؤمنين عمر وكان يكون بعد بين يدي عثمان ـ قال: فرأيتُ في حلقته طعنتين كأنّهما كيتان طعنهما يوم الدار دار عثمان، قال: بعثني أميرُ المؤمنين عثمان قال: ادعُ لي الأشتر[١] فجاء، قال ابن عون: أظنه قال: فطرحتُ لأميرِ المؤمنين وسادةً فقال: يا أشترُ! ما يريدُ الناسُ مني؟

قال: ثلاثاً ليس لك من إحداهنّ بدٌّ، يخيّرونك بين أن تخلعَ لهم أمرَهم وتقول: هذا أمرُكم، اختاروا له مَنْ شئتم، وبين أن تقصّ من نفسك، فإن أبيتَ هاتين فإنّ القومَ قاتلوك.

قال: ما مِنْ إحداهنَّ بدٌّ؟

قال: ما مِنْ إحداهنّ بدٌّ.

قال: أمّا أنْ أخلعَ لهم أمرَهم، فما كنتُ أخلعُ سربالاً سربلنيه اللهُ عز وجل أبداً، قال ابن عون: وقال غير الحسن: لأنْ أقدّم فيضربُ عنقي أحبُّ إليَّ من أن أخلعَ أمرَ أمّةِ محمّد بعضها عن بعض، قال ابن عون: وهذا أشبه بكلامه، ولأنّ أقصُّ لهم من نفسي فواللهِ لقد علمتُ أنّ صاحبيَّ بين يدي كانا يقصّان من أنفسهما، وما يقوم بدني

(١) هو: مالك بن الحارث الملقب بالأشتر صاحب فتنة، كان من رؤساء الخوارج الذين حاصروا عثمان وقتلوه.

بالقصاص، وأمّا أن يقتلوني فواللهِ لو قتلوني لا يتحابّون بعدي أبداً، ولا يقاتلون بعدي عدواً جميعاً أبداً.

قال: فقام الأشتر، وانطلق فمكثنا فقلنا: لعلَّ الناس رضوا.

ثم جاء رويجل كأنه ذئبٌ فاطّلع من البابِ ثم رجع، وقام محمد بن أبي بكر في ثلاثة عشر حتى انتهى إلى عثمان، فأخذ بلحيته فقال بها حتى سمعتُ وقعَ أضراسه، وقال: ما أغنى عنك معاويةُ، ما أغنى عنك ابنُ عامر، ما أغنت عنك كتبُك.

فقال: أرسل لي لحيتي يا ابنَ أخي، أرسل لي لحيتي يا ابن أخي، قال: فأنا رأيتُه استعدى رجلاً من القوم يعينه فقام إليه بمشقص حتّى وجأ به في رأسه فأثبته قال: ثم مرَّ قال: ثم دخلوا عليه حتّى قتلوه[1].

• وأخرج أبو بكر عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري قال: سمع عثمانُ أنّ وفد أهل مصر قد أقبلوا، فاستقبلهم فكانَ في قرية خارجاً من المدينة، أو كما قال، قال: فلمّا سمعوا به أقبلوا نحوه إلى المكان الذي هو فيه، قال: أراه قال: وكره أن يقدموا عليه المدينة، أو نحواً من ذلك، فأتوه فقالوا: ادعُ بالمصحفِ، فدعا بالمصحف فقالوا: افتح السابعةَ، وكانوا يسمّون سورة يونس السابعة، فقرأها، حتى إذا أتى على هذه الآية: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩].

قالوا: أرأيتَ ما حميت من الحمى، آلله أذنَ لك به أم على الله تفتري؟

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٤٤١) برقم: (٣٧٠٧٩).

فقال: أمضه، أنزلت في كذا وكذا، وأمّا الحمى فإنّ عمرَ حمى الحمى قبلي لإبل الصدقة، فلمّا وليتُ زادت إبل الصدقة، فزدتُ في الحمى لما زاد من إبل الصدقة.

فجعلوا يأخذونه بالآية فيقول: أمضه، نزلت في كذا وكذا، والذي يلي كلام عثمان يومئذ في سنك.

يقول أبو نضرة: يقول لي ذلك أبو سعيد، قال أبو نضرة: وأنا في سنك يومئذ، قال: ولم يخرج وجهي ـ أو لم يستو وجهي ـ يومئذٍ، لا أدري لعلَّه قال مرة أخرى: وأنا يومئذٍ في ثلاثين سنة، ثم أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرجٌ، فعرفها فقال: أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه.

فقال لهم: ما تريدون؟ فأخذوا ميثاقه، قال: وأحسبه قال: وكتبوا عليه شرطاً، قال: وأخذَ عليهم أن لا يشقّوا عصاً، ولا يفارقوا جماعةً ما أقامَ لهم بشرطهم أو كما أخذوا عليه، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: نريدُ أن لا يأخذ أهلُ المدينة عطاءً، فإنّما هذا المالُ لمن قاتل عليه، ولهذه الشيوخ من أصحابِ محمّدٍ ﷺ، فرضوا.

وأقبلوا معه إلى المدينة راضين، فقام فخطبَ فقال: واللهِ إنِّي ما رأيتُ وفداً هم خيرٌ لحوباتي من هذا الوفد الذين قدموا علي، وقال مرة أخرى: حسبتُ أنه قال: من هذا الوفد من أهل مصر، ألا من كان له زرعٌ فليلحق بزرعه، ومن كان له ضرعٌ فليحتلب، ألا إنّه لا مالَ لكم عندنا، إنّما هذا المالُ لمن قاتل عليه، ولهذه الشيوخ من أصحاب محمد ﷺ.

فغضب الناسُ وقالوا: هذا مكر بني أمية، ثم رجعَ الوفدُ المصريون راضين، فبينما هم في الطريق إذ براكبٍ يتعرّض لهم، ثم يفارقهم، ثم يرجع إليهم، ثم يفارقهم، ويسبّهم.

فقالوا له: إن لك لأمراً ما شأنك؟

قال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه فإذا بكتابٍ على لسان عثمان، عليه خاتمه إلى عامل مصر أن يقتلهم، أو يقطع أيديهم وأرجلهم، فأقبلوا حتّى قدموا المدينة، فأتوا علياً فقالوا: ألم تر إلى عدوِّ الله، أمر فينا بكذا وكذا، واللهِ قد أحلَّ دمه، قم معنا إليه.

فقال: لا واللهِ، لا أقومُ معكم.

قالوا: فلم كتبت إلينا.

قال: لا واللهِ ما كتبتُ إليكم كتاباً قط، قال: فنظرَ بعضُهم إلى بعض، ثم قال بعضُهم لبعضٍ: ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون.

وانطلق عليٌّ فخرج من المدينة إلى قرية ـ أو قرية له ـ فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبتَ فينا بكذا وكذا.

فقال: إنّما هما اثنتان: أن تقيموا عليَّ رجلينِ من المسلمين أو يميني: باللهِ الذي لا إلـه إلا هو، ما كتبتُ ولا أمليتُ، وقد تعلمون أنّ الكتاب يُكتَبُ على لسان الرجل، وقد ينقَّشِ الخاتمُ على الخاتم.

فقالوا له: قد واللهِ أحلَّ الله دمك، ونقضوا العهد والميثاق، قال: فحصروه في القصر، فأشرفَ عليهم فقال: السلام عليكم، قال: فما أسمعُ أحداً ردَّ السلام إلا أن يردَّ رجل في نفسه.

فقال: أنشدكم بالله، هل علمتُم أنّي اشتريتُ رومة بمالي لأستعذب بها، فجعلتُ رشائي فيها كرشاءِ رجل من المسلمين؟ فقيل: نعم، فقال: فعلام تمنعوني أن أشربَ منها حتى أفطرَ على ماء البحر.

قال: أنشدكم بالله، هل علمتُم أني اشتريت كذا وكذا من الأرض فزدته في المسجد؟ قيل: نعم، قال: فهل علمتم أحداً من الناس منع أن يصلي فيه؟ قيل: لا.

قال: فأنشدكم باللهِ هل سمعتُم نبيَّ اللهِ ﷺ يذكر كذا وكذا شيئاً من شأنه، وذكر أُرى كتابة المفصّل، قال: ففشا النهي، وجعل الناسُ يقولون: مهلاً عن أمير المؤمنين، وفشا النهيُ.

وقام الأشترُ، فلا أدري يومئذٍ أم يوماً آخر، فقال: لعلَّه قد مُكِرَ به وبكم، قال: فوطئه الناسُ حتى بقي كذا وكذا، ثم إنّه أشرفَ عليهم مرةً أخرى فوعظهم وذكرهم، فلم تأخذ فيهم الموعظةُ، وكان الناسُ تأخذ فيهم الموعظة أول ما يسمعونها، فإذا أعيدت عليهم لم تأخذ فيهم الموعظةُ، ثم فتحَ البابَ ووضعَ المصحفَ بين يديه.

قال: فحدثنا الحسن أنّ محمد بن أبي بكر دخل عليه فأخذ بلحيته، فقال له عثمان: لقد أخذتَ مني مأخذاً أو قعدتَ مني مقعداً ما كان أبو بكر ليأخذه أو ليقعده، قال: فخرج وتركه.

قال: وفي حديث أبي سعيد: فدخل عليه رجلٌ فقال: بيني وبينك كتاب الله، فخرج وتركه.

ودخل عليه رجل يقال له: الموت الأسود، فخنقه وخنقه ثم خرج، فقال: واللهِ ما رأيتُ شيئاً قط هو ألينُ من حلقه، واللهِ لقد خنقته حتّى رأيت نفسه مثل نفس الجان تردد في جسده.

ثم دخل عليه آخر، فقال: بيني وبينك كتاب الله والمصحفُ بين يديه، فأهوى إليه بالسيفِ، فاتّقاه بيده فقطعها، فلا أدري أبانها، أو قطعها، فلم يبنها، فقال: أما واللهِ إنَّها لأوّلُ كفٍّ خطّتِ المفصل.

وحدّثْتُ في غير حديث أبي سعيد: فدخل عليه التجيبي فأشعره بمشقص، فانتضحَ الدمُ على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وإنّها في المصحف ما حُكّت، وأخذت بنت الفرافصة ـ في حديث أبي سعيد ـ حليّها فوضعته في حجرها، وذلك قبل

أن يقتلَ، فلما أشعر أو قتل تجافت ـ أو تفاجت ـ عليه، فقال بعضُهم: قاتلها الله ما أعظم عجيزتها، فعرفتُ أنّ أعداء الله لم يريدوا إلا الدنيا[١].

• وأخرج **أبو بكر** عن جهيم رجل من بني فهر، قال: أنا شاهد هذا الأمر، قال: جاء سعدُ وعمّارٌ فأرسلوا إلى عثمان أن ائتنا، فإنّا نريدُ أن نذكرَ لك أشياءً أحدثتها أو أشياء فعلتَها، قال: فأرسل إليهم أن انصرفوا اليومَ، فإنِّي مشتغل، وميعادُكم يوم كذا وكذا حتّى أتشزن، قال أبو محصن: أتشزن: أستعد لخصومتكم.

قال: فانصرف سعد، وأبى عمارُ أن ينصرفَ، قالها أبو محصن مرتين، قال: فتناوله رسولُ عثمان فضربه، قال: فلمّا اجتمعوا للميعاد ومن معهم قال لهم عثمان: ما تنقمون مني؟

قالوا: ننقم عليك ضربك عماراً.

قال: قال عثمان: جاء سعدٌ وعمارُ فأرسلت إليهما، فانصرف سعدٌ وأبى عمار أن ينصرفَ، فتناوله رسولي من غير أمري، فواللهِ ما أمرتُ ولا رضيتُ، فهذه يدي لعمار فليصطبر، قال أبو محصن: يعني: يقتصّ.

قالوا: ننقم عليك أنّك جعلت الحروفَ حرفاً واحداً.

قال: جاءني حذيفة فقال: ما كنتَ صانعاً إذا قيل: قراءة فلان وقراءة فلان وقراءة فلان، كما اختلف أهلُ الكتاب، فإن يك صواباً فَمِنَ الله، وإن يك خطأً فمن حذيفة.

قالوا: ننقمُ عليك أنّك حميت الحمى.

قال: جاءتني قريشٌ فقالت: إنّه ليس من العرب قومٌ إلا لهم حمى

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢٠) برقم: (٣٧٦٩٠).

يرعون فيه غيرنا، ففعلتُ ذلك لهم، فإن رضيتُم فأقروا، وإن كرهتم فغيروا، أو قال: لا تقرّوا ـ شك أبو محصن ـ.

قالوا: وننقم عليك أنك استعملت السفهاءُ أقاربك.

قال: فليقم أهلُ كلِّ مصر يسألوني صاحبهم الذي يحبّونه فأستعمله عليهم، وأعزِلُ عنهم الذي يكرهون.

قال: فقال أهلُ البصرة: رضينا بعبد الله بن عامر، فأقرّه علينا، وقال أهل الكوفة: اعزل سعيداً، أو قال: الوليد ـ شك أبو محصن ـ واستعمل علينا أبا موسى ففعل، قال: وقال أهل الشام: قد رضينا بمعاوية فأقرّه علينا، وقال أهل مصر: اعزل عنا ابن أبي سرح، واستعمل علينا عمرو بن العاص، ففعل، قال: فما جاءوا بشيءٍ إلا خرجَ منه.

قال: فانصرفوا راضين، فبينما بعضهم في بعض الطريق إذ مرّ بهم راكبٌ فاتهموه، ففتشوه، فأصابوا معه كتاباً في إداوةٍ إلى عاملهم أنْ خُذ فلاناً وفلاناً فاضرب أعناقَهم، قال: فرجعوا فبدأوا بعلي، فجاء معهم إلى عثمان، فقالوا: هذا كتابُك وهذا خاتمُك.

فقال عثمان: واللهِ ما كتبتُ ولا علمتُ ولا أمرتُ.

قال: فمن تظنّ؟ ـ قال أبو محصن: تتهم ـ.

قال: أظن كاتبي غدر وأظنك به يا علي.

قال: فقال له علي: ولم تظنني بذاك؟

قال: لأنّك مطاعٌ عند القوم، قال: ثم لِمَ تردهم عني.

قال: فأبى القوم وألحّوا عليه حتى حصروه، قال: فأشرفَ عليهم، وقال: بم تستحلون دمي؟ فواللهِ ما حلَّ دمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى

ثلاث: مرتد عن الإسلام، أو ثيب زان، أو قاتل نفسٍ، فوالله ما عملت شيئاً منهن منذُ أسلمتُ.

قال: فألحَّ القوم عليه، قال: وناشدَ عثمانُ الناسَ أن لا تراق فيه محجمةٌ من دم، فلقد رأيتُ ابن الزبير يخرج عليهم في كتيبةٍ حتى يهزمهم، لو شاءوا أن يقتلوا منهم لقتلوا، قال: ورأيت سعيد بن الأسود البختري وإنه ليضربُ رجلاً بعرض السيف لو شاء أن يقتله لقتله، ولكنّ عثمان عزم على الناس فأمسكوا.

قال: فدخل عليه أبو عمرو بن بديل الخزاعي والتجيبي، قال: فطعنه أحدهما بمشقصٍ في أوداجه، وعلاه الآخرُ بالسيفِ فقتلوه، ثم انطلقوا هراباً يسيرون بالليل، ويكمنون بالنهار، حتى أتوا بلداً بين مصر والشام، قال: فكمنوا في غار، قال: فجاء نبطي من تلك البلاد معه حمار، قال: فدخل ذبابٌ في منخر الحمار، قال: فنفر حتى دخل عليهم الغار، وطلبه صاحبه فرآهم، فانطلقَ إلى عامل معاوية، قال: فأخبره بهم، قال: فأخذهم معاوية فضربَ أعناقهم[1].

۞ [دفاع ذي النورين عن نفسه ببيان أدلة قاطعة، وإزالة ما نسبت إليه من الشبهات حتى تكونَ حجةٌ ملزمةٌ على المعارضين]:

ثـم إنّ عثمان رضي الله عنه قد بيّن بنفسِه ما يدلُّ على اعتصامه بالحقّ، ودحض ما يختلجُ في قلوب الناس من شبهات، وإقامة حجج ملزمة عليهم.

ونذكر هنا من الروايات ما يشير إلى ذلك:

● أخرج **أبو بكر** من طريق عبد الملك بن أبي سليمان قال: سمعتُ أبا ليلى الكندي قال: رأيتُ عثمان اطّلع إلى الناسِ وهو محصورٌ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٢١) برقم: (٣٧٦٩١).

فقال: أيها الناسِ! لا تقتلوني واستعتبوا، فواللهِ لئن قتلتموني لا تقاتلون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً أبداً، ولتختلفُنّ حتى تصيروا هكذا وشبّك بين أصابعه، ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هـود: ٨٩]، قال: وأرسلَ إلى عبد الله بن سلام فسأله فقال: الكفَّ الكفَّ، فإنّه أبلغُ لك في الحُجّةِ، فدخلوا عليه فقتلوه(١).

• وأخرج **أبو بكر** عن ابن عون عن **محمد بن سيرين** قال: أشرف عليهم عثمانُ من القصر فقال: ائتوني برجلٍ أتاليه كتابَ الله، فأتوه بصعصعة بن صوحان، وكان شاباً، فقال: أما وجدتم أحداً تأتوني به غير هذا الشاب، قال: فتكلّم صعصعةُ بكلام، فقال له: اتلُ، فقال: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، فقال: كذبتَ! ليست لكَ ولا لأصحابِكَ، ولكنّها لي ولأصحابي، ثم تلا عثمان: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ حتى بلغ: ﴿...وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤١](٢).

• وأخرج أيضاً عن **ابن سيرين** قال: جاء زيدُ بنُ ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصارُ بالباب، قالوا: إن شئتَ أن نكونَ أنصار الله مرتين، فقال: أمّا القتالُ فلا(٣).

• وأخرج أيضاً عن **الحسن** قال: أتتِ الأنصارُ عثمانَ فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! ننصرُ الله مرّتين، نصرنا رسول الله ﷺ وننصرك، قال: لا حاجةَ في ذاك، ارجعوا.

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٨٤) برقم: (٦).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٨٥) برقم: (١٨).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٥٨٤) برقم: (٨).

وقال الحسن: واللهِ لو أرادوا أن يمنعوه بأرديتهم لمنعوه[١].

• وأخرج **الترمذي** عن أبي إسحاق عن أبي عبد الرحمٰن السلمي قال: لما حُصِرَ عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أنّ حِراء حينَ انتفضَ قال رسول الله ﷺ: «**اثبتْ حراءُ فليس عليك إلّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ؟**»، قالوا: نعم.

قال: أذكركم بالله هل تعلمونَ أنّ رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: «**مَنْ ينفقُ نفقةً متقبّلةً والناسُ مجهدونَ معسِرون**» فجهزتُ ذلكَ الجيش؟ قالوا: نعم.

ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أنّ بئرَ رومةَ لم يكن يشربُ منها أحدٌ إلا بثمنٍ، فابتعتُها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم وأشياء عدّها[٢].

• وأخرج أيضاً[٣] عن أبي مسعود الجريري عن **ثمامة بن حزن القُشيري** قال: شهدتُ الدار حين أشرفَ عليهم عثمان فقال: ائتوني بصاحبيكم اللذين ألبّاكم علي، قال: فجيء بهما، فكأنهما جملان أو كأنّهما حماران قال: فأشرفَ عليهم عثمانُ فقال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعملون أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قدمَ المدينةَ، وليس بها ماءٌ يستعذَبُ غير بئر رُومةَ، فقال: «**مَنْ يشتري بئرَ رومةَ فيجعلُ دلوَه مِنْ دلاءِ المسلمينَ بخير له منها في الجنّةِ**» فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنعوني أن أشربَ منها حتى أشرب ماء البحر؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله والإسلام، هل تعلمونَ أنّ المسجدَ ضاقَ بأهلِه، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يشتري بقعةَ آلِ فلان فيزيدَها في المسجدِ بخيرٍ**

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٨/ ٦٩٣) برقم: (٥٢).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٦٩٩).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٠٣).

منها في الجنّةِ»، فاشتريتُها من صلب مالي، فأنتم اليومَ تمنعوني أن أصلِّيَ فيها ركعتين؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أنّي جهزتُ جيشَ العسرةِ من مالي؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

ثم قال: أنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أنَّ رسول الله ﷺ كان على ثبيرِ مكةَ ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرّكَ الجبلُ حتى تساقطتْ حجارتُه بالحضيضِ، قال: فركضَه برجلِه وقال: «**اسكنْ ثبيرَ فإنَّما عليكَ نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان؟**»، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: الله أكبر، شهدوا لي وربِّ الكعبة أني شهيدٌ ثلاثاً.

• وأخرج **أحمد** من طريق يحيى بن سعيد عن **أبي أمامة بن سهل** قال: كنا مع عثمان رضي الله عنه وهو محصورٌ في الدار، فدخل مدخلاً كان إذا دخله يسمع كلامه من على البلاط، قال: فدخلَ ذلك المدخل، وخرجَ إلينا فقال: إنّهم يتوعدوني بالقتلِ آنفاً.

قال: قلنا: يكفيكهم اللهُ يا أميرَ المؤمنين.

قال: وبم يقتلونني؟ إنّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا يحلُّ دمُ امرئٍ مسلم إلّا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً فيقتل بها**»، فواللهِ ما أحببتُ أنّ لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ قط، ولا قتلتُ نفساً فبم يقتلونني؟[1].

• وأخرج **أحمد** من طريق الأوزاعي عن محمد بن عبد الملك بن مروان أنّه حدثه عن **المغيرة بن شعبة**: أنه دخل على عثمانَ وهو محصورٌ

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٣٧).

فقال: إنّك إمامُ العامة، وقد نزل بك ما ترى، وأنّي أعرضُ عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهنّ.

إمّا أن تخرجَ فتقاتلهم، فإنّ معك عدداً وقوّةً وأنت على الحقِّ وهم على الباطل.

وإمّا أن نخرقَ لك باباً سوى البابِ الذي همْ عليه فتقعد على رواحِلِكَ، فتلحق بمكةَ، فإنهم لن يستحلوك وأنتَ بها.

وإمّا أن تلحقَ بالشام، فإنَّهم أهلُ الشام وفيهم معاوية.

فقال عثمان: أمّا أن أخرجَ فأقاتِلَ فلن أكونَ أوّل من خلفَ رسول الله ﷺ في أمته بسفك الدماء، وأمّا أن أخرجَ إلى مكة فإنّهم لن يستحلونِي بها، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يلحدُ رجلٌ من قريشٍ بمكّة، يكون عليه نصفُ عذابِ العالَم**»، فلن أكون أنا إياه، وأما أنْ ألحقَ بالشامِ فإنّهم أهلُ الشام وفيهم معاوية فلنْ أفارقَ دارَ هجرتي ومجاورة رَسولِ اللهِ ﷺ[1].

● وأخرج **أحمد** من طريق أبي عوانة عن عمرو بن جاوان قال: قال **الأحنف**: انطلقنا حجّاجاً، فمررنا بالمدينة، فبينما نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناسُ من فزعٍ في المسجد، فانطلقتُ أنا وصاحبي، فإذا الناسُ مجتمعون على نفرٍ في المسجد قال: فتخللتُهم حتّى قمتُ عليهم فإذا علي بن أبي طالب والزبيرُ وطلحةُ وسعدُ بن أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرع من أنْ جاء عثمانُ يمشي فقال: أهاهنا علي؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا الزبير؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا طلحة؟ قالوا: نعم، قال: أهاهنا سعد؟ قالوا: نعم، قال: أنشدُكم باللهِ الذي لا إلـه إلا

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٨١).

هو أتعلمونَ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ يبتاعُ مربدَ بني فلانٍ غَفَرَ الله له**» فابتعتُه فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: إنِّي قد ابتعتُه فقال: «**اجعله في مسجدنا وأجره لك؟**» قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إلـه إلا هو أتعلمون أنّ رسول الله ﷺ قال: «**مَن يبتاعُ بئرَ رومةَ**»؟ فابتعتها بكذا وكذا فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ: إنِّي قد ابتعتُها؛ يعني: بئر رومة فقال: «**اجعلها سقايةً للمسلمينَ وأجرُها لكَ**»؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إلـه إلا هو أتعلمونَ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ نظرَ في وجوه القومِ يوم جيش العسرةِ فقال: «**مَنْ يجهّزُ هؤلاءِ غَفَرَ اللهُ له؟**» فجهزتُهم حتّى ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: اللَّهُمَّ نعم.

قال: اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد، اللَّهُمَّ اشهد، ثم انصرفَ[1].

• وأخرج **أحمد** من طريق أبي عبادة الزرقي الأنصاري من أهل المدينة عن **زيد بن أسلم** عن أبيه قال: شهدتُ عثمانَ يوم حوصر في موضعِ الجنائز، ولو ألقي حجرٌ لم يقع إلا على رأسِ رجلٍ، فرأيتُ عثمانَ أشرفَ من الخوخةِ التي تلي مقامَ جبريل عليه السلام فقال: أيها الناس! أفيكم طلحةُ؟ فسكتوا، ثم قال: أيها الناسُ! أفيكم طلحة؟ فسكتوا، ثم قال: يا أيها الناس! أفيكم طلحةُ؟ فقام طلحةُ بن عبيد الله فقال له عثمان: ألا أراك هاهنا ما كنتُ أُرى أنك تكونُ في جماعةٍ تسمعُ ندائي آخر ثلاث مرات ثم لا تجيبني، أنشدك اللهُ يا طلحةُ! تذكر يومَ كنتَ أنا وأنتَ مع رسولِ اللهِ ﷺ في موضع كذا وكذا، ليس معه أحدٌ من أصحابه غيري وغيرك؟ قال: نعم، فقال لك رسول الله ﷺ: «**يا طلحةُ إنّه ليس**

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٥١١).

من نبيٍّ إلا ومعه من أصحابه رفيقٌ من أمته معه في الجنَّة وإنَّ عثمان بن عفان هذا يعنيني رفيقي معي في الجنة»؛ قال طلحة: اللَّهُمَّ نعم، ثم انصرف(١).

❁ [الرد على اعتراضات مخالفيه]:

ومما نقم عليه المخالفون واعترضوا عليه: أنّه قصر في سوابقه، فلم يشهد بدراً، وفرَّ يومَ أُحد من ساحة القتال، وكان غائباً عن بيعة الرضوان، فردّ على ذلك عبدُ الله بنُ عمر ردّاً مقنعاً.

• أخرج **البخاري** عن عثمان ـ هو: ابن موهب ـ قال: جاء رجلٌ من أهل مصرَ، وحجَّ البيت، فرأى قوماً جلوساً، فقال: مَنْ هؤلاء القوم؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبدُ الله بنُ عمر، قال: يا ابن عمر إنِّي سائلك عن شيءٍ فحدّثني، هل تعلمُ أنَّ عثمان فرَّ يوم أُحدٍ؟ قال: نعم، فقال: تعلمُ أنّه تغيّبَ عن بدرٍ ولم يشهدْها؟ قال نعم، قال: تعلم أنه تغيّبَ عن بيعةِ الرضوان فلم يشهدْها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر.

قال ابن عمر: تعال أبيّنُ لك.

أمّا فراره يوم أُحد فأشهدُ أنّ الله عفا عنه، وغفر له.

وأما تغيّبه عن بدرٍ، فإنّه كانت تحته بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ وكانت مريضةً، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممّنْ شهدَ بدراً وسهمَه**».

وأمّا تغيبُه عن بيعة الرضوان، فلو كانَ أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعةُ الرضوان

---

(١) «مسند أحمد» (١/٥٥٦) برقم: (٥٥٢).

بعد ما ذهبَ عثمان إلى مكة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ بيده اليمنى: «**هذه يدُ عثمانَ**»، فضرب بها على يده فقال: «**هذه لعثمانَ**»، فقال له ابن عمر: اذهبَ بها الآنَ معك(١).

وقد أجابَ عثمانُ رضي الله عنه عن هذا بجواب شافٍ.

• أخرج **أحمد** عن **عاصم عن شقيق** قال: لقي عبد الرحمٰن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد: ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟ فقال له عبد الرحمٰن: أبلغه أني لم أفر يوم عينين(٢)، قال عاصم: يقول يوم أُحد: ولم أتخلف يوم بدر، ولم أترك سُنَّة عمر، قال: فانطلق فخبر ذلك عثمان فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عينين فكيف يعيّرني بذنب وقد عفا الله عنه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، وأما قوله: إني تخلفت يوم بدر، فإني كنت أمرّض رقية بنت رسول الله ﷺ حين ماتت وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهمي، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه فقد شهد، وأما قوله: إني لم أترك سُنَّة عمر فإني لا أطيقها ولا هو، فأته فحدثه بذلك(٣).

ومنها: أنه نهى عن التمتع رغم أن النبي ﷺ تمتع بالعمرة إلى الحج، فرد عثمان رضي الله عنه على ذلك بنفسه.

• أخرج **أحمد**(٤) عن **سعيد بن المسيب** قال: خرج عثمان رضي الله عنه حاجاً حتى إذا كان ببعض الطريق قيل لعلي رضوان الله عليه: إنه قد نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج فقال علي رضي الله عنه لأصحابه: إذا ارتحل

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٨).
(٢) جبل بأحد، «معجم البلدان» (٣/ ٣٧١).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (٤٩٠). (٤) «مسند أحمد» برقم: (٤٠٢).

فارتحلوا، فأهل علي وأصحابه بعمرة، فلم يكلمه عثمان رضي الله عنه في ذلك، فقال له علي رضي الله عنه: ألم أخبر أنك نهيت عن التمتع بالعمرة؟ قال: فقال: بلى، قال: فلم تسمع رسول الله رضي الله عنه تمتع؟ قال: بلى.

● وأخرج **أحمد** عن **شعبة عن قتادة** قال: سمعت عبد الله بن شقيق يقول: كان عثمان رضي الله عنه ينهى عن المتعة، وعليٌّ رضي الله عنه يفتي بها، فقال له عثمانُ رضي الله عنه قولاً، فقال له علي رضي الله عنه: لقد علمتَ أنّ رسول الله ﷺ فعل ذلك، قال عثمان رضي الله عنه: أجل، ولكنّا كنّا خائفين، قال شعبة: فقلت لقتادة: ما كان خوفهم؟ قال: لا أدري[1].

والحقيقةُ أن لفظ: «التمتع» إذ كان يشتمِلُ على معانٍ عدة، لذلك أشكل الأمرُ، وظهر الاختلاف.

«فالتمتع» يطلق تارةً على فسخ الحج بالعمرة إذا طافَ أحدٌ بالبيت وليس معه هديٌ، كما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما، وذلك خاص بعام حجة الوداع لمنع الناس من العمرة في أيّام الحج، كما كانوا يمنعونها في الجاهلية، فالغرض من ذلك هو إبطالُ ما كانوا عليه في الجاهلية، وذلك هو المرادُ من كلام عمر وعثمان رضي الله عنهما، قوله: «ولكنّا كنا خائفين» فالخوفُ لا يرادُ به هنا الخوف من الأعداء، بل إنّما هو خوفُ وقوع الناسِ في عادةِ الجاهلية واستمرارهم فيه، حتّى لا تكونَ راسخةً في قلوبهم، حيث إنهما ينهيان عن التمتع بطريق التأكيد.

وتارة يطلق التمتع على أداء طواف القدوم قبل طواف الزيارة، وتقديم السعي بين الصفا والمروة قبل طواف الزيارة حتى تتحقّق صورة العمرة، وذلك ما اتفق عليه الناسُ.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٣١).

وتارة يطلق على العمرة في أشهر الحج حتّى يحل، والحج في نفسِ السفر بما أحرم في جوف مكة، وكان عمر وعثمان رضي الله عنهما يعتبران الفصل بين الحجِّ والعمرة وأداء كل واحد منهما على حدة في زمانيهما أفضلُ، وإن كانا يقولان بصحة حج التمتّع ومشروعيته.

وقد ذكرناه بتفصيل في مناقب عمر الفاروق رضي الله عنه.

فالحاصل: أننا إذا سبرنا أغوارَ معاني لفظ: «التمتع» وأدركنا المراد الصحيح منه يندفع الإشكال والاختلاف.

• أخرج **أحمد** عن **عبد الله بن الزبير** قال: واللهِ إنّا لمع عثمان بن عفان بالجحفةِ ومعه رهطٌ من أهل الشام فيهم حبيب بن مَسْلمة الفهري إذ قال عثمانُ وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج: إنّ أتمَّ للحج والعمرة أن لا يكونا في أشهر الحجِّ، فلو أخرتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيتَ زورتينِ كان أفضلَ، فإنَّ الله تعالى قد وسّع في الخير، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بطن الوادي يعلفُ بعيراً له، قال فبلغه الذي قال عثمان، فأقبل حتى وقفَ على عثمان رضي الله عنه، فقال: أعمدت إلى سُنَّةٍ سنّها رسولُ اللهِ ﷺ ورخصةٍ رخّصَ الله تعالى بها للعبادِ في كتابه تضيّقُ عليهم فيها، وتنهى عنها، وقد كانت لذي الحاجةِ ولنائي الدار؟ ثم أهلَّ بحجة وعمرة معاً، فأقبل عثمانُ على الناس رضي الله عنه فقال: وهل نهيتُ عنها؟ إنِّي لم أنه عنها، إنّما كان رأياً أشرتُ به، فمن شاء أخذَ به، ومن شاء تركه[١].

• **ومنها**: أنه كان يصلّي بمنًى أربعاً في النصف الأخير من خلافته، مع أنَّ النبيَّ ﷺ والشيخين رضي الله عنهما كانوا يصلون ركعتين ويقصرون.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٧٠٧).

• أخرج **البخاري** وجماعة من الحفاظ عن **عبد الرحمٰن بن يزيد** قال: «صلى عثمان بمنًى أربعاً فقال عبدُ الله رضي الله عنه: صليتُ مع النبيِّ ﷺ ركعتين، ومع أبي بكر رضي الله عنه ركعتين، ومع عمر رضي الله عنه ركعتين، ثم تفرقت بكم الطرق[١].

• وقد ذكر الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله هذا المبحثَ في كتبه، وأطال الكلامَ فيه وأحسنَ، **وخلاصةُ قوله**: إنّ القصرَ في الصلاة سُنَّة، وإتمامها جائزٌ، وذهبَ إليه عثمان وعائشة ومسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث وسعيد بن المسيب، وهذا هو الظاهر من الكتاب والسُّنَّة، وقالت عائشةُ رضي الله عنها: كلُّ ذلك فعل النبيُّ ﷺ، أتم في السفر وقصر، ثم قال الشافعي: وهو ظاهرُ مذهب ابن مسعود وابن عمر، صلّى ابن مسعود مع عثمان أربعاً فقيل له: أتحدِّثنا أنَّ النبيَّ ﷺ صلى ركعتين وأبا بكر وعمر؟ فقال: بلى، ولكنّ عثمانّ إمامٌ، أَوَ أخالفه والخلاف شرٌّ[٢].

• وعن نافع، عن ابن عمر أنّه كان يصلّي وراءَ الإمام بمنًى أربعاً، فإذا صلّى لنفسِه صلّى ركعتين[٣].

واختار الإمام الشافعي هذا الوجهَ في إتمام عثمان رضي الله عنه.

• وهناك قولان آخران في عُذْرِ هذا الإتمام.

أحدهما: روى أيوب عن الزهري: أنّ عثمان بن عفان أتمَّ الصلاة بمنًى من أجل الأعراب؛ لأنّهم كثروا عامئذٍ، فصلّى بالناسِ أربعاً ليعلّمهم أنَّ الصلاةَ أربعٌ[٤].

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (١٦٥٧).
(٢) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٤/ ٤٧١) برقم: (١٦٤٨).
(٣) «معرفة السنن والآثار»، للبيهقي (٤/ ٤٧٢) برقم: (١٦٤٩).
(٤) «سنن أبي داود» (١/ ٦٠٣) برقم: (١٩٦٤).

وثانيهما: روى يونس عن الزهري قال: لمّا اتّخذَ عثمان الأموال بالطائفِ، وأرادَ أن يقيمَ بها صلّى أربعاً[١].

وروى المغيرة عن إبراهيم قال: إنّ عثمان صلّى أربعاً؛ لأنه اتخذها وطناً[٢].

يقول العبد الفقير إلى رحمة الله رحمه الله: إنّ هذين القولين لا يخالفان الوجهَ الأول، فإنّ الإتمام جائزٌ، والقصرَ سنَّةٌ، وقد رجَّح أميرُ المؤمنين عثمان رضي الله عنه العملُ الجائزَ على السُّنَّةِ لعارضِ قصة الأعراب، ولأجل وقوع الشكِّ في حكم السفر الشرعي لوجودِ بعض صفات الإقامة، والله أعلم بالصواب.

واختلفوا عليه في أكل المُحْرِمِ لحمَ صيدٍ لم يصطد برأيه ولا بأمره ولا بإشارته.

● أخرج **أحمد** عن **عبد الله بن الحارث** على أمر من أمور مكة في زمن عثمان، فأقبلَ عثمانُ رضي الله عنه إلى مكة، فقال عبد الله بن الحارث فاستقبلتُ عثمانَ بالمنزل بقُديدٍ، فاصطادَ أهلُ الماءِ حجلاً، فطبخناه بماءٍ وملحٍ، فجعلناه عراقاً للثريد، فقدمناه إلى عثمان وأصحابه، فأمسكوا، فقالَ عثمان: صيدٌ لم أصطده، ولم آمرُ بصيده، اصطاده قومٌ حِلٌّ فأطعموناه فما بأسٌ، فقال عثمان: مَنْ يقولُ في هذا؟ فقالوا: علي. فبعث إلى علي رضي الله عنه، فجاء، قال عبد الله بن الحارث: فكأنِّي أنظر إلى عليٍّ حين جاء، وهو يحت الخبط عن كفيه فقال له عثمانُ: صيدٌ لم نصطده، ولم نأمر بصيده، اصطاده قوم حِلٌّ فأطعموناه فما بأسٌ، قال: فغضبَ علي وقال: أنشد الله رجلاً شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أُتِيَ بقائمةِ

(١) «سنن أبي داود» برقم: (١٩٦٣). (٢) «سنن أبي داود» برقم: (١٩٦٢).

حمار وحشٍ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّا قومٌ حُرُمٌ فأطعموه أهلَ الحِلِّ**» قال: فشهد اثنا عشر رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، ثم قال علي: أنشد الله رجلاً شهد رسول الله ﷺ حين أتي ببيضِ النعامِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّا قومٌ حُرُمٌ أطعموه أهلَ الحِلِّ**»، قال فشهد دونهم من العدة من الاثني عشر، قال: فثنى عثمان وِرْكَهُ عن الطعامِ، فدخل رحله، وأكل ذلك الطعام أهلُ الماءِ(١).

• وقد أجمع أهل المذاهب الأربعة على رأي عثمان رضي الله عنه في هذا المبحث، وبيّن الإمام الشافعي هذا المبحثَ في كتابه ببسطٍ وتفصيلٍ، وتمسّكَ بحديث أبي قتادة، وشرحَ حديثَ صعب بن جُثامة أحسنُ شرحٍ حتى لا يتعارض(٢).

• **ومنها: أنّ عثمان** رضي الله عنه كان يؤثر بني أمية في العطايا على سائر الناس:

• أخرج **أحمد** عن **سالم بن أبي الجعد** قال: دعا عثمان رضي الله عنه ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم عمّار بن ياسر، فقال: إنِّي سائلكم وإني أحبُّ أن تصدقوني، نشدتكم الله أتعلمون أنَّ رسول الله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟

قال: فسكت القوم.

فقال عثمان رضي الله عنه: لو أنّ بيدي مفاتيحُ الجنة لأعطيتُها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم.

فبعثَ إلى طلحة والزبير فقال عثمان رضي الله عنه: ألا أحدّثكما عنه؛ يعني: عماراً، أقبلتُ مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى في البطحاء

(١) «مسند أحمد» برقم: (٧٨٣).
(٢) انظر: «بذل المجهود» (٧/ ٢٢٨).

حتى أتى على أبيه وأمه، وعليه يعذّبون، فقال أبو عمار: يا رسولَ اللهِ آلدهرُ هكذا؟ فقال له النبي ﷺ: «**اصبر**»، ثم قال: «**اللَّهُمَّ اغفر لآل ياسر**»، وقد فعلت[1].

• **ومنها**: أنه عزل أصحاب رسول الله ﷺ عن إمارة البلاد، وأمّر عليها أحداثَ بني أمية من الذين ليست لهم سوابقُ إسلامية؛ كعزل أبي موسى عن إمارة البصرة، وتأمير عبد الله بن عامر عليها، وعزل عمرو بن العاص عن إمارة مصر، وتأمير عبد الله بن أبي سرح مكانه.

وأجيبَ عنه بأنّ الله تبارك وتعالى قد أذن للخلفاء أن يستعملوا الأمراء ويعزلوهم وفق مصالحهم، ولا يُقبل إلّا رأيهم في هذا الأمر، وإن كان يجبُ على الخلفاء أن يتحرّوا ويفكّروا كثيراً في نصبهم وعزلهم، ولا يروا في ذلك إلّا مصلحة الإسلام والمسلمين، فإن أصابوا فلهم أجرهم مرتين، وإن أخطأوا فلهم أجرهم مرّة، وقد ثبت عن النبي ﷺ هذا المعنى بالتواتر.

• وقد عزل النبي ﷺ أميراً في بعض الأحيان، ونصّبَ مكانه من هو أدنى منه لمصلحة كان يراها، فأخذ النبيُّ ﷺ في فتح مكة راية الأنصار من سعد بن عبادة بكلمة خرجت من لسانه ـ اليوم يومَ الملحمة، اليوم تُسْتَحَلُّ الكعبة ـ، فسلّمها ابنَه قيس بن سعد.

• وكذلك أمَّر على أفاضل الصحابة مَنْ لم يبلغ فضلهم ومكانتهم، كما أمّر أسامةَ بن زيد على جند من المسلمين كان فيهم كبار المهاجرين.

• وهكذا فعل الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما في عهد خلافتهما.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٣٩).

وسلك مسلكهم **أمير المؤمنين علي المرتضى والخلفاء** الآخرون من بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فظهر من ذلك أنّ عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يكن وحيداً فريداً في هذا الأمر، فليسَ من المناسبِ أن يوجَّه إليه السؤالَ والاعتراض على ذلك.

فإن عزل عثمان رضي الله عنه من قدماء الصحابة أحداً، وأمّر مكانه أحداً من الشباب والأحداث لمصلحةٍ كان يعلمها بعد التحري، فلا حرج في ذلك، ولو فكرنا في أمر عزله ونصبه لوجدنا إصابة رأيه واضحةً كالشمس في رابعة النهار، فإنّ عزله ونصبه كان يتضمّن إخماد نار فتنة الاختلاف بين جنود المسلمين وبين الرعية، أو يكون مثمراً لفتح إقليم من أقاليم دار الكفر، ولكنّ أهواء المبتدعين قد أعمت أبصارهم.

وعَيْنُ الرّضا عن كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ ولكنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي المَسَاوِيا

[لم يمتنع أصحاب الشورى عن إعانة خليفة المسلمين في عهده]:

وهنا نلفت أنظاركم إلى نكتةٍ مهمّةٍ دقيقة، وهي أنّ عادة بني آدم قد جرت بأنّ أقرانَ الخليفةِ ومعاصريه الذين لهم أطماعٌ بالخلافة، إنهم يقبضون أيديهم عن نصرته وإطاعته في غالب الأحيان، بل أحياناً إنهم يحاولون إيصال الإيذاء إليه، ويسعون لفك نظام خلافته، وإذا اطلعتم على التاريخ وجدتم ذلك في مختلف الأزمان والأمصار، وهذه حقيقة ثابتة عبر التاريخ، ولكنّ هذه العادة المستمرة لم تظهر في صورتها الطبيعية في هذه الجماعة التي بشّرهم النبي ﷺ بالجنة، والذين قال عنهم عمر الفاروق رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وبفضلٍ من الله وتوفيقه ورحمته، وبفضل صحبة النبي ﷺ، فإنّهم لم يسعوا لإبطال

الخلافة، ولم يرتكبوا محرّماً في هذا الباب تعمداً، ومع هذا لم يكونوا بعيدين عن الوساوس وانقباض الخواطر، فلم يظهر منهم سعيٌ بليغ في الذب عن تمشية أمور الخليفة، ودفع مشكلاته، ولذلك اضطر عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى تولية أحداث بني أمية.

وإنكم لتعرفون أنّ الضرائر قد تقع بينهنّ العداوة والبغضاء إلى آخر المدى، ولكنّ الله تبارك وتعالى قد عصم أزواج النبيّ ﷺ، فلم تقع بينهن العداوةُ والبغضاءُ، إلا أنّ هذه العادة المستمرة قد ظهرت في بعض الأحيان في صورة الغيرة وانقباض الخاطر، كما أنّ الشيطانَ لمّا أيس من كفر العرب سعى في التحريش بينهم، ولما أيسَ من إضلال المؤمن ألقاه في حديث النفس، وقال النبيُّ ﷺ: «**ذلك صريحُ الإيمانِ**»، وإنكم لترون في كثير من الأحاديث ما يدلُّ على انقباض الخاطر، وعدم اهتمام النصرة في ذلك.

وإن الذين لا يتعمّقون فيما بشّر به النبيُّ ﷺ هذه الجماعة المباركة، ولا يحفظون سوابقها الإسلامية، فإنّهم يبالغون في عدّ الأخطاء، فلو صدر خطأ واحد يعتبرونه عشرةَ أخطاء، ويحملونها على محامل فاسدة، ولا يقبلون الأعذارَ منهم، وذلك كما قيل: «حفظتَ شيئاً وغابتْ عنكَ أشياءُ»، ولكنّ الذين يعرفون ما بشّر به النبي ﷺ هذه الجماعة، ويحفظون سوابقَهم الإسلامية، بل لو صدر خطأ واحد يحملونه على خطأ واحد، ولو بالغَ الراوي فيه، فهم يعتبرون نصفَ الخطأ بدلاً من خطأ واحد، ويعذرونهم، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

• **أخرج أبو بكر ابن أبي شيبة** قال: حدّثنا **غُنْدَر** عن شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت ذكوان أبا صالح يحدّث عن صهيب مولى

العباسُ قال: أرسلني العباس إلى عثمان أدعوه قال: فأتيتُه، فإذا هو يغدي الناسَ، فدعوته، فأتاه فقال: أفلحَ الوجهُ أبا الفضل، قال: ووجهك أميرَ المؤمنين، قال: ما زدتُ أنْ أتاني رسولُكَ وأنا أغدِّي الناس فغديتُهم ثم أقبلتْ، فقال العباس: أذكّرك اللهُ في عليٍّ، فإنّه ابنُ عمّك وأخوك في دينك، وصاحبك مع رسول الله ﷺ وصهرك، وإنّه قد بلغني أنّك تريد أن تقوم بعليٍّ وأصحابه فاعفني من ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال عثمان: أنا أوّلُ من أجبتُك أنْ قد شفعتك، أنّ عليّاً لو شاء ما كان أحدٌ دونه، ولكنّه أبى إلّا رأيه، وبعثَ إلى عليٍّ فقال له: أذكّرك الله في ابنِ عمِّك وابن عمتك وأخيك في دينك وصاحبك مع رسول الله ﷺ وولي بيعتك، فقال: واللهِ لو أمرني أن أخرجَ من داري لخرجتُ، فأمّا أن أداهنَ أن لا يقام كتاب الله فلم أكن لأفعل، قال محمد بن جعفر: سمعتُه ما لا أحصي وعرضته عليه غير مرة[1]، وهذا إسنادٌ صحيحٌ قويٌّ كما ترى.

• **ومنها: أنّهم يطعنون على عثمان رضي الله عنه أنّه انتهك حرمات جماعة من كبار المهاجرين والأنصار كأبي ذر، وعبد الله بن مسعود:**

والجواب الشافي عنه: أنّ عثمانَ رضي الله عنه لم يركب الزجرَ والتهديدَ لهؤلاء إلا لمصلحة جمهورِ الأمة، ولإصلاحِ أمر الملّة، ويدرِكُ ذلك بالقطعِ كلُّ مَنْ كان له عقلٌ واعٍ، وقلبٌ سليمٌ، فإنّه عامل أبي ذر كي لا يقع الخللُ في قواعد الشرع الأساسية، وكذلك عامل عبد الله بن مسعود كي لا يتمزّق اجتماعُ الناس على مصحفِ الشيخين أبي بكر وعمر، وزجر عمّار بن ياسر على خشونته في المعاملة مع الخليفة، واكتفى بأقلّ مما كان يناسب في ذلك.

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥١٩) برقم: (٣٧٦٨٥).

ثم إنّه كان يسدي إليهم أنواعَ الخير والملاطفات، فينفي كلٌّ ذلك عن عثمان رضي الله عنه ما كانوا يطعنون عليه، ولا يبقى أي مجال للشك والسؤال منه.

• والعجبُ كلُّ العجبِ أنّ هؤلاء الصحابة الذين كان الناس يطعنون عليه فيهم، كانوا يكرّمون عثمان رضي الله عنه غاية الإكرام، وكانوا لا يقولون فيه إلا خيراً، وكانوا كلّهم يعترفون بفضله، وسموّ مكانته إلى آخر حياتهم، ولم يتفوّهوا بكلمةِ سوءٍ في أمره، ولكن ناصريهم ومحبيّهم لا يستحيون من الله، ولا من الذين يزعمون نصرَهم، إذ يقولون ما لا يليقُ بشأن الخليفة.

• أما القصص الركيكة التي يذكرها أهلُ السير والتاريخ بغير علم ولا تمحيص، من إسرافٍ في مال المسلمين، وبناء حمى البحر وغيره، فإنّ بعضها كذبٌ وزورٌ وبهتان عظيم، وخلطوا بهتاناً وإثماً مبيناً في سرد بعضها وبيانها، لذلك لا نريدُ أن نضيّعَ الوقت والصفحات في ذكرها.

• ومنها: أنّه تأخّر في إقامةِ الحدّ على الوليد بن عقبة في شربه الخمر حتى أكثرَ الناسُ فيه:

والحقيقة أنّ هذا ممّا لا إشكالٌ فيه أصلاً، فإنّه لا بدَّ من التوقف في مثل هذه الحدود حتى يتبيّنَ الأمرُ، ولما تبينت له جريمتُه أقامَ عليه الحدَّ، كما توقّف النبيُّ ﷺ في رجم ماعز، حتّى تبيّن له الأمرُ، ولذلك سأله: لعلَّك مسستَ، لعلَّك قبّلت، وقد تأخّر.

وتوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه أيضاً في إقامةِ حدّ شارب الخمر على قُدامة بن مظعون حتى تبيّنَ له شربه.

• أخرج **البخاري** عن عروة أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمٰن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: ما

يمنعك أنْ تكلِّم عثمانَ لأخيه الوليد، فقد أكثرَ الناسُ فيه، فقصدتُ لعثمان حين خرجَ إلى الصلاة قلتُ: إنّ لي إليكَ حاجةً وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء منك ـ قال معمر: أراه قال: أعوذُ بالله منك ـ فانصرفت فرجعتُ إليهم، إذ جاء رسولُ عثمانَ فأتيتُه فقال: ما نصيحتُكَ؟

فقلت: إنّ الله سبحانه بعثَ محمّداً ﷺ بالحقِّ، وأنزل عليه الكتابَ، وكنتَ ممّن استجابَ للهِ ولرسوله ﷺ، فهاجرتَ الهجرتين، وصحبتَ رسولَ اللهِ ﷺ، ورأيتَ هديه، وقد أكثرَ الناسُ في شأنِ الوليد.

قال: أدركتَ رسول الله ﷺ؟

قلت: لا، ولكن خلص إليَّ من علمه ما يخلصُ إلى العذراء في سترها.

قال: أمّا بعدُ، فإنّ الله بعثَ محمداً ﷺ بالحقِّ، فكنتُ ممّن استجاب لله ولرسوله، وآمنتُ بما بُعِثَ به، وهاجرت الهجرتين كما قلتَ، وصحبتُ رسولَ اللهِ ﷺ وبايعتُه، فواللهِ ما عصيتُه ولا غششتُه حتى توفاه الله ﷻ، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استُخْلِفْتُ، أفليسَ لي من الحقِّ مثل الذي لهم؟

قلت: بلى.

قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أمّا ما ذكرتَ من شأن الوليد فسنأخذُ فيه بالحقِّ إن شاء الله، ثم دعا عليّاً فأمره أن يجلده، فجلده ثمانينَ[(١)].

● وأخرج **أبو داود** عن عبد الله الداناج حدّثني حُصين بن المنذر الرقاشي هو أبو ساسان قال: شهدتُ عثمان بن عفان وأُتي بالوليدِ بن

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٦٩٦).

عقبة، فشهدَ عليه حمران ورجلُ آخر، فشهد أحدُهما أنه رآه شربها؛ يعني: الخمر، وشهدَ الآخرُ أنّه رآه يتقيَّؤُها، فقال عثمانُ: إنه لم يتقيأها حتى شربها، فقال لعلي رضي الله عنه: أقم عليه الحد، فقال عليٌّ للحسن: أقم عليه الحدَّ، فقال الحسن: «ولّ حارّها من تولّى قارّها»، فقال عليٌّ لعبد الله بن جعفر: أقم عليه الحدَّ، قال: فأخذ السوط فجلده وعليٌّ يعدّ، فلما بلغ أربعين، قال: حسبك، جلدَ النبيُّ ﷺ أربعين، أحسبه قال: وجلدَ أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سنة، وهذا أحب إليَّ[1].

❁ [لقد نبّأ النبيُّ ﷺ بأنّه لا ينتَظِمُ أمرُ الخلافةِ الخاصّةِ بعد عثمانَ رضي الله عنه]:

وفي آخر هذا المبحث نشيرُ إلى نكتة مهمّةٍ، وهي أنّ النبيَّ ﷺ ذكر في أحاديثه بصراحة تارة وبإشارة أخرى أنَّ الخلافةَ الخاصّةَ لا تنتظم بعد عثمان رضي الله عنه، وثبتَ هذا المعنى بطرق مختلفة وبأسانيد متعددة، بحيث لم يبق مجالٌ للشكّ في ذلك أصلاً، وظهر ذلك واضحاً لكلِّ ذي عينين، ذلك لأن عليّاً المرتضى رضي الله عنه لم يتمكن من الخلافة رغم اختصاصه بصفات الخلافة الخاصة، وعلو كعبه ورسوخ قدمه في السوابق الإسلامية، ولم يستطع تنفيذ أمره في البلاد الإسلامية، وكانت أطراف حكومته تنقصُ على مرّ الأيام حتى لم تبق حكومته إلا على الكوفة وما حولها.

أمّا معاويةُ فإنّه قد اجتمع عليه العالم الإسلامي، وزال تشتت المسلمين في عهده، ولكنّه لم يكن متحلّياً بصفات الخلافة الخاصة، ولم يكن متّصفاً بالسوابق الإسلامية بنسبة سائر المهاجرين والأنصار.

- أخرج **البخاري** من حديث شقيق عن حذيفة قال: بينا نحن

---

(١) «سنن أبي داود» برقم: (٤٤٨٠).

جلوس عند عمر إذ قال: أيُّكم يحفظُ قولَ النبيِّ ﷺ في الفتنة؟

قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفّرها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال: ليس عن هذا أسألُكَ، ولكن التي تموجُ كموجِ البحر.

قال: ليس عليكَ منها بأسٌ يا أمير المؤمنين! إنّ بينك وبينها باباً مُغْلَقاً.

قال عمر: أيكسَرُ البابُ أم يُفْتَحُ؟

قال: لا بل يكسر.

قال عمر: إذاً لا يُغْلَقُ أبداً.

قلت: أجل.

قلنا لحذيفة: أكانَ عمرُ يعلمُ البابَ؟ قال: نعم كما يعلمُ أنَّ دونَ غد ليلةٌ، وذلك أني حدّثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله مَنِ الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله فقال: مَنِ الباب؟ قال: عمر[1].

• وتحقيقُ هذا الحديث أنّ معنى قوله: «إن بينك وبينها باباً مغلقاً» أنّ عمر رضي الله عنه يحولُ بين الناس والفتنة التي تموجُ كموجِ البحرِ، والمراد بقوله: «أيكسر الباب»؟ أنّ الفتنة الهائلة حينما تظهر بعد عمر فهل يمكن أن تخمدَ وتزولَ أم لا؟ فإن كانت تخمد فهو المراد بفتح الباب، وإن لم تخمد فهو المرادُ بكسر الباب، وليس المرادُ بكسره هلاكُ عمر، ويؤيده حديث عثمان أيضاً.

• أخرج **أحمد** عن أبي عون الأنصاري أنّ عثمان بن عفان قال لابن مسعود: هل أنتَ منتهٍ عما بلغني عنك، فاعتذرَ بعضَ العُذر، فقال

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧٠٩٦).

عثمان: ويحك إني قد سمعتُ وحفظتُ، وليس كما سمعتَ أن رسول الله ﷺ قال: «**سيُقْتَلُ أميرٌ، وينتزي مُنْتَزٍ**»، وإنِّي أنا المقتول، وليس عمر، إنّما قتل عمر واحد، وإنّه يجتمع عليَّ[١].

● أخرج **أبو داود** عن الحسن عن **أبي بكرة**: أنَّ النبيَّ ﷺ قال ذات يوم: «**مَنْ رأىٰ مِنْكُم رؤيا؟**»

فقال رجل: أنا رأيتُ كأنّ ميزاناً نزلَ من السماءِ فوُزِنْتَ أنتَ وأبو بكر فرجحتَ أنتَ بأبي بكر، ووُزِنَ عمرُ وأبو بكرٍ فرجح أبو بكر، ووُزِنَ عمرُ وعثمانُ فرجَحَ عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهيةَ في وجه رسول الله ﷺ[٢].

● **وأخرج أيضاً** من طريق عبد الرحمٰن بن أبي بكرة هذا الحديث، وفيه: فاستاءَ لها رسولُ اللهِ ﷺ؛ يعني: فساءه ذلك، فقال: خلافة نبوة ثم يؤتي اللهُ الملكَ مَنْ يشاءُ[٣].

● وأخرج **أبو داود** عن سَمُرة بن جندب: أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ اللهِ! إنِّي رأيتُ كأنَّ دلواً دلِّي من السماء، فجاء أبو بكر، فأخذ بعراقيها، فشربَ شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمرُ فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلّع، ثم جاء عثمان، فأخذ بعراقيها، فشرب حتى تضلَّع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت، وانتضح عليه منها شيءُ[٤].

● وأخرج **الترمذي** عن **حذيفة بن اليمان**: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**والّذي نفسي بيده لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتلوا إمامَكُم، وتجتلدوا بأسيافِكُم، ويرثُ دنياكم شرارُكم**»[٥]، هذا حديث حسن.

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٤٧٩).
(٢) «سنن أبي داود» برقم (٤٦٣٤).
(٣) «سنن أبي داود» برقم: (٣٦٣٥).
(٤) «سنن أبي داود» برقم (٤٦٣٧).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٠).

• وأخرج **الحاكم** عن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**تدورُ رحى الإسلامِ على خمسٍ وثلاثينَ أو ستٍّ وثلاثينَ، فإن يهلكوا فسبيلُ مَنْ هلكَ، وإن يَقمْ لهم دينُهم يقمْ لهم سبعينَ عاماً**» قال عمر: يا رسول الله! بما بقي أو بما مضى؟ قال: «**بما بقي**»[1].

وقد وقع ذلك في الخارج، فإنّ عثمان رضي الله عنه قتل في خمس وثلاثين وتشتت أمرُ الجهاد، ثم إنّه لما أجمعَ الناسُ على معاوية بن أبي سفيان انتظمَ أمرُ الجهاد، وبعد سبعينَ زالت دولةُ بني أمية[2].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** قال: بعثني بنو المصطلق إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالوا: سلْ لنا رسولَ اللهِ ﷺ إلى مَنْ ندفعُ صدقاتنا بعدَكَ؟ قال: فأتيتُه فسألتُه فقال: «**إلى أبي بكر**».

فأتيتُهم فأخبرتُهم فقالوا: ارجع إليه فسله، فإنْ حَدَثَ بأبي بكر حَدَثٌ فإلى مَنْ؟ فأتيتُه فسألتُه فقال: «**إلى عمر**».

فأتيتُهم فأخبرتُهم فقالوا: ارجع إليه فسله، فإنْ حدثَ بعمرَ حَدَثٌ فإلى مَنْ؟

فأتيته فقال: «**إلى عثمان**».

فأتيتُهم فأخبرتُهم فقالوا: ارجع إليه فسله، فإنّ حَدَثَ بعثمانَ حدثٌ فإلى من؟

فأتيته فسألتُهُ فقالَ: «**إنْ حدثَ بعثمانَ حَدَثٌ فتباً لَكُمْ الدَّهْرَ تبّاً**»[3].

• وفي «**الرياض**» عن **سهل بن أبي حثمة** رضي الله عنه قال: بايعَ أعرابيٌّ

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٣) برقم: (٨٧٣٥).
(٢) سنة اثنتين وثلاثين ومائة، «تاريخ الخلفاء» (ص٢٧٤).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٨٢) برقم: (٤٤٦٠).

النبيَّ ﷺ، فقال علي للأعرابيِّ: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إن أتى عليه أجلُه مَنْ يقضيه؟

فأتى الأعرابيُّ النبيَّ ﷺ فسأله فقال: «**يقضيك أبو بكر**».

فرجع إلى علي فأخبره فقال: ارجع فاسأله إنْ أتى على أبي بكر أجلُه مَنْ يقضيه؟

فأتى الأعرابيُّ إلى النبيِّ ﷺ فسأله فقال: «**يقضيك عمر**».

فقال علي للأعرابيِّ: سَلْهُ إنْ أتى على عمرَ مَنْ يقضيك؟

فسأله فقال: «**عثمان**».

فقال علي للأعرابي: ائتِ النبيَّ ﷺ فسله إن أتى على عثمان أجلُه مَنْ يقضيه؟

فسأله فقال النبيُّ ﷺ: «**إذا أتى على أبي بكر أجلُه وعمرَ أجلُه وعثمانَ أجلُه، فإنْ استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ**».

• وفيه من حديث **أبي هريرة** أنَّ النبيَّ ﷺ بايعَ أعرابياً بقلائصَ على أجل، فقال: يا رسول الله إن أعجلتك منيتك فمن يقضيني؟ قال: «**أبو بكر**»، قال: فإن عجلتْ بأبي بكر منيتُه فمن يقضيني؟ قال: «**عمر**»، قال: فإن عجلتْ بعمرَ منيتُه فمن يقضيني؟ قال: «**عثمان**»، قال: فإن عجلتْ بعثمانَ منيتُه فمن يقضيني؟ قال: «**إنِ استطعتَ أن تموتَ فَمُتْ**»، والله أعلم[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** ﵁ عن النبيِّ ﷺ قال: «**الخلافةُ بالمدينةِ والملكُ بالشام**»[٢].

---

(١) (١/٢٨٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٧٥) برقم: (٤٤٤٠).

• وفي «**المشكاة**»: عن عمر ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رأيتُ عموداً من نورٍ خرجَ من تحت رأسي ساطعاً حتّى استقرَّ بالشام**»[١].

• **وظهر بعض الحوادث التي دلَّت على انتهاء خواص النبي ﷺ عند موتِ عثمان** ﷺ:

• ففي «**المشكاة**»[٢]: عن **أبي هريرة** قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ بتمرات، فقلتُ: يا رسول الله! ادعُ الله فيهنَّ بالبركة، فضمَّهُنَّ، ثم دعا لي فيهنَّ بالبركة، فقال: «**خذهنَّ واجعلهنَّ في مزودِك، كلّما أردتَ أن تأخذَ منه شيئاً فَأَدْخِلْ فيه يدَكَ، فخذه ولا تَنْثُرْهُ نَثْراً**»، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنّا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتّى كان يوم قتل عثمان فإنّه انقطعَ.

• أخرج **أبو عمر** عن **سعيد بن المسيب**: أنّ زيد بن خارجة الأنصاري ثم من بني الحارث بن الخزرج، توفي زمن عثمان بن عفان فسجّي بثوبٍ، ثم إنهم سمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلّم فقال: أحمدُ أحمدُ في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ أبو بكر الصدِّيق الضعيف في نفسه، القوي في أمر الله، كان ذلك في الكتابِ الأوّلِ، صدقَ صدقَ عمرُ بنُ الخطاب القوي الأمين في الكتاب الأول، صدقَ صدقَ عثمان بن عفّان على منهاجهم، مضت أربعُ سنين، وبقيت اثنتان، أتت الفتنُ وأكل الشديدُ الضعيفَ، وقامتِ الساعةُ، وسيأتيكم خبرُ بئر أَرِيْس، وما بئرُ أريس[٣].

---

(١) «مشكاة المصابيح» (٣/ ٣٦٩) برقم: (٦٢٧١).
(٢) «مشكاة المصابيح» (٣/ ٢٩٠) برقم: (٥٩٣٣).
(٣) هو: بئرٌ عند مسجدِ قُباء، سقط خاتمُ النبيِّ ﷺ فيها من يدِ عثمانَ ﷺ وضاعَ.

ثم هلكَ رجلٌ من بني خطمة، فسجِّي بثوبٍ فسمعوا جلجلةً في صدره، ثم تكلَّم فقال: إنّ أخا بني الحارث بن الخزرج صدقَ صدقَ[(١)].

• أخرج **البخاري** عن نافع عن **ابن عمر** رضي الله عنهما قال: اتّخذ رسولُ اللهِ ﷺ خاتماً من وَرِق، وكان في يده، ثم كان بعدُ في يدِ أبي بكر، ثم كان بعدُ في يدِ عمرَ، ثم كان بعدُ في يدِ عثمان، حتى وقعَ بعدُ في بئر أَرِيس، نقشه محمّدٌ رسولُ اللهِ[(٢)].

• وأخرج **البخاري** عن **أنس** قال: كان خاتمُ النبيِّ ﷺ في يده، وفي يدِ أبي بكر بعدَه، وفي يدِ عمرَ بعدَ أبي بكر، فلمّا كان عثمانُ جلس على بئر أريس قال: فأخرجَ الخاتم فجعل يعبثُ به، فسقط قال: فاختلفنا ثلاثةَ أيامٍ مع عثمان فَنُزِحَ البئرُ فلم نجده[(٣)].

• وأخرج **أبو عمر** قال: قام عامر بن ربيعة يصلّي من الليل حين نشب الناسُ في الطعن على عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: فصلّى من الليل ثم نام، فأُتي في المنام، فقيل له: قم فاسألِ اللهَ أن يعيذَكَ من الفتنة التي أعاذَ منها صالحَ عباده، فقام فصلّى ودعا، ثم اشتكى، فما خرجَ بعدُ إلا بجنازته[(٤)].

• وأخرج **أبو عمر** أنّ ثمامة بن عدي أميرَ عثمان على صنعاء خطب يومَ بلغه موتُ عثمان، فذكر عثمانَ رضي الله عنه فبكى، وطال بكاؤه ثم قال: هذا حين انتُزعتْ خلافةُ النبوّةِ من أُمّةِ محمّدٍ ﷺ، وصارت مُلْكاً وجبرية، من غلبَ على شيءٍ أكلَه[(٥)].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ١٦٣).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٣).
(٣) «صحيح البخاري» برقم: (٥٨٧٩).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٢٣٨).
(٥) «الاستيعاب» (١/ ٦٤).



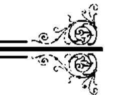
الفصل الخامس

في مناقب علي المرتضى رضي الله عنه

المبحث الأول

في مناقبه ومآثره

أمّا مآثر أمير المؤمنين وإمام الشجعان أسدُ اللهِ الغالبُ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله تعالى عنه فهي كثيرة:



[نسبه وقرابته لرسول الله ﷺ]:

منها: أنّه كان يمتازُ بقرابةٍ خاصّةٍ لرسول الله ﷺ، وكان على قمّةٍ عاليةٍ من الكرم وشرف النفس والنسب، فإنّه علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، وأُمُّه فاطمة بنت أسد بن هاشم.

قال أبو عمر: هي أوّل هاشميةٍ ولدت هاشمياً[1]؛ فإنَّ عليَّ بنَ أبي طالب وإخوته أوّل جماعة هاشمية من الأب والأم، وكذلك السيدان الحسن والحسين، والإمام محمد الباقر، وعبد الله المحض وإخوته، كلُّهم كانوا هاشميين من الأب والأم.

• وقال رسولُ اللهِ ﷺ في باب فاطمة بنت أسد: كانت أُمِّي بعد أُمِّي التي ولدتني، إنَّ أبا طالب كان يصنعُ الصنيعَ، وتكونُ له المأدبةُ،

(١) «الاستيعاب» (٢/ ١١١).

وكان يجمعُنا على طعامه، فكانت هذه المرأةُ تُفضِل منه كلّه نصيباً فأعودُ فيه، أخرجه **الحاكم**(١).

• ومن مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي ظهرت حين ولادته أنّه ولد في جوفِ الكعبة المشرفة.

• قال **الحاكم** في ترجمة حكيم بن حزام وقول مصعب فيه: لم يولد قبلَه ولا بعدَه في الكعبةِ أحد، ما نصّه: وَهِمَ مصعب في الحرف الأخير فقد تواترتِ الأخبارُ أنَّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة(٢).

۞ [كفالة النبي صلى الله عليه وسلم إياه]:

• **ومنها**: أنّه أدركته العنايةُ الربانيةُ في صغر سنّه، وقد تكفّله رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان إسلامُه وصلاتُه مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قبل أن يبلغَ رشده.

۞ [سبقه إلى الإيمان والعبادة]:

• وقد ذهبَ كثيرٌ من الصحابة والتابعين إلى أنّه كان أول من أسلم بعد خديجة رضي الله عنها، وقد سبق فصلٌ في هذا الباب في مآثر أبي بكر رضي الله عنه.

• قال **محمد بن إسحاق**: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبير أبي الحجاج قال: كان من نعمةِ اللهِ على عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وممّا صنع الله له وأراده به من الخير أنَّ قريشاً أصابتهم أَزْمةٌ شديدةٌ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم للعباس

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٦) برقم: (٤٥٧٤).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٥٥٠) برقم: (٦٠٤٤).

عمّه، وكان من أيسرِ بني هاشم: يا عباسُ إنّ أخاك أبا طالب كثيرُ العيال، وقد أصاب الناسَ ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه، فلنخفِّفْ عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذُ أنتَ رجلاً، فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتّى أتيا أبا طالب فقالا له: إنّا نريدُ أن نخفِّفَ عنك من عيالك، حتّى ينكشفَ عن الناسِ ما هُمْ فيه.

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما، ـ قال ابن هشام: ويقال: عقيلاً وطالباً ـ، فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ عليّاً، فضمَّه إليه، وأخذ العباس جعفراً، فضمّه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسولِ اللهِ ﷺ حتّى بعثه الله تبارك وتعالى نبيّاً، فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفر عند العباس حتّى أسلمَ واستغنى عنه[1].

• قال ابنُ إسحاق: وذكر بعضُ أهل العلمِ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان إذا حضرت الصلاةُ خرجَ إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه أبي طالب، ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلواتِ فيها، فإذا أمسيا رجعا، فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا.

ثم إنّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان، فقال لرسول الله ﷺ: يا ابنَ أخي ما هذا الدِّينُ الذي أراك تدينُ به؟

قال: «**أيْ عمِّ هذا دينُ اللهِ، ودينُ ملائكته، ودينُ رسلِه، ودينُ أبينا إبراهيم**»، أو كما قال ﷺ، «**بعثني الله به رسولاً إلى العبادِ، وأنتَ أيْ عمِّ أحقُّ مَنْ بُذِلَتْ له النصيحةُ ودعوته إلى الهدى، وأحقَّ من أجابني إليه، وأعانني عليه**» أو كما قال.

فقال أبو طالب: أي ابنَ أخي، إنِّي لا أستطيعُ أنْ أفارقَ دينَ آبائي

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٤٥).

وما كانوا عليه، ولكن واللهِ لا يخلصُ إليك شيءٌ تكرهه ما بقيت، وذكروا أنه قال لعليٍّ: أيْ بني ما هذا الدين الذي أنتَ عليه؟

فقال: يا أبتِ! آمنتُ بالله وبرسولِ اللهِ، وصدّقته بما جاء به، وصلّيتْ معه للهِ واتبعته، فزعموا أنه قال له: أما إنّه لم يدعك إلّا إلى خيرٍ فالزمه[1].

• وأخرج **أحمد** عن حية العرفي قال: رأيتُ علياً رضي الله عنه ضحك على المنبر لم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتى بدت نواجذه، ثم قال: ذكرت قول أبي طالب، ظهر علينا أبو طالب وأنا مع رسول الله ﷺ ونحن نصلّي ببطن نخلة، فقال: ماذا تصنعان يا ابن أخي؟ فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فقال: ما بالذي تصنعانِ بأسٌ، أو بالذي تقولان بأسٌ، ولكن واللهِ لا تعلوني استي أبداً، وضحكَ تعجباً لقول أبيه، ثم قال: اللَّهُمَّ لا أعترفُ أنّ عبداً لك من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات، لقد صليتُ قبل أن يصليَ الناسُ سبعاً[2].

ومنها: أنه لمّا توفي أبو طالب بالغَ رسولُ اللهِ ﷺ في تعزية علي بن أبي طالب وتسليته والدعاء له بالخير.

• أخرج **أحمد** عن **علي** رضي الله عنه قال: لمّا توفي أبو طالب أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إنّ عمّك الشيخ قد مات، قال: اذهب فواره، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتّى تأتيَني، قال: فواريتُه ثم أتيتُه قال: اذهب فاغتسل، ثم لا تُحْدِثْ شيئاً حتى تأتيَني قال: فاغتسلتُ ثم أتيتُه قال: فدعا لي بدعوات ما يسرُّني أنَّ لي بها حمرُ النعمِ وسُودُها، قال: وكان عليٌّ رضي الله عنه إذا غسل الميتَ اغتسل[3].

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٤٦).

(٢) «مسند أحمد» برقم: رقم: (٧٧٦).

(٣) «مسند أحمد» برقم: (٨٠٧).

۞ [معاملة النبيِّ ﷺ علياً معاملة منتظر الخلافة قبل الهجرة]:

• **ومنها**: أنّ رسول الله ﷺ كان يعامله معاملةَ منتظر الخلافة قبل الهجرةِ، وهي من لوازم الخلافة الخاصة.

• أخرج النَّسائي في «كتاب الخصائص» عن **ربيعة بن ناجية** أن رجلاً قال لعلي: يا أميرَ المؤمنين لم ورثتَ ابنَ عمك دون عمِّك قال: جمع رسولُ اللهِ ﷺ ـ أو قال: دعا رسول الله ﷺ ـ بني عبد المطلب فصنعَ لهم مُدّاً من طعام، قال: فأكلوا حتّى شبعوا، وبقي الطعامُ كما هو كأنّه لم يمسَّ، ثم دعا بغمر[1]، فشربوا حتى رووا، وبقي الشرابُ كأنّه لم يمسَّ، أو لم يشرب، فقال: «**يا بني عبدِ المطّلبِ إنِّي بعثتُ إليكم بخاصّةٍ، وإلى الناسِ بعامّةٍ، وقد رأيتُم من هذه الآية ما قد رأيتُم، فأيُّكم يبايعني على أن يكونَ أخي وصاحبي ووارثي**»، فلم يقم إليه أحدٌ، فقمتُ إليه، وكنتُ أصغرَ القوم فقال: «**اجلس**»، ثم قال ثلاث مرات، كلُّ ذلك أقومُ إليه، فيقول: «**اجلس**» حتى كان في الثالثة ضربَ بيده على يدي ثم قال: «**أنتَ أخي وصاحبي ووارثي ووزيري**»، فبذلك ورثتُ ابنَ عمي دون عمي[2].

• وأخرج **النسائي** عن **علي** رضي الله عنه قال: انطلقتُ مع رسول الله ﷺ حتى أتينا الكعبة، فصعد رسولُ اللهِ ﷺ على منكبي، فنهضَ به علي، فلمّا رأى رسولُ اللهِ ﷺ ضعفه قال له: «**اجلس**» فجلسَ، فنزل نبيُّ اللهِ ﷺ، فقال: «**اصعد على منكبي**»، فنهضَ به رسولُ اللهِ ﷺ، فقال علي: «**إنّه ليخيَّلُ إليَّ[3] أنّي لو شئتُ لنلتُ أفقَ السماءِ**»، فصعدتُ على

(١) الغُمَر: قدح صغير، جمعه: غمار وأغمار.
(٢) «سنن النسائي الكبرى» برقم: (٨٤٥١)، وأخرجه أحمد نحوه رقم: (١٢٢٠).
(٣) وفي «السنن الكبرى»: «ليخيلني».

الكعبة وعليها تمثال من صفر أو نحاس، فجعلتُ أعالِجُه لأزيلَه يميناً وشمالاً وقداماً ومن بين يديه ومن خلفه، حتّى إذا استمكنتُ منه قال نبيُّ اللهِ ﷺ: «**اقذفه**» فقذفتُ به، فكسرته كما تكسر القوارير، ثم نزلتُ، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس(١).

• **ومنها**: أنّه لما اجتمع كفّار قريش لإيذاء رسول اللهِ ﷺ، وأراد رسول الله ﷺ أن يهاجرَ من مكة إلى المدينة، أمرَ عليَّ بنَ أبي طالب أن ينامَ على فراشه، ويسجَّى ببرده، كي ينخدعَ الكفّار، ولا يطلعوا على هجرته ﷺ، ثم هاجرَ عليٌّ رضي الله عنه بعده، ولحق برسول الله ﷺ.

• قال **ابن إسحاق** في قصة الهجرة ومشاورة كفار قريش في أمر النبي ﷺ: فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ اللهِ ﷺ فقال: لا تبتْ هذه الليلة على فراشِكَ الذي كنتَ تبيتُ عليه.

قال: فلمّا كانت عَتْمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه، متى ينامُ فيثبون عليه، فلمّا رأى رسولُ اللهِ ﷺ مكانهم قال لعلي بن أبي طالب: «**نَمْ على فراشي، وتسجَّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنّه لن يخلصَ إليك شيءٌ تكرهه منهم**»، وكان رسول الله ﷺ قبل ينام في برده ذلك إذا نام(٢).

قال: وخرج عليهم رسولُ اللهِ ﷺ، فأخذَ حفنةً من ترابٍ في يده، فجعلَ ينثرُ ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يسٓ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿...فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩﴾،

---

(١) «سنن النسائي الكبرى» برقم: (٨٥٠٧).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٨٢).

حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات ولم يبقَ منهم رجلٌ إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرفَ إلى حيثُ أرادَ أن يذهب.

فأتاهم آتٍ ممّن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: محمداً؛ قال: خيّبكم الله، قد واللهِ خرجَ عليكم محمّدٌ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضعَ على رأسِهِ تراباً، وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم؟

قال: فوضع كلُّ رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه ترابٌ، ثم جعلوا يتطلّعون، فيرون علياً على الفراش متسجّياً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: واللهِ إنَّ هذا لمحمد نائماً عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام عليٌّ رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدّثنا.

ثم قال محمد بن إسحاق في قصة مقدم النبي ﷺ المدينة: وأقام عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها، لحق برسول الله ﷺ، فنزل على كلثوم بن هدم[١].

❁ [مؤاخاته مع النبي ﷺ]:

• **ومنها**: لما تمّت المواخاة بين أصحاب النبي ﷺ آخى بينه وبين علي رضي الله عنه وقال: «**أنتَ أخي في الدنيا والآخرة**»[٢].

• أخرج **الترمذي** عن ابن عمر قال: آخى رسولُ اللهِ ﷺ بين أصحابه، فجاءَ عليٌّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله! آخيتَ بين أصحابك، ولم تؤاخِ بيني وبين أحدٍ، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنتَ أخي في الدُّنيا والآخرة**»[٣].

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٤٩٢). (٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٨).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٠).

❁ [مواقفه في غزوة بدر]:

ومنها: أنّه ظهرَ له أوفر نصيب في السوابق الإسلامية في غزوة بدر، **وذلك من وجوه**:

الأول: لـمّا بلغَ رسول الله ﷺ قربَ بدر بعث جماعة لاستطلاع حال أعدائه، فكان عليٌّ رضي الله عنه منهم.

• قال **محمد بن إسحاق**: فلمّا أمسى رسولُ اللهِ ﷺ بعثَ عليَّ بنَ أبي طالب، والزبيرَ بنَ العوام، وسعدَ بنَ أبي وقاص، في نفرٍ من أصحابه إلى ماءِ بدرٍ، يلتمسون الخبرَ له، فأصابوا روايا لقريش، فيها أسلم غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما رسول الله ﷺ[1]، الحديث.

الثاني: لما اجتمع الفريقان برز ثلاثةُ نفر من الكفار للمبارزة، فبارزهم ثلاثةٌ من بني هاشم لقتالهم، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه من أولئك الثلاثة.

• قال **محمد بن إسحاق**: وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي، وكان رجلاً شرساً سيئَ الخلق فقال: أعاهِدُ الله لأشربنَّ من حوضهم، أو لأهدمنَّه، أو لأموتنَّ دونه، فلمَّا خرجَ خرجَ إليه حمزة بن عبد المطلب، فلمّا التقيا ضربه حمزةُ فجرحَ قدمه بنصف ساقه وهو دونَ الحوضِ فوقع على ظهره تشخبُ رجله دماً نحو أصحابه، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه، يريدُ أن يبرّ يمينه، فأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض.

ثم خرج بعدُ عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/٦١٦).

عتبة، حتى إذا فصل من الصفِّ دعا إلى المبارزة، فخرج إليه فتيةٌ من الأنصار ثلاثةٌ، وهم عوف، ومعوذ ابنا الحارث ـ وأمهما عفراء ـ ورجل آخر يقال: هو عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: رهطٌ من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم يا محمّد! أخرج إلينا أكْفَاءنا من قومنا.

فقال رسول الله ﷺ: «**قم يا عبيدةُ بنُ الحارث، وقم يا حمزةُ، وقم يا عليُّ!**» فلمّا قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم؟ قال عبيدة: أنا عبيدة، وقال حمزة: أنا حمزة، وقال علي: أنا علي، قالوا: نعم أَكْفاءٌ كرامٌ، فبارز عبيدةُ وكان أسنَّ القوم عتبة بن ربيعة، وبارز حمزةُ شيبةَ بن ربيعة، وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة، فأمّا حمزةُ فلم يمهل شيبة أن قتله، وأمّا علي فلم يمهل الوليدَ أن قتله، واختلف عبيدةُ وعتبةُ بينهما ضربتين كلاهما أثبتَ في صاحبه، وكرَّ حمزةُ وعليٌّ بأسيافهما على عتبة، فدففا[1] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه[2].

الثالث: كان جبريل أو ميكائيل عن يمين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في غزوة بدر.

● أخرج **الحاكم** عن أبي صالح عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر لي ولأبي بكر: «**عن يمين أحدِكما جبريلُ، والآخر ميكائيل وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال، ويكون في الصفِّ**»[3].

● وذكر **محمد بن إسحاق** أسماءَ مَنْ قتلهم علي رضي الله عنه في هذه الغزوة، فذكرَ بعضها جزماً، وشكَّ في بعضها.

(١) **دفف الجريح**: أجهز عليه وأتمّ قتله.
(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٦٢٤ ـ ٦٢٥).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٤) برقم: (٤٦٥٣).

• أخرج **أبو عمر** عن إبراهيم بن عبيد بن رفاعة بن رافع الأنصاري عن أبيه عن جده قال: أقبلنا من بدر، ففقدنا رسولَ اللهِ ﷺ، فنادت الرفاقة بعضها بعضاً: أفيكم رسولُ اللهِ ﷺ؟ فوقفوا حتّى جاء رسولُ اللهِ ﷺ ومعه علي بن أبي طالب ﷺ فقالوا: يا رسول الله! فقدناك فقال: **«إنَّ أبا الحسن وجدَ مَغْصاً في بطنه فتخلّفتُ عليه»**(١).

❁ [زواجه من فاطمة بنت الرسول ﷺ]:

• **ومنها**: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ زوّج بنته فاطمة عليّاً ﷺ، وأكرمه إكراماً لا يتصور فوقه.

• أخرج **أبو عمر** عن عبد الله بن محمد بن سليمان بن جعفر الهاشمي يقول: ولدت فاطمة ﷺ سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ وأنكحَ رسولُ اللهِ ﷺ فاطمةَ عليَّ بن أبي طالب بعد وقعة أُحد، وقيل: إنه تزوّجها بعد أن ابتنى رسولُ اللهِ ﷺ بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف، وكان سنّها يوم تزويجها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفاً، وكان سنّ علي إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر(٢).

ويتردد العبد الفقير في تزويج فاطمة بعد أُحُدٍ، إذ قال لها علي ﷺ في غزوة أُحد: «اغسلي عني الدمَ» فكيفَ يصحُّ ذلك بدون التزوج؟ والله أعلم(٣).

• أخرج **النّسائي** في «خصائص علي ﷺ» عن عبد الله بن بريدة

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٩).
(٢) «الاستيعاب» (٢/ ١١٢).
(٣) ما ذهب إليه المصنف وهو الصواب؛ لأنه جاء في كتاب «الإكمال في أسماء الرجال» أن عليّاً تزوّجَ فاطمة في رمضان سنة اثنتين، وفي الرواية التي ورد فيها أنه تزوج بعد أُحد فهو وهم.

عن **أبيه** قال: خطبَ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: «**إنّها صغيرةٌ**»، فخطبها عليٌّ فزوّجها منه[١].

• وأخرج **النسائي** أيضاً، عن **أسماء بنت عميس** قالت: كنتُ في زفاف فاطمة بنت رسول الله ﷺ فلمّا أصبحنا، جاء النبي ﷺ فضرب البابَ، ففتحتْ له أمُّ أيمن البابَ [يقال: كان في لسانها لثغة[٢] فقال: «**يا أُمَّ أيمنَ ادعي لي أخي**»، قالت: هو أخوك وتُنْكِحُه؟ قال: «**نعم يا أمَّ أيمن**»، وسمعنَ النساءُ صوتَ النبي ﷺ فتنحينَ، قالت: [واختبين[٣] واختبيتُ أنا في ناحية، قالت: فجاء عليٌّ فدعا له رسول الله ﷺ ونضحَ عليه من الماء، ثم قال: ادعوا لي فاطمة، فجاءت وعليها خرقة من الحياء، فقال لها: «**قد أنكحتُكِ أحبَّ أهل بيتي إليَّ**»، ودعا لها، ونضحَ عليهما من الماء، فخرجَ رسولُ اللهِ ﷺ فرأى سواداً فقال: «**مَنْ هذا؟**» قلت: أسماء، قال: «**ابنةُ عُمَيْس؟**»، قلت: نعم، قال: «**كنتِ في زفافِ فاطمة بنت رسول الله ﷺ تكرمينها؟**»، قلت: نعم، قالت: فدعا لي[٤].

[مواقفه في غزوة أُحُد]:

ومنها: في معركة أُحد لعلي بن أبي طالب فضائل عظيمة، إذ أعطي لواءَ رسولِ الله ﷺ بعد ما استشهد مصعب بن عمير، الذي كان معه هذا اللواء، فبارز به عليٌّ رضي الله عنه صاحب لواء قريش وقتله.

• قال **ابن إسحاق**: وقاتل مصعبُ بنُ عمير دون رسول الله ﷺ حتى قُتل، وكان الذي قتله قُبيصة بن قمئة الليثي، وهو يظنُّ أنّه

(١) «سنن النسائي الكبرى» برقم: (٥٣٢٩).
(٢) ثبت في الأصل الفارسي، ولم يثبت في «السنن الكبرى».
(٣) ثبت في الأصل الفارسي، ولم يثبت في «السنن الكبرى».
(٤) «سنن النسائي الكبرى» برقم: (٨٥٠٩).

رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش وهو يقول: قتلتُ محمّداً، فلما قُتِلَ مصعب بن عمير أعطى رسولُ اللهِ ﷺ اللواءَ عليَّ بنَ أبي طالب، وقاتل علي بن أبي طالب ورجال من المسلمين.

• قال **ابن هشام**: وحدّثني مسلمة بن علقمة المازني، قال: لمّا اشتد القتالُ يوم أُحد، جلسَ رسولُ اللهِ ﷺ تحتَ راية الأنصار، وأرسل رسولُ اللهِ ﷺ إلى عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه أنْ قدّم الراية، فتقدّم عليٌّ فقال: أنا أبو القُصَم، ويقال أبو القُضم فيما قال ابن هشام، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة، وهو صاحبُ لواء المشركين: أن هل لك يا أبا القضم في البرازِ من حاجةٍ؟ قال: نعم، فبرزا بين الصفّين، فاختلفا ضربتين، فضربه عليٌّ فصرعه، ثم انصرفَ عنه، ولم يجهز عليه، فقال له أصحابه: أفلا أجهزتَ عليه؟ فقال: إنّه استقبلني بعورته، فعطفتني عنه الرحمةُ، وعرفتُ أنّ الله ﷻ قد قتله.

ويقال: إنّ أبا سعد بن أبي طلحة خرجَ بين الصفين فنادى: أنا قاصمٌ مَنْ يبارز؟ فلم يخرجْ إليه أحدٌ، فقال: يا أصحاب محمد! زعمتُم أنّ قتلاكم في الجنة، وأن قتلانا في النار، كذبتم واللاتِ والعُزَّى، لو تعلمون ذلك حقاً لخرج إليَّ بعضكم، فخرجَ إليه علي بن أبي طالب، فاختلفا ضربتين فضربه علي فقتله[1].

• وذكر في مبحث قتلى المشركين جماعةً قتلهم علي بن أبي طالب ﵁.

• ولما ابتلي المسلمون بمحنة شديدة، وزلزلوا زلزالاً، واستشهد كثير من الصحابة، ولم يكونوا يعرفون حالَ رسولِ اللهِ ﷺ خرجَ

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٧٣).

رسولُ اللهِ ﷺ إلى الشعب، فكان عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ ممَّن لازموه.

• قال **ابن إسحاق**[١]: فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب، معه أبو بكر الصدِّيق، وعمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، رضوان الله عليهم، والحارث بن الصمة، ورهط من المسلمين.

• ولما انكشفت هذه المحنةُ غسل علي بن أبي طالب ﷺ جُرْحَ رسول الله ﷺ.

• فقد أخرج **البخاري** عن سهل بن سعد وهو يسأل عن جُرحِ رسول اللهِ ﷺ فقال: أما والله إنِّي لأعرفُ مَنْ كان يَغْسِلُ جرحَ رسول الله ﷺ، ومَنْ كانَ يسكبُ الماء، وبما دُووي؟ قال: كانت فاطمةُ بنتُ رسولِ اللهِ ﷺ تغسِلُه، وعلي بن أبي طالب يسكبُ الماءَ بالمجنِّ، فلمّا رأتْ فاطمةُ أنَّ الماء لا يزيدُ الدمَ إلّا كثرةً، أخذت قطعةً من حصيرٍ فأحرقتَها وألصقتَها فاستمسكَ الدمُ[٢].

• قال **ابن إسحاق**[٣]: فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناول سيفه ابنتَه فاطمةَ فقال: «**اغسلي عَنْ هذا دَمَه يا بنيّةُ، فواللهِ لقد صدقَني اليومَ**».

وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا أيضاً فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لئن كنتَ صدقتَ القتالَ لقد صدقَ معك سَهْلُ بن حُنيف وأبو دُجانة**».

قال **ابن هشام**: وكان يقال لسيف رسول الله ﷺ: ذو الفقار، قال

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٨٣).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٠٧٥).
(٣) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٠٠).

ابن هشام: وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ ابن أبي نجيح قال: نادى منادٍ يوم أُحد: لا سيفَ إلّا ذو الفقار ولا فتًى إلَّا علي الكرار.

❁ [مواقفه يوم الخندق]:

• **ومنها**: في غزوة الخندق[1] لما اقتحم بعضُ فرسان قريش من الخندق، وبارزوا المسلمين، وكان فيهم عمرو بن عبدِ وِدٍّ، فبارزه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتله.

• قال **ابن إسحاق**: ثم تيمّموا مكاناً ضيقاً من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم في السبخةِ بين الخندق وسلع، وخرجَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في نفرٍ من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلَهم، وكان عمرو بن عبد ود قد قاتل يومَ بدرٍ حتّى أثبتته الجراحةُ فلم يشهد يوم أُحدٍ؛ فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعْلَماً ليري مكانه، فلمّا وقفَ هو وخيلُه قال: مَنْ يبارز؟ فبرزَ له عليُّ بن أبي طالب فقال له: يا عمرو! إنّكَ قد كنتَ عاهدت الله ألا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه؟ قال له: أجل، قال له علي: فإنِّي أدعوكَ إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجةَ لي بذلك، قال: فإنِّي أدعوك إلى النزالِ، فقال له: لم يا ابنَ أخي؟ فواللهِ ما أحبُّ أن أقتلَك، قال له علي: لكنِّي واللهِ أحب أن أقتلك؛ فحَمِيَ عمرو عند ذلك، فاقتحم عن فرسه فعقره، وضرب وجهه، ثم أقبل على علي فتنازلا وتحاولا، فقتله علي رضي الله عنه، وخرجت خيلُهم منهزمةً حتى اقتحمتِ من الخندق هاربةً، قال ابن إسحاق: وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك:

---

(١) وقعت غزوة الخندق في شوال سنة خمس. انظر: «السيرة النبوية»، للندوي (٢٤٧ و٢٥٧).

نَصَرَ الحجارةَ[١] مِنْ سَفَاهَةِ رأيه ... ونصرتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بصوابي
فصددتُ حين تركتُه مُتَجَدِّلاً ... كالجِذْعِ بينَ دَكَادِكٍ ورَوَابي[٢]
وعَفَفْتُ عَنْ أثوابِهِ ولو أنَّنِي ... كنتُ المُقَطَّرَ بزّني أثوابي[٣]
لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خاذِلُ دينِهِ ... ونبيِّه يا معشرَ الأحزابِ[٤].

❁ [شجاعته يوم بني قريظة[٥]]:

● وكانت شجاعته ﷺ من أسباب خروج بني قريظة من حصونهم حين حاصر المسلمون بهم.

قال **ابن هشام**: حدّثني بعضُ مَنْ أثقُ به من أهل العلم أنّ عليَّ بنَ أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة: يا كتيبةَ الإيمان، وتقدّم هو والزبيرُ بنُ العوام، وقال: واللهِ لأذوقنَّ ما ذاقَ حمزةُ أو لأفتحنَّ حصنهم، فقالوا: يا محمّد! ننزلُ على حكم سعد بن معاذ[٦].

❁ [حضوره في بيعة الرضوان وكتابة الصلح يوم الحديبية]:

● **ومنها**: أنه شهدَ بيعة الرضوان، وهو الذي كتبَ صحيفة الصلح.

قال ابن إسحاق: وكان هو كاتبُ الصحيفة[٧].

---

(١) **الحجارة (هنا)**: الأنصاب التي كانوا يعبدونها ويذبحون لها.

(٢) **متجدّلاً**: لاصقاً بالأرض، **والجذع**: فرع النخلة، **والدكادك**: جمع دكداك، وهو الرمل اللين، **والروابي**: جمع رابية، وهي الكدية المرتفعة.

(٣) **المقطر**: الذي ألقي على أحد قطريه؛ أي: جنبيه، والقطر: الجانب، وبزّني: سلبني وجرَّدني.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٢٤).

(٥) وقعت غزوة بني قريظة سنة خمس.

(٦) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٠).

(٧) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣١٩).

۞ [عامل النبي ﷺ علياً مثل معاملة منتظر الخلافة في الحديبية]:

وعامله رسولُ اللهِ ﷺ في هذا السَّفَرِ مثل معاملة منتظر الخلافة.

• أخرج **النسائي والحاكم** واللفظ للنسائي عن **علي** قال: جاء النبيَّ ﷺ أناسٌ من قريش، فقالوا: يا محمّد! إنّا جيرانك وحلفاؤك، وإنّ أناساً من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبةٌ في الدين، ولا رغبةٌ في الفقه، إنّما فرُّوا من ضياعنا وأموالنا فارددهم إلينا، فقال لأبي بكر: «**ما تقول؟**»، فقال: صدقوا إنّهم لجيرانك وأحلافُك، فتغيّر وجه النبيِّ ﷺ، ثم قال لعمر: «**ما تقول؟**»، قال: صدقوا إنّهم لجيرانك وحلفاؤك، فتغيّر وجهُ النبيِّ ﷺ، ثم قال: «**يا معشر قريش! واللهِ ليبعثَنَّ اللهُ عليكم رجلاً منكم قد امتحنَ الله قلبه للإيمان فليضربنَّكُم على الدِّين أو يضربَ بعضَكم**»، فقال أبو بكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، قال عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، ولكن ذلك الذي يخصِفُ النعل، وقد كان أعطى عليّاً نعله يخصفها[1][2].

---

(١) «سنن النسائي الكبرى» برقم: (٨٤١٦)، و«المستدرك على الصحيحين» (٢/ ١٤٩) برقم: (٢٦١٤)، «سنن الترمذي» (ح: ٣٧١٥)، «مسند أحمد» (١/ ١٢٥).

(٢) قال صاحب «بذل المجهود» (٩/ ٣٥٢ ـ ٣٥٦): لم يذكر أحدٌ من أهل السير هذه القصة في الحديبية، فأهلُ السير متفقون على أنَّ هذه القصة وقعت في غزوة الطائف...، وما جاء في الرواية: «**يا معشر قريش**» لم يصدر منه ﷺ إلا لكفار قريش، وكذا هذا العتابُ الشديدُ لا يصدر منه ﷺ لأصحابه على ما صدر منهم من الكلام بخطأ الاجتهاد، وقال أيضاً: لقد تحيّرتُ في هذه القصة، فالظاهر أن الذي ذكر أنها وقعت في الحديبية غلط من بعض الرواة بثلاثة أوجه، ثم ذكرها بالتفصيل، وقال في الأخير: ولم أسلم أنَّ هذه القصة وقعت في الحديبية أيضاً، فالمراد بقوله: «ناس» بعض الكفّار لا الصحابة ﷺ، فما قال مولانا علي القاري في شرحه «المرقاة» (٧/ ٥٣٠): «ناس»؛ أي: جمعٌ من الصحابة وتبعه صاحب «العون» (٧/ ٢٦٣) فكأنّهما لم يتنبَّها لذلك، والله أعلم.

❁ [فتح قلعة خيبر]:

• **ومنها**: أنّه لما تأخّر فتحُ حصن من حصون خيبر فسلَّم رسول الله ﷺ الرايةَ إلى علي رضي الله عنه، فتحقّق فتحه على يديه رضي الله عنه.

• قال **ابن إسحاق**: وحدثني بُريدةُ بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن أبيه سفيان عن **سلمة بن عمرو بن الأكوع**، قال: بعث رسولُ اللهِ ﷺ أبا بكر الصدِّيق رضي الله عنه برايته، وكانت بيضاءَ إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يكُ فتحٌ، وقد جهدَ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل ثم رجع ولم يكُ فتحٌ، وقد جهدَ، فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، يفتحُ اللهُ على يديه، ليس بِفَرّار**»، قال: يقول سلمة: فدعا رسولُ اللهِ ﷺ عليّاً رضوان الله عليه وهو أرمدُ فتفلَ في عينه، ثم قال: «**خُذْ هذه الراية فامضِ بها حتّى يفتَح الله عليك**»، قال: يقول سلمة: فخرجَ واللهِ بها يهرولُ هرولةً، وإنّا لخلفه نتبعُ أثره، حتى ركزَ رايته في رضم من حجارة تحتَ الحصنِ، فاطلع إليه اليهودُ من رأس الحصن قالوا: مَنْ أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، قال: تقول اليهود: علوتم وما أنزل على موسى، أو كما قال، قال: فما رجع حتّى فتحَ الله على يديه[1].

• قال **ابن إسحاق**[2]: حدّثني عبد الله بن الحسن عن بعض أهله عن **أبي رافع** مولى رسول الله ﷺ قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه حين بعثه رسول الله ﷺ برايته، فلمّا دنا من الحصن خرجَ إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجلٌ من يهود، فطاحَ ترسه من يده، فتناول عليٌّ باباً كان عند الحصن فتترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٤).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٣٤).

وهو يقاتِلُ حتى فتحَ الله عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغَ، فلقد رأيتَني في نفرٍ سبعةٍ معي، أنا ثامنُهم نجهدُ على أن نقلِبَ ذلك الباب فما نقلبه.

• أخرج **البخاري** عن **سلمة بن الأكوع** قال: كان علي بن أبي طالب ﵁ تخلّف عن النبيِّ ﷺ في خيبر وكان رمِداً، فقال: أنا أتخلّف عن النبيِّ ﷺ فلحقَ به، فلما بتنا الليلةَ التي فتحت، قال: «**لأعطينَّ الرايةَ غداً أو ليأخذنَّ الرايةَ غداً رجلٌ يحبّه اللهُ ورسولُه يفتحُ الله عليه**»، فنحن نرجوها؛ فقيل: هذا علي، فأعطاه ففتحَ عليه[1].

• **ومنها**: أنّه لما اختصم علي المرتضى وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة بنت حمزة ﵁ في عمرة القضاء، وتناقشوا في ذلك، قال رسولُ اللهِ ﷺ لكلٍّ واحد منهم قولاً يليق بشأنه:

• أخرج **البخاري**[2] عن **البراء** ﵁ قال: لمّا اعتمرَ النبيُّ ﷺ في ذي القعدة ومضى الأجل، فخرجَ النبيُّ ﷺ فتبعته ابنةُ حمزة تنادي: يا عم يا عم فتناولها عليٌّ فأخذ بيدها وقال لفاطمة: دونك ابنة عمّك احمليها، فاختصمَ فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرُ، قال علي: أنا أخذتُها وهي بنتُ عمي، وقال جعفر: ابنة عمي وخالتُها تحتي، وقال زيد: ابنةُ أخي، فقضى بها النبيُّ ﷺ لخالتها وقال: «**الخالةُ بمنزلةِ الأم**»، وقال لعلي: «**أنتَ منِّي وأنا مِنْكَ**»، وقال لجعفر: «**أشبهتَ خلقي وخُلُقي**»، وقال لزيد: «**أنتَ أخونا ومولانا**»، الحديث.

• ومنها: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لمّا أكّد العزمَ على المباهلةِ مع نصارى نجران، دعا لها علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ ﵃.

• أخرج **الترمذي** عن سعد بن أبي وقاص ﵁ عن أبيه قال: لما

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٧٢). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٢٥١).

نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ...﴾ الآية [آل عمران: ٦١]، دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمةَ وحَسَناً وحُسيناً فقال: «**اللَّهُمَّ هؤلاءِ أهلي**»[(١)].

• **ومنها**: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثَ عليّاً مع جماعة لأخذِ كتابٍ أرسله حاطبُ بنُ أبي بَلْتَعَةَ إلى كفّار قريش حين أراد غزوة الفتح.

• أخرج **البخاري** عن **علي** رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبيرُ والمقدادُ فقال: «**انطلقوا حتّى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنّ بها ظعينةً معها كتابٌ، فخذوه منها**»، قال: فانطلقنا تعادَىٰ بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ، فإذا نحنُ بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتابٌ، فقلنا: لتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لنلقيَنَّ الثيابَ، قال: فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به رسول اللهِ ﷺ[(٢)].

• ولمّا تلفظ سعد بن عبادة بكلمة كرهها رسول الله ﷺ في هذه الغزوة أخذ منه الراية، وأعطاها عليّاً.

• قال **ابن إسحاق**[(٣)]: فزعم بعضُ أهل العلم أنَّ سعداً حين وجه داخلاً، قال: اليومُ يومُ الملحمةِ، اليومُ تستحلُّ الحرمةُ، فسمعها رجل من المهاجرين ـ قال ابن هشام: هو عمر بن الخطاب ـ فقال: يا رسول الله! اسمع ما قال سعدُ بنُ عبادة، ما نأمنُ أن يكونَ له في قريش صولةٌ، فقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «**أدرِكْهُ فخذِ الرايةَ منه، فكنْ أنتَ الذي تدخلُ بِهَا**»[(٤)].

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٢٩٩٩). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٨٣).

(٣) «سيرة ابن هشام» (٢/٤٠٦).

(٤) ذكر الحافظ في «فتح الباري» (٨/٩) ثلاثة أقوالٍ فيمن دُفعت إليه الرايةُ التي نزعت من سعد بن عبادة، وقال: والذي يظهر في الجمع أن عليّاً أرسل بنزعها، وأن يدخل =

• قال **ابن إسحاق**: ثم جلسَ رسولُ الله ﷺ في المسجدِ، فقام إليه عليٌّ بنِ أبي طالب ومفتاحُ الكعبة في يده فقال: يا رسولَ اللهِ اجمع لنا الحجابة مع السقايةِ صلَّى الله عليك، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أينَ عثمانُ بنُ طلحةَ؟**»، فدعي له فقال: «**هاكَ مفتاحُكَ يا عثمانُ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووفاءٍ**»[1].

• **ومنها**: أنّ رسول الله ﷺ لما أرسل خالدَ بنَ الوليد إلى بني جُذيمة وقتل جماعةً ممّن أسرهم بدون حيطة، بعثَ إليهم رسولُ اللهِ ﷺ عليّاً المرتضى ﷺ لتدارِك الخطأ الذي صدر من خالدٍ في قتلهم.

قال **ابن إسحاق**: فحدّثني حكيم بن حكيم عن أبي جعفر محمد بن علي قال: ثم دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضوان الله عليه فقال: «**يا عليُّ! اخْرُجْ إلى هؤلاءِ القوم فانظرْ في أمرِهم، واجعلْ أمر الجاهليةِ تحتَ قدميك**»، فخرج عليٌّ حتى جاءهم، ومعه مالٌ قد بعث به رسول الله ﷺ فوَدى لهم الدماء، وما أصيبَ لهم من الأموال، حتّى إنه ليدي لهم مبلغة الكلب، حتّى إذا لم يبقَ شيءٌ من دم ولا مال إلّا وداه، بقيت معه بقيةٌ من المال، فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم: هل بقيَ لكم بقيةٌ من دمٍ أو مالٍ لم يودَ لكم؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أعطيكم هذه البقيةَ من هذا المالِ احتياطاً به لرسول الله ﷺ ممّا لا يعلمُ ولا تعلمون ففعل، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فقال: «**أصبتَ وأحسنتَ**»، قال: ثم قام رسولُ اللهِ ﷺ فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتّى إنّه ليرى مما تحت منكبيه يقول: «**اللَّهُمَّ إنّي أبرأُ إليكَ ممّا صنعَ خالدُ بنُ الوليدِ**» ثلاث مرات[2].

= بها، ثم خشي تغيُّر خاطرَ سعد، فأمر بدفعها لابنه قيس، ثم إنَّ سعداً خشي أن يقع من ابنه شيءٌ ينكره النبيُّ ﷺ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذٍ أخذها الزبيرُ.

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤١٢).

(٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٢٩).

❁ [مواقفه في غزوة حُنين]:

• **ومنها**: أنّه كانَ من الذين ثبتوا مع رسولِ اللهِ ﷺ حين وقع المسلمونُ في بلاءٍ، وأصيبوا بنوعٍ من الهزيمةِ في غزوة حنين.

قال **ابن إسحاق**[١]: وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وأبو سفيان بن الحارث وابنه[٢]، والفضل بن العباس، وربيعة بن الحارث، وأسامة بن زيد، وأيمن ابن أمِّ أيمن بن عبيد.

قال **ابن إسحاق**: وحدّثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمٰن بن جابر عن أبيه **جابر بن عبد الله** قال: بينا ذلك الرجلُ من هوازن صاحب الراية على جمله يصنعُ ما يصنعُ، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجلٌ من الأنصار يريدانه، قال: فأتى علي بن أبي طالب من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عَجُزِه، ووثبَ الأنصاري على الرجل فضربه ضربةً أطنّ قدمه[٣] بنصفِ ساقه، فانجعف عن جمله[٤][٥].

❁ [إكرام رسول الله ﷺ عليّاً إكراماً بالغاً حين سافر إلى غزوة تبوك]:

• **ومنها**: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ لما توجّه إلى غزوة تبوك استخلف عليّاً على أهله في المدينة المنورة، وأكرمه بذلك.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٢).
(٢) قال ابن هشام: بعض الناس يعدّ فيهم قُثَم بن العباس ولا يعد ابن أبي سفيان. انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٢).
(٣) **أطنَّ قدمه**: أطارها.
(٤) **انجعف**: سقط عنه صريعاً.
(٥) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٤٤٥).

قال **محمد بن إسحاق**[(١)]: وخلف رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طالب رضوان الله عليه على أهله، وأمره بالإقامة فيهم، فأرجفَ به المنافقون، وقالوا: ما خلفه إلا استثقالاً له، وتخفّفاً منه، فلما قال ذلك المنافقون أخذ عليُّ بنُ أبي طالب رضوان الله عليه سلاحَه، ثم خرجَ حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازِلٌ بالجرف، فقال: يا نبيَّ الله زعم المنافقون أنّك إنّما خلفتني استثقالاً بي، فقال: «**كذبوا، ولكنَّني خلفتُك لما تركتُ ورائي، فارجْع فاخلُفْنِي في أهلي وأهلِكَ، أفلا ترضى يا عليُّ أنْ تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسى؟ إلّا أنّه لا نبيَّ بعدي**»، فرجع علي إلى المدينة؛ ومضى رسولُ اللهِ ﷺ على سفره.

• قال **ابن إسحاق**: وحدثني محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه **سعد** أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي هذه المقالة.

• وأخرج **البخاري** عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليّاً فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارون من موسى؟ إلّا أنّه ليسَ نبيٌّ بعدي**»[(٢)].

۞ [ذهابه بسورة البراءة إلى مكة]:

• **ومنها**: أنّ رسول الله ﷺ ولّى أبا بكرٍ رضي الله عنه إمارةَ الحجِّ في السنة التاسعة، فلمّا ارتحلَ أبو بكر رضي الله عنه نزلت أوائِلُ سورة براءة، فبعث بها عليّاً لتبليغَها إلى مكة.

أخرج أحمد[(٣)] عن علي رضي الله عنه: أنّ النبيَّ ﷺ حين بعثه ببراءة فقال:

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥١٩).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٤١٦).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (١٢٨٦).

يا نبيَّ الله إنِّي لستُ باللسن ولا بالخطيب، قال: «**ما بدَّ أنْ أذهبَ بها أنا أو تذهبَ بها أنتَ**»، قال: فإنْ كانَ ولا بدَّ فسأذهبُ أنا، قال: «**فانطلقْ فإنّ اللهَ يثبّتُ لسانَكَ، ويهدي قلبَكَ**»، قال: ثم وضع يده على فمه.

وقال **ابن إسحاق**: وحدّثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنيف، عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنّه قال: لما نزلت براءةُ على رسول الله ﷺ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيمَ للناس الحجَّ فقيل له: يا رسولَ اللهِ، لو بعثتَ بها إلى أبي بكر فقال: «**لا يؤدِّي عنّي إلا رجلٌ من أهل بيتي**»، ثم دعا عليَّ بنَ أبي طالب رضوان الله عليه فقال له: «**اخرج بهذه القصّةِ من صدرِ براءة، وأذّن في الناسِ يومَ النحر إذا اجتمعوا بمنًى: أنّه لا يدخلُ الجنةَ كافرٌ، ولا يحجَّ بعد العامِ مشركٌ، ولا يطوفَ بالبيتِ عريانٌ، ومَنْ كان له عندَ رسولِ الله ﷺ عهدٌ فهو له إلى مُدَّتِهِ**».

فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق، فلمّا رآه أبو بكر بالطريق قال: أأميرٌ أم مأمورٌ؟ فقال: بل مأمورٌ، ثم مضيا، فأقام أبو بكر للناسِ الحجَّ، والعربُ إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية، حتى إذا كان يومُ النحر قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأذّنَ في الناس بالذي أمره به رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ: أيُّها الناسُ! إنّه لا يدخلُ الجنّةَ كافِرٌ، ولا يحجُّ بعد العام مشركٌ، ولا يطوفُ بالبيتِ عُريانٌ، ومَنْ كان له عند رسولِ اللهِ ﷺ عهدٌ، فهو له إلى مدته، وأجّلَ الناسَ أربعة أشهرٍ من يوم أذن فيهم، ليرجع كلّ قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد إلى مدة فهو له إلى مدته.

فلم يحج بعد ذلك العام مشركٌ، ولم يطف بالبيتِ عريان، ثم قدما على رسول الله ﷺ.

قال **ابن إسحاق**: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد وأهل المدّة إلى الأجل المسمّى[١].

• **ومنها**: أنَّ رسول الله ﷺ عزل خالداً وبعث عليّاً إلى اليمن لأخذ الخُمس منه، وفُتح حصنٌ من حصونها بجهود علي المرتضى رضي الله عنه، ووجد بعضُ أصحاب خالد على علي، واشتكاه إلى النبيِّ ﷺ، فكره النبي ﷺ ذلك، ونهى عن شكواه، وقال فيه قولاً حسناً يدل على فضله وكرمه وشرفه.

أخرج **الترمذي** عن **البراء**: أنَّ النبيَّ ﷺ بعث جيشين، وأمّر على أحدهما علي بن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: «**إذا كان القتالُ فعليٌّ**»، قال: فافتتح علي حصناً فأخذ منه جارية فكتب معي خالد كتاباً إلى النبي ﷺ يشي به، قال: فقدمت على النبي ﷺ فقرأ الكتاب فتغيَّر لونه ثم قال: «**ما ترى في رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؟**»، قال: قلت: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسول فسكت[٢].

• وقال **ابن إسحاق**: حدّثني عبد الله بن عبد الرحمٰن بن معمر بن حزم عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب وكانت عند **أبي سعيد الخدري**، عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناسُ عليّاً رضوان الله عليه، فقام رسولُ اللهِ ﷺ فينا خطيباً، فسمعته يقول: «**أيها الناسُ لا تشكوا عليّاً، فواللهِ إنّه لأخشنُ في ذاتِ اللهِ أو في**

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٤٥).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (١٧٠٤).

سبيلِ اللهِ»[١].

❁ [أقضاهم عليّ]:

• ولما بعثَ النبيُّ ﷺ عليّاً المرتضى إلى اليمن، وأمّره عليها، علّمه آدابَ القضاءِ، ودعا له أن يشرحَ الله صدرَه:

أخرج **أحمد** عن **علي** رضي الله عنه قال: بعثني النبيُّ ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلتُ: تبعثني إلى قوم وأنا حديثُ السنِّ، ولا علمَ لي بالقضاء، فوضع يده على صدري، فقال: «**ثبَّتكَ اللهُ وسدَّدكَ، إذا جاءك الخصمان فلا تقضِ للأوّلِ حتّى تسمعَ مِنَ الآخرِ، فإنّه أجدرُ أن يبيّن لك القضاء**»، قال: فما زلتُ قاضياً[٢]، وفي رواية: فما أعياني قضاءٌ بين اثنين[٣].

• **ومنها**: أنّ رسول الله ﷺ لمّا أراد حَجّة الوداع كان عليٌّ رضي الله عنه في اليمن، فأراد الحجَّ منها، وأتى إلى رسول اللهِ ﷺ وأهلّ بما أهلّ به رسولُ اللهِ ﷺ، وقال: أهللتُ بما أَهَلَّ به رسولُ اللهِ ﷺ، وأتى بِهَدْيٍ كثير إلى مكة، وأشركه رسولُ اللهِ ﷺ معه في الهدي.

أخرج **مسلم** عن عبد الله بن الحارث الكندي قال: شهدتُ رسول الله ﷺ في حَجّةِ الوداع وأُتي بالبُدْنِ فقال: ادعوا لي أبا حسن فدعيَ له عليٌّ رضي الله عنه، فقال له: خذ بأسفل الحربة، وأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بأعلاها ثم طعنا بها في البُدْنِ، فلمّا فرغَ رَكِبَ بغلته، وأردفَ علياً رضي الله عنه[٤].

❁ [خطبة غدير خُم وفضيلة علي]:

ولـمّا عادَ رسولُ اللهِ ﷺ من حَجّة الوداع قام خطيباً على غديرِ

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/٦٠٣).
(٢) «مسند أحمد» برقم: (١٢٨٠).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (١١٤٥).
(٤) «سنن أبي داود» برقم: (١٧٦٦)، ولم أجده في «صحيح مسلم».

خُمٍّ[(١)]، وألقى خطبةً ذكر فيها فضيلة **علي المرتضى** رضي الله عنه.

أخرج **الحاكم** عن **زيد بن أرقم** رضي الله عنه قال: لمّا رجعَ رسولُ اللهِ ﷺ من حَجّةِ الوداع ونزلَ غدير خُمٍّ أمرَ بدرجاتٍ فقممن، فقال: «**كأنّي قد دُعِيْتُ فأجبُت، إنِّي قد تركتُ فيكم الثّقلينِ أحدُهما أكبرُ من الآخر، كتابَ الله تعالى وعترتي، فانظروا كيفَ تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوضَ**»، ثم قال: «**إنّ الله عز وجل مولاي، وأنا مولى كلِّ مؤمن**»، ثم أخذَ بيد علي رضي الله عنه فقال: «**مَنْ كنتُ مولاه فهذا وليُّه، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه**»[(٢)].

❁ [قيامه بخدمة غَسْل رسول الله ﷺ ودفنه]:

• ولمّا لحق رسولُ اللهِ ﷺ بالرفيق الأعلى تولّى عليٌّ رضي الله عنه غَسْلَهُ ودفنه مع جماعةٍ من أهل البيت:

• قال **محمد بن إسحاق**: حدّثني عبد الله بن أبي بكر، وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا: أنّ عليَّ بن أبي طالب، والعباسَ بن عبد المطلب، والفضلَ بنَ العباس، وقُثَمَ بنَ العباس، وأسامةَ بنَ زيدٍ، وشُقران مولى رسول الله ﷺ هم الذين تَوَلَّوْا غسله، وأنَّ أوس بن خولي أحدَ بني عوف بن الخزرج قال لعليِّ بن أبي طالب: أنشدك الله يا علي وحظنا من رسول الله ﷺ، وكان أوسُ من أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بدر قال: ادخل، فدخلَ فجلسَ وحضرَ غسل رسول الله ﷺ، فأسنده عليُّ بن أبي طالب إلى صدره، وكان العباسُ والفضلُ وقُثَمٌ يقلّبونه معه وكان أسامةُ بنُ زيد وشُقران موليان هما اللذان يصبّان الماءَ عليه، وعلي

---

(١) موضعٌ على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين، «القاموس» (ص٩٩٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٨) برقم: (٤٥٧٦)، و«الاستيعاب» (١/ ٣٣٨).

يغسله، قد أسنده إلى صدره، وعليه قميصُه يدلكُه به مِنْ ورائه، لا يفضي بيدِهِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وعليٌّ يقولُ: بأبي أنتَ وأُمِّي، ما أطيبَكَ حيّاً وميتاً، ولم يرَ من رسول الله ﷺ شيءٌ ممّا يرى من الميتِ[١].

ثم قال ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسولِ اللهِ ﷺ علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقُثَم بن العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ[٢].

هذه السوابق الإسلامية لعلي المرتضى رضي الله عنه.

أما أحاديثُ فضائله فكثيرةٌ لا يمكِن إحصاؤها، ولكن نريدُ أن نذكرَ بعضَ المنتخباتِ منها في هذا الكتاب.

۞ [سبب كثرة أحاديث فضائل علي بالنسبة إلى أحاديث فضائل غيره من الصحابة]:

أخرج **الحاكم** عن أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحدٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ من الفضائل ما جاء لعليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه[٣].

يقول العبد الضعيف: سببُ ذلك اجتماعُ وجهين:

الأول: رسوخه في السوابق الإسلامية التي ذكرنا بقدر ما تيسر سابقاً.

الثاني: قربُ قرابته ورحمِهِ من رسول الله ﷺ، وكان رسولُ اللهِ ﷺ أوصلَ الناسِ بالأرحام، وأعرفَهم بحقوق قرابتهم.

• ولمّا تغمده الله تعالى برحمته، وساعده الفضل الرباني، وجعله في حضانةِ النبوة، وتربيةِ النبيِّ ﷺ ازدادت مرتبةُ قرابتِهِ مرّتين من رسول الله ﷺ، وارتفع شأنُ كرامته.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦١). (٢) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٦٦٤).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١٦) برقم: (٤٥٧٢).

• ولمّا زوّجه فاطمةَ حصلت له مكانةٌ سامية، وفضيلةٌ زائدة.

• ولمّا وقع الخلافُ في عهده، واختلف الناسُ عليه، وانصرفت قلوبُ أهل زمانه عنه، بذل كلُّ مَنْ بقي من أصحاب النبي ﷺ جهودَهم الجميلة في ردِّ هذه الفتنة، ورموا آخرَ سهم من كنانتهم ـ شكر الله سعيهم ـ لذلك كثرت روايةُ أحاديث فضائله، واتّسعت دائرتها، فمنها ما هو من المتواتر، ومنها ما هو من الأحاديث الحسان.

ولمّا نجمت فتنةُ التشيّع جعل جماعةٌ من الغالين والمعتدين يخرجون عن حدِّ الاعتدال، ويضعون الأحاديثَ لترويج بدعتهم، فسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلبٍ ينقلبون، لذلك نغضُّ البصر عن الأحاديث الموضوعة والضعيفة الشديدة الضعف التي لا يمكِنُ أن تكون من المتابعاتِ أو الشواهد، ونذكر الصحاحَ والحِسَان، ومن الضعاف ما يحتمل ضعفُها.

[الأحاديث الصحيحة في فضائله]

• فمن المتواتر: «**أنتَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسى**»[1].

روي ذلك عن سعد بن أبي وقاص، وأسماء بنت عُميس، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس وغيرهم.

• ومن المتواتر: حديث «**أنا مِنْ عليٍّ، وعليٌّ منِّي، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه وعادِ مَنْ عاداه**[2]».

رواه زيدُ بنُ أرقم، وبريدة، وعمرانُ بن حصين، وعمرو بن شاس وغيرهم.

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٠٤).

(٢) «مسند أحمد» (٣٢/٧٦) برقم: (١٩٣٢٨).

• ومن المتواتر: حديثُ لما نزلت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، دعا رسول الله ﷺ لهؤلاء الخمسة.

روي ذلك من حديث سعد، وأم سلمة، وواثلة، وعبد الله بن جعفر، وأنس بن مالك.

• ومن المتواتر: أنه أعطاه الراية يوم فتح خيبر وقال: «**لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»(١).

رواه عمر، وعلي، وسعد، وأبو هريرة، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوع وغيرهم.

• أخرج **مسلم** عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا التراب؟ فقال: أمّا ذكرتُ ثلاثاً قالهنّ له رسولُ اللهِ ﷺ فلنْ أسبَّه؛ لأنْ تكونَ لي واحدةٌ منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النعم، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول له وقد خلّفه في بعضِ مغازيه فقال له عليٌّ: يا رسولَ اللهِ خلّفتني مع النساءِ والصبيانِ؟ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما تَرْضَىٰ أنْ تكونَ منِّي بمنزلةِ هارون من موسى إلّا أنّه لا نبوّةَ بعدي**»، وسمعتُه يقول يوم خيبر: «**لأعطينَّ الرايةَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُهُ**»، قال: فتطاولنا لها فقال: «**ادعوا لي عليّاً**»، فأُتي به أرمدَ، فبصقَ في عينه، ودفعَ الراية إليه، ففتحَ الله عليه، ولمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليّاً وفاطمةَ وحسناً وحُسيناً فقال: «**اللّهُمَّ هؤلاء أهلي**»(٢).

---

(١) «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٠٤).

(٢) «صحيح مسلم» برقم: (٢٤٠٤).

• وأخرج **الحاكم والنسائي** عن عمرو بن ميمون قال: إنِّي لجالسٌ عند ابن عباس إذ أتاه تسعةُ رَهْطٍ فقالوا: يا ابنَ عباس! إمّا أن تقومَ معنا وإمّا أن تخلوَ بنا مِنْ بين هؤلاء، قال: فقال ابنُ عبّاس: بل أنا أقوم معكم قال: وهو يومئذٍ صحيحٌ قبل أن يعمى، قال: فابتدؤوا فتحدّثوا فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفضُ ثوبه ويقول: أفٍّ وتُفٍّ، وقعوا في رجلٍ له بضعَ عشرةَ فضائل ليست لأحدٍ غيره، وقعوا في رجل قال له النبيُّ ﷺ: «**لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبُّ الله ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه**»، فاستشرفَ لها مستشرِفٌ فقال: «**أينَ عليٌّ؟**» فقالوا: إنّه في الرحى يطحنُ، قال: وما كانَ أحدهم ليطحنَ، قال: فجاءَ وهو أرمدُ لا يكادَ أَنْ يبصرَ، قال: فنفثَ في عينيه ثم هزَّ الرايةَ ثلاثاً فأعطاها إيّاه، فجاء عليٌّ بصفية بنت حُيَي.

قال ابن عباس: ثم بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ فلاناً بسورة التوبة؛ فبعثَ علياً خلفه فأخذَها منه وقال: «**لا يذهبُ بها إلا رجلٌ هو منِّي وأنا منه**». قال ابن عباس: وقال النبيُّ ﷺ لبني عمه: «**أيُّكم يواليني في الدُّنيا والآخرة**»، قال: وعليٌّ جالسٌ معهم فقال رسولُ اللهِ ﷺ وأقبل على رجلٍ منهم فقال: «**أيُّكم يواليني في الدُّنيا والآخرة**» فأبوا، فقال لعليٍّ: «**أنتَ وليي في الدُّنيا والآخرة**».

قال ابن عباس: وكان عليٌّ أوّلَ مَنْ آمنَ من الناسِ بعد خديجة رضي الله عنها، قال: وأخذ رسولُ اللهِ ﷺ ثوبَه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال ابنُ عباس: وشرى عليٌّ نفسَه، فلبسَ ثوبَ النبيِّ ﷺ ثم نام مكانه، قال ابنُ عباس: وكان المشركون يرمون رسولَ اللهِ ﷺ فجاء أبو

بكر رضي الله عنه وعليٌّ نائمٌ قال: وأبو بكر يحسبُ أنه رسولُ اللهِ ﷺ قال: فقال: يا نبي الله! فقال له علي: إنَّ نبي الله ﷺ قد انطلقَ نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلقَ أبو بكر، فدخلَ معه الغار، قال: وجعل عليٌّ رضي الله عنه يرمى بالحجارة كما كان رمي نبيُّ الله ﷺ وهو يتضوّر[1]، وقد لفَّ رأسه في الثوبِ لا يخرجه حتَّى أصبح، ثم كشفَ عن رأسه فقالوا: إنّكَ للئيمٌ، وكان صاحبك لا يتضوّرُ، ونحن نرميه وأنت تتضوّرُ وقد استنكرنا ذلك.

فقال ابن عباس: وخرج رسولُ اللهِ ﷺ في غزوة تبوك وخرجَ الناسُ معه، قال: فقال له عليٌّ: أخرجُ معك؟ قال: فقال النبي ﷺ: «**لا**»، فبكى علي، فقال له: «**أما ترضى أن تكونَ مِنِّي بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنّه ليس بعدي نبيٌّ، إنّه لا ينبغي أن أذهبَ إلّا وأنتَ خليفتي**»، قال ابن عباس: وقال له رسول الله ﷺ: «**أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة**».

قال ابن عباس: وسدّ رسولُ اللهِ ﷺ أبوابَ المسجدِ غير باب علي، فكانَ يدخلُ المسجدَ جنباً وهو طريقُه ليس له طريق غيره[2].

قال ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كنتُ مولاه فإنَّ مولاه عليٌّ**».

قال ابن عباس[3]: وقد أخبرنا الله عز وجل في القرآن أنّه رضي عن

---

(١) **التضور**: التلوّي من وجع الجوع. «القاموس» (ص٣٨٧).

(٢) قال في «الكوكب الدري»: قد ورد في بعض الروايات: «**لا يبقين إلا باب علي**» استثناء علي رضي الله عنه كان في الأول حين أمر أن لا يبقى في المسجد باب لأحد إلا باب النبي ﷺ وباب علي رضي الله عنه فسدَّ الناس أبوابهم، فلما كان أيام وفاته ﷺ سدّ باب علي إلا خوخة أبي بكر. انظر: «الكوكب الدري» (٤/٣٩٧ و٣٩٨).

(٣) من هنا ذكر المؤلف الأحاديث التي وردت في فضائل علي رضي الله عنه، وقد شارك فيها غيره من الصحابة رضي الله عنهم.

أصحاب الشجرة، فعلم ما في قلوبهم، فهل أخبرنا أنّه سخط عليهم بعد ذلك؟

قال ابن عباس: وقال نبيُّ الله ﷺ لعمر رضي الله عنه حين قال: ائذن لي فأضربَ عنقه[1]، قال: «**وكنتَ فاعلاً، وما يدريكَ لعلَّ الله قد اطّلعَ على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم**»[2].

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** قال: قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: لقد أُعطي عليُّ بن أبي طالب ثلاثُ خصالٍ؛ لأنْ تكونَ لي خصلةٌ منها أحبَّ إليَّ من أن أُعْطَىٰ حمرَ النعم، قيل: وما هنَّ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: تزوّجُه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسُكناه المسجدَ مع رسول الله ﷺ يحلّ له فيه ما يحلّ له، والرايةُ يوم خيبر[3].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: لعليٍّ أربعُ خصالٍ ليست لأحدٍ، هو أوّلُ عربي وأعجمي صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو الذي كان لواؤه معه في كلِّ زحف، والذي صبر معه يوم المِهْراس[4]، وهو الذي غسله وأدخله قبره[5].

• وأخرج **الحاكم** عن **أم سلمة** رضي الله عنها قالت لأبي عبد الله الجدلي: أَيُسَبُّ رسولُ اللهِ ﷺ فيكم؟ فقلتُ: معاذ الله، أو: سبحان الله، أو: كلمة نحوها، فقالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ سبَّ عليّاً فقد سبّني**»[6].

---

(١) هو: حاطب بن أبي بلتعة.
(٢) «المستدرك» (٣/ ١٤٣) برقم: (٤٦٥٢)، «سنن النسائي» (٥/ ١١٢) برقم: (٨٤٠٩).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٥) برقم: (٤٦٣٢).
(٤) اسم ماء بأُحد، «النهاية» (ص١٠٠٦).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٠) برقم: (٤٥٨٢).
(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٠) برقم: (٤٦١٥).

• وعن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي مليكة عن أبيه قال: جاء رجل من أهل الشام فسب علياً عند ابن عباس، فحصبه ابن عباس فقال: يا عدو الله آذيت رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، لو كان رسول الله ﷺ حيّاً لآذيته[١].

• وعن **علي** رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا عليُّ إنّ لكَ كنزاً في الجنّةِ، وإنّك ذو قرنيها، فلا تتبعنَّ النظرةَ نظرةً، فإنّ لك الأُولى، وليست لكَ الآخرةُ**»[٢].

• وعن **عائشةُ** رضي الله عنها قالت: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ادعو لي سيّدَ العرب**»، فقلت: يا رسول الله! ألست سيد العرب؟ قال: «**أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب**»[٣].

• وعن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي قال: سمعت علياً يقول: كنتُ إذا سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ أعطاني، وإذا سكتُّ ابتدأني[٤].

• وعن **زيد بن أرقم** قال: كانت لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبوابٌ شارعة في المسجد، فقال يوماً: «**سُدّوا هذه الأبواب إلّا بابَ علي**»، قال: فتكلّم في ذلك ناسٌ، فقام رسولُ اللهِ ﷺ فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: «**أمّا بعدُ! فإنّي أَمَرْتُ بسدِّ هذه الأبواب غيرَ بابِ علي فقال فيه قائِلُكم، واللهِ ما سددتُ شيئاً ولا فتحتهُ، ولكن أُمرتُ بشيءٍ فاتبعته**»[٥].

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣١) برقم: (٤٦١٨).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٣) برقم: (٤٦٢٣).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٤) برقم: (٤٦٢٦).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٥) برقم: (٤٦٣٠).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٥) برقم: (٤٦٣١).

• وعن **ابن عباس** ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمن أرادَ المدينةَ فليأتِ البابَ**»(١).

• وعن **جابر بن عبد الله** يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**أنا مدينةُ العلمِ، وعليٌّ بابها، فمن أرادَ العلمَ فليأتِ البابَ**»(٢).

• وعن **زيد بن أرقم** ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يريدُ أن يحيا حياتي، ويموتَ موتي، ويسكنَ جنّة الخلد التي وعدني ربي، فليتولَّ عليَّ بنَ أبي طالب، فإنّه لن يخرجَكم من هدى، ولن يدخلكم في ضلالة**»(٣).

• وعن **أبي ذر** ﷺ قال: ما كُنَّا نعرفُ المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسولَه، والتخلف عن الصلوات، والبغضَ لعليِّ بن أبي طالب ﷺ(٤).

• وعن **أبي هريرة** ﷺ قال: قالت فاطمةُ ﷺ: يا رسولَ اللهِ زوجتني من علي بن أبي طالب وهو فقيرٌ لا مالَ له، فقال: «**يا فاطمةُ أما ترضينَ أنَّ اللهَ ﷻ اطّلعَ إلى أهلِ الأرضِ، فاختار رجلينِ أحدهُما أبوك، والآخر بَعْلُك**»(٥).

• وعن علي في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، قال علي: رسول الله ﷺ المنذر وأنا الهادي(٦).

• وعن **أم سلمة** ﷺ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا غَضِبَ لم يجترىء

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٧) برقم: (٤٦٣٧).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٨) برقم: (٤٦٣٩).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٩) برقم: (٤٦٤٢).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٩) برقم: (٤٦٤٣).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٠) برقم: (٤٦٤٥).
(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٠) برقم: (٤٦٤٦).

أحدٌ منّا يكلّمه غيرَ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه[١].

• وعن سلمان: قال رجلٌ لسلمان: ما أشدّ حبّك لعليٍّ؟ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**مَنْ أحبَّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغضَ عليّاً فقد أبغضني**»[٢].

• وعن ابن بُريدة عن أبيه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة من أصحابي، وأخبرني أنّه يحبهم**»، قال: قلنا: مَنْ هم يا رسول الله؟ وكلُّنا نحبُّ أن نكونَ منهم، فقال: «**ألا إنَّ عليّاً منهم**»، ثم سكت ثم قال: «**أما إنَّ عليّاً منهم**»، ثم سكت[٣].

• وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنتُ أخدِمُ رسولَ اللهِ ﷺ، فَقُدِّمَ لرسولِ اللهِ ﷺ فرخٌ مشويٌّ فقال: «**اللَّهُمَّ ائتني بأحبِّ خلقِكَ إليكَ، يأكلُ معي من هذا الطير**»، قال: فقلتُ: اللَّهُمَّ اجعله رجلاً من الأنصار، فجاء عليّ رضي الله عنه فقلتُ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ على حاجةٍ، ثم جاء فقلت: إنَّ رسول الله ﷺ على حاجةٍ، ثم جاء فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**افتح**» فدخل فقال رسول الله ﷺ: «**ما حبسك عليَّ؟**» فقال: إنَّ هذه آخرَ ثلاث كرات يردّني أنسٌ، يزعمُ أنّك على حاجةٍ، فقال: «**ما حمَلَكَ على ما صنعتَ؟**» فقلت: يا رسولَ الله سمعتُ دعاءك، فأحببتُ أن يكونَ رجلاً من قومي، فقال رسولُ اللهِ: «**إنَّ الرجلَ قد يحبُّ قومه**»[٤].

قال الترمذي: غريبٌ، وجاء الحاكِمُ بأسانيدَ خرج بها عن غرابة المحضة.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤١) برقم: (٤٦٤٧).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤١) برقم: (٤٦٤٨).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤١) برقم: (٤٦٤٩).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤١) برقم: (٤٦٥٠).

• وعن **عمار بن ياسر** رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لعلي: «**يا عليُّ طوبى لمن أحبَّك، وصدق فيك، وويلٌ لمن أبغضَك وكذبَ فيك**»[(١)].

• وعن **سلمان** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أوّلكم وارداً على الحوضِ وأولكم إسلاماً عليُّ بنُ أبي طالب**»[(٢)].

• وعن **زيد بن أرقم** رضي الله عنه قال: إنَّ أول من أسلمَ مع رسولِ اللهِ ﷺ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)].

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ على فاطمة رضي الله عنها فقال: «**إنِّي وإيّاكِ وهذا النائمَ** (يعني: عليّاً) **وهما** (يعني: الحسن والحسين) **لفي مكانٍ واحدٍ يومَ القيامةِ**»[(٤)].

• وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: علي وعمار وسلمان**»[(٥)].

• وعن ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألتُ ربِّي عز وجل أنْ لا أزوِّجَ أحداً من أُمَّتي ولا أتزوَّج إلّا كان معي في الجنّةِ فأعطاني**»[(٦)].

• وعن عبد الله بن سعد بن زرارة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أوحي إليَّ في علي ثلاثٌ: إنّه سيد المسلمين، وإمامُ المتقين، وقائدُ الغُرِّ**

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٥) برقم: (٤٦٥٧).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٧) برقم: (٤٦٦٢).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٧) برقم: (٤٦٦٣).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٧) برقم: (٤٦٦٤).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٨) برقم: (٤٦٦٦).
(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٨) برقم: (٤٦٦٧).

المحجّلين»[١].

• وعن **علي بن أبي طلحة** قال: حججنا، فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة، ومعنا معاويةُ بنُ خديج، فقيل للحسن: إنّ هذا معاوية بن خديج السبّاب لعلي فقال: عليَّ به، فأُتي به فقال: أنتَ السبّاب لعلي؟ فقال: ما فعلتُ، فقال: واللهِ إن لقيتَه ـ وما أحسبُكَ تلقاه يوم القيامة ـ لتجده قائماً على حوض رسولِ اللهِ ﷺ يذودُ عنه راياتِ المنافقين، بيده عصا من عَوْسَجٍ، حدّثنيه الصادق المصدوق ﷺ، وقد خابَ من افترى[٢].

• وعن **علي** رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**يا عليُّ ألّا أعلّمك كلماتٍ إنْ قلتهنَّ غفرَ اللهُ لكَ، على أنّه مغفورٌ لك، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إلـه إلا الله الحليم الكريم، سبحانَ اللهِ ربِّ العرش العظيم، والحمدُ للهِ رب العالمين**»[٣].

• وعن **أم سلمة** رضي الله عنها قالت: والذي أحلفُ به إن كان عليٌّ لأقربَ الناسِ عهداً برسول الله ﷺ، عدنا رسول الله ﷺ غداةً وهو يقول: «**جاء عليٌّ، جاء عليٌّ**» مراراً، فقالت فاطمةُ رضي الله عنها: كأنّك بعثته في حاجةٍ قالت: فجاء بعدُ، قالت أم سلمة: فظننتُ أنَّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنتُ من أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه رسول الله ﷺ وجعل يسارُّه ويناجيه، ثم قُبِضَ رسول الله ﷺ من يومه ذلك، فكان علي أقربَ الناسِ عهداً[٤].

• وعن علي رضي الله عنه قال: بينما رسولُ اللهِ ﷺ آخذٌ بيدي، ونحن في

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٨) برقم: (٤٦٦٨).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٨) برقم: (٤٦٦٩).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٩) برقم: (٤٦٧٠).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٩) برقم: (٤٦٧١).

سكك المدينة، إذ مررنا بحديقة فقلتُ: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة، قال: «**لكَ في الجنّةِ أحسنُ منها**»(١).

• وعن **عبد الله بن مسعود** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**النظرُ إلى وَجْهِ عليٍّ عبادةٌ**»(٢).

• وعن **زيد بن أرقم**: عن النبيِّ ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «**أنا حربُ لِمَنْ حاربتم، وسِلْمٌ لمن سالمتم**»(٣).

• وعن بريدةَ قال: كان أحبُّ النساءِ إلى رسول الله ﷺ فاطمةَ، ومن الرجالِ علي(٤).

• وعن **جميع بن عُمير** قال: دخلتُ مع أُميِّ على عائشة، فسمعتُها من وراءِ الحجاب وهي تسألها عن عليٍّ فقالت: تسألني عن رجلٍ والله ما أعلمُ رجلاً كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحبُّ إلى رسول الله ﷺ من امرأته(٥)، أخرج هذه الأحاديث كلها **الحاكم** في «المستدرك».

• وأخرج **النسائي** عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن أبيه أنّه قال لعلي وكان يسيرُ معه: إنَّ الناس قد أنكروا منك أنّك تخرجُ في البرَد في الملاءتين، وتخرجُ في الحر في الخَشِنِ(٦) والثوبِ الغليظ، قال: أو لم تكن معنا بخيبر؟ قال: بلى، قال: فإنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بعث أبا بكر،

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٩) برقم: (٤٦٧٢).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٢) برقم: (٤٦٨٣).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٦١) برقم: (٤٧١٤).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٦٨) برقم: (٤٧٣٥).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٦٧) برقم: (٤٧٣١).
(٦) في «سنن النسائي»: «الحشو».

وعقد له لواءً فرجعَ، وبعثَ عمرَ، وعقد له لواءً فرجع بالناس، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**لأعطينَّ الرايةَ رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبّه اللهُ ورسولُه ليس بفرّارٍ**»، فأرسل إليَّ وأنا أرمدُ، قلتُ: إنِّي أرمدُ، فتفلَ في عينيَّ وقال: «**اللَّهُمَّ اكفِهِ أذى الحَرِّ والبَرْدِ**»، فما وجدت حَرّاً بعد ذلك ولا بَرْداً[١].

• وأخرج عن أبي جعفر محمد بن علي، عن إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: كنّا عند النبيِّ ﷺ وعنده قومٌ جلوس، فدخل علي، فلما دخل خرجوا، فلما خرجوا تلاوموا، فقالوا: واللهِ ما أخرجنا وأدخله، فرجعوا فدخلوا فقال: «**واللهِ ما أنا أدخلتُه وأخرجتُكم، بل الله أدخله وأخرجكم**»[٢].

•وأخرجَ عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أمّا أنتَ يا عليُّ فصفيِّي وأميني**»[٣].

• **وأخرج** عن عليٍّ ﷺ قال: والله الذي فلقَ الحبّةَ، وبرأ النسمةَ إنّه لعهد النبي الأمي إليَّ أن لا يحبّني إلّا مؤمنٌ ولا يبغضني إلّا منافقٌ[٤].

• **وأخرجَ** عن سعيد بن عبيد قال: جاءَ رجلٌ إلى ابن عمر فسأله عن عليٍّ فقال: لا تسأل عن عليٍّ، ولكن انظر إلى بيته من بيوت النبي ﷺ، قال: فإنِّي أبغضه، قال: أبغضك اللهُ[٥].

• **وأخرج** عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير عن عبد الله بن يحيى سمع عليّاً يقول: كنتُ أدخلُ على نبيِّ الله ﷺ كلَّ ليلةٍ، فإنْ كان يصلي

(١) «سنن النسائي» برقم: (٨٤٠١).
(٢) «سنن النسائي» برقم: (٨٤٢٤).
(٣) «سنن النسائي» برقم: (٨٤٥٨).
(٤) «سنن النسائي» برقم: (٨١٥٣).
(٥) «سنن النسائي» برقم: (٨٤٩٢).

سبّحَ فرجعتُ(١)، وإن لم يكن يصلّي أذنَ لي فدخلتُ(٢).

• **وأخرج** عن أبي الأسود ورجل آخر عن زاذان قال: قال علي: كنتُ واللهِ إذا سألتُ أعطيتُ، وإذا سكتُّ ابتُدِئْتُ(٣).

• **وأخرج** عن محمد بن أسامة بن زيد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمّا أنتَ يا عليُّ! فختِنْي، وأبو ولدي، وأنتَ منِّي وأنا منك**»(٤).

• وأخرجَ عن سليمان بن عبد الله بن الحارث عن جدِّه عن علي كرم الله وجهه قال: مرضتُ فعادني رسولُ اللهِ ﷺ فدخلَ عليَّ وأنا مضطجع فاتَّكأ إلى جنبي، ثم سجّاني بثوبه، فلما رآني قد هدأتُ قام إلى المسجدِ يصلِّي، فلما قضى صلاته جاءَ فرفع الثوبَ عنِّي، وقال: «**قم يا عليُّ فقد برئتَ**»، فقمتُ كأنّما لم أشتكِ شيئاً قبل ذلك، فقال: «**ما سألتُ ربِّي شيئاً في صلاتي إلّا أعطاني، وما سألتُ لنفسي شيئاً إلّا وقد سألتُ لكَ**»(٥).

• **وأخرج** عن عليِّ بن علقمة عن عليٍّ قال: لمّا أنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة: ١٢]، قال رسولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ: «**مُرْهُم أن يتصدّقوا**»، قال: بكم يا رسول الله؟ قال: «**بدينارٍ**»، قال: لا يطيقونه، قال: «**فنصف دينار**»، قال: لا يطيقونه، قال: «**فبكم؟**» قال: بشعيرةٍ، قال له رسول الله ﷺ: «**إنّكَ لزهيدٌ**»، قال: فأنزل الله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ﴾ [المجادلة: ١٣]، إلى آخر الآية، وكان عليٌّ يقول: بي خُفِّفَ عن

(١) هكذا في الأصل الفارسي، وفي «سنن النسائي»: «فدخلت».
(٢) «سنن النسائي» برقم: (٨٤٩٩).
(٣) «سنن النسائي» برقم: (٨٥٠٦).
(٤) «سنن النسائي» برقم: (٨٥٢٣).
(٥) «سنن النسائي» برقم: (٨٥٣٢).

هذه الأمة(١).

• وأخرج **الترمذي**(٢) و**عبد الله بن أحمد** في «زوائد المسند» مسلسلاً بالسادةِ الأشراف، كلاهما قال: حدّثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا علي بن جعفر بن محمد، أخبرني أخي موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب: أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيد حسن وحسين فقال: «**مَنْ أحبّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمَّهما كان معي في درجتي يومَ القيامةِ**».

• وأخرج **الحاكم** مسلسلاً بالسادة الأشراف حدّثنا أبو محمد الحسن بن محمد بن يحيى ابن أخي طاهر العقيقي الحسني، ثنا إسماعيل بن محمد بن إسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، حدثني عمي علي بن جعفر بن محمد، حدثني الحسين بن زيد عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن الحسن قال: خطب الحسن بن علي الناسَ حين قُتِلَ علي، فحمد الله، وأثنى عليه ثم قال: لقد قُبِضَ في هذه الليلة رجلٌ لا يسبقه الأولون بعملٍ، ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايتهَ، فيقاتل وجبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، فما يرجع حتى يفتحَ الله عليه، وما ترك على أهلِ الأرض صفراءَ ولا بيضاءَ إلّا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه، أراد أن يبتاعَ بها خادماً لأهلِه، ثم قال: أيها الناس مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وأنا ابنُ النبيِّ، وأنا ابن الوصي، وأنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن الدّاعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريلُ ينزل

---

(١) «سنن النسائي» برقم: (٨٥٣٧).

(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٣٣)، و«مسند أحمد» برقم: (٥٧٦).

إلينا، ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذي أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهَّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي افترضَ الله مودَّتهم على كلِّ مسلمٍ، فقال تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣]، فاقترافُ الحسنةِ مودّتنا أهل البيت[1].

• وأخرج **النسائي** هذا الحديث من طريق آخر إلى قوله: خادماً لأهله فقط.

• وأخرج **الترمذي** عن أبي سعيد الخدري قال: إنّا كُنَّا لنعرفُ المنافقين نحن معشرَ الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب[2].

• وعن **أم سلمة** تقول: كان رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحبُّ عليّاً منافِقٌ، ولا يبغِضُه مؤمنٌ**»[3].

• وعن **جابر** قال: دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليّاً يومَ الطائف فانتجاه، فقال الناسُ: لقد طال نجواه مع ابنِ عمّه، فقال رسول الله ﷺ: «**وما انتجيتُه، ولكنّ الله انتجاه**»[4].

• وعن **أبي سعيد** قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لعليٍّ: «**يا عليُّ لا يحلُّ لأحدٍ يُجْنِبُ في هذا المسجدِ غيري وغيرُك**»، قال علي بن المنذر: قلتُ لضرار بن صرد: ما معنى هذا الحديث؟ قال: لا يحلُّ لأحدٍ يستطرقه جنباً غيري وغيرك[5].

• وعن ابن عباس: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ أمر بسدِّ الأبوابِ إلّا بابَ علي[6].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» برقم: (٤٨٠٢).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٧).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧١٧).
(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٦).
(٥) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٢٧).
(٦) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٣٢).

• وعن عليٍّ قال: لقد عهدَ إليَّ النبيُّ الأميُّ ﷺ: **«أنَّه لا يحبُّكَ إلا مؤمنٌ، ولا يبغِضُكَ إلا منافِقٌ»**(١).

• وعن **أم عطية** قالت: بعث النبيُّ ﷺ جيشاً فيهم علي قالت: فسمعتُ النبيَّ ﷺ وهو رافعٌ يديه يقول: **«اللَّهُمَّ لا تُمِتْني حتّى تريَني علياً»**(٢).

[أخلاقه وصفاته ـ مقاماته وأحواله]

فالحاصل: مجمل أحواله أنّ عليّاً المرتضى رضي الله عنه كان يتّصف من الفضائل التي يتميّز بها وتكون في جبلّة الرجال، من الشجاعة، والقوة، والحمية، والوفاء، وكانت هذه الصفاتُ راسخةً في نفسه، كأنّه جُبِلَ عليها، وأعانه الفيضُ الرباني في استخدامها لمرضاةِ الله عز وجل، ومن كل خُلُقٍ له تولّدت من العناية الربانية جميعُ صفاته بالمقامات الخاصة.

أمّا تولد المقامات من الأخلاق والصفات فقد سبق بيانه في مناقب عمر الفاروق رضي الله عنه.

• وفي **«الرياض»**: كان إذا مشي تكفّأَ، وإذا أمسك بذراع رجل أمسك بِنَفَسِهِ فلم يستطع أن يتنفّسَ، وهو قريبٌ إلى السمن، شديدُ الساعد واليد، وإذا مشي إلى الحرب هرولَ، ثَبْتُ الجَنانِ، قويٌّ، ما صارع أحداً قط إلا صرعه، شجاعٌ منصورٌ على مَنْ لاقاه(٣).

وكان يتميز من الأخلاق القوية بالوفاء، فلمّا أحسن الله تعالى إليه بتهذيب صفة وفائه حصلت له مرتبة «المحبة»، قال النبيُّ ﷺ فيما تواتر عنه: **«لأعطينَّ الرايةَ غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولهَ، ويحبُّه اللهُ ورسولهُ»**،

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٣٦).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٣٧٣٧).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢٤٤).

فأعطاها علياً[(١)].

• ومن أخلاقه القوية مبارزةُ الأقران، ومكافحةُ الأعداء، ووفّقه الفيض الرباني لاستخدامها في السوابق الإسلامية، وأثمرت هذه الصفةُ في الآخرةِ ثماراً عجيبة، ونزلت آية: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟﴾ [الحج: ١٩] فيه وفي أصحابه.

• أخرج **البخاري**[(٢)] عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمٰن للخصومة يوم القيامة.

وقال قيس بن عبادة: وفيهم أنزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر حمزة، وعلي، وعبيدة، أو أبو عبيدة بن الحارث، وشيبة بن ربيعة، وعتبة، والوليد بن عتبة.

• **ومنها**: خشونته وصرامته، وعدمُ المبالاة بأحدٍ في ذات الله، وعدمُ فسخ عزائمه لمداراةِ أحد، وأعانه الفيضُ الرباني في استخدام هذه الصفة في النهي عن المنكر، وحفظ بيت مال المسلمين.

أخرج **الحاكم** عن **أبي سعيد الخدري** رضي الله عنه قال: شكا عليَّ بن أبي طالب الناسُ إلى رسول الله ﷺ فقام فينا خطيباً فسمعتُه يقول: «**أيها الناس لا تشكوا عليّاً، فوالله إنّه لأخشنُ في ذاتِ اللهِ**»[(٣)].

• وأخرج أبو عمر عن إسحاق بن كعب بن عُجْرة قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**عليٌّ مخشوشنٌ في ذاتِ اللهِ**»[(٤)].

• **ومنها**: حميتهُ لقومه وابنِ عمّه، واهتمامه بتنفيذ أمره أشدّ

(١) «المعجم الكبير»، للطبراني (١٣/ ١٥١). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٣٩٦٥).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٤) برقم: (٤٦٥٤).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٣).

الاهتمام، وعنايته بنصره أبلغ العناية، ويمتاز بذلك أشراف الناس في غالب الأحيان، ولمّا ألقى الله تعالى في نفسه دافعاً قوياً لإعلاء كلمته وتجسّد فيه حصلت له مرتبةٌ خاصةٌ، تدلُّ عليها أخوّةُ رسول الله ﷺ وموالاته، وإلى ذلك تشير ألفاظ «الوصي» و«الوارث» وأمثالها.

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما: أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**أيُّكم يتولّاني في الدّنيا والآخرة؟**»، فقال لكلِّ رجل منهم: «**أيُّكم يتولّاني في الدُّنيا والآخرة؟**»، فقال: لا حتى مرَّ على أكثرهم، فقال علي: أنا أتولّاك في الدنيا والآخرة فقال: «**أنت وليي في الدُّنيا والآخرة**»[1].

وقد مرّ هذا الحديثُ مع تفاصيله في مبحث سوابقه الإسلامية برواية النسائي.

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: كان عليٌّ يقول في حياة رسول الله ﷺ: إن الله يقول: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾، واللهِ لا ننقلبُ على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئنْ ماتَ أو قتل لأقاتلنَّ على ما قاتل عليه حتى أموتَ، واللهِ إني لأخوه ووليُّه وابنُ عمه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منِّي[2].

• وأخرج **الحاكم** عن أبي إسحاق قال: سألتُ قُثم بن العباس كيف ورثَ عليٌّ رسولَ اللهِ ﷺ دونكم؟ قال: لأنّه كان أولنا به لحوقاً، وأشدنا به لزوقاً[3].

• واتّضحَ بذلك خطأُ كلٍّ من المفْرِطين والمفرّطين، فإنَّ المفرّطين يقولون: إنَّ النصرَ الذي يبنى على حمية القوم لا يكون من الإخلاص في

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٤٥) برقم: (٤٦٥٥).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٦) برقم: (٤٦٣٥).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٦) برقم: (٤٦٣٣).

شيءٍ، والمفرِطون يقولون: إنَّ الأخوة من النسب شرط لازم لاستحقاق الخلافة، والله أعلم.

• **ومنها: زهده في الدنيا وعزوفه عن الشهوات:**

• **أخرج أبو عمر** عن رجل من همدان قال: قال معاويةُ لضرار الصدائي: يا ضرار صف لي علياً، قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لتصفنّه. قال: أمَّا إذ لا بدَّ من وصفه فكان واللهِ بعيدَ المدى، شديدَ القوى، يقولُ فصلاً، ويحكمُ عدلاً، يتفجّرُ العلمُ من جوانبه، وتنطف[1] الحكمةُ من نواحيه، ويستوحِشُ من الدنيا وزهرتها، ويستأنِسُ بالليل ووحشته، وكان غزيرَ العَبْرةِ، طويلَ الفِكْرة، يعجِبُه من اللباس ما قصر، ومن الطعامِ ما خشن. وكان فينا كأحدِنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه. ونحنُ واللهِ مع تقريبه إيّانا وقربه منا لا نكادُ نكلّمه هيبةً له، يعظِّمُ أهل الدين، ويقرِّبُ المساكين، لا يطمع القويُّ في باطله، ولا ييأس الضعيفُ من عدله، وأشهدُ أنه لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سدولَه، وغارت نجومُه، قابضاً على لحيته، يتململُ تململَ السليم، ويبكي بكاءَ الحزين، ويقول: يا دنيا غرِّي غيري، إليَّ تعرَّضتِ، أم إليَّ تشوّفت؟ هيهاتَ هيهاتَ قد باينتُكِ ثلاثاً لا رجعةَ فيها، فعمرُكِ قصيرٌ، وخطرُكِ قليلٌ، آه من قلّةِ الزادِ، وبُعدِ السفر، ووحشةِ الطريق.

فبكى معاويةُ وقال: رحمَ الله أبا الحسن، كان واللهِ كذلك.

قال: فكيف حزنُكَ عليه يا ضِرار؟ قال: حزنُ مَنْ ذُبِحَ ولدها وهو في حِجْرِها[2].

---

(١) في «الاستيعاب»: «تنطق».

(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٤١).

• أخرج **أبو عمر** عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: رأيتُ عليّاً خرج وعليه قميصٌ غليظٌ دارسٌ، إذا مَدَّ كُمّ قميصه بلغ إلى الظفر، وإذا أرسله صارَ إلى نصف الساعد(١).

• **ومنها: ورعه واجتنابه عن الشبهات:**

• أخرج **أبو بكر ابن أبي شيبة** عن أُمِّ كلثوم بنت علي رضي الله عنهما قالت: لقد رأيتُ أميرَ المؤمنينَ، وأُتي بأُتْرُنْجٍ، فذهبَ حسن أو حسين يتناول منه أُترنجةً فنزعها من يده، ثم أمر به فقسم(٢).

• وأخرج **أبو عمر** قال: كان علي رضي الله عنه يسيرُ في الفيء بسيرة أبي بكر الصدِّيق في القسم، وإذا ورد عليه مالٌ لم يبقَ منه شيئاً إلا قسمه، ولا يترك في بيت المال منه إلّا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك ويقول: يا دنيا غرّي غيري، ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء، ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً، ولا يخصّ بالولايات إلّا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغته عن أحدهم خيانةٌ كتب إليه: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٨٥]، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [هود: ٨٦]، «إذا أتاكَ كتابي هذا فاحتفظْ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعثَ إليكَ مَنْ يتسلّمه مِنْكَ»، ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: «اللَّهُمَّ إنّكَ تعلمُ أنّي لم آمرُهم بظلمِ خلقِكَ، ولا بتركِ حقّك»(٣).

• وأخرج **أبو عمر** عن مجمع التيمي أنَّ علياً قسم ما في بيت المال بين المسلمين، ثم أمر به، فكنس، ثم صلّى فيه رجاء أن يشهدَ له

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٢).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠١).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٢).

يوم القيامة[١].

• وأخرج **أبو عمر** عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: قدم على عليٍّ مالٌ من أصبهان، فقسمه سبعةَ أسباعٍ، ووجدَ فيه رغيفاً، فقسمه سبعَ كِسَرٍ فجعلَ على كلِّ جزء كسرة، ثم أقرعَ بينهم أيُّهم يعطى أولاً[٢].

• وأخرج **أبو عمر** عن معاذ بن العلاء أخي عمرو بن العلاء عن أبيه عن جَدّه قال: سمعتُ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ما أصبتُ من فيئكم إلّا هذه القارورة، أهداها إليَّ الدهقان، ثم نزلَ إلى بيت المال ففرق كلَّ ما فيه ثم جعل يقول:

أفلحَ مَنْ كانتْ له قَوْصَرَّه ... يأكُلُ مِنْها كلَّ يومٍ مَرّة[٣]

وأخرج **أبو عمر** عن أبي حيّان التيمي عن أبيه قال: رأيتُ علي بن أبي طالب على المنبر يقول: مَنْ يشتري مِنِّي سيفي هذا؟ فلو كان عندي ثمنُ إزارٍ ما بعته، فقام إليه رجل فقال: نسلفك ثمنَ إزار[٤].

• **ومنها: صبره على ضنك العيش وتعوّده على ذلك:**

• أخرج أبو بكر عن أبي البختري قال: قال عليٌّ لأمه فاطمة بنت أسد: اكفي فاطمةَ بنت رسول الله الخدمةَ خارجاً سقاية الماء والحاجة، وتكفيك العملَ في البيتِ العجنَ والخبزَ والطحنَ[٥].

• وأخرج أبو بكر عن الحارث عن علي قال: أُهديتْ فاطمةُ ليلةَ أهديتْ إليَّ وما تحتنا إلا جِلْدُ كبشٍ[٦].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٢).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٢).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٣). **والقوصرّة**: إناء يوضع فيه تمر.
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٣).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٢).
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٣).

• وأخرج أبو بكر عن ضمرة قال: قضى رسولُ اللهِ ﷺ على ابنته فاطمة بخدمة البيت، وقضى على علي بما كان خارجاً من البيت[١].

• وأخرج **أحمد** عن عطاء بن السائب عن أبيه عن علي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ لمّا زوَّجه فاطمة بعث معها بخميلةٍ ووسادةٍ من أدمٍ، حشوها ليف، ورَحْيين، وسقاء، وجرّتين. فقال علي لفاطمة رضي الله عنهما ذات يوم: واللهِ لقد سنوت حتّى لقد اشتكيتُ صدري، قال: وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا واللهِ قد طحنتُ حتّى مَجِلَتْ يداي.

فأتت النبيَّ ﷺ فقال: «**ما جاءَ بكِ أيْ بنية!**» قالتْ: جئتُ لأسلِّمَ عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلتِ؟ قالت: استحييتُ أن أسألَهَ، فأتياه جميعاً، فقال عليٌّ رضي الله عنه: يا رسول الله! والله لقد سنوتُ حتّى اشتكيتُ صدري، وقالت فاطمةُ رضي الله عنها: قد طحنتُ حتّى مجلت يداي، وقد جاءك اللهُ بسبي وسَعَةٍ فأخدمنا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**واللهِ لا أعطيكُما وأدعُ أهل الصُّفّة تطوي بطونهم، لا أجدُ ما أنفقُ عليهم، ولكنِّي أبيعهم وأنفقُ عليهم أثمانهم**»، فرجعا، فأتاهما النبيُّ ﷺ وقد دخلا في قطيفتهما إذا غطيا رؤوسهما تكشفت أقدامُهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشّفت رؤوسهما، فثارا، فقال: «**مكانَكُما**»، ثم قال: «**ألا أخبرْكُما بخيرٍ ممّا سألتماني؟**» قالا: بلى، فقال: «**كلماتٌ علمنيهنّ جبريلُ** عليه السلام، فقال: **تسبّحانِ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبّران عشراً، وإذا أويتُما إلى فراشِكُما فسبِّحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين**»، قال: فواللهِ ما تركتهنَّ منذ علَّمنيهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ، قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلةَ صفّين؟ فقال:

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٨).

قاتلكم الله يا أهلَ العراق نعم، ولا ليلةَ صفّين[١].

• وأخرج **أحمد** عن مجاهد قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: جعت مرة بالمدينة جوعاً شديداً، فخرجتُ أطلبُ العمل في عوالي المدينة، فإذا أنا بامرأة قد جمعت مَدَراً، فظننتُها تريدُ بلّه، فأتيتها فقاطعتها كلَّ ذَنوبٍ على تمرة، فمددتُ ستةَ عشرَ ذَنوباً، حتّى مجلت يداي، ثم أتيتُ الماء، فأصبتُ منه، ثم أتيتُها فقلتُ بكفِّي هكذا بين يديها، فعدت لي ستةَ عشرَ تمرةً، فأتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبرتُه فأكلَ معي منها[٢].

• وأخرج **أحمد** عن محمد بن كعب القرظي أنَّ عليّاً رضي الله عنه قال: لقد رأيتَني مع رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وإنِّي لأربطُ الحجرَ على بطني من الجوع، وإنَّ صدقتي اليومَ لأربعون ألفاً[٣].

• **ومنها**: أنه رضي الله عنه يحفظ العلوم المسموعة من النبي صلى الله عليه وسلم ويستخدمها عند الحاجة في محلها، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعوّذ مِنْ معضلةٍ ليسَ لها أبو حسن.

• وأخرج شيخ الشيوخ السهروردي في «العوارف» عن عبد الله بن الحسن قال: حين نزلت هذه الآية: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه: «**سألتُ الله تعالى أن يجعلَها أذنك يا علي**»، قال علي رضي الله عنه: فما نسيتُ شيئاً بعدَ ما كانَ لي أنْ أنسى.

• وأخرج **أحمد** عن أبي البختري عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للناس: ما ترونَ في فضلٍ فضُلَ عندنا من هذا المال؟

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٨٣٨).
(٢) «مسند أحمد» برقم: (١١٣٥).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (١٣٦٧).

فقال الناسُ: يا أميرَ المؤمنين، قد شغلناك عن أهلِكَ وضيعتِكَ وتجارتِكَ فهو لك.

فقال لي: ما تقول أنتَ؟

فقلت: قد أشاروا عليك!

فقال لي: قل.

فقلت: لم تجعل يقينَك ظنّاً؟

فقال: لتخرُجَنَّ مما قلتَ.

فقلتُ: أجل واللهِ لأخرجنَّ منه، أتذكرُ حينَ بعثَك نبيُّ الله ﷺ ساعياً؟ فأتيتَ العباسَ بَن عبد المطلب رضي الله عنه فمنعك صدقته، فكانَ بينكما شيءٌ، فقلتَ لي: انطلق معي إلى النبيِّ ﷺ فوجدناه خاثراً، فرجعنا، ثم غدونا عليه فوجدناه طيِّبَ النفس، فأخبرتَه بالذي صنع، فقال لك: «**أما علمتَ أنَّ عمَّ الرجلِ صنوُ أبيه؟**»، وذكرنا له الذي رأيناه من خثوره في اليوم الأول والذي رأيناه من طيبِ نفسِهِ في اليوم الثاني، فقال: إنّكما أتيتماني في اليوم الأول، وقد بقي عندي من الصدقةِ ديناران، فكان الذي رأيتُما من خثوري له، وأتيتماني اليومَ، وقد وجهتُهما، فذاك الذي رأيتما من طيب نفسي.

فقال عمرُ رضي الله عنه: صدقتَ واللهِ، لأشكرنَّ لكَ الأُولى والآخرة[1].

● وأخرج **أبو عمر** عن **سعيد بن المسيب** قال: كان عمرُ يتعوّذُ بالله من معضلةٍ ليس لها أبو الحسن.

● قال **أبو عمر**[2]: قال في المجنونة التي أمر برجمها وفي التي وضعت لستة أشهر، فأراد عمرُ رجمَها، فقال له علي: إنّ الله تعالى

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٧٥٢).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٩).

يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقال له: إنَّ اللهَ رفعَ القلم عن المجنون... الحديث، فكان عمرُ يقول: لولا عليٌّ لهلك عمر.

• وأخرج **أبو عمر** عن **عبد الله بن مسعود**: كنا نتحدّث أنَّ أقضى أهلِ المدينة علي بن أبي طالب[١].

• وأخرج **أبو عمر** عن **سعيد بن المسيب** قال: ما كانَ أحدٌ من الناس يقول: سلوني غير علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه[٢].

• وأخرج **أبو عمر** عن **أبي الطفيل** قال: شهدتُ عليّاً يخطب، وهو يقول: سلوني، فواللهِ لا تسألوني عن شيءٍ إلا أخبرتُكم، وسلوني عن كتابِ الله، فواللهِ ما مِنْ آيةٍ إلّا وأنا أعلمُ أبليلٍ نزلت أم بنهار، أم في سهلٍ أم في جبل[٣]؟!

• وأخرج **أبو عمر** عن **عبد الله بن عباس** قال: واللهِ لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعةَ أعشار العلم، وايم الله لقد شارككم في العشر العاشر[٤].

• **ومنها** توقّد ذهنِه وحدّةُ ذكائه، وسرعةُ انتقاله إلى مأخذِ الحكم، واستخدم ذلك في فصل القضايا:

وقد ثبت هذا عن النبي ﷺ بوجوه، إذ إنّه قال: «**أقضاكم علي**».

• وأخرج **أبو عمر** عن **ابن عباس** عن عمر أنّه قال: أقضانا علي، وأقرؤنا أُبي[٥].

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٣٩).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٠).
(٣) «الاستيعاب» (١/ ٣٤١).
(٤) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٠).
(٥) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٠).

• ورويتْ عنه في هذا البابِ قصصٌ عجيبةٌ:

• أخرج **أبو عمر** عن عاصم عن زر بن حبيش قال: جلس رجلان يتغدَّيان مع أحدهما خمسةُ أرغفةٍ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداءَ بين أيديهما، مرّ بهما رجلٌ، فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس وأكل معهما، واستوفوا في أكلهم الأرغفةَ الثمانيةَ، فقام الرجلُ وطرحَ إليهما ثمانيةَ دراهم وقال: خذا هذا عوضاً ممّا أكلتُ لكما، ونلته من طعامكما، فتنازعا، وقال صاحب الخمسة الأرغفة: لي خمسةُ دراهم ولك ثلاثٌ، فقال صاحب الثلاثة الأرغفة: لا أرضى إلّا أن تكون الدراهمُ بيننا نصفين.

وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فقصَّا عليه قصتهما، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: قد عرضَ عليك صاحبُكَ ما عرضَ، وخبزُه أكثرُ من خبزك، فارضَ بثلاثة.

فقال: لا والله لا رضيتُ منه إلا بمرِّ الحق.

فقال علي ﷺ: ليس لك في مرِّ الحق إلا درهمٌ واحدٌ وله سبعة.

فقال الرجل: سبحان الله يا أميرَ المؤمنين هو يعرض علي ثلاثة فلم أرضَ، وأشرتَ علي بأخذها فلم أرضَ، وتقول لي الآن: إنّه لا يجبُ في مرِّ الحق إلّا درهمٌ واحد.

فقال له علي: عرض عليك صاحِبُكَ الثلاثةَ صلحاً، فقلت: لم أرضَ إلا بمُرِّ الحقِّ، ولا يجب لك بِمُرِّ الحقِّ إلا واحدٌ.

فقال له الرجل: فعرّفني بالوجه في مُرِّ الحق حتّى أقبلَه.

فقال عليٌّ ﷺ: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثاً أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلمُ الأكثر منكم أكلاً، ولا الأقل، فتُحملون في أكلكم على السواء؟

قال: بلى.

قال: فأكلتَ أنتَ ثمانية أثلاثٍ، وإنّما لكَ تسعةُ أثلاثٍ، وأكل صاحبُكَ ثمانيةُ أثلاثٍ، وله خمسة عشر ثلثاً أكل منها ثمانيةً، ويبقى له سبعةٌ، وأكل لكَ واحداً من تسعةٍ، فلك واحدٌ بواحدِك، وله سبعةٌ بسبعتِهِ. فقال له الرجل: رضيتُ الآن[١].

• وفي «**الرياض**» عن محمد بن الزبير قال: دخلتُ مسجدَ دمشق، فإذا أنا بشيخٍ قد التوت ترقوتاه من الكبر فقلت: يا شيخُ مَنْ أدركتَ؟ قال: عمر، قلت: فما غزوتَ؟ قال: **اليرموك**، قلتُ: فحدّثني بشيءٍ سمعته.

قال: خرجنا مع قتيبة حُجّاجاً، فأصبنا بيضَ نعام ـ وقد أحرمنا ـ فلمّا قضينا نُسكنا ذكرنا ذلك لأمير المؤمنين عمر، فأدبر وقال: اتبعوني حتى انتهى إلى حِجْرِ رسول الله ﷺ، فضربَ حجرة منها، فأجابته امرأة فقال: أثَمَّ أبو حسن؟ قالت: لا، فمرَّ في المقناة، فأدبرَ، وقال: اتبعوني، حتى انتهى إليه، وهو يسوِّي الترابَ بيده، فقال: مرحباً يا أمير المؤمنين، فقال: إنّ هؤلاء أصابوا بيضَ نعام وهم محرمون، قال: ألا أرسلتَ إليَّ؟ قال: أنا أحق بإتيانكَ، قال: يُضْرِبُونَ الفحلَ قلائصَ أبكاراً بعددِ البيضِ، فما نتجَ منها أهدوه، قال عمر: فإنَّ الإبلَ تخدجُ، قال عليٌّ: والبيض تمرضُ، فلمّا أدبرَ قال عمر: اللَّهُمَّ لا تنزل بي شديدةٌ إلا وأبو حسن إلى جنبي[٢].

وعن حنش بن المعتمر: أنّ رجلينِ أتيا امرأةً من قريش، فاستودعاها مائة دينار، وقالا: لا تدفعيها إلى أحدٍ منا دونَ صاحبه حتى نجتمعَ.

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٠).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٥).

فلبثا حولاً، ثم جاء أحدُهما إليها وقال: إنَّ صاحبي قد مات، فادفعي إليَّ الدنانيرَ، فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتى دفعتَها إليه.

ثم لبثت حولاً آخر، فجاء الآخرُ، فقال: ادفعي إليّ الدنانير، فقالت: إنَّ صاحبك جاءني، وزعمَ أنّكَ قد مِتَّ، فدفعتُها إليه، فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضيَ عليها، وروي أنه قال لها: ما أراكِ إلّا ضامنةً! فقالت: أنشدكَ اللهَ أن لا تقضي بيننا، وارفعنا إلى علي بن أبي طالب، فرفعها إلى علي وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟ قال: بلى، قال: فإنّ مالكَ عندنا، اذهب فجِىء بصاحبك حتى ندفعها إليكما[1].

● وعن علي ﷺ أنّ رسولَ اللهِ ﷺ بعثه إلى اليمن، فوجد أربعةً وقعوا في حُفرة حفرت ليُصطاد فيها الأسد، سقط أولاً رجلٌ، فتعلّق بآخر، وتعلّقَ الآخرُ حتى تساقطَ الأربعةُ، فجرحهم الأسدُ، وماتوا من جراحته؛ فتنازع أولياؤهم حتى كادوا يقتتلون.

فقال علي: أنا أقضي بينكم، فإن رضيتم فهو القضاءُ، وإلا حجزتُ بعضَكم عن بعضٍ حتى تأتوا رسول الله ﷺ ليقضيَ بينكم، اجمعوا من القبائلِ الذين حفروا البئرَ ربعَ الدية وثلثَها ونصفَها وديةً كاملة، فللأول ربعُ الديةِ؛ لأنَّه أَهلك مَنْ فوقه، وللذي يليه ثلثُها؛ لأنّه أهلك مَنْ فوقه، وللثالثِ النصفُ؛ لأنّه أهلك من فوقه، وللرابع الديةُ كاملةً، فأبوا أن يرضوا، فأتوا رسول الله ﷺ، فلقوه عند مقام إبراهيم، فقصّوا عليه القصةَ فقال: أنا أقضي بينكم، واحتبى ببردةِ فقال رجل من القوم: إنّ علياً قضى بيننا. فلما قصّوا عليه القصّةَ أجازه[2].

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٧). (٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٨).

• وعن الحارث عن علي أنّه جاءه رجلٌ بامرأةٍ فقال: يا أمير المؤمنين دلّست علي هذه، وهي مجنونةٌ، قال: فصعّد عليٌ بصره وصوّبه وكانت امرأةً جميلةً فقال: ما يقول هذا؟ قالت: واللهِ يا أميرَ المؤمنين! ما بي جنونٌ، ولكنِّي إذ كان ذلك الوقت غلبتني غشيةٌ، فقال علي: خذها ويحكَ وأحسن إليها، فما أنتَ لها بأهل[١].

• وعن زيدِ بنِ أرقم قال: أُتي عليٌّ في اليمن بثلاثة نفر وقعوا على جاريةٍ في طهرٍ واحدٍ فولدت ولداً فادّعوه، فقال علي لأحدهم: تطيب به نفساً لهذا؟ قال: لا، وقال للآخر: تطيب به نفساً لهذا؟ قال: لا، قال للآخر: تطيب به نفساً لهذا؟ قال: لا، قال: أراكم شركاء متشاكسين، إني مقرع بينكم، فمن أجابته القرعةُ أغرمته ثلثي القيمة، وألزمته الولد، فذكروا ذلك للنبيّ ﷺ فقال: «**ما أجدُ فيها إلّا ما قالَ عليٌّ**»[٢].

• وعن حميد بن عبد الله بن يزيد المدني قال: ذكر عند النبي ﷺ قضاءٌ قضى به عليٌّ فأَعجبَ النبيَّ ﷺ فقال: «**الحمدُ للهِ الذي جعلَ فينا الحكمةَ أهلَ البيتِ**»[٣].

❁ ❁ ❁

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٨).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٩).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٩).

المبحث الثاني

في حفظ علم النبوة ونبوغه في فصل القضايا

ثم إنّ عليّاً ﷺ تشرّف مرّاتٍ ببركة أشعة النبوة على صاحبها الصلاة والسلام، وظهرت كرامات باهرة على يديه، وقد ألقى الله في رُوع نبيّه أن يعتنيَ بتربيته زائدَ الاعتناء، حتى ظهر كثيرٌ من المقامات في شخصيته.

۞ [دعاءُ النبيِّ ﷺ له لفصلِ الخصومات]:

● ظهر ذلك في بابِ فصلِ القضايا حين بعثَه رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً، فقال له: يا رسولَ الله تبعثُني إلى قومٍ ذوي أسنان، وأنا شابٌّ لا أعلمُ القضاء؟ فوضع يده على صدري وقال: «**إنّ الله سيهدي قلبَك ويثبِّتَ لسانك**»، الحديث. وفي آخره: فما أشكل عليَّ قضاءٌ بعدَ ذلك، وفي رواية: فما شككتُ في قضاءٍ، وفي رواية: وما زلتُ قاضياً بعدُ[1].

۞ [دعاء النبي ﷺ له لحفظ القرآن]:

● وقد ورد في باب حفظ القرآن ما رواه **الترمذي** أنّ رسول الله ﷺ علّمه صلاة نافلة.

عن ابن عباس أنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب، فقال: بأبي أنت وأمي تفلّتَ هذا القرآن من صدري، فما أجدني أقدر عليه.

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٦٨).

فقال رسول الله ﷺ: «**يا أبا الحسن أفلا أعلّمك كلماتٍ ينفعك الله بهنَّ، وينفع بهنَّ من علّمتَهُ، ويثبّت ما تعلمتَ في صدرك؟**».

قال: أجل يا رسول الله فعلمني.

قال: «**إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعتَ أن تقومَ في ثلثِ الليلِ الآخرِ، فإنّها ساعةٌ مشهودةٌ، فإن لم تستطع فقم في وسطِها، فإن لم تستطع فقم في أوّلها، فصلِّ أربعَ ركعاتٍ، تقرأ في الركعةِ الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يسٓ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وحم الدخان، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب والم تنزيل السجدة، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفصل.**

فإذا فرغتَ من التشهّدِ فاحمدِ الله، وأحسن الثناءَ على اللهِ، وصلِّ عليَّ وأحسن، وعلى سائرِ النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل في آخر ذلك:

اللَّهُمَّ ارحمني بتركِ المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلّفَ ما لا يعنيني، وارزقني حُسْنَ النظر فيما يرضيكَ عني.

اللَّهُمَّ بديعَ السماواتِ والأرضِ ذا الجلال والإكرام والعزّة التي لا ترامُ، أسألك يا الله، يا رحمن، بجلالك، ونورِ وجهك، أن تلزمَ قلبي حفظَ كتابِكَ كما علمتني، وارزقني أن أتلوَهُ على النحو الذي يرضيك عنّي.

اللَّهُمَّ بديعَ السماواتِ والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله يا رحمنُ بجلالك، ونورِ وجهك، أن تنوّرَ بكتابك بصري، وأن تطلقَ به لساني، وأن تفرّجَ به عن قلبي، وأن تشرَح به صدري، وأن تغسل به بدني؛ لأنّه لا يعينني على الحقِّ غيرُك، ولا يؤتيه إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاثَ جمع أو خمساً أو سبعاً تُجَبْ بإذن الله، والذي بعثني بالحقِّ ما أخطأ مؤمناً قط».

قال عبد الله بن عباس: فواللهِ ما لبث عليٌّ إلا خمساً أو سبعاً حتى جاء رسول الله ﷺ في مثل ذلك المجلس، فقال: يا رسول الله! إنِّي كنتُ فيما خلا لا آخذُ إلا أربعَ آياتٍ أو نحوهن، وإذا قرأتهنّ على نفسي تفلتنَ، وأنا أتعلّمُ اليومَ أربعين آية أو نحوها، وإذا قرأتُها على نفسي فكأنما كتابُ الله بين عيني، ولقد كنتُ أسمعُ الحديثَ فإذا رددته تفلّت، وأنا اليومَ أسمعُ الأحاديث، فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً، فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك: «**مؤمنٌ وربِّ الكعبة يا أبا الحسن**»[١].

❁ [دعاءُ النبيِّ ﷺ له لحفظ السُّنَّة]:

- وقد دعا له النبيُّ ﷺ لحفظ السُّنَّة بأن تكون له أذنٌ واعيةٌ.

❁ [دعاءُ النبيِّ ﷺ له للشّفاءِ من الأسقام]:

- ودعا له بالشفاء عن رمده.
- قال علي: ما رمدت منذ تفلَ النبيُّ ﷺ في عيني[٢]، أخرجه **أحمد**.
- ودعا له رسول الله ﷺ بقوله: «**اللَّهُمَّ أذهب عنه الحرَّ والبردَ**»[٣].

فكان عليٌّ ﷺ بعدَ هذا الدعاءِ يلبَسُ لباسَ الشتاء في الصيف ولباسَ الصيفِ في الشتاء، فلا يضرّه ذلك، ولا يؤذيه.

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٥٧٠). (٢) «مسند أحمد» برقم: (٥٧٩).
(٣) «سنن أبي داود» برقم: (١١٧).

• وذات مرة مرضَ عليٌّ رضي الله عنه، فدعا له رسول الله ﷺ، فبرئَ ذلك الحين.

• ولما زوّجه فاطمةَ رضي الله عنهما دعا لهما: «**جعلَ اللهُ منكما الكثيرَ الطيِّبَ، وباركَ الله فيكما**»، قال أنس: فواللهِ لقد أخرجَ الله منهما الكثير الطيب[١].

[حديث ردّ الشمس بعد غروبها]:

• ولما فاتته صلاةُ العصر ذاتَ مرّةٍ دعا رسولُ اللهِ ﷺ فَرُدّتِ الشمسُ عليه.

• قرئ على شيخنا أبي طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني وأنا اسمع في بيته بظاهر المدينة المشرفة سنة ١١٤٤هـ، قال: أخبرني أبي الشيخ إبراهيم بن الحسن الكردي ثم المدني، أخبرنا شيخنا الإمام صفي الدين أحمد بن محمد المدني، عن الشمس الرملي، عن الشيخ زين الدين زكريا، عن أعزّ الدين عبد الرحيم بن محمد الفرات، عن أبي الثناء محمود بن خليفة المنجي، عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن خلف الدمياطي، عن أبي الحسن علي بن الحسين بن المقير البغدادي، عن الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي الحنبلي لسماعه على الخطيب أبي الطاهر محمد بن أحمد بن محمد بن أبي الصقر الأنباري سنة ٤٧٣هـ بقراءته على أبي البركات أحمد بن عبد الواحد بن الفضل بن نظيف بن عبد الله القراء بمصر سنة ٤٢٨هـ بسماعه على أبي محمد الحسن بن رشيق العسكري، حدثنا أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري الدولابي، قال: حدّثني إسحاق بن يونس، حدثنا سويد بن

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٥٩).

سعيد عن المطلب بن زياد، عن إبراهيم بن حِبّان، عن عبد الله بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عُميس قالت: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر علي وكان يوحى إليه فلما سرّي عنه قال له: «**يا علي! صليتَ الفرضَ؟**» قال: لا، قال: «**اللَّهُمَّ إنّكَ تعلمُ أنّه كان في حاجتِك وحاجةِ رسولِك**»، فردَّ عليه الشمسَ، فردّها عليه فصلى وغابت الشمس.

• قُرِئَ على شيخنا أبي طاهر وأنا أسمع، عن أبيه الشيخ إبراهيم الكردي، عن أحمد بن محمد المدني الشهير بالقشّاشي، عن الشمس محمد بن أحمد بن حمزة الرملي إجازةً، عن الشيخ زين الدين زكريا، عن ابن الفرات، عن عمر بن الحسن المراغي، عن الفخر ابن البخاري، عن أبي جعفر الصيدلاني، عن فاطمة بنت عبد الله الجوزوانية، عن أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني، عن الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني في «الكبير»، حدثنا جعفر بن أحمد بن سنان الواسطي، حدثنا علي بن المنذر، حدثنا محمد بن فضيل، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين بن علي، عن أسماء بنت عُميس قالت: كان رسولُ اللهِ إذا نزلَ عليه الوحيُ يكادُ يُغْشَىٰ عليه، فأنزل عليه يوماً وهو في حجر علي، حتّى غابتِ الشمسُ فرفع رسولُ اللهِ ﷺ رأسه، فقال له: «**صلّيتَ العصرَ يا علي؟**»، قال: لا يا رسول الله، فدعا الله تعالى فردَّ عليه الشمس حتى صلّى العصرَ، قالت: فرأيتُ الشمس طلعت بعدما غابت حين رُدّتْ حتّى صلى العصرَ[1].

---

(١) «المعجم الكبير»، للطبراني (١٧/ ٣٩٥)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٩٧)، وابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٣٨٩)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٨٠ ـ ٩٠)، فيه بحثٌ نفيسٌ.

❁ [ملاحظات في هذا الحديث]:

• قال الحافظ جلال الدين السيوطي في جزء «كشف اللبس في حديث ردّ الشمس»: إنّ حديثَ ردِّ الشمس معجزةٌ لنبيّنا محمد ﷺ، صحَّحه الإمام أبو جعفر الطحاوي وغيره، وأفرط الحافظ أبو الفرج بن الجوزي فأورده في «كتاب الموضوعات»(١).

وقال تلميذُه المحدّث أبو عبد الله محمد بن يوسف الدمشقي الصالحي في جزء «مزيل اللبس عن حديث رد الشمس»: اعلم أنّ هذا الحديث، رواه الطحاوي في كتابه «شرح مشكل الآثار» عن أسماء بنت عُميس من طريقين، وقال: هذان الحديثانِ ثابتانِ، ورواتُهما ثقات، ونقله قاضي عياض في «الشفا»، والحافظ ابن سيد الناس في «بشرى اللبيب»، والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتابه «الزّهر الباسم»، وصحَّحه أبو الفتح الأزدي، وحسَّنه أبو زرعة ابن العراقي، وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة».

• وقال الحافظ أحمد بن صالح ـ وناهيك به ـ: لا ينبغي لمن سبيلُه العلم التخلّفَ عن حديث أسماء، لأنّه من أجلّ علامات النبوة(٢)، وقد أنكر الحفّاظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في «كتاب الموضوعات».

• **قلت**: وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» من طريقين:

أحدهما: طريق فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن، عن فاطمة بنت الحسين نحو الذي كتبناه بمعناه.

---

(١) (١/ ٣٥٥).

(٢) «شرح مشكل الآثار»، الطحاوي (٣/ ٦٨).

والثاني: حدثنا علي بن عبد الرحمٰن بن محمد بن المغيرة، قال: حدثنا أحمد بن صالح قال: حدثنا ابن أبي فديك، قال: حدثني محمد بن موسى، عن عون بن محمد، عن أمه أم جعفر، عن أسماء ابنة عُميس، أنَّ النبي ﷺ صلّى الظهر بالصهباء، ثم أرسل عليّاً في حاجةٍ فرجع، وقد صلّى النبيُّ ﷺ العصرَ، فوضعَ النبيُّ ﷺ رأَسه في حجر عليٍّ فلم يحرّكه حتى غابتِ الشمسُ، فقال النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إنَّ عبدَكَ عليّاً احتبسَ بنفسِهِ على نبيِّك فَرُدَّ عليه شرقَها**»، قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض، ثم قام علي فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت وذلك في الصهباء[1].

• قال الطحاوي: محمد بن موسى المدني المعروف بالفطري وهو محمود في روايته، وعون بن محمد هو عون بن محمد بن علي بن علي بن أبي طالب، وأمه هي أم جعفر ابنة محمد بن جعفر بن أبي طالب.

ثم عارض الحديث بما روي من طرق عن أبي هريرة رفعه: «**لم تحتبس الشمسُ على أحدٍ إلا ليوشع**[2]».

وأجاب بأنّه يمكن أن يكون المخصوص بيوشع حبسها عن الغيبوبة، وهذا ردها بعد الغيبوبة، ثم رد الجوابَ بحديث لفظه: «**فحبسَها الله عليه**»؛ أي: على يوشع. انتهى حاصل كلام الطحاوي.

❁ ❁ ❁

(١) «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٩٥).
(٢) «شرح مشكل الآثار» (٣/ ٦٥ ـ ٦٦).

المبحث الثالث

في أقواله وخوارقه وجهوده في إحياء علوم الدين

أمّا حِكَمُه العالية وأقوالُه البليغة فهي أكثرُ من أن تحصى، وكيف يمكِنُ إحصاؤها، إذ قال فيه رسولُنا محمّد ﷺ: «**أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها**»[1]، **ولكن نذكر بقدر ما تيسَّر لي**:

• أخرج أبو بكر عن أبي إسحاق قال: قال عليٌّ كلماتٍ لو رحَّلتم المطيَّ فيهنّ لأنضيتموهنّ قبل أن تدركوا مثلهنّ: «لا يرجُ عبدٌ إلّا ربه، ولا يَخَفْ إلّا ذنبه، ولا يستحيي مَنْ لا يعلَمُ أنْ يتعلّمَ، ولا يستحيي عالم إذا سُئِلَ عمّا لا يعلمُ أن يقولَ: اللهُ أعلم، واعلموا أنّ منزلةَ الصبر من الإيمانِ كمنزلةِ الرأسِ من الجسدِ، فإذا ذهبَ الرأسُ ذهبَ الجسدُ، وإذا ذهبَ الصبرُ ذهبَ الإيمان»[2].

• وعن زيد بن الحارث عن رجل من بني عامر قال: قال علي: إنّما أخافُ عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى، فإنّ طولَ الأمل ينسي الآخرة، وإنّ اتباعَ الهوى يصدّ عن الحقّ، وإنّ الدنيا قد ترحّلت مدبرةً، وأن الآخرة قد جاءت مقبلةً، ولكلٍّ واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرةِ، فإنَّ اليومَ عملٌ ولا حسابٌ، وغداً حسابٌ ولا عملٌ[3].

• وعن **الحسن** قال: قال علي: طوبى لكلِّ عبد نومة، عرف الناس ولم يعرفه الناس، وعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيحُ الهدى،

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٧) برقم: (٤٦٣٧).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٤).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٠) برقم: (٣٤٤٩٥).

يجلى عنهم كلّ فتنة مظلمة، ويدخلهم الله في رحمته، ليس أولئك بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين(١).

• وعن **عطاء بن أبي رباح** قال: كان عليُّ بنُ أبي طالب إذا بعث سريةَ ولّى أمرها رجلاً فأوصاه، فقال: أوصيكَ بتقوى الله، لا بدّ لك من لقائه، ولا منتهى لكَ دونه، وهو يملكُ الدّنيا والآخرة، وعليك بالذي يقرِّبكَ إلى الله، فإنَّ فيها عندَ الله خَلَفاً من الدنيا(٢).

• وعن زيد بن وهب أنّ بعجة عابَ عليّاً في لباسه فقال: يقتدي المؤمن، ويخشع القلب(٣).

• وعن **عمرو بن كثير** الحنفي عن **عليٍّ** قال: اكظموا الغيظ، وأقلّوا الضحك، لا تمجّه القلوب(٤).

• وعن **الحارث** عن **علي** قال: مثل الذي جمعَ الإيمانَ والقرآنَ مثل الأترنجةَ الطيبة الريح، الطيبة الطعم، ومثل الذي لم يجمعِ الإيمانَ ولم يجمعِ القرآنَ مثل الحنظلةِ خبيثة الريح، خبيثة الطعم(٥).

• وعن محمد بن عمرو بن علي قال: حدثني أبي قال: قيل لعلي: ما شأنُكَ يا أبا حسن! جاورتَ المقبرة؟ قال: إنِّي أجدُهم جيرانَ صدقٍ، يكفون السيئة، ويذكّرون الآخرة(٦).

أخرج هذه الأحاديث كلها **أبو بكر بن أبي شيبة**.

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٠) برقم: (٣٤٤٩٧).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٠) برقم: (٣٤٤٩٩).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٠).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠١) برقم: (٣٤٥٠٦).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٢) رقم: (٣٤٥١٣).
(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ١٠٢) رقم: (٣٤٥١٤).

• وفي «**الصواعق**» من كلامه كرم الله وجهه: الناسُ نيامٌ إذا ماتوا انتبهوا. الناسُ بزمانهم أشبه منهم بآبائهم، لو كُشفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً، ما هلك امرؤ عرفَ قدره، قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يحسنه، مَنْ عرفَ نفسَه فقد عرفَ ربّه، المرءُ مخبوءٌ تحتَ لسانِهِ، مَنْ عذُبَ لسانُه كَثُرَ إخوانُه، من البِرِّ يُستَعْبَدُ الحرُّ، بشّر مالَ البخيلِ بحادثٍ أو وارثٍ، لا تنظر الذي قال، انظر إلى ما قال، الجزعُ عندَ البلاءِ تمامُ المحنةِ، لا ظفرَ مع البغي، لا ثناءَ مع الكِبْرِ، لا صحّةَ مع النهم والتخم، لا شرفَ مع سوءِ الأدبِ، لا راحةَ مع الحسدِ، لا سؤددَ مع الانتقامِ، لا صوابَ مع ترك المشورةِ، لا مروءةَ للكذوبِ، ولا كرمَ أعزّ من التقى، لا شفيعَ أنجحُ من التوبةِ، لا لباسَ أجملُ من العافيةِ، لا داءَ أعيا من الجهل، رحم الله امرءاً قد عرفَ قدره، ولم يتعدّ طوره، إعادةُ الاعتذار تذكّر بالذنبَ، النصحُ بين الملأ تفزيعٌ، نعمةُ الجاهل كروضةٍ على مزبلةٍ، الجزُع أتعبُ من الصبرِ، أكبرُ الأعداءِ أخفاهم مكيدةً، الحكمةُ ضالَّةُ المؤمن، البخلُ جامعٌ لمساوئ العيوب، إذا حلّت المقاديرُ ضلّت التدابيرُ، عبدُ الشهوةِ أذلّ من عبد الرقِّ، الحاسدُ مغتاظٌ على مَنْ لا ذنَب له، كفى بالذنبِ شفيعاً للمذنبِ، السعيدُ مَنْ وُعِظَ بغيره، الإحسانُ يقطعُ اللسانَ، أفقرُ الفقرِ الحمقُ، أغنى الغنى العقلُ، الطامِعُ في وثاق الذل، ليس العَجَبُ ممن هلك كيف هلك العجب ممن نجا، أكثرُ مصارع العقول تحت بروقِ الأطماع، إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفّروا أقصاها بقلّة الشكر، إذا قدرتَ على عدوّك فاجعل العفوَ عنه شكرَ القدرة عليه، ما أضمرَ أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه، وعلى صفحاتِ وجهه، البخيلُ يستعمِلُ الفقرَ، ويعيشُ في الدنيا عيشَ الفقراء، ويحاسَبُ في الآخرة حساب الأغنياء، لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه، العلم يرفع الوضيع، والجهل يضع الرفيع، العلم خير من المال،

العلم يحرسك وأنت تحرس المال، العلم حاكم والمال محكوم عليه، قصم ظهري عالم منتهكٌ، وجاهِلُ متنسِّكٌ، هذا يفتي وينفر الناس بتهتكه، وهذا يضل الناس بتنسّكه، أقلُ الناس قيمةً أقلّهم علماً، إذ قيمةُ كلِّ امرء ما يحسنه.

• ومن **كراماته** ما ذكره صاحب «**الرياض**» عن الأصبغ قال: أتينا مع علي فمررنا بموضع قبر الحسين، فقال عليٌّ: هاهنا مناخ ركائبهم، وهاهنا موضعُ رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتيةٌ من آل محمد ﷺ يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماءُ والأرض[1].

• وعن **جعفر بن محمد** عن أبيه قال: عرض لعلي رضي الله عنه رجلان في خصومة، فجلس في أصلِ جدارٍ، فقال رجلٌ: يا أميرَ المؤمنين، الجدارُ يقع، فقال له علي: امض، كفى بالله حارساً، فقضى بين الرجلين، وقام، فسقط الجدار[2].

• وعن **الحارث** قال: كنتُ مع علي بن أبي طالب بصفّين، فرأيتُ بعيراً من إبل الشام جاء وعليه راكبه وثقله، فألقى ما عليه، وجعل يتخلل الصفوفَ، حتى انتهى إلي علي، فوضعَ مشفره ما بين رأس علي ومنكبه، وجعل يحرّكها بجرّانه، فقال علي: إنّها والله لعلامة بيني وبين رسولِ اللهِ ﷺ، قال: فجدَّ الناسُ في ذلك اليوم، واشتدّ قتالُهم[3].

• وعن علي بن زاذان أنّ علياً حدّث حديثاً فكذّبه رجل، فقال علي: أدعو عليك إن كنتُ صادقاً؟ قال: نعم؛ فدعا عليه، فلم ينصرف حتى ذهبَ بصرُه[4].

• وعن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: بعثني رسولُ اللهِ ﷺ أدعو علياً، فأتيتُ

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).
(٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).
(٣) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).
(٤) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).

بيتَه فناديتُه، فلم يجبني، فعدتُ فأخبرتُ رسولَ اللهِ ﷺ، فقال لي: **«عُدْ إليه، ادعه فإنّه في البيتِ»**، قال: فعدتُ أناديه، فسمعتُ صوت رحًى تطحنُ، فشارفتُ فإذا الرحى تطحنُ، وليس معها أحدٌ، فناديته، فخرج إليَّ منشرحاً فقلتُ له: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يدعوك، فجاء، ثم لم أزل أنظر إلى رسولِ اللهِ ﷺ وينظرُ إليَّ، ثم قال: **«يا أبا ذر! ما شأنُكَ؟»** فقلت: يا رسول الله، عجيبٌ من العجب، رأيتُ رحًى تطحن في بيت علي وليس معها أحدٌ يديرها، فقال: **«يا أبا ذر! إنَّ لله ملائكةً سياحين في الأرض، وقد وكّلوا بمعونةِ آلِ محمّد ﷺ»**(١).

• وعن **فَضَالة بن أبي فَضَالة** قال: خرجتُ مع أبي إلى ينبع، عائداً لعلي وكان مريضاً، فقال له أبي: ما يسكنك بمثل هذا المنزل؟ لو هلكت لم يلك إلا الأعرابُ أعرابُ جهينة، فاحمل إلى المدينة، فإنْ أصابَكَ بها قدرٌ وليك أصحابُكَ وصلوا عليك، وكان أبو فضالة من أهل بدر، فقال له علي: إنِّي لستُ بميّت من وجعي هذا، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ عهد إليَّ أن لا أموتَ حتى أضربَ ثم تخضبَ هذه؛ (يعني: لحيته) من هذه؛ (يعني: هامته)، فقتل أبو فضالة معه بصفّين(٢).

• وأخرج **أبو عمر** عن عَبيدة قال: كان علي رضي الله عنه إذا رأى ابنَ ملجم قال:

أريـدُ حـيـاتَـهُ ويـريـدُ قَـتْـلِـي   عَـذِيْـرُكَ مِـنْ خَـلِـيْـلِـكَ مِـنْ مُـرَادِ

• وكان علي رضي الله عنه كثيراً ما يقول: ما يمنعُ أشقاها أو ما ينتظر أشقاها أن يخضبَ هذه من دمِ هذا.

ويقول: واللهِ ليخضبنَّ هذه من دم هذا، ويشيرُ إلى لحيته ورأسِه،

---

(١) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).   (٢) «الرياض النضرة» (١/ ٢٨٢).

خضاب دم لا خضابَ عطرٍ ولا عبيرٍ[١].

[اعتناؤه بخدمة القرآن]

• أمّا قيامُه بإحياء علوم الدين، فإنّه كان قد جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ورتَّبه، ولكن لم تساعِدْه الظروفُ لنشره:

• أخرج **أبو عمر** عن محمد بن كعب القُرظي قال: كان ممّن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ وهو حي: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود من المهاجرين، وسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة مولًى لهم، ليس من المهاجرين[٢].

وقد روى عنه القرآنَ جماعةٌ من التابعين، ولم تزل هذه الروايةُ باقيةً إلى يومنا هذا.

• قال البغوي في «شرح السُّنَّة»: والقرّاء المعروفون أسندوا قراءتهم إلى الصحابة، فعبدُ الله بن كثير ونافع أسندا إلى أُبي بن كعب، وعبد الله بن عامر أسند إلى عثمان بن عفان، وأسند عاصم إلى علي وعبد الله بن مسعود وزيد، وأسند حمزة إلى عثمان وعلي، وهؤلاء قرؤوا على النبيِّ ﷺ، فثبتَ أنَّ القرآن كان مجموعاً محفوظاً كله في صدور الرجال أيام حياة النبي ﷺ[٣].

[اعتناؤه برواية الحديث]:

• وإنّه لمن حفّاظ الحديث والمكثرين من الصحابة[٤]، إذ روي عنه

---

(١) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٧).
(٢) «الاستيعاب» (١/ ٣٤٩).
(٣) «شرح السُّنَّة» (٤/ ٥١٨).
(٤) ذكر السخاوي في «فتح المغيث»: أن عليّاً من المكثرين من الفتيا. انظر: «فتح المغيث» (٣/ ١٠٨).

نحو ست مائة حديث، وتوجد في كتب الحديث المعتمد عليها، والحقيقةُ أنّ أحاديثَه المرفوعةَ تبلغ نحو ألف أو أكثر، وقد فصّلنا الكلام فيه في مبحث مناقب عمر الفاروق رضي الله عنه فراجع.

وهناك بعضُ أبوابٍ للحديث لم يرو فيها أحدٌ قبله، فهو أول فاتح لهذه الأبواب.

• **منها**: أحاديثُ شمائلِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، وما جاء في عيشه صلى الله عليه وسلم، وقد روى **الترمذي** في كتاب «**الشمائل**» حديثاً طويلاً عن الحسنين، وبعض الأحاديث ضعيفةٌ.

• عن **ابن عمر** أنّ اليهود جاءوا إلى أبي بكر فقالوا: صِفْ لنا صاحبك، فقال: معشرَ اليهودِ لقد كنتُ معه في الغارِ كإصبعي هاتين، ولقد صعدتُ معه جبل حِراء، وإن خنصري لفي خنصره، ولكنّ الحديثَ عنه صلى الله عليه وسلم شديد، وهذا عليُّ بنُ أبي طالب.

فأَتَوا علياً، فقالوا: يا أبا الحسن صِفْ لنا ابنَ عمِّك فقال: لم يكن رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بالطويل الذاهب طولاً، ولا بالقصيرِ المتردّد، كان فوقَ الربعةِ، أبيضَ اللون، مُشرباً حمرةً، جعدَ الشعرِ، ليس بالقططِ، يفرق شعره إلى أذنيه، صلتُ الجبين، أدعجُ العينين، دقيقُ المسربةِ، برّاق الثنايا، أقنى الأنفِ، كأنّ عنقَه إبريقُ فضة، له شعراتٌ من لبته إلى سرته، كأنهنّ قضيبُ مسكٍ أسود، ليس في جسدِهِ ولا في صدرِهِ شعراتٌ غيرهنَّ، وكان شَثِنُ الكفِّ والقدمِ، وإذا مشى كأنّما يتقلّعُ من صخر، وإذا التفتَ التفتَ بمجامع بدنه، وإذا قامَ غمرَ الناسَ، وإذا قعدَ علا الناسَ، وإذا تكلّم أنصتَ الناسَ، وإذا خطبَ أبكى الناسَ، وكان أرحمَ الناسِ بالناسِ، لليتيم كالأبِ الرحيم، وللأرملةِ كالزوجِ الكريم، أشجعُ الناسِ، وأبذلُهم كفّاً، وأصبحُهم وجهاً، لباسُه العباء، وطعامُه خبزُ الشعير،

وإدامُه اللبنُ، ووسادهُ الأُدم محشواً بليفِ النخل، سريرهُ أم غيلان مرمّل بالشريط، كان له عمامتان، إحداهُما تُدْعَى السحاب والأخرى العقاب، وكان سيفُه ذا الفقار، ورايتُه الغرّاء، وناقتُه العضباء، وبغلته دُلْدُل، وحمارُه يعفور، وفرسه بحرٌ، وشاته بركة، وقضيبُه الممشوق، ولواؤه الحمدُ، وكان يعقِلُ البعيَر، ويعلِفُ الناضحَ، ويرقِّعُ الثوبَ، ويخصِفُ النعلَ(١).

• **ومنها**: حديث **صلاة المناجاة**، فإنّها وسيلةٌ قويةٌ لنيل لذة المناجاة، ويجد لذتها ونورها وبركتها من يداوم عليها، ومَنْ لم يذق لم يدرِ، أخرجه **الترمذي** وغيره برواية الأعرج عن عبيد الله بن أبي رافع عن **علي** مبسوطاً.

ومنها: النوافل في اليومية كصلاة الضحى وصلاة الزوال وغيرها باب من أبواب التصّرف وهي نافعةٌ جدّاً.

• أخرج **أحمد** عن عاصم بن ضمرة قال: سألنا عليّاً ﵁ عن تطوّع النبيِّ ﷺ بالنهار فقال: إنّكم لا تطيقونه، قال: قلنا: أخبرنا به نأخذ منه ما أطقنا، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا صلّى الفجر أمهل حتى إذا كانت الشمسُ من هاهنا؛ يعني: من قِبَلِ المشرق مقدارها من صلاة العصر من هاهنا من قبل المغرب قام فصلَّى ركعتين، ثم يمهل حتى إذا كانت الشمسُ من هاهنا؛ يعني: من قبل المشرق مقدارها من صلاة الظهر من هاهنا؛ يعني: من قبل المغرب قام فصلى أربعاً، وأربعاً قبل الظهر إذا زالتِ الشمسُ، وركعتين بعدها، وأربعاً قبل العصر، يفصلُ بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين، والنبيين، ومن تبعهم من المؤمنين والمسلمين، قال: قال علي ﵁: تلك ست عشرة ركعة تطوع النبي ﷺ بالنهار، وقلَّ مَنْ يداوم عليها(٢).

(١) «الرياض النضرة» (١/٢٦٦).
(٢) «مسند أحمد» برقم: (٦٥٠).

• وقد نقل عنه فتاوى وأحكام فقهية خاصة في كتب الإمام الشافعي رحمه الله كما ذُكر كثيرٌ منها في «مصنف عبد الرزاق» و«مصنف أبي بكر بن أبي شيبة».

❁ [بيانه في علم التوحيد وصفات الله تعالى]:

• وكان قد بلغ الذروة العالية في بيان التوحيد، وذكر صفات الله عز وجل، وكان يملِكُ قريحةً وقّادةً، ولساناً فصيحاً بين سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد ورد كثيرٌ من كلامه في التوحيد والصفات في خطبه، فكأنه أوّل متكلم في باب التوحيد والصفات الإلٰهية، وكان لا يحيدُ في بيان ذلك عن الإجمالِ المفيد، الذي هو سُنَّة الأنبياء السنيّة.

وأراد المتأخّرون أن يسلكوا هذا المنهج في بيان الصفات الإلٰهية، ولكنّهم لم يؤدوا حقها.

• وكان بحراً لا يدرَكُ ساحله في علم التصوّف، ولكنّ الحروب التي خاضها في عهد خلافته قد حالت دون شرحه وتفصيله.

قال الجنيدُ رحمه الله: شيخنا في الأصول والبناء **علي المرتضى** رضي الله عنه.

• وكان نسيجَ وحده في الفصاحة والبلاغة، واتّخذَ أسلوباً بليغاً لخطابته على خلاف ما كان عليه الخلفاء السابقون، فإنّهم كانوا لا يركزون عنايتهم إلى هذا الجانب.

• وكان في عهد الشيخين أبي بكر وعمر وزيرهما في أمور السياسية كما كانا يستشيرانه في أمور الدين والشريعة، ولم يدّخر وسعاً في إجلالهما وتكريمهما، وذكر فضائلهما ومناقبهما، ونذكر الآن جزءاً من كلامه.

❁ [الأحاديث التي ورد فيها ذكر ما ابتلي به علي رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ]:

• وليعلم أنَّ النبيَّ ﷺ كان قد أخبر بكلّ ما ابتلي به **علي المرتضى** رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ إلى آخر أيام حياته، وكان قد أشار إلى أصول تلك الحوادث والوقائع.

• وقد ذكر في «غنية الطالبين» أنَّ علياً رضي الله عنه قال: لم يخرج النبي ﷺ من الدنيا حتى بيَّن لنا أنَّ الأمر بعده لأبي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، ثم لي فلا يجتمع علي.

وإنّ هذا الحديث وإن كان غريباً في الظاهر إلا أنّ أقوال النبي ﷺ وتصريحاته وإشاراته المتعددة التي تدل على خلافة الخلفاء الثلاثة والتي تبلغ إلى أكثر من خمسين حديثاً تؤيّدُ **معناه الأول**، وهو أنّ الخلافة بعده لأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وتزيلُ عنه غرابته.

أما معناه الثاني: أي «فلا يجتمع علي» فقد ذكرنا بعض شواهده في قصة عثمان ذي النورين رضي الله عنه، ونذكر بعضها هنا:

[إخبار النبي ﷺ بخلافته وشهادته]:

• أخرج **أحمد** عن **فَضالة بن أبي فَضالة الأنصاري** وكان أبو فضالة من أهل بدر قال: خرجتُ مع أبي عائداً لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه من مرضٍ أصابه، ثَقُلَ منه، قال: فقال له أبي: ما يقيمُك في منزلك هذا؟ لو أصابك أجلك لم يَلِكَ إلا أعراب جهينة، تُحمَل إلى المدينة، فإنْ أصابك أجلُك وليكَ أصحابُك، وصلّوا عليك.

فقال علي رضي الله عنه: إنَّ رسول الله ﷺ عهدَ إليَّ أنْ لا أموت حتى أؤمّر ثم تخضب هذه؛ (يعني: لحيته) من دم هذه؛ (يعني: هامته)، فقتل

وقتل أبو فضالة مع علي يوم صفين[١].

وأخرج **أحمد** عن **علي** رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! من نؤمِّرُ بعدك؟ قال: «**إن تؤمّروا أبا بكر** رضي الله عنه **تجدوه أميناً زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة، وإن تؤمّروا عمر تجدوه قوياً أميناً لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تؤمّروا عليّاً ـ ولا أراكم فاعلين ـ تجدوه هادياً مهديّاً، يأخذ بكم الطريقَ المستقيم**»[٢].

• وفي «الخصائص»: أخرجَ **الطبراني وأبو نعيم** عن **جابر** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «**إنّكَ امرؤ مستخلَفٌ، وإنّك مقتولٌ، وهذه مخضوبةٌ من هذه**»؛ يعني: لحيته من رأسه[٣].

• وأخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: إنّ ممّا عهدَ إليَّ النبيُّ ﷺ أن الأمةَ ستغدر بي بعدَه[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن **ابن عباس** رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ لعليٍّ: «**أما إنّكَ ستلقى بعدي جهداً**»، قال: في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ من دينك**»[٥].

• وأخرج **أبو يعلى** عن **علي بن أبي طالب** قال: بينما رسول الله ﷺ آخذٌ بيدي، ونحن نمشي في بعض سكك المدينة، إذ أتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقةٍ قال: «**لك في الجنةِ أحسنُ منها**»، ثم مررنا بأخرى، فقلتُ: يا رسول الله! ما أحسنَها من حديقة، قال: «**لكَ في الجنّة أحسنُ منها**»، حتى مررنا بسبع حدائق، كل ذلك

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٨٠٢). (٢) «مسند أحمد» برقم: (٨٥٩).
(٣) «المعجم الكبير» (٢/ ٢٤٧) برقم: (٢٠٣٨).
(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٦).
(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٧).

أقول: ما أحسنَها، ويقول: «**لكَ في الجنّة أحسنُ منها**»، فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهشَ باكياً، قال: قلت: يا رسول الله! ما يبكيكَ؟ قال: «**ضغائنُ في صدورِ أقوامٍ لا يبدونها لكَ إلّا من بعدي**»، قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ في سلامةٍ من ديني؟ قال: «**في سلامةٍ من دينك**»[١].

وأخرج **أحمد** عن **إياس بن عمرو الأسلمي** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّه سيكونُ بعدي اختلافٌ أو أمر فإن استطعتَ أن تكونَ أسلمَ فافعل**»[٢].

❁ [أخبر النبي ﷺ بأنّ الأمة لا تجتمعُ على عليٍّ]:

• ثم إنَّ النبي ﷺ قد بيَّن في كثير من الأحاديث المتواترة التي رويت بطرقٍ متعددةٍ أنّ الأمة لا تجتمعُ على عليٍّ.

❁ [إخباره بالخلافة والملك]:

• منها حديث: «**الخلافة بالمدينة، والملك بالشام**»، ومنها الأحاديث الكثيرةُ التي تدلُّ على أنَّ الخلافة سترتفعُ بعد عثمان، وقد ذكرنا جملة منها.

• وفي «**الخصائص**»: أخرج **البزَّار والبيهقي** وصحَّحه عن **أبي الدرداء** قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ عمودَ الكتابِ احتُمِلَ من تحت رأسي، فظننتُ إنّه مذهوبٌ به، فاتبعتُه بصري، فعُمِدَ به إلى الشام، ألا وإنَّ الإيمانَ لا يزالُ ظاهراً حينَ تقعُ الفتنُ بالشام**»[٣]، وأخرج نحوه من حديث عمر بن الخطاب وابن عمر.

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١/ ٢٦٥).
(٢) «مسند أحمد» برقم: (٦٩٥).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (٢١٧٨١).

[إخباره بوقعة الجمل]:

وأخبر النبي ﷺ بمعركة الجمل إذ أخرج أبو بكر وأبو يعلى وأحمد وغيرهم وهذا لفظ أبي يعلى عن قيس بن أبي حازم، قال: مرت عائشة بماء لبني عامر، يقال له الحوأب، فنبحت عليه الكلاب، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ماء لبني عامر، فقالت: ردُّوني ردوني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كيف بإحداكن إذا نبحت عليها كلاب الحوأب**»(١).

وأخرج **الحاكم** من حديث يحيى بن سعيد، ثنا الوليد بن عياش أخو أبي بكر بن عياش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: قال **ابن مسعود** رضي الله عنه: قال لنا رسولُ اللهِ ﷺ: «**أحذّركم سبعَ فتنٍ تكونُ بعدي: فتنةً تقبِلُ من المدينةِ وفتنةً بمكة، وفتنةً تقبل من اليمنِ، وفتنةً تقبلِ من الشامِ، وفتنةً تُقْبِلُ من المشرق، وفتنةً تُقْبِلُ من المغربِ، وفتنةً مِن بَطْنِ الشام، وهي السفياني**»، قال: قال ابن مسعود: منكم من يدرِكُ أوَّلها، ومن هذه الأمة من يدرِكُ آخرها.

قال الوليد بن عياش: فكانت فتنةُ المدينةِ من قبل طلحة والزبير، وفتنة مكة فتنةُ عبد الله بن الزبير، وفتنةُ الشام من قبل بني أمية، وفتنة المشرق من قبل هؤلاء(٢).

[إخباره بمعركة صفين وحادث التحكيم]:

• وأخبر بمعركة صفين، إذ أخرج **الشيخان** عن **أبي هريرة** قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقومُ الساعةُ حتّى تقتتل فئتانِ عظيمتانِ وتكونُ**

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٢٤٢٩٩)، و«مسند أبي يعلى» (٤/ ٣٨٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٦) برقم: (٣٧٧٧١).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥١٥) برقم: (٨٤٤٧).

بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ ودعواهما واحدة»[١].

وذلك إشارة إلى أن أهل الشام رفعوا القرآن، وقالوا: بيننا وبينكم هذا القرآن، فقال علي: **هذا قرآنٌ صامتٌ، وأنا القرآنُ الناطقُ.**

• وكذلك أخبر النبي ﷺ بقضية التحكيم أيضاً، إذ روى البيهقي في «الخصائص» عن عليٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بني إسرائيل اختلفوا، فلم يزل اختلافهم بينهم حتى بعثوا حكمين فَضَلَّا وَأَضَلَّا، وإن هذه الأمة ستختلِفُ فلا يزالُ اختلافهم بينهم، حتى يبعثوا حكمين ضَلَّا وَضَلَّ من اتّبعهما**»[٢].

والمراد من «**ضلَّا**» أنهما أخطأ في اجتهادهما، والمراد من «ضلَّ من اتبعهما» أنّه سيؤدي هذا الخطأ إلى مفاسد كثيرة.

• **ومنها**: انتقال الخلافة من المهاجرين الأولين إلى قريشٍ عامةً.

❁ [إخباره بظهور الخوارج]:

• **ومنها**: ظهور الخوارج واستدلالهم بأنْ لا تحكيمَ في دين الله، ثم إنّه ﷺ أخبرَ بمعركة النهروان في الحديث المتواتر.

• أخرج **أحمد** عن **عبيد الله بن عياض** بن عمرو القاريّ قال: جاء عبد الله بن شداد، فدخل على عائشة رضي الله عنها ـ ونحن عندها جلوسٌ ـ مرجعه من العراق لياليَ قُتِلَ عليٌّ رضي الله عنه، فقالت له: يا عبدَ الله بن شداد هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدّثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم عليٌّ رضي الله عنه.

قال: وما لي لا أصدقُكِ.

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧١٢١)، و«صحيح مسلم» برقم: (١٥٧).

(٢) «دلائل النبوة للبيهقي» (٧/ ٢٨١).

قالت: فحدّثني عن قصتهم.

قال: فإنَّ علياً رضي الله عنه لما كاتبَ معاويةَ، وحكّم الحكمينِ، خرجَ عليه ثمانية آلاف من قرَّاءِ الناس، فنزلوا بأرضٍ يقال لها: حَرُوراء من جانب الكوفة، وإنَّهم عَتِبُوا عليه، فقالوا: انسلختَ من قميصٍ ألبسكه الله تعالى، واسمٍ سمّاك الله تعالى به، ثم انطلقتَ فحكّمتَ في دينِ الله، فلا حكمَ إلّا لله تعالى.

فلمَّا أنْ بلغَ عليّاً رضي الله عنه ما عَتِبوا عليه، وفارقوه عليه، فأمر مؤذِّناً فأذَّن أنْ لا يدخلَ على أمير المؤمنين إلّا رجلٌ قد حمل القرآن، فلمّا أنِ امتلأتِ الدارُ من قرّاءِ الناس، دعا بمصحفِ إمامٍ عظيمٍ، فوضعه بين يديه، فجعل يصكّه بيده ويقول: أيُّها المصحفُ حدِّثِ الناسَ.

فناداه الناسُ فقالوا: يا أميرَ المؤمنين! ما تسألُ عنه، إنّما هو مدادٌ في ورقٍ، ونحن نتكلّم بما روينا منه، فماذا تريدُ.

قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥] فأمة محمد ﷺ أعظمُ دماً وحرمةً من امرأة ورجل، ونقموا عليَّ أنْ كاتبتُ معاويةَ: كتب علي بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيلُ بنُ عمرٍو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحديبية حين صالحَ قومَه قريشاً، فكتب رسول الله ﷺ: بسم الله الرحمٰن الرحيم، فقال سهيل: لا تكتبْ بسم الله الرحمٰن الرحيم فقال: «**كيف نكتب؟**»، فقال اكتب: باسمك اللهمَّ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فاكتب محمد رسول الله**»، فقال: لو أعلمُ أنّكَ رسولُ اللهِ لم أخالِفْكَ فكتب: «**هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشاً**»، يقول الله تعالى في كتابه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فبعث إليهم عليٌّ عبدَ اللهِ بنَ عباس رضي الله عنه فخرجتُ معه، حتى إذا توسّطنا عسكرَهم، قام ابنُ الكوّاء يخطبُ الناسَ فقال: يا حملةَ القرآن! إنَّ هذا عبدُ الله بن عباس رضي الله عنه، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفُ مِنْ كتاب الله ما يعرّفكم به هذا ممّن نزل فيه وفي قومه ﴿قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] فردوه إلى صاحبه، ولا تواضعوه كتاب الله.

فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنّه كتابَ الله، فإن جاء بحقٍّ نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله.

فواضعوا عبد الله الكتابَ ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلُّهم تائبٌ فيهم ابن الكواء، حتى أدخلهم على عليٍّ الكوفةَ.

فبعث عليٌّ رضي الله عنه إلى بقيتهم، فقال: قد كان من أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتم فقفوا حيث شئتُم حتى تجتمعَ أمةُ محمد ﷺ، بيننا وبينكم أن لا تسفكوا دماً حراماً، أو تقطعوا سبيلاً، أو تظلموا ذمةً، فإنّكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحربَ على سواء، إنّ الله لا يحب الخائنين، فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا ابن شدّاد فقد قتلهم؟

فقال: واللهِ ما بعثَ إليهم حتّى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلّوا أهل الذمة.

فقالت: آلله؟

قال: آلله الذي لا إلـه إلا هو لقد كان.

قالت: فما شيءٌ بلغني عن أهل الذمّة يتحدّثونه يقولون: ذو الثدي وذو الثدي.

قال: قد رأيتُه، وقمتُ مع علي رضي الله عنه عليه في القتلى، فدعا الناسَ فقال: أتعرفونَ هذا، فما أكثرَ مَنْ جاء يقول: قد رأيتُه في مسجدِ بني

فلان يصلِّي، ورأيتُه في مسجد بني فلان يصلّي، ولم يأتوا فيه بثبتٍ يعرف إلا ذلك.

قالت: فما قول علي رضي الله عنه حين قام عليه كما يزعم أهلُ العراق؟

قال: سمعتُه يقول: صدق اللهُ ورسولُه.

قالت: هل سمعت منه أنه قال غير ذلك.

قال: اللَّهُمَّ لا.

قالت: أجل صدقَ اللهُ ورسولهُ، يرحمُ الله عليّاً رضي الله عنه إنّه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال: صدقَ اللهُ ورسولُه، فيذهبُ أهل العراق يكذبونَ عليه، ويزيدونَ عليه في الحديث(١).

• وأخرج **أحمد** عن **طارق بن زياد** قال: خرجنا مع علي إلى الخوارج فقتلهم، ثم قال: انظروا فإن نبيَّ الله ﷺ قال: «**إنّه سيخرجُ قومٌ يتكلّفون بالحقِّ، لا يجوزُ حلقَهم، يخرجون من الحقِّ كما يخرجُ السهمُ من الرميَّة**»، سيماهم أنّ منهم رجلاً أسود مخدّج اليد، في يده شعراتٌ سودٌ، إن كان هو فقد قتلتم شرّ الناسِ، وإن لم يكن هو فقد قتلتُم خيرَ الناس فبكينا، ثم قال: اطلبوا، فطلبنا، فوجدنا المخدّجَ، فخررنا سجوداً وخرَّ علي معنا ساجداً، غير أنه قال: يتكلّمون بكلمةِ الحقِّ(٢).

❁ [إخباره بشهادة علي رضي الله عنه]:

• **وقد أخبر النبي ﷺ بشهادة علي بيد خارجي:**

• أخرج **الحاكم** عن أبي **الأسود الديلي** عن علي رضي الله عنه قال: أتاني عبد الله بن سلام، وقد وضعتُ رجلي في الغرز، وأنا أريدُ العراق،

---

(١) «مسند أحمد» برقم: (٦٥٦). (٢) «مسند أحمد» (٨٤٨).

فقال: لا تأتِ العراقَ، فإنّكَ إن أتيتَه أصابك به ذبابُ السيفِ.

قال علي: وايم اللهِ لقد قالها لي رسولُ اللهِ ﷺ قبلك.

قال أبو الأسود: فقلتُ في نفسي: يا الله ما رأيتُ كاليوم رجلٌ محارِبٌ يحدِّثُ الناسَ بمثل هذا[(١)].

• وأخرج **الحاكم** عن **زيد بن وهب**، قال: قدم على عليٍّ وفدٌ من أهل البصرة، وفيهم رجلٌ من الخوارج يقال له: الجعد بن بعجة، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلّى على النبيِّ ﷺ ثم قال: اتّقِ اللهَ يا علي، فإنّكَ ميّتٌ.

فقال علي: لا، ولكنّي مقتولٌ بضربة على هذا تخضب هذه، قال: (وأشار علي إلى رأسه ولحيته بيده) قضاءً مقضي، وعهدٌ معهود، وقد خابَ من افترى.

ثم عاب علياً في لباسه، فقال: لو لبستَ لباساً خيراً من هذا.

فقال: إنّ لباسي هذا أبعدُ لي من الكِبْرِ وأجدرُ أن يقتديَ بي المسلمون[(٢)].

• وأخرج **الحاكم** عن **أنس بن مالك** ﷺ قال: دخلتُ مع النبيِّ ﷺ على عليٍّ بن أبي طالب ﷺ يعودُه وهو مريضٌ، وعنده أبو بكر وعمر ﷺ فتحوّلا حتّى جلس رسولُ اللهِ ﷺ، فقال أحدُهما لصاحبِه: ما أراه إلا هالك، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّه لن يموتَ إلّا مقتولاً، ولن يموتَ حتَّى يملأ غيظاً**»[(٣)].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٨).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٤) برقم: (٤٦٧٨).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥٠) برقم: (٤٦٧٣).

• وأخرج **الحاكم** في حديث طويل عن **عمار بن ياسر** رضي الله عنه قال: كنتُ أنا وعلي رفيقين في غزوة ذي العسرة، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ألا أحدّثكما بأشقى رجلينِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**أحيمرُ ثمود الذي عقرَ الناقةَ، والذي يضربُكَ يا عليُّ على هذه؛** (يعني: قرنه) **حتّى تبتلّ هذه من الدم**»؛ (يعني: لحيته)[1].

وكان النبيُّ ﷺ قد أخبرَ بالصلح الذي تمَّ بين الإمام الحسن ومعاوية بن أبي سفيان.

• أخرج **البخاريُّ** عن **الحسن** قال: لقد سمعتُ أبا بكرة قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطبُ جاء الحسن، فقال النبيُّ ﷺ: «**ابني هذا سيّدٌ، ولعلَّ الله أن يصلحَ به بين فئتينِ من المسلمينَ**»[2].

۞ [أخبر النبيُّ ﷺ بأنّ معاوية رضي الله عنه يملك]:

وأخبر أيضاً بأنه سيملك معاويةُ رضي الله عنه:

• في «**الخصائص**»: أخرج **ابن أبي شيبة** في **معاوية** قال: ما زلتُ أطمعُ في الخلافةِ منذ قال لي رسول الله ﷺ: «**يا معاويةُ إنْ ملكتَ فأَحْسِنْ**»[3].

• وأخرج **البيهقي** عن **عبد الله بن عمر** قال: قال معاويةُ: واللهِ ما حملني على الخلافةِ إلّا قولُ النبيِّ ﷺ لي: «**يا معاويةُ! إنْ ولِّيتَ أمراً فاتّقِ اللهَ واعدل**»، قال: فما زلتُ أظنُّ أنِّي مبتلًى بعملٍ؛ لقول رسول الله ﷺ[4].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٥١) برقم: (٤٦٧٩).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٧١٠٩).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦/ ٢٠٧) برقم: (٣٠٧١٥).
(٤) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٣٢٥).

• وأخرج **الطبراني** عن **عائشة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال لمعاوية: «**كيفَ بكَ لو قد قَمَصَكَ الله قميصاً؟**» يعني: الخلافة، فقامت أمُّ حبيبة، فجلست بين يديه، فقالت: يا رسول الله! وإنّ الله مقمِّصٌ أخي قميصاً؟ قال: «**نعم، ولكنْ فيه هناتٌ وهناتٌ وهناتٌ**»(١).

وأخرج **ابن عساكر** عن **عائشة** أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا معاويةُ! إن اللهَ ولّاكَ من أمرِ هذه الأمةِ فانظرْ ما أنتَ صانعٌ**»، قالت أمُّ حبيبة: أو يعطي اللهُ أخي ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**نعم، وفيها هناتٌ وهناتٍ وهناتٍ**»(٢).

• وأخرج **أحمد** عن **أبي هريرة** أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا معاويةُ إنْ وُلِّيْتَ أمراً فاتَّق اللهَ ﷻ واعْدِل**»، قال: فما زلتُ أظنُّ أني مبتلًى بعملٍ لقول النبيِّ ﷺ حتّى ابتُلِيْتُ(٣).

وأخرج أبو يعلى من حديث معاوية مثله(٤).

• وأخرج **ابن عساكر** من طريق **الحسن** عن معاوية قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما إنّكَ ستلي أمرَ أُمّتي بعدي، فإذا كان ذلك فاقبل من مُحْسِنهم وتجاوَزْ عن مسيئهم**»، فما زلتُ أرجوها حتّى قمتُ مقامي هذا(٥).

• وأخرج **الديلمي** عن **الحسن بن علي** قال: سمعتُ علياً يقول: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتّى يملكَ معاويةُ**».

• وأخرج **ابن سعد وابن عساكر** عن **سلمة بن مخلد** قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لمعاوية: «**اللَّهُمَّ علّمه الكتابَ، ومكّن له في البلادِ،**

---

(١) «المعجم الأوسط»، للطبراني (٤/ ٣٦٧).
(٢) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٧٠).
(٣) «مسند أحمد» برقم: (١٦٩٧٥).
(٤) «مسند أبي يعلى» (٦/ ٤٠٥).
(٥) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ١٠٩).

وقهِ العذابَ»[١].

• وأخرج **ابن عساكر** عن **عروة بن رويم** قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ: فقال: يا رسول الله! صارعني، فقام إليه معاوية، فقال: يا أعرابيُّ أنا أصارِعُك، فقال النبي ﷺ: «**لن يُغْلَبُ معاويةُ أبداً**»، فصرع الأعرابيَّ قال: فلمّا كان يومُ صفّين قال علي: لو ذكرتُ هذا الحديثَ ما قاتلتُ معاويةَ[٢].

❁ [أخبر النبي ﷺ بأنه سيملك أحداثُ قريش]:

وأخبر أنه سيملك أحداثُ قريش:

• في «**الخصائص**»: أخرج **الحاكم والبيهقي**[٣] عن **أبي سعيد** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا بلغَ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا دينَ الله دغلاً، ومالَ الله دولاً، وعبادَ الله خولاً**».

• وأخرجَ **البيهقيُّ** أنَّ **ابن موهب** أخبره أنّه كان عند معاوية بن أبي سفيان، فدخلَ عليه مروان، فكلّمه في حاجته، فقال: اقضِ حاجتي يا أميرَ المؤمنين، فواللهِ إنّ مؤنتي لعظيمةٌ، وإنّي أبو عشرة، وعمّ عشرة، وأخو عشرة، فلمّا أدبر مروان وابنُ عباس جالسٌ مع معاوية على السرير فقال معاويةُ: أشهدُ باللهِ يا ابن عباس، أمّا تعلمُ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا بلغ بنو الحَكَم ثلاثين رجلاً، اتخذوا مالَ اللهِ بينهم دُوَلاً، وعبادَ الله خولاً، وكتابَ الله دَغَلاً، فإذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكُهم أسرعَ من لَوْكِ تمرةٍ؟**».

---

(١) «الجزء المتمم لطبقات ابن سعد» (١/ ٣٣)، و«تاريخ دمشق» (٥٩/ ٧٨).

(٢) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٨٧).

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢٧) برقم: (٨٤٨٠)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٤) برقم: (٢٨٦٨).

فقال ابن عباس: اللَّهُمَّ نعم، وذكر مروانُ حاجةً له، فرد مروان عبد الملك إلى معاوية، فكلَّمه فيها، فلمّا أدبر عبد الملك قال معاويةُ: أنشدك الله يا ابن عباس، أما تعلم أنَّ رسول الله ﷺ ذكر هذا فقال: «**أبو الجبابرة الأربعة؟**»، فقال ابن عباس: اللَّهُمَّ نعم(١).

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إذا بلغتْ بنو أميةَ أربعينَ اتخذوا عبادَ الله خولاً، ومالَ اللهِ نحلاً، وكتابَ اللهِ دَغَلاً**»(٢).

• وأخرج **أبو يعلى والحاكم** عن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أنّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنِّي أريتُ في منامي كأنَّ بني الحكم بن أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القِرَدة**» قال: فما رؤي النبيُّ ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي(٣).

• وأخرج **البيهقي** عن **سعيد بن المسيب** قال: رأى النبيُّ ﷺ بني أمية على منبره فساءه ذلك، فأوحي إليه: إنّما هي دنيا أُعْطُوها، فقرّت عينه(٤).

• وأخرج **الترمذي والحاكم والبيهقي** أنّ النبيَّ ﷺ أري بني أمية على منبره، فساءه ذلك، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، يا محمد؛ يعني: نهراً في الجنة، ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۞ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۞ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر: ١ ـ ٣] يملكها بنو أمية يا محمّد، قال القاسم بن الفضل: فعددناها فإذا هي ألف شهر

---

(١) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٤٥).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢٦) برقم: (٨٤٧٦).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٥٢٧) برقم: (٨٤٨١)، و«مسند أبي يعلى» (٦/ ٥٠).
(٤) «دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٤٧).

لا يزيدُ يومٌ ولا ينقصُ(١).

❁ [المفْرطون والمفرّطون في أمر علي]:

• وأخبر أنه ستكون فرقتان متضادتان في أمر علي رضي الله عنه، إحداهما مفرّطة وأخراهما مفْرطة:

• أخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: دعاني رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا عليُّ! إنّ فيك من عيسى عليه الصلاة والسلام مثلاً، أبغضته اليهودُ حتّى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلةِ التي ليس بها**».

قال: وقال علي: ألا وإنّه يهلك فيّ محبٌّ مطرٍ يقرّظني بما ليس فيّ، ومبغض مفترٍ يَحْمِلُه شنآني على أن يبهتَني، ألا وإني لست بنبي ولا يوحى إليَّ، ولكنّي أعملُ بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه ﷺ ما استطعتُ، فما أمرتكم به من طاعةِ الله تعالى فحقٌّ عليكم طاعتي فيما أحببتمُ أو كرهتُم، وما أمرتكم بمعصيةٍ أنا وغيري فلا طاعةَ لأحدٍ في معصية الله عز وجل إنّما الطاعة في المعروف(٢).

وليعلم أنّ حكم كلٍّ حادث من الحوادث قد استنبط من ألفاظ الحديث، وتوصَّل علماء أهل السُّنَّة إلى نفس الحكم الذي أخذ من ألفاظ الحديث، وإن كان مستنبطاً من مآخذ أخرى أيضاً.

❁ [دليل انعقاد خلافة علي رضي الله عنه]:

• أمّا انعقادُ خلافةِ علي رضي الله عنه فإنّه ثابتٌ قطعاً إذ نهى النبيُّ ﷺ عن مفارقة علي رضي الله عنه.

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٣٣٥٠)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٨٦) برقم: (٤٧٩٦)، و«دلائل النبوة»، للبيهقي (٧/ ٤٤٨).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٢) برقم: (٤٦٢٢).

• أخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يا عليُّ مَنْ فارقني فقد فارقَ الله، ومن فارقَك يا عليُّ فقد فارقني**»(١).

• وأخرج **الحاكم**(٢) عن **أم سلمة** رضي الله عنها سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «**عليٌّ مع القرآن، والقرآنُ مع عليٍّ، لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوضَ**».

• وأخرج **الحاكم** عن **علي** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**رحمَ اللهُ علياً، اللَّهُمَّ أَدِرِ الحقَّ معه حيثُ دار**»(٣).

۞ [عائشة وطلحة والزبير أخطأوا خطأً اجتهادياً في خلافة علي رضي الله عنه]:

أمّا السيّدة عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، فإنّهم كانوا معذورين في ذلك؛ لأنّهم اجتهدوا فأخطأوا، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**مَنِ اجتهدَ فقد أخطأَ فله أجرٌ واحدٌ**»، وكانوا قد تمسَّكوا بدليلٍ غير الدليلِ الأرجح، وذلك لوجهين:

الأول: أنّهم ظنوا أنَّ الخلافةَ لم تنعقد لعليٍّ، فإنّ أهل الحلّ والعقد لم يبايعوه عن اجتهادٍ ونصيحةٍ للمسلمين.

أخرج **أبو بكر بن أبي شيبة**(٤) عن معتمر بن سليمان عن **أبيه** قال: حدّثنا أبو نضرة، أنّ ربيعة كلّمت طلحةَ في مسجد بني سلمة، فقالوا: كنا في نحر العدوِّ حتى جاءتنا بيعتُكَ هذا الرجل، ثم أنت الآن تقاتِلُه أو كما قالوا.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٣) برقم: (٤٦٢٤).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٤) برقم: (٤٦٢٨).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٣٤) برقم: (٤٦٢٩).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٦) برقم: (٣٧٧٧٥).

قال: فقال: إنِّي أُدخلت المجش، ووضع على عنقي اللجّ، وقيل: بايع وإلّا قتلناكَ، قال: فبايعتُ وعرفتُ أنّها بيعةُ ضلالةً.

قال التيمي: وقال الوليد بن عبد الملك: إنّ منافقاً من منافقي أهل العراق جبلة بن حكيم قال للزبير: فإنّك قد بايعتَ، فقال الزُّبير: إنَّ السيفَ وضع على قفاي فقيل لي: بايع وإلّا قتلناك، قال: فبايعتُ.

وأخرج **أبو بكر** عن محمد بن بشر قال: سمعتُ أحمد بن عبد الله بن الأصم يذكر عن أمِّ راشد جدته قالت: كنت عند أم هانئ، فأتاها علي، فدعت له بطعام، فقال: ما لي لا أرى عندكم بَرَكة؛ يعني: الشاة؟

قالت: فقلت: سبحان الله، بلى واللهِ إنّ عندنا لبركة، قال: إنّما؛ أعني: الشاة، قالت: ونزلتُ فلقيتُ رجلين في الدرجة فسمعتُ أحدهما يقول لصاحبه: بايعته أيدينا ولم تبايعه قلوبنا، قالت: فقلتُ: من هذان الرجلان؟ فقالوا: طلحة والزبير، قالت: فإنِّي قد سمعتُ أحدُهما يقول لصاحبه: بايعتْه أيدينا ولم تبايعه قلوبنا، فقال علي: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠][١].

الثاني: أنّهم حسبوا أنَّ القصاصَ حقٌّ واجبٌ، وعليٌّ قادر على قصاص عثمان ذي النورين ﵁، ولكنّه لا يقوم به، وأنّ عليّاً ﵁ كان يعتبرهم مخطئين في اجتهادهم.

● وأخرج **أبو بكر** عن أبي البختري قال: قيل: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إنَّ المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا[٢]، وقال

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٧) برقم: (٣٧٧٧٦).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٥) برقم: (٣٧٧٦٣).

علي: إني لأرجو أن نكون كالذين قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧][١]، حديثٌ له طرقٌ متعددة أخرجَ بعضها أبو بكر.

[قد عفا الله عمّن أخطأ وخالف عليّاً في خلافته]:

• وإن لم يقبل الخصمُ هذا الرأي، ولم يعتبرهم مخطئين في اجتهادِهم، بل مسيئين في أعمالهم، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

• وقال النبيُّ ﷺ: «**لعلَّ اللهَ اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[٢].

• وأخرج **أبو بكر بن أبي شيبة** عن **عبد الله بن زياد** قال: قال عمار بن ياسر: إنَّ أمّنا سارت مسيرنا هذا، وإنَّها واللهِ زوجةُ محمّدٍ ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنّ الله ابتلانا بهذا ليعلمَ إيّاه نطيعُ أم إياها[٣].

• وأخرج **مسلم** عن **أبي هريرة**: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان على حِراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرةُ، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليكَ إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيدٌ**»[٤].

• وأخرج **أبو بكر** عن **أبي نضرة** قال: ذكروا علياً وعثمان وطلحة والزبير عند **أبي سعيد** فقال: أقوامٌ سبقتْ لهم سوابقُ، وأصابتهم فتنةٌ،

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٩) برقم: (٣٧٧٩٥).
(٢) «صحيح البخاري» برقم: (٤٨٩٠).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٨) برقم: (٣٧٧٨٣).
(٤) «صحيح مسلم» برقم: (٢٤١٧).

فردّوا أمرهم إلى الله[١].

• ثم إنهم نقلت عنهم أقوالٌ تدلُّ على رجوعهم عن رأيهم هذا.

• فقد أخرج **أبو بكر** عن عائشة رضي الله عنها قالت: وددتُ أنِّي كنتُ غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا[٢].

• وقد روي بطرق متعددة أنّ علياً قال يوم الجمل للزبير: أنشدك بالله أتذكرُ يوَم أتانا النبيُّ ﷺ وأنا أناجيك فقال: «**أتناجيه فواللهِ ليقاتلنّكَ يوماً وهو لكَ ظالمٌ**؟» قال: فضربَ الزبيرُ وجه دابته فانصرف[٣]، أخرجه **أبو بكر** وغيره، ثم قتله ابن جرموز بعد انصرافه من المعترك.

• وأخرج **أبو بكر** عن قيس قال: رمى مروانُ بنُ الحكم يوم الجمل طلحةَ بسهمٍ في ركبته قال: فجعلَ الدمُ يغِذُّ ويسيلُ، قال: فإذا أمسكوه استمسك، وإذا تركوه سال، قال: فقال: دعوه، قال: وجعلوا إذا أمسكوا فمَ الجرحِ انتفخت ركبته، فقال: دعوه فإنّما هو سهمٌ أرسله الله، قال: فمات[٤].

• وأخرج **الحاكم** عن ثور بن مجزأة قال: مررتُ بطلحة بن عُبيد الله يومَ الجمل وهو صريعٌ في آخرِ رمقٍ، فوقفتُ عليه، فرفعَ رأسه فقال: إنِّي لأرى وجهَ رجلٍ كأنّه القمُر ممّن أنتَ؟ فقلتُ: من أصحابِ أمير المؤمنين علي، فقال: ابسط يدك أبايعك، فبسطتُ يدي وبايعني، ففاضت نفسه فأتيتُ علياً فأخبرتُه بقول طلحة، فقال: الله أكبر، الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ، أبى الله أَنْ يدخلَ طلحةَ الجنّةَ إلا وبيعتي

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤١) برقم: (٣٧٨٠١).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤٤) برقم: (٣٧٨١٨).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤٥) برقم: (٣٧٨٢٨).
(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٣٦) برقم: (٣٧٧٧٠).

في عنقه[١].

❁ [كان معاوية مجتهداً مخطئاً معذوراً في هذا الصدد]:

أمّا معاوية فإنّه كان مجتهداً مخطأ معذوراً؛ لأنّه تمسَّك بدليل على شبهة، رغم أنه ظهر بعد ذلك دليلٌ آخر، وكان هو الأرجحُ في الشريعة كما وقع في قصة أصحاب الجمل، وإنَّ معاوية ﵁ وأهل الشام لم يبايعوا عليّاً، إذ كانوا يعتبرون انعقاد الخلافةِ بعد غلبة الخليفة، ونفاذ حكمه، ولم يتحقّق ذلك لعلي، وقويت هذه الشبهةُ بقضية التحكيم، وورد في الحديث الصحيح أنّ دعواهما واحدة.

❁ [كان أهل حروراء على باطل]:

• وأمّا أهل حروراء ـ أي: الخوارج ـ فإنّهم كانوا على باطل، وكان فيهم من سمات الكفر والفسوق شيءٌ كثيرٌ أعاذنا الله من ذلك، وثبت ذلك بدليل أنَّ النبَّي ﷺ قد صرَّح في الأحاديث المتواترة: «**أنَّهم يمرقون من الدين مروقَ السهم من الرمية**»، رواه **سهل بن حنيف**، و**عبد الله بن مسعود**، و**أبو ذر**، و**أبو سعيد**، وغيرهم[٢].

❁ [موقف من امتنع عن إعانة علي ولزم البيت]:

• وأمّا المتخلّفون عن إعانة عليٍّ ﵁، والقاصرون في حمايته، فهل أولئك من المجتهدين المصيبين، أو المخطئين المعذورين، فإنَّها قضيةٌ دقيقةٌ، زلَّت فيها أقدامُ كثيرٍ من الناس، والذي ظهر عندي أنَّ المتخلفين كانوا آخذين بالعزيمة، متمسِّكين بالأحاديث الصحيحة التي تواتر معناها.

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ٤٢١) برقم: (٥٦٠١).

(٢) «موطأ مالك» برقم: (٦٩٤).

• أخرج **الترمذي** عن **أم مالك البهزية** قالت: ذكر رسولُ اللهِ ﷺ فتنةً فقرَّبها قالت: قلت: يا رسول الله! مَنْ خيرُ الناسِ فيها؟ قال: «**رجلٌ في ماشيتِهِ يؤدِّي حقَّها، ويعبد ربَّه، ورجلٌ آخذٌ برأسِ فرسِه، يخيفُ العدوَّ ويخيفونه**»[١].

• وأخرج **الترمذي** عن **بُسر بن سعيد**: أنّ سعدَ بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**إنَّها ستكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**»، قال: أفرأيتَ إن دخل عليَّ بيتي، وبسط يده إليَّ ليقتلني قال: كن كابنِ آدمَ[٢].

وأخرج الترمذيُّ عن عُديسَةَ بنت أُهبان بن صيفيٍّ الغفاري قالت: جاء علي بن أبي طالب إلى أبي، فدعاه إلى الخروجِ معه، فقال لي أبي: إنّ خليلي وابن عمّك عهدَ إليّ إذا اختلفَ الناسُ أن أتّخذ سيفاً من خشبٍ فقد اتخذته، فإن شئت خرجتُ به معك، قالت: فتركه[٣].

• وأخرج **الترمذي** عن **أبي موسى** عن النبيِّ ﷺ أنه قال في الفتنة: «**كسِّروا فيها قسيّكم، وقطّعوا فيها أوتاركم، والزموا فيها أجواف بيوتكم، وكونوا كابن آدم**»[٤].

• وأخرج **البخاري** عن **شقيق بن سلمة** قال: كنتُ جالساً مع أبي مسعود وأبي موسى وعمّار، فقال أبو مسعود: ما مِنْ أصحابِكَ أحدٌ إلا لو شئتُ لقلتُ فيه غيرك، وما رأيتُ منك شيئاً منذ صَحِبْتَ النبيَّ ﷺ أعيبَ عندي من استسراعك في هذا الأمر، قال عمّار: يا أبا مسعود! وما رأيتُ منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبتما النبيَّ ﷺ أعيبَ

---

(١) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٧٧).
(٢) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٩٤).
(٣) «سنن الترمذي» برقم: (٢١٠٣).
(٤) «سنن الترمذي» برقم: (٢٢٠٤).

عندي من إبطائكما في هذا الأمر، فقال أبو مسعود وكان موسراً: يا غلامُ هات حلتين، فأعطى إحداهما أبا موسى، والأخرى عماراً، وقال: روحا فيها إلى الجمعة(١).

• وأخرج **البخاري** عن **حرملة مولى أسامة** قال: أرسلني أسامة إلى علي وقال: إنه سيسألك الآن فيقول: ما خلَّفَ صاحبك؟ فقل له: يقول لك: لو كنتُ في شِدْقِ الأسدِ لأحببتُ أن أكون معك فيه، ولكنَّ هذا أمر لم أره، فلم يعطني شيئاً، فذهبتُ إلى حسن وحسين وابن جعفر فأوقروا لي راحلتي(٢).

• وأخرج **أبو يعلى**(٣) في حديثٍ طويلٍ فيه قتل الخوارج عبد الله بن خَبّاب، قالوا: أنت عبد الله بن خبّاب صاحبِ رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم، قالوا: فهل سمعت من أبيك حديثاً تحدثنا به عن رسول الله ﷺ أنه ذكر فتنة: «**القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي**»، قال: فإن أدركك ذاك فكن عبد الله المقتول، قال أيوب: ولا أعلمه إلا قال: ولا تكن عبد الله القاتل، قالوا: أنت سمعت هذا من أبيك يحدث به عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فقدموه على ضفة النهر، فضربوا عنقه، فسال دماً كأنه شراك نعل.

وأخرج **الحاكم** عن عمرو بن وابصة الأسدي عن أبيه عن **عبد الله بن مسعود** يحدّث عن رسول الله ﷺ يقول: «**تكونُ فتنةٌ، النائمُ فيها خيرٌ من المضطجعِ، والمضطجعُ فيها خيرٌ من القاعدِ، والقاعدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الراكبِ، والراكبُ خيرٌ من**

---

(١) «صحيح البخاري» برقم: (٧١٠٥). (٢) «صحيح البخاري» برقم: (٧١١٠).
(٣) «مسند أبي يعلى» (٦/٣٣٨).

المجري»، قلتُ: يا رسول الله ومتى ذلك؟ قال: **«ذلك أيام الهرج حين لا يأمنُ الرجلُ جليسَه»**، قلت: فبم تأمرني إن أدركتُ ذلك الزمان؟ قال: **«اكففْ نفسَكَ ويدكَ وادخلْ دارَك»**، قال: قلت يا رسول الله! أرأيتَ إن دخل عليَّ داري؟ قال: **«فادخل بيتَك»**، قال: قلت: أفرأيتَ إن دخل عليّ بيتي؟ قال: **«فادخل في مسجدِك واصنع هكذا**، (وقبض بيمينه على الكوع) **وقل: ربِّي اللهُ حتَّى تموتَ على ذلك»**(١).

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال: أيُّها الناسُ أظلّتكم فتنٌ كأنّها قطعُ الليلِ المظلم، خيرُ الناس فيها ـ أو قال: منها ـ صاحبُ شاءٍ يأكلُ من رأسِ غنمِه، ورجلٌ من وراءِ الدربِ آخذٌ بعنانِ فرسِهِ يأكلُ من سيفه(٢).

• وأخرج **الحاكم** عن **أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ بين أيديكم فتناً كقطعِ الليلِ المظلم، يصبحُ فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً، ويصبحُ كافراً، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها»**، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: **«كونوا أحلاسَ بيوتِكم»**(٣).

وأخرج **الحاكم** عن **أبي بكرة** رضي الله عنه يقول: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **«ألا إنّها ستكونُ فتنٌ، ثم تكونُ فتنةٌ، القاعِدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، فإذا نزلت فَمَنْ كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومَنْ كان له غنمٌ فليلحق بغنمه، ومَنْ كانت له**

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٧٣) برقم: (٨٣١٤).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٧٨) برقم: (٨٣٣١).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٧) برقم: (٨٣٦٠).

أرضٌ فليلحق بأرضه»، فقال له رجل: يا رسول الله! أرأيتَ إن لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «**فليأخذ حجراً، فليدقَّ به على حدِّ سيفِهِ، ثم لينجُ إنِ استطاعَ النجاةَ**»، ثم قال: «**اللَّهُمَّ هل بلّغتُ**» ثلاثاً، فقال رجل: يا رسول الله! أرأيتَ إن أُكرهتُ حتّى يُنْطَلَقَ بي إلى أحدِ الصفّين أو إلى أحد الفئتين فيرميني رجلٌ بسهمٍ أو يضربني بسيفٍ فيقتلني؟ قال: «**يبوءُ بإثمِهِ وإثمِكَ فيكونُ من أصحابِ النّارِ**»، قالها ثلاثاً[١].

• وأخرج **الحاكم** عن **سعد بن مالك** رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إنّها ستكونُ فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، والساعي خيرٌ من الراكبِ، والراكبُ خيرٌ من المُوضِعِ**»[٢].

• وأخرج **الحاكم** عن **محمد بن مسلمة** قال: قلت: يا رسول الله كيف أصنع إذا اختلف المصلّون؟ قال: «**تخرجُ بسيفِكَ إلى الحَرَّةِ، فتضربَها به، ثم تدخُلُ بيتَكَ، حتى تأتيك منيةٌ قاضيةٌ، أو يدٌ خاطئةٌ**»[٣].

❁ [إن علياً كان خليفة المسلمين حقّاً، فكيف يمكن أن يكون التخلّف عن إعانته موافقاً لمرضاةِ الله سبحانه وتعالى]:

• **وإذا قال قائل**: إن **عليّاً المرتضى** رضي الله عنه كان خليفةَ المسلمين، وكان على الحقِّ، فكان يجبُ إعانته ونصره، فكيف يكون التخلّفُ عن إعانته مطابقاً لمرضاة الله عز وجل؟!

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٧) برقم: (٨٣٦١).
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٨٨) برقم: (٨٣٦٢).
(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٧) برقم: (٤٦٠٤).

فنقول: إنّ رسول الله ﷺ كان يَعْلَمُ أنَّ علياً وإن كان على الحقِّ ولكن إعانته ليست في نصيبه، وقد سبق أمرُ الله بأنه لا يجتمع المسلمون عليه، ولا يكونُ حكمُه نافذاً في سائر بلاد الإسلام، فيكونُ تحريضُ الناس على القتال قد يسبِّبُ اشتدادَ الفتنة، وإن إعانة الخليفة لازمةٌ على المسلمين إن كان نجاحُه مظنوناً، ولمّا عُلِمَ قطعاً أنَّ إعانته لا تفيدُه ولا تنفعُه، فلا حاجةَ لتحريض المسلمين على القتال لأجله.

• ونظيره ما وقع في وقعة الحرة، فإنَّ أهل المدينة كانوا مظلومين، وكان ذلك واضحاً كلَّ الوضوح، وكان الذين قتلوهم ظالمين قطعاً، ولكن رغم ذلك نهى النبيُّ ﷺ عن قتالهم.

• أخرج **الحاكم** عن **أبي ذر** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر**» قلتُ: لبيك يا رسول الله وسعديك قال: «**كيفَ أنتَ إذا أصابَ الناسَ جوعٌ، تأتي مسجدَكَ فلا تستطيعُ أن ترجعَ إلى فراشِكَ، وتأتي فراشَكَ فلا تستطيعُ أن تنهضَ إلى مسجدِكَ؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، أو ما خار الله لي ورسوله، قال: «**عليكَ بالعفّة**» ثم قال: «**يا أبا ذر!**» قلت: لبيك يا رسول الله! وسعديك، قال: «**كيفَ أنتَ إذا رأيتَ أحجارَ الزَّيْتِ قد غرقت بالدّم؟**» قلت: ما خار الله ورسوله، قال: «**تلحقُ بِمَنْ أنتَ منه**، أو قال: «**عليكَ بِمَنْ أنتَ منه**»، قلتُ: أفلا آخذ سيفي فأضعه على عاتقي؟ قال: «**شاركتَ إذاً**»، قلت: فما تأمرني؟ قال: «**تلزمُ بيتَكَ**»، قلتُ: أرأيتَ إن دخلَ عليَّ بيتي؟ قال: «**فإن خشيتَ أن يبهرَك شعاعُ السيفِ فألقِ رداءَكَ على وجهكَ يبوءُ بإثمِهِ وإثمِكَ**»[١].

وإن قال أحد: إذا كان الأمرُ كذلك، فكان ينبغي أن يُمنع علي وأقاربه أيضاً عن القتال، فنقول: إنّ هناك أمراً يوجِبُ له القتال، وهو

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤/ ٤٧٠) برقم: (٨٣٠٥).

عدم خلع الخلافة، وبذل الجهود لإحكامِ قواعدها، حتّى يحشر مع الخلفاء يوم القيامة، ونظيره قصة ذي النورين رضي الله عنه.

• أما **أقاربه** فكان يجب عليهم أداءُ حقوق صلة الأرحام، وقيامهم بواجب خدمة الخليفة الحق وإعانته، وكان عمار بن ياسر في حكم أقارب علي، فإنّه كان يلازمه ملازمة الظلِّ لصاحبه، ويداوم على مصاحبته.

فالحاصل: أنّ القتال كان أقربَ إلى الصوابِ لعلي رضي الله عنه وأقاربه، وكان الكفُّ عن القتالِ أقرَب إلى الصواب لمن ليس من أقاربه، فإنَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً، ولكلِّ نكتة رجالاً.

۞ [سبب ما جاء من الأقوال المضادّة التي قالها علي رضي الله عنه قبل معركة الجمل وصفين وبعدها]:

• وقد روي عن علي رضي الله عنه قبل وقعة الجمل وصفّين وبعدها أقوال مختلفة متباينة، وذلك لشدّة ورعه وتقواه، ونظراً إلى قوة دليل المخالفين.

• أخرج **الحاكم** عن **طارق بن شهاب** قال: رأيتُ علياً رضي الله عنه على رَحْل رثٍّ بالربذة وهو يقول للحسن والحسين: ما لكما تحنّان حنينَ الجاريةِ، واللهِ لقد ضربتُ هذا الأمرَ ظهراً لبطن، فما وجدتُ بدّاً من قتالِ القومِ أو الكفرِ بما أَنْزَلَ اللهُ على محمّد صلى الله عليه وسلم[1].

• وروي عن الحسن بن علي بطرق متعددة، وعن أبي صالح وغيره قال: قال علي يوم الجمل: وددتُ أنِّي كنتُ مِتُّ قبل هذا بعشرين سنة، أخرج بعض طرقه أبو بكر والحاكم[2].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١٢٤) برقم: (٤٥٩٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٥٤٤) برقم: (٣٧٨٢٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (٣/ ١١) برقم: (٤٥٥٧).

• وأخرج **أبو بكر**، عن **عمار** قال: لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سفعات هجر لعرفت أنا على الحق وأنهم على الضلالة(١).

• وأخرج **أبو بكر** عن **سليمان بن مهران** قال: حدثني من سمع علياً يوم صفين وهو عاضٌّ على شفته: لو علمتُ أنَّ الأمرَ يكونُ هكذا ما خرجتُ، اذهب يا أبا موسى فاحكم ولو بجزِّ عنقي(٢).

وأخرج **أبو بكر** عن الشعبي عن **الحارث** قال: لمّا رجعَ عليٌّ من صفين علم أنّه لا يملِكُ أبداً، فتكلّم بأشياء كان لا يتكلّم بها، وحدَّثَ بأحاديثَ كان لا يتحدَّثُ بها، فقال فيما يقول: أيها الناسُ لا تكرهوا إمارة معاوية، واللهِ لو قد فقدتموه لقد رأيتُم الرؤوسَ تنزو عن كواهلِها كالحنظلِ(٣).

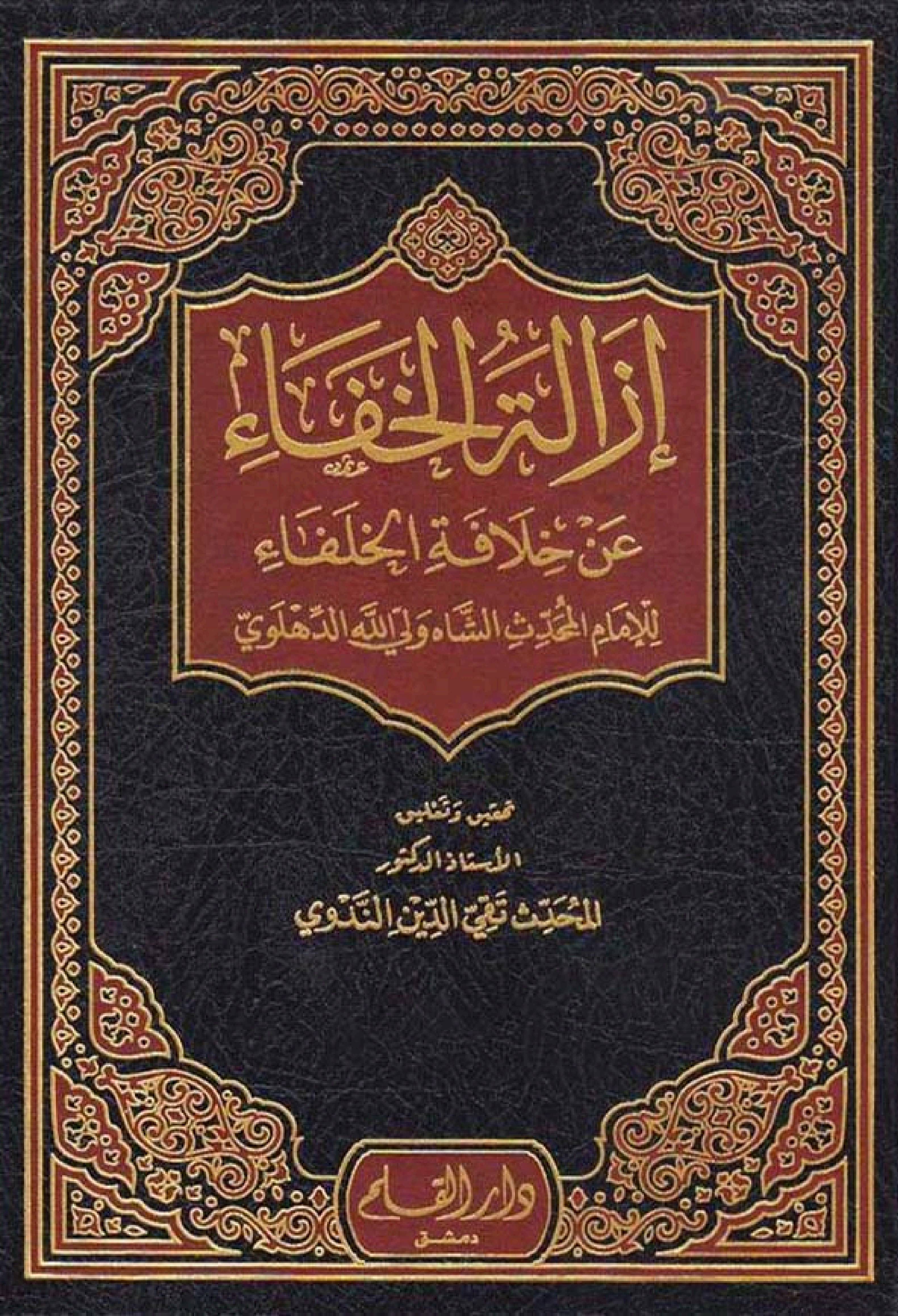
○ ○ ○ ○ ○

قد تمَّت مراجعة كتاب «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء» للإمام شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين بعد أربع مائة من هجرة النبي الأمين، الموافق: ١٠ فبراير/شباط سنة ٢٠١٢م.

وكتبه
تقي الدين الندوي

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٥٤٧) برقم: (٣٧٨٣٩).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٥٤٨) برقم: (٣٧٨٥٢).
(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/٥٤٨) برقم: (٣٧٨٥٤).


إزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء
للإمام المحدث الشاه ولي الله الدهلوي
تحقيق وتعليق
الأستاذ الدكتور
المحدث تقي الدين الندوي
دار القلم
دمشق